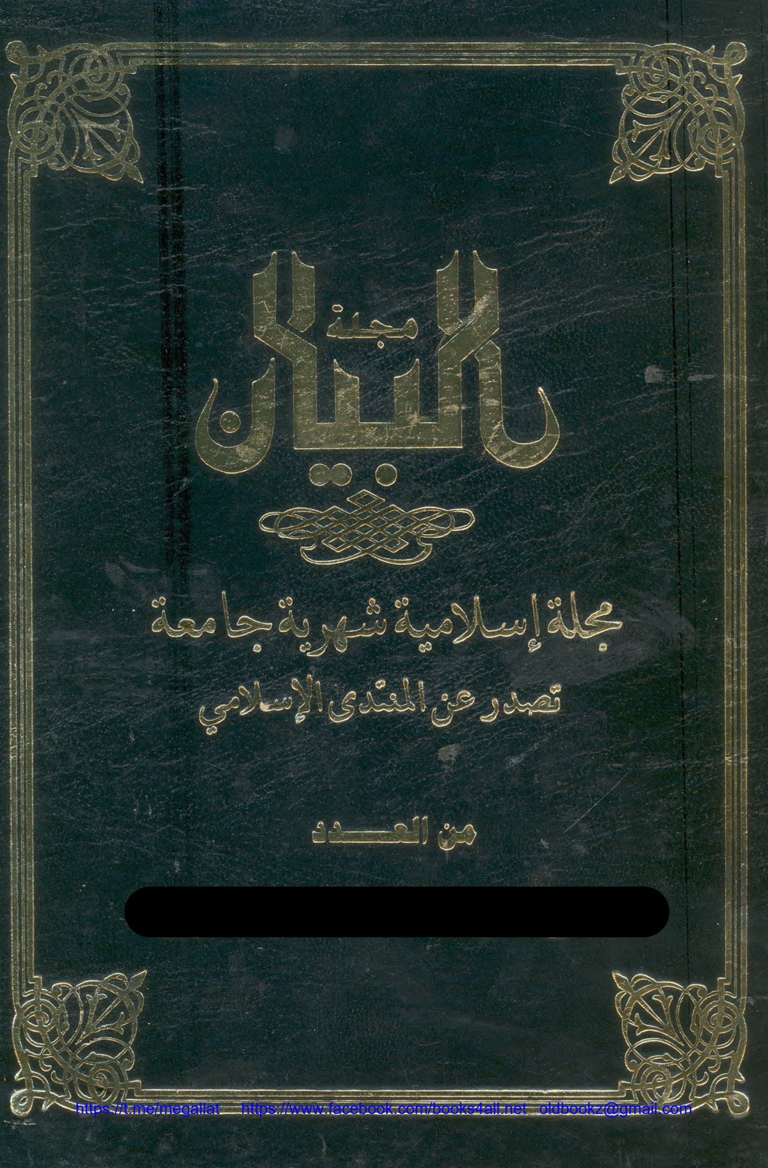

مجلة
البيان
مجلة إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن المنتدى الإسلامي
من العدد
[redacted]

بسم الله الرحمن الرحيم

رئيس مجلس الإدارة :

د. عادل بن محمد السليم

AL BAYAN MAGAZINE
7 Bridges Place, Parsons Green
London SW6 4HW, U.K.
Tel : 0171 - 736 9060
Fax : 0171 - 736 4255

رئيس التحرير

أحمد بن عبد الرحمن الصويان

مدير التحرير

أحمد بن عبد العزيز العامر

هيئة التحرير

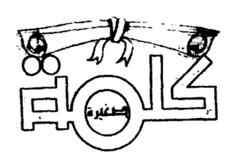
د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف

عبد العزيز بن مصطفى كامل

د. يوسف بن صالح الصغير

سليمان بن عبد العزيز العيوني

فيصل بن علي البعداني



بين المجلة وقرائها

إنَّ مما يثلج صدورنا، ويقرّ عيوننا، ويدفعنا إلى المزيد من العطاء والإنتاج بعون الله - تعالى - تفاعل قرائنا مع مجلتهم، ثناءاً وتقويماً واقتراحاً. فكلما ازداد التواصل والتفاعل بين المطبوعة وقرائها ازداد نجاحها واتسعت ساحتها، وإننا نشعر - في المجلة - بأن قراءنا ليسوا كبقية القراء؛ فهم معنا بعقولهم النيرة، وبقلوبهم المفعمة بالحب والتقدير، يمدون أيديهم إلينا بصدق وإخلاص، وهذا - بإذن الله تعالى - يزيدنا حرصاً على إرضائهم بما ينفعنا جميعاً في ديننا ودنيانا وعاقبة أمرنا، مع تطلعنا إلى نشر المادة العلمية التي تشبع رغباتهم.

وكم أسعدنا ثناء قرائنا على ملفنا الأخير (ماذا يريدون من المرأة؟!). ونؤكد بدورنا أنّه ثمرة من ثمار التعاون اليانعة بين المجلة وكتابها وكاتباتها الأفاضل، ويسعدنا أن يستمر هذا التواصل؛ فنحن في هذا الطريق شركاء متعاونون لعمل كل ما من شانه إفادة القارئ وتوجيهه.

وقد طلب منا بعض الكُتّاب أن تذكر لهم عنوان الملف القادم لعلّ بعضهم يرغب المشاركة فيه، ونزولاً عند رغبتهم فإن ملفنا القادم - بإذن الله تعالى - سيكون بعنوان: (التنصير .. أهداف.. ووسائل .. وأرقام) ويشرفنا أن يُثرى الملف بمشاركات الأكفاء من أهل المتابعة والاختصاص. كما يشرفنا أن نستقبل آراء القراء لاقتراح عناوين لملفات أخرى قادمة تثري المعرفة وتنير آفاقنا إلى الصراط المستقيم.

والله الهادي إلى سواء السبيل.

• العدد ١٥١ • ربيع الأول ١٤٢١هـ/ يونية ٢٠٠٠م

الأردن ٥٠ قرشاً، الإمارات العربية ٨ دراهم، أوروبا وأمريكا ١.٥ جنيه إسترليني أو ما يعادلها، البحرين ٦٠٠ فلس، اليمن ٦٠ ريالاً، مصر ٢ جنيه ، السعودية ٨ ريالات، الكويت ٦٠٠ فلس، المغرب ١٠ دراهم، قطر ٨ ريالات، السودان ٥٠ ديناراً، سلطنة عمان [redacted]

EUROPE & AMER[redacted]5
(STERLING OR E[redacted]LENT)

مكاتب المنتدى الإسلامي ومجلة البيان

م	الدولة	المدينة	ص. ب.	الهاتف	الفاكس
١	بريطانيا	لندن	ــــ	٧٣١٨١٤٥	٧٣٦٤٢٥٥
٢	السعودية	الرياض	٢٦٩٧٠	٤٦٤١٢٢٢	٤٦٤١٤٤٦
٣	البحرين	المحرّق	٥٠١٦٣	٣٣٥٣٠٠	٣٣٦٣٠٠
٤	قطر	الدوحة	١٦٤٦٤	٣٥٢٢٨٢	٣٥٢٢٩٢
٥	كينيا	نيروبي	٧٧٨٠٢	٣٥٠٥٢٦	٥٠٠٠١٥
٦	غانا	أكرا	٢٠	٢٣٥٧٦٦	٢٣٥٧٦٧
٧	بنغلاديش	دكا	١٢٠٧	٩٨٠٢٠١٥	٩٨٠٣٠٠٥
٨	السودان	بور تسودان	٦٩٥	٢٢٥٣٣	٢٢٥٣٣
٩	مالي	باماكو	E٢٠٣	٢٢٣٢٠٣٩٠٩	٢٢٣٢٠٣٩٠٩
١٠	جيبوتي/الصومال	جيبوتي	٣٢٨٠	٣٤١١١٣	٣٤١١١٣
١١	تشاد	انجمينا	١٧٨٩	٥١٨٥٩١	٥١٨٥٩٠
١٢	توجو	لومي	١٠٧٤	٢٦١٦١١	٢٦١٦١١
١٣	نيجيريا	كانو	٢٦٣٥	٦٣٧١٩٠	٦٣٧١٨٠
١٤	بينين	كوتونو	٠٣ـ٤١٩٣	٣٠٣٩١٩	٣٠٣٩١٩

الحسابات

- مصرف فيصل الإسلامي حساب رقم: ٠٠٢ـ ٤٥١٤ـ٤٢ـ١٠٩
- الشركة الإسلامية للاستثمار الخليجي حساب رقم ٦٣٤٩٢٤
- الإمارات - بنك دبي الإسلامي (فرع دبي) رقم الحساب ٥٥٤٦٥٢٤
- السعودية: شركة الراجحي للصرفية للاستثمار فرع الربوة شارع الأربعين حساب مجلة البيان رقم ٢١٠٠/٧
- قطر: مصرف قطر الإسلامي حساب رقم:٨٧٨٨٥٥ زكاة ٨٧٨٣٨٣ صدقات حساب مجلة البيان: بنك قطر الدولي الإسلامي رقم: ٢٤٢٠٧٠٠٧١

AL MUNTADA AL ISLAMI EDUCATIONAL TRUST
National WestMinister Bank PLC Fulham Branch
45 Fulham Broadway London SW6 1AG
Sorting Code No. 60-22-16
A/C NO: 44348452

في هذا العدد

المراسلات والإعلانات

الدول العربية : البحرين: المحرّق مكتب دار البيان ، ص.ب ٥٠١٦٣ ـ هاتف٣٣٥٣٠٠ ـ فاكس ٣٣٦٣٠٠ـ السعودية : مكتب مجلة البيان ـ ص.ب ٢٦٩٧٠ـ الرياض : ١١٤٩٦ـ هاتف ٤٦٤١٢٢٢ ـ فاكس ٤٦٤١٤٤٦

البريد الإلكتروني: bayan@naseej.com.sa

أوروبا وامريكا :

AL BAYAN MAGAZINE 7 Bridges Place, Parsons Green London SW6 4HW, U.K. Tel : 071 - 736 9060
Fax : 071 - 736 4255

بريطانيا وايرلندا	١٨ جنيهًا استرلينيًا
أوروبا	٢٠ جنيهًا استرلينيًا
البلاد العربية وافريقيا	٢٥ جنيهًا استرلينيًا
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهًا استرلينيًا
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهًا استرلينيًا

في هذا العدد

المـــوزعــون

الأردن : الشركة الأردنية للتوزيع ، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١ ، ٦٣٥١٥٣ ، فاكس ٦٣٥١٥٢
الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان : شركة الإمارات للطباعة والنشر ، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف ٦٢٣٩٢٠ ، فاكس ٦٦٣٧٦٨
قـطـــر : دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة هاتف ٦٦٢٤٤٤ ، فاكس ٦٦٢٤٥٠
مصـــر : القاهرة – ش الجلاء – الأهرام للتوزيع ، هاتف وفاكس ٥٧٤٧٠٢٣ .
المغرب : سوشبرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن أحمد ص.ب ١٣٦٨٣ ، هاتف ٢٤٥٧٤٥/٥٤
السعودية : مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦ ، الرياض ١١٥٥٧ ، هاتف ٤٦٤٦٦٨٨ ، فاكس ٤٦٤٢٩١٩، الشركة الوطنية هاتف ٤٧٨٢٠٠٠، فاكس ٤٧٨٤٣٣٣ .
اليمـــن : مكتبة دار القدس ، صنعاء : ص.ب ٣٦٠٠ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة ، هاتف ٢٠٦٤٦٧
السودان : دار اقرأ للنشر والتوزيع ، الخرطوم : ص.ب ٨٨ بحري.

الكويت : درة الكويت للتوزيع، ص.ب ٢٩١٢٦، الصفاة هاتف ٤٧٢٤٦٦٦، فاكس ٤٧٢٤٥٥٥.
البحرين : مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف – المنامة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ – ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.
أمريكا: International Media Group
Ann Arbor. MI 48107 U.S.A.- P.O. Box 7560
Tel. 734-975-1115 Fax. 734-975-9997

في المؤامرة على المرأة المسلمة:

منظمة العفو الدولية تلتقي بالنسويات!!

تجتاح منطقتنا العربية في هذه الآونة حمى مسعورة تستهدف المرأة العربية في إسلامها بدعوى نيل حقوقها المهضومة، ويدل التوقيت المتتابع والتشابه في الجزئيات - رغم تباعد المواطن - على أن هذه الحمى ما اجتاحت المنطقة بطريقة عفوية غير مقصودة، وإنما هناك مطالب محددة ومخطط دولي محكم، ربما نسجت خيوطه من مغازل توصيات مؤتمرات القمة الدولية في القاهرة وبكين وإستانبول والهند.

فمن الضجة حول قانون الزواج المدني في لبنان الذي أرادوا فيه هدم قيام الأسرة على أسس ديني، إلى الضجة حول قانون جرائم الشرف في الأردن الذي لم يريدوا فيه الدفاع عن حق المرأة في الحياة بقدر دفاعهم عن حقها في التحلل والفجور باطمئنان! إلى الضجة حول مرسوم قانون حقوق المرأة السياسية في الكويت، إلى الضجة حول قانون الخُلْع والزواج العرفي في مصر الذي أرادوا به تفسيخ الأسرة المسلمة وتقنين الانحلال والفساد، إلى الضجة حول قانون الأحوال الشخصية وخطة إدماج المرأة في التنمية في المغرب... وغيرها وغيرها، نقاط متباعدة وخيوط متصلة تنسج شبكة جديدة يراد إيقاع المرأة المسلمة في براثنها.

وفي هذا السياق رصدت مجلتكم البيان خيطاً آخر من خيوط هذه الشبكة ولكن في نقطة بعيدة عن عالمنا العربي، ربما - لذلك - يُعَدُّ أحدَ الحبال (أو الأحابيل) في شبكة هذا المخطط؛ فقد انعقد يوم السبت الحادي عشر من شهر مارس (آذار) سنة ٢٠٠٠م الموافق ٤/١٢/١٤٢٠هـ برعاية منظمة العفو الدولية - مؤتمر حول الحقوق الإنسانية في الشرق الأوسط في معهد الدراسات الشرقية والإفريقية في العاصمة البريطانية لندن، حضرته ثلة من الناشطات في مجالات العمل النسوي في شمال إفريقيا والشرق الأوسط.

افتتحت (كيت آلن) مديرة فرع المنظمة في المملكة المتحدة أعمال المؤتمر بالترحيب بالضيوف وتقديم المتحدثات.

وشاركت في الجلسة الأولى كل من: أسماء خضر (الأردن)، أمينة المريني (المغرب)، نائولا درويش (مصر)، د. فاطمة العبدلي (الكويت)، وأدارت الجلسة الدكتورة (لين ولشمان) من مركز القانون الإسلامي والشرق الأوسطي في معهد الدراسات الشرقية والإفريقية.

وتدل الأسماء العربية المذكورة على أحد أهداف المؤتمر غير المعلنة، وهو زيادة تسخين (قضية المرأة) في المناطق الساخنة المشار إليها سابقاً، إضافة إلى الصعود بها من الصفة المحلية والإقليمية إلى التدويل وتحريك الرأي العام (الغربي) لمساندتها وتأييدها، وهذا ما طالبت به بالفعل بعض المحاضرات كأمينة المريني التي طلبت الدعم من منظمات حقوقية وشخصيات سياسية ومن منظمة العفو الدولية، وميرفت رشماوي التي تحدثت عن عالمية حقوق الإنسان باعتبار حقوق المرأة - كما يطالبن بها - ضمن هذه الحقوق، وأشادت بمؤتمر بكين باعتباره تجربة رائدة، كما أكدت على ضرورة حضور المرأة في المنظمات الأممية.

وهذا يجرنا إلى الحديث عن نقطة أخرى مهمة وهي حرص أصحاب المشروع التغريبي للمرأة على الاستقواء بأصحاب السلطة والنفوذ لفرض توجهاتهم بالإرهاب المعنوي عبر تمرير مشاريع لقوانين وقرارات حكومية بطريقة مريبة، كما حدث في البلاد المشار إليها، إضافة إلى نموذجي تركيا وتونس، وهذا الملحظ (فرض التوجهات بقوة القانون) كان قاسماً مشتركاً في حديث المشاركات في المؤتمر.

كما يدل اختيار مديرة الجلسة من (مركز القانون الإسلامي والشرق أوسطي) على اتجاه متنامٍ في (تكتيك) إدخال التوجهات الغربية حول المرأة إلى المنطقة العربية و (الشرق أوسطية)، وهو اتجاه استخدم الإسلام (مطية) لحمل هذه التوجهات إلى شعوب هذه المنطقة باعتبار الإسلام هو الدين الشائع بين هذه الشعوب ونظراً لكونه لا يزال يشكل عامل تأثير و (حساسية) لديها، وقد برز هذا الاتجاه في أحاديث معظم المحاضرات في المؤتمر، من خلال محاور طرح (إعادة تفسير الإسلام بما يتلاءم مع التوجهات الجديدة)؛ فالأستاذة أسماء خضر (الأردن) عرَّجت على النموذج التونسي باعتباره حمل مفاهيم مختلفة للشريعة للقضايا نفسها محل البحث، ثم طرحت تساؤلاً حول مدى وجوب معالجة هذه القضايا: من داخل الشريعة أم من خارجها؟ وأجابت بأنه ينبغي معالجة الموضوع ضمن الأطر الشرعية وأنه يجب العودة إلى القرآن، ثم طرحت مسألة نشوز المرأة التي تقرر العمل خارج المنزل دون موافقة

زوجها، والفتاة التي تريد الزواج دون موافقة أهلها، وتحدثت عن العلاقة بين قانون الأحوال الشخصية وقوانين الأسرة مبرزة أن المرأة لا زالت بحاجة إلى إذن زوجها للحصول على جواز سفر وأنها تمنع من السفر دون موافقته.

و (التكتيك) ذاته استخدمته أمينة المريني (المغرب)، حيث قالت: إن قانون الأسرة يؤثر عليه الفهم المخطئ لنصوص الشريعة، وأكدت على إمكانية تغيير هذا الواقع بفهم أكثر تطوراً للشريعة؛ إذ يجب علينا القبول بواقعنا وديننا وأن يكون الإصلاح من داخلهما. ثم ذكرت أنه لأول مرة في المغرب وجدت حركة يسارية أيدت بشكل أوسع حقوق المرأة آخذة بتوصيات مؤتمر بكين، وطالبت برفع السن الأدنى للزواج من ١٥ إلى ١٨ سنة، وإلغاء تعدد الزوجات، وحق المرأة في حضانة الأولاد إذا أرادت الزواج مرة أخرى، وأوضحت أن هذا البرنامج لقي معارضة شديدة من الإسلاميين باعتباره مخالفاً للشريعة.

وفي إحدى حلقات العمل المسائية[1] حاضرت البروفسور هالة أفشر (جامعة يورك) حول الحركة النسوية الإسلامية، فأشارت إلى أنه من الممكن وجود نساء إسلاميات داخل الحركة النسوية؛ فهؤلاء النساء يعتبرن أن الماضي كان مفتوحاً أمام المرأة (أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها - على سبيل المثال) فمنذ أربعة عشر قرناً تمتعت المرأة بحقوقها كاملة في الإسلام، ولكنَّ قيماً كثيرة تلاشت بسبب سوء فهم النصوص، كما أكدت على أن المعركة كانت دائماً (مع رجال الدين)! باعتبارهم يناهضون المرأة بسبب سوء فهمهم للنص الشرعي؛ فهم يعتقدون - كما تقول - أن المرأة كائن أقل من الرجل وعليه فهي غير مؤهلة نفسياً ودستورياً لتشغل منصب القضاء مثلاً، وأردفت قائلة: إنه لا يوجد سبب على الإطلاق يجعل منصب القضاء حكراً على الرجال، وخلصت إلى التأكيد على أهمية انخراط المرأة في التفسير والاجتهاد وإلى ضرورة عودة المرأة إلى الساحة وإعادة قراءة النص القرآني، ثم شددت على ضرورة منع تعدد الزوجات باعتباره سلوكاً يقتصر على النبي ﷺ وحده.. وقد أثارت هذه المحاضرة جدلاً شديداً، وشهدت حضوراً مكثفاً.

---

(١) انقسمت أعمال المؤتمر بعد الجلسة الافتتاحية إلى ست حلقات عمل: ثلاث في الفترة الصباحية: موضوع الأولى عن (المشاركة السياسية للمرأة)، تحدثت فيها د. فاطمة العبدلي (الكويت) وإصلاح جاد (جامعة بيرزيت - فلسطين المحتلة)، والثانية عن (المرأة والعائلة وقوانين الأحوال الشخصية)، شاركت فيها أمينة المريني (المغرب)، وأسماء خضر (الأردن)، والثالثة حول (العنف ضد النساء) تكلمت فيها نادلا درويش (مصر)، وفي المساء كانت هناك ثلاث حلقات عمل أخرى: الأولى عن (جرائم الشرف في الأردن) تحدثت فيها كل من أسماء خضر وفادية فقير (مركز الدراسات الإسلامية في جامعة دورهام)، والثانية حول موضوع (المرأة والخطاب الثقافي) تحدثت فيها زليخة أبو ريشة (جامعة أكستر) وريم كيلاني (مغنية شعبية فلسطينية)، والثالثة حول (الحركة النسوية الإسلامية)، حاضرت فيها البروفسور هالة أفشر (جامعة يورك)، وفي الجلسة الختامية تحدثت ميرفت رشماوي عن (عالمية حقوق الإنسان وحقوق المرأة).

وقد رأينا بوضوح هذا (التكتيك) ممارساً على أرض الواقع عند تمرير قانون الأحوال الشخصية الجديد في مصر مصاحباً بحملة إعلامية علمانية تؤكد (إسلاميته!).

ونستطيع رصد المطالب التي دارت حولها أحاديث المؤتمرات في الآتي:

١ - حق المرأة في المشاركة السياسية؛ بما فيها حقها في صنع القرار وحقها في الانتخاب.

٢ - حق المرأة في تولي مناصب القضاء والتشريع.

٣ - إطلاق حرية المرأة في التنقل والسفر بغير إذن من رجل (أب أو زوج).

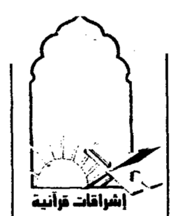
٤ - حق المرأة في الطلاق من غير الرجوع إلى رجل.

٥ - منع تعدد الزوجات واعتبار ذلك شكلاً من أشكال العنف ضد المرأة.

هذه هي أهم المطالب التي أثارتها المجتمعات في مؤتمر منظمة العفو الدولية حول الحقوق (الإنسانية) للمرأة في الشرق الأوسط، وهي تدل على أن الحقوق المقصودة هي الحقوق (الإنسانية الغربية)، وتدل أيضاً على انقياد الحركة النسائية العربية خلف الغرب وقيمه؛ فمطالبهم تمس فقط الأمور التي لها علاقة بالشريعة الإسلامية وشكل الأسرة المسلمة باعتبارها ركيزة البناء الاجتماعي الإسلامي الذي لم يقوَ الغرب على هدمه تماماً رغم محاولاته العديدة منذ زمن بعيد، وإلا فهناك حقوق للمرأة لا يلتفت إليها ولا يسمح بالحديث عنها - رغم بداهتها ووضوح اضطهاد المرأة فيها - فهم لا يناقشون مثلاً حق المرأة في ارتداء ما تريده من ملابس إذا كانت هذه الملابس هي الحجاب الشرعي، فنرى المرأة تُمنع من ذلك بقوة القانون والقرارات الحكومية في تركيا وتونس ومصر، بل وفي فرنسا بلد الحريات في أوروبا، وأين الحديث عن حقوق المرأة التي يغيِّب عائلها أو رحمها في غياهب سجون الاحتلال الصهيوني أو النظم العلمانية بدون جريرة غير الدفاع عن مبادئ أمته وحقوق أبناء وطنه؟

ولكن يبدو أن المدافعات عن حقوق المرأة اجتمعن فقط للتأكد على (ضرورة كسر المحرمات من أجل النهوض بوضع المرأة)!. كما عبرت إحدى المجتمعات. ولكن بالطبع النهوض بها كما يريدون.

ولله الأمر من قبلُ ومن بعدُ.



يوم تبلى السرائر

عبدالعزيز بن ناصر الجليل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فعنوان هذه المقالة آية عظيمة من كتاب الله - عز وجل - يذكِّر الله - سبحانه - عباده فيها بشأن القلوب وأعمالها وسرائرها مما لا يعلمه الناس وهو بها عالم، كما ينبه الله - عز وجل - من خلال هذه الآية إلى أن هذه السرائر ستبلى وتُختبر يوم القيامة، ويظهر ما فيها من الإخلاص والمحبة والصدق أو ما يضادها من النفاق والكذب والرياء؛ وذلك في يوم القيامة، يوم الجزاء والحساب؛ وهذا واضح من الآية وما قبلها وبعدها؛ حيث يقول الله - عز وجل -: ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: ٨ - ١٠]. والقلب هو محط نظر الله - عز وجل - وعليه يدور القبول والرد كما قال ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[١] والسريرة إذا صلحت صلح شأن العبد كله وصلحت أعماله الظاهرة ولو كانت قليلة، والعكس من ذلك عندما تفسد السريرة فإنه يفسد بفسادها أقوال العبد وأعماله وتكون أقرب إلى النفاق والرياء عياذاً بالله - تعالى -، ويوضح هذا الأمر قوله ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»[٢]. ويشرح هذا ما نقله صاحب الحلية - رحمه الله تعالى - عن وهب من قوله: «ولا تظنن أن العلانية هي أنجح من السريرة؛ فإن مثل العلانية مع السريرة كمثل ورق الشجر مع عرقها. العلانية ورقها والسريرة عِرقها، إن نُخِرَ العرق هلكت الشجرة كلها ورقها وعودها، وإن صلح صلحت الشجرة كلها: ثمرها، وورقها؛ فلا يزال ما ظهر من الشجرة في خير ما كان عرقها مستخفياً لا يُرى منه شيء؛ كذلك الدين لا يزال صالحاً ما كان له سريرة صالحة يصدق الله بها علانيته؛ فإن العلانية تنفع مع السريرة الصالحة كما ينفع عِرق الشجرة صلاح فرعها، وإن كان حياتها من قِبَلِ عرقها فإن فرعها زينتها وجمالها، وإن كانت السريرة هي ملاك الدين فإن العلانية معها تزين الدين وتجمِّله إذا عملها مؤمن لا يريد بها إلا رضاء ربه - عز وجل -»[٣].

ويقول الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - في تفسير قوله - تعالى -: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾: «وفي التعبير عن الأعمال بالسر لطيفة، وهو أن الأعمال نتائج السرائر الباطنة؛ فمن كانت سريرته صالحة كان عمله صالحاً، فتبدو سريرته على وجهه نوراً وإشراقاً وحياءاً، ومن كانت سريرته فاسدة كان عمله تابعاً لسريرته، لا اعتبار بصورته، فتبدو سريرته على وجهه سواداً وظلمة وشيناً، وإن كان الذي يبدو عليه في الدنيا إنما هو

---

(١) رواه مسلم، ح/ ٢٥٦٤.　(٢) رواه البخاري، ح/ ٥٠.

(٣) حلية الأولياء، ٤/ ٧٠.

عمله لا سريرته فيوم القيامة تبدو عليه سريرته، ويكون الحكم والظهور لها»[1].

وقال أيضاً في تفسير: قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ أي: تختبر، وقال مقاتل: تظهر وتبدو. وبلوتَ الشيء إذا اختبرتَه ليظهر لك باطنه، وما خفي منه. والسرائر جمع سريرة، وهي سرائر الله التي بينه وبين عبده في ظاهره وباطنه لله؛ فالإيمان من السرائر، وشرائعه من السرائر، فتختبر ذلك اليوم، حتى يظهر خيرها من شرها، ومؤديها من مضيعها، وما كان لله مما لم يكن له. قال عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: يبدي الله يوم القيامة كل سر فيكون زيناً في الوجوه، وشيناً فيها. والمعنى: تختبر السرائر بإظهارها، وإظهار مقتضياتها من الثواب والعقاب، والحمد والذم»[2].

مما سبق يتبين لنا عِظَمُ شأن القلب وخطورة السريرة؛ حيث إنها محط نظر الله ـ عز وجل ـ وعليها مدار القبول عنده ـ سبحانه ـ وحسب صلاحها وفسادها يكون حسن الخاتمة وسوؤها، وكلما صلحت السريرة تمت الأعمال الصالحة وزكت ولو كانت قليلة، والعكس من ذلك في قلة بركة الأعمال حينما تفسد السريرة ويصيبها من الآفات ما يصيبها، وهذا هو الذي يفسر لنا تفوُّق أصحاب محمد ﷺ على غيرهم ممن جاء بعدهم ممن قد يكون أكثر من بعض الصحابة عبادة وقربات؛ حيث إن أساس التفاضل بين العباد عند الله ـ عز وجل ـ هو ما وقر في القلب من سريرة صالحة مطابقة لما ظهر في العلانية من أعمال وأقوال.

عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: «أنتم أطول صلاة وأكثر اجتهاداً من أصحاب رسول الله ﷺ، وهم كانوا أفضل منكم. قيل له: بأي شيء؟ قال: إنهم كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة منكم»[3].

وعن القاسم بن محمد قال: «كنا نسافر مع ابن المبارك فكثيراً ما كان يخطر ببالي فأقول في نفسي: بأي شيء فضل هذا الرجل علينا حتى اشتهر في الناس هذه الشهرة: إن كان يصلي فإنا لنصلي، ولئن كان يصوم فإنا لنصوم، وإن كان يغزو فإنا لنغزو، وإن كان يحج فإنا لنحج؟ قال: فكنا في بعض مسيرنا في طريق الشام ليلة نتعشى في بيت؛ إذ طفئ السراج، فقام بعضنا فأخذ السراج وخرج يستصبح، فمكث هنيهة، ثم جاء بالسراج، فنظرت إلى وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلت من الدموع، فقلت في نفسي: بهذه الخشية فضل هذا الرجل علينا، ولعله حين فقد السراج فصار إلى الظلمة ذكر القيامة»[4].

وأخبار السلف في حرصهم على أعمال القلوب وإصلاح السرائر كثيرة ومتنوعة، وبخاصة فيما يتعلق بمحبة الله ـ عز وجل ـ والخوف منه وإخلاص العمل له ـ سبحانه ـ ومن ذلك:

- قول عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: «القوة في العمل أن لا تؤخر عمل اليوم لغد، والأمانة ألا تخالف سريرةٌ علانيةً، واتقوا الله ـ عز وجل ـ؛ فإنما التقوى بالتوقي، ومن يتق الله يقه»[5].
- وعن عثمان ـ رضي الله عنه ـ قال: «ما أسرَّ أحدٌ سريرة إلا أظهرها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه».
- وعن نعيم بن حماد قال: «سمعت ابن المبارك يقول: ما رأيت أحداً ارتفع مثل مالك: ليس له كثير صلاة ولا صيام إلا أن تكون له سريرة»[6].

---

(1) بدائع التفسير، ٥/١٨٥.
(2) المصدر السابق.
(3) صفة الصفوة، ١/٤٢٠.
(4) المصدر السابق، ص ٤/ ١٤٥.
(5) سير أعلام النبلاء، ٢/٥٧٢.
(6) المصدر السابق، ٨/ ٩٧.

● وعن خالد بن صفوان قال: «لقيتُ مَسلَمَة بن عبد الملك فقال: يا خالد! أخبرني عن حَسَن أهل البصرة. قلت: أصلحك الله أخبرك عنه بعلم: أنا جاره إلى جنبه وجليسه في مجلسه وأعلم من قِبَلي به: أشبه الناس سريرة بعلانية، وأشبهه قولاً بفعل، إن قعد على أمر قام به، وإن قام على أمر قعد عليه، وإن أمر بأمر كان أعمل الناس به، وإن نهى عن شيء كان أترك الناس له، رأيته مستغنياً عن الناس، ورأيت الناس محتاجين إليه، قال: حسبك! كيف يضل قوم هذا فيهم؟»(١).

● وعن الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ قال: «ابن آدم! لك قول وعمل، وعملك أوْلى بك من قولك، ولك سريرة وعلانية؛ وسريرتك أوْلى بك من علانيتك»(٢).

● وعن ابن عيينة ـ رحمه الله تعالى ـ قال: «إذا وافقت السريرة العلانية فذلك العدل، وإذا كانت السريرة أفضل من العلانية فذلك الفضل، وإذا كانت العلانية أفضل من السريرة فذلك الجور»(٣).

● وعن عبد الله بن المبارك ـ رحمه الله تعالى ـ قال: «قيل لحمدون بن أحمد: ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؟ قال: لأنهم تكلموا لعز الإسلام ونجاة النفوس ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لعز النفوس وطلب الدنيا ورضا الخلق»(٤).

● ويقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: «فكل محبة لغيره فهي عذاب على صاحبها وحسرة عليه إلا محبته ومحبة ما يدعو إلى محبته ويعين على طاعته ومرضاته؛ فهذه هي التي تبقى في القلب يوم تبلى السرائر»(٥).

ونكتفي بهذه المقتطفات من وصايا السلف في إصلاح السرائر لنتعرف على بعض العلامات الدالة على صلاح السريرة وسلامة القلب؛ ومنها نعرف ما يضادُّها من المظاهر التي تدل على فساد في السريرة ومرض في القلب، ومن هذه العلامات:

١ - العناية بأعمال القلوب ومنها: إخلاص الأعمال والأقوال لله ـ عز وجل ـ ومحاولة إخفائها عن الناس وكراهة الشهرة والظهور، والزهد في ثناء الناس. ويضاد ذلك: الرياء وإرادة الدنيا بعمل الآخرة وحب الظهور.

٢ - التواضع والشعور بالتقصير، والانشغال بإصلاح النفس وعيوبها ويضاد ذلك: الكبر والعجب والولع بنقد الآخر.

٣ - الإنابة إلى الدار الآخرة والتجافي عن الدنيا والاستعداد للرحيل وحفظ الوقت وتدارك العمر. ويضاد ذلك: الركون إلى الدنيا وامتلاء القلب بهمومها ومتاعها الزائل، ونسيان الآخرة وقلة ذكر الله ـ عز وجل ـ وتضييع الأوقات.

٤ - سلامة القلب من الحقد والغل والحسد. ويضاد ذلك: امتلاؤه بهذه الأمراض.

٥ - التسليم لأمر الله ـ عز وجل ـ وأمر رسوله ﷺ دون: لماذا؟ وكيف؟ ويضاد ذلك: الولوع بالمتشابهات والخواطر الرديئة.

---

(١) المصدر السابق، ٤/ ٥٧٦.
(٢) مدارج السالكين، ١/ ٤٣٦.
(٣) صفة الصفوة، ٢/ ٣٣٤.
(٤) المصدر السابق، ٤/ ١٢٢.
(٥) روضة المحبين، ص ٢٨٠.

٦ - الاهتمام بأمر الدين والدعوة إلى الله - عز وجل - والجهاد في سبيله - جل وعلا - ومحبة كل داعية إلى الخير والحق والدعاء له والتعاون معه على البر والتقوى. ويضاد ذلك: القعود عن تبليغ دين الله - عز وجل - وعدم الاهتمام به، بل إذا صفا له مأكله، ومشربه ومسكنه وغير ذلك من متاع الدنيا الزائل فلا يهمه بعد ذلك شيء، وقد لا يقف الأمر في فساد السريرة عند هذا الحد، بل قد يتعداه إلى مناصبة الداعين إلى الحق العداء أو التشهير بهم والتشكيك في نواياهم ومحاولة إحباط جهودهم الخيرة.

٧ - شدة الخوف من الله - عز وجل -، ومراقبته في السر والعلن، والمبادرة بالتوبة والإنابة من الذنب. ويضاد ذلك: ضعف الوازع الديني وقلة الخوف من الله - جل وعلا -؛ بحيث إذا خلا بمحارم الله - عز وجل - انتهكها، وإذا فعل معصية لم يتب منها بل أصر عليها وكابر وتبجح.

٨ - الصدق في الحديث والوفاء بالعهود وأداء الأمانة وإنفاذ الوعد، وتقوى الله - عز وجل - في الخصومة، فكل هذه الخصال تدل على صلاح في السريرة؛ لأن أضداد هذه الصفات إنما هي من خصال المنافقين الذين فسدت سرائرهم كما أخبر بذلك الرسول ﷺ بقوله: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانتْ فيه خلة منهن كان فيه خلة من نفاق: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر»[1]، ويدخل في ذلك ذو الوجهين الذي يلقى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه.

٩ - قبول الحق والتسليم له من أي جهة كان. ويضاد ذلك التعصب للأخطاء، والجدال بالباطل واتباع الهوى في ذلك.

ويحسن في نهاية هذه المقالة الإشارة إلى بعض الثمرات العظيمة لصلاح السريرة وذلك فيما يلي:

١ - نزول الطمأنينة والسكينة في قلب من صلحت سريرته، وثباته أمام فتن الشبهات والشهوات وابتلاءات الخير والشر.

٢ - إلقاء المحبة لمن صلحت سريرته بين الناس مما يكون له الأثر في قبول كلامه ونصحه وأمره ونهيه.

٣ - حسن الخاتمة؛ حيث ما سُمِعَ ولا عُلِمَ - ولله الحمد - بأن صاحب السريرة الصالحة والقلب السليم قد ختم له بسوء؛ وإنما يكون ذلك لمن فسدت سريرته وباغته الموت قبل إصلاح الطوية.

٤ - القبول عند الله - عز وجل - يوم القيامة ومضاعفة الحسنات وتكفير السيئات. قال الله - عز وجل - ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥]، وقال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

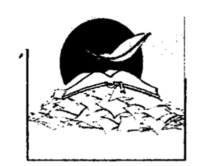
٥ - تفريج الكربات وإعانة الله - عز وجل - للعباد عند حدوث الملمات والضائقات كما حصل لأصحاب الغار.

٦ - الهداية إلى الحق والتوفيق إلى الصواب عندما تحتار العقول والأفهام.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان (٣٤)، ومسلم (٥٨) واللفظ له.





تقديس البشر

(١-٢)

د. عبدالعزيز بن محمد آل عبداللطيف(*)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

«الله ابتعثنا لنُخرِجَ من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا نبيَّه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمَنْ قَبِلَ ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نُفضي إلى موعود الله»(١).

بهذه الكلمات واجه ربعيُّ بن عامر ـ رضي الله عنه ـ رستم الفارسي، ولم يكن ربعي بن عامر بذلك الخطاب شجاعاً مقداماً فحسب، بل كان ذكياً فطناً يدرك أحوال مخاطبيه؛ فإن الفرس قد أُولِعوا بتأليه «الأكاسرة» وتقديسهم؛ فلذا قال ربعي: «الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله».

ويُعَدُّ الغلو في الأشخاص وتقديسهم من الظواهر القديمة في تاريخ البشرية، ولا تزال هذه الظاهرة جاثمة في العصر الحاضر بهيئات متنوعة وصور شتى.

وتُعنى هذه المقالة بالحديث عن مظاهر تأليه البشر(٢)، وبواعث تلك الظاهرة وعلاجها.

إن مظاهر تأليه البشر كثيرة يتعذر حصرها، لكن يمكن أن نشير إلى أهم الأصناف التي غلب على الناس تأليهها وتقديسها، وهم: العُبَّاد، والعلماء، والسلاطين.

يقول عبد الله بن المبارك ـ رحمه الله ـ:

وهل أفسد الدينَ إلا الملوكُ ... وأحبارُ سوء ورهبانُها

وسيكون الحديث عن تلك الأصناف الثلاثة ومظاهر الغلو والتأليه لهم. فأما الصالحون فيجب محبتهم وولايتهم والإقرار بكراماتهم.

لكن الكثير من الناس قد أفرط في محبتهم، وغالى فيهم حتى عبدوهم من دون الله تعالى كما وقع من قوم نوح ـ عليه السلام ـ.

(*) أستاذ مساعد في قسم العقيدة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

(١) البداية والنهاية، لابن كثير، ٧/٣٩.

(٢) كتب الباحث محمد لوح رسالة علمية مطبوعة ـ لنيل شهادة الماجستير ـ بعنوان: (تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي). كما كتب الباحث ثامر الغشيان رسالة علمية غير مطبوعة ـ لنيل درجة الماجستير ـ بعنوان «غلو الأمم في معظميها وأثره على الطوائف الإسلامية»، وقد استفدت من الرسالة الأخيرة.

ففي صحيح البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قول الله - تعالى -: ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣]. قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح - عليه السلام -، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تُعبَد، حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبِدت.

وغلب على النصارى تأليه البشر وتقديسهم، فزعموا أن عيسى - عليه السلام - ابن الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، كما زعمت يهود أن عُزَيْراً ابن الله، تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً.

قال - تعالى -: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ [النساء: ١٧١].

وقال - عز وجل -: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

وما فتئ الشيطان يزيّن لأتباعه عبادة الصالحين حتى آل بهم إلى عبادة أقوام يدّعون لهم الولاية وهم من أعظم الناس فسقاً وفجوراً.

ومن ذلك ما كان يفعله بعض أهل نجد - قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - عند قبة أبي طالب، وهم يعلمون أنه حاكم متعد غاصب؛ حيث كان يخرج إلى بلدان نجد، ويضرب عليهم خراجاً من المال، فإن أعطي ما أراد انصرف، وإلا عاداهم وحاربهم، فصاروا يأتون قبره، ويستغيثون به عند حلول المصائب(١).

وحكى الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب - رحمهم الله - ما عليه بعض المصريين تجاه أحمد البدوي فقال: «كما جرى لأهل مصر وغيرهم، فإن أعظم آلهتهم أحمد البدوي، وهو لا يُعرَف له أصل ولا فضل ولا علم ولا عبادة، ومع هذا صار أعظم آلهتهم، مع أنه لا يعرف إلا أنه دخل المسجد يوم الجمعة فبال فيه، ثم خرج ولم يصلّ»(٢).

وما زال الشيطان يؤزّهم إلى حضيض الشرك، حتى أوقعهم في ادعاء الربوبية لأولئك البشر، وأن الخلق والتدبير بأيديهم.

وكما يقول العلامة حسين بن مهدي النعمي - واصفاً حالهم -: «وحاصل معتقدهم أن للولي اليد الطولى في الملك والملكوت.. ومن ذلك: أن حياً من أهل البوادي إذا أرسلوا أنعامهم للمرعى قالوا: في حفظك يا فلان، يعنون ساكن مشهدهم.

ومنهم من يخاطب الولي - بزعمه -، فيقول: يا خالق الولد الذي تخلقه مطهوراً. ولقد تجاسر بعض

(١) انظر تاريخ ابن غنام، ١/١٣.

(٢) قرة عيون الموحدين، ص ١١٤.

العامة فقال: والله! أما الولي فإنه يحيي الموتى، أما الولي فلان فإنه حي لا يموت»[١].

ومن أشهر الطوائف التي نُعتت بتأليه العُبَّاد وتقديسهم: الرافضة والصوفية. فأما الرافضة فقد جعلوا الإيمان بإمامة الإثني عشر شرطاً في قبول الإيمان، واعتقدوا أن للأئمة حق التشريع والتحليل والتحريم، وزعموا أن تراب قبر الحسين شفاء من كل داء، وأمانٌ من كل فقر»[٢].

وأما الصوفية فقد قال بعضهم: من قال لشيخه: لِمَ؟ فقد هلك، وزعموا أن مشايخ الطرق «يُسَلَّم» إليهم حالهم فلا نقاش ولا اعتراض!

يقول أبو الوفاء ابن عقيل في الردّ عليهم: «وليس لنا شيخ نُسلِّم إليه حالَه؛ إذ ليس لنا شيخ غير داخل في التكليف، ولو كان لنا شيخ يُسلَّم إليه حاله، لكان ذلك الشيخ أبا بكر الصدِّيق - رضي الله عنه -، وقد قال: إن اعوججتُ فقوِّموني، ولم يقل: فسلِّموا إليَّ»[٣].

ومن مظاهر تأليه البشر وتقديسهم عند الصوفية: سجود المريد للشيخ.

يقول ابن القيم عن ذلك الشرك: «ومن أنواع الشرك: سجود المريد للشيخ، فإنه شرك من الساجد والمسجود له، والعجب أنهم يقولون، ليس هذا سجوداً، وإنما هو وضع الرأس قُدَّام الشيخ احتراماً وتواضعاً، فيقال لهؤلاء: ولو سميتموه ما سميتموه؛ فحقيقة السجود وضع الرأس لمن يُسجد له، وكذلك السجود للصنم، وللشمس، وللنجم، وللحجر، كله وضع الرأس قدامه»[٤].

لقد برع الصوفية في استعباد الأتباع والمريدين، وجعلوا منهم جيلاً موطأ الظهر لكل معتد ومستعمر، فزعم أرباب السلوك الصوفي أنهم يسعون إلى استئصال الغرور من الأنساب، فأذهبوا الغرور، ثم أذهبوا أيضاً عزة النفس، ثم ذهبت كذلك الشخصيات الحرة المستقلة [٥].

وقد سمَّى الشيخ الغزالي - رحمه الله - ذلك الصنيع «تمارين على الذل» فكان مما قاله: «إن الدجالين من رجال الطرق الصوفية كانوا يربون أتباعهم على التواضع بشتى الطرق المهينة؛ فإذا رأوا أنفة في مسلك أحدهم، أو دلائل عزة وترفُّع، جعلوا عليه مهمة حمل أحذية الجماعة، والمحافظة عليها، حتى تنكسر نفسه، وينخفض رأسه؛ وبذلك يكون مرشحاً لعبادة الله كما يجب!

ولم يَدرِ المغفَّلون أنهم يرشحونه أيضاً ليكون عبداً للناس جميعاً، وأن مثل هذا الكائن الممسوخ هو أمل المستعمرين[٦] الذين يقيمون وجودهم على إذلال الأمم وقتل الشعور بالكرامة في نفوس بنيها»[٧].

---

(١) معارج الألباب، ص ١٧٠، ١٧٣، ١٧٩ = باختصار.

(٢) انظر أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، ٢/ ٤٢٥ - ٥٠٣.

(٣) تلبيس إبليس لابن الجوزي، ص ٢١.

(٤) مدارج السالكين، ١/٣٤٤، وانظر: زاد المعاد، ٤/١٥٩ - ١٦١.

(٥) انظر: الإسلام والطاقات المعطلة لمحمد الغزالي، ص ٧.

(٦) بشتى صوره وألوانه، ويدخل في ذلك أذنابهم وعملاؤهم وهم كثير، لا كثَّرهم الله.

(٧) تأملات في الدين والحياة، ص ١٧٣.

وأما الصنف الآخر وهم العلماء فقد وقع كثير من الأتباع في التأليه لعلمائهم، فاتخذوهم أرباباً من دون الله - تعالى - فأطاعوهم في تحليل ما حرّم الله - تعالى -، وتحريم ما أحل الله - تعالى - وقلدوهم وأعرضوا عن الدليل، بل عارضوا النصوص الشرعية بآرائهم وأقيستهم؛ ففي حديث عدي بن حاتم وكان قد قدم على النبي ﷺ - وذلك قبل أن يُسلمَ وكان نصرانياً -، فسمعه يقرأ هذه الآية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، فقال عدي: إنا لسنا نعبدهم، قال: أليس يحرِّمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلُّون ما حرم الله فتحلونه؟ فقال عدي: بلى، قال: فتلك عبادتهم»(١).

فقد بيّن النبي ﷺ أن عبادتهم إياهم كانت في تحليل الحرام وتحريم الحلال، فاتبعوا أولئك الأحبار والرهبان في هذا التبديل.. وقد ذكر الله أن ذلك شرك في قوله - سبحانه -: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٢).

وساق الحافظ ابن عبد البر - رحمه الله - بسنده أن ربيعة - شيخ الإمام مالك - اضطجع مقنِّعاً رأسه وبكى، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: رياء ظاهر وشهوة خفية، والناس عند علمائهم كالصبيان في حجور أمهاتهم ما نهوهم عنه انتهوا، وما أمروهم به ائتمروا(٣).

يقول الشيخ العلاّمة محمد الأمين الشنقيطي في الفرق بين تقليد العلماء وبين اتِّباعهم: «لا شك أن طاعة العلماء هي اقتفاء ما كانوا عليه من النظر في كتاب الله ورسوله وتقديمها على كل قول، وعلى كل رأي، كائناً ما كان. فمن قلدهم التقليد الأعمى وترك الكتاب والسنة لأقوالهم فهو المخالف لهم، المتباعد عن طاعتهم»(٤).

فالتقليد: الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه، والاتِّباع: ما ثبت عليه حجة(٥).

ومما يجدر ذكره «أن العامة لا بد لها من تقليد علمائها عند النازلة تنزل بها؛ لأنها لا تتبين موقع الحجة ولا تصل بعدم الفهم إلى علم ذلك؛ لأن العلم درجات، لا سبيل منها إلى أعلاها إلا بنيل أسفلها وهذا هو الحائل بين العامة وبين طلب الحجة، ولم يختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها، وأنهم المرادون بقول الله - عز وجل -: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]»(٦).

ومن الغلو في العلماء: اتباعهم في زلاتهم وعثراتهم، وقد حذر السلف الصالح من ذلك أيما تحذير؛ فعن زياد بن جرير قال: قال لي عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: هل تعرف ما يهدم

---

(١) أخرجه الترمذي، ح/ ٣٠٩٥، والبيهقي، ١٠/١١٦، وحسنه ابن تيمية في مجموع الفتاوى، ٧/٦٧.

(٢) انظر مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٧/٦٧، ٧٠.

(٣) أخرجه في جامع بيان العلم وفضله، ص ١١٤، وأخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى، ج٢، ١/٢٠٣.

(٤) أضواء البيان، ٧/٥١٩.

(٥) انظر المرجع السابق.

(٦) جامع بيان العلم لابن عبد البر، ج٢، ص ١١٤، ١١٥.

الإسلام؟ قلت: لا، قال: يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين[1].

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «والعالم قد يزلُّ ولا بد؛ إذ ليس بمعصوم؛ فلا يجوز قبول كل ما يقوله، وينزل قوله منزلة قول المعصوم؛ فهذا الذي ذمه كل عالم على وجه الأرض، وحرموه، وذموا أهله، وذلك أصل بلاء المقلدين وفتنتهم»[2].

كما ينبغي التحذير من اعتراضات علماء السوء على شرع الله ـ تعالى ـ، وكما قال ابن أبي العز الحنفي ـ رحمه الله ـ: «وأحبار السوء ـ وهم العلماء الخارجون عن الشريعة ـ يعترضون بآرائهم وأقيستهم الفاسدة، المتضمنة تحليل ما حرّم الله ورسوله، وتحريم ما أباحه، واعتبار ما ألغاه، وإلغاء ما اعتبره، وإطلاق ما قيده، وتقييد ما أطلقه ونحو ذلك»[3].

والمقصود أن نسلك الوسطية تجاه أهل العلم، فلا بد من توقيرهم ومحبتهم والانتفاع بعلومهم، ونحذر من التفريط فيهم أو انتقاصهم أو التطاول عليهم، كما نحذر من الغلو فيهم وتأليههم.

وأن يُعنى بفقه أهل العلم المعتبرين وفهمهم لنصوص الشريعة، فيحتج بفهومهم لنصوص الشريعة لا أن يحتج بكلامهم على نصوص الشريعة.

كما يتعيّن على العامة ـ ومن في حكمهم ـ أن يسألوا من يوثق بعلمه ودينه، وأن يحذروا من يتبع الرخص وانتقاء آراء العلماء التي تتفق مع شهواتهم؛ فإن الله ـ تعالى ـ بالمرصاد، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

واللهَ اللهَ في الحذر من علماء السوء ورؤوس الضلالة الذين يُلبِسون الحق بالباطل، ويكتمون الحق وهم يعلمون.

وننتقل إلى صنف الملوك، وما حصل من تأليههم واتخاذهم أوثاناً تُعبَد من دون الله ـ تعالى ـ فاستعبد أولئك الملوك سائر البشر طوعاً وكرهاً، وما وقعوا فيه من تسلط واستبداد.

وتأليه الحكام ظاهرة قديمة في حياة البشر، فكانت الأكاسرة ملوك الفرس يدّعون أنه يجري في عروقهم دم إلهي، وكان الفرس ينظرون إليهم بوصفهم آلهة، ويرونهم فوق القانون وفوق الانتقاد وفوق البشر، ويعتقدون أن لهم حقاً على كل إنسان، وليس لإنسان حق عليهم[4].

ومثال آخر: ما يجري في بلاد الهند من الطبقية الجائرة بين أصناف الهنود؛ فلقد كان نظام الطبقات في الهند أشد قسوة واستهانة بكرامة الإنسان من سائر الأنظمة، فكانوا يجعلون «البراهمة» الطبقة الممتازة، وأنهم صفوة الله، وهم ملوك الأرض، وأن ما في العالم هو ملك لهم؛ فإنهم أفضل

---

(١) أخرجه الدارمي في السنن، ح/٢١٦.

(٢) إعلام الموقعين، ٢/ ١٩٢.

(٣) شرح الطحاوية، ١/٢٣٥، وانظر مدارج السالكين، ٢/٧٠، والصواعق المرسلة، لابن القيم، ٢/١٠٥١.

(٤) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، لأبي الحسن الندوي، ص ٤٠.

الخلائق وسادة الأرض[1].

وكان تقديسهم هذا النظام الطبقي البغيض مانعاً لهم من الدخول في دين الإسلام كما قال البيروني (ت ٤٤٠هـ): «وللهند في أيامنا من ذلك أوفر الحظوظ[2] حتى إن مخالفتنا إيّاهم وتسويتنا بين الكافة إلا بالتقوى أعظم الحوائل بينهم وبين الإسلام»[3].

ومع تهافت هذه الوثنية السياسية عند الفرس والهند، إلا أن هذه الأمة قد تتبعت سنن تلك الأمم الغابرة، فوقعت في تأليه الملوك والغلو فيهم.

ومن ذلك: دعوى أن الإمامة أهم مطالب الدين، وأشرف مسائله وغاياته[4]، مع أن الإمامة ليست مقصودة لذاتها، بل إن المقصود منها ـ وكذا جميع الولايات ـ أن يكون الدين كله لله ـ عز وجل ـ وإصلاح دين الخلق.

قال الطيبي في شرحه لحديث «ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»: «في هذا الحديث أن الراعي ليس مطلوبه لذاته، وإنما أقيم لحفظ ما استرعاه المالك، فينبغي أن لا يتصرف إلا بما أذن الشارع فيه»[5].

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وجميع الولايات الإسلامية مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[6].

ومن مظاهر تأليه الملوك: طاعتهم في كل شيء، ودعوى أنه لا حساب عليهم ولا عذاب! قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكثير من أتباع بني أمية ـ أو أكثرهم ـ كانوا يعتقدون أن الإمام لا حساب عليه ولا عذاب، وأن الله لا يؤاخذهم على ما يطيعون فيه الإمام، بل تجب عليهم طاعة الإمام في كل شيء، والله أمرهم بذلك، وكلامهم في ذلك معروف كثير.

وقد أراد يزيد بن عبد الملك أن يسير بسيرة عمر بن عبد العزيز فجاء إليه جماعة من شيوخهم فحلفوا له بالله الذي لا إله إلا هو أنه إذا ولَّى اللهُ على الناس إماماً تقبل الله منه الحسنات وتجاوز عنه السيئات.

ولهذا تجد في كلام كثير من كبارهم الأمر بطاعة ولي الأمر مطلقاً وأن من أطاعه فقد أطاع الله؛ ولهذا كان يضرب بهم المثل يقال: «طاعة شامية»[7].

---

(١) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، لأبي الحسن الندوي، ص ٤٩، ٥٢.

(٢) يشير إلى شدة عنايتهم وحرصهم على تلك الطبقية.

(٣) تحقيق ما للهند من مقولة، ص ٧٤.

(٤) كما ظن الرافضة ومن تأثر بهم، انظر مقدمة منهاج السنة النبوية، لابن تيمية.

(٥) فتح الباري، ١٣/١١٣.

(٦) الطرق الحكمية، ص ٢١٧.

(٧) المنهاج، ٦/٤٣٠.

ومن مظاهر ذلك الغلو: ما يفعله ملوك الجور من الاعتراض على الشرع المنزّل بالسياسات الجائرة وتقديمها على حكم الله ورسوله، وتعطيل شرع الله وعدله وحدوده[1].

قال أبو الفرج ابن الجوزي ـ في بيان أن ذلك الاعتراض من تلبيس إبليس وكيده ـ: «إنه يحسِّن لهم العمل برأيهم فيقطعون من لا يجوز قطعه، ويقتلون من لا يحل قتله، ويوهمهم أن هذه سياسة. وتحت هذا المعنى أن الشريعة ناقصة تحتاج إلى إتمام ونحن نتمها بآرائنا، وهذا من أقبح التلبيس؛ لأن الشريعة سياسة الإلهية[2] ومحال أن يقع في سياسة الإله خلل يحتاج معه إلى سياسة الخلق، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال: ﴿لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [الرعد: ٤١]، فمدعي السياسة مدعي الخلل في الشريعة، وهذا يزاحم الكفر»[3].

وصدق ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ فقد أكمل الله ـ تعالى ـ هذا الدين، وأتم النعمة، ونزّل كتابه تبياناً لكل شيء، وعلّم النبيُّ ﷺ أمته كل شيء، فلا حاجة إلى تلك السياسات الجائرة فضلاً عن تقديمها على الشرع المطهر.

وهذه السياسات إنما ظهرت بسبب الإعراض عن شرع الله والتفريط في اتِّباع دين الله ـ تعالى ـ كما كشف ذلك ابن تيمية بقوله: «وعامة الأمراء إنما أحدثوا أنواعاً من السياسات الجائرة من أخذ أموال لا يجوز أخذها وعقوبات على الجرائم لا تجوز؛ لأنهم فرطوا في المشروع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلا فلو قبضوا ما يسوغ قبضه، ووضعوه حيث يسوغ وضعه، طالبين بذلك إقامة دين الله، لا رياسة نفوسهم، وأقاموا الحدود المشروعة على الشريف والوضيع، والقريب والبعيد، متحرين في ترغيبهم وترهيبهم العدل الذي شرعه الله، لما احتاجوا إلى المكوس الموضوعة، ولا إلى العقوبات الجائرة، ولا إلى من يحفظهم من العبيد والمستعبدين، كما كان الخلفاء الراشدون وعمر بن عبد العزيز وغيرهم من أمراء بعض الأقاليم»[4].

ومن صور المبالغة والغلو في الملوك: نعتهم بالألقاب الرنانة، والأوصاف المفتعلة التي تخرجهم عن دائرة البشر وتضفي عليهم تأليهاً وتقديساً.

وإذا كان النبي ﷺ قد قال: «إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك؛ لا مالك إلا الله»[5].

فما بالك بمن تجاوز ذلك بمراحل! كما في رسالة كتبها السلطان سليمان القانوني؛ حيث قال: «سلطان السلاطين، وملك الملوك، ومانح الأكاليل لملوك العالم، ظلُّ الله في الأرض، باشاده، سلطان البحر الأبيض والأسود .. و... و.. وبلاد شتى فتحها أسلافنا العظام، وأجدادنا الفخام بقواتهم

---

(١) انظر: مدارج السالكين، ٢/٧١، والصواعق المرسلة، ٣/١٠٥١، وشرح الطحاوية، ١/٢٣٥.

(٢) هكذا في المطبوع، ولعل الصواب: الإله، كما تدل عليه العبارة التالية لها.

(٣) تلبيس إبليس، ص ١٤٦.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم، ٢/٩٨.

(٥) أخرجه البخاري ومسلم.

الظاهرة، وكثير من البلاد التي أخضعتها عظمتي الملوكية بسيفي الساطع»[1].

لقد كان العامة ـ فضلاً عن الخاصة ـ في العصور السابقة يمقتون تلك المبالغات في الألقاب، حتى أن جلال الدين لما لقب بـ (شاهنشاه) أي ملك الملوك سنة ٤٢٩ هـ وأمر الخليفة بذلك، فخطب له به، فنفر العامة ورموا الخطباء بالآجُرّ[2].

وقد سطّر شيخ الإسلام ابن تيمية فتوى متينة في شأن الألقاب، وخلاصتها ما يلي: «وأما الألقاب: فكانت عادة السلف الأسماء والكنى.. وكان الأمر على ذلك في القرون الثلاثة، فلما غلبت دولة الأعاجم لبني بويه صاروا يضيفون إلى الدولة فيقولون: ركن الدولة، عضد الدولة.. ثم بعدها أحدثوا الإضافة إلى الدين وتوسعوا في هذا، ولا ريب أن ما يصلح مع الإمكان هو ما كان السلف يعتادونه من المخاطبات والكتابات؛ فمن أمكنه ذلك فلا يعدل عنه، وإن اضطر إلى المخاطبة خوفاً من تولُّد شر إذا عدل عنه، فليقتصر على مقدار الحاجة.

ولا ريب أن هذه المحدَثات المنكرة التي أحدثها الأعاجم، وصاروا يزيدون فيها فيقولون: عزّ الملة والدين، وعزة الملة والحق والدين، وما أكثر ما يدخل في ذلك من الكذب المبين، بحيث يكون المنعوت بذلك أحق بضدّ ذلك الوصف، والذين يقصدون هذه الأقوال فخراً وخيلاء يعاقبهم الله بنقيض قصدهم، فيذلهم الله ويسلّط عليهم عدوهم»[3].

ويعلّق الشيخ محمد الغزالي على ألقاب سليمان القانوني قائلاً: «ليس للسلطان سليمان ولا لغيره من الحكام أن يضيفوا إلى أسمائهم هذه المجموعة الفريدة من الألقاب المفتعلة والأوصاف التي أُخِذَ أكثرها من الصفات الإلهية المقدسة ـ إلى أن قال ـ: والتجرد من ألقاب القداسة ومظاهر الأبهة قصد به الإسلام أن يجعل من الحاكم رجلاً يؤخذ منه ويرد عليه، وتنقد تصرفاته كلها، فما كان منها صواباً أُقِرّ، وما كان منها من خطأ رُدّ عليه ولا كرامة.

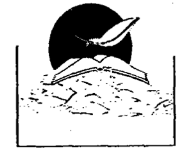
والدول التي نضجت كرامتها السياسية ألغت الألقاب إلغاءاً تاماً.. أما في الشرق فلا تزال الألقاب تحكم على الناس بالهوان وتحكم على أصحابها بالغرور، ومن الواجب فك آصارها ومحو أغلالها.

---

(١) نقلاً عن كتاب تأملات في الدين والحياة لمحمد الغزالي، ص ٢٥.

(٢) انظر المنتظم لابن الجوزي، ١٥/٢٦٤، وذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب، ٢/٨٤.

(٣) فتوى في الألقاب والقيام، تحقيق صلاح الدين المنجد.



مراعاة الخلاف في الاجتهادات

دراسة أصولية

عبد الرحمن بن معمر السنوسي

ما استجدّت في واقعنا الحوادث والنّوازل؛ وقفزت بنا المتغيّرات إلى جديدٍ من القضايا إلاّ هُرِعَتْ إلى بحثها وبيان الحكم فيها أعدادٌ وفيرةٌ من أساتذتنا وباحثينا، وقام لتحقيق الحقّ فيها متخصّصون فضلاء؛ ممّا يبعث على الاسترواح والاستبشار بالصّحوة الإسلاميّة التي هي ملء السّمع والبصر.

والمتفحّص في كثير من تلك الدّراسات والبحوث؛ رغم ما يسرّه من مستوى علميّ وتدقيق معرفيّ: هذا المتفحّص واجدٌ في بعضها ما يُحْوِجه إلى تَمَثُّل المنهج السّليم في تناول القضايا الاجتهاديّة والنّوازل المستحدثة.

ولئن كان من الأسس المنهجيّة الواضحة عند أهل السّنّة والجماعة إزاء مسائل الاجتهاد رعي[1] الخلاف فيها احتياطاً أو اجتناباً أو امتثالاً؛ إلاّ أنّ هذا الأصل الأصيل يُدلف[2] إلى الضّمور والاضمحلال في كثير من دراساتنا المعاصرة؛ بسبب تلك الهوّة الشّادهة[3] بين المتقدّم والمتأخّر، علاوة عن افتقار الأمّة إلى انتصاب القدوات، خاصة مع استشراء الأهواء.

ولقد أحببتُ أن أتناول في هذه الدّراسة المتواضعة هذه المسألة التي لم تُفرَد بدراسة مستقلّة حتّى الآن - حسب اطّلاعي القاصر - رغم خطرها وارتباطها بالجانب العمليّ من جوانب العمل الإسلامي المعاصر.

أولاً: تعريفها:

أ - لغةً: المراعاة من راعيتُ الشيء رَعْياً ومراعاةً «لاحظته محسناً إليه؛ والأمرَ: نظرتُ إلامَ يصير»[4].

والخلاف والمخالفة: أن يأخذ كلُّ واحد طريقاً غير طريق الآخر[5].

---

(١) رعي الخلاف: مراعاته.

(٢) يدلف: يتوجه رويداً رويداً.

(٣) الشادهة: الدهشة المحيرة.

(٤) القاموس (رعي).

(٥) بصائر ذوي التّمييز للفيروز آبادي، ٢/ ٥٦٢.

ب – اصطلاحاً: عُرِّفت المراعاة بعدة تعريفات لا تسلم من مآخذ، ولعل أحسنها تعريف ابن عرفة ـ رحمه الله ـ في حدوده: «إعمالُ دليل [المخالف] في لازم مدلوله الذي أُعمِلَ في نقيضه دليلٌ آخر»[1].

مثال ذلك: إعمالُ مالك ـ رحمه الله ـ دليلَ مخالفه القائل بعدم فسخ نكاح الشغار؛ في لازم مدلول ذلك المخالف ـ ومدلوله عدم الفسخ ـ الذي هو ثبوت الإرث بين الزوجين المتزوجين بالشغار عند موت أحدهما، وهذا المدلول الذي هو عدم الفسخ أعملَ مالكٌ ـ رحمه الله ـ في نقيضه الذي هو الفسخ ـ أعملَ دليلاً آخر يقتضي الفسخ عنده.

لكن تعريف ابن عرفة ـ رحمه الله ـ لا يشمل كل صور المراعاة المذكورة؛ لأن تخصيصها بالمعنى المتقدم لا يتجاوز بها المعنى المتواضَع عليه[2] عند متأخري المالكية.

وأولى منه أن يُقال: مراعاة الخلاف: «اعتبار خلافِ الغير بالخروج منه عند قوة مأخذه بامتثال مقتضى ما اختُلِفَ فيه».

ثانياً: موضوعها:

أما موضوع مراعاة الخلاف بالمعنى العام فهو: التصرفات المختلَف في حكمها الدائر بين الاقتضاء والمنع من حيث تحقيقها لمقصود الشارع.

ومنشؤها: احتمال التورط في نقيضِ مقصودِ الشارع بفعلِ ما هو خلاف الأولى مطلقاً[3].

ثالثاً: رعي الخلاف في المذاهب الأربعة:

نصَّ غير واحدٍ من العلماء على أن مشروعيتها ثابتةٌ بالإجماع[4].

وما دام تتبُّع ذلك عند سائر العلماء متعذِّراً؛ نظراً لاستحالة الإحاطة بأقوال الجميع؛ فإنَّ الاقتصار على حكم ذلك في المذاهب الأربعة المشهورة يغني عن كل تتبُّع واستقراء.

وتجدرُ الإشارة إلى أن أكثر المذاهب أخذاً بهذه القاعدة وتعويلاً عليها: المالكية والشافعية، ثم الأحناف والحنابلة.

أما في مذهب مالك ـ رحمه الله ـ فاعتمادها في بناء كثير من الفروع مشهور معلوم. قال الشاطبي ـ رحمه الله ـ: «وهو أصل في مذهب مالك ينبني عليه مسائل كثيرة»[5].

قال أبو العباس ابن أبي كف ـ رحمه الله ـ:[6].

---

(١) الحدود بشرح الرَّصاع، ١/ ٢٦٣، ولفظة [المخالف] زيادة للتوضيح؛ لأنَّ الإضمار مرَّتين يضاعف الغموض.

(٢) المعنى المتواضَع عليه: أي المتَّفق عليه.

(٣) عُبِّرَ بلفظ «مطلقاً» ليدخل في حكم القاعدة فعلُ الأخفّ مع ترك الأحوط إن كان فيه معنى الاحتياط من جهة أخرى؛ كأن يكون فعل الأحوط مُوقِعاً في فتنة أو فرقة أو نحو ذلك.

(٤) ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي، ٢/ ٢٣، والمسلك المتقسّط في المنسك المتوسّط، لعلي القاري، ص ٨٨.

(٥) الاعتصام ٢/ ١٤٥، والجواهر الثَّمينة للمشّاط، ص ٢٣٧، وفي كتاب النّكاح فقط من شرح التّلقين لابن بزيزة «مخطوط» نصّ على نحو من عشرين مسألة بنيت على رعي الخلاف، وانظر على سبيل المثال هذه المواضع من «عقد الجواهر الثّمينة» لابن شاس: ١/ ٨، ٧٥، ١٣٦، ١٧٠، ١٧١.

وانظر إن شئت: إيضاح المسالك للونشريسي، ص ١٥٤، والإسعاف بالطّلب، للتّواتي، ص ٥١.

(٦) قواعد مذهب مالك «مخطوط بالمسجد النّبويّ» (ق / ١٠٨/ ب).

أما في مذهب الشافعي - رحمه الله - فقد نَصَّ أئمة مذهبه على مشروعية البناء على رعي الخلاف واستحبابه. قال البدر الزَّركشيّ - رحمه الله -: «يُستحبُّ الخروج منه - أي الخلاف - باجتناب ما اختُلف في تحريمه وفعل ما اختُلف في وجوبه»(١).

وجعل ابن السّبكي - رحمه الله - اطِّراح الخلاف بـ «الخروج أفضل.. واعتماده من الورع المطلوب شرعاً»(٢).

أما في مذهب الإمام أبي حنيفة - رحمه الله - فقد صرح ابن عابدين - رحمه الله - في حاشيته باستحباب رعي الخلاف؛ حيث أفرد لها مطلباً خاصاً فقال: «مطلب في ندب مراعاة الخلاف»(٣).

كما صرح به أيضاً الملاّ علي القاري - رحمه الله - في مواضع من «المسلك المتقسّط»(٤).

وقد صلّى أبو يوسف القاضي - رحمه الله - بالناس الجمعة - يوماً - مغتسلاً من الحمَّام، فلما تفرقوا أُخبر بوجود فأرة ميتة في بئر الحمام؛ فقال: إذن نأخذ بقول إخواننا من أهل المدينة: إذا بلغ الماء قُلَّتين.. إلخ(٥).

أما في مذهب الإمام أحمد - رحمه الله - فيجد الدارس نماذج كثيرة تدل على ذلك؛ منها ما ذكره ابن قُدَامة - رحمه الله - بخصوص وقت صلاة الجمعة عند الحنابلة وأنها تُصلَّى قبل الزوال عندهم خلافاً للجمهور؛ حيث قال: «فالأَولى أن لا تُصلى إلا بعد الزوال ليخرج من الخلاف»(٦).

وفي «باب رد الشهادة» من كتاب كشّاف القناع قوله: «إن من عمل في الفروع المختلَف فيها عند الأئمة اختلافاً شائعاً كمن تزوَّج بلا ولي أو بلا شهود، أو شرب من النبيذ ما لا يسكر، أو أخَّر الزكاة، أو حج متأوِّلاً أو مقلِّداً لمن يرى حلَّه -: لم تُرَدَّ شهادتُه؛ لأن الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا يختلفون في الفروع؛ وقَبِلوا شهادة كل مخالف لهم فيها، ولأنه اجتهاد شائع لا يُفَسَّق به المخالف كالمتَّفَق عليه»(٧).

وفيما نُقِلَ عن الإمام أحمد - رحمه الله - يجد الباحث نماذج عالية تدل على اعتباره - رحمه الله - لخلاف الأئمة المتقدمين، وورعه إزاء المسائل الخلافية في الفروع.

ذكر أبو داود - رحمه الله - في مسائله عنه في باب «نقض الوضوء من مس الذكر» قال: «قلت لأحمد: فرجل لا يرى من مس الذكر وضوءاً؛ أصلي خلفه وقد علمت أنه مس؟ قال: نعم!»(٨).

رابعاً: الغاية من رعي الخلاف:

إن التصرف بباعث الخروج من الخلاف لا ينشئه المكلف لمعرفة الحكم؛ ولكن لتنجيزه(٩) والخروج من عهدته، ويتذرع به إلى إيقاع تصرفه على وجه متيقَّن لا يعصف الشك بساحته؛ فهو وسيلة إلى الامتثال

---

(١) المنثور في القواعد: ٢ / ١٢٧.

(٢) الأشباه والنظائر للسبكي: ١ / ١١٢.

(٣) ردّ المحتار: ١ / ١٤٧.

(٤) المسلك المتقسّط، ص ٨٨، ٩٦، ١٠٥.

(٥) الإنصاف للدّهلوي، ص ٧١.

(٦) المغني، ٢ / ٣٥٨؛ إفادة من فضيلة أستاذنا الدكتور سليمان بن عبد الله العمير - حفظه الله -.

(٧) كشاف القناع: ٦ / ٢٤٢.

(٨) مسائل الإمام أحمد برواية أبي داود، ص ١٢، وانظر نماذج أخرى عنه في: حجة الله البالغة: ١ / ١٥٨ - ١٥٩.

(٩) تنجيز الأمر: فعله والإسراع بإنجازه.

المحقق؛ لا طريق إلى معرفة الحكم.

فالغاية التي يصدر عنها المحتاط في حال خروجه من الخلاف: هي الورع والاستبراء للدين؛ لكونهما متعلق براءة الذمة والخروج من العهدة، والعمل بالورع غير محتاج إلى استدلال لبداهة استحبابه في الشرع، لا سيما إذا كان في امتثال الأوامر والنواهي.

وثمة ملحظ آخر يلتحق بهذا الأصل؛ وهو أن من المقاصد العليا والغايات العظمى التي يلتفت إليها هنا هي: تضييق هوة الخلاف بين المذاهب الفقهية؛ فكثيراً ما أحدثت هذه الخلافات شروخاً في وحدة المسلمين، وخلّفت جراحات لا تؤسى[1]، وفِتَناً عظيمة وعاها التاريخ وشهد بها الواقع.

وبقَدْر ما في اختلاف الفهوم والأنظار من خير ونفع؛ وما في تعدد المذاهب من ثراء وسَعة فإن فيها من دواعي الفرقة وأسباب التشتت ما يأسى له القلب ويحزن.

ولا شك أن الخلاف الفقهي في ذاته لا ينتهض[2] لإحداث الفرقة، وإنما تتسبب الفرقة عن ضيق الصدور، واستحكام الهوى، والتعصب للرأي.

خامساً: مشروعيتها وأصلها من الدين:

١ - **مستندها النقلي**: من أمثلة مراعاة الخلاف ما ثبت عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: كان عُتبة بن أبي وقاص عَهِدَ إلى أخيه سعد بن أبي وقاص أن ابنَ وليدة زَمْعَةَ مني فاقبضه إليك، قالت: فلما كان عام الفتح أخذه سعد، وقال: ابنُ أخي، قد كان عهد إليّ فيه، فقام إليه عبد بن زمعة فقال: أخي وابن وليدة أبي وُلِدَ على فراشه؛ فتساوقا إلى رسول الله ﷺ، فقال سعد: يا رسول الله! ابن أخي قد كان عَهِدَ إليّ فيه، وقال عبد بن زمعة: أخي وابن وليدة أبي وُلِدَ على فراشه؛ فقال رسول الله ﷺ: «هو لك يا عبد بن زمعة» ثم قال رسول الله ﷺ: «الولد للفراش، وللعاهر الحَجَر» ثم قال لسودة بنت زمعة: «احتجبي منه» لِمَا رأى من شبهه بعتبة بن أبي وقاص، قال: فما رآها حتى لقي الله!»[3].

ووجه الاستدلال بالحديث: أن النبي ﷺ راعى الحُكْمَيْن معاً، أي حكم الفراش وحكم الشَّبَه، أما مراعاته لحكم الفراش فلإلحاقه الولد بصاحبه وهو زمعة، وأمّا مراعاته لحكم الشبه فلأمره سودة - رضي الله عنها - بنت صاحب الفراش بالاحتجاب من الولد الملحَق به[4].

ويشهد لهذا الأصل من حيث معناه العام قصة الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - لما صلّى خلف عثمان - رضي الله عنه - بمنى مُتِمّاً؛ رغم مخالفته له ومراجعته إيّاه في ذلك؛ ولما سئل عن ذلك قال: «الخلاف شر»[5].

---

(١) لا تؤسى: لا تداوى. ومنها: الأسي: وهو الطبيب.

(٢) لا ينتهض: أي لا يصل إلى أن يكون سبباً.

(٣) أخرجه البخاري، ٥/ ٢٧٨ في الوصايا: باب قول الموصي لوصيه: تعاهَدْ ولدي، ومسلم (١٤٥٧) في الرضاع: باب الولد للفراش، ومالك واللفظ له: ٤/ ٢٣ بشرح الزرقاني.

(٤) وانظر أدلة أخرى في الاعتصام، للشاطبي، ٢/ ١٤٨ فما بعدها.

(٥) أخرجه أبو داود (١٤٩٢) في المناسك: باب الصلاة بمنى، ومنه أيضاً امتناعه ﷺ عن تجديد بناء الكعبة على قواعد إبراهيم، وكفه عن قتل المنافقين، وقصة الأعرابي البائل في المسجد.

٢ - مستندها الأصولي:

أ - تخريجها على الاستحسان: وَجْهُ انتزاعها منه[١]: أن مقتضى القياس أن يجري المجتهد على وفق دليله ويحكم بمقتضى اجتهاده الذي أداه إليه الظن الغالب الموجِب للعمل، فلا يترك قولَه ودليلَه لِيَصيرَ إلى قول الغير ودليله.. هذا هو الأصل.

غير أنه يعدل عن ذلك فيُهمِلُ العملَ بمقتضى قوله ودليله ـ من وجهٍ ـ لِيُعْمِلَ دليل غيره المرجوح عنده.

وموجب هذا العدول: هو رجحان دليل المخالف في لازم مدلوله، وعلى هذا فهو ليس تاركاً لاعتقاده في قوله ودليله ولا مطَّرِحاً له بالكلية؛ بل قصاراه أنه امتثل على وفق دليل غيره في جهة يكون رأي الغير أرجح فيها، أو اختار الأشقَّ مع اعتقاده صحةَ الأخفِّ، وهو كما ترى عُدول يُسنده النَّظر الحازم والرأي السديد.

ب - تخريجها على «المناسب الملائم»: والمقصود من ذلك بالضبط: اعتبار جنس الوصف في جنس الحكم؛ فإن جنس الشبهة مؤثر في جنس الترك والاجتناب؛ إذ جنس الوصف الذي هو «الاختلاف» مؤثر في جنس الحكم الذي هو الاجتناب المصطلح عليه هنا «بالمراعاة» أو «الخروج»: لما في التورط فيه من احتمال مواقعة الحرام أو تفويت الامتثال الواجب الذي يناسبه فعل الأشق من الأمرين؛ إما بالترك وإما باستيعاب محتملات التكليف.

فعلى هذا يكون الخروج من الخلاف من المصالح التي أمر الشرع بتحصيلها كما ذكر العز بن عبد السلام ـ رحمه الله ـ[٢].

ج - تخريجها على «اعتبار المآل»: وهو مختص بحالة ما بعد الوقوع ـ كما سيأتي ـ؛ فإنه ربما أفتى المفتي بفساد الفعل ابتداءاً، فإذا وقع عاد إليه بالإنفاذ والاعتبار، وهو نوع من الالتفات إلى الأمر الواقع والبناء عليه بعد تجديد النظر في المسألة؛ بحيث يصير التصرف بعد وقوعه معتبراً «وشرعياً بالنظر لقول المخالف، وإن كان ضعيفاً في أصل النظر؛ لكن لما وقع الأمر على مقتضاه روعيت المصلحة»[٣].

ومنه ما يجري في تصحيح العقود إذا كان فسادها مختلَفاً فيه؛ كقولهم: كل نكاح فاسد اختُلِفَ فيه فإنه يثبت به الميراث ويفتقر في فسخه إلى الطلاق؛ لأنه بعد وقوعه تعلق به مصلحة كل من الزوجين والأولاد والورثة.

ومنه أيضاً قولهم: إذا دخل المصلي مع الإمام في الركوع وكبر للركوع ناسياً تكبيرة الإحرام، فإنه يتمادى مع الإمام ولا يقطع مراعاة لقول من قال: إن تكبيرة الركوع تجزئ عن تكبيرة الإحرام[٤].

---

(١) وجه انتزاعها منه: أي دليل استنادها إلى الاستحسان.

(٢) قواعد الأحكام: ٢/ ١٤.

(٣) هامش الموافقات للشيخ دراز: ٤/١٥١.

(٤) المقدمات الممهدات لابن رشد: ١/ ١٦٠.

سادساً: حكم مراعاة الخلاف:

تكاد تجتمع كلمة القائلين برعي الخلاف على أنها مستحبة؛ قال الزركشي - رحمه الله -: «يستحب الخروج منه - أي الخلاف - باجتناب ما اختُلِفَ في تحريمه وفعل ما اختُلِفَ في وجوبه»(١).

وقال الملاّ علي القاري - رحمه الله -: «الخروج من الخلاف مستحب بالإجماع»(٢).

ويقول الراعي الأندلسي - رحمه الله -: «وأما استحباب الخروج من الخلاف فمسلَّم حيث أمكن»(٣).

والاستحباب في هذا الباب «استحباب مقدّمي» لتعلقه برعي الخلاف من حيث هو مقدمة للمستحب الأصلي ووسيلة إليه لا أنه هو عين الحكم المطلوب أصالة.

كما أن الحكم باستحباب الخروج من الخلاف إنما يتمشى مع الأصل فيه، وإلا فإن ثمة حالات يخف فيها الطلب أو يتأكد؛ وهي مجال بحث الناظر المتمرِّس واجتهاده.

سابعاً: أحوال مراعاة الخلاف:

أكثر الأئمة القائلين برعي الخلاف لا يقيدونه - من حيث فعله - بحالة دون أخرى؛ وإنما ينضبط عندهم بحسب قوته ووجاهته.

ويفرِّق كثير من العلماء المالكية بين حالة «ما قبل الوقوع» و«حالة ما بعده»؛ فمنهم من يراعيه قبل حصول الفعل؛ نظراً لأصل البراءة والاحتياط من التورط في الشبهة، ومنهم من يراعيه بعد الحصول؛ التفاتاً إلى المصلحة واعتباراً للمآل الذي يتقوّى حياله دليل المخالف.

والحق أن تقييد الاعتبار بإحدى الحالتين دون الأخرى غير مُتَّجَه في النظر؛ لأن مناط الاعتبار إنما هو قوة المأخذ ووجاهته في الخلاف؛ وذلك غير مقصورٍ على حال دون حال؛ لوجدانه في كليهما كما هو مشاهَد في فروع القاعدة.

الحالة الأولى: قبل الوقوع: وصورتها: أن يظهر للمجتهد بعد اجتهاده قوة مأخذ مخالفه وصحة مُتَمَسَّكِه؛ بأن يكون مقتضاه آتياً على وفق الاحتياط، أو محققاً لمصلحة شرعية ظاهرة كائنةٍ في جهة الأخف: فيمضي حينئذ على اجتهاد مخالفه؛ مرجحاً لمقتضاه ومقرِّراً لظهوره ابتداءاً؛ بحيث يجوز الامتثال على وفقه قبل الشروع في الفعل والامتثال.

وممن ذهب إلى هذا القول - المراعاة قبل الوقوع - أبو عبد الله المقري(٤) وأبو عثمان العقباني - رحمة الله عليهما -.

ومن مسائل هذه الحالة: قول المالكية بكراهة الوضوء بالماء المستعمل في رفع الحدث؛ مراعاةً لمن قال ببطلان التطهر به(٥).

---

(١) المنثور في القواعد: ٢ / ١٢٧.

(٢) المسلك المتقسط، ص ٨٨.

(٣) انتصار الفقير السالك، ص ٢٠١، وانظر أيضاً: البحر المحيط للزركشي: ٨ / ٢١١، والأشباه والنظائر للسيوطي، ص ١٥١، الإسعاف بالطلب للتواتي، ص ٧٢، والمعيار المعرب للونشريسي، ٦ / ٢٧٩ - ٢٨١.

(٤) القواعد للمقري: ١/ ٢٣٦.

(٥) ينظر: شرح الرصاع على الحدود: ١/ ٢٦٣، وبه صرح في شرح مختصر خليل (ق / ١٦ / ب) «مخطوط بخزانة جدي رحمه الله».

ومن مسائله أيضاً: ما سبق نقله عن ابن قُدامة - رحمه الله - بخصوص استحباب صلاة الجمعة بعد الزوال عند الحنابلة رغم تجويزهم صلاتها قبله.

الحالة الثانية: بعد الوقوع: وصورتها: أن يرجِّح المجتهد في المسألة - مثلاً - دليلَ الحظر والمنع ابتداءاً، فإذا وقع الفعل بخلافه -: راعى دليل غيره المرجوح عنده لوجه يقتضي رجحان دليله في تلك الحالة؛ كاستحقاق المرأة المهرَ والميراثَ - عند المالكية - إذا تزوجت بغير ولي؛ فإن مالكاً - رحمه الله - مع قوله بفساد النكاح دون ولي يراعي الخلاف عند نظره فيما يترتب عليه بعد الوقوع؛ إذ التّفريع على البطلان الراجح عنده يؤدي إلى مفسدة وضرر أقوى من مقتضى النّهي على ذلك القول.

ويشهد لهذا التقرير ما ثبت في قصّة الأعرابي البائل في المسجد[1]، فهو مع كونه واقعاً منهيّاً عنه على وجه القطع وهو البول في المسجد؛ إلا أن النبي ﷺ أمر بتركه حتّى يُتمّ بوله لما في قطعه عليه من الأضرار والمفاسد، وكان يحصل من تقويمه من محله الذي بال فيه مع ما حصل من تنجيس المسجد تنجيسُ ثيابه وبدنه ومواضع أخرى من المسجد، ولأصابه من ذلك في بدنه مرض للاحتباس المفاجئ في بوله.

ثامناً: شروط مراعاة الخلاف:

الشرط الأول: أن يكون الخلاف قوي المدرك: أي يكون مأخذ المخالف فيما ذهب إليه قوياً بحيث لا يُعدّ هفوة أو شذوذاً؛ ومن ههنا لم يُرَاعَ خلاف أبي حنيفة - رحمه الله - في الرواية المنقولة عنه في بطلان الصلاة برفع اليدين[2]، وكذلك إسقاطه الحد في القتل بالمثقل واعتباره إياه شبهة تدرأ الحد[3]، ومنه أيضاً ما نقل عن عطاء بن أبي رباح - رحمه الله - من إباحة وطء الجواري بالعارية[4].

الشرط الثاني: أن لا تؤدي إلى صورة تخالف الإجماع: أي أن لا يلزم من رعي الخلاف خرق للإجماع وإلاّ حُرِّمَ؛ كمن تزوج بغير ولي ولا شهود بأقل من ربع درهم؛ مقلداً أبا حنيفة في عدم الولي ومالكاً في عدم الشهود والشافعي في أقل من ربع درهم، فإن هذا النكاح لو عرض على الحنفي لا يقول به؛ وكذلك المالكي والشافعي - رحم الله الجميع -[5].

ومنه أيضاً ما نقل عن ابن سريج - رحمه الله - من الشافعية؛ أنه كان يغسل أذنيه مع الوجه ويمسحهما مع الرأس ويفردهما بالغسل؛ مراعاة لمن قال إنهما من الوجه، أو الرأس، أو عضوان مستقلان: فوقع في خلاف الإجماع[6].

الشرط الثالث: أن لا يترك المراعي للخلاف مذهبه بالكلية: إذا لزم من رعي الخلاف ترك المجتهد أو

---

(١) أخرجه البخاري: ١/ ٦٥ في الوضوء: باب يهريق الماء على البول، ومسلم: ١/ ٢٣٦ في الطهارة: باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد.

(٢) ينظر: المنثور، للزركشي: ٢ / ١٢٩.

(٣) ينظر: رد المحتار: ٦/ ٥٢٨.

(٤) ينظر: المنثور، للزركشي: ٢ / ١٣٠، والأشباه والنظائر، للسبكي: ١/ ٣٨.

(٥) الدليل الماهر الناصح، للولاتي، ص ٨٠، والجواهر الثمينة، للمشاط، ص ٢٣٦.

(٦) المنثور، للزركشي: ٢ / ١٣١.

الناظر لقوله ودليله جملة فإن ذلك خارج عن مسمى مراعاة الخلاف؛ وإنما هو تقليد للغير بعد الاجتهاد والنظر؛ وجل العلماء على منعه.

الشرط الرابع: أن يكون الجمع بين المذهب ممكناً: فإن لم يكن كذلك؛ فلا يترك الراجح عند معتقده لمراعاة المرجوح؛ لأن الجمع بين المتناقضين متعذر عقلاً.

مثاله: قول بعض الشافعية أن من تقدم بقراءة الفاتحة وجب عليه إعادتها؛ فإن القائل بهذا لا يمكن معه مراعاة القائل بأن تكرار الفاتحة مرتين مبطل! إلا أن يخص البطلان بغير العذر[1].

الشرط الخامس: قيام الشبهة:[2] لأنه إذا توافر العلم بصحة الحكم ووجه انتزاعه من دليله فالمصير إلى قول المخالف مراعاةً له غير متَّجَه؛ كما أن عبادة الله بمؤدى الاجتهاد التام أوْلى من عبادته بالاحتياط العام؛ لليقين في الأول ومطلق التفويض في الثاني.

والسياق هنا مختص بحالة ما قبل الوقوع لا غير، وثمة حالة تُستثنى من هذا العموم: وهي حال التورع في التروك؛ فإنها لا تُقَيَّد بقيام الشبهة ولا يُطلَب عليها دليل؛ لأن الورع لا يتوقف على وروده.

هذا وقد اشترط التاج السبكي والسيوطي ـ عليهما رحمة الله ـ لرعي الخلاف أن لا يخالف سُنَّةً ثابتة[3]، والحقُّ أن ذلك مستغنى عن ذكره؛ لاندراج مخالفة السنة ضمن المواضع التي يُنقَض فيها الاجتهاد.

تاسعاً: أهمية مراعاة الخلاف في العمل الإسلامي المعاصر:

من الهموم المُمِضَّة التي تؤرق المخلصين من أبناء الدعوة ظاهرة الفرقة التي تكاد أن تتأصل في مسيرتها الحالية، مما تسبب عنه كثير من الآلام، وتولدت منه عوامل ضعف أربكت حيويتها، وبعثرت جهودها، وسرَّت أعداءها.

وبدل البحث عن عناصر الائتلاف والاجتماع رحنا نؤصِّل لذلك التفرق، ونلتمس له التعليلات والمسوِّغات، ووصل بنا الحد في بعض الحالات والمواقع إلى فَقْد أساليب التعايش السلمي «على الأقل».

إن قلة الورع، وغياب الرؤية العلمية المتكاملة، وإيثار «مصالح الكيان» على المصالح العليا؛ هي أسباب حقيقية لواقعنا المزري، وإذا أردنا الخروج منه لنحقق الوثب إلى الآفاق الرحبة التي هي أمل الجميع فعلينا أن نعالج تلك الأسباب نفسها.

وينبغي أن يكون واضحاً في أدبيات الصحوة الإسلامية أن الحوار البنَّاء المبني على الرغبة في الخروج من الخلاف؛ هو مفتاح الخلاص من حالة التدهور والتخلف الذي كرسناه بأنفسنا. ولئن كان الوصول إلى تحقيق هذه القناعة عسيراً فيما يبدو؛ فإنه لا بد أن تسبقه مرحلة التأصيل لهذه الكليات المعرفية والأخلاقية في الوقت نفسه بتكريس دؤوبٍ يجعلها فيما بعدُ من المسلَّمات التي تأخذ مكانها في الوجدان العام للصحوة، وحينها تنفسح أمامنا فرص التفوق والنصر والتمكين ـ بإذن الله ـ.

---

(١) المنثور في القواعد: ٢ / ١٣٢، وحاشية القواعد، لسراج الدين العبادي (ق/٥٩/أ) مخطوط بالمكتبة الأزهرية رقم (٨٦٩ / ٢٣٤٣٢).

(٢) لم يشترطه القائلون برعي الخلاف؛ وحاصل كلامهم يقتضيه.

(٣) الأشباه والنظائر للسبكي: ١ / ١١٢، والأشباه والنظائر للسيوطي، ص ١٥٢.



الناس كالإبل المائة

محمد بن عبد الله الدويش

عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة»(١).

قال الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث: «قال الخطابي: تأولوا هذا الحديث على وجهين: أحدهما: أن الناس في أحكام الدين سواءٌ لا فضل فيها لشريف على مشروف، ولا لرفيع على وضيع، كالإبل المائة التي لا يكون فيها راحلة وهي التي ترحل لتركب، والراحلة فاعلة بمعنى مفعولة، أي كلها حمولة تصلح للحمل، ولا تصلح للرحل والركوب عليها. والثاني: أن أكثر الناس أهل نقص، وأما أهل الفضل فعددهم قليل جداً؛ فهم بمنزلة الراحلة في الإبل المحمولة، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]».

ورجح الثاني الأزهري، والنووي، والقرطبي، وغيرهم.

ولا شك أن المعنيين ثابتان بأدلة أخرى، ومرادنا هنا المعنى الثاني، وسواء أكان هو المراد بهذا الحديث، أم المراد غيره فهكذا شأن الناس؛ فالقليل منهم هو الذي يُعتمَدُ عليه، وأكثرهم دون ذلك.

وفي هذا المعنى وقفات عدة:

الوقفة الأولى: أن على الدعاة والمربين الاعتناء بالعناصر الفاعلة المتميزة؛ إذ هم قليل في الناس،

(١) رواه البخاري (٦٤٩٨)، ومسلم (٢٥٤٧).

عزيزٌ وجودهم، وأثر استجابتهم للدعوة لا يقاس بأثر غيرهم.

ولهم في ذلك أسوة حسنة بالنبي ﷺ الذي كان يقول: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل، أو بعمر بن الخطاب»[1].

وقد كان السلف يُعنَوْن بأمثال هؤلاء؛ ومن صور هذه العناية ما رواه الخطيب في الجامع بإسناده عن إسماعيل بن عياش قال: كان ابن أبي حسين المكي يدنيني، فقال له أصحاب الحديث: نراك تقدم هذا الغلام الشامي وتُؤْثِرُه علينا؟ فقال: إني أؤمِّله. فسألوه يوماً عن حديث حدث به عن شهر: إذا جمع الطعام أربعاً فقد كمل، فذكر ثلاثاً ونسي الرابعة، فسألني عن ذلك، فقال لي: كيف حدثتكم؟ فقلت: حدثتنا عن شهر أنه إذا جمع الطعام أربعاً فقد كمل: إذا كان أوله حلالاً، وسُمِّيَ عليه الله حين يوضع، وكثُرت عليه الأيدي، وحُمِدَ الله حين يُرفَع. فأقبل على القوم، فقال: كيف ترون؟[2].

الوقفة الثانية: حين يدرك الداعية والمربي هذا المعنى يدعوه ذلك لأن يكون واقعياً فيما يطلبه من الناس وينتظره منهم؛ فالناس لن يكونوا كلهم رواحل، ولا يسوغ أن نرسم صورة مثالية وننتظر من الناس جميعاً أن يصلوا إليها.

الوقفة الثالثة: حين نرى صورة واقعية من أحد من الناس، فلا يسوغ أن نتخذها نموذجاً نقارن الآخرين به، وننتظر منهم أن يصلوا إلى ما يصل إليه. ومن الصور الشائعة في ذلك ما يصنعه بعض الآباء مع أبنائه، أو بعض المعلمين مع طلابه حين يعجب بأحدهم فينتظر من الآخرين أن يكونوا مثله، وأن يصلوا إلى ما وصل إليه.

الوقفة الرابعة: ليس معيار الاختلاف بين الناس قاصراً على القدرات العقلية والذهنية وحدها؛ فهم يتفاوتون في تحملهم للأعباء، وفي جديتهم، وفي تضخيمهم للمخاطر، وفي قدراتهم النفسية.... إلخ هذه العوامل، وهي كلها مما لا بد من أخذه في الاعتبار.

الوقفة الخامسة: إدراك هذا المعنى يجعل المسلم عالي الهمة، متطلعاً للمزيد، ينظر - في العلم والصلاح - إلى من هو فوقه، ولا ينظر إلى من هو دونه.

---

(١) رواه أحمد (٥٣٦٣)، ٢/٩٥، والترمذي (٥٦٨١).

(٢) الجامع، ١/٢١٢.



التربية بترسيخ الأهداف

محمد عبد الله محمد آل عباس

إن القارئ المتابع لأحوال المجتمعات الإنسانية اليوم ليعجب أشد العجب لشتى صور الانحراف التي سادت العالم اليوم التي تمثل أصدق تعبير لما يسود العالم من جاهلية معاصرة؛ فالجاهلية ليست محددة بفترة معينة من التاريخ مضت إلى غير رجوع؛ وإنما هي صور وأوضاع ومظاهر يمكن أن تظهر في أي جيل وأي عصر. إن الجاهلية المقصودة ليست مقابل العلم أو الحضارة أو التقدم المادي؛ فالقرآن الكريم لم يقل إن العرب كانوا في جاهلية؛ لأنهم لا يعرفون الفَلَك وعلم الطبيعة وإلا لكان البديل لمثل هذا الجهل معلومات في تلك العلوم التي أصابها التخلف والجهل[1]، وإنما كان البديل للجاهلية التي كانت عليها البشرية قبل الرسالة هو الإسلام.

ولِتَفَهُّم الجاهلية التي جاء الإسلام بديلاً عنها لا بد من فهم معنى الإسلام. إن الإيمان بالإسلام إيماناً حقاً يبلغ أغوار النفس، ويحيط بكل جوانبها من إدراك وإرادة ووجدان، وهو كذلك عمل جسدي تؤديه الجوارح كما شرع الله؛ فالإسلام عقيدة وسلوك جاء ليصحح العقائد التي كانت منحرفة والتصورات عن الإله والكون والحياة. وجاء أيضاً ليصحح السلوكيات المنحرفة التي انبعثت من عقائد منحرفة: ولذلك كان هدف الدعوة الإسلامية الأول هو تصحيح العقيدة باعتبارها المنطلق لبناء الشخصية المسلمة.

العقيدة والهدف والسلوك:

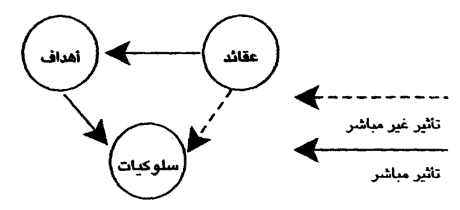
إن الارتباط بين عقيدة الإنسان وأهدافه وسلوكياته ليبدو وثيقاً؛ فما أهداف الإنسان إلا تعبير ذهني عن عقيدته، وما سلوكه إلا تعبير عملي عن أهدافه.

فالأهداف ـ على هذا ـ تمثل الرابط الفكري بين سلوكيات المرء وعقيدته.

فالعرب قبل الإسلام لم يكونوا يؤمنون باليوم الآخر.

---

(١) محمد قطب، جاهلية القرن العشرين، ص ٩.



﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ﴾ [سبأ: ٧، ٨].

فكان من أثر انحراف هذه العقيدة انحراف في أهداف الإنسان تمثَّلَ في اعتبار هذه الحياة الدنيا هي الفرصة الوحيدة إذا لم يكسبها الإنسان ذهبت إلى غير رجعة، فانكب على الحصول على الملذات تعبيراً في سلوكه عن أهدافه والحصول على المحرمات والألقاب الزائفة حتى لو كان عن طريق النهب والسلب والقتل؛ فهذا (طرفة بن العبد) يقول في معلقته:

ألا أيهــذا اللائمي أن أحضــر الوغى وأن أشهــد اللذَّات هل أنت مُخْلدي؟

لذلك جاء الإسلام ليصحح العقائد والسلوكيات عن طريق ربط كل منهما بالأهداف؛ فقد رفع الإسلام أهداف الإنسان وتسامى بها من أهداف دنيوية زائلة إلى أهداف أبدية وخلود دائم؛ فقد كانت دعوة الرسول ﷺ للناس: «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»[1].

ففيها إصلاح للعقيدة وإصلاح للهدف. وهكذا ركزت السور المكية القرآنية في أول الدعوة على تصحيح العقيدة، وأن الله وحده الإله المتصرف في هذا الكون.

قال الله - تعالى -: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

وفي العقيدة أيضاً تصحيح هدف الإنسان الأسمى وذلك بجعله هو الفوز بالجنة والنجاة من النار: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

فتحديد الهدف من الأعمال المهمة لتصحيح السلوكيات ولذلك وجدنا الرسول الكريم ﷺ يقول: «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا مات على عصبية»[2]. وفي هذا إلغاء لهدف كان يعتبر من أسمى أهداف الجاهلية ألا وهو التعصب للقبيلة والنسب.

---

(١) رواه أحمد، ح/١٥٤٤٨.

(٢) رواه أبو داود، ح/ ٤٤٥٦.

ولقد اتبع القرآن في توجيهاته أسلوب ربْط السلوك السوي الذي لا بد أن يكون عليه المرء المسلم بالهدف الذي لا بد أن يسعى إليه، فكان ذلك تصحيحاً للهدف والسلوك معاً قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ .... أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ [المعارج: ٢٢ - ٣٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴾ [النبأ: ٣١ - ٣٦].

لذلك ظهر ذلك الجيل الذي تسامى فوق الأهداف الصغيرة والتطلعات الدنيوية الحقيرة ليسعى نحو الهدف السامي عن طريق سلوك سوي لعمارة الأرض كما شرع الله بعد أن امتلك عقيدة سوية.

قال شداد بن الهاد: جاء رجل من الأعراب إلى النبي ﷺ، فآمن به واتبعه، فقال: أهاجر معك. فأوصى به بعض أصحابه؛ فلما كانت غزوة خيبر غنم الرسول ﷺ شيئاً فقسمه وقسم للأعرابي، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوا إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك رسول الله ﷺ، فأخذه، فجاء به النبي ﷺ، فقال: ما هذا يا رسول الله؟ قال: قسم قسمته لك. قال: ما على هذا تبعتك، ولكن اتبعتك على أن أُرمى ها هنا ـ وأشار إلى حلقه ـ بسهم فأموت، فأدخل الجنة. فقال: إن تَصْدُقِ الله يصدقْكَ، ثم نهضوا إلى قتال العدو، فأُتي به للنبي ﷺ وهو مقتول، فقال: أهو هو؟ قالوا: نعم! صدق الله فصدقه»[1].

وحينما قال الرسول ﷺ يوم بدر: «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض فقال عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله! جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: نعم! قال: بخ بخ. قال رسول الله ﷺ: ما يحملك على قول بخ بخ؟ قال: لا والله! يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: فإنك من أهلها. فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييتُ حتى آكل هذه التمرات إنها لحياة طويلة، ثم قاتلهم حتى قُتِلَ»[2].

وضوح تام في الهدف، وصدق في العقيدة أدى إلى وضوح وسلامة في السلوك.

الجاهلية المعاصرة:

إن الجاهلية التي أصابت العالم اليوم بشقَّيْه: الإسلامي، وغير الإسلامي، يمكن تقسيمها إلى نوعين:

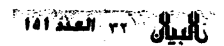
- جاهلية عقائد. - جاهلية أهداف.

جاهلية العقائد: وهي التي تضرب آفاق العالم اليوم بما فيه الإسلامي وغير الإسلامي. فالعالم غير الإسلامي بكفره البواح يؤكد على انحراف في العقيدة لا شك فيه، وهو الذي أدى إلى انحراف في الأهداف ثم في السلوك.

---

(١) زاد المعاد، ج ٣، ص ١٩٠.

(٢) رواه مسلم، ح/ ٣٥٢٠.



إن التخبط الذي يعيشه الفرد غير المسلم إنما مردُّه إلى ضياع وتخبُّط في أهدافه التي يسعى إلى تحقيقها؛ فمن هدف قصير الأجل دنيوي لا يلبث بعد أن يحققه أن يكتشف مدى استشراء الهشاشة فيه حتى يبحث عن هدف آخر إلى أن تقوده تلك الأهداف الزائفة إلى الانتحار أو سوء الخاتمة.

وكذلك الدول - والتي ليست في حال أحسن من أحوال أفرادها - تعطي شعوبها أهدافاً، وتسعى بكل جهدها لتحقيقها، ثم حينما تتحقق هذه الأهداف تنكشف للشعوب مدى هشاشتها مما يجعل تلك الدول والحكومات تبحث عن أهداف وغايات أخرى قبل أن تقوم هذه الشعوب الضالة بتغيير تلك الحكومات؛ فمن القضاء على النازية إلى القضاء على الشيوعية، ثم النظام العالمي الجديد. فهذا (بيتر رايت) - وهو أحد كبار ضباط المخابرات البريطانية - يصف فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية بقوله: «كان الشتاء قارساً، وأخذ الناس بالتذمر من حصص الغذاء، وكانت نشوة الانتصار عام ١٩٤٥م قد بدأت تتلاشى»[١]، وما أبعد هذه الصور عن قول ربعي بن عامر حين قال له رستم: ماذا جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

جاهلية الأهداف:

قبل التحدث عن جاهلية الأهداف يلزم توضيح ماهية الأهداف؛ فمعلوم أن الهدف هو: القصد والغاية، والأهداف تنقسم إلى نوعين:

أولاً: أهداف ثابتة، وهي ما تسمى في علم الإدارة بالأهداف الاستراتيجية.

ثانياً: أهداف مرحلية أو قصيرة الأجل، وهي ما تسمى بالأهداف التكتيكية[٢].

ولا بد أن تسير الأهداف المرحلية وتصاغ في ضوء الأهداف الثابتة؛ بحيث لا تعارضها، وإن حدث أن عارض هدف مرحلي الهدف الثابت يجب فوراً إلغاء الهدف المرحلي أو تصحيح مساره ليتناسب مع الهدف الثابت. فلو نظرنا إلى مؤسسة تجارية فإن الهدف الثابت لها هو الربح وتوزيع أكبر عائد ممكن على مُلاَّكها، وقد يكون أحد الأهداف المرحلية لهذه المؤسسة هو فتح فرع في إحدى المدن، فإذا كان تحقيق مثل هذا الهدف سوف يتسبب في إحداث خسائر لهذه المؤسسة فإنه يجب استبعاده فوراً؛ لأنه يتعارض مع الهدف الثابت لهذه المؤسسة. وفي حياة الإنسان المسلم هناك أهداف ثابتة وأخرى مرحلية؛ فالهدف الثابت له هو الفوز برضوان الله - تعالى - ودخول الجنة والنجاة من النار - وذلك بعد أن يمن الله عليه برحمته - جل وعلا -.

وقد يخطئ من يعتقد أن هدف الإنسان هو عبادة الله. والحق أن عبادة الله ليست سوى الوسيلة لتحقيق الهدف الذي يسعى إليه الإنسان وهو المذكور سابقاً، وسبب هذا الاعتقاد الخاطئ هو تفسير

---

(١) بيتر رايت، صائد الجواسيس، ترجمة عمادة القسوس، ص ١٤.

(٢) انظر: حتى لا تكون كلاً، عوض القرني، ص ١٤.

قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات : ٥٦]. وذلك أن هذا هو غاية الله ـ جل وعلا ـ من خلق الإنس والجن وليس في الآية ما يدل على أن ذلك هو هدف الإنسان، ومصداق ذلك في قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ﴾[الدخان :٣٨].

وقوله ـ جل وعلا ـ : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون : ١١٥].

بل إن هدف الإنسان ليُوضحه ـ جل وعلا ـ بقوله : ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح : ٥].

فتعبير فاز يدل على أن هذا هو ما يجب أن يسعى إليه الإنسان ويكون هدفه في هذه الدنيا.

وأما الأهداف المرحلية فإنها تلك الأهداف التي يسعى الإنسان لتحقيقها في هذه الحياة الدنيا مما ييسر عليه أمورها ويعينه على تحقيق هدفه الثابت. ومن هذه الأهداف : السعي في طلب الرزق الحلال، وتحقيق الكسب الحلال، والزواج، والسكن المريح. كل هذه الأهداف يجب ألا تتعارض مع الهدف الثابت للإنسان.

فجاهلية الأهداف: وهي التي تصيب بعض المجتمعات الإسلامية التي تسود فيها عقائد سليمة على الأغلب، ولكن أهدافها تكون منحرفة وهي حالة شاذة جداً عما ينبغي أن تكون عليه مجمل المجتمعات الإسلامية؛ فليست أهداف الإنسان إلا محصلة عقائده. ولا شك أن التخبط والانحراف في تحديد الأهداف أو في ترتيب أولويات الأهداف بحيث تصبح الأهداف الثابتة أهدافاً غير ذات بال والأهداف المرحلية أو التافهة منها هي الأهداف الثابتة التي يسعى لها الإنسان، بمعنى أن تكون الآخرة والحصول على رضوان الله ـ جل وعلا ـ أهدافاً غير ذات بال، وتكون أهداف الدنيا الزائلة أهدافاً ثابتة يسعى لها الإنسان ويبذل في تحقيقها الغالي والنفيس؛ فما الذي يجعل أفراداً بل شعوباً من هذه الأمة تؤمن بالمفاهيم والأفكار الإسلامية، ثم تسلك سلوكاً منحرفاً يقودها إلى غير ما ترشدها تعاليم دينها الحنيف إلا انحراف في أهداف هذه الشعوب وهؤلاء الأفراد.

إن ظهور جيل من المسلمين له عقيدة سليمة يؤمن بالله واحداً أحداً، ويقوم بكل واجبات دينه من صلاة وزكاة وصوم وحج، ثم يدعو إلى أكل الربا أو سفور للمرأة، أو يجري وراء ملذات الدنيا وشهواتها حتى لو كانت سوف تلقي به في جهنم ليؤكد على أن الانحراف الذي أصاب سلوك مثل هؤلاء مع صفاء عقائدهم إنما مردُّه إلى انحراف في فهم أهداف هؤلاء؛ بحيث أصبحت الدنيا هي الهدف الأسمى، والآخرة هدفاً يليه إن تذكّره الإنسان.

التربية بترسيخ الأهداف:

وإذا آمنا بكل ما سبق فإن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام : ما الذي يجعل أهداف هذا الجيل (مع صفاء العقيدة) تنحرف عن الهدف السامي وتؤدي بدورها : إلى انحراف في السلوك؟

وللإجابة على هذا التساؤل نعيد النظر في الحلقات الثلاث وهي :

العقيدة ـ الهدف ـ السلوك.

فالعقيدة التي هي الأصل؛ ويجب الاهتمام بها جيداً والتأكد من صفائها. نراها في مثل هذا الجيل عقيدة سليمة؛ فهم يؤمنون بالله واحداً، واليوم الآخر، والرسالات، والكتب، والملائكة، وبالقدر خيره وشره، وكل المغيبات من جنة أو نار.

ثم نجد بعد هذا أهدافاً منحرفة بل أهدافاً تعارض الهدف السامي الذي يسعى له الإنسان في هذه الدنيا وهو دخول الجنة والنجاة من النار؛ مما يؤكد على أن مثل هذا الهدف لم يرسخ في قلوب أفراد هذه الفئة ترسيخاً يتلاءم مع ما تمليه به عقائدهم؛ وما ذلك إلا لوجود حلقة ضائعة بين العقيدة والهدف ألا وهي التربية؛ فلا يمكن زرع عقيدة سليمة ثم لم ترسخ، ثم نطالب صاحبها بسلوك سوي إلا إذا ربطت العقيدة والسلوك بهذا الهدف، وهكذا كان أثر القرآن والسنة النبوية في تربية الجيل الأول.

وعليه فلا بد من إعادة تربية هذا الجيل وربطه بالهدف الحقيقي له، وإلغاء كل هدف يتعارض معه. فعلى الآباء في المنازل تربية الأطفال على ذلك النهج، وعلى الأساتذة في المدارس تربية الطلاب على هذا المنوال، وعلى الخطباء في المساجد التركيز على إعادة صياغة الهدف في حياة الناس ليكون ذلك هو الهدف الأسمى الذي إذا تعارض معه أي هدف من أهداف الدنيا غلب الهدف الأساس عليه؛ لأنه الأسمى ألا وهو دخول الجنة والنجاة من النار.

ولا يفوتني في ختام هذا المقال من التنبيه على مسائل مهمة في هذا البحث وهي:

أولاً: دأبت كثير من الأفلام والقصص الموجهة للأطفال على أن يقوم بطل الرواية أو القصة بالبحث عن أرض السعادة أو أرض الجمال؛ وهذا الأسلوب يمكن اتباعه في تربية الأبناء والأطفال على أساس البحث عن الجنة وتجنب النار، وأن الجنة هي أرض السعادة المنشودة الأبدية، ثم بعد ذلك يتم ربط سلوكيات الطفل بهذا الهدف، ورسم صورة مشرقة في ذهنه عن الجنة وما فيها من ملذات، وعن النار وما فيها من عذاب.

ثانياً: يجب تربية هذا الجيل وتصحيح أهدافه بداية من المدرسة؛ وذلك بربط العقائد التي يدرسها والسلوكيات التي يتعلمها بالهدف الذي يجب أن يسعى إليه وتصحيح تصوراته عن الجنة والنار بحيث تصبح أهدافاً يسعى إليها لا مجرد عقائد نظرية فحسب.

ثالثاً: يتهاون كثير من الخطباء بمسألة التذكير الدائم بالجنة والنار وكذلك أهوال يوم القيامة؛ وأرى أنه لا بد من التذكير بذلك؛ بحيث يتم توجيه الناس إلى أن الهدف الحقيقي لا يمكن الوصول إليه إلا عن طريق التذكُّر الدائم للجنة والنار، فيجب عرض أهداف الدنيا عليه؛ فما عارضه فينبغي أن يستبعد فوراً.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١، ٧٢]؛ فالفوز حقاً هو الفوز في عبور الصراط ودخول الجنة.



تربية الإرادة

د. عبدالرحمن آل عثمان

لقد اقتضت حكمة الباري ـ جل وعلا ـ أن خلق البشر وجعلهم متفاوتين في الصور والهيئات والألوان، بَلْهَ القوةَ والضعف، والصحة والمرض، والغنى والفقر، فضلاً عن التفاوت العظيم بينهم في الهمم والإرادات، والميول والرغبات، والفهوم والملَكات، كل ذلك لحِكَم عظيمة بها تقوم حياة الناس وتتحقق مصالحهم، ويُسخَّر بعضهم لبعض، ومن ثَمَّ ـ أيضاً ـ يتفاوت حسابُهم بحسب ما أعطاهم الله ـ تعالى ـ من الأعْراض والملَكات، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢]، وقال ـ سبحانه ـ أيضاً في آخر الأنعام: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

وهذا التفاضل ينتج عنه تَمَايُزٌ في السعي والتحصيل في العلوم والصنائع، ومن ثَمَّ يحصل التكامل الذي به تكون عمارة الأرض وبناء الحضارة؛ فهذا يكون رأساً في العلوم الشرعية، وذاك نابغة في العلوم التجريبية، وثالث هَامَة في الفنون القتالية، ورابع باقِعَة[1] في التدبير والسياسة ... وهكذا.

وإنما هذه المهارات بمنزلة الزرع؛ فهو يقوى ويشتد، ويُؤتي ثماره المرجوة بأمرين:

الأول: قابلية المحلّ.

الثاني: القيام عليه وتعاهده بالسقي والرعاية.

---

(١) الباقعة: الرجل الداهية، والذكي العارف الذي لا يفوته شيء ولا يُدهى. (القاموس، مادة: بقع).

فهو عند اجتماع الأمرين يكون بمنزلة جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين، وإن لم يصبها وابل فيكفيها طَلٌّ حتى تُخرج من كل زوج بهيج.

وبانعدام أحدهما لا يحصل المطلوب؛ ذلك أن من يحاول علماً لا يتناسب مع ميوله وقدراته كمن يزرع جوز الهند في الأندلس - كما قال ابن حزم - أو النخيل في أحد القطبين!!

وهكذا نَفاسَة المعدن، وتوقُّد الذكاء، وقابلية المحل، لا تكفي من غير صقل وتربية وعناية.

وعليه يقال: مقومات النبوغ والتفوق والإبداع - بعد توفيق الله تعالى - أربعة:

الأول: الإخلاص لله - تعالى - وتقواه، خاصة إذا كان العلم المطلوب شرعياً. وقد جاء في بعض رسائل الشيخ حمد بن عتيق (ت ١٣٠١هـ) - رحمه الله - ما نصه: «... ومن تأمل أحوال العالم وجد ما يشهد به، فيجد من يَشِبّ ويشيب وهو يقرأ ولم يُحصِّل شيئاً لمانع قلم به وحال من نفسه»(١).

ولما وقعت عين الإمام مالك - رحمه الله - لأول مرة على الإمام الشافعي - رحمه الله - وهو في أوائل الطلب قال له مالك - رحمه الله -: «إن الله - عز وجل - قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بالمعصية»(٢). وفي رواية عند ابن عساكر: «فلما أن سمع كلامي نظر إليَّ ساعة(٣) - وكان لمالك فراسة - فقال لي: ما اسمك؟ فقلت: محمد، فقال لي: يا محمد! اتق الله واجتنب المعاصي؛ فإنه سيكون لك شأن من الشأن»(٤).

الثاني: توفر المَلَكة والأهلية في ذلك الفن.

الثالث: أن يوفَّق إلى المربي الفطن الذي يتمكن من اكتشاف مواهبه والتفرس في مَلَكَاته منذ مراحله الأولى، فيوجهه إلى تنمية تلك القُدرات، ويَكِلُه إلى من لديه القدرة على صقلها وتقويتها.

الرابع: وجود البيئة الملائمة من التلاميذ الذين يتفقون معه في النبوغ والتفوق من جهة، والأساتذة البارعين في هذا الجانب من جهة أخرى.

وإذا وقع الإخلال بشيء من ذلك فالنتيجة المنتظرة هي الفشل والضمور والتضاؤل، ومن ثَمَّ تكون الثمرة: تخريج الأقزام بدلاً من العمالقة. والله المستعان.

---

(١) مجموعة رسائل الشيخ حمد بن عتيق - رحمه الله -، ص ١١٢ (طبع دار الهداية - الرياض).

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي، ص ١٠٣، ١٠٤.

(٣) ساعة: كناية عن إطالة النظر.

(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور، ٢١/٣٦٣.

ولعل من المناسب ـ في هذا العصر الذي برز فيه الحديث عن الموهوبين ـ أن أنقل لك كلاماً لعَلَم من أعلام المسلمين في هذه القضية الحيوية، وهو الإمام الشاطبي ـ رحمه الله ـ (ت ٧٩٠هـ) حيث يقول ـ في معرض كلامه على فروض الكفاية ـ: «وذلك أن الله ـ عز وجل ـ خلق الخلق غير عالمين بوجوه مصالحهم، لا في الدنيا ولا في الآخرة، ألا ترى إلى قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]، ثم وضع فيهم العلم بذلك على التدريج والتربية؛ تارة بالإلهام كما يُلهَم الطفلُ الْتِقام الثَّدْي ومصَّه، وتارة بالتعليم؛ فطلب الناس بالتعلم والتعليم لجميع ما يُستجلَب به المصالح وكافة ما تُدْرأ به المفاسد، إنهاضاً لما جُبِلَ فيهم من تلك الغرائز الفِطْرِيَّة، والمطالب الإلهامية؛ لأن ذلك كالأصل للقيام بتفاصيل المصالح ـ سواء كان ذلك من قبيل الأفعال، أو الأقوال، أو العلوم والاعتقادات، أو الآداب الشرعية أو العادية ـ وفي أثناء العناية بذلك يَقْوى في كل واحد من الخلق ما فُطر عليه، وما أُلْهِم له من تفاصيل الأحوال والأعمال؛ فيظهر فيه وعليه، ويُبرِّز فيه على أقرانه ممن لم يُهيأ تلك التهيئة؛ فلا يأتي زمانُ التعقُّل إلا وقد نجم[1] على ظاهره ما فُطر عليه في أوَّليَّته؛ فترى واحداً قد تهيَّأ لطلب العلم، وآخر لطلب الرياسة، وآخر للتصنع ببعض المهن المحتاج إليها، وآخر للصِّراع والنطاح، إلى سائر الأمور.

هذا وإن كان كلُّ واحدٍ قد غُرز فيه التصرف الكلي؛ فلا بدَّ في غالبِ العادة من غَلَبة البعض عليه؛ فيردُ التكليفُ عليه معلَّماً مؤدَّباً في حالته التي هو عليها؛ فعند ذلك ينتهضُ الطلبُ على كل مكلف في نفسه من تلك المطلوبات بما هو ناهضٌ فيه، ويتعين على الناظرين فيهم الالتفات إلى تلك الجهات؛ فيراعونهم بحسبها ويراعونها إلى أن تخرج في أيديهم على الصراط المستقيم، ويعينونهم على القيام بها، ويحرضونهم على الدوام فيها؛ حتى يبرز كل واحد فيما غلب عليه ومال إليه من تلك الخُطط[2]، ثم يخلى بينهم وبين أهلها، فيعاملونهم بما يليق بهم ليكونوا من أهلها، إذا صارت لهم كالأوصاف الفطرية، والمدْركات الضرورية؛ فعند ذلك يحصل الانتفاع، وتظهر نتيجة تلك التربية.

فإذا فُرِضَ ـ مثلاً ـ واحدٌ من الصبيان ظهر عليه حسنُ إدراك، وجودة فهم، ووفور حفظٍ لما يسمع

---

(١) أي: ظهر. انظر: «لسان العرب» (ن ج م).

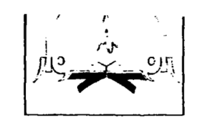
(٢) أي: الأمور والأحوال. انظر: «لسان العرب» (خ ط ط).

ـ وإن كان مشاركاً في غير ذلك من الأوصاف ـ ميل به نحو ذلك القصد، وهذا واجبٌ على الناظر فيه من حيث الجملة مراعاةً لما يُرجى فيه من القيام بمصلحة التعليم، فطلب بالتعلم وأُدِّب بالآداب المشتركة بجميع العلوم، ولا بد أن يُمال منها إلى بعض فيؤخذ به، ويُعان عليه، ولكن على الترتيب الذي نصَّ عليه ربّانيّو العلماء، فإذا دخل في ذلك البعض فمال به طبعه إليه على الخصوص، وأحبَّه أكثر من غيره؛ تُرك وما أحب، وخص بأهله؛ فوجب عليه إنهاضه فيه حتى يأخذ منه ما قدر له، من غير إهمال له ولا ترك لمراعاته، ثم إن وقف هنالك فحسن، وإن طلب الأخذ في غيره أو طُلب به؛ فُعل معه فيه ما فعل فيما قبله، وهكذا إلى أن ينتهي.

كما لو بدأ بعلم العربية مثلاً ـ فإنه الأحقُّ بالتقديم ـ؛ فإنه يُصرَف إلى معلميها؛ فصار من رعيتهم، وصاروا هم رُعاةً له؛ فوجب عليهم حفظه فيما طلب بحسب ما يليق به وبهم، فإن انتهض عزمه بعدُ إلى أن صار يحْذِقُ القرآن صار من رعيتهم، وصاروا هم رُعاةً له كذلك، ومثله إن طلب الحديث أو التفقه في الدين إلى سائر ما يتعلق بالشريعة من العلوم، وهكذا الترتيب فيمن ظهر عليه وَصْفُ الإقدام والشجاعة وتدبير الأمور، فيُمال به نحو ذلك، ويُعلَّم آدابه المشتركة، ثم يصار به إلى ما هو الأَوْلى فالأَوْلى من صنائع التدبير؛ كالعرافة، أو النقابة، أو الجندية، أو الهداية، أو الإمامة، أو غير ذلك مما يليق به، وما ظهر له فيه نجابة ونهوض، وبذلك يتربى لكل فعلٍ هو فرضُ كفايةِ قومٌ؛ لأنه سير أولاً في طريق مشترك؛ فحيث وقف السائر وعجز عن السير فقد وقف في مرتبة محتاج إليها في الجملة، وإن كان به قوة زاد في السير إلى أن يصل إلى أقصى الغايات في المفروضات الكفائية، وفي التي يَنْدُر من يصل إليها؛ كالاجتهاد في الشريعة، والإمارة؛ فبذلك تستقيم أحوال الدنيا وأعمال الآخر»[1].

---

(١) الموافقات، ١/٢٨٤ ـ ٢٨٦.



حوار مع الشيخ محمد السيف

نترقب إحدى الحسنيين

الشيخ أبو عمر محمد بن عبد الله السيف من طلبة العلم الذين نفروا إلى الجهاد في سبيل الله؛ وقليل هم الذين يُعنَون بالجهاد من طلبة العلم، وقليل من هؤلاء من ينفر للجهاد في سبيل الله بنفسه، وقليل ممن ينفر بنفسه مَنْ يبقى ويستمر في ميدان الجهاد ويثبت السنوات الطوال؛ فهم قليل من قليل من قليل.

وضيفنا نحسبه من هذا القليل؛ فقد تخرج في كلية الشريعة وتتلمذ لفضيلة الشيخ ابن عثيمين. شارك في الجهاد في الحرب الشيشانية الأولى، وعند انتهاء الحرب اشتغل بالدعوة والتعليم، فكان له دور في تأسيس المحاكم الشرعية في فترة الاستقرار التي تلت الحرب الأولى من ١٩٩٦م ـ ١٩٩٩م تقريباً، وكان له دور في نشر المنهج العلمي الشرعي؛ فقد أنشأ معهد القضاء الشرعي، ومعهد الإمام الشافعي للدراسات الشرعية؛ ولما وقعت الحرب الثانية على أرض الشيشان بادر للمشاركة في الجهاد، فكان أحد رموزه المؤثرة؛ حيث كان يشارك بنفسه ويحرض المؤمنين ويعلمهم ويدعمهم الدعم المادي والمعنوي.

وقد أصيب عدة مرات في القتال، ولا يزال ـ بحمد الله ـ في صحة جيدة يقوم على الثغور ويتحرك في العمليات. نسأل الله أن يوفقه وإخوانه، وأن ينصرهم على القوم الكافرين، ويسعدنا في مجلة البيان أن يكون فضيلته ضيفنا في هذا اللقاء.

البيان: نريد أن تحدثنا عن الوضع القائم من حيث مناطق نفوذ المجاهدين ومعنوياتهم وخطتهم العسكرية في هذه المرحلة؟

■ الوضع القائم الآن جيد، والمجاهدون بصحة جيدة يتحركون نحو أهدافهم بسهولة، وينتشرون في مناطق واسعة لا تحدهم حدود، ومعنوياتهم مرتفعة، ولله الحمد؛ فهم يترقبون إحدى الحسنيين ولا يبالون بأيهما ظفروا: النصر أو الشهادة؛ فعلى الرغم من التضحيات الكثيرة التي قدمت وشدة القتال وضراوة المعركة وما يملكه العدو من إمكانات عسكرية ضخمة إلا أن هذا كله زادهم إصراراً وتصميماً على مواصلة الطريق نحو الهدف الأسمى، وهم يرتقون ذروة سنام الإسلام ويتراءى لهم قول الله - جل وعلا -: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩ - ١٤١].

وأما الخطة العسكرية في هذه المرحلة فهي القيام - بعون الله تعالى - بحرب عصابات شاملة ومفاجئة للعدو في جميع أنحاء البلاد وفي كل مكان يمكن الوصول فيه للقوات الروسية، وهذه تحتم كثرة التنقل وعدم الاستقرار في مكان واحد لمدة طويلة وعدم المحافظة على المواقع، بل يضرب العدو في موقع ثم نفاجئه في موقع آخر.

البيان: ما وضع الروس والمناطق التي يسيطرون عليها ومعنوياتهم؟ وما الفرق بين الجيش والأمون؟

■ الروس مع ما يملكون من قدرات عسكرية ضخمة إلا أنهم يعانون من تدني الروح المعنوية؛ حيث يساقون قسراً إلى مواقع القتال وهم يبكون وقد سيطر عليهم الرعب، ولا يدرون من أين يأتيهم المجاهدون؛ حتى وصل الحال ببعضهم إلى الانتحار؛ فقد عُثِرَ على ضابط انتحر في مكتبه في إحدى نقاط التفتيش، وعثر على بعض الجنود وقد انتحروا في آلياتهم.

ولا يسيطر الروس إلا على الأرض التي تحت أقدامهم، وأما سائر أرجاء الشيشان فلا يملكون السيطرة عليها؛ حيث يتحرك المجاهدون ويتنقلون في المناطق التي تزعم القوات الروسية السيطرة عليها.

والفرق بين الجيش والأمون: أن قوات الأمون هي الشرطة الخاصة التابعة لوزارة الداخلية، ويتلقى أفرادها تدريباً خاصاً وعناية وتجهيزاً متميزاً، وأعمار أفرادها يبدأ بعد الخامسة والعشرين، وعملها تفتيش القرى، ووضع نقاط التفتيش في الطرق، ومكافحة الإرهاب - على حد زعمهم -. أما الجيش

فمهمته الرئيسة القتال والقصف بالطيران وإنزال المظليين.

وبين الجيش والأمون خلافات تصل إلى حد القتال؛ نسأل الله أن يجعل بأسهم بينهم شديداً.

البيان: ما موقف المجاهدين من عروض المصالحة التي يسمع عنها بين الحين والآخر؟

■ المجاهدون يرفضون أي مصالحة لا تكون نتيجتها الاستقلال الكامل للشيشان ويلتزم الروس فيها بتعويض الشيشان عن الخسائر التي نزلت بها، وإعادة الإعمار وبخاصة البنية التحتية.

والمجاهدون الآن يرفضون أي تفاوض مع الروس ما لم يخرج الجيش الروسي من الشيشان.

البيان: يثار أن هناك خلافاً بين المجاهدين، ويتخوف كثير من المحبين أن يتكرر ما حصل في أفغانستان من الاختلاف فما ردكم؟

■ ليس هناك خلاف بين القادة الميدانيين ـ بحمد الله تعالى ـ، بل العمل قائم على التنسيق والتكامل، والوضع في الشيشان يختلف عن أفغانستان؛ حيث إن أهل الشيشان من عرق واحد وليس هناك خلافات عميقة ولا أحزاب بين القادة بخلاف أفغانستان؛ فإنها أعراق مختلفة، والخلاف بين القادة له جذور وصراعات حزبية. نسأل الله أن يؤلف بين المسلمين في كل مكان.

البيان: يتردد في بعض وسائل الإعلام أن غير الشيشانيين المشاركين في القضية الشيشانية مرتزقة وليس لهم علاقة بالقضية، فبماذا تردون عليهم؟

■ قد يرد مثل هذا الطرح لدى الكفار الذين لم يعرفوا طبيعة هذا الدين وأن أمة الإسلام أمة واحدة؛ فقد استجاب المجاهدون من غير الشيشان لأمر الله ـ تعالى ـ بقوله: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢] وقد أجمع العلماء على تعيُّن الجهاد إذا دخل الكفار بلاد المسلمين، وبلاد المسلمين كلها بمثابة البلد الواحد؛ فالذين نفروا من غير الشيشانيين وتركوا ما هم فيه من رغد العيش ورخاء الدنيا ارتقوا بذلك ذورة سنام الإسلام يبغون حظ الآخرة ـ نحسبهم كذلك ـ محققين بذلك أمنية رسول الله ﷺ؛ حيث قال: «والذي نفسي بيده لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لوددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا، ثم أقتل» رواه البخاري.

ولماذا يلام أهل الإسلام على نصرتهم لإخوانهم في الدين؟ والإسلام لا يعرف الحدود ولا الحواجز ولا الفوارق العرقية:

وحيثما ذكر اسم الله في بلدٍ عددت أرجاءه من لب أوطاني

ألا يرون الروس الأرثوذكس الذين خرجوا متطوعين لمناصرة إخوانهم الصرب في يوغسلافيا؟ ألا يرون تحرك الغرب - أوروبا وأمريكا - لمناصرة إخوانهم النصارى في تيمور الشرقية؟!

البيان: هناك من يطرح أهمية اقتصار الإخوة الأنصار على النشاط الدعوي والجهادي وعدم محاولة البروز السياسي؛ لأنه مزلق سيكون له آثار مدمرة وعكسية. فما تعليقكم؟

■ النشاط الدعوي والجهادي يقوم به الإخوة الأنصار وهو أساس عملهم وهم على كل حال قدموا لنصرة القضية الإسلامية في الشيشان سواءً في جانب الدعوة والجهاد أو في الجانب الإعلامي السياسي وغيرها وليس لهم طموح دنيوي لا في أرض الشيشان ولا في غيرها.

البيان: ما هو تقويمكم لمواقف الشعوب والحكومات الإسلامية؟

■ أما بالنسبة لموقف الشعوب الإسلامية بل المسلمين في العالم فهو موقف مشرِّف؛ ونحن نشعر بمشاركتهم لنا في قضيتنا من خلال دعمهم المادي والمعنوي. لقد قذفت هذه الشعوب بفلذات أكبادها ليشاركوا في الجهاد بأنفسهم، وبذلوا أموالهم لنصرة القضية، وإنا لنرى أثر دعواتهم في تنزُّل النصر وحصول الفرج من الله - تبارك وتعالى - وتصلنا عواطفهم الحارة من خلال رسائلهم إلى موقعنا على الإنترنت (صوت القوقاز) الذي يبث حتى الآن بخمس عشرة لغة؛ وإنا لنقدر لهذه الشعوب مواقفها، ونسأل الله أن يحيي في الأمة المسلمة روح الجهاد من جديد.

أما الدول الإسلامية فإنها للأسف تخاذلت عن نصرة الشعب الشيشاني، ولم ترجع في هذه القضية إلى كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ؛ بل رضيت بما تحكم به هيئة الأمم التي هي في الحقيقة تمثل اليهود والنصارى.

وليتهم توقفوا عند هذا الحد؛ بل إنهم دعموا الروس من خلال تصريح وفد منظمة المؤتمر الإسلامي بأنهم يؤمنون بوحدة الأراضي الروسية، وأن القضية الشيشانية شأن داخلي لروسيا، وأنهم ليس من عقيدتهم دعم الإرهاب - على زعمهم - دون أن يعبروا عن استنكارهم لما يجري في الشيشان.

البيان: ما تقويمكم لموقف الغرب من القضية؟

■ نحن لا نعلق أملاً على الغرب الكافر لمناصرتنا، بل نحن نعلم أن الغرب يسعى إلى تحقيق

> المجاهدون يرفضون أي مصالحة لا تكون نتيجتها الاستقلال الكامل للشيشان

مصالحه، وأن عدوه الأول هو الإسلام. فالغرب له مصلحة من استمرار الحرب في الشيشان من خلال موازنة ومعادلة معينة في مصلحته، ومن ذلك: زيادة إخضاع روسيا للغرب، وإضعاف قبضتها على القوقاز؛ حيث طموحات الغرب هناك، ومساومة روسيا بالقضية الشيشانية للحد من انتشار الأسلحة، وعدم تمرد روسيا على سياسة الغرب في القضايا العالمية، والحديث عن انتهاكات روسيا لحقوق الإنسان لتحقيق هذا الغرض.

وبالمقابل فإن الغرب يخشى من انتصار القوى الإسلامية في القوقاز، ويعتبر قيام دولة إسلامية خطراً داهماً يهدد النظام العالمي الجديد، وبناءاً على هذا فهو يدعم روسيا بالمال من خلال القروض، وبالاستشارات العسكرية ويتعاونون معهم في مجال الاستخبارات والاتصالات.

وأما الشعارات الجوفاء التي يرفعها الغرب مثل: حقوق الإنسان، وحق الشعوب في تقرير المصير، والديمقراطية، فهذه كلها نداءات ليس لأهل الإسلام فيها نصيب.

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

﴿ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ [البقرة: ٢١٧].

البيان: هل لليهود دور في القضية الشيشانية؟

نعم! لقد وقف اليهود من خلال دولتهم في (إسرائيل) مع الروس من بداية الحرب، وعرضوا خدماتهم العسكرية والاستشارية، واستقبلوا جرحى الروس في مستشفياتهم.

البيان: ما أبرز سمات الجهاد في الشيشان؟

■ أبرز السمات: وضوح الراية؛ حيث ترفع راية الجهاد لقتال الكفار وتحرير بلاد المسلمين بشكل واضح؛ فإن الشعب الشيشاني مع كونه قد عاش ردحاً من الزمن تحت الاحتلال الروسي إلا أن العلم الشرعي قد انتشر في صفوفه وأصبح اتِّباع السنة والمنهج الصحيح بارزاً لدى كثير من المجاهدين مما حدا بالروس إلى الادعاء بأنهم يحاربون الوهابية في الشيشان.

البيان: كثيرون يحبون أن يتابعوا أخباركم فما المصدر الموثوق لمعرفة أخباركم؟

■ أخبارنا تؤخذ من موقعنا على الإنترنت صوت القوقاز، والذي يصدر حتى الآن بأكثر من خمس عشرة لغة منها: العربية، الإنجليزية، الفرنسية، الألمانية، الأوردية، التركية، الماليزية، البوسنوية، الأندونيسية، الهندية، البنغالية، الإيطالية، الألبانية، ولكن الموقع أحياناً يتوقف أو يتأخر في نشر الأخبار بسبب الظروف الصعبة التي يمر بها الموقع أحياناً، ومن ذلك انقطاع الاتصالات وانشغال الإخوة في العمليات، وقريباً - إن شـاء الله - سيكون هناك تطوير للموقع ومتابعة جيدة - بإذن الله تعالى -.

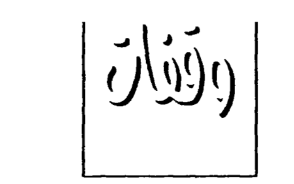
البيان: ما مستقبل القضية الشيشانية حسب تصوركم؟

■ الصراع بين الحق والباطل سنة الله الماضية، ونحن نقوم بالواجب الشرعي في قتال الكفار والدفاع عن أراضي المسلمين؛ والذي نتوقعه - إن شاء الله - أن تكون القضية الشيشانية سبباً لتقويض الاتحاد الروسي كما كانت القضية الأفغانية سبباً لتقويض الاتحاد السوفييتي، ونأمل أن تقوم دولة مسلمة على أرض القوقاز يُعاد فيها ذِكْرُ الفتوحات على عهد الخلفاء الراشدين.

ونحن نعلم أن هذا الأمل لا يمكن أن يتحقق من خلال نزهة في جبال القوقاز وسهولها، ولكنه يتحقق - بإذن الله - حين نطيع أمر الله، ونبذل الأسباب الشرعية التي أمر بها، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

البيان: هل من توصيات تسجلونها في نهاية اللقاء؟

■ في ختام هذا اللقاء أشكر مجلة البيان التي عُرفت بأصالتها وسلامة منهجها على إتاحة الفرصة للتعريف بالقضية الشيشانية، وأوصي الحكومات الإسلامية بنصرة الشعب الشيشاني والاعتراف باستقلال دولته عن روسيا، وأوصي عموم المسلمين بمساعدة إخوانهم والجهاد معهم بالنفس والمال واللسان والدعاء والقنوت لهم.



سلامة الصدر

أحمد بن عبد الرحمن الصويان

من أعظم نِعَم الله ـ تعالى ـ على العبد المسلم أن يجعل صدره سليماً من الشحناء والبغضاء، نقياً من الغلِّ والحسد، صافياً من الغدر والخيانة، معافىً من الضغينة والحقد، لا يطوي في قلبه إلا المحبَّة والإشفاق على المسلمين.

قد يجد المرء من بعض إخوانه أذىً أو يصيبه منهم مكروه، وربما يسرف بعض إخوانه في جرحه أو الحط من قدره، بل قد يصل الأمر ـ والعياذ بالله ـ إلى أن يفتري أحد إخوانه عليه الكذب ويتهمه بالسوء.. ومع ذلك كله تراه يدعو الله ـ عز وجل ـ بقلب صادق أن يتوب على إخوانه، ويتجاوز عنهم، ويهديهم سبيل الرشاد، ولا يجد في نفسه سبيلاً إلى الانتقام أو الانتصار للنفس. وبقدر إدبارهم عنه وأذاهم له، يكون إقباله عليهم وإحسانه إليهم، يهتدي دائماً بقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥]، كما يهتدي بما رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن لي قرابة أصِلُهم ويقطعونني، وأحسنُ إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلُمُ عنهم، ويجهلون عليَّ!! فقال رسول الله ﷺ: «لئن كنت كما قُلتَ فكأنما تُسِفُّهم المَلَّ[١]، ولا يزال معك من الله ـ تعالى ـ ظهير عليهم ما دمتَ على ذلك»[٢].

وما أجمل قول الشاعر:

إذا أدمَتْ قوارصُكم فُؤادي ... صبرتُ على أذاكم وانطويتُ
وجئت إليكمُ طَلْقَ المُحَيَّا ... كأنِّي ما سمعتُ ولا رأيتُ

كم يعلو قدر الإنسان، وتشرُف منزلته حينما يصل إلى هذه المنقبة العظيمة والخَلَّة الكريمة التي لا يقوى عليها إلا ذوو الصدق والإخلاص.. ولا يستطيع أن يصل إلى أعتابها إلا من جاهد نفسه حق المجاهدة، وفطمها عن شهواتها..؟!

---

(١) المَلّ: هو الرماد الحار، أي: كأنما تطعمهم إياه.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة (٢٥٥٨).



أرأيت إلى ذلك الصحابي الجليل - رضي الله عنه - الذي أشار النبي ﷺ ثلاثاً إلى أنه من أهل الجنة، فلما ذهب إليه عبد الله بن عمرو بن العاص وبات عنده ثلاث ليال فلم يره فعل كبير عمل، فعجب عبد الله من حاله وسأله: ما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ فقال الرجل: «ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً، ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه». فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق![(1)].

إن هذه الصفة الجليلة من الصفات التي رفعت أقدار الصحابة - رضي الله عنهم - فها هو ذا سفيان بن دينار يقول: قلت لأبي بشير - وكان من أصحاب علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أخبرني عن أعمال من كان قبلنا؟ قال: «كانوا يعملون يسيراً ويؤجَرون كثيراً». فقال سفيان: ولِمَ ذلك؟ قال: «لسلامة صدورهم»[(2)].

ولهذا بيَّن ابن القيم أن سلامة القلب: «مشهد شريف جداً لمن عرفه وذاق حلاوته، وهو أن لا يشغل قلبه وسره بما ناله من الأذى وطلب الوصول إلى درك ثاره، وشفاء نفسه؛ بل يفرغ قلبه من ذلك، ويرى أن سلامته وبرده وخلوه منه أنفع له، وألذ وأطيب، وأعون على مصالحه؛ فإن القلب إذا اشتغل بشيء فاته ما هو أهم عنده، وخير له منه، فيكون بذلك مغبوناً، والرشيد لا يرضى بذلك، ويرى أنه من تصرفات السفيه؛ فأين سلامة القلب من امتلائه بالغل والوساوس، وإعمال الفكر في إدراك الانتقام؟»[(3)].

إن ثمة حقيقة في غاية الأهمية والخطورة: وهي أن بعض صفوف الدعاة قد يكدرها بعض الأذى والسوء، فقد أصبح الشغل الشاغل لبعض الجهلة والقاعدين البطالين هو الوقوع في أعراض إخوانهم، ثم اشتغل آخرون بإشاعة السوء والنميمة، يفرون في أعراض الناس فرياً، ولا يقيمون وزناً لكبير ولا صغير، ولا يخافون الله - تعالى - في لحوم إخوانهم!!، واشتغل بعض من جرحهم هؤلاء بالرد عليهم وتبرئة ساحتهم، وإذا كان بعض ذلك مشروعاً، إلا أن الخوف كل الخوف أن يتحول إلى مجرد انتصار للنفس وتنفيس للهم، ينشغل بذلك عن الأَوْلى والأهم.

أما النفوس العليَّة الكبيرة العامرة بنور القرآن، وذكر الرحمن فإنها لا تلتفت إلى هذه الصغائر، ولا تشغلها تلك التوافه عن السير قُدُماً في هذا الطريق؛ فالناس في شغل، وأولئك الأبرار في شغل آخر.. الناس في قيل وقال، وأولئك الأطهار لهم شأن آخر وهم أعظم، ومن نذر نفسه وجنَّد وقته لخدمة دين الله - تعالى - فأسهر ليله وأشغل نهاره في تتبع أحوال المسلمين وعلاج مشكلاتهم أيجد في نفسه اطمئناناً لسماع الوشاة، أو رغبة في الانتصار للذات؟!

قد رشَّحوك لأمـرٍ لو فَطِنْتَ له ... فاربأ بنفسك أن تَرعَى مع الهَمَلِ

إن الأمة الإسلامية تمر بمرحلة خطيرة تكالبَ فيها الأعداء عليها من كل مكان، وأمامها مفرق طريق، ولا وقت هنا للهو والعبث والاشتغال بهذه الهموم الوضيعة التي أدنى ما فيها أنها تشتت الفكر، وتقبض الصدر، وتلهي الإنسان عن معالي الأمور..!

---

(1) أخرجه: أحمد في المسند (3/166) بإسناد صحيح.

(2) أخرجه هناد في الزهد (2/600).

(3) مدارج السالكين، (2/320).



دولة اليهود آخر الزمان

فضيلة العلامة: محمد الأمين الشنقيطي

في هذا العدد نورد جواباً متيناً قائماً على أدلة شرعية مع استدلال عميق واستنباط دقيق.. إنه جواب الشيخ العلاّمة محمد الأمين الشنقيطي[1] ـ صاحب تفسير أضواء البيان ـ رحمه الله تعالى ـ عندما سئل أثناء رحلته إلى الحج إلى بيت الله الحرام سنة ١٣٦٧هـ: هل يوجد نص شرعي يدل على وجود دولة لليهود في آخر الزمان؟ فذكر ـ رحمه الله ـ جواباً غاية في التحرير والتحقيق، فبيّن الشيخ من خلال نصوص شرعية بعض الأحوال المستقبلية في آخر الزمان، دون جمود ظاهري، أو تكلف في الاستدلال، أو تحميل للنصوص الشرعية ما لا تحتمله كما وقع فيه بعض المعاصرين، فإليك ما قاله هذا الإمام ـ رحمه الله ـ:

سألَنا بعضُ طلبة العلم: هل عثرنا على نص من الكتاب أو السنة يُفهَمُ منه وجود دولة لليهود في آخر الزمن؟

فكان جوابنا: إنه ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ ما يدل بالدلالة المعروفة عند الأصوليين بدلالة الإشارة على وجود دولة لهم في آخر الزمان، أما النص الذي دل على ذلك بدلالة الإشارة فقوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم! هذا يهودي ورائي فاقتله» رواه البخاري بهذا

(١) هو الشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، ولد عام ١٣٢٥هـ بشنقيط (موريتانيا)، واجتهد في طلب العلم، وكان آية في التفسير والأصول، له المؤلفات النافعة في عدة فنون على رأسها (تفسير أضواء البيان)، كما كان له جهود مشكورة في الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ ونشر العلم الشرعي، وكان زاهداً ورعاً تقياً، وله تلاميذ كثيرون، توفي بمكة سنة ١٣٩٣هـ. انظر: ترجمة عطية سالم للشنقيطي في آخر الجزء التاسع من أضواء البيان، وكتاب ترجمة محمد الأمين الشنقيطي، لعبد الرحمن السديس.



اللفظ، ومسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ وقد أخرج هذا الحديث البخاري في كتاب الجهاد والسير في باب: قتال اليهود. ومسلم في كتاب «الفتن وأشراط الساعة» في باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء. ومثل الحديث المذكور قوله ﷺ: «تقاتلون اليهود فتُسلَّطون عليهم حتى يختبئ أحدُهم وراء الحجر فيقول الحجر: يا عبد الله! هذا يهودي ورائي فاقتله» رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ. أما البخاري فقد أخرجه في (كتاب الجهاد في باب قتال اليهود) وأما مسلم فقد أخرجه في كتاب الفتن مختصراً. فهذا نص صحيح من النبي ﷺ أنه لا بد من قتال المسلمين واليهود حتى تكون عاقبة النصر والظفر للمؤمنين.

والمقاتلة بحسب الوضع اللغوي تقتضي وجود القتال من طائفتين مقتتلتين؛ لأن المفاعلة تقتضي الطرفين وضعاً، ومنه قوله ﷺ: «تقاتلون اليهود» على وجود جنس مقاتل من اليهود.

وذلك إنما يكون من طائفه متحدة الكلمة تحت طاعة أمير يقاتل بهم؛ وذلك هو معنى دلالة الحديث على وجود دولة لهم في آخر الزمان؛ لأنهم لو كان دائماً عليهم مضمون قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٨] وكانوا متفرقين غير مجتمعين أبداً تحت أمير على كلمة واحدة ما صح قتالهم مع المسلمين الذي نص عليه الرسول ﷺ في الحديث الصحيح، فإذا حققت ذلك فاعلم أن دلالة الإشارة في اصطلاح الأصوليين في دلالة اللفظ على معنى ليس مقصوداً منه بالأصل بل بالتبع؛ لأن ذلك المعنى لازم للمعنى المقصود من اللفظ كدلالة قوله ـ تعالى ـ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] المعنى: بغايةٍ هي تبيُّن الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر؛ أعني قوله ـ تعالى ـ: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ﴾ الآية على صحة صوم من أصبح جنباً للزومه للمقصود به من جواز جماعهن ليلة الصيام إلى آخر جزء منها؛ بحيث لا يبقى بعد ذلك الجزء المجامَع فيه جزء من الليل أصلاً حتى يغتسل فيه قبل النهار، فلزم جواز إصباحه جنباً وصحة صوم من أصبح جنباً؛ فالمقصود بلفظ النص المذكور إباحة الجماع في ليلة الصيام إلى انتهائها، ولم يقصد باللفظ صحة صوم من أصبح جنباً إلا أنها لازمة للمقصود باللفظ؛ لأنه إذا جاز له الجماع في جزء الليل الأخير الذي ليس بعده إلا النهار لزم كونه جنباً في النهار، فدل بالإشارة على صحة صوم من أصبح جنباً، ومن دلالة الإشارة أخذ علي ـ رضي الله عنه ـ كون أقل الحمل ستة أشهر من قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] مع قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] لأن ثلاثين شهراً التي هي أمد الحمل والفصال إذا أسقط منها العامان اللذان هما أمد الفصال بأربعة وعشرين شهراً بقي للحمل ستة أشهر هي باقي الثلاثين، فإذا حققت ذلك فقوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود» المقصود منه أن قتال اليهود والمسلمين واقع لا محالة إلا أن هذا المعنى المقصود بالنص يلزمه كون اليهود فئة متحدة الكلمة تحت إمارة أمير يقاتل بهم؛ وذلك هو معنى وجود حكومة منهم في آخر الزمان دل عليها النص بالإشارة.



حزيران

في اليوم الخامس من شهر حزيران (يونيو) من عام ١٩٦٧م وقعت الحرب بين العرب بقيادة الثوريين وبين اليهود المحتلين في فلسطين، وهي الحرب التي سماها اليهود بـ (حرب الأيام الستة) وتفتق فكر قادة الهزيمة النكراء عن تسميتها بـ (النكسة) حيث ظهر عُوار الفكر الثوري التقدمي الذي أضاع سيناء كلها مع زيادة امتدت حتى مشارف القاهرة، والجولان جميعها حتى ضواحي دمشق، والضفة الغربية بتمامها بما فيها القدس؛ وهكذا وفي أيام تقل عن أسبوع بيوم واحد تهاوت فيها أخيلة البطولة الجوفاء التي رسمها الفكر التسلطي الذي قاد الأمة بحماقته وعنجهيته إلى عار ما يزال بحاجة إلى جهاد فذ ونضال مرير ابتداه أطفال ثورة الحجارة ولم تَنْتهِ مخازي اتفاقيات (أوسلو) وتوابعها: المعلنة والمضمرة، ما عُلِمَ منها وما لم يُعلَم.

مروان كجك

حُزَيْرَانُ فِيكَ تَعَرَّى الضَّلالْ ... وَتَاهَتْ عُقُولٌ، وَضَاعَتْ تِلالْ
سَتَبْقَى إلَى أنْ يَشَاءَ الإلَهُ ... سَرِيعَ الْمَجِيءِ، بَطِيءَ الزَّوَالْ
تُذَكِّرُنَا بِالْخِدَاعِ الرَّهِيبِ ... وَطَيْشِ الْكِبَارِ وَسُخْفِ الرِّجَالْ
أضَاعُوا الْبِلادَ بِطَرْفَةِ عَيْنٍ ... وَبَاتُوا أُسُوداً بِغَيْرِ جِدَالْ

* * * *

حُزَيْرَانُ يَا جُرْحَ كُلِّ أبِيٍّ ... وَيَا إرْثَ قَهْرِ دُعَاةِ النِّضَالْ
ظَمِئْنَا فَجَاءَ الشَّرَابُ حَمِيماً ... وَقَالُوا لَنَا: فَارَ نَبْعٌ زُلالْ
هَلُمُّوا بَنِي يَعْرُبٍ نَتَلاقَى ... عَلَى مِحْنَةٍ حَارَ فِيهَا الْخَيَالْ
نُبَايِعُ أجْهَرَ صَوْتٍ وَنَمْضِي ... عَلَى إثْرِهِ دُونَ أدْنَى سُؤَالْ

حُزَيْرَانُ يَا ذُرَّةً لِلْيَهُودِ، ... وَلِلْعُرْبِ عَاراً وَسِيعَ الْمَجَالْ

قَتَلْتَ بِنَا زَهْوَةَ الْفَاتِحِينَ ... وَأنْشَأْتَ صَرْحاً لِذُلٍّ عُضَالْ

وَقَلَّبْتَنَا فَوْقَ جَمْرِ الطُّغَاةِ ... لِنَهْتِفَ كَالْبُهْمِ: يَا ذَا الْجَلَالْ!

أطلّ عُمْرَ مَنْ حَمَّلُونَا الشَّقَاءَ ... وَكَانُوا الْمَهَازِيمَ يَوْمَ النِّزَالْ

وَمَاتَتْ صَرَامَةُ شَعْبٍ أَبِيٍّ ... وَذَلَّتْ كَرَامَاتُ عَمٍّ وَخَالْ

وَبِتْنَا مِنَ الْحَيْفِ كَالإِمَّعِينَ ... نُبَايِعُ كَالْبُلْهِ أخْسَا رِجَالْ

غُلِبْنَا عَلَى أمْرِنَا فَاسْتَطَارَتْ ... شُرُورٌ، وَقُطِّعَ حَبْلُ الْوِصَالْ

وَصَارَ التَّفَرُّقُ صِبْغَةَ شَعْبٍ ... وَأضْحَى الْحَرَامُ لَدَيْهِ حَلَالْ

فَيَا تَعْسَ مَنْ أَوْصَلُونَا لِهَذَا ... وَيَا بُؤْسَ جِيلِ الْهَوَى وَالْخَيَالْ

* * * *

حُزَيْرَانُ فِيكَ أَقَامَ الْيَهُودُ ... صُرُوحاً مِنَ الزَّهْوِ فِعْلاً وَقَالْ

وَنَحْنُ هَدَمْنَا صُرُوحَ الْجُدُودِ ... وَبِتْنَا نُصَارِعُ أسْوَأَ حَالْ

شَبِعْنَا شِعَارَاتِ لَيْلٍ طَوِيلٍ ... وَلَمْ يَبْقَ فِينَا زَعِيمٌ طُوَالْ

وَصِرْنَا أضَاحِيكَ أهْلِ الزَّمَانِ ... وَكُنَّا بَنِي قُدْمَةٍ وَاحْتِمَالْ

* * * *

حُزَيْرَانُ يَا ذِلَّةَ الْيَعْرُبِينَ ... وَيَا نَزْفَ قَلْبٍ أَمَضَّ وَطَالْ

بِسِتٍّ مَضَتْ مِنْكَ أَضْحَى الْعَرِينُ ... خَوَاءً وَطَاشَتْ فُنُونُ الْقِتَالْ

بَكَيْنَا شَكَوْنَا بِكُلِّ اللُّغَاتِ ... وَذُقْنَا مَرَارَةَ ذُلِّ السُّؤَالْ

وَبَاتَ الصَّدِيقُ عَدُوّاً وَصِرْنَا ... ألَاعِيبَ لَمْ نَجْنِ غَيْرَ الْوَبَالْ

فَقُلْ لِلْبُغَاةِ، وَإنْ طَالَ لَيْلٌ، ... سَيَبْزُغُ فَجْرٌ بَهِيُّ الْجَمَالْ

وَيَنْهَزِمُ الْبُطْلُ وَالْمُبْطِلُونَ ... وَيَعْلُو الْجِهَادُ وَيَهْوِي الضَّلَالْ

* * * *



رسالة إلى الربشاة

عباس شعيب حسن

تسربلي من عقودِ الفخرِ سِربالاً ... وبلِّغي عنيَ الأجيالَ أقوالا
رسالتي من صميم القلب أكتبها ... يخط فيها يراعي اليوم آمالا
أنجبتِ للمجد سلطاناً يذاد به ... عن الخطوب، بلى أنجبت رئبالا
بلالنا - يا رعاك الله من بطل - ... الصبر في أرضكم قد صال أو جالا
رمضاء مكة في الأكوان شاهدة ... أن العناءَ من الأبطال ما نالا
معذَّب في لهيب الحر، مُفترِشٌ ... صخراً شديد اللظى والعزم ما زالا
فيا أميَّةُ! ماذا ذنب صاحبنا: ... آبقٌ أم إلى الأرزاء قد مالا
أم نال من عرض سادات ومزَّقه ... أم قد مضى في دروب الأمن قتالا؟
فقال كلاًّ!! ولكن صابئٌ عَمِهٌ ... قد راح يتبع أوباشاً وضلالا
قد أنكر اللات والعزى وثلَّمها ... وعاب أربابه.. والزيف ما قالا
ألا فزيدوه ضرباً كي يعود إلى ... ديانة القوم أو زيدوه أثقالا
فردٌ وحيد وفذٌّ في السما أبداً ... فلترسموا في ثنايا الظهر أدغالا
أو فاضربوني إلى أن ترتووا بدمي ... أو مزقوني أشلاءً وأوصالا
تقارب الموت من روح الفتى ودنا ... فجاءه النصر واستبقاه آجالا
يقول بدر الدُّنا الصديق في أسف: ... سأشتري منك هذا العبد إجلالا
دعوا أخانا لوجه الله منطلقاً ... من الإسار وفكوا عنه أغلالا
فصار للأمة العظمى مؤذنَها ... وصار أسيادُه الأغرار أذيالا
حتى مشى في جنان الخلد موطئُه ... لأنه كان للخيرات فَعَّالا
الله أكبر - يا ضُلَّال - رايتنا ... والله أكبر إكثاراً وإقلالا
هيا بنا للذرا يا شعر في ألق ... تاريخنا ممطر عزماً وأبطالا
نقي تماماً بنصر الدين أمتنا ... إن أكثر البغيُ إيغالاً وإدخالا
مهما استطالت ليالي الرعد قاصفة ... وأوقف الناسُ إدباراً وإقبالا
سينجلي الغيم حتماً بعد ساعته ... ويمتطي الوردُ ظهرَ الروض خَيَّالا

نص شعري

من البلقان إلى الشيشان

مشبب بن أحمد القحطاني

مشاهدُ القتلِ والتشريدِ تُبكيني ... وجذوةٌ من لهيبِ الحزنِ تكويني

وجحفلُ الهمِّ لا عزمٌ يُدافعه ... وغادر الرَّمي يُدميني ويُرديني

وأعصب الرأسَ بالآلام مُتَّشِحاً ... أُساهر الليلَ والآمالُ تُضنيني

يا أصدقَ الشِّعرِ هلاّ قُلتَ قافيةً ... تَبُثُّ همِّي وتَروي ما يُعزِّيني

أترجم الشِّعر من فِكري إلى قلمي ... وأكشفُ اليومَ آهاتي ومكنوني

أُمسي وأُصبِحُ في حُزنٍ يُصارِعُني ... فحالُ أُمتنا في البُؤْسِ يشقيني

أُسائلُ النّاس ما بالُ الجِهادِ غدا ... في مُعجَمِ العصرِ (إرهاباً) و (لا ديني)؟!

أضحى الشموخُ الذي عِشْنا به حِقَباً ... مُمَرَّغاً بالأسى في الوحلِ والطِّينِ

عَلامَ يا أُمَّتي ضلَّتْ مسالكُنا؟ ... نَهيمُ في مَهْمَهٍ مثلَ المَجانينِ

يا رحمةَ اللهِ هَلْ في الأمرِ من فَرَجٍ؟ ... وهَلْ سبيلٌ إلى عِتْقٍ من الهُونِ؟

(كشميرُ) تبكي وفي (الشيشان) ملحمةٌ ... وصرخةٌ من رُبَى (البلقان) تُشْجِيني

و(كابلٌ) أصبَحت مثلَ (البَسوس) أسىً ... ولم يَزَلْ راعفاً جُرحي الفلسطيني

تأبَّطَ الكُفْرُ سَيفَ الظُّلمِ فانحسَرَتْ ... مبادئُ العَدْلِ من جَوْرِ المَوازينِ

يا أُمَّةً لم تَزل في التيهِ ضائعةً ... في حمأةِ الضُّرِّ من كيدِ الشَّياطِينِ

أينَ الملايينُ في أعدادِ أُمَّتِنا؟ ... أينَ الحَمِيَّةُ والإخلاصُ للدينِ؟

أينَ الكُماةُ حُماةُ الحقِّ لم أرَهم؟ ... أليسَ (مُعتَصِمٌ) فيهم يُواسيني؟

لو قامَ منّا (صلاحُ) الحقِّ لانطلقتْ ... كتائبُ الفتحِ في عِزٍّ وتَمْكينِ

أما تَرَوْنَ بِناءَ الدِّينِ كيفَ هَوى! ... يَهُدُّه معولٌ من كفِّ مأفونِ

وبينما سرتُ والليلُ البئيسُ معاً ... أُحادثُ النَّفسَ والآلامُ تُعييني

رأيتُ للفجرِ ثوباً مسفراً ألِقاً ... ومَفْرِقُ الصُّبحِ وضّاءٌ يُناديني

العَوْدُ أحمَدُ والنَّصرُ المُبينُ أتى ... ومَوكِبُ الحقِّ للعلياءِ يَدْعُوني



البعد الإستراتيجي للحركة النبوية

في مواجهة الروم والتمهيد لفتح بلاد الشام

د. محمد أمحزون(*)

عالمية الدعوة:

مما لا ريب فيه أن النشاط الحربي والسياسي والاقتصادي في العهد المدني كان مرتبطاً بالدعوة الإسلامية.

والدعوة منذ أيامها الأُوَل كانت واضحة المعالم بأنها دعوة عالمية غايتها إقامة حكم الله في كل الأرض.

وإن نظرة سريعة في القرآن المكي بشكل عام تؤكد ذلك بوضوح، قال - تعالى -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]. وقال - تعالى -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقد باشر النبي ﷺ عمله في المجال العالمي مع مطلع السنة السابعة للهجرة حينما أرسل رسله يحملون كتبه إلى الملوك والأمراء(١).

وجدير بالإشارة أن بلاد الشام كانت ضمن الإطار الحيوي للأمة الإسلامية الناشئة، ولا بد من الربط بين الوجود الإسلامي القديم في الشام (مسرى الأنبياء، المسجد الأقصى) وبين إيصال الدعوة إلى الناس في تلك البلاد.

تأمين طرق المواصلات إلى الشام بفتح خيبر ووادي القرى:

على أن سياسة الرسول ﷺ بهذا الصدد كانت قائمة على فهم عميق لهذه العوامل الدينية والتاريخية، مع تفهم واضح وواقعي للظروف السياسية والقبلية - كما سنرى - ونهج سياسة حكيمة وخطة ناجحة في تأمين طرق المواصلات إلى الشمال.

وقد كانت نقطة البدء في هذه الخطة هي إخضاع معاقل يهود في خيبر، من منطلق وقوعها على إحدى

(*) أستاذ التاريخ، جامعة مولاي إسماعيل، المغرب.

(١) انظر: البخاري في الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب كُتُب النبي ﷺ، إلى كسرى وقيصر، ج ٥، ص ١٣٦، ومسلم: الجامع الصحيح (بشرح النووي)، كتاب الجهاد، باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار، ج ١٢، ص ١١٢.

الطرق المؤدية إلى بلاد الشام، ولدور هؤلاء في حشد الأعراب ـ مثل غطفان وبني فزارة ـ وقريش ضد المسلمين، وكونهم مصدراً هاماً من مصادر الميسرة والدعم الاقتصادي والسياسي لمشركي قريش وحلفائهم من الأعراب(١).

ويضاف إلى خيبر صلح رسول الله ﷺ مع أهل فدك وأهل تيماء وفتحه لوادي القرى(٢)؛ مما يدل على وضوح سياسته في إصراره على تأمين طريق الشام استراتيجياً وتجارياً. وتتضح أهمية هذه المراكز في الغزوات اللاحقة إلى الشمال.

ولا شك أن اهتمام النبي ﷺ بطريق الشام والواحات الشمالية يمكن أن يُفهم في ضوء التطورات الجديدة؛ ليس فقط بسبب صلح الحديبية والتفرغ للمناطق الشمالية، وإنما أيضاً فيما يتعلق بعودة الحكم البيزنطي إلى الشام بصورة خاصة؛ حيث أصبح المسلمون في مواجهة البيزنطيين لأول مرة(٣).

وعلى الرغم من انشغال النبي ﷺ بعمرة القضاء(٤)، ومواجهة مشاكل بعض القبائل العربية التي كانت تتربص بالمسلمين الدوائر من: بني مُرّة وبني فَزارة وبني القُشير(٥)، فقد ظلت طريق الشام تشغل حيّزاً هاماً في خطّته ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ إذ حاول أن يوطّد علاقاته بفروع من جُذام؛ حيث أعطى كتاباً بالأمان لرهط رافعة بن زيد الجذامي الذي قدم عليه في هدنة الحديبية قبل خيبر(٦)، واتصل بفروة بن عمرو الجذامي الذي كان عاملاً لقيصر على عَمّان من أرض البلقاء، وقد دخل في الإسلام وسجنه الروم(٧).

استطلاع الأوضاع في الشام بإرسال السرايا:

ويبدو أن النبي ﷺ: «بدأ بمحاولة استطلاع الأوضاع في الشام بعد عودة السيطرة البيزنطية مباشرة»(٨).

وعلى هذا الأساس يمكن فهم إرساله سريّة بقيادة عمرو بن كعب الغفاري على رأس خمسة عشر فارساً إلى ذات أطلاح في الشام(٩).

والواقع أن خبر هذه السريّة يدلّ بوضوح على تتبّع الرسول ﷺ لأخبار الروم في الشام؛ حيث إن جيش فارس انسحب من الشام وسلم الإدارة للروم البيزنطيين في شهر حزيران (يونية) سنة ٦٢٩م الموافق شهر صفر سنة ٨ هـ، بينما أُرسلت سرية ذات أطلاح بعد ذلك مباشرة في شهر ربيع الأول سنة ٨ هـ. ولم يكن

---

(١) موسى بن عقبة: المغازي، ص ٢١٦، ٢١٧، ٢٥٤، والواقدي في المغازي، ج ٢، ص ٦٤٠، ٦٤٢، وابن هشام: السيرة، ج ٣، ص ٢٣٦.

(٢) موسى بن عقبة: المغازي، ص ١٧٩، وابن هشام: السيرة، ج ٣، ص ٣٩١، ٤٠٨، وخليفة: التاريخ، ص ٨٣، ٨٥.

(٣) أحمد الشبول: علاقات الدولة الإسلامية في العصر النبوي مع بلاد الشام وبيزنطة، ص ٧.

(٤) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، ج ٥، ص ٨٤ ـ ٨٥، ومسلم في الجامع الصحيح (بشرح النووي)، باب استحباب الرمل في الطواف، والعمرة، ج ٩، ص ١٠.

(٥) موسى بن عقبة: المغازي، ص ٢٤٥، والواقدي: المغازي، ج ٢، ص ٧٢٧ ـ ٧٣٠. وخليفة: التاريخ، ص ٧٧ ـ ٧٨.

(٦) ابن هشام: السيرة، ج ٤، ص ٢٦٧، والطبري: التاريخ، ج ٣، ١٤٠.

(٧) ابن سعد: الطبقات، ج ١، ص ٢٨١.

(٨) أحمد الشبول: علاقات الدولة الإسلامية، ص ٧.

(٩) موسى بن عقبة: المغازي، ص ٢٦٣، والواقدي: المغازي، ج ٢، ص ٧٥٢ ـ ٧٥٣، وابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ١٢٧.

إرسالها مجرد مصادفة، ومن الواضح أن هدفها لم يكن القتال؛ لأن عدد أفرادها لم يتجاوز خمسة عشر رجلاً، وإنما كان غرضها استطلاعياً[1].

غزوة مؤتة ومواجهة الروم البيزنطيين:

ولا شك أن تزايد اهتمام الرسول ﷺ بالشام يتضح من إرساله جيش مؤتة بقيادة زيد بن حارثة على رأس ثلاثة آلاف مقاتل[2].

وتُعدّ غزوة مؤتة أول وقعة يصطدم فيها المسلمون بالبيزنطيين مباشرة؛ فقد كانت في جمادى الأولى سنة ٨ هـ[3] أي بعد ذات أطلاح بشهرين.

وينبغي إدراك أهمية هذه الغزوة من عدد الجيش؛ فهذا أكبر جيش يُسيِّره النبي ﷺ إلى أيّة جهة كانت حتى ذلك الوقت.

كما يبدو من هذه الغزوة تصميم المسلمين على مواجهة الروم وحلفائهم من متنصِّرة العرب بالشام، وقد كان من بين القبائل المحالفة للروم: بَهراء، ووائل، وبَكر، ولخم، وجُذام، وبلِّي[4].

وقد وصل جيش المسلمين إلى منطقة مُعَان من بلاد الشام[5]، ومعنى هذا أن القبائل في الطريق من المدينة إلى مؤتة كانت موادعة للمسلمين، كما أن عودته إلى المدينة تدلّ بوضوح أن الطريق إلى بلاد الشام قد أصبحت مفتوحة أمام المسلمين[6].

وتتجلى أهمية مؤتة باعتبارها أول معركة هامة بين المسلمين من جهة، والروم وحلفائهم من القبائل العربية في الشام من جهة ثانية، فيما تذكره المصادر البيزنطية والأرمنية[7].

وقد أفاد المسلمون دروساً وخبرة من هذا اللقاء الأول مع الروم في مستقبل جهادهم معهم؛ حيث تعرفوا على عددهم وعُدَّتهم وخططهم العسكرية وطبيعة الأرض التي وقع فيها القتال[8].

ويبدو أن النبي ﷺ أدرك بعد مؤتة ضرورة الحذر والتريث، ومن هنا وجّه بعد ذلك مباشرة سرية بقيادة عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ المعروف بحنكته وتأنِّيه، وقد وصلت هذه السرية إلى ذات السلاسل في أطراف الشام في جمادى الثانية سنة ٨ هـ[9].

---

(١) أحمد الشبول: علاقات الدولة الإسلامية، ص ٧.

(٢) الطبري: التاريخ، ج ٢، ص ١٠٧، وقال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني ورجاله ثقات إلى عروة، ج ٦، ص ١٥٧ ـ ١٥٨.

(٣) موسى بن عقبة: المغازي، ص ٢٦٤، وخليفة: التاريخ، ص ٨٦.

(٤) ابن هشام: السيرة، ج ٣، ص ٤٢٩.

(٥) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٢٩.

(٦) أحمد الشبول: علاقات الدولة الإسلامية، ص ٧.

(٧) ثيوفانيس (Theophones) Chronogfophia (الترجمة الإنجليزية الجديدة)، ص ٣٦ وسيبيوس الأرمني (Seboes) تاريخ هرقل (الترجمة الفرنسية)، ص ٩٤.

(٨) أكرم العمري: السيرة الصحيحة، ج ٢، ص ٤٧٠.

(٩) موسى بن عقبة: المغازي، ص ٢٦٧، وابن هشام: السيرة، ج ٤، ص ٢٩٨، وابن سعد: الطبقات، ج ٢، ص ١٣١.

لماذا غزوة تبوك؟

على أن أهم غزوة قادها الرسول ﷺ على الإطلاق كانت غزوة تبوك، وهي باتجاه الشام أيضاً. فمن حيث العدد بلغ الجيش ـ حسب ما ذكرته المصادر ـ قرابة ثلاثين ألفاً[١]. ومن حيث المدّة استغرقت هذه الغزوة قرابة شهرين (رجب ـ شعبان سنة ٩ هـ)[٢]، منها عشرون يوماً أقامها المسلمون في راحة في تبوك نفسها[٣].

ولكن تبقى الأسئلة الرئيسة: لماذا هذه الغزوة بهذا الحجم الكبير؟ ولماذا تبوك بالذات؟ وهل كان هدفها غزو الروم فعلاً؟ ولماذا أقام النبي ﷺ عشرين يوماً في تبوك نفسها، وهي أطول مدة يقيمها جيش إسلامي في عهد الرسول ﷺ في موقع واحد؟

لقد كان النبي ﷺ حريصاً على توجيه المسلمين إلى جبهة الشمال التي تُعدّ في غاية الأهمية بالنسبة للمسلمين لأسباب تاريخية ودينية كما أسلفنا.

يضاف إليها كون الشام موطناً لقبائل عربية كثيرة تربطها بعرب الحجاز ونجد وتهامة صلات نسب، وعلاقات تجارية وثقافية[٤].

ومن الناحية الاقتصادية والجغرافية تظهر أهمية تبوك في كونها واحة كبيرة على طرف الشام، وأهم محطة وراء خيبر وتيماء وفدك ووادي القرى، ومن الناحية الاستراتيجية، فهي تشكّل مركزاً هاماً يمكن الاتصال منه بمراكز كثيرة في الشمال، كما حصل فعلاً أثناء الغزوة[٥].

الإنجازات التي حققتها غزوة تبوك:

ويبدو أن الإنجازات التي حققتها هذه الغزوة ضمن خطة النبي ﷺ العامة: جمعت بين الدبلوماسية والنشاط الحربي، فكانت تقوم بالدرجة الأولى على كسب القبائل العربية وتأمين طرق المواصلات دعوياً وتجارياً.

وبصدد هذه السياسة سعى النبي ﷺ بصورة مستمرة لكسب قبائل قُضاعة من بَلِيّ وعُذرة وبَلقين وغيرها على امتداد طريق الشام. واتصل في هذه الغزوة بالذات ببطون وعشائر متعددة من هذه القبائل وغيرها كسعد وهُذيل وطيء[٦].

إلا أن أهم إنجازات غزوة تبوك تتمثل في إقامة علاقات وطيدة مع عدد من المراكز الاستراتيجية في جنوب الشام ومنها كتب الصلح، وهي دُومة الجندل وأَيلة ومَقْنا وأَذْرُح. فقد بعث النبي ﷺ أثناء إقامته في تبوك خالد ابن الوليد إلى أُكَيْدِر بن عبد الملك صاحب دُومَة الجندل ـ وكان نصرانياً ـ فأخذه خالد أسيراً[٧] فصالح المسلمين على حيازتهم للسلاح والخيل، ولهم أشجار النخيل التي معهم في المصر، وموارد المياه الظاهرة مثل العيون[٨].

---

(١) الواقدي: المغازي، ج ٣، ص ٩٩٦، وابن سعد: الطبقات، ج ٢، ص ٢٧٧.

(٢) ابن هشام: السيرة، ج ٤، ص ١٦٩، وابن سعد: الطبقات، ج ٢، ص ١٦٥.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف، رقم ٤٣٣٥، ج ٢، ص ٥٣٢، وأحمد في المسند، ج ٣، ص ٢٩٥.

(٤) أحمد الشبول: علاقات الدولة الإسلامية، ص ٩.

(٥) المرجع السابق، ص ٩.

(٦) الواقدي: المغازي، ج ٣، ص ١٠١٧، ١٠١٩، ١٠٢٧.

(٧) موسى بن عقبة، المغازي، ص ٢٩٧، وابن سعد: الطبقات، ج ٢، ص ١٦٦.

(٨) أبو عبيد: الأموال، ص ٢٠٨، والبلاذري: فتوح البلدان، ص ٨٠، وابن حجر تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير رقم ٢٣٠١، ج ٤، ص ٢٢٥.

وفكرة نزع السلاح من مثل هذه المجموعة ـ التي كانت على اتصال بالبيزنطيين، ولا يطمئن المسلمون إلى ولائها ـ تبدو مسألة طبيعية؛ إذ كان من أهم الأهداف التي سعى النبي ﷺ لتنفيذها من زحفه لتبوك، هو تأمين حدوده الشمالية ضد أي تحركات عدوانية من قِبَل الروم أو الدويلات الخاضعة لهم على الحدود. وقد يكون نزع السلاح إحدى الوسائل لتحقيق هذا الهدف(1).

علماً بأن دُومة الجندل ستصبح قاعدة هامة للانطلاق في المرحلة التالية من فتح الشام.

أما أَيْلة فهي موقع هام على ساحل البحر الأحمر مما يلي الشام في اتجاه العقبة(2)، وقد كاتب النبي ﷺ أهل أيلة يدعوهم إلى قبول الإسلام أو دفع الجزية، فجاءه ملك أيلة يوحنا بن رؤبة متحدثاً باسم بلدته أيلة، فكتب له الرسول ﷺ كتاب الصلح؛ يدفع بموجبه أهل أيلة الجزية، ويتعهد لهم المسلمون بالحماية(3).

وفي هذا إشارة واضحة إلى أن المسلمين هم سادة الموقف في المنطقة الممتدة حتى خليج العقبة(4).

ويظهر من كتاب الصلح مع أيلة التركيز على النواحي الدعوية: «فإني رسول الله بالحق»(5) والاستراتيجية: «فإن أردتم أو يأمن البحر والبحر، فأطع الله ورسوله»(6)، والاقتصادية: «ورسل رسوله أكرمهم واكسهم كسوة حسنة»(7).

وللإشارة فإن موقف الرسول ﷺ كان يتسم بالحلم والمعاملة الحرة الكريمة، حتى يمكن وصف صلحه مع أيلة بأنه تحرير لها: «ويمنع عنكم كل حق كان للعرب والعجم إلا حق الله وحق رسوله»(8).

كما أن قول الرسول ﷺ ليوحنا بن رؤبة عندما انحنى له هذا الأخير: «ارفع رأسك»(9)، لهو قول ذو دلالة بالغة من الناحية الدينية، ولا شك أن ذلك كان له أثر في نفوس نصارى العرب في الشام، وفي موقفهم من العرب المسلمين فيما بعد إبّان الفتوح.

أثر الخطة النبوية في فتح بلاد الشام:

ويتضح من شروط الصلح مع هذه المراكز وغيرها مثل أَذْرح ومَقْنا الحرص على الحصول على السلاح والكُراع والمال والعون فيما يتعلق بالمواصلات والأخبار(10)، وتأمين طرق المواصلات للمسلمين(11)، وكل هذه الأمور هامة لمستقبل فتح الشام.

---

(1) عون الشريف قاسم: نشأة الدولة الإسلامية على عهد رسول الله ﷺ، ص ٢١٦.

(2) ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٩٢.

(3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الزكاة، باب خرص التمر، ج ٢، ص ١٣٢، ومسلم في الجامع الصحيح (بشرح النووي)، كتاب الفضائل، ج ١٥، ص ٤٢ ـ ٤٤، وابن أبي شيبة المصنف في الأحاديث والآثار، ج ١٤، ص ٥٤٠.

(4) أحمد الشبول: علاقات الدولة الإسلامية، ص ١٠.

(5، 6) ابن سعد: الطبقات، ج ١، ص ٢٧٧.

(7) أبو عبيد: الأموال، ص ٢١٢، وابن حجر: المطالب العالية، رقم ٢٦٣١.

(8) ابن سعد: الطبقات، ج ١، ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨، ومحمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي، رقم ٣٠، ص ١١٦.

(9) ابن سعد: الطبقات، ج ١، ص ٢٩٠.

(10) في هذا الشأن يذكر المؤرخ البيزنطي ثيوفانس أن بعض العرب قد ساعدوا جيشاً في أيام محمد ﷺ على الوصول إلى جنوب فلسطين، كما أن هؤلاء العرب أيضاً ساعدوا جيوش أبي بكر بنفس الطريقة. Chranagfophia (الترجمة الإنجليزية)، ص ٣٦.

(11) أحمد الشبول، علاقات الدولة الإسلامية، ص ١٠.

وستتضح عناصر هذه الخطة في الغزوات التالية؛ ذلك أن النبي ﷺ بعد أن نظم شؤون المسلمين في شبه الجزيرة العربية، ورتَّب أعمال الصدقات، وأوضح للناس أمور دينهم في حجة الوداع، وجّه همّه بعد ذلك إلى إرسال جيش كبير إلى الشام مرة أخرى، وهو الجيش المعروف بجيش أسامة(1).

وليس من قبيل المصادفة أن يصر النبي ﷺ على إنفاذ جيش أسامة وهو على فراش الموت، وأن أبا بكر - رضي الله عنه - لم يخالجه أدنى شك في وجوب إنفاذ ذلك الجيش إلى الشام رغم الأخطار التي سببتها ردّة بعض القبائل العربية(2).

ومرجع ذلك أن جيش أسامة ما هو إلا حلقة في سلسلة من الغزوات والسرايا الموجهة إلى الشام نتيجة خطّة بعيدة المدى قائمة على فهم عميق للظروف الراهنة سواء كانت إقليمية (قبلية) أو دولية (بيزنطية).

ومن المعلوم أن الرسول ﷺ كان قد كتب إلى ملوك وأمراء عصره، ومنهم هرقل ملك الروم الذي راسله مرتين؛ المرة الأولى بعد الحديبية(3)، والثانية أثناء مقامه بتبوك(4).

ويشير المؤرخ سيبيوس الأرمني - الذي عاش في النصف الأول من القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي - إلى مراسلة الرسول ﷺ لهرقل، ويضيف أن محمداً ﷺ وأصحابه طلبوا من الروم التخلي عن أراضي العرب وميراث أبيهم إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - بالشام(5).

ولا شك أن حادثة مؤتة تركت صداها عند البيزنطيين؛ حيث شعروا بقوة المسلمين فعلاً منذ تلك الوقعة، ومنذ غزوة تبوك بالذات وبعث أسامة - رضي الله عنه -، وليس منذ أيام أبي بكر - رضي الله عنه - فقط. وأنهم اعتبروا أن فتح الشام قد بدأ فعلاً أيام الرسول ﷺ(6).

وهذا ما تؤيده الدراسة المتأنية للمصادر الإسلامية، ولخطط الرسول ﷺ تجاه الشام بشكل عام، مما ينبئ أن فتح الشام لم يبدأ مصادفة في عهد أبي بكر - رضي الله عنه -، وإنما بدأ منذ أيام النبي ﷺ، واكتمل بعد ذلك في عهد أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -.

وبهذا يتقرر أنَّ ما تربى عليه المسلمون من عالمية هذا الدين منذ العهد المكي، لم يكن مجرد فكرة، وإنما هو من سمات هذه الدعوة وخصائصها، لا بد من تحقيقها على أرض الواقع، ولم يلتحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى حتى كان العرب جميعاً قد دانوا بالإسلام، وحتى وضعت الدعوة خطوات ثابتة ومدروسة في طريق التبليغ العالمي.

---

(1) انظر البخاري في الجامع الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب زيد بن حارثة، ج 4، ص 213، ومسلم في الجامع الصحيح (بشرح النووي) وكتاب فضائل الصحابة، باب فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد، ج 15، ص 195 - 196.

(2) أخرجه سعيد بن منصور في السنن، رقم 2890، ج 2، ص 217 - 218.

(3) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب حدثنا أبو اليمان، ج 1 ص 68، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب كُتُب النبي ﷺ إلى هرقل، ج 12، ص 103.

(4) طرف منه في الجامع الصحيح للبخاري، كتاب بدء الوحي باب حدثنا أبو اليمان، ج 1، ص 7، وأخرجه أحمد في المسند، ج 3، ص 441، وقال ابن كثير في السيرة: هذا حديث غريب، وإسناده لا بأس به، تفرّد به الإمام أحمد، وأورده الهيثمي في موارد الضمآن بسند صحيح رقم 1628، وقال في المجمع: رواه عبد الله بن أحمد وأبو يعلى ورجال أبي يعلى ثقات، ورجال عبد الله بن أحمد كذلك، ج 8، ص 234 - 236.

(5) سيبيوس: تاريخ هرقل (الترجمة الفرنسية)، ص 94 - 95.

(6) الشبول: علاقات الدولة الإسلامية، ص 11.



ندوة حول المستقبل الاقتصادي

طوفان العولمة واقتصاديات الأمة الإسلامية

(١ـ٢)

إعداد: وائل عبد الغني

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .. وبعد:

فقد تحدث الناس قديماً عن العنقاء ـ بوصفها إحدى المستحيلات ـ ذلك الطائر الغريب الأطوار .. الضخم الذي يضرب بجناحه المدينة الكبيرة.

وحديثًا تحدث الناس عن العولمة باعتبارها واقعاً، ورأوا فيها ذلك المستحيل القديم .. تلك القضية المثيرة للجدل التي تتكرر فيها قصة العميان والفيل مع فارق أن فيلنا متناهٍ في الضخامة والتعقيد والشراسة .. وعمياننا ضعفت لديهم سائر قوى الإدراك .. وقلَّ أن تجد معنى في بطن شاعر .. وعز من يداوي..!

وفي ندوتنا هذه نتناول الجانب الاقتصادي للعولمة، والذي لا نقول: إنه الأخطر ولكنه بحق من أخطر الجوانب.

والأمر الذي نريد بلوغه وإبلاغه هو تصورٌ لمستقبل هذه الأمة الممتحنة في ظل هذا الخطر.

لا نزعم أنا سنتناول كل شيء عن القضية .. ولكن حسبنا أن ننصب الأقدام على الطريق الصحيح .. ونخطو عليه خَطْوات، ونرتقب الرافد من بعد. نحن على ثقة أن المستقبل بيد الله ـ تبارك وتعالى ـ وهو ـ سبحانه ـ يداول الأيام بين الناس .. ثقتنا هذه هي لب زادنا ونحن نسعى لأن نقدم لأمتنا ولأنفسنا كما أمرنا ربنا.

معنا في ندوتنا هذه أربعة من خيرة الاقتصاديين المتخصصين:

- **الأستاذ. يوسف كمال، أستاذ الاقتصاد الإسلامي غير المتفرغ بكلية التجارة جامعة عين شمس ـ الدراسات العليا.**
- **الدكتور/ عبد الرحمن يسري، رئيس قسم الاقتصاد الإسلامي بجامعة الإسكندرية.**
- **الدكتور/ عبد الحميد الغزالي، أستاذ الاقتصاد بجامعة القاهرة.**
- **الدكتور/ رفعت العوضي، أستاذ الاقتصاد بجامعة الأزهر.**

والضيوف الكرام أصحاب إسهامات قوية في مجال الاقتصاد الإسلامي كما أن لبعضهم كتابات متنوعة أخرى في التفسير والمنهجية والحضارة.

نبدأ ندوتنا عن العولمة بوصفها مصطلحاً.. فماذا يعني هذا المصطلح في حقيقته وفق نظرة موضوعية مدققة؟

د. عبد الرحمن يسري:

قضية العولمة قضية من أعقد قضايا العصر؛ فهذا المفهوم ظهر في الحقبة الأخيرة، وحاول أنصاره أن يروِّجوا لفكرة أن العالم أصبح قرية واحدة، بينما رأى غيرهم أنه في سبيله لأن يصبح تلك القرية، ورأى فريق ثالث أنه لن يصبح كذلك أبدًا، كما كثر الجدل حول حيادية هذه الفكرة ومصداقيتها.

وتحريًا للموضوعية علينا أن نبحث في المضمون حتى يمكننا استخلاص صياغة تقربنا من فهم العولمة.

هذا المصطلح ظهر من خلال الأطر الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية التي تعكس تجربة العالم الغربي التاريخية والحضارية واتجاهاتها المستقبلية. وإذا كنا سنتناول هذه القضية من شقها الاقتصادي - كما هي طبيعة الندوة - فإني لا أزعم أن الشق الاقتصادي هو أهم الجوانب، وإنما بمنظورنا الإسلامي يجب أن يلحق البعد الاقتصادي دائمًا بأبعاده العقدية والاجتماعية والسياسية والثقافية.

وحتى لا نسهب أكثر يمكن أن نستخلص مفهومًا اقتصاديًا للعولمة من خلال كتابات أنصار العولمة في الفكر الغربي؛ حيث تعني: «تحرر العلاقات الاقتصادية القائمة بين الدول من السياسات والمؤسسات القومية والاتفاقات المنظمة لها بخضوعها التلقائي لقوى جديدة أفرزتها التطورات التقنية والاقتصادية تعيد تشكيلها وتنظيمها وتنشيطها بشكل طبيعي على مستوى العالم بأكمله وجعلها وحدة واحدة».

ومن ثم فإن اقتصاديات بلدان العالم ستصبح بلا سياسات قومية، وإنما تخضع لنظام عالمي مسيَّر بقوانين طبيعية حتمية بما يحقق مصالح الجميع، وهذا هو ما يفهمونه أو ربما يريدونه في العالم الغربي الذي يقود قاطرة الحضارة في عصرنا الحاضر.

د. رفعت العوضي:

الدكتور عبد الرحمن حاول أن يقدم صياغة قريبة لمفهوم العولمة، ولكنها من حيث إنها مفهوم أو مصطلح - حتى في الغرب - ما زال يشوبه قدر كبير من الغموض .. هذا الغموض ربما ينتج من أن العولمة ما زالت في طور التشكُّل؛ حيث تقابل الصياغة الفلسفية بمشاكل تطبيقية ضخمة وغير متوقعة، وأرى أن من المهم هنا أن أربط بين العولمة باعتبارها فكرة وبين الرأسمالية باعتبارها نظرية؛ لأن العولمة تعني إخضاع العالم كله لطور من أطوار هذه الرأسمالية التي مرت بثلاث مراحل يمكن التمييز بينها:

المرحلة الأولى: رأسمالية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين: في هذه المرحلة كانت الرأسمالية تتسم بسمتين بارزتين:

الأولى: اعتمادها على استنزاف موارد الدول الأخرى من خلال الاستعمار.

والثانية: تغييبها العدالة الاجتماعية. وانعكس ذلك من خلال تركُّز الملكية في شريحة داخل المجتمع، ومن

تغييب الاهتمام بإعادة توزيع الدخل، وجعل علم الاقتصاد يدور محورياً حول التوازن.

المرحلة الثانية: مرحلة ما بعد قيام الثورة الشيوعية عام ١٩١٧م وحتى سقوطها عام ١٩٩٠م: وفي هذه المرحلة أخذت الرأسمالية في تهذيب أنيابها لتحافظ على وجودها في مواجهة المد الاشتراكي. في هذه المرحلة أعادت (الكينزية) دورًا للدول، كما طرح الاهتمام بقضية الفقر وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية. وهذه المرحلة شهدت حركة الاستقلال بعد نضال قاس ومرير من الدول التي كانت محتلة.

المرحلة الثالثة: ما بعد ١٩٩٠م حيث انفردت الرأسمالية بالسيطرة على العالم، وعادت إلى نهب موارد العالم الثالث من جديد؛ ولكن النهب هذه المرة لم يكن باستعمار مباشر وإن كان واردًا، وإنما من خلال منظومة فكرية ومؤسسات دولية، وهنا غاب البعد الاجتماعي بصورة أبشع. وتسويقاً للفكرة صدرت عدة كتب في الغرب ككتاب «نهاية التاريخ» لفوكوياما الذي حاول أن يوصل للعالم أن الإنسان في كل تجاربه التي مرَّ بها من حيث النظم التي ابتدعها وأخضع نفسه لها قد انتهى إلى نظام واحد هو النظام الليبرالي سياسيًا - الرأسمالي اقتصاديًا، ولعله حاول أن يقنن لواقع كان يصنع.

أ. يوسف كمال:

العولمة كغيرها من القضايا لا بد من أن أناقشها من زاوية كوني مسلمًا له رؤيته المستقلة ومنهجيته في تناول الأمور، وله عالمه الخاص بمنأى عن أي انتماء آخر سواء كان عالمًا ثالثًا أو غير ذلك، حتى وإن كانت هناك اتفاقات جوهرية. لهذا يروق لي جدًا أن نبدأ مناقشة العولمة من كتاب «صراع الحضارات» لهنتنجتون؛ لأن مؤلفه حدد بصراحة أن ما يواجه الغرب المسيحي إنما هو الإسلام.

والمتفحص للأحداث العالمية يجد أنهم لا يُحكمون الحصار إلا على العالم الإسلامي، ولذا نبدأ المسألة من كونها حربًا عقدية في الدرجة الأولى، وهنا نفهم القرآن ونستطيع أن نفهم حركة التاريخ فهمًا جيدًا فاعلاً.

في هذا الكتاب يشير مؤلفه إلى طبيعة المواجهة المقبلة؛ حيث يقول: إن عصر الحروب القومية انتهى، والعالم مقبل على حروب حضارات، وهو لا يعني بالحضارات مجرد الثقافات، وإنما يعني الأديان التي تشكل الحضارات، ويحصرها في ثلاث: الحضارة الإسلامية، والحضارة الغربية المسيحية، والحضارة الصينية الكنفوشيوسية، ثم يؤكد ويؤكد أن المواجهة الرئيسة ستكون مع الإسلام.

د. عبد الحميد الغزالي:

العولمة ليست مصطلحًا، وإنما اكتسبت هذا الانتشار وهذه الشهرة؛ لأن الغرب وأمريكا يحاولون أن يجدوا إطارًا لتنفيذ سياساتهم على العالم بعد انتهاء نظام القطبين، بعد أن أصبح العالم يسير وفق نظام دولي أحادي القطبية، ومن ثم فهي محاولة نقل ما هو محلي إلى بقية دول العالم، ليس في الاقتصاد وحده وإنما في السياسة والاجتماع والثقافة، وكأي ظاهرة يتعين أن ندرسها بموضوعية وبهدوء وبعمق، ولهذا أرى أن كتاب نهاية التاريخ وصراع الحضارات كلاهما مكمل للآخر. فالأول يبشر بسيادة النموذج الغربي، وبالذات في بُعده الأمريكي، والثاني يحذر من الحضارات الأخرى، ويقترح تآمريًا «الآخر» الجديد، بعد انهيار «الآخر» القديم، وهو الاتحاد السوفييتي السابق؛ وذلك بالتركيز على الحضارات الشرقية، وبالذات الإسلام.

وفي الحقيقة فإن صانعي العولمة لم يعنوا بعولمتهم نهاية التاريخ فحسب وإنما جعلوها خمس نهايات:

النهاية الأولى: نهاية التاريخ التي تعني سيطرة النموذج الرأسمالي على العالم بعد انتهاء الشيوعية.

والنهاية الثانية: نهاية الجغرافيا: وهو أمر مهم جدًا؛ لأن نهاية الجغرفيا تنقلني مباشرة إلى الشركات العملاقة التي تجاوزت الحدود الجغرافية والتي تعادل ميزانية إحداها ميزانية العالم الإسلامي بأسره!

والنهاية الثالثة: نهاية الدولة: وهذا يتم من خلال استخدام الشرعية الدولية للتدخل في شؤون الدول الأخرى وضرب السيادة الوطنية من قبل الناتو.

ثم النهاية الرابعة: - وهي أبشع - وهي نهاية الهوية: ومن ثم القضاء على الخصوصية بالنسبة للشعوب.

أما خامس النهايات: فهي نهاية الأيديولوجية «الدين»: وإحلال آلهة المادة ويقولون - أستغفر الله - بموت الإله!

هذه النهايات الخمس تشكل الأساس المذهبي للعولمة، ومن ثَمّ لنا أن نتصور كيف تكون العولمة المطروحة والتي تقابلها عولميتنا أو عالمية الإسلام، ومن ثَمّ فهي تستخدمها لذاتها.. ولمصالحها، بينما قامت عالميتنا لصالح البشرية جمعاء، نورًا وهدى للعالمين.

د. عبد الرحمن يسري:

كي تكتمل الصورة - وباعتبار العولمة هي بدعة غربية جديدة - علينا أن نفرق بين العولمة «Globalizaion» وبين التدويل «internationalism»، فالعولمة كما ذكر الدكتور عبد الحميد الغزالي تتجه إلى إلغاء كل السلطات الشرعية الوطنية وعلى رأسها سلطة الدولة التي عرفت في النظام السابق على العولمة وما زالت قائمة. وأود هنا أن أقول: إن النظام العالمي القائم على تشابك سلطات الدول المختلفة واتفاقها على إجراءات «مستقلة» من قبَل كل دولة قد بلغ شأوه في حقبة التسعينيات. وهذه هي ظاهرة التدويل. لقد نمت ظاهرة التدويل وشهدت تصاعدًا بعد الحرب الأوروبية العالمية الثانية؛ فقامت مؤسسات مختلفة ذات طابع دولي: الأمم المتحدة، ومجلس الأمن، وصندوق النقد، والبنك الدولي، واتفاقية الجات. هذه المؤسسات هيأت للعولمة ابتداءً، ثم هي الآن في طور تعديل برامجها وأهدافها ومواثيقها لتتماشى مع العولمة.

د. رفعت العوضي:

لا بد أن نبين أن العولمة ارتبطت بالفكر الأمريكي؛ لأن الولايات المتحدة هي التي تقود المدنية الغربية اليوم من خلال ذراعها القوي الذي يرهب العالم باسم الشرعية الدولية وسيطرتها على حلف الناتو، ومن خلال قيادتها لمجموعة الدول الصناعية السبع الكبرى استطاعت أن تفرض سياستها الاقتصادية على العالم، إضافة إلى فرض معاييرها وقيمها من خلال المنظمات الدولية وتفيرها الإعلامي، ومن خلال اتفاقية التجارة العالمية كذلك التي حولتها إلى منظمة ملزِمَة ولها سلطتُها على الجميع. ونذكر في هذا الصدد أن مصطلح النظام العالمي الجديد استخدمه لأول مرة (جورج بوش) الرئيس السابق للولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٩١م بعد حرب الكويت - العراق.

البيان: هذا يذكرنا بكلمة لأحد الكتاب: «إن الدولة التي لا تتصهين سياسيًا ولا تتعولم اقتصاديًا يكون مصيرها الحل العسكري» فالخيارات واضحة ومحددة ومعلومة للجميع، والأمثلة على ذلك معروفة تكاد

تنحصر في عالمنا الإسلامي! لكن هنا يجدر سؤال حول السرعة التي تسير بها العولمة وتنتشر وتتطور، لو قورنت بأي نظرية سابقة حتى قال عنها أصحابها: «ستدرككم العولمة ولو كنتم في بروج مشيدة!» مشبهًا إياها بالموت الذي يتجاوز كل الحصون، ومع أن العبارة تحمل نوعًا من المبالغة وربما الحرب النفسية، إلا أن الجميع يعترف بعموم بلواها مع أننا موقنون من هشاشتها بنسبة كبيرة ولذا لا بد من معرفة السر الذي ربما لم يعد سرًا.

د. عبد الرحمن يسري:

السر وراء هذه المقولات التي شاعت أخيرًا هو أن العولمة تمتلك قوى غير عادية لم تتوفر لأي مشروع من قبل، وأهم هذه القوى تتمثل في الأمور الآتية:

- حرية الاستثمار في أي مكان في العالم، وهذه الحرية اقترنت بحرية تحرك رأس المال الخاص دون قيود على مستوى العالم.

- حرية إقامة الصناعة في أنسب الأماكن لها في العالم بغض النظر عن الجنسية أو السياسة القومية لأي دولة.

- عالمية الاتصالات التي تعتمد على التقنيات المتطورة والأقمار الصناعية التي سهلت عملية انتشار الفروع وإمكانية إدارتها من أي مكان في العالم.

- عالمية المعلومات التي ترتبت على تطور تقنيات الكمبيوتر ووسائل الاتصال، وتوفر شبكات معلومات عالمية تخدم صناع القرار في كل المجالات.

- توحد النمط الاستهلاكي عالميًا، وإطلاق حرية المستهلك في اختيار مصدر شرائه؛ بحيث استطاعت العولمة أن تدخل أسواقًا جديدة وتنافس عليها دون عقبات.

هذه القوى أتاحت للعولمة الانتشار والسيطرة في ظل تهميش السلطات الوطنية؛ فحرية الاستثمار تعتمد على حرية رأس المال، وكلاهما يفتح الطريق أمام حرية إقامة الصناعات في أنسب مكان في العالم هذا المكان يتم انتقاؤه بعناية من خلال التراكم المعلوماتي وتقنيات الاتصال العالمية والتي من خلالها أيضًا يستطيع المستهلك العالمي التعرف على كل الخيارات.

أ. يوسف كمال:

تستخدم العولمة شعارين للسيطرة على العالم: شعار التحرير، وشعار التجديد؛ وشعار التحرير معناه فتح الأسواق دون قيود أمام حركة التجارة الخارجية.

ولتقوم الشركات الدولية بعمليات إغراق وتكتل واندماج يمكنها امتلاك السوق المحلية كليًا، ومن ثم القضاء على الصناعات المحلية في أي لحظة تريدها، وتدفقت رؤوس الأموال قصيرة الأجل لصناديق الاستثمار الدولية التي تملكها الشركات الاحتكارية ذات النشأة الدولية كما حدث في ماليزيا؛ حيث قام (سوروس) بلعبته وانهارت العملة، واتجهت العولمة بشراء المؤسسات هناك بثمن بخس تحت مسمى الإصلاحات، متسترة بستار التحرير، ولكن (محاضر محمد) عاد إلى لون من التقييد في سعر العملة وحركة رؤوس الأموال؛ ليحافظ على البقية الباقية من الاقتصاد المنهار ورفض معونة صندوق النقد وشروطه التي تربط سياسات

■ الإصلاح ببرامج تدمر الاقتصاد لخدمة العولمة؛ ولهذا شددوا الحملة عليه.

وبهذا حين نسحب رؤوس الأموال قصيرة الأجل تعاني البنوك من قلة السيولة، ثم تعاني المؤسسات وراءها، ثم تنخفض أسعار العملة وتهوي وراءها أسعار الأسهم.

وهذه العولمة التمويلية تجذب معها إلى الهاوية القطاعات الحقيقية لإنتاج السلع والخدمات رغم أن لديها المقرمات التكنولوجية والمادية، والحاجة إليها ماسة.

أما التجديدات المالية فتؤدي إلى تضخم القطاع التمويلي بصورة مبالَغ فيها إذا ما قيس بالقطاع الإنتاجي الحقيقي، وهو ما يعرف «باقتصاد البالونة»؛ نظرًا لاستحداث أنواع من عقود المقامرة والاتِّجار في المال التي أصبحت مصدر ثراء واسع للعالم الغربي واليابان في منتصف التسعينيات؛ حيث كانت حركة التجارة العالمية ٣٠ تريليون دولار، بينما حجم التجارة الحقيقي ٣ تريليونات فقط، و٢٧ تريليون بيع وشراء في الهواء بعقود ما أنزل الله بها من سلطان.

التجديدات المالية تحيل المال الذي تُقَوَّم به الأشياء سلعةً تباع وتشترى؛ وهذا فساد كبير لحياة الناس كما قال فقهاؤنا.

د. رفعت العوضي:

آليات العولمة ومؤسساتها تركِّز الغنى في جانب والفقر في الجانب الآخر، ويزيد التضخم لأسباب كثيرة منها نظام الفائدة، وهو نظام يواجه انتقادات حادة من الاقتصاديين.

البيان: ذكر الدكتور عبد الرحمن أن الحرية هي أحد الأسس أو القوى التي تقوم عليها العولمة ولكنها حرية ذات مذاق خاص غير الحرية التي يتحدث عنها مروِّجو العولمة في بلادنا، أليس هذا صحيحًا؟!

د. عبد الرحمن يسري:

فكرة الحرية هنا تحمل ازدواجية؛ فهي حرية من طرف واحد وإذعان من طرف آخر؛ والمراد ألاَّ تمارس الدولة أي ضغوط لتحقيق مصالحها أو حمايتها ضد أي دولة أخرى، ولكن الولايات المتحدة نفسها تكسر هذه القاعدة حين يمارس كلينتون ضغوطًا شديدة على اليابان بشأن شراء سيارات أمريكية، وحين يمارس كوهين وزير دفاعه مرارًا ضغوطه على دول عديدة لشراء أسلحة رغم عدم الحاجة إليها ورغم أن هذه الدول مدينة وستستدين من أجل إنعاش الصناعة الأمريكية!

هناك كذلك حروب القوانين الاقتصادية كقانون داماتو، حرب الموز. أما حرية الاستثمار فلا تحمل مصلحة للدول الفقيرة؛ لأنه كما يدخل بسهولة يمكن أن يخرج أيضًا بسهولة مخلفًا الدمار.

وفي المقابل لا تملك الأيدي العاملة الحرية نفسها في الانتقال. إذن! هي حرية لطرف ضد طرف؛ فإذا وضعنا في الاعتبار أن غالبية المشروعات الاستثمارية الوافدة لا تستهدف خدمة اقتصاد البلد المضيف بل ربما ذهبت إلى مجالات قد تضر أكثر مما تنفع كمجال السياحة والفنادق والأعمال الإباحية وصناعات التجميل وسلع الرفاهية.

د. رفعت العوضي:

اتفاقية تحرير التجارة تحوِّل العالم إلى سوق شاملة واحدة يعمل فيها قانون واحد هو قانون الأقوى الذي يتاح له كل شيء بهدف تضخم أرباحه بأكبر قدر في أقصر زمن وإن تضرر من تضرر.

أشير في هذا الصدد إلى أن دراسة تاريخ الاقتصاد للدول المتقدمة الآن كشفت عن أنها كلها استخدمت الحماية وهي في بداية تقدمها؛ ففرنسا استخدمت قوانين خاصة لحماية صناعتها الناشئة في مواجهة إنجلترا التي سبقتها إلى الثورة الصناعية، وألمانيا فعلت الشيء نفسه، والولايات المتحدة الأمريكية في نهاية القرن التاسع عشر فعلت ذلك. ولهذا فإن إجبار الدول المتخلفة التي تسعى الآن إلى التقدم - إجبارها على فتح أسواقها وعدم حماية صناعتها الناشئة يعتبر أمرًا غريبًا على تجارب النمو.

د. عبد الرحمن يسري:

يؤسفني أن أقول: إن الدول الإسلامية دخلت مرحلة التحرير - أعني تحرير الأسواق وحركة رؤوس الأموال - وعولة للاستثمار دون رصيد، بل وهي محملة بأعباء الماضي التي تراكمت فيها المديونيات نتيجة لعدم اكتراث الحكومات العلمانيــة بالشريعة وتبعيتها للغـرب؛ وهنا أشير إلى أن استمـرار ارتباط إنتاجنا المحلـي - بوصفنا دولاً إسلامية - بالسياسات العالمية دون أية ضوابط أو حتى تفهم لاتجاهاتها ومضامينها قد لا يكون من ورائه كسب على الإطلاق بل ربما خسائر محققة خاصة إذا احتكمنا إلى معاييرنا الإسلامية الصحيحة.

البيان: وماذا عما يردد من أن الاقتصاد العالمي في طريقه لأن يقاد من خلال قوى خفية من شأنها أن تنظم السوق العالمي بحياد تام ودون تحيز.

د. عبد الرحمن يسري:

فلسفة اليد الخفية التي تدير النشاط الاقتصادي وتهيمن عليه هي مسألة فلسفية غير واقعية وقد وضع أساسها آدم سميث في القرن التاسع عشر ليدل على أن استخدام الموارد المتاحة والقيام بالإنتاج والاستهلاك لا يستدعي تدخل الدولة، بل إن هذا التدخل يفسد الأمور. ويريد الآن فلاسفة العولمة في العالم الغربي أن يقولوا مثل ما قال سميث ولكن على مستوى العالم بأسره، وهذا غير مقبول. إن مثل هذه المقولة التي ثبت إخفاقها من قبل على مستوى الاقتصاد القومي حينما ظهرت الاحتكارات وحينما اضطرت الحكومات إلى تقديم برامج للخدمة الاجتماعية أو للتكافل الاجتماعي سوف تثبت إخفاقها بشكل أكبر على المستوى العالمي. وغير مقبول أن نصبح - ونحن أمة إسلامية - جزءًا من العالم ليس لنا إلا التبعية لما يجري فيه وليس لنا دور التأثير فيه.

إن الحق - تبارك وتعالى - جعل للإنسان عقلاً وإرادة وتدبيرًا وقدرة على تصحيح الأخطاء وهو ملزم بذلك، وهذا لا يعني أن الإنسان مطلق الإرادة وإنما هو محكوم بسنن ربانية؛ وهذه السنن لا تلغي إرادة الإنسان. كذلك فإن سنة نبينا وهدي القرآن العظيم تجعلنا نقيم أهمية كبيرة لدور الدولة الراعية، ومن ثَمَّ فإن أي مجتمع إسلامي لا يمكن أن يقبل أو يسلِّم لهذه الفكرة ظنًا بأن الخير قد يأتي في نهاية الطريق؛ لأن هذا مخالف لعقيدتنا بوصفنا مسلمين.

د. عبد الحميد الغزالي:

كيف لنا أن نقبل بفكرة من هذا النوع في ظل وجود آليات تتدخل وتدير وتراقب وتتابع وتخطط، هذه الآليات ذات أشكال وملامح مختلفة، ولكنها في الحقيقة تهدف إلى تكريس العولمة وخدمة أهدافها ومصالحها، وهو ما يعني بالطبع سيطرة النموذج الغربي!

البيان: إذنْ! فكرةُ حيادية قوى العولمة غيرُ متصوَّرة في ظل المعطيات الواقعية.

د. عبد الرحمن يسري:

فكرة الحيادية أو سيادة منافسة خالصة بين جميع الأطراف في معاملاتهم وتحرك عناصر الإنتاج من مكان إلى آخر وفقًا للقدرة على استخدام هذه العناصر بشكل أكفأ ليست حقيقية؛ فالتجربة التاريخية للنظام الاقتصادي الحر الذي تحكمه قوى الطلب والعرض في إطار المنافسة الكاملة بعيداً عن التدخل الحكومي - والذي كان الاعتماد فيه على فلسفة اليد الخفية للمواءمة بين المصالح الفردية والمصلحة الجماعية على مستوى المجتمع الواحد - لم يدم طويلاً وتعرض لهزات أدت إلى تغيرات هيكلية وأزمات اقتصادية تفشت فيها البطالة .. فإذا كان هذا على مستوى المجتمع الواحد فهل يمكن أن نثق بتجربة مشابهة تجري على مستوى العالم؟ ولهذا فعلينا من حيث إننا دول إسلامية أو فقيرة ألاَّ نسلِّم بقضية الانصهار في عالم بلا حدود بحجة حتمية فلسفية لا أكثر.

حتى وإن سلمنا بحياديتها التامة وبما سنجنيه من مكاسب اقتصادية، فهل يجوز لنا نبذ سياستنا المستمَدة من شريعتنا.. وخاصة أن الجانب الاقتصادي لا يمكن فصله عن الجوانب الأخرى؟ وهذا يعني دخولنا - بوصفنا مجتمعات إسلامية - في أطر لا نقبلها إطلاقًا لأنفسنا ولنسائنا وأولادنا.

أ. يوسف كمال:

العالم بكل مستوياته يتوجس خيفة من العولمة ولا يتصور حياديتها، أما نحن المسلمين فربنا يقول لنا: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠] والتاريخ يروي لنا عن حروب القرصنة التي شُنَّت على البلاد الإسلامية في الأندلس، وحروب العصابات التي جاءت لنهب العالم الإسلامي والتي استمرت حتى اليوم من خلال المعايير المزدوجة بمخالبهم في الشرعية الدولية في مجلس الأمن والجات والشركات الدولية النشاط.

ولعل أزمة جنوب شرق آسيا تكشف لنا بعض هذه الحيادية؛ فبعد تلك الأزمة قدم صندوق النقد الدولي لكوريا الجنوبية ٨٠ مليار دولار دون أي شروط في حين اشترط لتقديم ٤٢ مليار دولار لأندونيسيا مزيداً من التحرر الاقتصادي من أجل بيع مؤسساتها بأبخس الأثمان في الوقت الذي انهارت فيه العملة الأندونيسية؛ مع العلم أن عدد السكان ٤٣ مليوناً في كوريا بينما في أندونيسيا أكثر من ٢٢٠ مليون.

فالمسألة واضحة سواء من زاوية الواقع أو من زاوية الرؤية القرآنية التي تعطينا المفاتيح الصحيحة.

د. رفعت العوضي:

في كتاب «المدخل الاستراتيجي للقرن الحادي والعشرين» لبول كينيدي وهو من أقوى المفكرين المؤثرين في الغرب يقول المؤلف: إذا كنا نريد أن ندخل القرن الحادي والعشرين فمن خلال نظرية (مالثس) في السكان، وهي نظرية مؤسسة على أن السكان أكبر من الموارد؛ ولذلك لا بد من التخلص من جزء منهم، والحروب القائمة في العالم الآن وخاصة في الدول الإسلامية هي إعمال لهذه النظرية.

العولمة - وهي تتبنى نظرية مالثس - تفرض صيغة معينة على العالم.. هذه الصيغة هي نظرية ٢٠ : ٨٠ أي: ٢٠ ٪ فقط من سكان العالم هم الذين لهم حق الملكية والعمل وكذلك العيش، في مقابل ٨٠ ٪ يمثل فائضًا بشريًا في دول العالم الثالث، والحديث عن هذه النظرية جاء في كتاب: (فخ العولمة) وقد ترجم إلى العربية ونشر في سلسلة عالم المعرفة التي تصدر من الكويت.

د. عبد الحميد الغزالي:

أعتقد أن الصورة الحالية أبشع من هذا، فقد تكون ١٠ : ٩٠ ٪ أو أقل من عشرة.

١٠ ٪ دول متقدمة في مقابل ٩٠ ٪ متخلفة أو نامية تأدبًا !!

د. عبد الرحمن يسري:

لا يمكن تصور الحيادية في ظل سيطرة القلة على كل شيء واحتكاره لصالحهم؛ فهم يدَّعون أنه في ظل تحرير التجارة ستتكافأ الفرص، وأنا أقول: إنها حتى في ظل ذلك لن تتكافأ لا إنتاجيًا ولا استهلاكيًا؛ ففي ظل توحيد النمط الاستهلاكي على مستوى العالم هل نتصور أنه سيكون هناك تكافؤ فرص بين مواطن من سيراليون متوسط دخله السنوي ١٨٠ دولارًا ومواطن ياباني متوسط دخله السنوي ٣٠٠٠٠ دولار؟

وحتى على المستوى الثقافي فإن تعميم النمط الاستهلاكي العالمي يحمل في طياته نمطًا أخلاقيًا مغايرًا، وعلى سبيل المثال: فلسفة «السندويتش» أو الوجبات الخفيفة .. تعني أن الأسرة لا تجتمع على طعام واحد أو مائدة واحدة!

أما على المستوى الإنتاجي ففي ظل احتكار الأموال والمعلومات، وانعدام القدرة التنافسية والتفاوضية لدى العالم الفقير .. لا يمكن تصور هذه الحيادية!

د. رفعت العوضي:

أود أن أشير أيضًا إلى جانب آخر من عدم الحيادية؛ إذ إن الغرب بما يملكه من تراكم معلوماتي وجرأة تجريبية وعمل مؤسسي قوي وتبني الشخصيات النابغة استطاع أن يولِّد ثورة في المعلومات اختص نفسه بها، وزاد من سُعار هذه الثورة توفر التقنيات الحديثة من كمبيوتر وشبكات اتصالات ومعلومات لديه مع احتفاظه بأسرارها، كما أنه يملك برامج متكاملة ومتطورة للتعامل مع قاعدة البيانات. إن احتكار الغرب لهذه الأمور باعتبارها ضمانة أخرى لتفوقه لن يولد الحيادية بصورتها الوردية كما يزعم منظِّرو العولمة.

د. عبد الرحمن يسري:

يشبِّه بعض الكُتَّاب الثورة العلمية بالجنِّي الذي خرج من القارورة ليخدم سيده، ولكن علينا أن ندرك أن القارورة ما زالت بيد السيد الذي صنعها، أعني بذلك أن العالم الغربي هو وحده الذي يملك أسرار التقنيات ويتحكم في استخداماتها.

وهذا تحدٍّ آخر أمام الفقراء كما أشار الزميل الدكتور رفعت؛ فرغم أن المعلومات متاح كثير منها عبر شبكة الإنترنت إلا أن الفجوة ما زالت في اتساع بين عالمين متقدم ومتخلف، هذه الفجوة تمثل في جانب منها تحديًا اقتصاديًا وسياسيًا، كما تمثل في جانبها الآخر تحديًا ثقافيًا يشكل خطرًا على الهوية الإسلامية.

البيان: تحدثنا فيما سبق عن العولمة ومفهومها وبعض القضايا الفلسفية والتطبيقية المتفرعة على ذلك، وتحدثنا كذلك عن القوى التي تمتلكها العولمة في بسط سيطرتها وهيمنتها على العالم، ولا شك أنها تعتمد مع هذه القوى على آليات تدعمها وتسعى على خدمتها من خلال أدوار يكمل بعضها بعضًا؛ ولذلك نود تسليط الضوء على هذه الآليات وما تقوم به في خدمة العولمة.

د. عبد الحميد الغزالي:

هناك آليات عملت واستفادت من القوى التي توفرت للعولمة بل وساعدت هي على تكريسها، هذه الآليات ذات طبائع مختلفة لكنها متكاملة الأدوار ابتداءًا من المنظمات الدولية: منظمة الأمم المتحدة، وصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، وما يعرف الآن بهيئة برلمانات العالم، هذه المؤسسات فرضت ما يسمى بالبرامج الإصلاحية وتنظيم حركة الأسواق ومتابعة التشريعات القانونية على مستوى الدول لضمان التجاوب الأسرع مع سياسات العولمة.

- هناك كذلك منظمة التجارة العالمية التي ورثت الجات عام ١٩٩٤ والتي تنظم عمليات انفتاح الأسواق وتحرير التجارة من القيود الحكومية وتتابع ذلك.

- ثم يأتي بعد ذلك المؤتمرات الدولية المتخصصة (ابتداء من مؤتمر الأرض - مؤتمر السكان - مؤتمر المرأة..الخ) لفرض ثقافة العولمة.

- ثم الشركات العملاقة عابرة القارات والتي تعد المستفيد الأكبر والمحرك القوي للعولمة.

- ثم التكتلات الاقتصادية (أوروبا الموحدة - النافتا - دول النمور فيما سبق .. وما تبع ذلك من تكتلات أخرى).

ولهذا أقول: إن الربط بين العولمة وفكرة اليد الخفية - بمعنى الحرية بعامة والاقتصادية بخاصة - المراد منه إلغاء المقاومة الذاتية في مواجهة قوى الجذب الغربية.

أ. يوسف كمال:

هناك آلية أخرى من آليات العولمة وهي المشاريع المطروحة للتطبيق في منطقة القلب الإسلامي لإذابة إسرائيل في المنطقة أولاً من خلال المشروع الشرق أوسطي الذي تطرحه الولايات المتحدة والذي بدأ مؤتمراته من الدار البيضاء في عام ١٩٩٤ في العام نفسه الذي تشكلت فيه منظمة التجارة العالمية بل وفي الدولة ذاتها

المغرب؛ حيث عقد في مراكش. أما المشروع الثاني فهو الشراكة الأوروبية المتوسطية وهو المشروع الذي تطرحه أوروبا في مقابلة المشروع الأمريكي، وهو يهدف لذات الهدف بحيث يتحول الصراع العقدي تدريجيًا إلى تنافس اقتصادي ثم تكامل تتزعمه إسرائيل بما لديها من تقدم صناعي يموله رأس المال الإسلامي ويمده بالأيدي العاملة وبالمواد الخام وبأسواق الاستهلاك في الوقت ذاته .. وبالمناسبة فإن المؤتمر الاقتصادي الشرق أوسطي الخامس يجري الإعداد له هذه الأيام على قدم وساق.

د. رفعت العوضي:

بالنسبة لاتفاقية تحرير التجارة التي ترعاها الآن منظمة التجارة العالمية ويساعد في ذلك كل من صندوق النقد والبنك الدولي، هذه الاتفاقية هي في الواقع أقرب إلى سياسة الفرض منها إلى الاتفاق؛ لأن الدول الإسلامية مرغمة على التعامل مع صندوق النقد والبنك الدولي كي تتهيأ للدخول في منظمة التجارة العالمية، وهي بذلك أمام قائمة طويلة مما يعرف بالإصلاحات الاقتصادية باتباع سياسات نقدية ومالية معينة وسياسات سعر الصرف وتخصيص القطاعات الإنتاجية العامة وفرض أسلوب معين في الإدارة وفق معايير هم يضعونها.

وهنا نلاحظ أن منظمة تحرير التجارة تؤدي الدور نفسه الذي أداه الاحتلال قديمًا في استغلال موارد الدول الفقيرة لصالح الدول الغنية وفرض التخلف والتبعية على هذه الدول.

لهذا فإن التحرير لن يؤدي بالضرورة إلى نمو كل من المبادلات وحركة الاستثمار والتشغيل في كل الدول التي يحلم شعوبها بالرفاهية والرخاء؛ لأنه في ظل الإنتاج من جانب واحد تفقد الدول الميزة النسبية لخاماتها؛ حيث تبيع الخامات بأسعار رخيصة ثم تشتري نفس الخامات بعد تصنيعها بأسعار كبيرة جدًا.

د. عبد الحميد الغزالي:

لم تتضمن اتفاقية تحرير التجارة أي إشارة لانتقال الأيدي العاملة مع العلم أننا دول الفائض، ولكن الدول الغربية لم تشأ النص على حرية انتقال العمالة خوفًا على الخصوصية الثقافية والسكانية والمصالح الاقتصادية لمجتمعاتها، وحفاظًا على الوضع الاقتصادي حيث متوسط الدخل هناك ٢٠,٠٠٠ دولار سنويًا في مقابل ٢,٠٠٠ دولار في المتوسط للدول الفقيرة وهذا من شأنه أن يزيد الفجوة الاقتصادية.

د. عبد الرحمن يسري:

قد ترحب الدول الغربية بشيء من النمو الاقتصادي يتحقق في بعض الدول كي تضمن أسواقًا لمنتجاتها لكن دون أن يبلغ هذا النمو حد المنافسة الحقيقية، وإذا ما استشعرت خطرًا على مصالحها سارعت بالانقضاض على تلك التجارب الناجحة.

ولهذا فإن العالم الغربي دائم الحرص على توسيع الفجوة التقنية ليضمن عدم اللحاق به؛ وهذا من شأنه أن يضعنا في الجانب الأضعف في أي وضع تفاوضي. كما أشير إلى أنه ينبغي علينا ألا نُخدع - بوصفنا مسلمين - بموجة التخصيص المطلقة التي تأتي على كل شيء؛ لأن هناك - على الأقل - ملكية مشتركة حددها النبي ﷺ بـ «الماء والنار والكلأ» والاجتهادات الحديثة تقول: إن النار تشمل موارد الطاقة، والماء يشمل جميع

الموارد المائية، والكلا: الموارد الطبيعية غير المملوكة ملكًا خاصًا لأحد؛ وعليه يجب علينا المحافظة عليها بعيدًا عن استنزاف الشركات عابرة القارات، ويدخل في هذا أيضًا كل ما من شأنه أن يحافظ على المصالح العامة للأمة أو للشعوب.

قد يقال إن مجهودات الشركات الأجنبية وما تتملكه من موارد وطنية يمكن أن يندرج تحت مسمى حق الإحياء، وهذا لا يصح؛ لأن حق الإحياء لأراضينا يكون للمسلمين وحدهم ولمن عاش معهم من أهل الذمة دون غيرهم، أما حق الإقطاع مقابل الاستصلاح فينبغي ألاّ تُملَّك الأرض وإنما تؤجَّر لمدة معلومة مقابل الاستصلاح إذا دعت إلى ذلك الحاجة.

البيان: وماذا عن الشركات دولية النشاط التي أشار الدكتور عبد الحميد الغزالي إلى أنها أصبحت إحدى آليات العولمة وأحد أكبر المستفيدين منها في الوقت ذاته، هذه الشركات بعد أن كانت عابرة الحدود عبرت اليوم حدودًا أخرى من خلال ما أصبحنا نسمع عنه من ثورة اندماجات عالمية يصعب على المتابع إدراك أبعادها، وبعض المتابعين والمحللين عدها أهم آليات العولمة على الإطلاق؛ لنفاذها إلى مجالات أكثر تأثيرًا، هذه الشركات نريد أن نلقي الضوء على نشاطها وأهدافها وسياساتها ومخاطرها.

د. رفعت العوضي:

هناك حركة اندماجات عنيفة جدًا بين الشركات فوق العملاقة؛ والدراسات في هذا الموضوع مخيفة للغاية؛ فلم يكتف العالم المتقدم بإقامة تكتلات اقتصادية بين الدول كالاتحاد الأوروبي، والنافتا في أمريكا، فقام بتطوير أشكال التكتل كي يضمن الهيمنة المطلقة على السوق الدولية.

ومن هنا فإن اندماج الشركات دولية النشاط من شأنه أن يُحْكِمَ السيطرة السياسية والاقتصادية والعسكرية لصالح قطب واحد.

هذه الشركات تسعى للاستفادة من اقتصاديات الحجم الكبير والانتشار الجغرافي في توسيع أسواقها، وتخفيض تكلفة الإنتاج والنقل، وإعادة تقسيم العالم على المستوى الدولي بما يدعم كفاءتها الاقتصادية وفرض سيطرتها على الأسواق. هذه الشركات أصبحت تتضخم بشكل مفزع من خلال الاندماجات السريعة والمتلاحقة حيث أصبح العالم أمامها سوقًا واحدة.

على سبيل المثال سوق السيارات يتوقع أن تسيطر عليها أقل من عشر شركات في العالم في الدول المتقدمة.

سوق البترول سوف تسيطر عليها أقل من خمس شركات.

حتى الشركات غير الوطنية دخلت في عمليات اندماج؛ فشركة كهرباء لندن اشترت شركة كهرباء نيويورك.

أما مصرفيًا فسوف يسيطر على العالم ٢٦ بنكًا .. ومن ذلك أن اندماج بنكين في الولايات المتحدة الأمريكية كانت حصيلته رأس مال يقدر بـ ٦٠٠ مليار دولار، علماً بأن هذه الشركات تدير ٧٠٪ من تجارة العالم.

وبينما نجد أن شركات الدول الكبرى تتوحد وتكبر فإن العالم كله يتفتت؛ ومن ثَمَّ فإن الكلام عن عجز الحكومات أمام هذه الشركات في ظل تحرير التجارة أمر لم يعد جديدًا؛ لأن هذه الشركات أصبحت تمارس ضغوطًا شديدة وتملك صلاحيات في كثير من البلدان ـ وعلى المستوى الدولي أحيانًا ـ بما يمكنها من تحقيق مآربها وأهداف الدولة الأم.

د ـ عبد الرحمن يسري:

الدول العربية والإسلامية لم تنتفع بوجود الشركات الدولية خلال عقدي السبعينيات والثمانينيات على أراضيها إلا قليلاً، وما يقال حول دور هذه الشركات في عمليات الإنماء لا تشهد له التجارب ولا الواقع.

فعلى مستوى التقنية الحديثة فإن هذه الشركات تحتفظ بأسرارها للدولة الأم ولا تصدرها إلا في مجالات محدودة جدًا وهامشية؛ وإذا ما اضطرت إلى نقل فعلي للتقنيات الحديثة فإنها تسعى جاهدة للاحتفاظ بإدارة أجنبية للنشاط بعيدًا عن الخبرة المحلية؛ وعلى سبيل المثال فإن فرنسا عندما خرجت من الجزائر قامت بتدمير كل تقنيات البترول الحديثة التي خلَّفتها.

وفي الإطار نفسه إذا ما اضطرت إلى توسيع نشاطها الإنتاجي من خلال عقود التراخيص ـ كما فعلت في دول جنوب شرق آسيا ـ فإنها تقصر تلك العقود على حلقة إنتاجية واحدة حتى لا تتسرب الأسرار التقنية.

وهناك نوع ثالث من العقود التي تلجأ إليها وهي عقود تسليم المفتاح الذي يكثر تطبيقها في التعامل مع دولنا؛ حيث إن الخبرة المحلية لا تعرف عن التكوين التقني إلا مجرد الاستخدام دون اطلاع على أسرار أو معرفة كيفية الصيانة ومن ثم تقوم بإدارة المشروع إما من خلال الخبرة الأجنبية أو من خلال الإرشادات المملاة كما هو الحال في الأجهزة المنزلية.

وهناك نوع آخر هو نقل الصناعات كثيفة العمالة خفيفة التقنية التي تحتاج إلى العمالة الرخيصة ـ وهي متوفرة لدينا بالطبع ـ أو المشروعات ذات معدل التلوث العالي التي تلاحقها منظمات البيئة هناك وتفرض عليها ضرائب باهظة فتلجأ إلى البلاد الفقيرة التي نحن منها، وذلك هربًا من القيود التي تفرض عليها في بلادها.

وأخيرًا لجأت هذه الشركات إلى تضمين اتفاقية تحرير التجارة بنودًا عن حفظ حقوق الملكية الفكرية وبراءات الاختراع وبهذا تحجز هذه التقنيات من المنبع خاصة، وأكثر الدول قد وقَّعت على هذه الاتفاقية.

أ ـ يوسف كمال:

لا بد من التنبيه إلى خطر فتح الأبواب على مصاريعها أمام الشركات الدولية النشاط والاستثمار الأجنبي، فبالإضافة إلى ما ذكره الأخ الدكتور عبد الرحمن يسري فإن هناك جانباً آخر ربما كان أكثر خطورة وهو جانب الاستثمار؛ لأن هذه الشركات نادرًا ما تدخل في شكل استثمارات مباشرة (أي طويلة الأجل)، وإنما تدخل بما يعرف «بالأموال الطائرة» في استثمارات قصيرة الأجل وسريعة العائد التي تحقق لها عوائد هائلة دون أن يكون لذلك مردود على التنمية المحلية، بل ربما يحدث مثلما حدث في دول النمور.

وإن حدث وقدمت استثمارات مباشرة فإنها قبل ذلك تأخذ ما يكفيها من التسهيلات والضمانات السياسية والاقتصادية التي لا تحظى بها رؤوس الأموال المحلية، بما يعرقل الاقتصاد المحلي.

أضف إلى هذا أن جُلّ أنشطتها يقتصر على السلع الاستهلاكية ذات العائد الأسرع نتيجة للنمط الاستهلاكي السائد والذي يشكّل خصيصاً لأجل هذا الغرض في بلادنا! ومن هنا فالواضح أن الاعتماد على هذه الشركات في إقامة قاعدة إنتاجية تنموية في بلادنا أمر مستبعد، وخاصة إذا أخذنا في الاعتبار أن هذه الشركات تقوم بامتصاص الفوائض المالية لدى المستهلكين عن طريق الإغواء والإغراء الاستهلاكي.

وغالبًا ما تعيد تصدير عوائدها إلى الدولة الأم أو إلى أي مكان يمكن استثمارها فيه بشكل أفضل، وبهذا تتآكل المدخرات المحلية وتضعف القدرة الشرائية لدينا مع الوقت.

وفي أحيان أخرى تدخل هذه الشركات شريكاً بالخبرة والإدارة إلى السوق المحلية، ثم تقوم بتمويل نشاطها من خلال الاقتراض أو الاكتتاب المحلي دون أدنى مخاطرة بأموالها لفتح أسواق جديدة لها!

ومن ثم يتعين علينا أن نمحِّص المزايا التي يتحدثون عنها، والتي قد يصعب أن تتحقق للاقتصاد المحلي من جراء فتح الأبواب أمام هذه الشركات للاستثمار في بلادنا.

البيان: وماذا عن التكتلات الدولية التي أصبحت تنذر بمزيد من التهميش لعالمنا الإسلامي في ظل العولمة.

د. رفعت العوضي:

هناك بعض الدول ذات الحجم الكبير، التي تُعَدُّ بذاتها كتلة سواءاً بمعيار حجم الإنتاج القومي أو عدد السكان أو حجم التجارة الخارجية، وهذه الدول بالتحديد هي: الولايات المتحدة والصين والهند واليابان، ومع بروز الصراع الاقتصادي في ظل العولمة سارعت بعض هذه الدول في الدخول في تكتلات تضمن لها بقاءاً أقوى، فدخلت اليابان في مجموعة الآسيان، وشكلت الولايات المتحدة مع كندا والمكسيك مجموعة النافتا وهي عبارة عن اتحاد جمركي ذي سياسة واحدة، فيما تسعى الولايات المتحدة إلى دمج الأمريكتين في منطقة تجارة حرة تمهيداً لخطوات أخرى نحو التكتل.

وفي الاتجاه نفسه سارت الدول الأوروبية بعد أن قطعت شوطًا؛ حيث وصلت إلى مرحلة الوحدة؛ إذ أصبح لها برلمان واحد وعملة واحدة «اليورو» وسياسة اقتصادية واحدة في مواجهة الدول والتكتلات الأخرى، وعلى غرار هذه التكتلات قامت تكتلات أخرى في كل من آسيا وإفريقيا؛ ولكنها لا تعتبر تكتلات بالمعنى المعروف لضعف التنسيق بين دول المجموعة الواحدة، وضعف مستواها الاقتصادي كذلك.

ولهذا فإن العالم الفقير - والذي منه الدول الإسلامية بالطبع - سيحاول اللحاق بهذه التكتلات في أحسن أحواله لضمان الفتات! وإذا تصورنا أن الاقتصاد العالمي عبارة عن طاولة فإن الذين يملكون الجلوس عليها في ظل العولمة هم الكبار فقط والذين يملكون زمامها هم الكبار جداً؛ لأنهم يملكون سياسة واحدة! ومن ثَمَّ فإن الأمر ينذر بمزيد من ضعف القدرة التنافسية وباتساع أكبر للفجوة الدخلية والفجوة التكنولوجية وبانخفاض أسعار صرف العملات الإسلامية؛ مما يعني مزيدًا من الاعتماد على الخارج ومزيدًا من التبعية.



الأسرار في لبنان وسياسة عض الأصابع

د. يوسف الصغير

إن ما يجري في لبنان وإن كان يمثل الفصل ما قبل الأخير من مسرحية السلام، فإنه يمثل حالة نادرة ومعقدة تتداخل فيها القوى، وتختلط فيها المصالح، وتبرز فيها القدرات العالية للأطراف المختلفة على المناورة والبراعة في لعب الأوراق مما يؤهلها لتقدم حالات دراسية في أقسام العلوم السياسية.

إن العامل المشترك في المفاوضات على مختلف المسارات هو حرص اليهود على التعامل مع كل طرف عربي على حدة والانفراد به بمعونة مباشرة من أمريكا، وبعد الانفراد بكل طرف فإن رئيس الوزراء اليهودي يدخل المفاوضات مكرراً أنه يمثل دولة ديمقراطية تديرها المؤسسات، وأنه لا هو شخصياً ولا حزبه يستطيع تجاوز خطوط حمراء في المفاوضات؛ لأنها ستثير المعارضة وتسقط مشروع أي تسوية إما بواسطة تهديد بعض الأحزاب الصغيرة بالخروج عن الائتلاف الحكومي، أو التهديد بطرح الثقة بالحكومة، أو اشتراط قيام استفتاء حول أي اتفاقية. وأيضاً فإن أي اتفاق يوقعه الرئيس يظل عرضة للقبول أو الرفض من قِبَل الكنيست. إن هذا التكتيك يريح المفاوض اليهودي من التعرض لأي ضغوط؛ لأن الرد البسيط هو أنه ولو وافق الكنيست فإن الموضوع لن يمر؛ وهنا تتجه الضغوط على الطرف المقابل؛ حيث إن الجانب العربي يمثله شخص وحيد تنجح المفاوضات بمجرد إقناع الزعيم أو إغرائه أو إجباره على صيغة تناسب الطرف المقابل؛ ولهذا فإن الاتفاقيات تتم غالباً بعد مفاوضات سرية؛ لأن علنية المفاوضات ستجعل الزعيم يحس بالحرج.

فمثلاً اتفاقية كامب ديفيد كانت المفاوضات سرية وبرعاية الحسن الثاني في المغرب. أما زيارة القدس واحتفالات التوقيع فهي من قبيل الإخراج المسرحي ليس إلا.

أما المسار الأردني فإن الاتفاقية تتوج حوالي عشرين سنة من العلاقات الحميمة والاتصالات السرية مع الملك حسين، أما المسار الفسلطيني وهو أهم المسارات على الإطلاق لحيويته في إضفاء الشرعية على وجود الدولة اليهودية وحدودها الحالية والتي تتجاوز قرار التقسيم فإن الزعيم حريص على أن تكون جميع الأوراق بيده وأن يكون هو الوحيد الذي ينال شرف الانحناء أمام ضغوط الراعي الأمريكي والقبول بمطالب الجانب اليهودي.

لقد كانت اتفاقية أوسلو صدمة شخصية لحيدر عبد الشافي وكان عليه إن يتساءل أولاً عن السر في اختياره لقيادة مفاوضات المسار الفلسطيني وكان أصعب ما فيها الوقوف أمام الناس وتسويغ أول مفاوضات علنية ومباشرة أساسها الاعتراف بشرعية وجود دولة اليهود في فلسطين، ومن ثم مطالبتها بالتكرم بالتنازل عن جزء عزيز من أرض (إسرائيل) ليقيم عليها الشعب الفلسطيني «إن لفظة التنازل يحرص الساسة اليهود على ترددها ومن ورائهم الإعلام الموجه؛ حيث إنها تعني أن اليهود يتنازلون عن شيء هو من حقهم».

إن حيدر عبد الشافي ليس من رجال عرفات وليس بذي توجُّه إسلامي، ولكنه من الشخصيات الوطنية التي تحظى بشيء من الاحترام، وقد تعب المسكين من كثرة ركوب الطائرات، وكان عزاؤه الوحيد هو التركيز الإعلامي على أخبار المفاوضات، وأصبح اسم حيدر عبد الشافي وحنان عشراوي على كل لسان، وفجأة وبدون مقدمات يُعلَنُ التوصل إلى اتفاقية تم التفاوض عليها بصورة سرية في أوسلو واكتشف الناس أن حيدر عبد الشافي وأعضاء وفده الكرام كانوا مجرد شلة من المهرجين في نظر الزعيم؛ وكم كان منظرهم مضحكاً بالنسبة إليه عندما يقدمون لسيادته التقارير المطولة عن مفاوضاتهم الجادة مع الوفد اليهودي ويتكرم عليهم الزعيم بتوجيهاته الكريمة بعدم التفريط بحقوق الشعب الفلسطيني!!

إن اعتراف عرفات بدولة (إسرائيل) - وهو الذي يُتَعامَل معه على أنه الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني! «لأنه هو المنظمة» هذا الاعتراف فتح مجالاً واسعاً لعلاقات علنية مع كثير من الدول العربية (تونس، والمغرب، وعمان، وقطر، وموريتانيا) والإسلامية مثل أندونيسيا ودول إفريقيا، وكان العذر المباشر هو أنه إذا كان أصحاب الشأن قد أقاموا علاقات مع (إسرائيل) فما المانع من القيام بالشيء نفسه.

وأخيراً لم يبق إلا سوريا ولبنان؛ لأن جميع الدول العربية المترددة والرافضة للتطبيع مع اليهود قد تترست خلف سوريا، وربطت التطبيع

بالمسارين السوري واللبناني وكلها أمل أن تطول المفاوضات وهي مرشحة لذلك؛ نظراً لكثرة اللاعبين وإجادتهم لفن شد الحبل وسياسة عض الأصابع، وسنحاول فيما يلي إلقاء الضوء على مطالب كل طرف وأهدافه وطريقة إدارته للقضية؛ ولكن نظراً لتغير الظروف واللاعبين فإننا سنضطر للتعريج على كل طرف أكثر من مرة.

سوريا والجولان:

إن من الأمور الغريبة في قضية الجولان أنه بعد حرب ١٩٦٧م ثم حرب ١٩٧٣م واتفاقية فض الاشتباك التي رعاها وزير الخارجية الأمريكي اليهودي هنري كيسنجر، ومرابطة قوات تابعة للأمم المتحدة على الحدود فإن الهدوء التام يعم الجولان، ولم تقم سورية بأي عمل من شأنه تعكير صفو المحتلين الذين هدموا مئات القرى السورية، وهجروا أهلها الذين يبلغ عددهم وفق التقديرات السورية حوالي نصف مليون، وبدؤوا إقامة المستوطنات ومعسكرات الجيش بل وأصدر الكنيست قانوناً بضم الجولان.

لم نسمع بقيام أحد من المهجرين من الجولان بأي عمل عدائي مسلح، ولم تقم الدولة بأي محاولة لاستعمالهم ورقة ضغط مع تضلعها وبراعتها في رعاية المنظمات الفلسطينية المختلفة واحتضانها، ورعايتها التامة لحركة أمل، وتعاونها مع حزب الله في عملياته الموجعة في لبنان، لقد كان وما زال بمقدور سورية تكوين مجموعات من أهل الجولان مهمتهم إزعاج المحتلين وإبقاء قضية احتلال الجولان حية، وكان يمكن أن يكون مركز هذه المجموعات الجار المفتوح «لبنان». إنني ادعو القارئ أن يتساءل معي عن سر هذا الإحجام مع براعة النظام السوري في استغلال أوراق أخرى أقل أهمية!

إن المتتبع ظاهرياً للأحداث يكتشف بسهولة أن جهود النظام السوري منصرفة بصورة شبه كلية نحو استغلال الوجود الفلسطيني المسلح في لبنان وظروف الحرب الأهلية من أجل الهيمنة على لبنان مع تجنب الدخول في مواجهة عسكرية مع (إسرائيل) تحت أي ظرف.

لبنان:

عندما دخلت القوات الفرنسية دمشق، وزار الجنرال الفرنسي غورو قبر صلاح الدين الأيوبي قال: «ها قد عدنا» نعم لقد عاد أحفاد لويس التاسع ليقيموا دولة نصرانية في المشرق، ولم يخرجوا من الشام إلا بعد إرساء قواعد دولة يهيمن عليها الموارنة النصارى اسمها لبنان. ويمكن إعادة كثير من أحداث لبنان إلى سيطرة هاجس الحفاظ على الهيمنة الذي أدى إلى ارتكاب الموارنة أخطاءً ساهمت في تعقيد الوضع نظراً لكثرة اللاعبين وتبدُّل أدوارهم.

لقد تعرضت الهيمنة المارونية للتهديد منذ أواخر الخمسينيات عندما برز المد القومي الناصري مما اضطر الرئيس اللبناني كميل شمعون لطلب تدخل الأسطول السادس الأمريكي عام ١٩٥٨م، وقد استقرت الأوضاع لهم طوال الستينيات، ولكن الأحوال تغيرت بعد استقرار القيادات الفلسطينية في لبنان بعد خروجهم من الأردن بعد أحداث أيلول الأسود ١٩٧٠م. لقد استفاد قادة المنظمات من وجود عدد كبير من اللاجئين الفلسطينيين الموزعين على مخيمات في مختلف أنحاء لبنان. ومع بداية العمل المسلح الفلسطيني في لبنان بدأت الحساسيات تظهر، واشتبك الجيش اللبناني مع الفلسطينيين مما أدى إلى تدخل الدول العربية، وتم التوقيع على اتفاقية القاهرة التي تنظم الوجود الفلسطيني. لقد وقع الموارنة تحت ضغط ذاتي للتخلص من الوجود الفلسطيني الذي يهدد هيمنتهم إضافة إلى ضغط إسرائيلي لتكرر الحكومة اللبنانية ما فعله الأردن من قبل. ولما كانت الحكومة اللبنانية أعجز من أن تقوم بذلك حتى لو رغبت، فقد بدأت (إسرائيل) تقوم بعمليات داخل لبنان، ومن ناحية أخرى نسجت خيوطها حول الأحزاب المارونية وخاصة حزب الكتائب الذي بدأ يشكل ميليشيات مسلحة. وللأسف فإن السُّنَّة في لبنان غافلون عما يدبر لهم، وقد خدرتهم أسطوانة أن لبنان مثال حي للتعايش بين الطوائف التي كان يرددها الموارنة لعشرات السنين، وتكشف مدى الحقد الدفين الذي أعماهم عن هدف الحرب التي أشعلوها؛ فقد بدأت ضد الوجود الفلسطيني بحادث الحافلة المشهور، ولكنها سرعان ما تحولت إلى عملية فرز طائفي دموية قام خلالها الموارنة بتصفية التجمعات الإسلامية والفلسطينية المتداخلة مع مناطقهم بصورة وحشية كما حصل في تل الزعتر والكرنتينا، ودارت معارك طاحنة للسيطرة على وسط بيروت؛ ولا أنسى صور النصارى وهم يسحلون جثث أهل السنة ويشربون أنخاب الخمر احتفالاً بانتصارهم الذي سرعان ما انقلب إلى هزيمة مروعة، ولا أنسى القصص المأساوية لعمليات القتل على الهوية التي بدأها النصارى. لقد أفلت زمام الحرب من الموارنة التي تحولت إلى صراع من أجل البقاء اضطر فيه النصارى إلى طلب العون الخارجي. وإذا كانت (إسرائيل) على استعداد للدخول ضد الفلسطينيين فإن الأمر صعب نظراً لتوسيع النصارى دائرة الحرب بحيث شملت جميع الطوائف وخصوصاً السنة؛ ولهذا فإن دخول (إسرائيل) الحرب في تلك الفترة سيكون محرجاً وحساساً خاصة أنه في تلك الفترة لم يكن أحد يجرؤ على التصريح بعلاقات مع

(إسرائيل) ولهذا تم التوجه إلى سوريا التي كانت تنتظر الفرصة السانحة بالدخول الأول في حزيران ١٩٧٦م، وخاضت معارك عنيفة خاصة في بحمدون وصيدا، وبعد فترة من الزمن خمدت فرصة النصارى بالتدخل السوري، وبدأت أصواتهم ترتفع بخروج قوات الردع العربية؛ لأنهم اكتشفوا أن التدخل السوري الذي حصل بناءاً على طلب ماروني ومباركة إسرائيلية مع غطاء عربي ليس بالضرورة معنياً بالرغبة المارونية بإعادة الأمور إلى ما قبل الحرب التي أشعلوها؛ لأن (إسرائيل) يهمها أساساً تصفية الوجود الفلسطيني المسلح، ولهذا فقد أطلقت يد سوريا في لبنان ما عدا خطوطاً حمراء تم الاتفاق مع سوريا على عدم تجاوزها. لقد كان هدف التدخل السوري كما أعلنه الرئيس الأسد هو «الحفاظ على التوازن في لبنان» الذي إذا كان يعني أنه لن يسمح بسيطرة المسلمين فإنه يعني أيضاً أنه لن يعيد السلطة كما كانت للموارنة. أو بصورة أخرى فإن سوريا ستحكم لبنان؛ لأنها ببساطة هي الوحيدة القادرة على حفظ التوازن وستعمل جاهدة لإثبات ذلك.

لقد قامت سوريا بنصف المهمة، وكان تسرُّع الموارنة بالتمرد على سوريا عاملاً أساسياً في عودة العلاقة المصلحية مع الفلسطينيين الذين عادوا لشن عمليات داخل فلسطين المحتلة. وفي المقابل قامت (إسرائيل) باحتضان قوات نصرانية يقودها الرائد سعد حداد مرابطة في منطقة الشريط الحدودي. وبدأت (إسرائيل) باحتلال مناطق في جنوب لبنان، وتوالت عمليات الجيش الإسرائيلي داخل لبنان مثل عملية غزو الجنوب عام ١٩٧٨م. (عملية الليطاني).

لقد وصل الموارنة إلى طريق مسدود؛ فالمخابرات السورية هي التي تحكم لبنان، والرئيس لا يستطيع اتخاذ أي قرار بدون الرجوع إلى دمشق وكان بشير الجميل ذاك الشاب الطموح ذو الابتسامة التهكمية يمنِّي نفسه بقيادة لبنان؛ ولذا فقد وطد سلطته في قيادة القوات اللبنانية، وعمل على تصفية أقرانه من الزعامات المارونية مثل طوني سليمان فرنجية (حزيران ١٩٧٨م) وداني كميل شمعون ليخلو له الجو، وفي الوقت نفسه عمل على توطيد علاقات خاصة مع قيادات الجيش الإسرائيلي وضباط المخابرات، وكانت الزيارات المتبادلة لا تنقطع، وحصل على كثير من المساعدات العسكرية، وتم تدريب المئات من جنود الكتائب على خوض المعارك والاشتراك في مناورات مشتركة منذ عام ١٩٧٩م، وبدأ بشير الجميِّل بالتحرش بالسوريين ومحاولة جر الإسرائيليين لضربهم، وفيما كان السوريون

يخططون لوصول سليمان فرنجيه لسدة الحكم أعلن بشير الجميِّل ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية التي لا أمل له بالفوز فيها إلا بالتدخل الإسرائيلي المباشر وهو ما أقره مجلس الوزراء الإسرائيلي برئاسة بيغن في كانون الثاني ١٩٨١م.

وبدأت عمليات غزو لبنان في ٤ حزيران (يونيو) ١٩٨٢م، وسميت: (عملية سلامة الجليل) واستمرت الحرب حتى ٢١ آب (أغسطس) وبلغت الإصابات تقريباً ٢٩٥٠٦ شخص بين قتيل وجريح. وبعد يومين من بدء عملية إخلاء الفلسطينيين انتُخب بشير الجميل رئيساً لجمهورية لبنان، وبعد أسبوع سافر بشير إلى نهاريا، وقابل بيجن ومما قال له: «هدفنا الآني الآن إخراج الفلسطينيين والسوريين من البقاع وشمالي لبنان وبعدها يمكننا التصرف كدولة ذات سيادة» وفي يوم الثلاثاء الرابع عشر من أيلول في بيت الكتائب في الأشرفية وأثناء إلقائه خطاب وداع لأنصاره بمناسبة فوزه برئاسة الجمهورية تم تفجير المبنى، وقتل بشير الجميل على يد حبيب طانيوس الشرتوني النصراني من الحزب القومي السوري. وبعيد ذلك قامت القوات الإسرائيلية بمحاصرة مخيمي صبرا وشاتيلا، ونقلت إليهما قوات الكتائب التي ارتكبت مجزرة رهيبة بحق النساء والأطفال والعزل. وبقدر ما صدمت هذه المجزرة الرأي العام فقد حكمت بالموت على حزب الكتائب، وعجلت بانسحاب الجيش الإسرائيلي من بيروت، وتولت القوات متعددة الجنسية ـ والتي تتكون أساساً من قوات أمريكية وفرنسية ـ تولت تهدئة الأوضاع ومحاولة ترتيب الأمور بما يناسب المصالح الإسرائيلية والمارونية، وبقيت القوات الإسرائيلية في منطقة الجنوب والشوف وأجزاء من البقاع وفي صيدا. وإلى هنا تم التخلص من الوجود الفلسطيني المسلح، وبقي تقديم الشكر لسوريا على خدماتها وإبلاغها بأنه آن الأوان لمغادرة قواتها لبنان، ولكن هذا لم يحن بعدُ؛ حيث برزت حركة أمل الشيعية الموالية لسوريا لملء الفراغ في بيروت الغربية والمخيمات الفلسطينية؛ وذلك بعد انسحاب القوات الدولية من بيروت بعد تفجير مقري قيادة القوات الأمريكية والفرنسية وقتل حوالي ٥٠٠ جندي ثلثهم من مشاة البحرية الأمريكية، واقتصر الرد الأمريكي على إطلاق البوارج الأمريكية قذائف مدافعها الضخمة على أهداف وهمية، وحتى الآن لم يتم التأكد مَنْ هم المدبرون. وفي الوقت نفسه تمت عملية مماثلة في صيدا ضد مركز القيادة الإسرائيلية خلفت حوالي سبعين قتيلاً، وبالمثل قامت (إسرائيل) بتقليص المنطقة

العازلة إلى الشريط الحدودي الحالي، واعترفت الدول الثلاث بعجزها عن التعاطي مع الوضع في لبنان وتسليم الملف إلى سوريا. وتولت حركة أمل مهمة تصفية بقايا الوجود الفلسطيني المسلح في المخيمات، وبدأت مرحلة ما يسمى بحرب المخيمات، وبقدر ما نجحت الحركة في إنجاز المهمة الموكلة إليها فقد أفرزت وضعاً جديداً؛ حيث إن المجازر غير المسوَّغة بحق الفلسطينيين وحصار المخيمات الذي طال أمده قد أدى إلى موت الحركة وضمورها وانشقاق مجموعة منها كونت حزب الله وارتبط (حزب الله) بإيران، ونما بسرعة في البقاع والضاحية الجنوبية من بيروت؛ بحيث أزاح حركة أمل. وأما في الجنوب فما زال التنافس بينهما على أشده في أوساط الشيعة.

إن محاولة (إسرائيل) الاحتفاظ بالشريط الحدودي لدعاوى أمنية فارغة بعد تصفية الفلسطينيين تخفي مطامع اقتصادية وسياسية؛ حيث إن (إسرائيل) دأبت على استنزاف موارد الشريط من المياه والتربة، وترددت في حل مشكلة المتعاونين معها؛ فهي ليست على استعداد لقبولهم، ولم تستطع إقناع الحكومة اللبنانية بالعفو عنهم، وضيعت الوقت بالبحث عن ممول لتوطينهم في فرنسا أو كندا.

لقد كان هذا الوجود أكبر ورقة وأهم دعوى استغلها حزب الله في سبيل تثبيت أقدامه في لبنان والحصول على رصيد شعبي تجاوز الطائفة الشيعية، وكان الغطاء الإيراني ضرورياً لتأمين عدم ضربه من قِبَل سوريا لحساب حركة أمل؛ وذلك للتحالف الاستراتيجي بين البلدين، ولذلك رضيت سوريا بالتنسيق مع الحزب، بل وإعطائه الحق بحمل السلاح عن طريق استثناء السلاح المقاوم من قانون تجريد الميليشيات من السلاح.

الانسحاب من لبنان شعار أم هدف؟

لقد كانت محاولة الرئيس العماد ميشال عون إخراج القوات السورية ودخوله في معارك طاحنة معتمداً على الحماية الغربية آخرَ صِدَام جدي مع الموارنة، وقد طال الصراع لسبب بسيط هو أن سوريا تنتظر الضوء الأخضر الذي جاء عندما تمنعت عن المشاركة في حرب الخليج، وقد تم الهجوم على قصر بعبدا «وهرب عون إلى السفارة الفرنسية التي أمنت نقله إلى فرنسا؛ حيث يعيش حتى اليوم» وفي الوقت نفسه وافقت سوريا على المشاركة؛ ومنذ ذلك اليوم فهم الموارنة أن على الرئيس اللبناني ورئيس الحكومة أن يدبر أمورهما مع سوريا، ولكن المشكلة أن مجرد رفع الغطاء الدولي عن وجودها في لبنان كفيل بارتفاع الأصوات

الداعية لخروج القوات الأجنبية من لبنان؛ ولذا فمن المهم لسوريا أن يعرف العالم أنها الجهة الوحيدة القادرة على الإمساك بخيوط اللعبة في لبنان، وهذا ما تقوم به عن طريق توثيق العلاقة مع حزب الله، والتأكد من ولاء كبار السياسيين الموارنة المقيمين في لبنان، وأخيراً التلويح بالعودة لاستعمال الورقة الفلسطينية؛ حيث صرح رئيس الجمهورية اللبناني رداً على تهديد باراك بالانسحاب من جنوب لبنان بأن لبنان لن يسمح بتوطين اللاجئين الفلسطينيين في أراضيه، وأن من حقهم الكفاح من أجل العودة.

إن تهديد باراك بالانسحاب من لبنان دون اتفاق مع سوريا يوحي أنه يعرف أن سوريا تستخدم ورقة عمليات حزب الله للضغط من أجل الحصول على أكبر قدر من المكاسب في الجولان، وأن نجاحه في جمع التأييد لهذا الانسحاب وتصويره بأنه تنفيذ لقراري مجلس الأمن ٤٢٥، ٤٢٦ اللذين مضى عليهما أكثر من عشرين سنة والحماس الفرنسي المريب واستعداد فرنسا لإرسال قوات للمنطقة، ومسارعة الشرع إلى باريس لاستجلاء الموقف الفرنسي بعد تصريحات وزيري الخارجية والدفاع الفرنسيين الموالية لـ (إسرائيل).

إن موقف باراك المعلن أنه بعد الانسحاب ستكون سوريا مسؤولة عن أي عملية ضد (إسرائيل) وأن الرد سيكون قاسياً وسيتجاوز لبنان؛ لأن ضرب البنى التحتية اللبنانية أصبح عمليات اعتيادية. إن وضع سوريا العسكري صعب، والنظام مشغول بترتيب انتقال السلطة السلس لبشار الأسد، وعمليات فصل كبار المسؤولين ومحاكمتهم الذين قد يفكرون في منافسة المرشح الأثير بتهمة إساءة استعمال السلطة والفساد لا تسمح للنظام بخوض أي مغامرة عسكرية هي في الأساس مرفوضة من جانب النظام السوري.

إن أخطر وضع يمكن أن يحدث هو ما لم يتحدث عنه باراك خوفاً من مسارعة سوريا للموافقة، ماذا يحدث عندما تعلن سوريا أنها ستقوم بالانسحاب من لبنان بالتزامن مع انسحاب (إسرائيل) من جنوب لبنان لتعود الأوضاع إلى نقطة الصفر؛ حيث إن سوريا لن يكون لها ـ نظرياً ـ أي قدرة على التحكم بالتنظيمات اللبنانية.



الدور الغربي في النزاعات الإفريقية

حسن الرشيدي

«إننا خليط ثقافي، ثمرة تحول أوجده الغرب، لقد جاؤوا إلينا وقالوا لنا: سنستعمركم، اتركوا جانباً التنُّورات وأوراق الشجر واستخدموا الترجال والبلوجينز ونظارات ريبان. ثم إذا بهم يغيِّرون رأيهم في منتصف الطريق ويقولون: أنتم مستقلون لقد قهرنا الرجل الأبيض. والآن بعد أن غيَّروا عاداتنا وثقافتنا ووضعوا لغتهم على لساننا يقولون إننا أبناء غير شرعيين لحضاراتهم!!!».

هذه مقولة أحد مثقفي دولة ساحل العاج يعبر فيها عن حالة الاغتراب التي يعيشها الأفارقة وتحياها إفريقيا وتبلغ معاناة إفريقيا ذروتها في الحروب التي يبدو أنها لا تنتهي في هذه القارة، فأصبحت تظهر كأنها مستودع للنزاعات لا تكاد تخبو حتى تنفجر مرة أخرى حاصدة الآلاف من الأرواح ومشردة الملايين من البشر.

فالدم ينزف في أنجولا وغينيا بيساو وسيراليون ويكاد ألاَّ يتوقف في الكونغو، ولا زالت حروب القبائل في الصومال مشتعلة بين الحلفاء ـ أو قل العملاء ـ في إثيوبيا وأرتيريا. أما مذابح الجزائر فحدث عنها ولا حرج. وفي إحصائية حديثة «منذ بداية هذا العقد شهدت إفريقيا أكثر من مئة نزاع حدودي»[1] وتقول إحصاءات أخرى: «إن عدد الدول الإفريقية المتورطة الآن في معارك مباشرة قد وصل إلى نحو ١٢ دولة»[2] ولا يقتصر العدد على هؤلاء وحدهم؛ ذلك أن أعداداً أخرى من الحكومات الإفريقية مشاركة بصورة غير مباشرة، وهناك دول إفريقية تنتج السلاح وتبيعه للمتقاتلين، وهناك دول أخرى ينتقل السلاح عبر أراضيها وبرضاء حكوماتها، وهناك دول تقف بعيدة عن أتون الحرب ولكنها لا تنكر تعاطفها مع طرف أو آخر من المتحاربين ولا تخفيه، وهكذا فإن السحب السوداء توشك أن تغطي المدى الإفريقي بأكمله.

ولا شك أن العامل الاستعماري الغربي بأشكاله القديمة والحديثة له الدور الأكبر في إثارة هذه النزاعات وتجددها المستمر، هذا المكر الغربي تجاه إفريقيا هو جزء من عدائه وحقده العقدي والتاريخي

---

(١) التقييم الاستراتيجي، ص ٣٢٨، إصدار مؤسسة راند الأمريكية ـ ترجمة مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.

(٢) الخليج الإماراتية، ٦/٣/١٩٩٩م.

على الإسلام؛ فلقد انتشر الإسلام في القارة الإفريقية انتشاراً واسعاً في شمالها وشرقها وغربها وفي أجزاء من وسطها وجنوبها، وبلغ انتشاره في القارة درجة أصبح معها المسلمون يشكلون نسباً كبيرة من السكان في جميع أنحائها؛ فهناك أغلبيات عظمى أو أغلبيات كبيرة وأقليات تتراوح بين نصف السكان وأقل من عُشْرهم في بعض البقاع، وكان لانتشار الإسلام - باعتباره ديناً وطريقاً للحياة - أثره في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لشعوب القارة، كما كانت له قوته الثقافية والحضارية التي بها استطاع أن يوجد كياناً ويسهم في صنع جانب من الشخصية الإفريقية ويحقق فيما بين شعوب القارة بعضها مع بعض وبينها وبين غيرها خارج نطاق القارة صلات متعددة الجوانب.

إفريقيا في المنظور الغربي:

ينظر الفكر الغربي على وجه العموم إلى المجتمعات الإفريقية باعتبارها مجتمعات غريبة الشأن؛ فهي مضطربة ومثيرة للأطماع ومتخلفة ومخنوقة بالمجاعات والحروب الأهلية والجفاف وغارات الجراد والإيدز. فالإنسان الإفريقي في المفهوم الغربي «نشأ وتطور من الخلية الحية التي نشأت في البرك والمستنقعات»[(١)]، ويوضح فرانسوا بيار هذا الجنس بقوله: «لقد كان من المفهوم أن جنس السود نوع من البشر مختلف عنا؛ إنها بلاد الذهب المنغلقة على نفسها، بلاد الطفولة المغلفة بلون الليل الأسود قبل أن يبدأ نهار التاريخ الذي أدركه الوعي»[(٢)] وهو طبعاً التاريخ الذي يصنعه الأوروبيون بجهودهم الكريمة كما كتب القبطان فاليه في عام ١٩٠٠م وهو في أغوار غابات الكونغو: «لا نجد هنا سوى الفوضى وسوء النية، وباختصار مجتمع لا يزال في عهد الطفولة بلا أي تنظيم وهو عبارة عن شتات من البشر يستحيل التعامل معهم، ويشلُّون جهودنا الكريمة بجمودهم»[(٣)].

ويعترف جان فرانسوا بيار قائلاً: «إن الإحجام عن الاعتراف بالمجتمعات الإفريقية باعتبارها مجتمعات تاريخية وسياسية كاملة الأهلية يرتبط بإقدام الغرب على إخضاع أهلها ابتداءً من النخاسة وحتى الاستعمار»[(٤)].

وكان اللورد جونستون وهو من منظِّري الإمبراطورية البريطانية «يشك في أن يكون للأفارقة تاريخ قبل هجمات الغزاة الآسيويين والأوروبيين»[(٥)].

باختصار: كانت المفاهيم الغربية بالنسبة للمجتمعات الإفريقية تدور حول عدة عناصر:

- افتقادها لتاريخيتها.
- بلاهة شعوبها ووحشيتها وهمجيتها.

---

(١) أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ (إفريقيا)، ص ١٤، د. جمال عبد الهادي.

(٢) سوسيولوجية الدولة الإفريقية، ص ١٨، جان فرانسوابيار، ترجمة حليم طوسون، دار العالم الثالث.

(٣) المرجع السابق، ص ١٨.

(٤) المرجع السابق، ص ١٧.

(٥) المرجع السابق، ص ١٨.

- انعزالها عن بقية العالم وبعضها عن بعض.

ولكن هل ما يزال هذا المفهوم هو المسيطر على عقول الغربيين وخاصة الساسة منهم؟ بالطبع هؤلاء الساسة لا يصرحون بذلك؛ فطبيعة السياسة - وخاصة هذه الأيام - لا تدع للصراحة مجالاً؛ ولكن الأفعال هي التي تجعل الانطباع السائد أن الفكر الغربي لم يغير نظرته إلى الأفارقة، ويبدو هذا في تصرفات الساسة الغربيين.

مظاهر الدور الغربي في تأجيج النزاعات في إفريقيا:

لقد فعل الغرب بإفريقيا الأفاعيل واستغل شعوبها وثروتها أبشع استغلال، واستناداً إلى تقديرات كتاب (الزنجي) الصادر في نيويورك عام ١٩١٥م فإن تجارة الرقيق الأمريكية أدت إلى إزالة ستين مليون زنجي على الأقل من إفريقيا توفي منهم حوالي خمسين مليوناً قبل وصولهم إلى أمريكا»[١].

وتتجلى ممارسات الغرب الاستعمارية في إفريقيا - خاصة منها الذي يساعد على إثارة الخلافات - في ثلاثة مسارات:

أولاً: الصراع العرقي:

العرقية أو القبلية أو كما يسميها علماء الاجتماع (الإثنية) هي ظاهرة شديدة التعقيد؛ فهي تتميز بالتمركز حول النوع والوعي المشترك والإحساس بالهوية والانغلاق»[٢] وهي مثل أي ظاهرة في المجتمع ليست ثابتة بل يمكن أن تغير شكلها وموقعها ودورها في حياة المجتمع؛ بل وربما تظهر عناصر جديدة في محتواها؛ ومن أهم خصائصها أنها «لا تتواجد في شكل نقي بل ترتبط وبشدة بالرؤى السياسية القانونية والاجتماعية الأخرى التي تشكل مكوناتها الضرورية»[٣].

لقد ظهرت القبلية لأول مرة على يد الاستعماريين؛ فهم أول من نشر هذا المنظور؛ إذ كان جزءاً من جهودهم لإخضاع إفريقيا المستعمرة، واحتلت القبلية موقعاً هاماً في الأيديولوجية العنصرية للاستعمار فقد صُوِّرت أمراً يتسم بالسحر والبدائية والبربرية تميز الإفريقي وينظر إليها رابطاً رئيساً بين الماضي الإفريقي اللاتاريخي البدائي البربري المزعوم الخالي من أي مبدأ إنساني من ناحية والمهمة الحضارية وعبء الرجل الأبيض الاستعماري من ناحية أخرى.

ولكن كيف افتعل الاستعمار هذا الصراع؟

«بدأ الاستعمار يقسم المجموعات الإفريقية اللغوية إلى قبائل لتسويغ هذه الرؤية العنصرية للأفارقة لينشأ بينها تفاوت في الثقافة ويروج فكرة أن الصراع فقط هو ما يميز التواصل بينهم ويتجلى امتداد هذه العنصرية في ميل المستعمر إلى اعتبار المجموعات اللغوية الإفريقية بعضها أعلى أو أدنى من بعض حسب تشابه تنظيمها الاجتماعي - السياسي لتنظيم المستعمر وتقدمهم في بلوغ مصائر المستعمر السياسية والاجتماعية»[٤].

ثم جاءت الخطوة الثانية «جمع الاستعمار

---

(١) الاستعمار الأمريكي في إفريقيا، ص ٢٧، ستيوارت سميث، ترجمة أحمد فؤاد بلبع، دار الثقافة الجديدة.

(٢، ٣) الصراع العرقي في إفريقيا، ص ٧، أوكوادبا نولي، ترجمة عادل شعبان، مركز البحوث العربية.

(٤) المرجع السابق، ص ١٨، ٢٦.

مجموعات عرقية متباينة تحت إدارة سياسية واحدة، وفي بعض الحالات نجد مجموعة عرقية واحدة مقسمة إلى أقسام تديرها قوى استعمارية مختلفة أو منضوية تحت إدارات سياسية مختلفة بين قوة استعمارية واحدة»[1] وقد وضَّح بايار دور المستعمر في صنع الصراع العرقي وإن لم يعتبره العامل الوحيد؛ فإن هناك عوامل أخرى أسهمت في هذا الصراع فقد «حرصت نظرة المستعمر على تصور الأوضاع البشرية التي يعوزها الوضوح على شكل هويات متميزة تخيلها وفق نموذج هابط (للدولة - الأمة) لعدم تصوره ما هو أفضل، وكان مفهوم الإدارة الفرنسية المعتادة على المركزية الإدارية مفهوماً قائماً بكل وضوح على تحديد المساحات؛ بينما كانت فكرة الحكم غير المباشر البريطانية أميل إلى النزعة الثقافية. وأياً كانت هذه الفروق فقد تم تنظيم الحكم الاستعماري حسب هذه التصورات، واتجهت النية لترتيب الواقع على هذا الأساس. وقد استخدم القهر لتثبيت الإقامة قسراً والتحكم في حركات الهجرة وتجميد الهويات العرقية بطريقة مفتعلة إلى حد أو آخر من خلال البطاقات الشخصية وجوازات السفر الداخلية»[2].

إن الصراع العرقي استخدم من قِبَل الغرب لإخضاع الشعوب، ولقد كان المحدِّد الرئيس لهذا السلوك الاستعماري هو رغبة المستعمرين في إخضاع الأفارقة، كما لعبت سياسة (فرِّق واحكم) دوراً هاماً في عملية الإخضاع هذه؛ فشجعوا المشاعر العرقية بين الأفارقة، واستغلوا كل فرصة متاحة لنشر أسطورة تمايزهم.

تأخذ القبلية في إفريقيا أشكالاً عدة:

- يغالي القبلي باستمرار في صفات رجال قبيلته وعشيرته وأعمالهم ويفاخر بها، وعلى العكس فإنه ينكر عيوبهم، ويحاول التستر عليها باستمرار؛ وموقفه من القبائل الأخرى هو عكس ذلك تماماً.

- يمارس القبلي المحسوبية بالنسبة لأفراد قبيلته في توزيع المزايا المادية وإسناد كافة المناصب المسؤولة إليهم.

- يعتقد القبلي أن مَنْ هم ليسوا من أفراد قبيلته وعشيرته لا يستحقون مساعدته.

- ويتمادى بعضهم في القبلية إلى حد الاعتراض على الزواج بين القبائل وإلى تفضيل الزواج بين البيض والسود عليه.

- ويتمثل الشكل الأقصى للقبلية على الصعيد السياسي في المطالبة بتأسيس جمهوريات ذات استقلال مزعوم ولكن على أساس قبلي، وإذا لم يتيسر ذلك الحل تتم المطالبة باتحاد فيدرالي واستقلال ذاتي إقليمي على أن تتم تجزئة السلطة السياسية والإدارية في إطار طبقي.

كذلك كان للمبشرين البروتستانت الذين قدموا مع الاستعمار دور في إثارة صراع الأعراق فقد «ساعد المبشرون خاصة البروتستانت منهم على تنميط لغات إقليمية ونشرها عن طريق التعليم وترجمة الكتاب (المقدس) وتكوين نخب محلية رفيعة المستوى. ومن أشهر هؤلاء: الأب جونسون في بلاد اليوروبا، والقس كاجام في رواندا»[3] ويقول

(1) المرجع السابق، ص ١٨، ٢٦.

(2) الصراع العرقي في إفريقيا، ص ٧٢.

(3) المرجع السابق، ص ٧٥.

الشيخ عيسى جيسيسي مفتي رواندا: «القبيلتان المتناحرتان (التوتسي والهوتو) يعود أصلهما إلى أسرة واحدة؛ إلا أن الاستعمار استطاع أن يخلق جواً من التوتر بينهما، وأصبحت كلتا القبيلتين في صراع محتدم للوصول إلى السيطرة على البلاد، وكان للكنيسة دور أساس في إشعال نار الفتنة بين القبيلتين كلما أوشكت أن تهدأ، وكانت تبذل كل ما يمكن لقتل المزيد من الناس. أما عن موقف المسلمين من هذا التناحر والصراع فهو موقف مشرف؛ فقد التزموا الحياد ولم يسببوا أي توتر بين القبيلتين حتى إن الحكومة الحالية قامت بجمع تقارير عن سبب الفتنة، فأبرزت أنه لا يوجد مسلم واحد متورط في هذه الفتنة مما دفع رئيس الجمهورية ومعه نائبه معلنين أمام حشود كبيرة من الناس أن المسلمين لهم دور كبير في إخماد نار الفتنة التي أشعلتها الكنيسة حتى إن رئيس الدولة أمسك بيديه القرآن الكريم وقال للناس: إن هذا الكتاب هو الذي منع المسلمين أن يتدخلوا في الصراعات التي حدثت، وإن ما دعاهم لذلك هو الدين السمح الذي يعتنقونه»[1] ويعترف أحد علماء الاجتماع الفرنسيين المعاصرين بأثر الإسلام في تجانس الأعراق وتوحدها فيقول: «إن الحركات الثقافية الكبرى التي انتشرت في القارة قبل الاستعمار تتجاوز الأعراق ومنها الإسلام»[2] ويقول آخر عن قبائل كوتوكو التي تعيش في غانا: «بفضل الإسلام الذي اعتنقوه توحدوا برغم العناصر المتباينة بينهم»[3].

لقد تغلغلت فكرة التقسيم العرقي التي ابتدعها المستعمر حتى بات كثير من الأفارقة يتقبلونها ظناً منهم أنها الأصل، وأضحت العرقية المعاصرة قناة يتحقق من خلالها التباري من أجل الحصول على الثروة والمركز. وتستفيد المجموعة العرقية لحزب الطبقة الحاكمة من الامتيازات والاستثناءات، وتغدو الجماهير الضحية الحقيقية لهذا الاستقلال السياسي وما يصاحبه من تميز إثني وعرقي.

ثانياً: إيجاد الصفوة المختارة:

أوجد الغرب ـ قبل أن يرحل ـ فئةً من الشباب الإفريقي تلقوا تعليمهم في مدارس وجامعات غربية وتربَّوْا على مناهج الغرب فكانوا صنيعته في إفريقيا، وساهمت الإرساليات التبشيرية الأوروبية في هذا المخطط «ففي أوغندا ظل التعليم حتى عام ١٩٢٥م تتولاه الكنائس، وفي غرب إفريقيا ٥٥٧ مدرسة تعينها الحكومة مالياً منها ٥٢١ مدرسة تشرف عليها أو تديرها البعثات التبشيرية؛ وذلك بخلاف ٢١٧٥ مدرسة غير معانة معظمها تمولها هيئات التبشير المختلفة. وفي الكونغو تسيطر الكنيسة الكاثوليكية على نسبة ٨٠٪ من التعليم، وفي هذه المدارس تلقَّى التعليمَ القادةُ الذين برزوا في الحركات التي خلفت الاستعمار مثل نكروما ولومومبا وسيكوتوري ونيريري وغيرهم»[4]

(١) مجلة الفرقان الكويتية، فبراير ١٩٩٩م.

(٢) الصراع العرقي في إفريقيا، ص ٧١.

(٣) المرجع السابق، ص ١١.

(٤) مشكلات القارة الإفريقية السياسية والاقتصادية، ص ٢٠، د. راشد البراوي.

والجامعة الإفريقية في أوغندا التي يشرف عليها البريطانيون تخرج منها أفورقي وزيناوي وموسيفيني وجارانج[1]، وعمدت كل دولة غربية إلى تهيئة الظروف أمام هذه النوعية لتتمكن من أخذ زمام الأمور بيدها «لقد عمد البرتغاليون إلى خلق فئة من أهل المستعمرات وثيقة الصلة بالبرتغال وموالية لها؛ وطبقاً لهذه الفكرة يمكن للإفريقي أن يندمج إذا استوفى شروطاً معينة مثل معرفة القراءة والكتابة باللغة البرتغالية، واعتناق المسيحية، والاستعداد لنبذ بعض العادات السائدة كتعدد الزوجات. وهذه الطبقة من المتطورين التي أطلق عليها (الطبقة المختارة) أريد منها أن تعرقل سير الحركة الوطنية[2]، وطبقاً لهذه الفلسفة فإن الفرد لن يتمتع بحقوق متساوية، وسوف يرغم أغلبية الأفراد لزمن غير محدود في المستقبل على الخضوع لأقلية تحمي امتيازاتها الخاصة.

لقد استخدم الاستعمار على نطاق واسع وسطاء من سكان البلاد الأصليين الذين استغلوا امتيازاتهم فرصة للإثراء من خلال عملهم معاونين للإدارة، وهكذا أصبح الفساد أحد تروس جهاز الحكم غير المباشر.

ولم يغادر الاستعمار الدول الإفريقية إلا بعد أن وضع على رأس الحكم مجموعات أو طبقة موالية له تتكون من الأفراد الذين كانوا وسطاء بين الاحتلال والأهالي؛ ففي رسالة بعث بها أعضاء من الحركة الوطنية في الكونغو إلى رؤسائهم في الحزب الحاكم: «نحن أصحاب الفضل في الحركة الوطنية الكونغولية بتنا أشبه بالكلاب وسيدها؛ ففي الصباح الباكر يذهب الكلب مع سيده إلى الغابة للبحث عن صيد والكلب مستعد دائماً لالتقاط الصيد وإحضاره للسيد... وفي المساء يعودان للقرية لأكل الصيد، وعندما يُطهى اللحم يوضع في الطبق ويبدأ السيد بطرد الكلب قبل أن يبدأ الأكل مع أن الكلب هو الذي أحضر اللحم؛ ونحن أيضاً حاربنا للمطالبة بالاستقلال؛ وكثيراً ما كانوا يدبرون المؤامرات (يقصد زعماء الحزب) مع المستعمرين لإلقاء القبض على مناضلي الحركة الوطنية الكونغولية، وهم حتى الآن جالسون فوق كافة المقاعد ولا يزالون يواصلون إلقاء القبض علينا لكي يضعوا حداً لنشاطنا»[3].

لقد أصبح المركز في السلطة موقعاً للنهب، ويلجأ القائمون على هذه السلطات إلى احتكارهم للقوة الشرعية للمطالبة بمنتجات وإتاوات.وخدمات «ففي شمال الكاميرون مثلاً فرضت على القرويين غرامة قدرها ٦٠ نايرا (عملة محلية) بسبب سرقة جرس دراجة، وثمن هذا الجرس يعادل ٥ ناير في السوق، والناير يتمكن من إطعام شخص بالغ طوال اليوم، ومن المفروغ منه بالطبع أن رئيس الناحية احتفظ لنفسه بكل بساطة بمبلغ الغرامة»[4].

وهناك نوع آخر من النهب أشد خفاءً يرجع إلى علاقات أصحاب المراكز في السلطة في المدن مع أوساط الإجرام «ففي كينيا نسبت موجة من

(١) الأسبوع، ٢٠/١٢/١٩٩٧م.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٥.

(٣، ٤) مرجع سابق، ص ١١٢.

عمليات السطو مع استخدام القوة إلى بعض رجال السياسة، كما تورط رأس السلطة في زامبيا وهو رئيس الجمهورية في مختلف عمليات التهريب ومنها تهريب المخدرات» كما يعطي المركز في السلطة الفرصة للحصول على الرشاوي تحت مسميات عديدة؛ فنجد في الكونغو (زائير سابقاً) أغنى هذه المسميات فتسمى الرشوة : «شيء بسيط - حافز - مظروف - لزوم آخر الشهر - التفاهم - حق الدخان - الأخذ والعطاء - التوصل إلى حل زائيري؛ وجميعها تعبيرات للإشارة إلى المتاجرة في الأختام والتوصيات وقرارات التعيين»(١).

كذلك يمتد الفساد ويتشعب مع الخارج «فقد اتهمت شركة فرنسية بدفع ١٠,٧٩ مليون نايرا داخل نيجيريا لحساب الحزب الحاكم هناك وذلك من أجل عقود يبلغ إجمالي قيمتها ٧٤٦ مليون نايرا» كما تطبق الحكومات الإفريقية نظاماً للجمارك يدعو للسخرية «فلقد فرض حسين حبري عام ١٩٨٣م في تشاد رسوماً على المعدات العسكرية الفرنسية التي كان يلح في المطالبة بها، وأقدمت سلطات موزامبيق على فرض جمارك على التوابيت التي كان سيشيَّع فيها جنازة الرئيس سامورا ميشيل وأصحابه في كارثة الطائرة التي سقطت بهم»(٢).

لقد سلم الغرب إلى هؤلاء السلطةَ بعد أن أفسدوا الضمائر وخربوا العقائد وأشاعوا الفساد في جميع جنبات الحياة؛ فكان هؤلاء المفسدون ثمرة تربيتهم وخططهم الخبيثة، وعانت إفريقيا، ولا يزال يعاني أهلها من الظلم والاستبداد والفساد.

ثالثاً: اللعبة الأمريكية:

منذ بداية التسعينيات، نزع عدد من الزعماء الأفارقة إلى التعامل مباشرة مع الولايات المتحدة بصفتها القطب الأوحد في عالم اليوم، وتقديم خدمات لمصالحها المباشرة وغير المباشرة في المنطقة، والمساهمة في الجهود الأمريكية الخاصة بإعادة هيكلة القارة الإفريقية، وإقامة حلف أمني وعسكري معها متمثل في دفع المبادرة الخاصة بإنشاء قوة حفظ سلام إفريقية تتبناها بجانب الولايات المتحدة كل من فرنسا وبريطانيا عبر تقديم السلاح والتدريب والاستشارات الفنية، والتأكيد على أن هذه القناة هي المؤهلة فقط لإمدادات السلاح الأمريكي للدول الإفريقية الواقعة جنوب الصحراء. والمعروف أنه برغم عدم موافقة منظمة الوحدة الإفريقية على هذه المبادرة فقد تمت مرحلتها الأولى «حيث أنهى الأمريكيون تدريبات للجيشين الأوغندي والسنغالي في سبتمبر ١٩٩٧م، وأشرف البريطانيون في إبريل ١٩٩٧م على تدريبات في زيمبابوي لقوات من ٨ دول إفريقية تنتمي إلى مجموعة الكومنولث في حين تقوم فرنسا بإنشاء قاعدة للتدريبات العسكرية في ساحل العاج»(٣).

إن السياسة الأمريكية تتوجه إلى قادة الدول الإفريقية وتهتم بالأشخاص لاعتبارات تتعلق بمدى قربهم من وجهات النظر الأمريكية أكثر من كونهم قادة متمسكين بسياسات انفتاحية أو بعيدة الصلة عن الفساد في بلدانهم؛ فدولٌ مثل أوغندا وغانا ورواندا تفتقر إلى الحد الأدنى من الحريات

(١ ، ٢) مرجع سابق، ص ١١٢.

(٣) الأهرام، ٣٠/٥/١٩٩٨م.

السياسية، وقادتها محاطون بنخب ليست بعيدة عن التورط المباشر في الفساد، ومع ذلك فهم موضع اهتمام أمريكي لاعتبارات أمنية واستراتيجية.

وفي أثناء زيارة كلينتون الأخيرة إلى إفريقيا ترددت عبارة على لسانه قبل الزيارة وأثناءها وبعدها: «إنه باسم الولايات المتحدة سوف نقدم مظلة الحماية لكل إفريقيا»[1] وقد أثارت هذه الجملة الكثير من الشكوك التي أحاطت بحقيقة النيات الأمريكية الكامنة وراء الانقلاب الذي حدث في السياسة الأمريكية تجاه إفريقيا، وقد بلغت هذه الشكوك حد الحديث عن عودة للاستعمار ولكن في ثوب جديد وبأسلوب متطور يتفق مع سمات العصر وتوجهات النظام العالمي الجديد.

والواقع أن الحديث عن محاولات الهيمنة الأمريكية لم يأت من فراغ؛ فهو يمثل امتداداً طبيعياً للسياسات الأمريكية المنفَّذة حالياً في كثير من مناطق كثيرة من العالم سواء في آسيا أو أوروبا أو الشرق الأوسط، والغريب أن يعلن كلينتون عن هذه المظلة دون أن يطلب منه أحد من قادتها هذه الحماية ثم يتحدث عن الاستقلال الكامل والحرية المطلقة للدول الإفريقية؛ ومثل هذا القول قد اعتبرته العديد من الدوائر الإفريقية أنه يعني استبدال الحماية الفرنسية البريطانية الاقتصادية على العديد من دول القارة بالحماية الأمريكية. لقد تركزت السياسة الأمريكية على فتح أبواب القارة أمام الاستثمارات الأمريكية وفتح أسواقها الضخمة أمام السلع الأمريكية.

أما الحديث عن حقوق الإنسان والديمقراطية فهما وسيلتان للضغط على الدول الإفريقية بوصفهما ورقة مساومة عند اللزوم وفي الوقت نفسه تغطية لأهداف التدخل الأمريكية في الشؤون الداخلية للدول الإفريقية وتكريس الزعامة الأمريكية عالمياً.

هذا النفوذ الأمريكي المتعاظم استتبعه زيادة حدة الصراع في القارة المتمثل في:

- التنافس على السيادة الإقليمية ولقب شرطي المنطقة ولعل النموذج الإرتيري الأثيوبي خير شاهد على ذلك وما تلاه من حرب ضروس وهلاك الحرث والنسل بين أكثر حلفاء أمريكا في القارة: أفورقي، وزيناوي.

- زيادة حدة المذابح؛ وأوضح مثال على ذلك منطقة البحيرات العظمى نتيجة دعم قبيلة أو نخبة ضد أخرى مما أطال أمد الحرب بين موبوتو وكابيلا ثم بين كابيلا نفسه والمتمردين التوتسي.

- الحرب على الإسلام وخاصة في السودان، ولولا دول الحزام المسيحي المحيط به الداعم لتمرد جارانج لانتهى تمرده من فترة طويلة.

ومنذ عشرات السنين والكتب تنشر، والشعر يُلقى، والقصص تُروى عن نضال إفريقيا وكفاح شعوبها ضد الاستعمار ورموزه وأدواته، وعن المارد الذي كسر الأغلال، وحطم القُمْقُم، وتحرر من الرق والاستبداد؛ فهل يجيء اليوم الذي يصبح فيه هذا الحلم حقيقة؟

---

(١) الأهرام، ١٠/٥/١٩٩٩م.



مسلمو شبه جزيرة القرم

صورة عن قرب

مبارك عبد اللطيف

معلومات أساسية:

جمهورية القرم: هي جمهورية ذات حكم ذاتي، وداخلة في تكوين جمهورية أوكرانيا. وتقع شبه جزيرة القرم في الجزء الجنوبي لأوكرانيا.

عاصمتها: سيمفيروبل.

السكان: ٢,٤٠٠,٠٠٠ نسمة. (الروس ٥٥٪، الأوكران ٣٠٪، التتار ١٢٪).

تاريخ القرم وتتار القرم:

كل الدراسات والأبحاث العلمية المتعلقة بشبه جزيرة القرم تؤكد أن هذه المنطقة ذات المناخ المعتدل وطبيعتها المميزة كانت من أول المناطق الصالحة لحياة الإنسان، وأن أول من سكنوها هم التتار والمغول والأتراك. أما السكان الأصليون لشبه جزيرة القرم فهم التتار وهم خليط من سكان المناطق الجبلية كريمسي (وهم السكان الأصليون)، اسكيفي، قوتي، الإغريق، سارماتي والمناطق الشمالية (كبشاكي - أتراك). وفيما يتعلق باللغات التي كانت سائدة في شبه جزيرة القرم فنجد أنه لكل قومية لغتها الخاصة بها، ولكن نمو العلاقات وتطورها في مجالات التجارة والاقتصاد أدى إلى ظهور لغة موحدة هي اللغة التركية التي أصبحت اللغة السائدة التي يتحدث بها الجميع في شبه جزيرة القرم التي كانت في ذلك الحين تعد مركزاً كبيراً للتجارة والاقتصاد.

دخول الإسلام إلى أوكرانيا والقرم:

الإسلام يعتبر الديانة الثانية بعد المسيحية (أرثوذكس). أما دخول الإسلام إلى أوكرانيا والقرم وتعرُّف شعب أوكرانيا والقرم على الإسلام فإنه يرجع إلى النصف الأول من القرن العاشر الميلادي عن طريق الرحالة والتجار المسلمين الذين كانوا يصلون إلى مدينة كييف عاصمة دولة روس الأوكرانية والقرم محملين بالبضائع المختلفة؛ وهذا ما تثبته المراجع والعملات النقدية التي عثر عليها مصكوكة بأحرف عربية يرجع تاريخها إلى القرن العاشر الميلادي. أما البداية الحقيقية لدخول الإسلام إلى القرم فكانت متمثلة في اعتناق (بركة خان) أمير القبيلة الذهبية في القرم للإسلام في عام ١٢٦٧م. هذا العام يعتبر بداية لمرحلة جديدة في انتشار الإسلام في شبه جزيرة القرم وخروج الإسلام من مرحلة الانتشار عن طريق الأفراد إلى

مرحلة أخرى تدعمها السلطة، ولقد أسس الأمير بركة خان دولة إسلامية امتدت من حوض الفولجا وحتى شبه جزيرة القرم؛ حيث كانت عاصمتها مدينة بخشيساراي (حديقة الزهور).

السيطرة الروسية:

أما عن وضع المسلمين بعد أن تمت لروسيا السيطرة الكاملة عام ١٨٧٣م على القرم فلم يزدد إلا سوءاً، وأصبحت أمامهم خيارات الهجرة والإبعاد أو ترك دينهم واعتناق المسيحية. بدأت السلطات الروسية حملات التطهير العرقي والديني لمسلمي القرم؛ حيث قامت السلطات بإغلاق المدارس والمساجد، ومصادرة الأوقاف، ومطاردة المسلمين وملاحقتهم وإجبارهم على مغادرة موطنهم القرم، وقامت بإبعاد الأئمة والمعلمين وترحيلهم إلى المدن الروسية وإجبار أبناء المسلمين في الخدمة العسكرية على أكل لحم الخنزير وكل ما هو محرم من طعام وشراب.

نتيجة لهذه السياسات القمعية والإرهابية اضطر كثير من المسلمين إلى الهجرة من موطنهم القرم، فهاجر إلى تركيا تقريباً أربعة ملايين مسلم هرباً من سياسات القمع الروسية، أما الذين لم يتمكنوا من الهجرة فتم ترحيلهم إلى مدن روسيا المختلفة لتذويبهم في المجتمع الروسي، وكان كل من يتم إبعاده أو طرده من القرم يفقد حق العودة إلى القرم مرة أخرى.

من الواضح أن السلطات ركزت في المقام الأول - وبشدة - على إبعاد المسلمين عن دينهم ووطنهم، وثانياً على طمس معالم الحضارة الإسلامية وإزالة كل شيء علاقة بالإسلام من أرض القرم؛ ففي علم ١٨٣٣م قامت السلطات بالاستيلاء على المكتبات وهدمها وحرق الكتب الإسلامية وإبادتها. أما المساجد فأكثر من ٩٠ مسجد تم هدمها وتحويلها إلى مجالات أخرى؛ وحتى الآن توجد في كثير من قرى القرم معالم لتلك المساجد تقف شاهداً ودليلاً. لم تكتف السلطات بما فعلته في المساجد والمدارس بل وصلت يدها إلى مقابر المسلمين التي تم نبشها والعبث بها، وسُرقت الحجارة منها لاستخدامها مواد للبناء.

وهكذا سارت حياة المسلمين على هذا النمط حتى قيام الثورة الاشتراكية الشيوعية في أكتوبر ١٩١٧م لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ الإسلام والمسلمين في القرم.

تتار القرم في ظل ثورة أكتوبر الاشتراكية الشيوعية وقيام الاتحاد السوفييتي:

لم يُخفِ البلاشفة منذ الأيام الأولى لثورة أكتوبر الاشتراكية في ١٩١٧م عداءهم ومحاربتهم لتتار القرم؛ حيث قاموا منذ الأيام الأولى للثورة بأعمال إرهابية ضد التتار، وعندما قام التتار برفض تلك الأعمال الإرهابية وإدانتها أغضب ذلك البلاشفة، وقاموا بحرب شعواء واسعة النطاق ضد التتار في القرم واصفين القرم بأنهم بؤرة الرأسمالية والتجسس، وكانت نتيجة ذلك حمامات دماء وحرق جماعي وقتل بالرصاص وبالتجويع وبالتعذيب أودى ذلك بحياة أكثر من ٦٠٠٠٠ تتري (ستين ألفاً)، وفي عهد ستالين ازداد الحال سوءاً؛ حيث أعدم بالرصاص حوالي ٣٥٠٠ تتري (ثلاثة آلاف وخمسمائة) من المثقفين وعلماء الدين، وكذلك عشرات الآلاف من الشباب ورجال الأعمال الذين رفضوا الاتحاد مع المزارع الحكومية. في سنة ١٩٢٩م تم إبدال أحرف اللغة التترية بأحرف لاتينية، وتم إبعاد أي مطبوعات باللغة التترية من كتب وغيرها عن المكتبات الحكومية، وكذلك قاموا بنزع كل الكتب والجرائد وكل ما يمت إلى اللغة التترية بصلة وحرقوه وأصدروا قانوناً يمنع حفظ أي مطبوعات باللغة لها علاقة بالتترية.

الحرب العالمية الثانية:

بحلول عام ١٩٤١م قل عدد تتار القرم ووصل تقريباً إلى ربع مليون نسمة، وعند قيام الحرب العالمية الثانية تم تجنيد ٦٠٠٠ تتري في الجيش الأحمر. عندما وصل الألمان إلى القرم سعوا إلى تمكين وجودهم في القرم وقاموا بترحيل حوالي ٨٥٠٠٠ تتري إلى معسكرات حول برلين للاستفادة منهم أيدي عاملةً، مما دفع التتار إلى مقاومة الألمان باللجوء إلى حرب العصابات وتكوين مجموعات فدائية أدت إلى إزعاج الألمان الذين قاموا بأعمال انتقامية ضد التتار؛ حيث قاموا بالقتل وحرق ٥٢ قرية بسكانها. والحقيقة التي لا بد من ذكرها هي أن حوالي ألفين من سكان القرم تعاونوا مع الألمان ومن بينهم تتار؛ إلا أن عدد التتار ما كان يصل إلى الحد الذي يمكن أن يوصفوا فيه بالعمالة؛ فقد تعاون مع الألمان كذلك روس وأوكران بأعداد أكبر من التتار.

كارثة ثقافية وأخرى إنسانية:

لم تُخفِ الثورة الاشتراكية منذ لحظة قيامها محاربتها وعداءها للأديان وبالأخص للإسلام والمسلمين؛ فلقد شهدت العشرينيات والثلاثينيات حرباً شعواء واسعة النطاق ضد الدين والمتدينين على حدود الاتحاد السوفييتي سابقاً، وكانت مطرقة النظام موجهة وبقوة ضد مسلمي أوكرانيا والقرم على وجه الخصوص وهو ما أثّر تأثيراً مباشراً على المسلمين وعلى حياتهم الدينية. قام النظام في القرم وبصورة واسعة وبقسوة متناهية بإغلاق المساجد والمدارس الإسلامية والمكتبات الدينية والقبض على الزعماء الإسلاميين وتعذيبهم في السجون، وكانت الدعاية البلشفية تربط وبصورة مباشرة بين التوجه الإسلامي وعدم الوعي الاشتراكي والخرافة البورجوازية. وتحت ضغط السياسة الاشتراكية ومحاربتها للإسلام بَعُدَ المسلمون شيئاً فشيئاً عن دينهم ودين أجدادهم، أما ذوو العزيمة والإيمان الصادق الذين ثبتوا على دينهم فإنهم عاشوا - وبصورة دائمة - في خوف واضطهاد. وبصورة واضحة وعلنية ودعائية كان يقوم النظام بوضع الحواجز في طريق العمل المنظم للجمعيات الإسلامية، وفي نهاية الثلاثينيات تم إبطال أي نشاط إسلامي وإعدام كل القيادات الإسلامية تقريباً ونفيها بحجج واهية كقيادتهم لجماعات وحركات عنصرية؛ وذلك لتسويغ الأعمال الوحشية وغير الإنسانية تجاه القيادات الإسلامية.

هكذا كانت حياة تتار القرم مقبوضاً عليها بيد من حديد حتى بداية الستينيات عندما رُدَّ إليهم اعتبارهم في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفييتي بإدانة أعمال ستالين الوحشية التي ارتكبها ضد التتار بتهجيرهم من وطنهم الأصلي القرم. رغم الصعاب الكثيرة التي كانت تعترض طريق التتار المتمثلة في فقدانهم لوطنهم وممتلكاتهم وسيطرة الروس والأوكران الذين حلوا مكانهم عليها لم ييأس التتار من مواصلة صراعهم من أجل الحياة والرجوع إلى وطنهم الأم القرم؛ حيث قاموا بتجميع صفوفهم وتنظيمها وتأسيس الحركة القومية لتحرير القرم التي ترأسها (مصطفى جميلوف) وقامت في المدن والقرى في القرم حملات توعية وسط السكان لشرح أهداف الحركة الوطنية وإمكانية اتحاد الحركة مع الحركات الديمقراطية والدينية التي كانت تقاوم النظام، كما تم إرسال ممثلين إلى موسكو لمقابلة رؤساء الكريملين وتسليمهم رسائل حول مشاكل التتار وعودتهن إلى وطنهم الأصلي في القرم، وقامت الحركة بإرسال المعلومات والوثائق والأخبار والخطابات إلى الجميع عن طريق البريد والإذاعات مثل صوت أمريكا وهيئة الإذاعة البريطانية وراديو الحرية وموجة ألمانيا وراديو كندا؛

وهذا شكّل بدوره ضربة كبيرة للشيوعية التي كانت تتبجح بالمساواة بين جميع البشر.

بعد هذه الأحداث قامت السلطات بإعفاء أعضاء الحركة من العمل الحكومي ثم محاكمتهم وسجن بعضهم. وفي يونيو ١٩٦٩م خرجت مجموعة من التتار في مظاهرة إلى إحدى الساحات المركزية في موسكو مطالبين بإطلاق سراح (بيتر قريقورينكا) الذي دافع عن حقوق تتار القرم، وكان ذلك في يوم لقاء رؤساء الأحزاب الشيوعية للدول الشيوعية الصديقة، ولقد تمكن المتظاهرون التتار من توزيع بعض المنشورات والأوراق عن تتار القرم ومشاكلهم وعن (بيتر قريقورينكا) إلا أن المظاهرة لم تستمر أكثر من ست دقائق؛ حيث قامت الشرطة مع جهاز الأمن بتفريق المتظاهرين.

ورغم أن مجلس السوفييت الأعلى في سنة ١٩٦٧م أصدر قراراً يعطي تتار القرم حق السكن في أي مكان في الاتحاد السوفييتي إلا أن هذا كان مجرد قرار. أما الواقع فكان يقول إن من حق التتار السكن في أي مكان في الاتحاد السوفييتي ما عدا القرم؛ فقد كانت أراضيه محرمة عليهم، وحتى بعد أن بدأت تهب رياح الحرية والديمقراطية عادت إلى القرم مئات الأسر، ولكنهم في القرم فوجئوا بالرفض لعودتهم ومنعهم من السكن والحصول على قطع سكنية وطردهم مرة أخرى من وطنهم بحجج واهية مثل عدم الإقامة والتسجيل، وعدم قانونية البيع والشراء في مجال الأراضي. بهذه الأسباب تم طرد أكثر من عشرة آلاف منهم. وصاحب حالات الطرد الأخيرة مآسٍ كثيرة بعد أن فقدوا كل شيء في حياتهم من أجل الوصول إلى وطنهم القرم؛ ولكن عندما وُوجِهوا بالرفض لرجوعهم دخل بعضهم في اشتباك مع السلطات التي زجت ببعضهم في السجون التي توفي فيها الكثيرون، وآخرون قاموا بالانتحار وحرق أنفسهم في مناطق عامة احتجاجاً على سياسات الدولة ضدهم.

تتار القرم في ظل أوكرانيا المستقلة:

المجلس التتري:

لقد بدأ الظهور الفعلي للتتار في الحياة السياسية وممارسة حرياتهم والمطالبة بحقوقهم في ١٩٩١م عندما أعلنت أوكرانيا استقلالها. وفي مدينة سيمفيروبل يوم ٢٦/٢/١٩٩١م تم عقد مؤتمر عام لكل التتار بالقرى (قارورتاي) وحضر المؤتمر وفود من عدد من جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق، وفي المؤتمر تم تكوين المجلس التتري ممثلاً وحيداً للشعب التتري، وتم انتخاب (مصطفى جميلوف) رئيساً للمجلس التتري و (رفعت شوباروف) نائباً لرئيس المجلس. وقد التف حول المجلس التتري جميع التتار وأصبح الجهة الوحيدة التي تمثلهم على الصعيد السياسي. هذا ويقود المجلس التتري منذ تأسيسه نضالاً متواصلاً للحصول على المزيد من الحقوق والمكاسب للشعب التتري، ويسعى المجلس كذلك للمشاركة في الحكومة باعتباره الممثل الشرعي للشعب التتري صاحب الحق والشرعية في شبه جزيرة القرم؛ إلا أن الحكومة حتى الآن تعترف به حزباً سياسياً لا غير، وأعطت المجلس التتري في الانتخابات البرلمانية في القرم لعام ١٩٩٤م مقعداً في برلمان شبه جزيرة القرم من جملة ٩٤ مقعداً من غير انتخاب. وبينما المجلس التتري يسعى جاهداً لزيادة عدد المقاعد إلى الحد الذي يمكنه من التأثير في اتخاذ القرارات قامت الحكومة بسحب الـ ١٤ مقعداً من المجلس التتري وطالبت المجلس التتري بخوض الانتخابات البرلمانية في علم ١٩٩٨م كبقية الأحزاب الأخرى، ولقد خاض المجلس التتري الانتخابات كبقية الأحزاب إلا أنه لم يحصل على أي مقاعد في

البرلمان؛ وذلك لأن أغلبية التتار لم يشاركوا في الانتخابات لعدم وجود الجنسية الأوكرانية.

وللمجلس التتري دور كبير في حياة التتار السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية؛ ففي المجال السياسي ما زال المجلس يقود نضالاً متواصلاً للحصول على المزيد من الحقوق والمكاسب للشعب التتري.

وفي المجال الاقتصادي نجد المجلس في سعي دائم مع الحكومة لتوفير أماكن عمل للتتار وتسويق مشاريع في القرم وخارج القرم لدعم الأسر الفقيرة، كما يسعى جاهداً لجذب الاستثمارات الخارجية وخاصة من العالم العربي والإسلامي لتحسين الوضع الاقتصادي للتتار، وكذلك لفت أنظار العالم العربي والإسلامي لمشاكل التتار الأخرى المتمثلة في السكن والتعليم والعلاج والخدمات العامة من ماء وكهرباء وغاز وغيرها وكذلك الجانب الخيري والإنساني.

وفي المجالات الاجتماعية والثقافية نجد أن للمجلس مؤسساته الاجتماعية والثقافية بين التتار التي لها خططها وعملها ونشاطاتها المتمثلة في التوعية والتربية الوطنية، والاهتمام بالمواهب وإعداد الكوادر التنظيمية، والمحافظة على العادات والتقاليد، وعرض الوجه الحضاري والثقافي للتتار على مستوى القرم وأوكرانيا والعالم أجمع، وفي المجال الإعلامي يمتلك التتار قناة للبث التلفزيوني لساعات معينة يومياً، وبرامج إذاعية في عدد من الإذاعات، وكذلك هنالك عدد من الجرائد التي يصدرها التتار باللغتين التترية والروسية.

هذا ورغم الجهود المبذولة من جانب المجلس التتري في الحلول المناسبة لمشاكل التتار إلا أنه ما زالت هناك عدد من المشاكل ذات الأهمية الكبيرة التي لا بد من تضافر الجهود مع المجلس التتري وخاصة من جانب العالم العربي والإسلامي لإيجاد الحل المناسب لها، وهذه المشاكل تتمثل في إيجاد أماكن عمل للتتار وخاصة لحاملي الشهادات العليا والجامعية. والذي يعتبر من المشاكل التي تتطلب تدخلاً سريعاً هو توفير فرص للتعليم في القرم وخارجه وخاصة بالنسبة للتعليم الجامعي وبناء المدارس واللغة التترية، والعلاج وبناء المستشفيات، ومشاريع صغيرة لدعم الأسر ذات الدخل المحدود. وكما ذكرنا فإن هذه المشاكل تتطلب تضافر الجهود؛ ولذا فسوف نتطرق لها بالتفصيل.

الإدارة الدينية لمسلمي القرم:

لم يستطع المسلمون ممارسة شعائرهم الدينية بحرية إلا بعد أن أعلنت أوكرانيا استقلالها بعد سقوط الاتحاد السوفييتي وتفككه. لقد وعت أوكرانيا المستقلة الخطأ الكبير الذي ارتكبه النظام الشيوعي في محاربة الأديان، ولذلك لم تعطِ شعبها فقط حرية الدين والعبادة بل أعطت كل الديانات الحق في استرجاع كل المباني والممتلكات التي سلبها منها النظام الشيوعي. بدأ مسلمو القرم في تجميع صفوفهم والعودة إلى دينهم الإسلامي، والتنسيق فيما بينهم، والاستفادة من خبرات إخوانهم في جمهورية روسيا الاتحادية لتوحيد كلمة المسلمين وضم صفوفهم والعودة بهم إلى تعاليم الدين الإسلامي، وفي هذه الفترة وجدوا مساعدة كبيرة وتعاوناً تاماً من جانب المؤسسات الإسلامية والخيرية وطلبة الجامعات والدراسات العليا من الدول العربية والإسلامية مما ساعدهم كثيراً في وضع اللبنات الأساسية لعملهم الإسلامي.

في عام ١٩٩١م تم تكوين أول إدارة دينية في أوكرانيا وتسجيلها في مدينة (سيمفيروبل) عاصمة القرم، وعلى رأسها المفتي (سيد جليل إبراهيم). تولت الإدارة الدينية شؤون المسلمين التتار العائدين من أوزبكستان وكازاخستان ومساعدتهم في شتى المجالات، وأصبح مقر الإدارة الدينية يتوافد عليه

كل المسلمين من مختلف مناطق القرم بمختلف الأسئلة الدينية والدنيوية. وفي الإدارة الدينية أصبحت تقام دروس اللغة العربية والتربية الإسلامية في المبادئ الأساسية للإسلام.

قامت الإدارة الدينية لمسلمي القرم بتشجيع المسلمين في مختلف مناطق القرم على تكوين الجمعيات الإسلامية وبذلت الإدارة الدينية مجهودات كبيرة في هذا المجال، حتى إن عدد الجمعيات الإسلامية التي تم تسجيلها في مناطق القرم المختلفة الآن يقارب مئتي جمعية إسلامية تولت شؤون المسلمين من تعليم إسلامي واحتفال بالمناسبات الدينية، وعقد القران والختان وغيرها من الأمور التي تهم المسلمين، وعملت في تنسيق تام مع الإدارة الدينية مما كان له كبير الأثر في دفع المسلمين إلى الإسلام والتعاليم الإسلامية.

عملت الإدارة الدينية والجمعيات الإسلامية بالتنسيق والتعاون والاستفادة من المنظمات الخيرية من الدول العربية والإسلامية العاملة في المجال الدعوي والخيري، وعلى الرغم من أن المنظمات الخيرية العربية العاملة في المجال الدعوي والخيري تركز وبشكل أساس في عملها الدعوي والخيري على مسلمي روسيا وأوزبكستان وأذربيجان، إلا أنها مع ذلك كان لها الدور الكبير في تعريف مسلمي القرم بالإسلام وتعاليم الدين الإسلامي وتعميق معاني الحب والإخاء بين المسلمين، ولقد لعبت هذه المنظمات دوراً كبيراً في توفير الكتاب الإسلامي باللغة الروسية في علوم القرآن الكريم والعقيدة والفقه والأحاديث والسيرة النبوية الشريفة، وقامت هذه المنظمات أيضاً ببناء عشرات المساجد وترميم بعضها، وبمساعدة تلك المنظمات يتم وبصورة شبه منتظمة تنظيم المخيمات التربوية الصيفية للرجال والنساء والأطفال، وكذلك بمساعدة تلك المنظمات تنظم مشاريع الأضاحي والإفطارات الجماعية، كما أن لتلك المنظمات دوراً محموداً في مجال الإغاثة والأعمال الخيرية.

أما عن المسائل الملحَّة التي تقف الآن أمام الإدارة الدينية والتي لا بد من تضافر الجهود لإيجاد الحل المناسب لها باعتبارها مسائل لا تهم فقط مسلمي القرم ولكن يجب أن تجد الاهتمام من كل المسلمين فإنه يمكن تلخيصها في عدم وجود الكادر المحلي المؤهل لقيادة العمل الإسلامي في المستقبل؛ فالعمل الإسلامي لا زال يعتمد على الأجانب من طلبة ومنظمات؛ لذا لا بد من العمل الجاد لتأهيل فريق محلي يفهم الدين الإسلامي فهماً صحيحاً ويكون بمقدوره قيادة العمل الإسلامي ورفع راية الإسلام على أسس عالمية الدين الإسلامي وصلاحيته لكل زمان ومكان، وهذا لا يتأتى إلا بالتعليم الإسلامي وفتح مدارس إسلامية تستقبل أبناء المسلمين من المرحلة الإعدادية وحتى المرحلة الجامعية، وتخرِّج للمجتمع الأوكراني أجيالاً من علماء ودعاة ومثقفين يحملون القيم الإسلامية الأصيلة فهماً وعملاً وسلوكاً.

وبما أن بناء المدارس والإشراف عليها يتطلب مجهودات كبيرة وإمكانيات ضخمة يقف أمامها مسلمو القرم عاجزين فإن الأمل يظل على المنظمات والهيئات الخيرية والدعوية العاملة في المجال الخيري والدعوي وعلى الخيِّرين من أبناء الأمة الإسلامية. ومسلمو القرم لا ينسون أبداً الدور الكبير والمجهودات الجبارة التي بذلها - وما زال يبذلها - إخوانهم المسلمون عبر المنظمات والهيئات الخيرية والدعوية في مساعدتهم على العودة إلى دينهم الإسلامي.

قامت الإدارة الدينية لمسلمي القرم بالتنسيق مع مركز الجمعيات الإسلامية المستقلة (الجمعيات التي تعمل خارج إطار الإدارة الدينية لمسلمي أوكرانيا) لعقد المؤتمر الأول لمسلمي أوكرانيا يوم ٢٤/٩/١٩٩٤م في سيمفيروبل عاصمة القرم للأهداف الآتية:

● توحيد المسلمين والجمعيات الإسلامية في إدارة دينية واحدة لكل مسلمي أوكرانيا.

● اختيار مفتٍ لمسلمي أوكرانيا بدلاً عن (أحمد تميم) مفتي الإدارة الدينية لمسلمي أوكرانيا التي مقرها في مدينة كييف عاصمة أوكرانيا.

● يكون مقر الإدارة الدينية لمسلمي أوكرانيا في سيمفيروبل عاصمة القرم باعتبار أن القرم يمثل مركز ثقل المسلمين. وبعد أن اكتملت كل الاستعدادات لانعقاد المؤتمر جاء القرار المفاجئ يوم ٢٣/٩/١٩٩٤م من السلطات المحلية بمنع قيام المؤتمر بحجة عدم ملاءمة الظروف الصحية لقيام المؤتمر. وهكذا أخفق أول مؤتمر لمسلمي أوكرانيا في ظروف غامضة وأسباب حتى الآن لم يكشف عنها أحد.

مشكلة الإسكان:

معاناة التتار من السكن كثيرة ومتشعبة حتى يمكن القول بأن ٢٦٢ الف تتري يملك سكناً دائماً بينما ١٣٣,٢ ألف وحوالي ٤٠٠٠ ألف أسرة لا تملك سكناً دائماً، ويعيشون في ظروف غير ملائمة من السكن الجماعي أو المعيشة مع الأقارب ومع اتخاذ بعض التدابير لتوفير السكن عن طريق الدعم المقدم للبرامج الخاصة بتحسين الأوضاع للتتر العائدين بمبالغ زهيدة، وترى السلطات أن الدعم سيقتصر على الأسر الفقيرة، ولتوفير سكن دائم للتتار لا بد من بناء مليون متر مربع، سيكون جزء يسيرٌ منها على حساب الحكومة ومصادر أخرى بينما سيتم توفير معظم السكن بصورة أساسية على حساب التتار أنفسهم وبمواردهم الذاتية.

وقد نتج عن ضعف التمويل الحكومي الخاص بتوفير سكن للتتار العائدين مشكلة كبيرة هي ديون على الحكومة للشركات العاملة في مجال البناء والتي وصلت في عام ١٩٩٦م إلى ٢,٥ مليون دولار أمريكي. هذا ونجد أن الحكومة تخفض دعمها لمشاريع توفير السكن للتتار بينما عدد التتار يزداد في كل يوم حتى إنه في الفترة الأخيرة خفضت دعمها لدرجة تمكنها فقط من دعم أسرة واحدة من مائة أسرة.

مشكلة التعليم والمدارس واللغة:

في مجال التعليم نجد التقصير الكبير من جانب الحكومة؛ حيث إن عدد المدارس التي يُدَرَّس فيها باللغة التترية قليل جداً بالمقارنة بحاجة التتار إليها؛ مع العلم بأن التدريس باللغة التترية من حقوق التتار المثبتة في الدستور.

وحسب الدستور في أوكرنيا فإنه توجد لغة رسمية واحدة هي اللغة الأوكرانية، وحتى على مستوى القرم فإن اللغة التترية لا تعتبر لغة رسمية؛ ولكن التدريس بها مسموح به في المدارس الحكومية. وفي فترة الخمسين سنة الماضية، وبسبب سياسة التفرقة تعرضت اللغة التترية لخسارة كبيرة؛ وذلك لأنها في هذه الفترة كانت محصورة فقط في محور الأسرة، وتم تحويل حروفها إلى اللاتينية بطريقة ليست علمية كان الغرض منها دمج الشعوب في ثقافة شيوعية موحدة، وكذلك اختلطت ببعض اللغات مثل الروسية والأوزبكية، بينما في فترة ما قبل التهجير كانت اللغة التترية تعتبر اللغة الرسمية، فكانت هي لغة التعامل والتعليم في كل مراحله.

في عام ١٩٦٥م في أوزبكستان بدأت بعض المدارس تدرس اللغة التترية ابتداءاً من الفصل الثالث لمدة ساعتين في الأسبوع، ولكنها كانت مخلوطة ببعض الكلمات الروسية. وفي الفترة من ١٧ إلى ٢٠/٦/١٩٩٢م في مدينة سيمفيروبل وبطلب من المجلس التتري ومعهد التشريق في أكاديمية العلوم الأوكرانية عقد مؤتمر علمي عالي في القرم لتحويل حروف اللغة التترية من الروسية إلى اللاتينية، وتم تكوين لجنة تضم بين أعضائها علماء من القرم وبولندا والمجر وتركيا وعدد من جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق ذات اللغات التي تنحدر من أصل تركي، حيث قامت هذه اللجنة

بوضع أحرف جديدة للغة التترية. ويتم الآن تدريس اللغة التترية القرمية في عدد من المدارس مادة اختيارية ما عدا المدارس التترية السالفة الذكر.

وفي النهاية نخلص إلى أن اللغة التترية محتاجة أولاً إلى أن يُعترف بها لغة رسمية في جمهورية القرم؛ وهذا السؤال ما زال معلقاً، والجميع في انتظار الحل من البرلمان الأوكراني والقرمي، وثانياً محتاجة إلى حماية وتطور؛ وهذا بدوره يحتاج إلى إمكانات ضخمة لإعداد المعلمين والمترجمين، وطبع الكتب والمناهج العلمية ونشرها. ولا شك أن حماية اللغة التترية هي حماية لتاريخ التتار وثقافتهم.

مشكلة العمالة:

من المشكلات الكبيرة والمعقدة التي تواجه التتار هي مشكلة الحصول على عمل؛ حيث نجد أن نسبة ٤٩٪ من التتار ليس لهم عمل ثابت ولا مؤقت؛ ومن جملة ١٣٣١٠٦ تتري يشكلون اليد العاملة، منهم حوالي ٦٦٨٧٣ تتري لهم عمل ثابت أو مؤقت أو موسمي. وتتار القرم يعملون بشكل أساس في مجالات منها: الزراعة ٣٠٥٦٤ تتري، والبناء والصناعة ١١٠٣٩ تتري، والتعليم ٤٣٨٢ تتري، والصحة ٣٦٤٢ تتري. أما في المجالات الأخرى فأعدادهم قليلة جداً؛ فمثلاً في أقسام وزارة الداخلية يعمل ٢٠٠ تتري (١,٣٪ من العدد الكلي للعاملين) وفي أقسام وزارة المالية يعمل ٦ تتار؛ أما بين المسؤولين فلا يوجد أحد. وحسب التقرير الحكومي الخاص بالعمالة بالقرم لسنة ١٩٩٧م الذي أعدته اللجنة الحكومية الخاصة بالعمالة كان ينتظر أن يصل عدد التتار العاطلين عن العمل في القرم بنهاية العام ١٩٩٧م إلى ٧٠٧٤٤ تتري. لقد قامت الحكومة بوضع برنامج لتطوير عدد من المدن وتوفير فرص عمل فيها مثل جانكوي وبخشيساراي وكراسنقفارديسكي ونيجناقورسكي وسافيتسكي ومناطق أخرى يصل عدد التتار العاطلين عن العمل فيها إلى ١٧٩٨٨ تتري إلا أن هذا المشروع لم ينفذ؛ ولذا نجد أن أغلب التتار يتمسكون بأعمال مؤقتة أو موسمية أو يلجؤون إلى أعمال هامشية في المزارع والأسواق. والحقيقة المؤلمة هي أن من بين هؤلاء حملة شهادات جامعية في مجالات الطب والهندسة وغيرها وذوو خبرة في هذه المجالات. أما المشاكل التي تقف عائقاً في طريق التتار للحصول على فرص عمل فيمكن أن نلخصها في الآتي:

١ - العامل القومي: هذا من المشاكل الكبيرة التي تواجه التتار في مجال البحث عن العمل؛ وذلك لأن كثيراً من التتار لا يتم استيعابهم في العمل؛ لأنهم تتار؛ وهذه المشكلة نجدها بشكل ملحوظ في مجالات التعليم والهندسة، وكذلك مجالات الفن والثقافة؛ والسلطات المحلية تعي تماماً تلك الحقائق وتعترف بها أيضاً.

٢ - الجنسية الأوكرانية: في القرم الآن حوالي سبعين ألف تتري ليس لديهم الجنسية الأوكرانية؛ والسبب في ذلك هو صعوبة إجراءات الحصول على الجنسية الأوكرانية وتعقيدها، وكذلك تكاليفها الباهظة؛ والقاعدة تجاه هؤلاء واضحة وثابتة: من ليس له جنسية ليس له فرصة في العمل الحكومي.

٣ - التقصير من جانب المسؤولين: وهذا واضح في عمل اللجان العاملة في هذا المجال، وكذلك الأقسام الخاصة بالعمالة والتي لا تقوم بواجبها في توصيل المعلومات الكاملة من التتار وإليهم، إضافة إلى ذلك التقصير في عمليات التسجيل ومراكز التسجيل(*).

(*) كل الأرقام والإحصائيات التي وردت في الفقرات الخاصة بمشكلات السكن والتعليم والعمالة مأخوذة من تقارير لوزارة الداخلية وجهات رسمية متخصصة فيما يتعلق بعودة التتار وتوطينهم.



يرصدها: حسن قطامش

في الشيشان.. فتش عن الأمريكان

في القوقاز تشترك شركات بترول أمريكية في بناء أنابيب بترول من بحر قزوين عبر أذربيجان وجورجيا ومن تركمانستان إلى تركيا. وفي هذا يقول مدير وكالة المخابرات المركزية: «حكام كثير من الدول في تلك المنطقة أصدقاء لنا. ولكن الأنظمة والحكام ليسوا مستقرين وهناك كثير من الجرائم والمخدرات وتجارة الأسلحة».

معنى هذا أن وكالة المخابرات المركزية انتقلت إلى منطقة القوقاز لحماية هذه المصالح الأمريكية الجديدة.

ولا ينسى مدير وكالة المخابرات المركزية أن أغلبية سكان هذه الدول مسلمون. ولأنه قال إن الفقر والظلم من أسباب مشكلة الإرهاب فإنه يحذر من إرهاب جديد في دول القوقاز، ويحذر بالذات من المتطرفين الإسلاميين. ولا ينسى أيضاً الحرب في الشيشان، ولا يعطف على المتطرفين الإسلاميين في الشيشان، ويقول: إنهم بعد هزيمتهم سيتسللون إلى الدول المجاورة ويسببون مشكلات لحكامها.

لكنه لا يقول إن واحداً من أسباب مشكلة الشيشان هو ظلم الروس لهم وإن الحرب القاسية والمدمرة ضد الشيشان ستزيد غضب شعوب القوقاز وآسيا الوسطى على الروس. وهذه المنطقة نفسها التي تريد وكالة المخابرات المركزية حماية المصالح البترولية الأمريكية فيها.

[مجلة المجلة، العدد: (١٠٤٩)]

مازال مُصراً

س: تردد أكثر من مرة أنك من مؤيدي فصل الدين عن الدولة؟ فهل هذا صحيح؟

ج: طبعاً بكل تأكيد أنا أؤيد فصل الدين عن الدولة؛ لأن ذلك فيه مصلحة الجميع، وفصل الدين عن الدولة لا يعني الفهم الخاطئ لدى كثير من إخواننا الإسلاميين بأنه لا يوجد دين، بالعكس، وأكثر دولة دينية هي أمريكا وتسمح لأصحاب الأديان بمن فيهم البوذيون الذين يمارسون طقوسهم الدينية واليهود، والمسيحيون والمسلمون، وهؤلاء يمارسون شعائرهم بكل حرية ولا يهيمنون على الآخرين، ولكن لا تسيطر الدولة الدينية على مقاليد الحكم، الدين ليس مقاليد حكم، ولنفترض أننا أقمنا دولة دينية في الكويت فعلى أي مبدأ أو مذهب سياسي ستسير؟ فإذا قلنا على المذهب السني، فعلى نهج - أي إمام - سنسير: أبي حنيفة أو مالك أو الشافعي أو ابن حنبل؟ والأمر الآخر ماذا عن أبناء الطائفة الشيعية؟ وماذا عن المسيحيين الكويتيين؟

س: أفهم من كلامك أنك ما زلت تفضل الدولة الدستورية على الدولة الدينية؟!

ج: بالتأكيد أفضل الدولة الدستورية على الدولة الدينية؛ لأن التجارب الإنسانية كلها تثبت ذلك، وأعطني دولة دينية عاشت أو تقدمت، وانظر ماذا يحدث عند طالبان أفغانستان؟ والشيشان؟

[د. شملان العيسى، أستاذ العلوم السياسية بجامعة الكويت، جريدة الأنباء، العدد: (٨٥٩٥)]

البوابة الجديدة

معلومات محدودة التداول وصلت مؤخراً تفيد أن الوحدة السرية للمخابرات المركزية الأمريكية كانت قد وصلت العاصمة اليمنية صنعاء وباشرت نشاطها الأمني والاستخباري. وتنفذ C.I.A بعض المهام السرية في اليمن والمنطقة.

وتؤكد المعلومات أن نشاط هذه الوحدة يجري بموافقة الحكومة اليمنية التي لم تعارض وجودها طمعاً في الحصول على مساعدات مالية امريكية في ظل تدهور الأوضاع الاقتصادية في البلاد.

المعلومات أشارت أيضاً إلى أن جميع عناصر الوحدة يجيدون التحدث باللغة العربية وكذلك يجيدون التقاليد والعادات العربية، ومنهم من يظهر في شوارع صنعاء وهو يرتدي لباساً تقليدياً يمنياً. ويحاولون التصرف كمواطنين يمنيين بهدف الاندماج في المجتمع اليمني.

والهدف الرئيس لهذه الوحدة ـ بعد رصد الحركات والجماعات الإسلامية في ظل تصاعد نفوذ التيار الإسلامي في اليمن والذي بات يشكل إزعاجاً وقلقاً للإدارة الأمريكية ـ هو محاولة التقرب من المسؤولين اليمنيين باعتبارهم دبلوماسيين أمريكيين.

ويبدو أن ليس من مهام الوحدة حالياً تجنيد عملاء سريين من المواطنين اليمنيين للعمل لحساب المخابرات الأمريكية كما هو الحال في دول عربية أخرى، غير أنه من غير المستبعد أن يكون هذا الهدف من بين الأهداف المكلفين بتحقيقها خلال فترة وجودهم في اليمن.

وعلم أن جميع عناصر الوحدة هم من فئة الشباب وهم يتحركون بحذر شديد ويحيطون نشاطاتهم بسرية تامة خاصة في ظل التدهور الأمني في اليمن أو ما تسميه الدوائر الأمنية الغربية «الانفلات الأمني».

[السبيل الأردنية، العدد: (٣٢٠)]

لا فائدة

قامت عدة منظمات نصرانية بحملة إعلامية ضخمة لتشجيع النصارى في الولايات المتحدة على قراءة الإنجيل بعدما دلت الإحصاءات على جهل كبير لدى القوم هناك بدينهم، إذ إن الاستبيانات التي جرت هناك بتمويل من هذه المنظمات بينت أن أكثر من نصف الذين تم سؤالهم لا يتذكرون خمساً من النصائح العشر التي أمر بها الإنجيل. ورغم أن معدل ما تقتنيه الأسرة الأمريكية النصرانية من أناجيل يبلغ حوالي ٣ أناجيل في كل بيت، إلا أن معظم الأمريكيين لا يتآلفون مع الإنجيل، كما قال أحد كبار قادة الحملة.

ورغم أن المؤسسات التنصيرية في سباقها لكسب الإنسان الأمريكي النصراني قد خصصت أناجيل للأطفال، وأخرى للمراهقين، وثالثة لمخاطبة السيدات، ورابعة لمخاطبة الرجال، وأخرى للتائبين، إلا أن تدني مستوى قراءة الإنجيل أصبح مشكلة تؤرق المؤسسات المسيحية هناك.

[مجلة الكوثر، العدد (٥)]

مخربون لا قرآنيون

قلتَ عن حرية الاعتقاد: إنه لا توجد في الإسلام استتابة؛ فهل تعني أنه لا يوجد لها أصل؟

- نعم لا يوجد لها أصل مطلقاً لا في القرآن الكريم ولا من الرسول ﷺ. فالقرآن الكريم فتح باب حرية الاعتقاد على مصراعيه «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» وفي عهد الرسول ﷺ هناك من كفر أو ارتد أو نافق، ومع ذلك لم يعمل الرسول لهم شيئاً ولم يستتبهم.

تريد أن تقول إنه يجب أن لا نتعرض لمسلم غيَّر عقيدته؟

- مع السلامة. لا أستطيع أن أعمل له شيئاً ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] ولكننا نجد أن العلماء توسعوا في هذا الباب بعبارة: «من أنكر معلوماً من الدين بالضرورة»، وبهذه العبارة حكمت محكمة سودانية بالإعدام على الشيوعي محمود محمد طه، فمن السهولة أن أوجه لشخص واحد ٥٠٠ تهمة استناداً إلى هذه العبارة.

لكن هناك حديث شريف يقول: «من بدل دينه فاقتلوه»؟

- هذا حديث. الله أعلم به لا يمكنني قبول هذا الحديث؛ لأنه لا يوجد حديث يناقض عشرات الآيات القرآنية الكريمة التي تقرر حرية الاعتقاد، إن هذه الآيات هي الأصول وطبائع الأشياء.

أنت إذن لا ترى داعياً لدعوة تطبيق الشريعة في القوانين؟

الشريعة هي العدل فإذا طبق العدل طبقت الشريعة بأي قانون وبأي صورة، وثق أن هناك دولاً أوروبية أقرب إلى تطبيق الشريعة بقوانينها.

تفاسير القرآن: لك رؤية مختلفة أيضاً عن تفسير القرآن الكريم؟

- كل هذه التفاسير افتئات وجناية على القرآن الكريم وهي المسؤولة عن أن القرآن لم يقم إلى اليوم بالدور الذي قام به أيام الرسول ﷺ. فإذا أردت أن تفهم القرآن فاقرأه وسلم قلبك له ولا تقرأ تفسيره.

ولكن «التفسير» علم قائم بذاته؟

- علم ضال أساء إلى القرآن الكريم، إن كلام الله إعجاز محكم فكيف يفسره بشر؟ إذا فسره فسيفتئت عليه ويحكمه رأيه الخاص.

[جمال البنا، صاحب كتاب: (نحو فقه جديد)، مجلة المجلة، العدد: (١٠٥٢)]

العولمة و«الشم»!

ربط تقرير دولي حديث بين ازدهار تجارة المخدرات وموجة العولمة الاقتصادية التي يشهدها العالم، وقال التقرير السنوي لجمعية - جيوبوليتيكال درج وونش - المعنية بمراقبة المخدرات: إن العولمة الاقتصادية جعلت عمليات غسيل الأموال أكثر سهولة، وذكر التقرير أن مهربي المخدرات تمكنوا في العام الماضي من دمج ما يتراوح بين ثلاثمائة وخمسين مليار دولار وأربعمائة مليار دولار من أرباح المخدرات في الاقتصاد العالمي.

ويلقي التقرير باللائمة على فتح الحدود ورفع القيود على تنقل الأموال وتزايد عمليات الخصخصة التي عادة ما تتضمن انتقال كميات كبيرة من الأموال عبر شراء الأسهم، ويشير التقرير إلى أن أموال المخدرات عادة ما تستخدم في تمويل الصراعات وتأجيجها في كل أنحاء العالم.

[موقع هيئة الإذاعة البريطانية / بي ـ بي ـ سي أونلاين - http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/news]

الفكر المستنير!

س: لماذا أنكرت عذاب القبر؟

ج: هذا كلام في غيب لا يوجد شيء اسمه عذاب القبر في القرآن كله؛ لأن الإنسان في نفس لحظة موته يبدأ حسابه. والآية الصريحة في القرآن تقول: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣] انتهت الآية. اين عذاب القبر؟ هنا العذاب يبدأ منذ لحظة الحشرجة.

معنى كلامك أنه لا يوجد شيء اسمه عذاب القبر؟

– الحديث عن شيء اسمه عذاب القبر جدل في جدل، وكل إنسان حر في أن يكذّب أو أن يصدق كلامي.

س: ولكن أنت أول من ينكر عذاب القبر؟

ج: علماء غيري قالوا هذا الكلام، ولكن أنت لا تقرأ! الناس في غفلة ويصدقون الكلام الفارغ والكتب المنتشرة على الأرصفة.

س: ولماذا اعترضت على صحيح البخاري؟

ج: لأن صحيح البخاري ليس كله صحيحاً.

س: وما الأدلة؟

ج: قصة سيدنا موسى الموجودة في صحيح البخاري والتي تقول إن سيدنا موسى ضرب ملك الموت عزرائيل على عينه، عندما أرسله ربنا له ليقبض روحه فيرفض سيدنا موسى أن يموت، ثم يضرب الملك على عينه فيفقأ عينه، فيعود عزرائيل إلى ربنا يشتكي من موسى الذي فقأ له عينه، فيرد له الله بصره. هذه قصة في البخاري هل يمكن تصديقها.

س: عفواً يا دكتور لماذا تشاهد عروض الأزياء؟

ج: حتى أستطيع الحكم عليها.

س: وما جدوى حكمك ـ وأنت عالم الدين ـ على عروض الأزياء؟

ج: وكيف أحكم عليها من دون مشاهدتها؟ لا بد أن أشاهدها حتى أستطيع الحكم عليها.

س: وما أهمية الحكم عليها؟

ج: أليست عروض الأزياء حدثاً ضمن أحداث الحياة؟

[د. مصطفى محمود، مجلة الأهرام العربي، العدد: (١٥٩)]

هؤلاء هم حماة حقوق الإنسان

خلف جدران السجون والمعتقلات، يقول تقرير صدر في الولايات المتحدة مؤخراً إنه ـ بعيداً عن أعين المحققين الخارجيين ـ تمارس أشد أنماط العنف، ويتعرض السجناء، بشكل خاص لانتهاكات حقوق الإنسان، علماً بأن هناك أكثر من ١،٧ مليون سجين في الولايات المتحدة. ويتعرض بعض السجناء للأذى على أيدي زملائهم السجناء أنفسهم، من دون أن يقوم حراس السجن بحمايتهم، ويتعرض بعضهم الآخر للاعتداء والضرب على أيدي حراس السجن أنفسهم، كما تتعرض النساء والرجال على السواء لاعتداءات جنسية وجسدية. أما السجون المزدحمة بالنزلاء والتي تفتقر إلى التمويل الكافي، والتي تمت خصخصة العديد منها، فتحكم السيطرة على النزلاء من خلال عزلهم لفترات طويلة واستخدام أساليب تقييد وحشية ومهينة. وتشكل في بعض الأحيان خطراً على حياتهم، ويبدو أن النساء وحتى الحوامل منهن لا ينجين من هذه المعاملة السيئة وانتهاك حقوقهن؛ حيث يقول التقرير بهذا الصدد: «ومن بين الضحايا نساء حوامل ومتخلفون عقلياً، وأطفال، وقد أدى ضعف المعاينة المستقلة، إلى جانب وجود مزاج شعبي يطالب بمعاملة أقسى للمجرمين إلى خلق مناخ مناسب لانتهاكات حقوق الإنسان، ويضيف التقرير إلى ذلك «تعرض السجينات للضرب والاغتصاب والبيع من قِبَل حراس السجن لممارسة الجنس مع مساجين في سجن فيدرالي بكاليفورنيا، ويذكر التقرير أيضاً أن «اغتصاب النزيلات من قِبَل موظفي السجن يعتبر أحد ضروب التعذيب» ويورد أيضاً كيفية انتهاك حقوق الأطفال بمقاضاتهم وكأنهم بالغون، ويذكر أن احتجازهم في معتقلات البالغين يعرضهم للانتهاكات البدنية والجنسية من قِبَل البالغين.

[مجلة المجلة، العدد (١٠٥٤)]

صلوا قبل أن تدفعوا!!

وكالة جديدة للصلاة بالإنابة عن من يجعلهم الإيقاع السريع للحياة من الغافلين.. تلك كانت الفكرة التي راودت شابة إيطالية تبحث عن مشروع جديد تدخل به الحياة العملية.

تقول مونيكا بالبناري وهي ربة منزل (٢٦عاماً) إنها حريصة على مساعدة من لا يؤدون فريضة الصلاة بسبب انشغالهم، وأن وكالتها الجديدة (الجنة) التي تديرها من منزلها في فاريسي بشمال إيطاليا حددت أسعاراً لكل صلاة.

فالصلاة من أجل الموتى على سبيل المثال تتكلف ٣٠٠٠ ليرة (١,٥٠ دولار) أما إذا كانت الصلاة المطلوبة ستقام في منزل الزبون فيرتفع السعر إلى ٢٥ ألف ليرة بل قد يصل سعر الصلاة إلى ٥٠ ألف ليرة إذا كانت الصلاة مصحوبة بدعاء على المسبحة، وتقول مونيكا - وهي أم وممثلة سابقة - شارحة فكرتها: «الحياة أصبح إيقاعها سريعاً للغاية لدرجة أن وقت الناس لا يكفي سوى للعمل والمنزل، لهذا السبب انشغل الناس عن الصلاة رغم أنهم قد يشعرون باحتياج نفسي لها» وفي محاولة لجذب الزبائن تذكّر مونيكا في إعلاناتها الناس أنه ليس هناك أغلى من الروح وتقول: «إذا لم يكن عندك الوقت الكافي لإنقاذها اتصل بي وسأعتني بالأمر».

لقيت هذه الخدمة بعض النجاح في إيطاليا؛ إذ تقول مونيكا إن نحو ٣٠ شخصاً من بينهم اثنان من المشاهير تحولوا إلى هذه المهنة الجديدة. [جريدة الرياض، العدد : (١١٦٢٢)]

اختراق واستلاب!!

يتقاضى القنصل الأمريكي العام السابق في القدس الشرقية المحتلة إدوارد أبينغتون مليونين و ٢٥٠ ألف دولار سنوياً عن عمله كمستشار خاص في الولايات المتحدة للرئيس الفلسطيني ياسر عرفات، بحسب ما كشفه أبينغتون نفسه، وهذا يعني أن أبينغتون يحصل على ما قدره ٦٢ ألف دولار في الشهر، وكان أبينغتون البالغ من العمر ٥٥ سنة، قد عمل في سفارات الولايات المتحدة بدول عربية طوال عقدين ماضيين، أنهى آخر ٣ سنوات منها في ١٩٩٧م قنصلاً عاماً لبلاده في إسرائيل، ثم بدأ يعمل لحسابه الخاص، منذ أن أسس في العام الماضي شركة استشارات في واشنطن وأول زبائنها كان الرئيس الفلسطيني الذي وقع معه العقد منذ ٤ أشهر ليكون مستشاره الخاص في تعاملاته مع الإدارة الأمريكية، بوصفه معروفاً لديها.

وبموجب الاتفاق، فإن أبينغتون يعد تقارير إرشادية للرئيس الفلسطيني في الكيفية التي يمكن أن يتصرف بها مثلاً لشرح مواقفه بطريقة يفهمها ويستوعبها المتخذون للقرارات في البيت الأبيض ووزارة الخارجية ومراكز الأبحاث والهيئات الاقتصادية والمؤسسات الإعلامية النافذة في الولايات المتحدة، ويعتقد أبينغتون - الذي يقول إنه يتمتع بخبرة تزيد على ٣٠ سنة في الصراع العربي - الإسرائيلي - أنه قادر على تأسيس وقيادة أول لوبي حقيقي للفلسطينيين في الولايات المتحدة، يكون هو أول فرد فيه، طبقاً لما أقنع به الرئيس عرفات حين وضعه العام الماضي في جو اتخاذ القرار بتعيينه مستشاراً، وبراتب شهري يزيد ٣ مرات على ما يتقاضاه الرئيس الأمريكي، بيل كلينتون، وحوالي ٣٠ مرة عن راتب أي نائب في المجلس التشريعي الفلسطيني. [جريدة الشرق الأوسط، العدد : (٧٨٠٨)]

تعليق على الأحداث

لقد جئتم شيئاً إدّاً!

ضمن سلسلة التجرؤ على المقدسات، ونشر المذهب الإلحادي تحت الغطاء الأدبي والروائي الذي يضرب الأمة في أعز ما تملك من عقيدة وأخلاق، وتحت إشراف وزارة الثقافة المصرية، صدرت رواية «وليمة لأعشاب البحر» للكاتب السوري حيدر حيدر، ضمن سلسلة آفاق الكتابة، العدد ٣٥، الهيئة العامة لقصور الثقافة، والتي يرأس مجلس إدارتها علي أبو شادي، ويرأس تحريرها إبراهيم أصلان، وتقع الرواية في سبعمائة صفحة، ويبدو أن أقلام الردة ما زالت بحاجة إلى من يقصف أسنانها بذلك التجاوز الخطير لكثير من الحرمات التي يتوارى منها ومن الخوض فيها كبار مجرميهم.

ومما جاء في تلك الرواية الآثمة:

«إن رب هذه الأرض كان يزحف وهو يتسلل من عصور الرمل والشمس ببطء السلحفاة» ويسوق في حوار فاجر: «هو من صنع ربي.. لا بد أن ربك فنان فاشل إذن» «داخل هذه الأهواز التي خلقها الرب في الأزمنة الموغلة في القدم ثم نسيها فيما بعد لتراكم مشاغله التي لا تحد في بلاد العرب وحدها حيث الزمن يدور على عقبيه منذ ألفي عام» ويقول: «أقام الله مملكته الوهمية في فراغ السموات» «ربي خذ بيدي في مملكتي لآخذ بيدك في مملكتك، ربي زدني أرصدة في الدنيا والمصارف لأزيدك ابتهالاً في الآخرة، ربي لتكن منافعنا متبادلة وليتحقق القصد الذي من أجله ولدتني فأكون طفلك البار على هذه الأرض الفانية» ويستمر في فجوره وجراته ويقول: «وهؤلاء يهمشون التاريخ ويعيدونه مليون عام إلى الوراء في عصر الذرة والفضاء والعقل المتفجر بقوانين آلهة البدو، وتعليم القرآن .. خراء».

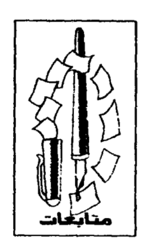
إن ما في هذه الرواية من كفريات لا أحسب أنها تتصادم مع مفاهيم «المتطرفين» فحسب ـ كما يزعمون ـ بل تتصادم مع أصحاب الفطر السليمة، بل إن الفجرة والفسقة لا يتجرؤون برغم كبير جرمهم على الخوض في ذلك، فما بقي لأمة الإسلام بعد سب ربها ووصم كتابه بأنه «خراء»؟! فإنا لله وإنا إليه راجعون.

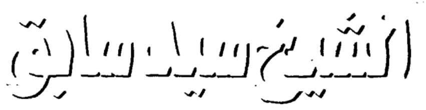
لقد دأبت بعض وزارات الثقافة العربية بين فترة وأخرى على إثارة مشاعر المسلمين، وكأنها تختبر إيمان القوم وردود أفعالهم بتلك المهاترات والكفريات. فتحت مسمى «التنوير» ينشرون ظلام الإلحاد والكفر.

وقد نُشرت هذه الرواية منذ زمن، إلا أن أهل العلمنة دأبوا على إحياء مقبورهم الإلحادي لنشره على أحياء النفوس من المسلمين، هادفين إلى طمس نور قلوبهم ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف: ٨].

إن هذا التجاوز البشع ليدلنا على مدى كراهية هذه الأقلام الملوثة لرب الناس ولدينه وأنبيائه وأوليائه، ومع ذلك فإن هذه الزندقة تطبع وتوزع بأموال المسلمين.

وإن كانت الرواية قد سحبت من الأسواق المصرية فلم يكن ذلك تطوعاً من الوزارة، وإنما جاء امتصاصاً للغضبة التي غضبها أصحاب أقلام طاهرة وقلوب ما زالت تؤمن بربها، وما زال الوزير يردد أن من يقرأ الرواية سيرى أنها تدعو للعقيدة والإيمان!!. وحسبنا الله ونعم الوكيل.





ودمعة وفاء لرحيل العلماء

نشأت أحمد

في عام واحد فقد العالم الإسلامي كوكبة من خيرة علمائه ممن اشتهر عنهم طول الباع في العلم والعمل ولزوم السنة حتى كان كل واحد منهم أمة وحده.

وإذا كان موت العالم موتاً للعالَم فإن مصيبتنا في هؤلاء الرهط تجلُّ وتعظم، ولئن كان مصاب الأمة فادحاً في جراحها في كشمير وفلسطين وكوسوفا والشيشان و.... فإن مصابها في علمائها أفدح؛ وكيف لا، وقد كانوا سمعها وبصرها؟!

وقد كان آخرهم موتاً الفقيه المجاهد الذي كان له من اسمه حظ ونصيب؛ الشيخ سيد سابق - رحمه الله - إذ توفي في القاهرة على إثر وعكة اشتدت به، لزم فيها المستشفى أسبوعين افتقده خلالهما محبوه وتلاميذه على أمل أن يعود، ثم احتسبوه عند ربهم في جنازة شاهدة مشهودة رأينا فيها أثر عمر عامر بالعلم والجهاد.

ولد - رحمه الله تعالى - في يناير (كانون الثاني) عام ١٩١٥م بقرية «اسطنها» من مركز (الباجور) بمحافظة المنوفية، وأتم حفظ القرآن ولم يتجاوز تسع سنوات، التحق على إثره بالأزهر في القاهرة، وظل يتلقى العلم ويترقى حتى حصل على العالمية في الشريعة عام ١٩٤٧م، ثم حصل بعدها على الإجازة من الأزهر وهي درجة علمية أعلى(١).

عمل بالتدريس - بعد تخرجه - في المعاهد الأزهرية، ثم بالوعظ في الأزهر، ثم انتقل إلى وزارة الأوقاف في نهاية الخمسينيات متقلداً إدارة المساجد، ثم الثقافة.. فالدعوة فالتدريب إلى أن ضُيِّق

---

(١) حصل الرجل بالإضافة إلى هذا على أوسمة وجوائز عديدة كجائزة الملك فيصل في مجال الدراسات الإسلامية عام ١٩٩٤م عن كتاب فقه السنة، ووسام الامتياز من مصر.

عليه فانتقل إلى مكة المكرمة للعمل أستاذاً بجامعة الملك عبد العزيز، ثم جامعة أم القرى وأسند إليه فيها رئاسة قسم القضاء بكلية الشريعة، ثم رئاسة قسم الدراسات العليا، ثم عمل أستاذاً غير متفرغ.

وقد حاضر خلال هذه الفترة ودرَّس الفقه وأصوله، وأشرف على أكثر من مئة رسالة علمية، وتخرج على يديه كوكبة من الأساتذة والعلماء، وفي الأعوام الثلاثة الأخيرة عاد إلى القاهرة واستقر بها حتى وافاه الأجل.

شاب على الجادة:

تربى الشيخ في مقتبل حياته في الجمعية الشرعية على يد مؤسسها الشيخ السبكي - رحمه الله -، وتزامل مع خليفته الشيخ عبد اللطيف مشتهري - رحمه الله -، فتشرَّب محبة السنة. وكان لهمَّته العالية وذكائه وصفاء سريرته أثر في نضجه المبكر وتفوقه على أقرانه، حتى برع في دراسة الفقه واستيعاب مسائله وما أن لمس فيه شيخه تفوقاً حتى كلفه بإعداد دروس مبسطة في الفقه وتدريسها لأقرانه ولم يكن قد تجاوز بعدُ ١٩ عاماً من عمره.

وكان لشيخه أثر عظيم على شخصيته وطريقة تفكيره، ومن ذلك ما يحكيه في بداية حرب فلسطين فيقول: وقد كنا في ريعان شبابنا أخذني الحماس أمام الشيخ السبكي في أحد دروسه فقلت له: ما زلتَ تحدثنا عن الأخلاق والآداب! أين الجهاد، والحث عليه؟! قال: فأمرني الشيخ بالجلوس! فرددت: حتى متى نجلس؟ قال: يا بني إذا كنت لا تصبر على التأدب أمام العالِم فكيف تصبر على الجهاد في سبيل الله؟ قال: فهزتني الكلمة جداً وظل أثرها في حياتي حتى يومنا هذا.

ثم تعرف الشيخ سيد سابق على الشيخ حسن البنا - رحمه الله - واشترك في دعوته، وعاونه بعد ذلك في تعليم الإخوان وتربيتهم داخل الشُّعَب، واستمر على طريقته في إعداد دروس الفقه وتدريسها، وصادف أن سمعها منه الشيخ البنا ذات مرة فاستحسن أسلوبه وطلب منه أن يعدها للنشر. يقول الشيخ: فشرعت في جمع المادة من قصاصاتي، وبدأت نشر كتاب «فقه السنة».

مؤلفاته:

أشهر كتبه وأحبها إليه الذي اقترن اسمه به هو «فقه السنة» قدَّم فيه أسلوباً رائداً في تبسيط مسائل الفقه بعد أن ظل عالقاً بالأذهان على درجة من الصعوبة بحيث لا يفهمها إلا القليل، لكنه مع تبسيطه لها لم يُخِلَّ بها حين كان يتعرض لاختلاف العلماء وترجيح ما يشهد له النص وإن خالف رأي الجمهور - خلافاً لعادة مدارس التقليد في ذلك الوقت - إلى جانب حسن عرض وترتيب للأفكار دفعت ملايين الناس لاقتناء الكتاب والاستفادة منه، وقد اغتنى من طباعة كتابه كثير من الناشرين لم يستأذنوه في النشر ولم يثرِّب عليهم، فضلاً عن ترجمته إلى كثير من لغات العالم(*)، ومما يروى في ذلك: أنه أُوفد رسمياً إلى الاتحاد

(*) ومما زاد الكتاب قيمة علمية تعليق العلأمة ناصر الدين الألباني وتحقيقه على فقه السنة تحت عنوان: (تمام المنة على فقه السنة) وهو مطبوع منذ سنوات، ويا حبذا لو جُعلَ هذا التحقيق على الكتاب عوضاً عن كونه مفرداً. - البيان -

السوفييتي في الستينيات في أحد المؤتمرات للحديث عن الإسلام، وما أن خرج من المطار في صحبة المسؤول الرسمي الذي جاء لاستقباله حتى فوجئ بحشد ضخم قد جاء لاستقباله في موسكو! بين مقبِّل ليديه أو رأسه وبين هاتف باسمه، فتعجب الشيخ متسائلاً: كيف عرفتموني؟ فكان الردُّ: من كتابك. وإذا بالجماهير تلوِّح بالكتاب المترجم وتهتف باسمه! يقول: فلم أتمالك نفسي من البكاء؛ إذ لم أكن أتصور أن فضل الله عليَّ سيبلغ بي إلى هذا الحد! ولعله حين ألفه استحضر مقولة الإمام مالك - رحمه الله -: «ستعلمون أيها أريد بها وجه الله غداً».

ومن مؤلفاته أيضاً:

- مصادر القوة في الإسلام.
- الربا والبديل؛ وهو رد على ما أفتى به بعض المعاصرين من جواز فوائد البنوك وشهادات الاستثمار.
- رسالة في الحج وأخرى في الصيام وهما مستلّتان من فقه السنه بتصرف.
- تقاليد وعادات يجب أن تزول في الأفراح والمناسبات.
- تقاليد وعادات يجب أن تزول في المآتم.

وهذه الأربعة الأخيرة ألفها ضمن نشاطه العلمي في إدارة الثقافة بوزارة الأوقاف، وتُظهر الأخيرتان أثر الجمعية الشرعية في نشأة الشيخ على حب السنة ومحاربة البدع، في وقت قلَّ فيه من يميِّز بين السنة والبدعة.

جهاده وسجنه:

كان مع علمه وعبادته وكثرة صومه ذا شوق للجهاد، وما أن لاحت أمامه الفرصة حتى كان في أول كتيبة في حرب ١٩٤٨م مفتياً ومعلماً للأحكام، ومربياً على القيام والدعاء والذكر، وموجهاً إلى حسن التوكل والأخذ بالأسباب، ومحرضاً على الفداء، ومدرباً على استخدام السلاح وتفكيكه، وبعد مقتل النقراشي اتُّهم الشيخ بقتله وأطلق عليه: «مفتي الدماء» ممن أرادوا وأد الجهاد يومها. وحوكم الشيخ بعد أن قضى عامين من الاضطهاد والتعذيب فما لانت له قناة ولا وهنت له عزيمة بل كان كما عهد عنه مربياً فاضلاً حاثاً على الصبر، مبيناً لسنن الابتلاء والتمحيص، وبعد أن بُرِّئت ساحته خرج ليواصل جهاد الكلمة، وحين تكررت الفرصة بعد النكسة عاد أدراجه لساحة القتال في حرب رمضان يوجه الجنود ويرفع معنويات الجيش.

مكانته وفضله:

يعرف للرجل مكانته وفضله كل من عاشره أو تتلمذ على يديه؛ فقد تخرج على يديه ألوف العلماء وطلبة العلم من عشرات الأجيال، ومن هؤلاء: الدكتور يوسف القرضاوي، والدكتور أحمد العسال، والدكتور محمد الراوي، والدكتور عبد الستار فتح الله، وكثير من علماء مكة وأساتذتها من أمثال الدكتور صالح بن حميد، والدكتور العلياني.

بل إنه في شبابه كان محل ثقة واستعانة علماء كبار في حينها من أمثال: الشيخ محمود شلتوت، وأبي زهرة، والغزالي.

يحكي عنه ولده محمد أنه كان يزوره في بيته علماء كبار من الأزهر، وكان يجلس للتدريس وهم مصغون مستمعون من أمثال:

الشيخ عبد الجليل عيسى، والشيخ منصور رجب، والشيخ الباقوري، كما كان قوله فصلاً بين المختلفين في المسائل.

أخلاقه ومآثره:

كان - رحمه الله - فقيهاً مجرِّباً محنَّكاً - مثالاً للعلم الوافر والخلق الرفيع والمودة والرحمة في تعامله، ويمتاز بذاكرة قوية وذكاء مفرط ونفس لينة ولسان عف وحضور بديهة.

رزق حسن منطق في جزالة وإيجاز، وروحاً مرحة[1] وُضعت له معها المحبة والقبول.

كان ذا وعي شديد واطلاع دائم على الأحداث والمتغيرات: إن شئت أن تراه قارئاً رأيته، أو تجده مصلياً وجدته، أو مستمعاً ومتابعاً لأخبار العالم ونشرات الأخبار وناقلاً لحديثها في دروسه قبل أن تنشره الصحف آنستَ ذلك منه، وما من حدث يقع في الأمة إلا ويعرض له ويبين حكمه في غاية الوضوح بلا مواربة وكانت ردوده حاسمة قاطعة.

وكان ذا جرأة في الحق رغم ما كان يمكن أن يتحمله من نتائج لا طاقة لجسمه الضعيف بها، ومن ذلك أنه حين عُيِّن خلفاً للشيخ الغزالي في مسجد عمرو بن العاص في عهد عبد الناصر ظن الناس أن الشيخ سيُداهن بعد أن غُضب على سلفه، فأفرد في أولى خُطَبه خطبة فريدة في نوعها ومضمونها تناول فيها شروط الحاكم المسلم ذكر فيها ١٢ شرطاً بأدلتها الشرعية وشواهدها التاريخية فكانت جامعة مانعة، حتى قال عنها أحد العلماء الحاضرين: الشيخ قال كل شيء، ولم يؤخذ عليه شيء.

وكان يبلغ مأربه دون عناء؛ ومن ذلك أنه حين سئل عن أحدهم قال: إنه «كُذَيْذِب» (يعني أدمن الكذب).

وحين ساء الحال في السبعينيات سئل عن رؤيته للأوضاع، فقال: «إن علة مصر سؤالان وجيهان...».

ومن سعة صدره: أنه خطب يوماً فأطال، فلما فرغ الشيخ من خطبته وقف أحد الحاضرين - وكان ذا مرض - قائلاً: أنت لا تفهم!

فجاء رد الشيخ هادئاً: وهل قلت لك إنني أفهم؟ فأُسْقِطَ في يد الرجل واعتذر للشيخ.

أواخر حياته:

وبعد أن استقر به الحال في القاهرة قبل ثلاث سنوات، تجول بين عدد من المساجد لإلقاء دروسه في ستة أيام كل أسبوع؛ أربعة أيام للرجال ويومين للنساء.

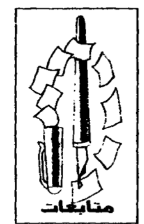
ولكم أتعبه المرض دون أن يُقعده، وقد حاول ولده الدكتور مصطفى أن يمنعه من التدريس بعد أن نصحه الأطباء بالراحة، فأبى ما دام فيه نَفَس، فكان يذهب لدرسه رغم مرضه ليبلِّغ الحق للناس.

ويكفي الشيخ - وقد لقي ربه بأكثر من سبعين سنة حافلة بالدعوة والجهاد - ما أعقبه الله من ثناء وذكر حسن بين الناس ودعاء.

رحمه الله رحمة واسعة، وأخلف على الأمة في مصابها فيه وفي إخوانه خيراً.

---

(١) كان من مرحه - رحمه الله - أنه كان يحفظ لكل مسألة فقهية موقفاً طريفاً أو دعابة يملأ بها درسه مرحاً ويجتذب انتباه السامعين حتى يسهل عليهم فهم المسائل.



بين رحيل الشام ورحيل الإمام

عبد الله بن سليمان القفاري (*)

لقد استقبل المسلمون في شهر الله المحرم أوائل العام الفائت رحيل عالم الأمة وإمام هذا العصر الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله تعالى ـ واليوم ومع رحيل هذا العام يودع المسلمون عالمَ القصيم وأحد أئمة العقيدة السلفية الشيخ العالم المجاهد محمد بن صالح المنصور، وكان بين رحيل الشيخين الجليلين رحيل كوكبة من علماء الإسلام ودعاته في عام أشبه ما يكون بعام الحزن من هنا وهناك..

بالشام أهلي وبغداد الهوى وأنا ... بالرقمتين وبالفسطاط جيراني

وحيثما ذكر اسم الله في بلد ... عددت أرجاءه من لب أوطاني

إن رحيل العلماء ثلمة في مسيرة الأمة.. فهم عمادها المتين وسياجها المنيع أمام تيار الفتن وحوادث الزمن وبموتهم يموت خلق كثير.

لعمرك ما الرزية فَقْدُ مال ... ولا شاة تموت ولا بعير

ولكن الرزية فقد فذٍّ ... يموت بموته خلق كثير

نسبه ونشأته:

هو الشيخ: محمد بن صالح بن منصور المنصور و (المنسلح) لقب لجده صالح الذي انسلح أي انخزل من الشمال في ظروف اختُلِفَ في سببها، وهو من الطوالة من قبيلة شمر القبيلة العربية المعروفة.

من مواليد بريدة عام ١٣٥٠هـ وقد كف بصره بسبب مرض الجدري وهو في السنة السادسة من عمره ولم يكن ذلك عائقاً له عن طلب العلم فقد طلب العلم مبكراً، وحفظ القرآن الكريم ولم يكن تجاوز الثانية عشرة من عمره على يد الشيخ محمد بن صالح الوهيبي.

صفاته:

كان ـ رحمه الله تعالى ـ يتسم بصفات عديدة من أبرزها:

١ ـ حب العلم والعلماء والجد والاجتهاد في تحصيل ذلك مع ما يعانيه من كف البصر؛ فقد أعطاه الله البصيرة الثاقبة والذاكرة الحافظة حتى وهو في مرضه الأخير؛ ولهذا حفظ كثيراً من المتون ومن ذلك: زاد المستقنع، والطحاوية، وألفية ابن مالك، والآجرومية في النحو، والبيقونية في المصطلح، وألفية العراقي وبلوغ المرام وعمدة الأحكام والرحبية في الفرائض، وغيرها. وكان يحفظ عدداً من الوقائع والمناسبات

(*) عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام بالرياض، والمشرف العام على مجلة شبلب.

التاريخية بالسنة والشهر واليوم في أحيان كثيرة.. ولهذا يقول عنه الشيخ محمد السعوي: إنه كثيراً ما يحفظ ولا ينسى على كثرة المترددين عليه من سؤالهم عن أقاربهم وأنسابهم.. وإنزالهم منازلهم مع عظيم تواضعه وجميل محياه في لقاء الآخرين سواء منهم الصغير أو الكبير على حد سواء.

٢ - زهده وبعده عن الدنيا فلم يكن يحزن عليها كما أنه كان صابراً على البلاء فلا تجده إلا شاكراً لا شاكياً كما يقول الشيخ صالح الونيان، ويقول عنه الشيخ صالح الخضيري إنه كثيراً ما يحمد الله على ما هو فيه من البلاء والمرض ويقول: (إذا عُمِّرَ الإنسان أكثر من سبعين فقد أكل عمره) ويقصد بذلك أنه أخذ نصيباً وافراً من عمره وحياته. ويقول أحد تلاميذه: إي والله! لقد كان الشيخ مشتاقاً إلى لقاء ربه، عازفاً عن الدنيا، مستبطئاً للموت، وكان يقول كل ليلة في مرضه: اللهم إني قد اشتقت إليك. ولقد دعوت له مرة بطول العمر، فقال: وما أصنع بطول العمر؟ ولكن عسى الله أن يقبضني على الإسلام! وفي مثل شيخنا أبي صالح يجمل قول الشاعر:

وكيف تبكي فائزاً عند ربه
له في جنان الخلد عيشٌ مخرفج[1]
وقد نال في الدنيا سناءاً وصيتة
وقام مقاماً لم يقمه مزلج[2]

٣ - الجرأة في قول الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الخاصة والعامة لا يخاف في الله لومة لائم؛ فقد كان يقول ويكتب ما يراه حقاً في كثير من الأمور التي يحتاجها المسلمون والنوازل التي تنزل بهم والقضايا التي تهمهم، وكان محتسباً ذلك عند الله - عز وجل - لا يرجو من أحد جزاءاً ولا شكوراً وهي من أبرز ما اتصف به الشيخ - رحمه الله - ويز به أقرانه.

٤ - العبادة الجمة، والعمل الصالح المبرور من القيام والصيام والذكر والتلاوة مع حرصه الشديد على إخفائها متحرياً بذلك حسن الإخلاص وجميل المتابعة، وكان ذلك ديمة اقتداءاً بقول النبي ﷺ: «أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل»[3] ولهذا لم ينقطع عنه أبداً حتى في أيامه الأخيرة؛ وصراعُه مع المرض لم يمنعه ذلك، مما كان له حسن الختام ورفع المنزلة في قلوب الناس من آلاف المشيعين له والباكين على فراقه.

٥ - حبه للأعمال الخيرية والعلمية على اختلافها وتنوعها وتشجيعه لمن يقوم بها وزيارته والاتصال به ودعمه مادياً ومعنوياً سواء كان على المستوى المحلي أو العالم الإسلامي.

سفره لطلب العلم وصبره عليه:

عند بلوغه السنة السادسة عشرة من عمره وهي مرحلة الحيوية والنشاط والمرح ومع ذلك فإنه كان شغوفاً بالعلم مشتاقاً إلى العلماء مما دفعه للسفر إلى الرياض؛ وكانت تلك الرحلة علامة بارزة في حياته تدل على الصبر والجد والاجتهاد؛ وذلك حينما طلب من أحد سائقي السيارات وهم ما يسمون باللهجة العامية: (الحمالية) أن ينقله إلى الرياض، فطلب منه السائق أجرة الطريق فلم يكن الشيخ يملك شيئاً لصغر سنه وكف بصره مما جعله يلح على هذا السائق ولكن لا جدوى.. ففكر قليلاً ثم جلس وتلمس بيده إطار (كفر) السيارة وهي ما تسمى بـ (الوانيت) وجلس بجوار الإطار وعندما

(١) مُخرفَج: أي واسع.
(٢) مزلّج: أي الرجل الناقص.
(٣) رواه البخاري، ح/٥٩٨٣.

شعر بتحرك السيارة ومن فيها صعد وجلس متعلقاً على حديدة (سستة) قريبة من إطار السيارة ولم يعلم به أحد واتجهت السيارة في طريقها إلى الرياض ولم يكن الطريق سهلاً؛ فقد كان وعراً ترابياً مما عرّض السيارة إلى الوقوف في أدغال الرمال في مكان يسمى بـ (نفود الربيعية) قريباً من قرية الربيعية شرق بريدة، وعند نزول الركاب وقائد السيارة فوجئوا بوجود الغلام وقد أرهقه التعب وأضناه النصب، وكاد يسقط بسبب آلام الكتف واليدين فتأثر الركاب بهذا المشهد وظهر عليهم علامات الحزن والأسى مما جعل أحدهم يتكفل بهذا الغلام ويدفع عنه تكاليف النقل.

وعند وصولهم إلى الرياض أوصلوه إلى منزل الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي عام المملكة وجلس يطلب العلم في حلقات الشيخ وسكن بما يسمى بـ (الرباط) وهو مكان سكن طلاب العلم آنذاك. وقد واصل طلب العلم على الشيخ لمدة ٧ سنوات بالإضافة إلى مجموعة من علماء الرياض من أبرزهم: الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ عبد العزيز بن ناصر بن رشيد، والشيخ عبد الرحمن بن قاسم، كما طلب العلم على يد الشيخ عبد الله بن حميد، والشيخ عبد الرزاق عفيفي، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ محمد بن صالح المطوع، والشيخ عبد الله الخليفي، حيث حفظ عليه كثيراً من المتون، ثم أكمل دراسته الجامعية وتخرج في كلية الشريعة بالرياض - رحمهم الله جميعاً رحمة واسعة -.

وكان كثيراً ما يذكر شيخه محمد بن إبراهيم؛ كما أنه تأثر كثيراً عند وفاة شيخه عبد العزيز بن باز وكان ذلك واضحاً على صحته.

أبرز طلابه:

كان للشيخ دور كبير في إبراز نخبة من العلماء الذين تتلمذوا عليه وهم الآن يتقلدون مناصب علمية بارزة منهم:

معالي الشيخ: عبد الله بن عثمان البشر، والشيخ العالم المحدث: عبد الله بن محمد الدويش - رحمه الله تعالى - فقد لازمه ٦ سنوات، وفضيلة الشيخ الدكتور صالح الفوزان عضو هيئة كبار العلماء حيث حفظ عليه الزاد كاملاً، والشيخ سليمان العمرو رئيس محاكم مكة المكرمة، والشيخ الدكتور صالح الحيميد رئيس محاكم المدينة المنورة، والشيخ يحيى اليحيى، والشيخ دبيان الدبيان، والشيخ علي الخضير، ومجموعة كبيرة من أعضاء هيئة التدريس بجامعة الإمام بالقصيم ومنهم فضيلة الشيخ سليمان العودة، والشيخ عبد العزيز العقل، والشيخ الدكتور صالح الونيان، والشيخ الدكتور سليمان العبيد، والشيخ الدكتور عبد العزيز البجادي والشيخ الدكتور محمد المنصور الفايز، والشيخ تركي الغميز، والشيخان: يوسف وعبد الرحمن العقل، وكذلك الشيخ الدكتور محمد الفوزان رئيس قسم الدراسات القرآنية بكلية المعلمين بالرياض، والشيخ محمد الحيسني، والشيخ عبد الله الجبر، والشيخ علي المنسلح، والشيخ صالح الخضيري، ومجموعة من القضاة منهم: الشيخ إبراهيم الحسني قاضي محكمة المجمعة، والشيخ صالح الصقعبي، والشيخ عبد الرحمن الصعب رئيس محاكم محايل عسير، والشيخ خالد القفاري والشيخ يوسف العبيد، والشيخ عبد الرحمن المرشود، والشيخ عبد العزيز المشيقح، والشيخ محمد المشوح، والشيخ فيصل الحازمي، وغيرهم كثير.

أعماله:

في عـام ١٣٧٨ هـ تولى منصب القـضـاء في (تربة) بعد التخرج في كلية الشريعة، ثم انتقل إلى السليل، ثم إلى الباحة ومنها انتقل إلى تبوك، ثم إلى مكة المكرمة. وفي عام ١٣٨٩ هـ طلب الإعفاء من فضيلة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم لعدم رغبته في القضاء وعمل مديراً لمعهد النور في بريدة، ثم تفرغ للعمل مرشداً وموجهاً للمكتبة العلمية في بريدة والتدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم في قسم العقيدة ثم تقاعد في عام ١٤١٠هـ.

بعد ذلك تفرغ للتدريس في مسجده في جنوب بريدة، ثم انتقل إلى مسجده بحي السلام شرق بريدة، علماً أنه بدأ التدريس عام ١٣٧٩ هـ أي منذ ما يقرب من ٤٠ عاماً حين كان في الرياط وأثناء الدراسة بالكلية يومياً ما عدا يوم الجمعة، ولم ينقطع عن التدريس إلا قبل وفاته بشهرين تقريباً عندما اشتد به المرض.

إنجازاته العلمية:

تفرغ للتعليم والتدريس في مسجده وكان من دروسه: بعد صلاة الفجر شرح كتاب العقيدة الطحاوية، وكتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، والواسطية في العقيدة لابن تيمية، والأصول الثلاثة، وآداب المشي إلى الصلاة، وكشف الشبهات، وبلوغ المرام في الحديث لابن حجر، وعمدة الأحكام لعبد الغني المقدسي وزاد المستقنع لموسى الحجاوي في الفقه الحنبلي والرحبية في الفرائض، والبيقونية في مصطلح الحديث، وألفية ابن مالك في النحو حتى الساعة السابعة والنصف تقريباً.

ثم بعد صلاة العصر يجلس في مجلسه للرد على المكالمات واستقبال الزوار والرد على استفتاءاتهم وتساؤلاتهم، وبعد صلاة المغرب يقوم بشرح كتاب زاد المعاد وكتاب متن الآجرومية، وفي وقت العشاء يعمد إلى شرح موطأ الإمام مالك، وتفسير ابن كثير. وبعد الانتهاء من تفسير ابن كثير يبدأ بتفسير السعدي. هذا بالإضافة إلى الكتب التي كانت تُقرأ عليه بعد نهاية شرحه لهذه الدروس وهي كثيرة ومتنوعة، ومنها: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، ومسند الإمام أحمد.

مؤلفاته:

كان له مجموعة من المؤلفات منها: شرح الزاد، وشرح العقيدة الطحاوية، وكتاب الرد على (علي السقاف) كما قام بكتابة ومراجعة وتقريظ لكتاب الشيخ حمود العقلاء في حكم دخول الكفار للجزيرة العربية، وقد طبع منها كتاب الرد على السقاف، وكذلك كتب بعض الفتاوى والرسائل في مناسبات عديدة من آخرها الرد على الكاتب تركي الحمد.

عبادته:

كان الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ ممن يتميز في هذا الجانب بكثرة عبادته وطول قيامه، فقد كان ـ كما تقول إحدى زوجاته ـ: إنه لم يمض يوم واحد منذ تزوجت الشيخ فاته فيه قيام الليل، وكان يقوم ـ رحمه الله ـ من الساعة الحادية عشرة والنصف أو الثانية عشرة ليلاً حتى الفجر، أي ما يقارب ٥ إلى ٦ ساعات تقريباً، ثم يضطجع حتى أذان الفجر. وقد أكد ذلك الشيخ محمد السعوي عندما كان معه في أحد أسفاره للدعوة إلى الله ـ عز وجل ـ فقد كان يقوم من منتصف الليل.. وكان يصوم يوم الإثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر، ويحافظ على ركعتي الضحى ويطيل القراءة فيهما والسجود، ويختم القرآن حفظاً كل ثلاثة أيام حتى أيام مرضه الأخير كما يقول ابنه عبد الله الذي رافقه في المستشفى.

وكان يحضر مبكراً إلى صلاة الجمعة، وكان كثيراً ما يختم القرآن، ومما يذكر ابنه عبد الله: أنه سمع أباه يقرأ في قيام الليل في أحد أيام مرضه الأخيرة سورة البقرة، وفي الليلة التي تلتها سورة يس وعندما سأله ابنه عن هذا الموقف تأثر الشيخ وتغير لون وجهه ونهاه عن متابعته، ولقد كان الشيخ على هذه الحال من العبادة حتى في صغر سنه؛ فقد ذكر ابنه عبد الله نقلاً عن الشيخ صالح الأطرم أنه عندما كان والده في بداية طلب العلم في الرياض كان يكثر قيام الليل حتى إنه كما يقول الشيخ صالح يشغلنا عن النوم، وكثيراً ما يحثنا على القيام ويكرر ذلك حتى لا نجد فرصة للنوم.

مع الأسرة:

للشيخ ـ رحمه الله ـ ثلاث زوجات وله منهن: خمسة عشر من الذكور وثماني عشرة من الإناث ـ جعلهم الله خير خلف لخير سلف ـ وكان يتعامل كما يقول أبناؤه معهم باللين والرفق والتوجيه والتهذيب وأحياناً الترغيب والترهيب إذا اقتضى الأمر ذلك، كما أنه كان يجلس مع أولاده من الساعة العاشرة والنصف صباحاً تقريباً حتى الظهر بعد أن يصلي صلاة الضحى ويقوم أحد أبنائه أو بناته بالقراءة عليه حتى أذان الظهر.

اهتمامه بالمسلمين:

كان يهتم بأمر المسلمين اهتماماً كبيراً، ويكتب الرسائل والفتاوى في ذلك للعامة والخاصة، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر؛ وهذا الجانب مما برز فيه الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ، وقد سافر للدعوة إلى الله ـ عز وجل ـ وحضور الندوات والمؤتمرات ومن ذلك كان سفره إلى أمريكا والكويت والسودان، وكان مما أشغل باله كثيراً في السنوات الأخيرة قضية الشيشان حتى وهو في مرضه الأخير ـ وقد أغمي عليه ـ يقوم من الليل وهو يقول لابنه عبد الله: اكتب عن الشيشان! اكتب للمسلمين والحكام بمناصرتهم ومؤازرتهم، وكثيراً ما يكرر ذلك ويلح إلحاحاً شديداً حتى نخشى على صحته حتى كانت وصيته التي ختم بها حياته محملاً الأمانة إلى من يهمه الأمر كل حسب مكانته واستطاعته.

وكان يقوم على آلاف الأسر المحتاجة في الداخل والخارج ويكفلهم ويرعاهم وهو بعيد عن أعينهم، وكذلك فقد أنشأ في السودان سبعة مساجد وملجأ للأيتام يضم ألف يتيم، ومسجدين في الفلبين على نفقته الخاصة. كما يقول عنه الشيخ صالح الونيان: إنه كان يسأله عند كل لقاء عن أخبار المسلمين في الشيشان ويحث على الدعاء لهم رغم ما هو فيه من المرض العضال بالإضافة إلى سؤاله عن أخبار الدعوة والدعاة، وكان يوصي بتلمس حاجات الفقراء. ومن ذلك ما يروي الشيخ صالح الخضيري أنه زار الشيخ في أول عام ١٤٢٠هـ ومعه رجل ممن يقوم على بعض الأعمال الخيرية خارج المنطقة فلما سلَّم على الشيخ وأخبرته بمكانة هذا الرجل فسألني إن كان يحتاج إلى مساعدة فقلت: إنه لا يستغني عن إعانتكم، فأدخل الشيخ يده في جيبه بخفية وأخرج مبلغاً يزيد على الألف ريال فوضعه في يد الرجل بحركة سريعة وخفية حتى لا نراها.

اللحظات الأخيرة:

كان الشيخ يعاني من المرض منذ أمد بعيد في صراعه مع مرض السكري، واشتد المرض عليه منذ سنتين وهو صابر ومحتسب، ثم بعد ذلك أصيب بغرغرينة في أطراف قدمه وأُدخِل المستشفى عدة مرات والأطباء يحثونه على بتر قدمه وهو يقول: (أموت مكتمل الأعضاء، وكل له أجله عشت من الحياة ما يكفيني) إلى أن اشتد به الأمر عندما أصيب بجلطة بالجهة اليمنى في رأسه مما تسبب بشلل للجزء الأيسر من جسمه وذلك في ٢/١٢/١٤٢٠هـ وقد قال لابنه عبد الله: «الأمر نازل بي» يعني الموت. ولم يكن ينام أبداً منذ ذلك التاريخ وكثيراً ما يقول: اللهم إني اشتقت إلى لقائك، ويكررها كثيراً ويذكر حديث: «من أحب لقاء

الله أحب الله لقاءه»[1].

كذلك كان كثيراً ما يذكر أحوال المسلمين وخاصة الشيشان مع أنه يغمى عليه، وكان حريصاً جداً على وقت الصلاة، فإذا دخل الوقت أو قرب دخوله أفاق من إغمائه وقال: هل دخل الوقت؟ فيُخبر بذلك، فيجلسونه، ثم يتيمم ويبدأ بالصلاة وكأنه نَشِطَ من عقال.

وفي يوم الخميس الموافق ٢٤/١٢/١٤٢٠هـ نقل الشيخ إلى مستشفى التخصصي بالرياض وقد وصل إليه عند الساعة الثالثة ظهراً وكان يقرأ القرآن طيلة الطريق، وأثناء مكوثه في المستشفى لم ينم تلك الثلاثة الأيام هو وابنه عبد الملك الذي كان يرافقه، وكان يقول لابنه: اجمع الصلاة؛ فأنت في سفر. وفي يوم السبت الموافق ٢٦/١٢/١٤٢٠هـ كان وقت الرحيل إلى الرفيق الأعلى حيث كان الشيخ منذ فجر ذلك اليوم وهو يقرأ القرآن ويصلي ما شاء الله أن يصلي حتى قبيل المغرب؛ حيث جاء العشاء؛ فكان ابنه يعرض عليه العشاء وكأساً من الحليب وكان يقول له: سوف أكمل القرآن. وعندما أذّن المؤذن لصلاة المغرب دخل الشيخ في صلاته وأكمل قراءة القرآن، ثم بعد أن انتهى منها استمر في قراءته وإلحاحه على ربه حتى سقط رأسه، وقُبِضَتْ روحه إلى بارئها وابنه بجواره ممسك بعشائه كأن الشيخ ينتظر له موعداً بفارغ الصبرِ؛ وحنينُ الشوق شغله عن طعامه وشرابه (اللهم إني اشتقت إلى لقائك) وكان آخر ما نطق به لفظ الجلالة - رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

وصيته:

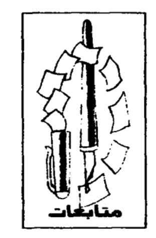
كانت وصيته - رحمه الله تعالى - كغيره من العلماء الحث على التوحيد والإيمان؛ كما حث أولاده على الصلاح والثبات على الحق وعدم البكاء عليه... وكان مما أوصى به أن يغسله الشيخ الدكتور صالح الونيان ويؤم المسلمين للصلاة عليه، وكذلك أوقف عمارة كاملة في مدينة بريدة لرعاية المساجد والمراكز التي أنشأها في الخارج.

وفي مشهد مهيب حضر آلاف المصلين من أقطار المملكة إلى جامع الشيخ صالح الونيان في بريدة، وامتلأ بهم المصلى والساحات المحيطة بالمسجد في مشهد مهيب قَلَّ نظيره تأثر منه الكثيرون، وسالت منه الدموع واختلطت بماء السحاب وزخات المطر، وسارت هذه الحشود بعد الصلاة على الشيخ مشياً على الأقدام متقاربين في صفوف ممتدة حتى المقبرة وقد علت جنازته على الأكتاف والأعناق يتدافعون إليها حرصاً على القرب من جنازته مذكرة بجنازتي الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ صالح الخريصي - رحمهم الله تعالى جميعاً - حتى وصلوا المقبرة مشياً على الأقدام وقد صلى عليه المئات أكثر من مرة وهو في طريقه إلى قبره. هذا المشهد العظيم الذي لم تشهد المنطقة مثيله ذكَّرنا بمقولة الإمام أحمد - رحمه الله تعالى -: (موعدهم يوم الجنائز). ولم ينفضَّ الجمع الغفير إلا مع صلاة المغرب، فكانت اللحظات الأخيرة التي يواري المسلمون فيها جثمان هذا العالم الجليل، وحينها خطر ببال الكثيرين ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبقِ عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» رواه البخاري.

رحم الله الشيخ وتغمده برحمته، وأسكنه فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً، والله نسأل أن يخلف خيراً على الأمة الإسلامية.

---

(١) رواه البخاري، ح/ ٦٠٢٦.



نظرات في العالمية الإسلامية الثانية

صلاح الخليفة أحمد الحسن

حدثني أحد الأكاديميين بلهجة قوية عن كتاب من جزأين عنوانه: (العالمية الإسلامية الثانية: جدلية الغيب والإنسان والطبيعة) من تأليف (أبو القاسم حاج حمد) باعتبار هذا الكتاب يمثل نقطة تحول في تاريخ الفكر الإسلامي المعاصر. وقد تشوقت نفسي إلى اقتناء الكتاب المذكور أملاً أن أجد فيه ما يجعلني أشعر بأن هناك جهوداً ضخمة تبذل من قِبَل المفكرين المسلمين المعاصرين في خدمة الدعوة الإسلامية، وقد عكفت لأيام متصلة على قراءة الكتاب واستيعاب قضاياه، وأرجعت البصر فيه كرتين. وقد خرجت من قراءاتي للكتاب المذكور بأشياء كثيرة منها:

١ - رؤية الكتاب للمذاهب الغربية:

استطاع الكاتب أن يبين الثغرات التي تشتمل عليها الشيوعية والرأسمالية، وقد انتقدهما بقوة، وأكَّد على اضمحلال الفكر الشيوعي والرأسمالي ووراثة الإسلام لذلك. وقد تميز العرض والنقد والتقييم والتقويم الذي قام به الكاتب تجاه المذاهب الغربية بالقوة والمنطقية، وكان الأمل أن يسير على النهج نفسه في تناوله لبعض القضايا التي عرضها في كتابه.

٢ - منهج جديد للحديث النبوي:

كانت المفاجأة الأولى عند قراءتي للكتاب المذكور أن وجدت الكاتب قد ابتدع منهجاً جديداً للحديث النبوي؛ حيث يحدثنا الكاتب عن ضوابط الاستخدام المنهجي النبوي للغة فيقول: «سبق أن أكدت على الاستخدام الإلهي المميز لمفردات اللغة العربية؛ فإني أؤكد أيضاً على التوافق والانسجام التامين بين لغة الرسول ﷺ ولغة القرآن؛ بحيث لا يحدث التضارب في المعاني والدلالات، واتخذت نموذجاً لذلك الحديث المنسوب إلى الرسول ﷺ والذي يرِدُ فيه القول: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته»[1] وأوضحت تضاربه مع آيتين وردتا في القرآن الكريم، الأولى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [البقرة: ١٠٤] والثانية: **﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ**

---

(١) متفق عليه، محمد فؤاد عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، ٢ / ٢٤٢.

ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً﴾ [النساء: ٤٦]، إن دلالات (راعنا) التي نهى الله عنها مرتين واستبدلها بـ (انظرنا) خطيرة جداً؛ فراعنا تحط من قدر الناس بتحويلهم إلى (رعية) من مرعى؛ حيث يقودها الراعي بعصاه، أما (انظرنا) فمن النظر والعناية والتكافؤ، ولم يستخدم الله في كل القرآن مفردة مراعاة أو رعاية وإنما استخدم مفردة (عناية) رجوعاً إلى العين والنظر؛ فالمسألة هنا منهجية؛ إذ ترتبط بمضمون العلاقة بين الله والبشر وبين الأنبياء والبشر، فلا تنحط إلى دونية البهائم؛ فالله لا يستلب الإنسان ولا يحط من قيمته، وقد عزا الله ذلك إلى تحريفات اليهود في آية النساء رقم ٤٦؛ فلغة الرسول ﷺ تتوافق بالضرورة المنهجية مع لغة القرآن؛ كما أن الذين جاؤوا بهذا المتن حول الرعية والمراعاة لم يتبينوا موقف القرآن من مجتمعات البداوة والرعي؛ فقد أظهر الله ما تنطوي عليه سلوكيات تلك المجتمعات من قسوة ونفاق»(١). وهكذا يرفض الكاتب الحديث النبوي الثابت: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته» وفقاً لمنهجه الجديد الذي يجعل لغة القرآن مرجعاً لتوثيق متن الأحاديث أياً كان سندها. ووفقاً لمنهجه هذا لا بد من مراجعة الأحاديث التي وردت في صحيحي البخاري ومسلم اللذين تلقتهما الأمة بالقبول.

ومع هذا الرفض التام لكلمة (رعي) من الكاتب ولكل ما اشتق منها فيما يتعلق بالأحاديث النبوية وسيرة الرسول ﷺ وسيرة أصحابه - رضي الله عنهم - يناقض الكاتب نفسه في موضع آخر من كتابه؛ إذ يقول: (إن نظرة وضعية للفارق بين الوعي المفهومي الجديد الذي طرحه (محمد) على العرب وتركيب العرب العقلي ضمن حالة التعدد الإحيائي توضح لنا إلى أي مدى كانت المهمة شاقة وصعبة بل ومستحيلة دون تدخُّل الله الغيبي؛ فقد كان على أمة من الرعاة أن تصبح سيدة الحكمة في عصرها)(٢).

٣ - حجية السنة:

جاء كاتب (العالمية الإسلامية الثانية) بمنهج جديد للحديث النبوي؛ فما وجه الاعتراض عليه؟ يقرر العلامة عبد الغني محمد عبد الخالق - رحمه الله تعالى - أن ما جاء عن الله - تعالى - لا يمكن أن يكون فيه اختلاف مع الحديث النبوي؛ إذ كلٌّ من القرآن والسنة من عنده - عز وجل -.

فلا يمكن أن توجد سنة صحيحة الثبوت عن رسول الله ﷺ تخالف الكتاب في الواقع وإن حصلت مخالفة في ظاهر اللفظ؛ لأن المراد من أحدهما - حينئذ - عين المراد من الآخر؛ وكل ما في الأمر أن هذا المراد قد يخفى في بادئ الأمر على المجتهد(٣).

وهناك من تمسك بأحاديث تدعو إلى عرض السنَّة على كتاب الله، ولكن أحاديث العرض على كتاب الله كلها ضعيفة لا يصح التمسك بها؛ فمنها ما هو منقطع، ومنها ما بعض رواته غير ثقة أو مجهول، ومنها ما جمع بينهما؛ وقد بين ذلك ابن حزم في الإحكام، والسيوطي في مفتاح الجنة نقلاً عن البيهقي بالتفصيل(٤).

فكل ما يصدر عن رسول الله ﷺ فهو: حسن جميل، معروف عند العقل السليم، وقد يقصر عقلنا عن إدراك حسنه وجماله، فلا يكون ذلك سبباً في إبطال صدوره عنه، أو حجيته، بل إذا رواه لنا الثقات وجب علينا قبوله، وحَسُنَ الظن به، والعمل بمقتضاه، واتهام عقولنا(٥).

---

(١) محمد أبو القاسم حاج حمد، العالمية الإسلامية الثانية، جدلية الغيب والإنسان والطبيعة، ١/٥٩ - ٦٠.

(٢) المرجع السابق، ٢/١٥٥.

(٣) د. عبد الغني محمد عبد الخالق، حجية السنة، ص ٤٩٥.

(٤) المرجع السابق، ص ٤٧٤.

(٥) المرجع السابق، ص ٤٧٨.

ولكن كاتب (العالمية الإسلامية الثانية) لا يتهم عقله في هذا الصدد إنما يتهم الثقات في رواية أحاديث رسول الله ﷺ.

٤ - رده للحدود الشرعية الثابتة بالكتاب والسنة:

يقول كاتب (العالمية الإسلامية الثانية): «فلا يمكن أن تكون شرعة القرآن هي شرعة (التخفيف والرحمة) ثم تستجيب لروايات تنسب إلى الرسول ﷺ تطبيق شرعة (الإصر والأغلال) فإذا استجبنا لذلك فإن المسألة ستنتهي لما هو أخطر؛ فالقول بأن الرسول قد طبق شرعة الإصر والأغلال فذاك يعني أنه - أي الرسول - ليس هو النبي الأمي المبشَّر به في سورة الأعراف والذي من علائمه أنه يضع عن اليهود ومعتنقي الديانات السابقة شرعة الإصر والأغلال، ويتحول بالدين نحو الخطاب العالمي»[1].

ويقرر الكاتب بأن الرجم وغيره من الحدود الشرعية هو من كيد اليهود؛ وذلك بهدف إبطال النبوة الخاتمة التي تنزلت على غيرهم[2].

والسؤال: هل اليهود يريدون للحدود الشرعية أن تطبق في واقع المسلمين حتى يدسوا مثل هذه الأحاديث بين المسلمين؟ إن الكاتب من حيث يدري ولا يدري يخدم الأهداف اليهودية التي لا تريد للحدود الشرعية أن تطبق في المجتمع المسلم باعتبارها تمثل حجر الزاوية في مجال الضبط الاجتماعي في الإسلام.

يريد الكاتب من المسلمين أن يتخلوا عن الحدود الشرعية باعتبارها شرعة توراتية حتى يقتنع الإنسان المعاصر بالدعوة الإسلامية؛ فالإصرار على تطبيق الحدود الشرعية (من شأنه حصر الإسلام ضمن حدود عالميته التقليدية حيث يتعامل مع الناس من منطلق الإيمان الوراثي)[3].

ويعمل الكاتب على إيراد تفسير جديد لقول الله - تبارك وتعالى -: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، فيقول: «قد أراد الله عبر هذا النص أن يطلعنا على تسببه التشريع المنزل تبعاً للحالات التاريخية والأوضاع الاجتماعية المختلفة. إن عقوبات القطع والرجم والجلد كانت سارية المفعول في ذلك العصر التاريخي السابق على الإسلام. إن الثابت في التشريع هو (مبدأ العقوبة) أو الجزاء؛ أما الأشكال التطبيقية لهذا المبدأ فموكولة لكل عصر حسب أوضاعه وأعرافه وقيمه - بهذا استوعب القرآن متغيرات كل العصور، ويبقى كما أراد له الله صالحاً لكل زمان ومكان»[4].

هكذا تفعل منهجية الحداثة فعلها في رد النصوص الشرعية ومتابعة الهوى في تفسيرها.

٥ - الأصول العامة لمنهج المبتدعة في الاستدلال:

تشمل الأصول العامة لمنهج المبتدعة في الاستدلال الآتي:

الأصل الأول: رد النصوص والجرأة في الاعتراض عليها.

الأصل الثاني: العبث في الأصول الشرعية للاستدلال وتشويهها.

الأصل الثالث: إحداث أصول بدعية جديدة للاستدلال والتلقي[5].

فهل يخرج كاتب (العالمية الإسلامية الثانية) عن الأصول العامة لمنهج المبتدعة في الاستدلال؟ لقد أخذ الكاتب بحظ وافر من تلك الأصول في رده

---

(١) محمد أبو القاسم حاج حمد، المرجع السابق، ١/٦٤.

(٢) المرجع السابق، ١/٦٤.

(٣) المرجع السابق، ٢/ ٤٩٥.

(٤) محمد أبو القاسم حاج حمد، المرجع السابق، ٢/ ٤٩٦، ٤٩٧.

(٥) أحمد عبد الرحمن الصويان، مجلة البيان، العدد ٩٦، ص ١٠، مقال بعنوان: المنهج العلمي للاستدلال بين أهل السنة وأهل البدعة.

للأحاديث الصحيحة وتشويهه للأصول الشرعية وتأسيسه لمنهج مبتدَع في هـذا الصدد، والكاتب لا يخرج في ذلك عما نبه إليه ابن تيمية من قول بعض رؤوس الجهمية - بشر المريسي أو غيره - أنه كان يوصي أصحابه إذا جادلوا أهل السنة قائلاً: «إذا احتجوا عليكم بالحديث فغالطوهم بالتكذيب، وإذا احتجوا بالآيات فغالطوهم بالتأويل»[١] هذا هو منهج المبتدعة في تعاملهم مع الكتاب والسنة.

وللفلسفة وزن كبير في التكوين الفكري للكاتب في الوقت الذي نجد أن العلوم الشرعية عنده تكاد تكون غائبة، وذلك له أبلغ الأثر في فكره الذي طرحه عبر (العالمية الإسلامية الثانية)، وكما يقول ابن تيمية - رحمه الله تعالى - «ومن المعلوم أن المعظِّمين للفلسفة والكلام المعتقدين لمضمونها هم أبعد الناس عن معرفة الحديث، بل قد لا يفرقون بين حديث متواتر عنه وحديث مكذوب موضوع عليه، وإنما يعتمدون في موافقته على ما يوافق قولهم سواء كان موضوعاً أو غير موضوع»[٢].

ولله درُّ ابن تيمية؛ إذ نجد أن الكاتب يردُّ بعض الأحاديث المتواترة في الوقت الذي يقبل فيه حديثاً باطلاً لا أصل له مع شهرة لفظه وهو: «اطلبوا العلم ولو بالصين» إذ أورده في كتابه (١/٢٥٥) في الوقت الذي قال فيه ابن حبان: هو باطل لا أصل له، وفي إسناده أبو عاتكة وهو منكر الحديث. وقد أخرج هذا الحديث البيهقي في الشعب ولفظه مشهور وأسانيده ضعيفة، وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات[٣].

٦ - منهجه في تفسير القرآن الكريم:

يقرر الكاتب بأن منهج الرسول ﷺ هو (حاكمية كتاب) مطلق لتتوارثه الأجيال؛ لذلك فهو يرفض من يقول بأن الرسول قد وضع تفسيراً للقرآن[٤]. وهو بذلك يرد ما أوردته كتب السنة من تفسير نبوي لبعض آيات الكتاب المبين الذي نص القرآن على أن الرسول ﷺ من ضمن رسالته أن يبين للناس آيات التنزيل: ﴿ ... وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

ويقرر الكاتب بأنه ليس ضد فهم السلف للقرآن بموجب التركيبة التي تناولوه من خلالها؛ غير أن تكشُّف القرآن عن تركيبة أخرى يجعلنا في مواجهة عطاء جديد ظل مكتوباً لمرحلة تاريخية خطيرة، مرحلة يهيمن بها القرآن على كل مناهج الفكر الوضعي، ويتجاوز بها كل معطيات الوضعية السلفية الدينية[٥].

ويقرر الكاتب بكل ثقة بأنه مُقْدِم على عمل كبير في دراساته القرآنية التحليلية جعله الله من بدايات القرن الخامس عشر الهجري يشمل فهماً جديداً ناسخاً لمفهومات الوضعية العلمية والوضعية الدينية على سواء[٦].

ولا يرى الكاتب أي غضاضة من أن يذكر بأن المنهج عبر التحليل قد أصبح بديلاً عن النبوة وذلك ليستدرك الإنسان بالتطور ضمن مقوماته الوضعية ما لم يستدركه بالتزكية النفسية ضمن مقوماته الروحية[٧].

٧ - محاكمة النصوص إلى الدماغ المعاصر:

لا يختلف الكاتب عن العلمانيين الذين يشن

(١) المرجع السابق، ص ١٣.

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ٤ / ٩٥.

(٣) محمد بن علي الشوكاني، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، ص ٢٧٢.

(٤) محمد أبو القاسم حاج حمد، المرجع السابق، ١ / ٦٦.

(٥) محمد أبو القاسم حاج حمد، المرجع السابق، ٢/٤٨٢.

(٦) المرجع السابق، ٢ / ٤٨٣.

(٧) المرجع السابق، ٢/ ٤٧٥.

عليهم هجومه في كتابه من حين لآخر وذلك في محاكمته للنصوص الشرعية إلى الدماغ المعاصر؛ فالإسلام يحاكم غيره ولا يتحاكم إلى غيره بأي حال.

ويتضح بيان منهج الكاتب في محاكمة النصوص القرآنية إلى الدماغ المعاصر في قوله: «إذا تتبعنا مراحل التطور في التفكير الإنساني على ضوء فرضيات (جون ديوي) و (آثر بتلر) نستطيع أن نميز خصائص السلوك الفكري العربي في تلك الآونة بانتمائه إلى مرحلة الحركة الذاتية (sefaction) وهي مرحلة تتميز خصائصها بمحاولة الإنسان تفسير كل ظاهرة من ظواهر الكون بمعزل عن غيرها من الظواهر، فلم يكن الإنسان في تلك المرحلة قد أدرك ما بين ظواهر الكون جميعاً من علاقات، وقد أطلق رجال علم الأجناس البشرية على تلك المرحلة اسم الأنيميا (Animistic stage). وبغضٍّ النظر عن حقيقة التطورية أو بطلانها فالمهم أن التطورية بمدارسها المختلفة - غير الداروينية الآن - هي جزء من الدماغ المعاصر وتتضمن إسقاطاته النظرية على كل المواضيع بما فيها آيات الكتاب»[1].

وقد استخدم الكاتب مصطلح (التاريخيانية) ومصطلح (القطيعة المعرفية) بنفس المعنى المستخدم عن أهل النظرة العلمانية.

٨ - إنكاره للمعجزات النبوية ما عدا القرآن الكريم:

يولع بعض الباحثين على شاكلة كاتب (العالمية الإسلامية الثانية) في تصوير حياة النبي ﷺ بعيداً عن الخوارق والمعجزات، وإذا أمعنا في منبع هذه النظرية عن رسول الله ﷺ نجد أنها في الأصل فكرة بعض المستشرقين والباحثين من الأجانب أمثال (جوستاف لوبون) و (أوجست كونت) و (هيوم) و (جولد زيهر) وغيرهم، ثم تلقَّف هذه النظرية منهم أناس من المسلمين كان من سوء حظ العالم الإسلامي أن جندوا كل مساعيهم وعلومهم للتبشير بأفكار أولئك الأجانب دون أي مؤيد سوى الافتتان بزخرف خداعهم، وانخطاف أبصارهم بمظهر النهضة العلمية التي هبت في أنحاء أوروبا، وكان من هؤلاء المسلمين الشيخ محمد عبده، ومحمد فريد وجدي، وحسين هيكل[2].

يقول كاتب (العالمية الإسلامية الثانية): «ثم يأتي من يفترض له معجزات كجريان لبن من بين أصابعه، أو تكثير خبز ليضاهوه بمن سبقه من الأنبياء، وهؤلاء - مع غيرتهم - قد جهلوا منهاج نبوته ورسالته وخصائصه وخصائص نبوته، فاختصروه إلى وعيهم الذاتي وهو أكبر من ذلك بكثير وبما لا يدرك منه إلا قليلاً»[3].

فالكاتب بإنكاره لمعجزات النبي ﷺ الحسية يخدم أهداف علماء الاجتماع الغربي والمستشرقين بعيدة المدى، ويجتر نظرياتهم العتيقة في هذا الخصوص ليجدد الدماء في عروقها؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله.

٩ - تقييمه لفكر ابن عربي:

يقرر الكاتب بأنه قد نسب إلى ابن عربي زوراً وجهلاً القول بوحدة الوجود والاستبطان الغنوصي والتأثر بالفلسفات الإغريقية والهندية؛ غير أن الدراسات المعاصرة قد قيِّمت فلسفته خارج إطار تلك المنسوبات من هذه الدراسات القيمة - على حد قول الكاتب - ما أصدره الدكتور (نصر حامد أبو زيد)[4]، فمن هو (نصر حامد أبو زيد) الذي استند إليه الكاتب في تقييمه لفلسفة ابن عربي؟!

والحقيقة أن الطيور على أشكالها تقع، فقد

(١) المرجع السابق، ٢/٤٩١.

(٢) د. محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، ص ١٤٧، ١٤٨.

(٣) محمد أبو القاسم حاج حمد، المرجع السابق، ١/٤٥١.

(٤) المرجع السابق، ١/٤١٢.

طُرِحَتْ آراء مشبوهة من أمثال (فرج فودة) و (سعيد العشماوي) و (محمد أحمد خلف الله) ثم ما أثاره مؤخراً (نصر حامد أبو زيد) في كتاباته ومنها: (مفهوم النص) و (إشكاليات القراءة وآليات التأويل) و (نقد الخطاب الديني) التي دعا فيها إلى محاكمة «النص القرآني» وتأويل تعاليمه بما يخرجها عن معناها الشرعي، وقد صدرت فتوى من علماء الأزهر بردة (نصر حامد أبو زيد) على ضوء ما كتبه من آراء وأفكار منحرفة في حق الإسلام، والحُكم بالتفريق بينه وبين زوجته[١].

وهكذا يعمل المبتدعة على تصوير ابن عربي مفكراً له إشراقاته وبصماته على الفكر الإسلامي، في الوقت الذي تشهد عليه آثاره بخلاف ذلك؛ فالعلامة ابن خلدون - رحمه الله تعالى - يحكم على الكتب المتضمنة لفلسفة ابن عربي مثل: الفصوص، والفتوحات المكية وأمثالها بإذهاب أعيانها إن وجدت بالتحريق بالنار - والغسل بالماء حتى ينمحي أثر الكتابة لما في ذلك من المصلحة في الدين[٢].

١٠ - رؤيته بأن ربط توقيت فرض الصلاة بليلة الإسراء من الإسرائيليات:

جاء في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما من دواوين السنة أن الله - تبارك وتعالى - قد فرض الصلاة في ليلة المعراج مع ما هو معلوم من قصة موسى - عليه السلام - مع نبينا محمد ﷺ في هذا الشأن؛ ولكن كاتب (العالمية الإسلامية الثانية) يرى أن ربط توقيت فرض الصلاة بليلة الإسراء (خدعة إسرائيلية) انطلت على المسلمين، وهي ليست مجرد خدعة عبثية، ولكنها مقصودة تهدف إلى التقليل من شأن النبي الخاتم ﷺ وإظهاره بمظهر المتلقي عن موسى بما يبطل إمامة محمد ﷺ لموسى - عليه السلام -، وبما يبطل نسخ القرآن للتوراة، هكذا قالوا: إن الصلاة فرضت في ليلة الإسراء؛ حيث فرضها الله علينا (خمسين) ركعة في اليوم لولا (إقناع) موسى - عليه السلام - المتكرر لمحمد ﷺ للعودة مجدداً وأكثر من مرة إلى ربه ليخفض عدد الركعات، وهكذا - بوساطة موسى - عليه السلام - وتوجيهه لمحمد ﷺ - أصبحت صلواتنا خمساً.

ويقرر الكاتب أن الآثار المنسوبة إلى رسول الله ﷺ في هذا الصدد تجمع بين السخافة والبطلان؛ فمحمد ﷺ إمام لموسى - عليه السلام - وليس العكس، وشريعته القرآنية ناسخة للشريعة التوراتية[٣].

أرأيتم كيف أن هذا الكاتب يخلط الأوراق؟ وقد سبق لي أن دخلت في محاورة عبر بعض الصحف اليومية مع أحد منكري السنة النبوية قال بنفس قول هذا الكاتب الذي ذكرته آنفاً.

أين السخافة والبطلان في أن يراجع نبينا محمد ﷺ ربه في شأن الصلاة؟

أليس في هذه المراجعة مكرمة له ﷺ؟ ففي الوقت الذي كان يراجع فيه النبي ﷺ ربه في هذا الخصوص كان نبي الله موسى - عليه السلام - منتظراً في مكانه؛ فأيهما أفضل حسب هذه الرواية؟ وإذا كانت الرواية من نسج اليهود لقالوا بأن الذي كان يراجع الرب - تبارك وتعالى - في هذا الشأن هو موسى - عليه السلام - وليس محمداً ﷺ. وهل يرضى اليهود بأن يروِّجوا بأن نبينا محمداً ﷺ قد عُرِج به إلى السماء حتى ينسجوا مثل هذه الرواية التي تثبت معراجه ﷺ، مما ينكره صراحةً أولئك الذين ينكرون السنة النبوية ومعجزاته الحسية ﷺ. إن إنكار مثل هذه الروايات المقطوع بصحتها فيه خدمة عظيمة لليهود والنصارى؛ إذ يعني تشكيك أهل الملة الإسلامية في

---

(١) انظر افتتاحية مجلة البيان العدد ١٠٨.

(٢) د. كمال محمد عيسى، نظرات في معتقدات ابن عربي، ص ٩٨، ٩٩.

(٣) محمد أبو القاسم حاج حمد، المرجع السابق، ٢/٢٠٠.

معتقداتهم وبلبلة أفكارهم؛ فاليهود... اليهود هم الذين يروِّجون لمثل هذه الأفكار في المجتمع المسلم.

١١ - نظرة عصرية جديدة للإبداع الفني:

يقرر الكاتب بأن سائر أنواع الجماليات التي تجسد حيوية الإنسان، وتفاعله مع الحياة تعد مقدمة ضرورية في بناء الإنسان الحضاري الحر المنطلق؛ ويقصد بهذه الأنواع النحت والرسم والموسيقى وسائر الجماليات الأخرى[(١)].

ويشير الكاتب في هذا الصدد إلى دراسة قيمة - على حد زعمه - كتبها (عبد المجيد وافي) بعنوان: (محمد والفنون) صدرت ضمن مجموعة مقالات: (محمد نظرة عصرية جديدة)، وقد كفت هذه الدراسة الكاتب - كما يقول - عناء الموضوع، على ما في المعاناة من متعة؛ فقد أوضح وافي موقف القرآن والرسول من هذه الفنون بقوله: ولم يكن لرسول الله ﷺ موقف مباشر يهدف إلى إباحة شيء بعنوان الفنون، أو تحريم شيء بعنوان الفن[(٢)]. هذا القول المغلوط لا يمكن الأخذ به بكل هذه البساطة؛ فما تُوفي رسول الله ﷺ إلا من بعد ما بيَّن للأمة كل جزئية تقربهم من الله - تبارك وتعالى - أو تبعدهم عنه، وللإسلام كلمته القاطعة فيما يتعلق بالآداب والفنون، يؤخذ ذلك من كتاب الله - تعالى - وسنة الرسول ﷺ؛ فهناك (أدب إسلامي) وفن (إسلامي) كما أن هناك (أدباً جاهلياً) و (فناً جاهلياً) ولكن الكاتب الذي يتجرأ في رد أحاديث النبي ﷺ القطعية الثبوت له رؤية أخرى في هذا الموضوع؛ إذ يقول: «والملاحظ هنا أن حجج المجوِّزين تعتمد على القرآن فيما رواه عن (سليمان) و (عيسى)، وحجج المحرِّمين تعتمد على أسانيد (الأحاديث) وأهمها الحديث المنسوب إلى الرسول ﷺ برواية ابن عمر - رضي الله عنهما - وهو حديث متفق عليه في قوله: «الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم» وكان بإمكاننا حل المسألة في هذه الحدود بتكذيب مسندات الأحاديث: لأنها متعارضة مع نص قرآني. والرواة - كما نعلم - ليسوا أنبياء مهما تحققوا من مصادر الإسناد»[(٣)]. والهوى يجعل الكاتب يرى أن الحدود الشرعية التي وردت في القرآن الكريم تتعلق بشرعة الإصر والأغلال التي جاء بها موسى - عليه السلام - فهي منسوخة، والهوى يجعله يرى أن ما أورده القرآن عن (سليمان) و (عيسى) - عليهما السلام - فيما يتعلق بالصور والتماثيل غير منسوخ في شريعة نبينا محمد ﷺ!!!

وبالرغم من أن الكاتب قد انتقد المذاهب الغربية بقوة كما بينا آنفاً إلا أنه عاد يكيل المدح لها مشيداً بروائعها الفنية والجمالية والحضارية؛ لأنه يريد للمسلمين أن يحذوا حذوها شبراً بشبر وذراعاً بذراع في هذا المجال، يقول (محمد أبو القاسم حاج حمد): «هناك تصدح في ساحات (ڤيينا) كل مساء روائع الموسيقى التي أصبحت عالمية، وفي زواياها تنتصب تماثيل العباقرة من أبنائها الذين استلهموا معنى النغمة من الحياة»[(٤)].

وهل إنتاج أوروبا الفني والجمالي والحضاري نشأ من فراغ دون أن يكون لمذاهبها التأثير في تكوينه؟ وهل يتفق ذلك مع المذهبية الإسلامية؟

١٢ - د. طه جابر العلواني وتقديمه لكتاب العالمية الإسلامية الثانية:

د. طه جابر العلواني تقلَّد منصب رئيس المعهد العالي للفكر الإسلامي الذي يتخذ من الولايات المتحدة الأمريكية مقراً له لفترة طويلة، ويشغل الآن منصب رئيس جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية

---

(١) المرجع السابق، ٢/ ٤٣٤.

(٢) المرجع السابق، ٢/ ٤٣٥.

(٣) المرجع السابق، ٢/ ٤٣٧.

(٤) المرجع السابق، ٢/ ٤٢٣.

بالولايات المتحدة أيضاً، وله آثار علمية طيبة وكثيرة، وهو الذي سعى إلى طباعة كتاب العلاّمة الدكتور عبد الغني محمد عبد الخالق ـ رحمه الله تعالى ـ: (حجية السنة) بواسطة المعهد العالمي للفكر الإسلامي مع التقديم له بمقدمة طيبة، والذي يمثل سهاماً موجهة إلى نحر كل من يسعى إلى الغمز واللمز في السنة النبوية المطهرة كما فعل كاتب (العالمية الإسلامية الثانية).

والشيء الذي أستغرب له هو: كيف قدَّم د. طه جابر العلواني لكتاب (العالمية الإسلامية الثانية) في طبعته الثانية بمقدمة لا تخلو من الإطراء والإعجاب بمحتوياته دون أن يبين ما حواه من قضايا منهجية خطيرة تُعد حرباً على الإسلام؟ ولا يشفع للدكتور قوله في المقدمة: (ومهما كان حول بعض ما أورده من ملاحظات أو تحفظات قد تتراوح بين النقد والقبول أو المراجعة، كل ذلك لا ينبغي أن يأخذ أو يلفت أنظارنا وعقولنا عن قضية الكتاب الأساسية التي هي قضية المنهجية المطلوبة لبروز العالمية الإسلامية الثانية، وظهور الدين على الدين كله، وبروز كلمة الله مرة أخرى في الأرض)(١).

فهل المنهجية المبتدعة التي حواها هذا الكتاب من شأنها أن تخدم الدعوة الإسلامية؟

إن تقديم د. طه جابر العلواني للكتاب قد فتن ثلة من الباحثين المسلمين الذين يعملون في حقل تأصيل العلوم؛ فهل مثل هذا المنهج الذي جاء به يفيد عملية التأصيل؟

وقد قررت د. منى عبد المنعم أبو الفضل ـ وهي ذات نشاط ملحوظ في أعمال المعهد العالي للفكر الإسلامي ـ كتاب (العالمية الإسلامية الثانية) ضمن منهاج النظم العربية للسنة النهائية بقسم العلوم السياسية في جامعة القاهرة(٢).

وقد بذل الكاتب شكره لأولئك الذين استضافوه في مراكزهم العلمية وجامعاتهم وندواتهم ومؤتمراتهم، وقد خص بالذكر منهم: المركز الإسلامي الثقافي في مالطا، وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية في طرابلس، والجامعة العالمية في ماليزيا ـ طلاب جامعة اليرموك بالأردن، منظمي مؤتمرات الاتجاه الإسلامي ولجنة فلسطين الإسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية ـ وجمعية الترقية الاجتماعية لولاية بسكرة بالجزائر(٣).

أما كان الحق يحتم أن تتدارس تلك الجهات الدعوية التي ذكرها الكاتب ما حواه كتابه وحمله فكره بتأنٍ ومراجعة شاملة لمنهجه، ووزن ذلك بميزان الكتاب والسنة قبل أن يحتفوا به؟ فما وافق الكتاب والسنة فهو الحق المبين، وما خالفهما لا بد من بيانه للناس بالتفصيل؛ فهذه قضية غاية في الأهمية وليس كما قرر د. طه جابر العلواني؛ فالجامعات والجمعيات والمراكز العلمية الإسلامية ذات تأثير واسع في حقل الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ ويتحتم عليها أن تضبط مسيرتها القاصدة إلى الله ـ تعالى ـ بالكتاب والسنة.

ونأمل أن يجد هذا الكتاب الاهتمام المطلوب من المختصين فينبري له من يرد على كل جزئية من جزئياته بالتفصيل حتى لا ينطلي زخرفه على بعض الناس.

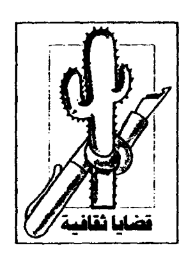
ونأمل أن يراجع (محمد أبو القاسم حاج أحمد) ما سطره في كتابه: (العالمية الإسلامية الثانية ـ جدلية الغيب والإنسان والطبيعة) وفقاً للثوابت الإسلامية دون أن يجعل للهوى نصيباً في ذلك؛ فما أكرم أن يرجع الإنسان إلى سبيل الحق المبين: ﴿ **كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ** ﴾ [الرعد: ١٧].

---

(١) المرجع السابق، ١/ ٢٢.

(٢) المرجع السابق، ١/ ١٣٤، ١٣٥.

(٣) المرجع السابق، ١/ ١٣٥.



تشكيل القيم في أزمنة الوهن!!

سليمان بن عبد العزيز الربعي

الحديث عن تشكيل قيم الوعي المادية والروحية؛ حديث هوية جمعيَّة لا ينفك عن ظروف الأمم ومناهج تفكيرها، وهو - بكل حال - حديث ذو شجون قلَّ أن يتاح لمرء مناقشته في فرصة، أو تشخيصه في مقالة؛ ولذا فكتابة اليوم أمشاج فِكَر تنتمي إلى مرحلة بعدية منه، أرجو ألا أجانب المنهج العلمي إن قلت: إن البحث فيها مدخل ضروري لفهم أوَّلياتها؛ وهي أوليات مهمة بلا ريب آمل أن يتسع الوقت لمناقشتها لاحقاً.

وبدءاً، لا مناص من الإشارة إلى أنّ رُتْبَتَي القِيَم : - المادة والروح - مرتبطتان تماماً بالفعل الجمعي، مما يجعله بحثاً شاملاً لمناهج السيكيولوجيين والديموغرافيين المتميزة بالتباين المنهجي والتكامل البحثي، وهو أمر يشير كذلك إلى أهمية اصطحاب المناهج التطبيقية في البحوث المشاكلة، وصلة القيم بهذا تتأتى من القول بأن ملامح القسمين الآنفين تفريعٌ غنيٌّ الدلالة لتلك المناهج؛ فالمعطى المادي قيمياً - في التفكير والممارسة - قريب الصلة بالعلاقات الإنسانية المتصفة بالجماهيرية والوقتية وعدم الفرز، مما يمنحها نعوت البراءة في التطبيق لمصطلح (العولمة) في مجالات بعينها. أما القيمة الروحية النوعية فعلى العكس؛ إذ ترتبط - غالباً - بالتشكيل الذاتي، وقد تخرج إلى فضاءات أرحب نسبياً، وتتميز بالتحليل والتروي والتفكير الطويل.

ما أرمي إليه من هذه المقدمة، أولاً، التأكيد على أن قيم الروح تشكل في مناخات بالغة الحساسية، متميزة بالجدية والعملية والمعيارية، وهذا ما يجعلها صعبة على الطبيعة الإنسانية المجبولة على ضد هذه الصفات من تعلُّق باللهو والكسل وعدم الانضباط، وكل هذه الصفات وما ناظرها تؤول بسببٍ إلى الهوى الغلاب أو الجهل بحقائق الاستخلاف ومقاصده. والناظر في النصوص الشرعية يجد هذه المعالم بارزة أشد ما يكون في قصص المرسلين وحواراتهم - عليهم صلوات الله وسلامه - مع مخالفيهم، بل وفي مجمل النص خبراً وإنشاءاً، بحسب الأصوليين.

والقصد الأبعد التالي هو التركيز على أن صراع القيم في المجتمعات صراع طبعي قد قدره الله ـ تعالى ـ، بل إنه ـ سبحانه ـ خلق الخلق على شاكلة مختلفة في الطاعة والمعصية. وأهل المعصية مختلفون متفرقون فيها، دون (أهل التوحيد) إذ هم الأمة الواحدة يدل عليه قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ...﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]. فالناس لا يزالون «مختلفين في أديانهم على أديان وملل وأهواء شتى، (إلا من رحم ربك) فآمن بالله وصدق رسله؛ فإنهم لا يختلفون في توحيد الله، وتصديق رسله، وما جاءهم من عند الله»[١]، ويؤكد هذا المعنى أن الآية الكريمة وضَّحت أن الخلق قد جاؤوا على هذا التقدير الحكيم: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾، أي: «وللاختلاف بالشقاء والسعادة خلقهم»[٢]، دون أن يُفهم منه أن المختلفين غير ملومين على اختلافهم كما فهمت المعتزلة؛ بل اللام هنا بمعنى (على)[٣]، أي: وعلى هذا التقدير خلقهم. بل أبعد من هذا الأسلوب الخبري: أن تتضمن آيات الذكر الحكيم والحديث الشريف أساليب إنشائية كثيرة تحث على الموازنة بين قيم المادة والروح، وأبعد: أن تنهى عن القعود والتبتل والانقطاع التام عن الدنيا؛ إذ فيه ـ أي الانقطاع ـ مفاسد تتنافى مع حِكَمِ المولى ـ تبارك وتعالى ـ في الاستخلاف.

المهم: إدراك أن الاختلاف القيمي سُنَّة ربانية لا سبيل لدفعها؛ ولذا فالحديث يرمي إلى محاور ذاتية داخل حيز الحقيقة الكونية الكبرى، وهي ما تمثل مجالات البحث والمراجعة والتقويم. ولئن كانت الآية الكريمة تقرر هذه الحقائق بسبيل عام ومقاصد كبرى فإن في الواقع الواحد الذي يتميز أهله بأنهم (لا يختلفون في توحيد الله ... إلخ) كثيراً من سلبيات التطبيق للقيم وممارساتها الفردية والجمعية، وكثيراً من الآثار المترتبة على الخلل المنهجي والمضموني في تعامل مؤثرات التوعية وآلياتها مع الجماهير، ولعلي أكتفي هنا بالإشارة إلى مفارقات الوعي بين نوعي القيم؛ حيث طغت على الأجيال الجديدة القيم المادية المرتبطة ـ كما سلف ـ بالهوى والكسل على حساب قيم فضلى تمثل على سبيل الحقيقة صمَام أمان للمجتمع من الفراغ النفسي والروحي، وهذا الاهتمام السالب يتوجه بأوَّلية إلى النشاط الذهني والفكري لأثرهما الكبير على المناشط الأخرى.

والحقيقة الكبرى التي لا ينبغي أن تغيب عنا؛ أن هذه الأجيال لا تتحمل تبعة المفارقات القيمية وحدها؛ بل ثمة روافد كثيرة ومؤثرات عدة، تعمل عملها في تشكيل مخيلات التوعية لهم وللأمة بعموم؛ فالبيت ـ مثلاً ـ وهو النواة الأولى للأجيال ـ، كثيراً ما تنعكس سلبياته على التشكيل القيمي للشباب. وفي ظروف كثيرة يعمل التخلخل العلائقي بين قطبي البيت على تمزيق القيم الإيجابية لدى المُشاهد الراصد (المؤثَّر فيه) = الابن، ومن ثم تجد القيم السلبية طريقها الرحب في وعيه المنعكس على سلوكه. إن كثيراً من مشكلات الشباب القيمية ـ أياً كان نوعها ـ هي في الغالب حصيلة طبيعية لمَسٍ ذاقوا ويلاتها وتجرعوا غصصها، فلم يجدوا سوى السلوك المشين للتعبير عن رفضها والسخط عليها هذا من جهة. وهم لم يجدوا سوى الحرية غير المؤطرة لإشباع رغباتهم النفسية الظامئة من جهة أخرى؛ فهم ناقمون ظامئون.

(١، ٢، ٣) تفسير الطبري: م ٧ ـ ج ١٢ / ١٣٩.

مشكلة المؤثرات التي تنصهر في مثال البيت أنها بعيدة عن إدراك حاجة الجيل للقيم الروحية. ومشكلة آليات تشكيل الوعي أنها لا تنظر إلى النفس قدر نظرتها إلى أهداف أخرى؛ فالقنوات الفضائية (الفضائحية) تتعامل مع القيم والمجتمع تعاملاً تجارياً صرفاً، همها الأول والأخير: الاستقطاب. ولا بأس عندهم أن يكون هذا الاستقطاب على حساب القيم الشعورية والروحية للمشاهد؛ إذ هي أبعد ما تكون عن الإسهام في تشكيل القيم الإيجابية في النشء، ناهيك عن القنوات التي ترمي، أصلاً، إلى خلخلة القيم بشكل صريح، وكثير من الكتّاب الصحفيين مشغول بغير شغل، وجُلُّ دور النشر تقذف التشكيك العقدي، (وتسهم) بدفع الروايات الخواء للجيل!

في هذا الجو الملوث تتشكل القيم! غير أنها القيم المادية التي تعمل في النفوس عملها السالب، فتضخم الشك، وتفرغ الفكر، وتسلم متلقيها إلى مهاوي الردى! في مثل هذه الظروف الصعبة، وإن تنوعت درجاتها، تتصف القيم المشكَّلة بالسلبية الحادة التي لا يمكن دفعها بآمال عابرة، ويُصاب الجيل بأزمة قيمية عنيفة ينعكس صداها على سلوكهم اليومي في مناشط الحياة كافة. والذي يحز في النفس أن تتعامل بعض الدوائر التربوية والأكاديمية إزاء ظاهرة الهبوط القيمي لدى الشباب بـ (سوريالية) غير مفسَّرة، وذلك عندما تحلل أسبابها - أي الظاهرة - بضيق أفق ظاهر، بعيداً عن تلمس المؤثرات الفاعلة. إن الجيل الذي يُمارس فاعليته السلبية في القيم والوعي هو على العموم ضحية العوامل المؤثرة، وهو في الوقت ذاته يعيش فراغاً نفسياً هائلاً يندر فيه الموجه الحكيم!

إن كثيراً من الذين نرى فيهم الشر والنزعة الجامحة لقيم المادة الطاغية، إنما هم - في الأعم الأغلب - ذوو نفوس حيرى، قد أرهقهم الضيم الذي عايشوه، وأودى بهم القِيَم غير الكفء، ونفوسهم في الوقت ذاته نفوس عطشى لمتجرد نبيل ينتشلها من سَوْرَاتِ الخوف والضنك في مثالها الذي تعيشه من قيم دنيا، إلى رحاب الطمأنينة والحب والخير متجسدة في قيم الروح الفاضلة. وهكذا كلُّ نفس تجد في مربيها الصد والخوف، تسعى لأمانها الضائع، وتهش لبارقة أمل من حكيم يُخرجها من تيه المادة إلى يقين الروح.

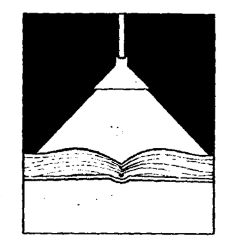
إن السحرة الذين حشرهم فرعون لمواجهة موسى - عليه السلام - مع الإشارة إلى الفرق في المثال - قد جاؤوا بنفوس ظاهرها الحرص على الشر والرغبة في المغالبة يُقصيهم عن الود كفرهم بالله، وذاك الخطاب الشهير يوم الزينة؛ إذ جاء مكثفاً بالتذلل والخنوع لفرعون الذي يقول لبني إسرائيل: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، ويقول لموسى: ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]. إنهم يقولون، في مواجهة الداعية - عليه السلام - مستظهرين العزة، محاولين الترهيب بالقسم: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ [الشعراء: ٤٤]. هؤلاء المتظاهرون بالطغيان والجبروت، ما هم في الحقيقة سوى أصحاب نفوس ضائعة، نفوس فارغة من الهم، مكتظة بالفراغ، سابحة في الضيق الذي لا ترى منه مخلصاً إلا بالعبِّ من الشهوات. وهم لذلك لم يشترطوا على حاشرهم (فرعون) إلا المال فقضيتهم التمتع فحسب، ولو كانوا أولي هدف لعملوا لنصرة سيدهم ورب نعمتهم؛ أما

وقلوبهم هواء من برد اليقين، غريبة غرابة مواجدهم، فليسألوا المال طرداً للهمِّ بالهمِّ. إنهم بعيدون في شعورهم من مشاركة فرعون مشاركة وجدانية، بل هم أجراء: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [الشعراء: ٤١]. وحين يرى هؤلاء آيات اليقين وأمارات الطمأنينة بالإيمان ينجلي الغبش وتهفو النفس. وحين يعاتبهم الطاغية على اليقين ويستكثر عليهم الطمأنينة تصدع النفوس قبل الألسن بأنه كان سبب السلب الحقيقي وأداة القيمة المادية الفاعلة: ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ٧٣]، إنه كان يُكرههم على القيمة السالبة بسخرتهم في تعلم السحر وصرفهم إليه صغاراً، فهو متجبر في القوامة، قد سلبهم أمانَ النشء ويقين الفطرة، وغشهم في الرعاية.

إن علماء النفس والاجتماع الغربيين يتحدثون عن إشكاليات خطيرة في واقع الأجيال، وهي مشكلات تزداد صعوبة في كل يوم في أزمنة القيم المادية المشرعة؛ فمثلاً نجد أن المنتسبين إلى حركة (حافظي الوعد) (Promise keeprs) الغربية ـ وهم في ازدياد ـ قد سئموا سُعار المادة الطاغي، فأجمعوا على بنود سبعة تمثل ـ بالنسبة لهم ـ أسس الممارسة، وعليها بناء الوعي القيمي لشبابهم، وهي بنود تطغى عليها الديانة النصرانية وتتوجه إلى ربط الجيل بمستوى أخلاقي نوعي؛ إذ يشير البند الثالث إلى أن على المنتسب للحركة الالتزام بممارسة (الطهارة الروحية والمعنوية والأخلاقية والجنسية) وفي فقرة أخرى نلحظ الاهتمام بالتكافل الاجتماعي ولو على نطاق ضيق(١). ونحن مع التسليم بضلالهم المبني على سوء الاعتقاد بالله ورسله واليوم الآخر، لا نرمي إلى مناقشة تلك الأسس من منظور إسلامي، بل القصد: الإشارة إلى الرغبة الطاغية لأمم الأرض اليوم في استعادة شيء من الهوية، وحرصها على تشكيل الجيل تشكيلاً جديداً ينأى به عن طغيان المادة وفراغ الحضارة الموحش. ونرمي من وراء ذلك كله للتساؤل الملحّ: أفليس المسلمون ـ وهم أهل الحق والدين القويم ـ أجدر الأمم بالعمل على استعادة تاريخهم المجيد بتربية أجيالهم على قيم الدين المستقيم؟ أفليس المسلمون أوْلى الناس بالعمل على مغالبة أزمنة الوهن بتحصين أجيالهم وتشكيل وعيهم تشكيلاً قيمياً نافعاً؟ ولا ريب أنها مهمة كبيرة على المربين، غير أن ثمة بواعث واقعية ينبغي أن تجعلهم يستسهلون الصعب، كان من آخرها المسابقة التي أجرتها إحدى الإذاعات العربية؛ حيث لم يستطع مستمع واحد أن يذكر اثنين من المبشَّرين بالجنة، في حين لم يتخلف أحد عن الإجابة الصحيحة في ذكر «اللقب» الشهير للمطرب الذي رحل يوم كان المستمعون الآن ما يزالون في أصلاب آبائهم!!

---

(١) انظر جريدة الحياة ١٨ جمادى الآخرة، ١٤١٨هـ.



وجهة نظر:

حول ظاهرة أسلمة العلوم

د. أحمد إبراهيم خضر(*)

ظهر في العقدين الأخيرين دعاوى جديدة ذات أصول قديمة ومتكررة تحمل اسم: (مشروع أسلمة وتأصيل العلوم) والتكامل بين العلوم الشرعية والعلوم الاجتماعية والإنسانية؛ أو التكامل بين معطيات الوحي والخبرة البشرية، وانشئت لهذا الغرض جامعات ومعاهد وكليات تخرّج أجيالاً تحمل هذا الفكر وتروّج له.

اتجاهات ثلاثة تؤصل المشروع:

وهناك اتجاهات ثلاثة داخل هذا المشروع، أحسب أنها تتسم جميعها بسمة الاستعلاء على الكتاب والسنه وما انبثق منهما من شريعة وفقه. يلبس الاتجاه الأول ثوب الاعتدال، وهو أخطرها فيدعو أصحابه إلى الاستعانه بالقواعد الفقهية والمنهجية الأصولية، وتطبيقها في العلوم الاجتماعية، وعرض نتائج العلوم الاجتماعية على علماء الدين وإقامة جسر بينهما. ويغلب على الاتجاه الثاني صفة السطحية والوصولية. أما الاتجاه الثالث فقد تطرف إلى الحد الذي دعا فيه إلى نقد التراث ومراجعة الدراسات التى بنيت على القرآن والسنة وتجديدها مع استبعاد مفاهيم الحق والباطل والإيمان والكفر...إلخ(1).

وأياً كانت الاتجاهات داخل هذا المشروع بما فيها الاتجاه المعتدل فإن جميعها تعتقد أن مستجدات العصر قد أحدثت خللاً في الأبنية الاجتماعية ومشكلات لم تكن قائمة في الصدر الأول مما يستوجب مواجهتها بالعلوم الاجتماعية العصرية الحديثة؛ مع مراعاة اتساق ما يؤخذ منها مع الكتاب والسنة. فالمسالة إذن ليست مواجهة تغيرات العصر بحلول مستنبطة من الخطوط العريضة للشريعة، أو إقامة مصالح الدنيا بالرجوع إلى التعاليم المتضمّنة في القواعد الكلية للشريعة، وإنزال الوقائع المتجددة التي تعرض للأفراد والجماعات عليها، وفحص ما يترتب عليها من المصالح والمفاسد، وإنما الاستعانة بنظريات وتحليلات العلوم الاجتماعية والخبرة البشرية التي لا يبدو لهم أنها تتعارض مع معطيات الوحي في مواجهة هذه التغيرات، فيصبح لدينا مصدران للتعامل مع الحياة الإنسانية هما: العقل، والشرع. وهذا اتجاه قديم ترجع جذوره في اليهودية عند فيلون السكندري، وفي النصرانية عند كليمونتس وتلميذه أوريجنس، وفي الإسلام عند أبي

(*) أكاديمي مصري.

(1) عشوى، مصطفى، نحو تكامل العلوم الاجتماعية والشرعية، التجديد، الجامعة الإسلامية، ماليزيا، العدد الثاني، يوليو 1997م، ص 81 ـ 55.

يوسف الكندي، وإخوان الصفا، والفارابي، وابن سينا، وابن رشد، وغيرهم. ولأن أكثر الناس لا يجمعون بين معرفة حقيقية بما جاء به الأنبياء والرسل وحقيقة الأفكار التي تحملها هذه الدعاوى سادت البلبلة والفوضى الفكرية مما أتاح الفرصة لانتشار مثل هذا الفكر(١).

ويمكن القول ـ حسبما نرى ـ بأن المشروع برمته بما فيه الاتجاه المعتدل يقع في خطأ أساس وهو عدم اعتقاد كمال الشريعة وتمامها وعدم كفايتها في مواجهة تغيرات العصر، وكأنما الله ـ تعالى الله عما يتصورون - لا يعلم بأن هذه التغيرات ستحدث فلم يحسب حسابها، فجاء هذا المشروع ليستدرك ويستكمل على الله، فسلب صفات الكمال عن الله ـ تعالى ـ وعلوه على خلقه وكماله وقدرته، وزاد في الدين وأفسده وخلطه بما لم يأمر الله به، ولبّس الحق بالباطل وأعطى مشروعية لهذا الباطل. ولا يخرج هذا المشروع برمته عن كونه هوى متبع وتبدُّع وتنطُّع وخروج على الصراط المستقيم بنص مصطلحات العلماء لا مصطلحاتنا؛ وذلك لأن الطرائق في الدين تنقسم إلى ما له أصل في الشريعة، وما ليس له أصل فيها، والأخير هو القسم المخترَع، أي إنه طريقة ابتدعت على غير مثال تقدَّمها في الشرع. ومن خواص البدعة أنها خارجة عما رسمه الشارع، ومن ثَمَّ يدخل هذا المشروع تحت هذا المسمى؛ فالشريعة جاءت كاملة لا تحتمل الزيادة والنقصان، كما أن الله ـ تعالى ـ قد أكمل للرسول ﷺ ولأمته دينهم وأتم عليهم نعمته ولم يحوجه ـ لا هو ولا أمته ـ إلى عقل أو نقل سواه، وأنكر الله ـ تعالى ـ على من لم يكتف بالوحي فقال: ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١] وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] وقد تُوفي رسول الله ﷺ وما من طائر يقلِّب جناحيه في السماء إلا ذَكَرَ منه لأمته علماً.

هدف المشروع:

حدد دعاة المشروع أهدافه في إعادة صياغة العلوم في ضوء الإسلام مما يؤدي إلى أسلمة العلوم بثلاث طرق بريئة المظهر، وأحسبها فاسدة المخبر وهي:

١ - فهم العلوم الحديثة واستيعابها في أرقى حالات تطورها والتمكن منها، وتحليل واقعها بطريقة نقدية لتقدير جوانب القوة والضعف فيها من وجهة نظر الإسلام.

٢ - فهم واستيعاب إسهامات التراث المنطلق من فهم المسلمين للكتاب والسنة في مختلف العصور، وتقدير جوانب الضعف والقوة في ذلك التراث في ضوء حاجة المسلمين في الوقت الحاضر، وفي ضوء ما كشفت عنه المعارف الحديثة.

٣ - القيام بتلك القفزة الابتكارية الرائدة اللازمة لإيجاد تركيبة تجمع بين معطيات التراث الإسلامي وبين نتائج العلوم العصرية مما يساعد في تحقيق غايات الإسلام العليا(٢).

أما الأهداف الحقيقية لهذا المشروع فتتلخص في الآتي:

١ - إضفاء الشرعية على علوم أوروبية الصنع ـ ليست حيادية كالعلوم الطبيعية، وإنما ذات موقف خاص

---

(١) ابن تيمية، شيخ الاسلام، بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطية، تحقيق ودراسة موسى الدويس، مكتبة العلوم والحكم، ص ٦٧ ـ ٦٢.

(٢) رجب، إبراهيم،المنهج الإسلامي وعلاج المشكلات الاجتماعيه والنفسية، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، مجلد ٢٦، عدد ٤، ص ٦٦.

من الدين؛ فهي قد نشئت أصلاً لتزيح الدين وتحل محله، وتجعل الإنسان محور الكون بدلاً من الله، وترى أن الدين من صنع الإنسان، وأن التجربة الدينية الآن مواجهة مع الله وتحد له. ومن ثَمَّ فهي فاسدة الأصل، وفساد الأصل لا بد أن يمتد إلى كل فروعه.

٢ - إفساد المقصد من الشريعة وضرب الفقه الأول؛ وذلك بتلقيح الشريعة بمعطيات هذه العلوم مع تحميل هذا الفقه أوزار تخلُّف المسلمين وما يسمونه بتشويه شخصياتهم، ومن ثَمَّ إزالة هيمنتهما على العقل المسلم.

٣ - استبعاد مفاهيم الحق والباطل، والإيمان والكفر، والفرقة الناجية والفرقة الهالكة، وغير ذلك من المفاهيم المحورية في الإسلام بحيث تكون آخر ما يُرجَع إليه.

٤ - تحويل المقولة القديمة لزكي مبارك إلى واقع ملموس وهي التي يقول فيها: «قد نزعنا راية الإسلام من أيدي الجهلة - ويقصد بهم علماء الدين - وصار إلى أقلامنا المرجع الأول في شرح أصول الدين».

وقد وصف الشيخ مصطفى صبري هذه الأقلام بأنها أقلام تنتقص خزائن الإسلام الفقهية التي ورثناها من السلف بأصولها وفروعها، وتفتح حصون العلوم بأسلحة مطلية بالذهب بدل الفولاذ المحض(١).

مكمن الخطورة في المشروع:

وتكمن خطورة هذه الدعاوى في الآتي:

أولاً: الإيحاء بان الشريعة لم تتم:

تعطي هذه الدعاوى الإيحاء بأن الشريعة لم تتم وأنه بقي منها أشياء يجب أو يستحب استدراكها، ولو كان أصحاب هذه الدعاوى معتقدين كمالها وتمامها من كل وجه لما فكروا في الاستدراك عليها. قال مالك في هذا: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله - تعالى - يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً.

ثانياً: معاندة الشرع ومضاهاة الشارع:

عيَّن الشارع لمطالب الناس طرقاً خاصة على وجه خاص، وقصرهم عليها بالأمر والنهي والوعد والوعيد، وأخبر أن الخير فيها والشر في تعدِّيها؛ لأن الله - تعالى - يعلم، ونحن لا تعلم. ولهذا فإن من زعم بأن هناك طرقاً أخرى غير التي حصرها الشارع وعينها؛ يعني أن الشارع يعلم وهو يعلم أيضاً، بل يفهم أنه استدرك الطرق الجديدة على الشارع أي علم ما لم يعلمه الشارع.

يضاف إلى هذا أنه أنزل نفسه منزلة المضاهي للشارع؛ لأن الشارع وضع الشرائع وألزم الخلق بها وتفرد بذلك؛ فهو الذي حكم بين الخلق فيما كانوا فيه يختلفون ودعواه هذه تعني أنه صيَّر نفسه بمنزلة النظير والمضاهي الذي يشرِّع مع الشارع؛ فيكون بذلك قد رد قصد الشارع في الانفراد بالتشريع وفتح للاختلاف باباً.

ثالثاً: تلبيس الحق بالباطل:

لو كانت العلوم الإنسانية أو الخبرة البشرية باطلاً محضاً لما قبلت، ولبادر كل أحد إلى ردها وإنكارها؛ ولو كانت حقاً محضاً لكانت موافقة للشريعة. لكنها تشتمل على الحق والباطل ويلتبس فيها الحق والباطل.

---

(١) صبري، مصطفى، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ج٢ ص١٥٢.

وقد قال - تعالى - : ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١]، فنهى الله بذلك عن تلبيس الحق بالباطل. ولَبْسُه هو خلطه حتى يلتبس أحدهما بالآخر. والشريعة حق محض والعلوم الإنسانية والخبرة البشرية فيها الحق والباطل، والجمع بين ما هو حق محض وما هو حق وباطل تلبيس لأحدهما بالآخر. والتلبيس هو التدليس والغش الذي باطنه خلاف ظاهره؛ فكذلك الحق إذا لُبِّس بالباطل يكون قد أظهر الباطل في صورة الحق، وتكلم بمقولة لها معنيان: معنى صحيح، ومعنى باطل؛ فيتوهم السامع أنه أراد المعنى الصحيح ومراد المتكلم هو الباطل.

رابعاً: اجتهاد في غير موضعه ومن غير أهله:

يضع أصحاب هذه الدعاوى أنفسهم موضع المجتهدين في الدين. والاجتهاد ضربان: أحدهما: الاجتهاد المعتبر شرعاً وهو الصادر من أهله الذين اضطلعوا بما يفتقر إليه الاجتهاد. والثاني: هو غير المعتبر، وهو الصادر عمن ليس بعارف بما يفتقر الاجتهاد إليه؛ وحقيقته كما يرى العلماء «أنه رأي بمجرد التشهي والأغراض، وخبط في عماية، واتباع للهوى» فكل رأي صدر على هذا الوجه لا شك في عدم اعتباره لأنه ضد الحق الذي أنزله الله - تعالى - يقول - تعالى - : ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾. [المائدة: ٤٩].

إن أصحاب هذه الدعاوى ليسوا من أهل الاجتهاد، ولكنهم أدخلوا أنفسهم فيه خطأً ومغالطةً؛ فالشروط الشرعية المتطلبة في المجتهد لا تتوفر فيهم، كما لم تتوفر فيهم كذلك شروط العالم بالعلم الشرعي التي منها: أن يكون عارفاً بأصوله وما ينبني عليه، قادراً على التعبير عن مقصوده فيه، عارفاً بما يلزم عنه قائماً على دفع الشُبَه الواردة عنه.

خامساً: قياس للدين بالرأي:

خص الله - تعالى - بالهداية من علم فيه القبولَ والإنصاف والأهلية. كما قال في إبراهيم - عليه السلام - : ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١]. وقال معاذ: العلم والإيمان مكانهما، من طلبهما وجدهما، فاطلبوا العلم من حيث طلبه إبراهيم، حيث قال: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩].

فأصحاب هذه الدعاوى طلبوا الدين من غير طريق الأنبياء. وقد قال ﷺ: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، أشدهم فتنة الذين يقيسون الأمور بآرائهم»[(١)]. وسماهم ابن المبارك بالأصاغر أي الذين يقيسون الدين بآرائهم وعلى غير أصل، فيتكلمون فيه بالتخرُّص والظن. إن عملهم لا دليل عليه في الشرع، وقد يدفعهم اجتهادهم المزعوم إلى القول في القرآن برأيهم؛ في حين أنه لا بد عند القول بالقرآن من بيان معنى واستنباط حكم وتفسير لفظ وفهم مراد، وهذا ما لم يتوفر فيهم. وقد نقل عن الصدِّيق - رضي الله عنه - أنه قال: «أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني أن قلتُ في كتاب الله ما لا أعلم، أو قلت في كتاب الله برأيي؟»[(٢)] وهذا هو ثاني اثنين إذ هما في الغار.

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٦٧٣)، وقال المحقق: لا يصح.

(٢) كنز العمال لعلاء الدين هندي، ج ٢، ص ٣٢٧ رقم (٤١٤٩).

سادساً: اتباع للهوى:

إذا لم يكن العقل متبعاً للشرع لم يبق إلا الهوى والشهوة. وقد أوضح العلماء أنه لو كانت الأهواء واحداً لقال قائل: لعل الحق فيه، فلما تشعبتْ وتفرقت عرف كل ذي عقل أن الحق واحد لا يتفرق.

الأمر إذن محصور بين الوحي وهو الشريعة، وبين الهوى ولا ثالث لهما؛ وهما متضادان؛ وحيث تعين الحق في الوحي توجه الهوى ضده، واتباع الهوى مضاد للحق وفي كل موضع ذكر الله - تعالى - فيه الهوى جاء في معرض الذم له ولمتبعيه ومعنى ذلك أن الشريعة هي الوحي وهي الحق، وأن العلوم الإنسانية والخبرة البشرية (بحقها وباطلها) هي الهوى؛ لأن الحق واحد لا يتفرق كما ذكرنا.

سابعاً: زيادة في الدين:

يقول العلماء: «إن رفع المظنون في العقليات إلى مرتبة المعلوم زيادة في الدين»؛ لأن فيه تجويز خلو كتاب الله - تعالى - وسنة نبيه محمد ﷺ من بيان بعض مهمات الدين؛ وقد جاء الرسول ﷺ بالدين القيم تاماً كاملاً ليس لأحدٍ أن يستدرك عليه، وقد أكمل الله له الدين ولأمته من بعده.

ويعرف العلم الحق بأنه صفة توجب تمييزاً لا يحتمل النقيض، وهو الذي يجمع ما بين الجزم والمطابقة والتثبت عند التشكيك. ولهذا نقول: إنه لولا الفرق بين العلوم الشرعية والعلوم الظنيه لما تميز إسلامٌ منْ كفر، ولا شرك من توحيد، ولا صحيح من خاطئ. هذا الفرق هو الذي يسميه أصحاب هذه الدعاوى بالفصل التعسفي ويسعون إلى القضاء عليه، فإذا تم لهم ذلك التبست الظنون بالعلوم الشرعية ودخل فيها ما ليس منها.

ثامناً: طلب للشريعة بما هو غير أداة لها:

إن هذه العلوم التي يسعون إلى تأصيلها إسلامياً وجمعها مع الشريعة علوم أوروبية الصنع كما ذكرنا صدرت بلسان غير عربي. والشريعة نزلت بلغة العرب لا دخل فيها للألسن الأعجمية. والله - تعالى - يقول: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]، ويقول أيضاً: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]. ولذا يلزم عند فهم الشريعة الاقتصار على كل ما يضاف علمه إلى العرب خاصة، وليس إلى غيرهم. كما لا يستقيم للمتكلم في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أن يتكلم فوق ما يسعه لسان العرب.

وينطلق أصحاب هذه الدعاوى في سعيهم إلى أسلمة العلوم من المفاهيم والمصطلحات الغربية بالبحث عن أصول لها في القرآن والسنه ولو تعسفاً، وقد حسم العلماء هذه المسألة بقولهم: «إن كل معنى مستنبط من القرآن غير جارٍ على اللسان العربي فليس من علوم القرآن في شيء، ولا مما يستفاد منه ولا مما يستفاد به، ومن ادعى فيه ذلك فهو في دعواه مبطل».

تاسعاً: الخروج على مقتضى وضع الشريعة التي جاءت للعموم:

تتضمن العلوم الإنسانية التي يسعى أصحاب هذه الدعاوى إلى تأصيلها إسلامياً وجمعها مع الشريعة ترسانة ضخمة من المصطلحات الغامضة والنظريات المتعددة التي تحتوي على تناقضات فكرية وتصورات متباينة. ومع ذلك فإن عالم الاقتصاد الأمريكي (فرتز ماشلوب) يقول: «إن معنى العلم أمر لا يستطيع رجل الشارع أن يفهمه، والمعرفة لا تدنو منها إلا العقول العالية فقط» وذلك في معرض محاولته إضفاء الصبغة العلمية على العلوم الإنسانية.

والأمر نقيض ذلك في الشريعة، فقد خرَّج الترمذي وصححه عن أبي بن كعب قال: «لقي رسول الله ﷺ جبريل، فقال: يا جبريل! إني بُعثت إلى أمة أمية فيهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط، فقال: يا محمد! إن القرآن أنزل على سبعة أحرف»(1). ولهذا يقول العلماء: إن طلب ما لا يشترك عامة الناس فيه في الشريعة خروج على مقتضى الشريعة الأمية(2) التي تسع تكاليفها الاعتقادية والعملية الأمي فيتعقلها ويدخل في حكمها، كما أنها قريبة الفهم سهلة على العقل؛ بحيث يفهمها من كان ثاقب الفهم أو بليداً؛ فلو كانت الشريعة مما لا يدركها إلا الخواص والمثقفون لم تكن شريعة عامة ولا أمية.

عاشراً: محدَثات ومخالفات لم تكن على عهد الأولين:

إن خير القرون هو قرن رسول الله ﷺ وصحابته ثم الذي يليه، ولا يأتي آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها، ولا هم أعرف بالشريعة منهم، وأصحاب هذه الدعاوى في قرننا هذا إما أنهم أدركوا من فهم الشريعة ما لم يفهمه الأولون، أو أنهم حادوا عن فهمها. وهذا الأخير هو الصواب. وقَرْنُ رسول الله ﷺ والذي يليه من السلف الصالح كانوا على الصراط المستقيم، ولم يفهموا من الشريعة إلا ما كانوا عليه، ولم تكن هذه المحدَثات فيهم ولا عملوا بها بالرغم من أنهم عاصروا أكبر حضارتين وقتها، وظلت الشريعة على نقائها وصفائها فيهم.

وصحيح أن هناك من العلماء من تجاوز الحد في الدعوى على القرآن؛ فأضاف إليه كل علم يذكر للمتقدمين في علوم الطبيعة والمنطق وغيرهما، لكن هذا لم يحدُث من السلف الصالح الذين كانوا أعرف بالقرآن ويعلمون ما أُودِع فيه، ولم يبلغنا أن أحداً منهم تكلم في شيء من ذلك؛ مما يدل على أنه لا يجوز أن يضاف إلى الشريعة ما لا تقتضيه أو أن ينكر منها ما تقتضيه.

وأخيراً: فإن العلم وسيلة مـن الوسائل وليس مقصوداً بذاته، وذلك حسب نظر الشرع، وكل علم لا يفيد عملاً ولا يترتب عليه ثمرة تكليفية ليس في الشرع ما يدل على استحسانه، ولو كان له غاية شرعيه لكان مستحسناً شرعاً، ولهذا فإن هذا المشروع لا يفيد علماً ولا عملاً ولا يترتب عليه ثمرة تكليفية، وليست له غاية شرعية، ومن ثم فهو ليس بمستحسن شرعاً.

إن هذا المشروع يدخل تحت مقولة البَطْرِيَرْك التي نصح بها ملك الروم حينما عرض عليه أمر طلب خليفة المسلمين بترجمة كتب الفلسفة وغيرها إلى العربية: «أيها الملك! أرسلها إليهم، والله! ما دخلت هذه الكتب على قوم عندهم شريعة سماوية إلا أفسدت شريعتهم، وأوقعت الخصومة بينهم»(3).

---

(1) رواه البخاري، ح/ 2241.

(2) الأمية: أي العامة التي هي لكافة الأمة.

(3) استنبطنا الردود على أصحاب هذه الدعاوى من المصادر الآتية: الموافقات في أصول الأحكام، والاعتصام للإمام الشاطبي - مختصر الصواعق المرسلة، للإمام ابن القيم، شرح وتعليق رضوان جامع رضوان. والفوائد، لابن القيم.



التعليم المستمر

د. عادل الجندي

منذ القرن الثامن عشر تطور مفهوم التعليم؛ حيث أصبح من أهدافه تنمية مواهب الفرد لكي تتطور حتى يضيف كل «متعلم» خبراته الجديدة وربما مكتشفاته ومخترعاته إلى التراث، بما قد يؤدي إلى مضاعفة العلم المطلوب تعلمه، أو إلى تغيير التراث كله بتغيير طريقة التفكير فيه، أو نقده وتعديله، أو طريقة الانتفاع به.

ولكن على المستوى العلمي ظلت عملية التعليم والتربية عملية اجتماعية، بمعنى أن مؤسسات المجتمع القائم هي التي تقوم بها، سواء من خلال الأسرة أو البيئة الاجتماعية المباشرة، أو من خلال مؤسسات التعليم والإعلام والتثقيف التي يملكها الأفراد أو الهيئات أو الجماعات المستقلة، أو تملكها وتديرها الدولة.

ثم كان تقرير اللجنة الدولية التي عملت بتفويض من اليونسكو برئاسة «إدجار فور» الذي نشر عام ١٩٧٢م نقطة تحول في تنمية التربية التي بدأت تحتمل تصوراً جديداً من حيث كونها نشاطاً إنسانياً، قد يكون نظامياً كما في التعليم المدرسي، أو شبه نظامي كما هو في المؤسسات التربوية المساندة للمدرسة، أو غير نظامي كالتعليم من الحياة وبالحياة.

وظهر منذ ذلك الوقت البحث عما يسمى «المجتمع المتعلم» الذي ينبغي أن تهدف إليه الجهود بالوسائل المختلفة المناسبة لكل دولة بحسب ظروفها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وحاولت بعض الدول أن تقترح الوسائل المناسبة لتنفيذ ذلك التصور الجريء وتمويله، وهو ما يسمى الآن بـ «التعليم المستمر» الذي نادت به «لجنة إنتاريو» في كندا في الوقت الذي ظهر فيه رأي

« اللجنة الدولية » التي شكلها اليونسكو رغم استقلالهما عن بعضهما.

وقد زامن هاتين اللجنتين جهود أخرى قام بها مجموعة العمل التي شكلت عام ١٩٧٢م، والتي نادت بفكرة « التعليم الأساسي » لإصلاح التعليم الابتدائي التقليدي واستحداث أنماط جديدة للتربية والتعليم تجمع بين التعليم النظامي والتعليم غير النظامي وتربط بين العمل والتعليم.

ومع هذا الاهتمام المتزايد بالتنمية العامة تأكد الدور الذي يمكن أن يلعبه التعليم والتدريب في المجال الاقتصادي وفي زيادة الإنتاج وقدرة الأفراد على القيام بالدور الإيجابي الذي يؤدي إلى تنمية المجتمع.

وقد أكد الباحثون على أهمية التدريب والتعليم في محيط العمل والعمال، وحاول الباحثون قياس القيمة المضافة التي تحدثها إطالة التعليم في إنتاجية العاملين، وهو ما يؤدي إلى الاعتراف الكامل بإسهام التربية والتعليم في التنمية الاقتصادية؛ وبذلك لا يكون التعليم مجرد خدمة تؤدى باعتباره حقاً من حقوق الفرد - وإنما أصبح عملية استثمار، ووسيلة لرفع الكفاية الإنتاجية - وبذلك أصبح موضوعاً هاماً في الميدان الاقتصادي وطريقاً إلى التنمية الشاملة.

إذن فالتربية التي تشمل التعليم المستمر - يقصد بها كل ما يمكن أن يكتسبه الفرد على مدى حياته من المؤسسات التربوية والاجتماعية من برامج تعليمية وثقافية ومهنية باستخدام الأساليب والوسائل التعليمية المتاحة له، بما يساعد على استمرار الاستزادة العلمية والثقافية للأفراد والجماعات في النواحي المهنية والحياتية، بحيث لا يعتمد في ذلك على المدارس النظامية وحدها بل تشارك فيه المنظمات والهيئات الأخرى، وتصبح الحياة مدرسة، ويتعلم كل فرد من الحياة بالحياة، وهو ما كان مطبقاً بالفعل أثناء تألق الحضارة الإسلامية.

وعموماً ونظراً للاهتمام بالتعليم المستمر في الوقت الحالي، فإن بعض الناس ينظر إليه بوصفه « نظاماً ثالثاً في المجتمع »، أما النظام الأول، فيشمل المدارس الابتدائية والثانوية، بينما يشمل النظام الثاني مؤسسات ما بعد المرحلة الثانوية، وهذان النظامان « الأول والثاني » يمثلان جزءاً من العمليات التربوية التي يمر بها المتعلم الذي يدرس لوقت كامل Full Time، وقبل أن يتجه إلى سوق العمل أو إلى أي مكان آخر. أما التعليم المستمر من حيث إنه « نظام ثالث » فيشمل كل المؤسسات التربوية التي من خلالها يحصل الفرد على فرص تعليمية، سواء كانت قبل الالتحاق بالتعليم النظامي أو خلاله أو بعد التخرج فيه. ومن هنا يصبح التعليم المستمر ذا مغزى ومعنى بالنسبة للنظامين الأول والثاني،

ولذا فإن التعليم المستمر ما هو في الواقع إلا تمديد للنظام التربوي في الزمان والمكان، وتنظيم للخبرات والنشاطات التربوية وجعلها متاحة لكل من يرغب فيها على مدى الحياة؛ فهو له بُعدان: أفقي، ورأسي. ففي بعده الأفقي يُعنى بتنويع التعليم في الأماكن المختلفة، وفي بعده الرأسي يعنى بإتاحة الفرص للدخول في أي نوع من أنواع التعليم في الأزمنة المختلفة.

والتعليم المستمر ينادي في جوهره بالتحول والتغير الكيفي والنوعي للنظام التعليمي الحالي؛ فهو ليس مجرد زيادات كمية طفيفة ولا سلسلة من الإصلاحات الجزئية في هذا النظام؛ ودائماً هو نظرة فلسفية شاملة لمعنى التغير ومضامينه على صُعُد التربية والتعليم والسياسة والمجتمع والاقتصاد. فهو لذلك يهدف أساساً إلى تحقيق الذات بالنسبة للفرد وعن طريق اختيار حر من بين كلٍّ متكامل مرن من المعارف والخبرات التنظيمية؛ وهذا التنوع - ضمن الوحدة للمعارف والخبرات - هو الذي لا يزود الأفراد أو نخبة معينة فحسب، بل المجتمع كله باحتياجاته المعرفية في كل مجالات الحياة، وبذلك يوجد المجتمع المعلم المتعلم.

فالتربية لا بد أن تتميز بما يلي:

١ - المرونة.

٢ - دفع عجلة التطور الاجتماعي إلى الأمام للأفراد والجماعات في آن واحد.

٣ - تلافي العيوب الناجمة عن التعليم التقليدي.

٤ - الربط بين التربية والمجتمع.

٥ - التركيز على التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

٦ - اختيار المناهج المتماشية مع حاجات الدارسين (المناهج الأكاديمية المفروضة).

مرتكزات التعليم المستمر:

ويعتمد التعليم المستمر على:

- التركيز على الجوانب العملية التي تساهم في بناء المجتمع وتقسيم الأنشطة إلى أنشطة أساسية وأخرى تعالَج حسب الأولويات.

- دراسة أوضاع الفئات الفقيرة والعمل على سد احتياجاتها الاجتماعية والاقتصادية.

- التعاون مع ذوي الخبرة للوصول إلى التوصيف الصحيح لأوضاع المجتمع وحاجاته.

- تمكين الفئات المحدودة الإمكانيات على تطوير هذه الإمكانات والارتقاء بمستواها كي لا تقف عقبة

في طريق تقدم هذه الفئات وتحد من إسهامهم في نمو مجتمعهم.

- أخذ الأوضاع الاجتماعية للسكان بعين الاعتبار عند التخطيط للتطور والتنمية الصناعية؛ بحيث تتماشى خطوط التنمية مع هذه الفئات وقدراتها وتلبي حاجاتها المختلفة.

- تبنِّي الاتجاه الجماعي في التخطيط لبرامج التعليم المستمر، والقضاء على جميع مظاهر التفرقة الاجتماعية التي من شأنها تشتيت الجهود وبعثرتها.

أما فيما يتعلق بالوسائل والأساليب التي يمكن أن تحقق أهداف التعليم المستمر:

فإنه يمكن أن تتعدد الأساليب والطرق والوسائل التي تحقق أهداف التعليم المستمر، ويمكن أن تختار كل دولة ـ وكل مؤسسة وكل جهة تود أن تسهم في التعليم المستمر ـ أي وسيلة تراها مناسبة لظروفها وطبيعة عملها وإمكاناتها... على أن يتم ذلك وفق تخطيط وتنظيم محكم يأخذ في الاعتبار جميع العوامل والمؤثرات التي تضمن نجاح برامج التعليم المستمر.

وفيما يلي أمثلة من هذه الوسائل وتلك الأساليب:

أ - المؤسسات التي تسهم في التعليم المستمر.

ب - الوسائل المكن الاستعانة بها.

ج - أساليب أخرى حديثة.

مع توضيح لما يمكن أن تؤديه كل منها من خدمات وما تعمل على تحقيقه من أهداف.

أ - المؤسسات:

١ - مراكز التعليم الموازي للتعليم النظامي التي يمكن أن توفر التعليم المستمر للمتسربين من المدارس، أو من فاتهم قطار التعليم النظامي بحيث تعوضهم عما فقدوه من فرص الحصول على الشهادات الدراسية.

٢ - المراكز الثقافية والاجتماعية بالمدارس والمعاهد التربوية التي يمكن أن تنظم الدراسات والندوات للآباء والأمهات والشباب لزيادة ثقافتهم، وتوعيتهم بالمشكلات الصحية والاجتماعية بما يساعد على رفع المستوى الثقافي وخدمة البيئة.

٣ - مراكز خدمة المجتمع بالجامعات، وما يقوم به من تنظيم للمشروعات العلمية التي يشترك فيها الطلبة وما تقدمه من برامج في الدراسات التكميلية أو المهنية لمن يطلبها من المواطنين في مختلف الأعمال.

٤ - مراكز التعليم بالمراسلة أو الجامعات المفتوحة، أو ما يسمى أحياناً جامعات الهواء التي تنظم

برامج متنوعة في مستويات مختلفة تصل بها إلى من يرغب في الاستزادة التعليمية في المجالات المختلفة؛ بحيث تنقل إليهم التعليم في أماكنهم بدلاً من أن ينتقل المتعلم إليها.

٥ - مراكز تعليم الكبار ومدارس مكافحة الأمية التي يلتحق بها من يرغبون في استكمال تعليمهم الأساس، والقضاء على الأمية بمختلف صورها.

٦ - المكتبات الحديثة بما فيها من كتب ومجلات، وما تقدمه لروادها من تيسيرات للاطلاع والبحث، خصوصاً إذا استكملت بالوسائل التعليمية الحديثة: من تسجيلات صوتية، وأفلام سينمائية وبرامج مختلفة.

٧ - مراكز التدريب أثناء الخدمة، وما تقدمه من برامج تثقيفية وبرامج لزيادة المهارة المهنية لرفع كفاءة العاملين بما يضمن زيادة الإنتاج ويزيد من ثقافة العاملين وإيقافهم على المستحدثات في مجالات تخصصهم أو المجالات الثقافية العامة.

٨ - النقابات والاتحادات المهنية وما تنظمه من برامج تعليمية وفق تخطيط جيد في مواعيد مناسبة ومنتظمة لأعضائها ولأسرهم بما يقوي الروابط المهنية ويرفع من المستوى الثقافي للأعضاء.

٩ - المؤسسات الدينية وما تقوم به من برامج في التوعية الدينية والثقافية والاجتماعية وبالأخص في مجال التربية الخلقية والتعامل الاجتماعي.

١٠ - الهيئات النسائية، وما يمكن أن تقوم به من برامج في التوعية الأسرية والتربية الحيائية وتنشئة الأطفال والعلاقات العائلية بما يضمن سعادة الحياة للأسرة والمجتمع.

ب - الوسائل الممكن الاستعانة بها:

١ - الاستعانة بوسائل الاتصال الثقافي وبالأخص الصحف اليومية والأسبوعية والمجالات العلمية والنشرات خصوصاً إذا نظمت في صورة هادفة مسلسلة وفق تخطيط معين.

٢ - الاستعانة ببرامج الإذاعة والتلفزيون بحيث يخصص بها مواعيد معينة، وبحيث يتم التنسيق بين هذه المواعيد التي يسمح فيها للعاملين بالمؤسسات المختلفة بمتابعة برامج، هذا فضلاً عن:

أ - بناء الحقائب التعليمية متعددة الوسائل واستخدامها، وهي تحتوي أنواعاً مختلفة من المواد التعليمية كالأفلام والخرائط والمطبوعات.. إلخ وتعمل كل واحدة من هذه المواد على توفير نوع من الخبرة التعليمية بما يحقق أهدافاً مقصودة في دراسة موضوع معين بطريقة متكاملة.

ب - استخدام الكمبيوتر في التعليم؛ حيث تعد البرامج التعليمية بمعرفة مختصين في التربية

والتعليم، ويغذى بها الكمبيوتر لتبقى في ذاكرته؛ بحيث يمكن للمتعلم أن يستدرج الكمبيوتر ويطرح الأسئلة التي يريد الحصول على إجاباتها، فيتلقى الرد فوراً على الشاشة التي تستخدم للاستقبال والتي تشبه شاشة التلفزيون، ويحتاج وضع برامج الكمبيوتر إلى مهارة خاصة وتعاون بين الفني في الكمبيوتر والفني في التعليم وفق البرامج المراد تعلمها.

٢ - برامج التعليم الذاتي التي تقوم على أساس فكرة التعليم المبرمج والتي يستطيع بها أن يعلم الشخص نفسه بنفسه، وأن يسير في التعليم بحسب سرعته الخاصة، بحيث يقل التركيز على المدارس ويعتمد المتعلم على نفسه، ويسير في التعليم إلى المستوى الذي يناسب قدراته واستعداداته الخاصة.

وواضح أن من الممكن الجمع بين طريقتين أو أكثر وبين أكثر من أسلوب في الأوقات المختلفة بحسب المستوى ونوع الخبرة بما يحقق أهداف التعليم المستمر.

المراجع:

- محمد خليفة بركات، مفاهيم التعليم المستمر أساليبه، جامعة الكويت، مجموعة البحث التي ألقيت في الندوة العلمية العربية للتعليم المستمر، ١٩٨١م.
- محمد أحمد موسى البكري، ودور التعليم في السنة الاقتصادية والاجتماعية، جامعة الكويت، ١٩٨١م.
- سامي خشبة، مصطلحات فكرية، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ١٩٩٤م.
- إبراهيم محمد إبراهيم الحنكادي، تعليم الكبار ومشكلات العصر، الرياض، دار الأندلس للنشر والتوزيع، ١٩٩٦م.
- المنظمة العربية والثقافة والعلوم، استراتيجية تطوير التربية العربية.
- عبد الله الدحيم، الثورة التكنولوجية في التربية العربية، دار العلم للعلامة، ١٩٧٤م.
- عبد الله هنداوي التربية المستمرة: مفهومها، أهدافها مجالاتها.



هل يعيد التاريخ نفسه؟

ماجد بن عيد الحربي

قبل حوالي خمس وعشرين سنة وتحديداً في أواخر عام ١٩٧٣م كان الرئيس الأمريكي وقتها ريتشارد نيكسون في زيارة لمنطقة المشرق العربي قيل عنها إنها تهدف إلى محاولة تسوية النزاع العربي اليهودي؛ وحقيقة الأمر أنها كانت تهدف إلى تحقيق انتصار شخصي لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية على حساب حقوق العرب. فوقتها كانت فضيحة ووتر جيت على أشدها ومحاكمة الرئيس قاب قوسين أو أدنى. ولكن لم تشفع له تلك الزيارة أمام محكمة الشعب الحر. فقد أرغم نيكسون بعد عودته على الاستقالة وكاد أن يقدَّم للمحاكمة لولا صدور قرار خليفته بالعفو عنه.

وفي هذه الأيام نجد أن التاريخ يعيد نفسه فها هو كلينتون بين ظهرانينا وبنفس الحجة التي كان يدعيها سلفه. فالهدف المعلن هو دفع عملية السلام بين الفلسطينيين واليهود إلى الإمام وفي واقع الحال ما هي إلا محاولة من محاولات كلينتون الهادفة إلى تحقيق أي انتصار يواجه به خصومه من أعضاء الحزب الجمهوري الذين يعدون العدة لبدء محاكمته في فضيحة مونيكا لوينسكي.

وهنا يحق لأي عربي أن يتساءل: لماذا المنطقة العربية بالذات هي التي يلجأ إليها رؤساء أمريكا لتحقيق الانتصارات التي يحتاجونها أمام شعبهم؟ هل لأننا كرماء بطبعنا أوفياء لأصدقائنا نتنازل بكرمنا المعهود عن حقوقنا لهؤلاء الأصدقاء حتى يظهروا أمام شعوبهم بمظهر الأبطال الذين يحققون الانتصار تلو الانتصار لصالح دولة (إسرائيل) الصديقة، حتى ولو كان ذلك على حساب حقوق العرب وكرامتهم؟ أم لأننا شعب مغلوب على أمره تفرض عليه الحلول الظالمة ويرضى بها دون تردد أو مناقشة؟ وقد وصل بنا الانهزام إلى درجة أننا نعتبر قمة الانتصار أن يأتي عظيم الروم إلى بلادنا ويصدر إلينا تعليماته المقدسة التي نتقبلها بكل فخر واعتزاز، ولا أدل على ذلك من وقوف ما يسمى بأعضاء المجلس الوطني الفلسطيني لرئيس أمريكا في مدينة غزة والتنازل له عن ميثاق الشعب الفلسطيني الذي يعتبر آخر رموز السيادة التي تم التنازل عنها لصالح اتفاقية أوسلو وأخواتها.

وهنا نصل إلى نتيجة مفادها: أن كل ما ذكر آنفاً يدل دلالة واضحة على الاستهانة بهذه الأمة واعتبارها الجانب الأضعف باللعبة السياسية الذي تعوَّد هؤلاء الأعداء على تحقيق انتصاراتهم عن طريقه.

وما أريد أن أقوله لأبناء أمتي هو الانتباه لخطورة الأمر؛ فأمريكا ممثلة برئيسها الذي يعمل بوحي من شعبها تعمل لمصلحة دولة يهود التي احتلت أرضنا ومقدساتنا، وشردت أبناء شعبنا، وقتلت مجاهدينا، وتعمل ليل نهار على مسخ عقيدتنا الإسلامية لإحلال عقيدة التلمود محلها. فالرئيس نيكسون ومن بعده كلينتون مروراً بجميع رؤساء أمريكا المتقدمين منهم والمتأخرين لم يعتلوا كراسيهم إلا بصوت الناخب اليهودي؛ فهم مدينون لهم بالولاء والنضال من أجل قيام دولتهم وتحجيم جميع القوى المعارضة لهم، لا أقول بالمنطقة فحسب ولكن بجميع أنحاء العالم. لذا يجب علينا أن نستيقظ من غفوتنا ونؤوب إلى رشدنا ونحزم أمرنا ونعرف صديقنا من عدونا ونعلن للعالم كله أننا مجاهدون لإعلاء كلمة الله أولاً ثم منافحون عن حقوقنا المغتصبة حتى تعود والتاريخ ثم يذكر يوماً من الأيام أن فيه حقوقاً سلبت عنوة عادت بدون القوة وإراقة الدماء. وبكل الأحوال نحن الفائزون بإذن الله ـ تعالى ـ فشهداؤنا في الجنة وموتاهم إلى جهنم وبئس المصير. وإن لم نفعل ذلك فسيأتي يوم نقول فيه: أُكلنا من قبَل يهود كما أُكل الهنود الحمر من قبل الأمريكان؛ وعندها سيلعننا التاريخ ونكون قد جنينا على الأجيال الآتية من بعدنا بإطالة أمد الجهاد ورفع نسبة التضحيات لدرجة ما كان ينبغي أن تصل إليها لولا تخاذلنا. ونحن على يقين أن العاقبة لهذا الدين وأهله، أسأل الله أن لا يجعلنا من الذين قال عنهم: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

المرأة المسلمة وشموخ الأمة

غازي المهر

لم تحظ المرأة العربية في الجاهلية الأولى بأدنى قيمة، بل كانت مجرد متاع تُباع وتُشترى، حقوقها مهضومة وكرامتها مهدَرة حتى جاء الإسلام فاشرق نوره على البشرية جمعاء، فلانت قُلوب العرب وازدانت عقولهم بنوره، وانزاحت عن عيونهم ظلمة الجاهلية، فحفظوا كرامتهم بحفاظهم على كرامة المرأة العربية حين أحسنوا إليها، ودفعوا إليها حقوقها؛ وحينئذ قامت المرأة المسلمة بإنشاء جيل صالح قام ببناء الحضارة الإسلامية الزاهرة.

حين تلتزم المرأة بالإسلام دين الأخلاق والفضيلة فإنها تستمد منه كل أسباب العفاف والكرامة؛ فهي إن كانت أختاً شرّفت أخاها، وإن كانت ابنة ـ وقد أحسن الأب تربيتها ـ تكن له ستراً من النار، وإن كانت زوجة فهي نصف الحياة، والمسلم لا يكتمل دينه إلا بالزوجة الصالحة التقية، وإن كانت أماً فهي نعم الأم المربية الفاضلة وعليها عبء كبير في تنشئة الجيل القادم، فإن نجحت في تربيته التربية الإسلامية فقد سادت الأمة وعظُم شانها وإلا فقد هوت في وادي الضياع.

وحين تخرج المرأة من بيتها سافرة متبرجة تسقط من أعين الرجال ـ وهي تحسب أنها أعجبتهم ـ إذ تثير فيهم الشهوات الحيوانية، فكيف تقبل الحرة بهذا؟! وأية كرامة تسعى إليها بخروجها؟! وكيف ستقوم بتربية أبنائها؟! ومتى؟! وهو الأنموذج السيئ القابع في أوحال الفجور، وهم بلا شك مقلدوها ومنها يرضعون العقوق والعصيان والأخلاق المنحلة والشذوذ.

العجب كل العجب من فتاة تدين بالإسلام وتؤدي الصلاة وتصوم رمضان ولكنها تخرج سافرة متبرجة منكرة قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١]، وقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يُرحن ريحها، وإنَّ ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا»[١]، وفتاة مثل هذه أقرب إلى النفاق ولا تعي من الصلاة والصوم شيئاً.

تلهث المرأة في مجتمعاتنا العربية للحاق بركب المرأة الغربية، فتسارع في تقليدها الأعمى: في لباسها وخروجها للعمل ومخالطتها للرجال بشتى الوسائل، وهي تظنّ أنها بلغت الحرية التي حُرمت منها في الإسلام، وقد أصاب هذا التقليد عين المرأة وعقلها بالغشاوة، فلم تعد ترى ما حلّ بالمرأة الغربية من ذل وهوان وانحلال، وأنها باتت في قيود الرذيلة والفجور.

وإذا نظرنا إلى حجة بعض النساء اللواتي يخرجن للعمل لأدركنا أنها تريد التقليد الأعمى، فهي تخرج للعمل بذريعة مساعدة الزوج، فأين ثمار تلك المساعدة وهي تنفق كل ما تحصل عليه على الأزياء وأدوات الزينة؛ لتظهر أنيقة جميلة في أعين زميلاتها وزملائها في العمل؟ وعلاوة على ذلك فهي تُلقي أبناءها في مهب الضياع حين تتركهم بين يدي خادمة أجنبية لا تحسن التربية.

تملك المرأة بإسلامها وعفتها مصير الأمة ورفعتها وشموخها وحفظ مكانتها بين الأمم؛ فأية مكانة أسمى من تلك المكانة التي تسعى إليها في ظل الإسلام؟ فرفقاً أيتها المرأة بنفسك ومجتمعك الذي تهدمت أركانه؛ فالمجتمع لا ينجو إلا بك؛ فمتى تُدركين ذلك؟!

---

(١) رواه مسلم، ح/ ٣٩٧١.

ملكة جمال الحظايا والجواري

تركي بن عتيبي الغامدي

عندما كان يشرح لنا مدرس مادة التاريخ في الصف الرابع الابتدائي حال العرب في الجاهلية، وكيف كانت معيشتهم مع الإنسان الآخر ـ المرأة تحديداً ـ كانت تدور في رأسي الصغير مشاهد أسطورية لنساء وُضِعْنَ على دكة وسط السوق ـ أشبه بتلك التي توضع اليوم لعارضات الملابس العارية وأخواتهن بداعي الجمال والغنج والإغراء ـ فينادي النخاس على بضاعته من السبايا والإماء، فيتقدم هذا ويتقدم ذاك، يقلِّب هذه ويتامل تلك، فيدفع الثمن قلَّ أو كثر، فهو ثمن بخس، والحظ الوفير لمن كان سيدها ذا مال وجاه.

إنها صور منوعة أشبه بما يدور اليوم في غير مكان من هذا العالم المجنون لانتخاب الحظايا والجواري، حظايا لأصحاب النفوذ وأرباب المال والمتاجرة بالأجساد، وجوارٍ في شارع الليل والبغاء، والفرق الوحيد ذهاب الإماء والعبيد اليوم طواعية إلى السوق الكبير!

فمن يضع صوته في صندوق انتخابات الفاضلات؟

ومن يحتج على هذا الامتهان لكرامة جعلها الله ـ عز وجل ـ لبني آدم؟

ولكن كيف يحدث ذلك الاحتجاج، ما دام الحياء مذبوحاً على قارعة الطريق تلبية لنداء الشيطان لمشاهدة سطوته على جسد المرأة، وتفننه في إغوائها؟

وكيف يحدث ذلك الاحتجاج، والرجل أيضاً لتلك السطوة يُساق بين الجموع عارياً لعرض ما يحمله حتى بين...؟!

وكما قال ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: «إذا لم تستحِ فافعل ما شئت».

وحسبنا الله ونعم الوكيل.

مكتي واحتي

محمد حمادو أحمد

أيا أم القـــــرى! أهلاً وســـــهــــــلاً
فـــضـــائل مكة الإســـلام تــتــرى
فـــفـــيـــك منابـع الآيات تُـتلـى
وقلبك خـــافق والشـــوق يـســمــو
ووجـــهـك مـــشـــرق والشـــمس تجلو
رأيت جـــبـــال مكة مـــشـــرقـــات
ومـــاء عـــيـــون مكة سلســـبـــيلٌ
وكم في مكتي من مـــعـــجـــزات!
إليك مـــواكب الحـــجـــاج تهـــفـــو
ســـيـــبـــقى حـــبك المعـــقـــود فـــينا
ومـــدحك واجب فـــرض علـــينا

إليك تحــيــتي جــبــلاً وســهــلا
على الآفـــاق، والظلـمـــات تُجلى
وتنبض بالمنى قـــولاً وفـــعـــلا
على قـــســـمـــات وجـــهك قـــد تجلى
غـــشـــاء الليل والصلوات أحلى
وترفـــع رأســـهـــا في الكون أعلى
ويأتي بالشـــفـــا عـــقـــلاً ونقـــلا
وكم رفـــعـــت لواء الحق عـــدلا!
وجـــاءك كل من زكّى وصلى
مـــدى الأعـــوام أحـــوالاً فـــحـــولا
لأنك واحـــتي طفـــلاً وكـــهـــلا

ما أحوجه إليك الآن!

خديجة الأحمدي

الحمد لله الذي جعل الدين يسراً وليس بعسر، وجعل السبيل إلى الجنة سهلاً يسيراً إلا أنه محفوف بالمكاره، والنفس قد جبلت على حب الكسل والدعة، فنراها نترك أشياء سهلة قد تدخلنا الجنة بسبب لهو أو نسيان أو تقصير.. ولكن الله بعباده خبير؛ فقد رزقنا نعمة الأخوة في الله وهي هدية غالية؛ حيث إن أخاك في الله إذا رآك على منكر نصحك، وإذا رآك ناسياً ذكّرك. وإذا رآك متهاوناً وعظك، وإذا رآك جاهلاً علّمك.

قال الشافعي ـ رحمه الله ـ : «من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه»(1).

وقد جاء في الأثر: «مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى». ففي حديث عمر وقد سأل عن أخ كان قد آخاه فخرج إلى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه وقال: ما فعل أخي؟ قال: ذلك أخو الشيطان. قال: مَهْ. قال: إنه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر. قال: إذا أردت الخروج فآذنّي؛ فكتب عند خروجه إليه: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حم (1) تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (2) غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر: 1 - 3] . ثم عاتبه وعذله، فلما قرأ الكتاب بكى وقال: صدق الله ونصح لي عمر. فتاب ورجع.

قال إبراهيم النخعي: لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب بذنبه؛ فإنه يرتكبه اليوم ويتركه غداً.

لذلك علينا بوصفنا إخوة في الله أن لا نترك أخانا إن رأينا فيه تغيُّراً، يكون هنا أحوج منا إلى النصح والتذكير؛ فقد قال أبو الدرداء: «إذا تغير أخوك فلا تدعه لأجل ذلك؛ فإن أخاك يعوج مرة ويستقيم أخرى» وفي ذلك قال ﷺ: «لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم»(2).

فيا إخوتي في الله! يا أيها المتحابون في الله! ويا أيها السائلون محبة الله! إليكم جميعاً... إليكم البشرى.

قال رسول الله ﷺ: «إن الله ـ تعالى ـ يقول: «حقت محبتي للذين يتزاورون من أجلي، وحقت محبتي للذين يتحابون من أجلي، وحقت محبتي للذين يتباذلون من أجلي، وحقت محبتي للذين يتناصرون من أجلي»(3).

---

(1) عن كتاب الحب والألفة، للغزالي.

(2) أخرجه أحمد، ح/ 2955.

(3) أخرجه أحمد، ح/ 18621.

إن نصراً لقريبٌ

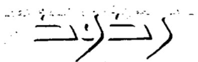
عبد الرحمن عبد الهادي العمري

أي حـــال، مـــســـلمـــون! ... كـلَّ يـوم تـشـتـكـون!
فـي بـلاء، فـي مـآسٍ ... فـي قـبـور تـسـكـنـون:
فـي دمـوع، فـي دمـاء ... فـي شـكـاوى تـقـطـنـون!
إن نـظـرتـم فـي شـمـال ... أو نـظـرتـم فـي يـمـين!
مـا لـقـيـتـم غـيـرَ طفلٍ ... فـي بـلاء، فـي أنـين!
أو ثـكـالـى قـد سـكـبن الـدمـ ... ـع سـكـيـبـاً فـي هـتـون!
أي كـرب قـد دهـاكـم ... كـل يـوم فـي شـجـون!
جـمـرةٌ تـحـرق قـلـبـاً ... أيـهـا الـكـون الـحـزين!
إنّ نـصـراً لـقـريـبٌ ... إن غـدونـا صـالـحـين!

أمتي الذبيحة

محمد بن مطخان الرويلي

يا أيها القلم الذي أمسكتُه ... ما لي أراك معانقاً أوراقي؟
ما لي أرى يمناي قد جرأتها! ... إياكِ يا يمناي أن تتسابقي
بالله يا قلمي العزيز لترعوي ... أتريد كشف الجرح في أعماقي؟
أتريد تفجير الأسى من خاطري ... وتخطه نظماً على الأوراق؟
انظر إلى مسرى الحبيب محمد ... عبث الطغاة بخيره المهراق
فبنو يهود تغطرسوا في قدسنا ... قتلاً وتشريداً مع الإحراق
هذا وكشمير الجريحة تشتكي ... ظلم الجبان بحقده الدفاق
والصرب عاثوا في سرايفو سروا ... هتكاً وتنكيلاً بلا إشفاق
أما عن الشيشان إن دمارها ... ترك البلاد بذلة الإملاق
قد حار فكري بالتأمل في الألى ... قد أعرضوا عن طاعة الخلاق
وضعوا الدشوش لكي تُغيث دعارة ... وتبثها من أغلب الآفاق
عشقوا المعازف والخنا فهواهمُ ... أرداهمُ بمصارع العشاق
لو أنهم عادوا إلى قرآنهم ... لوجدت شعباً طيب الأعراق



* الأخ: نايف عقاب المطيري: نشكر لك تعاونك الكريم مع مجلتك، ونفيدك بأن اقتراحك محل عناية أسرة التحرير.

* الأخ: الداعية من تشاد: والذي أرسل مقالاً عن أحوال المسلمين في تشاد، نرجو إن يفيدنا باسمه حتى نتمكن من نشر المشاركة.

* الإخوة والأخوات: أمين عبد الرحمن الغنام، د. عبد الرحمن أمين، ميمون بارميش، عبد الله بن شبيب الدوسري، حفيظ الدوسري، علي جبريل أمين، د. حمدي شعيب، داعية من تشاد، سميرة جدي، فاتن سعد الصويلح، أمل القصيمي، فاطمة بنت محمد السليمان: وصلتنا مشاركاتكم الطيبة، سائلين الله - عز وجل - أن يجعلها في موازين أعمالكم، آملين دوام التواصل والمشاركات مجازة للنشر.

* الإخوة: عمر محمد رزق الله، سعود الصاعدي، حباب بن عطا الله الحيوني، عبد الله منصور العمران، عبد الرحمن اليحيا، زكي صالح الحربول، فهد بن عبد العزيز الشويدخ، محمد الباشا، عبد الرحيم أحمد المسجدي، محمد بن عبد العزيز الفوزان، سعود بن حامد الصاعدي: سعدنا بتواصلكم الكريم مع مجلتكم، ونفيدكم بأن مشاركاتكم مجزة للنشر في المنتدى، وفقكم الله.

* الإخوة والأخوات: محمد معصوم رسول، علي عبد الرحمن العسيري، موسى الزهراني، صلاح معاطي، عبد الله بن سيد شعبان، مبارك ابن يوسف الخاطر، أحمد محمد أشرف، عمر الرماش، يوسف عبد المنعم زين، أحمد الأموي، محمد محمد خليل، عصام محمد النيل، أحمد محمود أبو زيد، محمد علي شماخ، علي سليمان الدبيخي، أبو عبد الله الرحابي، هدى مرهون المرعي: وصلتنا مشاركاتكم الكريمة، وكم سعدنا بهذا التواصل، آملين دوام التواصل، مع تمنياتنا لكم بالتوفيق في المرة القادمة.



الإرهاب الروسي

د. عبد الله هادي القحطاني

لم يبدأ الروس إرهابهم وغطرستهم ضد المسلمين منذ أشهر فقط، بل إن تاريخ القوقاز تاريخ مليء بكراهية الروس للمسلمين ووحشيتهم في التعامل معهم، كما أنه تاريخ مليء ببطولات المسلمين من أهل القوقاز وتضحياتهم وجهادهم وتحديهم لكل عقيدة دخيلة وطغيان مستبد؛ فما عرفت شعوب القوقاز الذل يوماً رغم تلاحق الإبادة والقمع القيصري أولاً، ثم اللينينيين ثم الستالينيين مروراً بالحقد والإرهاب الروسي الحالي؛ فكل شعب له حق تقرير المصير إلا المسلمين؛ فما أن نشأت أقلية من النصارى في تيمور الشرقية في خضم عشرات الملايين من المسلمين حتى هبت لهم مؤسسات العالم بقضِّها وقضيضها لفرض قضيتهم؛ فتلك تتدخل عسكرياً، والأخرى تقاطع اقتصادياً، وأما الذين لا نعلمهم فهبوا لإثارة الفتن والانقسامات الداخلية، كيف يسوِّغ العالم الغربي احتفاله بألفيته الثالثة والتاريخ يسجل وحشيته وطغيانه لأمم المستقبل بالحرب والعار والظلم والطغيان ليس برفات ودم فقط بل بلهيب الصورة وصواعق الصوت من خلال وسائل الإعلام ليبقى وصمة عار للمستقبل؟

إن الروس طغوا وبغوا وعاثوا في أرض المسلمين أسوأ الفساد؛ فقد خلفوا أفغانستان خراباً، وأبادوا غالبية المسلمين في بلاد القرم، وسعَّروا هجمتهم على من تشبث بالعزة منه وأبى الضيم والمهانة. حربهم في الشيشان حرب إبادة عرقية دينية لا هوادة فيها لاستئصال شعب بأكمله وعقيدة برمتها. هم لا يريدون احتلال الشيشان من أجل مصالحهم الاقتصادية

والسياسية وإخماد أي تململ للجمهوريات الإسلامية الأخرى فحسب، وإنما رغبة جامحة في إبادة ذلك الشعب القليل العدد القوي الإيمان بدينه وعقيدته الذي ما فتئ يذيقهم الويل ويستعصي على الطوق لعقود طويلة، ولكننا نؤمن بأن العاقبة للمؤمنين الصابرين مهما جار الباطل وزمجر وأرعد.

ومن أهم الدروس التي أوضحتها هذه الحرب ضد من يطالب بحقه ويحرس داره وأهله أن «العالم الحر»! بمؤسساته وقوته الاقتصادية منحاز للباطل ما دام يسير في فلكه ويحقق مصالحه، ولقد كانت فلتة من هنتنجتون حين أعلن أن العالم يمر بصراع بين الحضارات، وخاصة الإسلامية والغربية. يتمركز ذلك الصراع حول محورين أساسيين: العداوة التاريخية والمصالح الحيوية، وأدواتهما: المقاطعة الاقتصادية، والحصار السياسي، والتدخل العسكري، وميزانها الكيل بمكيالين؛ رغم تدخُّل كثير من الساسة الأمريكيين والغربيين لدحض مثل هذه النظريات التي أثارت حفيظة كثير من المسلمين الغيورين الذين ما زال بعضهم يظن بعض الخير في الوصولية الغربية.

فهلاً نهضنا لنصرة إخواننا في الشيشان وهم في أمسِّ الحاجة لدعائنا ووقوف العالم الإسلامي بمؤسساته السياسية والاقتصادية والإعلامية وقفة صادقة مع الحق ونصرة إخوانهم المظلومين؛ قبل أن يفوت الأوان؛ وحينئذ لات ساعة مندم.

بسم الله الرحمن الرحيم

البيان
مجلة إسلامية
شهرية جامعة
تصدر عن المنتدى الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة :
د. عادل بن محمد السليم

المركز الرئيس:
AL BAYAN MAGAZINE
7 Bridges Place, Parsons Green
London SW6 4HW, U.K.
Tel : 0171 - 736 9060
Fax : 0171 - 736 4255

سعر العدد
الأردن٥٠ قرشاً، الإمارات العربية ٨ دراهم، أوروبا وأمريكا ١,٥ جنيه إسترليني أو ما يعادلها، البحرين ٦٠٠ فلس، اليمن ٦٠ ريالاً، مصر ٢ جنيه ، السعودية ٨ ريالات، الكويت ٦٠٠ فلس، المغرب ١٠ دراهم، قطر ٨ ريالات، السودان ٥٠ ديناراً، سلطنة عمان ٦٠٠ بيزة.

EUROPE & AMERICA 1.5
(STERLING OR EQUIVALENT)



بركة الرب في الخرطوم!!

(تعالَ واسمع ونَلْ بركتك من الله)، (سوف تكون هناك صلاة للمرضى والمحتاجين يومياً). بهاتين العبارتين صُدِّرت الإعلانات الكثيرة الملونة التي ملأت أنحاء الخرطوم، والتي تدعو للمشاركة في احتفالات عيد القيامة، وتبشر الناس بوصول (القس رينهارد بونكي) إلى السودان.

وهذا القس معروف بإقامة هذه الاحتفالات الصاخبة التي يجتمع لها ألوف من البشر، كما حصل في تشاد وإثيوبيا وأوغندا.. وغيرها. وهو مشهور بمزاولة السحر والشعوذة والاستعانة بالجن، وادعاء شفاء المرضى.

وقد اجتمع في الخرطوم لتلبية هذه الدعوة جمع كثير من النصارى الذين امتلأت بهم الساحة الخضراء ـ وهي ساحة كبيرة أنشئت للاحتفالات الرسمية الجماهيرية ـ لحضور القدّاس اليومي، إضافة إلى حضور الصلاة الخاصة بالمرضى والمحتاجين، وافتتن بهذه الدعوة فئام من جهلة المسلمين من المرضى وذوي الحاجات، وتقاطروا من كل مكان لينالوا بركة الرب ويحصل لهم الشفاء..!

وإنك لتعجب أشد العجب من تلك الأفواج الهائلة التي غصَّت بها الساحة الخضراء، ثم تعجب أشد العجب من بعض المسلمين الذين تعلقوا بتلك التراتيل النصرانية التي تشدَّق بها ذلك المنصِّر، وتحزن أشد الحزن حينما تراهم يستمعون للتعاليم الإنجيلية التي يتردد صداها في أنحاء الخرطوم..!

إن هذا الاختراق التنصيري الصارخ للسودان حلقة من سلسلة طويلة من الاختراقات التنصيرية التي أجلب فيها المنصرون بخيلهم ورجلهم، مستغلين فيها جهل بعض الناس وفقرهم.

وقد كان لبعض الغيورين من الدعاة في السودان دور محمود في التحذير من هذا المنكر، لكن الخطب عظيم، والمسؤولية كبيرة، وفي العدد (١٤٢) كتبنا في هذه الزاوية كلمة بعنوان: (من ينقذ السودان؟!) وها نحن نقولها ثانية. نسأل الله ـ تعالى ـ أن ينصر دينه، ويُعلي رايته.

• العدد ١٥٢ • ربيع الثاني ١٤٢١هـ/ يوليو ٢٠٠٠م

مكاتب المنتدى الإسلامي ومجلة البيان

م	الدولة	المدينة	ص. ب.	الهاتف	الفاكس
١	بريطانيا	لندن	ـــ	٧٣١٨١٤٥	٧٣٦٤٢٥٥
٢	السعودية	الرياض	٢٦٩٧٠	٤٦٤١٢٢٢	٤٦٤١٤٤٦
٣	البحرين	المحرّق	٥٠١٦٣	٣٣٥٣٠٠	٣٣٦٣٠٠
٤	قطر	الدوحة	١٦٤٦٤	٣٥٢٢٨٢	٣٥٢٢٩٢
٥	كينيا	نيروبي	٧٧٨٠٢	٣٥٠٥٢٦	٥٠٠٠١٥
٦	غانا	أكرا	٢٠	٢٣٥٧٦٦	٢٣٥٧٦٧
٧	بنغلاديش	دكا	١٢٠٧	٩٨٠٢٠١٥	٩٨٠٣٠٠٥
٨	السودان	بور تسودان	٦٩٥	٢٢٥٣٣	٢٢٥٣٣
٩	مالي	باماكو	E٢٠٣	٢٢٣٢٠٣٩٠٩	٢٢٣٢٠٣٩٠٩
١٠	جيبوتي/الصومال	جيبوتي	٣٢٨٠	٣٤١١١٣	٣٤١١١٣
١١	تشاد	أنجمينا	١٧٨٩	٥١٨٥٩١	٥١٨٥٩٠
١٢	توجو	لومي	١٠٧٤	٢٦١٦١١	٢٦١٦١١
١٣	نيجيريا	كانو	٢٦٣٥	٦٣٧١٩٠	٦٣٧١٨٠
١٤	بينين	كوتونو	٠٣ـ٤١٩٣	٣٠٣٩١٩	٣٠٣٩١٩

الحسابات

- مصرف فيصل الإسلامي حساب رقم: ٠٠٢- ٤٥١٤-٤٢-١٠٩
- الشركة الإسلامية للاستثمار الخليجي حساب رقم ٦٣٤٩٢٤
- الإمارات - بنك دبي الإسلامي (فرع دبي) رقم الحساب ٥٥٤٦٥٢٤
- السعودية: شركة الراجحي المصرفية للاستثمار فرع الربوة شارع الأربعين حساب مجلة البيان رقم ٢١٠٠/٧
- قطر: مصرف قطر الإسلامي حساب رقم:٨٧٨٨٥٥ زكاة ٨٧٨٣٨٣ صدقات حساب مجلة البيان: بنك قطر الدولي الإسلامي رقم: ٢٤٢٠٧٠٠٠٧١

AL MUNTADA AL ISLAMI EDUCATIONAL TRUST
National WestMinister Bank PLC Fulham Branch
45 Fulham Broadway London SW6 1AG
Sorting Code No. 60-22-16
A/C NO: 44348452

الاشتراكات

بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهًا استرلينيًا
أوروبا	٢٠ جنيهًا استرلينيًا
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهًا استرلينيًا
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهًا استرلينيًا
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهًا استرلينيًا

في هـ

المراسلات والإعلانات

الدول العربية : البحرين: المحرّق مكتب دار البيان ، ص.ب ٥٠١٦٣ - هاتف٣٣٥٣٠٠ - فاكس ٣٣٦٣٠٠- السعودية : مكتب مجلة البيان - ص.ب ٢٦٩٧٠- الرياض : ١١٤٩٦- هاتف ٤٦٤١٢٢٢ - فاكس ٤٦٤١٤٤٦

البريد الإلكتروني: **bayan@naseej.com.sa**

أوروبا وأمريكا :

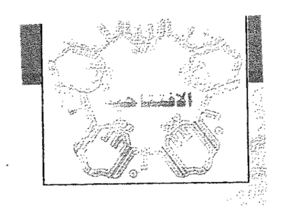
AL BAYAN MAGAZINE 7 Bridges Place, Parsons Green London SW6 4HW, U.K. Tel : 071 - 736 9060 Fax : 071 - 736 4255

ـــذا العـــدد

المـــوزعـــون

الأردن : الشركة الأردنية للتوزيع ، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١ ، ٦٣٥١٥٣ ، فاكس ٦٣٥١٥٢
الإمارات العربيـة المتحدة وسلطنة عمـان : شركة الإمارات للطباعة والنشر ، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف ٦٢٣٩٢٠ ، فاكس ٦٦٣٧٦٨
قـطـــــر : دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة هاتف ٦٦٢٤٤٤ ، فاكس ٦٦٢٤٥٠
مصــــــر : القاهرة - ش الجلاء - الأهرام للتوزيع ، هاتف وفاكس ٥٧٤٧٠٢٣ .
المغـرب : سـوشـبرس للتـوزيع ، الدار البـيـضـاء ، ش جـمـال بن أحمـد ص.ب ١٣٦٨٣ ، هاتف ٢٤٥٧٤٥/٥٤
السعـودية : مؤسسـة المؤتمن للتـوزيـع ص.ب ٦٩٧٨٦ ، الرياض ١١٥٥٧ ، هاتف ٤٦٤٦٦٨٨ ، فاكس ٤٦٤٢٩١٩، الشركة الوطنية هاتف ٤٧٨٢٠٠٠، فاكس ٤٧٨٤٣٣٣ .
اليمـــن : مكتبة دار القـدس ، صـنعاء : ص.ب ٣٦٠٠ الطريق الدائري الغـربي أمام الجامـعة القديمة ، هاتف ٢٠٦٤٦٧
السودان : دار أقرأ للنشر والتوزيع ، الخرطوم : ص.ب ٨٨ براري.

الكـويت : درة الكـويت لـلتـــوزيع، ص.ب ٢٩١٢٦، الصفـاة هاتف ٤٧٢٤٦٦٦، فاكس٤٧٢٤٥٥٥.
البحرين : مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف - المنامـة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ - ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.
أمريكا: International Media Group
Ann Arbor, MI 48107 U.S.A.- P.O. Box 7560
Tel. 734-975-1115 Fax. 734-975-9997



عاجل.. إلى من يهمه الأمر

تشهد الحركة الإسلامية تراجعاً ملحوظاً، شهد بذلك كثير من المتابعين لشأنها، خاصة من أبنائها ومحبيها، كما شمت في ذلك أعداؤها ومناوئوها، وإن سلمنا بذلك التراجع الذي نعده تراجعاً مركباً في الفكر والأداء والنوع فلا بد أن نقرر بدايةً أننا حين نتحدث عن تراجع الحركة الإسلامية فإننا نتحدث عن ذواتنا، نتحدث عن خلل فينا، نتحدث عن التراجع الذي حدث بداخلنا، هذا التقرير نؤكد عليه في الوقت الذي بدأت تظهر فيه أصوات تطرق الباب ذاته، وهم من أبناء هذه الحركة، بل منهم من كان سبباً في بعض هذا التراجع بتقلباته المتشنجة وتحولاته المتعددة، وهذه الفئة حين تتحدث عن تراجع الصحوة تستنفر كل مفرداتها المستفزة في تسفيه الحركة، وتستدعي النائحات المستأجَرَات للمشاركة في هذا المأتم الكبير الذي صنعوه، وقد ينصب بعضهم سرادقات العزاء في مجالسه الخاصة ومنابره الإعلامية. إن هذا «المنهج الاستبرائي» مِنْ نسبٍ طالما تفاخروا بالانتساب إليه مسلك خطير يطلب به القوم البراءة لأنفسهم في الوقت الذي لم يتهمهم فيه أحد، ولكن يكاد المريب أن يقول خذوني.

أحببنا أن نؤكد على أن نقدنا للحركة هو نقد لأنفسنا للسعي في إصلاحها، وليس عرضاً لأدلة الاتهام، ومن ثم إصدار الحكم وتنفيذه.

وإن من المسلَّمات أن المد والانحسار لأي دعوة هو من متلازمات سيرها إلى هدفها، ودين الإسلام لم تخطئه هذه السُّنَّة؛ فقد شهد فترات مد كثيرة، وتراجعات كثيرة كذلك، كما يشهد التاريخ أن الثورات وصحوات الأمم تشهد في بداياتها زخماً كبيراً ونشوة قوية وسرعة في الحركة، ثم ما تلبث حين تمضي الأيام أن تفتر الهمم والعزائم إلى أن يقيِّض الله لها من يجدد الدماء فيها، فتعود إلى سابق عهدها، أو يكون عكس ذلك فتموت الأمة.

ولذلك تأتي المراجعة لأسباب التراجع خطوة هامة على طريق العودة لمعرفة الخطأ والصواب، ولإدراك مواطن الضعف والقوة للاستفادة من تجارب خاضتها الحركة وذاقت فيها طعم الإخفاق أو النجاح.

من أسباب التراجع:

يعزو بعض المتحدثين عن التراجع أن حدوثه راجع إلى أسباب خارجية صرفة؛ فالكيد الغربي بيهوديته ونصرانيته وتحالفاته مع قوى الشر من المذاهب الكفرية من جانب، وأذناب الغرب من المنتسبين إلى الإسلام، أو صنيعته من دول الإسلام من جانب آخر، كان لهم الدور الأكبر في محاربة الدعوة، وهذه الحرب الشرسة كانت السبب الرئيس في هذا التراجع.

ومنهم من يقصر سبب التراجع على الخلل الداخلي في الحركة بقصورها الفكري في تطبيق منهج صافٍ بصورة مُرْضِية، أو بتشتتها وتفرقها، أو بأمراض قلوبها التي لم تبرأ بعدُ من أدوائها.

ولا شك أن لكلا السببين أثراً في تراجع المسيرة المباركة، ولكننا نرى أن النصيب الغالب لن يكون في كفة الكيد الخارجي؛ فقد قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠] فالكيد ينفذ ويؤثر حين يضعف التحصين الداخلي ويغفل الحُرّاس. وعند الإمام مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «... وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال لي: يا محمد! إني إذا قضيت قضاءاً فإنه لا يُرَدُّ، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من أقطارها ـ أو قال: بين أقطارها ـ حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً»(١).

إن الخطورة الحقيقية للخطر الغربي وتوابعه تكمن في عدم إدراك طبيعته، وعدم التخطيط لكيفية التعامل معه؛ فإن من يسعى إلى أن يحوِّل كل الأرض أن تصبح خاضعة لحكم الله وشرعه لا بد له أن يدرك هذه الهجمة الشرسة من بداية سعيه هذا.

ولقد بلغت الغفلة عن هذا الخطر الداهم ببعضٍ أن جازف وارتمى في أحضان الغرب يطلب الأمان الذي لم يجده في ديار المسلمين، فما نال عنب الغرب ولا تمر الشرق.

لم تحسب بعض فصائل الحركة جيداً حساب القوى الدولية والإقليمية ولا فهمت أهدافها إلا بعد زمن طويل تعرضت خلاله إلى خسارات كبيرة.

---

(١) مسلم، ك. الفتن وأشراط الساعة، ب: هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، ح/٢٨٨٩.



نعم كانت الهجمة شرسة! ولكن الأبواب كانت مشرعة، ولم يكن هناك حراس للقلعة.

أما السبب الآخر، وهو الخلل الداخلي، ففيه من التعقيد والتكدير للنفوس ما لا يعلمه إلا الله؛ فقد ولدت فصائل العمل الإسلامي المنتسبة لمنهج أهل السنة والجماعة من أرحام فكرية مختلفة - وإن جمعها نسب واحد - إلا أن هذا النسب الجامع «المنهج العام» لم يكن عاصماً لبعضها من الانزلاق إلى مخاطر كثيرة، وذلك لعدم فهمها الصحيح المتكامل لهذا المنهج وتبعات الانتساب إليه، ونتج عن ذلك ما أدى إلى التراجع الداخلي الذي كان من أسبابه:

١ - غياب كثير من العلماء عن توجيه الحركة؛ فقد كانت بدايات الصحوة مقترنة بجهود شباب متحمسين من طلبة العلم، ولأن حركة كهذه بضخامتها لا تستطيع أن توجهها عقول متوثبة للخير بمفردها، لذلك كان غياب العلماء عاملاً مؤثراً في تشتت الجهود وتفرق الفرق؛ حيث الجميع أقران.

وفي الوقت ذاته لم يستفد أولئك الشباب من بعض علماء المؤسسات الدينية الرسمية ممن عُرِفوا بالتقى والبعد عن الهوى، ولم يحرصوا على استمالتهم إليهم والاستفادة من علمهم وخبرتهم، بل لقد تم استعداء هذه المؤسسات بشكل سافر، وختم أولئك على كل علمائها بخاتم «علماء السلطة».

٢ - ضعف الولاء للمنهج العام، وقَصْر ذلك على الفصيل المنتمى إليه، بل تعدى الأمر ما هو أسوأ من ذلك؛ حيث صارت المعاداة والبراءة تقاس على أفكار ذلك الفصيل وتوجهاته وسياساته.

٣ - ضعف التربية القلبية والوجدانية لدى كثير من فصائل الحركة الإسلامية مما أدى إلى ظهور أمراض أعلَّت القلوب وأوهنتها، وأبعدت النفوس عن طهارتها وسلامتها، وأضرَّت النوايا والمقاصد، وأسلمت ذلك كله إلى الظنون والوساوس.

٤ - عدم إدراك الحركة لماهية الواقع الذي تحياه وحجم المواجهة التي تنتظرها؛ فقد تعاملت الحركة ببراءة الأطفال مع واقع تسيطر على سياساته ذئاب شرسة ماكرة، وشياطين إنس أُشرِبوا العداوة لدين الله حتى استعذبوها.

٥ - عدم ترتيب أوليات العمل، وذلك ناتج طبعي لتنوع الفصائل وتوجهاتها الدعوية. صحيح أن تنوع الفصائل وتوجهاتها يفيد - من حيث الجملة - في توسيع شريحة المنتسبين إلى الدعوة إلا أنه أضر بسبب عدم التنسيق. وبسبب الموالاة على الخط الحركي للفصيل، وبسبب أمراض القلوب أضيرت الجهود والإمكانيات والطاقات بتشتيتها: فمن رأى أهمية العمل السياسي وضرورة قصر الجهود عليه لم يلتفت إلى من رأى أهمية التربية العلمية، والأخير لم يلتفت إلى من يرى أن الوقت بحاجة إلى

المواجهة والعمل الجهادي، فراح كلٌ في وادٍ، وذهب كثير من الجهود إما إلى خسارة بالغة، وإما إلى نجاحات باهتة، ونسي الجميع - مع اختلافهم - أن عدوهم ينظر إليهم - حتى عامة الناس - أنهم جزء واحد؛ فمن أساء فعلى نفسه وإخوانه.

٦- غياب العمل المؤسسي بشكل فاعل في إدارة الدعوة وتوجيهها وتخريج طاقات علمية وعملية، وغياب هذه الفاعلية نشأ بسبب أن التوجه إلى هذا العمل جاء متأخراً عن بدايات الصحوة، وعندما أدركت أهميته صار لكل فصيل مؤسسته أو مؤسساته، فصار التحزب مؤسسياً!!

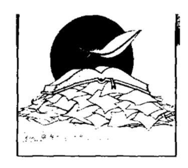
٧ - ضعف توسيع قاعدة الخطاب الدعوي، وقصره - في الغالب - على فئات معينة من المجتمعات، وتصنيف عامة الناس الخارجين عن فصائل الحركة الإسلامية إلى جاهليين، ومن تلطف معهم قال: «نحن» و «هُمْ» فنأوا عن أكثر الناس وعن الانسياب فيهم، في الوقت الذي استباحهم فيه أهل العلمنة، فخسرت الحركة قاعدتها العريضة من الناس، وانحازت هذه الفئة إلى جانب أعدائها في كثير من البلدان.

ولو حاولنا تتبع أسباب التراجع لطال حديثنا، ولكن أحببنا أن نذكِّر أنفسنا بعيوبنا ونقف معها لنصحها وإرشادها إلى مواطن الضعف، وتنبيهها إلى مواطن الخطر ومزالق الزلل.

وإن من الأهمية بمكان إدراك أن الوقوف على التوصيف لمسببات التراجع له فائدته الكبيرة، لكن الفائدة الأكبر والواجب الأهم هو السعي لتغيير هذا الواقع بتلافي ما سبق والاسترشاد بنتائجه.

ولا يُظن أن الدعوة من بداياتها إلى منتهاها لا تخرج عن طريقها أو تقف أثناء سيرها، أو أن هذا الطريق سيكون مفروشاً ورداً وأزهاراً، هذا كله نعلمه «نظرياً» لكن هذا التراجع الذي نراه اليوم جعله لدينا «علم يقين».

وإن كان من كلمة أخيرة فلن تكون إلا الدعوة إلى الائتلاف الصادق، وترك العداوة والمبالغة فيها، وإن لم نتفق فلا أقل من أن لا يرى عدونا تناحرنا، وإن لم نتوحد فبالإمكان أن ننسق، وإن لم ننسق فيبقى الود في القلوب قائماً، والمحبة في النفوس وافرة، وإن لم تكن المحبة على هذه الصورة فلا أقل من ترك الكراهية والمعاداة إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].



أحكام الرطانة

د. عبدالرحمن آل عثمان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فإن الله - تعالى - قد حبانا بلغة عظيمة هي لغة الرسول الخاتم ﷺ والكتاب الكريم الذي لم ينزل قبله مثله، ولن يُنزل كتاباً بعده، فهو آخر الكتب الإلهية.

وإن مِنْ شُكْرِ هذه النعمة أن نُحافظ على هذه اللغة ونعتز بها، وأن نعلمها الأجيال، ونبعث في نفوسهم محبتها والحفاظ عليها. ومن الاعتزاز بها أن تكون وسيلة مخاطباتنا دائماً بحيث لا نلجأ إلى غيرها من غير حاجة، وكما أن هذا يُعد من الوفاء لهذه اللغة فهو كذلك من جملة الأمور التي تحفظ للأمة كيانها بل شخصيتها التي تميزها عن غيرها.

كما أن ذلك من الأمور التي تُؤثر في قلب الإنسان ونفسه ومزاجه المعنوي، وقد قرر ذلك أبو العباس ابن تيمية - رحمه الله - بقوله: «واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيراً قوياً بيناً، ويؤثر أيضاً في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين. ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق»(١).

وذلك أن التكلم بلغة قوم فيه نوع محاكاة لهم، ولا يخفى أثر المحاكاة على نفس صاحبها.

«وأيضاً - فإن اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب».

ثم منها ما هو واجب على الأعيان، ومنها ما هو واجب على الكفاية. وهذا معنى ما رواه أبو بكر ابن أبي شيبة، عن عمر بن زيد قال: كتب عمر إلى أبي موسى - رضي الله عنه -: «أما بعد: فتفقهوا في العربية وأعربوا القرآن، فإنه عربي». وفي حديث آخر عن عمر - رضي الله عنه - أنه قال: «تعلموا العربية؛ فإنها من دينكم، وتعلموا الفرائض؛ فإنها من دينكم» وهذا الذي أمر به عمر - رضي الله

(١) الاقتضاء، ١/٤٧٠.

عنه ـ من فقه العربية وفقه الشريعة، يجمع ما يْحتاج إليه؛ لأن الدين فيه أقوال وأعمال؛ ففقه العربية هو الطريق إلى فقه أقواله، وفقه السنة هو فقه أعماله»[1].

وبهذا تعلم أن هذه مسألة شرعية ينبني عليها بعض الأحكام الشرعية؛ ذلك أن الكلام بغير لغة العرب على قسمين، يتفرع عن كلٍ منهما نوعان على النحو الآتي:

القسم الأول: وهو ما كان من قبيل الألفاظ المفردة كأسماء الأشخاص أو الشهور أو الآلات أو غيرها، وهو نوعان:

النوع الأول: ما كان باقياً على أعجميته أي: أنه لم يُخالط اللغة العربية ولم يداخلها حتى يصير كأنه واحد من ألفاظها، وهو نوعان:

الأول: أن يكون من الألفاظ التي لا يُعرف معناها.

قال حرب الكرماني ـ رحمه الله ـ: «باب تسمية الشهور بالفارسية» قلت لأحمد: فإن للفرس أياماً وشهوراً يسمونها بأسماء لا تعرف[2]؟ فكره ذلك أشد الكراهة.

وروى فيه عن مجاهد حديثاً: أنه كره أن يقال: آذرماه[3]، وذي ماه[4] قلت: فإن كان اسم رجل أسميه به؟ فكرهه قال: وسألت إسحاق قلت: تاريخ الكتاب يكتب بالشهور الفارسية مثل: آذرماه، وذي ماه؟ قال: إن لم يكن في تلك الأسامي اسم يكره فأرجو. قال: وكان ابن المبارك يكره (إيزد) أن يحلف به، وقال: لا آمن أن يكون أضيف إلى شيء يعبد، وكذلك الأسماء الفارسية. قال: وسألت إسحاق مرة أخرى قلت: الرجل يتعلم شهور الروم والفرس. قال: كل اسم معروف في كلامهم فلا بأس»[5].

وقد وجه أبو العباس ابن تيمية ـ رحمه الله ـ قول الإمام أحمد في كراهة هذه الأسماء بأن الاسم الذي لا يعرف معناه يحتمل أن يكون له معنى محرم، والمسلم لا ينطق بما لا يعرف معناه[6].

وقال: «إن جهل معناه فأحمد كرهه»[7].

الثاني: ما له معنى معروف. وهو على نوعين:

أ - ما كان له معنى محرم.

فهذا يُمنع ـ بلا ريب ـ من باب أولى؛ حيث مُنع ما لا يُعرف معناه[8].

---

(١) ما بين الأقواس «   » من كلام شيخ الإسلام في الاقتضاء، ١/٤٧٠ ـ ٤٧١.

(٢) أي لا يعرف معناها.   (٣، ٤) أسماء لبعض الشهور في الفارسية.

(٥) نقلته بواسطة الاقتضاء، ١/ ٤٦١ ـ ٤٦٢.   (٦) انظر: الاقتضاء، ١/٤٦٢.

(٧، ٨) السابق، ١/٤٦٢، وانظر نحوه، ص ٤٦٤.



ب - ما كان له معنى غير محرم؛ فهذا على نوعين:

١ - أن يتكلم به لحاجة كأسماء بعض المصنوعات أو المصطلحات العلمية ونحوها مما لا يعرف لها مقابل في العربية أو كان السامع لا يفهم مراده إلا باللفظ الأعجمي[١] فلا بأس بالتكلم بها في هذه الحال؛ لكن ينبغي السعي في تعريبها حفظاً للغة العربية من الضمور والانحسار.

٢ - أن يتكلم به لغير حاجة، وله صورتان:

الأولى: أن يقع ذلك منه على سبيل الإعجاب بالأعجمية ومحبتها وإيثارها فهذا لا ينبغي، وفاعله مبتلى بالنقص والهزيمة النفسية.

الثانية: أن لا يكون منشأ ذلك محبة الأعجمية والإعجاب بها؛ والذي يظهر أن هذا على قسمين:

١ - **أن يكون ذلك قليلاً أو نادراً.** وهذا لا حرج فيه - إن شاء الله -. قال البخاري - رحمه الله -: «باب من تكلم بالفارسية والرطانة»[٢].

وأورد تحته ثلاثة أحاديث، الأول: حديث جابر - رضي الله عنه - قال: «قلت: يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا، وطحنت صاعاً من شعير فتعالَ أنت ونفر. فصاح النبي ﷺ، فقال: يا أهل الخندق! إن جابراً قد صنع سوْراً، فحيَّ هلا بكم»[٣].

والشاهد هنا في قوله: «سُوْراً» بضم السين وسكون الواو وهو الطعام مطلقاً أو الطعام الذي يُدعى إليه. وهو بالهمز (السُّؤر) بقية الشيء. قال الحافظ: «والأول هو المراد هنا»[٤]ونقل عن الطبري أنه من الفارسية. قيل له: أليس هو الفضلة؟ قال: لم يكن هناك شيء فضل ذلك منه، إنما هو [أي معناه] بالفارسية: من أتى دعوة»[٥].

الحديث الثاني: حديث أم خالد بنت خالد بن سعيد؛ قالت: «أتيت رسول الله ﷺ مع أبي وعلَيَّ قميص أصفر قال رسول الله ﷺ: سَنَهْ سَنَهْ»[٦]. قال عبد الله (وهو عبد الله بن المبارك - رحمه الله - أحد رواة هذا الحديث): وهي بالحبشية: حسنة. والشاهد فيه قوله: «سَنَهْ سَنَهْ» بفتح النون وسكون

---

(١) أخرج الطبراني في الكبير، ٦/٢١٨، أن سلمان - رضي الله عنه - أصاب جارية فقال لها بالفارسية: صلِّي. قالت: لا، قال: اسجدي واحدة... إلخ.

(٢) البخاري مع الفتح، ٦/١٨٣، والرِّطانة بكسر الراء ويجوز فتحها هو كلام غير العربي. انظر: الفتح، ٦/١٨٤.

(٣) البخاري في الجهاد باب من تكلم بالفارسية والرطانة، حديث رقم: (٣٠٧٠)، ٦/١٨٣، وأورده في موضعين آخرين، حديث رقم: (٤١٠١، ٤١٠٢).

(٤) الفتح، ٦/١٨٤.

(٥) المرجع السابق.

(٦) البخاري في الجهاد، باب من تكلم بالفارسية والرطانة، حديث رقم: (٣٠٧١) ٦/١٨٣، وذكره في مواضع أخرى، انظر الأحاديث رقم: (٢٨٧٤، ٥٨٢٣، ٥٨٤٥، ٥٩٩٣).

الهاء، وفي بعض الروايات: «سناه» بزيادة ألف. والهاء فيهما للسكت وقد تحذف؛ وقد جاءت بعض الروايات بحذفها.

وأم خالد ـ رضي الله عنها ـ وُلِدت في الحبشة، وقدمت مع أبيها وهي صغيرة.

والحديث الثالث: حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: «أن الحسن بن علي أخذ تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال له النبي ﷺ بالفارسية: كخ، كخ! أما تعرف أنَّا لا نأكل الصدقة؟»[1].

فقوله «كخ، كخ» كلمة تقال لردع الصبي عند تناوله ما يُستقذر، قيل عربية، وقيل أعجمية، وذهب بعضهم إلى أنها مُعرَّبة[2]. وصنيع البخاري يدل على أنه يرى أنها أعجمية. والله أعلم.

قال الحافظ: وقد نازع الكرماني في كون الألفاظ الثلاثة أعجمية؛ لأن الأول يجوز أن يكون من توافق اللغتين، والثاني يجوز أن يكون أصله: «حسنه» محرف أوله إيجازاً، والثالث من أسماء الأصوات. وقد أجاب عن الأخير ابن المنيِّر فقال: وجه مناسبته أنه ﷺ خاطبه بما يفهمه مما لا يتكلم به الرجل مع الرجل؛ فهو كمخاطبة العجمي بما يفهمه من لغته. قلت: وبهذا يُجاب عن الباقي»[3].

ولعل هذا الأخير لا يظهر؛ لأن هؤلاء جميعاً كانوا من العرب.

ويحتمل أن الأول والثالث من قبيل الدارج في لغة العرب الذي صار من جملة الألفاظ المستعملة عند أهل العربية.

وأما الثاني وهو حديث أم خالد فيحتمل أن يكون النبي ﷺ قاله لهذه الجارية الصغيرة على سبيل الملاطفة والمداعبة لكونها قدمت من الحبشة؛ والغالب أنها تعرف بعض كلامهم. والله أعلم.

ومما ورد في هذا الباب ما أخرجه ابن عساكر في تاريخه[4]، وساقه الذهبي بسنده[5] عن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال للقاضي شريح ـ وقد حكم في قضية بين يديه فأعجبه حكمه ـ: «قالون» وهي بلسان الروم بمعنى: أحسنت أو جيِّد. ولم يكن شريح رومياً ولا مقيماً في أرض الروم، بل كان من كندة في أهل اليمن، وولي القضاء في الكوفة ستين سنة.

ومن ذلك ما أخرجه ابن أبي شيبة ـ وفيه من لا يُعرف ـ أن أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ أشرف على السوق فقال: سحت وداست[6].

---

(١) البخاري في الجهاد، باب من تكلم بالفارسية والرطانة، حديث رقم: (٣٠٧٢)، وذكره في الزكاة، باب ما يُذكر في الصدقة للنبي ﷺ. حديث رقم: (١٤٩١) ٣/٣٥٤.

(٢) انظر: الفتح، ٣/٣٥٥.

(٣) المرجع السابق، ٦/١٨٥.

(٤) مختصر تاريخ دمشق، ١٠/٢٩٧.

(٥) السير، ٤/١٠٣.

(٦) مصنف ابن أبي شيبة، ٩/١٢.

وأخرج ابن أبي شيبة - أيضاً - عن منذر الثوري قال: «سأل رجل ابن الحنفية عن الجبن فقال: يا جارية: اذهبي بهذا الدرهم فاشتري به ينيراً[1]، فاشترت به ينيراً ثم جاءت به»[2] يعني: الجبن.

وذكر القرطبي - وعزاه للخطيب - عن أبي عبد الملك مولى أم مسكين بنت عاصم بن عمر بن الخطاب قال: أرسلتني مولاتي إلى أبي هريرة فجاء معي، فلما قام بالباب قال: أندر؟ قالت: أندرون[3].

وقال القرطبي: وذكر عن أحمد بن صالح قال: كان الدراوردي من أهل أصبهان نزل المدينة، فكان يقول للرجل إذا أراد أن يدخل: (أندرون) فلقبه أهل المدينة «الدراوردي»[4] و (أندرون) كلمة فارسية تعني: «داخل، باطن» ونحو ذلك.

وقال حبيب بن أبي ثابت: «كنا نسمي أبا صالح:[5] «دزوزن» وهو بالفارسية: كتاب»[6].

فهذه الآثار تدل على أن السلف كانوا يتكلمون في أحيان قليلة بالكلمة من الأعجمية.

قال أبو العباس ابن تيمية - رحمه الله -: «ونُقِل عن طائفة منهم أنهم كانوا يتكلمون بالكلمة بعد الكلمة من العجمية.

وفي الجملة: فالكلمة بعد الكلمة من العجمية أمرها قريب، وأكثر ما يفعلون ذلك إما لكون المخاطب أعجمياً، أو قد اعتاد العجمية، يريدون تقريب الأفهام عليه»[7].

٢ - أن يكثر ذلك مع عدم الحاجة؛ فهذا ينبغي أن يُجتنب.

قال الشافعي - رحمه الله -: «سمَّى الله الطالبين من فضله في الشراء والبيع تجاراً، ولم تزل العرب تسميهم التجار ثم سماهم رسول الله ﷺ بما سمى الله به من التجارة بلسان العرب، والسماسرة اسم من أسماء العجم، فلا نحب أن يسمى رجل يعرف العربية تاجراً، إلا تاجراً. ولا ينطق بالعربية فيسمي شيئاً بأعجمية، وذلك أن اللسان الذي اختاره الله - عز وجل - لسان العرب، فأنزل به كتابه العزيز وجعله لسان خاتم أنبيائه محمد ﷺ، ولهذا نقول: ينبغي لكل أحد يقدر على تعلم العربية أن يتعلمها لأنها اللسان الأوْلى بأن يكون مرغوباً فيه من غير أن يحرم على أحد أن ينطق بأعجمية»[8].

قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: «فقد كره الشافعي لمن يعرف العربية أن يسمي بغيرها، وأن يتكلم بها خالطاً لها بالعجمية، وهذا الذي قاله الأئمة مأثور عن الصحابة والتابعين»[9].

---

(١) هكذا في المطبوع وبعض المعاصرين يرجح أن صوابها: «نيزا».

(٢) المصنف، ٩/١٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ١٢/٢١٨.

(٤) السابق، وذكره الذهبي في السير، ٨/٣٦٦.

(٥) وهو أبو صالح مولى أم هانئ.

(٦) نقله النسائي في الكبرى، ٢/٢٥٢.

(٧) الاقتضاء، ١/ ٤٦٨.

(٨، ٩) نقلته بواسطة الاقتضاء، ١/٤٦٥.

النوع الثاني: من القسم الأول[1]: وهو ما خالط كلام العرب ودخل في لغتهم حتى صار بمنزلة مفرداتها الأصيلة، وهو المُعرَّب وما في حكمه. وهو نوعان:

أ - ما استعملته العرب قبل اختلاط ألسنتها[2].

فهذا معدود في حكم كلام العرب ولا غضاضة في استعماله[3].

ب - ما دخل على اللغة بعد اختلاط الألسنة، وقد وقعت الجمهرة من ذلك في القرنين الأخيرين؛ ذلك أن أكثر بلاد المسلمين وقعت تحت سيطرة أعدائها، إضافة إلى أن الأمة صارت تستقبل من غيرها أشياء كثيرة من الثقافة والصناعة وغير ذلك فتستقر اللفظة في الأمة غالباً بثوبها الذي جاءت به من حيث التسمية وغيرها. فصار الناس ينطقون بتلك الألفاظ الأعجمية نطقهم بالعربية دون تنبه أو تمييز لأصلها؛ فهم حين يتلفظون بها لا يقصدون التكلم بالأعجمية سواء كانوا عالمين بأصلها أم لم يكونوا كذلك.

وفي هذه الحال لا يُعد من صدر منه مثل ذلك محاكياً للأعاجم أو متشبهاً بهم، ومن ثَمَّ فالحرج الشرعي مرتفع عنه.

لكن ثمة أمر آخر ينبغي مراعاته، وهو أن هذه الكلمات الدخيلة على اللغة ينبغي استبدالها بالألفاظ التي تقوم مقامها في العربية، كما ينبغي أن يُنبَّه الناس إلى أصل تلك المفردات ليكون ذلك معيناً على التخلص منها؛ ذلك أنها تزاحم مفردات العربية وإذا كثرت فإنها تفسد اللغة من أساسها وتقوضها كما لا يخفى.

● **فائدة**: من عادة العرب إذا نطقوا بلفظة أعجمية أنهم يلقونها على طريقتهم في النطق من غير تكلف، ودون ترقيق في اللفظ فضلاً عن نبرة الصوت، وقاعدتهم في ذلك «أعجمي فالعب به» كما قرر ذلك بعض المتقدمين من أئمة اللغة، وهذا على خلاف ما شاع في أوساط المثقفين من تمحُّل في إخراج اللفظة مصحوبة بنبرتها الأعجمية.

القسم الثاني: ما كان من قبيل التراكيب والجُمل وليس من قبيل اللفظة المفردة، وهو نوعان:

الأول: ما دعت إليه الحاجة فهذا لا بأس به كأن يكون المخاطب لا يعرف العربية. لكن ينبغي أن تتضافر الجهود على بث العربية ودعمها بكل وسيلة ممكنة حتى تكون هي لغة التخاطب بين العرب وغيرهم كما كان عليه الأمر في الأزمنة التي كانت فيها القوة والغلبة للمسلمين.

---

(١) وهو ما كان من قبيل الألفاظ المفردة.

(٢) قال الأصمعي: «ختم الشعر بإبراهيم بن هرمة، وهو آخر الحجج» تاريخ بغداد ٦/١٣١، مختصر تاريخ دمشق ٤/٨٧.

(٣) على خلاف مشهور بين أهل العلم في أصله، هل هو أعجمي فأخذته العرب، أو العكس، أو أنه مما توافقت فيه اللغات ... إلخ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : «ولهذا كان المسلمون المتقدمون لما سكنوا أرض الشام ومصر، ولغة أهلها رومية، وأرض العراق وخراسان ولغة أهلهما فارسية. وأهل المغرب، ولغة أهلها بربرية ـ عوَّدوا أهل هذه البلاد العربية، حتى غلبت على أهل هذه الأمصار: مسلمهم وكافرهم. وهكذا كانت خراسان قديماً»[١].

ثم إنهم تساهلوا في أمر اللغة، واعتادوا الخطاب بالفارسية، حتى غلبت عليهم، وصارت العربية مهجورة عند كثير منهم، ولا ريب أن هذا مكروه. إنما الطريق الحسن اعتياد الخطاب بالعربية، حتى يتلقنها الصغار في المكاتب وفي الدور، فيظهر شعار الإسلام وأهله، ويكون ذلك أسهل على أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب والسنة وكلام السلف، بخلاف من اعتاد لغة ثم أراد أن ينتقل إلى أخرى فإنه يصعب.

الثاني: ما لم تدْعُ إليه الحاجة. وهو نوعان:

١ - ما كان الباعث له محبتها والإعجاب بها؛ فهذا لا ينبغي فعله سواء كان قليلاً أم كثيراً ويُخشى على صاحبه أن يقع في النفاق العملي كما لا يخفى وهو من ألوان محاكاتهم والتشبه بهم، وهذا يكثر وقوعه عادة بين من ابتُلوا بالهزيمة النفسية لا سيما في أوقات ضعف الأمة وتراجعها؛ فالأمم القوية تسعى لفرض ثقافتها على الأمم الضعيفة المغلوبة، وإنما يعبر ذلك كله على جسد اللغة.

ولغات الأمصار تكون عادة بلسان الأمة الغالبة عليها، ولما كان المسلمون غالبين على غيرهم من الأمم صارت اللغة العربية هي لغة التخاطب في كثير من البلاد التي هي في أصلها أعجمية[٢].

قال ابن حزم ـ رحمه الله ـ : «فإن اللغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم أو بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم، فإنما يقيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها قوة دولتها ونشاط أهلها وفراغهم، وأما من تَلِفَتْ دولتهم وغلب عليهم عدوهم واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم فمضمونٌ منهم موت الخواطر، وربما كان ذلك سبباً لذهاب لغتهم، ونسيان أنسابهم وأخبارهم، وبُيود علومهم، هذا موجود بالمشاهدة ومعلوم بالعقل ضرورة»[٣].

٢ - ما لم يكن الباعث له الإعجاب بها ومحبتها. وله صورتان:

---

(١) الاقتضاء، ١/ ٤٦٩ ـ ٤٧٠.

(٢) لابن خلدون ـ رحمه الله ـ كلام مفيد في هذا الموضوع فراجعه إن شئت في المقدمة، ص ٣٧٩.

(٣) الإحكام، ١/٣١.

الأولى: أن يعتاد ذلك ويكثر منه. وهذا لا ينبغي أيضاً؛ لأن «اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون»[1].

وقد أخرج ابن أبي شيبة عن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: «ما تعلَّم الرجل الفارسية إلا خَبُثَ[2]، ولا خبث[3] إلا نقصت مروءته»[4].

وأخرج عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع قوماً يتكلمون بالفارسية، فقال: «ما بال المجوسية بعد الحنيفية؟»[5].

وأخرج عن عطاء قال: «لا تَعَلَّموا رطانة الأعاجم، ولا تدخلوا عليهم كنائسهم؛ فإن السخط ينزل عليهم»[6].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه ـ: «وأما اعتياد الخطاب بغير اللغة العربية التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن حتى يصير ذلك عادة للمِصْرِ وأهله، أو لأهل الدار، أو للرجل مع صاحبه، أو لأهل السوق، أو للأمراء، أو لأهل الديوان، أو لأهل الفقه، فلا ريب أن هذا مكروه؛ فإنه من التشبه بالأعاجم، وهو مكروه كما تقدم»[7].

الثانية: أن يقع ذلك نادراً؛ فهذا أسهل من الأول لكن ينبغي أن يُجتنب.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

---

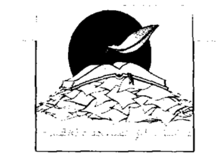
(١) ما بين الأقواس « » من كلام شيخ الإسلام في الاقتضاء، ١/٤٦٣.

(٢، ٣) هكذا في المطبوع، ولعلها: خَبَّ: أي صار مخادعاً.

(٤) المصنف، ٩/١١.

(٥، ٦) المصدر السابق.

(٧) الاقتضاء، ١/٤٦٩.





تقديس البشر

(٢ ـ ٢)

د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف

تكتمل الفكرة باكتمال عناصرها. وقد عرض الكاتب في (الحلقة الأولى) لأصناف من البشر تم تقديسهم مثل: (العُبَّاد، العلماء، والحكام) ثم ألقى الضوء على بعض مظاهر هذا التقديس، ويتابع في هذه الحلقة بقية تحليلاته لعناصر هذه الظاهرة حتى تتضح الصورة وتكتمل. ـ البيان ـ

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن أسباب ظاهرة تأليه البشر وبواعثها فقد يتعذر الإحاطة بتلك الأسباب نظراً لاتساع تلك الظاهرة وتعدد صورها وتنوع أنماطها.

لكن نسوق جملة من الأسباب الرئيسة مع تضمينها شيئاً من العلاج:

من أعظم أسباب تأليه البشر: ضعف التعلق بالله ـ تعالى ـ وضعف تحقيق العبودية لله ـ تعالى ـ وحده لا شريك له.

فإذا ضعف تعلُّق العبد بربه، وانحسر تحقيقه لعبودية الله ـ تعالى ـ قوي تعلُّق قلبه بغير الله، وصُبَّ في قلبه من العبودية للبشر بحسب ذلك؛ فما كان لبشر أن يُستعبَد قلبه لبشر مثله إلا بسبب إخلاله بعبودية الله ـ تعالى ـ.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير ذلك: «كلما قوي طمع العبد في فضل الله ورحمته لقضاء حاجته ودفع ضرورته، قويت عبوديته له وحريته مما سواه؛ فكما أن طمعه في المخلوق يوجب عبوديته له، فيأسه منه يوجب غنى قلبه عنه. وكل من علق قلبه بالمخلوقين أن ينصروه أو يرزقوه أو أن يهدوه خضع قلبه لهم، وصار فيه من العبودية لهم بقدر ذلك، وإن كان في الظاهر أميراً لهم مدبِّراً لأمورهم، متصرفاً بهم؛ فالعاقل ينظر إلى الحقائق لا إلى الظواهر؛ فالرجل إذا تعلق قلبه بامرأة ـ ولو كانت مباحة له ـ يبقى قلبه أسيراً لها تَتَحَكَّم فيه وتتصرف بما تريد، وهو في الظاهر سيدها؛ لأنه زوجها أو مالكها، ولكنه في الحقيقة هو أسيرها ومملوكها»[١].

لقد كان النبي ﷺ يربي أصحابه على تمام التعلق بالله وحده[٢]، ومن ذلك نهيه ﷺ أصحابه أن يسألوا الناس شيئاً؛ فإن من احتاج إلى الناس نقص قدره عندهم وفاته من عبودية الله ـ تعالى ـ بحسب ذاك الاحتياج

---

(١) العبودية، ص ٩٤ ـ ٩٦. باختصار.

(٢) انظر الرد على البكري، لابن تيمية، ص ٣٣٧.

«والعبد كلما كان أذل لله وأعظم افتقاراً إليه وخضوعاً له كان أقرب إليه، وأعزَّ له، وأعظم لقدره: فأسعد الخلق أعظمهم عبودية لله؛ فأعظم ما يكون العبد قدراً وحرمة عند الخلق إذا لم يحتج إليهم بوجه من الوجوه، فإن أحسنت إليهم مع الاستغناء عنهم كنت أعظم ما يكون عندهم، ومتى احتجت إليهم - ولو في شربة ماء - نقص قدرك عندهم بقدر حاجتك إليهم، وهذا من حكمة الله ورحمته، ليكون الدين كله لله، ولا يُشرَك به شيء»[1].

قال الفضيل بن عياض - رحمه الله -: «والله! ما صدق اللهَ في عبوديته مَنْ لأحد من المخلوقين عليه ربّانية»[2].

ومما سطره ابن القيم في هذا الباب: «إذا أصبح العبد وأمسى وليس همه إلا الله وحده، تحمَّل الله - سبحانه - حوائجه كلها، وحَمَل عنه كل ما أهمه، وفرَّغ قلبه لمحبته، ولسانه لذكره، وجوارحه لطاعته. وإن أصبح وأمسى والدنيا همه حمَّله الله همومها وغمومها وأنكادها، ووكله إلى نفسه، فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق، ولسانه عن ذكره بذكرهم، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم؛ فهو يكدح كدح الوحش في خدمة غيره، كالكير ينفخ بطنه ويعصر أضلاعه في نفع غيره.

فكل من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته بُلِيَ بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته»[3].

ولذا كان اليأس مما في أيدي الناس أعظم التحرر من رق عبوديتهم، فأما إذا طمع فيما عندهم فإن قلبه يتعلق بهم ويفتقر إليهم.

«ولهذا يقال:

العبد حر ما قنع والحر عبد ما طمع

ويُروى عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال: الطمع فقر، واليأس غنى، وإن أحدكم إذا يئس من شيء استغنى عنه.

وهذا أمر يجده الإنسان في نفسه؛ فإن الأمر الذي ييأس منه لا يطلبه، ولا يطمع فيه، ولا يبقى قلبه فقيراً إليه، ولا إلى من يفعله، وأما إذا طمع في أمر من الأمور ورجاه فإن قلبه يتعلق به فيصير فقيراً إلى حصوله وإلى من يظن أنه سبب في حصوله»[4].

وما أروع كلام ابن الجوزي إذ يقول: «والقناعة بما يكفي، وترك التشوُّف إلى الفضول أصل الأصول، ولما أيأس الإمام أحمد بن حنبل نفسه من قبول الهدايا والصلات اجتمع همه وحسُن ذكره، ولما أطمعها ابن المديني وغيره سقط ذكرهم. ثم فيمن يطمع؟ إنما هو سلطان جائر، أو مُزَكٍّ منّان، أو صديق مُدِلٌّ بما يعطي، والعز ألذُّ من كل لذة، والخروج عن ربقة المحنة ولو بسفِّ التراب»[5].

ولما أعرض قوم فرعون عن عبادة الله - تعالى - اشتغلوا بتأليه فرعون حتى صدَّقوه في دعواه ﴿فَقَالَ أَنَا

---

(1) الفتاوى، 1/39.

(2) انظر الفتاوى، 10/598.

(3) الفوائد، ص 77.

(4) العبودية، ص 89.

(5) صيد الخاطر، ص 267.

رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] وما كان لفرعون أن يدعي ذلك لولا أن قومه خارجون عن عبادة الله - تعالى - فاستخفهم فأطاعوه، كما قال - عز وجل -: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.
[الزخرف: ٥٤]

يقول سيد قطب - رحمه الله - في ظلال هذه الآية: «واستخفاف الطغاة للجماهير أمر لا غرابة فيه؛ فهم يعزلون الجماهير أولاً عن كل سبل المعرفة، ويحجبون عنهم الحقائق حتى ينسوها، ولا يعودوا يبحثون عنها، ويلقون في روعهم ما يشاؤون من المؤثرات حتى تنطبع نفوسهم بهذه المؤثرات المصطنعة، ومن ثَمَّ يسهل استخفافهم بعد ذلك، ويلين قيادهم، فيذهبون بهم ذات اليمن وذات الشمال مطمئنين!

ولا يملك الطاغية أن يفعل بالجماهير هذه الفعلة إلا وهم فاسقون لا يستقيمون على طريق، ولا يمسكون بحبل الله، ولا يَزِنون بميزان الإيمان، فأما المؤمنون فيصعب خداعهم واستخفافهم واللعب بهم كالريشة في مهب الريح، ومن هنا يعلل القرآن استجابة الجماهير لفرعون فيقول: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤]»(١).

ومن أسباب تأليه البشر وبواعثه: الغلو في محبة البشر وتعظيمهم وإطرائهم؛ فهؤلاء النصارى لما غلوا في إطراء عيسى - عليه السلام - جعلوه إلهاً من دون الله - تعالى -.

كما قال - تعالى -: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ [النساء: ١٧١].

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: «ينهى - تعالى - أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى؛ فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه، فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقاً أو باطلاً، أو ضلالاً أو رشاداً، أو صحيحاً أو كذباً، ولهذا قال الله - تعالى -: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾.
[التوبة: ٣١](٢).

ومن حكمة الشارع أنه نهى عن الغلو وحذّر منه أيما تحذير، حتى قال ﷺ: «إياكم والغلو في الدين؛ فإنما أهلك من كان قبلكم بالغلو في الدين»(٣).

كما قرر عجز البشر وضعفهم، وأنهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

---

(١) في ظلال القرآن، ٥/ ٣١٩٤.

(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ٥٥٨.

(٣) رواه النسائي، ح ٢/ ٤٩، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٢٨٣.

ومن الظواهر المؤسفة في الواقع والإعلام: الغلو في الإطراء، والمبالغة الممجوجة في المديح لا سيما إن كان ذاك الإطراء المكشوف صادراً عمن ينتسب للعلم!

فما أسمج أن يبادر هؤلاء بإطلاق المدائح جزافاً تجاه قوم لم يُعرَفوا إلا بالظلم والفجور! وكما قال الأستاذ محمد الغزالي - رحمه الله - أثناء حديثه عن ذاك المديح: «إن إطراء الشيوخ للحكام ومسارعتهم المريبة إلى تهنئتهم في كل مناسبة، وتعزيتهم في كل مصيبة بأسلوب يكتبه الأرقاء والأتباع، ويتنزه عنه الرجال الأحرار، هذه الظاهرة التي تدل على داء عياء بالقلوب، قد غضت من شأن الدين ومنزلته لدى العامة.

وقد تذاكر الناس أن شيخاً كبيراً من جلة العلماء - كما يقولون - كان في المرض الذي يُسقِطُ عنه الصلاة لا ينسى أداء مراسم الوثنية السياسية، على حين كان الدكتور طه حسين - وموقفه من الدين معروف - يتكلم بحذر ويرسل مدائحه بقدر!!

هذا في الوقت الذي شُطبت فيه ميزانية الأزهر، وأُرسل المال سيلاً غدقاً إلى وزارة المعارف التي كان يشرف عليها آنذاك طه حسين»[1].

ومما يحسن ذكره ها هنا ما جاء في حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: «سمع النبي ﷺ رجلاً يثني على رجل ويطريه في المدحة فقال: «لقد أهلكتم - أو قطعتم - ظهر الرجل»[2].

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: «قال ابن بطال: حاصل النهي أن من أفرط في مدح آخر بما ليس فيه لم يأمن على الممدوح العجب لظنه أنه بتلك المنزلة؛ فربما ضيع العمل والازدياد من الخير اتكالاً على ما وصف به، ولذلك تأوّل العلماء في الحديث الآخر «احثوا في وجوه المداحين التراب» أن المراد من يمدح الناس في وجوههم بالباطل، وقال عمر: المدح هو الذبح، قال: وأما من مُدِحَ بما فيه فلا يدخل في النهي، فقد مُدِحَ ﷺ في الشعر والخطب والمخاطبة ولم يحثُ في وجه مادحه تراباً» انتهى ملخصاً[3].

وإذا كان مدح الشخص بما فيه لا يأمن أن يحدث فيه كبراً أو إعجاباً أو فتوراً عن العمل الصالح فكيف إذا مُدِح الشخص بما ليس فيه مما يعدّ كذباً وباطلاً؟ بل وما ظنك بمن يُمدح بنقيض حاله! كمن يُمدح بأنه أكمل الناس براً وعدلاً، وهو في الحقيقة أعظم الناس فجوراً وظلماً.

وكم أفضت كثرة المديح والإطراء إلى الولوغ في آفات الكبر والغرور والعُجب، ومن ذلك أن عبد الله بن زياد بن ظبيان خوّف أهل البصرة أمراً، فخطب خطبة أوجز فيها، فنادى الناس من نواحي المسجد: أكثر الله فينا مثلك. فقال: لقد كلفتم الله شططاً.

قال الماوردي - معلقاً على حال هذا المغرور وأشباهه - «فانظر إلى هؤلاء كيف أفضى بهم العُجب إلى حمق صاروا به نكالاً في الأولين، ومثلاً في الآخرين، ولو تصور المعجَب المتكبر ما فُطِرَ عليه من جِبِلَّة، وبُلي به من مَهْنة لخفض جناح نفسه، واستبدل ليناً من عُتُوِّه، وسكوناً من نُفُوره، وقال الأحنف بن قيس: عجبت لمن

---

(١) تأملات في الدين والحياة، ص ٣١، ٣٢.
(٢) رواه البخاري، ح/ ٦٠٦٠.
(٣) فتح الباري، ١٠/ ٤٧٧.

جرى في مجرى البول مرتين كيف يتكبر»(١).

ومن أقبح الغلو في محبة الأشخاص وأشنعه: عشقهم واستغراق القلب في ذكرهم ووصلهم؛ حتى آلَ بهم العشق إلى الكفر بالله ـ تعالى ـ وسوء الخاتمة، كما في قصة عاشق أسلم(٢) الذي أنهكه العشق وأتلفه، حتى أنشد عند موته:

أسلم يا راحة العليل ... رفقاً على الهائم النحيل
وصلك أشهى إلى فؤادي ... من رحمة الخالق الجليل(٣)

فعياذاً بالله ـ تعالى ـ من مصارع السوء ومن الحَوْر بعد الكَوْر.

وهذا رجل كان يجاهد مع المسلمين فعشق نصرانية فتنصّر من أجلها(٤)، وثالث كان مؤذناً فشغف قلبه بنصرانية فارتد عن الإسلام وتنصر ومات على ذلك(٥). ورابعهم كان متنسكاً عابداً فهوى شخصاً فتهتك وأظهر الخلاعة والفجور(٦).

«كان الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله تعالى ـ ينشد:

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها ... من الحرام ويبقى الخزي والعار
تبقى عواقب سوء في مغبتها ... لا خير في لذة من بعدها النار(٧)

ومما يجدر ذكره أن هؤلاء المعظَّمين من البشر يُضفون على أنفسهم أنواعاً من الهالات والبهرجة والأبهة والرسوم التي تسلب عقول السذج والرعاع، وتشغل قلوبهم بالمهابة والتقديس لأولئك المتألهين، وعندما قارن الشيخ علي الطنطاوي ـ رحمه الله ـ بين حجاب المتبرجات، وحجاب الأمراء قال: «والحجاب عند الصنفين زينة وفخر، ولو كان النساء عاريات أبداً كسائر المؤنثات... من باقي المخلوقات لفقدْنَ تسعة أعشار فتنتهن ونصف العشر أيضاً، ولو تعرّى الأمراء عن الشارات والزينات والأبواب والحُجَّاب لخسروا مثل ذلك من هيبة الحكم»(٨).

---

(١) أدب الدنيا والدين، ص ٢٣٣.

(٢) انظر: تفصيل القصة في المنتظم لابن الجوزي، ١٥/٢٤٧ ـ ٢٤٩، والبداية لابن كثير، ١٢/٣١٧.

(٣) لكن أين يقع كفر عاشق أسلم مما سطّره صاحب «الأزقة المهجورة» متبجحاً بكفره البواح على لسان عاشقته حين تقول له: «أنا أعبدك يا هشام، والعبد لا يشرك مع معبوده شيئاً» ثم تقول له: «إذاً أنت ربي .. ترحمني وتعذبني ألا تعلم أني أعبد كل ذرة فيك» رواية الشميسي، ص ١٦٤ ـ ١٧١؟ وإذا كانت مقالة عاشق أسلم ردة وخروجاً عن الملة، فإن ما سوّده كاتب هذه الرواية ردة مغلظة ومحاربة لله ورسوله، وإفراط في العداوة والطعن في دين الله، وصاحب هذه الردة المغلظة لا يسقط عنه القتل ـ وإن تاب ـ بعد القدرة عليه.. كما حرره شيخ الإسلام في الصارم المسلول، ٣/٦٩٦، وأما المناقشة فقد لا تجدي كما يجدي إجراء حكم الردة، وكما قال ابن العربي ـ رحمه الله ـ عن كفر هؤلاء الزنادقة بأنه «كفر بارد لا تسخنه إلا حرارة السيف فأما دفء المناظرة فلا يؤثر فيه» العواصم من القواصم، ص ٢٤٧.

(٤) انظر تفصيل القصة في البداية لابن كثير، ١١/٦٤.

(٥) انظر ذم الهوى، لابن الجوزي، ص ٤٠٩.

(٦) انظر تفصيل قصته في المنتظم لابن الجوزي، ١٠/٧١.

(٧) روضة المحبين لابن القيم، ص ٣٧٤.

(٨) فكر ومباحث، ص ١٢٢.

وها هي قبور الأموات إذا بُني عليها وأُسرجت وزُيِّنت أورثت تأليهاً لأولئك المقبورين، فكيف ببهرجة الأحياء من ذوي النفوذ والتأثير ورسومهم؟!

وكما قال العلامة الشوكاني ـ رحمه الله ـ في أثر بناء القبور وتزيينها: «إن الجاهل إذا وقعت عينه على قبر من القبور قد بنيت عليه قبة فدخلها، ونظر على القبور الستور الرائعة والسرج المتلالئة، وقد سطعت حوله مجامر الطيب، فلا شك ولا ريب أنه يمتلئ قلبه تعظيماً لذلك القبر، ويضيق ذهنه عن تصور ما لهذا الميت من المنزلة، ويدخله من الروعة والمهابة ما يزرع في قلبه العقائد الشيطانية»(١).

ومن أسباب تأليه البشر: إلغاء دور العقل وطمسه عن التأمل والتفكر، ولمّا غلب على المتصوفة ـ وكذا غلاة الشيعة ـ تحجيم العقل وإهماله استحوذ عليهم تقديس البشر وتأليههم.

إن تحرير العقل من رق تقديس الأشخاص إنما يكون بالتفكر وإمعان النظر والتأمل، والحذر من وصاية الآخرين وهيمنتهم، وعدم قبول الدعاوى إلا ببينة وبرهان.

ولذا فإن المجتمعات التي يعمها الجهل وتقليد الآخرين والتبعية العمياء تكون ذليلة منقادة لكل ناعق، كما وصف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ هذا الصنف بقوله: «همج رعاع أتباع كل ناعق، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق»(٢).

ولابن هبيرة كلام جميل في شأن التدبر والتأمل وخطر وثنية التقليد؛ حيث قال ـ رحمه الله ـ: «ومن مكايد الشيطان: تنفيره عباد الله من تدبر القرآن؛ لعلمه أن الهدى واقع عند التدبر، فيقول: هذه مخاطرة، حتى يقول الإنسان: أنا لا أتكلم في القرآن تورعاً. ومنها أن يقيم أوثاناً في المعنى تعبد من دون الله، مثل أن يَبين الحقُّ، فيقول: ليس هذا مذهبنا، تقليداً للمعظَّم عنده، قد قدَّمه على الحق»(٣).

وتحدّث الكواكبي عن التلازم بين استبداد المتألهين وبين الجهل وإهمال العقل فكان مما قاله: «بين الاستبداد والعلم حرب دائمة وطراد مستمر، يسعى العلماء في تنوير العقول ويجتهد المستبد في إطفاء نورها، والطرفان يتجاذبان العوام. ومن هم العوام؟ هم أولئك الذين إذا جهلوا خافوا، وإذا خافوا استسلموا». العوام هم قوت المستبد وقوته، بهم وعليهم يصول ويطول، يأسرهم فيتهللون لشوكته، ويغصب أموالهم فيحمدونه على إبقاء حياتهم، ويهينهم فيثنون على رفعته، ويغري بعضهم ببعض فيفتخرون بسياسته، وإذا سرف في أموالهم يقولون: كريم، وإذا قتل منهم ولم يمثِّل يعتبرونه رحيماً.

والحاصل أن العوام يذبحون أنفسهم بأيديهم بسبب الخوف الناشئ عن الجهل والغباوة، فإذا ارتفع الجهل وتنور العقل زال الخوف».

---

(١) شرح الصدور بتحريم رفع القبور، ص ١٧.

(٢) جامع بيان العلم وفضله، ٢/١١٢، وقال الحافظ ابن عبد البر عن هذا الأثر «وهو حديث مشهور عند أهل العلم يستغنى عن الإسناد لشهرته عندهم.

(٣) ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب، ٣/٢٧٣.

- إلى أن قال - : «والخلاصة أن الاستبداد والعلم ضدان متغالبان، فكل إدارة مستبدة تسعى جهدها في إطفاء نور العلم، وحصر الرعية في حالك الجهل، والعلماء الحكماء الذين ينبتون أحياناً في مضايق صخور الاستبداد يسعون جهدهم في تنوير أفكار الناس. والغالب أن رجال الاستبداد يطاردون رجال العلم وينكلون بهم»[1].

ومن أسباب تأليه البشر وبواعثه: الطاعة العمياء والاستجابة المطلقة للمتألهين؛ وإنما استكبر من استكبر من الفراعنة والجبابرة لأنهم وجدوا من الرّعاع من يسارع إلى إجابة أهوائهم وإطاعة نزواتهم دون بصر أو حذر فعتوا في الأرض وعلوا علواً كبيراً.

وفساد الأديان الأولى جاء من طراوة الأتباع في أيدي رؤسائهم، وتحولهم مع مبدأ السمع والطاعة إلى أذناب مسيَّرة لا فكر لها ولا رأي.

إن الفراعنة والأباطرة تألهوا؛ لأنهم وجدوا جماهير تخدمهم بلا وعي.

والأحبار والرهبان والبابوات تألهوا كذلك؛ لأنهم وجدوا رعايا تمنحهم الثقة المطلقة وتلغي وجودها الأدبي أمام ما يصدرون من أحكام، والشعوب التافهة في كل زمان ومكان هي التي تصنع المستبدين وتغريهم بالأثرة والجبروت»[2].

ومن ثم فينبغي الاعتناء بضوابط الطاعة وشروطها؛ فإن الطاعة العمياء والاستجابة المطلقة للحكام لا تقل ضرراً وفساداً عما يضادها من الطيش والفوضى دون طاعة لحاكم أو أمير.

ومن تلك الضوابط: أنه لا طاعة مطلقة إلا للرسل - عليهم السلام - فليس من المخلوقين من أمره حتم بإطلاق إلا الرسل عليهم السلام.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الصدد: «من نصب إماماً فأوجب طاعته مطلقاً اعتقاداً أو حالاً فقد ضل في ذلك كائمة الضلال الرافضة الإمامية؛ حيث جعلوا في كل وقت إماماً معصوماً تجب طاعته، فإنه لا معصوم بعد الرسول، ولا تجب طاعة أحد بعده في كل شيء»[3].

ومن هذه القيود: أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، كما في قصة سرية عبد الله بن حذافة - رضي الله عنه - عندما أمر أصحابه بأن يوقدوا ناراً ويدخلوها؛ فلما بلغ ذلك النبي ﷺ قال: «لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً؛ إنما الطاعة في المعروف»[4].

ومما قاله ابن القيم في شأن تلك الحادثة: «وإن كانوا مطيعين لولي الأمر فلم تدفعهم طاعتهم لولي الأمر معصيتهم لله ورسوله؛ لأنهم قد علموا أن من قتل نفسه فهو مستحق للوعيد؛ فإذا كان هذا حكم من عذب نفسه طاعة لولي الأمر، فكيف من عذّب مسلماً لا يجوز تعذيبه طاعة لولي الأمر.

---

(١) طبائع الاستبداد، ص ٤٩، ٥١، ٥٣ = باختصار.

(٢) من معالم الحق، لمحمد الغزالي، ص ٢٣٨، ٢٣٩ = باختصار.

(٣) الفتاوى، ١٩/٦٩.

(٤) رواه البخاري، ح/ ٧١٤٥.

وأيضاً فإذا كان الصحابة المذكورون لو دخلوها لما خرجوا منها مع قصدهم طاعة الله ورسوله بذلك الدخول، فكيف بمن حمله على ما لا يجوز من الطاعة الرغبةُ والرهبة الدنيوية؟»[1].

ومن ضوابط الطاعة أنه ليس للسلطان أن يلزم بمسائل الاجتهاد إن لم يكن معه دليل من كتاب أو سنة، وقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية هذه المسألة في مناظرته خصومه بشأن العقيدة الواسطية، كما قررها أثناء محنته في مصر سنة ٧٠٦ هـ كما في مقدمة كتابه التسعينية. يقول - رحمه الله -: «وأما إلزام السلطان في مسائل النزاع بالتزام قول بلا حجة من الكتاب والسنة فهذا لا يجوز باتفاق المسلمين، ولا يفيد حكم حاكم بصحة قول دون قول في مثل ذلك.

- إلى أن قال -: ومما يجب أن يُعلم أن الذي يريد أن ينكر على الناس ليس له أن ينكر إلا بحجة وبيان؛ إذ ليس لأحد أن يلزم أحداً بشيء، ولا يحظر على أحد شيئاً بلا حجة خاصة إلا رسول الله ﷺ المبلِّغ عن الله»[2].

ومن أسباب تأليه البشر: غلبة أرباب الاستبداد وهيمنة أهل العلو في الأرض والفساد، وإنهاكهم في البغي والعدوان، واستفحال قمع النفوس وإتلافها.

وقد خلّف ذاك الاستبداد والطغيان ثماراً نكدة في حياة الناس، فعمّ الجبن والمهانة والذل والاستكانة، فراج سوق النفاق، وأُهدرت الحريات، وشُلّت الطاقات، ونُهبت خيرات البلاد.

إن «الحكم الاستبدادي تهديم للدين وتخريب للدنيا؛ فهو بلاء يصيب الإيمان والعمران جميعاً.

وهو دخان مشؤوم الظل تختنق الأرواح والأجسام في نطاقه حيث امتد فلا سوق الفضائل والآداب تنشط، ولا سوق الزراعة والصناعة تروج!!

إن المستبدين ينبتون في مناصبهم نبتاً شيطانياً لا توضع له بذور، ولا تحف به رعية، ولا تشرف عليه موازنة أو مشورة!

وعندما يوضع رأس فارغ على كيان كبير فلا بد أن يفرض عليه تفاهته، وأثرته، وفراغه.

بل تمادى المستبدون في كبت الحريات، حتى نهوا عن ذكر عمر الفاروق - رضي الله عنه -[3]. فقال أحدهم: أنهى عن ذكر عمر؛ فإنه مرارة للأمراء مفسدة للرعية[4].

وذلك لما اشتهر به عمر الفاروق - رضي الله عنه - من تمام الإحسان إلى الرعية، والقيام بحقوقها والرفق بهم، وإكرامهم والشفقة عليهم.

ومن ذلك أنه كتب إلى أمراء الأجناد: «لا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تحرموهم فتكفِّروهم، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم»[5]، كما فرض عمر عطاءً لكل مولود في الإسلام[6].

---

(١) زاد المعاد، ٣/٦٩.

(٢) مجموع الفتاوى، ٣/٢٤٠، ٢٤٥.

(٣) الإسلام والطاقات المعطلة، لمحمد الغزالي، ص ٥٠.

(٤) انظر البداية لابن كثير، ٩/٦٦، ١١٩.

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات، ٢/٢٨١.

(٦) أخرجه ابن سعد في الطبقات، ٢/٣٠١.

وكان يقول: «والله لأزيدن الناس ما زاد المال، لأعدنّ لهم عدّاً؛ فإن أعياني كثرته لأحثونّ لهم حثواً بغير حساب؛ هو مالهم يأخذونه»(١).

وكان يقول: «لو مات جمل ضَياعاً على شط الفرات لخشيت أن يسألني الله عنه».

وقد كشف ابن خلدون عن عواقب الاستبداد والطغيان وما يخلفه من الضيم وذهاب المنعة وضعف الأمم وفنائها فكان مما كتبه: «وأما إذا كانت المَلَكة وأحكامها بالقهر والسطوة والإخافة فتكف حينئذ من سَوْرة بأسهم وتُذهِب المَنَعة عنهم».

وأما إذا كانت الأحكام بالعقاب فمُذهِبة للبأس بالكلية؛ لأن وقوع العقاب به ولم يدافع عن نفسه يكسبه المذلة التي تكسر من سَوْرة بأسه بلا شك.

ـ إلى أن قال ـ: والأمة إذا غُلبت وصارت في ملك غيرها أسرع إليها الفناء، والسبب في ذلك ـ والله أعلم ـ ما يحصل في النفوس من التكاسل إذا مُلِك أمرها عليها وصارت بالاستعباد آلة لسواها وعالة عليهم، فيقصر الأمل ويضعف التناسل.

ثم قال: وفيه ـ والله أعلم ـ سر آخر وهو أن الإنسان رئيس بطبعه بمقتضى الاستخلاف الذي خُلِقَ له، والرئيس إذا غُلب على رياسته وكُبِحَ عن غاية عزه تكاسل حتى عن شِبَع بطنه وريِّ كبده، وهذا موجود في أخلاق الأناسي»(٢).

وتحدث ابن خلدون عن تأثير المغارم والضرائب في وقوع الذل والهوان فقال: «إن في المغارم والضرائب ضيماً ومذلة لا تحتملها النفوس الأبية، إلا إذا استهونته عن القتل والتلف، وإن عصبيتها حينئذ ضعيفة عن المدافعة والحماية، ومن كانت عصبيته لا تدفع عنه الضيم فكيف له بالمقاومة والمطالبة وقد حصل له الانقياد للذل، والمذلة عائقة؟

هذا إلى ما يصحب ذل المغارم من خلق المكر والخديعة بسبب ملكة القهر»(٣).

إن إباءة الضيم خلق مجيد، وخصلة نابعة عن العزة والشجاعة، ولذا فهي حاجز منيع تجاه الاستبداد والطغيان، فما أجمل أن يأبى أحدنا الضيم ـ لنفسه أو أهله أو أمته ـ فيكره الظلم والاضطهاد والاستعباد.

لقد كان العرب في الجاهلية يأبون الضيم بكل حماسة وصلابة، ويضربون لاحتمال الضيم أبشع الأمثال وأشدها تنفيراً منه، كما قال شاعرهم:

ولا يقيم على ضيم يُراد به … إلا الأذلاّن: عَيْرُ الحي، والوَتِدُ
هذا على الخسف مربوط برمّته، … وذا يُشَجُّ فلا يرثي له أحدُ(٤)

وقد كان الإسلام وسطاً تجاه هذا الخُلُق بين الإفراط والتفريط؛ فهناك من تجاوز حد الاعتدال وأفرط في

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات، ٢/٣٠٥.

(٢) مقدمة ابن خلدون، ٢/٤٧٩، ٤٨٠، ٥١١، ٥١٢ = باختصار.

(٣) المقدمة، ٢/٥٠٣ = باختصار.

(٤) انظر رسائل الإصلاح، لمحمد الخضر حسين، ٣٧، ٣٨.

إباءة الضيم كما كان العرب في الجاهلية؛ حيث كانوا لا يكتفون بالقصاص في القتال، بل يقتلون بالواحد جماعة من الناس(١).

وأما الأنظمة الجاهلية المعاصرة المستبدة فإنها تسعى إلى استئصال هذا الخُلُق، ومسخ الشعوب إلى قطعان مذعنة، كما وصفهم الكواكبي بقوله: «المستبد يود أن تكون رعيته كالغنم دراً وطاعة، وكالكلاب تذللاً وتملقاً، وعلى الرعية أن تكون كالخيل إن خُدمت خَدمت، وإن ضُربت شَرست، وعليها أن تكون كالصقور لا تُلاعَب ولا يُستأثَر عليها بالصيد كله، خلافاً للكلاب التي لا فرق عندها أَطْعِمَتْ أو حُرمت حتى من العظام.

نعم! على الرعية أن تعرف مقامها: هل خلقت خادمة لحاكمها تطيعه إن عدل أو جار، وخلق هو ليحكمها كيف شاء بعدل أو اعتساف؟ أم هي جاءت به ليخدمها لا يستخدمها؟! والرعية العاقلة تقيد وحش الاستبداد بزمام تستميت دون بقائه في يدها لتأمن من بطشه، فإن شمخ هزت به الزمام وإن صال ربطته»(٢).

وتحدث الشيخ محمد الخضر حسين - رحمه الله - عن إباءة الضيم بكلام نفيس فكان مما قاله - رحمه الله -: «هذب الإسلام إباءة الضيم، وجعلها من الخصال التي يقتضيها الإيمان الصادق، فأصبحت خلقاً إسلامياً، أينما وجد الإيمان الصادق وجدت إباءة الضيم بجانبه.

ألا تقرؤون فيما تقرؤون من الكتاب المجيد قوله - تعالى -: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨]؟ ولا عزة لمن يسومه عدوه ضيماً فيطأطئ له رأسه خاضعاً.

ووقاية الأمة من مهانة الضيم تستدعي العمل لأن تكون للأمة قوتان: مادية، ومعنوية - إلى أن قال -: وأما المعنوية فبتربية النشء على خلق الشجاعة وصرامة العزم والاستهانة بالموت؛ فالأمة التي تأبى الضيم بحق هي الأمة التي تلد أبطالاً وتبذل كل مجهود في إعداد وسائل الدفاع، لا يقعد بها بخل، ولا يلهيها ترف، وتفاضل الأمم في التمتع بالحرية والسلامة من أرجاس الضيم على قدر ما تلد من أبطال، وما تعده من أدوات الرمي والطعان.

متى تجمعِ القلبَ الذكيَّ وصارماً وأنفاً حمياً تجتنبْكَ المظالمُ

ومن الحِكمة أن يعمل الإنسان للتخلص من الضيم بعد شيء من التدبُّر وإحكام الرأي حتى لا تفضي به مكافحة الضيم الصغير إلى ضيم أفظع منه»(٣).

---

(١) انظر رسائل الإصلاح، لمحمد الخضر حسين، ٣٧، ٣٨.

(٢) طبائع الاستبداد، ص ٢٢، وانظر، ص ١٤٤.

(٣) رسائل الإصلاح، ص ٣٩، ٤١ = باختصار.



الشمس آية من آيات الله

عظمتها، وتسخيرها، ومنافعها، ومصيرها

إبراهيم بن محمد الحقيل

آيات الله ـ تعالى ـ في خلقه كثيرة عجيبة سواء ما كان منها في السماوات من أبراج وأفلاك ومجرات، أو ما كان منها على الأرض من عجائب النبات والحيوان والبحار والسهول والجبال، أو ما كان منها في خلق الإنسان من أجزاء جسده الكثيرة، وتعقيداتها الدقيقة. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ (٢١) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠ - ٢٢].

ولو نظرنا في الأرض وما فيها من عجائب المخلوقات من كبير وصغير، وقليل وكثير لتملكنا العجب من كثرتها وتنوعها واختلافها وتسخير بعضها لبعض، ولو حاول الإنسان أن يظهر نسبته من بين المخلوقات التي يراها على الأرض لعلم أنه لا يكاد يذكر، وأنه ذرة صغيرة من بين تلك المخلوقات. ثم لو قدر له أن يطلع على ما في الكون من أفلاك ومجرات، وأنجم وبروج ومجموعات لهاله الأمر، ولأيقن أن هذه الأرض العظيمة ببحارها وجبالها ونباتها وما فيها ومن عليها لا يكاد يساوي ذرة في هذا الكون العظيم، وما لا يعلمه البشر ولم يكتشفوه من خلق الله ـ تعالى ـ أعظم وأكثر، فيا لله! ما أعظم خلقه، وما أدق صنعه!! وما عظمة المخلوق إلا أكبر برهان على عظمة الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

ومن الآيات العظيمة التي تدل على عظمة الخالق هذه الشمس التي تشرق كل يوم فلا أجمل من شروقها، وتغرب فلا أحسن من غروبها، ينفعنا عند البرد دفؤها، وتؤذينا أثناء الحر أشعتها، وهي جزء يسير من خلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

القرآن يثبت عظمة الشمس:

خلق الله ـ تعالى ـ الشمس وبيّن قدرها فأنزل فيها سورة تتلى إلى يوم القيامة، وتكرر ذكرها في القرآن كثيراً حتى جاء في اثنين وثلاثين موضعاً.

ولأجل هذه العظمة فإن أقواماً عبدوها من دون الله ـ تعالى ـ كما قال الهدهد لسليمان ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٣، ٢٤].

إن حركة الشمس وضوءها، وإشعاعها ودفئها، وانتظامها في سيرها، وضخامة حجمها كانت ـ ولا تزال

عند البشر - مثار الدهشة، وموضع الانبهار، وما عبدها من عبدها إلا من هذا القبيل؛ ولذا جاء القرآن بالبيان أنها آية من آيات الخالق المستحق للعبادة، وأن عظمتها مهما بلغت لا توجب عبادتها بل توجب عبادة خالقها ومدبرها ومسخرها **﴿ومن آياته اللَّيل والنَّهار والشَّمس والقمر لا تسجدوا للشَّمس ولا للقمر واسجدوا للَّه الَّذي خلقهنَّ إن كنتم إيَّاه تعبدون﴾** [**فصلت**: ٣٧] وجاء الخبر في السُّنَّة أن المشركين كانوا يسجدون للشمس فنُهي المؤمن عن الصلاة قبل شروقها وارتفاعها قيد رمح وقبل غروبها وأثناء توسطها في السماء مخالفة لهم.

لقد كانت الشمس - ولا تزال - حجة داحضة، وآية ظاهرة على عظمة الخالق - جل جلاله - بذكرها أنهى إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - فصول المناظرة، وقطع حجج المخاصمة **﴿قال إبراهيم فإنَّ اللَّه يأتي بالشَّمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الَّذي كفر﴾** [**البقرة**: ٢٥٨].

وفي مناظرة أخرى له - عليه الصلاة والسلام - ذكر الشمس مما يدل على أهميتها عند البشر **﴿فلمَّا رأى الشَّمس بازغة قال هذا ربِّي هذا أكبر فلمَّا أفلت قال يا قوم إنِّي بريءٌ مِّمَّا تشركون (٧٨) إنِّي وجَّهت وجهي للَّذي فطر السَّموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين﴾** [**الأنعام**: ٧٨، ٧٩][1].

والأرقام الهائلة تدل على هذه العظمة أيضا:

بينت الدراسات الفلكية الحديثة ضخامة الشمس بالنسبة للأرض؛ حيث قدر الفلكيون أن قطر الشمس يبلغ (٨٦٥٣٨٠) ميلاً بينما قطر الأرض (٧٩١٣) ميلاً: فهي أكبر من الأرض بنحو مليون وثلاثمائة ألف مرة، وكتلتها تعادل (٣٣٣٠٠٠) مرة من كتلة الأرض وتعادل جاذبيتها ضعف جاذبية الأرض (٢٨) مرة، وتتكون من غازين أساسين هما: الهيدروجين والهليوم ونسبتهما (٩٨٪) وما بقي (٢٪) غازات مختلفة يتجاوز عددها سبعين عنصراً، ويقدر الهيدروجين بنسبة ٨٠٪ والهليوم (١٨٪) ويتحول الهيدروجين باندماج نووي إلى هليوم وتتحرر طاقة هائلة على شكل حرارة وأشعة وضوء، ويتحول (٤٠٠) مليون طن من الهيدروجين إلى هليوم، في كل ثانية، وتفقد في الدقيقة الواحدة (٢٥٠) مليون طن من المادة لتتحول إلى طاقة[2].

وإذا كان ما سبق من أرقام أمراً عجباً فإن ما هو أعجب منه حرارة الشمس التي لا نطيقها في الصيف ونتظلل منها ونتبرد، ونهرب منها إلى المناطق الباردة؛ هذه الحرارة الشديدة تقطع مسافة طويلة تقدر بخمسة وتسعين مليون ميل أي (١٥٠) مليون كم وهي المسافة التي بين الأرض والشمس، ولا يصل إلى الأرض من حرارة الشمس إلا واحد على مليار (١/٠٠٠ ٠٠٠ ١٠٠٠) فقط وهي النسبة المطلوبة للحياة، وما يزيد على ذلك ينكسر ويرتد بفعل الغلاف الجوي المحيط بالأرض. وللشمس نواة من الهليوم تتجاوز درجة حرارتها (٢٥) مليون درجة مئوية، تحيط بها منطقة إشعاع درجة حرارتها (١٥) مليون درجة مئوية، وتصل حرارة سطح الشمس إلى (١٠) ملايين درجة مئوية. ولإدراك معنى هذه الأرقام الهائلة لا بد من التذكير بأن الحديد الصلب

---

(١) آية البقرة جاءت في ذكر محاججة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - للذي كفر وهذا ظاهر، أما آية الأنعام ﴿فلما رأى الشمس بازغة﴾ فاختلف المفسرون في مقامها: هل كان مقام نظر أو مناظرة؟ فنقل عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه كان مقام نظر واختاره ابن جرير، وقال آخرون: إنه مقام مناظرة وأن إبراهيم - عليه السلام - تنزل مع حجج قومه ليدحضها ورجحه ابن كثير لأدلة كثيرة منها أدلة الخلق على الفطرة، وأن إبراهيم إمام الحنفاء وقد أوتي رشده فلا يعقل أن يكون عنده شك، والسياق يؤيد ذلك؛ حيث جاء في ضمن الآيات قوله - تعالى -: ﴿وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان﴾ انظر جامع البيان (٧/٢٤٧) وتفسير ابن كثير (٢/٢٤٢) عند تفسير الآية (٨٧) من سورة الأنعام.

(٢) ظواهر كونية في القرآن، لحمد فيض الله الحامدي (١١٤).

لا يحتاج إلى أكثر من (١٥٠٠) درجة مئوية ليتحول إلى سائل يجري كالماء[١].

الشمس تعبد الله ـ سبحانه وتعالى ـ:

رغم هذه الضخامة والعظمة التي اتصفت بها الشمس إلا أنها خاضعة لربها عابدة له ـ سبحانه وتعالى ـ فهي تسبِّح الله ـ تعالى ـ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] وهي أيضاً تسجد لله ـ سبحانه وتعالى ـ كل يوم تحت عرش الرحمن. قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ [الحج: ١٨] وثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال لأبي ذر ـ رضي الله عنه ـ حين غربت الشمس: «أتدري أين تذهب؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]»[٢].

وأخطأ من تأول هذا الحديث ونفى حقيقة سجودها قال ابن العربي: أنكر قوم سجودها وهو صحيح ممكن، وتأوله قوم على ما هو عليه من التسخير الدائم[٣]. وقال الحافظ ابن حجر: ويحتمل أن يكون المراد بالسجود سجود من هو موكل بها من الملائكة، أو تسجد بصورة الحال فيكون عبارة عن الزيادة في الانقياد والخضوع في ذلك[٤].

وقد أحسن الإمام الخطابي ـ رحمه الله تعالى ـ حينما قال: والخبر عن سجود الشمس والقمر لله ـ عز وجل ـ قد جاء في الكتاب؛ إلى أن قال: وليس في هذا إلا التصديق والتسليم، وليس في سجودها لربها تحت العرش ما يعوقها عن الدأب في سيرها والتصرف لما سخرت له[٥].

إذن هي تسبح الله ـ تعالى ـ وتسجد له وقد بلغت هذا المبلغ من الضخامة والعظمة ولم تستنكف عن عبادة الله ـ سبحانه وتعالى ـ فلماذا يستنكف هذا العبد الضعيف عن عبادة ربه وهو مثل الذرة على الأرض التي هي أصغر من الشمس بأكثر من مليون مرة؛ فلو تأمل العاقل ذلك لعلم ضعفه وعجزه وصغره، ولأدرك شيئاً من عظمة الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ مما يدفعه إلى مزيد من الخشية والمحبة والخضوع والعبادة.

تسخير الشمس لخدمة بني آدم:

من تكريم الله ـ تعالى ـ المتتابع على بني آدم أن سخر لهم عظائم مخلوقاته؛ فهذه الشمس العظيمة مسخرة لهؤلاء البشر الضعفاء، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ [النحل: ١٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُم مِّن كُلِّ

---

(١) القرآن وعلوم العصر، لإبراهيم فواز عراجي (٣٩) وانظر كتاب: مع الله في السماء للدكتور أحمد زكي (١٤٦) والعالم الفلكي لسيمون (٣١٥).

(٢) أخرجه البخاري في بدء الخلق (٣١٩٩) والتفسير (٣٨٠٢ ـ ٣٨٠٣) والتوحيد (٧٤٢٤ ـ ٧٤٣٣) ومسلم في الإيمان (١٥٩) والترمذي في التفسير (٣٢٢٥).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٣/٩١٠) عند تفسير الآية (٣٨) من سورة يس وفتح الباري لابن حجر (٨/٤٠٢) ومجلة المنار (٣٢/٧٧٢) وحاشية الأرناؤوط على جامع الأصول (٢/٣٣٣).

(٤) فتح الباري (٨/٤٠٢).

(٥) أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري (٣/١٨٩٢) حديث رقم (٩٤٠) وانظر أيضاً: تفسير الطبري (٢٣/٥) وزاد المسير لابن الجوزي (٧/١٧).

ما سألتموه وإن تعدُّوا نعمت الله لا تُحصُوها إنَّ الإنسان لظلومٌ كفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٣، ٣٤] نعم والله! لا نستطيع عدَّ نعمة الله - تعالى - علينا كما لا نستطيع عدَّ منافع الشمس التي سخرت لنا؛ فكان فيها من الفوائد ما لا يحصى؛ فالوقت إنما تمَّ ضبطه على ضوء حركتها، فغروبها ليل، وشروقها نهار، وأوقات الصلوات عرفت بالظل الذي هي سببه كما في قوله - تعالى -: ﴿ألم تر إلَىٰ ربِّك كيف مدَّ الظِّلَّ ولوْ شاء لجعله ساكنًا ثُمَّ جعلْنا الشَّمس عليه دليلاً﴾ [الفرقان: ٤٥] تضيء النهار وتبدد الظلام، وتستيقظ على شروقها الأحياء في الأرض، فتسعى في رزقها، وتكتسب قوتها، وتعم الحركة أرجاء الأرض على ضوئها ونورها، فإذا غربت خيم الظلام وعم السبات وخلدت الأحياء إلى الراحة استعداداً ليوم جديد، فلو أنها أمسكت عن المغيب فلم تغب، فكيف يرتاح الأحياء على الأرض، وكيف ينامون؟! ولو أمسكت عن الشروق فلم تشرق، فكيف يعملون ويكتسبون؟! وقد جاء لهذه المنة الكبرى ذكر في كتاب الله - تعالى - حيث امتن الله - تعالى - على عباده بتعاقب الليل والنهار حتى تستقيم الحياة على الأرض وذلك في قوله - تعالى -: ﴿قُلْ أرأيْتُمْ إن جعل اللَّهُ عليْكُمُ اللَّيْل سرْمدًا إلَىٰ يوْم الْقيامة منْ إلَٰهٌ غيْرُ اللَّه يأْتيكُم بضياءٍ أفلا تسْمعُون (٧١) قُلْ أرأيْتُمْ إن جعل اللَّهُ عليْكُمُ النَّهار سرْمدًا إلَىٰ يوْم الْقيامة منْ إلَٰهٌ غيْرُ اللَّه يأْتيكُم بليْلٍ تسْكُنُون فيه أفلا تُبْصرُون (٧٢) ومن رَّحْمته جعل لكُمُ اللَّيْل والنَّهار لتسْكُنُوا فيه ولتبْتغُوا من فضْله ولعلَّكُمْ تشْكُرُون﴾ [القصص: ٧١ - ٧٣].

والتسخير يعني التكليف بعمل بدون أجر، ومن معاني (سَخَر): جرى، فالله - تعالى - أجرى هذه الأجرام والظواهر الكونية بما فيها الشمس لتكون في خدمة مَنْ على الأرض بغير أجر ولا ثمن؛ وتلك نعمة كبرى من الخالق - جل جلاله -(١).

ولولا أن الله - تعالى - خلق الشمس وسخرها لنفع الأرض لما انتظمت الحياة فيها على ما هو مشاهد من هذا النظام البديع؛ فمن جرَّاء الشمس تحدث ظواهر في الأرض من تبخير المياه، وتحريك الرياح، مما يسبب هطول الأمطار، وانتفاع الأرض وبث الحياة فيها، والنبات والحبوب والثمار تنضج بتأثير أشعتها، وتستمد طاقتها من حرارتها، وتنتقل هذه الطاقة إلى الحيوان ثم إلى الإنسان عبر سلسلة غذائية منتظمة، وتحرق الشمس بحرارتها ما لا يُعلم من الفطريات والجراثيم التي لولا الشمس لانتشرت بسببها الأمراض والأوبئة فلا يبقى على الأرض حياة(٢).

وتقدير سيرها وبعدها عن الأرض آية أخرى، ونعمة من نعم الله الكثيرة؛ فقد قدر الله - تعالى - سيرها وجعلها منتظمة في هذا المسير لم يختل نظامها عنه يوماً من الأيام، فما تأخرت يوماً عن موعد شروقها أو غروبها، وقدر - تعالى - بُعدها عن الأرض حتى تنتفع بها ولذا يحكي الفلكيون أنها لو كانت أبعد لتجمدت الأرض ومن عليها، ولو كانت أقرب لأحرقت الأرض بمن فيها، وفي ذلك يقول الله - تعالى -: ﴿والشَّمْسُ تجْري لمُسْتقرٍّ لَّها ذَٰلك تقْديرُ الْعزيز الْعليم (٣٨) والْقمر قدَّرْناهُ منازل حتَّىٰ عاد كالْعُرْجُون الْقديم (٣٩) لا الشَّمْسُ ينبغي لها أن تُدْرك الْقمر ولا اللَّيْلُ سابقُ النَّهار وكُلٌّ في فلكٍ يسْبحُون﴾ [يس: ٣٨ - ٤٠]، إنه نظام دقيق بديع يسير وفق أمر الله - تعالى - وإرادته، لا يتقدم شيء على شيء ولا يتأخر شيء عن شيء، ليحصل من جرائه النفع، ويرتفع الضرر وفق تقدير العزيز العليم.

---

(١) ظواهر كونية في القرآن (١١٦).

(٢) انظر في ذلك: مجلة الهداية عدد ١٧٤، ص ٢٥، وظواهر كونية في القرآن (١١٥).

ومن عجائب الشمس مع الأرض أن لها في الأرض مشارق ومغارب كثيرة، ففي كل لحظة لها مشرق ومغرب كما قال الله - تعالى -: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (40) عَلَى أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [المعارج: 40، 41].

علاقة الشمس باليوم الآخر:

إن للشمس ارتباطاً وثيقاً بيوم القيامة ولهذا فمواقفها في ذلك اليوم متعددة:

الموقف الأول: بما أن الشمس علامة في الكون ظاهرة يراها كل البشر، كان اختلالها عن نظامها المعهود علامة على إيصاد باب التوبة، وآية على قيام الساعة، وانتهاء التكليف؛ وذلك بطلوع الشمس من مغربها؛ حيث روى معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»(1) وفي حديث آخر قال - عليه الصلاة والسلام -: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت من مغربها؛ ورآها الناس آمنوا جميعاً؛ فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل»(2).

ويبدو أنه يسبق طلوعها من مغربها ليلة طويلة جداً كما هو ظاهر في حديث أبي ذر السابق في قصة سجودها تحت العرش؛ إذ جاء فيه أمرها بالرجوع وعدم الإذن لها بالطلوع، والرجوع يحتاج وقتاً قدر وقت المجيء مما يدل على أن الليلة التي تسبق طلوعها من مغربها تعدل ليلتين أو أكثر، وقد ذكر الحافظ ابن حجر - رحمه الله - حديث عبد الله بن أبي أوفى وفيه: «تأتي ليلة قدر ثلاث ليال لا يعرفها إلا المتهجدون، يقوم فيقرأ حزبه، ثم ينام، ثم يقوم فيقرأ، ثم ينام؛ فعندها يموج الناس بعضهم في بعض، حتى إذا صلوا الفجر وجلسوا فإذا هم بالشمس قد طلعت من مغربها فيضج الناس ضجة واحدة حتى إذا توسطت السماء رجعت». وعند البيهقي في البعث والنشور من حديث ابن مسعود نحوه: «فينادي الرجل جاره: يا فلان! ما شأن الليلة؟ لقد نمت حتى شبعت وصليت حتى أعييت»(3).

الموقف الثاني: مصير الشمس بعد انتهاء العالم، وانقضاء الدنيا حيث تُكَوَّر وتصاحب القمر إلى نار جهنم كما قال - تعالى -: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: 1]، وقال - تعالى -: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (7) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (8) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة: 7 - 9]، وروى أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «الشمس والقمر مكوَّران يوم القيامة»(4)، وفي رواية: «الشمس والقمر نوران يكوَّران في النار يوم القيامة، فقال الحسن: وما ذنبهما؟ فقال أبو سلمة: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول: وما ذنبهما؟!»(5) قال الإسماعيلي: لا يلزم من جعلهما في النار تعذيبهما؛ فإن لله - تعالى - في النار ملائكة وحجارة وغيرها لتكون لأهل النار عذاباً وآلة من آلات العذاب وما شاء الله من ذلك فلا تكون هي معذبة(6).

---

(1) أخرجه أحمد (1/192) وأبو داود في الجهاد (2479) والدارمي في السير (2513) والطبراني في الكبير (19/387) قال الهيثمي في الزوائد: ورجاله ثقات (5/251).

(2) أخرجه أحمد (2/398) والبخاري في الرقاق (6506) ومسلم في الإيمان (157).

(3) ساق هذه الأحاديث الحافظ في الفتح كتاب الرقاق (11/362 - 363).

(4) أخرجه البخاري في بدء الخلق (3200) والبغوي في شرح السنة (4307).

(5) أخرج هذه الرواية الطحاوي في شرح مشكل الآثار (1/170) برقم (183) وعزاه الحافظ في الفتح للبزار (6/346) وعزاه الألباني للبيهقي في البعث والنشور والإسماعيلي والخطابي وصححه على شرط البخاري، انظر السلسلة الصحيحة (124).

(6) فتح الباري لابن حجر (6/346).

وأما الحكمة من ذلك فقيل: لأن الشمس والقمر خلقا من نار فأعيدا فيها[1]، وقيل: حتى يراهما من عبدهما معه في النار وهو الأقرب لقوله - تعالى -: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨، ٩٩]، ولما جاء في حديث أنس - رضي الله عنه - أن الحكمة من ذلك (ليراهما من عبدهما) قال الخطابي: ليس المراد بكونهما في النار تعذيبهما بذلك، ولكنه تبكيت لمن كان يعبدهما في الدنيا ليعلموا أن عبادتهم لهما كانت باطلاً[2].

الموقف الثالث: في عرصات القيامة؛ حيث تدنو الشمس من رؤوس الخلائق، فيتأذون من حرارتها ويصيبهم من الكرب ما يجعلهم يطلبون سرعة القضاء فيذهبون إلى أبيهم آدم من أجل الشفاعة لهم في سرعة القضاء، ثم إلى سائر أولي العزم من الرسل حتى يأتوا النبي ﷺ فيشفع لهم كما في حديث الشفاعة المشهور. وعن دنو الشمس من رؤوس الخلائق قال النبي ﷺ: «تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً. وأشار النبي ﷺ بيده إلى فيه»[3] وفي حديث آخر قال - عليه الصلاة والسلام -: «إن العَرَقَ يوم القيامة ليذهب في الأرض سبعين باعاً، وإنه ليبلغ إلى أفواه الناس وآذانهم»[4].

وقد يُشكل على بعضٍ عدم إحراق الشمس للناس في موقف العرض يوم القيامة مع هذا الدنو الذي لا يتجاوز الميل - سواء كان ميل المسافة أو ميل المكحلة - مع أنها لو اقتربت قليلاً من الأرض في الدنيا لأحرقتها ومن عليها. والحق أنه لا إشكال في ذلك؛ لأن أحوال الآخرة تختلف عن أحوال الدنيا؛ فلا تقاس عليها، ولو صح القياس عليها لكان الموت أسرع من عرق الناس إلى آذانهم وأفواههم، ومن بلوغ العرق في الأرض سبعين باعاً.

هذه هي الشمس التي نراها كل يوم، ويوشك أن يأتي اليوم الذي تتأخر فيه عن موعد شروقها لتعود مرة أخرى فتشرق من مغربها؛ فيوصد على إثر ذلك باب التوبة، ولا ينفع الندمُ مَنْ يندم، وهي التي يهرب العباد من شدة حرها في الصيف، فهلاً تذكروا قربها وحرارتها في موقف القيامة حين تستخرج العرق من الأجساد، فتسيله في الأرض حتى يبلغ الآذان والأفواه! وهلاً تذكروا ما هو أعظم من ذلك: حرارة جهنم التي لا تقضي على من فيها فيموتوا، ولا يخفف عنهم من عذابها: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

إن حرَّ الدنيا يذكِّر بحرِّ الآخرة، وإن لهب الشمس اللافح يذكِّر بلهيبها في عرصات القيامة كما يُذكِّر بحرِّ نار السعير - أجارنا الله منها والمسلمين - ولن ينجي من حرِّ ذلك اليوم سفر ولا سياحة، ولن يطفئ لهبه تبريد ولا ماء. نعم والله! لن ينجي من حرِّ ذلك اليوم ولهب شمسه، ثم زفرة ناره إلا الإيمان والعمل الصالح، والأخذ بالأسباب التي تجعل العبد في ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله، وويل لمن كان في الدنيا منعَّماً وفي الآخرة معذَّباً، فما أحسن الاعتبار في الدنيا قبل أن لا تنفع العظة في الآخرة!

---

(١) المصدر السابق (٦/٣٤٦).

(٢) السابق (٦/٣٤٦) ورجحه الألباني بقوله: وهو الأقرب إلى لفظ الحديث، انظر السلسلة الصحيحة (١/١٩٤).

(٣) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٦٤) والترمذي في صفة القيامة (٢٤٢٣).

(٤) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٦٣).



لا تنسوا كتب السلف

محمد بن عبد الله الدويش

إن الاعتناء بالقراءة وإدراك أهميتها أمر لم يعد قاصراً على طلبة العلم وحدهم؛ فالعقلاء من الناس أجمع يتفقون اليوم على ذلك، وها هي حركة النشر الواسعة تعطي دليلاً على الطلب المتزايد على الكتاب.

والنفس مفطورة على حب الجديد والميل إليه، حتى ما يقتنيه الناس من سيارات وملابس وأدوات يبحثون فيه عن آخر ما أُنتج، ولو كان ذلك على حساب الجودة. وسرت العدوى في ذلك إلى الكتاب، فأصبح الكتاب الجديد يلقى رواجاً وانتشاراً أكثر من غيره، ولهذا يحرص باعة الكتاب والناشرون على إبراز الجديد من الإصدارات والدعاية لها.

والكتاب الجديد المعاصر كُتِب بلغة العصر ونَفَس العصر، ويعالج قضايا العصر، مما يدفع القارئ إلى الميل إليه وقراءته.

وهو يتناول ـ في الأغلب ـ القضايا الساخنة والمطروحة على الساحة الفكرية أو العلمية أو الأدبية، ومن ثم فهو يتسق مع اهتمامات القارئ ويجيب عن تساؤلاته.

هذه جوانب لها صلة بمضمون الكتاب ولغته، وثمة جوانب لا تقل عنها أهمية لها صلة بالكاتب والمؤلف؛ فلئن كان القراء ينظرون إلى عنوان الكتاب وموضوعه فهم في المقابل ينظرون نظرة لا تقل عن ذلك إلى مؤلفه، والناشرون يحرصون على الظفر بالمؤلف صاحب الصيت والانتشار الواسع، ويمنحونه من الإغراءات ما لا يمنحون غيره.

إن المؤلف المعاصر يعيش بين الناس، ويتفاعل القراء معه، ويعرفه طائفة من القراء باسمه

أو بشخصه، ومن ثم فهم يُقبلون على اقتناء كتبه وقراءتها، وربما كان اسم المؤلف أعظم دافع لدى كثير من القراء إلى قراءة الكتاب من موضوعه ومضمونه.

هذه العوامل وغيرها تدفع الناس إلى الاعتناء بقراءة الجديد من الكتب والإقبال عليها، ولا اعتراض على ذلك، بل هو ضرورة لا بد منها، فلا يمكن لطالب العلم الذي يتحمل مسؤولية الإصلاح والتغيير أن يعيش خارج عصره، وثمة قضايا كثيرة هي من النوازل العلمية أو الفكرية لا بد له أن يحيط بها ويعيها.

لكن الاعتراض هو على إهمال كتب السلف ونسيان كتب السابقين؛ فنحن أمة لها امتداد وتاريخ ولسنا نبتة مجتثة في العراء.

إن كتب السلف أغزر علماً وأصدق لهجةً، ولئن أدى تطور صناعة النشر اليوم إلى أن يصبح التأليف والنشر ميداناً رحباً يتسع لطائفة كثيرة من الناس، وأن يتصدر له طائفة ممن لا يحسن، أو من الباحثين عن الصيت والشهرة فالأمر كان يختلف لدى سلف الأمة؛ فالأغلب على ما كتبه أولئك الإخلاص والصدق، وسعة العلم والاطلاع.

والسلف الصالح - رضوان الله عليهم - أسَدُّ منهجاً وأقوم طريقة؛ بل إن طالب العلم اليوم يفتخر بأنه ينتسب إلى منهجهم، ويحتج بأقوالهم وهديهم، في حين كثرت الأهواء ما بين ترخُّص وتساهل، أو جرأة على الشرع وأحكامه، أو مجاراة للواقع ولهاث وراء مسايرته.

لكننا نلحظ اليوم إفراطاً في الإقبال على الكتاب المعاصر، وإهمالاً لكتب السلف وقلة اعتناء بها، بل قد نجد تسابقاً في قراءة الكتب والروايات المنحرفة وإضاعة الأوقات فيها على حساب ما يزيد الإيمان ويحيي القلوب الميتة.

وحتى في ميدان العلم الشرعي يحظى المعاصرون باعتناء واهتمام أكثر من غيرهم، ومن أوضح الأمثلة على ذلك الاعتناء بجمع فتاوى المعاصرين ونشرها وقراءتها، وهذا أمر حسن، لكن ينبغي ألا ينسينا الاعتناء بفتاوى فقهاء السلف، وغيرهم ممن يدعِّم المعاصرون فتاويهم بآرائهم واختياراتهم، فنحن بحاجة لجمع طائفة من فتاوى علماء السلف واختياراتهم ونشرها للناس، وإبراز أولئك العلماء الأفذاذ أمام الناس الذين كادوا أن ينسوهم.

إنه من إضاعة الوقت أن نستطرد في المقارنة بين كتب السلف وكتب المعاصرين؛ فالأمر أجلى وأوضح من أن يحتاج إلى براهين.

لكنها ذكرى ووصية أوصي بها نفسي وإخواني لإعادة الاعتبار لكتب السلف، والاعتناء بها، والإقبال عليها، وإعطائها النصيب الأوفر، دون إهمال للقراءة المعاصرة.



هذا كله موجب الطباع ومقتضاه

بدر السحيل

إنك لتعجب أن ترى رجلاً عليه سَمْتُ الصالحين ووقار الأخيار، يعجبك في هديه ودلّه، تراه يجالس امرأة أجنبية عنه، ربما سمعتَ منها ضحكاتٍ صاخبة أو قولاً خاضعاً، هيئتها لا تسر الناظرين. سترت القبيح من نفسها وأظهرت الجميل.

ثم أنتقل بك إلى صورة أخرى لا تقلُّ عجباً عن تلك تجعلك أمام كمٍّ من الأسئلة : رجل قد أعفى لحيته، واتبع السنة في ظاهره، إذا بك تراه مرّة جالساً مع بعض قرابته أو زملائه يشاهدون فيلماً أجنبياً على شاشة التلفاز - ولا يخفى عنك ما فيه - ولا ينتهي بك العجب ههنا؛ فالرجل ينظر بتفاعل، ويتابع بتلذذ، ويشارك في الحديث عمن يسمونهم أبطالاً لتلك الأفلام، وكأن الرجل صاحِب دراية قد اعتاد ذلك وآلفه.

وما هاتان الصورتان غير مثال وإشارة إلى كثير من المشاهد التي على شاكلتهما تثير الدهشة والعَجَب. قوم يتدثَّرون بلباس غيرهم في مفارقة بين القول والعمل ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [**الأعراف** : ٢٦].

ولْنَعُد إلى المثالين السابقين.

الأول : رجل صالح - نحسبه والله حسيبه - اضطرته ظروف عمله أن يخالط تلك المرأة الساعات الطوال؛ فهي زميلة عمل، وكثيراً ما ترى هذا في المستشفيات ونحوها؛ ولكن هل المشهد الذي رأيته في هذه الصورة حدث عند أول لقاء عمل؟ الجواب : لا؛ فقد بلغ به الضيق مبلغه في أول الأمر، لكنها طبيعة العمل؛ فكان حريصاً على غض بصره، وألاّ يتكلم إلا بقدر الحاجة. وكذلك كانت زميلته على جانب من الحياء والستر؛ فالرجل ذو هيبة ووقار.

المثال الثاني : هو من الدعاة إلى الله - عز وجل - يتجول في حقول الدعوة يجاهد بقاله وحاله؛ سلاحه قلمه ولسانه، وينتهي به التجوال إلى منزل أهله أو مجلس قرابته أو منتجع زملائه، وهنا ينسى وظيفته ويلقي سلاحه، إنهم يرغبون أن ينظروا إلى التلفاز في مجلسهم والداعية إلى الله أجلُّ من أن تكون له فيه رغبة، ولكن لا بد من اللقاء والأنس. فكان كلما حضر مجلسهم؛ أغلقوا التلفاز أدباً. ثم تتتابع المجالس وتأخذ دورتها مع الأيام، فيرغب بعضٌ في فتح الجهاز؛ فمن أراد المشاهدة ينظر، ومن لم يرد فلا. ثم بعد ذلك بمدّة تكون خطوة أخرى برفع مستوى الصوت في بعض البرامج كالفقرات الإخبارية فقط، ثم تتلوها المباريات الرياضية. ومع اعتياد ذلك يتتابع التردي في خطوات الشيطان ليُسمح أو يُتَسامَح في رفع مستوى الصوت وخفضه عند مشاهد مثيرة في أفلام ومسلسلات! فكان ينظر لا إرادياً استجابة لشدة تفاعل جلسائه مع لقطة مباراة، ثم يغض بصره سريعاً وينظر ثانية استجابةً لتفاعل آخر لإثارة الفيلم. وهكذا حتى أصبح يسارق النظرات تلو

النظرات، ثم يستجيب لتلك المثيرات، ومع توالي الأيام وصل الأمر إلى ما رأيت.

أيها القارئ الكريم! لا تظن أن هذا المقال كتابة ناقد أو نقدُ كاتب؛ بل هو بث محزون وخلجات محب، عجب مما عجبتَ منه، وآلمه ما رأيتَ فكان هذا المقال انبعاثاً من قوله ﷺ: «المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كُلُّه، وإن اشتكى رأسه اشتكى كُلُّه»(1) وقوله: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثَلُ الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(2).

فليس ثمة إلا تداعي الجسد لعضو من أعضائه.

ولعلاج ذلك العضو الشاكي لا بد من تشخيصٍ دقيق للداء الذي أصابه؛ فإذا كان كافة المؤمنين هم الجسد فإن أعيانهم هي الأعضاء، وبمجموعهم يتكوّن جسد الأمة؛ لذا أحببت أن يكون ما تقدم من أمثلة نموذجاً لعضو أو بعض من هذا الجسد أصابه الداء نسترشد في تشخيصه بأنوار الوحي «فكل الصيد في جوف الفَرَا»(3).

عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الحلال بيّن وإن الحرام بيّن، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثيرٌ من الناس؛ فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملكٍ حمى، ألا وإن حمى الله محارمه»(4). قال ابن رجب - رحمه الله -: فجعل النبي ﷺ مَثَلَ المحرمات كالحمى الذي تحميه الملوك ويمنعون غيرهم من قربانه، والله - عز وجل - حمى هذه المحرمات ومنع عباده من قربانها وسماها حدوده فقال - سبحانه -: ﴿**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا**﴾ [**البقرة**: ١٨٧] وهذا فيه بيان أنه حدَّ لهم ما أحل لهم، وحدَّ لهم ما حرم عليهم، فلا يقربوا الحرام ولا يتعدوا الحلال؛ ولذلك قال في آية أخرى: ﴿**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [**البقرة**: ٢٢٩]. وجعل من يرعى حول الحمى وقريباً منه جديراً بأن يدخُل الحمى ويرتع فيه، وفي هذا إشارة إلى أنه ينبغي التباعد عن المحرمات وأن يجعل المسلم بينه وبينها حاجزاً»(5) فنبه - رحمه الله تعالى - على هذه الإشارة النبوية إلى الدواء المتضمن لبيان الداء؛ فإن كان الدواء التباعد عن المحرمات فإن الداء في التقارب منها «يرعى حول الحمى» ألا ترى أن المحرَّم هو ما بداخل الحمى، وما حوله حلال، ولكن «يوشك أن يرتع فيه» فالرَّعيُ حول الحمى ذريعة موصلة إلى رعي الحمى نفسه.

إن في دلالة الحديث على الداء «التقارب من المحرمات» معانيَ لطيفة؛ ذلك أن الشارع إذا نهى عن معصية وزجر عنها أوجب ذلك على المسلم نفرة ووحشة من هذه المعصية «الحمى» فكلما كان بعيداً عن الحمى كانت النفرة والوحشة أبلغ، والزجر قد أخذ مأخذه؛ وذلك أن طبائع النفوس البشرية تألف ما تقاربت منه وتعتاده، وتزول بينها وبينه كل الحواجز وتتكسر العوائق، فتضعف في النفس زواجر الوعيد وقوارع التهديد بسبب الإلف والاعتياد الذي هو أثر المقاربة للمحرمات.

---

(1) رواه مسلم، ح/٤٦٨٦.

(2) رواه مسلم مع شرح النووي، (١٦/٣٥٦).

(3) الفَرَا: حمار الوحش. وهو مثل يضرب لمَا يُغني عن غيره.

(4) رواه مسلم، ح/٢٩٩٦.

(5) جامع العلوم والحكم (٢٠٨) بتصرف.

ولتستبين أن الداء هو التقارب من المحرمات (الحمى) وأثره المترتب عليه فانظر إلى أثر التقارب في النفوس البشرية وما تقاربت منه وإن كانت لا تحبه، بل قد يكون خطيراً عليها.

ألا ترى إلى ساكن البادية قد أَلِفَ المبيت بها بين دوابها وهوامّها. بينما لو أتينا بساكن المدينة ليبيت ليلة في البادية لكثرت عليه الخواطر: يفزعه كل صوت يسمعه، يتخيل دواب الأرض وعقاربها وأفاعيها تحيط به من كل جانب، يستحضر قوة سمومها وسرعة نفوذها، فلا يكتحل طرفه بمنام. فانظر إلى أثر القرب والبعد عند كلٍ منهما. ساكن البادية لا يجهل أنها إن لدغته تقتله، وقد لا يتيسر له الدواء في زمن كافٍ، ويعلم أنها خطيرة عليه وعلى صغاره الذين يعجزون عن الدفاع عن أنفسهم حتى ولو بالهرب عنها. بل كم شيَّع من جنازة قريب أو صديق كانت هذه الهوامّ سببها! ولا تعجب فكم من مرة يرى هذه الدواب ويذهب في شؤونه دون أن يتعرض لها بسوء! إنه التقارب منها وما يترتب عليه من طبيعة الإحساس بكل هذه المخاطر؛ فعينه قد اعتادت رؤيتها، وأذنه قد ألفت سماع أصواتها؛ إنه الإلف والاعتياد بسبب المقاربة. وذاك صاحب المدينة ينام قرير العين هادئ البال بعد أيام أو أسابيع من سكناه البادية.

وليتجلى لنا أثر التقارب والتباعد في غياب حرمة الحِمى وخطره وشناعة المحرمات واستشعار ذلك فإننا نتدارس هذا النص النبوي:

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «مُرُوا أولادكم بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها لعشر سنين، وفرِّقوا بينهم في المضاجع»[1].

إن شطر الحديث الأول يرشد إلى أن التقارب من الصالحات سبيل إلى إلفها واعتيادها وترويض النفس على قبولها والمداومة عليها، فإذا بلغ الصبي سبع سنين فإنه يؤمر بها فتألف أذنه الأمر بها؛ إذ يتكرر عليه ذلك خمس مرات في اليوم والليلة، وتعتاد قدماه المشي إلى المساجد، وترى عينه المصلين يترددون إلى المسجد. يرى المصلين صفوفاً يتقدمهم الإمام. يتكرر هذا لمدة ثلاث سنوات، وهذه السنوات الثلاث تعد مرحلة أولية تهيئةً لما بعدها. ثم المرحلة الثانية «واضربوهم عليها لعشر سنين» وفي هذه المرحلة يكون الصبي قد اعتاد الصلاة وأصبح لديه تصور مجمل لهيئتها وعدد مراتها والتمييز بين الفروض، وتكون هذه المرحلة أكثر حزماً؛ فإن فيها أمراً زائداً عن مجرد الأمر بالصلاة: «واضربوهم». وتستمر هذه المرحلة إلى سن البلوغ. فهذه قرابة ثماني سنوات تشكِّل دورة تدريبية في التقارب مع هذه الطاعة، فيألفها ويعتادها ويحبها بسبب تقريبه منها ومن أهلها كما مر بك. فإذا أُعلِم بها وبمكانتها في الإسلام عند جريان قلم التكليف عليه سهل عليه القيام بها بخلاف من لم يُراعَ في حقِّه هذا الإرشاد النبوي.

وفي شطر الحديث الثاني قوله ﷺ: «وفرِّقوا بينهم في المضاجع» انظر إلى لطيف الإشارة النبوية في تحديد وقت التفريق في المضاجع عند سن العاشرة بين الأبناء والبنات؛ ففي هذه السن تكون بعض البنات قد بلغن سن الرشد أو قارين البلوغ[2]؛ وإن لم يكن فلا أقل من تغيُّر جسمها وهيئتها عن جسم الصبية.

وقد جرت عادة الناس أن يتخذوا لنومهم ملابس لها خصوصيتها من خفة وشفافية وقد تكون مجسِّمة (كالبجامة)، وما كان هذا وصفه من اللباس من حيث الشفافية أو التجسيم أو كشف أجزاء من البدن لا يكون

---

(١) المسند (٦٧٥٦)، قال أحمد شاكر: صحيح.

(٢) ولا يخفى عنك دخول النبي ﷺ بعائشة - رضي الله عنها - وهي بنت تسع سنين.

ساتراً للعورة. وقد ينكشف الغطاء أثناء النوم فتبدو العورات، فإن لم يكن التفريق في المضاجع انكسر حاجز الحياء، وضعفت الاستجابة للأمر والنهي في حفظ العورة وسترها. وذلك كله بسبب الاعتياد والإلف لتكرار هذا المشهد نتيجة المقاربة والمجاورة، بل قد يتعدى الأمر إلى أبعد من ذلك وأخطر. فهذا صاحب كتاب «مسؤولية الأب المسلم» يضمِّن كتابه مبحثاً عن الانحرافات الجنسية عند الأطفال: فإذا به يتعرض للحديث الذي نحن بصدد دراسته فيقول: «ولا بد من التفريق بين الأولاد عند النوم خاصة بينهم وبين البنات؛ فإن كثيراً من الانحرافات الجنسية المبكرة يعود سببها إلى إهمال التفريق بين الأولاد في المضجع، ونومهم مع الأبوين في غرفة واحدة. ويكون ذلك بتخصيص غرفة للأولاد، وأخرى للبنات، وثالثة للأبوين، مع استقلال كل طفل بغطاء يخصه فينبغي عدم المشاركة في الغطاء»[1] فانظر إلى لطيف الإشارة: «وفرقوا بينهم في المضاجع».

وإلى دليل آخر من الوحي:

إن الإسلام يُرغِّب في النكاح ويحث عليه؛ ولأن الأسرة لَبِنَةٌ في بناء صرح الأمة فإن الإسلام يحافظ عليها من أن تُهدم، ويجعل سياجاً منيعاً من الترغيب والترهيب يطوقه علاقة الزوجين ببعضهما: لتشتد هذه اللبنة: فيبدو صرح الأمة شامخاً. فعندما يحدث خلاف بين الزوجين فإن الشرع قد وضع مراتب لتأديب الزوجة. ومحل الشاهد من ذلك مرتبة الهجر: حيث شرع الله ـ تعالى ـ أن يكون الهجر في المضجع فحسب: لأن البعد شأنه أن يزيد من اتساع الفجوة بينهما، فشرع الهجر في المضجع: لأن القرب له أسرار منها: عدم النفرة، وسكون النفس، والصحة، والأنس.

واسمع إلى قول صاحب تفسير المنار: «لأن الاجتماع في المضجع هو الذي يهيج شعور الزوجية فتسكن نفس كل واحد منهما إلى الآخر ويزول اضطرابهما الذي أثارته الحوادث قبل ذلك. فإذا هجر الزوج زوجته وأعرض عنها في هذه الحالة احتمل أن يدعوها ذلك الشعور والسكون النفسي إلى سؤاله عن السبب، ويهبط من نشز المخالفة إلى مستوى الموافقة»[2].

سبحان الله! إن المقام مقام تأديب وبنوع من التأديب فيه حزم وشدة، ومع ذلك يرشد الشارع بأن يكون الهجر مقيداً بالمضجع، وذلك لما فيه من المقاربة من المعاني التي سقناها، فتتبدل المخالفة إلى الموافقة في أكثر الأحيان.

ثم إن لم تحصل الموافقة وحصل الطلاق، فإن كان رجعياً فإنه يجب عليها أن تمكث مدة عدتها في بيتها لا تخرج منه، كما لا يحق للزوج أن يخرجها قال ـ تعالى ـ: ﴿ **لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ** ﴾ فتأمل كيف أن الشارع أمر الزوج بعدم إخراجها وأمرها بعدم الخروج؛ وذلك مدة العدة وقدرها ثلاثة قروء، ثم تأمل قوله ـ سبحانه ـ بعد ذلك: ﴿ **لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا** ﴾ ففي ذلك حكمة لطيفة؛ حيث إن الشارع أشار إلى أن بقاء الزوجة في بيتها قريبة من زوجها من أقوى عوامل المراجعة. وذلك أن في القرب أسراراً فيراها وتراه، ويحن لها وتحن له، فتتحرك في النفس كوامن الرحمة والمودة والعطف، ولهذه المقاربة دور في إبعاد النفرة وتسكين الألفة بدلاً منها، وإلى هذا المعنى الموجود في التقارب بين الزوجين وعدم المفارقة

---

(١) مسؤولية الأب المسلم، أعدلوا. عدنان حسن باحارث (٦٤٣).

(٢) نقلاً عن مفصل أحكام المرأة، للدكتور عبد الكريم زيدان (٧/ ٣١٥).

زمن العدة إن كان الطلاق رجعياً نجد الإشارة إلى ذلك في قوله - تعالى - : ﴿لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق : ١]. وكما أن الرجعة تكون بالقول فهي أيضاً تكون بالفعل(١). هذه الحكمة بما فيها من معان تكون متعذرة إذا كانت الزوجة خارج بيتها بعيدة عن زوجها.

وإلى شاهد آخر من السنة النبوية يقرر أثر التقارب والتباعد في النفوس البشرية :

عن جرير بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين؛ لا تراءى نارهما»(٢).

وعنه أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ : «أبايعك على أن تعبد الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتناصح المسلمين، وتفارق المشرك»(٣).

فانظر - رعاك الله - إلى أي مدى من الخطورة يُشعر بها هذا الحديث في الإقامة بين المشركين والقرب منهم؛ بل انظر إلى الدقة في الحرص على قطع جميع العلائق حتى ما كان منها بالاتصال البصري «تراءى نارهما» ذلك أن هذا الأمر يفضي إلى ما قدمناه من الألفة والأنس به والتطبع على مقاربته، ويزيل من النفس الوحشة والنفرة من المشرك ومعاداته على سبيل المسارقة والتدرج، بل قد يفضي به إلى مودته لما قد يتصف به من حسن خُلُقٍ وطيب معشر وكرم جوار، وينبهر بما لديه من تقنية أو حرفة أو علم فيحبه لذلك، ولأجل هذا القرب وما تبعه من آثار غاب عنه منافرة المشرك وبغضه واستشعار حقيقة ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾. [التوبة : ٢٨].

إذا ما علمت هذا تجلت لك الحكمة من قوله ﷺ : «لا تراءى نارهما» وما في ذلك من المبالغة في مباعدة المشرك وبغضه، ولهذا كان ﷺ يقرر ذلك في نفوس أصحابه فيقول لجرير بن عبد الله - رضي الله عنه - في بيعته، ويبايعه على «وتفارق المشرك».

ثم إلى إشراقة أخرى من أنوار الوحي فيما يرويه أبو هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أهل الغنم»(٤).

فانظر إلى أثر التقارب على كلا الفريقين. قال ﷺ من حديث أبي مسعود - رضي الله عنه - : «والجفاء وغلظ القلوب في الفدَّادين عند أصول أذناب الإبل»(٥).

قال الإمام النووي - رحمه الله - : وقوله : «عند أصول أذناب الإبل» معناه : الذين لهم جَلَبَةٌ وصياح عند سَوْقهم لها»(٦) فما كان هذا حاله من الدواب كان حرياً بمن يتولى رعيها أن يتصف بالغلظة والجفاء المكتسب من طبع هذه الدواب بخلاف حال الغنم؛ إذ قال رسول الله ﷺ لأم هانئ : «اتخذي غنماً؛ فإنها تروح بخير وتغدو بخير» (٧) و قال : «اتخذوا الغنم؛ فإنها بركة»(٨).

---

(١) المراد بالفعل هنا الجماع.

(٢) إرواء الغليل (٥/٣٠) وقال : صحيح.

(٣) صحيح الجامع (١ - ٦٨٧).

(٤) مسلم (٢، ٢٢٣، ج ١٩٠).

(٥) البخاري مع الفتح (٧/٧٠١ ح/٤٣٨٧)، مسلم (٢/ ٢١٩ / ١٧٩).

(٦) مسلم بشرح النووي (٢/٢٢١).

(٧ ، ٨) صحيح الجامع (١/٧٨).



فلما كان هذا حالها تروح بخير وتغدو بخير كان وصف أهلها « السكينة في أهل الشاء »[1] ومن أصيب بالغلظة والجفاء جديرٌ بأن يكون من أهل الفخر والخيلاء. فتدبر.

ومع كلمات نيرات لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في التشبه بالكفار نجد فيها شاهداً لما نحن بصدده فيقول - رحمه الله -: « إن الله جَبَلَ ابن آدم بل سائر المخلوقات على التفاعل بين الشيئين المتشابهين وكلما كانت المشابهة أكثر كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتم؛ ولأجل هذا الأصل وقع التأثر والتأثير في بني آدم، واكتساب بعضهم أخلاق بعض بالمعاشرة والمشاكلة. وكذلك الآدمي إذا عاشر نوعاً من الحيوان اكتسب بعض أخلاقه؛ ولهذا صار الخيلاء والفخر في أهل الإبل، وصارت السكينة في أهل الغنم، وصار الجمَّالون والبغَّالون فيهم أخلاق مذمومة من أخلاق الجمال والبغال وكذلك الكلاَّبون، وصار الحيوان الإنسي فيه من أخلاق الناس من المعاشرة والمؤالفة وقلة النفرة.

وقد رأينا اليهود والنصارى الذين عاشروا المسلمين هم أقل كفراً من غيرهم، كما رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشرة اليهود والنصارى هم أقل إيماناً من غيرهم ممن جَرَّدَ الإسلام. والمشابهة في الهدي الظاهر توجب أيضاً مناسبة وائتلافاً.

فالمشابهة والمشاكلة في الأمور الظاهرة توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنية على وجه المسارقة والتدريج الخفي »[2]، فانظر إلى تقريره - رحمه الله - كيف تورث المشابهة والمشاكلة والمعاشرة المحبة والألفة وقلة النفرة، وهل المشابهة والمشاكلة والمعاشرة إلا وسيلة تقارب بين المتشابهين والمتشاكلين والمتعاشرين فكان الأثر مترتباً عليها؟

قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: « إن المشابهة في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة وموالاة في الباطن حتى إن الرجلين إذا كانا من بلد واحد ثم اجتمعا في دار غربة كان بينهما من المودة والائتلاف أمر عظيم، وإن كانا في مِصرهما لم يكونا متعارفين أو كانا متهاجرين، وذاك أن الاشتراك في البلد نوع وصف اختصا به عن بلد الغربة. بل لو اجتمع رجلان في سفر أو في بلد غريب وكانت بينهما مشابهة في العمامة أو الثياب، أو الشعر، أو المركوب، ونحو ذلك، لكان بينهما من الائتلاف أكثر مما بين غيرهما. هذا كله موجب الطباع ومقتضاه إلا أن يمنع من ذلك دين أو غرض خاص ».

وتأمَّل صنيع البخاري - رحمه الله - في صحيحه؛ حيث جعل في كتاب الإيمان باباً أسماه « باب من الدين الفرار من الفتن » ضمنه حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: « يوشك أن يكون خيرَ مال المسلم غنم يتبع بها شَعَفَ الجبال ومواقع القَطْر، يفر بدينه من الفتن »[3].

وبعد هذه الإضاءات من النصوص الشرعية أرجو أن يزول عنك العَجَبُ وتقف على مكمن الداء، وفي ضده يكون الدواء، ولله در شيخ الإسلام! فذلك كله موجب الطباع ومقتضاه.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) صحيح الجامع (١/٦٨٧).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٤٨٧).

(٣) صحيح البخاري في الفتح (١/٨٧ / ح ١٩).



مع القرآن

دعوة أهل الكتاب إلى كلمة سواء

د. صلاح عبد الفتاح الخالدي

تنتشر في هذه الأيام «مؤتمرات» عديدة، هنا وهناك، لما يسمى بوحدة الأديان، ويحضر هذه المؤتمرات مندوبون عن مختلف الأديان المنتشرة في العالم، سواء كانت أدياناً ذات أصل سماوي، أو أدياناً أرضية، كالبوذية والهندوسية، ويشارك في هذه المؤتمرات حاخامات يمثلون الديانة اليهودية، وقساوسة يمثلون الديانة النصرانية، كما يشارك فيها «مشايخ» رسميون يمثلون الإسلام.

وتُعدُّ في هذه المؤتمرات أوراق عديدة، من قِبَلِ يهود أو نصارى أو مسلمين أو آخرين، وتُلقى محاضرات عديدة، وتعقد ندوات كثيرة، يؤكد المتحدثون فيها على «الأمور» المشتركة بين الديانات، ويطالبون بالتعاون والتنسيق بين أصحابها لتحقيق أهداف مشتركة للمشاركين والمتحدثين.

بعض ما يجري في مؤتمرات الأديان:

ويقدم ممثلو كل دين أنفسهم للمؤتمرين أنهم على حق وصواب، وأن دينهم الذي يدينون به دين صحيح مقبول عند الله، وأن أتباعه مؤمنون موحدون، وهم خالدون في الجنة في الآخرة، سواء كان ذلك الدين يهودية أو نصرانية أو هندوسية أو بوذية، أو قاديانية أو غير ذلك.

ويتعامل المؤتمرون في هذه المؤتمرات مع «الإسلام» كما يتعاملون مع أي دين آخر على قدم المساواة، ويقولون: الإسلام حق وصواب، واليهودية حق وصواب، والنصرانية حق وصواب!!!

ويوافق «المشايخ» المشاركون في هذه المؤتمرات على هذه الطروحات والأفكار، ويعلنون اعتراف الإسلام باليهودية والنصرانية، وأن هاتين الديانتين صحيحتان ربانيتان، وأن أتباعهما مؤمنون

موحدون، وأنهم على صواب، وأنهم من أصحاب الجنة، وأنهم جميعاً «أبناء إبراهيم» عليه السلام!

ويستشهد هؤلاء «المشايخ» - وغيرهم من المسلمين المتحدثين في هذه المؤتمرات - بآيات من القرآن، وبأحاديث رسول الله ﷺ، في الحديث عن التوراة والإنجيل، والحديث عن موسى وعيسى وغيرهما - عليهم الصلاة والسلام -، والثناء على مؤمني أهل الكتاب من اليهود والنصارى!!

مشاركة بعض المسلمين فيها بسذاجة أو خبث:

وبدايةً نقرر أن هذه المؤتمرات العالمية حول وحدة الأديان، وتعاون أتباعها لتحقيق السلام ومواجهة الإرهاب مؤتمرات مشبوهة يعدها ويرتب لها خبثاء ماكرون من اليهود والماسونيين والصليبيين لتحقيق أهداف اليهودية العالمية في السيطرة على العالم، واستغفال الآخرين وخداعهم.

وليست المشكلة عند الذين يرتبون لهذه المؤتمرات من اليهود والماسونيين؛ فإنهم يحققون أهدافهم الشيطانية منها، وهم يخدمون شياطينهم ومخططاتهم في ذلك؛ ولكن المشكلة عندنا هي في أولئك «المشايخ» والكتاب والمفكرين المسلمين من ذوي الأسماء اللامعة، والمراكز العالية الذين يشاركون في هذه المؤتمرات، ويسمعون كلام ممثلي الأديان الأخرى، ويوافقونهم عليه، ويقبلون أن يتعاملوا مع الإسلام كما يتعاملون مع اليهودية والنصرانية على قدم المساواة والاعتراف!!

إنهم يشاركون في هذه المؤتمرات بسذاجة وغفلة وبلاهة، وبعضهم يعرف حقيقة أهداف القائمين عليها، ويوافقهم عليها، ويشارك فيها بخبث وسوء نية!

والكلام الذي يقدمه هؤلاء المشايخ في المؤتمرات كلام باطل، وفهمهم للآيات والأحاديث التي يقدمونها خاطئ، وهم يحرفون معانيها، ويخرجون بها لتكون شاهدة لأهداف المؤتمرات الخبيثة!

وعندما تناقش هؤلاء المشايخ والمفكرين المسلمين في أفكارهم، وتنتقدهم في مشاركاتهم يحتجون بآيات من القرآن، وفعل رسول الله ﷺ، ويقولون: أليست آيات القرآن تدعونا إلى مجادلة أهل الكتاب ومحاورتهم؟ ألم يوجه القرآن الدعوة إلى أهل الكتاب؟ ألم يحاور رسول الله ﷺ أهل الكتاب؟

نقول لهم: نعم! لقد دعا القرآن إلى مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، ولقد دعا القرآن أهل الكتاب إلى كلمة سواء، ولقد حاور رسول الله ﷺ أهل الكتاب، ودعاهم إلى اتباع الحق والدخول في الإسلام!

لكن أين هذا مما أنتم تشاركون فيه وتدعون إليه؟ شتان!

الرسول ﷺ يطبق دعوة القرآن إلى كلمة سواء:

الدعوة الموجهة إلى أهل الكتاب للتفكير في كلمة سواء، دعوة قرآنية صريحة، لكنها دعوة لها

شروط، لا بد من تحققها وإلا فقدت الدعوة معناها وهدفها، وكان القرآن دقيقاً في تحديد شروط الدعوة وأهدافها!!

قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾.

[**آل عمران**: ٦٤]

وكان رسول الله ﷺ خير من طبق مفهوم هذه الآية، والتزم بشروطها عندما وجه الدعوة إلى أهل الكتاب، وبلَّغهم الإسلام، وأقام عليهم الحجة:

في صيف السنة السابعة من الهجرة ـ وبعد صلح الحديبية ـ وجَّه رسول الله ﷺ الدعوة إلى حاكم أقوى دولة نصرانية وأكبرها «هرقل» زعيم الروم، وسجَّل في كتابه له هذه الآية، وطالبه بالدخول في الإسلام، وحمَّل رسولُ الله ﷺ كتابه الصحابيَّ «دحية بن خليفة الكلبي» ـ رضي الله عنه ـ وكلفه بالذهاب إلى هرقل وتبليغه الدعوة!

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ أرسل إلى هرقل كتاباً جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد:

فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين.. و ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾»[١].

ولما وصلت الدعوة إلى هرقل أوشك أن يستجيب لها ويسلم، لكنه آثر ملكه وسلطانه فرفضها، وقد ذكر الإمام البخاري تفاصيل الحوار بينه وبين أبي سفيان حول ذلك. وذكرنا تفاصيل قصة هذا الكتاب الموجه لهرقل وماذا نتج عنه، في كتابنا «الرسول المبلِّغ ﷺ»[٢].

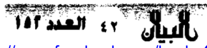
حقائق من كتاب الرسول إلى هرقل:

ومن الواضح في نص كتاب الرسول ﷺ إلى هرقل أنه لا ينظر لدين هرقل النصراني على أنه «مساوٍ» للإسلام في الحق والصحة ـ كما يفعل المشاركون في مؤتمرات الأديان ـ وإنما اعتبر أن

---

(١) رواه البخاري، ح/ ٧، ومسلم، ح/ ١٧٧٣.

(٢) الرسول المبلغ ﷺ، ص ٩١ ـ ١٥١.



الإسلام وحده هو الحق والصواب، وأن النصرانية دين باطل منسوخ مردود، ولذلك لا بد أن يتخلى عنه أصحابه، ويتبعوا الإسلام.

كان رسول الله ﷺ صريحاً في دعوة هرقل إلى الدخول في الإسلام: «أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم».

فإن لبى هرقل الدعوة ودخل في الإسلام فإن الله يؤتيه أجره مرتين وليس مرة واحدة: مرة لإيمانه بعيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ، ومرة لإيمانه بمحمد رسول الله ﷺ.

وإن لبَّى الدعوة ودخل في الإسلام فإن شعبه وأتباعه سيتبعونه ويدخلون في الإسلام، وبذلك سيأجره الله على إسلامهم، من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً.

أما إن رفض الدعوة للدخول في الإسلام، وأصر على البقاء على «نصرانيته» فسيكون ضالاً كافراً خاسراً، وسيحمل إثم «الأريسيين» من شعبه وقومه، لأنه بكفره يكون قد صدهم عن الدخول في الإسلام!

والأريسيون هم الرومان من أتباع «آريوس» الذي كان موحداً لله، ويرى أن عيسى ـ عليه السلام ـ هو عبد الله ورسوله، وليس ابناً لله، فحاربه وحارب أتباعَه الرهبانُ الذين ألَّهوا عيسى ـ عليه السلام ـ!

حقائق قرآنية من الدعوة إلى كلمة سواء:

وعندما نمعن النظر في الآية موضوع الكلام، فإننا نأخذ منها ما يلي:

- ﴿قُلْ﴾: هي «قل التلقينية» فالله هو الذي يلقن رسوله ﷺ هذا الكلام، ويأمره أن يقول هذا القول لأهل الكتاب، فالله هو الذي يوجه الدعوة إلى أهل الكتاب للدخول في الإسلام، والله هو الذي يحدد الشروط الضرورية لهذه الدعوة، وهذا معناه أن هذا الموضوع موضوع رباني، وليس اجتهاداً بشرياً خاضعاً لأهواء البشر، أو متأثراً بأهوائهم وتقلباتهم!

- هذا الأمر ﴿قُلْ﴾ ليس موجهاً للرسول ﷺ وحده، وإنما يتعداه ليشمل كل مسلم من بعده، قادر على محاورة أهل الكتاب، ودعوتهم إلى الإيمان؛ لأنه من المعلوم أن خطاب الرسول ﷺ في القرآن خطاب لأمته، ما لم يقم دليل على تخصيص به.

- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾: المراد بأهل الكتاب في القرآن اليهود والنصارى فقط، وهذا المصطلح وقف عليهم.

- ﴿أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ لأن الله أنزل لكل طائفة منهم كتاباً؛ حيث أنزل التوراة على موسى ـ عليه

السلام - وأمر بني إسرائيل باتباعها، وأنزل الإنجيل على عيسى - عليه السلام - وأمر النصارى باتباعه.

ولكن اليهود لم يتبعوا كتاب الله التوراة، وإنما حرفوها وبدلوها فنسخها الله، والنصارى لم يتبعوا كتاب الله الإنجيل، وإنما حرفوه وبدلوه، فنسخه الله، ووصف الفريقين بالكفر في آيات صريحة في القرآن، منها قوله - تعالى -: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١].

المسلم يوجه الدعوة ويضع الخطة:

- ﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾: يطلب رسول الله ﷺ من أهل الكتاب من اليهود والنصارى أن يأتوا إليه، للاتفاق على ﴿كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ بينه وبينهم.

وكونه هو الذي يوجه لهم الدعوة: ﴿تَعَالَوْا﴾ يدل على أنه هو صاحب الأمر والنهي، وأنه هو الذي يقرر ويوجه ويخطط، وأنه هو الذي يضع الأهداف ويحدد الشروط والمواصفات، وأن اليهود والنصارى مدعوون للمشاركة والمجادلة والحوار، والالتزام بخطة صاحب الدعوة وبرنامجه.

وهذا من صلاحية رسول الله ﷺ، لأنه هو الذي على حق، ورسالته حق، ودينه حق، ودعوته حق، وهم على باطل، ولا بد أن يحاورهم ليقيم عليهم الحجة، ويتخلوا عما هم عليه من باطل، ويتبعوا ما معه من حق.

وهذا ليس خاصاً برسول الله ﷺ، وإنما ينسحب على كل إمامٍ سلطانٍ للمسلمين من بعده، وكل عالم أو مفكر أو داعية من بعده!

فالأصل أن تصدر الدعوة إلى أهل الكتاب من المسلمين، وأن يضع برنامج المؤتمر المسلمون، وأن يعد الكلمات والمحاضرات المسلمون، بهدف الحوار والنقاش، وتقديم الإسلام الحق لأهل الكتاب! وهذا مفقود في مؤتمرات الأديان المشبوهة!!

والكلمة السواء هي الكلمة المستوية العادلة، ولن تكون مستوية عادلة إلا إذا انطلقت من الحق، والتزمت بالحق، وكان هدفها بيان الحق والاحتجاج له والبرهنة عليه، ونقد الباطل وتزييفه.

شروط قرآنية ثلاثة للكلمة السواء:

وقد فسرت الآية الكلمة السواء المقصودة من الدعوة تفسيراً محدداً، وذلك في قولها: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ...﴾.

الهدف من المؤتمرات الحوارية مع أهل الكتاب الالتزام بشروط ثلاثة، والخروج بنتائج ثلاثة:

الأول: ﴿**أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ**﴾ : عبادة الله وحده، وعدم عبادة مخلوق غيره، وهذا غير موجود عند اليهود والنصارى؛ فهم يزعمون أنهم يعبدون الله، ولكنهم يعبدون معه غيره من أحبارهم ورهبانهم.

الثاني: ﴿**وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا**﴾ : عدم الإشراك بالله، وعدم تأليه غيره من المخلوقين، وهذا موجود عند اليهود والنصارى؛ فاليهود يقولون: عزير ابن الله، والنصارى يقولون: المسيح ابن الله، ويعبدون آلهة ثلاثة، يسمونها: «الأقانيم» الثلاثة - الأب والابن والروح القدس - وهذا شرك منهم بالله.

الثالث: ﴿**وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ**﴾ : عدم الاعتراف بالربوبية لغير الله، وعدم قبول تشريع غير الله، وهذا غير موجود عند اليهود والنصارى؛ فهم يزعمون إيمانهم بالله رب العالمين، لكنهم مع ذلك يتخذون أرباباً غيره من أحبارهم ورهبانهم. وأخبرنا الله عن ذلك بقوله - تعالى -: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [التوبة: ٣١].

المسلمون وحدهم هم الذين: لا يعبدون إلا الله، ولا يشركون به شيئاً، ولا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله.

نتيجة المؤتمرات: الجهر بالإسلام وكفر غير المسلمين:

وهدف مؤتمرات الحوار مع أهل الكتاب - التي ينبغي أن يُعِدَّ لها المسلمون أنفسُهم - تخلي اليهود والنصارى عن الشرك بالله وتأليه غير الله أو ربوبيته، وعبادة الله وحده، ولن يكون هذا إلا بتخليهم عن دينهم المحرف الباطل المنسوخ، والدخول في الإسلام، وشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ.

﴿**فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ : تُقدِّم هذه الجملة من الآية الحل الصحيح للمسلمين المشاركين في مؤتمرات الحوار مع أهل الكتاب، فإن رفض أهل الكتاب قبول الأمور السابقة التوحيدية، وتولوا عن الحق، وأعرضوا عن الدعوة، وأصروا على يهوديتهم ونصرانيتهم فعلى المسلمين أن يكونوا صريحين معهم، وأن يخاطبوهم قائلين: ﴿**اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾.

إنهم يجهرون بإسلامهم معتزين، وهذا معناه أنهم وحدهم المسلمون، وأن اليهود والنصارى ليسوا مسلمين، ومن ثَمَّ ليسوا موحدين لله، وليسوا على حق، وإنما هم كافرون، ومتبعون للباطل.

هذا هو توجيه القرآن للمسلمين عندما يدعون أهل الكتاب إلى ﴿**كَلِمَةٍ سَوَاءٍ**﴾، وهكذا فلتكن مشاركة المفكرين المسلمين في مؤتمرات الأديان، فإن لم تكن المشاركة هكذا على أساس توجيهات القرآن فلا تجوز، لأن المشاركين المسلمين حينئذ يكونون شهود زور!!!



أيها الدعاة..
الخطوة الأولى لم تتحقق بعد!

محمد بن عبد الرحمن الزامل

النجاح في أي عمل، صغر أم كبر، مرتبط بشكل كبير بتوافر المعلومات عن مجال العمل ومكانه وزمانه، وليس من المبالغة حينما أشير إلى أن بعض الأعمال كان رأس مالها الحقيقي هو المعلومة.

إذا كان هذا من المسلَّمات عند أصحاب الأعمال التجارية فإن مما يعتقده الدعاة أن عملهم ورسالتهم أنبل من الماديات وأرقى، وهي أهم وأبعد أثراً، وحاجة الناس إليها أشد، ومع ذلك فهم لا يحتفون بالمعلومة ولا يقيمون لها وزناً؟!

وقد يكون هناك عدة أمور نستطيع بها تفسير ظاهرة العزوف عن دراسات المعلومات عند بعض الدعاة، ولكني أراها تُهَماً لهم قبل أن تكون تفسيرات؛ ولذلك فإني أدرك قسوة بعضها، لكن هذا لا يغني أبداً عن تسليط الأضواء عليها، حتى لو جهرت أعيننا الأضواء لبعض الوقت.

أول هذه التفسيرات (الاتهامات): أن بعض الدعاة - على الرغم من جهدهم العملي - لا يقلقهم حقاً عملية النجاح ولا تؤرقهم، كما لو كان الأمر متعلقاً بشأن من شؤون الدنيا. وانعدام هذا الشعور بالقلق «القلق الفاعل» يورث بلادة في الحركة ورتابة فيها، ويحولها إلى نوع من أداء مهمة صرفة ينجزها عامل لا يشعر بأي روح انتماء إلى مؤسسته التي يعمل بها.

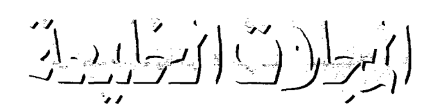
ثاني هذه التفسيرات (الاتهامات): الفهم القاصر لمفهوم التوكل، ومفهوم الإيمان بالغيب، ومفهوم

القدر، ولو قلنا بسلامة المفهوم فستبقى الإيحاءات الخاطئة التي تتركها بعض هذه المفاهيم في نفوس الدعاة، الإيحاءات الخاطئة التي سببُها الرئيس عدم تحويل هذه المفاهيم إلى واقع عملي يهدي طاقتها الإيحائية إلى الاتجاه الصحيح. فالإيمان بالقدر عند بعض الناس معناه عدم أهمية التخطيط والرصد، والتوكل على الله يوحي أحياناً بعدم قبول المقارنة بين الأعمال الدعوية، والأعمال ذات الطابع الدنيوي البحت.. والإيمان بالغيب يوحي أحياناً بتفاهة الدراسات المستقبلية، وهكذا، فإن المفهوم الصحيح نظرياً يتحول بانحراف إيحاءاته إلى قوى مثبطة غير فاعلة.

ومن هذه التفسيرات ما يمكن وصفه بأن الدعاة يبقون بشراً، والإنسان لا يصنع نفسيته وطريقة تفكيره وشخصيته وحده، بل لمجتمعه المحيط أثر بالغ في ذلك، ومجتمعاتنا لم تعلمنا أهمية المعلومة، ولم تعلمنا كيف نتمكن من نقلها إلى الواقع، ولو فعلنا ذلك فإنا لم نتعلم كيف نحسن استغلال المعلومة والإفادة منها، والتأثير في عملية سيرها الفعلي.

وحتى لا تنحدر الكلمات إلى مجرد تهويمات فإن أحد التحديات التي تواجهنا اليوم تحدي الانفتاح الإعلامي الذي أثار بيننا موجة عاصفة من الاستياء، فقد تحول هذا الاستياء من العمل إلى النهش من أطرافنا نحن بدل أن يكون له دور في المقاومة؛ فطاقتنا تحولت إلى مجرد ضجيج وتنديد مستمر، والنياحة المفرطة صارت تمارس عملية تهويل الانفتاح إلى وحش لا يقهر، ولو كنا أدركنا واقع قوله - تعالى -: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] باعتباره مفهوماً شرعياً كما أدركناه نظرياً لعلمنا أنَّ ما من شيء إلا ويحمل في ذاته بذور هلاكه، فقط يبقى فصل البحث المعلوماتي عن هذه البذور، واستنبات بذور غيرها لعمل إعلامي هادف.





دعوة للرذيلة وإشاعة للفاحشة

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء
السعودية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه. وبعد:

فقد أصيب المسلمون في هذا العصر بمحن عظيمة، وأحاطت بهم الفتن من كل جانب ووقع كثير من المسلمين فيها، وظهرت المنكرات، واستعلن الناس بالمعاصي بلا خوف ولا حياء، وسبب ذلك كله: التهاون بدين الله، وعدم تعظيم حدوده وشريعته، وغفلة كثير من المصلحين عن القيام بشرع الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنه لا خلاص للمسلمين ولا نجاة لهم من هذه المصائب والفتن إلا بالتوبة الصادقة إلى الله ـ تعالى ـ وتعظيم أوامره ونواهيه، والأخذ على أيدي السفهاء، وأطْرِهم على الحق أطْراً.

وإن من أعظم الفتن التي ظهرت في عصرنا هذا ما يقوم به تجار الفساد وسماسرة الرذيلة ومحبو إشاعة الفاحشة في المؤمنين: من إصدار مجلات خبيثة تحادُّ الله ورسوله في أمره ونهيه، فتحمل بين

صفحاتها أنواعاً من الصور العارية والوجوه الفاتنة المثيرة للشهوات، الجالبة للفساد، وقد ثبت بالاستقراء أن هذه المجلات مشتملة على أساليب عديدة في الدعاية إلى الفسوق والفجور وإثارة الشهوات وتفريغها فيما حرمه الله ورسوله، ومن ذلك أن فيها:

١ - الصور الفاتنة على أغلفة تلك المجلات وفي باطنها.

٢ - النساء في كامل زينتهن يحملن الفتنة ويغرين بها.

٣ - الأقوال الساقطة الماجنة، والكلمات المنظومة والمنثورة البعيدة عن الحياء والفضيلة، الهادمة للأخلاق المفسدة للأمة.

٤ - القصص الغرامية المخزية، وأخبار الممثلين والممثلات والراقصين والراقصات من الفاسقين والفاسقات.

٥ - في هذه المجلات الدعوة الصريحة إلى التبرج والسفور واختلاط الجنسين وتمزيق الحجاب.

٦ - عرض الألبسة الفاتنة الكاسية العارية على نساء المؤمنين لإغرائهن بالعري والخلاعة والتشبه بالبغايا والفاجرات.

٧ - في هذه المجلات العناق والضم والقبلات بين الرجال والنساء.

٨ - في هذه المجلات المقالات الملتهبة التي تثير موات الغريزة الجنسية في نفوس الشباب والشابات فتدفعهم بقوة ليسلكوا طريق الغواية والانحراف والوقوع في الفواحش والآثام والعشق والغرام.

فكم شُغِفَ بهذه المجلات السامة من شباب وشابات فهلكوا بسببها وخرجوا عن حدود الفطرة والدين!

ولقد غَيّرت هذه المجلات في أذهان كثير من الناس كثيراً من أحكام الشريعة ومبادئ الفطرة السليمة بسبب ما تبثه من مقالات ومطارحات.

واستمرأ كثير من الناس المعاصي والفواحش وتعدي حدود الله بسبب الركون إلى هذه المجلات واستيلائها على عقولهم وأفكارهم.

والحاصل: أن هذه المجلات قوامها التجارة بجسد المرأة التي أسعفها الشيطان بجميع أسباب الإغراء ووسائل الفتنة للوصول إلى: نشر الإباحية، وهتك الحرمات، وإفساد نساء المؤمنين، وتحويل المجتمعات الإسلامية إلى قطعان بهيمية لا تعرف معروفاً ولا تنكر منكراً، ولا تقيم لشرع الله المطهر

وزناً، ولا ترفع به رأساً؛ كما هو الحال في كثير من المجتمعات، بل وصل الأمر ببعضها إلى التمتع بالجنسين عن طريق العري الكامل فيما يسمونه (مُدُن العُراة) عياذاً بالله من انتكاس الفطرة والوقوع فيما حرمه الله ورسوله.

هذا وإنه بناءاً على ما تقدم ذكره من واقع هذه المجلات ومعرفة آثارها وأهدافها السيئة وكثرة ما يرد إلى اللجنة من تذمر الغيورين من العلماء، وطلبة وعامة المسلمين من انتشار عرض هذه المجلات في المكتبات والبقالات والأسواق التجارية فإن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ترى ما يلي:

أولاً: يحرم إصدار مثل هذه المجلات الهابطة سواء كانت مجلات عامة، أو خاصة بالأزياء النسائية، ومن فعل ذلك فله نصيب من قول الله ـ تعالى ـ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**﴾ [النور: ١٩].

ثانياً: يحرم العمل في هذه المجلات على أي وجه كان سواء كان العمل في إدارتها أو تحريرها أو طباعتها أو توزيعها؛ لأن ذلك من الإعانة على الإثم والباطل والفساد. والله ـ جل وعلا ـ يقول: ﴿**وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [المائدة: ٢].

ثالثاً: تحرم الدعاية لهذه المجلات وترويجها بأية وسيلة؛ لأن ذلك من الدلالة على الشر والدعوة إليه، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً» أخرجه مسلم في صحيحه.

رابعاً: يحرم بيع هذه المجلات، والكسب الحاصل من ورائها كسب حرام، ومن وقع في شيء من ذلك وجب عليه التوبة إلى الله ـ تعالى ـ والتخلص من هذا الكسب الخبيث.

خامساً: يحرم على المسلم شراء هذه المجلات واقتناؤها لما فيها من الفتنة والمنكرات، كما أن في شرائها تقوية لنفوذ أصحاب هذه المجلات ورفعاً لرصيدهم المالي وتشجيعاً لهم على الإنتاج والترويج. وعلى المسلم أيضاً أن يحذر من تمكين أهل بيته ذكوراً وإناثاً من هذه المجلات حفظاً لهم من الفتنة والافتتان بها. وليعلم المسلم أنه راعٍ ومسؤول عن رعيته يوم القيامة.

سادساً: على المسلم أن يغض بصره عن النظر في تلك المجلات الفاسدة طاعة لله ولرسوله ﷺ، وبعداً عن الفتنة ومواقعها. وعلى الإنسان ألا يدَّعي العصمة لنفسه؛ فقد أخبر النبي ﷺ أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم. وقال الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ: كم نظرة ألقت في قلب صاحبها

البلاء! فمن تعلق بما في تلك المجلات من صور وغيرها أفسدت عليه قلبه وحياته وصرفته إلى ما لا ينفعه في دنياه وآخرته؛ لأن صلاح القلب وحياته إنما هو في التعلق بالله - جل جلاله - وعبادته وحلاوة مناجاته والإخلاص له وامتلائه بحبه - سبحانه -.

سابعاً: يجب على من ولاّه الله على أي من بلاد الإسلام أن ينصح للمسلمين وأن يجنبهم الفساد وأهلَه، ويباعدهم عن كل ما يضرهم في دينهم ودنياهم؛ ومن ذلك منع هذه المجلات المفسدة من النشر والتوزيع وكف شرها عنهم؛ وهذا من نصر الله ودينه ومن أسباب الفلاح والنجاح والتمكين في الأرض كما قال الله - سبحانه -: ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ** ﴾.

[**الحج**: ٤٠، ٤١]

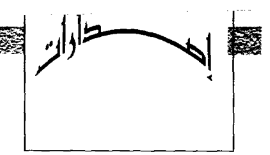
والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	**الرئيس**
عبد الله بن عبد الرحمن الغديان	عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ
عضو	**عضو**
بكر بن عبد الله أبو زيد	صالح بن فوزان الفوزان

الرقم: ٢١٢٩٨

التاريخ: ٢١/١/١٤٢١هـ



تتوالى الإصدارات الحديثة حاملة بين طياتها الجديد في عالم الدراسات الإسلامية، والفكرية، والاقتصادية، والسياسية، وغيرها. ورغبةً منّا في إطلاع قراء ـ البيان ـ على ما يتيسر لنا من هذه المطبوعات الجديدة التي نرى فيها الفائدة لقارئها... سيكون لنا ـ بإذن الله ـ وقفات مع بعض تلك الإصدارات بين عدد وآخر، والله الموفق.

● شرح صحيح البخاري، لابن بطال أبي الحسين علي بن خلف بن عبد الملك، تعليق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد بالرياض، ١٤٢٠هـ (عشرة مجلدات).

من أقدم شروح الصحيح، حوى كثيراً من أقوال السلف ومذاهبهم، واعتنى بآثار الصحابة والتابعين، وأكثر النقل عن الإمام مالك وأصحابه، حتى صار مرجعاً فيه. وكثيراً ما ينقل عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري.

● تجديد الوعي، أ. د. عبد الكريم بكار، دار المسلم، ١٤٢١هـ.

حلقة ثانية في سلسلة (الرحلة إلى الذات)، كانت أولاها (فصول في التفكير الموضوعي)، فبعد أن يعرف المرء وضع الأمور في نصابها الصحيح بتجرده عن مغريات الهوى وتهويمات الظنون يضحي لزاماً عليه أن ينظر في آليات استيعابه للواقع وفي تنظيم ردود فعله عليه.

● العولمة وخصائص دار الإسلام ودار الكفر ـ دراسة فقهية مقارنة، د. عابد بن محمد السفياني، دار الفضيلة بالرياض، ١٤٢١هـ (جزء من رسالة دكتوراه).

في ظل الدعوة المسعورة إلى إدخال العالم بأسره تحت منظومة واحدة فكرية وثقافية وتشريعية ـ كفرية بلا شك ـ نجد في ثنايا الكتاب دراسةً جادة عن كلٍ من: دار الإسلام ودار الكفر، وخصائص كلٍ منهما، وبياناً لخصائص الأمة، وحكم اندماجها في (النظام العالمي الجديد).

● الدوحة النبوية الشريفة، دراسة موثقة في السيرة النبوية والذرية الطاهرة، أ. د. فاروق حمادة، دار القلم بدمشق، ١٤٢٠هـ.

لا يتم الإيمان إلا بتحقيق المحبة الصادقة الشرعية للنبي الكريم وذريته الطاهرة ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ـ ومما يحقق المحبة: المعرفة بسيرهم العطرة من طرقها الثابتة الصحيحة. وهذا موضوع الكتاب الذي جمع مؤلفه ـ مشكوراً ـ مادته من وثيق المصادر، مع التحقيق والتنقيح فيما يتصل بالكمال النبوي حساً ومعنى، وما يتعلق بسيرة أولاده والسبطيْن (الحسن والحسين) ـ رضي الله عنهم ـ، وختم بسيرة مختصرة للأئمة الاثني عشر وما لهم من المرويات في كتب السنة النبوية، كل هذا في وقت عظم فيه الكذب والافتراء على العترة الطاهرة ادعاءاً لمحبتهم!

● موسوعة المرأة المسلمة المعاصرة، تأليف د. عبد الرب نواب الدين الأستاذ المشارك في كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية، دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

وهي دراسة علمية يتناول فيها الباحث حقوق المرأة المسلمة وواجباتها وحرياتها وأخلاقها وحياتها العامة

والخاصة، ودورها في المجتمع والأسرة. صدر المجلد الأول منها عن دار العاصمة بالرياض، فجاء حاوياً ومتتبعاً للآيات القرآنية التي تضمنت أحكام النساء وما يتعلق بها على ضوء أقوال المفسرين المعتبرين، فيورد الآية ويفسرها من باب تفسير القرآن بالقرآن مع التعقيب على ذلك بصحيح السنة؛ متوخياً الأقوال المعتبرة للعلماء مع الميل لاختيارات مذهب الإمام أحمد ومدرسته السلفية التي تبناها شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والعلماء الأثبات غيرهم: حيث يتوقف عند الآية ويستهدي بهديها وهو ضرب من التفسير الموضوعي في أكثره وإن كان يخالف ما عرف عن هذا الضرب من التفسير الذي يقوم على جمع الآيات القرآنية الواردة في موضوع واحد ثم التفريع عليه والاستنباط منه، وذلك بتتبع المؤلف الآيات القرآنية التي جاءت في أحكام النساء وما يتعلق بهن جاعلاً استنباطه من معطيات كل آية في موضعها. كما أنه لم ينأ عن عرض القضايا والشبهات المثارة في عصرنا حول المرأة ومكانتها والرد عليها. والكتاب يتسم بحسن العرض وسهولة الأسلوب وغزارة المادة.

● حراسة الفضيلة للشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد، نشر دار العاصمة بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

من آخر عطاءات العلاّمة المحقق الشيخ بكر أبو زيد هذا الكتاب القيم الذي جاء في وقته وهو كما قال عنه المؤلف: هو رسالة تثبيت النساء المؤمنات على الفضيلة وكشف دعاوى المستغربين في نشر الرذيلة، وهو خلاصة استخلصها من نحو مئتي كتاب ورسالة ومقالة عن المرأة فضلاً عن كتب التفسير والحديث والفقه.
والكتاب فصلان: الأول في عشرة أصول منها:

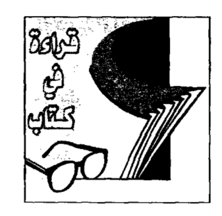
وجوب الإيمان بالفوارق من الرجل والمرأة، وحجاب المرأة، والاختلاط محرم شرعاً، والزواج تاج الفضيلة، ووجوب الغيرة على المحارم وعلى نساء المؤمنين.

والفصل الثاني: كشف فيه المؤلف دعاة المرأة إلى الرذيلة وخطتهم في إشاعتها في الحياة عن طريق الإعلام والتعليم والتوظيف للمرأة بلا استثناء. وهذا شر مستطير.

ثم سلط الضوء على تلك الجهود المشبوهة ممن يثيرون هذه المسائل بدعوى نصرة المرأة؛ وهم يعملون لإفسادها وإضلالها.

● المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ـ دراسة تحليلية للنصف الأول من القرن العشرين، إعداد: محمد فاروق الخالدي، دار الراوي بالدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ (٥٧٢ صفحة من القطع الكبير).

يأتي الكتاب في خمسة أبواب، الأول: خصص للحديث عن فضائل بلاد الشام ومناقب أهلها والدور المنتظر لهم، الثاني: تكلم فيه عن عوامل سقوط الدولة العثمانية، ودور السلطان عبد الحميد في الدفاع عن فلسطين، الباب الثالث: رصد لعناصر المؤامرة الكبرى ممثلة في دور الحركة الطورانية ورد فعل الحركات القومية عند العرب، ثم ثورة الشريف حسين وما كان وراء ذلك، أما الباب الرابع: فتحدث عن الحصاد المر للتحالف مع الإنجليز، ومن ذلك احتلال دمشق وبيروت. ويأتي الباب الخامس: ليتحدث عن الانتداب الاستعماري: مرحلة تقسيم بلاد الشام وتجزئتها بين الإنجليز والفرنسيين، وإنشاء إمارة في شرقي الأردن، وتهويد فلسطين.



الإسلام وخرافة المواجهة

الدين والسياسة في الشرق الأوسط

المؤلف: فريد هاليداي(*)
تلخيص: خليفة البلة إسماعيل

الاستشراق ونقاده:

تحدَّث كثير من الكتاب والباحثين الغربيين عن العالم الإسلامي ديناً وشعوباً وفكراً من منطلقات مختلفة، ومن هذه الدراسات الأخيرة هذا الكتاب لمؤلفه: (فريد هاليداي) الذي تطرق في فصله الأول إلى: الشرق الأوسط والسياسة الدولية بعد الحرب العالمية الثانية، فأكد على أنه أكثر المناطق اضطراباً في العالم الثالث، ودلل على ذلك بالأزمات التي حدثت بعد تلك الحرب حتى الآن، كما أكد على خصوصيته، وذلك باعتباره منطقة يسودها الإسلام، وأن الطريقة الوحيدة لفهم مجتمعاته هي تحليل الإسلام ومعرفته. وأكد على أن الديمقراطية بكل أشكالها ليست ممكنة في بلدانه. واقترح حلاً لهذه المشكلة من خلال حجتين هما:

١ - أن المقولات المستخدمة لوصف هذه المجتمعات يجب أن تكون نوعية منبثقة من هذه المنطقة.

٢ - لا يمكن فهم خصوصيات الشرق الأوسط المعاصر إلا على ضوء التكوين التاريخي لمجتمعات المنطقة وسياساتها.

وتطرق للمحددات الخارجية والداخلية للنزاعات في الشرق الأوسط، فعزى أسباب اندلاعها في رأيه إلى الإسلام و (النفوذ السوفييتي السابق) والإمبريالية، أي أن أسباب النزاعات ترجع إلى عوامل داخلية وخارجية. وعادة ما يستبعد العوامل الخارجية باعتبارها

(*) ترجمة الأستاذ: محمد مستجير، دار النشر، مكتبة مدبولي، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، عدد صفحات الكتاب، ٢٦٠ صفحة.

أسباباً رئيسة لاندلاع النزاعات في الشرق الأوسط. ثم تطرق إلى التكوين التاريخي للشرق الأوسط من حيث عدد دوله وسكانه وموقعه المتاخم لأوروبا، وهو ما جسد العداء بينهما منذ القدم؛ حيث اتخذ أشكالاً عدة: عسكرية واقتصادية، وأيديولوجية، واستراتيجية. وفي هذا الإطار تحدث عن الهجمة الاستعمارية على دول المنطقة وتقسيمها مستعمرات للدول الأوروبية؛ حيث كانت الأهمية الاستراتيجية تلعب دوراً كبيراً في البداية ثم الأهمية الاقتصادية لدول المنطقة، هذا الجو أدى إلى مقاومة شعوب المنطقة للاستعمار، وبخاصة بعد الاستيطان اليهودي في فلسطين. وبدأت شعوب المنطقة تصارع المستعمر حتى نالت استقلالها واحدة تلو الأخرى، ولكن مع ذلك ظل الصراع بعد الاستقلال، وهو ما يمكن القول معه: إن الشرق الأوسط قد خضع لسيطرة الغرب الرأسمالي المباشر وغير المباشر مما ولد سمات الكراهية للغرب. كما أكد على تشابه التكوين التاريخي للمنطقة في فترة ما قبل الاستقلال وبعدها من حيث الهياكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمشكلات التي تواجه دوله.

أما في الفصل الثاني: فقد تحدث عن الثورة الإيرانية من منظور مقارن، وذلك لاختبار الحجة التي صاغها في الفصل الأول والتي تقول: إن تطور سياسات المنطقة لا يمكن تفسيره إلا بالرجوع إلى الإسلام. ولاختبار ذلك أكد على إنجازات تلك الثورة باسم الدين، إلا أنه قال برجعيتها لأنها ترفض الحداثة، أي أنها ترفض - حسبما ذكر - التاريخ والتقدم وتحسين الظروف المادية والسيادة الديمقراطية. وأكد على أنها أول ثورة معاصرة ذات اتجاه ديني. ثم تطرّق إلى مسارها من المعارضة حتى الاستيلاء على السلطة من الشاه، وإعلان إيران جمهورية إسلامية. وقد عزى أسباب قيام الثورة إلى خمسة أسباب هي:

١ - تنمية اقتصادية سريعة وغير متوازنة.

٢ - ضعف الحكومة - الشاهنشاهية - السياسي.

٣ - الائتلاف الواسع لقوى المعارضة.

٤ - دور الدين الإسلامي التعبوي.

٥ - السياق الدولي المتناقض.

وبذلك يؤكد على أن الثورة لم - تكن دينية - لأن العوامل التي مكنت علماء الدين من تحدي الشاه كانت - كما ذكر - عوامل علمانية، كما أكد كذلك على أن الثورة كان لها أثر واضح في تردي الأوضاع الاقتصادية في إيران، وأدت إلى الحرب مع العراق. وأشار إلى أن الأبعاد الاقتصادية والسياسية والدولية شكلت قيوداً على إقامة جمهورية إسلامية. وأكد على أن الثورة على الرغم من أنها كانت تنكر وترفض الاعتبارات الاجتماعية المادية إلا أنها انهارت بسببها.

أما في الفصل الثالث فقد تطرق إلى حرب الخليج الثانية؛ حيث اعتبرها من أهم الأزمات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية. وأشار إلى أنه لم يكن للإسلام دور كبير في أصول النزاع

أو مساره أو حصيلته. ثم قدم استعراضاً تاريخياً لسيناريو الحرب حتى تحرير الكويت بواسطة القوات الدولية، مشيراً إلى أهداف الحرب، ومستبعداً صلة الحرب بالنظام العالمي الجديد وهو ما يعني اتفاق المعسكرين على حل المنازعات الدولية التي كانت تشكل مثار خلاف بينهما. ولكنه أكد على أن هذا المعنى لا يتسق مع خصائص النظام العالمي الجديد الذي سقط أحد أقطابه ـ الاتحاد السوفييتي ـ ونفى الحكم العام الذي يؤكد على هيمنة الولايات المتحدة على النظام العالمي الجديد، ودلل على ذلك برفض الرأي العام الأمريكي والكونجرس للدور الأمريكي في الحرب. إلا أنه قد أشار إلى استخلاص عام طُرح من بعض الكتاب تمثل في أن الحرب هي بداية نزاع عالمي جديد ومتجدد بين الإسلام والغرب، ولكنه نفى ذلك الطرح. وأشار إلى أن الحرب ليست جديدة في موضوعها، ولكنها جديدة فيما خلفته من ائتلاف بين دول عربية وأوروبية وأمريكية في الحرب. ولكن هذه الحرب لم تحقق أهدافها؛ حيث لم يسقط صدام، كما أنها لم تؤثر على مسار المفاوضات بين الفلسطينيين و «إسرائيل» بسبب موقفهم مع صدام. وتطرق إلى تحليل الحرب وتقييمها؛ وذلك من خلال أربع قضايا رئيسة وهي:

١ - أسباب التدخل العراقي.

٢ - قضية البدائل الدبلوماسية للحرب في فترة الشهور الخمسة الفاصلة.

٣ - طبيعة الحرب التي نشبت

٤ - سياسة الحلفاء تجاه العراق بعد الحرب.

وقد أكد على أهم سمة لهذه الحرب تمثلت في شكل التدخل العسكري والسياسي الذي فرض على العراق في أعقابها. وتطرق إلى قضايا في تحليل العلاقات الدولية، فتحدث عن القضايا التحليلية والقضايا المعيارية أو الأخلاقية التي تطرحها الحرب، وبيَّن أن الآراء اختلفت في هذه القضايا؛ حيث جاءت متمشية مع المواقف الأخلاقية.

أما في الفصل الرابع: فقد تساءل: هل ثمة خطر للإسلام أم خطر على الإسلام؟

وللإجابة على هذا السؤال حاول شرح النزاع بين العالم الإسلامي والعالم الأوروبي النصراني؛ حيث يرى بعض الساسة الأوروبيين أن الإسلام يشكل خطراً عليهم، ويرى بعض الإسلاميين أن الغرب يشكل خطراً على الإسلام منذ القدم، كما أن انتهاء الحرب الباردة يستدعي النزاع بين الغرب والإسلام، وبرهنوا على ذلك بحرب الخليج الأخيرة، وأكد على أن كون الإسلام يشكل خطراً على الغرب فهذه خرافة؛ لأنه ليس في مقدوره ذلك لعدم توحده، كما أنه ترتبط بعض أجزائه بمصالح بالغرب، لذلك كثيراً ما حاربت دوله بعضها بعضاً. ونفى أن يكون الإسلام هو العدو للغرب بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، ولكنه مع ذلك أكد بأن الغرب يمثل قوة توسعية تسعى للسيطرة على الآخرين وإجبارهم على اتباع الديمقراطية

الغربية، وذلك - في نظرنا - حتى تتحقق لهم مطالبهم التي يريدونها، وأشار إلى أن الإسلام لا ينشأ عنه مجموعة واحدة من المبادئ السياسية أو الاجتماعية وبخاصة في قضيتين رئيستين للجدال المعاصر هما:

١ - قضية الهوية والعرقية.

٢ - قضية الديمقراطية.

وقد أكد على أن عملية فصل الدين عن الدولة قد رفضها الإسلام بجميع مذاهبه وأشكاله. وتطرق كذلك إلى الجاليات الإسلامية في العالم الغربي، وذكَّر بأنها على الرغم من اختلافها في الأصل وبلد الإقامة إلا أنها تجمعها خصائص مشتركة، وأشار إلى أن دراسة هذه الجاليات يجب أن لا تقوم على سوسيولوجيا الدين وحدها، وإنما يجب أن تتضمن سوسيولوجيا التفاعل بين الدين والقوى العرقية والثقافية والسياسية الأخرى. وتطرق إلى النزاع الذي تم حول كتاب (آيات شيطانية) للكاتب البريطاني سلمان رشدي، والذي أثار غضب المسلمين في بريطانيا وفي جميع أنحاء العالم. وقد أكد على أن المشكلات بين الإسلام والغرب على الرغم من إرجاعها إلى الدين إلا أنها ستستمر بدونه، ولكنها تجد تعبيراً أقوى بالدين. ويرى أن الحل الوحيد هو تنافس العالم الإسلامي والعالم الغربي في المجال الاقتصادي والعسكري الذي يشكل بصورة متزايدة أساس النزاع الدولي في أواخر القرن العشرين، وبالإضافة إلى ذلك دعا أوروبا الغربية أن تضع سياسة متوازنة ذات جانبين إزاء القضايا التي يلخصها تعبير الإسلام وهما:

١ - ينبغي أن يكون هناك وعي أكبر وعداء أكبر للعنصرية والتحيزات العرقية والدينية العامة الموجهة ضد المهاجرين المسلمين في المجتمعات الأوروبية، وتجاه البلدان الإسلامية في الخارج.

٢ - أن يرسم الغرب سياسة طويلة الأجل للتفاعل مع هذه البلدان ترمي إلى مساعدتها في طريق التنمية.

أما في الفصل الخامس فقد تطرق الكاتب إلى موضوع حقوق الإنسان والشرق الأوسط؛ حيث أشار إلى أن الإسلام يتناول الحياة ومشكلاتها بصورة كلية. واحتلت البلدان الإسلامية في الشرق الأوسط في الجدال الدولي حول حقوق الإنسان مكاناً عاماً وخاصاً؛ فهي من ناحية تعتنق أفكاراً تتقاسمها مع بلدان العالم الأخرى، ومن ناحية خاصة حددت موقفاً من حقوق الإنسان مستمداً من الطابع الديني الخاص لمجتمعاتها ومعتقداتها. وقد أورد الكاتب أنواعاً من التفسيرات للعلاقة الصحيحة بين الإسلام بوصفه ديناً وقضية حقوق الإنسان، وحدد أربع استجابات أو مواضيع متميزة من داخل (الخطاب الإسلامي)، ونهجاً آخر خامساً يمثل (الخطاب السياسي) وهي:

١ - الاستيعاب: والذي يعني إنكار النزاع الجوهري بين الإسلام والمفهوم الدولي عن حقوق الإنسان. فالإسلام والقانون الإسلامي

مستوفيان للمعايير الدولية، بل إن القوانين الدولية جزء ضئيل من الإسلام.

٢ - التملك: ويقصد به أن الدول الإسلامية تحترم حقوق الإنسان وتطبقها بدرجة أكبر من المجتمعات الأخرى.

٣ - الخصوصية: وتتمثل في النوعية الثقافية والتاريخية لهذه المجتمعات؛ فإن الدول الإسلامية لا تنكر حقاً مّا إلا أنها تقول: إن هذا غير ملائم عندنا.

٤ - المواجهة: وقد حدثت مع الغرب وذلك برفض الإسلاميين مفاهيم القانون العلماني الذي أرسته الدول الاستعمارية. وأكدوا على أن الشريعة هي أساس كل تشريع في العالم المعاصر.

٥ - عدم التوافق بين التقاليد والقوانين الإسلامية مع القوانين المعترف بها دولياً. وأشار إلى أن الحقوق لا يمكن أن تُرسى إلا في سياق يُستبعَد فيه الدين من الحياة العامة.

ويؤكد الكاتب على أن الأساس الوحيد لمفهوم حقوق الإنسان هو الاستنباط العلماني من القانون الطبيعي الذي يرتكز عليه (الخطاب الفرانكو أمريكي) في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وما تبعه من صكوك. ويرى أن أي محاولة لتطوير حقوق الإنسان في العالم الإسلامي محكوم عليها بالإخفاق، لذلك يقول: الرد الوحيد على ذلك هو الانتظار لسنوات طويلة لكي تتحول المجتمعات المسلمة إلى العلمانية. وعلى هذا الأساس يرى أن المدونات الدولية لحقوق الإنسان تعتبر كلية، أما القوانين الإسلامية فما هي إلا جزء منها أي أنها نسبية، ولكن العكس صحيح. أما العالم الإسلامي فإنه يرى أن هذه الدول على الرغم من أنها صاغت حقوق الإنسان وحاولت إملاءها على الآخرين إلا أنها كثيراً ما انتهكتها هي نفسها، وذلك من خلال تعاملها مع القضايا الدولية بمعايير مزدوجة. وبمعنى أدق: أن العالم الإسلامي يرى أن الغرب يستغل عملية حقوق الإنسان لأغراض سياسية. وفي ختام هذا الموضوع أكد الكاتب على أنه لا يمكن الوصول إلى صيغة دولية تلتزم بها الدول الإسلامية بالنسبة لحقوق الإنسان، ولكن رغم التشاؤم فإنه دعا إلى التعامل مع بعض الذين يقبلون الاتفاقات والممارسات الدولية عن حقوق الإنسان في العالم المسلم؛ لأن ذلك سوف يعزز العلمانية، ولأنه يرى أن الإسلام لا يوفر - في زعمه - قدراً كافياً لحقوق الإنسان.

أما في الفصل السادس فقد تطرق إلى العداء للمسلمين والسياسة المعاصرة؛ حيث أكد على أن الغرب يرى أن الإسلام يشكل خطراً على المجتمع الأوروبي، وخاصة بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، وانعكس ذلك على المسلمين الذين يعيشون في المجتمعات الأوروبية. ومسألة العداء للمسلمين قديمة وتعود إلى القرن السابع، ولكن لماذا ظهرت في الوقت الحاضر؟

فقد أشار في هذا الإطار إلى الاعتقاد الشائع بين المسلمين الذي يرى أن العداء سمة قديمة ومستمرة. ويرى آخرون أن العالم الإسلامي هو العدواني، ومن ثَمَّ يستحق ما

أنتجه من معارضة. ولكنه أكد على نقطة مهمة وهي أن الدول الإسلامية لم تمثل تهديداً استراتيجياً للغرب منذ القرن السابع عشر، ويرى أن القضايا الكامنة خلف الاضطراب الحالي هي قضايا التنمية والتغيير السياسي. وقد عدد الكاتب بعض الدول المعادية للإسلام قديماً وحديثاً، فذكر صربيا واليونان وبلغاريا والهند وأوروبا والولايات المتحدة و إسرائيل، حيث ارتبط العداء - بزعمه - بقضايا أخرى: كالإرهاب، وقهر المرأة، والعرقية واللون، والنزاعات بين الطوائف، والفساد الإداري والنزاع بين الدول وغيرها. ويتوقف إلى حدٍ كبير على تقدم هذه العمليات والنزاعات الأخرى.

أما في الفصل السابع وهو الخاتمة: فتحدث عن الاستشراق ونقاده؛ حيث اعتبره من أكثر القضايا إثارة للجدال في تحليل الشرق الأوسط المعاصر، إلا أنه تحول إلى الجدال حول الإسلام، وخاصة في فترة الستينيات؛ حيث ظهرت كتابات انتقدت الأفكار الأوروبية عن الشرق الأوسط من مفكرين يساريين أو ممن ينتمون إلى الشرق الأوسط أمثال: مكسيم ردونسون، وإدوار سعيد الذي أصدر كتاباً عن الاستشراق عام ١٩٧٨م قدم فيه نقداً شاملاً للكتابات الغربية عن الشرق الأوسط يمتد من القرن الثامن عشر حتى الوقت الحالي، ويشمل جميع نواحي الحياة، وقد انتقد سعيد كتابات ميشيل فوكو الذي أنكر ثقافة الشعوب الخاضعة وتاريخها، وتجاهل عملية المقاومة التي قدمتها، ومن ثَمَّ يدعو مشروعه للسيطرة أو الإمبريالية. ومن الكتَّاب الذين كتبوا عن المنطقة برنارد لويس الذي دعا إلى نهج يندرج في فئة الاستشراق. وقد وجد كل من سعيد ولويس مناصرين لأفكارهما. وأشار المؤلف أن هناك قضايا عامة تحثُّ الباحثين في الغرب على الكتابة عن الشرق الأوسط وهي: (اللغة - الدين الإسلامي - التغير التاريخي على التوالي. أي: استحالة التغير في اتجاه ليبرالي وعلماني بالنسبة للمنطقة). وقام بنقد كتاب إدوار سعيد عن (الاستشراق): حيث أكد أن هناك عدداً من المسائل عجز سعيد عن حلها، ولذلك عدَّد أربع مسائل تسمح بوجه خاص بالاختلاف وهي:

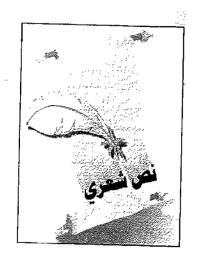
١ - الاختلاف حول تعبير الاستشراق نفسه.

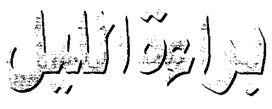
٢ - غموض مقولة الشرق.

٣ - الاختلاف فيما يطرحه سعيد من افتراض منهجي عن العلاقة بين منشأ الأفكار وصحتها، فهو يوحي بأنها أُنتِجَت في سياق من السيطرة الغربية ولخدمتها.

٤ - أن سعيداً لم يحلل أفكار الشرق الأوسط ذاته وأيديولوجياته.

وقد أنهى الكاتب كتابه بنداء قال فيه: دعونا لنمضي إلى أبعد من هذا الجدال المستقطب دون ضرورة والفقير منهجياً في بعض النواحي، ولنواصل مهمة دراسة المجتمعات من خلال شعار يمكن السعي وراءه وهو قوله - تعالى -: **﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾** [**الحجرات**: ١٣].





قال رسول الله ﷺ : «لا تسبوا الدهر، فإنَّ الله هو الدهر»[1].

محمد محمد صديق

رحل الهوى وتشتت الفكْرُ ... والهمُّ ممتلئٌ به الصدْرُ

والكونُ أطفأ نورَ شمعته ... فأطلّ من إغفائه البدْرُ

صمتٌ سَرى في كل ناحيةٍ ... لا نَسمةٌ هبّتْ ولا صِرُّ

همٌّ تسرّبَ في وريدِ دمي ... فغدتْ به الأعماقُ تغتَرُّ

كُتبتْ على صفحاتِ ذاكرتي ... جملُ الكآبةِ، فانزوى البِشْرُ

وخواطري أمستْ على شفتي ... لحنَ الأسى ليصوغه الشِّعْرُ

لحنٌ تردّد في مخيّلتي ... حتى انقضى من ليلي الشَّطْرُ

* * * *

بالليل أقلامي معي سهِرتْ ... أرقًا، وملءُ إداوتي حِبْرُ

الهمُّ أغرقَ كل أوديتي ... وجرى من استغراقه نهْرُ

---

(١) رواه مسلم، ح/ ٢٢٤٦.

وَوُرودُ روضي كلُّها ذبلتْ ... قد زال عنها الحسنُ والعطِرُ

عصفورتي - يا ليلُ - ساهمةٌ ... في العشِّ تقبعُ. حولها الذُّعْرُ

كلُّ الهموم بظلّكَ اجتمعتْ ... يا ليلُ! فيكَ مشاعري جَمْرُ

هل آخذٌ بيديك ناصيتي؟ ... أم منكَ يأتي النهيُ والأمرُ!

يا ليلُ ! فلترحلْ على عجلِ ... فعسى يطيب بِبُعدك الدَهْرُ

ما دمتَ بالظلماء متشحاً ... يغتالُ كلَّ خصالكَ الغدْرُ

* * * *

في حينها هبّتْ نسائمُه ... ورنا بطرفٍ ملؤه ثأرُ

في صوته المبحوحِ فَهْفَهةٌ ... كنواحِ طيرٍ هدّه الأسْرُ

مهلاً! إليكَ الآن أجوبتيْ ... وإليَّ من ديواننا شِعْرُ

حرُّ الحقيقة لا مداهنةً ... إن الحقيقةَ طعمُها مُرُّ

صوّبتَ نحوي سهمَ منتقدِ ... وبراءتي في أرضكم جِذْرُ

لغةُ الأسى للفعل ترجمةٌ ... ولشرحِ ما اقترفتْ يدٌ ثَغْرُ

فدعِ التسخُّطَ دونما أسفٍ ... ولْيمضِ عن أنفاسك الزَفرُ

أجران إن تنل الصوابَ، وإن ... أخطأت ينقص منهما أجرُ

* * * *

أمسى يلاطفني على ثقةٍ ... أنْ لاح في حسبانه النصرُ

فطوى بساطَ ظلامه ومضى ... والنور شعشع وانبرى الفجْرُ



بلعام (*) .. عاد من جديد

عبد الحميد بن سالم الجهني

عاد بَلْعامُ بْنُ باعورَ على ... فترةٍ يصرخ: أين الأنبياءْ

أتراهم أخلدوا للأرض أم ... فارقوا الدنيا وساروا للسماءْ

لاهثاً كالكلب في آثاره ... مِزَعٌ من علمه كانت نجاء[1]

وإذا الشيطان يتبعه وقد ... تبع الدنيا وأهواء الشقاءْ

عدت يا بلعام مسعوراً كما ... كنتَ من قبلُ تَوْءمُ الأدعياءْ

عدت يا بلعام ها قد عدت في ... ثوب قس ماجنٍ كلَّ مساءْ

يجمع الناس على شقوته ... بعد أن دُكّتْ صوامع الرياءْ

ومضى يدعو إلى عَلْمَنَةٍ ... خلط الإنجيل فيها بالهُراءْ

لاعقاً في كل عام بعد أن ... يترك القُدّاس سُوق الأغنياء[2]

لعنة الآثام في أنْفاسهم ... وتراهم في ثياب الأتقياءْ

عدت يا بلعام ها قد عدت في ... طيلسانٍ تَنْتَشي فيه الدماءْ

يقتل الفجر إذا ما وقعتْ ... عينُهُ في عينِ أطفال الإباءْ

يرسل الحزن إلى أكواخهم ... شبحاً يَقْصفُ وَرْدَ الأبرياءْ

رقصتْ عندك (راحيلُ) على ... منبر الأقصى مصلى الأنبياء

ذلة الكفر على أعناقهم ... ولهم في موطني عِزُّ البقاءْ

عدت يا بلعام ها قد عدت في ... بردة قَصَّبها بعضُ الغثاءْ

يجمع الديباج من سُبحَته ... ويرى في ظلمة القَرْش الضياءْ

نتن الدنيا أريجٌ حَوْله ... والهوى يحدو به أيَّ حُداءْ

سادر في غيه في غمرة ... من تسابيحَ وأحلامٍ هباءْ

سكرة الدنيا على أبصارهم ... والفتاوى بجموع الفقراءْ

عدت يا بلعام سحقاً إن في ... أمتي أتباعَ خير الأنبياءْ

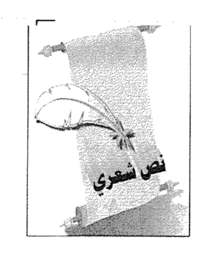
علماءٌ.. أتقياءٌ.. لم يكن ... فيهمُ يوماً عبيدٌ للثَّراءْ

سُجَّدٌ لله لم يعتصموا ... بسواه فله كلُّ الولاءْ

(*) ذكر المفسرون أن بلعام هو المقصود في قوله ـ تعالى ـ : ﴿واتْلُ عليهِمْ نبأ الَّذي آتيْناه آياتنا فانسلخ منْها ...﴾ [الأعراف: ١٧٥].

(١) النجا (مقصوراً) : الجلد .. ومددته ضرورةً .. وقد قال تعالى : ﴿فانسلخ منْها﴾ إذ كانت له كالجلد.

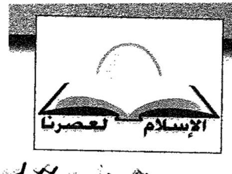
(٢) القُدّاس : ما يقيمه النصارى في نهاية كل عام في كنائسهم. سوق : جمع ساق.





مشبب بن أحمد القحطاني

مــــاذا تُفــيــدُ تَرانيــمي وأشــعَــاري   وكــيفَ أشْـدُو إذا ضَــيَّـعتُ قِـيـثَـارِي؟
وكَــيفَ أجــمعُ آمــالاً مُــبَـعــثَـرةً؟   فـي ليلـةٍ ذاتِ إرعــادٍ وإعــصَـارِ
وأعــصِــرُ الـفِكرَ عَلَّ اللـهَ يُرشِــدُني   دَرباً قَــويماً بِلا شَـوكٍ وأحـجَـارِ
يَا أمّـتي مـا عـسـاكِ اليـومَ فـاعلةً   وأنتِ فـي مَـركَبٍ من غَـيـرِ بَحّـارِ
يـا أمّــتـي والـرَّزايَا ثَـوبُـهـا دَنسٌ   وبَـعضُ قَـومي على أهوائـهِ عَـاري
يا أمّـتي كم أُنادي لا مُـجِـيبَ فَـقَـد   حُـبِـسْتِ قَـسـراً عَنِ العَليـاءِ والـثّـارِ
تَمــضِي اللّيــالـي ولَم نَبـرح مَنازِلَـنَا   ومَـا انـقَـضَى الخَطوُ في الـظّلماءِ للسَّاري
نَتِــيــهُ في مَــهــمَـهٍ لا رايـةٌ نُصِـبَت   ونَـحـنُ في ذِلَّـةٍ مِـن كُـلِّ كَــفَّــارِ
إنّا لـنَنْـظُرُ لـلمَــجْــهُـولِ في هَـلَعٍ   كَــأنَّ غَــايَتَـنا فـي كـفِّ جَــزَّارِ
وَبَيـنمــا هِـمتُ في بُـؤسٍ ومَــحـزَنَة   ولـذَّةُ الـنَّـوم نَـدَّت دُونَ إشــعَــاري
رأيتُ فـي حَــالِكِ الظَّـلمَــاءِ بَارِقَــةً   والصُّــبـحُ شَـمَّـرَ عَـن نُورٍ وإسـفَـارِ
وَيَـنزِلُ الـله فـي الثُّـلْثِ الأخِــيـرِ إذا   تَقَـارَبَ الفَـجـرُ لـلدّاعِي بـأسـحَـارِ
وَيكـشِفُ الله للمُـحـتَـاجِ كُـربَتَـهُ   أنـعِـمْ بِـربٍّ قَـــريـبٍ واهـبٍ بـارِي
والنَّصـر يـا قـومِ لـن تَهـمِي سَـحَـائِبُـه   إلا لجِـيلٍ عـظيـمِ العــزمِ مِـغـوَارِ
هُبّـوا ولَبّـوا فـمـا في البُـؤسِ من رغـدٍ   فـالجـذعُ من مكّةٍ والغُـصنُ أنصَـاري
مَـهـمَـا تَكُن هَـمْلَجَـاتُ الدَّهرِ مُـزبِدَةً   وَجَـحـفَلُ الـشَّـرِّ مُلتَـفـاً على الدَّارِ
فَلَـم تَزَل رايةُ التَّـوحِـيـدِ خَـافِـقَـةً   وَمُـرهَفُ الحَـدِّ مَـسـنُوناً عَلَى النَّارِ



دين لا تكفير فيه ليس بدين

أ. د. جعفر شيخ إدريس

رئيس الجامعة الأمريكية المفتوحة

في عالمنا الإسلامي - العربي منه وغير العربي - مخلوقات غريبة تريد أن تجمع بين المتناقضات ولا تريد مع ذلك أن يعترض على تناقضها معترض. يريدون أن يقولوا لإخوانهم الذين كفروا من أهل الغرب إنما نحن مثلكم ننتقد الدين كما تنتقدون، ولا نلتزم به كما أنكم لا تلتزمون، ولا نترك فرصة للسخرية منه ومن المستمسكين به إلا اهتبلناها كما تهتبلون، ونرى كما ترون أن من حق الأديب والفنان أن ينتقد قيم المجتمع ومعتقداته ويدعو إلى نبذها؛ لأنه لا يكون أديباً أو فناناً مبدعاً إلا إذا فعل كل هذا بحرية كاملة كما تفعلون.

لكن الفرق بين مخلوقاتنا العربية المسوخة المقلِّدة هذه وبين من هم أسوة لهم من إخوانهم الذين كفروا في الغرب، أن أولئك إذا قيل للواحد منهم: إنك كافر بالمسيحية أو اليهودية اعترف بهذا وعده من تحصيل الحاصل. لكن مخلوقنا الممسوخ يرتجف ويولول ويطلب النجدة إذا قيل عن كلامٍ كتبه هو أو أحد من شاكلته: إنه كفر وخروج عن دين الإسلام. إنه يريد أن يكون كافراً حقاً، لكنه يرتعد حين يوصف بالكفر المعبر عن تلك الحقيقة. يريد أن يكون كافراً لكنه يريد أن يعيش في أمن، وأن يكون ذا سمعة حسنة في المجتمع الذي يتنكر لأحسن ما فيه من معتقدات وقيم، ويريد - شأن كل منافق - أن يتخذ من انتمائه للإسلام حصناً لهدمه. وهيهات.

وهو حين يواجه هذا الخطر على نفسه وعلى سمعته يتحول إلى واعظ يذكِّر من رموه بتهمة الكفر بقول الله - تعالى -: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] وهي الآية التي لا يكاد الواحد منهم يحفظ من كتاب الله - تعالى - غيرها يحفظها ليحتمي بها بعد أن يحرِّف معناها ويؤولها على غير تأويلها. نعم نحن مأمورون بأن ندعو بالحكمة والموعظة الحسنة! لكن الذي نحن مأمورون بالدعوة إليه هو سبيل ربنا، وهو أمر واضح المعالم، بيِّن الحدود. فنحن نفهم السبيل إلى الدعوة بالتي هي أحسن؛ لكننا لا نفهم من الدعوة بالحكمة وبالتي هي أحسن أن نميع حقائق هذا الدين، أو أن نطمس معالمه، أو نزيل الحدود التي تميزه عن غيره فيكون شيئاً هُلامياً لا يُعرف أوله من آخره، ولا يُعثر فيه على ما يميزه عن غيره، فلا يمكن لذلك أن يحكم على إنسان بأنه داخل فيه أو خارج عنه. وما هكذا يكون الدين المنزل من عند الله، بل ما هكذا يكون أي مذهب: حقاً كان أم باطلاً. لا بد لكل مذهب من معالم تحدد هويته، وتميزه عن غيره، حتى يقال عن إنسان إنه منتمٍ إليه أو ليس بمنتمٍ، وإنه مؤمن به أو كافر به. إن

المذهب الذي ليس فيه ما يميزه عن غيره ليس بمذهب. والإسلام دين منزل من عند الله مرتكز على مجموعة من الحقائق، من آمن بها كان مسلماً، ومن أنكرها أو سخر منها أو استهزأ بها كان كافراً. فإمكانية الحكم على إنسان بالكفر أمر لازم لهوية الدين. فالدين الذي لا إكفار فيه ليس بدين؛ لأنه لا هوية له. إذا لم تكن للدين هوية ولم تكن له معالم فإلى أي شيء تكون الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة؟ والآية الكريمة التي يستدل بها هؤلاء المسوخون تبطل دعواهم، وتدل على تحريفهم. وذلك أنها تبدأ كما قلنا بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ وسبيل الله هو مجموعة الحقائق والقيم المبينة في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ. إنها دعوة إلى توحيد الله ـ تعالى ـ وعدم الإشراك به، دعوة إلى حبه وتقديره حق قدره، دعوة إلى الإيمان برسوله وتعزيره وتوقيره، دعوة إلى الإيمان بأن ما قرره الإسلام حق لا ريب فيه، وما أمر به عدل لا ظلم فيه ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]. فكل قول أو فعل يتناقض مع هذا فهو كفر، وكل قائل به وعامل به على بصيرة فهو كافر خارج عن ملة الإسلام، روائياً كان أم ممثلاً أم فناناً، ناطقاً بالشهادتين أو غير ناطق.

لكن المخلوقات المسوخة تريد أن تتستر بكفرها وراء الأدب والفن، فتزعم تارة أننا لم نفهم ما قيل على أنه عمل أدبي فني. هكذا قال المدافعون عن سلمان رشدي في آياته الشيطانية في البلاد الغربية، وهكذا يقول المدافعون عن حيدر حيدر في وليمته لأعشاب البحر. وإن المرء ليعجب إذا كان جماهير الناس، بل خاصتهم لا يفهمون القصص والروايات؛ فيا ليت شعري ما ذا يفهمون؟ ثم هل يعقل أن يكتب كاتب قصة لا تفهمها الجماهير؟ إذن من الذي سيشتريها، ومن ذا الذي يقرؤها؟

وتزعم أخرى بأن الفنان لا يحاكم بالمعايير نفسها التي يُحاكَم بها سائر عباد الله. أي إنه من حقه ـ وليس من حق السياسي مثلاً ـ أن يظهر الكفر ويدعو إلى التهتك ما دام يعرض علينا كفره وتهتكه في صورة أدبية أو فنية، وما دام الكلام ليس صادراً منه هو مباشرة، وإنما يقال على لسان شخصيات روايته أو قصته. فهنيئاً إذن لك فاحشاً بذيئاً؛ إذ ما عليه ـ لكي ينجو من كل محاسبة ـ إلا أن يضع شتمه وبذاءته على لسان شخصية يخترعها، في قصة أو رواية قصيدة يكتبها.

ما ذا يعني هذا؟ أيعني أن الأعمال الفنية إنما هي أشكال لا محتوى لها؟ وأنها إنما يحكم عليها لذلك بشكلها لا بمضمونها؟ هل هذا صحيح؟ هل هذا هو الذي يفعله النقاد في تقويمهم للأعمال الفنية؟ وهل الشكل وحده هو الذي يبتغيه متعاطو هذه الأعمال؟ وهل معنى هذا أنه إذا كان كاتب ذو مواهب فنية رائعة أنه يجوز له أن يكتب قصة فحواها الاستسلام لإسرائيل، وأنه لا يحق للفلسطينيين ولا غيرهم أن يعترضوا على ما فيها؛ لأنها عمل فني؟ أم أن المحتوى الوحيد الذي لا يجوز الاعتراض عليه هو الاستهزاء بدين الله وتنقُّص أنبياء الله؟

وإذا كان بعض الناس يضعون الجمال الفني فوق الحق وفوق القيم، فما هكذا يرى المسلم المهتدي بكتاب ربه الذي يعلي من قدر الصدق والعدل، ويذم الكذب والجور في أي شكل جاء هذا أو ذاك. ولهذا حكم على الشعر بمحتواه لا بمجرد شكله.

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾.

[الشعراء: ٢٢٤ – ٢٢٧].



نور الهداية

أحمد بن عبد الرحمن الصويان

كنت عـائداً من سفـر طويل، وقدَّر الله ـ تعـالى ـ أن يكون مكاني في مقـعد الطائرة بجـوار ثلَّة من الشباب العابث اللاهي الذين تعالت ضـحكاتهم، وكثر ضجيجهم، وامتلأ المكان بسـحاب متراكم من دخان سجائرهم؛ ومن حكمة الله ـ تعالى ـ أن الطائرة كانت ممتلئة تماماً بالركاب فلم أتمكن من تغيير المقعد.

حـاولت أن أهرب من هذا المأزق بالفـرار إلى النوم، ولكن هيـهات هيـهات.. فلمَّـا ضـجـرت من ذلك الضـجـيج أخـرجت المصـحف ورحت أقـرأ مـا تيـسر من القرآن الكريم بصـوت منخـفض، ومـا هي إلا لحظات حتى هدأ بعض هؤلاء الشباب، وراح بعضهم يقرأ جريدة كانت بيده، ومنهم من استسلم للنوم.

وفجأة قال لي أحدهم بصوت ـ مرتفع وكان بجواري تماماً ـ: يكفي، يكفي..!!

فظننت أني أثقلت عليه برفع الصوت، فـاعتذرت إليه، ثم عـدت للقـراءة بصـوت هامس لا أُسْمِعُ به إلا نفسي، فرأيته يضم رأسه بين يديه، ثم يتململ في جلسته، ويتحرك كثيراً، ثم رفع رأسه إليَّ وقال بانفعال شديد: أرجوك يكفي .. يكفي.. لا أستطيع الصبر..!!

ثم قام من مقعده، وغاب عني فترة من الزمن، ثم عاد ثانية، وسلَّم عليَّ معتذراً متأسفاً. وسكت وأنا لا أدري مـا الذي يجري! ولكنه بعد قليل من الصـمت التفت إليَّ وقـد اغرورقت عيناه بالدموع، وقال لي هامساً: ثلاث سنوات أو أكثر لم أضـع فيها جبهتي علـى الأرض، ولم أقرأ فيها آية واحدة قط..! وها هـو ذا شـهر كامل قضيته في هذا السفر ما عرفت منكراً إلا ولغت فيه، ثم رأيتك تقرأ، فاسودَّت

الدنيا في وجهي، وانقبض صدري، وأحسست بالاختناق، نعم.. أحسست أنَّ كل آية تقرؤها تتنزل على جسدي كالسياط..!

فقلت في نفسي: إلى متى هذه الغفلة؟! وإلى أين أسير في هذا الطريق؟!

وماذا بعد كل هذا العبث واللهو؟!

ثم ذهبت إلى دورة المياه، أتدري لماذا؟!

أحسست برغبة شديدة في البكاء، ولم أجد مكاناً أستتر فيه عن أعين الناس إلا ذلك المكان!!

فكلمته كلاماً عاماً عن التوبة والإنابة والرجوع إلى الله .. ثم سكت.

لما نزلت الطائرة على أرض المطار، استوقفني وكأنه يريد أن يبتعد عن أصحابه، وسألني وعلامات الجدّ بادية على وجهه: أتظن أن الله يتوب عليَّ؟!

فقلت له: إن كنت صادقاً في توبتك عازماً على العودة فإنَّ الله - تعالى - يغفر الذنوب جميعاً.

فقال: ولكني فعلت أشياء عظيمة .. عظيمة جداً..!!

فقلت له: ألم تسمع قول الله - تعالى -: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [**الزمر**: ٥٣].

فرأيته يبتسم ابتسامة السعادة، وعيناه مليئتان بالدموع، ثم ودعني ومضى..!

سبحان الله العظيم ..!

إن الإنسان مهما بلغ فساده وطغيانه في المعاصي فإنَّ في قلبه بذرة من خير، إذا استطعنا الوصول إليها ثم قمنا باستنباتها ورعايتها أثمرت وأينعت بإذن الله - تعالى -.

إنَّ بذرة الخير تظلُّ تصارع في نفس الإنسان وإن علتها غشاوة الهوى؛ فإذا أراد الله بعبده خيراً أشرقت في قلبه أنوار الهداية، وسلكه في سبيل المهتدين. قال الله - تعالى -: ﴿**فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ**﴾.
[**الأنعام**: ١٢٥]



ندوة حول المستقبل الاقتصادي

في ظل العولمة.. نكون أو لا نكون

شعار... متى نرفعه اقتصادياً؟

(٢-٢)

إعداد: وائل عبد الغني

البيان: وقفنا في الحلقة الماضية مع ضيوفنا الكرام على مفهوم العولمة، ورأينا حجم التناقض في الفكرة وحجم الإشكاليات في التطبيق، وتعرفنا على القوى التي تحرك العولمة لتنفرد بالعالم، كما تعرفنا على الآليات التي تدار بها العولمة لتحقق أهدافها، وتوقفنا على هذا الخطر الذي بات يتهددنا نحن تحديدًا وربما يتهدد غيرنا أيضًا، وهنا نواصل الحديث حول مفردات المشكلة في عالمنا الإسلامي محاولين استشراف الحل.

ونرحب بضيوفنا الأكارم.. وقرائنا الأعزاء؛ ولنبدأ بسؤال ربما يثور في نفس كل غيور وهو: لماذا حقق هؤلاء كل هذه الإنجازات المادية في بلادهم ولم نحقق نحن أيّاً من ذلك، رغم الفارق بين المنهجين؟ نستمع للدكتور عبد الحميد:

د. عبد الحميد الغزالي:

السبب واضح؛ وهو أن الرأسمالي عندما يطبق الرأسمالية على مستوى الفرد يقيم هذه الرأسمالية رغم ما فيها من مثالب، وبذلك تتفق قناعاته مع تطبيقه.

أما في العالم الإسلامي فنجد أن الفرد في داخله حقيقة العقيدة الإسلامية، لكنه يرى الأنظمة أشياء بعيدة تماماً عما يعتقده!

هذا الانفصام وهذه الازدواجية كانا من أهم أسباب الأداء المتدني في الإنتاجية على مستوى الفرد والمجتمع، ومن هنا يأتي التخلف الاقتصادي والاجتماعي؛ لأننا إذا طبقنا المعايير الاقتصادية سنجد أن دول العالم الإسلامي كلها متخلفة، وبشهادة المنظمات الدولية، بما في ذلك مجموعة الدول ذات الرساميل النفطية؛ لأن المسألة ليست ثراءاً ماديًا وإنما الأمر يقاس بمدى مساهمة القطاعات السلعية - بالذات - في الناتج القومي، وبالذات .. الصناعة التحويلية. أو بمعنى آخر: مدى قدرة المجتمع على إنتاج ما يحتاج إليه أبناؤه من سلع

وخدمات. ووفقًا لهذا المعيار فإن العالم الإسلامي كله يقع ضمن العالم المتخلف المسمى بالنامي.

البيان: ولكن مقاييس التخلف يمكن التلاعب فيها سلبًا أو إيجابًا حسب الزاوية والوجهة التي ينطلق منها الباحث. ألا ترى أن الأمر يحتاج إلى ضوابط موضوعية أكثر تحديدًا للقياس؟

د. عبد الحميد الغزالي:

مقاييس التخلف تطورت اليوم عن ذي قبل، وأصبحت أكثر موضوعية؛ لأنها أصبحت تستبعد أثر الأسعار وتضيف أبعادًا أخرى مثل المشاركة السياسية ومستوى الحالة الصحية.

والتخلف هو عبارة عن حالة الانخفاض النسبي في مستوى النشاط الاقتصادي لمجتمع من المجتمعات.

لكن عندما نتحدث عن التخلف في العالم الإسلامي فلا بد من إضافة أبعاد أخرى يمكنها أن تصوب النظرة للقياس وذلك لضبط المعنى المراد من اللفظ بوصفها وحدة للقياس. ومن هذه الزاوية يمكن أن أضيف تعريفين منضبطين للتخلف الاقتصادي:

الأول: إذا وجدت مجتمعًا من المجتمعات الإنسانيَّة فيه مقهور سياسيًا ومستغَلٌ اقتصاديًا - أي فقد شرطي العدالة والحرية - فنحن أمام مجتمع متخلف!

الثاني: إذا وجدت مقاصد الشريعة الإسلامية الضرورية - وهي: حفظ الدين، والعقل، والنفس، والمال، والنسل - مغيبة فثق أنك أمام مجتمع متخلف مهما أوتي المجتمع من موارد مادية وبشرية ومالية.

والعالم الإسلامي يعيش هذه الحالة، وينطبق عليه كِلا التعريفين رغم ما حباه الله من امكانيات بشرية ومادية.

د. رفعت العوضي:

تكملةً لكلام الدكتور عبد الحميد: علينا أن نفرق بين ما يملكه العالم الإسلامي من موارد اقتصادية ضخمة - والتي تعد قوة كامنة - وبين ما ينتجه العالم الإسلامي .. الأرقام في هذا المجال تمثل صدمة كبيرة إذا ما قيست بالعالم من حولنا.

فالعالم الإسلامي - كما تقول الأرقام - مكون من ٥٦ دولة، وعدد سكانه ١,٢ مليار نسمة، ويبلغ إجمالي إنتاجه المحلي حوالي ٧٣٥ مليار دولار سنويًا. وفي المقابل نجد أن الولايات المتحدة بتعدادها البالغ ٢٦٥ مليون نسمة (خمس سكان العالم الإسلامي) تنتج وحدها ٦,٦ تريليون دولار سنويًا (أي حوالي ٩ أضعاف إنتاج العالم الإسلامي بمجموعه!) أما اليابان (والتي يقدر سكانها بعُشر سكان العالم الإسلامي) فيبلغ إجمالي إنتاجها ٤,٦ تريليون (أي حوالي ٦ أمثال إنتاجنا).

وإذا ما قارنا الصادرات نجد أنها في العالم الإسلامي ٢٨١ مليار دولار في مقابل ٥١٣ مليار (الضعف) بالنسبة للولايات المتحدة و ٣,٩ تريليون دولار (١٤ ضعف) لليابان!

إذن ونحن نتحدث عن العالم الإسلامي ومشاكله والمزايا التي يمكنه الحصول عليها، علينا أن ندرك أننا لسنا أمام عالم واحد بل أمام ٥٦ دولة، ٥٦ سوقًا، ٥٦ مفاوضًا، ٥٦ قراراً، هذا التفكك هو أحد أخطر أبعاد قضية التخلف والتبعية التي يحياها عالمنا الإسلامي!

د. عبد الحميد الغزالي:

التجارة البينية بين دول العالم الإسلامي الذي نريد له أن يكون حاضراً ومنافسًا قويًا في ظل العولمة لم تتعد ٨٪ وفي بعض الأرقام المتفائلة ١٠٪ من إجمالي حجم التجارة الخارجية للعالم الإسلامي، وهذه قضية لها أبعادها الاقتصادية والسياسية والنفسية والمنهجية.

أما إذا نظرنا إلى هيكل الإنتاج فنجده عبارة عن مواد خام وبعض السلع رديئة التصنيع، أو التي لا ترقى للمستوى العالمي، ومن ثم فإن قدرتنا التنافسية محدودة للغاية، ولهذا فنحن في أسوأ وضع؛ والسبب أننا لم نستغل مواردنا استغلالاً صحيحًا. نحن لدينا العقول المبدعة، ونملك رأس المال، والموارد لدينا متاحة، كل عناصر الإنتاج متوفرة بحمد الله، ولكن السر يكمن في الإرادة: إرادة التقدم .. إرادة التنفيذ .. إرادة التنافس .. إرادة الوحدة .. والإرادة مسألة نفسية ترجع إلى الإنسان.

د. رفعت العوضي:

باستقراء الأحداث التي تجري في عالمنا الإسلامي نجد أن هناك سقفًا مفروضًا على العالم الإسلامي، ولا يُسمح له بتجاوزه .. قد يخفى وقد يبدو أحيانًا.

والعالم الإسلامي رغم التكتلات محروم من أن يكون له كيان كبير في ظل العولمة، ومنظمة المؤتمر الإسلامي إذا ما اعتبرناها جامعة إسلامية لا تعدو أن تكون هيئة شرفية استشارية ولدت في ظل ظروف خاصة .. ولم يُرَدْ لها البروز على ساحة القرار.

في ظل العولمة زاد التفرق بين الدول الإسلامية. وأذكر أن الدكتور عبد الحميد قد قال في إحدى محاضراته: إن حصاد العولمة كان ٢١ حربًا في العالم الإسلامي وحده! وضَرْبُ النماذج الإسلامية الناجحة من دول النمور الآسيوية مؤشر على هذا الأمر خاصة أنه سمح للدول غير الإسلامية باستعادة كيانها ثانية.

العولمة ضربت العالم الإسلامي في أمر آخر هو السلع الاستراتيجية كالبترول وغيره.

حتى الصلاحيات التي كانت تتمتع بها بعض الدول الإسلامية داخل المنظمات الدولية ضعفت جدًا في ظل العولمة.

صندوق النقد قبل العولمة كان مختلفًا تمامًا عما هو عليه الآن.

منظمة التجارة لم تكن كما تبدو اليوم.

معظم محاولات الاندماج أو التكامل التي كانت تمثل حلمًا في العالم الإسلامي جُمِّدت؛ لأنها كانت تفتقد الرؤية الصحيحة في إيجاد الحلول.

د. عبد الحميد الغزالي:

الأنظمة لدينا بين مغيِّب ومغرِّب مع ما نملكه من مقدرات ومقومات للتنمية الناجحة.

ولهذا يمكن القول بأنه لو لم يكن هناك تغييب وتغريب للعقل المسلم على كافة الأصعدة لما كان هذا حالنا أبدًا.

ولأننا كذلك فلا نعتمد على الإنسان لدينا، ونتصور أن حل مشاكلنا الإنمائية وغيرها في الاعتماد على الخارج.

أليس أبشع ما تصاب به أمة أن تعتمد في ضروراتها على أعدائها سواء في السلاح أو الغذاء أو التقنيات التي لا تتمشى مع خصائص عناصرنا الإنتاجية، حتى نظل تابعين للغرب، وبذلك نبقى مهمشين في صناعات غير ذات جدوى، ونسير وفق مشاريع تسليم المفتاح؟

ولأننا أيضًا نعتمد على القروض والمعونات، فهذه التي تعد استعمارًا أبشع من استعمار القرن التاسع عشر؛ لأن القروض من أكبر معوقات التنمية؛ فهي توقعنا في كبرى الكبائر، ولسنا في حاجة إلى قروض! لدينا فائض يزيد عن ٨٠٠ مليار دولار ودائع في البنوك الغربية؛ بينما نحن مدينون لهم وبأسعار فائدة ربوية؛ وقد بلغ إجمالي الفوائد أضعاف أصل الدَّيْن!

البيان : عندما طُرح مشروع مارشال بعد الحرب الأوروبية الثانية لتمويل الدول التي خرجت منها من الحرب لدفعها نحو التنمية وفق الشروط الأمريكية وافقت فرنسا وإنجلترا على هذه الشروط. ورفضت كل من اليابان وألمانيا المشروع وفضلتا الاعتماد على الذات، ولنا أن نقارن بين النتيجتين حتى في العالم الغربي ذاته واليوم يسير صندوق النقد على نفس الخطأ في تكبيل محاولات النهوض وإعاقتها.

د . عبد الحميد الغزالي:

اليابان استطاعت - من خلال عملية تنميتها - أن تستخلص فائضاً من النشاط الزراعي لا يمكن استخلاصه، ومولت به مشاريعها الإنمائية والصناعية ؛ ولذلك نجحت لأنها اعتمدت على سواعد أبنائها وعلى التخطيط الداخلي دون أي تدخل أجنبي حتى حدثت الطفرة.

د . عبد الرحمن يسري:

المشكلة - من وجهة نظري - تكمن في أن العالم الإسلامي يئن معظمه تحت سيطرة حكومات علمانية تابعة للعالم الغربي .. هذه الحكومات قد ارتبطت بالاقتصاديات العالمية بلا أية ضوابط أو فهم لاتجاهاتها أو مضامينها، والتي قد لا يكون من ورائها مكاسب على الإطلاق، بل ربما خسائر محققه خاصة إذا احتكمنا إلى المعايير الإسلامية الصحيحة.

البيان : ولهذا يجيء رد فعلها على الأحداث العالمية والإقليمية ضعيفًا وبصورة مؤسفة ومخزية. فضلاً عن أنها قنعت بمجرد ردود الأفعال ولم تشارك في صنع اللعبة بما يخدم مصالح الأمة.

أ . يوسف كمال:

النظرة المصلحية البحتة إلى الحلول لا توصل إلى نهاية الطريق، وإنما التبصر والتمسك بالطريق مهما كانت العقبات هو الذي يوصل، ولذلك لا بد من تصحيح المنطلقات أولاً.

الرسول ﷺ حينما ذهب إلى الطائف وعرض الإسلام على أهلها عرضوا عليه أن يقيموا جبهة قومية .. فقالوا : «ننصرك على أن يكون لنا الأمر من بعدك»! ولكن هذا لا يتفق مع طبيعة المنهج، والمعادلة هكذا لا تصلح ولا بد من إرادة الآخرة أولاً حتى ننتصر، ولهذا كان رده - عليه الصلاة والسلام - : «الملك لله يضعه كيف يشاء».

أما الأنصار فقالوا : «ننصرك على ماذا ؟!.. قال : «الجنة»!

قالوا : «ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل».

ولما صحت المنطلقات كان النتاج سريعًا وناضجًا، فلم تمض سنوات على هذه الصفقة الرابحة حتى سقطت فارس والروم على يد هذه العصبة التي وضعت بصمتها على كل شيء في الدنيا.

لهذا فإن إدخال الإسلام في القضية يضع الأمور في نصابها ؛ لأنه يعتبر الإنسان هو أساس التقدم، والتخلف يمثل ظاهرة هوية أساسها الإنسان، والإنسان يتغير، ولا يثبت في نفسه غير العقيدة التي تشكل مسار حياته.

فإما أن يكون ديناميكيًا أو استاتيكيًا .. ذا تطلعات أو إمعة. ونحن حين ننظر إلى الكتابات التي تعالج مسألة العولمة - على سبيل المثال - نجد أن الثقافة الغربية قد تسللت إليها دون انتباه لذلك ؛ لغياب طعم العقيدة عنها، حتى في كتابات إخواننا الذين يتحدثون عن الإسلام، نجد مزيداً من التهميش المرجعي في مقابل مزيد من الاقتباسات عن الغرب.

لا عيب في أن نستفيد من تجاربهم لكن دون الافتتان عن منطلقاتنا أو الافتئات على ثوابتنا؛ لأن ذلك هو عين الهزيمة.

والعقيدة هنا هي المرتكز وهي السلاح الاستراتيجي الذي لا يملكه غيرنا؛ لأننا نريد الآخرة وهم يريدون الدنيا.

هذه العقيدة لها مضمونها في إيقاظ الإنسان وإحياء الإرادة لديه، وهي وحدها التي تملك أن توجه الإنسان المسلم وتبين له هدفه الصحيح.

الغرب يدرك ذلك تمامًا؛ ولهذا يقول ماسنيون: «استطعنا أن نحول العالم الإسلامي تحويلاً كبيرًا عن طريق إحداث انحرافة طفيفة في أول طريقه» كما لو حدث ذلك في قضبان القطار فإن الانحراف بزاوية ضيقة جدًا في الابتداء كفيل أن يبعده عن الهدف كلما سار على الطريق؛ وقد كان هذا بإدخاله في نظام حياة يختلف عن نظام الإسلام؛ ولهذا يقول: «الخطر الوحيد الذي يواجهنا أن يعرف المسلمون عقيدتهم؛ لأن هذا يشعل الإسلام في قلوبهم».

ولهذا فإن المسلم لن ينتصر في أي معركة إلا حين يعلن عن موقفه، نحن لا نطلب المستحيل، على الأقل أن يعرف الإسلام فكراً لا يشوه ولا يحرف ولا يخلط بغيره.

ثم نحن مع التيسير على قدر الطاقات لكن بشرط أن نسير في الطريق الصحيح هذا الطريق عليه منارات واضحة تهدي السائر عليه .. حتى وإن قابله جبل واستدار حوله فإنه سرعان ما يرى المنارة التي ترده إلى الجادة، ولهذا لو عرفنا ديننا حق المعرفة فستأتي الحركة؛ والحركة فيها النصر بإذن الله - تعالى -.

. د. عبد الرحمن يسري:

تصحيح المنطلقات هي الخطوة الأولى على طريق الحل، والوعي الإسلامي وحده هو الذي يجعلنا أكثر انتباهًا للمخاطر المحدقة بنا؛ لأن الوعي الرأسمالي لا يثير أي شكوك بالنسبة للأساليب التي تنتهجها قوى العولمة للهيمنة على العالم، بل يضفي عليها هالة من القداسة بحيث يصعب معها التنبه إلى خطئها أو خطرها.

والمسلم ليس بالإمعة الذي يسير في ركاب الآخرين ولا يدري إلى أين يقاد، وحتى لا نكون كذلك علينا أن نتجاوز عقلية المنهزم ومرحلة التلقي السلبي وسياسة ردود الأفعال المجردة، لنصل إلى مرحلة الفعل.

لدينا آمال كبيرة، ومن يدرس تجارب النهوض في العصر الحديث سواء في ألمانيا واليابان بعد الحرب أو حتى في دول النمور الأسيوية يدرك أن الأمل ما زال كبيرًا إن عدنا بإسلامنا إلى المعترك؛ وحينها لن نبدأ من الصفر وإنما ننظر فيما فعلناه أولاً ونصححه ثم نبني عليه ثانيًا، وعلينا انتهاز الفرص، ولدينا مؤسسات قائمة نبحث كيف نستفيد منها.

ننظر في حاجاتنا الفعلية، وننظر في كيفية تلبيتها داخليًا بالنسبة لنا .. الاعتماد على النفس ربما كان قاسيًا في أول الطريق لكنه لن يكون بقسوة خضوعنا للغير سواء كان عولمة أو غيرها.

د. عبد الحميد الغزالي:

تكميلاً لكلام الزميلين العزيزين .. فإن النظرة الإسلامية للإنسان تعيد الاعتبار إلى رأس المال البشري، وهو رأس المال الحقيقي؛ لأن الإنسان هو القيمة الأرفع والأكثر أثرًا في عملية التنمية والإنسان الفاهم لدينه المستوعب لتغيرات عصره هو الإنسان القادر على النهوض الحقيقي في مواجهة أي خطر مهما كان وبأقل الإمكانات.

ولهذا فإن الاستثمار في هذا المجال استثمار استراتيجي وقائم على الإسلام، وإذا لم نستطع ترتيب بيتنا من الداخل قبل أن تطغى علينا العولمة بآلياتها ومفاهيمها وتطبيقاتها فلا أرى أملاً.

معظم الدول الإسلامية على مدى نصف قرن جربت استراتيجيات عديدة .. النمو المتوازن .. النمو غير المتوازن.. استراتيجية الدفعة القوية .. استراتيجية البعد الأدنى الحساس .. استراتيجية التغلغل .. استراتيجية الحاجات الأساسية .. استراتيجية الصناعات الثقيلة .. استراتيجية الطلب النهائي .. استراتيجية الانطلاق والنمو .. إلى آخر هذه الاستراتيجيات، وكانت النتيجة ـ بشهادة المنظمات الدولية المتخصصة ـ : مزيداً من التخلف ومزيداً من معاناة الإنسان، والسبب في ذلك هو أننا أهملنا العنصر الأساس وهو الإنسان.

د . عبد الرحمن يسري:

من الموضوعية أن نعترف أن الآثار السلبية للعولمة ستكون شديدة الخطورة، ومن ثم فإن الأمر يلح علينا لتدبر أمورنا تجاهها بسياسة اقتصادية حكيمة واجتهادات عميقة ترمي إلى تحقيق مصالح الأمة في إطار القواعد الشرعية الأصلية، وتقدم حلولاً لما يجدُّ من مشكلات.

ولا نعني أن تكون الحلول سهلة المنال، ولربما كانت موجعة، فالجراحة قد تكون صعبة ولكنها وسيلة الشفاء إن شاءه الله ـ تعالى ـ ولأن العولمة ليس لها سابقة في التاريخ ولا يستطيع أحد أن يقول: إن لديه سياسات اقتصادية جاهزة لمواجهتها، ولكن الإسلام معين لا ينضب وعلينا الاجتهاد.

البيان : ولكن الاجتهاد قضيةً ومفهوماً قد جمد في حقبة سابقة، وهو اليوم يتعرض للون من التحريف في مضمونه وفحواه .. نحن نؤكد على هذا الواجب ولكن المشكلة في: من؟ وكيف؟

أ . يوسف كمال:

الاجتهاد واجب الطليعة المؤمنة من العلماء المتخصصين كلٌ في مجاله، بأن تكشف عن حكم الله ـ تعالى ـ في قضايا العصر، وتعيد الأمة إلى مسارها بعد توضيح المعالم؛ لأن الشرع محكم ومن رحمة الله بنا وإحكامه لدينه أن الآية من القرآن يمكن أن تقيم نظامًا اجتماعيًا وسياسيًا واقتصاديًا، وهنا نحتاج إلى اجتهاد هذه الطليعة لاستنباط ذلك.

نحن لسنا ضد الدراسات المتخصصة المتعمقة، ولكن عندما يتحدث العالم المسلم عن العولمة لا نريده أن يتحدث بمنطق العالم الثالث .. وإنما بمنطق: قال الله، وقال الرسول .. من منطلق الاتباع والأسوة والطاعة.

هذا هو مفرق الطريق!

نحن اليوم ـ ونحن نواجه العولمة ـ لا بد أن نضع كل شيء في نصابه، ولا يمكن أن تكون المواجهة في مجال واحد! المواجهة في كل المجالات. ولهذا لا بد من مشروع حضاري شامل يستوعب كل طاقات الأمة ويوحد بينها. إن ما ذكر عن جمود في العالم الإسلامي وتخلف سببه الأساس هو جهود الإنسان من داخله!

على سبيل المثال: السوق العربية المشتركة وهي هدف مقدم مطروح منذ عام ١٩٥٦م وقبل السوق الأوربية التي طرحت عام ١٩٥٧م؛ وها هي السوق الأوربية تجاوزت اليوم مرحلة السوق إلى مرحلة الوحدة، ونحن ما زلنا نقول: منطقة حرة أو اتحاد جمركي أو سوق مشتركة .. !

د . عبد الحميد الغزالي:

هنا أمر يجدر الإشارة إليه، ولا أحب أن يضيع في زحمة كلامنا .. وهو أن العولمة بصورتها الراهنة ليست قدرًا وليست شرًا محضًا، وإنما هي واقع جديد يُصنَع، ولا بد أن نتعايش معه بعقيدة المسلم وذكاء المسلم وحزم المسلم وحسمه.

نحن مع العولمة إذا ما كانت تعني التفاعل الحيوي بين شعوب الأرض .. نحن مع حرية التجارة، وحرية

الانتقال التي تعني حريتنا أيضًا في كل ذلك؛ وحين نملك القرار سنملك التأثير.

ولهذا أقول: إن العولمة الصحيحة بضاعتنا ويجب أن ترد إلينا لكن من منظورنا الإسلامي، لكن لن نستطيع أن ندخل تنافس العولمة ومعتركها المفروض علينا إلا بتربية إسلامية صحيحة وتطبيق إسلامي في الاقتصاد وفي السياسة في الاجتماع وفي الثقافة .. وبدون هذا التطبيق لن نكون قادرين على مواجهة العولمة. نحن جربنا الاشتراكية فكنا مستهلكي شعارات، وجربنا الرأسمالية فكنا مستهلكي سلع.. فلماذا لا نجرب الإسلام لننفتح على العالم من دائرة التأثير لا التأثر.

نحن أصحاب الانفتاح الحقيقي ولا يوجد انفتاح في أي عقيدة سماوية أو أرضية مثل الانفتاح في الإسلام؛ فالحكمة ضالة المؤمن والأصل في الأشياء الإباحة، ولهذا فإن انفتاحنا على العالم سيكون له إسهامه في الحضارة.

وأود أن أشدد على ضرورة توحُّد الدول الإسلامية تجاه هذه الظاهرة، وأن نضع أيدينا في أيدي بقية الدول النامية للحصول على نصيب عادل من التجارة الدولية والعلاقات الاقتصادية الدولية. فلقد رفعت الدول النامية - دول السبع والسبعين - في أوائل الستينيات شعار «التجارة وليست المساعدة Tsade Not Aid»؛ وذلك لأن المساعدة كانت - على عكس المأمول - عبئًا على التنمية وليست عاملاً مساعدًا لأحداثها. والآن ترفع الدول النامية شعار «عدالة التجارة وليس حرية التجارة» بمعنى أن حرية التجارة - باعتبارها جزءاً من ظاهرة العولمة - يتعين ألا تكون لصالح دولة واحدة أو حفنة قليلة من الدول المتقدمة.

د. رفعت العوضي:

العالم كله اليوم يتطلع إلى حل جديد وهو الذي يُعبَّر عنه بالطريق الثالث؛ لأن الشيوعية سقطت بالفعل، والرأسمالية في عولميتها تعيش أزمة خانقة رغم أن عمرها قصير وهو تسع سنوات لم يعدُ عمر طفل في المرحلة الابتدائية؛ هذا الطريق الثالث تكلَّم عنه كلينتون وتوني بلير وجاك شيراك ...

الإسلام يقدم أكفأ نموذج للطريق الثالث، ولو أننا جمعنا ما كتب عن هذا الطريق الثالث لوجدنا كأنهم يحومون حول الإسلام، وهذا يجعلنا نقول: على العالم الإسلامي أن يقدم الإسلام باعتباره الطريق الثالث الذي يبحث عنه العالم كله.

سنُسأل أمام الله - تعالى - إذا لم ننتهز الفرصة ونقدم الإسلام للعالم على أنه الطريق الثالث المنقذ؛ لأن الحرية المطلقة سببت الكوارث. والإسلام وحده هو الذي يقدم الحلول والضوابط في هذا المجال، والإسلام وحده هو الذي يربط التنمية بالتوزيع والعدالة الاجتماعية. الإسلام يقنن دور الدولة في الاقتصاد ولا نبالغ إذا قلنا: إن الإسلام هو سبيل النمو الذي يحتاجه العالم.

د. عبد الحميد الغزالي:

بعد سقوط الاشتراكية وتبني جورباتشوف البروسترويكا التي أراد من خلالها أن يبحث عن طريق غير الرأسمالية؛ لأنه أعلم بمشاكلها، أرسل وفدًا إلى مصر ليدرس النظام الإسلامي للاستفادة منه، وشُكِّلت لجانٌ في مركز الاقتصاد الإسلامي التابع لجامعة الأزهر من المتخصصين، وعكفت هذه اللجان على صياغة برنامج متكامل للنظام الإسلامي في شكل بنود وفقرات قدمنا فيه نظامًا اقتصاديًا تشغيليًا يبدأ بفلسفة النظام والعمل والأجور ونظام الملكية المتعددة، الاستهلاك والاستثمار والادخار والشركات وصيغ الاستثمار والسياسة النقدية والسياسة المالية .. إلى آخر كل مكونات النظام الاقتصادي الفاعل..

وعندما قُدم هذا النظام للوفد تساءل رئيسه الوزير (بافلوف) : كيف يكون لديكم مثل هذا النظام وأنتم على هذه المسألة من التخلف؟! وأسندت أمانة المؤتمر الرد إليَّ، وكان ردي : «لأننا بعيدون تمامًا عن هذا النظام».

ولكن توالت أحداث تفكك الاتحاد السوفييتي، ولم تُعطَ القيادة الروسية الفرصة للاستفادة من هذا المشروع الذي أصر الوفد الروسي على مناقشته تفصيلاً في جولة ثانية في موسكو.. إلا أن الجولة المقترحة لم تتم بسبب هذه الأحداث.

البيان : هل يمكننا ـ ونحن في إطار الحديث عن المشروع الحضاري بصفة عامة ـ أن نطرح تصورًا له في ظل مخاطر العولمة؟

أ. يوسف كمال:

إذا كنا نتحدث عن مواجهة فالمواجهة تحتاج بداية إلى إرادة، ولا إرادة بدون عقيدة؛ لأننا إذا نظرنا على سبيل المثال إلى الفجوة التقنية بيننا وبين الغرب والتي تتسع وتتسع فسنصاب باليأس؛ لأننا في حاجة إلى تكوينات رأسمالية وهي بدورها تتطلب فائض مدخرات كبير، وهذا الفائض يحتاج إلى زيادة الدخل وإلى ضغط الإنفاق! ومستحيل أن نصبح كروسيا؛ لأن الإنسان الروسي هو الذي هدم روسيا بسلبياته وعدم حرصه على مصلحة بلده.

إذن لا بد من عامل ذاتي يدفع الإنسان نحو مضاعفة عمله وضغط نفقاته؛ بحيث يكون على استعداد دائم لبذل أكثر مما هو مطلوب منه.

ليس شيء سوى العقيدة يصنع مثل هذه المعجزة، إذن العقيدة هنا يمكن أن تحدث الطفرة؛ لأنها تربي الفرد على المسؤولية في إطار جماعي وتحميه من الهزيمة النفسية والفكرية.

ثم تأتي بعد ذلك الشريعة لتضع له الضوابط العملية والتطبيقية التي توجه جهوده التوجيه الأمثل.

د. عبد الرحمن يسري:

لماذا لا يرفع المسلمون شعارًا واحدًا يوحد بينهم كما يرفع غيرهم من الشعوب الشعارات؟ الثورة الشيوعية رفعت من قبلُ شعار : «يا عمال العالم اتحدوا»

والأمريكيون رفعوا شعار : «بالله نثق»، والفرنسيون رفعوا شعار : «حرية ـ إخاء ـ مساواة» والمسلمون يملكون الشعار الذي يوحد بينهم وهو كلمة الشهادة التي نرددها صباح مساء هذه الكلمة تمثل شعارًا حقيقياً للإسلام عقيدةً وفكرةً ونظاماً، ويمكن من خلال توظيف مفهومها أن تستعيد الأمة ما فقدته حتى في ظل طغيان العولمة.

البيان : لكن كيف نترجم هذا الشعار إلى واقع حضاري عمومًا، واقتصادي خصوصًا؟

د. عبد الحميد الغزالي:

إذا تكلمنا عن المشروع الحضاري فلا بد أن ينقلنا هذا للحديث عن الثوابت التي ينبغي أن نحتكم إليها ونحن نواجه العولمة :

أولى هذه الثوابت: أن يكون مدخل التعامل عقديًا؛ لأننا إذا فقدنا المقياس ونقطة الانطلاق فستصبح الأمور كلها نسبية تقبل التسويغ واحتمال وجهات النظر المختلفة، أما إذا احتكمنا إلى العقيدة وانطلقنا منها فسوف يكون سعينا مطرداً بنّاءاً، ويكفي أننا نملك حينئذ المعية الإلهية.

وثانيها: أن تكون المصلحة الاقتصادية لأمتنا وأوطاننا هي المحرك الأساس لعملنا، وهذا لا يكون إلا بإرساء حرية الإنسان وإشراكه في العمل؛ فلا تهدر طاقة ولا تزيف إرادة، وإلا أحس الإنسان بالغربة، وهذا شعور قاتل لكل مبادرة .. و لكل عمل جاد.

ثالثها: سياساتنا الاقتصادية التي لا بد أن تنبع من خططنا المبنية على مصالحنا، أما خطط صندوق النقد والبنك الدولي فينبغي ألا تكون ملزمة.

رابعها: أن تكون حلولنا استراتيجية، بأن ننظر إلى عملية التنمية نظرة غير تقليدية، بأن نستفيد من فترات السماح المتاحة لاتفاقيات التجارة، وهي ما بين ٥ ـ ١٠ سنوات، ويمكن أن تُمد عن طريق التفاوض حتى نقف على أرجلنا وهكذا..

د. عبد الرحمن يسري:

يمكن من خلال هذه الثوابت التي طرحها الدكتور عبد الحميد أن نطرح تصورًا لدور الدولة في الإسلام خاصة في مثل هذه الظروف، هذا الدور يتمثل في عدة واجبات يمليها الشرع على الدولة، هذه الواجبات كانت موجودة منذ عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين ـ رضوان الله عليهم جميعًا ـ ويمكن لنا أن نطرحها بإيجاز:

١- واجبها نحو بناء الفرد المسلم الذي يعد العنصر الأهم في التنمية وفي المواجهة، وذلك عن طريق تربية الناس وتوعيتهم بواجباتهم وحقوقهم الشرعية، وضرورة تماسكهم قطريًا وعالميًا، وهذا يستدعي زيادة الإنفاق على التربية والتوعية الإسلامية في جميع المستويات التعليمية، وإحياء دور المسجد، وإعداد المناهج اللائقة بذلك.

٢ – واجبها في إيجاد الكفاءات، وهو ما يمثل فروض الكفايات عن طريق وضع خطة تعليمية مركزية تتضمن برنامجًا زمنيًا تفصيليًا يبدأ بمحو الأمية، ويمتد للتوفيق بين برامج التعليم والتدريب وبين احتياجات سوق العمل حاضرًا ومستقبلاً، والارتقاء بالبحث العلمي من خلال توفير التقنيات الحديثة والعمالية، والتشجيع على البحث والإبداع والابتكار.

٣ – واجبها نحو المال باعتباره قيمة إسلامية لها دورها العقدي والاقتصادي والاجتماعي، وهذه المسألة تمثل نقطة ارتكاز تفصل بين النظرة الإسلامية والنظرة المادية عمومًا، فتقوم بوظيفتها المالية من جمع الزكاة والصدقات والعشور وغيره وتصرفها في وجوهها حتى لا يكون المال دُولة بين الأغنياء كما تريد العولمة.

٤ – واجبها نحو ضمان استقرار النشاط الاقتصادي الحقيقي بالإشراف على أسواق رؤوس الأموال وتنظيمها، وتنظيم تدفق رؤوس الأموال، وضمان الالتزام بالأحكام الشرعية واتخاذ الإجراءات الحاسمة لمنع الإخلال بالقواعد الشرعية.

٥ – تنظيم الانتفاع بالموارد كالموارد المائية وأراضي الرعي والغابات والصحراء لصالح أبناء المجتمع وضبط عمليات التملك بما يضعف النفوذ الأجنبي.

٦ – الابتكار في تشجيع الاستثمار؛ وعلى سبيل المثال من خلال المعاملة التفضيلية للشركات الأجنبية التي تسهم إسهامًا فعليًا في التنمية الحقيقية.

٧ – ضبط التعامل مع الأسواق الأخرى من خلال مراقبة الواردات لضمان عدم مخالفتها للشريعة الإسلامية، وأخذ العشور وإدارة التجارة الخارجية بما يحقق المصالح، وعلى هذا الغرار تكون واجبات الدولة التي يمكن أن تتطور وفق هذه الواجبات بآليات أحدث.

د. رفعت العوضي:

التطورات الراهنة تفرض على الدولة مزيدًا من أدوار الحماية وإدارة الإنماء بطريقة ذكية وفاعلة تعتمد فيها على البحث العلمي والدراسة والتخطيط الجاد .. وقيام الدولة بهذه الأدوار يقلل كثيرًا من الخسائر التي يمكن أن تتعرض لها في ظل العولمة .. وعلى سبيل المثال:

ـ الاتفاقيات الدولية الملزمة كاتفاقية تحرير التجارة تحتاج إلى دراسة متأنية ومتخصصة تتيح لنا معرفة عناصر القوة والضعف والثغرات في هذه الاتفاقية، كي تتمكن الدولة من توسيع مجال المناورة وتفسير هذه المواد بما يخدم مصالحها.

ـ تحتاج الدولة بدلاً من أن تغري الاستثمارات الأجنبية بالقدوم أن تنتهج سياسات تعيد الثقة بالاقتصاديات المحلية، بما يشجع الاستثمارات المهاجرة إلى الخارج على العودة إلى بلادها مرة أخرى.

- حماية الصناعات الناشئة من المنافسة الأجنبية وسياسات الإغراق من خلال فرض لون من القيود الجديدة التي تعتمد على المواصفات في الحيلولة من دخول الصناعات المنافسة.

ـ توجيه الدراسات الجامعية والأكاديمية الشرعية والمتخصصة إلى حل مشكلات الانفتاح والتحرير والبورصة بحلول عملية.

ـ تطوير القدرة التنافسية لصناعاتنا من خلال دعمها عن طريق الدراسات أو مساعدتها في فتح أسواق جديدة أمامها.

هذه الأدوار مجرد أمثلة على ما يمكن أن تفعله الدولة الآن.

أ . يوسف كمال:

السياسة الحمائية لها بُعْدٌ شرعي مهم يتمثل في تطبيق الشريعة؛ لأنه لا قيمة لوضع سياسات لحماية الصناعات دون حماية البنية التحتية التي يمتد إليها التمويل الأجنبي ليتلاعب بها، وأمامنا تجارب معاصرة تخلت فيها الحكومات عن الحماية الشرعية المتمثلة في تحريم الربا الواقع في عمليات الإقراض، وتحريم المقامرات التي تجري في البورصات، فكانت النتيجة أن أُتيَ الاقتصاد من حيث لم يحتسبوا والله قد ضمن لنا العصمة في التمسك بحبله؛ فلماذا النكوص؟!

د . رفعت العوضي:

مسألة التكامل الإسلامي، وكيف يمكن للدول الإسلامية اليوم أن تكمل في إطار هذا التكامل.

في ظل الظروف الراهنة ليس بمقدور أي دولة إسلامية أن تخرج عن الإجماع العولمي الذي تمليه الدول السبع الكبار عبر المؤسسات والمنظمات الدولية، ومن ثم فإن المتنفس أمام الدول الإسلامية يبدأ عبر الساحة الإسلامية ذات الامتداد الجغرافي والاستراتيجي والسكاني والمادي بدءًا بالتكامل وانتهاءاً بالتوحد عبر سياسات منضبطة ومحكمة.

لأن المنظومة العولمية آخذة بالتطور عبر القرارات والاتفاقات والتكتلات والاندماجات بشكل يملي على العالم الإسلامي سرعة المبادرة قبل أن يفلت الزمام.

العالم الإسلامي يمتلك مخزونًا جبارًا من رؤوس الأموال ومن الثروات الحيوية والمعدنية بالإضافة إلى التلاحم الجغرافي والتكامل في الموارد، ولهذا لو قامت تجارة فعلية بين العالم الإسلامي لأمكننا الاستغناء عن العالم الخارجي على الأقل في الاحتياجات الاستراتيجية.

وهنا يبرز دور مؤسسات التكامل سواء على مستوى الإطار الإسلامي العام كمنظمة المؤتمر الإسلامي، أو حتى على المستوى الإقليمي كالاتحاد المغاربي، ومجلس التعاون الخليجي، أو اتحاد جمهوريات وسط آسيا الاسلامية، أو على المستوى الوظيفي كمجموعة الثمانية الإسلامية؛ لكن المثير للعجب أن دور هذه المؤسسات لم يزل مقصورًا على الدور الاستشاري ولا يحمل أي صورة من الإلزام.

لدينا كذلك مؤسسات متخصصة كاتحاد الغرف التجارية والصناعية الإسلامية، والبنك الإسلامي للتنمية ولدينا مؤسسات أخرى في الإطار العربي، لكن هذه المؤسسات لم تقم بدورها المرسوم والمراد لها، والأسباب معروف أكثرها، وإذا ما أرادت الدول الإسلامية لنفسها بعض التنفّس من ضغط العولمة فعليها أن تُفعِّل العلاقات البينية والتكاملية لمواجهة آثار الهيمنة الخارجية.

أما على مستوى رؤوس الأموال فلدينا فرص استثمار ممتازة، ويسيل لها لعاب المستثمر الأجنبي داخل المجال الإسلامي من آسيا الوسطى وحتى الأطلنطي تحتاج إلى رؤوس أموال وخبرة كافية لاستغلال المقدرات الموجودة.

عبد الحميد الغزالي:

لا بد أن يكون هناك نظرة استراتيجية لموارد العالم الإسلامي وإمكانياته من خلال التخصص وتقسيم العمل، بتوزيع الأدوار، ومن هنا فعلاً نستطيع إقامة تكتل، وحتى لا نكون حالمين علينا أن نبدأ بأدنى ما يمكن قبوله .. وهو أن ننظر فيما ينتج العالم الإسلامي فيتم التبادل فيه بدلاً من استيراده من العالم الخارجي.

ثم من خلال التخطيط الاستراتيجي يمكن تنمية بعض الصناعات الاستراتيجية وحل إشكالات التطور التقني بتنظيم حقوق الملكية الفكرية على مستوى العالم الإسلامي للاستفادة من عقولنا الإسلامية التي نهدرها بينما تنمو إذا ما احتضنها الغرب.

العالم الإسلامي كذلك يحتاج إلى دليل تنمية حقيقي، ودليل استثمار على مستوى العالم الإسلامي يتم تداوله بين رجال الأعمال المسلمين، ويحتاج كذلك إلى بنوك معلومات، ومجموعات استشارية إسلامية تقدم دراسات وافية عن جدوى الاستثمار وعوائده ومزاياه على نطاق العالم الإسلامي.

ونحتاج إلى دوريات متخصصة في هذا المجال تقدم الدراسات الإنمائية من المنظور الإسلامي؛ وهذه المؤسسات تحتاج إلى دعم الحكومات ومؤسسات التكامل تماماً كما تدعم الأنشطة الوضعية.

أ. يوسف كمال:

هناك عدة تساؤلات تطرح نفسها على الحوار:

لماذا لا توجد كيانات كبرى قوية فاعلة على مستوى العالم الإسلامي مع توفر الإمكانات والدواعي؟!

ولماذا لا توجد شركات إسلامية دولية النشاط مع توفر الإمكانات والدواعي؟

ولماذا لا يوجد ابتكارات واختراعات في الدول الإسلامية مثلما يوجد في الغرب؟ هل العيب في العقول، أم في النظم؟

ثم لماذا تتفوق العقلية المسلمة في الخارج بصورة تدعو إلى العجب؟!

انعدام الإرادة السياسية أو ضعفها وتبعيتها لدينا هو السبب في جل ما أصابنا، ما زلنا نرفع شعارات للاستهلاك دون تطبيق؛ لأننا غير جادين في ذلك!

السوق العربية المشتركة.. التكامل الإسلامي.. حتى على مستوى التكامل الثنائي أو الثلاثي بين الدول .. الاتفاقيات الثنائية لم تصمد أمام أول ريح للخلافات السياسية!

ما زال للنظرة القطرية الدور الأخطر في سياساتنا فلا رؤى مشتركة، ولا سياسات مشتركة.

وإذا أضفنا إلى ذلك التأثر بطابور المستفيدين بالعولمة اليوم في سن التشريعات وفرض السياسات واتخاذ القرارات.

ولهذا أقول: إنه ما من حل إلا من خلال تحرير الإرادة، والإرادة لا يحررها سوى العقيدة التي تبني الفرد وتبني المجتمع وتصحح المنطلقات والمعايير.

د . رفعت العوضي:

الدول الإسلامية تستورد أكثر من نصف غذائها من العالم الخارجي؛ مع أنها لم تستغل سوى أقل من ٤٠٪ من المساحات الصالحة للزراعة. وبنظرة استراتيجية نتساءل: لماذا لا نزرع هذه الأراضي بفوائض أموالنا المعطلة في البنوك الغربية والتي تربو على ٨٠٠ مليار دولار في أقل تقدير؟ عندنا الأيدي العاملة الرخيصة، والأراضي الصالحة للزراعة، ولدينا في السودان وحدها مساحات يمكن أن تكفي العالم الإسلامي من الغذاء، ولدينا مساحات شاسعة في الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز؛ وكازاخستان وحدها فيها ١١٧ مليون فدان صالحة للزراعة!

العالم الإسلامي ما زال يتمتع ببعض الميزة النسبية في مجال الزراعة؛ فعلينا أن نطور هذه الميزة رأسيًا وأفقيًا.

وفي مجال الصناعة يمكن الاستفادة من الخبرات التي تكونت في ماليزيا وإندونيسيا ومصر وباكستان في هذا المجال لتوسيع قاعدتنا الصناعية، وأيضًا يجب علينا الاستفادة من العنصر البشري المتميز في الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز. العالم يسعى لجذب هؤلاء العلماء، وعالمنا الإسلامي غائب كلية عن ذلك. وفي هؤلاء علماء في الذرة ولا بد أن يُخَطَّط للاستفادة منهم.

حتى الآن ما زال أمامنا الكثير؛ لكن بمرور الوقت تتضاءل أمامنا الفرص وربما تضيع.

د . عبد الرحمن يسري:

لا شك أن الحرص على مصلحة بلادنا يدفع نحو ابتكار حلول عملية ونحن راضون بأقل القليل، لن نقول وحدة اقتصادية كما فعلت أوروبا، أو منطقة تجارة حرة كما هو الحال في أمريكا الشمالية، ومع أن هذا يندرج ضمن الواجبات الشرعية، لكنا نقنع بالحد الأدنى من التنسيق بين السياسات من خلال النظر في السوق الإنتاجية وما ينتج فيها وإعطائه الأولوية والابتكار في أساليب التعامل، حتى لو عدنا إلى أسلوب المقايضة بعيدًا عن العملة الصعبة بالاستناد إلى قيم ثابتة من الدينار الإسلامي (وحدة النقد المشتركة) حتى نتحرر بعض الشيء من قيود التعامل بالعملة الصعبة والآليات الدولية المفروضة.

هذا لا يعني رفض الارتباط الإنتاجي بالعالم على إطلاقه ولكن يعني ـ على سبيل التأكيد ـ عدم التسليم بهذا الارتباط قبل فهم مضمونه واتجاهه أو التعرف على مكاسبه: من أين؟ ولمن؟

د . رفعت العوضي:

أود أن أشير أيضًا إلى أهمية دور المؤسسات العلمية والمؤتمرات العلمية المتخصصة على مستوى العالم الإسلامي في تقديم حلول مؤسسية لإشكالات ثورة الاتصالات والمعلومات وكيفية الإفادة من الانترنت التي أصبحت متاحة للجميع لكن دون آليات وضوابط تضمن حسن الاستفادة.

ومن ثم توفير مراكز معلومات قادرة على خدمة اتخاذ القرار والإشراف والمراقبة. هل تتصور أن جامعة هارفارد لديها مركز عن البنوك الإسلامية، بينما لا يوجد مثله في أي جامعة على مستوى العالم الإسلامي؟!

وهذا يعني أن المعلومة لدينا إما مضللة أو مشوشة .. أو سطحية إذا ما اعتمدنا على امكانياتنا التي لم تزل دون المستوى.

كما نطرح لوناً آخر من التفعيل وهو كيفية الإفادة من البحوث العلمية المقدمة لنيل الدرجات العلمية في جامعاتنا؛ فبين هذه البحوث عدد كبير يمكن أن يفيد في هذا الجانب، ولنا أن نتصور أيضًا حجم الفائدة إذا ما قامت مؤسسة إسلامية على مستوى العالم الإسلامي لرعاية الباحثين وتشجيعهم على البحث في هذا

المجال عن طريق المسابقات البحثية أو شراء الأبحاث التي تقدِّم إضافة في هذا المجال.

إلى جانب هذا إيجاد مؤسسات للتدريب ورفع مستويات الأداء واكتساب الخبرات بمعايير شرعية وموضوعية.

ومؤسسات أخرى لتصميم المشاريع النموذجية التي تضمن أداءاً متميزاً من جهة العائد والتكاليف والضوابط الشرعية والعمل على انتشارها.

ومؤسسات كذلك تعمل على استيعاب التقنيات وتطويرها بل والابتكار أيضاً..

قد تكون برامج التطوير أكبر كلفة في المدى القصير لكن مردودها وتكاليفها لا تقارن على المستوى الاستراتيجي.

وفي هذا الصدد أشير إلى أن التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية إذا تحقق فسوف يمثل وعاءاً ملائماً لرعاية التقدم التكنولوجي.

إن الدول الإسلامية إذا اجتمعت فسوف تتوافر العناصر اللازمة للتقدم العلمي: العناصر البشرية المتوافرة في بعض الدول الإسلامية، ورؤوس الأموال، ومراكز البحوث العلمية.

د. عبد الحميد الغزالي:

المشروع الحضاري الإسلامي له منظومة تائية مكونة من تسع كلمات تستوعب في مجملها وتفصيلها ما يمكن أن تتناوله أي خطة للتطوير وتزيد.

هذه التائية تتمثل في: التوحيد .. التحديث .. التنمية .. التقنية .. التكافل .. التكامل .. التعاون .. التغيير.. التوحد.

فالتوحيد .. هو المدخل؛ لأن (لا إله إلا الله) سنة حياة .. توحيد الشعائر والشرائع، والذي أجمله الحق - سبحانه - في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [**الفاتحة**: ٥]؛ وبهذا المدخل تتحقق خلوصية العبادة لله - تبارك وتعالى - وتتحقق حرية الإنسان صانع التقدم؛ لأن صنع الرجال يصنع معه كل شيء، كما قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: «مجتمع المنتجين المتقين حقّاً».

وثانيها: التحديث: الذي يبدأ بتحديث العقل قبل الأشياء .. وتحديث العقل فريضة بدأ بمشروع «اقرأ» .. ونحن نعيش عصر المعرفة.

وثالثها: عنصر التنمية: والإسلام جاء لإعمار الأرض وتنميتها وفق المفهوم الشامل للتنمية؛ والذي يشمل التنمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

ورابعها: التقنية: ونحن مأمورون أن نأخذ بأحدث ما أنتجه العقل البشري من مستجدات وابتكارات ما لم تخالف نصاً أو تهدر أصلاً؛ لأن الحكمة ضالة المؤمن - لكن التقنية ليست سلعاً تستورد، وإنما مادة تطور وفقاً لنظام تعليمي مستوعب قائم على خصوصياتنا.

وخامسها: عنصر التكافل: وهو جزء أصيل لهذا المشروع، وما حُرِّم الربا وفرضت الزكاة إلا من أجل التكافل والتكاتف بين أفراد المجتمع.

سادسها: التكامل: وهو مهم جداً بين أفراد المجتمع الواحد وبين المجتمعات الإسلامية تكويناً للوحدة، ونحن كما قلنا: نملك مقومات هذا التكامل مادياً ومعنوياً.

وسابعها: التعاون: وأعني به التعاون مع الآخر بعد الاعتماد على الذات، وبشرط أن يقوم هذا التعاون على النِّدِّية وليس على التبعية.

وثامنها: التخطيط والذي يعني الاستخدام الأمثل والأكفأ لما لدينا من إمكانات مادية وبشرية ومالية تحقيقًا للحياة الطيبة الكريمة لكل إنسان يعيش في كنف النظام الإسلامي.

وتاسعها: التوحد: على أساس وحدة العقيدة ووحدة الأمة ووحدة المصلحة. الاتحاد الأوربي تبعنا في فكرة السوق المشتركة لكنه سبقنا وتخلفنا نحن؛ لأنه صحح منطلقه وفقًا لرؤيته وملك قراره وعرف مصلحته ووصل الآن إلى وحدة سياسية واحدة، وعملة واحدة.

أ. يوسف كمال:

العولمة ليست معنى جديدًا على البشرية؛ فقد سبقت هذه العولمة عولمات أخرى، وقد قدم لنا القرآن النموذج الإسلامي للعولمة بصورته المشرقة في ذي القرنين الذي مكَّن الله له في الأرض من مشارقها إلى مغاربها، وآتاه من كل شيء سببًا، فأتيحت له إمكانيات ضخمة ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [**الكهف**: ٨٥] أي فأضاف إلى هذه الأسباب أسبابًا فكرية وعملية .. وأخذ بالأسباب .. لم يطبق المعايير المزدوجة وإنما طبق المنهج الإسلامي، ولخصه في: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [**الكهف**: ٨٨]، فأقام المنهج في جنبات الأرض، وعمل على تحرير المستضعفين في كل شبر منها .. هذا هو النظام العالمي الذي يبشر به الإسلام ممثلاً في ذي القرنين .. وقد ذكر المفسرون أن ما فعله عند مغرب الشمس فعله عند مطلعها.

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [**الكهف**: ٩٣، ٩٤] وكان رده: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [**الكهف**: ٩٥] لم يقل: فعلت أو أفعل أو أمرت، وإنما تواضع لله مع ما وهبه من قوة.

وهنا قمة التقنية ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [**الكهف**: ٩٦] فخلط الحديد بالنحاس ليكون أقوى .. وبعد أن انتهت المهمة قال: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ [**الكهف**: ٩٨] ولم يقل: من إنجازاتي.

هذا أساس العولمة في الإسلام وهذا الذي يراد من الإنسان أن يفعله بالدنيا، فليس الهدف فقط إقامة عمران مادي؛ لأنه كله سيعود ﴿دَكَّاءَ﴾.

أما العولمات الأخرى فهي التي قال الله عنها: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [**الكهف**: ١٠٣ - ١٠٥].

وحبطت أي: انتفخت، ونحن نرى الحضارة تشبه الجسم المتورم! لا وزن لها في ميزان الله ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾.

ماذا يحدث في السودان؟

محاولة لتفسير ما جرى وأسبابه

حسن الرشيدي

«إن هذه اللحظة الحاسمة تستدعي خطاباً كريماً للدعوة إلى الجهاد».

هذه كانت كلمات الدكتور حسن الترابي يرد بها على إجراءات عزله عن رئاسة البرلمان في السودان بعد أن ظل طوال ما يقرب من عشر سنوات شبه المسؤول المطلق عن إدارة النظام السوداني؛ حيث استطاع أن ينقل الحركة الإسلامية لأول مرة من طور الدعوة إلى طور الحكم؛ فماذا حدث؟

في مساء الأحد ١٢/١٢/١٩٩٩م أقدم الرئيس عمر البشير على إعلان حالة الطوارئ لمدة ثلاثة أشهر، وحل المجلس الوطني، وتعطيل أربع مواد من الدستور تتعلق بانتخاب ولاة الأقاليم. هذه الإجراءات كانت صدمة لبعض الناس ومفاجأة كاملة، ولكنها بالنسبة للآخرين كانت تطوراً طبيعياً؛ فقد تحدثت وسائل الإعلام في الفترة الأخيرة بكثرة عن وجود خلاف بين البشير والترابي، وأسهبت في سرد تفاصيل كثيرة، ولم يلبث أن توقف الكلام حتى يظهر كلام جديد عن الخلاف، ثم تفجر الوضع بإعلان البشير الأخير.

أطراف الخلاف ومظاهره:

يمكن تقسيم أطراف الخلاف إجمالاً إلى فصيلين:

أحدهما الجهاز التنفيذي للحزب الحاكم (المؤتمر الوطني) ويضم إجمالاً: قصر الرئاسة، ومجلس الوزراء، وحكام الأقاليم، والوزارات الإقليمية، والمحافظين ومساعديهم وهم من مؤيدي البشير إضافة إلى الجيش، وعلى رأس هذا الفريق خمسة عسكريين وخمسة مدنيين. والعسكريون هم: الفريق البشير، واللواء بكري حسن صالح وزير شؤون رئاسة الجمهورية، وأمين رئاسة الجمهورية، واللواء مهندس إبراهيم شمس الدين وزير الدولة في وزارة الدفاع المكلف بتأمين الوضع العسكري للنظام، واللواء الهادي عبد الله رئيس جهاز الأمن الداخلي، ووزير الداخلية اللواء عبد الرحيم حسنين. أما المدنيون الخمسة فهم: علي عثمان طه نائب الرئيس، والدكتور نافع علي نافع مستشار الرئيس لشؤون السلام، والدكتور مجذوب الخليفة والي الخرطوم، والدكتور غازي صلاح الدين وزير الثقافة والإعلام، والدكتور إبراهيم أحمد عمر.

ويؤيدهم معظم القادة القدامى الذين رافقوا الترابي في تأسيس الحركة قبل أربعة عقود لكنه عمد إلى تهميشهم بدعوى ضرورة تجديد دماء الحركة، وأضحى الشارع السوداني ينادي هذه المجموعة بـ (٥ + ٥).

وفي مقابلها يقف الجهاز التشريعي وهم معظم أعضاء البرلمان السوداني إضافة إلى المليشيات المسلحة التابعة للحزب وعلى رأسه الترابي وعدد من أعوانه المقربين، ومنهم: محمد الحسن الأمين، والدكتور علي الحاج محمد آدم، وإبراهيم السنوسي، والدكتور معتصم عبد الرحيم.

وتقول بعض المصادر السودانية إن الترابي غدا متحصناً في الآونة الأخيرة بالبرلمان وحزب المؤتمر الوطني، بينما يسيطر تلاميذه - الذين شقوا عصا الطاعة عليه - على الجيش والأجهزة الأمنية.

وقد بدأ الخلاف يظهر على السطح في الفترة الأخيرة؛ وإن كان بعضهم يرجع بدايته إلى عام ١٩٩٢م؛ إلا أنه مؤخراً وبالتحديد في أواخر العام قبل الماضي بدأ الخلاف يأخذ عدة أشكال:

١ - مذكرة العَشَرَة: وتقدم بها عشرة قياديين من حزب المؤتمر الوطني في ديسمبر ١٩٩٨م وهم: البروفيسور إبراهيم أحمد عمر وزير التعليم العالي، والدكتور أحمد علي الإمام مدير جامعة القرآن الكريم سابقاً ومستشار رئيس الجمهورية للتأصيل، والمحامي عثمان خالد مضوي؛ وهؤلاء من جيل الترابي نفسه. أما الجيل الثاني من الإسلاميين فقد مُثِّلوا في المذكرة بالدكتور نافع علي نافع وزير الزراعة الحالي، والدكتور بهاء الدين حنفي مدير مركز الدراسات الاستراتيجية، والأستاذ سيد الخطيب، وعلي الكرتي، وغيرهم.

وملخص هذه المذكرة أنها دعت إلى تنحي الترابي عن رئاسة البرلمان واقتصاره على أمانة الحزب الحاكم.

يقول عنها حامد تورين وهو أحد مقدميها: «هي واحدة من مظاهر الصراع في المؤتمر الوطني، وهي مذكرة ترمي في الأساس لعدم تحول الحزب إلى شكل دكتاتوري، وكانت تسعى لبسط الديمقراطية واعتبار وجهة نظر المواطن السوداني، وتدعو لإلغاء الأساليب التقليدية التي كانت موجودة، وتقديم تنظيم بشكل جيد يصلح نموذجاً للأحزاب القادمة كما طُرِحت في التوالي على السلطة».

والذين كتبوها ظلوا يرددون بأنها لم تكن تستهدف شخصيات بعينها وإنما كانت تعني إفساح المجال إلى الشورى الحقيقية، وتكوين مكتب قيادي فاعل يتولى إدارة العمل السياسي بمؤسسيَّة.

٢ - اجتماع المؤتمر التأسيسي لحزب المؤتمر الوطني: وقد عقد هذا الاجتماع في الفترة من ٧ - ١٠ أكتوبر ١٩٩٩م، وفي هذا الاجتماع الذي ضم أعضاء الحزب البالغ عددهم حوالي ١٠ آلاف عضو تم انتخاب هيئة الشورى وعددها ٦٠٠ عضو، وانتخبت هيئة لقيادة الحزب تضم ٦٠ شخصاً، وتأيَّد فيه انتخاب الترابي أميناً عاماً لهيئة القيادة، والبشير رئيساً للحزب ومرشحه لانتخابات رئاسة الجمهورية عام ٢٠٠١م، كما تم انتخاب البشير مسؤولاً عن القطاع السياسي والتنسيق بين السلطتين التنفيذية والتشريعية، وبذلك تكونت الهياكل الثلاثة الرئيسة في الحزب: المؤتمر القومي، وهيئة الشورى، وهيئة القيادة كما تم تقسيم الأعمال التنفيذية إلى سبعة قطاعات.

٣ – استقالة وزير التعليم العالي إبراهيم أحمد عمر احتجاجاً على إخفاقه في انتخابات مجلس شورى الحزب الحاكم، وكان وزير التعليم العالي ضمن القياديين العشرة الذين تقدموا بمذكرة العشرة الشهيرة، ولقد رفض البشير استقالته.

٤ – تلميحات عبر الصحف المحلية والجلسات الخاصة: ظل بعض الإسلاميين القياديين يلمحون في الصحف وفي الجلسات الخاصة إلى ضرورة تنحي الترابي قليلاً لآخرين أكثر شباباً وحيوية.

٥ – ما تردد عن التغييرات الأخيرة في القوات المسلحة وأنها شملت معظم الضباط من رتبة عقيد فما فوق، وهي المجموعة التي تتكون في غالبيتها من أنصار الجبهة الإسلامية القومية الذين ألحقوا بالكلية الحربية في عام ١٩٩١م وكانت تعتبر سنداً قوياً للدكتور الترابي داخل الجيش، وتتحدث مجالس الخرطوم عن أن قرار إحالة هؤلاء الضباط إلى التقاعد تم بإيعاز من النائب الأول علي عثمان طه.

ولكن ما تفسير الذي جرى؟ وما الأسباب التي دفعت الأحداث حتى وصلت إلى هذا المستوى؟

إن أي إطار تحليلي للأحداث لا بد وأن يأخذ في حسابه ثلاثة أمور:

الأول: الحركة الإسلامية في السودان.

الثاني: النظام السوداني.

الثالث: التدخل الخارجي.

الأول: الحركة الإسلامية في السودان:

في نهاية الأربعينيات برزت الحركة الإسلامية في السودان استجابة لنداء عميق سرى من داخل الحركة الطلابية السودانية وتلبية لاحتياجات أعمق في السودان وبديلاً سياسياً وفكرياً لأنواع التشتت والتمزق والضياع الطائفي والعقائدي.

واختلف الكُتَّاب الذين أرَّخوا للحركة في تقسيم مراحلها: فنجد حسن مكي – وهو مؤرخ معتمد للحركة – يُقَسِّم تاريخها إلى: بناء الحركة من عام ١٩٤٤ – ١٩٥٤م، ومن ١٩٥٨ – ١٩٦٩م، ومن ١٩٦٩ – ١٩٧٢م، ومن ١٩٧٣ – ١٩٧٧م، ومن خندق المقاومة إلى مركز المشاركة من ١٩٧٧ – ١٩٨٥م[١].

أما الترابي فيقسمها إلى: عهد التكوين (١٩٤٩ – ١٩٥٩م)، وعهد الظهور الأول (١٩٥٦ – ١٩٥٩م)، وعهد الكمون (١٩٥٩ – ١٩٦٤م)، وعهد الخروج العام (١٩٦٤ – ١٩٦٩م)، وعهد المجاهدة والنمو (١٩٦٩ ـ ١٩٧٧م)، وعهد المصالحة والتطور من (١٩٧٧ – ١٩٨٤م)[٢] بينما يقسمها حيدر إبراهيم علي ـ وهو من المحسوبين على التيار العلماني في السودان ـ إلى: مرحلة النشأة والتكوين م ١٩٤٦ – ١٩٥٧م، ومرحلة التطور والانتشار منذ انقلاب عبود ١٩٥٨م وحتى ثورة أكتوبر ١٩٦٤م، ومرحلة انقلاب نميري ١٩٦٩م حتى انقلاب البشير ١٩٨٩م[٣].

ولسنا بصدد ذكر تاريخ الصحوة في السودان،

---

(١) حركة الإخوان المسلمين في السودان، حسن مكي محمد أحمد، دار القلم، الكويت.

(٢) الحركة الإسلامية في السودان، التطور والمكسب والمنهج، حسن الترابي، معهد البحوث والدراسات الاجتماعية ـ الخرطوم.

(٣) أزمة الإسلام السياسي، الجبهة القومية في السودان نموذجاً، د. حيدر إبراهيم علي، مركز الدراسات السودانية، الإسكندرية.

ولكننا نقتبس منها قبسات، ونقف عند عوامل الرث فيها ونخرت في جسدها وأدت بها إلى الحال الذي وصلت إليه الآن، ومن هذه العوامل:

عدم وضوح الأساس العقدي:

مرت الحركة الإسلامية في مصر بمراحل بدءاً برؤية محمد عبده والأفغاني التي نظَّرت للإسلام بوصفه إصلاحياً حضارياً، ومروراً بنظرة الشيخ حسن البنا وجماعة الإخوان ومحاولة تفعيل دور الإسلام السياسي والأخلاقي، ومروراً بسيد قطب الذي نقل الحركة الإسلامية نقلة عقدية، وأخيراً التوجه الشرعي التأصيلي السلفي مع بداية السبعينيات.

ولكن بالنسبة للحركة الإسلامية في السودان وبالرغم من تأثرها بمثيلتها في مصر فإنها لم تقطع هذه المراحل؛ ففي بداياتها تأثرت بجماعة الإخوان المسلمين، ومع تبوؤ الدكتور الترابي زعامة الحركة بدأ يصبغها بصبغته الفكرية التي تأثرت إلى حد كبير بالمدرسة العقلية.

وتتلخص أطروحات الترابي فيما يلي:

١ - نظرته للقرآن بأنه حوى القواعد الكلية الأصولية العامة، ولا ضابط في تفسيره إلا ما يمليه عليه تجديد اللغة، وتغير الواقع الاجتماعي والإعمال العقلي لفهم الدلالة دون قيود تحده.

٢ - السنة عنده معظمها ظني الورود والدلالة، وخبر الواحد لا يقوى على الاحتجاج به.

٣ - إمكانية التجديد والنظر في أصول علم الحديث ومناهج الجرح والتعديل ومعايير التصحيح والتضعيف، مع عدم التسليم بعدالة الصحابة.

٤ - إنكاره لبعض الحدود الثابتة كحد الردة مثلاً.

٥ - آراؤه بالنسبة للمرأة في توليتها للقضاء وحتى إمامتها للصلاة[١].

هذه الآراء أدت إلى انفصال الجناح السلفي في جبهة الميثاق (الذي يضم جعفر شيخ إدريس، ومالك بدري، وعبد الرحمن رحمة، ومحمد مدني سبال) وجبهة الميثاق هي الإطار الذي كان يقود الحركة الإسلامية في ذلك الوقت، وكانت جماعة الإخوان هي لبه، وعلى رأس قيادة الجبهة والجماعة الدكتور الترابي.

ولا نقصد بالأساس العقدي جانب العقائد فقط، ولكننا نقصد ما هو أشمل وأوسع بكثير؛ حيث نعني به الميزان الذي يزن به الفرد أعماله والمعيار الذي به تحدد الجماعة وتقيِّم أفكارها وأطروحاتها. إنها الركائز والأعمدة والميزان الذي لا يقوم البنيان إلا به؛ فيه يتم تقييم الواقع المحيط وفق شروطه، وبمناهجه تضبط أحكامه ويكون فيه التمييز بين الطوائف والتجمعات الموجودة، ولقد بحثت في الكتب والمجلات التي تعبر عن الحركة الإسلامية في السودان: عن أفكارها وتصوراتها العقدية فوجدتها قليلة قياساً بتجاربها الحركية الواسعة، وحتى في القليل الموجود تكاد تخلو من التأسيس المنهجي والتأصيل الشرعي؛ ولذلك لا عجب إن وجدنا في خضم الخلاف الذي حدث بين فريقي البشير والترابي مجادلات تثور حول البيعة والشورى والإمامة. وعند عرض هذه المماحكات على المنهج الشرعي التأصيلي لا نجد دليلاً شرعياً يستدل

(١) ولسنا هنا في مقام عرض تفصيلي لآرائه من كتبه، ومن اراد التفصيل فعليه بكتابات الدكتور محمد الطحان، وكتاب الشيخ محمد أحمد حامد، «نقض ديني لدعوة الترابي التجديدية» وكتاب الأستاذ أحمد مالك «الصارم المسلول في الرد على الترابي».



> برزت الحركة الإسلامية في السودان بديلاً سياسياً وفكرياً لأنواع التشتت والتمزق والضياع الطائفي والعقائدي

القوم به من الكتاب أو السنة، ولا نرى أقوال علماء تقال، ولكن نجد تهويمات وشذرات ليس وراءها منهج علمي أو غير علمي شرعياً كان أو غير شرعي، وهذا كله نتاج المدرسة التي رباها الترابي والحصاد الذي زرعه.

النزعة الميكيافيلية عند بعض رجال الحركة الإسلامية في السودان:

إن السياسة في مفهوم الإسلام هي «معرفة الواقع تماماً ومحاولة النهوض بالمسلمين من خلال هذه المعرفة إلى الدرجة التي يريدها الإسلام، وليس المقصود منها المراوغة والاحتيال وإتقان فن المداهنة والنفاق»(١).

وإن العمل السياسي في الإسلام يقوم على مرتكزات أهمها:

١ - عدم التنازل في المسائل الاعتقادية أو التي تتعلق بأصول الإسلام التي حسمها الكتاب والسنة؛ أو أجمع عليها المسلمون.

٢ - أما المسائل الاجتهادية مثل السياسات الشرعية فتراعى فيها القواعد الشرعية الكلية كقاعدة درء المفاسد وجلب المصالح، وقاعدة سد الذرائع، وقواعد المصالح المرسلة وأصولها، والاستحسان وغيرها من القواعد المعروفة.

٣ - عدم فتنة الناس أو التلبيس عليهم، وهذه القضايا تتطلب وجود علماء قادرين على ضبطها والموازنة بينها، والتفريق بين أصولها والمجمع عليه وبين الاجتهادي منها.

أما بعض رجال الحركة الإسلامية في السودان فأرى أنهم خالفوا هذا المنهج في بعض تصرفاتهم وطروحاتهم فمثلاً:

١ - النظام السوداني على استعداد لمناقشة فصل الدين عن الدولة وهذا ما ردده علي عثمان طه نائب الرئيس.

٢ - إن أساس العلاقة بين الدولة والفرد هو المواطنة، وليس العقيدة كما يقول الترابي.

وعندما نتأمل آيات سورة الأنعام: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢] قال الطبري مسنداً إلى ابن مسعود - رضي الله عنه -: مر الملأ من قريش بالنبي ﷺ وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوه من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد! أرضيت بهؤلاء من قومك؟! هؤلاء الذين منَّ الله عليهم من بيننا؟! أنحن نكون تبعاً لهؤلاء؟ اطردهم عنك؛ فلعلك إن طردتهم أن نتبعك. فنزلت هذه الآية. والفرد منا يتأمل موقف القرآن الذي يجيء محذراً من أي اعتبار أو أي أهداف أو غايات تبيح طرد المؤمنين!

الثاني: النظام السوداني:

نشأة النظام الحالي:

جاء عام ١٩٨٩م وعلى رأس الحكم في السودان

(١) التصور السياسي للحركة الإسلامية، رفاعي سرور، الناشر: بيت الحكمة للإعلام والنشر والتوزيع.

حكومة الصادق المهدي الضعيفة، وكانت الحركة الشعبية لجنوب السودان بزعامة جارانج توالي انتصاراتها مستغلة جو الفوضى السائد في الخرطوم حتى أصبح الجنوب بأكمله على وشك السقوط في أيديها.

ونما إلى علم قيادات الجبهة القومية الإسلامية حينئذ أن هناك مجموعات من الضباط من اتجاهات مختلفة تخطط للقيام بانقلاب؛ وهنا تذكرت هذه القيادة أحداث مايو ١٩٦٩م عندما استولت مجموعة من الضباط القوميين والشيوعيين على الحكم وزجت برموز الحركة الإسلامية في السجون. فاتجهت النية لدى قيادة الجبهة إلى تكليف العميد عثمان محمد حسن بقيادة الانقلاب لكنه تردد في اللحظة الأخيرة، وبعدها تم تكليف العميد البشير بمغادرة منطقة عمله في غرب السودان ليحضر إلى الخرطوم بشكل عاجل؛ ولدى وصوله إلى العاصمة تمت ترتيبات زعم فيها أنه تقرر اختياره للمشاركة في فترة دراسية في جمهورية مصر العربية لتشتيت العناصر الاستخبارية داخل الجيش؛ وكان لا بد من تقديم ساعة الصفر لتنفيذ الانقلاب حتى لا تطول إقامة البشير في العاصمة بلا مُسوغات مقبولة، وسجل البشير بيانه الانقلابي الأول في الاستوديو التلفزيوني الخاص بمنظمة الدعوة الإسلامية وهي إحدى منظمات الجبهة القومية الإسلامية، واجتمع البشير بالترابي ليلة الانقلاب وتم الاتفاق على أن يذهب الترابي للسجن للتمويه، وحين تم الانقلاب أبلغ البشير فروع القوات المسلحة أنهم قرروا التحرك بناءاً على تعليمات من القيادة العامة للجيش للإطاحة برئيس الوزراء الصادق المهدي، وكان اسم البشير قد تردد بشدة في عام ١٩٨٥م إثر خبر نشرته مجلة الدستور التي كان يصدرها حزب البعث السوداني في لندن وذكرت فيه أن البشير يتزعم حلقة من الضباط الموالية للجبهة الإسلامية المكلفة بتنفيذ انقلاب عسكري للاستيلاء على السلطة.

كانت آلية عمل النظام تسيرها كوادر الجبهة من وراء الستار بينما بقيت مجموعة الضباط التي قامت بالانقلاب مجرد واجهة فقط أمام العالم الخارجي، وكان من الطبيعي أن يبدأ هؤلاء الضباط في التململ من ذلك الوضع حينما أخذت خبراتهم تتراكم في العمل السياسي، في حين اشتد الحصار على النظام الحاكم من قِبَل المعارضة المدعومة من دول الجوار والولايات المتحدة و (إسرائيل)، وتأزمت العلاقة مع مصر، كل ذلك بينما الأداء السياسي كان سيئاً للمجموعة الحاكمة؛ لظهور التناقض والقرارات المتضاربة في العلن بين التنظيم الحاكم من وراء الستار ومجموعة الواجهة؛ مما حدا بالترابي إلى أن يتخذ قراراً بالظهور علانية هو وأفراد تنظيمه واشتراكهم في الحكم تحت مسمى حزب المؤتمر الوطني وقانون التوالي، وعبر هذا الحزب وتشكيلاته أراد الترابي أن يظل ممسكاً بدفة الحكم في السودان متحكماً في توجيهه واستئثاره بصنع القرار، ولكن وربما للمرة الأولى يظهر عجز الترابي عن مسايرة الواقع وعن فهم متغيراته، وهو الذي اشتهر عنه سبقه للأحداث، وواصل تحديه للمجموعة المناوئة لزعامته التي لم تجد صعوبة في إزاحته من القيادة وتحجيم نفوذه ووضع الإطار المناسب لدوره الذي لا يتعداه في المستقبل.

الثالث: التدخل الخارجي:

١ - الدور الأمريكي في تفجير النظام السوداني:

إن السؤال المطروح هو: ما حقيقة الدوافع الأمريكية في النظر إلى السودان؟

يقع السودان في موقع قريب من منطقة القرن الإفريقي، وتمثل هذه المنطقة أهمية حيوية للتحكم في الملاحة في البحر الأحمر: هذا البحر الذي تمر به نسبة كبيرة من تجارة العالم إضافة إلى ناقلات النفط القادمة من الخليج إلى أوروبا وأمريكا. والمعروف أن تدفق البترول والتحكم فيه وفي أسعاره كان دائماً ورقة ضغط أمريكية على أوروبا واليابان والصين تلوح بها في وجه هؤلاء الكبار الذين يريدون الخروج عن السياسة الأمريكية وأهدافها في العالم؛ فضلاً على أن أمريكا تعد منطقة القرن الإفريقي عمقاً استراتيجياً لقواتها الموجودة في الخليج.

كما يمثل البحر الأحمر عمقاً حيوياً لـ (إسرائيل)؛ حيث يطل السودان عليه، وأمن (إسرائيل) يعد من أولويات السياسة الأمريكية وأهدافها الاستراتيجية، والتحيز الأمريكي لليهود ليس كما يظن بعض الناس أنه نتيجة فقط لتغلغل اللوبي اليهودي الأمريكي وتأثيره على صانعي القرار الأمريكي فقط، ولكن العامل الآخر هو التأثير البروتستانتي النصراني على السياسة الأمريكية.

● إن السودان مدخل مهم إلى منطقة البحيرات العظمى؛ حيث قامت أمريكا بمحاولة ترتيب الأوضاع هناك، فقامت بدعم قبيلة التوتسي التي استولت على الحكم في رواندا وأوغندا، وحاولت ذلك في زائير (الكونغو). وفي تقرير للبنتاجون نشر مؤخراً اعتبر أن منطقة البحيرات العظمى هي مصدر استراتيجي مهم لا يمكن الاستغناء ولا التنازل عنه باعتبار أن هذه المنطقة تمثل حلقة الوصل الرئيسة بين الدول الإفريقية ودول الشرق الأوسط، إضافة إلى أن من يتحكم في هذه المنطقة سيحدد إلى حد كبير الآثار الاستراتيجية والسياسية لمنطقتي الشرق الأوسط وإفريقيا. وأكد التقرير أن النهج الاستقلالي الذي تسعى دول المنطقة إلى تبنيه ممثلاً في السعي إلى إنشاء السوق الإفريقية المشتركة سوف يؤثر على المصالح الأمريكية، وأن السودان والحكم الإسلامي فيه سوف يحدث بلبلة في المنطقة، وأن الهدف الأمريكي هو إحداث تغيير سياسي سريع في السودان وعلمنة الحكم ليرتبط مع بقية دول البحيرات العظمى في إطار تحالف قوي يضم أوغندا وأثيوبيا وإرتيريا والكونغو والسودان الجديد.

● التحكم في منطقة حوض النيل لإخضاع الدول الواقعة عليه للسياسات الأمريكية.

● وقف المد الإسلامي وانتشاره في إفريقيا: فقد صرحت أولبرايت في ٥/١٩٩٨م: أن ترك هذه المنطقة (تقصد شرق إفريقيا) دون توجيه استراتيجي أمريكي من شأنه أن يؤدي إلى نتائج في مقدمتها قيام عدة دول إسلامية في الشرق الإفريقي. وفي حديث لوزير الخارجية السوداني مصطفى إسماعيل نشر مؤخراً قال فيه: «إن السياسة الأمريكية الآن تحاول أن تصنع عدواً لتخيف به الآخرين، وآلياتها الإعلامية والسياسية تصب في هذا الاتجاه، ومن ثَمَّ فهي تدعو الأطراف الأخرى في ضوء ذلك للاعتماد عليها، وأمريكا تصوِّر السودان الآن على أنه العدو».

في ضوء هذه الأهداف السابقة بدأت أمريكا في رسم السياسات التي تمكنها من الوصول إلى هذه الأهداف:

والمتتبع للسياسة الأمريكية في أي بقعة أو بؤرة من بؤر التوتر في العالم يلحظ خاصية هامة يجب علينا فهمها والاهتمام بها وهي: الاستدراج البطيء والتعامل الهادئ مع الخصم، المزوج بالتصعيد التدريجي أي سياسة الشد والاسترخاء حتى إذا تهيأت الظروف دفعت الأحداث إلى إحكام الطوق والحصار العسكري بالأساطيل والجيوش والحلفاء، ثم تتبع أسلوب ساعة الحسم.

إن عدم فهم هذه الخاصية وإدراكها يوقعنا في الحيرة والاضطراب ووصف السياسة الأمريكية بالتناقض والارتباك وهي ليست كذلك في كل وقت؛ ولكن يحدث أحياناً خلاف بين صانعي القرار الأمريكي حول وصول الوضع إلى ساعة الحسم، وهنا قد يحدث نوع من الاجتهادات المختلفة تؤثر بدورها على المواقف التي تتخذها أمريكا؛ وذلك مثل ما حدث بالنسبة للسودان في قرار إعادة الدبلوماسيين الأمريكيين إلى السفارة الأمريكية في الخرطوم؛ فبعد أسبوع واحد تراجعت الخارجية الأمريكية عن القرار.

وطبقاً للقاعدة السابقة فإن حديثنا عن السياسة الأمريكية تجاه السودان يسير على أربعة محاور:

المحور الأول: سياسة الاسترخاء؛ ومن ذلك:

● صدور تقارير صحفية تفيد اعتزام الإدارة الأمريكية بحث إمكانية إسقاط النظام السوداني من قائمة الدول الراعية للإرهاب تمهيداً لإتمام الصفقة النفطية بين الحكومة السودانية ومؤسسة أوكسيدنتال النفطية الأمريكية.

● الترحيب الرسمي الأمريكي باتفاق السلام الموقع في ٢١/٤/١٩٩٧م بين الحكومة السودانية وست من فصائل المعارضة الجنوبية.

● زيارة وفد أكاديمي أمريكي للسودان وبحث المشاكل التي تعوق تطوير العلاقات بين الولايات المتحدة والسودان.

● إقرار صندوق النقد الدولي اتفاق المرحلة الأولى من الإصلاح الاقتصادي ابتداءاً من أواخر يونيه ١٩٩٧م.

● إعراب الإدارة الأمريكية عن انزعاجها مما نسب إلى الرئيس الإريتري حول وجود مشاركة إريترية في القتال الدائر بشرق السودان.

● وفي تصريح لمسؤول في مجلس الأمن القومي الأمريكي أن أمريكا لا تؤيد الدعوة لتقسيم السودان، وترغب في أن يحافظ على وحدته ضمن صورته الحالية المعترف بها من المجموعة الدولية.

● السماح للسودان باستيراد المواد الغذائية من الخارج؛ حيث إنها غير مدرجة في العقوبات.

المحور الثاني: سياسة الشد:

● صدور عدة تقارير أمريكية من وزارتي الخارجية والدفاع ومجلس الأمن القومي قدمت إلى الكونجرس في الفترة من سبتمبر إلى نوفمبر ١٩٩٦م والتي أجمعت على اعتبار السودان بين الدول الأشد خطراً.

● تصريحات مستشار الرئيس الأمريكي لشؤون الأمن القومي في ديسمبر ١٩٩٦م، تؤكد أن استراتيجية الإطاحة بالنظام السوداني هي أفضل الخيارات المتاحة.

● في ٢٤/١١/١٩٩٧م قررت الولايات المتحدة

سحب البعثة الدبلوماسية من السودان.

● تصريح مادلين أولبرايت أثناء جولتها في المنطقة أن الولايات المتحدة تسعى لإسقاط النظام في الخرطوم سلماً أو حرباً.

المحور الثالث: إحكام الطوق:

● في عام ١٩٩٦م تم تخصيص مبلغ ٢٠ مليون دولار في صورة مساعدات عسكرية لثلاث دول إفريقية تتعاون لإسقاط النظام السوداني وهي: إريتريا، وأوغندا، وإثيوبيا؛ وهو ما أكدته السفارة الأمريكية.

● في ١٥/١٢/١٩٩٧م اتهم البشير أمريكا بأنها حرضت حركة التمرد على إلغاء ما تم التوصل إليه، وألقت بكل مبادئ الإيغاد في سلة المهملات دعماً لاستمرار القتال.

● عملت إدارة كلينتون على شل الصف الإفريقي عبر صنع لوبي بين الدول الموالية لواشنطن يتبنى فكرة إقرار آلية متعلقة بتشكيل قوة عسكرية من هذا اللوبي تتولى التدخل لفض ما تسميه واشنطن بالصراعات في القارة؛ وهي الآلية التي تشرف عليها واشنطن في أوغندا.

● الجولات المتتالية للمسؤولين الأمريكيين في المنطقة بدءاً من كلينتون ومروراً بأولبرايت وانتهاءاً بسوزان رايس مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشؤون القرن الإفريقي، ويسعى هؤلاء المسؤولون إلى القضاء على أي تعارض في الأهداف وإلى تخفيض حدة التنافس بين زعماء المنطقة.

حاولت أمريكا ترتيب لقاء يجمع بين جارانج والمنشقين عنه في نيويورك ولكن المفاوضات بين الأطراف وصلت إلى طريق مسدود.

المحور الرابع: مؤشرات لحظة الحسم:

بعد إتمام الحصار على السودان كان الوضع مهيأ لزحف عسكري من تحالف المعارضة مدعوم بجيوش دول الجوار (إثيوبيا وإريتريا وأوغندا) وخاصة بعد أن أصبحت مصر على الحياد بعد المحاولة التي لم تنجح لاغتيال الرئيس حسني مبارك في إثيوبيا، وبدا النظام السوداني شبه معزول، وظهر أن هذا التوقيت هو الأنسب لتوجيه تلك الضربة القاصمة للنظام. ولكن سرعان ما حدثت تطورات كان من أبرزها تورط أوغندا في الصراع الذي اندلع مجدداً في الكونغو، واندلاع قتال ضارٍ بين الحليفين في القرن الإفريقي: إثيوبيا، وإريتريا. وتغير الموقف المصري من النظام السوداني بعد أن أعاد حساباته الاستراتيجية وأصبح يقف حجر عثرة في وجه هذه المخططات.

وهنا بدأت أمريكا تُغيِّر سياساتها تجاه السودان لتبدأ مرحلة جديدة من أهم خصائصها:

● تقليل الاعتماد على دول الجوار نظراً لتشتتها وتشرذمها.

● محاولة إضعاف الدور المصري في السودان، وممارسة الضغوط على النظام المصري لرفع يده من القضية السودانية.

● تحريك الأساطيل الأمريكية تجاه السودان، واستخدام أساليب القصف الصاروخي لضرب منشآت حيوية؛ كما حدث في ضرب مصنع الشفاء في الخرطوم.

● إرسال المبعوثين إلى الجنوب؛ كما حدث في زيارة عضوي الكونجرس إلى المناطق التي يسيطر عليها المتمردون، ثم عودتهم ومطالبتهم الإدارة الأمريكية بالتدخل.

● التحرك نحو إيجاد مناطق معزولة ضد الطيران السوداني على غرار شمال العراق وجنوبه تمهيداً لانفصاله.

تعيين مبعوث خاص بالسودان، وذلك للتركيز على هذه القضية والدلالة على أنها بؤرة الاهتمام الأمريكي. **إن الحالة السودانية أكثر شبهاً بالمسألة العراقية بالنسبة للولايات المتحدة؛ فهي بين خيارين:**

الاحتواء: وجعل السودان في حالة حصار دائم ليساعد على انهيار النظام وتفكيكه، أو ثورة الشعب عليه. وسياسة الاحتواء الأمريكية: هي ممارسة الضغوط القوية على الخصم من جميع الاتجاهات حتى ينفجر من الداخل، وهذه السياسة باتت الخيار المفضل الذي تتبعه الإدارة الأمريكية مع الجماعات الإسلامية سواء بنفسها مباشرة أو عن طريق عملائها في المنطقة، وتجلى ذلك واضحاً في أحداث انشقاق حزب الوسط من جماعة الإخوان المسلمين، وما حدث في انفجار الخلافات داخل المجموعة الحاكمة في النظام السوداني.

التفكيك: أي تجزئة السودان إلى دويلات عدة تحت أي صيغة أو مسمى من المسميات مثل حق تقرير المصير، أو الكونفدرالية. وقد ذكرت جريدة الأسبوع المصرية في ٢٢/١٢/١٩٩٧م أن أولبرايت استشارت جيمي كارتر الخبير في الشؤون السودانية والقرن الإفريقي (الرئيس الأمريكي الأسبق) فأشار بتفتيت السودان للسيطرة على المنطقة وإزالة النظم المعادية، وبالذات التي لها توجه ديني.

٢ - الدور المصري:

حملت السياسة الأمريكية تجاه السودان وفي القرن الإفريقي دائماً تهديداً مبطناً لمصر؛ فقد لعبت واشنطن دوراً هاماً في إبطال المبادرات المصرية في الصومال، وأبدت امتعاضاً واضحاً تجاه الدعم المصري الليبي لإريتريا. والجولة الإفريقية الأخيرة لوزيرة الخارجية الأمريكية مادلين أولبرايت لم تشمل القاهرة تعمداً منها لإلغاء أي دور مصري في إفريقيا أو عدم تحبيذه، وتبع ذلك لقاؤها بـ (جون جارانج) وإعلانها استعداد واشنطن تقديم مساعدات رسمية للمشروع الانفصالي في جنوب السودان، ومعارضتها الصريحة للمساعي المصرية - الليبية المشتركة العاملة على إيجاد صيغة للمصالحة السودانية. لقد استخدمت الحكومة المصرية جارانج وأطراف المعارضة السودانية الأخرى لبعض الوقت في لعبة الشد والجذب مع الخرطوم، ولكن جارانج شخص لا يعتمد عليه، وكان من المفترض لأساطين رجال السياسة المصرية أن يدركوا طبيعة شخصيته وأهدافه، ولكنهم خُدِعوا فيه؛ فعند أول بادرة تنكر للمبادرة المصرية الليبية وتمسك بمبادرة الإيغاد عند لقائه بأولبرايت.

ثمة دلائل عديدة على أن التصعيد الأمريكي الأخير ضد السودان رغم التهديد المباشر للسودان موجه في جوهره ضد مصر؛ فالعداء الأمريكي للسودان هو بشكل من الأشكال تحصيل حاصل، ولكن الذي يبعث على الاندهاش في النشاط الأمريكي أن مصر وأمريكا دولتان حليفتان تجمعهما سياسة وتفاهم مشترك وتنسيق طويل المدى، بل إن تصريحات أولبرايت الأخيرة تجاه المبادرة المصرية الليبية جاءت في الوقت الذي تجري فيه مناورات مصرية أمريكية متعددة القوات، والتي تسمى: (النجم الساطع) هي في حد ذاتها مؤشر على عمق العلاقات المصرية الأمريكية؛ فكيف الجمع بين هذه وتلك؟ بعض الجواب يكمن في اللقاء الذي

ضم الرئيس المصري ووزير الدفاع الأمريكي وليم كوهين في القاهرة قبل يوم واحد من تصريحات أولبرايت العدائية، ووفقاً لمصادر صحفية فقد طرح وزير الدفاع الأمريكي على مبارك فكرة تطبيع عسكري بين مصر و(إسرائيل) من أجل إعطاء مزيد من الدفع لعملية السلام والتطبيع في المنطقة. والتطبيع في المفهوم الأمريكي الإسرائيلي هو إخضاع مصر عسكرياً، وهو الأمر الذي يتناقض مع الحلم الأزلي للنظام المصري في الهيمنة على المنطقة. وبما أن الهيمنة الإسرائيلية على المنطقة هي ركيزة أساسية في الاستراتيجية الأمريكية في هذه البقعة في العالم؛ فإن تهديد مصر في جنوب السودان يستهدف أساساً التلويح بالتحكم في مياه شعب مصر وطعامه وإجبار مصر على الإذعان أمام الدور والقوة الإقليمية للدولة العبرية.

بمجيء حكم الإنقاذ في مايو ١٩٨٩م اختلفت الأسس الفكرية للنظامين؛ فالنظام المصري قائم على العلمانية وإبعاد الدين عن السياسة؛ بينما جاءت ثورة الإنقاذ وأفرادها يتعاطفون مع الإسلام ويتحالفون مع فصيل من فصائل التيار الإسلامي، وكان من الطبيعي أن يحدث الصدام. وجرت محاولة اغتيال الرئيس المصري في أديس أبابا لتشتعل العلاقة، وتدخل منطقة حلايب مرة أخرى ورقة للإثارة وهي منطقة حدودية تدخل في حدود مصر ولكن يديرها السودان منذ الاستقلال، والوضع فيها ظل كذلك حتى إذا تجدد النزاع بين الحكومتين أطلت هذه القصة برأسها. والأصل أنه لا توجد حدود طبيعية بين الدولتين، بل إن المنطقتين على جانبي الحدود أشبه بوحدة واحدة: نفس البشرة، والعادات والتقاليد، حتى اللهجة الواحدة، لكن الاستعمار قبل أن يرحل زرع هذه البؤر المتوترة ليس بين مصر والسودان فحسب، بل بين معظم الأقطار الإسلامية، كما أسهم اتهام مصر للسودان بإيواء المتطرفين الإسلاميين واتخاذهم السودان قاعدة لهم ساهم ذلك في ازدياد حدة التوتر. كما اتهمت السودان مصر بأنها تستقطب زعماء المعارضة السودانية الذين يعقدون اجتماعاتهم في القاهرة.

ولكن بعد تصريح أولبرايت في أثناء زيارتها لأوغندا بأن الولايات المتحدة ستغير النظام السوداني سلماً أو حرباً ساهم هذا التصعيد في تخفيف حدة التوتر بين الدولتين؛ حيث رأت مصر خطورة استراتيجية على أمنها القومي من ناحية الجنوب ووجود الفوضى في منطقة حوض النيل والبحر الأحمر، كذلك سارع السودان إلى الارتكاز على مصر للمساعدة في صد هجمات المعارضة التي أخذت بعداً دولياً، ولذلك تمت زيارة الفريق الزبير صالح نائب رئيس الجمهورية السودانية في ذلك الوقت إلى القاهرة وتبعها زيارة رئيس المخابرات المصرية إلى السودان مع فريق عمل وبحث الموضوعات المعلقة ومن بينها مسألة إيواء الهاربين، كما بحث إمكانية تزويد السودان بمحطات للرصد ووسائل دفاعية في الجنوب، وقد أثمرت هذه المعونات في إحباط محاولة جارانج احتلال مدينة (واو) حين تمكن جارانج من استقطاب أحد زعماء المعارضة المنشقة عليه في السابق (كاربينو)؛ ولكن الجيش السوداني تمكن من رصد الاتصالات التي جرت بين أطراف التمرد وإبطالها نتيجة للدعم المصري.

وبهذا بدا الدور المصري عاملاً حاسماً في إحباط المخططات على الجنوب. وللمرة الأولى تقريباً منذ توتر العلاقات بين البلدين نوقش ملف العلاقات مع السودان في اجتماع موسع لمجلس الوزراء المصري بحضور الرئيس مبارك أوائل مايو الماضي،

وللمرة الأولى أيضاً يخرج الاجتماع بتوصية تقول: «إن الأولوية للعلاقات مع السودان» فقد حرص وزير الخارجية المصري على انتقاء عبارات تدل على التحسن الحقيقي في العلاقات، وتكشف ضمناً أن هناك اتفاقات أبرمت على الرغم من عدم الإعلان عنها؛ فقد قال عمرو موسى في لقاء مع الصحفيين، وآخر مع أعضاء لجان الشؤون الخارجية والعربية والأمن القومي بالبرلمان المصري: «نحن مقبلون ومقدمون على وضع هذه العلاقات في أولوية عالية»، واعترف بوجود «لقاءات مكثفة وعمل مستمر الآن بين الجانبين انطلاقاً من الحرص الكامل على مصالح السودان الشقيق وعلى العلاقات المصرية - السودانية الخاصة والمتميزة، ومحاولة تنقية المسار حتى لا يتعرض لعملية تشويش؛ لكن هذا التقارب بين النظامين بدا بطيئاً جداً؛ حيث إن النظام المصري ينظر إلى السودان بمنظارين:

- أنه نظام إسلامي متطرف، ومجرد وجوده يدعم مكانة الجماعات التي يخوض معها النظام المصري حرباً لا هوادة فيها، ويسميها متطرفة.

- أما النظرة الثانية فهي مصالح مصر الاستراتيجية في السودان والتي تهددها الحرب الأهلية، وعدم استقرار النظام في الخرطوم.

هذه المعضلة تحدّث عنها الرئيس مبارك في لقائه بالمفكرين أثناء معرض الكتاب في القاهرة في يناير ١٩٩٧م؛ حيث قال بالحرف الواحد: «أنا أمام معادلة صعبة (مش عارف) أتصرف فيها (إزاي)» ويبدو أن القاهرة توصلت أخيراً لحل هذه المعضلة بالضغط على النظام السوداني لتغيير ولائه للإسلام عن طريق إدخال المعارضة بأي صورة داخل النظام، ويأتي في هذا السياق استقبال الحكومة لـ (جارانج) لأول مرة علناً في القاهرة. والملاحظ أن الحكومة المصرية تحاول ترتيب لقاء يجمع أركان المعارضة مع الحكومة السودانية للتوصل إلى اتفاق على غرار ما حدث مع أطراف الصراع الصومالي.

وعلى درجة تخلي النظام في السودان عن توجهاته الإسلامية يستمر التحول التدريجي في العلاقة بين الطرفين. وفي الوقت نفسه تقوم الحكومة المصرية بإحباط أي محاولة لزعزعة نظام الحكم بالقوة في السودان وإحداث فوضى بالمنطقة.

ولم يكن من قبيل المفاجأة انحياز زعماء الدول المجاورة للسودان - وخاصة مصر وليبيا - إلى صالح الرئيس البشير في نزاعه الأخير مع الترابي فليس ذلك حباً فيه واطمئناناً له بل كرهاً للترابي والنهج الإسلامي الذي يتبعه، ويرون فيه تهديداً وخطراً على أنظمتهم واستقرار بلادهم؛ فالرئيس حسني مبارك أعلن أكثر من مرة أنه لا توجد أي مشكلة بينه وبين الرئيس السوداني، وإنما مشكلته مع الدكتور الترابي الذي اتهمه بدعم الجماعات الإسلامية المتطرفة وإمدادها بالمال والسلاح والوقوف خلف محاولة الاغتيال التي استهدفته.

والرهان المصري الليبي على الرئيس البشير هو الرهان الرابع ولو في المستقبل المنظور؛ فالرئيس السوداني يتزعم المؤسسة العسكرية التي تعتبر المؤسسة الوحيدة المستقرة والفاعلة ليس في السودان وحده وإنما في جميع دول العالم الثالث، ولذا خرج الرئيس المصري لاستقبال ضيفه في المطار وهو الذي رفض لسنوات عدة استقباله برغم إلحاح البشير لزيارة مصر؛ فما الذي جدَّ سوى إزاحة الترابي الذي كان على ما يبدو العقبة المهمة في تحسين هذه العلاقات؟ وسارع مبارك إلى جولة في الدول المجاورة لكسب الدعم للبشير ومساندته في توجهاته الأخيرة.



المجاعة في القرن الإفريقي

عبد الرحمن إبراهيم جيلة (*)

منذ أكثر من ثلاثين سنة تقريباً وإقليم أوجادين (الصومال الغربي) يذوق ويلات الحروب ويتجرع مرارتها؛ إذ كانت إثيوبيا العدو التقليدي للصومال؛ وذلك بسبب قوة الصومال المتزايدة آنذاك، وأخذ الإمبراطور الإثيوبي هيلاسيلاسي يبذل ما في وسعه لإقناع حلفائه الغربيين بتزويد إثيوبيا بالأسلحة الهجومية، وحتى بعد أن حدث الانقلاب العسكري في إثيوبيا عام ١٩٧٤م وولَّت إثيوبيا وجهها نحو السوفييت استمرت القلاقل والمخاوف بين البلدين المتجاورين، وكان كبش الفداء في هذه المخاوف منطقة أوجادين؛ إذ قدم الإثيوبيون مذكرة للزعماء الأفارقة عام ١٩٧٦م يزعمون فيها أن الصومال لديه خطط حربية لضم الصومال الغربي (أوجادين) وجيبوتي إليها، وأن المخابرات الصومالية موجودة الآن في أوجادين ومحافظة هرر الإثيوبية، مما سبب زيادة في الفتن والقتل في منطقة أوجادين التي يدعمها آنذاك الجيش الصومالي النظامي، ولا يزال حكام إثيوبيا يشككون في أهالي أوجادين ويسومونهم تعذيباً وقتلاً حتى عام ١٩٦٤م، حين اندلعت شرارة الحرب الكبيرة بين إثيوبيا والصومال، وأعلنت الحرب رسمياً عام ١٩٧٧م؛ وقد أبدى المقاتلون الصوماليون براعةً حربية هائلة يساندهم إخوانهم في الصومال الغربي، ثم كانت الخيانة العظمى التي حصلت في صفوف القادة الميدانيين بإيعاز من القيادة الصومالية لأمرٍ مَّا؛ فانقلب النصر هزيمة بين عشية وضحاها.

وأثناء تلك الحرب وبعدها وإلى اليوم ذاق الشعب الأوجاديني ألواناً من الحياة البائسة المتمثلة في شظف العيش، وسوء دخل الفرد، وتتابعت ويلات الحروب من الجبهات التي تعادي النظام الإثيوبي إما عن طريق حرب العصابات أو التفجيرات، أو بملاحقة النشطين في المدن والقرى الأوجادينية من قِبَل أذناب الحكم الإثيوبي؛ فأصبح هذا الشعب ـ والذي يزيد قليلاً على أربعة ملايين نسمة ـ بين سندان النظام الحاكم في إثيوبيا ومطرقته، ـ ولا فرق في حقيقة الأمر بين حكامه ومصالحهم ونظرتهم لهذا الشعب ـ وبين تنكُّر إخوانهم المسلمين لهم؛ لِمَا يعيشونه من أحوال معيشية بائسة منذ عشرات السنين. ولا تزال الأنظمة الظالمة في إثيوبيا تلاحقهم بسياط القتل والتشريد والتجويع، ولا تزال بعض الجبهات الإسلامية تقاتل ضد النظام الإثيوبي الكافر، ولا

(*) مندوب المنتدى الإسلامي في الصومال.

تزال مآسي تآمر الأنظمة الصومالية القبلية المتعددة الحاكمة الآن تلاحقهم وتتحالف مع أنظمة أديس أبابا جرياً وراء مصالحها، وطلباً لرضى الحكومة الإثيوبية عنها؛ حيث تعدهم بالوعود الكاذبة ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠].

ويا ليت الأمر اقتصر على هذا؛ بل إن الناظر في شؤون هذه المنطقة المنكوبة من الداخل يجد العجب؛ فنكبة المجاعة التي تعصف بهم وبغيرهم من أهل القرن الإفريقي في هذه الأيام لم تكن وليدة ثلاثين شهراً مرت على المنطقة لم ينزل فيها الغيث فحسب؛ بل هي امتداد لمجاعات ونكبات سابقة مرت على المنطقة بسبب غياب الحكومة التي تهتم بمصالح الناس هناك وغياب البنى التحتية في أوجادين، على مرأى ومسمع من العالم الذي لم يتخذ الخطوات الجادة لمنع حدوث مثل هذه الكوارث - عن قصد أو عن غير قصد - ففي عام ١٩٧٩م تقريباً - أي بعد انتهاء الحرب هناك - وقعت كارثة إنسانية؛ حيث مات المئات من الناس، والألوف من البهائم في تلك المنطقة بسبب المجاعة، وكذلك مجاعة ١٩٩١م الشهيرة بين تلك المنطقة والصومال، وغيرها من النكبات التي مرت على هذه المنطقة، والتاريخ اليوم يعيد نفسه بمجاعة عام ٢٠٠٠م التي يعتبرها كثير من المحللين السياسيين عاراً في جبين العالم المتحضر اليوم.

أسباب المجاعة في هذه المنطقة:

يمتد إقليم أوجادين جنوب شرقي إثيوبيا، وتبلغ مساحته أكثر من ٢٥٠ ألف كم٢، ويقارب عدد سكانه خمسة ملايين نسمة، كلهم مسلمون، ويتكلمون اللغة الصومالية، وبعضهم يستطيع التحدث باللغة الهررية والأرومية لالتصاقهم بهم.

وسكان الأوجادين هم بدو رحل وريفيون يعتمدون - في الغالب - على مياه الأمطار التي انحبس نزولها عليهم منذ شهر إبريل من عام ١٩٩٨م تقريباً؛ وهذا الإقليم قد اشتهر منذ زمن بعيد بالجفاف المتكرر بسبب موقعه الجغرافي؛ إلا أن بعضاً من المتابعين يرجعون عدم نزول الأمطار عليهم - خلال هذه الفترة - بسبب مصانع أوروبا وغازاتها، التي سببت كتلةً هوائية وضغطاً جوياً طرد السحب الركامية الملبدة بالغيوم إلى الناحية الشمالية أو الجنوبية.

وأياً كان السبب فإن الله - عز وجل - لم يأذن بهطول الأمطار لحكمة أرادها - سبحانه - منذ أكثر من ثلاثين شهراً، مما تسبب في مجاعة أكثر من ٧٧٪ من مجموع السكان الريفيين والبدو الرحّل الذين خسروا مصدر عيشهم المتمثل في الزراعة والرعي، وأكثر مدن هذا الإقليم تأثراً هي: (قدي - دنان - ورديرِ - جبردهر - هارعد - أفدير - إيمي الشرقية خصوصاً - حمارو - غاربو - فيق - دجحبور) حيث فقد أهالي مدينة قدي - الذين يبلغ عددهم أكثر من أربعمائة ألف نسمة - أكثر من ٩٠٪ من الماشية وأكثر من ٧٠٪ من الأغنام، حسب إحصائيات لجنة النكبات في تلك المدينة.

أما المظاهر اليومية لهذه المجاعة فهي:

١ - ندرة الطعام والشراب، والموت بين النساء والأطفال وكبار السن بسبب الجفاف وقلة الوزن وتلوث المياه التي يشربونها، وذلك بنسب متفاوتة بحسب المناطق، وخصوصاً في المدن السابق ذكرها، والتي يبلغ تعداد سكانها مجتمعة أكثر من مليون وثلاثمائة ألف نسمة. والتقارير الغربية تذكر أن الفرد الواحد يأكل في الشهر الواحد أقل من كيلو غرام واحد من المواد الغذائية في بعض المدن، وتقل هذه النسبة في مدن أخرى. وإن بعض الجمعيات المحلية والهيئات الغربية توزع الآن ما نسبته ٤,٥ كلغ على الشخص الواحد من المواد الغذائية شهرياً.

٢ - حالة الهلع والذعر، وتنكُّر الناس بعضهم

لبعض، وانتشار الكراهية والبغضاء بينهم؛ حيث يتقاتل الناس فيما بينهم على مورد ماء لا يكفي لمائة شخص، بل تدخل الحيوانات - كالخنازير والقردة - في هذا الصراع. والأشد من ذلك أن يترك كبار السن لمواجهة الموت من غير نصير ولا معين على أكتاف الطرق.

٣ - انتشار الأمراض بين الأطفال بسبب الجفاف، وقلة الوزن؛ فقد أجريت في سبع قرى تابعة لمدينة دنان دراسة حالات الأطفال في الشهر قبل الماضي (ذو الحجة ١٤٢٠هـ) فوجد أن ٦,٥٪ من الأطفال دون سن الخامسة من أعمارهم وزنهم أقل من ٦٠٪ من أطوالهم الطبيعية، وأنهم لا يستطيعون الاستمرار على قيد الحياة إلا ببرنامج غذائي علاجي سريع.

٤ - انعدام الماء الصالح للشرب، مما سبب استحالة إقامة برامج غذائية وعلاجية متكاملة؛ فقد قامت اللجنة الأمريكية (2S) ببناء خزانات طوارئ في مدينة دنان وقراها، كما قامت كل الهيئات الغربية المشاركة لإنقاذ الناس من هذه المجاعة بشراء كميات لا بأس بها من الخزانات الحافظة للمياه، وكذا قامت الجمعيات المحلية والحكومية، والهيئات الإسلامية القليلة العاملة هناك.

٥ - موت وهلاك المواشي والأغنام، وانتشار الأمراض المهلكة بينها، وقد ذكرنا آنفاً أن أكثر من ٩٠٪ من الماشية وأكثر من ٧٠٪ من الأغنام هلكت في مدينة واحدة هي (قدي) بل إن الأمر يزداد سوءاً إذا علِمَ أن النوق قد توقفت عن إدرار الحليب منذ يناير ٢٠٠٠م، وهي الآن تموت بالمئات يومياً، كما يذكر برنامج الغذاء العالمي (UN)، وهذا مؤشر خطير لما يعانيه البدو هناك.

دور الهيئات العاملة في الأزمة:

تدَّعي الجمعيات الغربية العاملة في الصومال وجيبوتي وكينيا وإثيوبيا بأنها كلها تعمل لإنقاذ البيئة الريفية في أوجادين وإعادة تأهيلها، وأن لديها برامج إغاثية كبيرة في هذه المحنة في تلك المنطقة، والحق أن أغلب هذه الهيئات لا تعمل شيئاً، بل موقفها لا يتعدى نقل صور هذه المأساة من خلال الكاميرات العادية وكاميرات الفيديو ونشرها أمام شعوبها لتلقِّي المزيد من الدعم المالي والإداري والسياسي.

والحق يقال أيضاً: إن الهيئات الغربية أكثر من غيرها عملاً في تلك المجاعة مثل (UN) متمثلة في برنامج الغذاء العالمي، USAID المساعدات الأمريكية تعمل في قدي، واليونسيف متمثلة في برنامج واحد هو (أطعم الأطفال) و (DPPCOFA) الأمريكية، WEP الإغاثات النصرانية، والسفارة الألمانية CRDA والتي تسببت في مشاكل كثيرة مع الحكومة الإثيوبية بسبب إخفاق الحكومة في برامج الإغاثة، وكذبها على المانحين والداعمين، OXFAM البريطانية، والبعثة السويدية والإيرلندية CONCERN والبلجيكية، وبلا حدود، وهناك أكثر من خمس وثلاثين هيئة غربية تدعي العمل عن طريق جمعيات محلية، ولم نرَ أثر عملها في الغالب.

ولم يقتصر الأمر على الهيئات الغربية بل شارك السفراء الغربيون يقودهم السفير الأمريكي في أديس أبابا في الوقوف على هذه المحنة بأنفسهم؛ فقد استأجروا طائرة تجارية في شهر ذي القعدة ١٤٢٠هـ تقلهم إلى مدينة قدي للوقوف على أحوال المدينة دون إذن مسبق من الحكومة الإثيوبية.

ولا يخفى على أحد أهداف بعض هذه الحكومات والهيئات الدينية؛ فقد قامت البعثة البلجيكية ببناء خيمتين في مدينة قدي خاصة بالأطفال كتب على واحدة منهما: (محمد) وعلى الثانية: (عيسى)، وملئت خيمة عيسى بأصناف المأكولات والمعلبات الغذائية، أما خيمة محمد فلا يوجد فيها إلا بعض

أكياس الدقيق، ويرسلون الأطفال إليها ليختاروا أي الخيمتين أفضل. وفي مدينة دنان يدعو الأطباء السويديون للناس بالشفاء باسم عيسى - عليه السلام - مما سبب بعض المشاكل في الأسبوع الأول من عملهم مع بعض سكان المدينة.

أما الحكومات الإسلامية المتعاطفة مع هذه المشكلة فقد آثرت العمل من خلال الحكومة الإثيوبية وبعض الجمعيات المحلية هناك. والجمعيات الإسلامية غير المحلية العاملة هناك لا تزيد عن عشر جمعيات، وهي تعمل مباشرة أو عن طريق الجمعيات المحلية المصرح لها من الحكومة الإثيوبية، وأكثرها عملاً البنك الإسلامي للتنمية، وهيئة الإغاثة العالمية، ومؤسسة الحرمين، ولجنة مسلمي إفريقيا، والمنتدى الإسلامي، رغم وجود مصاعب مالية وتنظيمية لدى هذه الجمعيات في ظل غياب الدعم الحكومي والدعم السياسي لمثل هذه الهيئات، وبسبب عدم تخصص هذه الجمعيات في برامج الإغاثة، وبسبب القصور والضعف الإداريين؛ فتجد أن مندوبي الجمعية يفدون دون تخطيط لكيفية العمل أو ما هو الأنسب للعمل الإغاثي؛ فيضطر بعضهم للاستعانة بالهيئات والتنظيمات الغربية.

مرئيات مستقبلية:

نرى - ونحن نعمل في الميدان - أن ستة أشهر غير كافية للعمل هنا لاستعادة الأمل، وطرد شبح الحاجة والمرض من هذه البقعة من أرض المسلمين، ثم إن العاملين هنا سواء من المسلمين أو المسيحيين يعملون الآن بشكل جدي - في الغالب - لدرء آثار المجاعة الحالية ولإنقاذ ما يمكن انقاذه منها، ولكنهم - وعلى السواء - لا يقدمون الدراسات والبحوث التي تعالج المأساة من أصلها عدا بعض البحوث الغربية، وهنا نقترح الآتي درءاً لحدوث مثل هذه المجاعات في المستقبل في هذه المنطقة المنكوبة عن طريق الدول والحكومات الإسلامية، وصناديق التنمية فيها؛ فرغم كل المجاعات التي أصابت هذه المنطقة لم يُجَرَّب إعادة تنظيم المجتمع الريفي وهيكلته هنا، إضافة إلى أنك لا تجد تجاوباً جاداً من حكومة أديس أبابا في تنمية هذا الإقليم، فنقترح الآتي:

● إعادة توطين المجتمع البدوي والريفي في هذه المنطقة، ونشر المدارس فيها، وخصوصاً المدارس التي تهتم بالجانب المهني والفني، وإنشاء معهد زراعي وصناعي وتجاري وإداري في كل مدينة من مدن هذا الإقليم.

● هناك مئات المواقع القابلة للاستصلاح الزراعي؛ حيث توجد الأراضي الخصبة الصالحة للزراعة، والتي تخترقها عدة أنهار في الجنوب الشرقي.

● الاستفادة من البحوث والدراسات الغربية التي قدمتها بعض الهيئات الغربية للحكومة الإثيوبية لتنمية البلاد، وعدالة تقسيم الموارد الاقتصادية على الأراضي الإثيوبية، والاهتمام بالبنى التحتية في هذا الإقليم.

● السماح لسكان هذا الإقليم بممارسة شعائرهم التعبدية، وانتشار مدارسهم الدينية، وحلقات تحفيظ القرآن بكل حرية ونزاهة، والبعد عن القسر والظلم والاضطهاد، والكف عن محاربة الدين الإسلامي في إثيوبيا عموماً، وفي هذا الإقليم خصوصاً.

● السماح الكامل وغير المشروط للجمعيات والهيئات الإسلامية - حكومية كانت أو غير حكومية - للعمل في أوساط هذا الشعب المسلم، وتنميته مَثَلُهُ في ذلك مَثَلُ المجتمعات الإسلامية في بقية القرن الإفريقي.

وقد قصرنا حديثنا هنا على إقليم أوجادين بسبب ظهور المجاعة فيه عياناً؛ إذ هو أشد المناطق تضرراً، أما المناطق العفرية والإرتيرية فهي أقل ضرراً منها، وبعيدة عن خط الخطر بمشيئة الله تعالى.



بيان علماء اليمن

حول التطبيع مع اليهود وإعادة توطينهم هناك

تعد قضية فلسطين وما ابتليت به الأمة الإسلامية من تدنيس يهود لأرضها وإقامة دولتهم عليها وجلبهم لما يسمونه بالشعب اليهودي من جميع أنحاء العالم للتوطن فيها.. إحدى القضايا المصيرية التي تعيشها الأمة الإسلامية في العصر الحديث، ولا يقتصر هدف اليهود ومن يدعمهم على مجرد اغتصاب فلسطين من أهلها، بل يراد أن تكون هذه الخطوة هي نقطة الانطلاق نحو مد الأخطبوط الصهيوني الصليبي أذرعه للإجهاز على الأمة الإسلامية كلها، عبر غزو تطبيعي يشمل الفكر والاقتصاد والسياسة والإعلام الاجتماع...

وقد توالت منذ بداية هذه النكبة فتاوى العلماء التي تحاول الوقوف سداً منيعاً ضد طوفان التطبيع والهزيمة النفسية التي منيت به الأنظمة العلمانية والتي تحاول أن تنقله إلى شعوبها.

وفي هذا الإطار جاء بيان علماء اليمن الأخير ـ الذي وقعه جمّ غفير من أجلّة العلماء والدعاة ـ تحذيراً من الوقوع في هذا الخطر الداهم، وأداءً لأمانة البلاغ الذي أخذه الله عهداً على العلماء الربانيين: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

- البيان -

الحمد لله القائل: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ تسليماً كثيراً.. أما بعد:

فإن اليهود أمة غضب الله عليهم ولعنهم على لسان أنبيائهم، كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنۢ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨].

وقال ـ سبحانه ـ: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠].

وقد وصفهم الله ـ تعالى ـ في كتابه بما لا يخفى على أحد من المسلمين؛ فهم الذين يطعنون في ذات الرب ـ سبحانه وتعالى ـ كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال ـ سبحانه ـ في اليهود: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١].

ومن جرائمهم أنهم كفروا بالله ـ تعالى ـ وكذبوا رسله، وقتلوا الأنبياء والمصلحين، كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١].

بل إنهم لا يتركون مُصلحاً أو آمراً بالقسط إلا قتلوه وتآمروا عليه، كما أخبر الله عنهم، فقال ـ سبحانه ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١].

ولقد تآمروا على نبينا محمد ﷺ، فهمّوا بقتله، ووضعوا له السم، وآذوه بأنواع الإيذاء في حياته، ولا يزالون يتطاولون عليه ويسيئون إليه بعد مماته ﷺ.

واليهود أشد الناس فساداً في الأرض؛ فهم يستبيحون الأمم الأخرى، كما قال - سبحانه -: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

وجرائم اليهود في حق الله - تعالى - وفي حق الأنبياء، وإفسادهم في الأرض، وتحريفهم للتوراة، وعداوتهم للأنبياء والمصلحين، وغير ذلك من الجرائم لا تخفى على أحد.

ولا يزال اليهود متصفين بنقض العهود، كما أخبر عنهم - سبحانه - بقوله: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠].

والمعلوم من تاريخ اليهود أنهم نقضوا العهد مع النبي ﷺ وتآمروا على قتاله مع المشركين والمنافقين، ومعلوم حقدهم على الإسلام والمسلمين، وحرصهم على بث الفرقة وإثارة الفتن بينهم، وهم يسعون اليوم لإقامة دولة اليهود الكبرى على أنقاض الدول العربية وفي أرضها!

لقد احتل اليهود أرض فلسطين بعد أن قتلوا أبناءها، وأخرجوهم من ديارهم، وسلبوا ممتلكاتهم، وحاربوا العرب من أجل ذلك، واستعانوا بالقوى الدولية على تحقيق أهدافهم، ولا يزالون يسعون لإقامة دولة اليهود الكبرى من النيل إلى الفرات ومن الإسكندرية إلى المدينة المنورة، وإلحاقها بفلسطين المحتلة، ويسعون في هذه الفترة مع من يعينهم من القوى الدولية لتحطيم مقومات العرب من دين وأخلاق، وقوة واقتصاد، وجيش وأمن، ووحدة سياسية، ويفرضون على العرب اليوم التسليم بكل ما فعلوا ضدهم وضد إخوانهم في فلسطين، ويطلبون منهم الرضا بالأمر الواقع، واعتبار ذلك أمراً طبيعياً، بينما هم لا يتوقفون عن تنفيذ بقية مخططاتهم المدمرة للعرب والمسلمين ومقوماتهم.

واليوم نسمع عن عودة هؤلاء اليهود إلى اليمن، باسم الزيارة لأهليهم، أو السياحة، بعد أن نبذوا الجنسية اليمنية، وخرجوا من البلاد خروجاً نهائياً، فخرجوا محاربين الجيوش العربية، ومنها جيش اليمن، ونحن نحذر من أن الهدف الحقيقي لهم هو إعادة استيطانهم في اليمن، وتمكينهم من شراء الأراضي اليمنية والعقارات، وادعاء الملكية، وتشكيل أقلية يهودية تعيش تحت الحماية الأجنبية، وتُعرِّض اليمن لضغوط دولية إن لم يسلموا لها ولخططها الماكرة، كما يهدفون في هذه المرحلة إلى إعادة معابدهم، وابتزاز ثروات اليمن، والتملك في البلاد.

وقياماً بواجب البيان الذي أخذ الله ميثاقه على العلماء ونصحاً للأمة، وإبراءاً للذمة نفتي بما يلي:

أولاً: إن موالاة أعداء الإسلام محرمة شرعاً وبخاصة هؤلاء اليهود؛ لأنهم في حالة حرب مع العرب والمسلمين، واغتصاب لأراضيهم ومقدساتهم، ويخططون لإقامة دولتهم اليهودية الكبرى على أراضي المسلمين، وعليه فيحرم شرعاً التطبيع معهم كما يدل على ذلك قوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩].

وكما قال - سبحانه -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

وكما قرر ذلك علماء المسلمين في فتواهم منذ بداية تكالب اليهود على أرض فلسطين عام ١٩٣٥م إلى يومنا هذا.

ثانياً: يحرم التعامل مع هؤلاء اليهود الحربيين بيعاً أو شراءاً أو استثماراً أو تمليكاً للأراضي حتى لا يكون سبباً في توطينهم وادعائهم الإقامة حيث يملكون، وحتى لا يكون ذريعة لإعادة استيطانهم في اليمن.

ثالثاً: يوصي العلماءُ المسلمين جميعاً - والشعبَ اليمني خصوصاً - حكاماً ومحكومين - بالتنبه لخطر موالاة اليهود، والحذر من خططهم الماكرة، والوقوف صفاً واحداً أمام هذا الخطر الداهم الذي يهدف إلى حرب الإسلام والمسلمين؛ مما يستوجب الوقوف أمام المخططات التي تسير في هذا الاتجاه وتشجع على موالاة اليهود المحاربين للإسلام والمسلمين وإقامة العلاقات معهم.

نسأل الله أن يوفق الأمة الإسلامية لما فيه خيرها وصلاحها. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الغزو اللاتيني في كردستان العراق

فرست مرعي الدهوكي

كانت إحدى الطامات الكبرى التي ألحقها العلماني الأول مصطفى كمال أتاتورك في ثلاثينيات القرن العشرين أمره بإلغاء كتابة اللغة العثمانية (التركية) بالأبجدية العربية؛ حيث أدخل عوضاً عنها الحروف اللاتينية، وهذا ما جعل الجيل التركي المعاصر ينقطع عن جذوره الإسلامية العثمانية؛ بحيث لا يستطيع التركي الآن قراءة رسالة كتبها أبوه أو جده في الربع الأول من القرن العشرين، ناهيك عن قراءة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهذا ما جعل التراث الذي سطره العثمانيون طيلة ستة قرون من عمر الخلافة ١٣٠٠ ـ ١٩٢٤م يذهب سدىً، ولعله إلى حين إن شاء الله.

والحقيقة أن تغيير الكتابة التركية لم يأت بسبب المأزق الذي وقعت فيه هذه اللغة بقدر ما كان خطة مدبرة طبقها (أتاتورك) بكل دقة لفصل تركيا عن الجسم الإسلامي وامتداداتها المشرقية وإلحاقها بالغرب الأوروبي. والدليل على ذلك تغيير يوم العطلة الأسبوعية الإسلامية (الجمعة)، لتكون عطلة النصارى يوم الأحد عوضاً عنها، وفرض لبس القبعة الأوروبية محل الطربوش العثماني، إلى جانب إخراج المرأة التركية من حجابها الشرعي، واتخاذ العلمانية (اللادينية) المذهب الرسمي لدولته.

والحق يقال: إن تركيا بهذا الإجراء خسرت تاريخها وماضيها الناصع، ولم يستفد الجيل الحالي أية لغة أوروبية، وإنما تعلَّم الحروف الأوروبية، وهذا العمل لا يأخذ من تلميذ الابتدائية أكثر من ثلاثة أسابيع لتعلمه[1].

وفي السياق نفسه يحاول بعض المثقفين الأكراد من ذوي الاتجاهات العلمانية (الماركسية والليبرالية) تطبيق فكرة أتاتورك الآنفة الذكر وإنزالها في عالم الواقع في محاولة كتابة اللغة الكردية بالأبجدية اللاتينية عوضاً عن الأبجدية العربية التي هي سائدة الآن في كردستان العراق وإيران دون كردستان تركيا وسوريا؛

(١) طالب عبد الرحمن: نحو تقويم جديد للكتابة العربية في كتاب الأمة (٦٩) قطر، ص ١٣٧.

حيث طغت هناك اللاتينية بواسطة التأثير التركي، ولا ننسى أن الأدب الكردي من شعر ونثر تراثي إنما دُوِّن بالحرف العربي، وكذلك الصحافة الكردية؛ فقد استعملت في غالبيتها الحرف العربي على مدى مائة عام تقريباً(١).

وكانت هذه الفكرة قد راودت بعضاً من أبناء الكرد منذ عدة عقود بتأثير الموجة الأتاتوركية، ولكن قلة عدد هؤلاء اللاتينيين وسيطرة علماء الدين الإسلامي على الساحة العلمية والثقافية في كردستان خلال النصف الأول من القرن العشرين حالت دون استطاعتهم الجهر بفكرتهم هذه، ولكن القشة التي قصمت ظهر البعير هي تغلغل الفكر البلشفي الماركسي في كردستان في ثلاثينيات القرن العشرين والاقتداء بالاتحاد السوفييتي الذي قام باستبدال الأبجدية العربية السائدة عند مسلمي القوقاز وآسيا الوسطى بالأبجدية الروسية.

وكانت حجة هؤلاء هي انتماء اللغة الكردية إلى عائلة اللغات الهند - أوروبية بعكس العربية التي تنتمي إلى عائلة اللغات السامية، ولأن العربية قاصرة عن التعبير عن كل الأصوات والأحرف الكردية(٢).

ومما لا شك فيه أن هذه الظاهرة اللغوية موجودة في اللغة الفارسية، ولكنها استطاعت أن تطوِّع قسماً منها لتبعد عن أصوات فارسية لا وجود لها في اللغة العربية، فيلاحظ أن الباء المهموسة - وهي التي ترى في حرف (P) الإنجليزي - موجودة في الفارسية، غير معترف بها في العربية، فلجأ الفرس إلى كتابة هذا الصوت بوضع نقطتين أخريين زيادة على النقطة الموجودة في الباء، ليصبح المجموع ثلاث نقاط(٣)، وجرى هذا في الحرف الإنجليزي (CH)، حيث أضاف اللغويون الفرس نقطتين أخريين زيادة على النقطة الموجودة في الجيم ليصبح المجموع ثلاثاً، وهكذا دواليك في الحروف الأخرى التي لا نظير صوتياً لها في العربية، وهذا الأمر عمل به اللغويون الكرد؛ فاللغتان الفارسية والكردية تنتميان إلى عائلة اللغات الهند - أوروبية؛ حيث تنتمي الفارسية إلى الفصيلة الجنوبية الغربية، بينما تنتمي الكردية إلى الفصيلة الشمالية الغربية(٤).

ومن جهة أخرى فإن انتماء لغةٍ مًا إلى عائلة لغوية لا يعني بالضرورة استخدام أبجديتها، وإلا لكان من الطبيعي استخدام الأتراك للأبجدية الألتية Altaic على أساس انتماء لغتهم إلى عائلة الأورال - تاي. وهذا ينطبق على

(١) منذر الموصلي: رؤية عربية للقضية الكردية، لندن، رياض الريس، ١٩٩١م، ص ٣٢.

(٢) جلال الطالباني: كردستان والحركة القومية الكردية، بيروت دار الطليعة، ص ٤٨.

(٣) أحمد كمال الدين حلمي: المرجع في اللغة الفارسية، الكويت، دار البحوث العلمية، ١٩٧٥م، ص ١٣.

(٤) فلاديمير منيورسكي، الأكراد وملاحظات وانطباعات، ترجمة معروف خازندار، بيروت، دار الكاتب، ١٩٨٧م، ص ٥٤، ٥٥.

> هناك اتجاهات علمانية تدعو لكتابة اللغة الكردية باللاتينية لقطع صلة هذا الشعب بالإسلام كما فعل أتاتورك مع الترك

اللغات الإفريقية التي لا تنتمي إلى عائلة اللغات الهند ـ أوروبية ومع ذلك فقد استخدمت هي الأخرى الأبجدية اللاتينية، بينما لا زالت اللغات الفارسية والأوردية والكردية تستعمل الأبجدية العربية، إضافة إلى أنه ليس من الضروري وجود ارتباط بين شكل الحرف ونطقه، وإنما هناك علاقة غير واضحة يُكسبها المجتمع ـ لا الحرف نفسه ـ قدراً من الاتفاق والترابط؛ والدليل على ذلك أن صوت الراء يكتب بأشكال متعددة، فيكتب في الإنجليزية على شكل (R) وفي العربية (ر) وفي الروسية (P)، فلو كان هناك اتفاق بين شكل الحرف والصوت لكتب بصورة موحدة في اللغات المختلفة[١].

ومن الجدير ذكره أن اللغة اللاتينية هي إحدى اللغات الأوروبية القديمة التي تنسب إلى سهل (لاتيوم) المحيط بالعاصمة الرومانية القديمة ـ الإيطالية حديثاً ـ روما، ومنه أخذت تسميتها، وقد تفرعت منها عدة لغات أوروبية حديثة وهي: الإيطالية، الفرنسية، الأسبانية، البرتغالية، الكتلونية، وأغلب الدراسات والأدب المدون بهذه اللغة وثني إباحي يقوم على تمجيد الطقوس الوثنية والإباحية بجانب تقديس المنحوتات العائدة للأباطرة الرومان والفلاسفة الإغريق؛ مع التركيز على مبدأ القوة وسيادة العنصر الروماني على بقية شعوب العالم القديم آنذاك، والتي سماها الرومان بالبرابرة، وهذا ما طبقه أحفادهم الأوروبيون عندما قسموا العالم إلى شمال وجنوب، أو شعوب متمدنة راقية وشعوب متخلفة بدائية.

وعلى أي حال فقد بدأ بعض المثقفين الكرد من المنتمين إلى التيارات الفكرية المتنوعة من ماركسية واشتراكية وليبرالية بالكتابة الأبجدية اللاتينية في الآونة الأخيرة في بعض الصحف والمجلات العائدة لأحزابهم وجمعياتهم العاملة في كردستان العراق، بقصد جس نبض القراء الكرد، ومعرفة ردود فعلهم الأولية على هذا المشروع، ومدى محاولة المضي فيه حتى النهاية في حالة عدم وجود ردود فعل سلبية تجاههم؛ حيث لا يخيفهم شيء سوى ردة فعل الاتجاهات الإسلامية والمحافظة التي تريد البقاء على التراث الكردي القديم بصورته الحالية، ولكن مع الأسف فإن الاتجاهات الأخيرة قد خَفَتَ

(١) طالب عبد الرحمن: نحو تقويم جديد، ص ١٤١، ١٤٢.

صوتها في الآونة الأخيرة نتيجة اتهامها بالعمالة للفكر الإسلامي أو وصمها بالتعصب والانغلاق وعدم الانفتاح على الفكر العالمي، والهدف الأخير لهؤلاء العلمانيين ليس إخراج اللغة الكردية من بعض الإشكاليات التي تعانيها مثل بقية اللغات بقدر ما هو قطع كل صلة للكرد بماضيهم الإسلامي المجيد، ومحاولة دفع الكرد شيئاً فشيئاً نحو بوتقة التغريب والعلمنة، علماً بأن للعلماء الأكراد باعاً طويلاً في الدفاع عن حياض اللغة العربية.

والحقيقة أن كتابة الكردية باللاتينية أصبحت موضة شائعة بسبب التقليد الأعمى للغرب في كل حركاته وسكناته؛ مثل تقليده في المظاهر الأخرى كالأزياء وشرب الخمر والأكل باليد اليسرى، إلى غير ذلك من هذه المظاهر المستنكرة التي تدل على استلاب الشخصية المسلمة وتبعيتها لأعداء دينها وعقيدتها.

وانطلاقاً مما تقدم يبدو أن هناك عدة عوامل تصب في نجاح المشروع اللاتيني في كردستان العراق، ولعل من أبرزها كثرة وجود المنظمات الغربية (التنصيرية) التي تتخذ من الإنسانية مظهراً، والتي ليس لها هدف محقق في واقع الأمر إلا تغريب الكرد ومحاولة إخراجهم من دينهم، ومحاولة قطْع كل رابطة لهم بأشقائهم العرب المسلمين أو باللغة العربية، ولا سيما أن الكرد تعرضوا إلى صنوف شتى من الظلم والقهر على أيدي بعض المحسوبين على العرب! بجانب محاولة الغرب تغريب الجيل الكردي الحالي من خلال السماح له بالهجرة المنظمة وغير المنظمة إلى الغرب، ومنحه التسهيلات المادية والمعنوية من خلال السماح لهم بالحصول على اللجوء السياسي أو الإنساني على أقل تقدير.

وإنني في هذه المقالة أطلب من إخواني المسلمين - وبالأخص العرب منهم - مساعدة الشعب الكردي للخروج من أزمته التي طالت، والتي تعرَّض خلالها إلى أشد صنوف التنكيل والعذاب والضرب بالأسلحة الكيمياوية وغيرها من أعتى وسائل الإجرام على يد بعض الأنظمة التي لا ترقب في مؤمن إلاً ولا ذمة، وهذا كان أحد الدواعي التي استند إليها هؤلاء المتغربون اللاتينيون لإخراج الكرد من دينهم على أساس أن ظالميهم أو الذين وضعوهم في معسكرات التعذيب والاعتقال كانوا ينتمون اسماً إلى الإسلام! لذا فلا مناص - بزعمهم - من الالتجاء إلى الغرب والاحتماء به، والإذعان لكافة عاداته وتقاليده؛ وإن تطلَّب الأمر معتقداته؛ والعياذ بالله.

ولكن هل من مستجيب لنصرة الأكراد المسلمين قبل الكارثة؟ ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد!



يرصدها: حسن قطامش

إلى المطبّعين.. مع التحية!!

كشفت مصادر خاصة أن مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية C.I.A الجنرال (جورج تينت) زار إحدى الدول الخليجية مؤخراً زيارة خاصة لها علاقة مباشرة بمؤتمر مقاومة التطبيع مع العدو الصهيوني الذي عقد في الكويت.

ونقلت المصادر أن (تينت) اجتمع مع مسؤولين في تلك الدولة، وأجرى معهم محادثات تركزت حول السماح لمقاومي التطبيع بعقد مؤتمرهم في الكويت. وأكد (تينت) خلال اللقاء أنه مندهش تماماً لعقد مثل هذا المؤتمر. مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية اتهم خلال محادثاته مع المسؤولين الجماعات الإسلامية التي وصفها بـ «المتشددة» في تلك الدولة بأنها وراء انعقاد المؤتمر مطالباً بالعمل سريعاً على ضرب «الأصوليين» وتحجيم نفوذهم قبل أن يفوت الوقت وبخاصة في ظل تصاعد «الأصولية» ـ كما يقول ـ واعتبر الجنرال الأمريكي أن عقد مؤتمر مقاومة التطبيع في الكويت ظاهرة خطيرة، محذراً من أن مثل هذه المؤتمرات ربما تمتد وتنتشر في دول أخرى.

[جريدة السبيل الأردنية، العدد: (٣٣٣)]

رسالة إلى الرجال

الشيخ الفاضل/ أمير جماعة «تحريك المجاهدين» جامو وكشمير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد:

إنه من دواعي سعادتي وسروري أن أقدم لكم ابني شفيق الرحمن قريشي ابن محمد إسحاق قريشي ـ الساكن في مدينة لاهور ـ للتدريب في المعسكر وبعد إكمال التدريبات اللازمة سمحت له بأن يذهب إلى كشمير المحتلة للجهاد هناك وأنا أفتخر بهذا القرار الذي قررته؛ حيث إنني أتمنى أن أكون أماً لشهيد قاتلَ ضد الباطل وجاهد في سبيل رفع كلمة الله، وأسأل الله أن يجعله من الشهداء، وأن يتقبل شهادته، وأن يجعله سبباً في دخولنا الجنة.

إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لن يضيع أجر المحسنين وإن إيماني وعقيدتي هو أن الغلبة للإسلام وللمسلمين، والله ـ سبحانه وتعالى ـ حسبنا وكفيلنا. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

أختكم في الله: والدة شفيق الرحمن ـ لاهور

[مجلة سياحة الأمة الكشميرية، العدد: (٢٨)]

زادكم الله غماً

المدهش أن الجيل الذي يقود الثقافة في مصر الآن هو جيل ستيني بالأساس، باستثناء بعض الأمثلة القليلة مثل محمود أمين العالم، هذا الجيل الستيني يضم عبد المعطي حجازي وجابر عصفور ووزير الثقافة وغيرهم من الكتاب والمبدعين، فلم هذه المعارك المفتعلة بين أبناء جيل واحد جمعهم ظرف سياسي واحد ومناخ واحد وحلم واحد؟ لقد اخترنا كلمة قاسم أمين «الحرية الحقيقية تحتمل إبداء كل رأي ونشر أي فكر وترويج كل مذهب» شعاراً للجريدة، وحين أتذكر أن هذه الكلمة قيلت قبل مائة عام وأننا الآن نجاهد في سبيل تطبيقها، ينتابني الأسى والغم.

[صلاح عيسى، رئيس تحرير جريدة «القاهرة» التي صدرت حديثاً عن وزارة الثقافة في مصر، جريدة الشرق الأوسط، العدد: (٧٨٤٩)]

ولا يزالون يقاتلونكم

حمَّلت دراسة اجتماعية قام بها الباحث النيجيري د. محمد ثابت (المنظمات الدولية والجمعيات غير الحكومية) مسؤولية تفشي الظاهرة الإباحية في المجتمع النيجيري.

وأوضح الباحث وهو أستاذ بكلية التربية جامعة بايروا بكانو - أن نتائج الدراسة وتحرياتها عن عوامل وأسباب اختفاء تلك القيم والتقاليد أثبتت أن للوكالات والمنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية العاملة في مجال الإغاثة والصحة والطفل والمعونات ضلعاً كبيراً في ذلك. وقال: إنه بعد مسح شامل تبينت أنه توجد أكثر من ٥٠ وكالة في مناطق شمال نيجيريا فقط التي توصف بأنها «مناطق محافظة» وهي تابعة للمنظمات والمؤسسات الدولية.

وأضاف: إن وكالة الولايات المتحدة للتنمية الدولية هي أكثر تلك الوكالات والمنظمات اختراقاً للأوساط الاجتماعية، وتعمل بشكل مباشر في الأوساط النسائية لا سيما (الفتيات في المدارس والجامعات). وذكر أن من أهداف هذه الوكالة التمكين للديمقراطية في المجتمعات النامية، وتنمية الوعي بتنظيم الأسرة، وتحديد النسل، ثم العمل على تقوية النسوة في كافة المحافل والمجتمعات، واعتبر الدكتور الشيخ أن هذه الأهداف مجرد غطاء تتستر بها لنشر الفساد والإباحية في المجتمع؛ لأنها توزع مجاناً أدوات مختلفة بين الشباب والفتيات والنساء عموماً لمنع الحمل.. وأضاف: إن الملاحظ على مضامين دعاتها واتصالاتها أنها تحث وترغِّب على استخدام هذه الوسائل عند ممارسة الجنس عموماً، وتسوِّغ دعوتها إلى استخدام هذه الأدوات بأنها تحمي من الأمراض المكتسبة عن طريق الممارسة الجنسية غير الشرعية، مما يُقوي الناس على الفاحشة. من جهة أخرى أضاف التقرير أن مشروعاً تعليمياً للتربية الجنسية بدأ نشاطه بمدينة لاجوس بحضور ممثلين من منظمة الشباب في الولايات المتحدة الأمريكية.

[جريدة السبيل الأردنية، العدد: (٣٣٣)]

يسارعون فيهم

كشف بيان صادر عن اتحاد الصناعيين الإسرائيليين أن الربع الأول من سنة ٢٠٠٠م شهد ارتفاعاً كبيراً في الصادرات إلى الدول العربية بنسبة ٤٤٪ مقابل انخفاض طفيف في الواردات ١,٦٪ ووفق هذا البيان فإن البضائع الإسرائيلية تصل إلى ١٢ دولة عربية!

وجاء في البيان أن قيمة الصادرات الإسرائيلية بلغت في هذه الفترة ٢٩ مليون دولار (٢٠ مليون دولار في الفترة نفسها من السنة السابقة)، معظمها صدر إلى مصر (١٦ مليون دولار تنطوي على زيادة بنسبة ٦٩٪) يليها الأردن ٦,٣ مليون دولار بزيادة ٤٩٪ عن السنة الماضية.

وتصل الصادرات الإسرائيلية إلى ١٢ دولة عربية هي - إضافة للأردن ومصر -: لبنان (الجنوب المحتل بالأساس) واليمن، والكويت، والبحرين، وقطر، وسلطنة عمان، والمغرب، والإمارات العربية المتحدة، وتونس. هذا فضلاً عن فلسطين، التي لم يرد اسمها في التقرير.

وارتفعت الصادرات الإسرائيلية إلى المغرب بنسبة ٩٠٪ لكنها لم تتجاوز مليوني دولار. وصدرت (إسرائيل) للبنان ما قيمته ٣,٧ مليون دولار بزيادة ١٩٪ عن السنة الماضية.

وانخفضت الصادرات الإسرائيلية إلى تونس بنسبة ٩٠ ٪ لتصبح قيمتها ١٦٤ ألف دولار. بينما ارتفعت إلى الإمارات بنسبة ٢٩٪ لتصبح ٢٠٥ ألف دولار.

أما الواردات لـ «إسرائيل» من الدول العربية فهي بقيمة ١١ مليون دولار في هذه الفترة، معظمها من مصر (٥,٧ مليون دولار) يليها الأردن بمبلغ ٤,٦ مليون دولار. وتستورد «إسرائيل» من المغرب الاغذية الجاهزة والمشروبات والسجائر بقيمة ٤٠٨ آلاف دولار.

[جريدة الشرق الأوسط، العدد: (٧٨٢٨)]

الصين تحافظ على هويتها

الغضب على الكتب والكُتّاب لا يتوقف على العالم العربي، فالصين هي الأخرى تدخل في حلبة حرق الكتب ومنعها. وتأتي الحرب الصينية على خلفية أيديولوجية تريد تأكيد الذات الصينية ضد نزعات العولمة والثقافة الجديدة التي بدأت تظهر في الصين بعد عصر الانفتاح الاقتصادي، وعصر «الماكدونالدز» والغزو الأمريكي.

ويتركز غضب المؤسسة الصينية الحاكمة على الجيل الذي يطلق عليه «الجيل الجديد» الذي ولد ونشأ في السبعينيات؛ حيث بدأت تظهر على هذا الجيل مزايا العولمة، وفي مركز الجدال الدائر الآن في العاصمة الصينية فتاة تنتمي إلى هذا الجيل قامت بإصدار رواية اعتبرتها المؤسسة الصينية خطراً على الأخلاقيات العامة. واسم الرواية التي تثير الجدل في الصين وتعيد تشكيل التقاليد الأدبية الصينية التي تنتمي إلى قرون عديدة «طفل شنغهاي»؛ حيث يشير اسم الرواية إلى ظلاله الجنسية، وتم توزيع أكثر من ٨٠ ألف نسخة من الرواية قبل أن تكتشفها السلطات وتجدها ضد الذوق العام وتطالب بعزل كاتبتها وتهميشها، ومن هنا قام ناشر الرواية بتدمير النسخ الباقية وإتلافها، وفي معركة المؤسسة الثقافية ضد الرواية فإنها قامت في الأسبوع الماضي باقتحام معرض كتاب وصادرت عدداً كبيراً من النسخ. [جريدة القدس العربي، العدد: (٣٤٢٣)]

استباحة الأمة

صعّد مثقفون مصريون اعتراضهم على تدخل الأزهر في تقويم الأعمال الأدبية. ووجه ٢٥٠٠ أديب مصري أعضاء في «الأمانة العامة لأدباء مصر في الأقاليم» مذكرة إلى النائب العام، اعتبروا فيها أن الحملة التي تبنتها صحيفة الشعب الناطقة باسم حزب العمل ضد رواية حيدر حيدر «أثارت الذعر في القلوب الوادعة، وروعت الأقلام التي تتمتع بالحرية لتتخيل وتبدع وفتحت الباب للغوغاء بما يبدد الأمن ويهدد السلام الاجتماعي».

وأكد هؤلاء تأييدهم سياسة النشر في هيئة قصور الثقافة التي تصدر سلسلة (آفاق الكتابة) وشددوا على أن نشر رواية «وليمة لأعشاب البحر» عمل ثقافي مشروع في إطار توسيع دور الأدب عموماً والرواية خصوصاً في نقد الحياة وتطوير مناحيها وأساليب العيش فيها» ولفتت المذكرة إلى أن تقويم العمل الأدبي «لا يتعين أن يصدر من غير ذي صفة أدبية». وأعلن الموقعون على المذكرة تضامنهم «مع كل مسؤول عن نشر الرواية وغيرها من الأعمال الأدبية الجيدة ذات الرؤى الإنسانية المهمة». وأضافوا: إذا كان ثمة اتهام إلى أحد فكل الأدباء متهمون ويشاركون الجميع في تحمل المسؤولية والاستعداد لتقبل ما يراه السلك القضائي من التزامات».

وأضافت المذكرة «نرفض بكل شدة ما دعا إليه شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي من ضرورة فرض الرقابة على كل كتاب؛ لأن ذلك يعني النكوص والردة بعدما بلغت الأمة منذ زمن سن الرشد، وإذا فرضت الرقابة فلن يكون هناك أدب ولا فن ولا حرية ولا رأي ولا تقدم بل ولا حياة حقيقية تليق بالإنسان المصري في زمان لم يعد فيه أدنى مجال لتكميم الأفواه أو التحكم في أدوات التعبير. [جريدة الحياة، العدد: (١٣٥٩٣)]

الحرية الأوروبية!

أصدرت المحكمة الابتدائية في العاصمة النرويجية أوسلو حكماً برفض الدعوى المقدمة من المجلس الإسلامي ضد وزارة التعليم للحصول على حق الإعفاء الكامل لأبناء المسلمين من دراسة مادة الدين المسيحي التي أصبحت مادة إجبارية منذ عام ١٩٩٧م. وقد ورد في الحكم الصادر أن إجبار أبناء المسلمين على دراسة هذه المادة لا يعتبر مخالفاً لقوانين حقوق الإنسان والأقليات الدينية، واعتبرت أن ما ذكره المسلمون من تأثير هذه المادة على أطفالهم بسبب التباين الواضح بين معتقدات المسلمين، وما تطرحه المادة من معتقدات، ليس سبباً مقنعاً لمنحهم إعفاءً من دراسة هذه المادة. [مجلة الكوثر، العدد: ٧]

هذا حيدر الوليمة!!

س: هل أصبحت الكتابة من المهن الخطيرة في العالم العربي؟

ج: الكتابة تحاول أن تقترب من أمور قد لا تسمح بها المؤسسة الرسمية سواء كانت مؤسسة اجتماعية أو مؤسسة دينية أو سياسية. الكتابة العميقة، الكتابة الأصيلة منحازة للحرية، منحازة للعقل، للتنوير. فعندما تقترب الكتابة من هذه المناطق في هذه المسائل الحساسة والأساسية من الممكن أن تكون في خطر.

الواقع العربي المأزوم والمطوق بكثير من القوى التي تعيق تقدم هذا المجتمع وتحاول أن تصادر ما يمكن أن نسميه الرأي الذي يخالف المؤسسة. الرأي الذي يقول الحقيقة إلى حد كبير عارية.

س: ما هي القوى التي تعيق هذه الحركة؟

ج: هي القوى الإسلامية المتعصبة والمتطرفة والمعروفة بأعمالها الإرهابية في كل أنحاء الوطن العربي تقريباً. هي التي حاولت وتحاول الآن أن تدمر المجتمع الجزائري. هي التي أقامت الدنيا وأقعدتها في مصر. هي التي تحركت في سورية قبل عشرين عاماً. القوى الكلامية، القوى المتطرفة التي تحتكر الإسلام لنفسها وتحور كل ما يمكن أن يقال باتجاه مصالحها وباتجاه أهدافها.

وسَّعوا الحملة باتجاه الطيب صالح وباتجاه إدوار الخراط والآن باتجاه محمد الماغوط وإلياس خوري ـ فإنهم يحاربون كل فكر ويتصدون لأي فكر أو لأي أدب تنويري طبيعي يتحدث عن إمكانية بناء مجتمع عربي ديمقراطي. أنا ربما كنت البداية الآن ولكن نستطيع أن نأتي بأمثلة كثيرة: القصة بدأت منذ غيلان الدمشقي من المعتزلة الذي صلبوه في خلافة هشام بن عبد الملك مروراً بالحلاج وطه حسين ونجيب محفوظ ونصر حامد أبو زيد وحسين مروة ومهدي عامل. القافلة طويلة، هناك نوع من المواجهة للفكر النقدي والفكر الطليعي والفكر التنويري.

أنا واحد من هذه القافلة المستهدفة منذ المعتزلة حتى الآن ـ هذا ما أقوله منذ بدأ الاجتهاد عند المعتزلة والفكر الحر. أنا الآن وربما غداً يأتي آخر.

الإسلام والنص المقدس حَمَّال أوجه والاجتهاد منذ المعتزلة حتى الآن هو أساس في بنية الإسلام ولا يحق لأي جهة أن تحتكر ذلك. لنا اعتقاد أن معظم المثقفين الإسلاميين التنويريين يرفضون أن يكون هناك نوع من الاحتكار للإسلام. الإسلام نص مفتوح للجميع ويحق لأي مسلم أن يجتهد فيه من خلال فهمه وإدراكه بعمق لحقيقة الإسلام.

س: كيف يمكن مواجهة هذا التيار؟

ج: نواجهه بكل ما نستطيع من قوى. نحن نستطيع بوصفنا مثقفين أن نواجهه بالكتابة أو نواجهه بالإعلام، نواجهه بأساليبنا الخاصة باعتبارنا مثقفين، أما بالنسبة للقوى الأخرى مثلاً السلطة فنحن لسنا في السلطة. المثقفون ليسوا في السلطة. فمن المفترض أن تواجه القوى العلمانية هذا، وأيضاً من خلال السلطة. وهذا ما حدث في مصر على سبيل المثال عندما قاوموا الإرهابيين المتطرفين. وهذا ما حدث في سورية أيضاً قبل عشرين سنة. والآن إغلاق جريدة الشعب وحل حزب العمل هو رد على هؤلاء.

[الكاتب السوري: حيدر حيدر، جريدة القدس العربي، العدد: (٣٤٣٣)]

أقل واجب!!

دولة عربية أبرمت صفقة مع دولة غربية لاستيراد هراوات ودروع ورصاص مطاطي وقنابل مسيلة للدموع ووسائل أخرى لمنع التظاهرات بعدما بدأ موسم الصدامات.

[مجلة الوسط، العدد: (٤٣٤)]

الإفريقيا

كان من المفروض أن يكون العام الحالي هو عام الاهتمام بإفريقيا؛ إذ أعلن مجلس الأمن شهر يناير (كانون الثاني) شهراً لإفريقيا. وأضاف آل غور نائب الرئيس الأمريكي بيل كلينتون صوته إلى العديد من الأصوات المؤيدة لإفريقيا. وترددت أحاديث حول «عام إفريقيا» بل و «قرن إفريقيا». ولكن الحروب لا تزال بأكبر القارات في العالم:

إذ انهار اتفاق السلام الذي تم التوصل إليه في سيراليون بعد أسر حوالي ٥٠٠ من قوات الأمم المتحدة في أوائل الشهر الحالي.

واستأنفت كل من إريتريا وإثيوبيا ـ في الوقت الذي تحاولان فيه تجنب شبح المجاعة ـ حرب خنادق دموية بينهما.

ولم تفقد الحرب الأهلية في انغولا تأججها بعد مرور أكثر من ٢٥ سنة على اشتعالها.

وعلى الرغم من التوصل إلى اتفاقية سلام في العام الماضي، فلا تزال ٦ دول تحتفظ بقوات في الكونغو التي تتقاسمها الحكومة وقوات المتمردين.

وفي الوقت الذي تحاول فيه الأمم المتحدة حل هذه النزاعات فإن السؤال الذي يُطرح هذه الأيام هو: هل يمكن تحقيق أية انجازات بدون عضلات الولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوروبي؟

لقد أكدت القوى الغربية مراراً أنها لن ترسل قواتها إلى إفريقيا. وهو الموقف الرسمي لها منذ سحل جندي أمريكي في شوارع الصومال في عام ١٩٩٣م. وفي الوقت الذي تدرس فيه الأمم المتحدة في الأسبوع الحالي زيادة قواتها من ١٣ ألف إلى ١٦ ألف في سيراليون. وإرسال ٥٥٠٠ جندي إلى الكونغو، فإن عليها الاعتماد على الدول الفقيرة لتقديم الدعم البشري، ويقول بيرل روبنسون مدير مركز الدراسات الإفريقية في جامعة تافتس بولاية ماساشوستس «إذا لم تتدخل الولايات المتحدة، فإن الناس لن تتعامل مع بعثات الأمم المتحدة بجدية».

[جريدة الشرق الأوسط، العدد: (٧٨٥٠)]

اقترح مستشار سياسي لجورج بوش مرشح الرئاسة الأمريكية أن تستخدم الولايات المتحدة القوة الجوية ووسائل أخرى لاقتطاع أجزاء من العراق من سيطرة الرئيس العراقي صدام حسين.

وصرح روبرت زويلك الذي كان يعمل وكيل وزارة بالخارجية خلال فترة حكم جورج بوش الأب بأنه مثلما ساعدت الولايات المتحدة الأكراد على إدارة منطقة للحكم الذاتي في شمال العراق يتعين عليها الآن مساعدة خصوم صدام على إنشاء جيب في الجنوب. وقال زويلك: إن سياسة الرئيس بيل كلينتون تجاه العراق كارثة سمحت لصدام بأن يزداد قوة.

[جريدة الاتحاد، العدد: (٩٠٨٦)]

تعليق على الأحداث

نمور على المسلمين:

لا شك أن الكثيرين يسمعون عن «نمور التاميل» في سيرلانكا، ولكن من يسمع عما يفعله نمور التاميل بمسلمي سيرلانكا، وهي سرنديب التي عرفها العرب قبل الإسلام بهذا الاسم ثم سيلان بعد ذلك، وتبلغ نسبة المسلمين (١٠٪) من السكان البالغ عددهم ٢٠ مليون نسمة، وفي قتال النمور مع الحكومة السيريلانكية لم يجدوا أضعف من المسلمين للإيقاع بهم وطردهم من ديارهم في مناطق «جافنا» و «باتيكالوا» وقد شرد مئات الآلاف من المسلمين وتم تصنيفهم على أنهم «مشردون محليون» أي أنهم غير مؤهلين لتلقي معونات من منظمات الإغاثة التابعة للأمم المتحدة، ولا يخلو الوضع من مجازر تحدث للمسلمين بين فترة وأخرى والتي كان منها المذبحة التي راح فيها ١٤٠ مسلماً وهم يصلون، وتلتها أخرى بعد أيام تسعة راح فيها ١٢٢ مسلم، وهذه الأيام تم إعادة العلاقات الدبلوماسية بين سيرلانكا ودولة يهود والاتفاق على مد سيرلانكا بالسلاح الإسرائيلي، ويخشى المسلمون هناك من الوقوع بين فكي النمور وأحفاد القرود.

حلف الشيطان ضد مسلمي الشيشان:

في الوقت الذي تندد فيه بعض العواصم الأوروبية بانتهاكات حقوق الإنسان في الشيشان، تقوم العواصم ذاتها بعقد حلف شيطاني يجمع بينها وبين بقية حلف الأطلسي والولايات المتحدة من جانب، وبين الروس من جانب آخر. وكان الرئيس الروسي، السفاح بوتين، قد حذر أوروبا بأنها ستدفع ثمناً غالياً ما لم تنتبه إلى تهديد المتطرفين الإسلاميين على حدودها، وقام رئيس المخابرات الألمانية «أوجست هانينج» بزيارة إلى روسيا للتأكد ما إذا كان الشيشان قد حصلوا على أموال وأسلحة من دوائر إسلامية. كما تقوم المخابرات الألمانية بتقديم معلومات ثمينة للروس في صراعهم مع مسلمي الشيشان حسب ما أكدته المجلة الأسبوعية الألمانية «ديرشبيجل».

وكما لبت المخابرات الأمريكية نداء موسكو وأمدتها بالمعلومات التي تريدها في حربها مع المسلمين في الشيشان وكذلك فقد قام مدير المخابرات الأمريكية «جورج تينيت» بزيارة جورجيا وقزقستان وأوزبكستان وعقد لقاءات سرية مع قادة هذه الدول، وذكر جورج أن هذه المنطقة تعتبر أرضاً خصبة لنمو الجماعات الأصولية المتطرفة.

كما أعلن الأمين العام لحلف شمال الأطلسي «جورج روبرتسون» أن روسيا غير قادرة على ضمان الأمن في آسيا الوسطى، ودعاها إلى التعاون مع الحلف لمكافحة «الإرهاب الإسلامي» في هذه المنطقة، وقال: إن روسيا تشكل قوة مهمة في مواجهة الإرهاب الإسلامي، ويمكن أن يكون التعاون في هذا المجال مفيداً لكل العالم خصوصاً أن حلف الأطلسي يملك خبرة في مكافحة الإرهاب والتطرف. ومع هذه الحلقات التي تحاول الإحكام على المسلمين في الشيشان تأتي حلقة أخرى تزيد من الآلام ومن مرارتها وقسوتها، وهي حلقة التعامي الحاصلة من العالم الإسلامي والتقاعس عن نصرتهم في هذه المواجهة الشرسة التي عرضنا صورة لها هنا، وبالرغم من ذلك كله إلا أن من ينصر الله ينصره، وما نزال نسمع عن انتصارات إخواننا في الشيشان، وإخفاق الروس في القضاء عليهم. والله نسأل أن يثبتهم وينصرهم على حزب الشيطان، وأن يخذل المتخاذلين.

مصيدة الفلبين:

في الوقت الذي انشغل فيه الناس بأزمة الرهائن في الفلبين، ويمموا وجوههم صوب جماعة (أبو سياف) وتحركاتهم، كان الجيش الفلبيني يدك ديار المسلمين في مواجهة شرسة مع جبهة مورو الإسلامية بقيادة سلامات هاشم، وقد أوردت الصحف صورة لبعض الجنود الفلبينيين وهم يعتلون مئذنة مسجد قد حطموه، ويرفعون فوقها العلم الفلبيني وهم في سعادة بالغة، وإن كنا لا نذهب إلى اتهام جماعة أبي سياف بأنها مستخدَمة من قبَل الحكومة أو جهات خارجية لإبعاد الأنظار عن الجبهة الداخلية، أو نتهم جماعة نور ميسواري بالتخاذل والوقوف إلى جانب الحكومة للحفاظ على مكاسبها التي تحققت بالاتفاق الذي تم منذ فترة، إلا أننا نتساءل عن هذه المصيدة التي يقع فيها المسلمون في البلد الواحد، والتي تكررت من قبل وتتكرر اليوم، ولا نتوقع أن يسلم منها آخرون بعد غد، نتساءل: إلى متى لا ينتبه إخواننا إلى ما يراد بهم؟

النفي والإثبات:

في تطور لم يكن مستبعداً أعلنت مصادر دبلوماسية أن ياسر عرفات أبلغ الإدارة الأمريكية أنه موافق على التخلي عن القدس بشكلها الحالي لـ «إسرائيل»، واعتماد البلدات المجاورة ومنها أبو ديس والعيزرية لكي تكون عاصمة للدولة الفلسطينية، كما أعلن أنه يشارك (إسرائيل) الرأي في عدم عودة اللاجئين إلى الأراضي المحتلة شريطة تعويضهم مالياً وتسهيل استيطانهم في عدد من الدول العربية والغربية. وعلى العادة التي عودتنا عليها السلطة الفلسطينية فقد تم نفي ذلك كله جملة وتفصيلاً وأن هذه الأنباء غير مسؤولة ومدسوسة، الغرض منها إثارة البلبلة والفوضى في الصف الفلسطيني، وغير ذلك كثير من عبارات النفي وجمل الاستنكار، تعودنا ذلك وتعودنا أن نفي السلطة إثبات، ولكن مع هذه المسألة يزيد خوفنا من «البيع النهائي» لفلسطين.



الطاغية والطغيان

من خلال قصة فرعون

محمد حسن بريغش

الطغيـان آفة من الآفـات التي تنزل بالأقوام والشـعوب فتـدمر كيـانها، وتهلك أهلهـا، وتأتي على الأخضـر واليابس فـيهـا، وحين يزداد الطغيـان بين الناس، وتستـشري شـروره ثم يركن الناس إلى الطغاة، ويسـتمرئون الخضوع والاسـتكانة لمظالمهم وطغيانهم، يعـمهم الله بالعذاب، ويحاسـبهم على ذلك محاسبته للطغاة أنفسهم.

ولقد كان فرعون مثلاً صـارخاً للطاغية المتجبر، وكان قومه صـورة للأقوام التي خضـعت وتابعت الطاغيـة، ووصل الأمر بفرعـون إلى ادعـاء الألوهيـة والاسـتخـفـاف بعقول الناس، والإعـراض عن كل الآيات التي جاءته من الله حتى أهلكه الله وقومه.

ووردت قصـة فـرعون في سـبع وعـشـرين سـورة، فـضـلاً عن الإشـارة إليـهـا في ثنايا بعض السـور الأخرى[1] وعرضتها الآيات مفصلة ومقتضبة، وعرضت صـوراً لطغيان فرعون وضلالاته وبغيه وكفره.

وأمرُ فـرعون مثلٌ لكل طاغية يجـاوز الحد في الظلم والتـجبر والاستبداد والمعصية، والاسـتـخـفـاف بعقول النـاس وإرادتهم ومصـالـحـهم، وكلمـا أنس منهم السكوت على ظلمـه، والخـضـوع لبـغيه وعدوانه

---

(١) وردت قصة فرعون في السور التالية: (البقرة، آل عمران، الأعراف، الأنفال، يونس، هود، إبراهيم، الإسراء، طه، المؤمنون، الشعراء، النمل، القصص، العنكبوت، ص، غافر، الزخرف، الدخان، ق، الذاريات، القمر، التحريم، الحاقة، المزمل، النازعات، البروج، الفجر.

ازداد صلفاً وتجبراً وتمرداً، حتى يصل إلى التألُّه، وادعاء الإرادة المطلقة في مصائر الناس من حوله.

ولكي نبين ملامح الطغاة، ونتذكر بعض صور طغيانهم ووسائلهم نستعرض عدداً من الأمور التي نستخلصها من الآيات الكريمة التي وردت في معرض الحديث عن فرعون وقومه:

١ - ما هو الطغيان وما تعريفه وحدوده؟

يقول اللغويون عن هذه المادة ما يلي:

طَغَا - يَطْغَى، ويطغو طُغياناً: جاوز الحد، وكل مجاوز حده في العصيان طاغٍ.

وعن الليث أن الطاغية: الجبار العنيد.

وعن ابن شميل: أنه الأحمق المستكبر الظالم(١).

وورد أن الطغيان معناه: مجاوزة القدر والغلو في الكفر، والإسراف في المعاصي(٢).

القرآن يفضح الفراعنة:

وفرعون - في التاريخ المصري - رجل عاتٍ كانت الأمة المصرية تدين بعبادته وتذعن لقداسته، وكان الملوك الفراعنة في قديم الزمان يحيطون أنفسهم بهالة من التقديس، ويضعون مكانتهم في إطار من الإلهية، لا جهلاً منهم بأنهم أناس لا يختلفون عن غيرهم، ولكنهم يفعلون ذلك تمويهاً على العامة حتى يأمنوا غائلة الثورات الهوج من الذين يطمعون في تبوُّؤ عرش الملك(٣).

وحيث وردت قصة فرعون في عدد كبير من السور والآيات وفُصِّلت ذلك التفصيل في مناسبات كثيرة، فإن الوقوف عندها سوف يعطي القارئ المسلم ملامح ذلك الطاغية، وصور ذلك الطغيان لتكون مَعْلَماً له في معرفة الصور المشابهة في كل عصر ومصر، مهما اختلفت الألوان، وتغيرت العناوين والشعارات؛ لأن الله - عز وجل - لم يقصَّ على عباده المؤمنين إلا لكي يتعظوا ويعتبروا ويتدبروا أمرهم فلا يقعوا فيما وقع فيه الأقوام، وحتى لا ينالهم من الله العذاب.

﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا (٩٩) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ [طه: ٩٩، ١٠٠].

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

---

(١) لسان العرب، ١٥/٧ - ٩، طبعة دار إحياء، بيروت.

(٢) القاموس المحيط، ١٦٨٤، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، مؤسسة الرسالة بيروت.

(٣) قصص الأنبياء، ص ١٨٢، عبد الوهاب النجار، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

سمات الطاغية:

ومن استعراض الآيات القرآنية يتبين لنا كثير من سمات مَنْ يكون فرعوني النهج، ومن أهمها:

أولاً: أنه يحكم بغير ما أنزل الله - عز وجل - ويجعل من نفسه معبوداً من دون الله - عز وجل - يتحكم بالناس، ويأمرهم أن يطيعوه، ويشرع لهم ما يراه متفقاً مع أهوائه ومصلحته ويدعي أنه الخير لهم. **﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨].**

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥١، ٥٢].

وهذا الادعاء ناتج عن الغرور بما أعطاه الله من الملك والمال والقوة والنعيم، والحاشية والأتباع.

ولكن ذلك مقترن أيضاً بخضوع الناس للطاغية، وسكوتهم عن مظالمه، وخوفهم من سطوته وجبروته، وانكبابهم على الأمور المادية، والمنافع الدنيوية، ونسيانهم لآخرتهم مما يجعلهم مستعبدين للظالم وأتباعاً للطاغية كما فعل أتباع فرعون وقومه.

ثانياً: أنه يفتخر بما يملك من مال، أو قوة، أو ملك، أو تقدُّم مادي وينسى مصدر ذلك كله، وينسبها لنفسه معتمداً على حب الناس لمتاع الدنيا، ولذلك افتخر فرعون بأنه يملك الأرض الخضراء، ولديه الماء والأنهار والسلطان **﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١].**

وعندما أراد أن يقنع قومه بأنه المعبود لهم من دون الله، وأن دعوة موسى - عليه السلام - لا تنفعهم ولا تفيدهم، استخدم هذا الأمر الذي يملك أفئدتهم، ويسد عليهم طريق الهدى فقال: **﴿فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ [الزخرف: ٥٣].**

والناس المضللون الذين استعبدهم الطغاة وأذلوهم حتى أفسدوا فِطَرهم يستجيبون لمثل هذه المغريات، ويذعنون لحواسهم القاصرة، وينكرون ما لا تصل إليه حواسهم، ويعطلون عقولهم.

ثالثاً: الطغاة ينكرون الغيبيات، ويعادونها؛ لأن ذلك يتعارض مع ما يريدون - ولأن إيمان الناس بالغيب يحررهم من أسر العبودية لجبروت الظالمين، ويفسح أمامهم النظر في ملكوت الله - عز وجل - فيعرفون أن هناك مالكاً قديراً، وأن هؤلاء الطغاة بشر مخلوقون مثلهم - انحرفوا عن شرع الله وتجبروا وظلموا، وأنهم سوف يمضون بعد حين ليواجهوا مصير العذاب؛ لأن الله وحده يملك المصير،

ويملك الموت والحياة. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [آل عمران: ١٠، ١١].

رابعاً: أنه يكذب بآيات الله، ويعادي الرسل والدعاة وأولياء الله - عز وجل -، وينكل بهم، ويرميهم بشتى التهم والأباطيل: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴾ [يونس: ٧٥ - ٧٧].

ولا تنفع الوسيلة اللينة، والخطاب الشفوق مع الطاغية؛ لأنه متجبر لا يصغي لغير نفسه. ها هو موسى وهارون - عليهما السلام - يخاطبان فرعون بالخطاب اللين الرشيد، ولكنه تجبر وتكبر، وأرعد وأزبد، وهدد كل الخارجين على سلطانه. ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٣ - ٤٤].

ثم إن الطاغية لا يستمع للبرهان القاطع، ولا يصغي للحجة المقنعة ولا يفهم معنى الآيات الدالات والمعجزات الباهرات، بل يقابل ذلك بالتجبر، والتهديد، ورمي أولياء الله بشتى التهم كما فعل فرعون عندما حاجَّه موسى وبيَّن له أن الله المعبود حقيقة هو الخالق المدبِّر ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠]، ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٣]، ﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٤]، ﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٦]، ﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٨].

فماذا كان رد فرعون عندما واجهه موسى - عليه السلام - بهذه الحجج التي لا يملك ردها؟

لقد هدده وتوعده فقال: ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾.

[الشعراء: ٢٩].

ولكن موسى لم يَخَفْ هذا التهديد، بل قدَّم لفرعون الآية تلو الآية لعله يخشى ويعود إلى الحق، ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ [الشعراء: ٣٢، ٣٣].

وظلت الآيات تترى واحدة إثر أخرى، والطاغية لا يستمع ولا يرعوي حتى أهلكه الله وقومه الظالمين، ونجَّى موسى وقومه المؤمنين.



خامساً: والطاغية يلجأ إلى كل المحاولات الظالمة للتنكيل بالمعارضين والبطش بالدعاة إلى الله، ولا يمنعه شيء من ارتكاب كل جريمة مهما بدت منافية للخلق والمنطق، **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾**.

[**غافر**: ٢٣ - ٢٦].

أتباع الطاغية ومواقفهم:

ولكل طاغية أعوان: منهم من يعين بالرأي للتضليل والإفساد وتزيين الباطل للناس وإنفاذ رغبات الطاغية مثل (هامان)، ومنهم من يعين بالمال، ويستغل ويزداد كنزاً وغنى من المال (كقارون) **﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾** [**القصص**: ٨].

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [**القصص**: ٣٨].

ومع هذا الوزير الطاغية أيضاً حشد من الجنود والأعوان والأتباع التي تنكل بالناس، وترصد حركاتهم، وتبطش بهم، وتتعالى على الناس بما لديها من قوة وسلاح وسلطان **﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾** [**القصص**: ٣٩].

ولكن الله لهؤلاء بالمرصاد: للطاغية وأعوانه ولكل من يشايعه ويخضع له **﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾**.

[**القصص**: ٤٠ - ٤٢]

وهذه الآيات تضع للناس معالم الطريق في الحياة كي لا يكون لهم حجة في اتباع الظالمين، والخضوع للطغاة والجبارين، أياً كانت الأسباب والحجج؛ لأن في ذلك إنكاراً لقدرة الله وألوهيته وربوبيته، وتكذيباً لما عنده في الدنيا والآخرة؛ فالمؤمن لا يخشى إلا الله، ولا يخضع إلا لسلطانه، ولا يرضى بغير الحق، ولا يشايع الباطل والظلم والطغيان حتى لا يرد مورد الطغاة كما حل بفرعون وقومه.

ولذلك ضرب الله لنا أمثلة رائعة من إنكار المنكر والتبرؤ من الطغيان والطاغية والخروج عن طغيانه، وعدم الاكتراث بما يحل بالمنكرين والمتبرئين من أذى في الحياة؛ لأن ما عند الله خير وأبقى.

فهذه امرأة فرعون - وهي أقرب الناس إليه - تتبرأ منه، وتكشف باطله وتدعو الله - عز وجل - أن يبدلها الجنة، ويورثها المغفرة بدلاً مما هي فيه، لم تخش جبروت الطاغية ولم تضللها أكاذيبه، ولم تغرها الأبهة والملك والجبروت والزينة في الدنيا ﴿ **وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين** ﴾.

[التحريم: ١١]

وأخيراً:

وبعد هذا العرض السريع للطاغية والطغاة مُمَثَّلاً بفرعون وقومه يتبين لنا أن «الفساد يصيب تصورات الناس كما يصيب حياتهم الاجتماعية حين يكون هناك أرباب متفرقون يتحكمون في رقاب العباد من دون الله، وما صلحت الأرض قط ولا استقامت حياة الناس إلا أيام كانت عبوديتهم لله وحده: عقيدة وعبادة وشريعة، وما تحرر الناس قط إلا في ظلال ربوبيته الواحدة»(١).

إن نسيان ذلك من الناس يضللهم في الحياة فيجعلهم أشياعاً للباطل وجنوداً للطغاة الظالمين الذين لا يكفُّون عن تسخيرهم لغير ما أراد الله - وامتلاك إرادتهم وقلوبهم وعقولهم.

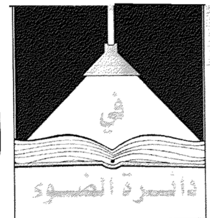
إن أصناف الطغيان كثيرة، وأنواع الطغاة متعددة؛ فإذا كان بالأمس فرعون ففي الحياة كثير من أصناف الفراعنة، «وعلى كل ما عُرف من طغيان فرعون فقد كان في تصرفه هذا أقل طغياناً من طواغيت كثيرة في القرن العشرين في مواجهة دعوة الدعاة إلى ربوبية رب العالمين، وتهديد لسلطان الباطل بهذه الدعوة الخطيرة»(٢).

فهل يستيقظ الناس وهم يعيشون محنة من أقسى ما عرف العالم الإسلامي من المحن، ويمرون في حنايا فتنة كبيرة نسأل الله - عز وجل - أن يجعلها نصراً للحق والإسلام والمسلمين؟ وكل ذلك بفعل الطغيان، وتصرفات طاغية جبار دفعه طغيانه إلى ارتكاب أبعد صنوف الشرور وأقسى أنواع المظالم.

---

(١) في ظلال القرآن، ٣/١٣٤٥.

(٢) في ظلال القرآن، ٣/١٣٤٨.



العلمانية من منظور معرفي

عبد العزيز بن محمد التميمي

الدكتور عبد الوهاب المسيري(*)، علماني سابق، كان مبشراً بالعلمانية ومؤمناً إيماناً عظيماً بمستقبلها، وأنوارها القادمة! ورحمتها وإنسانيتها... وبالتدريج تكشفت له الحقيقة...! «لم تكن العلمانية في يوم من الأيام إنسانية قط...!! خصوصاً إذا دفعناها إلى نهايتها المنطقية وكنا علميين حقاً...! ومن هنا كان هذا البحث الممتاز له».

في مطلع هذا البحث المهم يدرس الأستاذ المسيري هذا المصطلح وكيف تشكَّل بدايةً في القاموس الأجنبي حيث ولد، وفي البيئة الغربية، ومن ثَمَّ استخدمته الكنيسة كي تذم من يستولون على أموالها بالقوة، ثم صار يطلق على الاستيلاء الشرعي على أراضي الكنيسة وهو الاستخدام الإيجابي للمصطلح. ثم تحدث عن استعمالات واشتقاقات أخرى للنص، ثم خلص إلى الحديث عن دلالة النص في المجال الثقافي العربي؛ حيث ذكر أنها تعني «فصل الدين عن الدولة» وهو تعريف قاصر وقدرته التفسيرية ضعيفة، ووصفها بأنها في حقيقتها: رؤية معرفية وأخلاقية مادية محضة. «فالخالق إما غير موجود عند المتطرفين أو غير مؤثر عند المعتدلين»، لكن الطرفين يستويان في النموذج المعرفي الفعال. وفي الرؤية الأحادية المادية للإنسان فهو جزء من منظومة كونية تتحدث من خلاله ولا يتحدث هو من خلالها، ويخضع لقوانينها نفسها، ولا سر فيه ولا غريب، تتفق في ذلك علوم الاقتصاد والنفس والتاريخ، بل هي تسعى لاستخدام المناهج والأدوات ذاتها التي تستخدمها العلوم التجريبية. وتفسر السياسة والقانون بالعقد الاجتماعي الطبيعي، والأخلاق باللذة والمنفعة. ورغم مقدرة النموذج العلماني المدهشة على التفسير، والمذهلة على التغيير فهو يواجه مشاكل مهمة منها: أن الإنسان مركَّب وليس بسيطاً يتحدى المعادلات الرياضية؛ لذلك فقد ينجح هذا النموذج حين يتعامل مع المادة أو مع الجانب المادي للإنسان، لكنه يضعف أو يخفق حين يتعامل معه بما يميزه بوصفه إنساناً (تطلعاته، أحلامه، آلامه) ومنها أن حلم العلمانية الكبير بالفهم المطلق للكون بدأ يتبدد، وأن رقعة المجهول تتزايد ولا تتناقص. ومنها أن أزمات التلوث والبيئة أثبتت إخفاق القدرات المطلقة للإنسان، وأثبتت الحدود الانطولوجية والمعرفية للإنسان. ومنها أن النظرية العلمانية ترى أن الإنسان جزء من كلٍّ هو الكون، وأكبر من الجزء، ولا بد أن يخضع لقوانينه؛ ولكن هذا الخضوع يعني إلغاء الإنسان؛ فالإنسان في النموذج العلماني يبدأ في المركز وينتهي بالإعدام.

ومنها أيضاً مشكلة القيمة، والنظرية الأخلاقية؛ فالقوانين الطبيعية تظهر وكأنها بلا غاية، فهل يمكن إيجاد تفسير «علمي» لقضايا الخير والشر، والحُسن والقُبح...؟! في منظومة (سبينوزا) كان الله ـ تعالى ـ هو الطبيعة ثم جاء نيتشه ليعلن موت الإله ـ عياذاً بالله ـ ثم جاء «جاك دريدا» حيث يختفي معه المركز ويختفي الإنسان وتعم الفوضى في عالم ما بعد الحداثة.

هذا بالنسبة للنموذج العلماني... أما بالنسبة للنموذج المقابل له وهو النموذج الديني فإن الإنسان يدور حول مطلق موحى به، ويؤمن بإله يحفظ الإنسان ويوجه الطبيعة والتاريخ، ويحتكم الإنسان فيه إلى مجموعة من القيم المطلقة التي تتجاوزه، أما الآليات العلمانية الإجرائية التي يستخدمها فتظل هي الهامش لا المركز، على العكس من

(*) الدكتور عبد الوهاب المسيري له جهد متميز في مجال البحث الأكاديمي في المذاهب والنظريات المعاصرة وتاريخها، وخاصة فيما يتعلق بالفكر الصهيوني وجذوره اليهودية والفكر الغربي بوجه عام. وهذا الموضوع جزء منه، لكن هذا لا يعني تقديم طروحاته على أنها (فكر إسلامي)، فلا تزال في فكر الأستاذ المسيري أشياء كثيرة تحتاج إلى مراجعات ومناقشات، ولعلنا نتعرض لشيء منها في أعداد مقبلة ـ إن شاء الله ـ
- البيان -

النموذج العلماني الذي إن وجد فيه المطلق فهو في الهامش.

في العلمانية تتفتت وحدة المؤسسات، لتصبح كل مؤسسة تسعى لتحقيق كفاءتها الذاتية الامبريقية في غياب أي قيم مطلقة، وكان الاقتصاد والسياسة أول قطاعين يستقلان؛ حيث جعل «ميكيافيلي» من الأمير خالقاً، و «هوبز» جعل من وحش الدولة إلهاً علمانياً «يقدس العلم والنشيد الوطني والأرض، والأمة فوق الجميع»، ثم تنسلخ الفلسفة؛ حيث تظهر الفلسفة المادية، ثم علمنة الأحلام؛ حيث تدور على الأرض وحدها، ثم الأخلاق والبراجماتية، ثم الأسرة؛ حيث تتفتت وتظهر حقوق الإنسان الرجل والمرأة والطفل والحيوان وتختفي حقوق أخرى مهمة مثل حقوق الأسرة، والإنسان تظهر فيه معدلات المنفعة. تنتقل العلمنة إلى الأدب؛ حيث يصبح مؤسسة مستقلة بلا مرجعية حيث الأدب للأدب، والانغماس في البنية الهندسية للأدب وموت المؤلف. ويعلمن الجنس، فيصبح هنالك جنس للإنجاب، وآخر للحب، وثالث للمتعة، وهكذا... فالمعرفة العلمانية ليست معرفة المحبين للتواصل مع الطبيعة وإنما تهدف للسيطرة إنها معرفة إمبريالية.

ولذلك ظهر مفهوم (الترشيد) عند «ماكس فيبر» ويعني به تحويل العالم كله ـ بما فيه الإنسان ـ إلى حالة المصنع.

ثم يتحدث الباحث عن بعض آليات العلمنة، ويذكر ثلاثاً منها هي: العلمانية البنيوية، وعلمانية الرغبات، وعلمانية النسق الديني. في الآلية الأولى أشار لتجربة روسيا، وأن دعايتها الإلحادية لم تنجح إلا عندما أقامت كيان الدولة الذي صنع مؤسسات العلمانية وانتشار المصنع والسوق وجعلها وحدات أساسية. وفي أمريكا تسير معدلات العلمنة بشكل أكبر. وعن علمنة الرغبات يتحدث الباحث عن تحويل كل شيء لمساحة تستثمر حتى بدلات الرياضيين وسياداتهم، إنه عالم ما بعد الحداثة المفتقر للمركز؛ وإنما هو شبيه بالثقوب السوداء؛ حيث لا مكان ولا زمان. وعن علمنة النسق الديني: فيرى الباحث فيه أن الله يُعرف بالعقل لا غير، ويطوع المؤمن النص ولا يطيع الله، ويفقد الخطاب الديني بعده المركب المجازي ويهتم المؤمن بجمع الحسنات.

هذه الآليات الثلاث تعمل في العالم الإسلامي كله.... وإذا كان سقوط الفكر الاشتراكي بسبب سقوط منطلقاته، فكذلك نفهم سقوط الفكر القومي نظراً لنزع القداسة والإطلاق والدعوة للنسبية والواقعية من هذا الباب... وبهذه الآليات يمكن أن نفهم النازية والصهيونية.

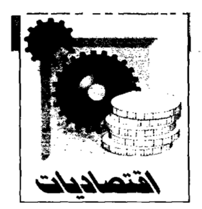
من هذا العرض القصير لهذا المبحث الخصب والحيوي تتجلى لنا كيفية التحول الذي حدث لدى الأستاذ عبد الوهاب المسيري؛ ذلك أن بداياته الأولى كانت علمانية قومية تحاول تعرية الصهيونية... ثم لم تلبث أن تبدت له الحقيقة في عدم فهم الرجل الأمريكي للحق العربي في منهج التفكير والنسق الاعتقادي الذي يحكم قيم الغرب وحساباته؛ ومن هنا بحث عن سر الأزمة والانقطاع وعدم التواصل بين تفكيره وتفكير الآخر... فكانت العلمانية التي تبدت له حقائقها واحدة تلو الأخرى ـ تبدت له وحشاً ضارياً شديد الفتك تسعى للتسوية والتناظر، ونجحت نجاحاً باهراً في تسوية خصومها حتى الشيوعية المتطرفة، وهي لا تزال تحاول تفكيك النسق الديني لمحاولة احتوائه وهي محاولة خطيرة تقضي على آخر بوارق الأمل في النجاة، ما لم يَعِ الإسلاميون بالذات خطورة هذا الطرح ويستعدون لمواجهته.

وبعد، فلا ريب أن ما قاله الدكتور المسيري ـ وفقه الله ـ بالغ الأهمية ويحتاج لمزيد من الدراسات والإثراء. والله من وراء القصد.

بقيت ملحوظة مهمة لهذه الدراسة:

ألا وهي الجدة والأصالة والطرافة التي احتواها هذا العمل المتميز؛ إذ تحولت العلمانية من قول في السياسة إلى قول في كل شيء... ومن رؤية فكرية إلى منهج حياة مفصل، ومن سلاح يستخدم ضد خصم إلى نار تلتهم ـ أول ما تلتهم ـ صاحبها، إنها سرطان يظهر ثم لا يمكن ضبطه بعد ذلك. ولقد تمكن الباحث بصبر ودأب من تتبع جذورها، وامتداداتها، وآلياتها وفاعلياتها حتى أحاط بها، وسلط الأضواء عليها، وكشف عن خطورتها، ودلل على وجودها حتى في نقضها الصريح للنموذج الديني؛ ومن هنا تجيء قيمة هذا المبحث أن يكون بين أيدينا، ومن هنا تبرز أهمية الموسوعة التي صدرت منذ أكثر من عام!!

وفق الله الجميع وسدد الله الخطا.





ياسين بن طه بن سعيد الشرجبي

جاء الدين الإسلامي ومن أهدافه: معالجة المعضلات الإنسانية على أسس وخصائص ثابتة تميزه. ومنها: «الربانية، الشمولية، الواقعية». ونعرض هنا لسياسة الإسلام في معالجة واحدة من هذه المشكلات وهي (مشكلة الفقر) بعدما استعرضنا ـ في مقال سابق ـ آثار هذه المشكلة المدمرة التي عمل أعداء الإسلام لتأصيلها في مجتمعاتنا الإسلامية.

استخدم الإسلام أساليب متعددة لمحاربة الفقر يمكن إجمال بعضها تحت مجالين:

أولاً: مجال الفكر والتصور.

ثانياً: مجال السلوك والتصرف.

أولاً: مجال الفكر والتصور: يقول العلماء: «التصرف ناتج عن التصور» وقد أراد الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يميز المسلم بالتصور الناضج لقضية الفقر (الحرمان والحاجة) وأن ينطلق من نظرة صحيحة نحوها تمهد للمواقف المتخذة في معالجته ومحاربته.

لذا نجد أن الإسلام ـ من خلال نصوص القرآن والسنة ـ له تصوره المتميز لهذه القضية؛ حيث:

١ - يعتبر أن الفقر مصيبة وآفة خطيرة توجب التعوذ منها ومحاربتها، وأنه سبب لمصائب أخرى أشد وأنكى كما رأينا في مقال سابق (الآثار المدمرة لسياسة الإفقار).

٢ - ينكر النظرة التقديسية وكذلك الجبرية للفقر والحرمان؛ فكيف تُقدَّس الآفات ذات الأثر السيئ على دين الأمة ودنياها؟ وكيف ينظر إلى الفقر على أنه قدر الله المحتوم، ولا يُعدُّ الغنى كذلك قدرٌ يدفع به الفقر لتصلح الأوضاع وتعمر الأرض ويتكافل الناس؟

٣ - حث الإسلام على الدعاء بطلب الغنى: ورد في صحيح مسلم من دعاء رسول الله ﷺ: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»[١]، ومن أدعية الصباح والمساء: «اللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً طيباً وعملاً صالحاً مُتقبَّلاً»[٢].

٤ - جعل من دلائل حب الآخرين وابتغاء الخير لهم الدعوة لهم بوفرة المال: أورد البخاري في صحيحه أن

---

(١) رواه مسلم، ح/ ٤٨٩٨.

(٢) رواه البخاري، ح/ ٥٨٥٩.

رسول الله ﷺ دعا لصاحبه وخادمه : « اللهم أكثر ماله »[1] ، وكذا دعا لعبد الرحمن بن عوف وعروة بن جعد بالبركة في تجارتهما كما في صحيح البخاري .

٥ - اعتبر الغنى بعد الفقر نعمة يمتن الله على عباده بها : قال - تعالى - : ﴿ **ووجدك عائلا فأغنىٰ** ﴾ [**الضحى** : ٨] . وقال - تعالى - : ﴿ **الذي أطعمهم من جوعٍ وآمنهم من خوف** ﴾ [**قريش** : ٤] .

٦ - أكد أن المال ركن هام لإقامة الدين والدنيا : يقول الله - تعالى - : ﴿ **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما** ﴾ [**النساء** : ٥] .

وفي الحديث القدسي يقول - تعالى - : « إنا أنزلنا المال لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة »[2] .

وفي الصحيح يقول رسول الله ﷺ : « ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر »[3] ، وقد قدّم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس في معظم المواضع القرآنية .

٧ - جعل الرزق الوفير ثمرة يُرغِّب إليها إتيان الصالحات : قال - تعالى - : ﴿ **ولو أن أهل القرىٰ آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض** ﴾ [**الأعراف** : ٩٦] ، وفي الحديث يقول رسول الله ﷺ : « من أحب أن يُبسَط له في رزقه ويُنسأ له أثره فليصل رحمه »[4] .

٨ - جعل الحرمان والحاجة نتيجة يُرهِبُ بها من اجترح السيئات : يقول - تعالى - : ﴿ ... **فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون** ﴾ [**النحل** : ١١٢] ، ويقول رسول الله ﷺ في الحديث الحسن : « إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه »[5] .

٩ - جعل الغني المنفق أحد اثنين تمدح غبطتهم ؛ حيث يقول رسول الله ﷺ : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ... »[6] .

١٠ - رغّب في الإنفاق والصدقة وهي لا تتحقق غالباً إلا في ظل الغنى .

١١ - ميز بين الغني المنفق والفقير الآخذ : في الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - يقول رسول الله ﷺ : « اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى ، واليد العليا هي المنفقة ، واليد السفلى هي السائلة »[7] .

١٢ - اعتبر المال خيراً فُطرَ الإنسان على حبه : قال - تعالى - : ﴿ **وإنه لحب الخير لشديد** ﴾ [**العاديات** : ٨] ، وقال - تعالى - : ﴿ **وتحبون المال حبا جما** ﴾ [**الفجر** : ٢٠] .

ثانياً: في مجال السلوك والتصرف:

لم يكتف الإسلام بصياغة النظرة المتفردة لأتباعه تجاه الفقر ، بل حدد مجالات السلوك والتصرفات التي يستوجبها ذلك التصور ، وقدّم حلولاً عملية واقعية يأخذ بها الناس ليدرؤوا عن أنفسهم شبح الفقر والحرمان وما ينجم عنه ، **ومن ذلك:**

١ - العمل والسعي:

يعتبر الخبراء أن العمل أساس الاقتصاد الإسلامي؛ فهو المصدر الرئيس للكسب الحلال . والعمل مجهود

---

(١) رواه ابن ماجة ، ح/ ٩١٥.

(٢) صحيح الجامع من حديث أبي واقد الليثي .

(٣) أخرجه أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - .

(٤) رواه البخاري ، ح/ ١٩٢٥ .

(٥) رواه ابن ماجة ، ح/ ٤٠١٢ .

(٦) رواه البخاري ، ح/ ٧١ .

(٧) رواه البخاري ، ح/ ١٣٣٩ .

شرعي يقوم به الإنسان لتحقيق عمارة الأرض التي استُخْلِفَ فيها والاستفادة مما سخره الله فيها لينفع نفسه وبني جنسه في تحقيق حاجاته وإشباعها.

وقد حث الإسلام على السعي والعمل من خلال:

أ - الامتنان بنعمة تسخير الأرض وما فيها، وطلب الاستفادة منها عبادةً لله: قال ـ تعالى ـ: ﴿ **وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ** ﴾ [**الأعراف**: ١٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ** ﴾ [**الملك**: ١٥].

ب - جعله دليلاً على صدق التوكل على الله والثقة به: في صحيح الجامع الصغير من حديث عمر ـ رضي الله عنه ـ يقول رسول الله ﷺ: «لو أنكم تَوَكَّلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً»(١)، والشاهد من الحديث: «تغدو، تروح» سعياً وحركة، وليكن شعار المسلم: «ابذر الحَبَّ ... وارجُ الثمار من الرب».

ج - الحث على أنواع المهن والحرف ومن ذلك:

- **التجارة:** وقد اشتغل رسول الله ﷺ بالتجارة، وتاجر مع عمه ثم مع أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ـ واشتغل صحابته الكرام بذلك ومنهم: أبو بكر، وعثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله ـ رضي الله عنهم ـ وغيرهم، وقد تواصى السلف فيما بينهم ومع تلامذتهم أن: «الزموا السوق»، وفي كتب الفقه تُخَصَّص كتب للبيوع وما يتعلق بها وغيرها من الكتب حول التجارة ومعاملاتها.

- **الزراعة:** ففي صحيح البخاري ومسلم من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ يقول رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان إلا كان له به صدقة»(٢).

وعند الترمذي وغيره من حديث جابر وسعيد بن زيد يقول رسول الله ﷺ: «من أحيا أرضاً ميتة فهي له»(٣).

- **الصناعات والحرف:** ففي البخاري يقول رسول الله ﷺ: «ما أكل أحدٌ طعاماً قَطُّ خيراً من أن يأكل من عمل يده»(٤).

وقد سئل رسول الله ﷺ: «أي الكسب أفضل؟» قال: «عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور»(٥).

وفي صحيح البخاري ومسلم يقول رسول الله ﷺ: «لأَنْ يحتطب أحدكم على ظهره خير من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه»(٦).

د - اعتبار العمل والكسب من الصدقات ووسيلة إليها: في الحديث المتفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ يقول رسول الله ﷺ: «على كل مسلم صدقة» قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «فيعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق»(٧).

هـ - تربية صفوة البشر من الأنبياء على العمل لاتخاذهم قدوة: فقد عمل الأنبياء في أعمال وحرف عدة ومنها رعي الأغنام، وصناعة الحديد، والتجارة، وغيرها، ومما ورد في ذلك من الأدلة:

قول الرجل الصالح لموسى ـ عليه السلام ـ وهو من أولي العزم من الرسل: ﴿ **قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ**

---

(١) رواه الترمذي، ح/ ٢٢٦٦.

(٢) رواه البخاري، ح/ ٢١٥٢.

(٣) رواه الترمذي، ح/ ١٢٩٩.

(٤) رواه البخاري، ح/ ١٩٣٠.

(٥) رواه أحمد، ح/ ١٦٦٢٨.

(٦) رواه البخاري، ح/ ١٩٣٢.

(٧) رواه البخاري، ح/ ٥٥٦٣.



إحْدَى ابْنَتَيَّ هاتَيْن علىٰ أن تأْجُرني ثماني حجج﴾ [**القصص** : ٢٧] .

وفي البخاري من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله ﷺ : « ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم، وأنا كنت أرعاها لأهل مكة بالقراريط »(١) .

وفي البخاري أيضاً من حديث المقدام - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده »(٢)، وهكذا فعل ورثة الأنبياء من العلماء الربانيين فاشتهرت أسماء أمثال : البزَّاز، الجصَّاص، الخوَّاص، القطَّان، الزجَّاج .

و - عدم الاعتراف بالملكية التي لا يكون مصدرها العمل والطرق المشروعة: فحرّم الإسلام أعمال الغصب والسلب والسرقة والنصب والمقامرة والربا وما ينشأ عنها من مكاسب مالية، واتخذ إزاء ذلك العقوبات الرادعة، وفي ذلك إلزام لأفراد المجتمع في البحث عن الكسب المشروع؛ وأغلب ذلك لا يتأتى إلا عن طريق العمل.

ز - الترهيب من التسوّل والاحتيال على الآخرين: ففي القرآن الكريم الحث على الاهتمام بالذين لا يتسولّون وتحسس أحوالهم ورعايتهم : قال - تعالى - : **﴿للفقراء الَّذين أُحْصرُوا في سبيل اللَّه لا يستطيعون ضربًا في الأرْض يحْسبُهُم الْجاهلُ أغْنياء من التَّعفُّف تعْرفُهُم بسيماهُمْ لا يسْألُون النَّاس إلْحافًا﴾** [**البقرة** : ٢٧٣] . وروى الشيخان من حديث ابن عمر - رضي الله عنه - يقول رسول الله ﷺ : « ما يزال الرجل يسأل الناس، حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مُزعة لحم »(٣) .

وفي مسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله ﷺ : « من سأل الناس أموالهم تَكثُّراً؛ فإنما يسأل جمراً؛ فليستقلَّ، أو ليستكثر »(٤) .

ح - النهي عن التصدق على غير المحتاج: أخرج الإمام أحمد وغيره في صحيح الجامع الصغير من حديث ابن عمر وأبي هريرة - رضي الله عنهما - قول رسول الله ﷺ : « لا تحل الصدقة لغني، ولا لذي مرَّة سوي »(٥) .

وفي الحديث الذي أخرجه أصحاب السنن الأربعة وحسنه الترمذي يقول رسول الله ﷺ : « إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة : لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع، أو لذي دم موجع »(٦) .

مسؤولية ولي الأمر (الدولة):

تتجلى هذه المسؤولية فيما تهيئه من سبل العمل للعاطلين وتزويدهم بأدواته وإعدادهم مهنياً لذلك والاطمئنان على يسرهم : روى أصحاب السنن من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - : أن رجلاً من الأنصار أتى النبي ﷺ فقال : « أما في بيتك شيء؟ » قال : بلى : حِلْسٌ نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه الماء، قال : « ائتني بهما »، فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله ﷺ وقال : « من يشتري هذين؟ قال رجل : أنا آخذهما بدرهم، قال : من يزيد على درهم؟ مرتين أو ثلاثاً . قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين، وأعطاهما الأنصاري، وقال : اشترِ بأحدهما طعاماً وانبذه إلى أهلك، واشترِ بالآخر قدوماً فائتني به .. فشد فيه رسول الله ﷺ عوداً بيده ثم قال له : « اذهب فاحتطب وبِعْ .. ولا أرينَّك خمسة عشر يوماً . فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاءه وقد أصاب عشرة دراهم؛ فاشترى ببعضها ثوباً،

(١) رواه البخاري، ح/ ٢١٠٢ .
(٢) رواه البخاري، ح/ ١٩٣٠ .
(٣) رواه مسلم، ح/ ١٧٢٤ .
(٤) رواه مسلم، ح/ ١٧٢٦ .
(٥) رواه الترمذي، ح/ ٥٨٩ . ذو المرة السوي : القوي سليم الأعضاء .
(٦) رواه الترمذي، ح/ ٥٩٠ . مدقع : شديد، مفظع : ثقيل، دم موجع : دية باهظة .

وببعضها طعاماً.. إلى آخر الحديث»[1].

وقد أشار الفقيه الكبير أبو يوسف - رحمه الله - إلى جواز إقراض المحتاج من بيت المال كما نقل عنه الفقيه ابن عابدين: «يدفع للعاجز - أي العاجز عن زراعة أرضه الخراجيه لفقره - كفايته من بيت المال قرضاً ليعمل ويستغل أرضه»[2].

مسؤولية أصحاب العمل وولاة الأمر (الدولة) عن حفظ حقوق الأجراء والعمال:

وقد حكى الله - تعالى - عن الرجل الصالح أنه قال لموسى - عليه السلام -: ﴿... وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ [القصص: ٢٧]، وفي الحديث المتفق عليه من حديث أبي ذر - رضي الله عنه - يقول رسول الله ﷺ: «إخوانكم خَوَلُكم، جعلهم الله قنيةً تحت أيديكم؛ فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه، وليلبسه من لباسه، ولا يكلفه ما يغلبه، فإن كلّفه ما يغلبه فليعنه»[3].

وفي الحديث الحسن من حديث أربعة من الصحابة: (ابن عمر - أبي هريرة - جابر - أنس) - رضي الله عنهم - يقول رسول الله ﷺ: «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه»[4].

أخرج أبو داود والحاكم كما في صحيح الجامع الصغير من حديث المستورد بن شداد - رضي الله عنه - قال رسول الله ﷺ: «من كان لنا عاملاً فلم يكن له زوجة فليكتسب زوجة، فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادماً، فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكناً، من اتخذ غير ذلك فهو غالٌّ أو سارق»[5].

بل لقد توعّد الله - تعالى - في الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري وابن ماجه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - توعّد ذلك الذي يبخس العامل أو الأجير حقه، فقال: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته... ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره»[6].

٢ - الجهاد(*):

من الوسائل التي شرعها الإسلام لمحاربة الفقر والحاجة وسيلة الجهاد لنشر نور الهدي الإسلامي، وفتح مصاريع البلاد أمامه، وتحطيم عروش الطغاة الذين يحولون بينه وبين عباد الله، واغتنام الأموال المستخدمة في عصيان الله ومبارزته بالحرب واستعباد عبيده من أجل استغلالها في تعمير الأرض وعبادته.

لذا فقد رغب الإسلام في الجهاد من خلال الوعد الأخروي وكذا الفتح الدنيوي والغنائم. قال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ....﴾ [الصف: ١٠ - ١٣].

وقال - تعالى -: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ ...﴾ [الفتح: ٢٠].

وفي صحيح الجامع الصغير من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - يقول رسول الله ﷺ: «بُعثْتُ بين يدي الساعة بالسيف حتى يُعْبَدَ الله وحده لا شريك له، وجُعِلَ رزقي تحت ظل رمحي»[7].

لقد كان الجهاد في الفتوحات إبان الخلافة الإسلامية الراشدة أكبر مصدر لواردات بيت مال المسلمين مما أمكن من توزيع العطاءات على كل مسلم.

---

(١) رواه أبو داود، ح/ ١٣٩٨.

(٢) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان.

(٣) رواه البخاري، ح/ ٢٩.

(٤) رواه ابن ماجة، ح/ ٢٤٢٤.

(٥) رواه أبو داود، ح/ ٢٥٥٦.

(٦) رواه البخاري، ح/ ٢٠٧٥.

(*) تابع لمجال السلوك والتصرف.

(٧) رواه أحمد، ح/ ٤٨٦٨.



٣ – كفالة المجتمع:

لا يخلو مجتمع من العاجزين عن العمل والجهاد والكسب من كدّ اليد والاعتماد على النفس من أمثال الأرامل واليتامى والشيوخ وأصحاب العاهات المعوّقة، وكذلك الذين لا يكفيهم دخلهم من العمل أو القادرين الذين لم يتيسر حصولهم على عمل، وهؤلاء جميعاً لم يتركهم الإسلام هملاً وعرضة لآفة الفقر والحرمان تسحقهم وتلجئهم مكرهين إلى ذل السؤال والتكفف، بل عمل على كفالتهم من قِبَل المجتمع المسلم الذي ينتمون إليه ويُحسَبون عليه.

ويمكن تقسيم كفالة المجتمع المسلم للفقراء المحتاجين إلى قسمين:

١ – كفالة الأرحام والأقارب.

٢ – كفالة الآخرين.

١ – كفالة الأرحام والأقارب:

قرن الله - تعالى - حق القربى في الإحسان بحقه - سبحانه وتعالى -: ﴿ **واعْبُدُوا اللَّهَ ولا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وبِالْوَالِدَيْنِ إحْسَانًا وبِذِي القُرْبَىٰ** ... ﴾ [**النساء**: ٣٦]. وأمر الله - تعالى - بإعطائهم ما يحتاجون فقال: ﴿ **إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإحْسَانِ وإيتَاءِ ذِي القُرْبَىٰ** .. ﴾ [**النحل**: ٩٠].

وجعل لهم حقاً فقال - تعالى -: ﴿ **وآتِ ذَا القُرْبَىٰ حَقَّهُ** ... ﴾ [**الإسراء**: ٢٦]. وقال - سبحانه -: ﴿ **فَآتِ ذَا القُرْبَىٰ حَقَّهُ** ... ﴾ [**الروم**: ٣٨].

وفي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه»[(١)] بل جعل النبي ﷺ صلة الأرحام ومواساتهم سبباً في سعة الرزق؛ ففي الحديث المتفق عليه عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب أن يُبسَط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه»[(٢)].

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «الرحم معلّقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله»[(٣)].

ومن أهم مظاهر صلة الأرحام كفالتهم وإعانتهم مادياً وعدم الالتزام بذلك يعد قطيعة لهم، ولنقرأ ما يقوله ابن القيم كما نقل عنه د. يوسف القرضاوي: «وأي قطيعة أعظم من أن يراه يتلظى جوعاً وعطشاً ويتأذى غاية التأذي بالحرّ والبرد، ولا يطعمه لقمة ولا يسقيه جرعة ولا يكسوه ما يستر عورته ويقيه الحر والبرد ويسكنه تحت سقف يظله؟!»[(٤)].

يتبين مما سبق أن الأقارب والأرحام ملزمون بكفالة قريبهم الفقير وإعانته من أموالهم حقاً وصلة.

٢ – كفالة الآخرين:

هذه الكفالة العامة من قِبَل أفراد المجتمع للفقراء والمحتاجين تتم عن طريق:

أ – زكاة المال:

وهي ركن من أركان الإسلام يمثل الحد الأدنى المحدد الثابت المفروض في أموال أغنياء المجتمع ليرد على

---

(١) رواه البخاري، ح/ ٥٦٧٣.

(٢) رواه البخاري، ح/ ١٩٢٥.

(٣) رواه مسلم، ح/ ٤٦٣٥.

(٤) انظر كتاب: مشكلة الفقر، للدكتور يوسف القرضاوي، ص ٥١، ٥٢.

فقرائهم وبقية الأصناف الثمانية التي ذكرتها الآية (٦٠) من سورة التوبة التي بينت في آخرها أنها فرض واجب. قال - تعالى - : ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]، وقد جاء في الحديث المتفق عليه الذي رواه ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ حين أرسل معاذاً إلى اليمن وبعد أن أمره بدعوتهم إلى التوحيد ثم الصلاة قال له: «فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم»(١).

تعد الزكاة من أهم الموارد التي تستحق بشروطها المعروفة في معظم ثروات المجتمع: النقود، الذهب، الفضة، الحاصلات الزراعية، الثروات الحيوانية، وبقية المستغلات التي تدر أرباحاً.

ب - الحقوق المالية الواجبة مثل:

- **حق الجوار**: جاءت آية الأمر بالإحسان إلى الأقارب والأرحام في قول الله - تعالى - : ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦] لتؤكد حق الجار في الإحسان إليه.

كما ورد في الحديث المتفق عليه عن ابن عمر وعائشة - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ: قال: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورّثه»(٢).

- **الكفارات: العقوبات الدنيوية المكفّرة لبعض الذنوب مثل:**

● **كفارة اليمين**: قال - تعالى - : ﴿... فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ...﴾ [المائدة: ٨٩].

● **كفارة الجماع في نهار رمضان**: وهو ما يبطل الصيام ويوجب القضاء والكفارة، وقد بيّنها رسول الله ﷺ في الحديث الذي أخرجه الجماعة عن الرجل الذي وقع على امرأته في نهار رمضان، فقال له: «هل تجد ما تعتق رقبة؟ هل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ فهل تجد ما تطعم ستين مسكينا؟»(٣).

● **كفارة الظهار**: والظهار أن يقول الرجل لزوجته: أنت عليّ كظهر أمي، وقد بيّن القرآن وكذا السُّنَّة كفارة الظهار؛ ففي القرآن وردت الآيات (٣، ٤) من سورة المجادلة، وفي السنة أخرج الترمذي وحسنه أبو داود (وهو حديث صحيح) من حديث مسلمة بن صخر البياضي ما يبين كفارة الظهار بما يماثل كفارة الجماع في رمضان.

● **فدية ارتكاب المعذور لمحظور من محظورات الإحرام:**

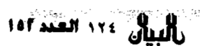
قال - تعالى - : ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾. [البقرة: ١٩٦].

وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما تفصيل ذلك في حديث كعب بن عجرة - رضي الله عنه - قول النبي ﷺ للرجل الذي آذى رأسه الهوام: (احلق ثم اذبح شاة نسكاً، أو صم ثلاثة أيام، أو أطعم ثلاثة آصع من تمر على ستة مساكين»(٤).

- فدية الصيام: قال - تعالى - : ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤].

---

(١) رواه البخاري، ح/ ١٣٠٨.
(٢) رواه البخاري، ح/ ٥٥٥٥.
(٣) رواه البخاري، ح/ ٦٢١٧.
(٤) رواه أبو داود، ح/ ١٥٨٢.



وقد بيّن ابن عباس المقصود منها كما في صحيح البخاري وكما روى عطاء أنه سمع ابن عباس يقرأ : ﴿ وعلى الَّذين يُطيقُونه فدْيةٌ طعامُ مسْكينٍ ﴾ قال ابن عباس : ليست بمنسوخة ، هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فليطعما عن كل يوم مسكيناً .

ومن الفقهاء من يرى أن تفدي المرأة الحامل والمرضع التي تفطر خوفاً على نفسيهما أو أولادهما .

- النذور : يقول - تعالى - : ﴿ وما أنفقتُم مّن نَّفقةٍ أوْ نذرتم مّن نَّذْرٍ فإنَّ اللَّه يعْلمُهُ ﴾ [البقرة : ٢٧٠] ، وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عمر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال عن النذر : « وإنما يستخرج به من البخيل »(١) .

د - الأطعمة والذبائح : ومن ذلك :

- الهدي : التي تذبح ضمن مناسك الحج ويكون للفقراء منها نصيب قال - تعالى - : ﴿ فكُلُوا منْها وأطْعمُوا الْقانع والْمعْترَّ ﴾ [الحج : ٣٦] .

- الأضحية : التي تذبح في عيد الأضحى المبارك وفيها قال رسول الله ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن واقد (في آخر الحديث) : « فكلوا وادخروا وتصدقوا »(٢) .

- العقيقة : التي تذبح عن المولود في اليوم السابع : شاتان للغلام وشاة للجارية ، ويكون للفقراء فيها نصيب ، بل قد ورد في الحديث الحسن الذي أخرجه أحمد في مسنده والبيهقي في السنن الكبرى من حديث أبي رافع أن رسول الله ﷺ قال لابنته فاطمة : « احلقي شعره وتصدقي بوزنه من الورق على الأوقاص أو على المساكين »(٣) (٤) .

هـ - الصدقات الاختيارية :

يقصد بها نافلة الواجبات المالية التي تُترك لإيمان الإنسان ونفسيته الخيِّرة الكريمة بأن يعطي دون طلب ؛ وينفق دون سؤال وإنما يؤمن بالخَلَف ، ويبتغي مزيد الأجر والمثوبة .

قال - تعالى - : ﴿ وما تقدّمُوا لأنفُسكُم مّنْ خيْرٍ تجدُوهُ عند اللَّه هُو خيْرًا وأعْظم أجْرًا ﴾ [المزمل : ٢٠] .

وقال - تعالى - : ﴿ وما أنفقْتُم مّن شيْءٍ فهُو يُخْلفُهُ وهُو خيْرُ الرَّازقين ﴾ [سبأ : ٣٩] .

ويكفي أن نختار من أحاديث الحث على الصدقات ما رواه الشيخان عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فُلُوَّه أول ما يولد حتى يكون مثل الجبل »(٥) .

ومن الصدقات الاختيارية : الصدقة الجارية (الوقف الخيري) : وقد حث عليها رسول الله ﷺ كما في صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة أشياء : صدقة جارية ..... »(٦) .

---

(١) رواه البخاري ، ح/ ٦١١٨ .

(٢) رواه مسلم ، ح/ ٣٦٤٣ .

(٣) رواه أحمد ، ح/ ٢٥٩٤١ .

(٤) تحقيق محمد الحلاق على متن الدرر البهية للشوكاني ، ص ٢٦٦ . الورق : الفضة - الأوقاص : أهل الصفة .

(٥) رواه البخاري ، ح/ ١٣٢١ .

(٦) رواه الترمذي ، ح/ ١٢٩٧ .

واستجاب المسلمون لهذا الترغيب فأصبحت الصدقات الجارية من الكثرة والضخامة ما يجعلها مفخرة وميزة للنظام الإسلامي؛ إذ تتبع المسلمون مكامن الحاجات الاجتماعية الظاهرة والخفية فأرصدوا لها الأوقاف المختلفة التي شملت كافة احتياجات الإنسان والحيوان.

رابعاً: كفالة ولي الأمر (الدولة):

أوجب الإسلام رعاية الإمام (ولي الأمر) أو ما يطلق عليه في عصرنا (الدولة أو الحكومة) لجمهور الناس عامة وأصحاب الحاجات خاصة، وجعله مسؤولاً عن ذلك أمامهم ثم بين يدي الله - تعالى -. قال - جل جلاله -: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** ﴾ [النساء: ٥٨]، كما يقول رسول الله ﷺ في الحديث المتفق عليه: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته؛ فالإمام راع ومسؤول عن رعيته....»[١]. وقد بين رسول الله ﷺ مسؤولية ولي الأمر تجاه الفقراء والمحتاجين وإعالتهم في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - فقال: «أنا أولى بالمؤمنين في كتاب الله، فأيكم ما ترك ديناً وضيعة (عيالاً) فادعوني فأنا وليه»[٢].

أما الموارد التي يستعين بها ولي الأمر (الدولة) في كفالة الفقراء وأصحاب الحاجات ورعايتهم فهي:

١ - الزكاة: التي يجمعها ولي الأمر ويأخذها من الأغنياء ليردها على الفقراء.

قال - تعالى -: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا** ﴾ [التوبة: ١٠٣].

٢ - ما يدخل إلى بيت مال المسلمين من الأموال الآتية:

أ - **خمس الغنائم**: والغنائم: المال المأخوذ من الكفار بالقتال يؤخذ خمسه لبيت مال المسلمين، قال - تعالى -: ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ** ﴾ [الأنفال: ٤١].

ب - **الفيء**: ما أخذه المسلمون من الكفار بغير قتال، قال - تعالى -: ﴿ **مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ** ﴾ [الحشر: ٧].

ج - **الخراج**: ضريبة مالية على الأراضي المفتوحة عنوة وتركت بيد أهلها يزرعونها ويستغلونها.

د - **الجزية**: ما يؤخذ من الذمي بشروط محددة مقابل الحماية والمنع.

هـ - **العشور**: ضريبة تجارية يخضع لها الذميون والمستأمنون في أموالهم المعدة للتجارة التي تدخل وتنتقل في ديار الإسلام ويختلف مقدارها باختلاف التجارة والبلاد ومدة الإقامة والمعاملة بالمثل.

و - **خمس الركاز**: يقصد به ما وجد مدفوناً من كنوز الأرض في أرض موات أو طريق سابل وهو من ضرب الجاهلية. أما إذا كان من ضرب الإسلام (علامات تدل على ذلك) فهو لقطة تجري عليها أحكامها.

ز - غلة أراضي الدولة وعقاراتها.

---

(١) رواه البخاري، ح/ ٨٤٤.

(٢) رواه مسلم، ح/ ٣٠٤١.

ح - الضوائع والودائع التي تعذر معرفة صاحبها.

ط - التعزيرات المالية التي يحكم بها القضاة على مرتكبي المخالفات الشرعية.

ي - ميراث من لا وارث له.

٣ - **الضرائب**: ويُقصد بها ما تفرضه الدولة على الأغنياء في حالة عدم تحقيق الكفاية من الموارد السابقة الذكر، وقد ورد في الحديث الذي أخرجه الإمام الترمذي عن جماعة من الصحابة: «إن في المال حقاً سوى الزكاة»[١]. وهو ما يدل على إعطاء صلاحيات واسعة في جباية الأموال اللازمة من الموسرين في الحدود اللازمة للإصلاح ولتحقيق الكفاف لأصحاب الحاجات أو لمتطلبات البلاد الضرورية مثل الدفاع عن أهلها وردّ العدوان وفداء الأسرى وغيرها.

وقد نقل الدكتور عبد الكريم زيدان عن (المحلّى) ما قاله الفقيه المعروف ابن حزم: «وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ويجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكاة بهم، فيقام لهم مما يأكلون من القوت الذي لا بد منه، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك وبمسكن يكنهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة»[٢].

ونقل كذلك في الصفحة نفسها عن القرطبي في تفسيره: «واتفق العلماء على أنه إذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء الزكاة فإنه يجب صرف المال إليها. قال مالك - رحمه الله - : يجب على الناس فداء أسراهم وإن استغرق ذلك أموالهم وهذا إجماع أيضاً».

وأخيراً:

فتلكم كانت النصوص التي تدل على أن الإسلام قد وضع الأدوية المتعددة لداء الفقر، وبيَّن الحلول المتنوعة لمعضلة الحاجة والحرمان، ولم يكن ذلك مجرد مبادئ نظرية يتم الحديث عنها بعيداً عن صلاحيتها للواقع، بل إن المسلمين قد طبقوها وأقاموها في مجتمعاتهم فحصل ما تكلم عنه التاريخ بفخر واعتزاز، حتى إن تأريخ الأمة الإسلامية ليشرُف بذلك العهد الزاهي الذي لحق عهد الخلفاء الراشدين ونقصد به عهد خلافة الإمام العادل عمر بن عبد العزيز، ولنقرأ معاً ما رواه ابن كثير في البداية والنهاية فيقول: «كان منادي عمر ينادي كل يوم: أين الغارمون؟ أين الناكحون؟ أين المساكين؟ أين اليتامى؟ حتى أغنى كلاً من هؤلاء».

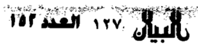
وفي تأريخ الخلفاء يذكر السيوطي: «قال عمر بن أسيد: والله ما مات عمر حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول: اجعلوا هذا حيث ترون، فما يبرح حتى يرجع بماله كله، قد أغنى عمر الناس».

فهل لولاة أمر المسلمين أن يعودوا إلى دين ربهم وشرعة رسولهم ﷺ ليسوسوا شعوبهم ودولهم بها، فيجتنوا خير الدنيا ونعيم الآخرة، وينعموا بالعيش والحكم بعيداً عن نُفايات الغرب والشرق واستغلالهم؟ لعلهم يفعلون، والله نسأل أن يرد الجميع إلى دينه رداً جميلاً، ويبصِّرهم الحق والسداد.

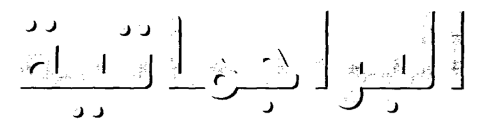
---

(١) رواه الترمذي، ح/ ٥٩٥.

(٢) انظر كتاب: أصول الدعوة، للدكتور عبد الكريم زيدان، ص ٢٤٦.







د. محمد يحيى

مع تزايد نفوذ الولايات المتحدة وقوتها وغُدُوِّها مؤثراً يكاد يكون وحيداً في توجيه مجريات السياسة الدولية من نواحٍ متعددة أبرزها : الإعلامية ، والاقتصادية ، ومع تزايد التحليلات الفكرية التي تطرح لتفسير أبعاد هذا النفوذ وشرحه - كثر ترديد مصطلح « الفكر البراجماتي » باعتباره يمثل الفلسفة السائدة في المجتمع الأمريكي والبعد الفكري لقيم ذلك المجتمع ومفاهيمه ولسياسات أجهزة الحكم والقرار وتوجهاتها هناك. وتراوح الحديث عن البراجماتية أو PRAGMATISM (وهي اشتقاق يعود إلى الكلمة اليونانية بمعنى العمل أو الفعل أو الممارسة أو المزاولة) في وصفها بأنها الفلسفة الأصلية التي تميز العقل الأمريكي عن مدارس الفلسفة الأوروبية الكبرى المعروفة ، من المثالية وحتى الوجودية مروراً بالماركسية والظواهرية ... إلى القول الدارج في المقالات الصحفية من أن ذلك المذهب لا يعدو أن يكون توجهاً انتهازياً يرتكز على اتباع الوسيلة - أية وسيلة - المحققة للغرض موضع الاهتمام في لحظة معينة.

والحق أن الفكر البراجماتي يحتمل هذين التأويلين على تباعد البون بينهما من الجدية إلى الاحتقار الهازئ؛ فالفكر البراجماتي الأمريكي يدين في تشكله إلى مجموعة من العقول الفلسفية الأمريكية التي من أبرزها : ويليام جيمس وجون ديوي منذ أواخر القرن الميلادي الماضي إلى أواسط الحالي ، وصحيح كذلك أن البراجماتية من هذه الناحية تعد إسهاماً فكرياً مهماً يميز أمريكا عن أوروبا؛ ولكن الصحيح كذلك أن البراجماتية امتداد أصيل لروافد رئيسة في الفكر الأوروبي أبرزها الفكر التجريبي المستند إلى فلسفة العلوم الطبيعية الذي يحتوي على مكون مادي مهم.

كذلك فإن جون ديوي وهو الركن الثاني في تكون البراجماتية وتطورها بعد ويليام جيمس أو معه كان متأثراً في مطلع حياته الفكرية وإلى أواسطها بالفكر المثالي الألماني وإن تخلى عنه تحت تأثير جيمس. وأياً كان الحال فقد طورت البراجماتية الفكر التجريبي العلمي المادي الأوروبي النشأة، وجعلت منه الأساس لمذهب يتجاوز نطاق الفكر الفلسفي المتخصص في مباحث علم المعرفة أو الميتافيزيقا إلى المجالات الاجتماعية والسلوكية وميادين القيم والدوافع، وقبل كل شيء الأخلاق.

ولعل الذي يصم البراجماتية بأنها مجرد مذهب يكرس نسبية الأخلاق والقيم والانتقاء من القيم كما يناسب اللحظة أو الغرض أو الميل ينظر إلى المحصلة الذاتية التي قد ينتهي إليها هذا المذهب دون أن يعبأ كثيراً بينابيعه الفكرية الكبرى؛ ولكنه لا يخطئ كثيراً.

إن البراجماتية إذا لخصنا فكرها الجوهري ترفض ما تسميه بالمبادئ المطلقة العامة، وترى أنها - في أهم ميدان فكري أو حياتي - جاءت نوعاً من الجمود الذي لا يتفق مع المنهج التجريبي العلمي الذي حددته (بشكل مطلق كذلك!) أفضل المناهج العقلية البشرية، وإذا كان المنهج التجريبي يقوم - كما يدل اسمه - على التجربة والاختبار والتحقق باعتبارها وسائل وأدوات للوصول إلى المعرفة، ويرفض الأفكار المسبقة ذات الطابع المطلق والعمومي باعتبارها مصادرة على مرونة العقل ودقة المعرفة؛ فإن البراجماتية تتخذ من هذا المنهج ووفق هذا الفهم نبراسها في وضع كافة المباحث الفلسفية الكبرى - كما أسلفنا - من علم المعرفة والميتافيزيقا إلى الأخلاق والتعليم.

فالأفكار والقيم والمبادئ لا ينبغي أن تُعتَنَق بشكل مجرد وعمومي ومطلق بمعزل عن واقع الحياة وممارستها (أي: المحك التجريبي العملي) وهذه الأفكار والقيم والمبادئ التي يجب ألاَّ تكون منعزلة أو مفصولة عن واقع الحياة وممارساتها ينبغي - وهذا هو ما يعنيه عدم الانفصال - أن تسهم في سيولة النشاط البشري وتدفقه في سعيه الدائب والدائم إلى تحسين المعيشة (بالمعنى الأوسع لهذا المصطلح) وحل المشكلات وتذليل العقبات التي تحول دون تحقيق السعادة للمجتمع.

والواقع أن كُنه البراجماتية نجده في هذا المبدأ المادي العلماني القديم، وهذا المبدأ مستمد من الفلسفات الوثنية (اليونانية) القديمة؛ لكنه عاد يهيمن على مباحث علم النفس الحديث بعد انفصاله في أواخر القرن الماضي عن الفلسفة، واصطناعه للمنهج العلمي التجريبي. والمبدأ بسيط للغاية؛ فهو ينظر إلى الوجود البشري بمعزل عن أي وجود أوسع؛ أي بمعزل عن الألوهية ووحيها وسننها ولا يرى سوى هذا الوجود البشري، كما يرى أن هدفه وسعيه ومغزاه إنما هو تحقيق السعادة للبشر في هذا العالم (وليس في الآخرة التي هو في شك منها) سواء أكانوا أفراداً أم جماعات، وسواء أكانت تلك

السعادة كماً يقاس، أو كيفاً يذاق، وسواء أكانت مادية خالصة أم مادية ونفسية معاً.

والسلوك البشري في سعيه لتحقيق تلك الغاية الكلية والغايات الفرعية الكثيرة المؤدية إليها لا يسير في خط واحد سهل؛ بل يقابل المشاكل والعقبات التي يحاول التغلب عليها، والمبادئ المطلقة أو الجامدة - في نظر البراجماتية - لا تساعد في هذه العملية الحاكمة للسلوك البشري بل تعينها؛ لأنها تفقدها المرونة اللازمة، والبديل عن هذه المبادئ أو القيم أو الأفكار الجامدة المعوقة (المطلقة المجردة) والمنفصلة عن الواقع هو القيم والمبادئ والأفكار المجربة والمختبرة في نار الواقع؛ والصحيح منها هو ما أثبت الواقع والخبرة أنه يؤدي إلى النجاح؛ بمعنى: حل المشكلات وتجاوز العوائق وصولاً إلى غايات السعادة البشرية.

أما الباطل والخاطئ فهو الذي يثبت الواقع والخبرة أنه لا يؤدي إلى النجاح في ذلك، ومن هنا اشتهر عن البراجماتية أنها تحكم على الأفكار والقيم والمبادئ بالصحة والبطلان لا بمعايير المنطق أو «الحق» .. إلخ؛ بل بمعايير النجاح أو الإخفاق في تسهيل حركة السلوك البشري نحو غاية السعادة، ومن هنا كذلك اشتهر عن البراجماتية اعتناقها للنسبية في القيم والأخلاق وسهولة التحول عن المبادئ لدى معتنقيها دوراناً مع المصلحة كما يفهمونها بالمعنى المادي الدنيوي للسعادة.

والبراجماتية في جوهرها الذي عرضنا له هنا هي في الحقيقة التجسيد الحي (أو أحد التجليات الكبرى) للفكر العلماني الغربي. إن القضية الحاسمة هنا هي أن الوجود البشري يساس ويجري التفكير فيه في نطاق مغلق عن الله وسننه وأمره في كونه، وما دام الوجود البشري قد عزل عن المصدر الإلهي فإن الباقي يصبح سهلاً أو بالأصح: واضحاً وحتمياً؛ فالوجود البشري المعزول عن الله لن يفكر في آخرة أو وحي أو شريعة إلهية تحدد له مساره، والهدف الأسمى سيكون هو السعادة الدنيوية التي ستنحصر تعريفاتها المختلفة في المادة بدرجاتها. والقيم أو المبادئ أو الشرائع المعتمدة في كل الميادين وأولها الأخلاق ستكون هي المؤدية بالسلوك البشري بصورة أو بأخرى إلى الوصول لتلك الغاية الكبرى مروراً بالغايات الفرعية وحلول المشاكل وتذليل العقبات.

وما دام الأمر كذلك فلا مجال للقيم المطلقة العامة التي تقول البراجماتية إنها ترفعها لصالح النسبية؛ لأنها لا تنبع من الواقع ولا تساعد بالأوْلى على حل مشاكله والوصول بالنشاط البشري إلى تحقيق السعادة؛ لكن «الواقع» يقول: إن البراجماتية ترفض ما تسميه بالمبادئ المطلقة في علوم الميتافيزيقا والأخلاق؛ لأن تلك المبادئ مستمدة من الأصول الدينية التي ترفضها (المسيحية) استناداً إلى المنهج المادي المسمى بالتجريبي، أو العلمي الذي تعلي البراجماتية من شأنه.

قد تكون للبراجماتية أصول أوروبية رغم الزعم بأنها ذات أصول أمريكية بحتة، وقد تكون لها دعاوى فكرية عالية المستوى تمثلت في طروحات فلسفية؛ لكنها عند التطبيق على مجال الأخلاق والسياسات والسلوكيات الاجتماعية - وهو مجالها النهائي حسب تعريفها هي - نجدها ولَّدت لنا الاتجاهات النسبية الكبرى التي زعزعت ميدان الأخلاق نفسه، وجعلت منه عبثاً بلا طائل؛ لأن القيم فيه متغيرة تغير الواقع الذي يزداد تغيراً كل يوم مع تراكم التغيرات بشكل مطرد، ولا نبالغ إذا قلنا: إن أدواءاً تعاني البشرية منها اليوم كثيراً في مجال القيم والأخلاق في كل منحى من مناحي الحياة تعود في أصولها إلى سريان الفكر البراجماتي واستشرائه في أفق التفكير الفلسفي المنعزل عن الحياة ليصبح هو الشريعة والقانون الذي يهدي السلوك البشري ويحكمه، ولعلنا نضيف أن واسطة الانتقال من ذلك المجال إلى هذا كان هو التعليم ومؤسساته.

ولعلنا نذكر أن أكبر مؤسسي الفكر البراجماتي (جون ديوي) كان له باع كبير في ميدان التعليم، ووضع أسسه وسياساته في أمريكا ومنها إلى سائر دول العالم بحكم التأثير الأمريكي المعروف والرغبة في تقليد الأقوياء على أمل الوصول إلى قوتهم بالتقليد الأعمى، ولعل في ذلك ما يفسر لنا ما لاحظناه في العقود الأخيرة من استماتة العلمانيين في البلاد الإسلامية في السيطرة على حقل التعليم في سعي للوصول من خلاله إلى السيطرة على العقول بنشر فكرة العلمانية التي من أهم أبوابها مبادئ نسبية القيم والأخلاق والأفكار.

ولعلنا كذلك نلاحظ في عبارة: «إن الفكر البراجماتي قد ظهر في بعضه وفي آخر تجلياته في البلاد الإسلامية في الفكرة التي نسمعها كثيراً حول تطوير الشريعة أو في مفهوم الاجتهاد الفقهي لا باعتبار ذلك أداة لبسط سلطان المبادئ الشرعية على نواحي الحياة؛ بل أداة لهدم عمومية مبادئ الشريعة الإسلامية نفسها وفرض النسبية والتغير العشوائي عليها، كما يؤدي في النهاية إلى إلغاء تلك المبادئ ذاتها؛ وذلك كله تحت شعارات: مجاراة العصر، واللحاق بركب التقدم، والتحلي بروح العلم، والتمشي مع الواقع» وكلها من الأفكار التي تنضح بروح البراجماتية، وقبلها بروح العلمانية أو اللادينية.

ومن اللافت للنظر أن الفكرة العلمانية التي تريد بسط مفاهيم النسبية على الجميع حتى الدين المقدس والمطلق بطبعه لا تفكر أبداً في أن تكون هي نفسها نسبية أو بنت عصرها؛ لأنها جعلت من المنهج التجريبي - وهو اسم يدل على أنه ليس مطلقاً - إلهاً مقدساً يُعبد!





الحياء تاج المرأة

فاتن سعد الصويلح

للجرأة على اقتراف الذنب والمعصية عواقب ذُكرت في آيات كثيرة وأحاديث وأقوال للعلماء. ومن عواقب الذنوب والمعاصي:

«**أولاً:** ضعف القلب عن حب الخير، وقوة إرادة المعصية.

ثانياً: حرمان العلم والمعرفة؛ لأن العلم نور يقذفه الله ـ تعالى ـ في القلب؛ والمعصية تطفئ ذلك النور.

ثالثاً: نقص الأرزاق وذهاب بركتها فـ «إن العبد ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه».

رابعاً: وحشة يجدها العاصي بينه وبين الخلق؛ بحيث ينفر منه مَنْ كان يأنس به من قبل.

خامساً: حرمان دعوة الملائكة الذين يدعون بالخير للصالحين.

سادساً: أنها تنتج مثلها، وتثمر شبهها. بمعنى أن العبد إذا عمل معصية ولم يبادر بالتوبة منها وقع في معصية أخرى ثم أخرى.

سابعاً: أن شؤمها يعم فاعلها وغيره من الخلائق حتى قال مجاهد ـ رحمه الله ـ: «البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتدت السنةُ، وأمسك المطر تقول: هذا من شؤم معاصي ابن آدم».

ثامناً: أنها تذل فاعلها وتهينه؛ لأن العزة والشرف في طاعة الله ـ عز وجل ـ فمن عظَّم أمر الله عظَّم الله قدره، ورفع شأنه، ومن خالف أمره أذله الله وأهانه.

تاسعاً: ظهور الفساد في البر والبحر، وحدوث الزلازل والأمراض المهلكة»[1].

---

(١) طريقة المتقين، عبد الرحمن الأنصاري، ٢/١٢٧. باختصار.

الصبر والطمع في الثواب من الله:

لقد خلق الله الإنسان وهو يملك أشياء عديدة وغرائز متنوعة، خلقه وهو يملك الإحساس، والمشاعر، ولكن لم يجعل هذه المشاعر والأحاسيس والعاطفة هكذا دون حد أو ضابط وما من شك في أن لدى المرأة ميلاً فطرياً للرجل والعكس كذلك، لكن هل يعني ذلك أن نترك هذا الميل على عواهنه مما يؤدي إلى انتشار الفساد؟

طريق آمن عرفه الصالحون:

دروب الحياة متفرقة، وساعات الراحة فيها معدودة، والسائر فيها يتلمس خطواته حتى لا يقع في منحدر أو منزلق من المزالق «وطريق العفة والحياء والستر طريق آمن عرفه الصالحون فلا تستوحشي الطريق يا أختاه؛ فأنت لستِ الوحيدة التي سارت هذا الطريق وسلكته؛ فمن قبلك أناس كثيرون رجالاً ونساءاً قد ساروا عليه؛ فلم تضرهم غربتهم ولم تزعجهم صيحات المثبطين، بل كانوا مصابيح تنير ظلام الدنيا. عرفوا لذة الطاعة فلم يقارنوها بلذة ساعة كانت في معصية الله. طهر وعفاف، ملؤوا قلوبهم بالإيمان، وعوَّدوا أنفسهم على طاعة الرحمن، وشاركوا إخوانهم في كل ميدان.

لقد ذكر القرآن الكريم عفة يوسف ـ عليه السلام ـ ذلك الفتى الذي توفرت فيه كل الشروط من شباب وحيوية وقوة، وفي مقابل ذلك امرأة العزيز: جمال، ومنصب، وإغراء؛ فما الذي منع يوسف ـ عليه السلام ـ من تلبية الرغبة والجري وراء هوى النفس وشهواتها؟ لقد كانت عفة يوسف ـ عليه السلام ـ عفة مستوفية كل شروطها وأركانها، كانت من أعظم أمثلة العفة في تاريخ الإنسان. ففي يوسف الحيوية والشباب والدافع القوي، وفي امرأة العزيز الإثارة بكل أبعادها، مع خلوة تامة، وتهديد إن لم يستجب؛ ومع استيفاء كل هذه العوامل القوية تبرز فضيلة العفة في يوسف ـ عليه السلام ـ فيضبط نفسه بصبر منقطع النظير، ويقاوم الدوافع والمغريات بإصرار وعزيمة قوية ترفعاً عن السقوط، وطلباً لمرضاة الله، فينتصر خلقه العظيم في معركة الدوافع والمغريات والتهديدات. وقد عرض القرآن قصة يوسف أروع عرض يبرز قوة الإيمان عنده، وقوة الضبط الخلقي الذي جعله ـ عليه السلام ـ يكف عما لا يحل له، ويعطي أروع أمثله العفة»[1].

هذا نموذج ومثل من أعظم أمثلة العفة في تاريخ الإنسان. وها هي عائشة بنت أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنها ـ تقول: «نِعْمَ النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»[2]

---

(١) الأخلاق، الميداني، ٢/ ٥٦٢.

(٢) مسلم، كتاب الحيض، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة مسك في موضع الدم، ١/٢٦١، البخاري، كتاب العلم، باب الحياء من العلم، ١/٢٢٨، سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب الاغتسال من الحيض، ١/٨٥، سنن ابن ماجه، كتاب الطهارة، باب في الحائض كيف تغتسل، ١/٢١٠، مسند الإمام أحمد، ٦/١٤٨.

امتدحت فيهن حياءهن وحرصهن على طلب العلم والتفقه فيه؛ كيف لا وعائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ واحدة ممن شاركن في شتى العلوم والآداب؛ فهي «حاملة لواء العلم والعرفان في عصرها، والنبراس المنير الذي يضيء على أهل العلم وطلابه؛ وكان يأتيها أصحاب محمد ﷺ يسألونها عن عويص العلم ومشكله فتجيبهم جواباً مشبعاً بروح التروي والتحقيق مما لا يتسنى إلا لمن بلغ في العلم مقاماً علياً»[1]، فهل منعها هذا ـ يا أُخية ـ من الحياء والستر؟ لا والله! فقد كانت ـ رضي الله عنها ـ «شديدة الحياء حتى كانت تدخل البيت الذي دفن فيه رسول الله ﷺ وأبو بكر وهي واضعة ثوبها وتقول: إنما زوجي وأبي. فلما دفن عمر بن الخطاب فكانت لا تدخله إلا مشدودة عليها ثيابها حياءاً من عمر»[2]، فليكن يا أُخية طريق السائرين على الهدى طريقك ونور الإيمان ينير دربك، واقتفي أثر من قبلك ولا تستوحشي الطريق؛ فلَكِ في نساء السلف الصالح أسوة وقدوة.

صلاح الأمة بصلاح أهلها:

«المرأة مدرسة وهي مربية الأجيال، فإن انهارت أخلاقها، وشذّ سلوكها انهارت من ورائها الأمة وانحطت الأخلاق، وفسد المجتمع، وضاعت الفضائل، وانحلت الأسرة، وعمّت الفوضى، وانتشرت الفتن»[3] وما من شك في أن مصدر انهيار الأخلاق وانهيار الأمة ناتج عن ضعف متولد من أفراد المجتمع؛ والمرأة جزء من ذلك المجتمع. لقد حول أعداء الإسلام المجتمع إلى ملهاة كبرى، فإلى جانب جنون «الموضة» جنون الأزياء، وجنون الزينة (التبرج) أوجدوا جنون وسائل الإعلام أرضيَّةً وفضائية وما فيها من اللهو العابث الذي لا يليق بالبشر الأسوياء، ولا ينغمس فيها «إنسان» يعي حقيقة إنسانيته، ويدرك غاية الوجود البشري في الأرض»[4] وماذا كانت النتيجة؟ تحطمت الأسرة إلا مَنْ رحم الله، وبدأت الفتاة تنفر من حجابها وسترها، وأصبح سماع الشكوى من الحجاب وأنه تخلف وتقييد شيئاً معلناً من بعضهن، وبدأت كذلك في البحث والتطلع واختيار الصديق بحجة التعرف على العالم من حولها والتسلية مؤكدة أنها لا تتفوه أو لن تتفوه بكلمة تزيل الحياء وتخدشه: «سُهى فتاة جامعية لا يفارق الجوال يدها، تقول: لا أرى أي مانع أو حرج في التعرف على الثقافات من خلال أشخاص لا أراهم ولا يرونني ولا يوجد أي احتمال لرؤيتهم، ولا أتحدث إلا في موضوعات عامة، وقد يكون الطرف الآخر فتاة مثلي، وليس بالضرورة شاباً وإن كانت هناك بعض المحاذير من الأهل خوفاً من فاتورة الهاتف؛ لكن كل شيء الآن أصبح مفتوحاً من حولنا من فضائيات وإنترنت ووسائل اتصال. أليست هذه هي العولمة للقرية الكونية؟!»[5] هكذا وبكل بساطة أصبحت بعض الفتيات المسلمات

---

(1) أعلام النساء، ٣/١٠٤، ١٢٥.
(2) أعلام النساء، ٣/١٠٤، ١٢٥.
(3) المناهج البهية بتصرف، ١/٢٥٢.
(4) رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، محمد قطب، ٩٦.
(5) مجلة الأسرة، العدد ٧٠، محرم، ١٤٢٠هـ.

لا يتحرجن من الحديث في بعض الأمور؛ و «إذا لم تستح فاصنع ما شئت»[1].

وإلى جانب هذه الثغرة ثغرة أخرى تقويها وتدعمها: إنه ذلك الرجل الذي لا يملك من معاني الرجولة إلا الشكل والمظهر، ذاك الذي حُرِمَ الغيرة على أهله؛ فهو لا يستقبح الذنب، ولا يبغضه، ويقر المنكر في أهله. لقد أصبحنا نراه بأشكال متعددة إما مع امرأة سافرة متبرجة أو عليها مسمى الحجاب بكامل زينتها يمازحها أمام الرجال بل يتعمد إضحاكها، وآخر يطلب منها أن تنزع حجابها؛ لأنها في وسطٍ ينكر ما ترتديه، وآخر يشاركها في أماكن اللهو والعبث كالمراقص والسينما؛ بل هناك من لا يتحرج في جلوس أهله إلى جانبه لمشاهدة منظر فاحش؛ فأين هذا من غيرة سعد بن عبادة؛ فعن المغيرة قال: قال سعد بن عبادة لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفحٍ. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «تعجبون من غيرة سعد؛ والله! لأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين، ولا أحد أحب إليه المدحة من الله، من أجل ذلك وعد الله الجنة»[2].

هكذا يا حبيبتي في الله أحدثنا في أمتنا ثغرة تلو ثغرة توهنها وتضعفها وترد النصر عنها. ومتى يكون النصر لأمتنا؟! إنه لن يكون إلا بالرجوع إلى الله وامتثال أمره واجتناب نهيه. إن العفة والحياء والستر متى وجدا في أمة كان لها العزة والنصر. أليس الإسلام يدعو إلى ذلك؟ أليس صلاح الأمة بصلاح أهلها؟

إن صلاح المرأة واستقامتها سبب في صلاح الأمة التي يتحقق لها النصر والتمكين من الله - جل جلاله -.

فلا تغترِّي بما لديك من علم، ولا تري نفسك بعيدة عن السقوط؛ فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلِّبها كيف يشاء، والغرور عامل من عوامل الانتكاس والفتنة «لقد قال ابن مسعود - رضي الله عنه - كلمة تحمل معاني عظيمة لمن تدبرها وفقه معناها: «اقتدوا بمن مات؛ فإن الأحياء لا تؤمَنُ عليهم الفتنة» فانظر إلى أي مدى كان الصحابة - رضوان الله عليهم - لا يضمن أحدهم الاستمرار على هذا الطريق، وكيف أن الواحد منهم لا يرى الاقتداء بالأحياء؛ لأنهم ليسوا بمنأى عن الفتن»[3] عليكِ بالصبر والمجاهدة وترويض النفس على الطاعة ومخالفة هواها «واعلمي أن رياضة النفس أصعب من رياضة الأُسْد؛ لأن الأُسْد إذا سُجنت في البيوت التي تتخذها الملوك أُمن شرها، والنفس - وإن سجنت - لم يؤمَن شرها»[4]؛ لأن النفس إن لم تَعْتَدِ الحياءَ والستر والعفة كانت قنبلة تجلب الدمار،

---

(١) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ٥٤، رقم الحديث ٣٤٨٤، ٦/٥١٥، كتاب الأدب، باب إذا لم تستحي فاصنع ما شئت، ١٠/٥٢٣، سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، فتح الباري، بشرح صحيح البخاري، باب الحياء، ٢/١٤٠٠، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في الحياء، ٤/٢٥٢، مسند الإمام أحمد، ٤/١٢١، ١٢٢.

(٢) غير مصفح، وهو بكسر الفاء، أي غير ضارب بصفح السيف وهو جانبه، بل اضربه بحده، البخاري، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ: «لا شخص أغير من الله»، فتح الباري، ١٣/٣٩٩، مسلم، كتاب اللعان، رقم الحديث (١٧ - ١٤٩٩)، ٢/١١٣٦.

(٣) من أخبار المتنسكين، صالح العصيمي، ١٣.

(٤) الأخلاق والسير في مداواة النفس، ٧٣.

وتخرب الديار، وتحول كل شيء جميل إلى شيء بشع يمثل الخسة والدناءة وكل ما ينافي أطيب الأخلاق وأجملها.

احرصي على تعميق العاطفة الدينية والإيمان بالله لما لها من دور في ردع النفس ومحاسبتها؛ فإن الشباب مجموعة من الغرائز المتحفزة والعواطف المشبوبة والمشاعر الملتهبة، وإن هذه المجموعة أشبه بقوة أسدية إن لم نحسن توجيهها وتهذيبها انقلبت بغياً وعدواناً، ولا يمكن تهذيب هذه الغرائز الملتهبة للوثوب والجموح إلا بتركيز العاطفة الدينية، وتوطيد الوازع الخلقي؛ فعلماء النفس وزعماء الإصلاح والاجتماع يقررون أن العاطفة الدينية إذا انغرست في نفس الشباب كانت خير موجه لغرائزه وأفضل ملطف لحدة عواطفه[1]، ومن الأمثلة على الإيمان وأهميته في النفس وأنه يدفع الإنسان إلى عدم الوقوع في الحرام قصة مرثد مع عناق فـ «عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده - رضي الله عنه - قال: كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد، وكان رجلاً يحمل الأسرى من مكة حتى يأتي بهم المدينة، وكانت امرأة بغي بمكة يقال لها عناق، وكانت صديقة له - في الجاهلية - وأنه وعد رجلاً من أسارى مكة يحمله وقال: فجاءت (عناق)، فأبصرت سواد رجل تحت حائط؛ فلما انتهت إليَّ عرفتني، فقالت: مرثد؟ فقلت: مرثد، فقالت: مرحباً وأهلاً، هَلُمَّ بِتْ عندنا الليلة. قال: قلت: يا عناق، حرم الله الزنا»[2] فها هو إيمان مرثد لم يجرَّه إلى ارتكاب الحرام رغم وجود الفرصة، ورغم أنه كان يحبها حباً شديداً؛ ولكن كان للإيمان دور في صدره وعدم وقوعه فيما حرم الله.

فلا تغفلي عن الدعاء؛ ولقد كان النبي ﷺ يدعو الله - عز وجل - بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»[3] وكثيراً ما يقول: «اللهم ثبِّت قلبي على دينك»[4].

لا تهملي جانب التربية الإيمانية التي لها دور في حياة المرأة المسلمة وحفظها من الفتن المتعددة الأشكال، وتشمل: ذكر الله - عز وجل - وقراءة الكتب، والحرص على طلب العلم والاستزادة منه وإيصاله للآخرين، وتعويد النفس على الصبر والصيام وقيام الليل، ومحاسبة النفس على التقصير، والاهتمام بشخصيتك وبشغل أوقات فراغك بما يلائمك من أنشطة متعددة كالقراءة وتعلُّم الحاسب الآلي والمشاركة بكتابة مقال أو أبيات شعرية مفيدة، وما إلى ذلك من الأعمال النافعة المفيدة.

---

(١) الموسوعة الشربصية، الشرباصي، ٥/٣٣٩.

(٢) الترمذي، عارضة الأحوذي بشرح الترمذي - أبواب تفسير القرآن - سورة النور، ١١/٤٢.

(٣) مسلم: كتاب الذكر، باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل، حديث ٧٢. ٤/٢٠٨٧، الترمذي، عارضة الأحوذي، كتاب الدعاء، سؤال الله الهدى والتقى والعفاف والغنى، ١٣/٢٦، ابن ماجه، كتاب الدعاء، باب دعاء رسول الله ﷺ، ٢/١٢٦٠، مسند الإمام أحمد، ١/٤٠٠، ٤٣٧.

(٤) الترمذي، العارضة، كتاب الدعاء، دعاؤه إذا كان عند أم سلمة، ١٣٠/٤٨، ابن ماجة، كتاب الدعاء، باب دعاء رسول الله ﷺ، ٢/١٢٠٠، المسند، ٣/١١٢، ٢٥٧، ٤/١٨٢.

لا تسمعي لتلك الدعاوى الكاذبة التي تقول إن الحياء جبن، والستر تشدد وإخفاء للعيوب، والعفة كمن يشرب الماء المالح فلا يرتوي منه «لقد شاع في وقت من الأوقات أن النظرة المباحة، والحديث الطليق، والاختلاط الميسور، والدعابة المرحة بين الجنسين، والاطلاع على مواضع الفتنة المخبوءة شاع أن كل هذا تنفيس وترويح، وإطلاق للرغبات الحبيسة، ووقاية من الكبت، ومن العقد النفسية، وتخفيف من حدة الضغط الجنسي، وما وراءه من اندفاع غير مأمون. شاع هذا على أثر بعض النظريات المادية القائمة على تجريد الإنسان من خصائصه التي تفرقه من الحيوان، والرجوع به إلى القاعدة الحيوانية الغارقة في الطين! وبخاصة نظرية فرُويْد. رأيت بعيني في أشد البلاد إباحية وتفلتاً من جميع القيود الاجتماعية والأخلاقية والدينية والإنسانية ما يكذبها وينقضها من الأساس. نعم! شاهدت في البلدان التي ليس فيها قيد واحد على الكشف الجسدي والاختلاط الجنسي، بكل صوره وأشكاله أن هذا لم ينته بتهذيب الدوافع الجنسية وترويضها! إنما انتهى إلى سُعار مجنون لا يرتوي ولا يهدأ إلا ريثما يعود إلى الظمأ والاندفاع»[1].

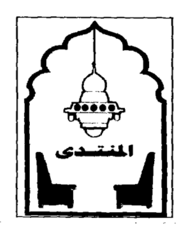
محاولة تطبيق العفة - الحياء - الستر وفرضه على الواقع بغضٍّ البصر؛ لأن غض البصر يوجِدُ في القلب حلاوة ولذة، وبستر العورات والبعد عن مثيرات الفتنة ودواعيها من غناء وكشف للعورات وخضوع في القول مع الرجال، وبتعويد الصغار على الحشمة والتستر وغض البصر عما حرمه الله، ولا نكذب على أنفسنا مدعين بحجج واهية كالقول: إن طفلتي لا زالت صغيرة ولا داعي أن اتعبها وهي في هذا السن.

على الداعيات إلى الله أن يكثرن من الحديث في مثل هذه الموضوعات وفروعها، وكيف عالج القرآن والسنة هذا الباب. عن أبي أمامة قال: إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! ائذن لي بالزنا! فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مَهْ، فقال: ادنُهْ فدنا قريباً، فجلس. قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا، والله! جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أتحبه لابنتك؟ قال: لا؛ والله! يا رسول الله! جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم. قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا؛ والله! جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أتحبه لخالتك؟ قال: لا، والله! جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم. قال: فرفع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهِّر قلبه، وحصِّن فرجه. فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء»[2].

ولا تنسي أختي الداعية أن الإنسان لا بد أن يمر في ساعات غفلة يحتاج إلى من يذكِّره، وهنا يأتي دورك في التذكير وإيجاد الحلول، وذكر القصص المؤثرة ودور الصحبة في ذلك، وتعويد المدعوات على أطيب الأخلاق ومشاركتهن حتى تكون الداعية قريبة إلى النفوس.

---

(١) أمريكا من الداخل، سيد قطب، صلاح الخالدي، ص ١٧٤.
(٢) مسند الإمام أحمد، ٥/٢٥٦.



هم العدو

عبدالله التميمي

سألتُ أحد العامة في معرض حديثنا عن فتن هـذا الزمـان: هل يوجد منافقون في هـذا العصر؟ فأجـاب بأنـه لا يوجد، بل كانوا في عهد النبي ﷺ، ثم ذهبوا بذهابه! فقلت: وما يدريك؟ فقال: إنا لا نسمع الآن عنهم شيئاً.

إن هذا النمـوذج الذي يمثل جزءاً من عـامة الناس يتـرك أمراً مـهماً غـاية الأهميـة، ويغفل عـن قضيـة من أخطر القضايا. فـهو ينام في أحضان عدوه ويظنه أمه، ويطعنـه العدو من خلفه ويظنه أخاه يمازحه، ويعتـقد أنه لا يوجد منافقون. ولا غرابة! فإنه قلَّما يسمع عن المنافقين في مجتمعاتنا وعن أساليبهم ـ هذا إن سمُّوا منافقين ـ فهو إن سمع يسمع أخباراً عن العلمانيين أو الحداثيين أو غيرهم دون أن يدرك أن هؤلاء هم المنافقون.

لقد حذر الله في كتابه العـزيز أفضل خلقه وأتقاهم وأعلمهم حذَّره من المنافقين وأخبره بأنهم هم الأعـداء الحقيقيون، فقد قـال ـ تعالى ـ: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤] يقول الشـيـخ السعدي ـ رحـمه الله ـ: «فهؤلاء هم العـدو على الحقيقة؛ لأن العـدو البارز المتميز أهون من الـعدو الذي لا يُشعَر به، وهو مخـادع ماكر، يزعم أنه وليٌ وهو العدو المبين» [تفسير السعدي، ص ٨٠١] فالمنافقون هم الخطر الأكبر على الأمة؛ إذ إنهم يكونون في وسط الصف يدسُّـون فيـه السـم، وينفثون فيـه نـار الفتنـة دون أن يشـعـر بهـم أحـد؛ ولأن طبيعتـهـم الخـوف والذعـر فإنهـم لا يستطيعون مواجهة المجتمع بشكل مباشـر وبارز، بل يعتمدون على المكر والخديعة وإشعال نار الفتنة بين الثلة المؤمنة حتى يزعـزعوا قوتهم وهيمنتـهم فيعتلُوا بعـد ذلك ويتولوا المناصب، وهم لا يستطيـعـون أن يواجهوا الإسـلام بشكل عام والصحوة بشكل خاص مواجهة رجل لرجل، بل دائمـاً يحاولون أن يتخفـوا حتى إذا وجدوا أهل الصحوة قـد غفلوا عنهم خرجوا وأفسدوا ما يستطيعون ثم يرجعون عندما يسمعون صيحة المنذر: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون: ٤].

فهم كـالفئران تمامـاً، تجدهم في جحـورهم ما دام الناس موجـودين وأهل الصحوة منتـبهين؛ فإذا ذهبـوا وغفلوا أخـرجت الفئـران أنوفهـا المنتنة ورؤوسـهـا الخـاوية لتتـحسس: هل هناك مـن أحد؟ هل هناك من دعـاة يقفـون لهم بالمرصاد؟ فـإذا شعرت بأمان المكان وخلو السـاحة خرجت فأفسـدت ما تستطيع، وبثت سـمومها في كل مكان تـسير عليه، ثم سرعان ما تعود إلى جحورها خاسئة عندما يرجع الناس ويفيق الدعاة لهم ولمكرهم.

والمجتمع يـكره المنافقين ويعاديهم؛ لأن الله كرههم وذكـر نصوصاً كثـيرة في سبِّهم وفـضحهم وتبيين أخـلاقهم السيئة وأعمالهم المفسدة، لذلك تجد المجتمع يحذِّر منهم غاية الحذر ويقابلهم بالشـدة كما حدث مع عمر ـ رضي الله عنه ـ في أكثر من حادثة (دعني أضرب عنق هذا المنافق) وغيره من الصحابة كخالد وسعد وغيرهم.

فما أن يسمع المجتمع كلمة منافق حتى تجـده يكره ويعادي ويحذر من نُعتَ بهذه الصفة ـ أعاذنا الله وإياكم من النفاق وأهله ـ أما إذا سمع عن العلـمانيين أو غيرهم فتجده لا يكرههم ولا يعـاديهم مثل كـرهـه وعـداوتـه للمنافقين لا لشيء إلا لأنه لم يطلق عليـهم لقب المنافـقين، وتجد أن عـامة الناس لا يـدركون أن هؤلاء العلمـانيين وغيـرهم هم المنافقون وهم المفسدون أحفاد عبد الله بن أبيٍّ بن سلول وغيره ممن سار على نهجه.

لذلك فإني أتوجه إلى العلماء والدعاة وطلبة العلم أن يحذِّروا الناس من النفاق وأهله، ويبينوا للناس أساليبهم كما كان نهج القرآن مع رسـول الله ﷺ، وأن يسموا العلمانيين والحـداثيين وغيرهم ممن سار على شاكلتـهم بالمنافقين ـ مع الأخذ بالاعتبار عدم إطلاقها على المعيَّن ـ حتى يتلقاهم المجـتمع بحزم وحذر أكثر، ويكرههم غاية الكراهية، وعندما يقرأ المسلم مواقفهم في سورة آل عمران أو النساء أو الأنفال أو التوبة أو الحشر أو المنافقون أو غيرها يُنزِل هذه الآيات على الواقع ويدرك خطورة الأمر وبذلك يكسب أهلُ الصحوةِ المجتمعَ تلك القوةَ الضاربة في مواجهة أولئك الفئران (المنافقين) دون تعب أو عقد محاضرات وكتابة مقالات؛ إذ المجتمع جاهز لمعاداة هؤلاء ومحاربتهم ما داموا منافقين.

أسأل الله أن يكفي المسلمين شر المنافقين، وأن يفضحهم بين العالمين، وأن يرد كيدهم في نحورهم ويريح المسلمين منهم.

دعي الناس!

خالد بن محمد المنصور

دعي الناسَ تستلهمُ الأنكدا ... من التيه، واستقبلي المسجدا
دعيهم على سكرات الهيام ... إلى من أزاحوا الدنا هجَّدا
سرى الناسُ بالناس في كل صوب ... ولم يحسموا في السرى مقصدا
ولستِ وإن جرّعوك الأماني ... وإن حببوا الزاد والموردا
تحابين غيرَ البشيرِ المفدّى ... إمامِ الهدى للورى أحمدا
ولا تجزعي يا نصير المآسي ... فما آفة السيف أن يغمدا
وفارسه اليوم أضحى وحيداً ... يبارز أعداءه أوحدا!
فلا المغرياتُ تكف أذاها ... ولا العاصماتُ تمدُ يدا
ينادي: النجادَ النجادَ، ولكن ... تلاشى ولم يستجيبوا الندا
ينامون - والعار ملءُ المآقي - ... وقد أفسد البغي ما أفسدا
عبيداً تواروا عن الفاجعات ... وذا يستطيب الردى سيدا
هو الباتر المستزيد سعاراً ... بإغماده النار لن تخمدا
هو الفارس المستعيد حنيناً ... لتلك الفتوحات لو جددا
به أمل أن يرى الصبح يأتي ... قريباً غدا يرقب الموعدا
وأن تبعث الأرض فرسان ثأرٍ ... وأسيافه الحمرَ كي تعضدا
فلا غائر منك إلا تسامى ... ولا شارد عنك إلا اهتدى

على أطلال المجد

صلاح بن عبد الله بن هندي

على المذلة غنّى اليوم حادينا ... «لم يبق شيءٌ من الدنيا بأيدينا»[(١)]
بالأمس كُنَّا ملوك الأرض قاطبةً ... لم نعرف الذُّلَّ حتى ذلّ شانينا
نسعى إلى المجد لا نرضى به بدلاً ... فلا الخطوبُ عن الأمجاد تُثنينا
نسابق الريح بالأجياد نركبها ... إذا تقهقر علجٌ من أعادينا
ونُرخِصُ الروح يوم الروع في جذل ... نيلُ الشهادةِ من أسمى أمانينا
الله أكبر في أسماعنا نغمٌ ... نهفو إليه على شوقٍ مُلبِّينا
إذا تلألأ نجمُ الليل تبصرنا ... نرتل الذكر أو نخلو مصلينا
نعم عشقنا ولكن عشق حنظلة الـ ... غسيل لا عشق قيس وابن زيدونا
إن هام قومٌ بأنغام موقَّعة ... نهيمُ نحن بـ (طه) أو بـ (ياسينا)
لقد بكينا على أطلال عزتنا ... ما نَذْكُرُ المجدَ إلا في مراثينا
فليت شعري! هل جَفَّتْ منابعنا ... أم أننا اليوم لا نهفو لماضينا؟

---

(١) شطر البيت لشاعر النيل : حافظ إبراهيم، من قصيدته «حسرة على فائت».

أعراض قساوة القلوب واسودادها

عمر الرماش

إن مرض قساوة القلوب له أعراض ومظاهر كثيرة، ولعل أهمها شعور الإنسان بقسوة قلبه وخشونته حتى ليحس أن قلبه قد انقلب حجراً صلداً لا يتأثر بشيء ولا يرق لشيء، وليس في قولنا هذا مبالغة ولا تهويل؛ فقد اثبت القرآن الكريم أن القلب يقسو حتى يصبح كالحجارة أو أشد. يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤].

وفيما يلي بعض أهم أعراض الصدأ ومظاهره أو الضعف اللذين يصيبان القلوب:

- انحباس الطبع وضيق الصدر والتضجر من لا شيء، والشعور بالقلق والضيق بالناس، وعدم المبالاة بما يصيبهم من نكبات ومصائب، بل والشعور بكرههم.
- عدم التأثر بآيات القرآن الكريم، ولا بوعيده وتخويفه، ولا في طلبه ونهيه، ولا في وصفه ليوم القيامة وأهواله الكثيرة والمخيفة.
- عدم التأثر بحوادث الحياة ومصائبها ولا اعتبار الدروس والعبر واستخلاصها كالمرض والموت والآيات الكونية والزلازل والفيضانات .
- الشغف بملذات الدنيا وشهواتها وحظوظها: كالمال والجاه والمنصب والسكن واللباس، والإحساس بالألم والحسد والكراهية عند رؤية الآخرين ينعمون بشهوات الدنيا المتعددة والمتنوعة.
- الشعور بظلمة الروح التي تنعكس على الوجه والتي لا يحس بها إلا أصحاب الفراسة الإيمانية.
- إتيان المعاصي والذنوب صغيرها وكبيرها، وعدم الإسراع بالتوبة والندم والإقلاع عن الذنب والقيام بالأعمال الصالحة والنافعة.
- التكاسل عن القيام بأعمال الخير والإحسان وبالواجبات الدينية كالصلاة وأدائها في أوقاتها مع الجماعة بالمسجد مصداقاً لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢].
- عدم تعظيم الله والخوف منه، وعدم ذكره باللسان والجوارح، وهجر القرآن الكريم والسنة النبوية.

المعلم

ناجي صالح علوي

صغها من النور البهي حروفا — واختر أعاجيب الزهور قطوفا

أمعلمَ الأجيال جوهر عيشهم — ما زلتُ فيك محيَّراً مشغوفا

فلأنت أكرم من يُجَلُّ مقامه — ولأنت سر المعجزات صنوفا

أنت الحضارة والسعادة والوفا — أنت الحياة بجمعها موصوفا

أنت الطبيب وأنت جندي الحمى — أنت المرابط في الحدود وقوفا

فانهض بجيلك للعلا نحو السما — كن مخلصاً وأباً نراه رؤوفا

إن المعلم فكر أمته فإن — أعماه أعمى بالمئات ألوفا

ولئن مضى سبل السلام لشعبه — يبني الوفاء ويصنع المعروفا

يا أيها المتجاهلون لفضله — مهلاً فقد أخطأتم التصنيفا

هو شمس ليلكم المضيئة في الدجى — جعل الطريق بنوره مكشوفا

فالعلم كم أرسى بناءاً شاهقاً — قد كان يوماً ساقطاً منسوفا

والفضل للرحمن ثم معلم — أجلى الظلام وبصَّر المكفوفا

ذاك الذي بات الليالي ساهراً — يعطيك زهر حياته مقطوفا

أصلي وفصلي

أحمد بن مسفر بن معجب

كثيرٌ من الأمم والقبائل والشعوب تفتخرُ بأنسابها وأحسابها وتتباهى بأجدادها، ويعدُّون ذلك شرفاً لرفعتهم وفخراً سمَا بهم. ولا ضير في أن يتعلم المسلمُ نَسَبَهُ ليكون عوناً له على صلة رحمه، وقد ثبت أنَّ رسول الله ﷺ قال: «تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم؛ فإنَّ صلة الرحم محبةٌ في الأهل، مثراةٌ في المال، منسأةٌ في الأثر»(١).

فالأصل واحد، والنفوس متشابهة:

النَّاس من جهة التمثيل أكفاءُ	أبوهمُ آدمُ والأمُّ حَوَاءُ
نفسٌ كنفس وأرواحٌ مُشاكَلةٌ	وأعظُمٌ خُلقت فيهم وأعضاءُ
فإن يكن لهم من أصلهم حسبٌ	يُفاخرون به فالطين والماءُ

والمسلم الحصيف يستطيع أن يجعل من الأنساب مدرسةً يتعلم منها النافع:

– يتعلم من نسبه ما يصلُ به رحمه كما في الحديث المتقدِّم.

– يجعل من نسبه مجالاً للتعارف والتعاون امتثالاً لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

– يعلم علم اليقين أنَّ نسب العبد يوم القيامة عند الله لا يُساوي شيئاً: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧] فبلال وسلمان وصُهيب ـ رضي الله عنهم ـ أكرم عند الله من أبي جهل وأمية بن خلف وشيبة وربيعة!

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

«كل نَسَبٍ وصِهرٍ ينقطع يوم القيامة إلا نسبي وصهري»(٢).

روت عبدة بنت خالد بن مَعْدان الحمصي(٣) ـ رحمه الله تعالى ـ: «قلّما كان خالد يأوي إلى فراش مقيله إلا وهو يذكر شوقه إلى رسول الله ﷺ، وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار ثم يُسَمِّيهم ويقول: هم أصلي وفصلي، وإليهم يحنُّ قلبي، طال شوقي إليهم، فعجِّل رب قبضي إليك، حتى يغلبه النوم وهو في بعض ذلك»(٤).

هل يعي معلمو أبنائنا هذه المعاني فيغرسوا في نفوس النشء حب رسول الله ﷺ، وحب صحابته ـ رضي الله عنهم ـ ويعملوا بسنته وسنة خلفائه الراشدين المهديين؟

ورحم الله «ابن الوردي» القائل:

لا تقُلْ أصلي وفصلي أبداً ... إنَّما أصلُ الفتى ما قد حَصَلْ

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم.

---

(١) حديث صحيح: صحيح الجامع الصغير وزيادته، ١/٥٧٠.

(٢) حديث صحيح: صحيح الجامع الصغير وزيادته، ٢/٨٣٨.

(٣) تابعي، ثقة، اشتهر بالعبادة، أصله من اليمن، وإقامته بحمص، توفي عام (١٠٤هـ).

(٤) تهذيب الكمال، ٨/١٧١، وحلية الأولياء، ٥/٢١٠.

أطروحة شريد

علي بن حسن بن علي الرديني

ناء عن الأنظار أقلقه السهر ... وبريق طلعته تضاءل في السحر
ولمحت في عينيه أعماق الأسى ... وبراءة النظرات بالغة الأثر
فتحركت فيه الحياة متمتماً ... ومردداً نفساً طويلاً واكفهر
ويقول حزني في الوجود على السوا ... غاب السرور عن المحيا أو حضر
أنا أشتكي جرحاً بليغاً في الحشا ... وجراح قلبي بات رسماً في النظر
سالت جراحي والسهام تغلغلت ... نحو الفؤاد تريد أسرار المقر
فطُعِنتُ في لُبِّ الفؤاد بطعنة ... ما زال يتلوها الزمان على البشر
أنا بالجراح أمد كل قريحة ... قامت تنادي أن خطباً قد حضر
أنا بالجراح أصيح في قومي فلا ... صوت يرد ولا مجيب ينتظر
أنا بالجراح أدور في قومي فلا ... صوت يرد سوى جريح يحتضر
أنا بالجراح أدين ذئباً قد عدا ... أنا بالجراح أدق ناقوس الخطر
أنا قد مللت الصمت يطبق مرعباً ... فلفرط وجدي صرت أهْذي: ما الخبر؟
الأنني ناء وبيتي قد هوى ... وديار أهلي قد تقاسمها الضرر؟
يا قومنا عذراً فإن سلب العدا ... مني الكلام فنبض قلبي ما استقر
أنا بالحياة ونبض قلبي قد أرى ... أملاً بفجر لاح في خلدي ومر
إن البلاء وإن تقادم في دمي ... ودهي بلادي لن يطول به المقر

ردود

* الأخ: حمود أحمد الحمود: أرسل ملاحظة حول نشر مقال: الرد على الرفاعي، للشيخ صالح الفوزان. والمأخذ الذي يذكره أن المقال نشر في مطبوعة أخرى تحت عنوان آخر، ويقول: إن هذا مخالف لما هو متعارف عليه في قواعد النشر، ونشكر الأخ على هذه الملاحظة، ونفيده بأن المقال جاءنا من قِبَل الشيخ صالح الفوزان، ولم نعلم بنشره في مكان آخر، وجزاكم الله خيراً.

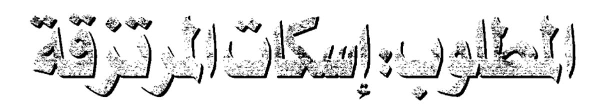
* الأخ: عبد الباري أحمد العطار: مقالتك: «حول مفحص التاريخ» أجيزت للنشر؛ أما المقالة الأخرى فغير مجازة.

* الإخوة والأخوات: محمد جلال، محمد مهاوش الظفيري، علي جبريل أمين، سلطان عبد الله الشهري، أسيد عبد الرحمن الأثيري، سالم الرزيق، أمل القصيمي: نشكر لكم تواصلكم الكريم مع المجلة، ونفيدكم بأن مشاركاتكم مجازة للنشر.

* الإخوة والأخوات: جابر بن راشد الفهيد، عبد الحميد بن مسفر الغامدي، فهد علي العبودي، علي بن محمد الزنيدي، سعود الصاعدي، عبد الوهاب حسين الأمير، محمد العشري، خالد ابن أحمد الشاجري، سهيلة بنت محمد: وصلتنا مشاركاتكم، وسوف تعدُّ للنشر في المنتدى بمشيئة الله تعالى.

* الإخوة والأخوات: د. عبد المنعم علي السيد، عبد الله بن عواض الألمعي، جمعية دار الأرقم، عبد الله بن راضي المعيدي، عبد الله الحميدي، أبو عبد الله الرحابي، العنود بنت عبد الله، محمد الباشا، عبد الكريم عايد الشمري، حسن سالم عبد الله، عبد العزيز الصالح، منصور الزعيبي، طلال الراجح المالكي، عمر الرماش: سعدنا بتواصلكم الكريم ونتمنى دوام التواصل، مع تمنياتنا بالتوفيق في مرات قادمة.





د. محمد البشر(*)

الأمة تشقى أو تسعد بكُتَّابها.. والأقلام الناصحة التي تهتم بالقضايا لا الأشخاص لا تكتب لتقتات من مداد القلم.. بل إن الفكرة لتعتلج في صدر صاحبها حتى تخرج من بين أضلعه صادقة، ناصحة، ناضجة، سوية، تحمل رسالة وترمي إلى غاية، وعندئذ يكون صاحبها أبعد من أن يوصف بالمرتزق، أو المتسلق، أو السمسار الذي يمتطي صهوة القلم ليثير به نقع التبعية في مزاد الفكر والمساومة على القيم والمبادئ.

وإن مما يشي ببوادر إفلاس النخب العربية ـ وبخاصة في كتاباتها الصحفية ـ اهتمامها بالكتابة عن «الذوات» وتهميشها لـ «القضايا» حباً في الحضور والتقرب والارتزاق، وطَفَتْ على صفحات الرأي وأعمدة الصحف «الكلمة المنافقة بكل تفسخها.. المداهنة المداجية.. المادحة الغاشة بكل عفنها، وأرغمت أقلامها على الولوغ في المداد القذر.. وجرت ألسنتها إلى الوقوع في «شرنقة المناسبات والتزلف والمدح المستدعي لحشو التراب».

فمن هؤلاء الكتبة من هو مرتزق بالأصالة، ومنهم المرتزق بالاحتراف، وأعلاهم مرتبة في هذا السياق الذميم من جمع بين السوأتين، أما الأول فسوأته جِبِلَّةٌ فُطِر عليها، وهم قلة ميئوس منهم، وأما الآخر فسواده الأكثر، وأثره الأخطر؛ ذلك أنهم يخادعون الأمة بهيئاتهم، أو بألقابهم، أو بمناصبهم، أو بغير ذلك أو بجميعه.

(*) أستاذ في قسم الإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

ومكمن الداء ـ عندما يرتفع صرير الأقلام وينتثر مدادها للكتابة عن « الذوات » في المجتمع ـ أن تَغِيب أو تُغَيَّب الأولويات .. وتُهمَّش القضايا الجادة؛ إذ الصحافة ليست منبراً للسِّيَر الشخصية التي تأتي في غير سياقها الصحيح، أو بما ينعكس على قضية تهمُّ فئة أو شريحة في المجتمع. ومن شأن ذلك أيضاً أن يفقد الرأي العام ثقته ومصداقيته في مجهودٍ كان ينبغي أن يستثمر لبناء فكر، أو تشييد حضارة، أو تقويم واقع.

ليس ذلك تعميماً يصدر على إطلاقه؛ فهناك الكثير من الأقلام الجادة والرصينة التي تشرق بالأمل وتبعث الطمأنينة، ولكننا لا نريد أن يتسلل إلى مجموعها من يخرم القاعدة أو ينحرف عن المسير. وإنما يقال ذلك ـ ومثله معه ـ ابتغاء الارتقاء بالمهنة، والمحافظة على التصور السليم للأشياء.

إنها دعوة للقيِّمين على الصحف العربية ـ وهي مرآة الأمة ـ ألاَّ تدع أبوابها مُشْرَعة لتسوُّل النخب، وتوظيف أقلامها لبناء الذوات، أو المتاجرة بالفكر على حساب القضايا، فللصحافة رسالتها، وللتسول أبوابه.

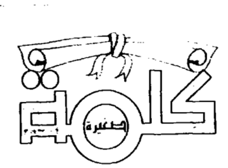
بسم الله الرحمن الرحيم

AL BAYAN MAGAZINE
7 Bridges Place, Parsons Green
London SW6 4HW, U.K.
Tel : 0171 - 736 9060
Fax : 0171 - 736 4255

الأسعار

الأردن ٥٠ قرشًا، الإمارات العربية ٨ دراهم، أوروبا وأمريكا ١,٥ جنيه إسترليني أو ما يعادلها، البحرين ٦٠٠ فلس، اليمن ٦٠ ريالاً، مصر ٢ جنيه، السعودية ٨ ريالات، الكويت ٦٠٠ فلس، المغرب ١٠ دراهم، قطر ٨ ريالات، السودان ٥٠ دينارًا، سلطنة عمان ٦٠٠ بيزة.

EUROPE & AMERICA 1.5
(STERLING OR EQUIVALENT)



مفتي في الرئاسة!

تستحق واقعة تعيين مفتي الشيشان السابق أحمد قادروف في رئاسة الجمهورية الشيشانية أكثر من وقفة تأمل لاستخلاص العبر والدروس.

فالرجل عيَّنه بوتين والكرملين بعد المذابح والخراب الذي أحدثوه بمسلمي الشيشان، فماذا ينتظر من ذلك الرئيس الجديد: هل سيسير سيرة أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - أم أنه سينفذ ما يفتي به بوتين ويشرعه الكرملين؟! ولماذا أُتي به رغم علمانية الدولة ونصرانية حكامها؟ لا شك أن أسياد الكرملين ما أتوا به إلا لأنه أصلح من يساعدهم على تنفيذ مخططاتهم في هذه البلاد. وهنا تظهر انتهازية العلمانيين بكل وضوح: فهم رغم فصلهم الحاد بين الدين والسياسة لا يمانعون في استغلال (رجال الدين) مطية لصالح هذه السياسة، وهو ما يحدث في بلاد أخرى كثيرة، فيكون الهدف هو أن يصبح الدين خادماً للسياسة مع رفضهم القاطع لعكس ذلك!

وهم في هذه الخطوة يرومون إعطاء شرعية شعبية لما يقومون به بوضع واجهة دينية لسلطتهم في الشيشان، وأيضاً إحداث انقسام بين قطاعات الشعب الشيشاني الذي يرى أحد أصحاب العمائم متعاوناً مع الشيوعيين السابقين، وربما يصل الانقسام إلى فصائل المجاهدين أنفسهم، هكذا يأمل حكام موسكو.

وإذا كان سماحة المفتي! لم ينتبه إلى الحكم الشرعي للدخول في ولاية الكفار والمساعدة على تثبيت حكمهم في بلاد المسلمين فإنه لم ينتبه أيضاً إلى أنهم سوف يلقون به ويأتون بآخر في أقرب فرصة بعدما يستنفد أغراضه ويرون أن المطية قد بليت وآن أوان التخلص منها، وحينها سيلقونه في مزبلة التاريخ. نسأل الله العافية!

• العدد ١٥٣ • جمادى الأولى ١٤٢١هـ/ أغسطس ٢٠٠٠م

مكاتب المنتدى الإسلامي ومجلة البيان

م	الدولة	المدينة	ص. ب.	الهاتف	الفاكس
١	بريطانيا	لندن	ــــ	٧٣١٨١٤٥	٧٣٦٤٢٥٥
٢	السعودية	الرياض	٢٦٩٧٠	٤٦٤١٢٢٢	٤٦٤١٤٤٦
٣	البحرين	المحرَّق	٥٠١٦٣	٣٣٥٣٠٠	٣٣٦٣٠٠
٤	قطر	الدوحة	١٦٤٦٤	٣٥٢٢٨٢	٣٥٢٢٩٢
٥	كينيا	نيروبي	٧٧٨٠٢	٣٥٠٥٢٦	٥٠٠٠١٥
٦	غانا	أكرا	٢٠	٢٣٥٧٦٦	٢٣٥٧٦٧
٧	بنغلاديش	دكا	١٢٠٧	٩٨٠٢٠١٥	٩٨٠٣٠٠٥
٨	السودان	بور تسودان	٦٩٥	٢٢٥٣٣	٢٢٥٣٣
٩	مالي	باماكو	E٢٠٣	٢٢٣٢٠٣٩٠٩	٢٢٣٢٠٣٩٠٩
١٠	جيبوتي/الصومال	جيبوتي	٣٢٨٠	٣٤١١١٣	٣٤١١١٣
١١	تشاد	أنجمينا	١٧٨٩	٥١٨٥٩١	٥١٨٥٩٠
١٢	توجو	لومي	١٠٧٤	٢٦١٦١١	٢٦١٦١١
١٣	نيجيريا	كانو	٢٦٣٥	٦٣٧١٩٠	٦٣٧١٨٠
١٤	بينين	كوتونو	٠٣ـ٤١٩٣	٣٠٣٩١٩	٣٠٣٩١٩

الحسابات

- السعودية: شركة الراجحي المصرفية للاستثمار فرع الربوة شارع الأربعين حساب مجلة البيان رقم ٢١٠٠/٧
- مصرف فيصل الإسلامي حساب رقم: ٠٠٢- ٤٥١٤-٤٢-١٠٩
- الشركة الإسلامية للاستثمار الخليجي حساب رقم ٦٣٤٩٢٤
- الإمارات - بنك دبي الإسلامي (فرع دبي) رقم الحساب ٥٥٤٦٥٢٤
- قطر: مصرف قطر الإسلامي حساب رقم:٨٧٨٨٥٥ زكاة ٨٧٨٣٨٣ صدقات حساب مجلة البيان: بنك قطر الدولي الإسلامي رقم: ٢٤٢٠٧٠٠٧١

AL MUNTADA AL ISLAMI EDUCATIONAL TRUST
National WestMinister Bank PLC Fulham Branch
45 Fulham Broadway London SW6 1AG
Sorting Code No. 60-22-16
A/C NO: 44348452

بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهًا استرلينيًا
أوروبا	٢٠ جنيهًا استرلينيًا
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهًا استرلينيًا
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهًا استرلينيًا
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهًا استرلينيًا

في هـ

المراسلات والإعلانات

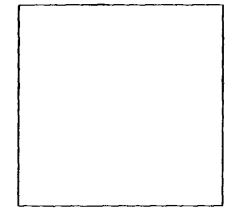
الدول العربية : البحرين: المحرَّق مكتب دار البيان ، ص.ب ٥٠١٦٣ - هاتف٣٣٥٣٠٠ - فاكس ٣٣٦٣٠٠- السعودية : مكتب مجلة البيان - ص.ب ٢٦٩٧٠- الرياض : ١١٤٩٦- هاتف ٤٦٤١٢٢٢ - فاكس ٤٦٤١٤٤٦
البريد الإلكتروني: bayan@naseej.com.sa
أوروبا وأمريكا :
AL BAYAN MAGAZINE 7 Bridges Place, Parsons Green London SW6 4HW, U.K. Tel : 071 - 736 9060
Fax : 071 - 736 4255

ـــذا العـــدد

المـــوزعـــون

الأردن : الشركة الأردنية للتوزيع ، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١ ، ٦٣٥١٥٣ ، فاكس ٦٣٥١٥٢
الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان : شركة الإمارات للطباعة والنشر ، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف ٦٢٣٩٢٠ ، فاكس ٦٦٣٧٦٨
قطـــر : دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة هاتف ٦٦٢٤٤٤ ، فاكس ٦٦٢٤٥٠
مصـــر : القاهرة – ش الجلاء – الأهرام للتوزيع ، هاتف وفاكس ٥٧٤٧٠٢٣ .
المغرب : سوشيرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن أحمد ص.ب ١٣٦٨٣ ، هاتف ٥٤/٢٤٥٧٤٥
السعودية : مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦ ، الرياض ١١٥٥٧ ، هاتف ٤٦٤٦٦٨٨ ، فاكس ٤٦٤٢٩١٩، الشركة الوطنية هاتف ٤٧٨٢٠٠٠، فاكس ٤٧٨٤٣٣٣ .
اليمـــن : مكتبة دار القدس ، صنعاء : ص.ب ٣٦٠٠ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة ، هاتف ٢٠٦٤٦٧
السودان : دار اقرأ للنشر والتوزيع ، الخرطوم : ص.ب ٨٨ براري.

الكويت : درة الكويت للتوزيع، ص.ب ٢٩١٢٦، الصفاة هاتف ٤٧٢٤٦٦٦، فاكس٤٧٢٤٥٥٥.
البحرين : مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف – المنامة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ – ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.
أمريكا: International Media Group
Ann Arbor, MI 48107 U.S.A.- P.O. Box 7560
Tel. 734-975-1115 Fax. 734-975-9997



حقيقة الروائي أمثلة
وحرية الفكر المزعومة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

. فإنه من الملاحظ في السنوات الأخيرة ظهور أعمال أدبية ـ وبخاصة في فن الرواية والقصص ـ قام مؤلفوها بتضمينها فكرهم المادي وتوجهاتهم الشعوبية في قوالب لا تخلو من المشاهد الإباحية، ويزيد الطين بلة أن يأتي هذا النسق الرديء في كثير من الأحيان محتوياً التهجم على الإسلام وقيمه وأخلاقياته ورموزه؛ فمن «آيات شيطانية» لسلمان رشدي إلى «مسافة في عقل رجل» لوحيد حامد، وأخيراً إلى «وليمة لأعشاب البحر» للمدعو حيدر حيدر، وقد أثارت هذه الروايات الساقطة ردود أفعال شديدة من الرأي العام المسلم تمثَّلَ في نقدها والدعوة لمصادرتها... إلى غير ذلك مما جعل كُتَّابها محل سخط الشعوب المسلمة ومقتها.

ولم يتخذ أي إجراء صارم حيال تلك التجاوزات بدعوى أنها أعمال إبداعية فنية؛ ولذلك توالت أمثال تلك الأعمال المسفة، بل تجرأ بعضهم على إعادة نشر روايات مصادرة رسمياً كما فعلت مجلة (القاهرة) من نشر فصول من رواية (أولاد حارتنا) لنجيب محفوظ، وما قام به المشرف الثقافي لصحيفة الجمهورية اليمنية في تعز من نشر رواية (صنعاء مدينة مفتوحة) للروائي الشيوعي اليمني الهالك «محمد عبد الولي» والتي سماها أحدهم: «وليمة يمنية صغيرة» لمجيئها بعد تداعيات ومتابعات رواية حيدر حيدر [انظر: جريدة الحياة، الصادرة في ١٤/٣/١٤٢١هـ].

والسؤال الذي يطرح نفسه: ما الذي يدفع بعض الكتاب والقصاصين إلى مهاجمة الإسلام

والسخرية من تعاليمه في أعمالهم الأدبية في دول إسلامية تدين بالإسلام، وتحتوي دساتيرها على معاقبة كل من يتهجم على دين الأمة؟ لا شك في أن دافعهم في استمرائهم هذا العبث هو عدم معاقبة من يقوم بمثله بما يستحقه، وكذلك ما استقرَّ في أذهانهم من أن الحرية للأديب مكفولة ليقول ما يقول؛ وهذه مقولة خاطئة وتصور منحرف للحرية؛ فالحرية ينبغي أن تمارس لكن ليس على حساب المبادئ والقيم؛ ولذا يلزم مصادرة حرية الأديب متى انحرف وضل ليبقى للمجتمع توازنه واستقامته؛ فانضباط الفرد ضمان لحريته وصون لكرامته، وهذا ليس مصادرة للحرية بقدر ما هو تهذيب للحرية وتسديد لطريقها(١).

لكننا نفاجأ أن هذه الدساتير والقائمين عليها يقفون بغير مبالاة أمام هذه الأعمال، ويصمتون صمت القبور حيال تلك المخالفات بالدعوى ذاتها أن الحرية في هذه الدساتير مكفولة للجميع؛ بينما لو تجرأ كاتب أو قاصٍ سواء في مقالة أو قصة أو رواية بالإساءة للنظام القائم والحط منه أو حتى الإساءة لحكومة صديقة للنظام حينها يستيقظون من نومهم ويعلنون الطوارئ، وتصدر الأحكام بالإيقاف والسجن والمساءلة والمصادرة لتجاوز نظام المطبوعات!!

فهل أصبح الإسلام وتعاليمه وقيمه وحريته في مرتبة دنيا حينما يُمَسُّ، ويصبح للنظام الموضوع وواضعيه مكانة يجب ألا تمس؟ فأين الثرى من الثريا؟!

بل أين الغيرة لله ولدينه ولرسوله وللمؤمنين؟ وأين الغضب لله الذي هو عنوان الإيمان حينما يساء للإسلام وقيمه ورموزه في مثل تلك الأعمال المشبوهة؟

إن الإعلام العربي في جل الدول العربية علماني الاتجاه يسوسه نفر من متطرفي العلمانية الذين يذهبون مذهب الآداب الأجنبية شرقية أو غربية، ويسير على إثرهم المستغربون من العلمانيين والشعوبيين الذين يتبنون الدعوة لتحرير الأدب من الطابع الأخلاقي ودفعه إلى تصوير الغرائز والأهواء باسم حرية الأدب المعروفة بـ (الفن للفن)، والتي أنشأت صراعاً مريراً بين الدين والفن؛ ومردُّ ذلك اعتبارهم الفنَّ نوعاً من التعبير مقطوع الصلة بكاتبه؛ فلا عبرة لديهم بالموضوع في حد ذاته وإنما العبرة بتقنيات التعبير؛ فالأدب ـ عندهم ـ لا حَجْرَ عليه من تصوير ما يشاؤون من المشاعر والأحاسيس ولو خرج في ذلك على الدين والقيم والأخلاق.

---

(١) الالتزام الإسلامي في الشعر، د. ناصر بن عبد الرحمن الخنين.



ومن هنا فلا عجب أن يتجرأ هؤلاء الكتاب والقصاصون ويتمادوا في انحرافاتهم وزيفهم، والنقاد العلمانيون يحوطونهم من ورائهم، يمجدون أعمالهم ويثنون عليها بدعوى أنها قمة الإبداع الفني والفكري، وأن من يرفضها إنما هم متخلفون وظلاميون. ومن أشهر النقاد في هذا الباب المدعو (جابر عصفور) وهو أحد متطرفي العلمانية العربية وأحد منظِّريها الذين يشنون الحملات الكاذبة والظالمة على التيارات الإسلامية مدَّعين أن ما يكتبه العلمانيون ما هو إلا تنوير وإبداع لا يصح بحال محاكمته أو تحريمه أو مصادرته.

والأعجبُ أن يكون هناك تلاميذ لـ (جابر عصفور) ومدرسته في الاحتفاء بتلك الأعمال المشبوهة مثل: «وليمة أعشاب البحر» فهذا كاتب يقول عن هذه الرواية بأنها: «عمل باسق، وكاتبها قلعة شامخة ومترسخة في فضاءات السرد العربية». [انظر: جريدة البلاد، الصادرة في ١٤٢١/٢/٢٣هـ].

ويقول الآخر عمن هاجم تلك الرواية ناقداً لهم بأنهم: «يستندون في نقدهم لما هو منشور عنها في الصحف والمجلات والفضائيات بما في ذلك بيان الأزهر، وأن هذا مع أهميته لا يكفي للحكم على عمل أدبي». [انظر: الرياض، الصادرة في ١٤٢١/٣/٩هـ] فإلى متى يدافَع عن هذا الإجرام بحق الإسلام بدعاوى تافهة ورديئة؟

ورواية حيدر حيدر ـ كما يبدو ـ تصوير لحال كاتبها؛ حيث سجل فيها جزءاً من إخفاقه السياسي بالعراق؛ ففي نهاية الخمسينيات نكب الشيوعيون بالعراق، وكان معهم؛ إذ كان مقيماً آنئذٍ في العراق؛ حيث تفرقوا شذر مذر في كثير من البلدان العربية، وكان نصيبه أن ذهب للجزائر، وكان يظن أنه سيكون شيئاً مذكوراً، لكنه أخفق، وهذا الإحباط جعله يصور نفسيته تلك والتي كان يسب ويشتم فيها المبادئ والقيم الإلهية بأسلوب إلحادي لا يستغرَب من منحرف عقدياً وفكرياً، والرواية بمضمونها أنموذج للأدب المنحرف والفكر الضال، والدفاع عنها أسلوب لتمجيد التيارات المعادية للإسلام يلزم فضحه وتعريته.

لكن ما لم يقله النقد المهاجم لهذه الرواية أن كاتبها (حيدر حيدر) هو كاتب باطني والشيء من معدنه لا يستغرب .

والغريب أن فيها لمزاً وسخرية من الأنظمة السياسية؛ فكيف يفوت ذلك على الرقيب الذي يبدو أن همه شيء آخر معروف للجميع، والأعجب في المسألة أن تغار الدول الكافرة على دينها وقيمها وأخلاقها

وتصادر أي عمل أدبي يتضمن المس بشيء من تلك القيم كما حصل مؤخراً من مصادرة الصين الوثنية لرواية جنسية اعتبرتها المؤسسة الحاكمة تهديداً للأخلاقيات [انظر: القدس العربي، الصادر في ٩/٢/١٤٢١هـ].

وفي فرنسا صودرت رواية (بادية فرنسا) بسبب ما قيل فيها من عبارات مهينة لليهود ولعاداتها للسامية [انظر: المدينة، العدد الصادر في ٤/٣/١٤٢١هـ، في مقالة (د. محمد خضر عريف)].

فهل يكون الوثنيون والنصارى أكثر غيرة منا - نحن المسلمين - على القيم والأخلاق والمبادئ؟ ولماذا يترك للعلمانيين الغلاة والفرق الضالة الإساءة لديننا ونحن نتجاهل ذلك بدعاوى ساذجة ومزاعم متهالكة؟!

إننا باسم الإسلام ندعو إلى إيقاف ذلك المد الإلحادي المتوالي المسيء لديننا وقيمنا والذي بلغ إلى حد ادعاء النبوة من بعض المهووسين أمثال (صلاح بريقع) ومهاجمة الإسلام بشكل جلي من بعض الشاذين فكرياً مثل المدعو (محسن صالح) بمصر، وندعو في الوقت نفسه إلى تطبيق شرع الله في أولئك المفترين؛ فقد حكم القرآن الكريم في أحد المنافقين المستهزئ بالصحابة حينما قال: «ما أرى قرّاءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطوناً، وأكذبنا ألسنة، وأجبننا عند اللقاء» ولما رُفِعَ ذلك للرسول ﷺ وكان قد ارتحل وركب ناقته، فقال هذا المنافق للرسول ﷺ كما جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ فقال ﷺ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦] [انظر: تفسير ابن كثير للآيات].

ولذا أجمع علماء الإسلام قديماً وحديثاً أن من يفتري على الله ورسوله فهو مرتد - قبل توبته - كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه: (الصارم المسلول على شاتم الرسول).

هذا هو حكم الإسلام الذي إن أُعْمِلَ فلن يجرؤ بعده أي منحرف أو ملحد على المساس بآيات الله وشعائر الإسلام، وماذا بعد الحق إلا الضلال؟!

والله المستعان.



الإجماع عند المفسرين

العناية به ودواعيه وأسباب مخالفته لدى بعض المفسرين

محمد بن عبد العزيز الخضيري

الإجماع أصل من أصول الشريعة، وهو في الوقت ذاته ظاهرة واضحة في كتب التفسير اختلفت مشارب المفسرين حيالها اختلافاً بيّناً تبعاً للاختلاف العقدي في كثير من الأحيان، أو تبعاً لمنهجية المفسر ودقته في تحرير المسائل وذكر الدلائل، وفي هذه المقالة ذكر لبعض جوانب هذا الأصل في كتب التفسير بعيداً عن الساحة المعتادة لدراسة الإجماع، وهي كتب الأصول أو الفقه، كما أن فيها تجلية لأهم دوافع الفِرَق الضالة في خرق إجماعات السلف، واستحداث إجماعات مخالفة لما كانت عليه القرون المفضلة في أبواب الاعتقاد والعمل.

عناية المفسرين بالإجماع:

عُني المفسرون بذكر المسائل المجمَع عليها في كل موطن استدعى ذكر الإجماع، أو أُثِرَ فيه إجماع، في شتى العلوم الإسلامية: عقيدةً، وفقهاً، وأصولاً، وتفسيراً، ولغةً، وتاريخاً.

ويكاد ألاَّ يوجد هذا المقدار الكبير بهذا التنوع في كتب أيٍّ من الفنون الإسلامية، مما يؤهِّل كُتُبَ التفسير لأن تكون من أهم مصادر المسائل المجمع عليها في الشريعة، وما ذاك إلا لكون القرآن الكريم هو مدار جميع علوم الإسلام.

ولشدة عناية المفسرين بالإجماع فإنهم قلَّ أن يطَّلعوا على إجماع في مصدر من المصادر التي يعتمدونها في تفاسيرهم إلا ويقوم المفسِّر بنقل ذلك الإجماع للاستدلال به؛ لعلمه بعظم هذا الأصل، وقوة حجيته.

ومن أظهر الشواهد على ذلك: الإجماعات التي يحكيها ابن عطية ـ رحمه الله ـ مما تجد معظمها قد نقلها القرطبي وأبو حيان ـ رحمهما الله ـ في تفسيريهما؛ لكونهما أعتمدا تفسير ابن عطية، وضمنا كتابيهما معظم ما فيه؛ لجلالته، وقوة نظر مؤلفه، وتحريره للأقوال. وابن عطية يعتمد ـ غالباً ـ فيما يحكيه من الإجماع والخلاف على تفسير الطبري، وقلَّ أن يخالفه في شيء من ذلك.

وكذلك الشوكاني في تفسيره ينقل كثيراً من الإجماعات من تفسير القرطبي؛ لأنه اعتمد تفسير القرطبي، ولخصه في كتابه، وما يقال عن الشوكاني يقال عن صدّيق حسن خان في تفسيره «فتح البيان»؛ فإنه قد ضمنه خلاصة «فتح القدير».

وجملة من إجماعات الإمام الطبري قد اعتنى ابن كثير بنقلها في تفسيره.

ولم تكن عنايةُ المفسرين مقصورةً على حكايته ونقله، بل عنوا أيضاً بمناقشته والاعتراض عليه من جهة، أو تأييده بالأدلة من جهة أخرى.

فأما مناقشة الإجماع والاعتراض عليه فقد تكون إبطالاً بالكُلية، وقد تكون استدراكاً وتقويماً.

فمن أمثلة الأول: وهو إبطاله بالكلية:

١ - ما ذكره القرطبي: من أنه لا خلاف بين العلماء على أن المراد بالخليفة: آدم، في قوله - تعالى -: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ [البقرة: ٣٠]، وقد تعقبه ابن كثير بذكر الاختلاف في المراد، ورجح القول الآخر في المسألة.

٢ - ما ذكره ابن عطية من أن السلوى: طير بالإجماع. وقد تعقبه القرطبي والآلوسي وغيرهما بذكر القول الآخر في تفسير السلوى، وهو العسل.

ومن أمثلة الثاني: وهو الاستدراك على الإجماع وتقويمه: ما حكاه الطبري من الاختلاف في المراد بحاضري المسجد الحرام، فقال محرراً موضوع النزاع: «اختلف أهل التأويل فيمن عني بقوله: ﴿ **ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** ﴾ [البقرة: ١٩٦]، بعد إجماع جميعهم على أن أهل الحرم معنيون به، وأنه لا متعة لهم» فقد استدرك عليه ابن عطية ذلك، فقال: «واختلف الناس في ﴿ **حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** ﴾ بعد الإجماع على أهل مكة وما اتصل بها. وقال الطبري: بعد الإجماع على أهل الحرم، وليس كما قال..» ثم بيَّن الدلالة على ذلك.

وقد تكون المناقشة في الإجماع على نحو مُغَاير لما تقدم؛ حيث يكون الاعتراض على مخالف الإجماع، وبيان سقوط قوله، ومجافاته للصواب. ومن أمثلة ذلك:

ما حكاه المفسرون من الإجماع على أن القَسَم في قوله - تعالى -: ﴿ **لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ [الحجر: ٧٢]، إنما هو بحياة محمد ﷺ، وخالف الزمخشري ذلك مدعياً بأن القسم إنما هو بحياة لوط - عليه الصلاة والسلام - فانبرى له ابن القيم والآلوسي بالرد والنقض.

دواعي ذكر الإجماع عند المفسرين:

لقد كان النصيبُ الأوفر من مسائل الإجماع الكثيرة المبثوثة في كتب التفسير لآيات الأحكام.

أما الإجماع المتصل بتفسير القرآن الكريم فإن المفسرين لم ينصوا عليه في جميع موارده التي وقع فيها إجماع في القرآن الكريم، وسبب ذلك عائد - في نظري - إلى كثرتها إلى الحد الذي يصعب معه حصرها، ويضاف إلى ذلك: أن المرويات في التفسير كثيرة قد يعزُّ على المصنف في التفسير الإحاطة بها فضلاً عما دخل تلك المرويات من ضعف وقلة تمحيص، ولذلك فإنهم يكادون ألاَّ يذكروا الإجماع في تفسير لفظ، أو تحديد معنى معين إلا لسبب يدعوهم لذكره.

ومن أهم تلك الدواعي والأسباب ما يلي:

السبب الأول: وجودُ الاشتراك في المعنى: بحيث يرد في الآية لفظ مشترك بين معنيين فأكثر، وقد يتسع السياق لحمل المشترك على أيٍّ من معانيه، لكن يقوم دليل على قصر المشترك على أحد تلك المعاني، ويُجْمِع العلماء عليه.

ومن أمثلة ذلك:

قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ [البقرة: ٢٣١]، فإن « البلوغ » لفظ مشترك يطلق في اللغة على المقاربة وعلى الانتهاء. وقد أجمع العلماء على حمل البلوغ هنا على المقاربة؛ لأنه إذا انتهى أجل المطلقة وانقضت عدتُّها فلا يَدَ لزوجها عليها؛ وقد دل لذلك أدلة كثيرة ليس هذا موضعَ بيانها. وهذا بخلاف معنى « البلوغ » في الآية التي تليها، وهي قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، فإن معنى « البلوغ » هنا: هو الانتهاء، وذلك لكون المعنى يضطر إليه، والسياق يدل عليه، هذا فضلاً عن أدلة أخرى، من أهمها: سبب نزول الآية.

السبب الثاني: تحريرُ محل النزاع في الآية: وهذا كثير عند المفسرين، وذلك أنهم حينما يذكرون الخلاف في تفسير لفظ أو في معنى يبدؤون أولاً بذكر ما أجمع المفسرون عليه تحريراً لمحل النزاع، وقد يكون ما ذكروه من الإجماع أمراً واضحاً لا إشكال فيه، لكن دعا إلى ذكره بيانُ المحلِّ المتنازَع فيه. ومن أكثر المفسرين ذكراً للإجماع لهذا السبب الإمامان: الطبري، وابن عطية رحمهما الله.

ومن أمثلة ذلك:

١ - قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٥٣]، فقد أجمع المفسرون على أن المراد بـ « الكتاب »: هو التوراة، وهذا إجماع لا يُشك فيه، بل ولا يُحتاجُ لذكره لبداهته لولا أن الذي دعاهم لذكره هو الاختلاف الواقع في المراد بالفرقان، حيث اختلف المفسرون فيها على خمسة أقوال.

السبب الثالث: الرد على المخالفين:

فقد كثرت دعاوى الفرق المنحرفة في الاحتجاج على بدعهم وضلالاتهم بالقرآن الكريم، فانبرى العلماء لرد احتجاجهم بسقوط تلك الدعاوى، وبيان أن تفسيرهم للآيات على الوجه الذي ذكروه مخالف لإجماع السلف الذين هم أدرى بالتنزيل، وأعرف بلغة العرب، وأبعد عن الأهواء، وأسلم من الزيغ، وإجماعهم سابق على وجود من بعدهم، سواء قيل: إنهم أجمعوا على قول معين، أو قيل: إنهم اختلفوا على قولين أو أكثر، وخلافهم عليها إجماع منهم على عدم الزيادة عليها، كما تقدم تقريره.

ومن أمثلة ذلك:

١ - قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩] حيث حكى العلماءُ الإجماعَ على أن المراد باليقين: الموت. رداً على غلاة الصوفية الذين زعموا أن اليقين منزلةٌ من بلغها سقطت عنه العبادة.

وهذا أحد الأسباب التي تستدعي حكاية الإجماع في كل زمن بحسبه؛ بحيث يقوم العلماء برد مقالة كل ضال متقوِّل في القرآن برأيه أو هواه، مُفسِّر له على غير تنزيله وتأويله الذي أطبق عليه السلف، مبينين مجافاة ذلك القول لإجماع السلف.

السبب الرابع: ذكر الإجماع على تفسير آية للاحتجاج به في ترجيح قول على قول في تفسير آية أخرى. وذلك عندما يذكر المفسرون الخلاف في تفسير آية، فإنهم يستعينون في الترجيح بين الأقوال على جملة من المرجحات، ومن أهمها: ورود إجماع في آية لها علاقة بالآية المختلف فيها، وأكثر المفسرين استعمالاً لهذا الإمام الطبري رحمه الله.

ومن أمثلة ذلك:

١ - لما ذكر - رحمه الله - الخلافَ بين المفسرين في اليوم الذي عنى الله - تعالى - بقوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١]، فقيل: المراد به غزوة أحد، وقيل: بل عنى يوم الأحزاب، وقيل: بل عنى يوم بدر. ثم رجح الطبريُّ أن المعنيَّ بها يوم أحد، وقال معللاً ترجيحه لهذا القول بأن «الله - عز وجل - يقول في الآية التي بعدها: ﴿إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ [آل عمران: ١٢٢]، ولا خلاف بين أهل التأويل: أنه عُني بالطائفتين بنو سلِمة وبنو الحارثة، ولا خلاف بين أهل السِّيَر والمعرفة بمغازي رسول الله ﷺ أن الذي ذكر الله من أمرهما إنما كان يوم أُحُدٍ دون يوم الأحزاب» علماً بأنه لم يذكر الإجماع على ذلك عندما فسر قوله: ﴿إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾.

ولأجل هذا السبب غالباً ما تجد الإجماع في تفسير الآية في غير مظنته، مما يعني ضرورةَ جمعِ ما حكى المفسرون الإجماع عليه في تفاسيرهم، ليوضع في مَظِنته، تسهيلاً لمراجعته.

السبب الخامس: دفع توهم معنى فاسد:

اعتنى المفسرون - رحمهم الله - في تفسيرهم للقرآن بدفع ما يتوهم من المعاني الباطلة التي قد تقع في أذهان بعض الناس لسبب من الأسباب، وقد يحكون الإجماع في تفسير الآية؛ لأجل دفع ذلك الوهم الفاسد.

ومن أمثلة ذلك:

١ - ما ذكره المفسرون عند قوله - تعالى -: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]؛ حيث ذكروا أن السجود لآدم لا يراد به سجودُ التعبد إجماعاً، قال الرازي: «أجمع المسلمون على أن ذلك السجود ليس سجودَ عبادة».

٢ - ما ذكره ابن عطية من إجماع المفسرين على أن السجود الواردَ في قوله - تعالى -: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ [يوسف: ١٠٠]، كان سجودَ تحيةٍ لا عبادة.

السبب السادس: مخالفة تأويل الآية للظاهر أو الغالب في الاستعمال:

ومن أمثلة ذلك:

١ - ما ذكره المفسرون من الإجماع على أن المراد بقوله - تعالى -: ﴿فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]، هو الأمر بأن يقتلَ بعضهم بعضاً؛ وذلك لأن ظاهر الأمر في الآية دالٌّ على أن كل واحد يقتل نفسه بيده؛ بيد أن المراد هو أن يقتل بعضهم بعضاً، لكنه نُزِّل منزلة النفس، لبيان شدة الاتصال وكمال القرب.

ونظير هذه الآية قوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، وقوله - جل ذكره -: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١].

السبب السابع: ألا يرد في ألفاظ الآية ما يدل على المراد بها صراحة، مما لا يتم معناها إلا به، فيحتاج المفسر إلى التصريح بالإجماع على ذلك المراد لقطع احتمال غيره.

ومن أمثلته:

ما حكاه المفسرون من الإجماع على أن القيام المذكور في قوله - تعالى -: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ

إلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ، إنما هو في يوم القيامة .

وقريب منه: أن يذكر الإجماع على إلحاق ما لم يذكر في الآية لقوة الصلة ، وانعدام الفرق بين المذكور والمحذوف .

ومن أمثلته:

١ - ما حكاه المفسرون من الإجماع على أن شَحْمَ الخنزير داخل في عموم تحريم لحمه المذكور في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ ﴾ [البقرة : ١٧٣] .

اختلاف التنوع والإجماع:

أكثر الخلاف الوارد في التفسير بين مفسري السلف هو من باب اختلاف التنوع .

وقد قرر ذلك شيخ الإسلام ـ ابن تيمية ـ أحسن تقرير فقال : « الخلافُ بين السلف في التفسير قليلٌ ، وخلافهم في الأحكام أكثرُ من خلافهم في التفسير ، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف : يرجع إلى اختلاف تنوع ، لا إلى اختلاف تضاد »[١] .

وقال الشاطبي ـ رحمه الله ـ : « من الخلاف ما لا يعتد به في الخلاف ، وهو ضربان :

أحدهما : ما كان من الأقوال خطأً مخالفاً لمقطوع به في الشريعة ، وقد تقدم التنبيه عليه .

والثاني : ما كان ظاهره الخلاف ، وليس في الحقيقة كذلك ، وأكثر ما يقع ذلك في تفسير الكتاب والسنة ، فتجد المفسرين ينقلون عن السلف في معاني ألفاظ الكتاب أقوالاً مختلفة في الظاهر ، فإذا اعتبرتها وجدتها تتلاقى على العبارة[٢] كالمعنى الواحد ، والأقوال إذا أمكن اجتماعها والقول بجميعها من غير إخلال بمقصد القائل فلا يصحُّ نقلُ الخلافِ فيها عنه ، وهكذا يتفق في شرح السنة ، وكذلك في فتاوى الأئمة وكلامهم في مسائل العلم ، وهذا الموضع مما يجب تحقيقه ؛ فإنَّ نقل الخلاف في مسألة لا خلاف فيها في الحقيقة خطأ ، كما أن نقل الوفاق في موضع الخلافِ لا يصح »[٣] .

إذا تقرر هذا فإن الحديث عن أثر اختلاف التنوع على الإجماع يدعو إلى معرفة أقسام اختلاف التنوع بين المفسرين[٤] ، وهي على النحو الآتي :

الأول: اختلاف في اللفظ دون المعنى ، وهذا لا تأثير له في تفسير الآية .

ومن أمثلته: ما ذكره المفسرون من الاختلاف في تفسير كلمة « قضى » من قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء : ٢٣] ، فقال ابن عباس : ﴿ وَقَضَى ﴾ : أمر . وقال مجاهد : ﴿ وَقَضَى ﴾ : وصَّى . وفسَّرها الربيع بن أنس بـ « أوجب » . وهذه التفسيرات معناها واحد أو متقارب ، فلا تأثير لهذا الاختلاف في معنى الآية .

---

(١) مقدمة التفسير ضمن مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ، ١٣ / ٣٣٣ .

(٢) أي : يمكن التعبير عنها بعبارة واحدة كما هو شأن المعنى الواحد .

(٣) الموافقات ، ٤ / ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٤) ينظر في ذلك : مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ، ١٣ / ٣٣٣ وما بعدها من مجموع الفتاوى ، ومقدمة رسالة « اختلاف التنوع واختلاف التضاد في تفسير السلف » رسالة دكتوراه للدكتور : عبد الله الأهدل ، وكتاب « أصول في التفسير » للشيخ : محمد بن صالح العثيمين ، ص ٣٠ ، ٣١ ، وكتاب « فصول في أصول التفسير » للشيخ : مساعد الطيار ، ص ٥٥ وما بعدها .

الثاني: اختلاف في اللفظ والمعنى، والآية تحتمل المعنيين لعدم التضاد بينهما، فتُحمل الآية عليهما وتفسر بهما، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من القولين ذُكِرَ على وجه التمثيل لما تعنيه الآية أو التنويع، وهذا يشمل نوعين:

أولهما: ما عبَّر عنه شيخ الإسلام ـ ابن تيمية ـ بقوله: «أن يعبر كلٌّ واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمَّى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمَّى»(١) كتفسيرهم: ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم** ﴾ [**الفاتحة**: ٦]، بالقرآن، وبالإسلام، وبالسنة والجماعة.

ثانيهما: أن يذكر كل واحد منهم من الاسم بعض أنواعه على سبيل المثال؛ كتفسيرهم: ﴿ **ظالمٌ لنفسه** ﴾(٢). بالذي يؤخِّر العصرَ إلى الاصفرار، أو بآكل الربا، أو مانع الزكاة، و﴿ **مقتصدٌ** ﴾: بالذي يُصلِّي في أثناء الوقت، أو الذي يؤتي الزكاة المفروضة، ولا يأكل الربا، و﴿ **سابقٌ بالخيرات** ﴾: بالذي يصلي في أول الوقت، أو بالمُحسن بأداء الواجبات مع المستحبات، وبالمتصدق مع إخراجه الزكاة(٣).

وبناءً على هذا التقسيم يمكن الإجابة عن أثر اختلاف التنوع في الإجماع بأن يقال:

أما القسم الأول: فإنه لا أثر للاختلاف فيه على حكاية الإجماع؛ لأن اختلاف الألفاظ في التعبير عن المعنى المراد أمرٌ معهود، بل لا يكاد يُسْلَم منه، وإذا كان المقصود من التفسير هو الوصول إلى المعنى فإن اختلاف اللفظ في التعبير عنه لا يضرُّ قطعاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن الأقوال الموجودة عنهم (أي السلف) ويجعلها بعض الناس اختلافاً أن يعبروا عن المعاني بألفاظ متقاربة لا مترادفة؛ فإن الترادف في اللغة قليل. وأما في ألفاظ القرآن فإما نادرٌ وإما معدومٌ، وقلَّ أن يعبروا عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل يكون فيه تقريب لمعناه، وهذا من أسباب إعجاز القرآن»(٤).

ومن أمثلة ذلك: ما ذكره ابن عطية في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا** ﴾ [**المائدة**: ١٢]؛ حيث حكى الإجماع على أن النقيب «هو كبيرُ القوم القائم بأمورهم التي ينقِّب عنها وعن مصالحهم فيها».

وقد فسره الحسن بأنه: الضمين، وفسره قتادة بأنه: الشاهد، وفسره الربيع بن أنس بأنه: الأمين، قال ابن عطية بعد ذكر هذه الأقوال: «وهذا كله قريب بعضه من بعض»، وقال ابن الجوزي: «وهذه الأقوال تتقارب».

أما القسم الثاني بنوعيه: فإن الخلاف ـ أيضاً ـ لا يؤثر على حكاية الإجماع؛ لأن الأقوال متفقة على المعنى، فإذا حُكِيَ الإجماع على نحو تجتمع فيه الأقوال، وليس فيه إلغاءٌ لأحدها، فإن الإجماع صحيح، ولا يُنتقض أو يُعترض عليه بمثل هذا الاختلاف.

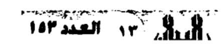
---

(١) مقدمة التفسير ضمن مجموع الفتاوى، ١٣/٣٣٣.

(٢) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر: ٣٢].

(٣) ينظر: مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى، ١٣/٣٣٧.

(٤) مقدمة التفسير، ضمن مجموع الفتاوى، ١٣/٣٤١.



قال ابن جُزي ـ رحمه الله ـ مبيناً أقسام اختلاف التنوع :

الأول: اختلاف في العبارة مع اتفاق في المعنى، فهذا عَدَّهُ كثير من المؤلفين خلافاً، وليس في الحقيقة بخلاف لاتفاق معناه، وجعلناه نحن قولاً واحداً، وعبرنا عنه بأحد عبارات المتقدمين، أو بما يقرب منها، أو بما يجمع معانيها.

الثاني: اختلاف في التمثيل، لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنى واحد، وليس مثال منها على خصوصه هو المراد، وإنما المراد المعنى العام الذي تندرج تلك الأمثلة تحت عمومه؛ فهذا عدَّه كثير من المؤلفين خلافاً، وليس في الحقيقة بخلاف؛ لأن كل قول منها مثال، وليس بكل المراد، ولم نعده نحن خلافاً؛ بل عبرنا عنه بعبارة عامة تدخل تلك تحتها، وربما ذكرنا بعض تلك الأقوال على وجه التمثيل مع التنبيه على العموم المقصود»(١).

ومن الشواهد على ذلك الخلاف: ما ذكره المفسرون في تفسير (المحروم) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥]، قال ابن عطية: «واختلف الناس في (المحروم) اختلافاً هو عندي تخليط من المتأخرين؛ إذ المعنى واحد، وإنما عبر علماء السلف في تلك العبارات على جهة المَثُلات، فجعلها المتأخرون أقوالاً» وذكر جملة من أقوالهم ثم قال: «والمعنى الجامع لهذه الأقوال: أنه الذي لا مال له، لحرمان أصحابه»(٢).

هذا إذا حُكي الإجماع على قول يجمع بين الأقوال، أما إذا حُكي الإجماع على أحد تلك الأقوال، فإن حكايته على هذا النحو قد تكون إلغاءً للأقوال الأخرى؛ لذا فإنه يُستفصلُ عند حكاية الإجماع: هل المراد به أن يكون القول الذي حُكيَ الإجماعُ عليه هو أحدُ ما يراد بالآية وتفسر به، أو هو المراد وحده مع نَفْي ما عداه؟

فإن كان الثاني فإن حكاية الإجماع لا تصح؛ لوجود الخلاف، وإن كان الأول فلا يقال بأنه صحيح بإطلاق لوجود الاحتمال، وإن كان الغالب الصحة.

ومن أمثلته:

ما ذكره الماوردي في تفسير (الحق) من قوله ـ تعالى ـ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥]؛ حيث ذكر أن المراد به: «القرآن في قول الجميع»، وقد وَرَدَ عن المفسرين في الآية ستة أقوال أخرى، فقيل: الإسلام، وقيل: محمد ﷺ، وقيل: البعث، وقيل: هو ضد الباطل، وقيل غير ذلك.

وعليه فقولُ الماوردي: «إنه القرآن في قول الجميع»، إن كان مرادُه أن الجميع لا يقولون إلا بهذا، فهذا لا يُسَلَّمُ له، وإن كان مراده أن التكذيب بأيٍّ واحد من هذه الأمور المذكورة فسيؤول إلى التكذيب بالقرآن، أو كان مراده أن التكذيب بالقرآن يعني التكذيب بها؛ لأنه جامع لجميع هذه الأمور، فهذا صحيح لا شك فيه.

الأسباب التي توقع المفسر في مخالفة الإجماع:

أكثرُ من رأيتُهُ ينقل خلافَ المأثور عن سلف الأمة هم متأخرو المفسرين، وخصوصاً أهلَ البدع في العقائد منهم كالمعتزلة وسائر فرق المبتدعة؛ ولذلك أسباب عدة أكتفي بالإشارة إلى أهمها:

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزي، ١/ ٦، ٧.

(٢) المحرر الوجيز، ١٤/ ١٥، ١٦.



الأول: ضعفُ عنايتهم بآثار السلف وإجماعهم وخلافهم، وعدمُ التمييز بين صحيح الروايات الواردة عنهم وضعيفها، فإذا نقلوا فإنهم يروون الغرائب والضعاف والمناكير التي لا توجد في الكتب المعتمدة من كتب التفسير بالمأثور، والتي تُعْنَى بنقل أقوال السلف، وتحرير ألفاظهم وعباراتهم. قال ابن الحاجب: «وكانوا - يعني المعتزلة - من أقل الناس معرفة بأقوال الصحابة والتابعين»[1]؛ ولذلك تراهم ينقلون الخلاف فيما أجمع عليه السلف، وينقلون الإجماع فيما اختلفوا فيه، وقد يكون للسلف في تفسير الآية قولان، وهذا - كما تقدم - إجماع منهم على عدم جواز الزيادة، فيأتي هؤلاء بأقوال أخرى، فيخرقون الإجماع.

ولشيخ الإسلام تحريرٌ بالغُ الأهمية لهذه القضية؛ حيث قرر أن معرفة أقوال السلف وأعمالهم، خيرٌ وأنفع من معرفة أقوال المتأخرين وأعمالهم، فقال: «ومعرفةُ إجماعهم ونزاعهم في العلم والدين، خيرٌ وأنفعُ من معرفة ما يذكر من إجماع غيرهم ونزاعهم؛ وذلك أن إجماعهم لا يكون إلا معصوماً، وإذا تنازعوا فالحق لا يخرج عنهم، فيمكن طلبُ الحق في بعض أقاويلهم، ولا يحكم بخطأ قولٍ من أقوالهم حتى يعرفَ دلالة الكتاب والسنة على خلافه»[2].

«وأما المتأخرون الذين لم يتحروا متابعتَهم وسلوكَ سبيلهم، ولا لهم خبرة بأقوالهم وأفعالهم، بل هم في كثير مما يتكلمون به في العلم ويعملون به لا يعرفون طريق الصحابة والتابعين في ذلك، من أهل الكلام والرأي والزهد والتصوف، فهؤلاء تجد عُمدتَهم في كثير من الأمور المهمة في الدين إنما هو عما يظنونه من الإجماع، وهم لا يعرفون في ذلك أقوالَ السلف البتة، أو عرفوا بعضها ولم يعرفوا سائرها؛ فتارة يحكُون الإجماع ولا يعلمون إلا قولهم وقول من ينازعهم من الطوائف المتأخرين... وتارة عرفوا بعض أقوال السلف يحكون إجماعاً ونزاعاً ولا يعرفون ما قال السلف في ذلك البتة، بل قد يكون قول السلف خارجاً عن أقوالهم، وهم إذا ذكروا إجماعَ المسلمين لم يكن لهم علم بهذا الإجماع؛ فإنه لو أمكن العلم بإجماع المسلمين لم يكن هؤلاء من أهل العلم به؛ لعدم علمهم بأقوال السلف؛ فكيف إذا كان المسلمون يتعذر القطع بإجماعهم في مسائل النزاع، بخلاف السلف؛ فإنه يمكن العلم بإجماعهم كثيراً»[3].

الثاني: كونُهم يعتقدون أشياءَ باطلة ثم يحملون القرآن عليها، ولو كان مخالفاً لما أجمع عليه السلف، فيقعون في المخالفة اتباعاً لبدعتهم، وتحكيماً لهواهم.

يقول الشاطبي: «وكثيراً ما تجد أهل البدع والضلالة يستدلون بالكتاب والسنة، يحمِّلونهما مذاهبهم، ويُغَبِّرون بمشتبهاتهما على العامة، ويظنون أنهم على شيء؛ فلهذا كله يجب على كل ناظر في الدليل الشرعي مراعاة ما فهم منه الأولون، وما كانوا عليه في العمل به؛ فهو أحرى بالصواب، وأَقْوَمُ في العلم والعمل»[4].

الثالث: تفسير القرآن بمجرد اللغة، من غير نظر إلى المتكلِّم بالقرآن، والمُنَزَّلِ عليه، والمخاطَب به.

---

(١) تيسير التحرير، ٣/٢٢٧.

(٢) رسالة «الفرقان بين الحق والباطل» ضمن مجموع الفتاوى، ١٣/٢٤.

(٣) المصدر نفسه، ١٣/٢٥، ٢٦، وبقية الكلام مهم، فليرجع إليه من شاء الاستزادة.

(٤) الموافقات، ٣/٧٧، وينظر أيضاً: الاعتصام للشاطبي، ١/٢٣١.

وقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذين السببين ـ أعني الثاني والثالث ـ هما أكثرُ ما يُوقع من يفسر بالرأي والنظر في الخطأ في تفسير كتاب الله؛ لأن الأوَّلين راعَوْا المعنى الذي رأوه، من غير نظرٍ إلى ما تستحق ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان، والآخرين راعَوا مجرد اللفظ، وما يجوز أن يُراد به في لسان العرب، دون أن ينظروا إلى ما يصلح للمتكلم به، ولسياق الكلام[1].

ثم بين ـ رحمه الله ـ أن الأوَّلين تارة يسلبون لفظَ القرآن ما دلَّ عليه وأُريد به، وتارةً يَحملونه على ما لم يدلّ عليه ولم يُرَد به، وفي كلا الأمرين قد يكون ما قصدوا نفيَه أو إثباته من المعنى باطلاً؛ فيكون خطؤهم في الدليل والمدلول؛ وذلك مثلُ كثير من الصوفية والوعاظ والفقهاء وغيرهم، ممن يفسرون القرآن بمعانٍ صحيحة، لكن القرآن لا يدل عليها[2].

قال ـ رحمه الله ـ: «فالذين أخطؤوا في الدليل والمدلول ـ مثل طوائف من أهل البدع ـ اعتقدوا مذهباً يخالف الحقَّ الذي عليه الأمةُ الوسَط الذين لا يجتمعون على ضلالةٍ كسلف الأمة وأئمتها، وعمدوا إلى القرآن فتأولوه على آرائهم، تارة يستدلون بآيات على مذهبهم، ولا دلالة فيها، وتارة يتأولون ما يُخالف مذهبهم بما يحرفون به الكلمَ عن مواضعه. ومن هؤلاء فرقُ الخوارج والروافض والجهمية والمعتزلة والقدرية والمُرجئة، وغيرهم. وهذا كالمعتزلة ـ مثلاً ـ فإنهم من أعظم الناس كلاماً وجدالاً، وقد صنفوا تفاسير على أصول مذهبهم»[3].

ثم قال: «والمقصود أن مثل هؤلاء اعتقدوا رأياً ثم حملوا ألفاظَ القرآن عليه، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المسلمين، لا في رأيهم ولا في تفسيرهم، وما من تفسير من تفاسيرهم الباطلة إلا وبطلانه يظهر من وجوه كثيرة، وذلك من جهتين:

- تارة من العلم بفساد قولهم.
- وتارة من العلم بفساد ما فسروا به القرآن، إما دليلاً على قولهم، أو جواباً على المعارض لهم.

ومن هؤلاء من يكون حَسَنَ العبارة فصيحاً، ويدسُّ البِدَعَ في كلامه، وأكثر الناس لا يعلمون، كصاحب الكشاف ونحوه، حتى إنه يَروج على خَلْق كثير ممن لا يعتقد الباطل من تفاسيرهم الباطلة ما شاء الله. وقد رأيت من العلماء المفسرين من يذكر في كتابه من تفسيرهم ما يوافق أصولَهم التي يَعلَم أو يعتقد فسادها، ولا يهتدي لذلك، ثم إنه لسبب تطرُّف هؤلاء وضلالهم دخلت الرافضة الإمامية، ثم الفلاسفة ثم القرامطة وغيرهم فيما هو أبلغُ من ذلك، وتفاقَمَ الأمر في الفلاسفة والقرامطة والرافضة؛ فإنهم فسروا القرآن بأنواع لا يقضي العالِمُ منها عجَبَه»[4].

والحاصل: أن من أعظم أسباب وقوع الاختلاف: البدع المضلة «التي دَعَتْ أهلها إلى أن حرَّفوا الكَلِمَ عن مواضعه، وفسَّروا كلام الله ورسوله ﷺ بغير ما أُريد به، وتأوَّلُوه على غير تأويله؛ فمن أصول العلم بذلك: أن

---

(١) رسالة مقدمة التفسير ضمن مجموع الفتاوى، ١٣/٣٥٥، ٣٥٦.

(٢) المصدر السابق، ١٣/٣٥٦، ٣٦٢.

(٣) المصدر السابق، ١٣/٣٥٦، ٣٥٧.

(٤) المصدر السابق، ١٣/٣٥٨، ٣٥٩.

يعلم الإنسان القول الذي خالفوه، وأنه الحق، وأن يعرف أن تفسير السلف يخالف تفسيرهم، وأن يعرفَ أن تفسيرهم محدَثٌ مبتدَع، ثم أن يعرف بالطرق المُفصَّلة فسادَ تفسيرهم بما نصبه الله من الأدلة على بيان الحق»[1].

وإذا كان منشأُ الخلافِ هو البدعَ المضلَّة، واتباع الأهواء فإنه لا اعتداد بمخالفة من خالف لهذه العلة، قال الخبَّازي: «ولا يعتبرُ (أي في الإجماع) مخالفة أهل الأهواء فيما نسبوا به إلى الهوى»[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن الصحابة والتابعين والأئمة إذا كان لهم في تفسير الآية قولٌ، وجاء قوم فسَّرُوا الآية بقولٍ آخرَ لأجل مذهب اعتقدوه - وذلك المذهبُ ليس من مذاهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان - صاروا مشاركين للمعتزلة وغيرهم من أهل البدع في مثل هذا.

وفي الجملة: من عدلَ عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً في ذلك، بل مبتدعاً، وإن كان مجتهداً مغفوراً له خطؤه»[3]، بل قال أيضاً: «من فسَّر القرآن أو الحديث أو تأوَّله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مُفترٍ على الله، مُلْحدٌ في آيات الله، محرفٌ للكلم عن مواضعه، وهذا فتحٌ لبابِ الزندقة والإلحاد، وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام»[4].

وقد أحسن الشاطبي - رحمه الله - حين بيَّن سبب عدم الاعتداد بأقوال أهل الأهواء، فقال: «إذا دخل الهوى أدى إلى اتباع المتشابه حرِصاً على الغلبة والظهور بإقامة العذر في الخلاف، وأدَّى إلى الفرقة والتقاطع والعداوة والبغضاء لاختلاف الأهواء وعدم اتفاقها، وإنما جاء الشرع بحسم مادة الهوى بإطلاق. وإذا صار الهوى بعض مقدمات الدليل لم يُنْتج إلا ما فيه اتباع الهوى، وذلك مخالفة الشرع، ومخالفة الشرع ليست من الشرع في شيء؛ فاتباع الهوى من حيث يظن أنه اتباع للشرع ضلالٌ في الشرع؛ ولذلك سميت البدعُ ضلالات، وجاء أن «كل بدعة ضلالة»[5]؛ لأن صاحبها مخطئٌ من حيث توهم أنه مصيبٌ. ودخولُ الأهواء في الأعمال خفي؛ فأقوالُ أهل الأهواء غير معتد بها في الخلاف المقرر في الشرع، فلا خلاف حينئذٍ في مسائل الشرع من هذه الجهة»[6].

فإن قيل: إن العلماء قد اعتدُّوا بخلافهم ونقلوا أقوالهم؛ فكيف يقال: إنه لا اعتداد بخلافهم؟

وقد أجابَ عن هذا السؤال الإمام الشاطبي من جهتين:

أولاً: أنَّا لا نسلِّم أنهم اعتدُّوا بها، بل أتوا بها ليردوها، ويبينوا فسادها، كما أتوا بأقوال اليهود والنصارى وغيرهم ليوضحوا ما فيها.

---

(١) المصدر السابق، ١١/٢٦٢.

(٢) المغني في أصول الفقه للخبازي، ص ٢٧٨، وقال محيي الدين القنوي المعلق على المغني: «كالمعتزلة والروافض والخوارج».

(٣) رسالة: مقدمة التفسير، ضمن مجموع الفتاوى، ١٣/٣٦١.

(٤) رسالة في علم الباطن والظاهر، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ضمن مجموع الفتاوى، ١٣/٢٤٣.

(٥) رواه مسلم، ح/ ٨٦٧ في الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، والنسائي، ٣/١٨٨، ١٨٩ في العيدين، باب كيف الخطبة. كلاهما عن جابر بن عبد الله.

(٦) الموافقات في أصول الشريعة، ٤/٢٢٢، ٢٢٣.

ثانياً: إذا سلِّم اعتدادُهم بها فمن جهة أنهم غير متبعين للهوى بإطلاق، وإنما المتبعُ للهوى بإطلاق من لم يصدِّق بالشريعة رأساً، أما من صدَّق بالشرع فإنه متبع للشرع في الجملة، لكن إذا زاحم هواه الشرعَ قدم الهوى، فأصبح بذلك مشاركاً لأهل الهوى في دخول الهوى نحلته، وشارك أهلَ الحق في أنه لا يقبل إلا ما عليه دليل على الجملة؛ ولذلك حُكيت أقوالهم، واعْتُدَّ بتسطيرها، والنظر فيها»[1]. ثم قال: «وفي الحقيقة، فمن جهة ما اتفقوا فيه مع أهل الحق حَصَل التآلف، ومن جهة ما اختلفوا حصلت الفرقة، وإذا كان كذلك فجهة الائتلاف لا خلاف فيها في الحقيقة؛ لصحتها واتحاد حكمها، وجهةُ الاختلاف فهم مخطئون فيها قطعاً، فصارت أقوالُهم زلاتٍ، لا اعتبار بها في الخلاف»[2].

ويضاف إلى هذه الأسباب جملة أخرى من الأسباب التي يقع بعض المفسرين لأجلها في خرق الإجماع أذكرها متمماً لما سبق على سبيل الإيجاز.

الرابع: الاعتداد بالقول الشاذ: أو بما يُسَمَّى: «زلة العالم»، حيث يذكر بعض المفسرين الخلاف في مسألة قد وقع فيها إجماع سابق، بناءاً على اعتبار قول لا يعتد به لشذوذه.

وقد قرر الإمام الشاطبي: «أن زلة العالم لا يصحُّ اعتمادها من جهة، ولا الأخذ بها تقليداً له؛ وذلك لأنها موضوعة على المخالفة للشرع؛ ولذلك عُدَّت زَلَّة، وإلا فلو كانت معتداً بها لم يجعل لها هذه الرتبة، ولا نسب إلى صاحبها الزللُ فيها، كما أنه لا ينبغي أن ينسب صاحبُها إلى التقصير، ولا يشنَّعَ عليه بها، ولا يُنتقَص من أجلها، أو يعتقد فيه الإقدام على المخالفة بحتاً؛ فإن هذا خلاف ما تقتضي رتبته في الدين»[3].

ثم بيَّن ـ رحمه الله ـ: «أنه لا يصح اعتمادُها خلافاً في المسائل الشرعية؛ لأنها لم تصدر في الحقيقة عن اجتهاد، ولا هي من مسائل الاجتهاد، وإن حصل من صاحبها اجتهاد فهو لم يصادف فيها محلاً، فصارت في نسبتها إلى الشرع كأقوال غير المجتهد، وإنما يُعدُّ في الخلاف الأقوالُ الصادرة عن أدلة معتبرة في الشريعة كانت مما يقوى أو يضعف، وأما إذا صدرت عن مجرد خفاء الدليل أو عدم مصادفته[4] فلذلك قيل: إنه لا يصح أن يعتدَّ بها في الخلاف، كما لم يعتدَّ السلفُ الصالح بالخلاف في مسألة ربا الفضل، والمتعة...، وأشباهها من المسائل التي خفيت فيها الأدلة على من خالف فيها»[5].

ونصَّ ـ رحمه الله ـ على أن من الخلاف الذي لا يعتد به في الخلاف «ما كان من الأقوال خطأً مخالفاً لمقطوع به في الشريعة»[6].

وقد تساءل ـ رحمه الله ـ عن كيفية معرفة ما هو من الأقوال كذلك مما ليس كذلك؟ وأجاب: بأن هذا من وظائف المجتهدين، فهم العارفون بما وافق أو خالف؛ لأن المخالفة للأدلة الشرعية على مراتب، فمن الأقوال ما يكون خلافاً لدليل قطعي، من نص متواتر أو إجماع قطعي في حكم كلي، ومنها ما يكون خلافاً لدليل ظني، والأدلة الظنية متفاوتة.

(١، ٢) المصدر السابق، ٤/٢٢٣، ٢٢٤.
(٣) الموافقات، ٤/١٧٠.
(٤) وبهذا يعرف الفرق بين القول الشاذ ـ وهو القول الصادر عن مجتهد خفي عليه الدليل في مسألة، فأفتى بالخطأ، وتنكب الناس قوله، فهجر من بعده ـ والقول الذي صدر من غير أهل الاجتهاد، أو القول الذي صدر عن اتباعِ الهوى؛ فإنه لا عبرة بهذين الأخيرين أصلاً.
(٥) الموافقات، ٤/ ١٧٢.
(٦) الموافقات، ٤/٢١٤.

أما غير المجتهدين من المتفقهين فإن لمعرفة ما كان من الأقوال كذلك ضابطاً تقريبياً، وهو أن ما كان معدوداً من الأقوال غلطاً وزللاً قليلٌ جداً في الشريعة، وغالبُ الأمر أن أصحابها منفردون بها، وقلَّما يساعدهم عليها مجتهد آخر، فإذا انفرد صاحبُ قولٍ عن عامة الأمة فليكن اعتقادك أن الحق مع السواد الأعظم من المجتهدين لا من المقلدين(١).

ومن أمثلة الأقوال الشاذة:

١ - قولُ نوفٍ البكالي في أن موسى الذي جرت له القصة مع الخضر - والمذكورة في سورة الكهف - ليس موسى بن عمران كليم الرحمن، بل هو موسى آخر، وقد رد ذلك عليه ابن عباس - رضي الله عنهما - وأغلظ في الرد عليه، فقال: «كذب عدو الله»، ثم ساق الخبر عن رسول الله ﷺ بما يدل قطعاً على أن المراد به موسى بن عمران عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

قال ابن الجوزي عن قول نوفٍ هذا: «وليس بشيء». وقال الشوكاني: «وهذا باطلٌ قد ردَّه السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم».

٢ - ما روي عن الحسن وعطاء الخراساني أنهما قالا في تفسير قوله - تعالى -: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]: «إنه سينشق يوم القيامة» والمفسرون قاطبة مجمعون على أن المراد بالآية: انشقاقه معجزةً لرسول الله ﷺ عندما طلب منه المشركون ذلك. قال ابن الجوزي عن المروي عن الحسن وعطاء: «هذا القولُ الشاذُّ لا يقاوم الإجماع».

الخامس: الاعتدادُ بقولٍ قد انعقد الإجماع قبل حدوثه: وهو قريب من الذي قبله ومن أمثلة ذلك:

إجماعُ العلماء على حرمة الجمع بين أكثر من أربع نسوة، وقد حكى بعضُ العلماء مخالفةَ بعض الظاهرية وبعض الرافضة. وهي مخالفة جاءت بعد انعقاد الإجماع، فلا عبرة بها. قال الرازي: «إن مخالف هذا الإجماع من أهل البدعة فلا عبرة بمخالفته» وقال الآلوسي: «وأقوى الأمرين المعتمد عليهما في الحَصْر: الإجماعُ، فإنه قد وقع، وانقضى عصر المجمعين قبل ظهور المخالف».

السادس: الاعتمادُ في نقل الخلاف على روايات ضعيفة لا تثبت عمن نسبت إليه.

ومن أمثلة ذلك:

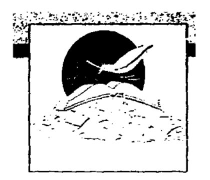
ما روي عن ابن عباس من أنه كان يرى: أن الأم لا يحجبها من الثلث إلى السدس إلا ثلاثةٌ من الإخوة فأكثر؛ لأن الآية وردت بذكر «الإخوة»، والاثنان ليسا بإخوة. وهذا ضعيف عن ابن عباس، وقد حكى جمع من العلماء: الإجماع على أن الاثنين من الإخوة يحجبان الأم من الثلث إلى السدس. ولا تصح المخالفة عن ابن عباس، والله أعلم.

السابع: عدم فهم الخلاف الوارد عن السلف: إذ كثير من خلافهم - كما تقدم شرحه - من باب اختلاف التنوع، فيأتي من المتأخرين من يحمله على اختلاف التضاد فينقض الإجماع بذلك.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

---

(١) الموافقات، ٤/١٧٢.



شبهات حول حجية السنة النبوية

ومكانتها التشريعية والرد عليها

د. عماد الشربيني

إننا لو فتشنا عن المحاربين لسنة النبي ﷺ لوجدنا أنهم يتظاهرون بإجلال القرآن واحترامه، وأنه الحجة التي ليس وراءها حجة.

فيقولون: علينا الاكتفاء بالقرآن الكريم فقط؛ فهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو المصدر الأول للإسلام، وهو الذي سلم من التغيير والتبديل إلى آخر ما يقولونه تظاهراً بحبهم للإسلام، ودفاعاً عنه، وغيرة على ما في كتاب الله من شريعة وأحكام، غير أنهم لا يريدون - مع ذلك - أن يضبطوا أنفسهم وعقولهم بهذا الذي أمر القرآن الكريم بضبط أنفسنا وعقولنا به من اتباع سنة المصطفى ﷺ، مصطنعين لأنفسهم ما يشاؤون من آيات القرآن الكريم يستدلون بها على الاكتفاء بالقرآن وحده، وعدم حجية السنة والحاجة إليها.

وما استدلوا به من آيات قرآنية بنوا عليها شبهتين جعلوهما قاعدتين ينطلقون منهما تشكيكاً في حجية السنة المطهرة.

الشبهة الأولى: شبهة الاكتفاء بالقرآن وعدم الحاجة إلى السنة النبوية.

الشبهة الثانية: شبهة أن السنة لو كانت حجة لتكفَّل الله بحفظها.

أما الشبهة الأولى: فاستدلوا لها من آيات القرآن الكريم بآيات عدة منها قوله - تعالى - : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقوله - تعالى - : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل: ٨٩]، وقوله - تعالى - : ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾. [الأنعام: ١١٤].

واستدل بهذه الآيات وما في معناها عدد من أعداء السنة المطهرة المنكرين لحجيتها قديماً وحديثاً، الزاعمين أن القرآن في غنى عن السنة؛ لأن فيه بيان كل شيء وتفصيله.

فقديماً - على سبيل المثال لا الحصر - كانت الطائفة التي ناظر الإمام الشافعي واحداً من أتباعها[1].

وحديثاً: أمثال الدكتور توفيق صدقي[2]، ومحمود أبو رية[3]، ومحمد نجيب[4]، ومصطفى كمال المهدوي[5]، وأحمد صبحي منصور[6]، وقاسم أحمد[7]، وجمال البنا[8]، ورشاد خليفة[9]، وإسماعيل منصور[10]، وغيرهم.

وللجواب عن هذه الشبهة نقول: رغم أن بعض هذه الآيات المراد فيها بالكتاب: اللوح المحفوظ الذي حوى كل شيء، واشتمل على جميع أحوال المخلوقات كبيرها وصغيرها، جليلها ودقيقها، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، على التفصيل التام كما جاء في الحديث الصحيح من قوله ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء»[11].

ومن هذه الآيات قوله - تعالى -: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] والتي وردت عقب قوله - تعالى -: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨] والمثلية في الآية ترشح أن المراد بالكتاب (اللوح المحفوظ) لأن القرآن الكريم لم ينظم للطير حياة كما نظمها للبشر، وإنما الذي حوى كل شيء للطير والبشر، هو اللوح المحفوظ[12].

وبعض هذه الآيات المراد من الكتاب (القرآن)، وهَبُوا أن المراد بالكتاب في جميع هذه الآيات (القرآن الكريم) ولكننا نقول لكم: إن هذا العموم غير تام، بل هو مخصص بقول الله - تعالى -: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤].

ونقول لكم: نعم لم يفرط ربنا - عز وجل - في كتابه في شيء من أمور الدين على سبيل الإجمال، ومن بين ما لم يفرط في بيانه وتفصيله إجمالاً بيان حجية السنة، ووجوب اتباعها والرجوع والتحاكم إليها؛ فالقرآن جامع - دون تفريط - كل القواعد الكبرى للشريعة التي تنظم للناس شؤون دينهم ودنياهم، والسنة النبوية هي المبينة لجزئياتها وتفاصيلها، وهي المنيرة للناس طريق الحياة، وتنسجم

---

(١) انظر : الأم، للإمام الشافعي، ٧/٢٥٠.
(٢) مجلة المنار، ٩/٩٠٧.
(٣) أضواء على السنة، ص ٤٠٤.
(٤) كتاب الصلاة في القرآن، ص ٢٢.
(٥) البيان بالقرآن، [illegible]
(٦) كتاب الصلاة في القرآن، ص ٣٢، ٦٠، ٦١، وكتاب لماذا القرآن، ص ١٠.
(٧) إعادة تقييم الحديث، ص ٨٦.
(٨) السنة ودورها في الفقه الجديد، ص ٣٢.
(٩) قرآن أم حديث، ص ٦، والقرآن والحديث والإسلام، ص ٣٢.
(١٠) تبصير الأمة بحقيقة السنة، ص ١١.
(١١) أخرجه مسلم، ٨/٤٥٢، رقم ٢٦٥٣.
(١٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٢/١٣١، وفتح القدير، ٣/٦١.

هذه الآية مع الآيات الأخرى التي تؤكد بالنص أهمية السنة تجاه ما في الكتاب من القواعد التي تحتاج إلى تخصيص أو تقييد أو توضيح أو تبيين ... إلخ.

ومن هنا فالقول بأن القرآن الكريم بيان لكل شيء قول صحيح في ذاته بالمعنى الإجمالي السابق، ولكن الفساد فيما بنوه عليه من الاستغناء عن السنة والاكتفاء بالقرآن ليؤوِّلوه حسب أهوائهم. وإلا فربُّ العزة هو القائل في سورة النحل نفسها، وقبل الآية التي استدلوا بها على عدم الحجية: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٣٨) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ [النحل: ٣٨، ٣٩].

وقال - تعالى -: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]. وقال - تعالى -: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤].

فتلك ثلاث آيات كريمات في سورة النحل نفسها هي سابقة لآية: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

والثلاث آيات تسند صراحة مهمة البيان والتفصيل إلى النبي ﷺ صاحب السنة المطهرة؛ فهل يُعقل بعد ذلك أن يسلب الله - عز وجل - هذه المهمة - البيان - التي هي من مهام الرسل جميعاً كما قال - عز وجل -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤] ويُوقع التناقض بآية: ﴿الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾؟! [النحل: ٨٩].

إن كل الرافضين لحجية السنة لا بد أن يلتزموا بهذه النتيجة التي تعود بالنقض على الإيمان بالكتاب، وبمن أنزل الكتاب - جل جلاله - سواء أقروا بلسانهم بهذا النقض أم لا، وتنبهوا إلى ذلك أم لا!!

ومما هو جدير بالذكر أن بعض دعاة الفتنة وأدعياء العلم يتمسحون بإيمانهم بالسنة البيانية، ثم يصفون قيمة تلك السنة بقولهم: «إنها للاستئناس لا للاستدلال، وللبيان لا للإثبات مما يجعل الآخذين بها والرافضين لها - أمام الشرع - على حد سواء؛ فلا إلزام لأي طرف منهما على قبول رأي الآخر؛ فالآخذ بها فعله مقبول، والرافض لها فعله مقبول كذلك»[1].

أما الشبهة الثانية: «أن السنة لو كانت حجة لتكفل الله بحفظها» فاحتجوا لذلك بقوله - تعالى -: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وقالوا: لو كانت السنة حجة ووحياً مثل القرآن لتكفل الله - عز وجل - بحفظها، كما تكفل بحفظ القرآن الكريم.

ومن قال بتلك الشبهة الدكتور توفيق صدقي[2]، وإسماعيل منصور[3]، وأيدهما جمال البنا[4]

---

(١) إسماعيل منصور، تبصير الأمة بحقيقة السنة، ص ٦٦٣.
(٢) مجلة المنار، المجلد ٩/٩١١ - ٣/٩.
(٣) تبصير الأمة بحقيقة السنة، ص ٢٣.
(٤) السنة ودورها في الفقه الجديد، ص ٢٣.

وفرقة أهل القرآن بالهند وباكستان[1]، والدكتور مصطفى محمود قائلاً: «القرآن هو الكتاب الوحيد الذي تولى رب العالمين حفظه بنفسه من أي تحريف، وقال في محكم كتابه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] ولم يقل لنا رب العالمين إنه حفظ لنا كتاب البخاري»[2].

ونقول رداً على ذلك: إن رب العزة قد تكفل بحفظ ما صح من حديث رسوله ﷺ، ويدل على ذلك القرآن الكريم؛ فقد قال - تعالى -: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال - تعالى -: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٧ - ١٩]، ففي الآيتين دليل على أن الله - عز وجل - قد تكفل أيضاً بحفظ السنة؛ لأن حفظ المُبيَّن يستلزم حفظ البيان للترابط بينهما.

والذكر اسم واقع على كل ما أنزل الله على نبيه ﷺ من قرآن أو سنة يبين بها القرآن، لقوله - تعالى -: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٩] أي بيان القرآن. والبيان كما يكون للنبي ﷺ يكون لأمته من بعده، وهو يكون للنبي ﷺ بالإيحاء به ليبلغه للناس، وهو المراد في الآية السابقة ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] فالسنة النبوية على هذا منزلة من عند الله - عز وجل - (بوحي غير متلو).

وفي هذا رد على ما زعمه الدكتور إسماعيل منصور بأن البيان للذِّكر لم ينزل مع الذكر (القرآن) وإلا لكان النص على نحو: «وأنزلنا إليك الذكر وبيانه»[3].

ولو شغَّب مشاغب بأن هذا الخطاب: «علينا بيانه» متوجه إلى الله - عز وجل - فقط دون الأمة وإلا قال - عز وجل -: «عليكم بيانه» لما أمكنه هذا الشغب في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧]. فمن الذي جمع القرآن الكريم؟ الله - عز وجل - بذاته المقدسة، كما زعم الدكتور مصطفى محمود في مقالاته السابقة، أم قيض رب العزة لذلك رجالاً من خلقه، وعلى رأسهم من أنزل عليه ﷺ وصحابته الكرام فمن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين؟!

وفي ذلك رد على ما زعمه الدكتور إسماعيل منصور بأن حفظ الرجال للسنة يجعلهم يتساوون مع الله - عز وجل - في القدرة بحفظه كتابه - عز وجل - فتستوي بذلك قدرة الله وقدرة المخلوقين»[4].

إن في القرآن مجملاً كثيراً في العبادات من صلاة، وصيام، وزكاة، وحج، ومعاملات، وأخلاق.. إلخ وتولت السنة المطهرة بيان ذلك، فإذا كان بيانه - عليه الصلاة والسلام - لذلك المجمل غير

(١) مقام الحديث، ص ٦، ١٨.

(٢) مقالاته عن الشفاعة المنشورة بجريدة الأهرام، ١/٥/١٩٩٩م، ١٥/٥/١٩٩٩م.

(٣) تبصير الأمة بحقيقة السنة، ص ٢٦٠.

(٤) تبصير الأمة بحقيقة السنة، ص ٢٥٨، ٢٨٨، ٢٨٩.

محفوظ، ولا مضمون سلامته مما ليس منه فقد بطل الانتفاع بنص القرآن، فبطلت أكثر شرائعه المفترضة علينا فيه، ولم ندرِ صحيح مراد الله - تعالى - منها، وما أخطأ فيه المخطئ، أو تعمد فيه الكذب الكاذب، ومعاذ الله من هذا.

فعلم من ذلك أن حفظ السنة المطهرة من أسباب حفظ القرآن، وصيانتها صيانة له، ولقد حفظها الله - تعالى - كما حفظ القرآن فلم يذهب منها - ولله الحمد - شيء على الأمة، وإن لم يستوعبها كل فرد على حدة.

ثالثاً: شبهة عرض السنة النبوية على القرآن الكريم:

احتج خصوم السنة النبوية على عدم حجيتها بأحاديث من وضع الزنادقة، تدور في نظرهم على وجوب عرض كل ما يروى من أحاديث على كتاب الله ومقارنتها به، فإن كانت توافق الكتاب فهي حجة يجب التمسك بها، والعمل بمقتضاها، وإن كانت تخالف الكتاب - ولو مخالفة ظاهرية يمكن الجمع بينهما - فهي باطلة مردودة لم يقلها النبي ﷺ، وليست من سنته، ومن هذه الأحاديث التي يستشهدون بها: «إن الحديث سيفشو عني، فما أتاكم يوافق القرآن فهو عني، وما أتاكم عني يخالف القرآن فليس عني».

وبهذه الشبه قال الزنادقة قديماً كما حكاه الحافظ السيوطي(١). وقال به بعض من سبق ذكرهم كالدكتور توفيق صدقي، وجمال البنا، ومحمد نجيب، وإسماعيل منصور، ومحمود أبو رية، وقاسم أحمد، وأحمد صبحي منصور، في كتبهم السابق ذكرها.

يقول جمال البنا: «هناك أحاديث جاءت بما لم يأت به القرآن، نحن نحكم عليها في ضوء القرآن، فما لا يخالف القرآن يقبل، وما يخالفه يستبعد: فتحريم الجمع بين المرأة مع عمتها أو خالتها، وتحريم لحم الحمر الأهلية، أمور لا نرى مانعاً فيها، ونجد فيها قياساً سليماً»(٢).

الجواب:

أولاً: الحديث الذي استشهدوا به على شبهتهم لا وزن له عند نقاد الحديث وصيارفته، وتكلم فيه العلماء كلاماً يستلزم أن يكون من أشد الموضوعات أو الضعيف المردود، ونختار من أقوالهم ما بيَّنه الإمام ابن عبد البر بقوله: «وقد أمر الله - عز وجل - بطاعته واتباعه أمراً مطلقاً مجملاً لم يقيد بشيء، كما أمرنا باتباع كتاب الله، ولم يقل ما وافق كتاب الله كما قال بعض أهل الزيغ، قال عبد الرحمن بن مهدي: الزنادقة وضعوا ذلك الحديث، وهذه الألفاظ لا تصح عنه ﷺ بصحيح النقل من سقيمه، وقد

---

(١) مفتاح الجنة، ص ١٣، ١٤.

(٢) السنة ودورها في الفقه الجديد، ص ٢٥٤.

عارض هذا الحديث قوم من أهل العلم، وقالوا: نحن نعرض هذا الحديث على كتاب الله قبل كل شيء، ونعتمد على ذلك، قالوا: فلما عرضناه على كتاب الله وجدناه مخالفاً لكتاب الله؛ لأننا لم نجد في كتاب الله ألاَّ يقبل حديث رسول الله ﷺ إلا ما وافق كتاب الله، بل وجدنا كتاب الله يطلق التأسي به، والأمر بطاعته، ويحذر المخالفة عن أمره جملة على كل حال»[1].

ومع أن أحاديث عرض السنة على القرآن الكريم لا وزن لها عند أهل العلم، إلا أن معناها صحيح، وعمل بها المحدِّثون في نقدهم للأحاديث متناً، فجعلوا من علامات وضع الحديث مخالفته لصريح القرآن الكريم، والسنة النبوية والعقل، إلا أنهم وضعوا لذلك قيداً وهو: استحالة إمكان الجمع. فإن أمكن الجمع بين ما ظاهره التعارض مع الكتاب أو السنة أو العقل جمعاً لا تعسف فيه يصار إلى الجمع والقول بهما معاً ولا تعارض حينئذ، وإن كان وجه الجمع ضعيفاً باتفاق النظار؛ فالجمع عندهم أوْلى»[2].

وإعمال الأدلة أوْلى من إهمال بعضها، وإلا فلنتعرف على الناسخ والمنسوخ فنصير إلى الناسخ ونعمل به، ونترك المنسوخ ولا نعمل به، وإلا نرجح بأحد وجوه الترجيحات المفصلة في كتب الأصول، وعلوم الحديث، والعمل بالأرجح حينئذ واجب، وهؤلاء المبتدعة لم يرفعوا بهذا الأصل رأساً، إما جهلاً به أو عناداً منهم كما قال الإمام الشاطبي[3].

ولا أعلم نقلاً عن أحد من العلماء برفض الحديث بمجرد المخالفة الظاهرية مع القرآن الكريم مع إمكان الجمع، أو التأويل، أو الترجيح، حتى من نقل عنهم الأصوليون إنكار الترجيح - وردوا عليهم إنكارهم، قالوا عند التعارض: يلزم التخيير أو الوقف، ومعلوم بأن التوقف أوْلى من التعبير بالتساقط؛ لأن خفاء ترجيح أحد الدليلين على الآخر إنما هو بالنسبة للمعتبر في الحالة الراهنة مع احتمال أن يظهر لغيره ما خفي عليه، وفوق كل ذي علم عليم».

مثال على ما سبق:

حديث: «لم يكذب إبراهيم النبي - عليه السلام - قط إلا ثلاث كذبات: ثنتين في - ذات الله - الحديث»[4]. قالوا هذا الحديث لا يصح؛ لأنه يتعارض مع قوله - تعالى -: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٤١].

وتناسوا بقية الحديث وما جاء فيه مؤكداً لكتاب الله - عز وجل - وأنه لا تعارض؛ ففي الحديث:

---

(١) ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ٢/١٩٠، ١٩١.

(٢) إرشاد الفحول للشوكاني، ٢/٣٦٩، والمحصول في أصول الفقه للرازي، ٢/٤٣٤.

(٣) الاعتصام باب في مأخذ أهل البدع بالاستدلال، ١/٢٠٠.

(٤) أخرجه الشيخان: البخاري، ٦/٤٤٧، رقم ٣٣٥٨، ومسلم، ٨/١٣٤، رقم ٢٢٧١.

«ثنتين» في الله: قوله: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] وقوله - تعالى -: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣] وواحدة في شأن سارة وقوله: «أختي».

وجمع العلماء ووفقوا فقالوا: ليس المراد بالكذب هنا حقيقته، وإنما هو من باب المعاريض، وكان ذلك من إبراهيم - عليه السلام - على طريق الاستفهام الذي يقصد به التوبيخ. وعلى كل الأحوال فالحديث هنا لم يعارض القرآن بل جاء مؤكداً لما جاء في القرآن، وإلا فليبينوا لنا هم حقيقة هذا التعارض؟!!

رابعاً: شبهة أن الوضع وكثرة الوضاعين للحديث أضعفت الثقة بالسنة الشريفة:

واستدل بتلك الشبهة من استدل بالشبهة السابقة، ونزيد عليهم هنا السيد صالح أبو بكر(١)، وحسين أحمد أمين(٢)، وأحمد أمين(٣) وعبد الله النعيم(٤)، وسعيد العشماوي(٥)، وصالح الورداني(٦)، والمستشار عبد الجواد ياسين(٧)، ونصر أبو زيد(٨)، وزكريا عباس داود(٩)، وحولة نهر(١٠)، وموريس بوكاي(١١)، ومرتضى العسكري (١٢)، والدكتور مصطفى محمود في مقالاته عن الشفاعة المشار إليها سابقاً.

والجواب:

نقول: صحيح أنه كان هناك وضاعون وكذابون لفّقوا أقوالاً، ونسبوها إلى رسول الله ﷺ، ولكن الأمر لم يكن بهذه البساطة التي تخيلها أصحاب هذه الشبهة، وأثاروا بها الوساوس في النفوس، وقد جهلوا أو تجاهلوا الحقائق التي سادت الحياة الإسلامية فيما يتعلق بالسنة النبوية، فقد كان إلى جانب ذلك عدد وفير من الرواة الثقات المتقنين العدول، وعدد وفير من العلماء الذين أحاطوا حديث رسول الله ﷺ بسياج قوي يعسر على الأفاكين اختراقه، واستطاع هؤلاء المحدِّثون بسعة اطلاعهم، ونفاذ بصيرتهم أن يعرفوا الوضاعين، وأن يقفوا على نواياهم ودوافعهم، وأن يضعوا أيديهم على كل ما نسب إلى رسول الله ﷺ على سبيل الوضع والكذب فهؤلاء الوضاعون لم يترك لهم الحبل على

---

(١) الأضواء القرآنية، ١/٣٥.
(٢) دليل المسلم الحزين، ص ٤٥.
(٣) فجر الإسلام، ص ٢١٠، ٢١١.
(٤) نحو تطوير التشريع الإسلامي، ص ٤٤.
(٥) حقيقة الحجاب، ص ٨٤.
(٦) الخدعة رحلتي من السنة إلى الشيعة، ص ٩٧.
(٧) السلطة في الإسلام، ص ٢٢٦.
(٨) الإمام الشافعي، ص ٩٧.
(٩) تأملات في الحديث، ص ١٣١.
(١٠) دراسات محمدية، ص ٤٨٩.
(١١) دراسة الكتب المقدسة، ص ١٣.
(١٢) خمسون ومائة صحابي مختلق، ١/٥٠.

الغارب يعبثون في الحديث النبوي كما يشاؤون، ولم يترك لهم المجال لأن يندسوا بين رواة الأحاديث النبوية الثقات العدول دون أن يعرفوا.

وإلا فمَنْ إذن الذي كشف كذب الكفرة والزنادقة وغلاة المبتدعين؟

ومَنِ الذي عرَّف بالموضوع، وبأسبابه، وبأصنافه، وبعلاماته، وصنف فيه المصنفات المتعددة؟

إنهم حراس الدين خلفاء الله وجنوده في أرضه، إنهم الجهابذة الذين قال فيهم هارون الرشيد لما أخذ زنديقاً فأمر بضرب عنقه فقال له الزنديق: لِمَ تضرب عنقي؟ قال: لأريح العباد منك، فقال: يا أمير المؤمنين! أين أنت من ألف حديث - وفي رواية أربعة آلاف حديث - وضعتها فيكم، أحرِّم فيها الحلال، وأحلل فيها الحرام، ما قال النبي منها حرفاً؟ فقال له هارون الرشيد: أين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري وعبد الله بن المبارك؟ فإنهما ينخلانها - نخلاً - فيخرجانها حرفاً حرفاً[1].

يقول الأستاذ محمد أسد: «فوجود الأحاديث الموضوعة إذن لا يمكن أن يكون دليلاً على ضعف نظام الحديث في مجموعه؛ لأن تلك الأحاديث الموضوعة لم تَخْفَ قط على المحدثين كما يزعم بعض النقاد الأوروبيين عن سذاجة، وتابعهم على ذلك بعض أدعياء من أبناء أمتنا الإسلامية»[2].

ونختم هذه الشبهة بما ذكره الإمام ابن قيم الجوزية: قال الإمام أبو المظفر السمعاني: «فإن قالوا: قد كثُرت الآثار في أيدي الناس واختلطت عليهم، قلنا: ما اختلطت إلا على الجاهلين بها، فأما العلماء بها فإنهم ينتقدونها انتقاد الجهابذة الدراهمَ، والدنانيرَ، فيميزون زيوفها ويأخذون خيارها، ولئن دخل في أغمار الرواة من وسم بالغلط في الأحاديث فلا يروج ذلك على جهابذة أصحاب الحديث، ورواته العلماء حتى إنهم عدُّوا أغاليط من غلط في الإسناد والمتون، بل تراهم يعدون على كل واحد منهم كم في حديث غلط، وفي كل حرف حرَّف، وماذا صحَّف، فإن لم تَرُجْ عليهم أغاليط الرواة في الأسانيد والمتون فكيف يروج عليهم وضع الزنادقة، وتوليهم الأحاديث التي يرويها الناس حتى خفيت على أهلها؟ وهو قول بعض الملاحدة، وما يقول هذا إلا جاهل ضال مبتدع كذاب يريد أن يهجِّن بهذه الدعوة الكاذبة صحاح أحاديث النبي ﷺ، وآثاره الصادقة، فيغالط جهال الناس بهذه الدعوى، وما احتج مبتدع في رد آثار رسول الله ﷺ بحجة أوهن ولا أشد استحالة من هذه الحجة؛ فصاحب هذه الدعوى يستحق أن يُسَفَّ في فِيهِ، ويُنفى من بلد الإسلام»[3].

---

(١) انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/٢٧٣، وتاريخ الخلفاء، للسيوطي، ص ١٧٤.

(٢) الإسلام على مفترق الطرق، ص ٩٦.

(٣) مختصر الصواعق المرسلة، ٢/٥٦١.



قضايا خلافية بين الفقهاء

محمد بن عبد الله الدويش

كثيراً ما تتردد هذه العبارة: «هذه مسألة خلافية، هذه مسألة اختلف فيها الفقهاء»... إلخ.

ولا نزاع في أن هناك من المسائل ما هي مسائل خلاف واجتهاد بين أهل العلم، وكلام أهل العلم حول مسائل الخلاف والاجتهاد معروف قديماً وحديثاً؛ لكنها تثار اليوم بصورة تخرجها من إطار البحث في مسائل الاجتهاد والخلاف:

● فهي في الأغلب تثار حول قضايا لها بُعْدٌ اجتماعي أو فكري، وليس المقصود الخلاف الفقهي البحت؛ فكثير من المستغربين ـ على سبيل المثال ـ يثيرون مسائل تتعلق بالمرأة مما نقل فيها خلاف بين أهل العلم، والدافع لذلك أبعد من مجرد الخلاف الفقهي، بل هو تكأة للتغريب سرعان ما يتجاوزون المسألة محل الخلاف إلى ما لا خلاف في تحريمه ومنعه.

● أنها تثار من قِبَل فئام من الناس ليسوا من أهل العلم والفقه، ولا ممن يفقهون البحث في المسائل الشرعية، إنما يتصيدون من أقوال الفقهاء ما يتسق مع أهوائهم.

● أنها في الأغلب لا تقتصر على مناطها؛ فالخلاف الفقهي يتخذ ذريعة لتنزيله على دائرة أوسع.

ومما ينبغي تقريره في هذه العجالة:

– أن هناك فرقاً بين مسائل الخلاف ومسائل الاجتهاد؛ فليست كل مسألة نُقِلَ فيها خلاف بين أهل

العلم تُعَدُّ من المسائل التي لا إنكار فيها؛ بل ذلك في مسائل الاجتهاد. قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وقولهم: إن مسائل الخلاف لا إنكار فيها ليس بصحيح؛ فإن الإنكار إما أن يتوجه إلى القول والفتوى أو العمل. أما الأول: فإذا كان القول يخالف سنة أو إجماعاً شائعاً وجب إنكاره اتفاقاً؛ وإنما دخل هذا اللَّبس من جهة أن القائل يعتقد أن مسائل الخلاف هي مسائل الاجتهاد كما اعتقد ذلك طوائف من الناس ممن ليس لهم تحقيق في العلم؛ والصواب ما عليه الأئمة أن مسائل الاجتهاد ـ ما لم يكن فيها دليل ـ يجب العمل به وجوباً ظاهراً مثل حديث صحيح لا معارض له من جنسه. والمسائلُ التي اختلف فيها السلف والخلف ـ وقد تيقنَّا صحة أحد القولين فيها ـ كثيرةٌ»[1].

- أن المرجع في ذلك كله إلى نصوص الكتاب والسنة؛ فمتى صح الدليل وجب الرجوع إليه والأخذ به، ولم يَسُغ اتباع القول الآخر بحجة الخلاف في المسألة. وحين ترد السنة الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ لأجل أن هناك من خالف في هذه المسألة فهذا يلزم منه أن أقوال النبي ﷺ وأوامره لا تكتسب شرعيتها إلا حين يتفق عليها الناس؛ فمخالفة أحد لها ـ أياً كان سبب ذلك ـ ينزع عنها هذه الشرعية ويجعل الأمر واسعاً؛ وهذا مسلك خطير يحتاج صاحبه إلى أن يراجع إيمانه.

- لا بد من الاعتناء بتربية الناس على التسليم لله ـ تبارك وتعالى ـ وتعظيم نصوص الشرع، وأخذ الدين بقوة، والبعد عن تتبع الرخص وزلات العلماء.

- الحذر من الدخول في جدل فقهي مع أمثال هؤلاء حول هذه المسائل محل النقاش؛ فهذا الذي يسعون إليه ويريدونه. فمن الممكن والمقبول أن يبحث المرء المسألة ويناقشها مع طلبة للعلم يدركون اللغة العلمية الفقهية، ويريدون الحق ويسعون إليه، أما أولئك الذين يثيرون هذه المسائل فليسوا يجيدون فهم اللغة العلمية، ولا يعون مقاصد الشريعة، إنما هم رعاع متطفِّلون، قادهم الهوى إلى الخوض في دين الله عز وجل.

---

(١) إعلام الموقعين، ج ٣/ ٢٨٨.



موانع الانتفاع بالعمل يوم القيامة

عبد العزيز الجليل

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن من علامة توفيق الله ـ عز وجل ـ للعبد أن يوقظه من غفلته ويوفقه لتدارك عمره القصير فيما ينفعه غداً في الدار الآخرة، ومن علامة الخذلان أن ينسى العبد نفسه، ويفرِّط في ساعاته وأيامه ولياليه؛ فينصرم العمر القصير دون أن يقدم لنفسه ما ينفعها عند الله ـ عز وجل ـ فضلاً عما يضره ويهلكه.

وعندما ينظر الواحد منا إلى حاله وحال كثير من الناس يجد التفريط وتضييع الأوقات بما لا ينفع أو بما يضر ـ عياذاً بالله تعالى ـ ولو حاسب كل واحد منا نفسه وحاول الرجوع إلى ما مضى من عمره الذي مر كلمح البصر، وما عمله في ذلك العمر من القربات، أو ما ضيعه من الأوقات لوجد النتيجة جدَّ محزنة ـ إلا من رحمه الله تعالى ـ لأن ما ضاع من الأوقات بما لا ينفع أو بما يضر أكثر من تلك التي عمل فيها بالطاعات؛ فإذا أضيف إلى ذلك أن العبد لا يضمن أيضاً انتفاعه من طاعاته وقرباته التي أداها؛ وذلك لتعرضها لبعض المفسدات والآفات كالرياء والسمعة والعجب، أو عدم موافقتها لما جاء به الرسول ﷺ، فماذا سيبقى من الطاعات القليلة إذا مرت على مصفاة الإخلاص والمتابعة؟ إنه لا يبقى إلا أقل القليل. إذن فالأمر جدُّ خطيرٍ ولا يجوز للعبد أن يهمل نفسه ويتركها بلا محاسبة وتدقيق وتفتيش حتى لا يأتي يوم القيامة فيبدو له من الله ما لم يحتسب.

وفي هذه المقالة القصيرة محاولة للتعرف على موانع الانتفاع بالعمل يوم القيامة لعلنا نتجنبها فننتفع بأعمالنا الصالحة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. والأصل في معرفة هذه الموانع قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

وهذه الآية وإن كانت قد انطوت على ذكر الشروط للانتفاع بالعمل الصالح فإن مفهوم المخالفة فيها يشير إلى موانع الانتفاع؛ حيث ذكر الله ـ عز وجل ـ في هذه الآية الكريمة أن من شروط قبول العمل عند الله ـ عز وجل ـ وكونه مشكوراً عنده ـ سبحانه ـ ما يلي:

١ ـ إرادة الدار الآخرة بقوله وعمله.

٢ ـ تصديق هذه الإرادة والسعي إلى الآخرة بعمل موافق لما جاء به الرسول ﷺ.

٣ ـ أن يكون صاحب العمل موحِّداً مؤمناً بالله ـ عز وجل ـ غير مشرك به. يقول الإمام ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ عند هذه الآية: وقوله: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ﴾ أي: أراد الدار الآخرة، وما فيها من النعيم والسرور، ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾، أي طلب ذلك من طريقه، وهو متابعة الرسول ﷺ، ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾، أي:

وقلبه مؤمن، أي مصدق بالثواب والجزاء ﴿فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً﴾(1).

ومن خلال هذه الآية الكريمة تُستنبَط الموانع التي تحول بين العبد وبين أن ينتفع بعمله يوم القيامة وهي كما يلي:

١ - أن لا يكون صاحب العمل مؤمناً بالله - عز وجل - ولا بوعده ووعيده، أو كان مشركاً به أو مرتداً عن دينه؛ فلو تقرب العبد إلى الله - عز وجل - بقربات كثيرة من صلاة وصيام وغيرها وهو مشرك بالله - عز وجل - الشرك الأكبر وذلك بصرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله - عز وجل - فإنه بذلك لا ينتفع بأي عمل صالح عند الله - عز وجل - لأن توحيد الله - عز وجل - والبراءة من الشرك وأهله يُعَدُّ الشرطَ الأعظم في الانتفاع من بقية الأعمال والأقوال، وبدون ذلك تحبط جميع الأعمال كما في قوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقوله - تعالى -: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقوله - تعالى -: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ [الأنبياء: ٩٤] إلى غيرها من الآيات.

وخطورة هذا المانع أنه يحبط جميع الأعمال؛ بينما الموانع التالية تحبط العمل الذي وُجِدَتْ فيه فقط، ولا ينبغي للعبد أن يستهين بهذا المانع ولا أن يأمنه؛ بل عليه أن يخافه وأن يفتش في عقيدته وأعماله كلها خشية الوقوع في هذه الآفة العظيمة التي تحبط الأعمال ولا يغفرها الله - عز وجل - إلا بتوبة. ومن يأمن الشرك بعد إمام الحنفاء إبراهيم - عليه السلام - حيث دعا ربه بقوله: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]؟!.

٢ - إرادة العبد بعمله الدنيا وليس الآخرة، وهذا مانع كبير يحول بين العبد وبين أن ينتفع بعمله يوم القيامة؛ وهذا يكثر في عمل المرائين والمريدين بأعمالهم شهرة أو منصباً أو مالاً أو أي عرض من أعراض الدنيا الفانية؛ فهؤلاء لا خلاق لهم في الآخرة من تلك الأعمال الملوَّثة. قال الله - تبارك وتعالى -: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ﴾ [هود: ١٥]. وقد أدخل العلماء في ذلك من أدى العمل بإخلاص لله - تعالى - لكنه أراد من عمله وتوبته وتركه للمعاصي آثارها الدنيوية فحسب؛ وذلك بأن يبارك الله له في المال والولد، ويجنبه المصائب والجوائح في الدنيا فقط، فمن كان دافعه إلى العمل إرادة ثواب عمله في الدنيا فقط فإن هذه الأعمال معلولة غير مقبولة وغير مشكورة عند الله - عز وجل - يوم القيامة، أما من أراد بعمله الآخرة وأراد مع ذلك بركتها في الدنيا فهذا مرغَّب فيه وسعيه مشكور عند الله - عز وجل - إذا كمل الشروط الأخرى لقبول العمل.

٣ - أن يكون سعيه وعمله مخالفاً لما جاء به الرسول ﷺ؛ لأن من شروط الانتفاع بالسعي والعمل أن يكون موافقاً لما جاء به رسول الله ﷺ غير مبتدع ولا مبدل، وهذا هو الذي أشار إليه الإمام ابن كثير - رحمه الله تعالى - عند تفسيره لآية الإسراء؛ حيث قال: ﴿وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾، أي: طلب ذلك من طريقه وهو متابعة الرسول ﷺ. ومن أوضح الأدلة في أن تخلف المتابعة عن العمل يمنع من الانتفاع به عند الله - عز وجل - قول الرسول ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»(2)، ومن هنا وجب الحذر من الابتداع والتعبد لله - عز وجل - بما لم يأذن به - سبحانه - أو يشرعه رسوله ﷺ؛ فإن التفريط في ذلك يضيع على العبد سعيه وعمله ولو كان صاحبه مخلصاً لله فيه مريداً منه الدار الآخرة؛ لأن قبول العمل عند الله - عز وجل - مقيد بالشروط السالفة الذكر مجتمعة كلها في العمل؛ فلو تخلف واحد منها بطل العمل وحِيلَ بين صاحبه وبين الانتفاع منه. ■

---

(١) تفسير ابن كثير، عند الآية (١٩) من سورة الإسراء.

(٢) رواه مسلم، ح/٣٢٤٣.

وبذلك يتبين لنا خطورة إهمال النفس ومحاسبتها والحرص الشديد على إحسان العمل وإتقانه وتجنيبه كل ما يفسده ويمنع من الانتفاع منه في يوم عصيب رهيب الحسنة فيه لا تعدلها الدنيا بزينتها وزخرفها ثمناً.

ولنا أن نتصور كم يصفو لنا من العمل النظيف النافع عند الله - عز وجل - بعد أن يمر على هذه المصفيات السالفة الذكر؟ إن الناظر فيها اليوم إلى نفسه وما أسلف من الأعمال الصالحة ليذهل عندما يرى قلّتها وضياع العمر بما لا ينفع إلا من رحم الله تعالى. ثم ليت أن هذه الأعمال على قلتها تكون مقبولة عند الله - عز وجل - إذن لهان الخطب؛ لكنها إذا عرضت على المصفيات السالفة الذكر فإن المحصلة في النهاية ستكون أقل القليل؛ فمصفاة الإخلاص تمنع كل عمل لم يُرَدْ به وجه الله - عز وجل -، ومصفاة المتابعة تمنع كل عمل لم يؤدَّ على وجه الموافقة لما جاء به الرسول ﷺ. ثم إن هذه المحصلة النظيفة من الأعمال والتي هي أقل القليل معرضة هي الأخرى لمانع خطير يحول بين العبد وبين الانتفاع من أعماله التي تعب عليها وأتقنها - على قلتها - حتى أصبحت مقبولة عند الله - عز وجل - وهذا المانع خطير هو:

٤ - حقوق العباد ومظالمهم: يقول الله - عز وجل -: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١] والخصومة تكون فيما بين العباد من مظالم؛ فعن الزبير بن العوام - رضي الله عنه - قال: لما أنزلت هذه الآية قال: أيْ رسولَ الله ﷺ! أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟ قال: «نعم ليكررن عليكم حتى يؤدَّى إلى كل ذي حق حقه»[1] قال الزبير: والله إن الأمر شديد.

ومن الأحاديث المشهورة في ذلك حديث المفلس الذي قال فيه الرسول ﷺ: «أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. قال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وكان قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فينقص هذا من حسناته، وهذا من حسناته. قال: فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم، فطُرحت عليه، ثم طُرح في النار»[2].

وهذا المانع الخطير من موانع الانتفاع بالعمل الصالح يوم القيامة من أشد الموانع خطراً وأصعبها تحرزاً؛ فلا يسلم من تبعات العباد إلا من رحم الله - عز وجل -، وقليل ما هم. والغرماء يوم القيامة لا يقبلون من عمل خصومهم إلا النظيف الذي تجاوز مصفاة الإيمان والإخلاص والمتابعة. أما العمل الملوَّث فلا يقبلونه لعدم نفعه؛ فإذا كان العمل النظيف أقل القليل كما سبق بيانه لأنه ثمرة تصفيات كثيرة، وكل مصفاة تُسقط منه جزءاً - إذا كان الأمر كذلك فإن المغبون الخاسر مَنْ ضيَّع هذا القليل ووزعه يوم القيامة بين خصومه وغرمائه، وحال بين نفسه وبين الانتفاع بأعماله المقبولة عند الله - عز وجل - وذلك بتفريطه في الدنيا في حقوق العباد، أو الاعتداء عليهم في دين أو عقل أو نفس أو مال أو عرض.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن أكثر الخصوم يوم القيامة هم من أقرب الناس للنفس كالأب والولد والزوجة والزوج؛ وذلك لما بينهم من الحقوق والواجبات، ووجود الاحتكاك الدائم بهم والاجتماع معهم في كثير من الأوقات.

فالحذرَ الحذرَ من ظلم الأبناء في دينهم وإهمال تربيتهم والنفقه عليهم .. إلخ والحذرَ الحذرَ من بخس الوالدين حقوقهم وعدم الإحسان إليهم، وكذلك الحال في بقية الأقارب والأباعد[3].

نسأل الله - عز وجل - أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه موافقة لسنة نبيه ﷺ صادرة عن إيمان وتوحيد خالصين. كما نسأله أن يجنبنا ظلم العباد والاعتداء على حقوقهم، وأن يخرجنا من الدنيا كافِّين اللسانَ عن أعراضهم، خُمصَ البطون من أموالهم، خفيفي الظهور من دمائهم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

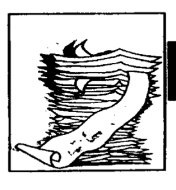
---

(١) الترمذي، ٩/١١، وقال حسن صحيح، ورواه الإمام أحمد، ١/١٦٧.

(٢) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، ح/ ٢٥٨١.

(٣) يرجع إلى رسالة: (وقد خاب من حمل ظلماً) لمعرفة صور الظلم والمظالم.





التنصير لم يكن غازياً

إبراهيم بن محمد الحقيل

التنصير يغزو العالم الإسلامي

أحمد عبد الله سيف الرفاعي

التنصير في إفريقيا

د. مانع بن حماد الجهني

النشاط التنصيري في كردستان العراق

د. فرست مرعي الدهوكي

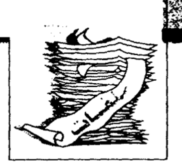
قضية محسومة

بيّن الله ـ عز وجل ـ لنا نظرة أهل الكتاب من يهود ونصارى للمسلمين، وأصبحت قضية محسومة مقررة في كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

يقول ـ عز وجل ـ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقال ـ عز من قائل ـ: ﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا﴾ [البقرة: ١٠٩]. هذا الحسم القرآني لم يعد اليوم محسوماً أو مقطوعاً به لدى فئات من المسلمين؛ فقد تحول لدى هؤلاء إلى تمييع شديد في الفهم النظري والتطبيق السلوكي، وجاءت عولمة البشر لتضفي على الطين طيناً، وتزيد في عمى القلوب والأبصار.

ولقد كان الهدف الأساس لأهل الكتاب ـ كما حدده القرآن ـ هو إخراج المسلمين من دينهم، ولن يكون هناك رضى وقبول إلا بهذا التحول، ولذلك كان هدفاً أسمى وغاية عظمى سعوا إليه بطرق شتى. وكان أبرز هذا السعي الخاسر ما سمي بـ «التنصير» وهكذا بصراحة شديدة ودون مواربة، سعياً إلى التحويل إلى النصرانية.

ومن خلال هذا الملف سنرى كيف كانت طبيعة العلاقة بين الإسلام والنصرانية منذ أن أشرق نور الرسالة الإسلامية، وسنرى الجهود الضخمة والأموال الهائلة، والسعي الذي لا يتوقف ولا يمل من أجل تحقيق ذلك الهدف... ثم نقارن كل ذلك بالجهود الإسلامية، إنْ في مكافحة هذا الغزو الدائم والمنظم لديار المسلمين وعقولهم وقلوبهم، وإنْ في التحرك المضاد بتقديم هذا الدين لأهل الكتاب!!



قصة العلاقة بين الإسلام والنصرانية:



التنصير لم يكن غائباً (١-٢)

إبراهيم محمد الحقيل

أرسل الله ـ تعالى ـ نبيه محمداً ﷺ إلى المكلفين كافة: الجن والإنس، العرب والعجم، القريب والبعيد؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. فوجب عليه البلاغ، ووجب على المسلمين من بعده تبليغ رسالته.

فإذا بُلّغت الدعوة للناس فإن لهم منها موقفين:

الموقف الأول: قبولها والدخول في الإسلام، ومن اختار ذلك صار أخاً للمسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم تحقيقاً لقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. ولقول النبي ﷺ: «من أسلم من أهل الكتابين فله أجره مرتين، وله ما لنا، وعليه ما علينا»(١).

الموقف الثاني: رفض الإسلام، ومن رفض الإسلام خُيِّر بين القتال وبين الخضوع لسلطان الإسلام، وخضوعه لسلطان الإسلام يكون بدفع الجزية عن يد وهو صاغر كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾.

[التوبة: ٢٩].

إن خضوع الناس للإسلام وأحكامه واجب على المسلمين تحقيقه عملاً بقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]، قال جمع من السلف ـ منهم ابن عباس، وأبو العالية، ومجاهد، والحسن، وزيد بن أسلم، وغيرهم ـ: أي: حتى لا يكون شرك بالله ـ تعالى ـ ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ أي: يخلص التوحيد لله عز وجل(٢).

وقال قتادة: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ حتى يقال: لا إله إلا الله، عليها قاتل رسول الله ﷺ، وإليها دعا، وذكر لنا أن النبي

---

(١) أخرجه الإمام أحمد، ٥/٢٥٩، والطبراني في الكبير، ٧/٢٢٥، برقم (٧٧٨٦) وعزاه الألباني للروياني في مسنده، وحسنه. انظر السلسلة الصحيحة برقم (٣٠٤).

(٢) جامع البيان، ٢/١٩٤، وتفسير ابن كثير، ١/٣٧١، والدر المنثور، ١/٣٧، عند تفسير الآية (١٩٣) من سورة البقرة.

ﷺ كان يقول: إن الله أمرني أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله ﴿فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾ قال: وإنَّ الظالم الذي أبى أن يقول: لا إله إلا الله، يُقاتَل حتى يقول: لا إله إلا الله»(١).

لماذا يجب إخضاع الناس لحكم الإسلام؟

الجواب عن هذا السؤال هو في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩] فهو الدين الذي ارتضاه الله لعباده وأمرهم أن يحكموا بشريعته، وعند التخاصم يرجعون ويتحاكمون إليها: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨]، قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: «أي: فاحكم يا محمد بين الناس: عربهم وعجمهم، أميهم وكتابيِّهم بما أنزل الله إليك في هذا الكتاب العظيم، وبما قرره لك من حكم من كان قبلك من الأنبياء ولم ينسخه في شرعك»(٢).

وأمر الله ـ تعالى ـ أهل الكتاب بأن يقيموا كتبهم، وأن يعملوا بما فيها كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨]، وإقامتهم لكتبهم وعملهم بما جاء فيها يقتضي إيمانهم بمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، والتزام شرائع الإسلام؛ لأن كتبهم بشرت به، ودعتهم إلى اتباعه.

ولقد قضت الحقيقة بأن أهل الكفر ما نعموا بالعدل والأمن إلا تحت حكم المسلمين؛ بينما النصارى ظلموا المسلمين الذين وقعوا تحت حكمهم ـ ولا زالوا ـ بل ظلموا نصارى مثلهم ممن لا يدينون بمذهبهم، وحاولوا اجتثاثهم من الأرض، ومحوهم من الوجود.

وشواهد التاريخ كثيرة جداً على هذه الحقيقة القاضية بأن أهل الكفر ما نعموا بالعدل والأمن إلا تحت حكم المسلمين بينما النصارى ظلموا المسلمين الذين وقعوا تحت حكمهم ـ ولا زالوا ـ بل ظلموا نصارى مثلهم ممن لا يدينون بمذهبهم، وحاولوا اجتثاثهم من الأرض، ومحوهم من الوجود.

وسأدعم ذلك ببعض الأمثلة من التاريخ؛ وبأقوال بعض الغربيين من باب: (وشهد شاهد من أهلها) ومن شواهد ذلك:

أن أبا عبيدة ابن الجراح ـ رضي الله عنه ـ لما انسحب من حمص ـ بعد أن فرض عليها الجزية ـ إلى اليرموك بكى النصارى في حمص وقالوا: يا معشر المسلمين! أنتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا ولكنهم ـ أي الروم ـ غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا(٣).

وكتب الإمام الأوزاعي إلى صالح بن علي بن عبد الله بن العباس لما قتل مقاتلة لبنان، وأجلى بعضهم لما خرجوا على الخليفة: «وقد كان من إجلاء أهل الذمة من جبل لبنان ممن لم يكن ممالئاً لمن خرج على خروجه ممن قتلت بعضهم ورددت باقيهم إلى قُراهم ما قد علمت، فكيف تؤخَذ عامةٌ بذنوب خاصة حتى يخرجوا من ديارهم وأموالهم وحكم الله ـ تعالى ـ ألاَّ تزر وازرة وزر أخرى، وهو أحق ما وقف عنده واقتدي به، وأحق الوصايا أن تُحفَظ وترعى وصية رسول الله ﷺ فإنه قال: «من ظلم معاهداً وكلفه فوق طاقته فأنا حجيجه»(٤).

وسيمر بك في هذا البحث المختصر بعض ممارسات النصارى الكثيرة ضد المسلمين سواء في الأندلس لما انتزعوها من المسلمين وفرضوا عليهم الدين النصراني وعذبوهم في سبيل محو الإسلام عذاباً أليماً، أو أيام الحروب الصليبية

---

(١) جامع البيان، ٢/١٩٤، والناسخ والمنسوخ للنحاس، ٢٩ والدر المنثور، ١/٣٧١.

(٢) تفسير ابن كثير، ٢/ ١٠٥، عند تفسير الآية ٤٨ من سورة المائدة.

(٣) فتوح البلدان للبلاذري، ١٣٧، والخراج لأبي يوسف عن تاريخ الحضارة العربية، لمحمد كرد علي، ١/٣٩.

(٤) فتوح البلدان عن تاريخ الحضارة العربية، ١/٤٠، والحديث أخرجه أبو داود في الخراج والإمارة باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات (٣٠٥٢) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٦٢٦).



التي يعترف الأوروبيون بوحشية أجدادهم فيها ضد المسلمين. أو أيام الاستعمار الذي أعقب الحروب الصليبية؛ لتثبت هذه الحوادث التاريخية مع ما سبق ذكره أنه لا عدل للبشرية إلا في ظل الإسلام فقط، وأن الفساد والظلم يعم أرجاء الأرض إذا حكمت بغيره.

ومن شواهد ذلك مما كتبه نصارى غربيون: قول المؤرخ الغربي (أرنولد) عن فتح مصر: «يرجع النجاح السريع الذي أحرزه غزاة العرب قبل كل شيء إلى ما لقوه من ترحيب الأهالي المسيحيين الذين كرهوا الحكم البيزنطي لما عرف به من الإرادة الظالمة، ولما أضمروه من حقد مرير على علماء اللاهوت»(١).

ويقول أيضاً: «إن هذه القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام إنما فعلت ذلك عن اختيار وإرادة حرة، وإن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا التسامح»(٢).

ويقول الفرنسي ليوتي: «وإذا كان فريق من ذوي الأغراض الملتوية يزعم أن الإسلام يبعث على التدمير والفوضى والتعصب فإني بصفتي رجلاً قضيت بين المسلمين مدة من الزمان في الشرق والغرب ولم أكتفِ بما قرأته عن الإسلام في الكتب أقول: إن جميع تلك المزاعم لا نصيب لها من الصحة»(٣).

إن المسلمين في فتوحهم ما كانوا يجبرون الأمم الأخرى على اعتناق الإسلام بل يتركون لهم حرية التعبد ما داموا خاضعين لحكم الإسلام باعتراف الغربيين:

يقول جوستاف لبون: «إن العرب كانوا أكثر حكمة من كثير من رجال السياسة الحديثة، عرفوا حق المعرفة أن أوضاع شعب لا تتناسب مع أوضاع شعب آخر؛ فكان من قواعدهم أن يطلقوا للأمم المغلوبة حريتها، ويتركوا لها الاحتفاظ بقوانينها وعاداتها ومعتقداتها»(٤). ونقول: ليس ذلك حكمة فحسب بل دين يدينون لله به امتثالاً لقوله ـ تعالى ـ: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ويقول أيضاً: «وما كانت انتصارات العرب لتعمي أبصارهم لأول أمرهم وتحملهم على الإفراط المألوف عند الفاتحين في العادة، ولا اشتدوا في إرهاق المغلوبين على أمرهم، ولا فرضوا عليهم بالقوة دينهم الجديد الذي كانوا يريدون بثه في أقطار العالم، ولو عملوا ذلك لأهاجوا عليهم جميع الشعوب التي لم تخضع لهم، فاتقوا حق التقاة هذه التهلكة التي لم ينج منها الصليبيون الذين دخلوا الشام في القرون اللاحقة، بل رأيناهم حيث دخلوا في الشام ومصر وأسبانيا يعاملون الشعوب بمنتهى الرفق تاركين لهم أنظمتهم وأوضاعهم ومعتقداتهم، غير ضاربين عليهم في مقابل السلام الذي ضمنوه هم إلا جزية ضئيلة كانت على الأغلب أقل من الضرائب التي كان عليهم أداؤها من قبل. وما عرفت الشعوب فاتحاً بلغ هذا القدر من المسامحةولا ديناً حوى في مطاويه هذه الرقة واللطف»(٥).

بينما كان النصارى يُكرهون الناس على التنصر كما فعل الأسبان بعد أن خضع مسلمو الأندلس لسلطانهم؛ فإنهم لم يرضوا إلا تنصيرهم أو إجلاءهم عن بلادهم، مع أن المسلمين أخذوا منهم عهداً قبل تسليم غرناطة أن لهم أن يدينوا بدينهم ولهم البقاء في أملاكهم، فنكثوا عهدهم، وأوقعوا بالمسلمين أشد العذاب وقد انتقدهم مؤرخوهم ومفكروهم قبل انتقاد المسلمين لهم؛ وفي هذا يقول فولتير: لما فتح العرب أسبانيا لم يرغموا قطُّ النصارى الوطنيين على انتحال

---

(١) الدعوة إلى الإسلام، لأرنولد، ١٣٢، عن تحرير الاستعمار، د. شوقي أبو خليل، ١٩.

(٢) الدعوة إلى الإسلام، ٦٩ - ٧٠، عن المصدر السابق، ٨.

(٣) مجلة لامارش دي فرانس، تعريب جريدة الأهرام عن الإسلام والحضارة العربية، لمحمد كرد علي، ١/ ٣٨.

(٤) حياة الحقائق عن كتاب محمد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية، ١/ ٥٦.

(٥) الإسلام والحضارة العربية، ١/ ١٤٤.



الإسلام، ولما استولى الأسبان على غرناطة أراد الكردينال خمنيس أن ينصِّر كل العرب مدفوعاً إلى ذلك بغيرة دينية أو طموح إلى إنشاء شعب جديد يخضع لصولته، وأرغم خمسين ألف عربي على أن يحملوا رمز دين لا يؤمنون به.

وذكر فاريتي وهو من كبار مؤرخي أسبانيا أنه تم نفي ثلاثة ملايين من العرب والعرب المتنصرين، وبلغ من هلك أثناء عملية النفي أو استرق زهاء مائة ألف(١).

موقف النصارى من الإسلام:

انقسم النصارى تجاه دعوة النبي ﷺ إلى قسمين:

القسم الأول: آمنوا به، وصدقوه، وعرفوا أن ما جاءهم به هو الحق من عند الله ـ تعالى ـ، قد بشرت به كتبهم كما قال الله ـ تعالى ـ على لسان عيسى ـ عليه السلام ـ إنه قال لقومه: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، وعلى رأس هذا القسم النجاشي ـ رحمه الله تعالى ـ الذي آوى المسلمين المهاجرين ونصرهم ومنعهم من ظلم قريش وبطشها وقهرها.

وفيه ومن معه وأمثاله ممن آمنوا بنبيهم ثم آمنوا بمحمد ﷺ نزلت آيات كثيرة في مدحهم، والثناء عليهم وبيان عظيم ثوابهم قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩].

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاثة يؤتَوْن أجرهم مرتين...» وذكر منهم: «ومؤمن أهل الكتاب الذي كان مؤمناً، ثم آمن بالنبي ﷺ فله أجران»(٢).

القسم الثاني: لم يؤمنوا به وهم فريقان.

١ – فريق خضعوا لسلطان الإسلام قبل القتال، وصالحوا النبي ﷺ ودفعوا الجزية، فكانوا من أهل الذمة؛ ومن هذا الفريق: نصارى نجران، ونصارى دومة الجندل.

٢ – الفريق الثاني: لم يخضعوا لسلطان الإسلام، وقاتلوا المسلمين، وهؤلاء خرج النبي ﷺ لقتالهم، وأرسل السرايا إليهم؛ ومن هؤلاء: نصارى مؤتة، ونصارى تبوك.

---

(١) المصدر السابق، ١/٢٥٢، ٢٥٣.

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد والسير، باب فضل من أسلم من أهل الكتاب (٣٠١١)، ومسلم في الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته (١٥٤) والترمذي في النكاح (١١١٦) والنسائي في النكاح، ٦/١٥.

مشاريع التنصير:

وطبقاً لإحدى الدراسات التنصيرية فإنه ينشط في أنحاء العالم الآن ٣٨٧ مشروع تنصيري عالمي، و ٢٥٤مشروع منها تحرز التقدم والنتائج المرجوة، ويعتبر ٢٥٤ مشروع من هذه المشاريع مشاريع واسعة النطاق وهي التي ينفق كل واحد منها على العمل التنصيري عشرة آلاف ساعة عمل أو أكثر من عشرة ملايين دولار سنوياً على مدى عشر سنوات.

و٣٣ مشروعاً من هذه المشاريع هي ما توصف بـ «المشاريع الضخمة» وهي التي ينفق كل واحد منها مائة ألف ساعة عمل أو مائة مليون دولار سنوياً أو ألف مليون دولار عبر عمرها. وأكبر هذه المشاريع الضخمة ينفق الآن ٥٥٠ مليون دولار سنوياً على أنشطتها التنصيرية في أنحاء العالم.

أموال التنصير: من المعروف أن الكنيسة تمتعت دائماً بمصادر ضخمة، ولكنها لم تحسن استخدامها دائماً. ومن ذلك أن مشروعاً تنصيرياً معيناً جمع له ٣٣٦ مليون دولار سنة ١٩١٨م ولكنه انهار خلال أسبوع واحد من قيامه، كما أن مشروعاً ضخماً آخر للتنصير جُمِعَ له مبلغ ١٥٠ مليون دولار في الولايات المتحدة ثم انهار فجاة سنة ١٩٨٨م نتيجة فضيحة أخلاقية وإدارية تتعلق ببعض كبار المنصرين، والإشارة هنا إلى القسين الأمريكيين (باكير) و (جيمي سواغارت) قائدي منظمة مجالس الله.

ـ البيان ـ

الحرب بين المسلمين والنصارى:

إن أول مواجهة قتالية بين المسلمين والنصارى كانت في مؤتة، ثم عزم النبي ﷺ على مواجهتهم في تبوك لكن الله ـ تعالى ـ لم يقدِّر قتالاً، ثم بعد وفاة النبي ﷺ سارت الجيوش الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ثم في العهدَيْن الأموي والعباسي، فكانت المعارك الكبرى في الشام وغيرها: أجنادين، واليرموك التي أزالت النفوذ البيزنطي النصراني عن كامل بلاد الشام، وودَّع هرقل سوريا وداعاً لا لقاء بعده[1]، ودخل المسلمون بيت المقدس عام ١٥ هـ، وتسلَّم مفاتيحها عمر ـ رضي الله عنه ـ وكتب كتاباً فرض عليهم فيه الجزية، وحفظ لهم حقوقهم، وأوفى شروطهم؛ لأنها فتحت صلحاً على الصحيح[2].

واستمرت الفتوح حتى توغل المسلمون في أوروبا ففتحوا الأندلس وأزالوا حكم القوط النصارى عنها، ووصلت جيوشهم إلى وسط فرنسا، واستولى المسلمون على معظم جزر البحر المتوسط من رودس إلى صقلية وجنوب شبه جزيرة إيطاليا، وحاصروا رومية (روما) مركز البابوية الكاثوليكية، والقسطنطينية قاعدة الأرثوذكسية، ولم يكن للمسلمين غاية سوى أن تكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله، ولذا لم يقف أمامهم جيش ولم تستعص عليهم مدينة، وكأنهم يريدون تحقيق البشارة النبوية بفتح روما والقسطنطينية. وكاد المسلمون أن يفتحوا أوروبا كلها بما فيها روما لولا أن الله ـ تعالى ـ قدَّر هزيمتهم في معركة بلاط الشهداء التي تسمى في كتب الغربيين (تور بواتييه) نسبة إلى موقعها وكانت عام ١١٤هـ الموافق ٧٣٢م؛ حيث قاد المسلمين فيها عبد الرحمن الغافقي ـ رحمه الله تعالى ـ وقاد النصارى شارل مارتل الذي يعتبره النصارى أعظم قائد أنقذ أوروبا من سقوطها في أيدي المسلمين، وكان سبب هزيمة المسلمين فيها الانشغال بالغنائم فيما ذكره المؤرخون[3].

تنصير الأندلس:

يذكر المؤرخون أن ابتداء أمر النصارى مع المسلمين كان من الأندلس، ثم سيَّروا حملات للشرق الإسلامي؛ لتكون الهجمات على المسلمين في الأندلس وفي الشرق. قال ابن الأثير: كان ابتداء ظهور دولة الفرنج واشتداد أمرهم وخروجهم إلى بلاد المسلمين واستيلائهم على بعضها سنة ٤٧٨هـ، فملكوا مدينة طليطلة وغيرها من بلاد الأندلس، ثم قصدوا سنة ٤٨٤هـ جزيرة صقلية وملكوها؛ فلما كانت سنة ٤٩٠ هـ خرجوا إلى بلاد الشام[4].

فانطلاقة النصارى كانت من بلاد الأندلس لما رأوا انتصاراتهم فيها، وبقي فيها منهم جيوش تقاتل مَنْ بقي من المسلمين، وجيوش أخرى انطلقت من أوروبا إلى الشرق الإسلامي.

وقد سجل المؤرخون ما عمله النصارى من عظائم في حق مسلمي الأندلس؛ فقد أرادوا سحق الإسلام فيها، ونكثوا العهود التي عاهدوا المسلمين عليها حتى قال مؤرخ أسباني في ذلك العصر: «إنه منذ استولى فرناندو على غرناطة كان الأحبار يطلبون إليه بالحاح أن يعمل على سحق طائفة محمد من أسبانيا، وأن يطلب إلى المسلمين الذين يودون البقاء إما التنصير، أو بيع أملاكهم والعبور إلى المغرب، وأنه ليس في ذلك خرق للعهود المقطوعة لهم بل فيه إنقاذ لأرواحهم،

---

(١) انظر: فتوح البلدان، للبلاذري، ١٤٢.

(٢) انظر بنود الصلح في تاريخ الطبري، ٢/٤٤٩.

(٣) انظر: تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ٩٢، وما بعدها، وقصة الحضارة لديورانت، ١٣/٢٨١، وما بعدها.

(٤) انظر: الكامل، ٨/١٨٥.



وحفظ لسلام المملكة؛ لأنه من المستحيل أن يعيش المسلمون في صفاء وسلام مع النصارى، أو يحافظوا على ولائهم للملوك ما بقوا على الإسلام، وهو يحثهم على مقت النصارى أعداء دينهم»[1].

ومع تزايد الضغوط التي يقوم بها رجال الدين النصراني على الساسة بلزوم الضغط على المسلمين وعدم الوفاء لهم فإن الساسة خضعوا لتلك الضغوط، وربما وافقت هوى في نفوسهم فعمدوا إلى سياسة المراوغة في الوفاء وتحوير العهود والنصوص التي تضمنتها معاهدة تسليم غرناطة بما يوافق هوى النصارى، وتفسيرها بطريق التعسف والتحكم ثم خرقها نصاً نصاً[2]، واستلاب الحقوق والضمانات الممنوحة تباعاً، فأغلقت المساجد، وحظر على المسلمين إقامة شعائرهم، وانتهكت عقائدهم وشريعتهم[3].

وفي عام ٩٠٥ هـ عزم النصارى في الأندلس على تنصير المسلمين، فجمعوا فقهاء غرناطة ودعوهم إلى التنصُّر، وأغدقوا عليهم التحف والهدايا، فتنصَّر بعضهم ـ والعياذ بالله ـ وتبعهم جماعة من مقلديهم من عامة المسلمين، وقبلهم تنصَّر جماعة من الأمراء والوزراء والأعيان خوفاً على أملاكهم، فباعوا دينهم بدنياهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

وقد تمركزت حركة التنصير في غرناطة وبالأخص في حي البيَّازين؛ إذ حُوِّل مسجده في الحال إلى كنيسة سميت باسم (سان سلبادور) لينتشر التنصير بعد ذلك في سائر بلاد الفردوس المفقود[4].

لم يكتف النصارى بذلك بل أرادوا محو أثر الإسلام من الأندلس، فأقدم الكردينال خمنيس على جمع ما يستطاع جمعه من الكتب العربية من أهالي غرناطة وأرباضها، ونظمت أكداساً هائلة في ميدان الرملة وأضرمت فيها النيران، ولم يستثن منها سوى ثلاثمائة من كتب الطب والعلوم. ثم أمر خمنيس بإبادة كتب العرب من بلاد أسبانيا عامة، فتم ذلك بغيرة عمياء مدة نصف قرن حتى قال المؤرخ لبون: ظن الكردينال لما أحرق في غرناطة كل ما طالته يده من مخطوطات العرب ـ وكانت ثمانين ألفاً، عدا ما أحرق في المدن الأخرى ـ أنه يحذف إلى الأبد من كتاب التاريخ ذكرى أعداء دينه، ولكن الأعمال التي قامت على أيديهم في تلك الأرض تكفي لتخليد ذكرهم على الدهر وإن نفدت آثارهم المكتوبة»[5].

قوة المال: استخدم المنصرون إلى جانب القهر والسلطة السياسية، قوة المال ووسائل الدعاية؛ فقد بلغت الأوضاع المالية للكنائس العالمية أن المسيحية العالمية المنظمة أنفقت في الثمانينيات ١٤٥ بليون دولار سنوياً، ويعمل في أجهزتها ٤,١ ملايين عامل متفرغ، وهي تدير ١٣٠٠٠ مكتبة عامة كبرى، وتنشر ٢٢٠٠٠ مجلة بمختلف اللغات عبر العالم، كما تنشر ٤ بلايين نسخة من الكتب في العام الواحد، وتدير ١٨٠٠ محطة إذاعية وتليفزيونية في أنحاء العالم، وتستخدم المنظمات الكنسية ٣ ملايين جهاز كمبيوتر. ويُوصَف أخصائيو الكمبيوتر المسيحيون بأنهم جيش مسيحي من نوع جديد.

ـ البيان ـ

(١) عن دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان، ٦/٣١٣.

(٢) ما أشبه الليلة بالبارحة! فاليهود اليوم ومن خلفهم قوى النصارى الظالمة يمارسون السياسة نفسها في فلسطين فيما يتعلق باتفاقيات السلام المزعوم؛ إذ إن لهذه الاتفاقيات والنصوص تفسيرات عند اليهود تختلف عما فهمه المفاوضون العرب، ولا تظهر هذه التفسيرات اليهودية إلا حينما يطالبهم العرب بتطبيقها وصدق الله العظيم؛ إذ يقول: ﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ [البقرة: ١٠٠] ﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٦].

(٣) ذكر المقري أن المسلمين ما سلَّموا غرناطة للنصارى عام ٨٩٧ هـ إلا بعد أن اشترطوا سبعة وستين شرطاً فيها حفظ دينهم وإقامة شعائره وحفظ أموالهم وأراضيهم، ولكن النصارى لم يفوا بتلك الشروط بل بدأ غدرهم فور تمكنهم. انظر بعض شروط المسلمين في نفح الطيب، ٦/٢٨٠.

(٤) انظر دولة الإسلام في الأندلس، ٦/٣١٥ ـ ٣١٦.

(٥) الإسلام والحضارة العربية، ١/٢٥٥.

وقد علق المؤرخ الأمريكي وليم برسكوت على هذا الإجراء من النصارى فقال: «إن هذا العمل المحزن لم يقم به همجي جاهل، وإنما حبر مثقف، وقد وقع لا في ظلام العصور الوسطى، ولكن في فجر القرن السادس عشر، وفي قلب أمة مستنيرة تدين إلى أعظم حد بتقدمها إلى خزائن الحكمة العربية ذاتها»[١].

ولم يكن حرق الكتب العربية مجرد تعصب أعمى أدى إلى هذه الهمجية كما قال، ولكنه خطة مدروسة تحت مشروع تنصير المسلمين في الأندلس؛ لأن بقاء الكتب العربية يؤخر عملية التنصير من جهة، ومن جهة أخرى لا يأمن النصارى مع وجود هذا التراث أن يرجع المتنصرون إلى دينهم مرة أخرى تأثراً بقراءته؛ فكان لا بد من اجتثاثه؛ وهذا الهدف صرح به المستشرق سيمونيت في معرض دفاعه عن هذا الإجراء فكان من قوله في ذلك: إن ما قام به الكردينال من حرق الكتب أمر لا غبار عليه؛ إذ هو إعدام للشيء الضار، وهو بالعكس أمر محمود كما تعدم عناصر العدوى وقت الوباء، وإن الملكيْن الكاثوليكييْن قد أمرا عقب تنصير المسلمين أن تؤخذ منهم كتب الشريعة والدين لكي تحرق في سائر مملكة ـ غرناطة، وألا يبقى لديهم سوى الكتب التي لا علاقة لها بالدين الذي نبذوه[٢].

ويمكن تلخيص الأساليب التي قام بها النصارى في الأندلس لمحو الإسلام منها وتنصيرها في الآتي:

١ ـ كانت بداية التنصير في الأندلس في عام (٩٠٥هـ) على شكل مواعظ نصرانية تلقى على المسلمين يلقيها الأساقفة والقادة يدعونهم فيها إلى انتحال النصرانية محاولين إقناعهم أن آباءهم كانوا نصارى[٣]. وقد أثَّرت هذه المواعظ في بعض وزراء المسلمين وأمرائهم سواء كان هذا التأثر عن قناعة أم كان عن غير قناعة لحفظ الأموال والضياع والمزارع، وتبعهم جمع من عامة الناس تأثراً بهم وبمراكزهم القيادية.

٢ ـ الترغيب في النصرانية بالمتاع الدنيوي: فبعد عام تقريباً أي في عام ٩٠٦ هـ صدر مرسوم كاثوليكي إلى المسلمين القاطنين في مدينة بسطة، بإقالة الذين تنصروا منهم أو يتنصرون من جميع الفروض والمغارم التي فرضت على الموريسكيين[*]، وتحريرهم منها سواء بالنسبة لأنفسهم أو منازلهم وأموالهم الثابتة والمنقولة من يوم التنصير، وألا يدخل أحد منازلهم ضد إرادتهم، ومن فعل عوقب بغرامة فادحة، وأن يُعفَوْا من سائر الذنوب التي ارتكبت ضد خدمة العرش، وأن تحترم جميع العقود والمحررات التي كتبت بالعربية، وصادق عليها فقهاؤهم وقضاتهم، وأن يعامل المتنصرون منهم كسائر النصارى الآخرين في بسطة، ولهم أن ينتقلوا وأن يعيشوا في أي مكان آخر من أراضي قشتالة دون قيد أو عائق، إلى غير ذلك من المنح والامتيازات[٤].

٣ ـ اعتبار أن أطفال المسلمين نصارى وإجراء أحكام النصرانية عليهم ولو لم يتنصر والدوهم، فأخذوا يعمِّدون أبناء المسلمين بالقوة مدعين أن العرب في الأصل كانوا نصارى[٥].

٤ ـ تخيير المسلمين بين الدخول في النصرانية أو الخروج من الأندلس؛ ففي عام ٩٠٧هـ أصدر فرناندو وزوجته إيسابيلا أمراً ملكياً يتلخص في أنه لما كان الله قد اختارهما لتطهير مملكة غرناطة من الكفرة فإنه يحظر وجود المسلمين

(١، ٢) دولة الإسلام في الأندلس، ٦/٣١٨.

(٣) الإسلام والحضارة العربية، ١/٢٥٣، وانظر: نفح الطيب، ٦/٢٨١، وقد ذكر أنهم يقولون للمسلم: إن جدك كان نصرانياً فأسلم فترجع نصرانياً.

(*) هذا المصطلح يطلق على العرب الذين تنصروا في الأندلس بعد انتزاع النصارى لها. انظر الموسوعة العربية الميسرة، ٢/١٧٧٧، وأصل الكلمة تصغير لكلمة: (موروس) ومعناها: المسلمون الأصاغر رمزاً إلى ما انتهت إليه الأمة الأندلسية من السقوط والانحلال.

(٤) دولة الإسلام في الأندلس، ٦/٣٢٠.

(٥) انظر: الإسلام والحضارة العربية، ١/٢٥٣.

فيها؛ فإذا كان بها بعضهم فإنه يحظر عليهم أن يتصلوا بغيرهم خوفاً من أن يتأخر تنصيرهم، كما يحظر اتصالهم بمن تنصروا لئـلا يفسدوا دينهم، ويعاقب المخـالفون بالموت أو مصـادرة الأموال. وأرسل المسلمون رسالة إلى سلطـان مصر آنذاك يصفون إكـراههم على النصرانية، لكن ملك النصـارى أرسل وفداً إليه يطمئنه بحـسن أحوال المسلمين في الأندلس مما كان من أسباب عدم نجدة المسلمين.

وقد واجه بعض المسلمين هذا الظلم والقهر بالتجمع في الجبال والإغارة على النصارى، فاصدر النصارى قانوناً يحرم على المسلمين إحراز السـلاح علناً أو سراً، وينص القانون على معـاقبة المخالفين لأول مرة بالحـبس والمصادرة، ثم بالموت بعد ذلك. وقد تكرر صدور هذا القانون عدة مرات وفي أرجاء مختلفة من بلاد الأندلس، وكان يطبق بصرامة وحزم.

ولم يسلم من تنصر من المسلمين؛ فحظر عليهم حيازة السلاح أيضاً كما حرِّم عليهم أن يبيعوا أملاكهم إلا بترخيص من السلطات النصرانـية، ومن تجاوز هذه القوانين عـوقب بالموت ومصادرة أمـلاكه؛ لأنه ثبت لدى النصارى ـ كـما في نص المرسوم ـ أن كثيراً من المتنصرين يبيعون أملاكهم ويحصلون على أثمانها ثم يعبرون إلى المغرب وهنالك يعودون إلى الإسلام(١).

وكان المسلمون سراً المتنصرون علانية يرفعون الصلبـان فوق منازلهم وأكواخهم إيهاماً بأنهم نصارى وأملاً في أن لا يكشف أمرهم، لكن الحكومة النصرانية كان عندها جداول بأسمائهم فلم تنفعهم هذه الحيل كلها، وكانت صفة إجلائهم مؤلمـة جداً فمـنهم من دفعـه اليأس إلى تخـريب منزله أو إضرام النـار فيـه وفي كل ما يملك، ومنهم من كـان يصل به القنوط إلى قتل أولاده ثم الانتحار والعياذ بالله. وكثير منهم ماتوا من الجوع والأمراض والجزع(٢).

٥ - تنصير المسلمين بالقوة: كانت فـترة التخيير بين الدخول في النصرانية أو الخروج من الأندلس فـترة عصيبة جداً على المسلمين، وتنصر كثير منهم، وخرج من الأندلس كـثيرون لكن القانون لم يطبق بحزم، وفي عام ٩٣٠هـ صدر مرسوم جديد يحتم تنـصير كل مسلم بقي على دينه، وإخراج كل من أبى النصرانية من أسبـانيا، وأن يعاقب كل مسلم أبى التنصير أو الخروج في المهلة الممنوحة بالرق مدى الحياة، وأن تحول جميع المساجد الباقية إلى كنائس.

لم يرتضِ المسلمون هذا الظلم فـرفعوا مظلمتـهم إلى إمبراطور النصارى؛ فـشكَّل محكمة كبـرى من النواب والأحبار والقادة وقضاة التحـقيق للنظر فيما ادعاه المسلمون من أنهم يُنصَّرون بالقـوة والإكراه. وقررت هذه المحكمة أن إكراههم

الأخطبوط التنصيري: إخطبوط التبشـير المسيحي بلغ في سنة ١٩٨٥م ربع مليون مبشر مـسيحي غربي في آسيا وإفريقيا، يمثلون ٣,٥٠٠ منظمة وجمعية تبشيرية في الغرب، يساعدهم ٣,٥ مليون مبشر محلي.

وينفق الغرب أموالاً طائلة على هذا المجهود؛ فحسب قول دافيـد وارين الذي يحرر دائرة المعارف المسيحية العالمية أنفقت الإرساليات المسـيحية عبر العالم ٧٠ بليـون دولار سنة ١٩٧٠، و ١٠٠,٣ بليون دولار سنة ١٩٨٠م، وكان الرقم المتوقع لسنة ١٩٨٥م هو ١٢٧ بليون دولار. وبهذه الزيادة المطردة، لا بد أن يكون إنفاق الإرساليات الحالي عبر العالم قد جاوز مائتي بليون دولار في السنة.

- البيان -

(١) انظر: دولة الإسلام في الأندلس، ٦/٣٢٤ ـ ٣٢٧، وانظر في طرد المسلمين من الأندلس أيضاً الحلل السندسية، ٣/٣٢٤ وذكر فيه عدداً من القوانين الجائرة التي صدرت في حق الأندلسيين. وكذلك الإسلام والحضارة العربية، ١/٥٣، وذكر فيه أن المسلمين كانوا في الجبال فيما يشبه بنصف استقلال أكثر من نصف قرن، ثم ذكر أن أكثرهم تنصروا في بداية القرن السادس عشر الميلادي.

(٢) انظر: الحلل السندسية، ٣/٣٢٤ ـ ٣٢٥.

على النصرانيـة صحيح، وأنه ملزم لهـم بدخول النصرانيـة على اعتبار أنهـم يفرون بالدخول في النصـرانية من خطر الموت أو الطرد أو الرق ومصادرة الأملاك.

وقد علق على هذا الحكم الجـائر غربي نصراني بقوله: «وهكذا اعـتبر التنصيـر الذي فرضه القوي على الـضعيف، والظافر على المغلوب والسيد على العبد، منشأ لصفة لا يمكن لإرادة معارضة أن تزيلها.

وإثر هذا الحكم صـدر أمر ملكي بأن يرغم سـائر المسلمين الذين نُصِّـروا كرهاً على البـقاء في أسـبانيـا باعتـبارهم نصارى، وأن ينصَّـر أولادهم؛ فإن ارتدوا عن النصـرانية قـضي عليهم بالموت والمصـادرة. كما قـضي بأن تحـول جـميع المساجد الباقية في الحال إلى كنائس»(١).

وقام ديوان التحقيق ـ محاكم التفتيش ـ بمهمة ملاحقـة المتنصرين ومراقبة سلوكهم بقصد حماية عقيدة الكاثوليك من ارتداد الناس عنها، وكذلك إجبار غير الكاثوليك على التدين بها وهو ما يسمى في كتب الغربيين بالكثلكة.

وقد حاول المتنصـرون من اليهود والمسلمين الهرب من بطش رجـال ديوان التحقيق وذلك بالتخـفي في الجبال وفي ضياع الأشراف، فـصدرت الأوامر الملكية بتسليم الهـاربين إلى ديوان التحقيق، وهُدد الأشراف بفـقد وظائفهم والنفي من الكنيسة إذا لم ينفـذوا الأوامر مما كان سبباً في بث الرعب والذعر في صفوف المتنصرين. فـحاولوا الهرب من الأندلس كلها عبـر شواطئ البحار والأنهـار، فأصدرت الحكومة النصرانـية قراراً يحرِّم على ربان أية سفـينة وأي تاجر أن ينقل معه نصرانياً محدَثاً دون ترخيص خاص(٢).

٦ - محو شعارات المسلمين وعاداتهم بعد محو شعـائر الإسلام: قام مندوبو ديوان التحقيق بمراقبة المتنصرين في شعائرهم لضمـان انتمائهم للدين الكاثوليكي، ثم أُصدر قانونٌ يحرم استـعمال الشعارات الإسلامية مـثل اللغة العربية، وارتداء الثياب العـربية على هؤلاء المتنصرين، ومنع نسائهم من الحجـاب وإلزامهن بلبس المعطف والقبعات كما يفعل نساء النصـارى، وأن تكون احتفـالاتهم مطابقة لعـرف الكنيسة، ويجب أن تـفتح المنازل أثناء الاحتـفال وأيام الجمـعة والأعيـاد الإسلامية ليـستطيع القسيس ورجـال السلطة أن يروا ما يقع بداخلهـا من المظاهر والرسوم. كما حـرموا على النساء الخضاب بالحناء، وحرَّموا استعمال الأسماء والألقاب العربية.

ويعتبـرون المتنصِّر قد عاد إلى الإسلام إذا امتـدح دين محمد أو قال: إن يسوع المسـيح ليس إلهاً وليس إلا رسولاً. ويجب على كل نصراني أن يبلِّغ عما يرى ويسمع من ذلك، كما يجب عليه أن يبلِّغ إذا رأى أحد المتنصرين يباشر بعض العادات الإسـلاميـة، ومنها أن يأكل اللحم يوم الجـمعـة، أو يحتـفل بارتداء ثياب أنظف من العـادة، أو يصوم رمـضان ويتـصدق خـلاله ولا يأكل ولا يشرب إلا عند الـغروب، أو يتناول الطعـام قبل الفـجـر، أو يمتنع عن أكل لحم الخنزير وشرب الخـمر، أو يتـوضأ ويصلي نحـو الشرق ويركع ويسجـد، أو يملِّس بيديه على رؤوس أولاده، أو يغـسل الموتى ويكفنهم أو يدفنهم في أرض بِكْر(٣).

كان هذا الاجتثاث والمحو لشعائر الإسلام أولاً، ثم للـشعارات والعادات التي تربط بين المسلمين كفيلاً بإنهاء مظاهر

---

(١) انظر: دولة الإسلام في الأندلس، ٦/٣٥١.

(٢) دولة الإسلام في الأندلس، ٦/٣٣٢.

(٣) انظر: دولة الإسلام في الأندلس، ٦/٣٤٥، ٣٤٦ وأيضاً ٣٥٧ والموريسكيون لأنطونيو لورتي، ٣٣٤، وتاريخ الاحتلال الأسباني، ١٢/١٣١.

الإسلام في الأندلس إلى أن صدر الأمر الأخير بطرد العرب عام ١٦٠٤م أي عام ١٠١٠هـ تقريباً. فرحل في سنتين عن أسبانيا نحو نصف مليون مسلم، وطويت صحيفة الإسلام في شبه جزيرة الأندلس؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم(١).

وقد تزامن مع تعذيب الأندلسيين على أيدي النصارى إرسال حملات صليبية إلى الشرق الإسلامي للقضاء عليه، وقد استمرت هذه الحملات مائتي سنة تقريباً من ٤٨٩هـ إلى ٦٩٠هـ.

حروب الفرنجة أو الحملات الصليبية:

أطلق الغربيون على هذه الحروب في تواريخهم أسماءاً عدة منها: «الحج إلى الديار المقدسة»، «الحرب في خدمة المسيح»، «أعمال المسيحيين وراء البحار»، «الحرب من أجل تحرير القبر المقدس»(٢).

وأما المؤرخون المسلمون كابن الجوزي وابن الأثير وابن كثير وغيرهم فكانوا يسمونها: «حروب الفرنجة» أو الإفرنج(*).

وقد ذكر المحللون لها أسباباً عدة وأهدافاً متنوعة كالانتقام من المسلمين والاستيلاء على ثرواتهم وإنعاش اقتصاد النصارى وغير ذلك؛ ولكن المحرك الحقيقي والدافع الأكبر هو الهدف الديني، وكانت الدوافع الأخرى سواء منها الاقتصادي أو الانتقام من المسلمين فهي محرك لفئات من النصارى كان لا يهمهم مقدساتهم في الشرق الإسلامي، فاستخدمها مديرو هذه الحملات ومسيروها لدفعهم إلى قتال المسلمين وحشد أكبر عدد ممكن لهذه الحملات. والعبرة في معرفة أسباب الحروب هو نظرة قادتها ومحركيها ومسعّريها؛ لأن الجيوش إنما تسير وتتوقف بهم، أما عامة الناس فليس لهم من الأمر شيء.

وقد استمرت الحملات الصليبية الكبرى قرنين من الزمان من حملة بطرس الناسك عام (٤٨٩هـ) إلى سقوط عكا وما بعدها في أيدي المسلمين عام (٦٩٠هـ)؛ وبسقوطها انتهت دولة النصارى اللاتينية في الشرق الإسلامي، وبقي منهم باقية عاشوا تحت حكم المسلمين.

بعد سقوط عكا وانتهاء الحكم الصليبي في الشرق الإسلامي حاول البابا (نيقولا الرابع) تهييج النصارى في أوروبا بإلقاء المواعظ والخطب التي ذكرهم فيها بسقوط ممالك الصليب في الشرق الإسلامي، وعقد المجامع الكنسية منادياً بإعادة مملكة عكا وبيت المقدس؛ لكن الأوروبيين تعبوا من تسيير حملاتهم إلى الشرق الإسلامي، وأحسوا بحجم الخسائر التي لحقتهم من جراء ذلك على مدى قرنين من الزمن(٣).

---

(١) انظر الإسلام والحضارة العربية، ١/٢٥٣.

(٢) مدخل إلى تاريخ حركة التنصير، د. ممدوح حسين، ١٠، ١١، وماهية الحروب الصليبية، قاسم عبده قاسم، ٢٣٩.

(*) الفرنجة والإفرنجة تحولت من كلمة (الفرانك) (Francs) وهم من السلالة الجرمانية تغلبوا على فرنسا فنسبت إليهم وتسمت بهم، ثم إن العرب تلفظوا بها (الفرنج) أو (الإفرنج) وغلبت هذه اللفظة على كل الأوروبيين ويقال إن اشتقاق اسم فرنسا من الفرانك، انظر غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، لشكيب أرسلان، ٥١ والحروب الصليبية في الشرق والمغرب، ١٨٦.

(٣) الحروب الصليبية في المشرق، ٦٤٢.

ثم حاول النصارى الأرمن ومن بقي معهم من النصارى تحت الحكم الإسلامي في مصر والشام التحالف مع المغول وحصل ذلك لكنهم كُسروا غير مرة.

وتواصلت نداءات الباباوات في أوروبا لتسيير حملات أخرى إلى الشرق الإسلامي خاصة بعد أن تولى بنو عثمان الخلافة الإسلامية وقويت دولتهم وهددوا اليونان ومن خلفهم من الأوروبيين، لكن هذه النداءات لم تجد سامعاً.

وشن القبارصة والأرمن وغيرهم من النصارى عدة غارات على المسلمين لكنها أخفقت، وكانت آخر محاولاتهم عام ٨٣٠هـ؛ وانتصر عليهم المسلمون بقيادة الملك أبي النصر برسباي التركماني؛ إذ كسر القبارصة وأسر ملكهم (جانوس) وخضعت قبرص للسلطنة المصرية الإسلامية ووضعت فيها حامية مصرية.

آثار الحروب الصليبية على المسلمين:

تركت الحروب الصليبية كثيراً من الآثار السيئة على الأمة الإسلامية في الشرق كان منها:

١ - المذابح العظيمة التي لحقت بالمسلمين من جراء تلك الحملات، وفي الحملة الأولى أباد النصارى أهل انطاكية، وذبحوا في القدس أكثر من سبعين ألفاً[١]، وكم أعطى النصارى الأمان لأهل البلاد التي يحاصرونها ثم يغدرون بهم بعد التسليم ويبيدونهم كما فعل ريتشارد (قلب الأسد) غير مرة.

٢ - تخريب كثير من بلاد الشرق الإسلامي وتهجير أهلها منها، فقد خُربت حمص وبعلبك وحماة وعسقلان وقنسرين وطبرية وغيرها، واضطر المسلمون أن يخربوا مدنهم بأيديهم أثناء الحصار حتى لا يستفيد منها الصليبيون، ولعلهم بعد التخريب لا يستوطنونها[٢].

٣ - تشريد كثير من المسلمين من بيوتهم، لأن هدف الصليبيين كان هدفاً استيطانياً، فهم يفرغون المدن التي يستولون عليها من أهلها، ومن ثمَّ لا مأوى لأهلها المشردين.

٤ - مهدت الحروب الصليبية لحركات الاستعمار الذي لا زال المسلمون يعانون من آثاره ويرزحون تحت نيره؛ ذلك أن الصليبيين ـ وخلال مائتي عام من تسيير الحملات الكثيرة التي كان أكبرها ثماني حملات ـ اقتنعوا أن الشرق الإسلامي لا يمكن كسره عسكرياً؛ إذ إن روح الجهاد التي تُبعث مع كل اعتداء عليه كفيلة بدحر أي قوة، وهزيمة أقوى جيش مما جعل النصارى يلجؤون إلى أساليب أخرى من الغزو تمثلت في الغزو الفكري، والهيمنة الاقتصادية، وتفريق المسلمين والتحريش فيما بينهم.

يقول (Kigk): إن الحروب الصليبية فتحت أذهان الغربيين إلى مستوى الحضارة في الشرق الأوسط، ذلك المستوى الذي كان يفوق بكثير حضارة الغرب، ومع تفتيح أذهان الغربيين اتجه هؤلاء إلى غزو الشرق فكرياً بعد أن عجزوا عن غزوه عسكرياً.

---

(١) انظر مثلاً: المنتظم، ١٧/٤٧ وفيات الأعيان، ١/١٧٩، ومرآة الجنان، ٣/١٥٤، وتاريخ ابن خلدون، ٥/٢٥، وتاريخ ابن الوردي، ١/١١، والكامل، ١٠/٢٨٣، والبداية والنهاية، ١٢/١٣٨.

(٢) انظر مثلاً: النوادر السلطانية، ٢٣٥ والسلوك لمعرفة دول الملوك، ١/١٠٦، وقد ذكر الغربي جاك دي دنتبري: أن الصليبيين اعتادوا نهب حمص وبعلبك وحماه لكي يرغموا أهلها على دفع إتاوة لهم. انظر: ماهية الحروب الصليبية، ٢٣٣، وانظر أيضاً: رحلة ابن جبير، ٢٢٨ ـ ٢٣٢.

يقول (Oman): إن هذه الحروب ـ يعني الصليبية ـ وضعت نواة الاستشراق؛ إذ اتجه الرهبان لدراسة اللغة العربية والفكر الإسلامي لمعرفة اتجاهات المسلمين في مختلف الشؤون، وقد أُسست كلية للرهبان عام ١٢٧٦م في (ميراما) لدراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية، كما أنشئت الكراسي للُغات الشرقية في باريس ولوفان»(١).

ولجأ النصارى إلى التنصير بين المسلمين عن طريق الإرساليات التنصيرية بعد أن ثبت إخفاقهم في المعارك الحربية، ومن مؤسساتهم لنجاح التنصير مدارس «الفرنسيسكان» المنسوبة إلى القديس فرنسيس، و«الدومنيكان» المنسوبة إلى القديس دومنيك في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي في سوريا، وكان المنصِّر يُعَدُّ لهذه المهمة قبل أن يرسَل لمباشرتها. ومن أهم وسائل إعداده تعلُّمه اللغة العربية، وشيئاً من الدراسات الإسلامية؛ وذلك هو الدستور الذي لا يزال سائداً حتى الآن(٢).

إحصائية التنصير لعام ١٩٩٩م (*)

عدد أعضاء كل طائفة:	عام ١٩٧٠	عام ١٩٩٩	عام ٢٠٢٥
ـ الكنيسة الإنجليزية	٤٧,٥٢٠,٠٠٠	٧٤,٥٠٠,٠٠٠	١١٠,٠٠٠,٠٠٠
ـ الأرثوذكس	١٤٧,٣٦٩,٠٠٠	٢٢٢,١٢٠,٠٠٠	٢٧١,٧٥٥,٠٠٠
ـ البروتستانت	٢٣٣.٨٠٠,٠٠٠	٣٢١,٣٥٨,٠٠٠	٤٦١,٨٠٨,٠٠٠
ـ الكاثوليك	٦٧١.٤٤١.٠٠٠	١,٠٤٠,٠١٨,٠٠٠	١,٣٧٦.٢٨٢,٠٠٠
النصارى في إفريقيا	١٢٠,٢٥٧,٠٠٠	٣٣٣,٣٦٨,٠٠٠	٦٦٨,١٤٢,٠٠٠
عدد المنصرين الأجانب	٢٤٠,٠٠٠	٤١٥,٠٠٠	٥٥٠,٠٠٠
عدد المنصرين المحليين	٢,٣٥٠,٠٠٠	٤,٩١٠,٠٠٠	٦,٥٠٠,٠٠٠
التبرعات للكنيسة	٧٠ بليون دولار	١,٤٨٩ بليون دولار	٢٦ بليون دولار أمريكي
الجرائم المتعلقة بالكنيسة	٥ مليار دولار	١٢,٢ مليار دولار أمريكي	٦٥ مليار دولار أمريكي
عناوين الكتب النصرانية التي تم طباعتها	١٧١٠٠	٢٤٨٠٠	٧٠,٠٠٠ عنوان
المجلات الدورية النصرانية	٢٣٠٠٠	٣٣٧٠٠	١٠٠,٠٠٠
عدد الأناجيل وأجزاء الأناجيل التي تم طباعتها	٢٥١ مليون	٢,١٤٩,٣٤١,٠٠٠	٤,٤٣٠,٠٠٠,٠٠٠ نسخة
محطات الإذاعة والتلفزيون التنصيرية	١٢٣٠	٣,٧٧٠	١٠,٠٠٠ محطة
عدد مخططات التنصير في العالم	٥١٠	١٣٤٠	٣٠٠٠ خطة

(*) نقلاً عن: كتاب لمحات عن التنصير في إفريقيا، الدكتور عبد الرحمن السميط.

ـ البيان ـ

(١) الحروب الصليبية، لأحمد شلبي، ٩٢.

(٢) المصدر السابق، ٩٨.



التنصير يغزو العالم الإسلامي

أحمد عبد الله سيف الرفاعي

عندما نقارن بين المخاطر التي تشكلها الحروب التي يشنها الأعداء ضد المسلمين، وبين المخاطر التي يشكلها الغزو الفكري الثقافي عليهم، فإننا نذهب إلى أن النوع الثاني أشد تدميراً وأكثر ضراوة وأعمق تأثيراً من النوع الأول، أي أنه يُخشى على المسلمين من التدمير الفكري الثقافي أكثر من أن يُسحقوا مادياً تحت وطأة الجيوش والأسلحة، هذا فضلاً عن أن المسلمين يخرجون من حروبهم مع أعدائهم أشد عزماً وأقرب رجوعاً لدينهم وتمسكاً به.

وفيما يلي نتعرض لأحد معاول الهدم الخبيثة التي تحاول دائماً النيل من الإسلام ومن المسلمين، ألا وهو التنصير:

أولاً: لماذا هدفهم الإسلام؟!

يستهدف المنصرون الإسلام - قبل أي دين آخر - لأنهم يعرفون من تاريخهم كله أنه لم يغلبهم إلا هذا الدين يوم كان يحكم الحياة، وأنهم غالَبوا أهله طالما لم يُحكِّمه أهله في حياتهم.

ولقد عَدَلَ النصارى الصليبيون عن مواجهة الإسلام، أو الاصطدام بالمسلمين؛ لأن الغلبة في النهاية تكون من نصيب المسلمين؛ فالأمة الإسلامية قد تمرض ولكنها لا تموت، وتغفو ولكنها لا تنام، والمسلمون قد يهزمون ولكنهم لا يبادون أو يسحقون، ومهما كانت الحروب معهم - أعني المسلمين - سجالاً فالغلبة لهم في النهاية متى جعلوا نصرة الله نصب أعينهم وهدفهم المنشود، وما أن يُخلِص المسلمون في عودتهم إلى دينهم حتى يصبحوا قوة لا تقهر، ولقد عرف النصارى الصليبيون هذه الحقيقة، وأكدها لهم لويس التاسع ملك فرنسا بعد أن هزمه المسلمون شر هزيمة، وأسروه في موقعة المنصورة بمصر، ثم خرج صاغراً من أسره. وكتب وصيته الشهيرة - والتي عُرفت بوصية القديس لويس - ليؤكد فيها أن المسلمين لا تهزمهم الجيوش مهما كانت، وعلى الغرب الصليبي أن يتخلى عن استخدام أسلوب الحروب المادية، وأن يستبدلها بالحروب الثقافية الفكرية، وكانت وصيته تلك بمثابة إعلان عن أن الصراع بين المسلمين والنصارى بدأ يأخذ شكلاً جديداً، فاستُبدلت الحروب المادية بأخرى فكرية ثقافية، وإن لم يخلُ الأمر من صِدام مادي وقتال دموي على طول محطات التاريخ.

ثانياً: أهداف التنصير:

يسعى المخطط التنصيري إلى تحقيق مجموعة من الأهداف في البلاد الإسلامية؛ فالمنصِّرون يعتبرون الإسلام هو الدين الوحيد الخطر عليهم؛ فهم لا يخشون البوذية ولا الهندوكية ولا اليهودية؛ إذ إنها جميعاً ديانات قومية لا تريد

الامتداد خارج أقوامها وأهلها، وهي في الوقت نفسه أقل من النصرانية رقياً. أما الإسلام فهو ـ كما يسمونه ـ دين متحرك زاحف يمتد بنفسه وبلا أية قوة تساعده، وهذا هو الخطر فيه ـ كما يقولون ـ ومن هنا نجد أن للتنصير أهدافاً متنوعة، منها ما هو تقليدي، ومنها ما هو غير تقليدي، ومن هذه الأهداف ما هو ظاهر جليّ، ومنها ما هو باطني خفيّ. بل إن للتنصير أهدافاً بالغة الخطورة على الإسلام وعلى المسلمين، ورغم ذلك يكاد أن لا يشعر بها أحدٌ من المسلمين.

ويمكن تركيز أهداف التنصير في ثلاثة أهداف متدرجة كما يلي:

١ – إخراج المسلمين من الإسلام، والتشكيك فيه، وفي سيرة رسوله ﷺ، وتزييف مفاهيمه، وهدم عقيدته: يقول زويمر ـ أحد أقطاب التنصير ـ: «إن مهمة التنصير ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية (النصرانية)؛ فإن هذه هداية لهم وتكريم، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله» وصدق الله إذ يقول: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾.

[البقرة: ١٠٩].

٢ – الحيلولة دون انتشار الإسلام: فالمنصرون يشنون هجومهم على الإسلام خوفاً على قومهم من معرفته أكثر من رغبتهم في تنصير المسلمين؛ فهم يخافون الإسلام ويرددون دائماً أنه الدين الوحيد الخطر عليهم، ويفضل الغرب أن يظل يُنعت بالنصرانية على الرغم من علمانيته وإلحاده، وعلى الرغم من تهميشه للكنيسة هناك. ويأتي تبشير الغرب بالنصرانية ـ أو ما نسميه نحن بالتنصير ـ مسوغاً اصطنعه ليواجه التوسع الإسلامي، وليضفي الشرعية على هذه المواجهة، ويتقاسم مع التوسع الإسلامي أسس الهداية والإيمان. وكثيراً ما يتَّهم الغربُ الإسلام ـ كذباً وزوراً ـ بأنه انتشر بالسيف ليجعل من ذلك مسوغاً لاستخدام السيف هو الآخر، فهو في الحقيقة لا يصف التوسع الإسلامي بقدر ما يبحث عن شرعية ضرب الشعوب بالسيف تحت ستار التبشير أو التنصير، والواقع ـ كما يرى الغرب ـ أن حالات دخول الإسلام أكثر عدداً من حالات التنصر من غير مراكز تنصيرية ومن غير ضرب الشعوب بالسيف.

ويجدر بنا أن ننبه على أن هدف التنصير يختلف من منطقة إلى أخرى؛ ففي البلاد العربية يكتفي بزعزعة عقيدة المسلم وإخراجه من الإسلام، وليس مهماً أن يدخل النصرانية. أما خارج البلاد العربية فيتم تنصير المسلمين فعلاً، وليس معنى هذا أن البلاد العربية ذات حصانة ضد التنصير؛ فقد وقع فيها أعمال للتنصير آتت أكلها الخبيثة في أحيان كثيرة، وتنصَّر بعضٌ من الناس بالفعل في تلك البلدان، ولكن كان التنصير أكثر وقعاً في البلدان الإسلامية الأخرى.

٣ – التمهيد لإخضاع العالم الإسلامي سياسياً واقتصادياً وثقافياً لسيطرة النفوذ الغربي: وتهيئة الأجواء لقبول ما يسمى بـ «العولمة» أو «الكوكبة» وما يتبع هذا النظام من توحيد الأيديولوجية السياسية العالمية، وإقامة هيكل اقتصادي جديد، وبث قيم اجتماعية عصرية، وإزالة الحواجز الثقافية، وتذويب الفروق بين المجتمعات الإنسانية المختلفة انتهاءاً برعاية الحوارات الدينية والثقافية، بل والدعوة إلى ما يشبه الدين العالمي... إلى غير ذلك من شعارات وأهداف براقة ينخدع بها الكثيرون؛ فإن ظاهرها فيه الرحمة وباطنها فيه الخسران؛ إذ هي في حقيقتها تسعى لحصار المسلمين وفرض التبعية الغربية عليهم، وإقامة آليات السيطرة حولهم، واختراق الحضارة والهوية الإسلامية خاصة بعد أن غَيّر الغرب من أساليب السيطرة العسكرية التقليدية واستبدالها بأساليب حديثة تعطي النتائج نفسها[1].

---

(١) راجع مقالة «العولمة: حلقة في تطور آليات السيطرة» خالد أبو الفتوح، مجلة البيان، العدد ١٣٦.

أترون أن التنصير والقائمين عليه سيقفون مكتوفي الأيدي أمام هذه المتغيرات الدولية؟ لا؛ فإنهم سيكدُّون لتحقيق أهدافهم تحت مظلة تلك المتغيرات التي يعتبرونها فرصة ثمينة وسانحة لبلوغ مآربهم.

إن الزمان قد دار دورته، وما اليوم من الأمس ببعيد: فهاهم أولاء المنصرون يجدون تحت مظلة العولمة فرصة لدعم التنصير ونشر النصرانية كما فعلوا قديماً تحت رعاية الاستعمار العسكري الأوروبي، ومن قبله الحروب الصليبية، ثم يخرج علينا من يقول: إن الحروب الصليبية قد انتهت. لا، وألف لا، ما انتهت. راقبوا أعمال التنصير الدؤوبة في ديار الإسلام فسترونها جهاراً نهاراً بدون بندقية ولا مدفع إلا نادراً.

ثالثاً: وسائل التنصير.. بين القديم والجديد:

لقد أخذت أعمال التنصير في السنوات الأخيرة أشكالاً جديدة، واخترع المنصرون وسائل حديثة لتنصير المسلمين أكثر خفاءاً وأعمق تأثيراً وأشد مكراً وخداعاً من الوسائل «التقليدية» المعهودة، وبذلوا لذلك جهودهم لاستحداث وسائل جديدة للتنصير، مما لا يجعل من المبالغة أن أقول: إن المنصرين استفتحوا على المسلمين كل باب، وأتوهم من طرق شتى تكاد لا تخطر على المسلمين ببال سواء كانت طرقاً ذات طابع سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي أو ثقافي... أو غير ذلك.

وأصبح التنصير اليوم يتكئ على هذه الوسائل الحديثة فضلاً عن القديمة. وفيما يلي نسلط الأضواء على وسائل التنصير بنوعيها مع ذكر بعض النماذج والأمثلة:

١ - استغلال الكوارث الطبيعية والحروب الأهلية: وما ينتج عنها من دمار وخراب وأوضاع مأساوية في أغراض التنصير، فضلاً عن أوضاع المسلمين المأساوية من أيتام وأرامل، وما يحتاجون إليه من طعام وكسوة ومسكن بالإضافة إلى التعليم والعلاج مما يجعلهم فريسة سائغة لاستغلال المنصرين الذين يتظاهرون بمواساتهم مادياً ومعنوياً، ويدّعون الاهتمام بهم صحياً وتعليمياً، وصولاً إلى اكتساب قلوب هؤلاء المسلمين البسطاء، ومن ثم السيطرة على عقولهم وإقناعهم بأن في النصرانية خلاصهم من عذاب الآخرة وفقر الدنيا! ويشترط هؤلاء المنصرون على أولئك المسلمين الذهاب إلى الكنيسة لأداء قداس الأحد مثلاً، أو يشترطون عليهم عدم المشاركة في الأنشطة الإسلامية نظير خدماتهم تلك.

لقد بلغت تقديرات نسبة اللاجئين المسلمين ٨٠٪ من مجموع اللاجئين في العالم كله لجؤوا إلى بلدان أخرى لأسباب عديدة منها: الحروب، والكوارث، وبطش الحكومات والأنظمة المعادية للإسلام، أو خوفاً من الاضطهاد الديني والسياسي العرقي، ويعاني هؤلاء اللاجئون من تشتت الأسر وفقدان مقومات الحياة الأساسية؛ ولذلك فإنهم يمثلون مجالاً واسعاً وتربة خصبة لعمل الجمعيات والمنظمات التنصيرية. وفيما يلي بعض هذه الأمثلة:

● بعد الحرب الأهلية في سيراليون عام ١٩٩٦م والتي قُتل فيها أكثر من عشرة آلاف شخص، وتسببت في نزوح مليون ونصف مليون شخص من منازلهم، قال «كرسبين كول» أحد قادة منظمة الإغاثة World Releif Corporation : «إن الأبواب مفتوحة أمامنا لتنصير هؤلاء المسلمين».

● منظمة «الرؤيا العالمية» التي لها نشاط في أكثر من ٨٠ دولة وتشرف على ٨٦ ألف لاجئ مسلم صومالي توفر لهم الدواء والكساء والتعليم، وتدعوهم إلى النصرانية؛ علماً بأن نسبة المسلمين في الصومال ١٠٠٪، وفي الصومال أيضاً كان الهدف الحقيقي للمشروع الألماني الوطني لمحاربة أمراض العمى هو نشر النصرانية والدعوة لها، وهذا ما اعترف به مسؤول المشروع د. جي ميشيل بعد إسلامه.



● كما أن هناك حركة تنصيرية قوية يشارك فيها البروتستانت والكاثوليك وسط قبائل الطوارق في شمالي نيجيريا ومالي في وقت قتل الجفاف ماشيتهم، وضربت المجاعة مناطقهم، ومات منهم المئات بسبب الفقر والجوع والمرض.

● في البوسنة وزعت الإرساليات التنصيرية ٧٠٠ ألف كتاب تنصيري، كما وزعت عدة آلاف من قصص الإنجيل على أطفال العراق مع مجموعة من الأشرطة السمعية مستغلة الحصار الدولي عليه.

٢ - استخدام التكنولوجيا الحديثة في التنصير والدعاية له: كاستخدام البريد الإلكتروني وشبكة الإنترنت، وبلغ عدد أجهزة الكمبيوتر المستخدمة لخدمة التنصير (٢٠٦٩٦١٠٠٠) جهاز عام ١٩٩٦م.

ولقد قامت شركة مايكروسوفت لبرامج الكمبيوتر العالمية بتزويد المؤسسات التنصيرية ببرامج مجانية بقيمة خمسة ملايين دولار خلال عام ١٩٩٣م.

وقام القس الأمريكي المشهور «بيلي جراهام» - صاحب معهد خاص بتنصير المسلمين - بحملة صليبية تهدف للوصول إلى ٤٠٠ مليون شخص في ٥٠٠ مدينة، عن طريق الأقمار الصناعية عبر ١٦ قرصاً للأقمار الصناعية إلى ١٧٠ دولة. وهذه هي أكبر عملية لنشر النصرانية تستخدم فيها التكنولوجيا الحديثة بهذا الزخم.

دعت الكنيسة في إنجلترا أتباعها إلى أداء الصلاة على الإنترنت، وفتحت الكنيسة موقعاً على الشبكة تبين من خلاله كيفية أداء الصلاة بشكل بسيط، وربطت الكنيسة في الموقع نفسه بين الالتزام بالصلاة وبين التمسك بالريجيم الغذائي أو المواظبة على العناية بحديقة المنزل.

٣ - بناء الكنائس والمراكز التنصيرية بشراهة زائدة مفرطة:

نماذج من الخدمات التي تقدم للمنصرين في أمريكا:

هناك أكثر من ٦٠٠ مدرسة متخصصة في الولايات المتحدة الأمريكية بتدريس أبناء المنصرين الذين يعيشون في إفريقيا وآسيا وغيرها Missionary Kids Schools.

هناك شركات كثيرة متخصصة في نقل احتياجات القسس والمنصرين إلى أي مكان في العالم بسعر زهيد.

هناك شركات متخصصة في توفير السكن للقسس والمنصرين خلال الإجازة التي يقضونها في الولايات المتحدة كل ٧ سنوات.

هناك شركات متخصصة في التأمين على السيارات للقسس والمنصرين الذين يقضون هذه الإجازات بسعر زهيد مقارنة بالشركات التي تطلب مبالغ كبيرة عندما لا يكون الشخص ذا خبرة في قيادة السيارة في أمريكا خلال السنوات التي قضاها في إفريقيا وآسيا أو تفرض الشركات التأمينَ عليهم؛ لأنهم يشكلون خطراً كبيراً في القيادة.

هناك شركات لتزويد القسس والمنصرين بالمعدات التي لا تحتاج إلى كهرباء مثل الثلاجات وغيرها التي تعمل بطاقة بديلة مثل الكيروسين، أو حركة السي دي للمسجلات... إلخ.

هناك مستشفيات نفسية خاصة لعلاج القسس والمنصرين الذين يحتاجون للعلاج النفسي سواء في الميدان أو في شمال أمريكا.

هناك شركات متخصصة في عمل برنامج توفير مالي للمنصرين، يشارك فيه المنصر والمؤسسة التي أرسلته حتى تضمن له حياة كريمة بعد التقاعد، وشركات أخرى تهتم بتوفير مبالغ لتعليم أولاد المنصرين.

هناك شركات لتدريب المنصرين على كيفية التصرف في الأزمات مثل الانقلابات العسكرية، الاضطرابات الأمنية، هجوم إرهابي ... إلخ.

- البيان -

● كانت هناك كنيسة وحيدة في العاصمة «باماكو» بمالي؛ حيث لا يوجد إلا ٢٪ من السكان من النصارى؛ إلا أنه الآن وبسبب النمو الكبير في حركة التنصير تم بناء ٣٢ كنيسة في العاصمة وحدها.

● وفي غانا شُيدت ٦٠٠ كنيسة جديدة خلال عام واحد ١٩٩٣م (صدق أو لا تصدق).

٤ – التنصير بالبريد: انتشرت هذه الظاهرة في بعض البلدان العربية كـ (مصر) فكثيراً ما يصل إلى أحد المسلمين رسالة من مصدر مجهول داخل مصر ـ أو خارجها ـ تتضمن رسالة تنصيرية وقحة، ويمكن الربط بين هذه الظاهرة المريبة وبين نعي الوفاة الذي ينشر في الجرائد مشفوعاً بالعنوان البريدي لإرسال برقيات العزاء. وعلى أي حال يبقى سؤال لا بد من طرحه وهو: إذا كان بعض الناس يتحدث الآن عن مراقبة البريد لمعرفة «الإرهابيين» المزعومين، فلماذا لا يراقبون بريد هؤلاء التنصيريين...؟!

٥ – التخصصية الفائقة الدقة في التنصير: تُشكَّل الجمعيات التنصيرية لتتخصص في تنصير قبيلة في أدغال إفريقية، أو أخرى في أواسط آسيا، أو لتنصير عرقية محددة في أقصى سيبيريا، ولذلك تراهم يترجمون الإنجيل خصيصاً بلغة تلك القبيلة أو العرقية، ويطبعون الكتب التنصيرية لنشرها بينها، وتقام دورات للمنصِّرين لتعلُّم لغات تلك القبائل وعاداتها وأيديولوجياتها وفيما يلي بعض الأمثلة:

● ترجمت إرسالية طائفة المينونايت ـ ومقرها الولايات المتحدة ـ الإنجيل خصيصاً لتنصير أبناء قبيلة «الولوف» السنغالية المسلمة.

● تبث الإذاعات التنصيرية ـ أو حتى برامج في إذاعات أخرى ـ بلغة قبائل معينة، وهذا ما فعلته محطة إذاعة «حول العالم» التنصيرية التي تبث برامج خاصة بلغتي قبائل «لوموا» و «ماكوا» الإفريقيتين.

● أرسلت منظمة Great Cammossion Center (إحدى المنظمات التنصيرية بالولايات المتحدة) عشرين منصراً إلى مسلمي إقليم «تونغ غان» في غرغيزستان في الصين؛ حيث يبلغ تعداد المسلمين هناك نحو (٣٠٠) ألف مسلم؛ فكم جمعية عند المسلمين تخصصت لنشر الإسلام الصحيح بين المسلمين في الصين؟!

● تم ترجمة الإنجيل باللغة الألبانية ـ لأول مرة ـ بجهود الإرسالية المسيحية الأوروبية (E.C.M) وتم إهداء النسخة الأولى منها للرئيس الألباني.

● تمت ترجمة الإنجيل كاملاً إلى لغة «الماتيكا» وهي قبيلة مسلمة ١٠٠٪ في غامبيا.

● تأسست جمعية متخصصة للمهتمين بتنصير العرب سنة ١٩٩٥م شارك في تأسيسها منصرون من (إسرائيل) والضفة الغربية ومصر والأردن وعدة دول عربية أخرى، كما شاركت فيها إرسالية (تنصير العالم العربي) وجمعية «بيلي جراهام» للتنصير، ولجنة مؤتمر لوزان بسويسرا وغيرها.

● كما توجد «إرسالية أوروبا الكبرى» في إيلينوي بالولايات المتحدة Greater Europe متخصصة لتنصير المهاجرين المسلمين في دول الغرب.

٦ – استغلال المناصب السياسية والإعلامية لخدمة التنصير: فرغم أن الكنيسة ما تزال ترفع شعار الابتعاد تماماً عن السياسة إلا أنها تدفع بالرهبان والقسس لتقلد المناصب السياسية ليتسنى لهم من خلالها خدمة التنصير؛ ففي خمس دول إفريقية هي: توغو، بنين، الكونغو، الغابون، زائير يترأس المجالس النيابية في هذه البلاد قسس ورهبان.

● حكَم (جاليوس نيريري) ـ وهو قس سابق متعصب ـ تنزانيا (٧٥٪ مسلمين) لمدة ٢٦ سنة حشد خلالها كل



أجـهزة الدولة ضـد الإسـلام، وحرم المسلمين من حـق التعليم والمنـاصب الإدارية وممارسة شـعـائر دينهم، بل من حق المواطنة، في حين قدم التـسهيـلات والتشجيـعات للكنيسـة ورجالها، ولم تخلُ خطاباته خـلال حكمه من التذكـير بانه نصراني يفتخـر بذلك (حتى في خطابه في جامعة القاهرة في إبريل ١٩٧٦م)، ومثلـه الرئيس النصراني المتشدد (دانيل آراب مويْ) رئيس كينيا السابق.

● ولا يفوتنا هنا أن نذكر الدور البارز الذي قام به مـجلس الكنائس العالمي في إدارة حرب الجنوب في السودان ـ علماً بأن عـدد النصارى هناك لا يتجاوز ٧٪ من تعـداد السكان في الجنوب ـ كما أن العـميل جون جارانج قائـد التمرد هناك كان يتخذ الكنائس مقراً وقاعدة للانطلاق.

٧ – منح الجوائز التشجعيـة العالمية أو شبه العالمية لمن كان لهم دور بارز في خدمة قـضايا التنصير أو حتى في قضايا ضد الإسلام.

فلقد منحت لجنة جائزة «أوناسيس» (الجائزة الكبرى) وقدرها ٢٥٠ ألف دولار أمريكـي للأرثوذكـسي بطرس غالي ـ سكرتير عام الأمم المتـحدة سابقاً ـ نتيجـة جهوده في التفاهم الدولي والتمـييز الجماعي، ويقصـدون دوره الكبير في مشكلة البـوسنة والهرسك، وقد أعلن عن تـلك الجائزة مباشـرة بعد سقـوط الجيب الآمن الذي أعلنته الأمم المتـحدة في سربنيتشا في البوسنة وقد قتل عدة آلاف من المسلمين العزل هناك.

● اخـتـارت جـمعـية كنائس (مـاترا) في فلندا الأسـقف «باريد نابان» أسقـف مدينة (توريت) في جنوب السـودان لجائزة (السلام) التي تمنحها عادة لأولئك الذين يبذلون جهوداً كبيرة في هذا الميدان.

٨ – الزيارات المتكررة والمكثفة التي يقوم بها كبار دعاة النصـرانية وكبار المتصرين على المستوى الدولي لكثير من الدول خاصة المستهدفة بالتنصير.

● لقـد قام البـابا يوحنا بولس الثـاني في الفتـرة من ٥/٢/١٩٨٠م وحـتـى ٢٠/٩/١٩٩٥م بست وأربعين زيارة لأربعين دولة إفريقية، وبالمقارنة لا نجـد أحداً من الباباوات زاروا إفريقيا بهذا القدر الهـائل من الزيارات كما فعل البابا

إحصائية بالمنصرين الكاثوليك من الولايات المتحدة إلى الخارج

السنة	عدد المنصرين الأمريكان الكاثوليك
١٩٦٠	٦٧٨٢
١٩٦٤	٧١٤٦
١٩٦٨	٩٦٥٥
١٩٧٢	٧٦٥٦
١٩٧٦	٧٠١٠
١٩٨٠	٦٦٠١
١٩٨٤	٦٣٩٣
١٩٨٨	٦٢٤٦
١٩٩٢	٦٠٣٧
١٩٩٦	٦٠٦٣

(●) نقلاً عن: كتاب لمحات عن التنصير في إفريقيا، الدكتور عبد الرحمن السميط.

ـ البيان ـ

يوحنا هذا. وتعكس هذه الزيارات ذات الطابع الرسمي مجالات أوسع للتنصير وتفتح كذلك مجالات أرحب للمنصرين لترويج دعاياتهم المضللة والمزيفة، كما ستضفي على العملية التنصيرية الصفة الرسمية بسبب ما يصاحبها من مشاركة حكومية، وهذا يكسبها بعض المواقع الهامة والجولات التنافسية، ولكن يبقى لنا أن نسأل: لماذا يهتم البابا بإفريقيا بالذات كل هذا الاهتمام؟!

إنه الإفلاس العقائدي للنصرانية في أوروبا، وروح الصليبية التي لم تمت في نفوسهم، وكراهية الإسلام فضلاً عن مراقبة أعمال المنصرين ودعمها في إفريقيا ـ كما قدمنا ـ كل هذا كان السبب في هذا الاهتمام.

ولا يخفى علينا زيارة البابا يوحنا بولس للبنان سنة ١٩٩٧م وما كان لها من أثر ومغزى عميقين، وما تلاها من زيارات أخرى للمنطقة.

أضف إلى ذلك زيارات سفراء الدول العظمى المتكررة لمواقع عمل ومكاتب المؤسسات (الخيرية) التنصيرية.

افتتحت الأم تريزا أربع مدارس تنصيرية أثناء زيارتها لمصر فضلاً عن رعايتها لكثير من الاجتماعات والاحتفالات «المقدسة».

٩ - ادعاء حدوث كثير من المعجزات والخوارق على أيدي كثير من المنصرين وإيهام البلهاء بأنها حقيقة: ومثال ذلك:

● في فبراير ١٩٩٢م زار أحد المنصرين الأمريكيين عدة دول إفريقية، ودعمته الكنائس هناك، وكان يزعم أنه يحيي معجزات المسيح، ولبث مدة شهر كامل أسفرت عن تنصير قرابة ٢٠٠ مسلم، ولقد شاء الله أن يفتضح أمره؛ إذ كان يستأجر بعض الأشخاص نظير مبلغ من المال لتمثيل دور المريض المقعد أو الكفيف الذي يُشفى بعد إيمانه المزعوم بالمسيح.

١٠ - التنصير والسينما:

بدأ عرض الأفلام التنصيرية في القرى الإفريقية في كينيا، ووصل عدد المسلمين الذين حضروا بعض هذه العروض ٢٠٠٠ مسلم، أبدى ٦٥ مسلماً منهم استعدادهم للتحول إلى النصرانية، وما أسرع ما كانت متابعة المنصرين لهم وتقديم العون والمساعدات لهم.

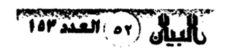
● وفي إحدى السنوات بمعرض القاهرة الدولي للكتاب بيعت أفلام تنصيرية كثيرة كفيلم يسوع Jesus الذي صور حياة المسيح ومعجزاته، وغيره من أفلام على شاكلته بيعت بأرخص الأثمان.

● وافق بابا الفاتيكان على الظهور لأول مرة في فيلم غنائي أطلق عليه: «الرجل الذي جاء من بعيد».

● أنتجت الكنيسة البروتستانتية في أمريكا فيلماً عن حياة المسيح من وجهة نظر الكنيسة بتكلفة عدة ملايين من الدولارات، ولقد شاهد الفيلم ٥٠٣ مليون شخص منهم ٣٣ مليون قرروا الالتزام بالمبادئ العامة للنصرانية، وتم عرض الفيلم في ١٩٧ دولة واستفادت منه ٣٨٠ منظمة تنصيرية عرضته ضمن برامج دعوتها، والفيلم موجود بـ ٢٤١ لغة مختلفة، ويتم ترجمته حالياً إلى أكثر من ١٠٠ لغة أخرى، ويقوم بالإشراف على عرضه ٣٢٠ فريق عرض.

١١ - توطين النصارى في مناطق الأقلية المسلمة، وتشجيعهم على ذلك لتغيير الصبغة الإسلامية لتلك المناطق، والأمثلة في ذلك كثيرة:

● تم توطين النصارى القادمين من روسيا في تراقيا الغربية ذات الأغلبية المسلمة في اليونان.



● أجبر المسلمون البوسنيون على الهجرة من أراضيهم ليحل محلهم الصرب الأرثوذكس أو الكروات الكاثوليك، ويبلغ عدد هؤلاء المسلمين المهجّرين مليوناً و ٧٣٠ ألف مسلم حتى منتصف عام ١٩٩٥م. وتكرر الأمر مرة أخرى مع مسلمي كوسوفا.

● ويحدث مثل ذلك أيضاً في أقاليم غرب الصين؛ حيث الأغلبية المسلمة؛ إذ بلغ عدد المسلمين في الصين ٩٣ مليون مسلم يمثلون ١٠٪ من مجموع السكان، ويُعتبرون أكبر أقلية مسلمة في العالم، وقامت الحكومة الصينية بتهجير المسلمين من إقليم «نيتفشيا» ذي الأغلبية المسلمة وتوطين قرابة مليون شخص من غير المسلمين هناك، كما قامت بنقل ١,٣ مليون شخص من غير المسلمين إلى تركستان الشرقية؛ وهذا كله سيخل بالتركيبة السكانية، وسيجعل الأقلية المسلمة تذوب وتندثر في أوساط غير المسلمين.

● نقل رئيس أساقفة الكنيسة الأرثوذكسية الصربية مقر إقامته من بلجراد إلى كوسوفا إبان حملات الناتو ليقنع الصرب بالبقاء والمقاومة.

١٢ - طباعة الشيكات وإعلانات الدعاية وأوراق المعاملات الرسمية وغيرها من قِبَل كثير من الشركات والمؤسسات المالية، وعليها صور نصرانية في خلفيتها، كما أنها قد تحتوي في جوانبها على كلمات من الإنجيل، وانتشرت ظاهرة: «الشركات المتدينة»، و «شيكات يحترمها الرب» في بعض دول العالم بل وفي بعض الدول الإسلامية بهدف جذب أموال المستثمرين المتعصبين للنصرانية، إلى جانب دعاوى إحلال البركة على الأموال - على حد زعمهم - فضلاً عن نشر النصرانية بين الموظفين والعملاء الذين تمر عليهم تلك الأوراق. والجدير بالذكر أن هذه الأعمال وتلك الشركات تؤيدها الكنائس وتُشجَّع من قبل الاتجاهات السياسية اليمينية.

١٣ - الابتعاد عن استخدام العبارات المثيرة ضد المسلمين: وذلك بإلغاء الكلمات التي ارتبطت بأذهانهم بالاستعمار أو نحوه، فمن تلك العبارات الشهيرة التي عادة ما كان يستخدمها المنصرون: «مليار مسلم سيذهبون إلى الجحيم ما لم يتم تنصيرهم» ومن الكلمات الملغاة كلمة «المنصرون»، وليس الأمر عند هذا الحد، بل إن القائمين على التنصير كثيراً ما يستخدمون أسماء وعبارات تروق للمسلمين خداعاً وتضليلاً؛ فأحد البرامج بإحدى الإذاعات التنصيرية اسمه «نور على نور» والقائم عليه اسمه «الشيخ عبد الله» وإحدى المستشفيات في نيروبي تسمى بـ «اسم الله» وتسمية الكنائس «بيوت الله» وأنها تقام ليذكر فيها «اسم الله».

توزيع الأناجيل في العالم

ازدادت كمية الأناجيل الموزعة على المستوى العالمي إلى رقم جديد لم يسبق الوصول إليه في الماضي؛ حيث بلغت النسبة ١٤٠٪ مما كانت عليه في العام الماضي وهذه الإحصائيات تشمل ما تم توزيعه عن طريق جمعيات الإنجيل المتحدة فقط كما هو مبين أدناه:

إفريقيا: ٤,٢٠٨,٥٦٨ إنجيل.

آسيا: ٢٥,٦٩٧٧,٦١١ إنجيل.

الشرق الأوسط وأوروبا: ٧,٢٨٢,٥٨١ إنجيل.

الأمريكتان: ١٥,٧٦٣,٠٦٢ إنجيل.

وقد سمحت الصين لمطبعة اميتي في نيانجنج بطباعة ١٥ مليون نسخة نقلاً عن التقرير العالمي لجمعيات الإنجيل المتحدة ١٩٧٧م.

٤٠٠٠ وكالة تنصيرية

والعمل التنصيري الخارجي هو أهم ما يشغل الكنائس المنظمة هذه الأيام. ففي الوقت الحاضر هناك ٤٠٠٠ وكالة تنصيرية (أي منظمات تعمل خصيصاً في حقل التنصير) يعمل بها ٢٦٢,٣٠٠ منصِّر متفرغ، وهم يكلفون الكنائس ٨ بلايين دولار سنوياً، وكل سنة يصدر ١٠٠٠٠ كتاب وبحث جديد حول التنصير الخارجي.

- البيان -

١٤ - إحداث لبس لدى فكر المسلمين وعقائدهم وإثارة الشبهات لديهم:

في سبيل ذلك يقدم المنصرون بعض التنازلات - إن صح التعبير - ويتظاهرون بالتودد والتشبه والتزلف للإسلام والمسلمين، فلقد وجد المنصرون أنه من الصعب على إنسان ظل يعتنق ديناً يعتقد أن فيه خلاصه وصلاحه في الدنيا والآخرة أن يتركه إلى دين آخر يختلف عن دينه الأول. ويكون الأمر أكثر صعوبة لو كان هذا الإنسان هو المسلم ويراد له أن ينتقل عن إسلامه إلى النصرانية، والفرق بين الإسلام والنصرانية شاسع البعد؛ ولذا فإنهم يأخذون بأيدي المسلمين بهدوء خطوة خطوة إلى النصرانية، فيخلخلون ثبات المسلم وتمسكه بدينه شيئاً شيئاً حتى ينتهي به المآل إلى الشك واللبس في الإسلام، أو الإعجاب والحب بالنصرانية - إن لم يعتنقها المسلم - ولو لم يكن لهذه السياسة الماكرة الخبيثة من خطر إلا إثارة الشبهات لدى المسلمين لكفى، وهذه السياسة لا تنطلي إلا على السُذَّج والبسطاء من المسلمين، بل إن إثارة الشكوك لدى المسلم وإبعاده عن دينه يعتبر في حد ذاته هدفاً يسعى إليه المنصرون، ويقفون عنده، ويكتفون به دون أن يسعوا إلى تنصير المسلم أو حتى ترغيبه في النصرانية؛ فهم يرون في أحيان كثيرة أن اعتناق المسلم للنصرانية شرف عظيم لا يستحقه المسلم.

ولعل الأمثلة الآتية توضح بعض ما قلناه آنفاً:

● نشرت بعض المنظمات التنصيرية الإنجيل باللغة العربية في عدد من الدول الإفريقية وقد كتب بطريقة «تشبه» القرآن الكريم، وفيه بعض الزخارف، ويبدأ كل فصل منه بكلمة «بسم الله الرحمن الرحيم» وتشكل الكلمات بحركات التشكيل، كما حرصوا على اختيار كلمات قرآنية كثيرة في داخل الترجمة مثل (قل ياعبادي الذين هم لربهم ينتظرون. اعملوا في سبيله واحذروه كما يحذر الخدم ساعة يرجع مولاهم فما هم بنائمين. قال الحواريين أيريدنا مولانا بهذا أم يريد الناس أجمعين؟ فضرب لهم عيسى مثلاً...) «لاحظ الأخطاء النحوية فيما سبق».

إن قيام المنصرين بكتابة الإنجيل بطريقة تحاكي القرآن - كما يزعمون - لَهُوَ اعتراف منهم بالإخفاق الذريع، وبأن الإنجيل بعد تحريفه وتبديله لم يعد قادراً على هداية أتباعه فضلاً عن أعدائه.

● وكذلك قراءة الإنجيل بطريقة «تشبه» تلاوة القرآن الكريم.

● إقامة القداس الأسبوعي يوم الجمعة بدلاً من يوم الأحد، وهذا فعلوه في الكويت، بل إقامته بطريقة «تشبه» صلاة المسلمين في حركاتها.

● تزيي المنصرين بأزياء الدعاة والمشايخ كما حدث في بلدان إفريقية كثيرة.

● بناء الكنائس الجديدة بتصاميم تشبه المساجد فتقام لها قبة وما يشبه المئذنة.

● الموافقة على بعض المبادئ والشعائر الإسلامية التي من العسير جداً أن يتركها من يدعونهم إلى النصرانية، مثل مبدأ تعدد الزوجات، فقد وجدوا أن بعض القبائل الإفريقية قد يجمع الرجل فيها بين أكثر من زوجة وزوجتين، ويصعب على مثل هذا الرجل أن يتخلى عنهن ويقتصر على واحدة إن هو تنصر، ويفضل المنصرون أن يدخل هذا الرجل في النصرانية ويظل متزوجاً بأكثر من واحدة من أن يبقى على إسلامه، وربما في مرحلة لاحقة يقنعونه بالتنازل عنهن ويختار من بينهن واحدة، ومثل ذلك أيضاً موافقتهم على الختان.

● هذا وقد مرّ بنا من قبل أن المنصرين يقلعون عن العبارات المثيرة لسخط المسلمين ويستبدلونها بغيرها مما تروق للمسلمين وتنال استحسانهم.

١٥ - وعلى خطٍّ موازٍ لإثارة الشبهات لدى المسلمين وتحبيب النصرانية إليهم فإننا نرى المنصرين دأبوا على تشويه صورة الإسلام ورموزه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة؛ فكثيراً ما يلصقون بالإسلام تهماً كالهمجية والرجعية والإرهاب. وهاكم الأمثلة:

● ذكرت الكنيسة الهولندية في تقرير مشهور لها تم توزيعه على نطاق واسع «أن الإسلام دين كاذب False Religion وأنه خطر على العالم».

● نشرت إحدى المنظمات التنصيرية صوراً لمسجد يصلي فيه المسلمون كتب تحتها: «من أوكار الإرهاب».

● قيام الحملات الإعلامية والدعايات التلفزيونية لحرب المراكز الإسلامية العاملة في تلك الدول واتهامها بالعمالة لدول معادية، أو بالتخطيط للقيام بحرب دينية أو نحو ذلك، وهذا ما حدث ضد مركز الدعوة الإسلامي العالمي الذي كان يترأسه فضيلة الشيخ أحمد ديدات ـ رحمه الله ـ.

١٦ - استغلال الأدب في التنصير وهذا ما يسمى بالأدب التنصيري:

استغل التنصير ودعاته مجال الثقافة والأدب وسيلة لنشر أفكارهم الضالة وبث سمومهم بين المسلمين. فلم ينته الأمر بهذا المخطط الآثم إلى الاعتماد على التعليم والخدمات الاجتماعية والطبية والوسائل التقليدية لتنصير المسلمين وزعزعة العقيدة في نفوسهم؛ بل سعى لاستغلال الأدب والثقافة حتى تتسع دائرة نشاطه ويصل إلى أكبر عدد ممكن من المسلمين؛ فقد قام المنصِّرون بتأليف الكتب والقصص والروايات التي تدعم نشاطهم حتى اشتهر في عالم الأدب ما عرف بـ (الأدب التنصيري) وهو يتمثل في ألوان الأدب المختلفة من قصة ومسرحية وقصيدة ومقالة وخاطرة ونصوص سينمائية، وكلها تحمل في طياتها الدعوة إلى اعتناق النصرانية والتنفير من الإسلام.

ولم يكن الأدب التنصيري يسير وحده؛ فقد نسق مع جهات أخرى كثيرة تشارك معه في المصلحة والهدف وركز على منهج التربية والتعليم في البلدان التي وقعت مستسلمة تحت سيطرة الغزاة سياسياً وعسكرياً وفكرياً.

ولم يقع الأدب التنصيري في السذاجة والسطحية، بل استخدم الإمكانات الفنية المتاحة له والمجربة في بلاده بدهاء وحنكة بالغين، فمزج السم بالدسم، ولجأ إلى التلميح بدلاً من التصريح، واستخدم الرمز وألوان الإثارة والتشويق، ونأى بجانبه عن السرد الأجوف والتعبير المباشر الممل، ووظف الإيحاءات توظيفاً ماكراً، ورسم حركة الحياة والأفراد وأنماط السلوك رسماً يتفق ومعتقداته ويبعد بها عن النماذج الإسلامية.

والواقع أن القصة كانت المجال الخصب للدعوات التنصيرية في كل مكان، وهذه الروايات التنصيرية في عمومها تتخذ منهجاً خاصاً، يمكن إيجازه فيما يلي:

١ - تصوير القساوسة والرهبان بصورة ملائكية فريدة، يخوضون الأخطار دون خوف، ويتَّسِمون بجمال الملامح وجلال المظهر وتألق الثياب وحُسن السَّمْت.

٢ - يتصف (رجل الله) ـ كما يسمونه ـ بالصبر والحلم وتقديم التضحيات دون مقابل.

٣ - يعمد الكُتّاب التنصيريون أساساً إلى البساطة في الأسلوب مهما كان المعنى عميقاً وتجنب التعقيد والغموض.

٤ - تشويه صورة الإسلام بطريقة غير مباشرة وإظهاره بمظهر الانحراف.

٥ - الحرص على الحفاظ على القيم الجمالية للشكل الفني؛ لأنه بدون ذلك لا يمكن أن يتحقق الهدف وينجح المخطط الموضوع.

والحركة التنصيرية حركة معادية للإسلام تضع الأدب وفنونه في المكان الصحيح تخطط له وترصد له الإمكانات المادية الكافية، وتهتم بترجمته إلى عديد من اللغات حتى يؤتي أكله في كثير من مناطق العالم الإسلامي، وتتكفل بحملات إعلان عنه، وتوعز إلى النقاد بتناوله بالتقييم والتقديم، وترصد له الجوائز العالمية الكبيرة، وتجعل منه مصدراً لأعمال سينمائية وتلفزيونية ومسرحية، وتستنهض همم كبار الكتاب للمشاركة فيه وتنعم عليهم بارفع الأوسمة وتعرض أعمالهم باسعار رمزية وبشتى الوسائل.

والأدب التنصيري الغربي ليس في الحقيقة مجرد تبيان لمحاسن أخلاق المنصرين والقساوسة والرهبان فحسب، ولكن هناك ما هو أخطر من هذا التصور؛ إذ يهدف هذا الأدب إلى أمرين خطيرين هما:

١ - تشويه صورة الإسلام والنيل منه، وتوهين عرى الالتقاء بين المسلم وتراثه العقدي والسلوكي.

٢ - التمهيد لمفاهيم غربية أشد التصاقاً بالاتجاه الديني النصراني، ولعل هذا يفسر السلوك الغربي المنافي لعقيدتنا في السهرات والاختلاط، وتجاهل القيام بالفرائض، والتخلي عن السنن والآداب الإسلامية.

وقديماً كتب كل من (إسكندر دوين) و (بريدو) و (روسّو) و (فولتير) قصصاً تنصيرية أوسعوا الإسلام وأشبعوه فيها سباً وقذفاً، ولنسمع ما قاله توفيق الحكيم عن مسرحية (محمد)(*) التي كتبها (فولتير) حيث قال: «قرأت قصة فولتير التمثيلية (محمد)(*) فخجلت أن يكون كاتبها معدوداً من أصحاب الفكر الحرّ؛ فقد سَبّ فيها النبي ﷺ سباً قبيحاً عجبت له، وما أدركت له علة؛ لكن عجبي لم يطل؛ فقد رأيته يهديها إلى البابا (بنوا) الرابع عشر».

ويضيف توفيق الحكيم: «لقد قرأت فيما بعد رَدّ البابا على فولتير فالفيته رداً رقيقاً كيّساً لا يشير بكلمة واحدة إلى الدين، وكله حديث في الأدب».

نشرت المجلة الدولية للبحوث الآثارية الأمريكية Internatianal Bullettin of Missionary Research بعض الأرقام عن النشاط التنصيري لعام ١٩٩٠م:

- عدد المنظمات العاملة: ٢١٠٠٠ منظمة.
- عدد المعاهد التي تبعث بمنصرين: ٣٩٧٠ منظمة.
- عدد المعاهد التنصيرية: ٩٩٢٠٠ معهد.
- عدد المنصرين العاملين داخل أوطانهم: ٣،٩٢٣،٠٠٠ منصر.
- عدد المنصرين العاملين خارج أوطانهم: ٢٨٥،٢٥٠ منصر.
- عدد المجلات والدوريات التنصيرية: ٢٣،٨٠٠ مجلة دورية.
- عدد نسخ الإنجيل والعهد الجديد: ١٢٩ مليون نسخة.
- التبرع للكنيسة: ١٥٧ بليون دولار.
- أنواع الكتيبات الجديدة: ٦٥،٦٠٠ كتيب.
- عدد محطات الإذاعة والتلفزيون: ٢١٦٠ محطة.

(*) ونقول: صلى الله عليه وسلم .

- عدد المستمعين والمشاهدين شهرياً: ١,٣٦٩,٦٢٠,٦٠٠ شخص.

ونشرت المجلة نفسها إحصائية أخرى لأعمال التنصير لعام ١٩٩٦م جاء فيها:

- عدد المنظمات العاملة: ٤٥٠٠ منظمة.
- عدد المنظمات التي تبعث بمنصرين: ٢٣٢٠٠ منظمة.
- عدد المنصرين العاملين داخل أوطانهم: ٤٦٣٥٥٠٠ منصر.
- عدد المنصرين العاملين خارج أوطانهم: ٣٩٨٠٠٠ منصر.
- التبرع للكنيسة: ١٩٣ بليون دولار.
- عدد أجهزة الكمبيوتر في خدمة التنصير: ٢٠٦٩٦١٠٠٠ جهاز.
- أنواع المجلات والدوريات التنصيرية: ٣٠١٠٠ مجلة دورية.
- عدد نسخ الأناجيل والعهد الجديد: ١٧٨٣١٧٠٠٠ نسخة.
- عدد محطات الإذاعة والتلفزيون: ٣٢٠٠ محطة.

المراجع:

١- التبشير والاستعمار في البلاد العربية، الدكتور: وليد الخالدي، والدكتور: عمر فرّوخ؟.

٢ - القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى، د. سفر الحوالي.

٣ - الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد.

٤ - إصدارات لجنة مسلمي إفريقيا (تصدر في الكويت ـ الأمين العام د. عبد الرحمن السميط).

- مجلة «الكوثر» الأعداد، ٢، ٣، ٤، ٦.
- مجلة «أخبار اللجنة» الأعداد: ١، ١٨، ١٩، ٢٠.
- مجلة «الدراسات» العدد الأول.

٥ - مجلة الوعي الإسلامي (الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت) الأعداد: ٣٥٠، ٣٤١، ٣٧٨.

٦ - مجلة الرابطة: (الصادرة عن رابطة العالم الإسلامي بجدة) العدد: ٣٦٨.

٧ - مجلة التوحيد: (الصادرة عن جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر) العدد: ٤ السنة ٢٧.

٨ - مجلة المختار الإسلامي: الأعداد: ١٣٠، ١٣٣، ١٧١.

٩ - جريدة المسلمون: ٥٧٤، ٦٥٩.

١٠ - جريدة أخبار اليوم بتاريخ ٢٣/٨/١٩٩٧م.

١١ - جريدة الأهرام بتاريخ: ١، ١١، ٢٨/٥/١٩٩٧م، ١١، ١٤/٩/١٩٩٧م، ١٣/١٢/١٩٩٧م، ١٣/٢/١٩٩٨م، ٣/٣/١٩٩٨م، ١٣/١٢/١٩٩٨م، ٣٠/٣/١٩٩٩م، ١٠، ٩/٥/١٩٩٩م.

١٢ - جريدة وطني (لسان حال الأقباط بمصر)، الأعداد: ١٨٣٧ - ١٨٦٠.

١٣ - يوميات ألماني مسلم، د. مراد فريد هوفمان: (ترجمة عباس رشدي العماري).





التنصير في إفريقيا

الأهداف والوسائل وسبل المواجهة

د. مانع بن حماد الجهني (*)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد:

فإن الصراع بين الحق والباطل، والخير والشر أمر لا بد منه، بل هو من سنن الله الكونية حتى يعلم الله - تعالى - الذين جاهدوا في سبيله وصدقوا في الدفاع عن دينه.

وقد تعدد أعداء الإسلام واجتمعوا على حربه وإن اختلفوا فيما بينهم، ومن أبرز هؤلاء الأعداء النصارى الذين تنوعت خططهم وأساليبهم القذرة في محاربة دين الله وأوليائه، ولم يتورعوا في استخدام أبشع ما يمكن من الأساليب، ولم يسجل التاريخ في جميع أدواره أحلك من الصفحات التي تضمنت سرداً لأحداث الحروب الصليبية القذرة، ولم تصب الإنسانية في صميمها بمثل ما أصيبت به في تلك الحروب. ويكفي أن نعلم أن الحروب الصليبية أسقطت في بغداد وحدها (١,٨٠٠,٠٠٠) قتيل من المسلمين، وفي سوريا نصف هذا العدد. ومع كل هذا فقد خابت الحروب الصليبية فيما كانت تسعى إليه من تدمير الإسلام، وكانت عاملاً محركاً للمسلمين؛ إذ أيقظتهم من مرقدهم وغفوتهم، وأعادت لهم عزم المؤمنين على الدفاع عن دين الله.

وبعد إخفاق دول أوروبا في الحروب الصليبية التي استخدمت فيها الحديد والنار أثارت حرباً صليبية عن طريق التنصير الذي نرى آثاره في العالم اليوم.

ولذلك بات من الضروري كشف مخططات المنصرين وأساليبهم والعمل على نشر الإسلام في ربوع الدنيا كلها.

ولما كانت قارة إفريقيا لها نصيب الأسد من جهود المنصرين جاء هذا البحث للمشاركة في التصدي لرد كيد القوم الضالين في نحورهم والسعي في إعلاء كلمة الله تعالى.

(*) الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي، وعضو مجلس الشورى السعودي.

قارة إفريقيا والتنصير:

اهتم المنصرون اهتماماً بالغاً بالقارة الإفريقية، وبذلوا جهوداً مضنية في سبيل تنصيرها؛ بل إنهم رفعوا شعار: (إفريقيا نصرانية عام ٢٠٠٠م) كما زعموا، ومن أجل ذلك فقد عقدوا المؤتمرات وقدموا الأموال الطائلة، ووظفوا المنصرين وهيؤوا السبل وأجلبوا بخيلهم ورجلهم لتحقيق مآربهم، ولكن مثلهم كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠]. فإن دين الله باق، والنصر والتمكين والاستخلاف في الأرض لأوليائه الصادقين مهما تطاول الباطل ومهما نما زرعه ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾. [النور: ٥٥].

ولما كان الحكم على الشيء فرعاً من تصوره فإننا نبدأ بالتعرف على:

١ - أسباب اهتمام المنصرين بإفريقيا:

يرجع اهتمام المنصرين بقارة إفريقيا إلى عدة أسباب هي:

أ - الفقر:

٣٩٪ من سكان إفريقيا يعانون من سوء التغذية(١)، وهي أكبر نسبة في العالم.

وقد أدرك أعداء الله من المنصرين هذا الأمر، وأدركوا الحاجة الماسة التي يعانيها كثير من أهالي قارة إفريقيا، فعملوا على تنصير الناس من خلال تقديم المعونات لهم، وقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها والقبول منه.

ب - الجهل:

التعليم أمره خطير، وبسببه قد ترتفع الأمم إلى القمم، وهو من أعظم وسائل التقدم.

يقول محمد إقبال: «إن التعليم هو الحامض الذي يذيب شخصية الكائن الحي ثم يكوِّنها كما يشاء، إن هذا الحامض هو أشد قوة وتأثيراً من أي مادة كيماوية، وهو الذي يستطيع أن يحول جيلاً شامخاً إلى كومة تراب»(٢).

وقد أدرك المنصرون خطورة التعليم خاصة في القارة التي ينتشر فيها الجهل، فعملوا على إيجاد المدارس والجامعات التنصيرية، كما سيأتي في وسائلهم. ونكتفي هنا بالإشارة إلى قول المسيو شاتلين: «ينبغي لفرنسا أن يكون عملها في الشرق مبنياً قبل كل شيء على قواعد التربية العقلية»(٣)، كما يقول: «يوم لا يبقى اللسان العربي هو لغة التجارة في إفريقيا، لا يبقى خطر من جهة الإسلام؛ لأن مدارسه تصير قفرة»(٤).

ج - المرض:

إن الثالوث الخطير الذي يوجد في إفريقيا: الفقر، والجهل، والمرض يجعل منها مرتعاً خصباً للمنصرين، فقد

---

(١) مجلة البيان، العدد (١٤١).

(٢) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام د. سعد الدين السيد الصالح.

(٣) الغارة على العالم الإسلامي. أ. ل. شاتليه، ترجمة محب الدين الخطيب، ص ١٥.

(٤) مجلة هذه سبيلي، العدد: ٢، ص ٢٨٤.

استغلوا علاج الأمراض المنتشرة في العالم الإسلامي - وبالأخص إفريقيا - لتحقيق أطماعهم، وحولوا المهنة الإنسانية إلى وسيلة قذرة لاستغلال مآسي الناس.

ولذلك تجدهم يقولون: «حيث تجد بشراً تجد آلاماً. وحيث تكون الآلام تكون الحاجة إلى الطبيب، وحيث تكون الحاجة إلى الطبيب؛ فهناك فرصة مناسبة للتنصير»[1].

وإذا أردت أن تعرف مبلغ اهتمام المنصرين بالطب لأجل التنصير فاعلم أن المعالجة في الحبشة كانت لا تبدأ قبل أن يركع المرضى ويسألوا المسيح أن يشفيهم[2].

د - الوجود الإسلامي:

قال المستر «بلس»: «إن الدين الإسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التبشير بالنصرانية في إفريقيا، والمسلم فقط هو العدو اللدود لنا؛ لأن انتشار الإنجيل لا يجد معارضاً لا من جهل السكان، ولا من وثنيتهم، ولا من مناضلة الأمم المسيحية وغير المسيحية»[3].

ويقول فيليب فونداسي: «الإسلام يؤلف حاجزاً أمام مدنيتنا المبنية كلها على مؤثرات مسيحية ومن مادية ديكارتية؛ فإن الإسلام يهدد ثقافتنا الفرنسية في إفريقيا السوداء بالقضاء عليها[4].

هـ - نصرة العقيدة النصرانية وإنقاذ غير النصارى من الضالين:

لا عجب إذا كان صاحب المبدأ الحق يدافع عن مبدئه، ويدعو إليه، ويبذل كل ما بوسعه من أجله. ولكن العجب في ثبات صاحب المبدأ الضال على مبدئه والدعوة إليه والتضحية من أجله واعتباره خلاصاً للبشرية جمعاء، واعتبار المبادئ المخالفة له - وإن كانت هي الحق - ضلالاً يجب إنقاذ أهلها وإرجاعهم إلى النصرانية، وهذا ما يراه المنصرون ويسعون إليه من خلال تدليسهم وتلبيسهم وتغييرهم للحقائق.

ومن ذلك ما رواه لنا مصري ذهب في بعثة علمية إلى إحدى المدن الأمريكية ونزل ضيفاً بالأجر على امرأة مسيحية (ورعة) تملك منزلاً صغيراً وتديره، عندما سألت المرأة نزيلها عن بلده أجابها: مصر، وسألته عن دينه فأجاب: مسلم، فما كان من المرأة إلا أن أظهرت مشاعر الرثاء والشفقة وهي تقول له: يا لكم من مساكين! ألم يأت إلى بلادكم أحد المنصِّرين؟[5].

و - خدمة الأهداف السياسية والاقتصادية:

لا يخفى على أحد اهتمام رجال السياسة من اليهود والنصارى بتسخير كل ما يستطيعون لأجل خدمة أغراضهم وأهدافهم الخبيثة حتى وإن كان ذلك عن طريق الدين.

---

(١) التبشير والاستعمار، للخالدي وفروخ، ص ٥٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٢.

(٣) الغارة على العالم الإسلامي، ص ٢٥.

(٤) مجلة هنه سبيلي العدد: ٢، ص ٢٨٣.

(٥) نهضة إفريقيا، ص ١٠٣.



لذلك فقد جعل هؤلاء الساسة من التنصير أداة لخدمة أغراضهم، ولذا تراهم يتولون الإشراف على مؤتمرات التنصير أمثال لورد بلفور الذي أعلن أهمية مؤسسات التنصير في خدمة أهداف السياسة(١).

٢ - لمحة تاريخية عن دخول النصرانية إلى إفريقيا وبداية العمل التنصيري وارتباطه بالاستعمار:

من الوقائع المسلَّم بها أن عمليات التنصير مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالاستعمار ومواكبة له، بل إنها قد استمدت منه كل عون وتأييد، وسعت لتثبيت نفوذها وانتشارها من خلاله.

وقد دخل المبشرون الكاثوليك ربوع إفريقيا منذ القرن الخامس عشر، أي في أثناء الاكتشافات البرتغالية(٢).

وفي أواخر القرن السابع عشر وخلال القرن الثامن عشر أخذت الجمعيات البروتستانتية تظهر للوجود(٣).

وبعد وفاة الرحالة لتجستون عام ١٨٧٣م، الذي قام برحلته التي رفعت الستار عن إفريقيا الوسطى، بعد وفاته كانت منافذ إفريقيا الرئيسة مفتوحة على مصاريعها أمام البعثات التنصيرية الأوروبية(٤).

٣ - أرقام وحقائق عن حجم النشاط التنصيري وقوته:

في حين أننا نرى ونشاهد نشاط المنصرين وقوة إمكانياتهم ودعم الفاتيكان ودول الكفر لهم، نرى في المقابل ضعف إمكانيات الدعاة إلى الله وتخاذل كثير من الدول الإسلامية عن نصرتهم، وحينما نعرض لبعض الحقائق عن المنصرين وقوة نشاطهم فإننا نرمي من وراء ذلك إلى كشف مخططاتهم وبيان حجم المشكلة، وندعو المسلمين إلى الدفاع عن دينهم ونصرته بكل ما يستطيعون ونبشرهم أن الله - عز وجل - يبارك في جهودهم ويرد كيد أعدائهم، قال - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

وإليك بعض الأرقام والحقائق عن النشاط التنصيري:

- تشير إحصائية عام ١٩٧٦م إلى أن الكنيسة الكاثوليكية تملك في إفريقيا الجنوبية وحدها حوالي مليون ونصف مليون كنيسة.

ومجموع الإرساليات الموجودة في (٣٨) بلداً إفريقياً يبلغ (١١١٠٠٠) إرسالية، وبعضها يملك طائرات تنقل الأطباء والأدوية والممرضات لعلاج المرضى في الأحراش.

- وفي عام ١٤١٦هـ كان المنصرون في إفريقيا يملكون أكثر من ٥٢ إذاعة، وللمسلمين إذاعة واحدة فقط.

- وقد بلغ عدد المنصرين في إفريقيا عام ١٩٨٥م / ١٤٠٦هـ أكثر من ١١٣ ألف منصر يشرفون على تعليم أكثر من خمسة ملايين طالب.

كما بلغت المستشفيات والمستوصفات التي أقامتها الإرساليات ١٦٠٠ مستوصف ومستشفى كنسي.

---

(١) مجلة هذه سبيلي العدد: ٢، ص ٢٨٧.

(٢) الغارة على العالم الإسلامي، ص ٢٦.

(٣) حاضر العالم الإسلامي، ج ٢، ص ٦٧١.

(٤) نهضة إفريقيا، ص ١١٠.

وارتفعت قيمة الدعم المالي للمنصرين فبلغت ٣.٥ ألف مليون دولار سنوياً. ووصل عدد المدارس اللاهوتية لتخريج المنصرين والقسس في إفريقيا إلى ٥٠٠ مدرسة لاهوتية بالإضافة إلى عشرين ألف معهد كنسي في أنحاء القارة. وكلها تعد المنصرين إعداداً خاصاً.

- وفي عام ١٩٨٥م زار البابا إفريقيا وتحدث فيها إلى ٨٠ ألف شاب مسلم بملعب الدار البيضاء بالمغرب، ودشن كتدرائية القديس بولس بأبيدجان التي تتسع لثمانية آلاف شخص وهي أوسع معبد نصراني في إفريقيا ولا يتجاوزها في العالم إلا الفاتيكان.

- وفي عام ١٩٨٠م كانت (١٤) دولة في إفريقيا تمنع دخول المنصرين إليها، ولكنها في عام ١٩٩٩م لم يبق منها إلا (٣) دول فقط تمنع دخول المنصرين إليها.

- وفي عام ١٩٠٠م كانت نسبة النصارى في إفريقيا ١٠٪، أما في عام ١٩٩٠م فقد ارتفعت نسبة النصارى إلى ٥٧٪.

- كما كان عدد النصارى في إفريقيا عام ١٩٧٠م «١٢٠,٢٥٧,٠٠٠» وفي عام ١٩٩٩م فقد بلغ عدد النصارى «٣٣٣,٣٦٨,٠٠٠»(١).

أهداف التنصير في إفريقيا:

إن للتنصير أهدافاً عامة في إفريقيا كغيرها من القارات، إلا أن إفريقيا تتميز بهدف خاص عن بقية القارات إلى جانب أهداف عامة:

١ - الهدف الخاص:

وهو أن يتم تحويل إفريقيا إلى قارة نصرانية عام ٢٠٠٠م نظراً لما يتمتعون به من سيطرة على الحياة السياسية والتعليمية والاقتصادية. وهذا ما صرح به البابا بولس الثاني في كلمته التي ألقاها بمناسبة ذكرى ميلاد المسيح في روما عام ١٩٩٣م لدى استقباله وفد أساقفة إفريقيا؛ حيث قال: «ستكون لكم كنيسة إفريقية منكم وإليكم، وآن لإفريقيا أن تنهض وتقوم بمهمتها الربانية، وعليكم أيها الأساقفة تقع مسؤولية عظيمة. ألا وهي تنصير إفريقيا كلها في عام ٢٠٠٠»(٢).

وقد جند النصارى كل طاقاتهم التنصيرية والمادية والعلمية بالتنسيق الكامل بين الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي وغيرها من الهيئات التنصيرية من أجل تحقيق مطامعهم في تنصير القارة مع نهاية هذا القرن(٣)، وقام البابا بثلاث زيارات خلال خمس سنوات طاف فيها إفريقيا شرقاً وغرباً(٤).

٢ - الأهداف العامة(٥):

يظن بعض الناس أن المنصرين يأتون لنشر الدين على أنه هدفهم الأسمى. والحق أن نشر الدين أمر ثانوي جداً في

---

(١) انظر: معاول الهدم والتدمير، إبراهيم سليمان الجبهان، ص ١٩، مجلة الرابطة العدد: ٣٦٨، حاضر العالم الإسلامي، ج٢، ٦٧٢، مجلة الكوثر، العدد: ٢، ديسمبر ١٩٩٩م، أحد المواقع التنصيرية على الإنترنت بعنوان: morris cerullo world evangelism prayer watch.

(٢) مجلة الرابطة، العدد: ٣٦٨.

(٣) حاضر العالم الإسلامي، ج٢، ص ٦٧٢.

(٤) المصدر السابق، ج٢، ص ٦٧٢ بتصرف.

(٥) باختصار من: احذروا الأساليب الحديثة، ص ٥٦، وما بعدها، التنصير في الأدبيات العربية، د. علي إبراهيم النملة، ص ٢٤ وما بعدها، التبشير والاستعمار، ص ٢٤.

جميع الحركات التنصيرية، بل إن الكثرة المطلقة من الذين يمولون حركات التنصير ومن الذين يأتون فيها لا صلة بين أهدافهم الحقيقية وبين الذين يزعمون أنهم قد جاؤوا لنشره.

بل إن المنصرين هم في الحقيقة سماسرة وجواسيس من ذوي الأطماع الشخصية والمصالح الخاصة وهم لا يتحلون بالأخلاق الحميدة.

ويمكن تلخيص أهدافهم العامة في:

أ – الحيلولة دون دخول النصارى في الإسلام، والحيلولة دون دخول الأمم الأخرى غير النصرانية في الإسلام والوقوف أمام انتشاره.

ب – القضاء على الإسلام في نفوس المسلمين، وتحويلهم إلى مسخ آدمية لا تحمل من الإسلام إلا اسمه، ولذلك كانت المهمة الأولى التي قامت من أجلها حركة التنصير هي القضاء على مصدر القوة الأساسية التي يعتمد عليها المسلمون ألا وهي العقيدة الإسلامية. وهذا ما صرح به المنصر الأمريكي زويمر؛ حيث قال: «أنا لا أهتم بالمسلم كإنسان. إنه لا يستحق شرف الانتساب إلى المسيح.. فلنغرقه بالشهوات، ولنطلق لغرائزه العنان حتى يصبح مسخاً لا يصلح لأي شيء».

ج – القضاء على وحدة العالم الإسلامي: إن وحدة المسلمين في جميع دول العالم الإسلامي كانت وراء انتصارهم على الغرب، ولذلك فقد قال القس سيمون: «إن التنصير عامل مهم في كسر شوكة الوحدة الإسلامية، ويجب أن نحول بالتنصير مجاري التفكير في هذه الوحدة حتى تستطيع النصرانية أن تتغلغل بين المسلمين. وعلى سبيل المثال فقد قام المنصر زويمر بالاندساس بين أبناء الأزهر في زي طلبة العلم، ثم راح يوزع منشورات توقع الفتنة الطائفية بين المسلمين والأقباط.

د – معاونة الاستعمار الغربي والتجسس على العالم الإسلامي: ولا أدل على ذلك من قول نابليون: «إن في نيتي إنشاء مؤسسة الإرساليات الأجنبية؛ فهؤلاء الرجال المتدينون سيكونون عوناً كبيراً في آسيا وإفريقيا، وسأرسلهم لجمع المعلومات عن الأقطار. إن ملابسهم تحميهم وتخفي أية نوايا اقتصادية أو سياسية».

هـ – الربح المادي والكسب التجاري: فقد اكتشف في إفريقيا أن الكنيسة ما هي إلا مشروع تجاري، وأن الأطفال الإفريقيين يؤخذون إلى مدارس التنصير لا من أجل التعليم بل للعمل في مزارع الإرساليات.

وسائل التنصير في إفريقيا:

١ – وسائل مباشرة:

كان المجال الأول الذي بدأ به المبشرون هو مجال التحدي المباشر للإسلام عن طريق المناظرة لعلماء المسلمين[١]. ثم عدل المبشرون عن مثل هذه المواجهة الصريحة، وانطلقوا في المجالات الأخرى غير المباشرة[٢]. كما لا يخفى أن من وسائلهم المباشرة بناء الكنائس الشاهقة، وتوزيع الإنجيل بأكبر كمية.

(١) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ص ١٠٢.

(٢) المصدر السابق، ص ١٠٣.

٢ - وسائل غير مباشرة:

إن وسائل المنصرين غير المباشرة كثيرة، والحديث عنها يطول، ولكننا نأخذ على عجالة أهمها مع الإلماح إلى شيء يسير من الحقائق عنها:

أ - التطبيب: (استغلال آلام البشر):

إن المريض المتألم يضحي بأشياء كثيرة في ملكه حتى يتخلص من آلامه. وإذا رأى أحد قريباً له - أو ابناً على الأصح - مريضاً زاد رضاه بالتضحية، وقلت قيمة كل شيء في عينيه في سبيل شفاء ابنه أو أمه أو أبيه أو زوجه. ولقد أدرك المنصرون هذا الميل في البشر، فخرجوا عن كل نبل في الطبيعة الإنسانية، وسخروا الطب في سبيل غايات حسبك دليلاً على نوعها قولهم هم: «حيث تجد بشراً تجد آلاماً، وحيث تكون الآلام تكون الحاجة إلى الطبيب، وحيث تكون الحاجة إلى الطبيب فهنالك فرصة مناسبة للتنصير»[١]. وقد أنشأ المنصرون الأطباء مستوصفاً في بلدة الناصرة في السودان، وكانوا لا يعالجون المريض أبداً إلا بعد أن يحملوه على الاعتراف بأن الذي يشفيه هو المسيح[٢]. ومن الحيل التي استعملها المبشرون في وادي النيل أنهم استخدموا ثلاثة مراكب وجعلوها مستوصفات نقالة على النيل وكانوا يعلنون عن مجيء الطبيب قبل أن يصل بوقت طويل. فيأتي الناس من كل صوب يحملون مرضاهم وينتظر الجميع قدوم الطبيب؛ وفي هذه الأثناء يقوم فيهم من ينصّر فرحاً بالجموع من غير أن يتحرك ضميره لهذه الآلام التي يتحملها المرضى في وضح الشمس ومضض الانتظار عمداً وخداعاً[٣].

وفي غينيا تقوم سفينة (أناستالدي) بزيارة الجمهورية، وهي سفينة ضخمة تحمل على متنها أجهزة طبية متطورة وأطباء متخصصين في جميع الأمراض، وإذا دخل الشخص المريض فإنهم يجرون عليه فحوصات عدة ويقدمون له جميع الأدوية مجاناً.

وطريقتهم أن يجمعوا المرضى في مكان واحد، ويأمروهم بالوقوف في صف واحد؛ وقبل البدء في تقديم الدواء يأتي رجل من داخل السفينة يحمل آلة موسيقية ويبدأ العزف. ثم تأتي مجموعة من الشباب يغنون أغاني دينية ويرقصون، وبعد دقائق تُعرض بعض أفلام الفيديو التي تخدم أغراضهم الخبيثة[٤].

ب - التعليم:

لقد أدرك المنصرون أهمية العلم ودوره في توجيه حياة الناس، فأساؤوا إليه أيما إساءة، واتخذوه وسيلة لخدمة أغراضهم وأطماعهم، ووظفوا لذلك المعلمين من المنصرين الذين نفرت من قلوبهم الأمانة والاستقامة والصدق.

وفي هذا يقول اللورد كرومر: «إن المصري الذي خضع للتأثير الغربي، فإنه وإن كان يحمل الاسم الإسلامي لكنه في الحقيقة ملحد ارتيابي»[٥].

---

(١) التبشير والاستعمار، ص ٥٩.

(٢، ٣) المصدر السابق، ص ٦٢.

(٤) تقرير عن النشاط الكنسي صادر عن لجنة مسلمي إفريقيا.

(٥) احذروا الأساليب الحديثة، ص ٨٣.



ومن أجل ذلك فقد اهتموا بإنشاء المدارس والجامعات في إفريقيا، وكما ذكرنا أنه في إحصائية عام ١٩٨٥م كانوا يشرفون في إفريقيا على تعليم أكثر من خمسة ملايين طالب. وغير خافٍ أن المنصرين أنشؤوا الجامعة الأمريكية في مصر لتزاحم الأزهر.

كما اهتموا بتعليم الصغار أيما اهتمام. يقول المنصر المشهور جون موط: «يجب أن نؤكد في جميع ميادين (التنصير) جانب العمل بين الصغار وللصغار.. ترانا مقتنعين بأن نجعله عمدة عملنا في البلاد الإسلامية. إن الأثر المفسد في الإسلام يبدأ باكراً جداً، من أجل ذلك يجب أن يُحمَل الأطفال الصغار إلى المسيح قبل بلوغهم الرشد وقبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلامية. إن اختبار الإرساليات في الجزائر فيما يتعلق بهذا الأمر ـ وكما ظهر من بحوث مؤتمر شمالي إفريقيا ـ اختبار جديد ومقنع»[١].

ونذكر على سبيل المثال بعض الكليات والمدارس التنصيرية الخطيرة المنتشرة في مصر:

- كلية التجارة بالعطارين بالإسكندرية.
- مدارس الأمريكان بالقاهرة.
- مدارس الأسقفية الإنجليزية بسراي القبة.
- الجامعة الأمريكية.
- كلية البنات الأمريكية بشارع رمسيس.
- مدرسة الأزبكية للبنات بالقاهرة.
- كلية أسيوط الأمريكية بأسيوط.
- كلية البنات الأمريكية بأسيوط.
- كلية البنات الأمريكية بالأقصر.

ج - الخدمات الاجتماعية وأعمال الخير:

كتب المر دوغلاس مقالاً عنوانه: «كيف نضم إلينا أطفال المسلمين في الجزائر؟» ذكر فيه أن ملاجئ قد أنشئت في عدد من أقطار الجزائر في شمال إفريقيا لإطعام الأطفال الفقراء وكسائهم وإيوائهم أحياناً، ثم قال: إن هذه السبل لا تجعل الأطفال نصارى لكنها لا تبقيهم مسلمين كآبائهم. ومثل هذه الجهود يبذلها المنصرون في شمالي إفريقيا ومصر[٢].

وكانت البعثات التنصيرية في السنغال توقع عقوداً مع الأسر الفقيرة تقدم البعثات بموجبها إلى هذه الأسر مساعدات عينية ضئيلة من أرز وخبز في كل شهر على أن يكون لها حق اختيار أحد أطفال الأسرة دون الخامسة من عمره، ثم يربى تربية مسيحية، ويرسل إلى فرنسا لاستكمال التعليم العالي، ثم يستخدَم بعد ذلك هو الآخر في أعمال التنصير، أو يستخدَم في تحقيق مصالح الغرب النصراني، وللأسف الشديد أن (سنجور) رئيس جمهورية السنغال

---

(١) التبشير والاستعمار، ص ٦٨.

(٢) التبشير والاستعمار، ص ١٩٤.

السابق كان أحد هؤلاء الأطفال الذين وقعوا فريسة للتنصير مع أن أبويه وإخوانه مسلمون(1).

د - السيطرة على الوسائل الإعلامية:

حيث إنهم يقومون بالتنصير عن طريق الأقمار الصناعية، وهم يمتلكون في إفريقيا أكثر من ٥٢ إذاعة، وفي هذا يقول الأسقف شالي عميد كلية الدين في ياوندي: «أخيراً سبقنا المسلمين بهذه الوسيلة. كان من الممكن الوصول إلى الأماكن التي نحن نصل إليها وأبلغنا فيها البشارة بعد سنتين أو ثلاث بوسائلهم المتواضعة؛ ولكن الآن لا مجال للوصول إلى حيث وصل صوت البشارة، وصلوا شكراً للرب المسيح ابن الله المحبوب والمحب»(2).

كما يستخدمون عدداً من الصحف اليومية والأسبوعية بالإضافة إلى النشرات والدوريات والكتب، ويعلن المنصرون أنهم استغلوا الصحافة المصرية على الأخص للتعبير عن الآراء المسيحية أكثر مما استطاعوا في أي بلد إسلامي آخر(3).

هـ - استغلال الأزمات والكوارث الفردية والاجتماعية:

ويتجلى ذلك بتصيد اللقطاء والمشردين والمشردات وأصحاب الأزمات المختلفة من أبناء المسلمين وبناتهم، وكذلك الذين فقدوا أهليهم في الحروب والفتن والمجاعات والكوارث الطبيعية والأزمات الأخرى وإيوائهم لتنصيرهم.

ومن أمثلة ذلك الحملات المكثفة التنصيرية لتنصير أطفال المسلمين اللاجئين في الصومال التي نشرت الصحف عنها في عام ١٤٠٢هـ(4).

و - إبعاد المسلمين الحقيقيين عن القيادة السياسية: حتى يخلو لهم الجو ليفعلوا ما يشاؤون.

ومثال ذلك في سيراليون؛ إذ إن ٨٠٪ من السكان مسلمون، ويشكل النصارى ٥٪ ومع ذلك يسيطرون على ١٧ مقعداً، من أصل ٢٢ مقعداً وزارياً، ومن مقاعد النصارى منصب رئيس الدولة ورئيس الوزراء ووزراء الخارجية والمالية والإعلام، ويتكرر المثال في السنغال؛ حيث يبلغ المسلمون ٩٠٪، وفي إفريقيا الوسطى ٧٠٪ قبل إسلام بوكاسا، وغامبيا ٩٠٪ قبل إسلام جاورارا، وتنزانيا ٤٥٪، والحبشة ٦٠٪، وتشاد وفولتا العليا وليبيريا، كلها أغلبيات إسلامية تحكمها أقلية نصرانية(5).

ز - تأسيس منظمات سرية تعمل في الخفاء:

ومن أمثلة هذه المنظمات السرية ما أعلنته الصحف السودانية في أواخر السبعينيات من أن سلطات الأمن السودانية اكتشفت خلية سرية تعمل في الخفاء لبث الدسائس والأفكار المعادية للإسلام والداعية إلى النصرانية، وزعيم الخلية طبيب سويسري يعمل في الخرطوم، وهي تابعة لمنظمة دولية مركزها «بازل» بسويسرا، وقد عثر في مركز الخلية على (٢٠٠) ألف كتاب من الكتب المعادية للدين الإسلامي والمحرفة له والمشوهة لحقيقته والداعية إلى

---

(١) احذروا الأساليب الحديثة، ص ٧٠.

(٢) مجلة الرابطة، العدد: ٢٦٨.

(٣) التبشير والاستعمار، ص ٢١٣.

(٤) أجنحة المكر الثلاثة، ص ١٠٤.

(٥) مجلة هذه سبيلي، العدد: ٢، ص ٢١٩.

الردة عنه، كما وجدت فيه كميات كبيرة من الأشرطة التي سجلت فيها موضوعات معادية للإسلام ومنها تلاوات شبيهة بالقرآن وهي ليست قرآناً بغية تضليل عوام المنتمين إلى الإسلام في إفريقيا وغيرها(١).

ح - عقد المؤتمرات: التي تجمع من أنحاء العالم لتبادل الآراء المناسبة والطرق المثلى لحرب الإسلام والمسلمين ونشر عقائدهم ومذاهبهم الهدامة، ومن هذه المؤتمرات - على سبيل المثال - المؤتمر التنصيري الذي انعقد في القاهرة سنة ١٩٠٦م، وكذلك مؤتمر كولورادو الذي عقد عام ١٩٧٨م.

هذه هي أهم وسائل القوم في الدعوة إلى دينهم الباطل وعقائدهم الفاسدة؛ وإن كانت هناك وسائل كثيرة غيرها يضيق المجال عن ذكرها مثل النوادي، ومثل استخدام المرأة عن طريق الصداقات المحرمة مع الشباب، ومثل الفنادق العالمية الكبرى والأسواق وإغراق المجتمع بالشهوات، وأسلوب المراسلات، والعمل في مجالات التنمية وغيرها.

فينبغي علينا - معشر المسلمين - الحذر من كيد الأعداء؛ وذلك من خلال فضح خططهم ومخططاتهم، والعمل على محاربتها وبيان بطلانها؛ فقد تعبدنا باستبانة سبل المجرمين، بل جاءت آيات الكتاب العزيز مفصلة لنتبين خطط أعداء الله. قال - جل شانه -: ﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٥].

خاتمة:

وفي ختام هذا البحث نتوجه إلى كافة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بهذه الكلمة:

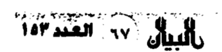
إن التنصير يجتاح قارة إفريقيا المسلمة، ويعمل ما يحلو له؛ وها أنتم ترون خططه ومخططاته واضحة وجلية للعيان، وهاهم جنده يواصلون الليل بالنهار ويعملون بكل جد من أجل القضاء على الدين الإسلامي وإخراج المسلمين من دينهم.

فيا أمة الإسلام! اللهَ اللهَ بالدفاع عن عقيدتكم ودينكم الحق، ولْنَسْعَ جميعاً لرد كيد أعداء الله، ولْنُرِ الله - عز وجل - من تضحياتنا وصدقنا ما يكون سبباً في نصرة الله - عز وجل - لنا، ولنحثَّ الخطا في طريق استعادة هويتنا الإسلامية، ولنتوجه إلى الله - عز وجل - قبل ذلك وبعده أن يبرم لأمتنا المباركة أمر رشد يعز فيه أهل الطاعة ويذل فيه أهل المعصية والكفر، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وصلى الله على نبينا محمد.

---

(٢) أجنحة المكر الثلاثة، ص ١٠٧.



النشاط التنصيري في كردستان العراق

د. فرست مرعي الدهوكي

يوجد في كردستان إلى جانب الكرد المسلمين طوائف نصرانية مختلفة مثل الكلدان والنسطوريين (الآثوريين) والسريان والأرمن، وكانوا يعيشون بسلام ووئام بمقتضى أحكام الشريعة الإسلامية السمحاء التي تؤكد على احترام أهل الكتاب عملاً بوصية الرسول العظيم محمد ﷺ: «من آذى ذمياً فأنا خصمه»[1]. وكان الجميع يعيشون في ظل الخلافة الإسلامية بدءاً من الخلافة الراشدة ومروراً بالحقبة الأموية فالعباسية وانتهاءاً بالدولة العثمانية. ولكن الضعف الذي انتاب الدولة العثمانية في أواخر أيامها ومخططات الدول الأوروبية النصرانية لتقسيمها بعد تسميتها من قبَل القيصر الروسي (نيقولا) بالرجل المريض ـ هذه الآمال انتعشت بوجود أقليات نصرانية داخل جسم الدولة العثمانية مما حدا بالقناصل والرحالة والمبشرين الأوروبيين إلى الاتصال بهذه الطوائف إضافة إلى هذه الامتيازات التي منحها السلطان سليمان القانوني للامبراطور الفرنسي فرنسوا الأول وما تبعها من منحها للانكليز والروس، كل هذا أدى إلى تدخل الدول الأوروبية في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية. فكانت بريطانيا تحرص على رعاياها البروتستانت والدروز، وفرنسا تحرص على حماية الكاثوليك من كلدان وموارنة؛ بينما حرصت روسيا على حماية الطوائف الأرثوذكسية. وفعلاً بدأت هذه المخططات تاتي أُكُلَها بتعاون رؤساء هذه الطوائف مع واضعي هذه المخططات من إنكليز وروس. ففي أثناء الحرب العثمانية الروسية عام ١٨٧٨م انحاز الآثوريون إلى جانب الروس ضد دولتهم التي تحميهم. كما انحازوا سابقاً إبان حرب القرم (١٨٥٣ ـ ١٨٥٦م) حيث صرح البطريرك الآشوري مار شمعون «عن رغبته بالوقوف إلى جانب روسيا؛ فقد اقترح البدء بمحادثات موجهة بشكل رئيس نحو مسألة اتحاد الآشوريين (الآثوريين) بالأرثوذكسية الروسية، ولذا حارب الآشوريون المقيمون في روسيا في هذه الحرب بشجاعة في صفوف الجيش الروسي»[2].

---

(١) رواه الخطيب البغدادي، في التاريخ وهو ضعيف، ضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم ٥٣١٤.

(٢) الآشوريون والمسألة الآشورية ـ ق ـ ب ـ ماتفييف (بارمتي) ترجمة: ح. د. ا.

لمحة تاريخية عن ظهور النسطورية:

في هذه الآونة بدأت الإرساليات التبشيرية بالدخول شيئاً فشيئاً إلى مناطق تمركز الآثوريين والأرمن بقصد إدخالهم في حظيرة الكنيسة الكاثوليكية؛ حيث اتهموا بالهرطقة والخروج عن دين المسيح - عليه السلام - إثر مجمع إيفيسس(١) ٤٣١م؛ حيث أعلن نسطوريوس بطريرك القسطنطينية الذي نصبه الإمبراطور الروماني ثيئو دوسيوس الثاني (٤٠٨ - ٤٥٠م) بطريركاً سنة ٤٢٨م أن للسيد المسيح شخصيتين منفصلتين (أقنومين): أقنوم الإنسان يسوع، وأقنوم الله، ولا يجوز أن تسمى مريم العذراء أم الله بل هي بشر ولدت المسيح بالشخصية البشرية، وأن المسيح مات على الصليب كإنسان، وكانت النتيجة أن أُدين نسطوريوس واعتُبر خارجاً على تعاليم الكنيسة، وبعد أن قضى خمس سنوات معتكفاً في ديره القديم قرب انطاكية نفاه الإمبراطور ثيئو دوسيورس الثاني سنة ٤٣٦م إلى أعالي مصر؛ حيث توفي سنة ٤٥١م(٢). وما أن علم الإمبراطور الفارسي بما يحدث لنسطوريوس حتى قام باحتواء معارضي الدولة الرومانية بقيادة بارصوما زعيم الحركة النسطورية؛ حيث توجهوا إلى الدولة الفارسية الساسانية، ولاقوا ترحيباً من الملك فيروز الأول (٤٥٩ - ٤٨٤م) الذي رأى فيهم خير أداة لمحاربة الدولة الرومية البيزنطية. وحسب طلب برصوما فقد اعتبر الملك فيروز النسطورية ديناً لجميع مسيحيي الإمبراطورية الفارسية(٣). وفي عام ٤٩٦م اجتمع في العاصمة الفارسية سلوقية (سلمان باك الحالية) جنوب شرق بغداد المجمع الديني النسطوري، وأعلنت النسطورية ديناً رسمياً للمسيحيين، وانتخب أول بطريرك نسطوري وهو (باري). ومنذ ذلك الحين سميت الكنيسة النسطورية بكنيسة الشرق، وسُمي بطريركها بطريركاً للكنيسة الشرقية(٤).

ولقد تعرضت الكنيسة النسطورية بمرور الزمن إلى أحداث لغير صالحها أدت إلى توقف نموها وازدهارها؛ بل تقلصها واضمحلالها بعد أن بلغت أوسع انتشار لها في منطقة الشرق؛ حيث كانت الفرقة النصرانية الوحيدة التي تبشر بأفكارها وسيادتها في منطقة الشرق الأدنى. وكانت أول صدمة شهدتها هي اكتساح المغول لها والفتك بها. ثم كان الانقسام في كنيستها بفعل الإرساليات التبشيرية الكاثوليكية التي أرسلها باباوات روما في القرن السادس عشر صدمة كبيرة لها، فانضم أكثر النساطرة القاطنين في الموصل وفي القرى الواقعة في السهول المجاورة المحيطة بها كتكليف - كارامليس - باقوفة - قرقوش - القوش إلى الكنيسة الكاثوليكية مندفعين بمغريات مشجعة من أسقفية أخوية الكرمليين الفرنسية فيما بين النهرين برئاسة جان ردفال الذي أسس دعائم لنفسه منذ عام ١٦٢٢م، وهكذا تكونت طائفة جديدة باسم الكلدان المتحدين لهم كنيستهم الخاصة بهم، فنصَّب البابا انوسنت الحادي عشر عليها بطريركاً سنة ١٦٨١م هو المار يوسف الاسقف النسطوري لديار بكر الذي كان قد اختلف مع بطريرك النساطرة. وبعد حوالي مئة عام انشق المار إيليا الأسقف النسطوري في منطقة الموصل على الكنيسة النسطورية، وصبا إلى المذهب الكاثوليكي، وانضم إلى طائفة الكلدان المتحدين.

---

(١) إيفيسس: مدينة يونانية قديمة تقع بقاياها بالقرب من قرية سلجوق في مقاطعة ازمير التركية.

(٢) دائرة المعارف البريطانية، ١٩٦٥، ١٥، ٧٤، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، ص ٩٥، ٩٦.

(٣) ملامح من التاريخ القديم، أحمد سوسه.

(٤) تاريخ الآثوريين، تأليف ك. ماتفييف ومار يوحنا، ترجمة أسامة نعمان عن الروسية، ص ١١ - ١٢.

أما النساطرة في منطقة جبال هكارى في كردستان تركيا فبقوا صامدين متمسكين بالكنيسة النسطورية وبطقوسها؛ وهم الذين حافظوا عليها وكانت لغتهم السريانية، فانفصلوا عن الموصل التي صبات إلى الكثلكة. وأسسوا كرسياً بطريركياً مستقلاً ووراثياً بزعامة البطريرك المار شمعون الثالث عشر (١٦٦٠ - ١٧٠٠م)، فاتخذ هذا البطريرك قرية قوجانس في سنجق هكارى مركزاً لبطريركيته بزعامته الدينية والدنيوية بعد أن كان مقرهم الأصلي في قصبة القوش القريبة من مدينة الموصل. وصار هذا اللقب (المار شمعون) يطلق على كل من يتولى البطريركية على النساطرة[1]. ولم يقتصر التحوّل عن النسطورية على نساطرة منطقة الموصل والقرى المجاورة من السهول، بل شمل أيضاً النساطرة في شمال إيران (أجزاء من كردستان إيران). ففي سنة ١٨٩٨م انضم عدد من النساطرة في شمال إيران إلى الكنيسة الأرثوذكسية الروسية على يد المطران (مار يونان) من سوبورغان وأورمية. وتأسس مركز روسي للتبشير بين النساطرة في أورمية.

قيام الحرب العالمية الأولى وخيانة النسطوريين للدولة العثمانية:

قامت الحرب العالمية الأولى إثر قيام أحد الطلبة الصربيين بقتل ولي عهد إمبراطورية النمسا والمجر في مدينة سراييفو، وعقب ذلك أعلنت ألمانيا والنمسا والمجر الحرب على صربيا وتبعتها انكلترا وفرنسا وروسيا في الحرب على دول المحور. وبعد ثلاثة أيام من هجوم الأسطول التركي - الألماني على الموانئ الروسية أي في ٢ تشرين الثاني ١٩١٤م شنت القوات البرية العثمانية هجوماً على مدينة قارص العثمانية المحتلة. بتاريخ ١٠ تشرين الثاني ١٩١٤م أرسل القنصل الروسي في مدينة «وان» ثلاثة رجال استطلاع محملين برسالة إلى بنيامين مار شمعون في مقره بقرية قوجانس. وقد عاد هؤلاء الثلاثة محملين برسالة من البطريرك يؤكد فيها جاهزيته لإعلان التمرد ضد الدولة العثمانية. ولكن بشرط تعرض روسي على منطقة باشقلعة وديز لكي يلتحم الآثوريون مع القوات الروسية الغازية. وفي اليوم نفسه توجهت تشكيلات آثورية من إيران إلى منطقة «ميركا وار» لتعزيز الدفاعات الروسية بوجه الهجمات العثمانية[2] وهكذا خان الآثوريون العهد هذه المرة مثل المرات السابقة في حروب الدولة العثمانية المتتالية مع عدوها اللدود روسيا. وقد شارك المرتزقة الأرمن والآثوريون بقيادة بطرس آغا مع القوات الروسية في حرق مئات القرى الكردية وتدميرها في منطقة هكارى وأورمية، وأدت هذه الأعمال الوحشية إلى قتل وتشريد لحوالي مليون كردي. وحين انسحبت القوات الروسية من كردستان تحت ضغط القوات العثمانية وظهور ثورة أكتوبر الاشتراكية عام ١٩١٧م سلمت أسلحتها للمرتزقة الآثوريين، كما قامت القنصلية الفرنسية في استانبول بدعم القوات الآثورية وتمويلها، ووصلت قوة القوات الآثورية بقيادة المار شمعون إلى حد مكنهم من السيطرة على مدينة أورمية وما حولها في كردستان إيران، واغتصب المسلحون الآثوريون المئات من النساء الكرديات داخل أورمية. وحين تكاملت استعدادات القوات الآثورية بدأت الأوساط الآثورية في لندن وباريس تدعو إلى إنشاء كيان قومي لهم في كردستان[3].

---

(١) ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، ص ١٢٦ - ١٢٧، الآشوريون والمسألة الآشورية، ص ٦٥ - ٦٦.

(٢) الآشوريون والمسألة الآشورية، ق. ب. ماتفييف (بارمتي) ترجمة ح. د. أ، ص ٨٤.

(٣) إسماعيل آغا سمكو، ثعلب السياسة الكردية ورائدها في البراغماتية، الدكتور عثمان علي، مجلة نالاي نيسلام، العدد: ٣، ص ١٦، ١٧.

إسكان النسطوريين في كردستان العراق ومحاولات إنشاء كيان خاص بهم:

وفي أعقاب مؤتمر القاهرة الاستعماري الذي عقد في آذار ١٩٢١م برئاسة ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطاني شكلت من كتائب الآثوريين قوة خاصة سميت: «الليفي» مهمتها مساندة القوات البريطانية في إخماد انتفاضة الشعب العراقي بعربه وكرده إثر انتفاضة الكرد في سنة ١٩١٩م وثورة العشرين العراقية عام ١٩٢٠م. كما قام الإنكليز في الوقت نفسه بإسكان الآثوريين في المناطق الكردية في منطقة العمادية وعقرة ودهوك وديانا، وقاموا بترحيل الكرد إلى مناطق أخرى. كما كان الآثوريون يتحينون الفرص للانتقام من المسلمين في العراق حيث قاموا بارتكاب مذبحة بشرية في مدينة كركوك بتاريخ ٤ أيار ١٩٢٤م. وقد سبق هذه المذبحة قيام الآثوريين بارتكاب مذبحة أخرى في مدينة الموصل بتاريخ ١٥ آب ١٩٢٣م، كل هذه الأمور أدت إلى خلق حالة نفور بين الشعب العراقي وبين هؤلاء الدخلاء الذين كانوا يتحينون الفرص لإقامة وطن قومي لهم على أرض كردستان حيث قاموا بتمردهم الشهير في شهر آب ١٩٣٣م في منطقة سميل، ولكن القوات العراقية بقيادة اللواء بكر صدقي ومساندتها من العشائر العربية والكردية في المنطقة أدت إلى إخفاق مخططاتهم. وهم الآن يعيدون إحياء هذه المناسبة سنوياً في ٨ آب حيث يعتبرونها «يوم الشهيد الآثوري»[1].

وقد ظل حلم إنشاء دولة مسيحية في كردستان (شمال العراق) يراود الأجيال الجديدة. ولكن القشة التي قصمت ظهر البعير هي مجيء حزب البعث عام ١٩٦٨م إلى السلطة في بغداد تحت زعامة ميشيل عفلق الذي اتبع سياسة شوفينية تجاه الشعب الكردي المسلم وأعطى النصارى مجالاً واسعاً للقيام ببناء مراكزهم الثقافية والاجتماعية ثم السياسية؛ حيث ولد في خضم هذه الظروف الحرجة حزب بيت النهرين عام ١٩٧٦م أعقبه ظهور الحركة الديمقراطية الآشورية وقاموا بتوزيع الأدوار، حيث يتشدد حزب بيت النهرين، فيما يناور ويعتدل حزب الحركة الديمقراطية الآشورية في طرح مطالب النصارى، وبهذا التكتيك تمكنوا من خلق ظروف مناسبة لهم في منطقة كردستان حيث دخلت الحركة الديمقراطية الآشورية في الجبهة الكردستانية، ولدينا وثيقة ناطقة باسمهم تثبت أنهم لا زالوا يتمسكون

الميزانية المخصصة للإرساليات الخارجية

اسم المنظمة	بالمليون دولار أمريكي
مؤتمر المعمدانيين الجنوبيين	١٦٩,٣
الرؤيا العالمية	١٣١,٧
اجتماعات الإله Assemblies of God	٨٤,٣
السبتيون	٧٠,٢
جمعية ويكلف لترجمة الإنجيل الدولية	٥٩,١
كنيسة الإله	٥٢
مجلس الكنائس الوطني	٤٧,٣
منظمة ماب الدولية	٣٦,٣

(*) نقلاً عن: كتاب لمحات عن التنصير في إفريقيا، الدكتور عبد الرحمن السميط. ـ البيان ـ

(١) ينظر بهذا الصدد المنشورات الصادرة عن الحركة الديمقراطية الآشورية والمركز الثقافي الآشوري.

بحملهم القديم، فيقول المدعو ق. ب. ماتفييف (بارمتي) في كتابه: (الآشوريون والمسألة الآشورية) في الصفحة ١٧٧ ما نصه: «بالرغم من أنه لا يوجد بهذا الصدد لدى قادة المؤتمرات وجهة نظر محددة واحدة فيطلب المكسيماليون المغالون (المتطرفون) تأسيس دولة آشور المستقلة على الأراضي الواقعة في شمال العراق، بينما يريد المعتدلون دولة آشورية ذات حكم ذاتي (على مثال الحكم الذاتي الكردي) ضمن إطار الحكومة العراقية. ويعتبر كلاهما مهمة تأسيس الدولة الآشورية أمراً واقعياً، ويأمل الطرفان تحقيق ذلك في غضون القرن الجاري[1]».

ومما يجدر ذكره أن الطائفة النسطورية حاولت الحصول على الحكم الذاتي من الحكومة العراقية وتخصيص مدينة دهوك عاصمة إقليمية لهم أسوة باتفاق الحكم الذاتي الذي عقد بين الحكومة العراقية وقيادة الحركة الكردية بزعامة البارزاني عام ١٩٧٠م، والوثيقة المتعلقة بهذا الأمر بقيت طي الكتمان من الجانبين الحكومي والنسطوري خوفاً من إثارة الرأي العام الكردي.

نشاط الإرساليات الأوروبية التنصيرية بُعيد حرب الخليج الثانية ١٩٩١م:

وهكذا جرت الأمور إلى أن حدثت انتفاضة آذار عام ١٩٩١م وما أعقبها من الهجرة المليونية للشعب الكردي وعودته إلى أرضه؛ حيث بدأ الإعلام العالمي (الغربي) يركز على القضية الكردية، وبدأت المنظمات (الإنسانية) بالدخول شيئاً فشيئاً إلى منطقة كردستان الآمنة، وهكذا دخلت عشرات المنظمات إلى كردستان أمثال: منظمة شلترناو انترناشنال وهي منظمة أمريكية، ومنظمة كاريتاس الكاثوليكية، ومنظمة الكنائس العالمية، ومنظمة مساعدة الشعوب المضطهدة، ومنظمة العالم بحاجة، ومنظمة رعاية الكرد، ومنظمة الفريق الطبي الأمريكي، ومنظمة الهجرة الدولية، ومنظمة الصليب الأحمر السويدي، ومنظمة الكنيسة الأسقفية الإنجيلية، ومنظمة كير الأسترالية، ومنظمة الشركاء العالميين وغيرها[2]. وأخذت هذه المنظمات توزع الطحين والأرز والزيوت على الكرد مع كتب تنصيرية كالأناجيل وكتب تخص حياة السيد المسيح - عليه السلام - من وجهة نظر الكنيسة، وبعض الكتب التي تلقي ظلالاً من الشك والريبة حول صحة القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة. كما بدأت هذه المنظمات تتوغل شيئاً فشيئاً داخل النسيج الاجتماعي للمجتمع الكردي المسلم، وأخذت تحث الشباب المراهق على الهجرة وترك كردستان فارغة تعبث بها المنظمات كيفما تشاء، وهكذا تسابق مئات الشباب نحو الالتحاق بمنطقة سلوبي التركية تمهيداً لنقلهم إلى الولايات المتحدة وكندا وأستراليا ودول أوروبية أخرى.

كما قامت المنظمات الأجنبية بتهريب السجاير الأجنبية والسموم البيضاء إلى داخل كردستان قادمة من تركيا وقبرص، وأخذ الخبراء والفنيون والباحثون المرتبطون بمراكز الدراسات والجامعات بالدخول إلى كردستان حيث أصبحت حقلاً لتجاربهم. ومما زاد الطين بلة أن بعض هذه المنظمات تقوم بمنح مئتي دولار شهرياً لكل سيدة تقوم بفتح صالون حلاقة. أضف إلى هذا أن عدد البارات والحانات قد زاد زيادة ملحوظة عما كانت عليه قبل الانتفاضة. كما قام نصارى دهوك بفتح مكتبة ينبوع الحياة قرب دير مريم العذراء وتم تزويدها بكتب تنصيرية قادمة من دول أوروبا كألمانيا وسويسرا ولوكسمبورغ وتركيا بقصد إدخال الشبهات والشك في عقليات الشباب الكردي، كما تم تزويد هذه المكتبة بأشرطة الكاسيت والفيديو، كالكاسيت الخاص بالسيد المسيح وآباء الكنيسة. ويقوم هناك تنسيق تام بين منظمة

---

(١) الآشوريون والمسألة الآشورية، ص ١٧٧.

(٢) ملف المنظمات الأجنبية في محافظة دهوك في كردستان العراق.

WIN (العالم بحاجة) والمكتبة بواسطة المدعو يوسف متى وهو مسيحي من أهالي الموصل يشرف على مكتبة ينبوع الحياة ويقوم بتزويدها بالتوجيهات اللازمة بخصوص العمل التنصيري. فعند ارتياد بعض الشباب لهذه المكتبة يقوم طاقم المكتبة المؤلف من أربعة أشخاص ـ وهم: المدعو البرت عوديشو المسؤول عن المكتبة يساعده ثلاثة أشخاص آخرون: هم كل من المدعو غالب وهو مسيحي كلداني من أهالي دهوك، وكريم وانويا وهما مسيحيان آثوريان ـ بمنحه بعض الكتب الصغيرة مع بعض الهدايا التي تصور السيد المسيح إلهاً أو ابن إله. وهذه الهدايا عبارة عن بوست كارت ملون ومزركش بحيث يؤثر في القارئ ومكتوب عليه بلغة عربية جميلة مع ترجمة باللغة الانكليزية إضافة إلى إهدائه نسخة من كتاب العهد الجديد أو إحدى الأناجيل مثل لوقا المطبوع باللغات العربية والكردية باللهجتين الكرمانجية الشمالية والجنوبية وبالحرفين العربي واللاتيني. وإذا رأى طاقم المكتبة من هؤلاء الشباب ميلاً إلى دراسة المطبوعات النصرانية فإنهم يقومون بإسداء عبارات الترحيب والمجاملة الزائدة تمهيداً لإدخاله في مشيئة الرب حسب مصطلحهم. بعد هذه الفترة يقومون بزرع بذور الشك في عقله وتقريب بعض المفاهيم النصرانية إلى ذهنه كالقربان وهو عبارة عن صلب السيد المسيح لغفران ذنوب البشر؛ وهذا ما يعاكس المصطلح الإسلامي وينافيه بصورة تامة. بعد هذا يزود ببعض المطبوعات الأخرى مثل كتاب (عصمة التوراة والإنجيل) حيث يؤكدون على صحة الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد. ويشيرون من طرف خفي إلى تناقض بعض آيات القرآن الكريم من الناحية الإعرابية أو اللغوية، ومدى صحة جمعه في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ ويستأنسون في هذا المجال ببعض الدراسات الشاذة حول القراءات القرآنية، أو ما كتبه بعض المنحرفين عن الإسلام كأمثال محيي الدين بن عربي في كتابه: «فصوص الحكم» بخصوص الروح والسيد المسيح، وبعض مؤلفات الشيعة الخاصة بتحريف القرآن. بعدها يسلم هذا الشاب إلى المدعو يوسف متى لكي يزوده ببعض الكتب الأخرى الأشد خطراً وبعض أشرطة التسجيل والفيديو كاسيت، وهذا الشخص يتلقى الدعم من الكنيسة الأسقفية الإنجيلية التي مقرها في نيويورك، ومن منظمة WIN (العالم بحاجة)

إحصائية عن المنظمات التنصيرية البروتستانتية الأمريكية

اسم المنظمة	عدد المنصرين
مؤتمر المعمدانيين الجنوبيين الإرساليات الخارجية	٣٨٣٩
شباب ذوي رسالة	٢٥٠٦
جمعية ويكلف الدولية لترجمة الإنجيل	٢٢٦٩
إرسالية القبائل الجديدة	١٨٠٧
كنيسة المسيح	١٧١٧
اجتماعات الإله Assemblies of God	١٥٣٠
كنائس المسيح	٩٨٢
اتحاد النصارى والإرساليات	٩١٧
منظمة تيم	٨٧٢
السبتيين	٨٤٢
زمالة الإنجيل المعمدانية الدولية	٧٣٤

(*) نقلاً عن: كتاب لمحات عن التنصير في إفريقيا، الدكتور عبد الرحمن السميط. ـ البيان ـ

المكونة من أربعة أشخاص هم المدعو أندريه وهو فرنسي تعلم اللغة العربية أثناء وجوده في أقطار المغرب العربي، والثاني ناجي وهو مصري قبطي يجيد الإنكليزية بطلاقة وكان قد عاش في السعودية لفترة طويلة وهو ملمٌ ببعض ما في الكتب الإسلامية كالتفاسير وما كتب في علوم القرآن كالإتقان للسيوطي، والثالث هو المدعو توفيق وهو مسيحي لبناني، والرابع سيدة كبيرة السن وهي معلمة، وهؤلاء الأربعة يترددون على المدعو يوسف متى وعلى مكتبة ينبوع الحياة يومياً. إن أغلب مطبوعات هذه المكتبة تأتي من سويسرا وألمانيا ولوكسمبرغ ومن مكتبة إستانبول في تركيا، ولهذه المكتبة تنسيق مع المركز الثقافي الآشوري ومع نادي نوهدرا إضافة إلى الحركة الديمقراطية الآشورية وحزب بيت النهرين(١).

مشروع تنصير كردستان:

وندرج أدناه بعض المعلومات بخصوص تنصير الكرد من قِبَل وحدة التبشير العالمي (Gbba I Mission Unit) والكنيسة البروتستانتية، وهي عبارة عن مذكرة لفهم شهادات أقليات الشعوب المسلمة. تبدأ هذه الدراسة بمقدمة حول تغلغل الإرساليات التبشيرية في منطقة كردستان، حيث يحددها التقرير سنة ١٨٥١م عندما أبحر صاموئيل أودلي ري (Samuel Audley Rhra) إلى كردستان. ويذكر بأن هدف هذه الكنيسة في النهاية: هو الوصول إلى جميع البشر، ونحن نضع أنفسنا جنوداً لهذا الهدف. ثم يذكر التقرير الأهداف الأولية للتبشير بعنوان: (خواطر لفهم أعمال المبشرين بين الأقليات القومية الإسلامية). ويتطرق إلى الأهداف الأولية: حول تشكيل فريق عمل من المبشرين للوصول إلى أهداف التنصير بحلول سنة ٢٠٠٠م. وتدعم أعمال هؤلاء من قِبَل الكنائس والمؤسسات التبشيرية العالمية.

ويسرد التقرير أسماء أعضاء الفريق وهم كل من:

١ - بوب بلين كوي Bob Blinco.

٢ - بيل كوبس Bill Koops.

٣ - تيري بوس Teri Busse.

٤ - تيريزا ستلينكر Teresa Sullenger.

٥ - روث تيسدال Ruth Teasdale.

ومن ثم أضيف إليهم أشخاص آخرون للوصول إلى هدف مؤسسة (دعم متطوعي التبشير للكنيسة البروتسانتية) Presby Terian Frontier Mission Fand.

أما المدخل الاستراتيجي لفريق العمل فيتضمن الواجبات الآتية:

١ - تعلم اللغة (من قِبَل أعضاء الفريق) ويقصد بها اللغتين العربية والكردية.

٢ - بيع المواد لهم وإقامة أعمال تجارية معهم.

٣ - تدريس اللغة الإنجليزية لغة ثانية.

٤ - إيجاد أعمال صغيرة في منطقة الشرق الأوسط.

ومن الكتب التي وضعت للتدريس هي:

---

(١) بحث ميداني قام به الباحث من خلال تجواله على الأحزاب والهيئات والمنظمات والكنائس النصرانية في محافظة دهوك في كردستان العراق.

Kenneth Cragg (نداء المئذنة)، The Call of the Minaret.

Montgomery Watt (محمد: النبي ورجل الدولة) Muhannad: Prophet and Statment.

Phil Parshall (الجسور إلى الإسلام)، Bridges to Islam.

C. Marsten Speight (الإسلام من الداخل) Islam from Within.

Phil Parshall(طرق جديدة لتنصير المسلمين)، New Pathin Muslim Evangclism.

Parvinder (عيسى والقرآن) Jesus and the Quran.

وهذه المطبوعـات يمكن الحصول عليـها عن طريق الاتصال بمعـهد زويمر الواقع في ولاية Aladend في الولايات المتحدة الأمريكية(١).

أكبر ١٠ منظمات تنصيرية بريطانية

(الدخل والأوقاف)

اسم المنظمة	الدخل	الأوقاف
مجلس كنيسة إنجلترا Church Commissioner of England	٢٥٧ مليون جنيه	٢٣٨١ مليون جنيه إسترليني
جمعية برناردو للأطفال Bernardo	٧٧,٢ مليون جنيه	١٧٤ مليون جنيه إسترليني
العون المسيحي Christian Aid	٤٣,٧ مليون جنيه	١٧,٣ مليون جنيه إسترليني
جيش الخلاص (العمل الاجتماعي) Salivation Army (Social Work)	٤٣,٣ مليون جنيه	٨٠,٣ مليون جنيه إسترليني
جيش الخلاص (صندوق الوقف) S.Army (Trust Fund)	٣٣,١ مليون جنيه	١٦٥ مليون جنيه إسترليني
فريق الكنيسة للإسكان Church Housing Group	٤٠,٧ مليون جنيه	٢٨٣ مليون جنيه إسترليني
جمعية الإنجيل Bible Socitey	٣٤,٤ مليون جنيه	٧,٨٥ مليون جنيه إسترليني
جمعية الشبان المسيحيين Young Christian Men Assoc	٣٠,٦ مليون جنيه	٤,٩٧ مليون جنيه إسترليني
كنيسة المسيح وقديسي اليوم الآخر Church of Christ and Later day Saint	٢٥,٩ مليون جنيه	٩,٥٧ مليون جنيه إسترليني
صندوق منظمة تير Tear	٢٤,٧ مليون جنيه	٩,٤٥ مليون جنيه إسترليني

(*) نقلاً عن: كتاب لمحات عن التنصير في إفريقيا، الدكتور عبد الرحمن السميط.

- البيان -

(١) مختصر وثيقة سرية باللغة الإنجليزية حصل عليها الباحث من أحد العاملين الكرد في إحدى هذه المنظمات.



الأديب الإسلامي

الدكتور حلمي محمد القاعود

في حوار مع البيان

حاوره: محمد شلال الحناحنة

تعريف بضيف اللقاء:

- من مواليد البحيرة في مصر سنة ١٣٦٦هـ، وهو أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية بجامعة طنطا، وعضو اتحاد الكتاب في مصر، وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.
- عمل في عدة جامعات، وشارك في عدة مؤتمرات أدبية داخل مصر وخارجها.
- يشارك باستمرار في الكتابة لعدد من الصحف والدوريات العربية والإسلامية، وله أكثر من ثلاثين مؤلفاً في الإسلاميات والأدبيات والإعلام، وحصل على عدة جوائز، كجائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، عام ١٣٨٨هـ، وجائزة المجلس الأعلى للثقافة بمصر عام ١٣٩٤هـ.

أنْ نحملَ شجونَ الأدب الإسلاميِّ، لنمضيَ إلى ذاكرة غزيرة تطمح لاستشراف أدب وفكر إسلامي يلامس شفافية الروح ليس أمراً هيناً لا سيما ونحنُ نحاورُ الأديب الإسلامي الدكتور حلمي محمد القاعود؛ فهو كتابٌ مُزْهرٌ مفتوح.

وقد رأت البيان أنَّ هذه الطاقة المبدعة من الفكر والإبداع مَكْسَبٌ كبيرٌ لقرّائها ومتابعيها،

فجاء هذا الحوار وارفاً بكثيرٍ من القطوف الدانية، فإلى الحوار.

■ **مهمة الناقد الإسلامي مهمة عظيمة، ولكن الأغلبية من نقادنا أسرفوا في التنظير بعيداً عن ملامسة الإبداع لدى أدبائنا؛ فما رأيك في هذا القول؟!**

● لا ريب أن النقد الأدبي الإسلامي أسرف في عملية التنظير على حساب التطبيق، ولعل ذلك يرجع إلى ما قوبلتْ به فكرة الأدب الإسلامي من علامات استفهام أو تساؤلات عديدة جعلت النقاد الإسلاميين يسعون لشرح الفكرة وتفسيرها والردّ على الرافضين لها. ولعلّي كنتُ من أوائل مَنْ تنبّه إلى ذلك، فطالبتُ في أكثر من مناسبة بضرورة الاهتمام بالجانب التطبيقي في الأدب الإسلامي، فيتعرّف الناس على نماذجه الجيدة، ويثبت للمعارضين أن الأدب الاسلامي أدبٌ جادٌ وجيّد.

■ **قال أحد النقاد: (إن الشعر الإسلامي رغم غزارته ما زال يكرر نفسه منذ أكثر من عقدين من الزمان) فما ردُّك على ذلك؟!**

● هذا حكمٌ عام، والأحكام العامة في الآداب والفنون والإنسانيات ضدّ الموضوعية. قد يكون هناك تكرارٌ بالفعل في الشعر العربي عامة، والإسلامي خاصة، طوال العقود الماضية، ولكن الشعر العربي الإسلامي ما زال يقدم أصواتاً متميزة، ونماذج رفيعة تحقق الملاءمة بين المضمون الجيّد والمعالجة الراقية، والمتابع الدؤوب يدرك هذه الأصوات وتلك النماذج، وأرْجو أنْ تعفيني من ذكر الأسماء حتى لا أنسى بعضها.

■ **أنت عضو برابطة الأدب الإسلامي العالمية؛ فما الذي قدمته الرابطة في سبيل النهوض بأدبنا؟!**

● رابطة الأدب الإسلامي حلمُ جميلٌ، تحقق بعد طول انتظار على يد رجل مخلصٍ في الهند هو سماحة الشيخ «أبو الحسن الندوي» - رحمه الله - وعندما صارت حقيقة واقعة انضمَّ إليها كثيرون، وخطت خطوات عديدة في إقامة الندوات والمؤتمرات والمسابقات والنشر، وإن كان محبو الرابطة يطمحون إلى المزيد من الخطوات، وتحقيق ما يمكن أن نسميه بالشفافية والمكاشفة لمعالجة الأخطاء والسلبيات.

■ **ما العوائق الحقيقية التي تمنع تدريس الأدب الإسلامي في جامعاتنا؟**

● التعليم في معظم بلادنا العربية الإسلامية - كما تعلم يا أخي - يناقض الهوية الإسلامية، ومن دُعي بالنخب فئة متغربة بينها

وبين لفظ: «الإسلام» خصومة غير مفهومة، أو قلْ هي مفهومة إذا تأملنا تكوينها الفكري والثقافي، وهذه الفئة للأسف تتحكم في مقدرات العديد من الجامعات، ثم هناك العداء السافر والمستتر من جانب حكومات عربية إسلامية عديدة لكل ما هو إسلامي، مما يجعل المسؤولين في الجامعات يتحسسون رؤوسهم وجيوبهم!! وهنا عوائق أخرى ثانوية، ولكنها لا تمثل مشكلة حقيقية أمام تدريس الأدب الإسلامي في الجامعات، ومع ذلك فإن بعض الجامعات والكليات قد اعتمدت مقرّر الأدب الإسلامي منذ سنوات، وأتاحت الفرصة لبحوث (ماجستير ودكتوراه) حول بعض القضايا والموضوعات في الأدب الإسلامي.

■ **ما أوجه الخلاف بين الواقعية الأوروبية في دراسة الأدب والواقعية الإسلامية؟!**

● الخلاف بين الواقعية الأوروبية والواقعية الإسلامية، أوضحتُه في مقدمة كتابي حول روايات نجيب الكيلاني - رحمه الله - وهو خلاف في المضمون واللغة. وباختصار شديد: فالواقعية الأوروبية على تنوعها ما بين واقعية نقدية وأخرى طبيعية وثالثة اشتراكية... إلخ تنطلق من الواقع الذي تعيش فيه وتنحاز إلى طبقات بعينها، وتحارب طبقاتٍ غيرها، وتعتمد في كل الأحوال تصوراً مادياً لا دينياً، وتنزل أحياناً إلى لغة العامة أو اللهجات العاميّة.

أما الواقعية الإسلامية فتنطلق من الواقع، ولكن من خلال تصور إسلامي يرى النفس البشرية عموماً تحمل الخير إلى جانب الشرّ، وتؤمن بأنها أُلْهِمَتْ فجورها وتقواها، فأفلح من زكاها، ومن ثَمَّ فلا مجال للصراع الطبقي، ولا لتجريم طبقة وتبرئة أخرى بالمعايير المادية، ولكن المسؤولية في الإسلام - كما تعلم - مسؤولية فردية في الأصل: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ [الإسراء: ١٣] وغالباً ما تكون الشخصية أو النموذج في النص الأدبي الإسلامي متحولاً، أي ينتقل بعد التجربة إلى المجال الخير.. وفي الواقعية الإسلامية تكون الفصحى أداة التعبير الأساسية، والمعجم الإسلامي يظهر بوضوح عبر النص ظهوراً عفوياً تلقائياً بعيداً عن الافتعال، الواقعية الإسلامية إذاً تعبير عن التصور الإسلامي والهوية الإسلامية.

■ **لكن ما موقفك من الحداثة في بلادنا التي أضحتْ تتقنع بأسماء كثيرة؟!**

● لقد أعلنتُ رأيي في الحداثة عندنا من خلال العديد من المقالات، ونشرتُ كتاباً حولها، ولكي أكون دقيقاً فإن الحداثة التي أعنيها هي الحداثة الأوروبية التي يتبناها بعض الأدباء والكتاب في عالمنا العربي؛ لأن بعضهم يستخدمها بالمفهوم اللفظي القريب وهو التجديد، أمّا الحداثة الأولى فهي الانقطاع بالمفهوم الأوروبي، ومعناها أن تنقطع عن تاريخك ولغتك وتراثك وعقيدتك وعاداتك وتقاليدك، بل ووطنك وأمتك أيضاً! إذاً فهي رؤية فكرية وليست مذهباً أدبياً كما يزعم بعضهم، والمفارقة أن من اخترعوها ونقلناها عنهم تخلوا عنها، وانتقلوا منذ ثلاثين عاماً أو يزيد إلى ما يعرف عندهم بما بعد الحداثة، ولكنَ قومنا ما زالوا يصرّون على العيش هناك!! وللأسف فقد هاتفني بعض الأصدقاء قبل أيام بأن مسألة الحداثة كانت خدعة كبيرة انطلت على بعض مثقفينا المتيّمين بالعالم الصليبي في أوروبا وأمريكا، وظهر ذلك مؤخراً في كتاب جديد بعنوان: من يدفع التكاليف؟ (who pays the pipers) ومؤلفته فرانسيس ستونر سوندر، وأعتقد أن مضمون الكتاب سيكشف الكثير!

■ أثار كتابك: (لويس عوض الأسطورة والحقيقة) ردود فعل واسعة، ولقي تعتيماً واضحاً في الأوساط العلمانية! فلِمَ أثار تلك الردود؟

● لَمْ أكنْ أقصد «لويس عوض» وحده، ولكن كنتُ أقصد ما يمثله «لويس عوض» من تيارات غَرقَت في مستنقع الولاء للغرب الاستعماري، وتشبَّعتْ بتصوراته: المفيد منها والضار، الملائم وغير الملائم، وراحتْ بفعل ظروف معيّنة تفرض نفسها ومنهجها على الأمة؛ فكانت امتداداً للاستعمار وتجلياته الشرّيرة، ومن ثمَّ كان عليَّ أنْ أواجه هذا التيار من خلال لويس عوض الذي تحوّل في بعض الفترات إلى صنم يعبده كثيرون، ولا يجرؤ أحدٌ على الاقتراب منه، وبفضل الله استطعتُ أن أواجه مزاعمه الأدبية والفكرية بالمنطق والحجّة، والبرهان، والدليل الذي كنتُ أستقيه غالباً مأخوذ من كتاباته ونصوصه في بعض مؤلفاته.

إنَّ بعض الصحف رفضت نشر خبر صغير حول كتابي، مجرّد خبر، وبعضها حجب ما وصل إليها من مقالات أو عروض تتناوله، وصنعتْ حوله ستاراً كثيفاً من التعتيم، ولكنَّ القرّاء كانوا يسعون للحصول عليه بمجرّد سماعهم عنه.

❞ الشعر الإسلامي ما زال يقدم أصواتاً متميزة ونماذج رفيعة ❝

■ **دعنا نتحدث عن الرواية: يقال: إن كثيراً من الروايات الإسلامية تتكئ على أمجاد التاريخ! فما مدى صحة ذلك؟ وما أثره في النواحي الفنية؟**

● اللجوء إلى التاريخ في كتابة الرواية يكون له أسبابه التي تتعلق بالظروف التي يعيش فيها الكاتب، والرواية التاريخية الإسلامية من وجهة نظري تبدو أصعب فنياً من الرواية الواقعية الإسلامية؛ لأن الكاتب في الأولى يجد نفسه موزعاً بين الالتزام بحقائق التاريخ من ناحية، ومتطلبات الفن من ناحية أخرى. وقد عَرفت الرواية التاريخية الإسلامية مجموعة من الكتاب الذين حققوا المعادلة، وكانتْ لرواياتهم قيمة فنية كبيرة، أشرتُ إلى بعضهم في كتابي: «الرواية التاريخية».

■ **قلت في نقدك لبعض روايات نجيب الكيلاني: «إن البيئة في روايات الكيلاني تحقق مجالاً خصباً للواقعية الإسلامية»، هل توضح لنا هذه المسألة؟**

● البيئة تؤثر في الإنسان سلباً وإيجاباً، ويقال: (الإنسان ابن بيئته) وفي الرواية - كما في الحياة - تؤثر البيئة في أفرادها تأثيراً يختلف من فردٍ إلى آخر وفقاً لثقافته وتصوراته، وروايات نجيب الكيلاني الواقعية أظهرت هذا التأثير أو التفاعل؛ فإنسان القرية مثلاً يختلف عن إنسان المدينة، وابن البيت المتديّن يختلف عن خرِّيج المنزل غير المتدين.. وهكذا .. فالبيئة لها دور، والكاتب الموهوب هو الذي يبرز تأثيرها والتفاعل معها، ولو راجعت الفصل الخاص بالبيئة في كتابي عن رواية نجيب الكيلاني فسترى تفصيلاً تطبيقياً لهذه المسألة.

■ **كان لك اهتمام واضحٌ بالانتفاضة الإسلامية في فلسطين المحتلة؛ فما التحدي الذي طرحته الانتفاضة على الفكر والإنسان في عالمنا الإسلامي؟!**

● الانتفاضة كانت تعبيراً جميلاً ودامياً عن قدرة الإنسان الفلسطيني المسلم على مواجهة العدو اليهودي وداعمه الصليبي. كانت الانتفاضة إرهاصاً بالمستقبل، وما يمكن أن

يحدث فيه لمن سرقوا الأرض ولمنْ سُرِقتْ منهم الأرض وكان الطفل الفلسطيني بطلاً على غير توقّع، وللأسف فقد سرقوا الانتفاضة - أنتَ تعرفهم! - وذهبوا إلى مفاوضات ووقّعوا اتفاقيات انتهت باستسلام ذليل ومهين، واعتراف باغتصاب الأرض والعرض تظهر تجلياته على الساحة يومياً، وعبر نشرات الأخبار، وتصريحات الساسة! وكما فاجأت الانتفاضة العالم فإن من المتوقع أن تعود الانتفاضة أو يعود معادلٌ لها ويفاجئ الدنيا مرة أخرى، ولا يسمح لأحد أن يسرقه أو يبيعه مجاناً لأعداء الله، وأعداء الإسلام والمسلمين.

■ **(الصلح الأسود والطريق إلى فلسطين) كتاب صدر لك قبل سنوات، كيف ترى الآن هذا الصلح في ظلّ المعطيات الجديدة التي حدّثتنا عنها قبل قليل؟!**

● لا شك أن الصراع بيننا وبين يهود هو صراع عقيدة ووجود لا صراع حدود، ولا بد أنْ ينتصر أحد الطرفين، أي الطرف الذي على الحق، وطالما يحمل الفلسطينيون مفاتيح دُورهم التي أُخرِجوا منها، ويحتفظ اليهود بعناوين ذويهم في أوروبا وأمريكا وجنوب إفريقيا فإنّ النصر سيأتي من عند الله، وسيظهر صلاح الدين من جديد ليفرض صلحاً على الطريقة الإسلاميّة الظافرة!!

محطات في الحوار:

بعد قراءتنا حوار اليوم نجد أنفسنا أمام محطات ينبغي الوقوف عندها وفهمها:

١ - الشعر العربي الإسلامي ما زال يقدم أصواتاً متميزة ونماذج رفيعة راقية.

٢ - رابطة الأدب الإسلامي حلمٌ جميلٌ تحقق على يد رجل مخلص هو سماحة الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله.

٣ - التعليم في معظم بلادنا العربية الإسلامية يناقض الهوية الإسلامية.

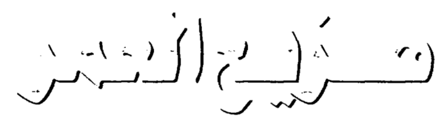
٤ - الحداثة هي رؤية فكرية أوروبية ومعناها أن تنقطع عن تاريخك ولغتك وتراثك وعقيدتك، بل ووطنك وأمّتك!

٥ - «لويس عوض» يمثل تياراً علمانياً غرق في مُستنقع الولاء للغرب الاستعماري!!

٦ - الانتفاضة كانت تعبيراً جميلاً ودامياً عن قدرة الإنسان الفلسطيني المسلم على مواجهة العدو اليهودي وداعمه الصليبي!

٧ - الصراع بيننا وبين يهود صراع عقيدة ووجود لا صراع حدود!!





ممدوح القديري

أمام شاشة التلفاز تكوَّر على نفسه وهو يشاهد أحد البرامج في ليلة من ليالي الشتاء الباردة... يسحب بطانية قريبة منه ويغطي جسده المنعطف على نفسه بعد أن شعر بالبرودة تدخل إلى عظامه الواهنة وهو يقترب من الستين عاماً، رغم أن مظهره لا يدل على ذلك؛ فوجهه قليل التجاعيد، ويتمتع ببعض النشاط في عمله، اضطرته ظروفه أن يعيش بعيداً عن أسرته بعد أن حصل على عقد عمل ملاحظ عمال لإحدى شركات المعمار في دولة من الدول الغنية - تراوده أحلامه الشائخة إلى تحسين وضعه المادي لكي يحقق لابنته سُكينة رغبتها في دخول الجامعة كما أسرَّت إليه في عصر أحد الأيام وهي ترقد بجانبه عاقصة شعرها، وهي ترفل في ربيعها السادس عشر مسترسلة في حديثها معه بأنها تحلم أن تصبح مدرسة علوم وتساعده في حياته وتعوضه عن حرمانه حين اضطر أن يكتفي بشهادة الثانوية العامة.

وكان يحدثها بدوره عن همومه وآماله، عن ضعفه وقوته، عن الحياة وتقلباتها؛ فهي ترفع الوضيع وتُسقط الرفيع. وكان يفلسف موقفه من الحياة بشيء من الأمل الذي يساعده على الاستمرار في كفاحه من أجل الأفضل رغم شعوره أحياناً بالهزيمة، ولكن ليس إلى حد اليأس.

لم تكن زوجته راضية عن سفره وهو في هذه السن المتقدمة، ولم تُخفِ حزنها عليه وهو يودعهم في يوم سفره. أما سكينة فقد خالجتها مشاعر مختلطة من الحزن والفرح

... الحزن على فراق أبيها والفرح بما سيأتي به من هناك كما كانت تسمع من زميلاتها اللائي كن يتباهين أمامها بما يجلبه أقاربهن الذين يعملون في تلك الدول، ولم تكن تعي أن راتب والدها ليس بمستوى طموحاتها.

يتابع الشاشة الصغيرة والمشاهد تتراقص عليها مع تغير التيار الكهربائي - يخرج بعض النقود من جيبه حين يتحسسها وتدخل إلى نفسه فرحة بسيطة حين يتذكر أنه سيرسلها إلى أهله بعد أن استطاع توفيرها من راتبه الضئيل رغم تكاليف الحياة الباهظة.

يضع المبلغ في جيبه مرة أخرى ويربِّت عليه... يتابع مشاهدة التلفاز تسليته الوحيدة في غربته... يشده تقرير إخباري عن وطنه فيعتدل في جلسته ... يتناول برتقالة من طبق بجانبه فيه بعض التمر وبرتقالتان - يبدأ بتقشيرها - وعينه على الشاشة... تظهر صورة لبعض جنود الاحتلال يطاردون جمهوراً من الأهالي معظمهم من الشباب الذين يرشقونهم بالحجارة ... تتعثر فتاة وتقع على الأرض. يلحق بها الجنود يمسكونها... تحاول المقاومة - يلكزها أحدهم ببندقيته... يطل وجهها الجميل من بينهم وهي تحاول أن تتخلص من أيديهم... تتضح الصورة أكثر والفتاة تصرخ وهم يضربونها بقسوة... يمسح نظارته ويتابع بقلق... تنتزعه الصورة من مجلسه وتكسر هدوءه... يدقق النظر... ويردد بصوت مرتجف: إنها هي - سكينة - ابنتي - يقترب من جهاز التلفاز يجثو على ركبتيه ويتابع ويداه ترتجفان ودماء قلبه تغلي بالهمِّ النفسي الذي اعتراه - يزداد صراخ ابنته: «يا با، يا با. تلتفت حولها والذعر في عينها بعد أن نزعوا خمارها وألقوه بعيداً ... سحبوها على الأرض وحملوها بعنف إلى سيارتهم العسكرية الضخمة وهي ما تزال تستصرخ: «وينك يا با، الحقني» - ينتهي التقرير الإخباري وهو ما زال يحملق في الشاشة ويده تعصر بقايا البرتقالة في اللحظة التي عصرت عيناه دموعها.. تملَّكه إحساس بالحيرة والفزع ... عذبته صورة ابنته... خطر بباله أن يوقظ العمال في العنبر المجاور؛ لكنه لم يفعل، وبدأ يدور داخل غرفته يهرش جبهته عدة مرات وصورة ابنته لم تفارق عينيه. شعر بالحسرة والألم ... دموعه بدأت تسترسل على وجنتيه وتتخلل لحيته الرمادية يفتح باب الغرفة ... البرد قارس خارجها... يتجه إلى أكوام الخشب أمامه ويتناول قطعة كبيرة يضرب بها أكوام الإسمنت والتراب بشدة، ثم يلقيها وينظر إلى السماء ... عيناه محمرتان...

يتضرع إلى الله أن يلهمه الصبر ويهديه إلى الصواب وهو يفكر فيما سيفعل حتى يصل عمره المعذب إلى نهايته ... تراكمت أمامه ستائر من سُحب الأوهام العسيرة فزادت من اضطراب أحاسيسه، وتاه في بحر من المخاوف على أسرته وبالذات سُكينة ... ابتلع آلامه وترامت حوله الوساوس وهو يتذوق ملوحة عبراته التي لم تتوقف على ابنته ووجهها الجميل المعفر بتراب الأرض... أحس أنها تراه وهي معصوبة العينين داخل السيارة العسكرية، رغم المسافة البعيدة بينهما؛ وصوتها يحفر أذنيه وهي تستصرخه حين اشتد بها الألم ودخلت مأساتها.

هواتف قلبه تعمل بلا نظام، ترسل أمنياته الحسيرة من أعماقه عبر أنفاسه المتلاحقة... نظراته حزينة ترنو إلى الفراغ داخل الليل، وتتلاشى الحدود الفاصلة بين واقعه وأحلامه ... نار الغيظ تتقد بين ضلوعه إشفاقاً على ابنته في سواد ليلها الطويل ... يتخيلها داخل زنزانة رطبة كريهة الرائحة يذبحها قلقها وفي مهجتها فزع البعاد عن الأهل ودفء حضن الأم الذي افتقدته في زمهرير عذابها الممتد إلى غدها الرهيب.

كان يعرف زنازين العدو؛ لقد خبرها في أيام عمره السابقة، وها هي الآن تخنق أعز ما يملك - سكينة - بأحلامها وورود آمالها بجمالها البريء... تنهشه مخالب وحوش البشر وهم يمتصون دماء حياتها بعد أن جرحوها.

أمضى ليلته محملقاً في شاشة التلفاز الصماء ... تنثال عليه مآسيه في لحظة واحدة تختزنها سكينة وهي ترقد معصوبة العينين، مكتوفة اليدين على أرضية السيارة ... تمنى لو يصبح طيراً من طيور الأبابيل ليخلصها من عذابها.

يتقلب على جمر فراشه البارد - يضع يده تحت رأسه والقلق يشويه، وقلة حيلته تدمي ما تبقى له من قلب خفيق ... تأخذه سِنَة من النوم يحلم خلالها بسُكينة تهديه بندقية. يفتح عينيه ويقرر أن يستقيل من عمله ليكون قرب أسرته في هذه الظروف الصعبة. انتظر أول خيوط الفجر ... انتزع نفسه من مرقده؛ صلى ثم استعد للذهاب إلى مقر الشركة ليقابل رئيسها. يقف رشيد أمام مكتب الشركة ... الشارع خالٍ، والوقت مبكر، وعقارب الساعة تدور ببطء ... ينظر إليها من حين لآخر يستعجلها - تلوذ بالصمت ... يخلعها من يده ويضعها في جيبه - يمر الوقت، وتبدأ الحياة تدب في الشارع وسط المدينة الكبيرة... يأتي مدير الشركة، وبعد أن يجلس

إلى مكتبه يتقدم منه ويخبره بمصيبته. يتفهم المدير موقفه، ويطلب من معقب الشركة أن يقوم بعمل الإجراءات والحجز له.

في اليوم التالي يصل رشيد إلى منزله البسيط بعد ساعات سفر مضنية ... يقابله الحزن في كل مكان من البيت وعلى وجوه أسرته؛ بدت زوجته أكبر من عمرها... أبناؤه حوله يقبلهم وعينه على مكان سُكينة الذي اعتادت أن تجلس فيه... يمنع دمعة حاولت التعبير عن ألمه وحزنه... لم يتحمل جو البيت الكئيب وسراجه غائب عنه .. يخرج منه وسط دهشة أسرته - يغذُّ الخُطا... يلتفت حوله ليتأكد من أن أحداً لا يتابعه، يصل منزل صديقه جابر - يطرق الباب بحذر ... لحظات تمر ويفتح الباب... يدلف إلى المنزل بسرعة ويغلق جابر الباب، ثم يرحب برشيد ويواسيه لما حدث لسُكينة... يجلس رشيد لاحقاً ويسأل جابر عن «الجماعة» وعملياتهم ... يهمس في أذنه ... تتسع عيناه ... يومئ برأسه عدة مرات... يذهب بعدها دون أن يتناول فنجان قهوته الذي أحضرته ابنة جابر الصغيرة.

تمضي بضعة أيام ... يأتي أحدهم إلى منزل رشيد مع بداية الليل، ويذهب معه بعد أن مسحت عيناه أهل بيته. يتقدم الليل وتبدو النجوم خلف ستار الظلام ... السكون يلف المكان قرب بناية كبيرة - يقترب رشيد من سورها وأنفاسه تتلاحق بصمت ويطمئن أن الحزام حول وسطه - ينظر حوله بترقب وحذر ... يتسلق السور بعد أن تأكد أن حراس البناية غير موجودين؛ لكنه يسمع أصواتهم من بعيد وهم يترنمون بأغنياتهم وكأنهم يدرؤون الخوف عنهم ... ينسحب قرب الجدار وعند ركن البناية يتوقف ويسترق النظر - يكتشف أن الجنود يدخنون ويتسامرون بعيداً عن مدخل المبنى الكبير ... ينبطح، ويبدأ زحفه قرب المدخل ويده على الصاعق... يدلف إلى الداخل وينزعه - ينفجر الحزام... تتوزع أشلاء رشيد تزين المكان ودوي انفجارات متتابعة تتوالى داخل البناية التي تحولت إلى ركام ... أصوات استغاثة وأنين تختلط بأصوات سيارات الإطفاء والإسعاف التي هرعت إلى المكان ... راديو العدو يبث بياناته .. يعدد قتلاه وإصاباته ... ويعلن أن البحث جار لمعرفة حقيقة ما جرى... في هذه الأثناء فتحت زوجة رشيد نافذتها وهي تحوقل وتستعيذ بالله ... هواء الليل يحمل إليها رائحة البارود وغبار الموت أطلت من النافذة، لم تر شيئاً.. لكنها بقيت واقفة تنتظر عودة رشيد.



أنا الفقير

عبدالله بن عطية بن عبدالله الزهراني

أتيتُ أحـمـلُ في الأعـــمــاقِ أحـــزاني ... أشـكـو إلى الـرَّبْـعِ أم أشـكو لخِـــــلاَّنـي

كمْ كُـربـةٍ قَـدْ أصـابـتْـني فَـفَـرَّجـهـا ... مُــفَـــرِّجُ الـكرْبِ فـي سِــرٍّ وإعــــلانِ

لجـأتُ لله فـانْجَـابـتْ غـيـاهِـبُـهَـا ... فـــاللهُ عن خَـلْقِــهِ بـالجــودِ أغنَـاني

آمـنـتُ بـالـلـه ربـي لا شــــريـك لـه ... لهُ خُـضُــوعي، ومــا الكـفـرانُ مِنْ شـاني

رَفَــعْـتُ كَــفَّيَ أبْـغي مـنـه مكرُمــةً ... فــأجـزل الـفـضلَ سَـحّـاً دونَ نقـصـانِ

حَـصَّنْتُ نَفْـسيَ بـالأذكـارِ أقْـذِفُـهَـا ... في وجــه باغٍ وَمَــأفُــونٍ وشــيـطانِ

في سـورة (الناس) في (الإخلاص) نبصرها ... مَـشَــاعلَ النورِ تهـدي كلَّ حـيـرانِ

في سـيــرةِ المصطفى حَـقَّـقْتُ أمْنـيـتي ... وفي رحــابِ كــتــابِ اللهِ عنواني

وقِـبْلتي نحــو بيتِ اللهِ وجَّـهْـتُـهَـا ... لِنُصْــرَةِ الـدِّينِ قــد سَطَّرْتُ ديواني

أنـا الفـــقـــيـــرُ إلـى ربي أُردِّدُهـا ... لأنَّهُ مِـنْ همـــومِ الـعــيشِ نجَّــاني

أنا الـفـقـيـرُ إلـى مـولاي أُعْلِنُهَـا ... مـا لي سـوى اللـهِ من واقٍ ومِـعْــوانِ

يـا ربِّ بـيـن ضُلُـوعي خـــافِقٌ أسِـفٌ ... قـد سَـاءَهُ حَـالُ إخـوانٍ وجـيـرانِ

جـرحـانِ في الصَّدرِ: جرحٌ غـارَ في قِـدَمٍ، ... وجـرحي الـيـوم في الـشـيـشـانِ أبكاني

العـيـدُ مـا عـادَ يـشْـفـينا بطَلْعَـتِـهِ ... والأنسُ قـــد غــابَ عنَّا منذُ أزمـانِ

يا عــيـدُ عــذراً فــهـذا حـالُ أمـتـنـا ... يـعـــثـــو بهـا الـذُّلُّ من آنٍ إلى آنِ

الملحـــدون على إخـــواننا اتَّحـدوا ... ونـحـنُ نـشـكـو لخنـزيـرٍ ونـصـــراني

يا ويـحنا قــد أُصِـبْنَـا في بصـائرنا ... فَلَمْ نَعُـدْ نَـنْصُـرُ الـقـاصي ولا الـداني

في كُلِّ عــامٍ قـضـايـانـا لهـا مَـدَدٌ ... نُبْـلى بظلْمٍ كـمـا نُبْلى بعـدوانِ

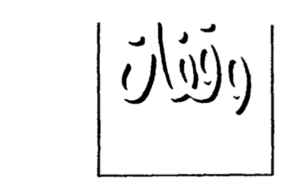
يا ربِّ قـيِّضْ لـنا نَـصْـراً تُشَـيِّـدُهُ ... ســواعــدُ الـقـومِ في عــزٍّ وسلطانِ



أثير الأرائك

عبدالله بن شبيب الدوسري

نعيم المعالي في جحيم المعارك ... وذل المخازي في أثير الأرائكِ
وعمر الفتى لا زائدٌ فيه رعبه ... ولا ناقصٌ منه اقتحام المهالكِ
فما فاز إلا عالمٌ أو مجاهدٌ ... جَسورٌ وإلا كل داعٍ وناسكِ
وكل سراةٍ لا تبوَّئ أمتي ... ذرى المجد إخلاد لعطن المباركِ
فدىً للأسود الصامدين الألى انتهت ... إليهم زعامات الجهاد المباركِ
رجال على الشيشان غاية همِّهم ... شراء الجنانِ بالدماء السوافكِ
فلم تلههم عنها من العيش زهرة ... ولم يلههم عنها بريق السبائكِ
ثلاثة آلاف يذلّون دولةً ... تُعِزُّ مراميها الصعابُ المداركِ
وقالوا لها: يا جارة السوء أقصري، ... وأوما أقصاهم لها: أنْ مكانكِ
يسمونها العظمى، أجلْ بات عظمها ... كسيراً فما يرجى لها من تداركِ
وباءت بخذلانٍ وهونٍ تخبطت ... قيادتها في مظلمات الحوالكِ
وباءت جموع المسلمين رصينةً ... كبنيان صدقٍ ثابت متماسكِ
أشاحوا بوجه الفخر عنها استهانةً ... فيا خيبة الأعداء هذا أوانكِ
فليسوا على الأعقاب تدمى كلومهم ... ولكن على البيض الحداد الفواتكِ
تضيق على أعدائهم كل رحبةٍ ... وتحنو عليهم ضيقات المسالكِ



بداية النهاية

أحمد بن عبد الرحمن الصويان

الإحباط داء من الأدواء المهلكة التي قد تعرض لبعض السالكين في طريقهم؛ فهو يرى انتفاش الباطل، وعلوَّ سلطانه، وامتداد تأثيره. يلتفت يمنة ويسرة فيجد أعداء الله ـ تعالى ـ يمكرون الليل والنهار بإمكانات مادية وتقنية بشرية هائلة، ثم يشعر جازماً بأنَّ الأحداث والوقائع إنما تجري بتخطيط محكم، ودراسة متقنة، وأنَّ الناس ما هم إلا دمى يعبث بها صنَّاع القرار من أهل الباطل، أو مجرد أحجار على رقعة الشطرنج يتداول تحريكها وإسقاطها المتنافسون على القصعة المستضعفة المهينة..!!

يرى ذلك كله، ثم يرى في الجهة الأخرى أنَّ الحق مهيض الجناح، ضعيف السلطان، لا شوكة له ولا ظهور، كما يرى أن السنوات الطويلة التي قضاها في الدعوة أو التعليم أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو الجهاد في سبيل الله لم تُؤتِ ثمارها كما يجب، بل قد تتوالى عليه الفتن، وتضيق عليه الدائرة، وربما رأى من أمراض الصحوة الإسلامية ما يزيد من الفتِّ في عضده، والتقليل من همته وعزيمته..!

والنتيجة الحتمية لهذه الحالة المتقدمة من الإحباط هي اليأس والاستسلام، ثم القعود والركون إلى الدنيا، أو ـ في أحسن الأحوال ـ الانكفاء على الذات والاعتزال.

والإحباط هو بداية السقوط والنهاية، وهو آية من آيات ضعف الإيمان، وضعف الثقة بالله ـ تعالى ـ والاعتماد عليه. وأمَّا أهل الإيمان الراسخ فإن ثقتهم بالله ـ تعالى ـ عظيمة، وتوكلهم عليه كبير، لا يزالون معتصمين بحبل الله المتين، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله.

إنَّ الإيمان بمعية الله ـ تعالى ـ للمؤمنين من أعظم عناصر القوة، والمؤمن الحق لا يعرف اليأس، ولا يستسلم لأحابيل الشيطان وتخذيله. وقوة الباطل وانتفاشه قوة دافعة لأهل الإيمان تدفعهم لمواجهته، والصبر في مدافعته. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. وقال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

وانظر إلى سِيَر الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ تراهم أعظم الناس ثقة بالله ـ تعالى ـ على الرغم من

الإعراض الذي يواجَهون به، بل والأذى والاستهزاء والحرب؛ فها هو ذا نوح - عليه الصلاة والسلام - يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين بكل ثبات وصبر، ولم يفتَّ في عضده أنَّ من آمن به قلة قليلة جداً من الناس، ولم يحبطه أن يكون أعز الناس إليه ممَّن كفروا بالله تعالى. قال الله - تعالى -: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ٥ - ١٠].

ومن عجائب الثقة بالله - تعالى - ما نراه في سيرة خاتم الأنبياء ﷺ؛ ففي المدينة لـمَّا تألب عليه الأحزاب في غزوة الخندق، ورمته العرب عن قوس واحدة، وأصاب الناس بأس وشدة، وزلزلوا زلزالاً شديداً كان النبي ﷺ يربي أصحابه على الثقة بالله، والاطمئنان بالنصر العاجل والآجل، والتصديق بموعود الله الذي وعدهم؛ فعندما عرضت صخرة للصحابة وهم يحفرون الخندق أخذ رسول الله ﷺ المعول وقال: «باسم الله»، فضرب ضربة فكسر ثلث الحجر، وقال: «الله أكبر، أُعطيتُ مفاتيح الشام، والله إني لأُبصر قصورها الحمر من مكاني هذا». ثم قال: «باسم الله»، وضرب أخرى، فكسر ثلث الحجر، فقال: «الله أكبر، أُعطيتُ مفاتيح فارس، والله إني لأُبصر المدائن، وأُبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا». ثم قال: «باسم الله»، وضرب ضربة أخرى، فقلع بقية الحجر، فقال: «الله أكبر، أُعطيتُ مفاتيح اليمن، والله إني لأُبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا»(١).

والعجيب أنَّ الناس انقسموا إزاء هذا الوعد فريقين: فقد حكى الله عن المنافقين قولهم: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢]. وأما المؤمنون فقد جاء وصف حالهم بقوله - تعالى -: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]. موقفان متقابلان: موقف المريض الهزيل، وموقف المطمئن الراسخ في تصديقه، الثابت على دينه، الذي لا تهزُّه الأعاصير، ولا تضعفه المحن.. وشتان ما بين الموقفين.

نعم.. تربى الصحابة - رضي الله عنهم - على الشموخ والأنفة! ففي غزوة أُحُد لـمَّا انكسر المسلمون، وقُتِلَ من أَجِلَّة الصحابة من قُتل تنزَّل القرآن الكريم ليؤكد حقيقة في غاية الأهمية وهي أن الإنسان المؤمن يشعر بالعزة والرفعة والعلو دائماً، ولا يتطرق الوهن أو اليأس إلى قلبه، حتى في حال الانكسار. قال الله - تعالى -: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

إنَّ الإحباط لا يعرف طريقه إلى القلوب المطمئنة بذكر الله - تعالى - بل هي شامخة بإيمانها، معتزة بدينها، قادرة على مواجهة الأمم كلها مهما بلغ سلطانها وبلغت قوتها. أمَّا أصحاب النفوس الضعيفة التي عبث بها اليأس، وعمرها القنوط فإنها تخاف من ظلها، ويحوطها الفشل والإحباط من كل جانب.. نسأل الله السلامة.

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٠/٦٢٦) رقم (١٨٦٩٤)، وضعف إسناده المحقق، ولكن حسنه ابن حجر في الفتح (٧/٣٩٧).



في ظل تجفيف المنابع

جامعة الزيتونة تستغيث؛ فهل من مغيث؟

محمود خليل

جامع الزيتونة الذي لعب الدور الأكبر في حفظ الإسلام واللغة العربية في المغرب العربي، وهو إحدى أقدم الجامعات الإسلامية الثلاث في العالم. بناه الوالي الأموي «عبد الله بن الحجاب» بتونس سنة (١١٤ هـ = ٧٣٢م) ثم أعيد بناؤه في عهد محمد بن الأغلب؛ حيث اهتم الأغالبة بتعميره وتجديده وجعله دارة للعلم ومنارة للإسلام، ليس في تونس وحدها، بل في الشمال الإفريقي والمغرب العربي باسره.

وهذا الجامع الجامعة الذي حفظ الله به تراث الإسلام وحضارته في هذه البقاع يمر الآن بأزمة خطيرة أقرب إلى لحظات الاحتضار؛ ذلك لأن موجة الحنث العظيم التي تجتاح المنطقة فيما يسمى بـ «تجفيف المنابع» قد ضربت هذا الصرح العظيم بالسهام المسمومة.

جامع الزيتونة الذي خرجت منه الحركات الجهادية ابتداءاً من التي قامت بها البلاد الإفريقية على حكم «العبيديين» في أيام المعز بن باديس الصنهاجي، والمستنصر الفاطمي في القرن الخامس الهجري، وانتهاءاً بالثورات المتعاقبة على الاحتلال الفرنسي الأثيم.

هذا الجامع العتيد الذي كان قبلة الدارسين بالشمال الإفريقي لأكثر من ألف وثلاثمائة عام، وتخرج فيه أكابر العلماء وأئمة المجاهدين، صدر مرسوم عام ١٩٣٣م اعتُبِر فيه جامع الزيتونة جامعة، وسمي شيخه «مديراً» وأصبحت الدراسة فيه على ثلاث مراحل:

١ - الإعدادية: وتنتهي بشهادة «الأهلية».

٢ - المتوسطة: وتنتهي بشهادة «التأهيل».

٣ - العالية: وتنتهي بشهادة «العالمية» مع التخصص في القراءات وعلوم الشريعة والآداب، ... وبعد استقلال تونس ألحق

بالتعليم الثانوي وأضيف إلى مناهجه اللغات الأجنبية وبعض المواد العلمية العصرية.

وأخيراً.. صدر قرار وزير التعليم العالي المؤرخ في ٣٠ /١٢/١٩٩٥م والمتعلق بضبط برامج «الأستاذية» في العلوم الشرعية والتفكير الإسلامي، وذلك بتنظيم الدراسة وبرامج التعليم بجامعة الزيتونة لتصبح على النحو الآتي:

١ - المعهد الأعلى للشريعة، وقد خرج من جامعة الزيتونة تماماً وألحق بالشؤون الدينية بداية من ١٩٩٧م.

٢ - المعهد الأعلى للحضارة: وقد خصص للأجانب (من مسلمي إفريقيا وشرق آسيا).

٣ - المعهد الأعلى لأصول الدين: للتونسيين وتوجه له وزارة التعليم العالي في بداية كل سنة ٥٠ طالباً وطالبة فقط، جلهم من الأناث اللواتي تقارب نسبتهن ٨٥٪.

وليست هذه هي قضيتنا إنما القضية أن «الزيتونة» قد أطبق عليها الخناق العلماني مما جعل زيتها يكاد لا يضيء، وهذه بعض فصول المؤامرة:

تهميش السُنّة:

من النظرة الأولى لمناهج الدراسة في المرحلة الأولى «السنة الأولى - السنة الثانية» نجد أن مجموع ساعات الدراسة بهما (١٠٧٩) ساعة منها (٥٢٠) للسنة الأولى، (٥٥٩) للسنة الثانية، ونصيب السُنَّة النبوية منها (٣٩ ساعة) أي بنسبة ٢,٦١٪ من ساعات الدراسة.

أما البرنامج الدراسي للسُنَّة فهو: «إشكالية التدوين والتشريع» فهل ضاقت رحاب السنة في وجه علمانيِّي الزيتونة فلم يجدوا من السُنَّة إلا إشكالية التدوين؟ وهل لديهم شك في أن السنة هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي؟ وهل لديهم شبهة في حجية السنة؟ وهل يجوز أصلاً - علمياً - حصر السنة في هذه الإشكالية؟!

وهل هذا هو نصيب السنة في أصول الدين؟

عدوان على الرسول ﷺ والسيرة:

أما نصيب السيرة من ساعات الدراسة فهو (٣٩ ساعة) أي بنسبة (٢,٦١٪) والبرنامج هو: «كتابة السيرة النبوية» والهدف منها كما وضحه التخطيط الدراسي للمعهد الأعلى لأصول الدين هو الوقوف على:

أ - التاريخي والأسطوري في رواية السيرة.

ب - الأغراض التمجيدية والتعبدية فيها.

ج - تصور الرُّواة لشخصية الرسول ﷺ.

فهل يجوز أن يقال عن السيرة أسطورة؟ وأن لها أغراضاً تمجيدية؟ وأنها مجرد تصورات وتخيلات من الرواة لشخصية الرسول ﷺ؟

ولكن يبدو أن هذه البرامج لم توضع لتجلية حقائق الإسلام وإنما لنشر الشُّبه حول السيرة، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وهناك ملحوظة جديرة بالإشارة إليها هي أن نسبة ساعات تدريس اللغات (٢٤,٩٦٪). ومن الجميل أن يجيد طالب العلوم الشرعية لغة

> أصبح تدريس السيرة والسنة لإثارة الشبه وادعاء أنها أساطير ولأغراض تمجيدية!!

أجنبية وأن يصبح داعية للإسلام بها في أرض الله الواسعة!! ولكن ما فائدة هذه اللغة له وهو يجهل القرآن والسنة والعلوم الشرعية عامة؛ إذ يدرس منها ما يشككه فيها ويزعزع عقيدته من أساسها؟

علوم الإسلام .. تشكيك في تشكيك:

وجاء في بيان الهدف من دراسة المدخل إلى تاريخ الأديان الكتابية عبارة: «يُهتم ببيان عقائد اليهودية والمسيحية .. مع التعبير عن احترام مقولات أصحابها».

والسؤال هنا: ما العمل في ما هو باطل من هذه الاعتقادات؟ وما هو مكذوب ومختلق وغير أخلاقي مما أنكره القرآن عليهم وخطَّأهم فيه؟ وهل الاحترام لهذه الملل والنحل فقط، والعدوان والتشكيك في الإسلام وحده؟

ثم جاء في الهدف من تدريس اتجاهات التفسير في العصر الحديث: «يرمي الدرس إلى تعليل انشغال علماء المسلمين على الوجه الذي تأولوا به نص القرآن».

والسؤال هو: هل هذا التفسير هو تطويع النصوص لاهتمامات العلماء ورغباتهم وحاجات المجتمع، أم أن التفسير والتأويل له قواعده وضوابطه التي يحتكم إليها حتى لا يكون التأويل غرضاً للذين امتلأت قلوبهم بالزيغ ابتغاء الفتنة، والاعتساف المرذول؟!

ثم أبان «المجففون» الأهداف من دراسة «نشأة علم أصول الفقه» بقولهم: «يُعنى بأصول الفقه من حيث هو علم منظم للعلاقة بين العقيدة وسيرة المجتمع» فما معنى هذا الكلام؟!

نحن نعلم أن علم أصول الفقه «هو العلم الذي يُتَعَرَّف منه استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها الإجمالية» فما صلة هذا بتنظيمه للعلاقة بين العقيدة وسيرة المجتمع؟ اللهم إلا إذا أريد بهذا «الخطل» تنزيل الأحكام الشرعية على واقع الناس وليس مجال هذه الدراسة «أصول الفقه» إنما مجالها دراسة الشريعة الإسلامية!

وهل أُغلق باب الاجتهاد؟

ثم جاء في بيان أهداف تدريس وحدة «تاريخ الإسلام»: «يهتم بدراسة مشاغل مفكري الإسلام في أربع فترات هي كذا وكذا... فترة نهاية الاجتهاد»!

والمعلوم أن جمهور علماء الأمة يذهبون إلى أن باب الاجتهاد لم يغلق، ولا يجوز إغلاقه

ولا وضع نهاية له؛ لِمَا يَجِدُّ للناس من أقضية وأحداث تستوجب أن يكون باب الاجتهاد مفتوحاً أمامها - لكن بشروطه - فلماذا نفرض على الأمة شيئاً لم يقل به علماؤها؟

والأنكى من ذلك أن منهج علم «الاجتماع الديني» قد جاء في بيان أهدافه: «يهتم بتجديد علماء الاجتماع للظاهرة الدينية! وتأثر المقالات الدينية في الألوهية والنبوة والوحي والمعاد وكمال الخلق بشؤون المجتمع ومقتضيات الاجتماع».

وهل الدين الإسلامي هو نتاج بشري ناشئ عن حاجات المجتمع، أم هو: «وحي يوحى» من عند الله تعالى؟

وهل تتأثر الألوهية والنبوة والوحي في ديننا بشؤون المجتمع ومقتضيات الاجتماع، أم أن المجتمع والاجتماع هو الذي يتأثر بهما؟

والواضح جداً من هذا البرنامج أن واضعيه قد اتخذوا من كل عدو للإسلام ومشكك فيه إماماً لهم، ليضلوهم بغير علم، وقد اتخذوا - على سبيل المثال - من «دوركايم» اليهودي الذي جمع بين حيوانية الإنسان وماديته بنظرية «العقل الجمعي» المصدر الوحيد لدراسة وحدة علم الاجتماع الديني!

من دوركايم إلى علي عبد الرازق:

أما منهج «المؤسسات ونظم الحكم في الفكر الإسلامي» فلم يجد هؤلاء العلمانيون أمامهم لتدريس هذا المنهج سوى كتاب «الإسلام وأصول الحكم» لعلي عبد الرازق، رغم أنه كتاب غير علمي بالمرة وأنه مليء بالمغالطات، وهناك شك كبير في أن مؤلفه هو الشيخ علي عبد الرازق[1]؛ فطه حسين شريك في تأليف هذا الكتاب «بالوثائق»! كما أن صاحبه قد تنصل منه في مقال كتبه بخط يده ونشرته مجلة «رسالة الإسلام» الصادرة بالقاهرة في مايو سنة ١٩٥١م قال فيه بالحرف الواحد: «إن فكرة روحانية الإسلام لم تكن رأياً لي يوم نشرت البحث المشار إليه [كتاب الإسلام وأصول الحكم] ولقد رفضت يومئذ رفضاً باتاً أن يكون ذلك رأيي. إنني لم أقل ذلك مطلقاً لا في هذا الكتاب، ولا في غيره، ولا قلت شيئاً يشبه ذلك الرأي أو يدانيه».

ثم قال عن كلمة «روحانية الإسلام»: «لعله الشيطان ألقى في حديثي تلك الكلمة، وللشيطان أحياناً كلمات يلقيها على ألسنة بعض الناس» ثم اعترف للعالم الأزهري الشيخ أحمد حسن مسلم واعظ الأزهر حينئذ بصعيد مصر فقال: «وهل أنا الذي ألفت هذا الكتاب؟! إنما ألفه طه حسين»[2].

---

(١) انظر الإسلام بين التنوير والتزوير للدكتور محمد عمارة، ص ٢٨ - ٩٦.

(٢) انظر جريدة الجمهورية القاهرية، عدد ٢٨/٥/١٩٩٣م.

«الإسلام وأصول الحكم» الذي ينظر لعلمنة الإسلام أصبح مقرراً ومنهجاً في الزيتونة يسمم أفكار طلابها وطالباتها

وقال طه حسين بالحرف الواحد: «على أني قرأت أصول كتاب الشيخ علي «الإسلام وأصول الحكم» - قبل طبعه - ثلاث مرات، وعدّلت فيه كثيراً».

فإذا كان هؤلاء يريدون تكريس فكرة علمانية الدولة لدى طلاب أصول الدين بحيث يصبح الإسلام ديناً لا دولة، ودولة لا دين لها فقد خانهم التوفيق في منهج علمي مكذوب ومزيف، ويحمل في طياته كل شُبَهِ التاريخ المعاصر في خيانة هذه الأمة دينياً وحضارياً وثقافياً!

وختامها.. رجس!!

أما الأساتذة - في ظل هذا المشروع العلماني - فإن معظمهم لا صلة لهم بالاختصاصات الشرعية، بل إنهم يُختارون ممن يجهلون الإسلام، وكثير منهم معبأ بالشُّبه والانحرافات الفكرية حتى إن إحدى الأستاذات التي انتدبت لتدريس القرآن أعلنت بكل وقاحة لطلابها قائلة: «إن القرآن نزل مقدساً وكتب مدنساً»!

أما النشاطات الثقافية فتتمثل في النوادي الموسيقية والغنائية، والحفلات الماجنة، كما أن بالمعهد إذاعة داخلية تذيع الغناء في رحابه، إضافة إلى أن النوادي الرياضية تشتمل على السباحة «للفتيات» إلى جانب ألعاب الشطرنج والدامة والموسيقى، ومسابقات العَدْوِ «للبنات» أمام الذكور!! بل واستضافة المطربين والمطربات لإحياء الحفلات الغنائية حتى في شهر رمضان المبارك، وتتم الدعوة لهذه الحفلات من مدير المعهد شخصياً.

والعطلة الأحد:

وهل يتصور أحد أن تنتقل العطلة الأسبوعية «للزيتونة» من يوم «الجمعة» إلى يوم «الأحد»، ويصبح يوم الجمعة يوم عمل وتدريس؟!

وهل يتصور أحد أن «الزيتونة» كان لها مسجد تم إغلاقه بأمر الرجل الأول في التعليم العالي لتجفيف المنابع؟!

وهل يتصور أحد أن الرجل الأول في التعليم العالي - الوزير - هو كاتب شيوعي سجنه «بورقيبة» لمجاهرته بالإلحاد؟ وهو يرى أن قوله - تعالى -: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] يراها آية تعلّم التطرف والإرهاب والغلو؟!

حوار مبتور مع المدير المذعور:

ذكّرني هذا الإرهاب العلماني الأخرق بأغرب حوار صحفي أجريته في حياتي عام ١٩٩٢م مع الأستاذ «حمودة السحطي» مدير المعهد الأعلى للشريعة بجامعة الزيتونة، وكان ذلك بمدينة الزقازيق بمصر أثناء انعقاد مؤتمر «الإسلام وتحديات الحاضر والمستقبل» الذي أقامته رابطة الجامعات الإسلامية، وأصر الرجل على أن تكون الأسئلة مكتوبة والإجابة يكتبها هو بخط يده - ولا زالت عندي - وكانت على هذا النحو:

س: ما رأيكم بالواجهة العلمانية التي تبدو على تونس الشقيق في الآونة الأخيرة؟

ج: الحزب الحاكم وريث حركة إصلاحية لجمع كافة القيم الروحية والوطنية.

س: أين يقع العمل الإسلامي على الخارطة الديمقراطية التونسية؟

ج: كل عمل فيه إصلاح هو عمل إسلامي.

س: نريد أن نتعرف على مدى مساهمة المرأة التونسية في العمل الإسلامي المعاصر؟

ج: فيما يتمثل في العمل الإسلامي المعاصر هي تساهم في عملية التنمية.

س: ما هي روافد التعاون الإسلامي «بالاتحاد المغربي» - وكان قائماً حينئذ - وما هي الثمار الإسلامية التي تحققت من هذا الاتحاد؟

ج: التحابب والتعاون.

س: جامعة الزيتونة ما أحدث أخبارها، وما مدى صحة ما نسمعه من «علمنة المناهج الدراسية بها تماماً»؟

ج: لا إجابة.

س: ما رأيكم في الإعلام التونسي والدور الذي يلعبه في «تمييع» قضية الإسلام؟ واستهلاك وتفريغ طاقات المجتمع التونسي المسلم؟

ج: أحكام مسبقة.

س: كيف يؤدي المسجد التونسي دوره الآن؟

ج: هو يتبع قيم الإسلام السمحة والقيم الحضارية. (انتهى الحوار).

ومن كان يصدق أن «الزيتونة» التي كان عدد طلابها في عهد الاحتلال الفرنسي أكثر من ثلاثين ألفاً يصبح الآن نحو ستمائة وخمسين، منهم ٨٥٪ من الإناث اللائي يُفرض عليهن السفور والنزول إلى حمامات السباحة «بالمايوه» داخل جامعة الزيتونة؟!

وأخيراً:

الزيتونة «الجامعة الإسلامية العريقة» قلعة العلماء والمجاهدين .. تستغيث؛ فهل من منقذ أيها المسلمون؟!



سورية بين الحقيقة والخيال

عماد حيدر الصالحي

من المؤشرات المريبة اليوم على الساحة العربية بل العالمية ما جرى في سورية بعد انتقال الرئيس حافظ الأسد من الفانية إلى الباقية؛ فقد أفاق العالم شرقاً وغرباً على ولادة أول جمهورية وراثية على وجه الأرض بعد توريث كيم إيل سونغ الحكم لابنه في كوريا الشمالية.

إلا أنه لا بد لنا أن ننوه بماهية التركيبة الطائفية لحكم كل ما فيه ينطق بالطائفية المذهبية؛ فطبيعة الحكم في سورية وعلى مدى نيِّف وثلاثين عاماً كان حكماً طائفياً صرفاً على الرغم من تقمُّص شعارات حزب البعث وتنظيماته واتخاذها ستاراً يتوارى خلفها.

وقد راق للمعلق السوري الدكتور عماد فوزي شعيبي أن يدفع عن الحكم الأسدي صفة الطائفية فكتب في صحيفة الحياة يوم ٢٤/٦/٢٠٠٠م مقالاً لا نقول إنه يحاول به رفع تهمة بل يريد به طمس حقيقة ماثلة للعيان لا تحتمل الخوض فيها ولا ينتطح فيها عنزان؛ إلا أن الدكتور الشعيبي نفسه يعلم بطلان دعواه؛ فإن كان علوياً نصيرياً فإني أقسم أنه يعلم أن الحكم نصيري طائفي، وإن كان مسلماً سنياً فإني أقسم أيضاً أنه يذوق طعم الطائفية يومياً، وإن كان نصرانياً فليس في نصارى سوريا على مختلف طوائفهم وكنائسهم من يجهل حقيقة الحكم السوري. وحتى العرب خارج سورية يعلمون ذلك ولا يجهلونه، والمسلمون في شتى أقطار الأرض قد عرفوا النصيرية ولم تعد مجهولة حتى عند عامتهم، والعالم الغربي من خلال دوائره المعنية أكثر معرفة بدقائق ذلك الحكم الطائفي وتفصيلاته.

لقد أراد (الشعيبي) أن يقدم أمثلة تخيَّلها مما يساعد على إهدار الحقيقة، فقاس قياساً فاسداً حين نفى طائفية الحاكم للخلاف الذي حصل بينه وبين كل من اللواء محمد عمران، واللواء صلاح جديد وكلاهما نصيري. أما محمد عمران فقد تم تصفيته جسدياً في مزرعته الخاصة قرب طرابلس اللبنانية، وأما صلاح جديد فلم يرَ النور بعد دخوله السجن الذي قضى فيه نحبه عليلاً مريضاً. والقاصي والداني يعرف أن فعلة الحاكم هذه بفرد أو أفراد من بني ملته لا تعني أنه غير طائفي، كما أن الخلاف بين باراك ونتنياهو لا تجعل الآخر منهما نصرانياً أو مسلماً؛ كما أن قتل رابين لم يجعله يهودياً ولا جعل قاتله غير يهودي؛ وحتى القتال بين المسلمين لا يُخْرِج طائفةً من المقتتلتين من الإسلام؛

فكل منهما مسلمة ولو انتصبت لأختها بالسيف، ولولا ذلك مـا دعـا الله المؤمنين لرأب الصـدع بين إخـوانهم بقـوله - تعـالى - : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩].

لقد كان الخلاف الدائر بين رؤوس النصيرية في الجيش السوري ينطلق من أن بعضـهم يعتقد أنه أقدر على تحـقيق أحلام الطائفـة في إعـادة بناء الدولة النصيـرية التي أقـامتـهـا لهم فـرنسـا في محـافظة اللاذقية وأعطتهم مسمى (العلويين) بدلاً من (النصـيـرين) وهو الاسم الذي يحـرص النصيريون على التخلص منه لما يحمله من معـاني يعرفـونها منذ قـام النصيـريون أيام صـلاح الدين الأيوبي - رحـمـه الله - باغـتـيـال عـدد من علمـاء المسلمين؛ حتى إن صـلاح الدين نفسه لم يسلم من محـاولات عديدة للاغـتـيـال على أيديهم، ولكن الله سلمه منهم فكان شوكة في حلوقهم وسيفاً بتاراً لمن خلفهم من الصليبيين.

إن الصورة التي أعقبت موت الأسد أكثر تجلية للأهداف التي حـملهـا طيلة ثلث قرن؛ فكل حـركـة ونأمـة وإجراء تشرح بما لا يقبل شكاً أو جدلاً أنه كان طائفياً حتى نخاعه، ولم يكن إعلانه في خطاب عامٍ أمام التلفزيون في أعقـاب الإضراب العام في سورية أوائل عام ١٩٨٠م أنه يصلي منذ ثلاثين عاماً إلاّ زيادة في النكاية وضرباً من التقية والخداع.

وما دام الأسد الأكبر قد هلك، وأفضى إلى ما قدم من عمل فـإن ظُلامات كـالجبـال مـا تزال مـاثلة فوق كل حـبـة من تراب سـورية، ولن تتـاح للرجل إعادة هذه الظلامات إلى أهلها؛ فـهو رهين مـا قدم ولن تنفعه هتافات الهاتفين ولا الإسراف في الألقاب ولا الغـوص في بحـار المديح التي تكال له كـيـلاً وتُغرف غرفاً مما زعموا له من صفـات ونعوت كان بعيداً منها وكانت بريئة منه؛ فقد قيل إنه صاحب القلب الكبيـر وقـد ضـاق عطنه عن سـمـاع همس الهـامسين، ولقـد سمَّاه الغـوغـاء الأبَ القـائدَ في الوقت الذي حرمَ فيه عشرات الآلاف من الأطفال من آبائهم الذين قـتل منهم من قـتل، وسـجن منهم من سجن، وشرد الآلاف منهم حتى لم تعد منطقة في الأرض تخلو من سـوريين يقرأ العـالم في عيـونهم مـرارة التـشـريد على حين تُفـتَح سـورية على مصراعيها لليهود العائدين إلى دمشق للمساهمة في بناء سورية الأسد! ولم يكن لهؤلاء المواطنين من ذنب سوى أنهم لا يؤيدون طغيانه وجبروته، وما زال حتى الآن الآلاف من أهل السنة قـيـد سـجـونه، ولا يُدرى عن كـثـيـر منهم أأحـيـاء هم أم أمـوات؟ وجل السـجناء الذين ادعى أنهم من (الإخـوان المسلمين) هم ممن لم يحـمل سـلاحـاً ولم يهتف بسقـوط الأسـد بل كان صـابراً صـبـر شـعبه منتظراً فرج الله، ومع ذلك لم يسلم من الظلم لسبب لا يقع تحته عقوبة ولا تأنيب؛ لأن الذين قـاوموا الأسـد بالسـلاح وهم فـئـة قليلة قتل منهم من قتل في الاشتبـاكات التي وقعت بينهم وبين رجـال الأمن، والبـاقـون منهم وهم قلة توجهوا إلى خارج البلاد.

أمـا بطل الصـمـود والتـصـدي في حـرب الأيام الستة حرب حزيران التي جرت بين العرب واليهود يوم ٥/٦/١٩٦٧م فقد كان يومهـا وزيراً للدفاع في الحكومـة السـورية، وكـان هو صـاحـب البـلاغ العسكري بسقـوط القنيطرة في أيدي اليهود ولم تكن قد سقطت حتى ساعة إصدار ذلك البيان المشؤوم أو اقترب منها جندي إسرائيلي واحد، وكيف يتقدم

اليهود منها والجنود السوريون متشبثون بها تشبث الأبطال الميامين المدافعين عن كرامة أمتهم وشعبهم؛ ولكن البلاغ العسكري الذي أصدره حافظ الأسد بوصفه وزيراً للدفاع أصاب الجنود المتقدمين في الجبهة في مقابلة العدو الصهيوني بالذهول؛ فالقنيطرة خلفهم وهذا يعني في العرف العسكري أن اليهود قد قاموا بحركة التفافية عليهم ولم يبق أمامهم إلا الاستسلام للعدو أو الفرار من المعركة غير المتكافئة، وزاد الوضع العسكري للجنود السوريين إرباكاً حين أُتبع بلاغ سقوط القنيطرة بأمر عسكري آخر من حافظ الأسد يقضي بالانسحاب الكيفي للجيش؛ وما أدراك ما الانسحاب الكيفي لأفراد الجيش الذي يزيد النفوس هلعاً ويصبح حال الجميع: نفسي نفسي.. (انجُ سعدُ فقد هلك سعيد).

فما الذي دعاه لإعلان غير صحيح عن سقوط مدينة القنيطرة ومعها الجولان كله؟ وإذا كان حافظ الأسد يومئذ قد وقع ضحية لمعلومة كاذبة أبلغته بسقوط القنيطرة ولم تكن قد سقطت فلِمَ لم يفصح عن ذلك؟ إن إخفاءه للحقيقة التي تقف خلف ذلك البلاغ المشين جعل أبناء الجيل المعاصر لتلك الفعلة الشنعاء يدعونه باسم: (بائع الجولان)!

إن كل السوريين والعرب الذين تبلغ أعمارهم ثلاثاً وثلاثين عاماً لم يشهدوا تلك الواقعة ولم تسمع آذانهم ذلك البلاغ، وكل الذين يبلغون الأربعين لم يعوا تلك الأيام السود، وقد فات الأسدَ شرفُ تسجيل الكتب المدرسية ضياع الجولان على يديه، وإن لن يحظَ أبناؤنا بدراسة ذلك فلا شك في أن أحفادنا سوف يكون لديهم الأدلة المقنعة بأن الخيانة عار لا يغفره التاريخ.

وإذا تركنا ذكر تلك الأيام السوداء من عمر سورية وتوجهنا للتعرف إلى ملامح السلطات الثلاث: التشريعية، والتنفيذية، والقضائية فلسوف نرى العجب العجاب.

أما السلطة التشريعية في عهد الأسد الأول فقد كانت معطلة وإن كان لها مجلس ولوائح وأعضاء يقبضون مرتباتهم الشهرية وعلاوات التصفيق للرفيق القائد؛ فليس على المجلس الموقر إلا صياغة الرغبة الرئاسية التي كانت تضمِّخ كل تشريع أو قرار بعبارة: « بناءاً على كذا.. وبناءاً على كذا.. وبناءاً على توجيهات السيد رئيس الجمهورية الرفيق المناضل نقرر ما يلي..». وليس لتلك البناءات من شأن إلا للبناء الأخير وهو توجيهات الرئيس؛ فأي حاجة لهذا المجلس سوى التصفيق والموافقة؟

واما السلطة التنفيذية فقد كانت طيلة عهد الأسد مطلقة الأيدي والألسن والفروج، لا يردعها رادع، ولا تخضع لقانون أو نظام؛ فالكل (إيدو إلو) ولا يقف في وجهها واقف إلا الحاكم نفسه على الرغم من الفترات المتباعدة التي يعلن فيها عن محاربة الفساد وتطهير الأرض من المفسدين والتي لم تكن في حقيقتها إلا صراعاً بين المفسدين وعملاء النظام على مكامن استثمار الفساد واستنباته، وقد أثبتت الأحداث التي سبقت موت الأسد والتي تلته أن العينات المدروسة المستهدَفة لو طبق عليها الأسلوب العشوائي لما أخطأت من أصابت؛ لأنك أينما ألقيت حصاة وقعت على رأس فاسد أو مرتش أو ظالم؛ فقد زُرِعَت الأرض منهم على مدى ثلث قرن فساداً وإفساداً نَعِم بكافة الشروط التي جعلته يستشري ويستفحل ويصبح له مليارديرات؛ وتتكون له عصابات وعشائر.

وفي مقال لكاتب يساري هو الدكتور (طيب تيزيني) يصور من خلاله بعض ملامح ثلث القرن

الأسدي؛ وذلك على مدى ثلاث حلقات في صحيفة تشرين السورية الناطقة باسم السلطة بعنوان: (ثلاثية الفساد في أسبابه وآلياته ونتائجه) كان ثالثها يوم ٢٤/٥/ ٢٠٠٠م - أي قبل موت الأسد بأيام - تكلم فيه عن «فاسد تحت الطلب» وكان مما قاله في المقالة الثالثة: «في مقالتنا الأولى حاولنا وضع يدنا على واحد من المفاصل الكبرى التي جعلت من تكريس الفساد وتعميمه وتأييده مهمتها الحاسمة وسمينا هذا المفصل باسمه وهو «الدولة الأمنية العربية» بشعارها الاستراتيجي التدميري: يجب أن يُفسَدَ مَنْ لم يُفسَد بعدُ؛ بحيث يصبح الجميع مُداناً تحت الطلب! ».

وهذا أمر يعرفه السوريون جميعاً القائم منهم على حدود الله أو الواقع فيها؛ فللرفاق الحزبيين جميعاً ملفات خاصة؛ فمنها الوثائق المؤرخة، ومنها المقترنة بالشهادة المسبقة من شهود صادقين أو كاذبين، ومنها حقائق يشهد عليها الجمُّ الغفير، ومنها ما هو بالصوت والصورة التي تظل مُسلَّطة عليه تمنعه من مبارحة طريق الفساد، ويظل مهدداً بها كل حين ولا فكاك له منها، ولا سبيل إلى النجاء منها والإفلات من أشراكها إلا بالإمعان في الطاعة والاستمرار في إضافة وثائق جديدة إلى ملفه الأسود، وفي حادثة انتحار رئيس السلطة التنفيذية محمود الزعبي مؤشرات ذات دلالات تعبِّر عن طبيعة النظام الكلية في الفساد والإفساد وتربية ضحاياه وإعدادهم ليوم يغسل بدمائهم ما علق بصورته من معالم الجريمة ولو كانت الضحية ممن عاش ربع قرن خادماً أميناً وطائعاً لا يتسرب إليه الملل في خدمة النظام الذي أباح له كل شيء، ولم يعصمه من أن يصبح في أية لحظة كبشاً يفتدي به نظامه الجبروتي الذي ليس في قاموسه السلوكي معنى للود أو الرحمة أو الحياء؛ فهو في مركب قرصان لا يتورع عن إلقائه في عباب البحر تخففاً من الثقل الذي يهدد مركبه الآثم بالغرق.

وقد يعجب المرء: كيف أتيح لـ «تيزيني» أن يقول هذا؛ والرؤوس من حوله تتطاير؟ فنقول له: إن مقتضيات اللعبة قد تسمح بأكثر من هذا وحتى نفاد البضاعة المعروضة على الجمهور؛ فليتكلم ما شاء مما يشاء النظام السماح به لفترة معقولة جداً تفي بالغرض المقصود وبعدها يا ويل من يتنفس.

وأما السلطة القضائية فقد طُورِدَ فيها القضاة الأكفياء، ومن بقي منهم فلسان حاله يقول: اللهم سلِّم سلِّم، اللّهم اختم أعمالنا بالصالحات. وصال في المحاكم على مختلف درجاتها قضاة أكثرهم لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً .

أما حزب البعث فحسبك معرفة بحقيقته أنه لم يُدْعَ لاجتماع طيلة خمسة عشر عاماً وهو - كما يقال - حزب حاكم وليس حزباً ممنوعاً مطارداً لا يتاح له التجمع تحت سقف آمن!

أما الشعب السوري الذي قيل عنه يوم كان تعداده خمسة ملايين نسمة بأنهم خمسة ملايين رئيس جمهورية فقد تحول خلال ثلث قرن من الطغيان المتعمد المنظم إلى ألاّ تجد فيه فرداً واحداً بلغ الأربعين ربيعاً من عمره في الأول من كانون الثاني (يناير) من عام ٢٠٠٠ م يصلح أن يكون رئيساً للجمهورية؛ فبُحِث في أبناء الـ ٣٩ صيفاً فلم يُعثَر فيهم على من يصلح للمنصب، فتداعى العدد نزولاً حتى استقر المؤشر عند أبناء الاربعة والثلاثين خريفاً، فدُووِل بينهم وكانت المفاجأة التي أعادت الثقة إلى النفوس أن واحداً من هذا الجيل - واحداً فقط - تبين أنه يتوفر على الصفات المؤهلة له ليحمل أمانة إنقاذ الأمة من الانقراض ويجنبها وصاية

> إن الصورة التي أعقبت موت الأسد أكثر تجلية للأهداف التي حملها طيلة ثلث قرن

الأمين العام للأمم المتحدة؛ ليناى باسمه «وبس»!

لن نتحدث عن متاعب المبعدين عن الوطن المشردين بين أقطار الدنيا الأربع، ولن نتحدث عن مآسيهم ولو من خلال جوازات السفر المحجوبة عنهم وعن أولادهم الذين ولدوا في الشتات، ولن نتحدث عن الذين طلبوا العودة إلى سورية بلدهم وأرضهم فرُفضت طلباتهم في أبشع إجراء ودون أي تعليل للرفض سوى عبارة: (مع عدم الموافقة!) فلا تلوموا (إسرائيل) إذا رفضت عودة الفلسطينيين إلى ديارهم؛ فحكومة قلعة الصمود والتصدي الطائفية تقف الموقف نفسه من المشردين السوريين في أقطار الدنيا! وقد لا تعتلي وجهَ أحد من رجال السلطة ممن قد يقرأ هذه الحقيقة حُمرةُ الخجل؛ فقد بيّن النبي ﷺ حقيقة الذين جف ماء الحياء فيهم حين قال: «إنما أدرك الناس من النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت»(١).

ولن نتحدث عن تجويع الشعب السوري وحرمانه من الغذاء والدواء وإفقاره وإذلاله، ولن نتحدث عن الراشين والمرتشين والرائشين بينهم، ولن نتحدث عن مجازر مدينة حماة التي بلغ عدد الضحايا من سكانها على أقل التقديرات ٢٠ ألف مواطن من العزل الذين لم يساهموا في أي نشاط ضد الحكومة الطائفية، ولن نتحدث عن الدور المعدّ الذي توجهت فيه قوات النظام إلى لبنان للقضاء على الحركة الوطنية اللبنانية التي كان يقودها أحمد الخطيب، وللغاية الأهم وهي إخراج آخر فدائي فلسطيني يعكر مزاج الصهاينة من أرض لبنان! ولن نتحدث عن دك مخيم تل الزعتر على رؤوس سكانه من الفلسطينيين نساءً وأطفالاً وشيوخاً ... كل ذلك وغيره كثير كثير لن يغفره أحد لنهج (الرئيس) الذي فاجأه الموت ولم تُتح له الفرصة للنطق بالتوبة أمام الأيتام والثكالى والمقعدين.

أما مسألة الموقف الصلب والصمود في وجه العدو الذي كان يمثله فأعتقد أنه كلام لا يساوي قيمة مداد حروفه وهو من نوع تسميته بـ «محرر القنيطرة».

وقبل أن نختم كلامنا نضع أمام بصر القارئ وبصيرته صورة إدارة المفوَّض السامي الفرنسي للبلاد السورية في فترة الاستعمار الفرنسي لسورية ليقارن بين حكم يعلن صراحة أنه استعماري، وحكم يتوارى خلف مسمى حكم وطني(٢)؛ فقد أورد الدكتور شمس الدين الرفاعي وصفاً لما آلت إليه سورية بعد أن تم لفرنسا احتلال البلاد في ٢٤ تموز (يوليو) عام ١٩٢٠م فقال:

«أنشأ الجنرال غورو أربع حكومات، ونظم إدارتها كلاً على حدة بعد تقسيم البلاد إلى أربع دول هي: دولة دمشق، ودولة حلب، ودولة

---

(١) رواه البخاري، ح/٣٢٢٥.

(٢) انظر: تاريخ الصحافة السورية، ج٢، ص ٢٨، طبعة دار المعارف، مصر عام ١٩٦٧م.

العلويين، وحُكم جبل الدروز. وكان حكام الدول الثلاث الأولى فرنسيين. أما المفوَّض السامي فقد كان بمثابة (الحاكم) بما كان يحيط به نفسه من مظاهر الأبهة والسلطان، وأصبح مصدر السلطات ورئيسها جميعاً، يسير في نظام دكتاتوري لا يبالي بما يصنع، ولا يرى أنه مسؤول أمام أحد، ويمنح نفسه ما يشاء من صلاحيات تشريعية وإجرائية وقضائية، ويصدر ما يشاء من قوانين ولوائح، ويلغي بجرة قلم ما لا يروقه من أنظمة وقوانين. وأسس شبكات الجاسوسية والاستخبارات في مختلف المدن السورية لتأليب أنصار الفرنسيين ومواليهم على الحركات الوطنية والأهداف الوطنية والعهود الوطنية ورجالاتها وكذلك إلى استغلال الصفة الطائفية في الدروز والنصيرية..».

ألا ترى قارئي الكريم أن الفروق بين المفوَّض السامي الفرنسي والمفوَّض السامي العلوي تضيق جداً حتى تكاد تكون مفقودة؟!

ومهما تقمص الطائفيون من أشكال، ومهما لبسوا من أقنعة، وبأي لغة تحدثوا فهم عراة إلا من حقيقتهم ولولا سيطرتهم على مقدرات البلد وخاصة طيرانها ومدفعيتها وبنادقها وأسطولها لما تجرؤوا على النيل من شعب ودَّع الفرنسيين بالبيض والبندورة. ومهما امتد بهم من زمن فإنهم لن يخرقوا الأرض ولن يبلغوا الجبال طولاً ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

[الشعراء: ٢٢٧].

سلام عليك يا سورية يا صانعة الأمجاد ويا من مات على ثراك سيف الإسلام خالد بن الوليد رضي الله عنه.

سلام عليك يا سورية التي أنجبت الغر الميامين من أمثال ابن تيمية قاهر التتار، ومحمد الأشمر وإخوانه من هازمي فرنسا ومخرجيها من بلادنا.

سلام عليك يا شام الإسلام والعروبة يا أرض المحشر ويا روضة المؤمنين ويا دار الصالحين؛ فعلى أرضك عقدت ألوية النصر التي جعلت لسان العرب لسان الحق، ودين العرب دين الدنيا، ولم يحملها ذلك على شيء إلا أن تثبت على إيمانٍ أنه «لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى».

سلام عليك يا شآم العز وأنت اليوم تُتَّهمين بالعقم؛ ولطالما كنت النجيبة المنجبة على مر الدهور والعصور، وإذا كان الباطل قد رماك عن قوس واحدة فاعلمي يا بارَّةً أن النصر مع الصبر، وأن مع العسر يسراً، ولا يهولنَّك هذا الباطل السفيف؛ فإن كيده ضعيف كما قال رب العزة: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥ - ١٧] و ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

ولسوف تنتصرين بقوة الله ثم بإرادة أبنائك المخلصين وسواعدهم القوية، وستهزمين الأعداء كما هزمت من قبل جحافل الصليبيين والتتار، ولسوف تعلو فيك من جديد كلمة: لا إله إلا الله محمد رسول الله بكل معانيها الشرعية واللغوية، ومهما استنسر فيك البغاث فلسوف يسلِّطك الله عليه وستغلبينه وسيردد المسلمون معك في أقطار الأرض ما قاله الفاروق من قبل: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله».

وفي الختام نتمنى لسورية في عهدها الجديد أن تستقر أمورها، وتشيع فيها روح العدل، وأن ينعكس ذلك إيجابياً على شعبها الصابر بما يضمن له التقدم والازدهار بإذن الله.



الاجتياحات الإثيوبية المستمرة على الصومال

أهداف وأطماع

محمد حاج يوسف أحمد (*)

اجـتـاحـت القـوات الإثـيـوبيـة مـدينة لوق الصومـالية للمـرة الثالثـة خـلال ثلاثة أعـوام وكـان آخـرها في ٢١/٢/١٤٢٠هـ الموافق ٥/٦/١٩٩٩م، كمـا اجتـاحت تلك القوات مـدينة بيـدوه في اليـوم التـالـي لغـزو لوق، واحـتلت القـوات الغـازية كلتـا المدينتين وكـل المناطق الشاسعة التي تقع بينهما. فلوق تبعد عن بيدوه حوالي ١٨٠ كيلو مـتراً نحو مقديشو العـاصمة، ومـعنى ذلك أن مـحـافظات جـدو وباي وبكول الصومالية قد وقـعت تحت الاحتلال الحبشي في الوقت الحاضر، ولا يغير من هذه الحقيقة شيئاً ادعاء جـبهة الـرحنوين بانها هي التي اسـتولت على مـدينة بيدوه وطردت من المدينة مـليـشـيـات حسين عيـديد، كما أنه لا يغير من هذه الحقـيقة شيـئاً ادعاء أحمـد شيخ علي برالي بأن جبهـته هي التي استولت على مـدينة لوق وطردت منها أيضـاً أنصار حـسين عـيديد وأورومـو، كل هذه مزاعم لا أسـاس لها من الصحة، وأصـحـاب هذه المزاعم مـا هم إلا أداة طيعـة في أيدي الأحبـاش وتحت إشارتهم يتكلمون بأمرهم، ويسكتون حين يشاء الأحباش ذلك.

ولعل الجـميع يتذكر ادعاء عمر حاج مسلي بأن جبهته هي التي استولت على «منطقة جدو» بالصومال في يونيو عام ١٩٩٧م، وليست إثيوبيا هي التي استـولت على تلك المنطقة آنذاك، ثم لما ساءت علاقته بإثيوبيا وانشقت جبهته إلى فريق متـحـالف مع حـسين عـيديد يقوده هو، وفـريق آخر عميل للحبشـة يقوده أحمد برالي بدأ عمر حـاج مسلي يرسل الصيـحـات تلو الصيـحـات مطالباً بإخراج القوات الحبشية من منطقة جدو بأنها قوات احـتلال غيـر مرغوب فـيهـا، ويعلم كثير من المتتبعين للشؤون الصومالية أن عمر حـاج مسلي كان كاذباً في مزاعمه عام ١٩٩٧م أيام أن كـان عـمـيلاً لإثيـوبيـا، وأنه صـادق في مطالبه الأخـيرة لكونه قـد ابتـعد عن عـمـالته لإثيوبيا، ويتكلم الآن بإرادته الحرة وهو بعيد عن

(*) نائب رئيس المحكمة العليا في الصومال سابقاً، وممثل رابطة العالم الإسلامي في الصومال وفي بنين سابقاً.

تهديدهم، وليس ببعيد أن يأتي عما قريب دور هؤلاء العملاء الجدد لتكذيب أنفسهم بأنفسهم عندما يتخلى عنهم الأحباش.

ويبدو أن كثيراً من الصوماليين قد أصيبوا بفقدان الذاكرة ونسيان الماضي القريب؛ فقد روى التاريخ الصومالي الحديث: أن إحدى الجبهات الصومالية كانت متحالفة مع الأحباش ضد حكم محمد سياد بري أوائل الثمانينيات من هذا القرن الميلادي، فاحتل الحلفاء مدينة غلدغب الصومالية، فرفع أحد أفراد الجبهة علمها على المدينة إيذاناً بوقوعها في يد الجبهة، ولكن الأحباش قتلوا ذلك الرجل وأنزلوا علم الجبهة، ورفعوا بدله علم الحبشة إيذاناً بوقوع المدينة في أيدي الأحباش؛ ومعنى ذلك أن الصوماليين المتحالفين مع الأحباش ما هم إلا قنطرة تعبر عليها إثيوبيا لاحتلال وطنهم وإذلال شعبهم.

لسنا نؤيد جبهة ضد جبهة أخرى، ولم يكن ذلك من دأبنا منذ اندلاع الحرب الأهلية في الصومال، بل كنا نعادي عيديد عندما كان يحتل محافظتي باي وبكول أواخر عام ١٩٩٥م، ولكننا ضد الغزاة الأحباش وضد من يدور في فلكهم من العملاء والخونة الذين باعوا دينهم ووطنهم وأمتهم للشيطان وللأعداء أياً كان انتماؤهم وولاؤهم، كما أننا ضد الحروب الأهلية القذرة في الصومال، وضد التدخلات الأجنبية المشبوهة في الشؤون الداخلية للصومال، ومهما يكن من أمر فإن ذلك العدوان الحبشي الغاشم على تلك المحافظات قد سبب خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات؛ حيث قام الغزاة بأعمال وحشية من القتل والنهب وانتهاك الأعراض وغير ذلك من المفاسد والمظالم.

تصعيد خطير للتدخل الإثيوبي في الصومال:

إن هذا الغزو الإثيوبي الأخير للصومال هو تصعيد خطير للتدخل الإثيوبي في الشؤون الصومالية مما يدل على أن هذا التدخل قد وصل إلى مرحلة متقدمة لتحقيق أغراض إثيوبيا من ذلك التدخل، فلم يكن هذا الغزو الأول من نوعه؛ لأن العدوان الحبشي المسلح على الصومال كان مستمراً منذ وقت بعيد؛ فكثير من الناس على علم تام بالغزو الحبشي على منطقة جدو بالصومال في تاريخ ١٥/٣/١٤١٧هـ الموافق ٩/٨/١٩٩٦م ثم الاجتياح الحبشي لتلك المنطقة مرة أخرى في ٦/٢/١٤١٨هـ الموافق ١٢/٦/١٩٩٧م واحتلال إثيوبيا مدن لوق ودولو وحواء من المنطقة نفسها، وقد كتبت صحف عديدة عن ذلك الغزو في حينه وخاصة «الحياة» و «المستقلة» و «المسلمون» وكلها تصدر في لندن، ونشرته أيضاً صحف عديدة تصدر في البلاد العربية وبخاصة في اليمن وبعض دول الخليج، كما أذاعته إذاعات كثيرة وخاصة إذاعة لندن باللغتين العربية والصومالية، وما زالت الحبشة تحتل أجزاءاً من منطقة جدو الصومالية حتى يومنا هذا؛ حيث تذيق أهالي تلك المنطقة مرارة الذل والإهانة والاستعباد والتهجير وضرب بعضهم ببعض.

كل ذلك كان - ولا يزال - يحدث على مرأى ومسمع من العالم الذي يدعي التحضر ورعاية حقوق الإنسان، ولم يحرك أحد ساكناً لصد العدوان الحبشي على الصومال؛ حيث لم يصدر مجرد الإدانة والشجب لا من الأمم المتحدة،

ولا من المنظمات الإقليمية إلا أصوات باهتة متناثرة لا تغيِّر من واقع الأمر شيئاً، وكذلك لم يصدر شيء من الإدانة والشجب من الذين يتشدقون بأنهم حُمَاةُ حقوق الإنسان في كل مكان؛ فهنا في الصومال حقوق شعب تنتهك بأيدي الأحباش لما يقرب من ثلاث سنوات دون أن يلتفت إليها أحد، بينما نسمع صيحات الاستنكار والإدانة من أجل شخص واحد أو أشخاص معدودين بزعم انتهاك حقوقهم، كمجموعة اليهود الذين اعتقلتهم حكومة إيران بتهمة التجسس لحساب (إسرائيل) فقامت الدنيا من أجلهم ولم تقعد بعد، وذلك دليل قاطع على أن ما يحدث في الصومال من قِبَل الأحباش هو تآمر عالمي تشارك فيه بطريقة أو بأخرى أيادٍ خفية دولية يحسب لها حسابها تضمن لإثيوبيا التمويل وإسكات أصوات الشجب والإدانة، وتضمن لها عدم التدخل لإيقاف إثيوبيا عن اعتداءاتها المتكررة على الصومال منذ وقت بعيد.

وعلى أي حال فإن الغزو الإثيوبي الأخير على محافظات جدو وباي وبكول لدليل صارخ على خطورة الوضع، وأن الخطة الإثيوبية التي وضعتها لاحتلال الصومال قد وصلت إلى مراحلها النهائية؛ فمدينة بيدوه تبعد عن الحدود الصومالية الإثيوبية حوالي ٢٥٠ كيلو متراً نحو عمق الصومال، بينما تبعد بيدوه عن مقديشو العاصمة المطلة على المحيط الهندي حوالي ٢٤٧ كيلو متراً؛ فتجرُّؤ إثيوبيا على الوصول إلى هذا العمق في داخل الأراضي الصومالية شيء في منتهى الخطورة، ونظراً للتدهور الذي تردت إليه الحالة الصومالية، فإن الوضع يحتاج إلى تدارك وتدخل سريع ممن يهمهم أمر الصومال قبل فوات الأوان، وإن المقاومة المحلية التي لا تلقى دعماً من أي جهة لا تجدي في منع الأحباش من احتلال الصومال، والدليل على ذلك أن أهالي منطقة جدو الصومالية كانوا يقاومون القوات الحبشية منذ ١٩٩٦/٨/٩م حتى يومنا هذا، وأوقعوا خسائر فادحة في صفوف القوات الغازية في مواقع كثيرة جرت فيها معارك رهيبة، واستشهد أعداد كبيرة من المدافعين عن وطنهم، وجرح منهم أعداد كثيرة ومع كل ذلك لم يستطع أهالي تلك المنطقة إخراج المعتدين من بلدهم؛ لأنهم لم يجدوا من يقدم لهم الدعم اللازم لدحر المعتدين؛ حتى الجرحى لم يجدوا من يقدم لهم الرعاية الطبية اللازمة، وهناك كثير منهم ينتظرون إجراء عمليات جراحية متطورة لهم بعدما عجز الطب المحلي عن القيام بمثل هذه العمليات؛ ومعنى ذلك أن ما يجري في الصومال مأساة حقيقية بكل المقاييس.

أهداف التدخل الإثيوبي السافر في الشؤون الصومالية:

قد يتساءل المرء: لماذا تبذل إثيوبيا كل هذه الجهود من الغزو المسلح الذي يكلفها الكثير من المال والمعدات والرجال مع العلم بأنها في حروب مستمرة منذ سنوات ضد جبهات أوغادين وأورومو وعفر وغيرها من جبهات التحرير بالإضافة إلى القلاقل الداخلية والاقتصاد المنهار والحرب الضروس بينها وبين إريتريا؟ والجواب هو أنَّ كثيراً من خبراء منطقة القرن الإفريقي

على علم تام بالعداوة المستحكمة بين الشعبين الصومالي والإثيوبي، تلك العداوة التي سببت حروباً طاحنة كثيرة استمرت بين الجانبين أكثر من ستة قرون، وأدت في بعض مراحلها إلى احتلال إثيوبيا أجزاءً كبيرة من الوطن الصومالي مما ترك جرحاً لا يندمل في جسد الوطن الصومالي، وأجبر ذلك الحكومات الصومالية المتعاقبة منذ الاستقلال أن تحاول استرداد تلك الأجزاء بكل وسيلة ممكنة ولو كان الاسترداد عن طريق الحرب وقوة السلاح. وليس عنا ببعيد اندلاع الحرب التي اشتهرت بحرب أوغادين بين الصومال وإثيوبيا عام ١٩٧٧م؛ حيث كادت الصومال أن تسترد فيها كل أراضيها لولا تدخل قوات حلف وارسو في الحرب لصالح إثيوبيا وطرد الصومال من الأراضي التي استولت عليها.

ومنذ ذلك التاريخ استخدمت حكومتا البلدين ضد الأخرى كل الوسائل المتاحة لديها لتدمير البلد الآخر، ولسوء الحظ لم يجد الصومال من يهتم بها ويقف بجانبها لإيقاف الحرب والنزيف قبل استفحاله، فتم تدميرها بسبب الحروب الأهلية التي تفاقمت بعد سقوط (محمد سياد بري) ووجدت إثيوبيا من اهتم بشأنها، ووقف بجانبها وأوقف النزيف، وحال دون تطور الأوضاع إلى حرب أهلية شاملة، وتم إخراج (منجستو هيلا مريم) بطريقة سلمية مع توحيد الجبهات المعارضة المتنافسة لاستلامها السلطة بعد تمهيد دقيق وجيد من قِبَل القوى الكبرى في العالم وخاصة القوى الغربية وبذلك سلمت إثيوبيا من التدمير.

هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فإن للصومال ساحلاً بحرياً يبلغ طوله حوالي ٣٣٣٠ كيلو متراً ابتداءاً من باب المندب ومروراً بخليج عدن حتى حدود كينيا على المحيط الهندي، وقد يكون هذا الساحل الأطول في شرق إفريقيا إن لم يكن أطول ساحل لدولة إفريقية على مستوى القارة، بينما لا يوجد شبر واحد من المنفذ البحري لدولة إثيوبيا التي ترشحها القوى الكبرى لتكون القوة الإقليمية المهيمنة في منطقة القرن الإفريقي، هذه العوامل الثلاثة أعني. العداوة المستحكمة بين الشعبين الجارين، واستعمار إثيوبيا لأراضي صومالية شاسعة، والموقع الاستراتيجي للصومال الذي يتمتع بتلك السواحل الطويلة؛ هذه العوامل جعلت إثيوبيا تفكر وتخطط لتدمير الصومال وتمزيقه لتحقيق أحد الهدفين الآتيين:

١ - احتلال جميع الأراضي الصومالية، ووضعها تحت الحكم الإثيوبي المباشر: لتكون السواحل الصومالية عوضاً عن فقدها لميناءَيْ عصب ومصوَّع الإرتيريين اللذين فقدتهما إثيوبيا بعد استقلال إريتريا من استعمارها، وقد قُدِّمت - بالتأكيد - إلى إثيوبيا دراسة من هذا القبيل من قِبَل بعض الخبراء الأوروبيين ضمن مشروع لرسم خريطة إفريقيا من جديد، وجعلها أربع دول كبيرة فقط وتوزيع الباقي بين هذه الدول الأربع؛ والدولة المرشحة عند تطبيق هذا المشروع - لا قدر الله - لقيادة شرق إفريقيا هي إثيوبيا بينما الصومال قد رشحت - طبق هذا المخطط - لتكون من نصيب إثيوبيا، وتزول بذلك من خريطة العالم؛ لا قدر الله ذلك -

وتحقيق هذا الهدف هو الأمثل والمفضل لدى الحبشة التي اشتهرت بالأطماع التوسعية وابتلاع الشعوب الأخرى، كما توسعت أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين على حساب شعوب أورومو وعفر وبني شنغول والصومال وغيرها من الشعوب المنضوية تحت اسم ما يسمى إثيوبيا حالياً، وقد بذل هيلاسلاسي إمبراطور إثيوبيا السابق جهوداً كبيرة لضم الصومال قبل استقلالها إلى إثيوبيا كما فعل سلفه منيلك بالشعوب الأخرى المذكورة آنفاً، ولتحقيق ذلك الهدف أسس هيلاسلاسي في الصومال حزباً عميلاً أواخر الخمسينيات من هذا القرن الميلادي - يسانده في تحقيق أطماعه التوسعية وينادي بضم الصومال إلى إثيوبيا. وبفضل الله - تعالى - ثم بيقظة الشعب الصومالي آنذاك أُحبط ذلك المشروع الخبيث.

٢ - الهدف الآخر لإثيوبيا - عند تعذر تحقيق الهدف الأول - هو تجزئة الصومال إلى خمس دويلات ضعيفة تتشكل على أساس قبلي تعيش تحت هيمنة إثيوبيا، وتأتمر بأوامرها، وتتخلى عن محاولة استرداد الأراضي الصومالية لتستريح بذلك إثيوبيا نهائياً من الإزعاج الصومالي، وهذا الاقتراح مقدم أيضاً من خبراء إنجليز لديهم خبرة واسعة بطبيعة الأرض الصومالية وتركيبتها السكانية وتوازنها القبلي؛ حيث كانت إنجلترا تحكم معظم الأراضي الصومالية بعد الحرب العالمية الثانية، وقد بُدئ فعلاً بتنفيذ هذا الاقتراح؛ حيث أنشئت في بعض المناطق الصومالية حكومات إقليمية بعضها أعلن الانفصال عن بقية الصومال كلية، وبعضها الآخر ما زال يعلن أنه جزء من الصومال، وقد وضعت إثيوبيا كل ثقلها وراء هذه الحكومات الإقليمية بالدعم والتسليح، وتستخدم موانئها بعد أن تعذر عليها استخدام الموانئ الإرتيرية، وقد تقتنع إثيوبيا وتفضل مرحلياً تحقيق هذا الهدف لسهولة إقناع كثير من الصوماليين به، ولقلة تكلفته بالنسبة لإثيوبيا مثل ما فعلت بإرتيريا حين اقتنعت أول الأمر بالحكم الفيدرالي فيما بين البلدين ثم ابتلعتها كلية؛ فالقضية مسألة وقت وتهيئة ظروف، ولكن الهدف النهائي لإثيوبيا فيما يتعلق بالصومال هو الابتلاع والسيطرة الكاملة عليها.

الخطوات العملية لتحقيق أهدافها:

١ - إيجاد جبهات صومالية عميلة لإثيوبيا:

ما من جبهة صومالية قامت ضد آخر حكومة في الصومال إلا وقد أنشئت في داخل إثيوبيا بإشراف وتوجيه وتمويل وتسليح ودعم كامل من الحكومة الإثيوبية التي كانت قائمة آنذاك، فاختارت الحكومة الإثيوبية الحالية من بين تلك الجبهات الصومالية مجموعة قد اشتهرت بمجموعة (سودرا)، وقد سميت المجموعة باسم المدينة الإثيوبية التي أنشئ فيها هذا التجمع العميل للأحباش - العدو اللدود - للشعب الصومالي منذ عصور سحيقة، ومما يبرهن على عمالة هذه المجموعة وأنها لا تخدم المصالح الصومالية أن إثيوبيا قد غزت منطقة جدو بالصومال عام ١٩٩٦م عندما كانت المجموعة تعقد اجتماعاتها في مدينة سودرا، ولم يصدر منها ما يدل على أنها ضد هذا العدوان الغاشم،

ولم تنسحب المجموعة من إثيوبيا احتجاجاً على هذا العدوان، ولم تصدر بيانات الشجب والاستنكار نحو هذا الغزو، بل تبارك كل الخطوات التي تنفذها إثيوبيا لتدمير الصومال وتعرقل كل الخطوات الاصلاحية التي لا تخدم مصالح إثيوبيا.

فبذلك كسبت هذه المجموعة ثقة إثيوبيا، فتدفقت الأسلحة الإثيوبية بغزارة إلى هذه المجموعة عن طريق المحافظات الحدودية الصومالية من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب. فالمعابر البرية الرئيسة لدخول هذه الأسلحة إلى الصومال هي: محافظة جدو، ومحافظة بكول، ومحافظة هيران، ومحافظة مدق، ومحافظة الشمال الغربي؛ فمعظم الأسلحة المستخدمة في الصومال حالياً جاءت من الحكومة الإثيوبية التي جعلت مدينة جدى المحتلة مركزاً رئيساً لتصدير الأسلحة إلى الصومال، ويوجد في تلك المدينة مكاتب تموين لتلك الجبهات الصومالية العميلة لإثيوبيا، وتنقل الأسلحة الإثيوبية عن طريق الجو إلى المناطق الصومالية النائية التي تتبع تلك الجبهات؛ مثل مدينة كسمايو في أقصى جنوب الصومال؛ فقد وصلت إليها الأسلحة الإثيوبية بغزارة عن طريق الجو.

وزيادةً على ذلك تدرب القوات الإثيوبية أعداداً كبيرة من ميليشيات تلك الجبهات العميلة، وأهم المراكز لتدريب هذه الملیشیات هي هيزان ودولو وباري التي تقع في داخل المناطق الصومالية المحتلة لإثيوبيا.

من هنا نعلم أن القلق الذي أبداه مجلس الأمن الدولي حول تدفق الأسلحة على الصومال ما هو إلا ذرٌ للرماد على العيون؛ فالأسلحة الإثيوبية المتدفقة على الصومال منذ خروج (يونصوم) منها معروفة للجميع، والاعتداءات الإثيوبية المستمرة على الصومال تقع في وضح النهار على مرأى ومسمع من الأمم المتحدة ومجلس أمنها ومن جميع دول العالم، والتعتيم الإعلامي المفروض على تلك الاعتداءات مقصود ومخطط.

٢ - محاولة تحطيم جدار الكراهية والبغضاء بين الشعبين الصومالي والإثيوبي:

فتحت إثيوبيا أبوابها للصوماليين النازحين من نيران الحرب الأهلية في الصومال، وسهلت لهم الحصول على الوثائق الإثيوبية بما فيها جوازات السفر بإشعارهم أنهم جزء من الشعب الإثيوبي، وأن حكومة إثيوبيا هي الحكومة المسؤولة عن كلا الشعبين وعن رعايتهم والاعتناء بشؤونهم، واغتر بهذا الخداع بعض الجهلة ضعاف النفوس والمنحرفون أخلاقياً الذين ليس لهم همٌ إلا ملء بطونهم وقضاء شهواتهم؛ فظن هؤلاء المخدوعون أن العداء المستحكم بين الشعبين شيء مصطنع لا وجود له، فبذلك كسبت إثيوبيا لصالحها مجموعة لا يستهان بها من الصوماليين من تلك الأصناف المذكورة تستخدمهم لأغراضها الدنيئة من الجاسوسية والدعاية والدفاع عن مصالحها، وقد جندت مرتزقة من هذه الأصناف للقتال في صفوف قواتها ضد إرتيريا، والأخطر من ذلك أن كثيراً منهم يحاربون في صفوف قواتها المستخدمة لتدمير بلدهم واحتلاله من قبَل إثيوبيا.

٣ - السيطرة على ملف القضية الصومالية:

بذلت إثيوبيا كل ما وسعها من حيل خبيثة

وأساليب ملتوية للسيطرة على ملف القضية الصومالية لا للوصول إلى حل مُرْضٍ لهذه القضية، وإنما لتعقيد القضية والحيلولة دون قيام كيان صومالي متماسك، وللتخريب وتدمير البقية الباقية من مقومات المجتمع الصومالي، والسؤال هو: هل هذه العملية تمت مصادفة أو بحسن نية؟ أم أنها حلقة من حلقات التآمر لبعض القوى المتنفذة في عالم اليوم على الشعب الصومالي المنكوب؟ وهل يمكن لإثيوبيا - أو يُتَصوَّر منها وهي العدو اللدود للصومال - أن تكون حَكَماً مخلصاً ناصحاً للقضية الصومالية - قضية عدوها الأول؟ إن هذا لمنطق في منتهى العجب والغرابة إن لم يكن منطقاً معكوساً والقصدُ منه التخريب!

وعلى أي حال فإن إثيوبيا قد بدأت تعقد في أراضيها ما يسمى بمؤتمرات المصالحة الصومالية التي كان يشارك فيها كثير من رؤساء الجبهات المتحاربة في الصومال منذ مارس عام ١٩٩٣م، وحتى شهر مايو الماضي ١٩٩٩م، ومع طول هذه الفترة التي تزيد عن ست سنوات فإن القضية الصومالية كانت تزداد سوءاً وتتعقد يوماً بعد يوم؛ لأن إثيوبيا كانت تجمع الصوماليين للتفريق والتشتيت وضرب بعضهم بالبعض الآخر، وليس ذلك مستغرباً صدوره من إثيوبيا بل العكس هو المستغرب، وكما قيل قديماً: «حاميها حراميها» ولأن الحَكَم هو الخصم، والأخطر من ذلك أن إثيوبيا قد أحبطت كل المحاولات الجادة التي بذلت لحل المشكلة الصومالية مستعينة بعملائها الصوماليين، وآخر تلك المحاولات مؤتمر المصالحة الصومالية الذي عقد في القاهرة أواخر عام ١٩٩٧م، واجتمع فيه ممثلو الفئات الصومالية كلها لأول مرة منذ عام ١٩٩٢م، ولم ينجح المؤتمر؛ لأن إثيوبيا تعتبر نفسها الوصي والقيم على القضية الصومالية ولا يجوز للآخرين أن يلتفتوا إليها أو يقتربوا منها كما يفهم من تصريحات مسؤوليها الذين كانوا يوجهون النقد والإدانة إلى مصر لجرأتها على عقد مؤتمر المصالحة في القاهرة دون الاستئذان من إثيوبيا.

وعلى أي حال فإن سيطرة إثيوبيا على ملف القضية الصومالية أعطاها فرصة ذهبية لم تحلم بها يوماً من الأيام كي تجمع المعلومات الدقيقة المتعلقة بالشؤون الصومالية في جميع المجالات، ولكي تتصرف بعد ذلك بمصير الشعب الصومالي حسب رغباتها الدنيئة.

٤ - إرسال الجواسيس إلى المناطق الصومالية: فقد جندت إثيوبيا الآلاف من الجواسيس لدراسة الأوضاع الصومالية من جميع جوانبها وخاصة تصنيف طوائف الشعب الصومالي من حيث التأييد لإثيوبيا ومن حيث معارضتها، وكذلك جمع المعلومات عن الفئات المعادية للتدخلات الإثيوبية والمتوقعة مستقبلاً، وكذلك تحديد الأماكن الاستراتيجية في الصومال لاستخدامها من قِبَل الجيش الإثيوبي في المراحل اللاحقة عند الاحتياج إليها، ومن المهام التي كانت منوطة بهؤلاء الجواسيس تنفيذ عمليات الاغتيال والاختطاف ضد الأشخاص الذين ترى إثيوبيا أنهم خطر على مصالحها في داخل الصومال، وقد نفذوا فعلاً عمليات من هذا

القبيل في مقديشو وبورما وغيرهما، وجرت محاولات عديدة لتنفيذ مثل هذه العمليات في مناطق عديدة في الصومال ولكنها أُحبِطت قبل وقوعها. وقد جندت إثيوبيا هؤلاء العملاء من القوميات العديدة التي تعيش تحت كنفها من التجراي والأورومو والصومال وغيرهم، كما أنها جندت كثيراً من الرجال والنساء، واخترعت أساليب عديدة: من تجارة، ودخول في الإسلام، وادعاء للفرار من الاضطهاد الإثيوبي، وغير ذلك من الأساليب لتغطية أعمالهم الإجرامية، وما زال هؤلاء الجواسيس منتشرين في طول البلاد الصومالية وعرضها لجمع معلومات في غاية الأهمية ولتقديمها إلى الحكومة الإثيوبية لاتخاذ القرارات الإجرامية لتفتيت الشعب الصومالي وتدميره، وللسيطرة على مقدراته على ضوء تلك المعلومات المخابراتية.

٥ - الغزو الإثيوبي المسلح على الصومال:

كانت هذه الخطوة آخر الخطوات التي وضعتها إثيوبيا لتدمير الصومال أولاً، ثم للتحكم في مصيرها حسب مصلحتها ثانياً من حيث التنفيذ والتطبيق للخطوات الأخرى المذكورة؛ فكانت بداية هذه الخطوة في ١٥/٣/١٤١٧هـ الموافق ٩/٨/١٩٩٦م حينما اكتسحت القوات الإثيوبية منطقة جدو بالصومال واحتلت مدن لوق ودولو وحواء في تلك المنطقة؛ فمنذ ذلك التاريخ كانت إثيوبيا تغير مرة بعد أخرى على أجزاء مختلفة من الوطن الصومالي تعيث في الأرض فساداً وتخريباً، وكانت تغطي أهداف هجومها بحجج واهية لا تقنع أحداً؛ فمرة تدعي أنها تحارب الأصولية الإسلامية في منطقة اعتداءاتها مما يدل دلالة قاطعة على أن الغزو الإثيوبي على الصومال ما هو إلا حرب صليبية مكشوفة، وأنه جزء من تصفية الحسابات القديمة بينها وبين الصومال منذ القرن الخامس عشر الميلادي.

والسؤال هو: من هي الجهة التي خوّلت إثيوبيا للتدخل في الشؤون الصومالية ولتصنيف المسلمين فيها إلى أصوليين ومعتدلين؟ إنه لشيء محزن وخطير يشير إلى الحالة المخجلة التي وصلت إليها الأمة الإسلامية في هذا العصر، ومرة أخرى تنكر إثيوبيا غزوها للصومال مع أنه يقع في وضح النهار ومعلوم للمتتبعين للشؤون الصومالية، ومرة ثالثة تسنده إلى الجبهات القبلية الصومالية العميلة لها مع أنه غزو إثيوبي قد استخدمت فيه الأسلحة الثقيلة من الطائرات والدبابات والمدافع الفتاكة، وليس لدى الجبهات الصومالية في الوقت الحاضر مثل هذه الأسلحة المتطورة، ومرة رابعة تذكر إثيوبيا بأنها غزت الصومال لتصفية قواعد الأورومو والاتحاد الإسلامي في منطقة الصومال الغربي التي تحتلها إثيوبيا تلك القواعد الموجودة في داخل الصومال حسب مزاعم إثيوبيا؛ فقد نقلت جريدة الخليج الإماراتية في عددها ٧٣٣٢ بتاريخ ٢/٣/١٤٢٠هـ الموافق ١٦/٦/١٩٩٩م عن صحيفة الريبورتر الإثيوبية ما يلي: «إن معسكر جبهة تحرير أورومو والاتحاد الإسلامي في بيدوه الواقعة جنوب الصومال تم تدميره تماماً، وإن جميع قوات المعارضة التابعين للجبهتين المذكورتين البالغ عددهم ٧٥٠ فرداً لقوا حتفهم في العملية التي تمت بصورة خاطفة؛ حيث إن

الاتحاد الإسلامي وجبهة تحرير أورومو أكملا استعداداتهما بمساعدة الحكومة الإرتيرية لضرب العمق الإثيوبي وإثارة الفوضى والاضطراب فيه، وإن قوات الإرهاب المدعومة من الحكومة الإرتيرية تم استئصالهم والقضاء عليهم نهائياً» هذا ما أوردته الصحيفة الإثيوبية ولم تذكر الجهة التي دمرت تلك القواعد المزعومة؛ إلا أن الصحيفة الإثيوبية ـ وإن تجاهلت ذكر الجهة التي قامت بالهجوم الخاطف على بيدَوَه ـ تتحدث بشكل لا لبس فيه عن الغزو الإثيوبي الأخير الذي وقع على مدينة بَيدَوَه في ١٩٩٩/٦/٦م تلك المدينة التي تقع في عمق الصومال، وتبعد عن الحدود الصومالية الإثيوبية حوالي ٢٥٠ كيلو متراً، وذلك دليل قاطع على صدق ما قلناه من أن إثيوبيا تغزو الصومال لأهداف أعمق بكثير مما تدعيه، وتغطي أهدافها بحجج لا أساس لها من الصحة مما يجعلنا نتساءل: هل كان في بيدوه قواعد حقيقية لهاتين الجبهتين؟ والجواب لا، لم تكن في المدينة قواعد لجبهات معارضة لإثيوبيا ولكن الحقيقة هي: أن بيدوه كانت ميداناً لمعارك جرت بين ميليشيات حسين عيديد التي احتلت المدينة أواخر عام ١٩٩٥م وبين جبهة الرحنوين التي كانت تريد استرداد المدينة من جبهة عيديد والتي تتلقى الدعم والتسليح والتمويل من إثيوبيا منذ ذلك التاريخ لا حباً في هذه الجبهة ولا خدمة لها وإنما كانت إثيوبيا تريد من دعمها لهذه الجبهة أن تحقق أهدافها من خلالها، وأهم تلك الأهداف هي تدمير قوات حسين عيديد الذي تعتبره إثيوبيا أكبر عقبة تقف أمامها في تحقيق أهدافها في الصومال، فلما شعرت إثيوبيا أن هذه الجبهة أضعف من أن تحقق أهدافها تلك خاضت الحرب ضد قوات حسين عيديد كما سبق ذكره عن الصحيفة الإثيوبية.

ومن المعلوم أن جبهة تحرير أورومو كانت تخوض معارك دامية ضد قوات إثيوبيا التي يسيطر عليها العنصر الحبشي منذ الستينيات من هذا القرن، ولها قواعد على طول الأراضي الإثيوبية وعرضها، كما أن لها وجوداً فعالاً في العاصمة الإثيوبية «أديس أبابا». وتذكر الأنباء أن التوترات تحدث بين الفينة والأخرى بين إثيوبيا وكينيا بسبب هذه الجبهة التي تنتقل أثناء هجومها على القوات الإثيوبية عبر الحدود بين البلدين.

أما الاتحاد الإسلامي في منطقة الصومال الغربي فكان ولا يزال يخوض حرباً شرسة في المناطق الصومالية المحتلة ضد إثيوبيا منذ ما يقرب من سبع سنوات، وله قواعد عديدة داخل تلك المنطقة، وإثيوبيا نفسها اعترفت مرات عديدة بأن هذا الاتحاد قد قام بتنفيذ عمليات عسكرية ناجحة في عمق إثيوبيا بما فيه العاصمة: أديس أبابا، فليست هاتان الجبهتان ـ إذاً ـ في حاجة إلى قواعد في الصومال الممزقة.

وبالإضافة إلى ما ذكرنا فإن إثيوبيا تحشد قواتها باستمرار وبكثافة أمام المدن الصومالية القريبة من الحدود بين البلدين مهددة بالغزو والدمار إن لم تخضع لرغباتها المشبوهة، وقد حدث ذلك أمام مدن بلدويني وبلامبل وغلدغب ولاسعانود ويرووي وبورما. وقد أغلقت المدارس العربية والإسلامية في بعض تلك المدن خوفاً من

الغزو الإثيوبي عليها؛ ومعنى ذلك أنه ما من منطقة صومالية إلا وهي مهددة بالغزو الحبشي بشكل أو بآخر.

يتبين لنا من عرض هذه الخطوات العملية الإثيوبية لاحتلال الصومال أن خيوط المؤامرة الإثيوبية ومن يقف وراءها على الصومال قد كادت تستكمل حلقاتها، واستفحلت خطورتها ووصلت إلى مرحلة متقدمة، ويبدو ـ والله أعلم ـ أنه لم يبق لها إلا التنفيذ النهائي لاستئصال الصومال وقطف ثمار الجريمة من قِبَل إثيوبيا بعد التخلص نهائياً مما كان يسمى الصومال حسب التخطيط الإثيوبي إن لم تتدارك الصومال عناية الله ورحمته وحفظه، ثم إن لم تقف الأمة العربية مع الصومال وقفة جادة ترقى إلى مستوى الأحداث، وإن لم يستيقظ الصوماليون من غفلتهم ومن تكالبهم على الاقتتال فيما بينهم وانشغالهم بسفاسف الأمور وتصفية بعضهم بالبعض الآخر، وليس ذلك على الله بعزيز.

الحل لإنقاذ الوطن الصومالي:

وقبل أن نورد ما نرى أنه الحل الأنسب والأسرع للقضية الصومالية نعرض أمام الجميع الحقائق الآتية:

١ - إن الأماني الطيبة التي يبديها بعضهم لحسم هذه المشكلة لم تكلل بالنجاح حتى الآن، ولا يمكن أن تأتي بنتائج مرضية، وقد فات أوانها.

٢ - إن تقديم النصائح والكلمات المعسولة إلى العدو الإثيوبي ليتخلى عن تدخلاته في الشؤون الصومالية وليكف عن الاعتداءات المستمرة على الوطن الصومالي لا يجدي شيئاً، وإنما يحتاج الأمر إلى اتخاذ خطوات فعالة لصد هذا العدوان بشكل سريع وحاسم.

٣ - إن عقد ما يسمى بمؤتمرات المصالحة الصومالية ـ وملف القضية في يد العدو الإثيوبي ـ قد عفى عليه الزمن، وأثبت عدم جدواه فلا بد من أسلوب آخر أكثر جدية من هذا الأسلوب العقيم الذي استمر ما يقرب من تسع سنوات، فرؤساء الجبهات القبلية الذين أوصلت زعامتهم البلد إلى هذا الحد من التدهور قد أخفقت ممارساتهم وجاوزت أنانياتهم كل الحدود وبذلك انتهى دورهم بالانحدار الذريع.

٤ - إن إبقاء القضية الصومالية في أيدي جهات عديدة لها مصالح وأهداف متضاربة في الصومال قد أضر بالقضية أكثر مما نفعها وزادها تعقيداً وسوءاً، وأوصلها إلى حافة الهاوية التي تنحدر إليها حالياً.

٥ - إن الأساليب التي اتبعت لحل القضية الصومالية من التدخل العسكري والمؤتمرات ومقترحات الخبراء كلها أساليب مستوردة من الخارج ولا تمت بصلة إلى الواقع الصومالي، وقد أثبتت أنها كانت عقيمة لا جدوى منها.

٦ - إن الحروب القبلية في الصومال ـ بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة ـ قد انتهت منذ زمن بعيد، ولا نكون مبالغين إذا قلنا إنها انتهت منذ عام ١٩٩٣م، والحروب التي كانت تندلع من وقت لآخر سببها من التدخلات الأجنبية، أو من تشجيع من أعداء الحل السلمي وتمويلهم، أو من تحالفات سياسية بين بعض الجبهات وبين بعضها الآخر؛ فمثلاً عندما كان عيديد يحتل محافظتي باي وبكول أواخر عام ١٩٩٥م كان

يستخدم ميليشيات من قبائل صومالية شتى من بينها بعض أفخاد الرحنوين، ومعنى ذلك أن الصوماليين العاديين باستطاعتهم أن يتنقلوا عبر الوطن الصومالي من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب بدون الخوف من القتل لانتمائهم إلى القبيلة الفلانية أو تلك، والتجارة مزدهرة بين الأقاليم الصومالية المختلفة بدون عوائق إلا في مناطق التدخلات الحبشية.

٧ ـ أثبتت التجارب الماضية أن الوطن الصومالي مع ما فيه من قلاقل وعدم وجود حكومة مركزية لما يقرب من تسع سنوات ـ لم يكن أكثر سوءاً من كثير من البلاد الإفريقية، والسبب في ذلك يرجع ـ بعد فضل الله تعالى ـ إلى طبيعة الشعب الصومالي المبنية على التكافل والتراحم، وأنه كان هناك في داخل الوطن وخارجه صوماليون كثيرون حريصون على إنقاذ وطنهم وشعبهم، وكانوا جنوداً مجهولين لخدمة بلدهم في ميادين التعليم والصحة وإصلاح ذات البين وتهذيب الأخلاق ومحاولة إصلاح ما أفسده الآخرون، ولكن مشكلتهم كانت تكمن في فقدان الدعم اللازم لتأدية واجبهم، بل لم تؤخذ آراؤهم لحل مشكلة وطنهم بينما كان المفسدون يتمتعون بدعم بلا حدود بشكل مباشر أو غير مباشر.

٨ – كانت هناك في السنوات الماضية تجارب قد أثبتت نجاحها في تهدئة الأوضاع في أكثر المناطق الصومالية قلاقلَ واضطراباً، وأهم تلك التجارب الحالة التي كانت عليها منطقة جدو الصومالية قبل الغزو الحبشي لها عام ١٩٩٦م التي كان يُضرَب بها المثل من ناحية الأمن والاستقرار والتعايش السلمي بين القبائل المختلفة، واعترف بذلك الصديق والعدو، والتجربة الثانية هي (تجربة المحاكم الشرعية) التي أنشئت في شمال مقديشو وجلبت للمنطقة أمناً واستقراراً لم تحلم به قبل إنشاء تلك المحاكم، وقد أظهرت إحصاءات أجريت في شمال مقديشو أن جرائم القتل التي حدثت في تلك المنطقة خلال سنتين من أيام عمل المحاكم لم تتجاوز خمسة أشخاص في طول هذه الفترة، بينما كانت جرائم القتل بواقع خمس أشخاص يومياً خلال عام ١٩٩٨م في تلك المنطقة، وقد أحبط هاتين التجربتين أعداء حل القضية الصومالية، أما التجربة الثالثة فهي المحاكم الشرعية العاملة حالياً في جنوب مقديشو والتي جلبت للمنطقة هدوءاً واستقراراً لم تنعم بمثلهما منذ بداية عام ١٩٩١م، ولم يفلح الأعداء حتى الآن بإلغائها(*)، ومعنى ذلك أن حل القضية الصومالية ليس ميئوساً منه، بل هو ممكن عند الدخول من الأبواب المناسبة للحل الصحيح، ونبذ الحلول المغرضة التي تفرض على الشعب الصومالي بدون استشارة منه.

وأخيراً:

بعد عرض هذه الحقائق نرى أن حل مشكلة الصومال سهل وميسر بإذن الله، وأن الجو العام في الصومال مهيأ حالياً لحل سلمي بشكل جذري، ولكن مثل هذا الحل لا يمكن تحقيقه إلا إذا وُجِدَتْ جهة محايدة ليس لها

(*) جاء في الأخبار مؤخراً أن إحدى الميليشيات الصومالية القبلية قتلت زعيم المحاكم الشرعية العاملة هناك بعد ما وجد هؤلاء أن سلطات المحاكم ستبسط نفوذها وستحرمهم من الأغراض الشخصية والحزبية المقوتة. - البيان -

أهداف ولا أطماع خاصة في الصومال غير التوصل إلى حل مُرْضٍ لمعظم الصوماليين، جهة تتمتع بإمكانيات كبيرة؛ وذلك من خلال الآتي:

١ - على الأمة العربية حكومات وشعوباً، أن تضع خطة شاملة لإنقاذ الصومال تشمل الجوانب الاقتصادية والسياسية والدفاعية والاجتماعية، وأن تنفذ هذه الخطة بمرحلة زمنية كافية بعد توفير كل الامكانيات التي تتطلبها الخطة؛ وذلك بإجراء انتخابات نزيهة بإشرافها في الصومال لتشكيل حكومة صومالية بعد تمهيد جيد من استتباب الأمن وبناء المرافق العامة للوطن، وتأهيل أفراد الميليشيات المسلحة للحياة المستقرة بعد تجريدها من الأسلحة، وإنشاء بوليس قوي للأمن الداخلي من الشباب ذوي الأخلاق الفاضلة، وأهم من ذلك تأمين الحدود الصومالية البرية منها والبحرية من الانتهاكات والاعتداءات الحبشية وغيرها؛ وذلك بنشر قوات عربية على تلك الحدود تطبيقاً للدفاع العربي المشترك مع الصومال؛ وبذلك يتم إغلاق الملف الصومالي نهائياً من المحافل الدولية ومن دول الجوار التي لها أطماع خطيرة في الصومال، وينحصر الحل في أيدي الدول العربية فقط. ووضع مثل هذه الخطة وتنفيذها سهل وميسر للأمة العربية - بمشيئة الله - لما تتمتع به من ثقة الشعب الصومالي، وبما لديها من إمكانيات كبيرة ومن خبرات واسعة في جميع المجالات تفوق كثيراً ما كان لدى دول غرب إفريقيا التي بذلت مجهوداً كبيراً لتهدئة الأوضاع في ليبيريا ونجحت في مهمتها إلى حد كبير، ولكن لا بد للأمة العربية من عزيمة صادقة وهمة عالية وتصميم أكيد لحل القضايا العربية التي من أخطرها قضية الصومال في الوقت الحاضر، والقضية تتطلب التحرر من السلبية والتفرج على الأحداث بدون الاقتراب من حل جذورها.

٢ - إذا كانت هناك ظروف دولية لا تسمح بالحل العربي المباشر - ونرجو ألا توجد مثل هذه الظروف - فمن الممكن أن ينفذ الصوماليون المخلصون هذه الخطة التي تضعها الأمة العربية لإنقاذ الصومال، وقد يكون مثل هذا التنفيذ سهلاً من قِبَل الصوماليين إذا توقف تدخل الدول ذات الأطماع في الشؤون الصومالية ووقفت الأمة العربية وقفة جادة بجانب الصومال، ووفرت لها الإمكانيات المطلوبة لحل القضية، والمخلصون - فيما أحسب - على استعداد لتحمل هذه المسؤولية وتأديتها على الوجه المطلوب مع القيام بعملية تنسيق بين الصوماليين الذين يقومون بتنفيذ الخطة وبين بقية الجانب العربي الذي يقدم الدعم والمشورة لعملية الحل الجذري لهذه القضية العويصة.

وأخيراً: نناشد المسؤولين في العالم العربي ملوكاً وأمراء ورؤساء في أن يؤدوا مسؤوليتهم التاريخية نحو الصومال، وأن يتداركوا القضية قبل فوات الأوان، كما نناشد الصوماليين بأن ينتبهوا لخطورة أوضاعهم، وأن يهبوا لإنقاذ وطنهم من التمزق والاحتلال؛ فقد دقت ساعة الخطر؛ وطفَّ الكيل، وبلغ السيل الزُّبَى.

نسأل الله - تعالى - أن يعيد لهذه الأمة عزها ومجدها وريادتها للعالم، إنه قريب مجيب.



الأقليات المسلمة بين آليات الإبادة وانتهاء العمل الخيري

مسلمو أوكرانيا أنموذجاً

ناصر سنادة

يعيش اليوم كثير من المسلمين في أقليات حول العالم مسحوقين يعانون الفاقة والفقر، ويذوقون الاضطهاد المر من أبناء جلدتهم، يعذبون ويشردون داخل مجتمعاتهم التي لا ترحم والتي تنكر رابطة الرحم والدم إذا ما فكر أحدهم مجرد تفكير في اعتناق الإسلام.

تلك حال معظم مجتمعات الغرب، مجتمعات العقوق والانحلال والتفكك الأسري، هذه نظرة عامة، ولكن يبقى لكل مجتمع مميزاته وسماته، وحتى ظروفه الخاصة، وأوكرانيا دولة لها ظروفها الخاصة والقاسية؛ إذ حكمها نظام شيوعي بالحديد والنار لفترة تربو على سبعين عاماً، وعانى فيها المسلمون ويلات ومظالم عجيبة، ولعل من أكبر المظالم التي عاشها المسلمون في أوكرانيا بشكل عام ومسلمو شبه جزيرة القرم على البحر الأسود بشكل خاص في عهد الشيوعية الحاقدة وأزمنتها البالية - هو ذلك التشريد والتهجير الذي مورس عليهم قسراً، خاصة تلك الحقبة التي حكم فيها (ستالين) على المسلمين بالفناء والتشريد، حيث ما تزال آثار حملته الإبادية الجائرة ممتدة الأثر وواضحة المعالم في الشعب التتري وعموم سكان شبه جزيرة القرم المسلمين حتى يومنا هذا؛ إذ لا يوجد في الحياة شيء أشد مضاضة وألماً من ترك الإنسان لوطنه، تلك حقيقة يدركها كثير من الناس؛ فعندما ترتد بنا الذاكرة إلى الوراء نستعيد تفاصيل صورة مفعمة بالحزن والأسى تزيدها الأيام شفافية وشوقاً: رسولنا الحبيب ﷺ يقلب ناظريه أسفاً ويخرج مودعاً مهد طفولته الطاهرة ومرتع صباه وخير بقاع الأرض قائلاً: «والله! إنكِ لأحبُّ أرض الله إليَّ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت»[1] وأي شيء أشد قسوة من ظلم الإنسان وترك الأوطان؛ إذ عمد ستالين وزبانيته الشيوعيون إلى افتعال المجاعات في شبه جزيرة القرم لإجبار الناس على الهجرة بحثاً عن لقمة العيش في مكان آخر، وقد أخليت المنطقة بدهاء وخبث من سكانها المسلمين أولاً، وليس ذلك فحسب، بل عمد ستالين إلى كسر شوكتهم وتذويبهم وطمس هويتهم في بحر (أعراق وقوميات

(١) رواه أحمد، ح/١٧٩٦٨.

ومذاهب) دول الاتحاد السوفييتي (السابق) فقتل علماء الدين، ومثَّل بهم شر تمثيل، وهدم مساجدهم، واعتقل شيوخهم، واستباح كل حرام يخطر بالبال، وليت الأمر انتهى عند هذا الحد فحسب، بل أثار حولهم الضغائن والضغوط والفتن ليقطع صلتهم بالدين الإسلامي بالكلية.

تلك صورة سريعة نستشف فيها أحداث المجازر والمآسي التي عاشها مسلمو شبه جزيرة القرم وما آل إليه حالهم؛ إذ ليس من الحكمة الآن غض الطرف عن الآثار والأضرار الجسيمة التي أصابتهم؛ فبعد انهيار الاتحاد السوفييتي (السابق) هرع كثير من أبناء القرم أولئك الذين هُجِّروا متسابقين للعودة لموطنهم الأصلي؛ وهذه سُنَّةُ الله في أرضه، والله متم نوره ولو كره المشركون، فكثير منهم عادوا ولا يزال بعضهم يكابد للحاق بالركب حتى الآن، فما زالوا يأتون زرافات ووحداناً بعد أن باع معظمهم منازلهم بأبخس الأثمان، وتركوا وظائفهم وجنسياتهم وارتباطاتهم في تلك الدول التي عاشوا فيها ردحاً من الزمن ونشأ بعضهم فيها، كل ذلك من أجل الجذور والوطن، وأي وطن؟! وطن كان ذات يوم ثغر من ثغور الإسلام! ولعل أكثر ما يعانيه المسلمون في شبه جزيرة القرم اليوم هو تهدم البنية التحتية والتردي الواضح في الخدمات، وإهمال الحكومة الأوكرانية للمنطقة بدعوى قلة الإمكانيات، إضافة إلى حاجتهم لأبسط مقومات العيش الكريم، فلا مأوى ولا سكن ولا ماء ولا حتى تدفئة ومؤنة في الشتاء، وما أدراكم ما الشتاء في أوكرانيا؟!

فحينما يطأ شتاء القطب الشمالي ببرده الثقيل السهوب والقرى المتناثرة في البقاع، فيجعلها تئن وتعاني تحت وطأة ثلجه الكثيف وزمهريره القاسي حتى يأتي موسم الربيع، وعندها فقط ندرك بأن الذي مضى كان اسمه الشتاء، تلك حال مسلمي شبه جزيرة القرم بعد حقبة الشيوعية البغيضة؛ فمن يزور القرم اليوم يجد آثار مساجدها المهدمة التي تغرق بصمت في واقع كئيب، ركام يشبع الأيام أبهة وجلالاً، أما الناظر إلى البيوت فسيدرك أنها لن تقوى على تحمل عوامل التعرية ونكبات الزمن، بيوت بنيت بطرق عشوائية تقشفية، وكيفما اتفق، ويظن من يراها أن سكانها نُسَّاك زُهَّاد ولكن الأمر ليس كذلك؛ إذ إنه ضيق ذات اليد، فمسلمو أوكرانيا عموماً ومسلمو شبه جزيرة القرم خاصة يحتاجون إلى دعم كبير ينتشلهم من بحار الفقر؛ إذ إنهم أوْلى الأقليات التي تحتاج إلى الدعم الخيري بالمقارنة مع دول القارة الأوروبية؛ وهذا الأمر يرجع إلى عدة أوجه وأسباب:

١- لأن أوكرانيا خرجت من وطأة العهد الشيوعي، وعانى المسلمون فيها التنكيل والاضطهاد والتشريد، خاصة أيام حكم ستالين؛ إذ هاجر معظم المسلمين خوفاً من حملات الاعتقالات والتنكيل؛ وفي هجرتهم القهرية خلفوا وراءهم ممتلكات وحقوقاً ضيعت فيما بعد، بينما كانت الجمعيات والمنظمات في أوروبا تنعم بالدعم الخيري أو بالأحرى اعتمدت على نفسها - طول الوقت - في تأسيس أرضية ثابتة لانطلاق الدعوة فيها.

٢ - لأن تعداد المسلمين في أوكرانيا يبلغ حوالي ٢ مليون نسمة، وهم أساساً مسلمون لكنهم يحتاجون إلى التثبيت والتفقه في أمور دينهم، ولا ينبغي إهمالهم حتى لا يقعوا فريسة للجمعيات النصرانية واليهودية المنتشرة والنشطة داخل أوكرانيا؛ فإن مثل هؤلاء لا يحتاجون إلى جهد دعوي كشخص كافر لا يعرف شيئاً عن ربه ودينه؛ فهؤلاء في حظيرة الإسلام وبقي أمر تفقههم في الدين ومعرفتهم لأحكامه.

٣- لأن الجانب الاقتصادي يلعب دوراً رئيساً ومميزاً في الحياة العامة؛ إذ إن قلة الإمكانيات أولاً وفقر مسلمي أوكرانيا وانشغالهم الكلي بهموم المعيشة كثيراً ما يعيق هذا العمل الدعوي.

وأخيراً فإن النظام الاقتصادي الأوكراني المتضخم والفقير لا يشجع على إقامة مصادر دخل ذاتي مقارنة بجمعيات ومنظمات تعمل في أوروبا وأمريكا وتنفق على نفسها من خلال مواردها الذاتية.

٤- لأن المسلمين الأوكرانيين وخاصة أولئك الذين يعيشون في شبه جزيرة القرم يعانون من اهتراء البنية التحتية؛ فمعظم القرى التي يعيشون بها لا بنية تحتية فيها ولا خدمات، ومن الصعب بمكان وصف كيف يمكن أن يقضي هؤلاء الشتاء أو تخيل ذلك دون مؤنة ولا تدفئة؛ فمعظم هؤلاء دفعهم ارتباطهم بجذورهم في القرم مخلفين وراءهم منازل ومتاعاً واستحقاقات، بل إن أكثرهم كانوا قد تنازلوا عن جنسياتهم وجوازات سفرهم عند خروجهم من الدول التي عاشوا فيها.

٥- لأن موضوع الأقليات (دينية أو عرقية أو مذهبية) أصبح هاجس الدول الغربية وسبباً لتدخلها في شؤون دول أخرى (راجع موضوع الأقلية الألبانية المسلمة في يوغسلافيا ـ قضية كوسوفا)، وعليه فحري بنا ـ نحن المسلمين ـ أن نهتم بموضوع الأقلية المسلمة أكثر من غيرنا، كيف لا وهم إخوتنا في العقيدة والدين؟ ومن هنا ينبغي اعتماد موضوع هذه الأقلية المسلمة وإدراجه في أعلى جدول العمل الإسلامي.

- لأن كثيراً من مسلمي أوكرانيا ضيعوا معاني الإسلام وغاياته، والآن وبعد رجوعهم إلى موطنهم الأصلي واستقرارهم فإن الأمر يتطلب جهداً إضافياً؛ إذ لم يستطع ستالين أن يمحو حبهم العظيم للإسلام وشرف الانتساب إليه.

٦- لأن النظام الدكتاتوري الشيوعي كان يجرِّم العمل الإسلامي ويحظر مشاريعه، وبالمقارنة مع دول غربية نجد اليوم مساحات لا بأس بها من القوانين والحريات التي استفاد منها العمل الإسلامي لإقامة مشاريعه مثل (فرنسا وإنجلترا)، والحمد لله على أن القانون الأوكراني اليوم يكفل حرية العمل الإسلامي، ولا ينبغي التفريط بذلك في الساحة العالمية؛ فمساعدة إخواننا المسلمين الذين يعيشون في أقليات حول العالم هو هدف بحد ذاته يسعى إليه، وأستطيع تخيل تكلفة بناء مسجد في أمريكا أو أوروبا بملايين الدولارات، وكييف عاصمة أوكرانيا يقطنها ١٠٠ ألف مسلم، وليس بها مسجد واحد!!

الشق الثاني من المسألة ولب الموضوع:

يبدأ من اتساع أفق فقه دعم العمل الخيري والإغاثي ليشمل الأجر والثواب للداعمين والعاملين في هذا الحقل وإمكانية ربط الأقليات المسلمة بالمجتمع الإسلامي بوثاق قوي رحيم، وهنالك ثلاثة أحاديث لرسولنا الحبيب ﷺ تكاد تكون هي الأطر التي يمكن الاستنباط منها؛ والأجر يتحقق فقط عند الإنفاق أو التبرع لهؤلاء المذكورين وحسب، وهذا ما يفهمه ويعتقده كثير من عامة الناس، وهذه الأحاديث هي:

١ - «من فطر صائماً كان له مثل أجره»[1].

٢ - «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين»[2].

٣ - «من بنى مسجداً لله بنى الله له بيتاً في الجنة مثله»[3].

---

(١) رواه الترمذي، ح/ ٧٣٥.

(٢) رواه البخاري، ح/ ٤٨٩٢.

(٣) رواه مسلم، ح/ ٨٢٩.

ونضرب مثلاً لتقريب المعنى: شخص يريد أن يتبرع ويدعم بناء كلية أو جامعة إسلامية أو مركز إسلامي أو دعم صحيفة إسلامية وحيدة في ظل وجود مئات البرامج والصحف والكتب التي تملأ شاشات التلفاز والمكتبات لأصحاب ديانات أخرى، في دول مثل أوكرانيا، أو بناء مشروع تنموي ودعمه مما فيه فائدة لعدد كبير من فقراء المسلمين وفيه منفعة للأقلية الإسلامية كلها؛ فهل لهذا من الأجر مثل ما يوازي أجر أحد هؤلاء الثلاثة المذكورين أعلاه في الحديث؟! وما هو العمل الأوْلى الذي يقدم على غيره؟ هذه المسألة تؤرق كثيراً الرجال القائمين بأمر الدعوة والعمل الخيري في الخارج؛ إذ إن كثيراً جداً من المتبرعين يتبرع ويشترط ويحدد أن ينفق ماله في أحد هذه الأعمال الثلاثة الجليلة وحسب، كما أن كثيراً من هذه الأموال والدعم يأتي بواسطة منظمات أو أفراد، وقد لا يتسنى للجهة المتبرع لها تقديم فكرة أو مشروع له أحقية في التنفيذ قبل غيره من حيث الفائدة المرجوة (وقد لا يكون هنالك اتصال ولقاء مباشر مع المتبرع) حيث إن كثيراً من هذه المشاريع يقترحها أبناء الأقليات المسلمة، أو تعد نتيجة لقراءة الواقع والمجتمع وفهماً لاحتياجات المسلمين فيه؛ فأهل مكة أدرى بشعابها؛ ولعل هذا الأمر بحد ذاته يشكل أكبر هذه الهواجس التي تشغل فكر العاملين في تلك المنظمات الخيرية والإغاثية؛ حيث تضيع جهود كثيرة في (إعداد مشروع - وتأجل مشروع آخر) بينما تحدده وتشترطه الجهة الداعمة أو الشخص المتبرع، والكل مأجور بإذن الله تعالى.

إذن فنحن نحتاج لاستنباطات واجتهادات خاصة تلائم واقع الأقليات المسلمة وإمكانية تعاطي العمل الخيري دون إخلال بالعمل وتضييع للأمانة؛ إذ أصبح عمل كثير من المنظمات الإغاثية عبارة عن عمل ترقيعي (إن جاز التعبير)، وليس عملاً وقائياً؛ فعندما تحل كارثة مَّا، فإننا نجد منظمات الإغاثة تنشط حينئذ لتهرع مع الهارعين إلى مكان الكارثة، وحري بنا أن نقف لنسأل سؤالاً: لماذا لا يتسع الأفق بنا لنقف مع إخواننا المسلمين - ولو للحظات - لنفكر في همومهم وألمهم، وبالطريقة التي يفكرون بها هم أنفسهم، عندها نستطيع أن نجنب إخواننا المسلمين في كل مكان، - وخاصة الأقليات فيهم والمستضعفين منهم - الفاقة والفقر، والفتن وويلات الحروب، والكوارث الطبيعية. نعم إن مثل هذا العمل يحتاج إلى جهود جبارة وجيوش من المنظمات والعاملين والأموال وأهل الخير، وحسبنا أنه بالإمكان الاستفادة في ظل الإمكانيات والظروف المتاحة الآن لنشر الثقافة الإسلامية وبناء مؤسسات تنموية، ومدارس إسلامية.. إلخ، دون أن يكون هناك أي تعارض أو تفضيل اللهم إلا بحسب ما تقتضيه الحاجة، والأمر برمته يحتاج أيضاً وقبل كل شيء لمحاولة جادة وعميقة لفهم واقع الأقليات المسلمة ومسلمي أوكرانيا بشكل خاص وربط ذلك بآليات فقه الدعم والإغاثة والعمل الخيري، ومدى إمكانية اتساع أفق الدعوة والرؤى المستقبلية للأقليات المسلمة حول العالم.

والله من وراء القصد،



يرصدها: حسن قطامش

صورة من الغرب

١ - أقر وزير الزراعة الإيطالي الفونسو بيكورارو سكانيو علناً بأنه يقيم علاقات مع الجنسين في سابقة أولى من نوعها في إيطاليا.

وبات سكانيو الذي أصر على «حريته الجنسية المطلقة» أول وزير يدلي بتصريح من هذا النوع، وقال لعدد من الصحف الإيطالية: «لست أعترف بذنب مَا، ولا أشعر بأدنى خجل، وأنا أطالب بأن يتمتع الجميع بحرية أن يحبوا من يريدون بغض النظر عن جنسهم. وهذه الحرية، أنا أمارسها».

وفي الإطار نفسه، دعا نائب حزب «إعادة التأسيس» الشيوعي نيشي فيندولا الوحيد ـ الذي صرح عن مثليته الجنسية في البرلمان ـ زملاءه إلى التصريح بذلك، قائلاً: «لتكن لديكم شجاعة كشف هوياتكم وتوقفوا عن العيش في القلق والخوف. في بلادنا أخلاقيات مزدوجة تسمح بالقيام بأمرٍ مَا، ولكن من دون إعلانه. لكننا في العام ٢٠٠٠وآن الأوان لنواجه الحقيقة».

٢ - أثارت إذاعة «كيس إف إم» الفنلندية جدلاً واسعاً بعدما سمحت في برنامج لها لشاب وفتاتين بممارسة الجنس على الهواء مباشرة مدة ربع ساعة، وأوضح منتج البرنامج هنكا هيبونن أن «مجموعة كبيرة من المستمعين اتصلوا في الفترة الأخيرة وطلبوا بثاً حياً لممارسة جنسية على الهواء مباشرة، مما دفع الإذاعة إلى الإعلان عن قبولها طلبات المتبرعين الذين يريدون المشاركة عبر إرسال تسجيلات صوتية لهم وهم يمارسون الجنس، أو الحضور إلى الأستديو لبث أصواتهم مباشرة.

واتصل بالإذاعة خطيبان أبديا استعدادهما للمشاركة في البرنامج، ولكنهما غيرا رأيهما فور دخولهما إلى غرفة مهندس الصوت؛ حيث طلبا أن تكون معهما فتاة ثانية تشاركهما، فما كان على المذيع إلا المطالبة على الهواء بمتطوعات على استعداد لتلبية رغبة الخطيبين؛ ووافقت إحدى المستمعات على هذا الطلب، واستقلت سيارة أجرة مباشرة إلى الأستديو؛ حيث شاركت الخطيبين في حفلتهما الجنسية التي لاقت إعجاباً واسعاً من مستمعي الإذاعة، وأصبحت حديث الساعة في العاصمة الفنلندية هلسنكي.

٣ - شارك عشرات الآلاف من أنصار مثليي الجنس في باريس في تظاهرة «غاري برايد ٢٠٠٠» التي باتت حدثاً سنوياً تقليدياً.

وتوقع المنظمون وهم حوالي ٥٥ جمعية، مشاركة ١٥٠ ألف إلى ٢٠٠ ألف شخص في هذه التظاهرة التي تدور هذه السنة حول موضوع مكافحة الخوف من مثليي الجنس.

وتصدَّر الصفوف الأمامية بعض الشخصيات السياسية من بينها وزير الثقافة جاك لانغ الذي حضر شخصياً لتحية المتظاهرين؛ وخلف السياسيين سار أعضاء جمعيات اللواطيين والسحاقيات ومنظمات مدافعة عن حقوق الإنسان (رابطة حقوق الإنسان ومنظمة العفو الدولية)، إضافة إلى ٦٠ عربة تشارك في هذه المسيرة التي لم تعد شركات السيارات الكبرى تتردد في رعايتها.

[جريدة الحياة، الأعداد: (١٣٥٩٨، ١٣٦٠٤، ١٣٦١٩)]

لو كانوا أولادكم؟!

كشف السيد بدر الدين بينو، السفير الشيشاني المتجول، خفايا جريمة إنسانية بشعة ارتكبها المسؤولون الروس «وما زالوا» ضد أطفال المسلمين الشيشان على مرأى ومسمع العالم الأوروبي والأمريكي المتمدن والمتترس خلف مزاعم الدفاع عن حقوق الإنسان؛ وقال السفير بينو في حديث خص به «السبيل»: إن الآلاف من أطفال المسلمين الشيشان هم اليوم يباعون رقيقاً في أسواق أوروبا وأمريكا، وسط صمت دولي مؤسف على هذه الجريمة البشعة؛ وأوضح السفير بينو أن هذه الجريمة بدأت عندما قام الروس بملء حافلة «باص» من أطفال «أنغوشيا» وأدخلوهم إلى موسكو بأوراق رسمية، ثم اختفت آثارهم بعد ذلك؛ حيث تبعت هذه الحافلة شحنات أخرى عديدة تم جمعها تحت مسميات شتى، ونجحت جهود الحكومة الشيشانية مؤخراً في تتبع آثار ٢٤٠ طفلاً من هؤلاء الأطفال؛ وإن الأطفال يتم جلبهم تحت غطاء برنامج يدعى برنامج التبادل الثقافي لطلبة البوسنة والشيشان، مركزه في العاصمة الأمريكية واشنطن، والمسؤول عن هذا البرنامج يدعى الدكتور واصف دور كيوفتيش، ولهذا المركز أو المشروع فرع في جنوب إفريقيا، تديره سيدة تدعى «ميسيز سو».

وبالاتصال مع هذا المركز أكد المسؤولون فيه أنهم مؤسسة رسمية تعمل وفق القانون، وأنهم يحضرون الأطفال عن طريق برنامج التبادل الثقافي، وأن عمليات التبني «البيع» تتم بموافقة ومعرفة السفارة الروسية ذاتها والتي تقدّم الوثائق المزورة لهؤلاء الأطفال أنهم من الأطفال الروس اليتامى!!

ونتيجة لهذه التحركات، ونجاح السيد بينو في العثور على بعض هؤلاء الأطفال وعمل زيارات لهم، قامت حملة مضادة محمومة لإخفاء الأطفال وإرهابهم وإرغامهم على طلب إبعاد السفير الشيشاني عنهم، وقامت مسؤولة البرنامج برفع قضية قادها ثلاثة محامين من أمريكا ضد ممثل الحكومة الشيشانية زعموا فيها أن الأطفال يرفضون إعادتهم إلى أهلهم وذويهم في الشيشان. [جريدة السبيل الأردنية، العدد : (٢٣٨)]

رسائل من الشيشان

١ - كان إيقاف قتل المدنيين العزل وتدمير بيوتهم في الشيشان قد بات مرتبطاً بتقرير وفد منظمة حقوق الإنسان؛ فبعد المرة الأولى والتصريح الأول خرجت قوات العدو الروسي الملحد بريئة من أي تعدّ ما عدا بعض التدمير؛ فقد كان الزائر الأول لا يرى شيئاً إلا ما أعده الروس له من مناظر خلابة وجميلة، فكان التقرير الأول جميلاً مثل الزيارة المنظمة والمخطط لها، ثم جاءت الزيارة الثانية التي كانت مثار الجدل بسبب الصراحة والوضوح ولكن ما هي نتائجها في واقع الشيشان وفي الواقع العالمي؟ لا شيء!!

فلم يتغير شيء ولم يتوقف سيل الدماء من أجساد المدنيين الأبرياء، بل لم يتوقف القصف والتدمير العلني!!

أتدرون لماذا؟ لأنه لم يتم إصدار أي أمر لإيقاف هذا العدوان ولم تكن الدماء ذات أهمية في نظرهم، إذ إنها دماء المسلمين! نعم دماء المسلمين التي ليس لها أي حركة أو مكانة في نفوسهم! وها نحن ننتظر هذه الأيام نتائج الزيارة الثالثة عن أي شيء تتمخض.

٢ - بسبب انتهاكات حقوق الإنسان في الشيشان وتعرض النساء المسلمات للاغتصاب من جنود القوات الروسية وتأخر المسلمين حكاماً وشعوباً عن حماية أعراض المسلمات في الشيشان فقد وجه المجاهدون قيادةً وجنداً تحذيراً وإنذاراً للحكومة الروسية وشعبها وجنودها في الشيشان من أن الانتقام سيكون شديداً، وأن الثأر للمسلمين وأعراضهم في الشيشان سيكون تدميراً للقوات الروسية وجنودها في داخل الشيشان وفي روسيا، وأن العمليات الهجومية لن تقف عند حدود الشيشان بل سوف يكون لها في روسيا صولات وجولات، فإلى الحكومة الروسية وإلى الكرملين نوجه هذا الإنذار والتحذير. [موقع صوت القوقاز، http://www.qoqaz.com]

ألا يوجد نواقض للإيمان؟

التكفير ليس من حق أحد، ليس من حقك أو من حقي أن أكفر إنساناً، وأذكر أنه في قضية الدكتور نصر حامد أبو زيد أن الرجل قال على الملأ ونشر أنه مؤمن وموحد لله، وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، إنه يقول: أنا مسلم وموحد ومؤمن بالله، ماذا بعد ذلك لنشهد له بالإيمان؟ إذن ليس من حق أحد أن يقول له: أنت كاذب، هذا ظلم للرجل وافتئات على الدين، عملية التكفير ليست هينة، إنها خطيرة وليس من حق أحد أن يطلق حكماً على آخر ويقول له: أنت كافر. ليس من حقك أن تدخل قلب الإنسان، لست مسؤولاً أن تحفر في نيات هذا الإنسان، أنت لست مكلفاً بذلك، ولست مسؤولاً عما بداخل الناس، وليس منوطاً بك أن تتبين الإيمان داخل النفس البشرية. الإسلام سماحته في العبارة التي تقول: «لو كان الرأي يحتمل الكفر في مئة وجه ويحتمل الإيمان في وجه واحد، حمل على الإيمان وليس على الكفر» تلك هي السماحة، أي أن من واجب المسلم تغليب الإيمان ولا بد أن تسود هذه الروح في عالمنا الإسلامي. لا رقابة قبلية ولا بعدية، روايات إحسان عبد القدوس ويوسف السباعي، وقصص يوسف إدريس تعيش بيننا، ناس محترمون لا تجد منهم طعناً في الدين أو في أي من ثوابته.

[وزير الأوقاف المصري، د. محمد حمدي زقزوق، مجلة الوسط، العدد: (٤٣٦)]

لن يعدموا مثلك!!

قاوم الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات ضغوط نظيره الأمريكي بيل كلينتون خلال آخر لقاء بينهما في واشنطن بالتهديد بالاستقالة من منصبه والعودة للإقامة في تونس أو القاهرة.

إن هذا التهديد جاء عندما كان الحديث بين عرفات وكلينتون يدور حول إيجاد مخرج للأزمة الحادة التي وصلت إليها المفاوضات الفلسطينية ـ الإسرائيلية، وطلب الرئيس الأمريكي من عرفات تفهم ظروف رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود باراك والتنازل عن استعادة السيادة الفلسطينية على القدس الشرقية وحق العودة للاجئين الفلسطينيين. وأوضحت المصادر نفسها أن عرفات قاوم هذه الضغوط وقال لكلينتون إنه سيقدم له المخرج، ولما سأله عن هذا المخرج أجابه بأنه سيغادر الأراضي الفلسطينية إلى القاهرة أو تونس بصفة نهائية، وعلى باراك أن يتدبر أمره مع الشعب الفلسطيني. وكان عرفات هدد في نابلس بالضفة الغربية أمام الآلاف من أنصار حركة فتح بإشعال الانتفاضة والكفاح المسلح من جديد داخل الأراضي الفلسطينية وذلك في إطار رده على التهديدات الإسرائيلية باستخدام الدبابات والطائرات ضد المناطق الفلسطينية في حال تجدد المواجهات بين المواطنين الفلسطينيين والقوات الإسرائيلية.

[جريدة البيان الإماراتية، العدد: (٧٣١٢)].

أحلامكم أوامر!!

أكدت منظمة العفو الدولية (أمنستي) في تقريرها السنوي للعام ٢٠٠٠م أن السلطة الفلسطينية لا تزال تعتقل أكثر من ٢٣٠ شخص منذ سنوات ومن دون تهمة أو محاكمة للاشتباه بأنهم ينتمون إلى جماعات إسلامية معارضة. وأكد تقرير منظمة العفو الدولية أن الأنباء الواردة من سجون السلطة تؤكد استمرار سياسة التعذيب وسوء المعاملة، وأن الاعتقال المطول بمعزل عن العالم الخارجي في الفترة التي تلي عملية الاعتقال مباشرة تؤدي إلى تسهيل وقوع التعذيب، ورغم ذلك لم تقم السلطات بالتحقيق في شكاوى التعذيب أو بتقديم المسؤولين عن ممارسته إلى العدالة. وإن اعتقال أنصار حماس المشتبه فيهم مرتبط بصورة مباشرة بالضغط الذي مارسته (إسرائيل) والولايات المتحدة على السلطة الفلسطينية للقبض على الأشخاص المشتبه في ارتكابهم أعمالاً «إرهابية».

[جريدة السبيل الأردنية، العدد: (٣٣٩)]

شاهد من أهلها

من النادر أن تلتقي مثقفاً عربياً يعرف أصول الثقافة الغربية معرفة جيدة؛ فعندما تلتقي أحد هؤلاء يشرع في الحديث عن الأوضاع السياسية في بلاده ولا يخرج عن ذلك أبداً. وهذا يدل على أنه غير قادر على ابتكار الأفكار، لذا فهو يلجأ إلى الثرثرة حتى يغطي جهله، كما أضيف أن المثقفين العرب لا يهتمون بالمعرفة بمعناها الحقيقي والعميق. فهم لا يعرفون لا السينما ولا الموسيقى ولا المسرح ولا أي شيء آخر، إنهم خامدون متبلدو الذهن، يعيشون حياة خاوية بعيدة كل البعد عن الخلق والابتكار والإبداع، حتى تاريخهم يجهلونه.

ما ينتج يدعو إلى الفكر، لكن أصحابه لا يفكرون، وهذه هي معضلة الفكر العربي في الفترة الراهنة. وأضيف بأن العرب يعطون قيمة كبيرة لأركون وأمثاله، لأن هؤلاء يعيشون في الغرب لا أكثر ولا أقل، ولو قرؤوهم جيداً، لما وجدوا في كتاباتهم ما يمكن أن يغني العقل والمعرفة. [المثقف التونسي!! هشام جعيط، مجلة الوسط، العدد: (٤٣٩)]

كلام «كافي»

إن الأزمة القائمة سياسية أساساً، وهي مطروحة مع طرف معين هو ما يعرف في لغة الحكم بـ «الحزب المحظور» وكان رأيي وما يزال أن البحث عن حل لهذه المشكلة السياسية يكون بالدرجة الأولى مع قيادة الجبهة الإسلامية للإنقاذ، فهذا هو أقصر طريق لإخراج البلاد من الوضعية الراهنة. ولا ينبغي ذلك طبعاً مشاركة القوى السياسية الأخرى بطريقة أو بأخرى في الحل السياسي الشامل.

ثم ما هو البديل لهذا الطرح الذي يقال تجاوزته الأحداث؟ هل هي «سياسة الرحمة» التي طبقت في عهد زروال؟ أم «سياسة الوئام المدني» المطبقة حالياً؟

إن هذه البدائل ليست سوى ضرب من ذر رماد في العيون، ونوع من سياسة الهروب إلى الإمام التي لا يمكن أن تقفز فوق حقيقة الأزمة المآسي اليومية المتولدة عنها. [الرئيس الجزائري السابق، علي كافي، مجلة الوسط، العدد: (٤٣٩)]

خلافهم نعمة.. للحقيقة

قللت وزارة الداخلية البريطانية من شأن الادعاءات التي روجها برنامج تلفزيوني أمريكي مفادها: أن بريطانيا فيها من العنف والجريمة ما هو أسوأ مما في الولايات المتحدة نفسها، ووصفت الوزارة هذه الادعاءات بأنها تنم عن تبسيط كبير للواقع، وكان التقرير التلفزيوني المذكور الذي تتبع أخبار حادث اغتصاب تعرضت له مدرِّسة أمريكية في لندن قد وصف شوارع وأسواق لندن بأنها كساحات الحرب ومرتع للمجرمين. ووصفت شبكة سي بي إس الأمريكية التي بثت التقرير المجتمع البريطاني بأنه واحد من أعنف المجتمعات الحضرية في العالم الغربي، وقالت إن احتمالات التعرض للاعتداء والسرقة في لندن أكبر مما هي في الولايات المتحدة.

لكن وزارة الداخلية ردت بغضب على ما جاء في البرنامج الأمريكي، وادعت بأن احتمال التعرض لجريمة القتل في الولايات المتحدة أكبر سبع مرات منها في بريطانيا، كما أن احتمالات التعرض لإطلاق النار أكبر بستين مرة. لكن تقريراً أصدرته وزارة العدل الأمريكية يشير إلى أن معدلات جرائم الاعتداء والسرقة وسرقة السيارات أعلى في بريطانيا مما هي في الولايات المتحدة. ولم ترحب السلطات السياحية البريطانية بالتقرير التلفزيوني الأمريكي، وتصر على أن بريطانيا لا تزال بلداً آمناً وممتعاً للزائرين.

[موقع هيئة الإذاعة البريطانية، http://www.bbcarbic,com]

ذباب وذباب

عانى المغرب هذه السنة أزمة احتباس المطر وانتشار الجفاف في كثير من مناطقه كما عانى في الوقت نفسه جائحة الطماطم وخَمَجَها (فسادها) أما المصيبة الأولى فأسبابها الطبيعية يختلف حولها علماء الأجواء والمراصد ولكلٍّ تفسيراته وتعليلاته المقبولة وغير المقبولة، ولكن المؤمن يعلم أن المصيبة تلك هي نتيجة شيوع الفواحش والمنكرات والظلم والجهر بالمعاصي والسكوت عن ذلك والرضى به، بل ربما جرى تقنين بعض تلك المنكرات والمعاصي كالخمور والزنا والربا المقنن وإشاعة أخبار الفاحشة خلال المجتمع بحجة حرية الرأي وحقوق الإنسان.

أما الطامة الاقتصادية الثانية فهي فساد الطماطم وخمجها وما أصابها من جائحة لم يشهد المغرب لها مثيلاً في تاريخه القديم والحديث، وقد اتفقت جميع الصحف ومصادر الإعلام على أن السبب في ذلك «البذور» المستجلبة من الدول الصديقة «إسرائيل» وكان من بركة هذه (البذور) ظهور الذبابة البيضاء التي أفسدت محصول الطماطم، وهذا أيضاً عقاب من الله لمن يتولى هؤلاء القوم الذين لا يقصرون في المساعي الحثيثة لتخريب اقتصاد المغرب وغيره وكذلك أخلاقه ودينه. ولكن الأخطر من هذه الذبابة البيضاء هي الذبابات الملونة: الحمراء والسوداء والصفراء التي تجتاح المغرب في نواحي كثيرة من حياته: فتفسد في الإعلام، وفي التربية، وفي التعليم، وفي الثقافة والفكر. وفي الاقتصاد والتجارة، وفي المدرسة، وفي الشارع، وفي الأسرة. وقد امتلأت أجواء المغرب بأسراب من هذا النوع من الذباب المسموم الذي [صنع] خصيصاً لإفساد الحياة الإسلامية الطاهرة النظيفة ببلاد المسلمين.

[د. عبد السلام الهراس جريدة الحجة المغربية، العدد: (١٣٠)]

مرصد الأخبار

قال لاري جونسون المسؤول السابق في وزارة الخارجية الأمريكية عن مكافحة الإرهاب إن «عدد الأمريكيين الذين ماتوا من لدغات العقارب أكبر بكثير من الذين قتلوا في هجمات إرهابية أجنبية في السنوات الخمس الماضية. إلا أن ذلك لم يمنع الهيئة الوطنية لمكافحة الإرهاب من المبالغة في وصف التهديدات الإرهابية». وأضاف لاري - وهو محلل سابق في وكالة الاستخبارات الأمريكية ويعمل حالياً مديراً عاماً في شركة استشارية متخصصة في قضايا غسيل الأموال -: «نحن في حاجة إلى مفهوم أكثر اتزاناً في هذا المجال. هل هناك احتمالات لسقوط أعداد ضخمة من الضحايا؟ الإجابة: نعم! ولكن لسنا في حاجة لإعادة اختراع سياسات مكافحة الإرهاب».

[جريدة الشرق الأوسط، العدد: (٧٨٨١)]

تعليق على الأحداث

وكم من «سوهارتو» في ديار المسلمين؟

في لفتة كريمة وتفضل كبير ألمحت عائلة الرئيس الإندونيسي السابق سوهارتو إلى إمكانية تقديمها «تبرعاً» بنصف ما تملكه للشعب الإندونيسي، ويأتي هذا الكرم «السوهارتاوي» بعد الملاحقات القضائية للعائلة الكريمة التي استولت خلال حكمها في إندونيسيا - والذي استمر ٣٢ عاماً - على ثروة تقدر بـ ٤٥ مليار دولار حسب المصادر الرسمية، وفي تصريح لسوهارتو نفسه صرح أنه على استعداد للتنازل عن ٢٥ مليار دولار في مقابل التوقف عن ملاحقته قضائياً، وقد علق الرئيس الحالي عبد الرحمن واحد أن هذا المبلغ «التبرع» كفيل بسداد ديون إندونيسيا كلها.

وإن كان هذا المبلغ البسيط الذي طابت نفس العائلة بالتبرع به أو افتداء نفسها به هو بهذا الحجم، فكم تخفي الأرقام من حقيقة غير ظاهرة، ونسأل: كم من سوهارتو في ديار المسلمين؟ وكم سيسعد الناس إذا عادت إليهم أموالهم؟

الاختلاط.. نظرة مقلوبة

مُني التيار الليبرالي في الكويت بصدمة كبيرة لإقرار مجلس الأمة الكويتي منع الاختلاط في الجامعات الخاصة، وراحت الأقلام ترمي بسهامها المسمومة وألفاظها الجارحة هنا وهناك في إشارة واضحة إلى الحسرة والشعور بمرارة الهزيمة التي أحس بها «بنو علمان» ونأخذ من «القبس» قبساً من كلامهم فيقول أحدهم وهو د. أحمد الربعي: «أخطر ما يواجه الدين هو أن يصعد على منابره متاجرون يلعبون بالمبادئ، ويتلونون حيثما تحلو لهم سفن التلون بهدف الوصول إلى كرسي في برلمان أو زعامة في قبيلة، أو موقع متقدم في وظيفة، يصلون إليه من خلال منصب حزبي!!

هناك تحالفات سياسية جديدة في الساحة أظهرتها «معركة» الجامعات الخاصة، وهي تحالفات بين أطراف لا جامع بينها، ولا يربطها رابط، وهي تحالفات سياسية ترفع شعار الدين والأخلاق بهدف الوصول إلى مصالح لا علاقة لها في النهاية بالشريعة ولا بالأخلاق». ويضيف آخر، وهو سعود السمكة: «لا أدري لماذا يربط رافعو شعار منع الاختلاط في الجامعات الأهلية ـ من الذين يتسترون بستار الدين ـ بين الاختلاط والرذيلة؟!

إنها نظرة دونية وتوصيف تحقيري للمجتمع عامة، نساءاً ورجالاً، باعتبار أننا كمجتمع ليس لدينا ما نفكر به سوى الجنس!!». ونختم بكلام حسن العيسى حيث يقول: «لا يفترض أن نخجل مما يحدث لدينا من معارك فكرية كان من المتصور أن تحدث قبل خمسمائة عام في عصور المرأة الجارية وحكايات شهرزاد عن العفاريت والبساط الطائر، لا في زمن المساواة في الحريات وثورة الاتصالات والمكوك «كولومبيا»؟ نخجل لأنهم هناك غارقون في معرفة واستنباط الجزء الأعلى من الإنسان في عقله وخلايا فكره، ونحن غارقون في هموم الجزء الأسفل من الإنسان، وكيف تلجمه عصا الوعاظ؟ ألا يستحي فقهاء السلفية العلمية في حملتهم الكبرى مع قانون منع الاختلاط أن ينعتوا حركتهم بـ «العلمية» وكأنهم على قدم المساواة مع علماء مختبر «هيوارد هيوز» ومعامل «كوليتر» ومن سيكون له الفضل في إطالة عمر الإنسان وتوفير سبل السعادة له، بينما رفاق «السلفية العلمية» لا همَّ لهم غير التنكيد على الإنسان وإشغاله بمعارك طواحين الهواء وطواحين الاختلاط؟

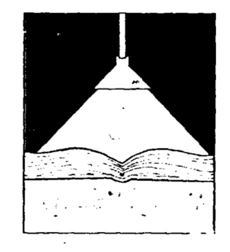
أنا أشعر بالخجل الحضاري من علماء «الجينوم» عندهم عندما أطالع أدبيات علماء الجن لدينا».

ونحن لا ندافع أو نهاجم توجهاً بعينه ولذاته، وإنما لما يحمله ويقدمه هذا أو ذاك من خير أو شر، وكم نخشى أن يأتي الوقت على بني علمان ليقولوها صراحة: ﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾. [الأعراف: ٨٢].

جس نبض إعلامي للتطبيع

في مسرحية ساذجة أثيرت ضجة كبيرة حول زيارة وفد إعلامي جزائري إلى «إسرائيل» وفي تصريح ناري أعلن الرئيس الجزائري أنهم «ليسوا منا ولا نحن منهم» في الوقت نفسه الذي كان الرئيس في زيارة لفرنسا وكان في استقباله هناك السفير الإسرائيلي «إلياهو بن إليسار» كما قام الرئيس أثناء الزيارة بالتعريج على رؤساء الجالية اليهودية في فرنسا.

وسبق هذه الزيارة المقابلة التي تمت مع رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود باراك في مراسم وداع العاهل المغربي الحسن، وقبل ذلك وبعده وأثناءه الأنباء التي تأتي عن التعاون في المجال الزراعي والدوائي وغير ذلك بين البلدين، لقد بلغت هذه المسرحية حداً كبيراً من الاستخفاف بعقول الناس، حيث إنهم يريدون زيادة أواصر الثقة مع اليهود في ذلك الثوب الجديد من أثواب التضليل الإعلامي، وقد كشف رئيس الوفد الإعلامي الجزائري عن مهتهم بعدما أحس «بزيادة العيار» عن حده الطبيعي وعن الدور المتفق عليه فقال: لسنا خونة وزيارتنا تقدم خدمة وطنية لأمتنا!!



الأبحاث تحت المجهر

أبحاث لها طعم الدم واللحم

الهيثم زعفان

انتشرت في الآونة الأخيرة في بعض الدول العربية مراكز وشركات تعمل في حقل الأبحاث التسويقية لبعض المنتجات الاستهلاكية، واتضح فيما بعد أنها جزء من برنامج بحوث الشرق الأوسط الممول بواسطة مؤسسة - فورد الأمريكية - التي تقول عنها الكاتبة السورية (حميدة نعنع): «مجرد ذكر اسم (فورد فونديشن) يجرنا إلى نقاش مستفيض حول تاريخ هذه المؤسسة والأدوار التي لعبتها في بعض دول أمريكا اللاتينية والهند وزيمبابوي، وهي أدوار كان ظاهرها المساعدة الإنسانية بينما استخدمت هذه المساعدة لإجراء بحوث ودراسات انتهت كلها إلى مكاتب المخابرات الأمريكية»(١).

وما سوف نتحدث عنه في هذه المقالة يُعدُّ عرضاً مختصراً للدور الفعلي الذي تقوم به إحدى هذه الشركات في عاصمة دولة عربية كبرى؛ حيث يُخيَّل لغير المطَّلع أن المسألة في ظاهرها إجراء بحوث ذات طابع تسويقي تجاري؛ إلاَّ أن حقيقتها هي جمع معلومات تعطي تفصيلات دقيقة عن المرأة داخل محيط المنزل مع دراسة الحياة الخاصة لفئة محددة من فئات المجتمع عملاً بقاعدة: الوصول إلى الخصوصية من خلال العمومية.

فريق عمل الشركة يتكون من إداريين وطنيين:

والباحثون (ذكوراً وإناثاً) الذين يقومون بجمع البيانات هم إما جامعيون أو من خريجي المعاهد المتوسطة أو ممن لا يزالون طلاباً، ومعظمهم لم يسبق له إجراء مثل هذه البحوث، وهم يتقاضون

---

(١) حميدة نعنع: زمن الطعنات في الظهر، الأهالي، ١٧ سبتمبر، ١٩٨٦م.

أجوراً تبدو بالنسبة لهم عالية، كما أنهم يحصلون على مكافآت ترتبط بدرجة إتقانهم في جمع البيانات، أما المشرفون فهم ينتقون من الباحثين والذين اكتسبوا خبرات بحثية متعددة داخل الشركة.

وبعد أن تنتهي عملية ملء استمارات البحث يتوقف دور الجهاز الوطني السابق، ثم تدخل العملية مرحلة جديدة يقوم فيها جهاز آخر من العاملين - الذين يحملون جنسيات شرق آسيا - بمهمة تفريغ البيانات المطلوبة والتي ليست لها علاقة بالمنتج الذي يقومون بتسويقه، ثم تفرغ البيانات وتنقل مباشرة عبر أجهزة الكمبيوتر إلى الخارج.

ويرأس الجهاز بكامله مدير أمريكي الجنسية يقيم في الطابق الثاني عشر إقامة كاملة؛ في حين أن كل أعضاء الجهاز يعملون في الطابق الثاني في مبنى ضخم في أرقى أحياء تلك العاصمة العربية وفي موقع حيوي داخله.

الاستمارة التي تجمع من خلالها البيانات يتراوح عدد صفحاتها بين ١٠ صفحات و١٥ صفحة من الورق ذي الحجم الكبير، وهي مكتوبة بالعربية والإنجليزية، والجزء العربي مكتوب بالعامية الدارجة، وفي ذلك ضمان عدم اختلاط المعاني عند المبحوث (المجيب) وبذلك لا يحدث خلل في الإجابات.

٩٥٪ من الأبحاث التي تقوم بها الشركة تحمل نموذجاً داخل الاستمارة يطلق عليه: (LSM) وهذا النموذج يمثل ٨٠٪ من استمارة البحث وهو عبارة عن مجموعة من الأسئلة الشخصية التي ليست لها علاقة بالمنتج المراد تسويقه. الـ ٥٪ الباقية عبارة عن أبحاث تسويقية لا تضم النموذج السابق، وفي الغالب لا تتعدى ثلاث صفحات.

بعد نزول الباحثين إلى ميدان جمع البيانات يقوم المشرف بتقسيم المنطقة تقسيماً دقيقاً تبعاً لتخطيط جغرافي تضعه الشركة.

بعد ذلك يقوم الباحث بطرق أبواب البيوت التي تم تحديدها، ثم يقوم بتقديم نفسه بالصورة الآتية: (صباح / مساء الخير. أنا اسمي .... من شركة أبحاث تسويق اسمها .... واحنا بنعمل «نحن نعمل» بحث عن عادات الناس والحاجات اللي بيحبوها «التي يحبونها» واللي مش بيحبوها «والتي لا يحبونها» واحنا «ونحن» حالياً بنعمل بحث في «هذه» المنطقة دي، ونحب أن حضرتك تشتركي معانا «معنا» في البحث ده. ممكن تديني «تعطيني» دقائق من وقتك للإجابة على شوية «بعض» الأسئلة؟ شكراً)(١).

وبملاحظة استمارة البحث نجد أنها غير مدون عليها اسم الشركة، ولكن على الباحث أن يذكر الاسم شفهياً؛ وبذلك تخرج الشركة من خلال ثغرة قانونية تعفيها من مسؤولية الاستمارة.

بعد أن يقدم الباحث نفسه يطلب التحدث إلى أنثى تبلغ من العمر ١٨ - ٤٥ سنة ثم يقوم بجمع البيانات الأولية الخاصة بها وذلك على النحو الآتي:

---

(١) العبارات المنقولة عن الاستبيان جرى معالجتها نقلاً من العامية إلى الفصحى.



«اسم عائلة المجيبة - الاسم الأول للمجيبة - العنوان «المنزل، المنطقة، مفتاح المنطقة، الشارع، علامة مميزة، رقم تليفون المنزل، رقم تليفون العمل».

وتنهى المقابلة إذا كانت المبحوثة أو أي أحد من أفراد أسرتها أو أصدقائها المقربين يعمل في أحد المجالات الآتية: (أبحاث تسويق - صحافة - دعاية - إعلانات - علاقات عامة - شركات توزيع وبيع سلع استهلاكية - بعض الشركات (مسماة) وهي عبارة عن توكيلات لشركات عالمية تعمل في المجالات نفسها التي تدَّعي الشركة أنها تسعى لتسويق منتجاتها).

إنهاء المقابلة على هذا النحو يحقق الإيحاء لدى نساء المنطقة عند مناقشة هذا الحدث بأن هذه الشركة تتمتع بأخلاق حميدة وبذلك تبدد أي شكوك في أمر هذا البحث، ولكن الأهم من ذلك أن السيطرة غير المباشرة من قِبَل بعض الجهات الأجنبية على معظم المجالات السالفة الذكر يجعل من اليسير الحصول على معلومات محددة عن فئة معينة من خلال الأقارب والأصدقاء العاملين في تلك المجالات - بحسن نية - وهنا يتضح تعبير الكاتبة «سناء المصري»: (الجميع تحت المجهر ولا أحد خارجه)(١). وفي ذلك توضيح لأهمية عدم التحدث داخل العمل أو خارجه عن خصوصيات أي قريب أو صديق مقرب يشغل منصباً رفيعاً، أو يعمل في مجال حيوي.

ومن الأساليب التي يحاولون من خلالها إقناع الأشخاص أن الهدف تسويقي هو ذلك النموذج الذي يضم الأسئلة الشخصية؛ فهناك سؤال يقول: «هل تم مقابلتك في أي بحث تسويقي عن أي منتج من (هذه) المنتجات دي خلال الـ ١٨ شهر اللي فاتوا؟ (الماضية) «مسحوق غسيل - معجون أسنان - شامبو شعر - زيت شعر - كريم بشرة - صابون غسيل - سائل لغسيل الأطباق - صابون حمّام - مبيِّض - منظف متعدد الأغراض - ولا واحد من دول)؟

إذا كانت هناك مقابلة سابقة فإن المقابلة الحالية تلغى، وهذا قد يشير إلى أن جميع شركات التسويق تصبُّ في منبع واحد مما يسهل استرجاع البيانات المطلوبة. في حالة عدم إنهاء المقابلة فإن الباحث يطلب من المجيبة اختيار العبارة التي تصف وظيفة المجيبة ووظيفة عائل الأسرة الرئيس وكل عبارة تضم تحديد الوظيفة بالضبط. وهذا مثال لبعض الوظائف التي وردت بالعبارات:

(ضباط جيش درجة ثانية - مديرون - موظفون إداريون رئيسيون - أصحاب شركات كبرى - موظفون حكوميون على مستوى عالٍ - ضباط جيش).

يستأنف الباحث أسئلته مطالباً وصف الحالة التعليمية الحقيقية للمجيبة ولعائل الأسرة. ثم يسأل عن وجود عضوية في أي نادٍ رياضيٍّ، ودرجة هذا النادي، وهل المجيبة أو أحد من أفراد الأسرة سافر إلى الخارج، وماذا كان غرض السفر: (عمرة - حج - عمل - تعليم - سياحة)؟

---

(١) سناء المصري: تمويل وتطبيع (قصة الجمعيات غير الحكومية)، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٢٧.

يأتي بعد ذلك دور الأسئلة المتعلقة بالحالة الاقتصادية فيسأل الباحث المجيبة عن (الدخل الإجمالي للأسرة - الأجهزة الكهربائية الموجودة بالمنزل بالتحديد - السيارة (العدد الموجود). ثم يقوم الباحث - دون توجيه أسئلة - بملاحظة درجة رقي المنطقة السكنية ونوع السكن وتدوين ذلك. ثم يطلب الباحث من المجيبة الإجابة عن السؤال الآتي: (دلوقتي أنا عايز حضرتك «الآن ممكن تذكرين» تقولي لي كل «كم أفراد» أسرتك من الإناث اللي عمرهم يتراوح بين ١٨ - ٤٥ سنة، ممكن أعرف أعمارهم؟).

ومما يجعل السيدة لا تبالي وهي تعطي للباحث كل هذه المعلومات الخاصة هو خوفها إن أغلقت الباب ورفضت الإجابة أن يقال عنها إنها متخلفة ومتزمتة، علاوة على عدم إدراكها لقيمة المعلومة التي تعطيها نظراً لحجمها الصغير؛ وذلك لأنها لا تنظر إلا لنفسها فقط، ولا تعلم أن «ورشة العمل» يتم فيها تجميع المعلومات الصغيرة لتكون نسيجاً كبيراً يعطي مؤشرات أوضح لأهداف خفية.

ولعل الخبر الذي أوردته بعض الصحف عن فستان للأميرة ديانا يوضح كيف أن الشيء الدقيق إذا تم تجميع متشابهاته يكون شيئاً ثميناً يعبر عن معانٍ كثيرة. هذا الخبر مفاده: «مايكل لام - رجل الأعمال الأمريكي - يعتزم قص ثوب سهرة للأميرة ديانا إلى نحو أربعة ملايين قطعة وعرضها للبيع كتذكارات لجمع ١٠٠ مليون دولار تخصص لمساعدة أطفال العالم الثالث، ومن المقرر أن تبلغ مساحة القطعة الواحدة ٢ ملليمتر مربع وتباع بـ ٢٥ دولاراً»[١]. فالمعلومة التي تعطيها المجيبة يمثل حجمها - في بعض الأحيان - حجم قطعة واحدة من فستان الأميرة الراحلة.

ننتقل الآن إلى الأسئلة التسويقية الخاصة بالمنتج؛ فهناك سؤال يتكرر مع اختلاف المنتج وفي الموقع نفسه من الاستمارة.. يقول السؤال: (أي ماركة صابون الحمام اللي حضرتك بتستعمليها الأيام دي للاستحمام «الذي تستعملينه عند الاستحمام») إذا كانت المجيبة تستخدم المنتج الذي يتم تسويقه تنهى المقابلة!!

الذي يعني مالك أي مؤسسة هو إحراز المكسب وتجنب الخسارة، وعلم التسويق يقدم له من الأساليب ما يحقق ذلك الهدف دون التطرق إلى خصوصيات المستهلك؛ فلماذا لا ينطبق ذلك على مثل هذه الشركات؟

هذه الشركة تنتهج أسلوب التدرج والاستدراج؛ ويتضح ذلك عند الانتقال من مشروع بحثي إلى آخر؛ فهناك بعض الأسئلة التي توضح هذا الأسلوب والتي جاءت جميعها في استمارة واحدة، وهذه الأسئلة تحتاج إلى نظرة موضوعية حتى يمكن الكشف عن مكنونها:

س: يا ترى! كم مرة في اليوم بتستحمي بصابون حمام؟

[مرة في اليوم - مرتين في اليوم - ٣ مرات في اليوم - مرة كل يومين - أقل من كده] تنهى المقابلة إذا كانت الإجابة «أقل من كده».

(١) الأهرام: فستان ديانا الممزق، ٢٢ فبراير ٢٠٠٠، السنة ١٢٤، العدد: ٤١٣٥٠، الصفحة الأولى.

س : وامتى «متى» بتستحمي بصابون الحمام؟

[الصبح لما باصحى «عند القيام» من النوم ـ الصبح بعد الإفطار ـ بعد الغذاء ـ بعد الظهر (العصر) ـ بعد العشاء ـ بالليل قبل ما أنام ـ أخرى حدد].

س : وما درجة حرارة الماء اللي بتستخدميها للاستحمام الأيام دي بصابونة حمّام؟

[بارد جداً ـ بارد ـ دافي يكاد يكون بارد ـ دافي يكاد يكون ساخن ـ ساخن ـ ساخن جداً].

س : حضرتك عادة بتستعملي صابوم الحمام لأي أغراض؟

[غسل الأيدين ـ غسل الوجه فقط ـ غسل الوجه والجسم ـ غسل الرأس (الشعر) ـ غسل الجسم فقط «بدون الوجه» ـ غسل الملابس].

كلمة «الاستحمام» هنا في «البيان» تحمل معاني كثيرة. لكن بالتدقيق في إجابات هذه الأسئلة نجد أنها تشير إلى بعض الأشياء الهامة؛ فمن خلال درجة حرارة الماء وعدد مرات الاستحمام يتم معرفة درجة الاستقرار النفسي والفسيولوجي للمرأة، ومن ثم تتضح طبيعة العلاقة الزوجية.

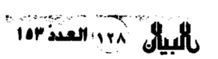
هناك نوع آخر من الأبحاث التي يطلق عليها (تسويقية) ـ والتي تقوم بها هذه الشركة ـ هدفها مساعدة وسائل الإعلام على معرفة عادات المستهلكين لما يقدمه التلفاز والمواعيد والبرامج التي تناسبهم؛ وهذه أبحاث خاصة ـ في الغالب الأعم ـ بالأسر التي لديها أطباق استقبال القنوات الفضائية (الدش) والبحث فيها طويل المدى، وتقوم فيه الأسر بتدوين البرامج والقنوات التي يحرصون على مشاهدتها بصورة منتظمة وتدوين ذلك في أجندات خاصة تسلم للباحث كل فترة من الزمن. وبهذه الصورة يسهل تقسيم المجتمع إلى شرائح، وبث الجرعات المركزة بما يناسب كل شريحة؛ ولعل ذلك يتفق مع ما قاله (وليام كار) الذي كان رئيساً لاتحاد الجمهور المسيحي Federation of christ. Lay-man حيث يقول : «يقوم عملاء المؤامرة بالتسلل إلى كل طبقات الشعب ومستويات المجتمع والحكومة بهدف خداع عقول الشباب وإفسادها عن طريق تلقينهم النظريات الخاطئة»[1] وذلك عند تناوله للمخطط الذي وضعه ماير روتشيلد عام ١٧٧٣م في فرانكفورت وهو مخطط يبين طبيعة المؤامرة التي رسمها هؤلاء للسيطرة على الثروات والموارد الطبيعية واليد العاملة في العالم .

استقبال المرأة لشخص أجنبي في منزلها قد ينجم عنه عواقب وخيمة؛ وعلاوة على ذلك فإن البحوث الميدانية لها أخلاقيات متعارف عليها دولياً، ولكنها لم توضع في الاعتبار عند إجراء الشركة لبحوثها ومنها :

١ – عدم التطرق لخصوصيات المبحوث، كما أن البيانات تدوّن كما يراها المبحوث لا كما يراها الباحث.

---

(١) وليام غاي كار : أحجار على رقعة الشطرنج [ترجمة سعيد جزائري]، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة عشر، ١٩٩١م، ص ٧٧ـ ٨٦.



٢ - الجهات البحثية (الرسمية) عندما تعتزم إجراء بحث معين فإنها تعلن عن ذلك في الوسائل الإعلامية مع تحديد أغراض البحث.

٣ - وجود خطاب موجه من الجهة البحثية إلى المبحوث يتضمن تعهداً قانونياً بسرية البيانات، مع الالتزام بعدم كتابة أية علامات تميز هوية المبحوث.

معرفة المعلومات الخاصة بالمرأة - خاصة إذا كانت زوجة شخص ذي وضع معين - بالطرق التقليدية للجاسوسية يتكلف مبالغ طائلة قد تتعدى المليار دولار، وربما لا تأتي بالنتائج الإيجابية، ولعل ما يوضح هذه النقطة الفضيحة التي ذكرها وليام كارو والتي مفادها: «بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م بفترة وجيزة أُسِّسَ في بريطانيا نادٍ سرِّيٌّ تكلف مبالغ طائلة، وقد قام هذا النادي بتوفير كل وسائل الترفيه والتسلية وتسهيلات المتعة وسُمِّي هذا النادي بـ «النادي الزجاجي» «وقد أُسس ناد يماثل هذا النادي تماماً في ضواحي مدينة مونتريال بكندا خلال الحرب العالمية الثانية».

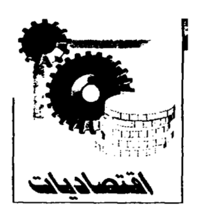
ولقد استُخدم نظام الجاسوسية في النادي؛ فكل عضو - رجلاً كان أم امرأة - كان جاسوساً على الآخرين ينقل أخبارهم إلى رؤسائه، فتتكون من الإخباريات معلومات كانت تطبع وتسجل فيما يسمَّى «الكتاب الأسود» فيُذكر في هذا الكتاب عيوب الأفراد ورذائلهم ونواقصهم الخاصة ونقاط ضعفهم، كما تُذكر أوضاعهم المالية وأحوالهم العائلية ومدى تعلقهم بأقربائهم وأصدقائهم، كما تدون صلاتهم وتأثيراتهم على كل من رجال السياسة المرموقين ورجال الصناعة ورجال الدين. والمحاولة الوحيدة - قبل الفضيحة - لكشف حقيقة هذا النادي آلت إلى الكتمان في حين أن ذكر «الكتاب الأسود» كان قد تم وصوله إلى البرلمان وإلى الصحافة، فكانت سياسة الحكومة تميل إلى الاعتقاد بأن فضيحة بهذا الحجم قد تسبب كارثة وطنية في وقت يواجه فيه الجيش ضربات بحرية وبرية وجوية قاسية، عندئذ بدأت الصحافة (التحررية) تهاجم رئيس الوزراء مما أدى إلى استقالة الحكومة برئاسة السيد اسكويت ١٩١٦م»[١].

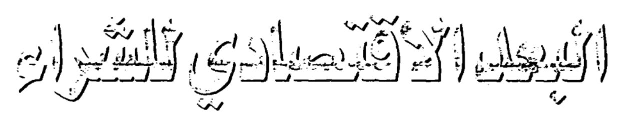
هذه الفضيحة مثال للجاسوسية التقليدية وما تتكبده من ضرائب عالية الثمن، ومن ثمَّ فإن طريق الأبحاث التسويقية يكون أيسر وأفيد ولا يتكلف إلا عدة ملايين من الدولارات. وبصورة شبه رسمية (الجاسوسية المقننة) تقول سناء المصري عنها: «وبدلاً من التقارير المقتضبة المأخوذة من أجهزة الدولة والأعوان غير الخبيرين بشؤون البلاد تأتيها التقارير الآن من أبعد النقاط المغلقة في صورة أبحاث لها طعم الدم واللحم»[٢].

---

(١) وليام غاي كار: المرجع السابق، ص ١٨٤ - ١٨٧.

(٢) سناء المصري: مرجع سبق ذكره، ص ٣٧.





د. زيد بن محمد الرماني

«ذات يوم أوقف الفاروق عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ابنه عبد الله (وقيل جابر بن عبد الله) ـ رضي الله عنهم ـ وسأله: إلى أين أنت ذاهب؟ فقال عبد الله: للسوق. فقال له الفاروق: لماذا؟! فأجاب: لأشتري لحماً، وسوَّغ ذلك الشراء بأنه اشتهى لحماً فخرج للسوق ليشتري بعضاً منه، فقال له الفاروق: أكلما اشتهيتَ شيئاً اشتريتَه؟»[1].

إنها حكمة اقتصادية خالدة، وقاعدة استهلاكية رشيدة، خاصة ونحن نشهد في أيامنا هذه سباقاً محموماً يترافق معه أساليب تسويقية جديدة، وأساليب إعلانية مثيرة، ووسائل إعلامية جذابة، ودعايات كثيفة من أجل الشراء والمزيد منه.

وقد تبيَّن من خلال تحقيقات عديدة أن شريحة واسعة من الناس تشتري ما لا تحتاج، وتستهلك من المنتجات والسلع أكثر من اللازم.

يقول وليام بنّ: «إن ما ننفقه على أغراض الزينة الزائفة يكفي لكساء جميع العراة في العالم»[2].

وهكذا أصبحت حياتنا المترفة تملأ البطون بما لذّ وطاب، وتغذي الأرواح بأشياء فارغة وفاسدة؛ فكم هو سخف الإنسان الذي يتظاهر دوماً بالذكاء والمعرفة!

يقول سمايل: «إن الحياة السهلة المترفة لا تدرّب الرجال على بذل الجهد أو مواجهة الصعاب، ولا توقظ فيهم تلك المقدرة اللازمة للجهد الفعال في الحياة»[3].

---

(١) أثر الفاروق: أورده ابن أبي الدنيا، إصلاح المال، دار الوفاء، المنصورة، ١٤١٠هـ، ص ٣١٢.

(٢) قول وليام بنّ: وضع العالم ١٩٩١م، ليستر براون، الجمعية المصرية لنشر الثقافة، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٢٤٤.

(٣) قول سمايل: وضع العالم ١٩٩١م، ليستر براون، مرجع سابق، ص ٢٥١.

بعض الرجال يعتبر اهتمام النساء الزائد بالموضات وبضرورة التجاوب معها انعكاساً لعدم تحلّيهن بقدر كاف من المعقولية في التفكير.

يقول علي غلوم: «الشائع بيننا أن المرأة أكثر إسرافاً من الرجل، سواء في ملبسها أو إنفاقها، ولكن هناك من الرجال مَنْ هم أكثر إسرافاً في أموالهم وسلوكهم ومقتنياتهم؛ فالأمر نسبي ويرتبط بحجم ما يتوفر لدى الفرد من مغريات نحو الإسراف»(١).

وتقول صباح المالكي - في معرض حديثها عن الإسراف -: «من أسباب الإسراف حاجة المرأة لتملك بعض الأشياء التي ترى أنها في حاجة إليها لتجميل منزلها، أو لإضفاء البهجة على الأسرة والأبناء بوجه خاص من ألعاب وملابس واحتياجات»(٢).

وتؤدي الأنانية والنفعية الشخصية في كثير من الأسر والمجتمعات إلى الإسراف في استغلال مصادر الدخل.

ومن ثم ظهر على الساحة هوس تسوقي غريب وإدمان شرائي كبير، وحمى استهلاكية عجيبة، يؤجِّج ذلك كله إعلانات مثيرة ودعايات جذابة ومسابقات مغرية وحوافز مشجِّعة.

وأكثر الإعلانات أثراً هي تلك التي يمكن إعادتها بصيغات متعددة، وفي أماكن يمكن رؤيتها من قِبَل أعداد كبيرة من الناس كبرامج التلفزيون المحبّبة للمشاهدين والصحف والأسواق المركزية.

تقول فوزية خليل - في معرض مشاركتها في تحقيق حول «هوس التسويق عن المرأة» -: إن هوس التسوق عادة ما يكون انفعالياً، ويمثِّل عند المرأة طريقة تعويض عن معاناة عاطفية، أو نتيجة حرمان أو قلق أو تعاسة زوجية أو قلة حنان، وقد يكون هذا الهوس التسوقي عند النساء أكثر شيوعاً(٣).

وفي التحقيق نفسه تقول بدرية هطيري: هناك من النساء من يشترين أغراضاً ليست ضرورية ولا في حدود إمكانياتهن، ويدفعن بالرجال إلى دفع الكثير من أجل إرضاء رغباتهن الجنونية.

ومن أهم نتائج تحقيق أجري حول «الإعلانات التجارية والإسراف»: الإعلانات تدفع المرأة للشراء والمزيد منه، كما أن المرأة تشتري السلعة عادة على سبيل التجريب نتيجة الإعلان عنها(٤).

---

(١) علي غلوم: تحقيق «هوس التسوق عند المرأة»، جريدة المدينة، عدد ٩، ١٤١٠هـ، ص ٢٢.

(٢) صباح المالكي: تحقيق «هوس التسوق عند المرأة»، مرجع سابق، ص ٢٣.

(٣) فوزية خليل: تحقيق «هوس التسوق عند المرأة»، مرجع سابق، ص ٢٢.

(٤) تحقيق: «الإعلانات التجارية والإسراف»، جريدة اليوم، عدد ٦٨٣٢، ١٤١٢هـ، ص ١١.

والمسابقات العديدة تغري الأطفال بالشراء بكثافة، ووصل التحقق إلى نتيجة مهمة: الإعلانات التجارية مسؤولة إلى حد كبير عن دفع الناس إلى الإسراف وخاصة المرأة، جرياً وراء التفاخر والمباهاة أو حباً للاستطلاع أو رغبة في التقليد.

"المرأة تشتري السلعة عادة على سبيل التجريب نتيجة الإعلان عنها"

إن عادة التقليد بين الناس لا تقتصر على قطر من الأقطار أو جنس من الأجناس، بل إنها عادة عالمية يصعب تغييرها.

إن النفس البشرية نفس لا تشبع، وفي الوقت نفسه لا تقنع؛ فهي طُلَعة لكل نوع، متشوِّفة لكل شكل، فضولية لكل لون.

نعوذ بالله من عين لا تدمع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تقنع، ومن بطن لا يشبع، ومن دعاء لا يستجاب له.

التخمة، والسمانة، والسرف، والتبذير، والترف، والتبديد، والاستنزاف، وتلال النفايات والقمامة، والترهل، واللامبالاة، وكفر النعمة... ما هذه إلا بعض آثار لا شك أنها تتولد من السلوك الشرائي غير المنضبط، ومن الإدمان الاستهلاكي غير المتزن، ومن الإنفاق البذخي غير الرشيد.

إن صناديق القمامة تشهد أكياساً من الزبالة وألواناً من النفايات المنزلية أشبه بالتلال نتيجة الاستهلاك المنزلي الشره، وصدق من قال: إن الاستهلاك هو طوفان التلوث القادم(١).

فإذا أضفنا إلى ما سبق شيوع أخلاقيات الأنا والحسد والجشع والمباهاة والتقليد وكسر قلوب الفقراء والمساكين والمحتاجين واختلال الميزانيات الأسرية والاستدانة، فإن هذا كله يستلزم أن نقف في وجه الوحش الاستهلاكي والغول الشرائي والإدمان الإنفاقي والهوس التسويقي من أجل أن يغلق - وبشكل نهائي - الملف الأسود للاستهلاك في كل بيت، وعند كل أسرة وداخل كل مجتمع وفي أي دولة.

---

(١) صناديق القمامة: للكاتب، مقالة بعنوان: مَن المسؤول عن أكوام القمامة، مجلة المستقبل الإسلامي، الرياض، عدد ٨٥، ١٤١٩هـ، ص٤.

إننا لو جمعنا كل ما ينفق على الأمور التافهة في صندوق موحد ، ثم أُنفق هذا على إزالة أسباب المأساة من حياة الكثيرين لصلحت الأرض وطاب العيش فيها .

وإذا تمثلت أعمالنا بالتدبير وحسن التصرف فإننا نستطيع التخلص من النقيضين وهما : الإفراط في الإنفاق والاستهلاك ، وحالات العوز والفقر ؛ إذ يمكن للأول سدّ حاجات الثاني بحيث يقترب النقيضان إلى معدل معقول .

إننا نرحب بالمعلومات الجيدة التي يجري تفسيرها بتعقل ، ولكننا لا نريد من أطبائنا الاقتصاديين إخفاء الحقائق عن المريض .

أيها المستهلك! اسعَ لأن تكون سعيداً لا ثرياً ؛ ففي السعادة قناعة لا يوفرها الثراء ، وإن أردت السعادة فوجّه اهتمامك إلى قضاء حاجاتك الأساسية ، ولا تكترث بما هو زائد عنها ، ولتكن حاجاتك قليلة ، واقضها بنفسك .

وفي الختام أقول : هل ما زلنا مصرِّين على أن نشتري كل ما نشتهي؟ إذا كانت الإجابة بـ (نعم) فإن علينا أن نواجه مستقبلاً مخيفاً وغولاً خطيراً ، ونهاية سيئة ، وإن كانت الإجابة بـ (لا) فعلينا أن نصحح أوضاعنا ، ونقوِّم استهلاكنا ، ونرشِّد إنفاقنا لنكون أفراداً صالحين ، ولنبني مجتمعاً متماسكاً ، ولنحافظ على هوية أمتنا الإسلامية(١) .

---

(١) الملف الأسود للاستهلاك : للكاتب ، مقالة بعنوان : فيروس الاستهلاك متى يموت؟ مجلة الدعوة ، الرياض ، عدد ١٦٠٢ ، ١٤١٨هـ ، ص ٥٢ .



الحضارة والتحضر

السقوط في التبعية الاصطلاحية

محمود سلطان

عندما انتقد «جاكوبز وستيرن»، مصطلح «حضارة» ووصفه بأنه «مصطلح فضفاض مشكوك في قيمته»[1] كان يعني أن ثمة طعناً على صدقية الاجتهادات التي تصدت لتعريف المصطلح، ولأنها - أي تلك الاجتهادات - يشوبها شكوك في حيدتها العلمية، على الأقل، وربما يكون اتساع شقة الخلافات بين علماء السوسيولوجيا (علماء الاجتماع) حول المضمون المعرفي للمصطلح - والذي لا يزال قائماً حتى الآن - هو الذي حمل «جاكوبز» على انتقاد النزعة نحو الإسراف في الاحتكام إلى مصطلح (حضارة) ومشتقاته في قياس مستويات تحضر المجتمعات. بيد أن ثمة ملاحظات أخرى أكثر أهمية، هي - في اعتقادنا - في طليعة الأسباب التي تدعونا إلى عدم الارتياح «للوظيفة المعيارية» للمصطلح، ولعل أبرزها: أن الصياغات المختلفة التي تناولته يُشْتَمّ منها رائحة التحيزات الأيديولوجية والسياسية والعرقية (السلالية) بشكل واضح، وإذا علمنا أن جل هذه الصياغات قد خرجت من تحت عباءة علم الاجتماع الرأسمالي (أو الاشتراكي) الغربي، فإن استخدام المصطلح، لم يكن بريئاً (للأغراض العلمية)، وإنما دخل حلبة «التنظير الأيديولوجي» للحضارة الغربية، على النحو الذي يحفظ «للأخيرة» استعلاءها (وازدراءها) لثقافة الآخرين وحضارتهم.

فعندما استخدم Kant كلمة حضارة بمعنى «السلوك» قوبل بنقد شديد، خاصة من علماء الاجتماع الغربيين في الوقت الحديث من الذين عاصروا صعود الرأسمالية الغربية في الفترة من أواخر القرن التاسع عشر إلى أوائل القرن العشرين، وكانوا - في غالبيتهم - شديدي الحرص على

---

(١) راجع ايكه هولتكرانس، قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفلكور، ترجمة د. محمد الجوهري - د. حسن الشامي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٩م، ص ١٧٨ - ١٨٤.

استبعاد الاتجاهات التي ثبت في يقينها أن الحضارة تعبر عن الإنجاز « الروحي والأخلاقي » للأمة! إذ إن التسليم بهذا التعبير الأخير يعني تراجع الحضارة الغربية من مركزيتها الاستعلائية لتتبوأ منزلة أدنى ، وهي المكانة التي يأبى الغربيون أن يروا حضارتهم فيها ، ومن ثم درجوا على استخدام « فائض المادي » معياراً للحضارة ؛ إذ إن هذا الاستخدام - وبحكم تقدمهم التكنولوجي - يُدخِل لهم إحساساً « زائفاً » بالتفوق الحضاري.

نذكر هنا - على سبيل المثال لا الحصر - أن ألمانيا في عهد النازية الهتلرية ، والولايات المتحدة الأمريكية حتى عشية الحرب العالمية الثانية كانتا تفتقران إلى أي مشروع أخلاقي (أو إنساني) يمكن أن يحملاه إلى العالم ؛ فالأولى ارتكزت إلى « التفوق العرقي » الذي أباح للألمان اجتياح العالم وتدميره بوحشية ، أما الثانية فكان يطاردها شؤم الإبادة الجماعية للهنود الحمر ، بالإضافة إلى افتقارها إلى التراكم الحضاري الممتد عبر التاريخ ، أي أنهما كانا يعانيان - بوعي أو بغير وعي - من عقدة العجز عن القيام بدورهما الرسالي ، ولم يجدا عوضاً عن هذا العجز إلا أن يشهرا في وجه العالم (تقدمهما المادي) لإيهامه بأنهم الأكثر « تحضراً »! ولقد شارك واحد من أبرز علماء الاجتماع الألمان ، وهو « الفريد فيبر » - والذي عاصر صعود الهتلرية - في تزييف الوعي بمفهوم « الحضارة » للتستر على السقوط الأخلاقي للنازية ؛ حيث حمل على كل من رأى في الحضارة تعبيراً عن الإنجازات الروحية للشعوب ، واعتبرها دلالة على « العلم والتكنولوجيا فحسب » وبالمثل نحا علماء الاجتماع الأمريكيون المنحى نفسه ، حتى إن « ميرتون » استبدل في مؤلفاته - عشية إلقاء القنبلة الذرية على مدينتي (هيروشيما) و (ناكازاكي) اليابانيتين - كلمة « حضارة » بمصطلح « المستوى التكنولوجي » ، تمهيداً لتسويق النموذج الأمريكي في التكنولوجيا والاقتصاد والأنساق السياسية ، والذي كان يقفز قفزات واسعة ، نحو « العولمة » في ذلك الوقت.

وكان أبرز تجليات « خروج المصطلح » وانفلات صياغاته عن « الحياة العلمية » ودخوله ساحة « التحيزات الأيديولوجية » هو ظهور مصطلح « حضارة الأطلسي » الذي زعم أن الأوروبيين استوطنوا أمريكا وأن حضارة الأخيرة كانت بالنتيجة وثيقة الصلة بأوروبا بالمعنى الاقتصادي والسياسي والأيديولوجي. ولا شك في أن الدعاية لهذا المصطلح كان يهدف إلى إثبات أن أمريكا دولة « قديمة » وأنها ليست « مقطوعة » حضارياً ، وأنها سليلة الحضارة الأوروبية من جهة ، والتأكيد على وجود « جذور » تاريخية بين الحلف العسكري - السياسي الراهن ، وبين المنظمة المعروفة باسم « حلف شمال الأطلسي - الناتو » من جهة أخرى[1].

---

(١) راجع. ج. ب. قراتسوف ، نقد علم الاجتماع البرجوازي ، ترجمة : رجاء أحمد ، مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي ، نيقوسيا - براغ ، ١٩٨٨م ، ص ١٢٥ ، ١٢٦.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن التعريف الذي وضعه «تايلور» E.B.Tylor لمفهوم «الحضارة» في كتابه «الثقافة البدائية» لا يزال يحظى برضى قطاع ليس بالقليل من علماء الاجتماع والأنتروبولجيا الأكثر رشداً واستنارة في العالم وقبولهم له، ويصفه «جي روشيه» بأنه أكثر التعريفات جنة[1]. وقد استخدم «تايلور» مفهومي: (ثقافة، وحضارة) بمعنى واحد، ويمكن لأحدهما أن يحل محل الآخر؛ إذ يقول في مطلع كتابه: «إن الثقافة أو الحضارة، بالمعنى الأثنوغرافي الواسع للكلمة هو هذا المجموع المتشعب الذي يضم المعارف والمعتقدات والفن والقانون والأخلاق والتقاليد وجميع الإمكانات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في مجتمع معين»[2].

لقد اقترب هذا التعريف من المضمون الأكثر قبولاً لمفهوم الحضارة، وأعاد للبعد الروحي والأخلاقي مكانته المركزية في تقييم درجات «التحضر» والتخلف لدى الشعوب، وفي هذا الإطار يقول د. حسين مؤنس: «فقد يكون الأمي البسيط أقرب إلى مفهوم الحضارة من المتعلم، بل المتبحر إذا كان الأول محتفظاً بمستواه المعنوي وكرامته الإنسانية متمسكاً بالفضائل خالياً ـ ما أمكن ـ من الأحقاد والمطامع، وإذا كان الثاني قد انتقل من يده ميزان القيم واضطرب مقياسه الخلقي والمعنوي»[3]، أي أنه ليس من الضرورة أن يفرز مجتمع متقدم مادياً «حضارةً» تفي بحاجات بنيه، فربما تمنحهم الإحساس «باللذة الحسية» ولكنها تفتقر إلى منظومة القيم التي تشعرهم بالأمان؛ فالمجتمع العربي المسلم ربما يعتبر «متخلفاً» إذا ما تم النظر إليه بمعايير «التقدم المادي»، ولكن التزام أبنائه بالزكاة مثلاً أو بالهدي النبوي الشريف: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[4]، يعد أكثر تحضراً من نظيره الغربي المتقدم عنه مادياً والذي يستقي قيمه وتقاليده من «تمجيد الفردية» التي جعلت الإنسانَ ذئباً لأخيه الإنسان» كما وضح ذلك «هوبز».

ولقد أدت سيادة التعريفات الغربية المتحيزة لمفهوم الحضارة (الذي بيناه في مستهل هذه الدراسة) في أوساط النخبة العربية المتأوربة إلى الانزلاق في مأزق «التبعية الفكرية والثقافية» للدول الصناعية الكبرى، ويظهر ذلك بجلاء عندما تستشار ـ هذه النخبة ـ حول الإشكالية التي لم ينفضّ الجدل بشأنها، منذ بدايات القرن الحالي وإلى الآن وهي: ماذا يؤخذ من الغرب المتقدم، وماذا يُرَدُّ؟ إذ يكاد هؤلاء يجمعون على أن يؤخذ كل ما تنتجه أوروبا ولا يرد منه شيء، أي نقل «الآلة» بجانب «الحضارة»

---

(١) راجع جي روشيه، مدخل إلى علم الاجتماع العام «الفعل الاجتماعي» ترجمة، مصطفى شلبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، طبعة ١٩٨٣م، ص ١٣١.

(٢) صدر كتاب «تايلور» بإنجلترا عام ١٨٧١م.

(٣) راجع د. حسين مؤنس، الحضارة، طبعة الكويت ١٩٧٨م، ص ٥٣ ـ ٥٧.

(٤) رواه البخاري، ح/٥٥٥٢.

أو الثقافة أو مجموعة القيم السائدة التي تطورت الآلة في كنفها، وقسر الواقع العربي أو جلده إلى أن ينصاع لها أملاً في إحداث «ثورة» صناعية توازي تلك التي ينعم الأوروبيون بها. ولعلنا نتذكر دعوة «طه حسين» الشهيرة، في بداية هذا القرن في كتابه المثير للجدل «مستقبل الثقافة في مصر»[1] حين دعا صراحة إلى أن نحذو حذو أوروبا في حلوها ومرها، خيرها وشرها..! بل إن الأمر تطور إلى ما هو أخطر من ذلك؛ إذ حلت «قيم» الغرب محل المعيار الرباني الخالد «القرآن والسنة» في قياس القيم السائدة في المجتمع، وما ينفع المسلم وما يضره؛ حيث قاس «قاسم أمين» قيماً حضارية إسلامية كـ «الحجاب» مثلاً بمعايير «حضارة» الغرب؛ لأنه الطرف «الأكثر تفوقاً مادياً» إذ يقول: «هل يظن المصريون أن أولئك القوم (يقصد الأوروبيين) بعد أن بلغوا من كمال العقل والشعور مبلغاً مكنهم من اكتشاف قوة البخار، والكهرباء، يتركون الحجاب بعد تمكنه عندهم لو رأوا فيه خيراً؟ كلا!»[2].

وقاسم أمين ليس استثناءاً؛ إذ إن رواد ما يسمى بـ «حركة النهضة العربية الحديثة» اعتقدوا جميعاً أن «الحضارة» هي وليدة عبادة «العلم»، أو أن يحل «العقل» محل «الله»!! ولعلنا نذكر دعوة «شبلي شميِّل» إلى الاستعاضة عن الدين بالعلم وبالأخص العلم الطبيعي «الإلحادي»[3]، وإلى هذا النحو ذهب أقرانه من دعاة «الظلامية» والمتخذين من «التنوير» واجهة للتخريب الفكري والعقلي الذي مارسوه باسم الاستنارة والتحديث.

وصفوة القول هنا: أن الحضارة هي مرادف آخر لتشكيلة من القِيم الأخلاقية المنبثقة من أسس دينية «إما من نبوة أو من دعوة حق» كما يقول ابن خلدون[4]، وتأسيساً على ذلك «التحضر» يعني «التدين» لأن المتدين يضبط علاقاته بالمجتمع والكون والعالم «مبدأ» أخلاقي معين، بينما من يتحرر من سلطة القيم والمثل والأخلاق يعطي نفسه الحق في الحصول على ما يبغي، ولو كان على حساب الآخرين. ولنا أن نتوقع ما يمكن أن يحدث لو أن المجتمع يشكِّله مثل هذا الأنموذج الوحشي من البشر؛ إن النتيجة التي لا يمكن تحاشيها هي «حرب الجميع ضد الجميع».

فالحضارة أو التحضر ـ إذن ـ هي منهج هداية يضبط علاقة الإنسان بمحيطه الاجتماعي (والمادي أيضاً)، وإن غياب هذا المنهج يعني: الاستباحة والتحلل الأخلاقي، والتفسخ الاجتماعي، يعني: «التخلف» بمعناه الشامل.

---

(١) صدر هذا الكتاب عام ١٩٣٨م.

(٢) نقلاً عن جمال سلطان، جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث، مركز الدراسات الإسلامية، برمنجهام ـ بريطانيا، الطبعة الأولى ١٩٩١م، ص ٥٨، ٥٩.

(٣) انظر: السيد ولد أباه، أزمة التنوير في المشروع الثقافي العربي المعاصر، إشكالية نقد العقل نموذجاً، مجلة الكاتب العربي، السنة ٩ العدد ٢٨، تصدر عن الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، طرابلس، ليبيا، ص ٤١.

(٤) مقدمة ابن خلدون، طبعة دار الدعوة، بيروت، ١٩٨١م، ص ١٢٤.





الغيبة

بدر السحيل

يتورع الكثير من المسلمين عن اللحوم المستوردة ـ لا سيما المعلبة منها ـ ويتوقَّوْن في ذلك أشد التوقِّي مخافة أن تكون من اللحوم المحرمة، أو أن تكون قد ذبحت على خلاف الطريقة الشرعية. وهذا سعي مشكور. ولكنَّ هناك لحوم لطُفت حتى خفيت على المتورعين، ولم تدركها رقابة المتوقِّين؛ والسر في هذا أن اللحوم التي رغب عنها المتورعون لحومٌ حسيَّة مشاهَدة، فلا تخفى على الرقابة؛ لأن الذي يتناولها يعالج أكلها. بينما الأخرى لا يحتاج إلى ذلك آكلها. وكلاهما يُسمى أكلاً، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: ١٢]. إنها «لحوم البشر .. الغيبة» نعم قد سماها الله ـ سبحانه ـ بذلك ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ﴾ وتكاثرت الأدلة على تحريمها وبيان خطرها وقبح التلبس بها.

فعن ابن مسعود قال: «كنا عند النبي ﷺ، فقام رجل فوقع فيه رجل من بعده، فقال له النبي ﷺ: تخلَّلْ. قال: ممَّ أتخلل؟ ما أكلتُ لحماً! قال: إنك أكلت لحم أخيك» [صححه الألباني].

تنبيه:

لقد انغمر الناس في هذه المعصية؛ ولا أدل على ذلك من واقع الناس، فترى أن الغيور على محارم الله أن تُنتهك عندما ينكر عليهم هذه الموبقة يُقابَل بإجابة تواترت عليها الألسنة وألفتها: «ألا تريدنا أن نتكلم» فسبحان الله كأنَّ الكلام كلَّه منحصر فيما حرَّم الله على عباده. فمن تأمل هذه المقولة تبين له مدى تمزيق الجسد الواحد نفسه بدلاً من أن يشدَّ بعضه بعضاً. وكأننا لم نسمع قول رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» [رواه البخاري، ح/٦١٣٥].

هذا هو جواب تلك المقولة؛ إذ ليس من الخير أن تقارف تلك الكبيرة؛ فالزم الصمت إن لم تقل خيراً فإن «من صمت نجا».

تساؤل:

لعلك تتساءل معي كيف يقع الصالحون على وجه أخص في هذه الموبقة على الرغم من أنهم أوْلى الناس بالبعد عنها؟ أقول: هناك أسباب أوقعتهم في ذلك يشترك معهم بقية الناس فيها. ومنها:

١ – موافقة الأقران ومجاملة الرفقاء؛ حيث يرى أنه لو أنكر عليهم استثقلوه فيما بينهم في ذلك.

٢ – التشفي، فكلما غضب من أحد شفى قلبه بغيبته.

٣ – إرادة رفع نفسه بتنقيص غيره والحط من قدره.

٤ – اللعب والهزل؛ فربما أراد أن يُضحك الناس بمحاكاة فلان وفلان في قوله وفعله.

٥ – الحسد؛ فإذا تكلم الناس بمدح لرجل قال: إن فيه وفيه، وأنا أخبر به منكم. فلا سبيل لديه للنيل من المحسود إلا القدح فيه.

٦ – كثرة الفراغ والشعور بالملل؛ فلا يجد شغلاً إلا بذكر عيوب الناس؛ وذلك لأنه لم يستغل وقته بطاعة الله؛ فالواجبات أكثر من الأوقات، والسلف كانوا يقولون: «النفس إن لم تشغلها شغلتك».

٧ – طلب موافقة الرئيس والمدير ومجاراته في تنقُّص من لا يحب من مرؤوسيه لنيل الحظوة لديه.

تأمل:

إنك تعاشر أقواماً لا يُحصَوْن كثرةً: منهم القريب، ومنهم الصديق الحبيب، ومنهم الأستاذ، ومنهم الجار؛ فاحذر غداً أن تراهم ماثلين أمامك بين يدي الله، ترى أحبابك وخلّانك يطلبون رد مظلمة أعراضهم منك!

تطاوعا ولا تختلفا

أكرم عصبان الحضرمي

إن المتأمل لشجرة الدعوة المباركة ذات الأصول الراسخة والفروع الشامخة يرى امتداد ظلالها الوارفة يوماً بعد يوم، وإتيان ثمارها اليانعة كل حين، إلا أن العواصف تتتابع لاجتثاثها، والأمراض تهدد نموها وانتشارها، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، ومن هذه الأمراض والعواصف عاصفة الاختلاف العاتية بين أبنائها.

ذلك الاختلاف الهائل الذي أدى إلى أمرين خطيرين:

١ ـ الشماتة بالدعاة ودعوتهم، فيكون التناقر والتنابز مجلبة لازدرائهم؛ حيث يجد المتربصون بالدعوة فرصة عظيمة للنيل من أصحابها والشماتة بهم، كما قال هارون لموسى ـ عليه السلام ـ حين أخذ برأسه: ﴿فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

٢ ـ انجفال المدعوين عن الدعوة، والنفرة من أصحابها لعدم اتفاقهم في الدعوة أو عدم مراعاة آداب الخلاف؛ ولذلك قال الرسول ﷺ لأبي موسى الأشعري ومعاذ ـ رضي الله عنهما ـ لما بعثهما إلى اليمن داعيين: «تطاوعا ولا تختلفا»[(١)]، وقد قيل لابن مسعود: عبتَ على عثمان ثم صليتَ أربعاً! قال: الخلاف شر[(٢)].

وللاختلاف والفرقة بين الدعاة أسباب عديدة، من أهمها:

أ ـ الدعوة إلى النفس أو الجماعة: إن الدعوة يجب أن تتمحض خالصة للكتاب والسنة، فيكون استتباع الناس بعلم: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ [مريم: ٤٣]، وهدفه الهداية إلى الحق: ﴿فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ٤٣]، ﴿اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٣٨]، وليحذر الداعي أن يقع في المحذور فيدعو إلى شخصه أو نهجه أو جماعته، وإلى هذا الأمر أشار القاسمي ـ رحمه الله ـ بقوله: «ولم تجد سبيلاً ـ الطوائف المختلفة ـ لاستتباع الناس لها إلا بالغلو بنفسها، وذلك بالحط من غيرها والإيقاع بسواها حسب ما تسنح لها الفرص وتساعدها الأقدار وإن كان بالسنان واللسان»[(٣)].

ب ـ الغبن والبغي: الغبن في حق الدعوات المخالفة من أعظم أسباب الاختلاف والفرقة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك: «لأنَّ إحدى الطائفتين لا تعترف للأخرى بما معها من الحق ولا تنصفها، بل تزيد على ما مع نفسها من الحق زيادات من الباطل والأخرى كذلك، ولذلك جعل الله مصدر الاختلاف البغي»[(٤)].

فعلى الداعية أن ينظر إلى سبق إخوانه في الخير والفضل، ويجعل من ذلك شفيعاً لهم في التأدب معهم في زلاتهم وهَنَاتهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في موسى ـ عليه السلام ـ حين ألقى الألواح، وجر بلحية أخيه، وفقأ عين ملك الموت: «لم يعتب عليه ربه؛ إنه وقف تلك المقامات العظيمة، وقاوم أكبر أعداء الله، وعالج بني إسرائيل. وذو النون لما لم يكن في هذا المقام سجنه في بطن الحوت من غضبة، وقد جعل الله لكل شيء قدراً»[(٥)].

ج ـ الانتساب المفرق: لا يكمن خطر الخلاف في تنوع العمل وتعدد الجماعات ـ غالباً ـ ولكنه في التعصب لهذا العمل أو ذاك، بحيث يصير معقد ولاء وبراء، ومحبة وبغض. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وإنما تفقه الرجل بطريقة قوم من المؤمنين مثل أتباع الأئمة والمشايخ فليس له أن يجعل قدوته وأصحابه هم العيار، فيوالي من وافقهم ويعادي من خالفهم»[(٦)]، وقال أيضاً: «ولا يحتاج الإنسان في ذلك أن ينتسب إلى شيخ معين، كل من أفاده إفادة دينية هو شيخه فيها، وليس لأحد أن ينتسب إلى شيخ يوالي على متابعته ويعادي على ذلك؛ بل عليه أن يوالي كل من كان من

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، للشيخ الألباني، ٣/١٤٢.
(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة، للشيخ الألباني، ١/٣٩٤.
(٣) كتاب الجرح والتعديل، لجمال الدين القاسمي.
(٤) اقتضاء الصراط المستقيم، ٤٠.
(٥) انظر مدارج السالكين، لابن القيم، ٢/٤٥٦.
(٦) الفتاوى، ٢٠/٨، وانظر: ٢٠/١٦٤، ٣/٣٤٧.

أهل الإيمان ومن عرف منه التقوى من جميع الشيوخ وغيرهم»(١).

د ـ الحسد: إن داء الحسد جر كثيراً من هذه المشاحنات بين الجماعات أو الدعاة، وهذه قصة تبين ذلك. قال الإمام الذهبي: كثر أصحاب الإمام البربهاري فاجتاز الجانب الغربي، فعطس فشمّته أصحابه، فارتفعت ضجتهم حتى سمعها الخليفة فأُخْبِر بالحال، فاستهولها، ثم لم تزل المبتدعة توحش قلبه حتى نودي في بغداد: لا يجتمع اثنان من أصحاب البربهاري، فاختفى(٢).

---

(١) الفتاوى، ١٢/٥١٢، وانظر: ١٢/٥١٤.
(٢) انظر: السير: ١٥/٩٢.

البداية صعبة ولكن!

سكينة الفرحان

جاء النبي ﷺ برسالته الخاتمة ـ الإسلام ـ إلى البشرية وبها تمام الحياة السعيدة للفرد والمجتمع وركّزتْ الشريعة على فهم أصول الدين وحثت على السير الجاد والأخذ بها لعبور هذه الحياة إلى جنة ورضوان ونعيم مقيم. وجعلت العقل مناط التكليف في الواجبات الدينية والأخلاقية.

فالعقل ـ مهتدياً بالوحي ـ يرقى بالإنسان في حياته فكرياً واجتماعياً ومنهجياً.

يمكن للمرء أن يكتسب في حياته علوماً وخبرات تجعله منافساً لغيره في مختلف الميادين والصُّعُد.. شأنه في ذلك شأن من تعلم الرماية فما يزال يمارسها حتى فاق معلمه، أو ذلك الذي تعلم نظم الشعر؛ فما زال يعالجه حتى هجا معلمه وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

أعلّمه الرماية كل يوم ... فلما اشتد ساعده رماني

وآخذه على نظم القوافي ... فلما قال قافية هجاني

قد تكون الممارسة في بدايتها صعبة وطرقها وعرة لكنها بعد حين من التصبر والتمرُّس تسهل معاناتها وتستطاب ثمراتها.

وإذا نظرناه من وجهه السلبي الآخر وجدنا أن بعض الناس يُستدرَجون إلى سلوك طرق الشهوات وامتطاء صهوات الملذات إما قصداً من أنفسهم أو خضوعاً لإغواءات آخرين من شياطين الإنس والجن!

تعقيب

عبد الله بن علي الحمدان

أود التنبيه إلى ما ورد في قصيدة: مشبب القحطاني «من البلقان إلى الشيشان» في العدد: (١٥١)، حيث قال في البيت العاشر في الشطر الأول: «يا رحمة الله» «وهذا من باب دعاء الصفة، والدعاء إنما يصرف لمن اتصف بها ـ سبحانه ـ لهذا فلا يجوز هذا الدعاء، وقد غلّظ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ النهي عن الدعاء بالصفة، وقال: إنه كفر.

ولا يسوغ الدعاءَ بالصفة جوازُ الحلف بها؛ فإن الحلف بها من باب التعظيم، أما الدعاء فهو عبادة، والعبادة لا تصرف إلا لله ـ تعالى ـ فكيف تعبد صفته ـ سبحانه ـ فتدعى؟

فدعاء الصفة لا يجوز، وأما التوسل إلى الله بصفاته فمشروع كما وردت به السنة وأدعية السلف، وكذلك الحلف بها جائز، لأنه من باب التعظيم» نقلاً من معجم المناهي اللفظية للعلامة بكر أبو زيد ـ حفظه الله ونفعنا بعلومه ـ ص ٥٧٩ باختصار.

يا دعاة الإسلام بشروا وأبشروا

عبد العزيز بن عبد الله الصالح

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، نبينا محمد عليه وعلى آله وصحابته أفضل الصلاة وأتم التسليم... وبعد:

فإن الناظر بعين البصيرة إلى واقع الأمة الإسلامية وما تمر به من فتن ومضلات يعلم مدى حاجة الأمة إلى الدعاة المخلصين والأئمة المهديين؛ ومن يرى أو يسمع عن الهزائم المتتالية والمصائب المتتابعة التي تمر بها الأمة يعلم علماً يقينياً أن هناك خللاً وتقصيراً، وثمة ثقب ينفذ منه الأعداء، ويلج منه أهل الفساد؛ ذلك أن المصائب والفتن المتتابعة تولد لدى بعض الدعاة خمولاً وهزيمة نفسية، كما أن تناقُلَ مثل هذه الأخبار والحديث عنها يورث يأساً وقنوطاً عند بعضهم؛ وها هنا مكمن الخلل وعين التقصير والنقص؛ ولست أدعو إلى التغافل عن هذه الفتن أو تركها، بل الواجب معرفتها ومعرفة كيفية محاربتها وصدها، ويجب مع هذا كله بث روح الأمل بنصرة الدين وإحياء هذا المفهوم وشحن النفس به[1]، خصوصاً أنه قد سرى في بعض النفوس يأس قاتل من نصرة الإسلام، فتقاعسوا عن العمل وأصابهم قنوط من هذا كله حتى أصبح أحدهم يعد الحديث عن نصرة الدين ضرباً من المستحيل أو حديثاً عن الخيال البعيد، وربما علل ذلك وبرهن له بمنطق من غاب عن وعيهم روح الإيمان، فصاروا يحاكمون الأمور إلى الأصول المادية البحتة؛ وإن المتأمل في سيرة المصطفى ﷺ يرى حرصه الشديد على غرس هذا المفهوم في نفوس الصحابة؛ ويتأكد ذلك عندما تشتد الفتن عليهم، ويتكالب عليهم أعداء الله من كل مكان؛ روى البخاري في صحيحه عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه، فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمنَّ اللهُ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه؛ ولكنكم تستعجلون»[2]؛ ويتكرر مثل هذا الموقف؛ ففي غزوة الأحزاب وعندما تكالب الأعداء على المسلمين من كل جانب يُحْيِي ﷺ هذا المفهوم ويغرسه في نفوس أصحابه، وذلك عندما اعترضت صخرة للصحابة وهم يحفرون الخندق فضربها ﷺ ثلاث ضربات فتفتتت، فقال إثر الضربة الأولى: «الله أكبر أُعطيت مفاتيح الشام والله إني لأبصر قصورها الحمراء الساعة، ثم ضربها الثانية فقال: الله أكبر أُعطيت مفاتيح فارس؛ والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض، ثم ضرب الثالثة، وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن؛ والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة»[3]. وكان موقف المؤمنين من هذه البشارة ما حكاه القرآن الكريم: ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢] [4].

إن نفوس الصحابة كانت مشحونة بكثير من الآلام والمخاوف، ويأتي مثل هذا الكلام ليكون برداً وسلاماً عليها.

قال ابن القيم معلقاً على قصة كعب بن مالك: «وفي استباق صاحب الفرس والراقي على سَلْع ليبشِّر كعباً دليل على حرص القوم على الخير، واستباقهم إليه، وتنافسهم في مسرة بعضهم بعضاً»[5].

وأي مسرة أعظم من المسرة بنصرة الدين!؟

إنك لتعجب أشد العجب عندما ترى بعض الدعاة يغفل عن مثل هذا المفهوم، فتسري في قلبه روح الهزيمة؛ فتجده واضعاً كفه على جبينه عندما يسمع خبر حدوث فتنة هنا أو هناك معلناً انهزاميته وتراجعه الكامل، وقد غفل عن سنة الله في كونه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣] والله غالب على أمره.

---

(١) ليس المقصود من الحديث ذكر الأحاديث الواردة في نصرة الدين، ولكن المراد إحياء مثل هذا المفهوم وغرسه في النفوس.

(٢) البخاري، ٧/١٢٦، كتاب الأنبياء، باب علامات النبوة.

(٣) رواه أحمد والنسائي بسند حسن.

(٤) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (٤٤٨) بتصرف يسير.

(٥) زاد المعاد (٢/٥٨٥).

* الإخوة: الذين أرسلوا يستفسرون عن شروط النشر في المجلة فنفيدهم بالآتي:

١ - أن يخدم الموضوع قضايا الأمة الإسلامية بتنوعها من خلال تصور أهل السنة والجماعة.

٢ - ألا يكون قد سبق نشره في مطبوعة أخرى.

٣ - أن تكون النصوص موثقة ومعزوة إلى مصادرها بذكر رقم الجزء والصفحة.

٤ - أن تخرَّج الآيات والأحاديث الواردة ضمن المشاركة.

٥ - أن تكون مكتوبة بخط مقروء وعلى وجه واحد من الورقة.

٦ - أن يرفق مع المشاركة وسيلة تواصل مع صاحبها «عنوان بريدي - بريد إلكتروني - فاكس - هاتف». وفقنا الله وإياكم لكل خير ومرحباً بمشاركتكم.

* الإخوة: طارق بن راشد الغفيلي، عبد الله سالم الغامدي، نبيل بن أحمد الزير: نعتذر عن نشر المشاركات التي وردت من قبلكما وذلك لتوجيهها إلى مطبوعات أخرى.

* الإخوة والأخوات: محمد عبد الرحمن «سلطنة عمان»، سارة بنت عبد الله: نرجو التكرم بإفادتنا بعنوان بريدي لمراسلتكم والرد على رسائلكم.

* الأخ: الذي أرسل ملاحظته حول الإعلان المنشور في المجلة عن المهرجان الإنشادي، نشكر لك هذه النصيحة؛ فالمؤمن مرآة أخيه، آملين أن يدوم التواصل والتناصح.

* الأخ: عبد الواحد العبد اللطيف: أرسل ملاحظات على مقال: «الأبعاد التربوية للحج» العدد ١٤٨، نشكر للأخ تواصله وملاحظاته وجزاه الله خيراً.

* الأخ: أحمد عبد الغني طه: نشكر لك تواصلك الكريم مع مجلتك، ونشكر لك ملاحظاتك. وفيما يتعلق بقضية الصحوة الإسلامية فنحسب أن افتتاحية العدد ١٥٢ قد تناولت ما أشرت إليه، وفقنا الله وإياك للخير والحق.

* الأخ: سعود الصاعدي: أرسل يقول: لقد أرسلت مقالات عدة، ثم أعود بالخيبة والخسران، فأجد أن مقالي ضرب به عرض الحائط ولم ينشر، والأمر الذي اتضح لي بالنسبة لاختياركم الموضوعات ليس هو بحسب جودتها ورصانتها وفائدتها، وإنما هو بحسب صاحب المقال، فإذا كان اسم صاحب المقال براقاً نشرتم مقاله، وأما إن كان غير ذلك ضربتم بمقاله عرض الحائط والله المستعان!! ونقول للأخ الفاضل إن هذا المفهوم غير صحيح؛ حيث إنه ترفض مقالات لكتاب من هيئة تحرير المجلة نفسها لعدم مناسبتها للنشر، والأصل أن المقال يقوَّم حسب مادته وما يقدمه من خدمة لدين الله، وكما لا يخفى عليك أن هناك من الناس من يرى عمله دائماً جديراً بالصدارة ولا يقبل وجهة نظر الآخرين في الحكم على عمله، وقد أرسلتَ إلى المجلة عشر مشاركات في الفترة من ٢٢/٦/١٤١٩هـ - ٤/٣/١٤٢١هـ، أجيز منها سبعة مشاركات في المنتدى وأُخبرتم بذلك في هذا المكان واعتُذر عن ثلاثة منها، وقد نشر أحدها. والمنتدى مليء بمئات المشاركات، ولا بد أن نفسح مجالاً لإخوانك. وفقنا الله وإياك لكل خير.

* الأخ: عمر الرماش: أرسل عاتباً كذلك على عدم نشر مشاركاته، ونفيد الأخ الكريم بأنه قد أرسل في فترة قصيرة من «٢٢/٢/١٤٢٠هـ - ٣/٣/١٤٢١هـ» ٢٧ مشاركة، والمجاز منها للنشر سيعدُّ لذلك بإذن الله في موعده. وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه.

* الإخوة: سالم أحمد البطاطي، رافت الحامد، حسن عبد العزيز الشقرماني، إبراهيم بن سليمان السدرة، إبراهيم داود، بدر ناصر العواد، صالح علي العمري: نشكر لكم تواصلكم الكريم ونفيدكم بأن مشاركاتكم مجازة للنشر.

* الإخوة والأخوات: محمد أبو الكلام آزاد، محمد سعد البريديسي، خالد عبد الرحمن الموسى، عمار البذيخي، محمد العشري، محمد عبد العاطي، أكرم عصبان الحضرمي، إبراهيم سعد الدنيني، سامي بن خالد الحمود، أحمد العجلان، وليد صالح الغرير، محمد الباشا، محمد بن أحمد الشنقيطي، سليمان بن عبد العزيز الربيني، مد الله عبد الكريم المديد، رفعت المرصفي، محمد عمر بكر، بدرية محمد «قد لا نصل»، أم الحارث السهلي: جزاكم الله خيراً على تواصلكم الطيب مع المجلة، ونفيدكم بأن مشاركاتكم مجازة للنشر في المنتدى.

* الإخوة والأخوات: مهنا الصاعدي، صالح بن سليمان العامر، ضيف الله العتيبي، ياسر علي الشمري، محمد علي أحراش، فيصل سعد الغامدي، عبد العزيز المغربي، فارس الشريف، محمد الروبي عبد الوهاب، سفر ناجي العلوي، جعفر عارف العطار، عبد الرحيم عبد الواحد، عبد الله سيد شعبان، صالح عبد الله الضرمان، علي بن سليمان الدبيخي، وليد سمكري، محمد سعد دياب، محمد سليمان حسن، محمود خليل، سالم فرج سعد، حامد مسفر العبدلي، نايف عقاب المطيري، أسعد التهامي، بدرية محمد، سوسن إبراهيم خليل، زينب عبد الله السعود: سعدنا بتواصلكم الكريم مع مجلتكم ونتمنى لكم التوفيق في مشاركات أخرى، وأبواب المجلة مفتوحة لمشاركات الجميع.



وأقفنا بين الـ (كم) والـ (كيف)

د. شاكر السروي

نخطئ كثيراً عندما ننساق ـ في زحمة الهموم وفي خضم السعي لتكثير سواد المسلمين ـ وراء الكم والحرص على تحصيله دون التأكد من الكيف والعمل على تحقيقه.

كما أن الصواب لا يحالفنا عندما نعتمد وسيلة تأليف القلوب بالماديات فقط مع المدعوين مهما امتد مكثهم بيننا.

بل إن الخطأ يكون أشنع عندما نعتمد هذه الطريقة أداة رئيسة في استبقائهم معنا، وربما ـ وفي أحيان كثيرة ـ تكون هي الأداة الوحيدة.

إن الأمر قد لا يكون بهذا الوضوح في واقع الدعوة، كما هو من الناحية النظرية؛ فقد يكون من المدعوين من يستمر في الطريق؛ لأنه يحصل على ميزات هي في مضمونها للدعوة، ولكنها تكون وسيلة لاجتذابه، لكونه المباشر لها، والقائم عليها، وتكون في ذلك قد وافقت منه حباً للظهور أو التصدر والرياسة، ويصحب ذلك من المربي ـ بقصد أو بدون قصد ـ عدم الحرص على تزكيته وربطه بالدار الآخرة؛ فيكون ـ والحالة هذه في نظر من ضعفت فراسته ـ شعلة من النشاط، وطاقة لا تنضب، وفارس ميدانه ووحيد عصره، إلى غير ذلك من الألقاب والنعوت، ثم يُمكَّن له أكثر فأكثر، ويتصدر ثم يتصدر، حتى إذا صلب عوده، واشتد ساعده لم يمكن بعد ذلك كبح جماحه فضلاً عن تزكيته.

ومثل هؤلاء قد لا يظهر عُوارهم في المألوف من الأحوال والأزمان، وإنما عندما تأتي سنن الابتلاء بالخير أو الشر، وعندها تكون ضرباتهم في مقاتل.

إن غرس مبدأ التطلُّع للآخرة والسعي لطلب مرضاة رب العالمين هو الأساس الذي قامت عليه الجماعة الأولى، والركيزة التي انطلق منها الرسول الكريم ـ عليه أفضل الصلاة وأزكى

التسليم - لبناء القاعدة الصلبة التي ثبتت وضحَّت وآثرت الآخرة على الأولى، فكانت ممن صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

جاء الأنصار في بيعة العقبة يُشارطون الرسول ﷺ، فلما عرفوا شرطَهُ، تساءلوا: ما لنا؟ فكان الجواب: «لكم الجنة».

فتربى على هذا الأمر الجميع والتزموه منهجاً، فلم تُغْرِهِمُ المغريات، ولم تفتنهم المفاتن، بل ضحُّوا في سبيل ذلك بكل غالٍ ونفيس، وضربوا في سبيل الثبات على المبدأ أروع الأمثلة في البذل والعطاء والتضحية.

فهذا مصعب بن عمير - رضي الله عنه - أنعم فتى في مكة يهجر كل لذة دنيوية، ويبذل كل البذل حتى يتوَّج ذلك بالشهادة في سبيل الله، ثم لا يُوجد له ما يُكفَّنُ به، فيُغَطَّى أسفله بورق الإذخر.

وهذا صهيب - رضي الله عنه - يترك كل تجارته في سبيل اللحاق بركب المصطفى ﷺ مهاجراً، وهؤلاء الصحابة يحفرون الخندق وقد ربطوا على بطونهم الحجارة، وإذا ما شبع أحدهم يوماً وقف مع نفسه وقفة المحاسبة والعتب والخوف أن تكون حسناته قد عُجِّلَتْ له!!

بل العجب لا ينقضي وأنت تقرأ حديث جابر - رضي الله عنه - الذي عند مسلم قال: «سرنا مع رسول الله ﷺ وكان قوت كل رجل منا في كل يوم تمرة، فكان يمصها ثم يصرُّها في ثوبه، وكنا نختبط بقِسِيِّنا ونأكل، حتى قرحت أشداقُنا، فأُقسم أُخْطِئَها رجلٌ منا يوماً فانطلقنا به ننعشه، فشهدنا أنه لم يُعطَها فأُعطيها فقام فأخذها»(1).

فعجباً لأولئك القوم يجاهد أحدهم بنفسه، ويسعى ليبذل روحه رخيصة في سبيل الله، حتى إذا أخطأته تمرة هي كل قوته في يوم كامل لم يكن له أن يأخذ عوضاً عنها وقد حُمِلَ حملاً من شدة الجوع - حتى يقيم البينة على ذلك!!

فما أحوجنا في زمن المغريات، والملهيات، ومع تكاثر من يبيع دينه بعَرَضٍ من الدنيا قليل، أن نكون أكثر حرصاً وأدق تمحيصاً للصف، وأن نعين إخواننا على تصحيح النوايا وتصويب المقاصد، ولا ننسى مع ذلك أن الأمر يقضى في السماء؛ فلنجتهد في الدعاء، ولنتزود بالتقوى. قال - تعالى -: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

---

(١) رواه مسلم، ح/ ٣٠١١.



المركز الرئيس:
AL BAYAN MAGAZINE
7 Bridges Place, Parsons Green
London SW6 4HW, U.K.
Tel : 0171 - 736 9060
Fax : 0171 - 736 4255



مجلة إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن المنتدى الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة
د. عادل بن محمد السليم

رئيس التحرير
أحمد بن عبد الرحمن الصويان

مدير التحرير
أحمد بن عبد العزيز العامر

هيئة التحرير
د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف
عبد العزيز بن مصطفى كامل
د. يوسف بن صالح الصغير
سليمان بن عبد العزيز العيوني
فيصل بن علي البعداني

سعر العدد
الأردن ٥٠ قرشاً، الإمارات العربية ٨ دراهم، أوروبا أمريكا ١,٥ جنيه إسترليني أو ما يعادلها، البحرين ٦٠٠ فلس، اليمن ٦٠ ريالاً، مصر ٢ جنيه، السعودية ٨ ريالات، الكويت ٦٠٠ فلس، المغرب ١٠ دراهم، قطر ٨ ريالات، السودان ١٠٠ ديناراً، سلطنة عمان ٦٠٠ بيزة.

EUROPE & AMERICA 1.5 (STERLING OR EQUIVALENT)



مهزلة تصدير الأتاتوركية!

من مهازل هذا الزمان أن يدعو من يسمى وزير (الشؤون الدينية) التركي إلى إعادة النظر في التجربة الأتاتوركية والاستفادة منها باعتبارها هي الإسلام الصحيح؛ مع دعوته في الوقت نفسه إلى إعادة النظر في تفسيرات القرآن والسنة بما يتفق ومعطيات العصر الحضارية، ومناشدة علماء الإسلام والمفكرين المسلمين إلى التداعي لطرح الإسلام من منظور عصري واقعي ومنطقي؛ لأن جميع الدول الإسلامية تطبق الإسلام بشكل خاطئ!! وأن ذلك ما سيعيد الاحترام والتقدير للإسلام الذي شوهه المتطرفون!

وبادئ ذي بدء فإنه من المتحقق أن فاقد الشيء لا يعطيه، ثم ما حقيقة الإسلام القائم في دولة تركيا سوى (أطلال باقية) على يد العلمانيين المتطرفين الذين تدخلوا في شؤون الأفراد وحرياتهم الخاصة حتى قننوا منع الإسلام باعتباره اتجاهاً مرفوضاً، وقننوا منع الحجاب للمرأة المسلمة، وعملوا على إضعاف المدارس القرآنية، ورفضوا رغبة الشعب التركي يوم اختار (الاتجاه الإسلامي) الذي حكم لفترة، فضايقوه حتى نُحّي وزُجّ برموزه في محاكم همجية تذكّر بمحاكم التفتيش: فماذا سيرغّب الناس في الأتاتوركية؟

إن الهراء الذي يطرحه الوزير المذكور (شنشنة معروفة) يطرحها المنحرفون حينما تبور سلعهم؛ وهيهات أن يغتر بها إلا الضالون.

ثم ماذا استفادت تركيا من (التجربة الأتاتوركية) سوى أن أصبحت ذيلاً بين الدول واضطرت بـ (ذلة) إلى طلب ود الغرب والانضمام إليه مع ما قدمته من تنازلات ثم تُرفض مع كل ذلك وتحكُّم (الدونمة) في أزمّة الأمور بتركيا حتى أصبحت بُعداً استراتيجياً للعدو الصهيوني؛ أما ديمقراطيتهم فهي صورة لا حقيقة لها والواقع خير شاهد. وحينما يصل الإسلاميون للحكم فإنهم ينحَّون بخطط معدّة سلفاً أو بانقلابات عسكرية يؤيدها الغرب، ونسي الوزير أن دعوته النشاز تلك ما هي إلا محاولة لإعادة الروح للجثة الأتاتوركية وهيهات أن تحيا بعد إخفاقها وموتها. وعزة تركيا بل عزة المسلمين جميعاً في التمسك بالإسلام الحق؛ وأوله: تنحية القوانين الأتاتوركية ذاتها التي تبعد الإسلام عن الواقع وتفصله عن الحياة؛ فنحن قوم أعزنا الله بالإسلام وهو طريقنا القويم للحياة الكريمة: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

مكاتب المنتدى الإسلامي ومجلة البيان

م	الدولة	المدينة	ص. ب	الهاتف	الفاكس
١	بريطانيا	لندن	ـــــ	٧٣١٨١٤٥	٧٣٦٤٢٥٥
٢	السعودية	الرياض	٢٦٩٧٠	٤٦٤١٢٢٢	٤٦٤١٤٤٦
٣	البحرين	المحرّق	٥٠١٦٣	٣٣٥٣٠٠	٣٣٦٣٠٠
٤	قطر	الدوحة	١٦٤٦٤	٣٥٢٢٨٢	٣٥٢٢٩٢
٥	كينيا	نيروبي	٧٧٨٠٢	٣٥٠٠٥٢٦	٥٠٠٠١٥
٦	غانا	أكرا	٢٠	٢٣٥٧٦٦	٢٣٥٧٦٧
٧	بنغلاديش	دكا	١٢٠٧	٩٨٠٢٠١٥	٩٨٠٣٠٠٥
٨	السودان	بور تسودان	٦٩٥	٢٢٥٣٣	٢٢٥٣٣
٩	مالي	باماكو	E٢٠٣	٢٢٣٢٠٣٩٠٩	٢٢٣٢٠٣٩٠٩
١٠	جيبوتي/الصومال	جيبوتي	٣٢٨٠	٣٤١١١٣	٣٤١١١٣
١١	تشاد	أنجمينا	١٧٨٩	٥١٨٥٩١	٥١٨٥٩٠
١٢	توجو	لومي	١٠٧٤	٢٦١٦١١	٢٦١٦١١
١٣	نيجيريا	كانو	٢٦٣٥	٦٣٧١٩٠	٦٣٧١٨٠
١٤	بنين	كوتونو	٤١٩٣ـ٠٣	٣٠٣٩١٩	٣٠٣٩١٩

المراسلات والإعلانات

الدول العربية:

السعودية : مكتب مجلة البيان ـ ص.ب ٢٦٩٧٠ـ الرياض : ١١٤٩٦ـ هاتف ٤٦٤١٢٢٢ ـ فاكس ٤٦٤١٤٤٦.

قطر: الدوحة، ص.ب: ١٦٤٦٤، هاتف: ٣٥٢٢٨٢، فاكس: ٣٥٢٢٩٢.

البحرين: المحرّق مكتب دار البيان، ص.ب ٥٠١٦٣ـ هاتف ٣٣٥٣٠٠ـ فاكس ٣٣٦٣٠٠.

البريد الإلكتروني: bayan@naseej.com.sa

أوروبا وأمريكا:

AL BAYAN MAGAZINE 7 Bridges Place, Parsons Green London SW6 4HW, U.K. Tel : 071 - 736 9060 Fax : 071 - 736 4255

■ الاشتراكات ■

بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيها استرلينيا
أوروبا	٢٠ جنيها استرلينيا
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيها استرلينيا
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيها استرلينيا
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيها استرلينيا

الحسابات

- **السعودية**: شركة الراجحي المصرفية للاستثمار فرع الربوة شارع الأربعين حساب مجلة البيان رقم ٢١٠٠ : ٧.
  - مصرف فيصل الإسلامي حساب رقم: ٠٠٢ـ ٤٥١٤ـ٤٢ـ١٠٩.
  - الشركة الإسلامية للاستثمار الخليجي حساب رقم ٦٣٤٩٢٤.
- **الإمارات**: بنك دبي الإسلامي (فرع دبي) رقم الحساب ٥٥٤٦٥٢٤.
- **قطر**: مصرف قطر الإسلامي حساب رقم: ٨٧٨٨٥٥ زكاة ٨٧٨٣٨٣ صدقات حساب مجلة البيان: بنك قطر الدولي الإسلامي رقم: ٢٤٢٠٧٠٠٧١.

AL MUNTADA AL ISLAMI EDUCATIONAL TRUST
National WestMinister Bank PLC Fulham Branch
45 Fulham Broadway London SW6 1AG
Sorting Code No. 60-22-16
A/C NO: 44348452

الموزعون

- **السعودية**: مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦، الرياض ١١٥٥٧، هاتف: ٤٦٤٦٦٨٨ ـ فاكس: ٤٦٤٢٩١٩.
  - الشركة الوطنية للتوزيع: هاتف: ٤٨٧١٤١٤ ـ فاكس: ٤٨٧١٤٦٠.
- **المغرب**: سوشبرس للتوزيع، الدار البيضاء، ش جمال بن أحمد ص.ب ١٣٦٨٣ ـ هاتف: ٤٠٠٢٢٣ ـ فاكس: ٢٤٦٢٤٩.
- **اليمن**: مكتبة دار القدس، صنعاء: ص.ب ٣٦٠٠ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة، هاتف: ٢٠٦٤٦٧.
- **السودان**: شركة النحوي للتجارة والتوزيع المحدودة، الخرطوم: ص.ب ١٠٣٧١ ـ هاتف: ٧٧٤٣٣٦ـ٧٧١٥٤٧.
- **مصر**: القاهرة ـ ش الجلاء ـ الأهرام للتوزيع، هاتف وفاكس: ٥٧٤٧٠٢٣.
- **الأردن**: الشركة الأردنية للتوزيع، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف: ٦٣٠١٩١، ٦٣٥١٥٣، فاكس: ٦٣٥١٥٢.
- **الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان**: شركة الإمارات للطباعة والنشر، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩، هاتف ٦٢٢٣٩٢٠، فاكس ٦٦٣٢٧٦٨.
- **قطر**: دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة هاتف: ٦٦٢٤٤٤، فاكس: ٦٦٢٤٥٠.
- **الكويت**: شركة الخليج لتوزيع الصحف والمطبوعات: ص.ب: ٤٢٠٥٧ الشورقح ٧٠٦٥١ ـ هاتف: ٤٨١٦٨٨٥ ـ فاكس: ٤٨٣٦٦٦٨.
- **البحرين**: مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ـ المنامة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ـ٥٣٤٥٦٦، فاكس ٥٣١٢٨١.






علم النفس والسياسة وفن الخداع

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فمن العلامات المميزة في التخطيط عند الغربيين: دخول دراسات علم النفس في جميع المجالات العملية التي تمس حياة الكائن البشري؛ فهناك علم النفس العام بجانب علم النفس التربوي، وعلم نفس النمو، وعلم النفس الصناعي، وعلم النفس الاجتماعي، وعلم النفس الديني... إلخ، وكلها دراسات تنصبُّ على معرفة الميول والانفعالات والاتجاهات والحاجات ... لدى الأفراد والجماعات، مما يمهد الطريق لمعالجة (الانحرافات) الموجودة، أو توليد توجهات جديدة، أو التأثير على المشاعر للوصول للهدف المنشود؛ أياً كان هذا الهدف.

ولا شك أن هذه الدراسات يمكن الاستفادة منها إسلامياً في الدعوة والتغيير، ولكن أيضاً يجب التنبه إليها وإلى آثارها عند تطبيقها علينا بصورة غير معلنة ولا ظاهرة؛ بحيث تبدو الأحداث وكأنها بريئة أو (ساذجة) ليتم بلع الطعم المراد بصورة عفوية.. والحقيقة أن الأمور تجري تحت الدراسة والسيطرة!

ولأن التأثير على المجتمعات لا يتم بالتعامل مع كل فرد على حدة؛ فإن الإعلام بأجهزته المختلفة يلعب دوراً كبيراً في توجيه هذه المجتمعات (بالجملة) من خلال إلقاء معلومات معينة، أو إبراز بعضها وإخفاء آخر، أو بطريقة عرض المعلومة... ليتقمص هذا الإعلام ـ بمن يملكونه ويحركونه ـ دور الطبيب والمعالج النفسي.

ونستطيع ضرب أكثر من مثل لإيضاح هذا الدور في التأثير (الخفي) على المستهدفين.

فبعد انتشار صور المذابح الوحشية التي ارتكبها الصرب بحق المسلمين في البوسنة والهرسك مما أثار مشاعر المسلمين في أنحاء العالم وأنذر بإيقاظ روح الأخوة الإسلامية وإلهاب مشاعر الغيرة والحماس خَفَتَ الحديث عن هذه المذابح وصَغُر حجم النشر عن هذه الحرب؛ مما يومئ بتراجع أهميتها في الأحداث، ومن ثَمَّ في حس القارئ أو المشاهد (المسلم طبعاً)، وصاحَبَ ذلك نَشْرُ بعض الصور التي يظهر فيها بعض (البوسنويين) وهم يشترون حاجياتهم أو يعبرون الطرقات بمرافقة أحد جنود القوات الدولية، مما يومئ بأن هؤلاء البوسنويين (تكيفوا) مع هذه الأوضاع ـ ولا تنس أن منهم من كان يمارس الرقص واللهو في أقبية المخابئ ـ مما يعني أن لا داعي للقلق عليهم، ويومئ أيضاً بأن قوات الأمم المتحدة تقوم بواجبها في حماية هؤلاء الضعفاء المساكين؛ فليطمئن المسلمون أصحاب العاطفة الدينية الجياشة في العالم ولينسوا هذه القضية التي تشغل هذه العاطفة، بينما كانت الحقيقة أن المذابح متواصلة، وأن مسلمي البوسنة ينهشهم الصرب والكروات ـ الذين تسلحوا في الحرب بأكثر مما تسلحوا قبلها ـ من كل جانب، والحقيقة أيضاً أن قوات الأمم المتحدة (والناتو) ما تدخلت تدخلاً جدياً (بصورة مظهرية) إلا عندما كان المسلمون على وشك إحراز انتصار حاسم في كل مرة.

مثال آخر : ما شاهدناه ونشاهده منذ فترة من فصول مسرحية مملة عنوانها : (عملية السلام في الشرق الأوسط)، ويمكننا أن نشير إلى بعض الإلماحات التي توضح المقصود، ويستطيع القارئ إكمال الصورة من خلال تفحصه هو لما يبث كل يوم وكل ساعة.

فمن ذلك: الإلحاح على إظهار أن المفاوضات (ومن ثم: الصراع!) قائم على مسائل ومطامع جزئية (وثانوية)، فالمفاوضات الشاقة تدور حول قضية لاجئين، أو اقتسام المياه، أو السماح بممر آمن، أو افتتاح مطار، أو إقامة مجموعة مبانٍ، أو السيادة على شارع، أو إغلاق نفق، أو حرية الوصول إلى مسجد (ولو كان المسجد الأقصى أو مسجد الخليل).. ومع الوقت يصدِّق رجل الشارع (العربي) أن هذه النزاعات هي بالفعل جوهر الصراع؛ لأنها دائماً مسائل المفاوضات، وينسى - كما هي عادته التي يعرفها الغربيون - أن أساس الصراع هو بين فكرتين وحضارتين إسلامية وغربية صهيونية، وينسى أن هناك وطناً كاملاً اغتصب من أمة قطعت أوصالها.

ومن ذلك: إظهار علاقات المفاوضين من الطرفين (لاحظ أنه تم تمرير أن المفاوضين عن العرب ممثلون حقيقيون لأمتهم وباسم شعوبهم) تارة بمظهر الود والوئام والصداقة والاحترام (وهي بالفعل كذلك) حتى إنهم ليبيتون سوياً ويأكلون سوياً ويتنزهون سويا ويلعبون سوياً!.. ويحترمون عطلة السبت سوياً، وفي ذلك إعطاء القدوة لرجل الشارع (العربي) بكسر حاجز البغض والعداوة بهدف ترسيخ أن اليهود ليسوا أعداءاً بل بشر كغيرهم، فيهم اللطيف الظريف كبيريز وباراك، كما فيهم الفج العنيف كشارون ونتنياهو، فلِمَ لا نقبلهم ولا نثق بهم؟! وبالطبع تبلع الشعوب (العاطفية) المتقلبة الطعم.

وتارة أخرى يظهر المفاوض العربي بمظهر المفاوض الصعب والمتعنت حتى إنه لينسحب من المفاوضات، أو على الأقل يحزم حقائبه ويهدد، وهي رسالة واضحة (بالطبع لرجل الشارع العربي) بأن اطمئن؛ فالقضية في أيد أمينة، لا تتنازل ولا تتهاون، وإنما هي واقعية! ترضى بما هو متاح ومستطاع ممن بيدهم ٩٩٪ من أوراق (اللعبة)!.

ويتعلق بذلك: إظهار تعنُّت المفاوض (الإسرائيلي) وتعاطف الراعي الأمريكي معه، وإظهار صعوبة المفاوضات حتى إنها لتؤجل وتلغى وتتحول من مكان لآخر، ومن راعٍ إلى آخر، وتخفق أكثر من مرة مما يستلزم رحلات مكوكية واستدعاء أطراف أخرى للضغط على المفاوضين، وطرح مبادرات جديدة، ولأن رجل الشارع (العربي) اعتاد أن (لا يوجد حلاوة من غير نار) فإنه - طبقاً لنظرية الاشتراط الجزائي - يتوقع أن كل نار يتبعها حلاوة! وعلى ذلك فإنه يتهيأ نفسياً لقبول أي (اتفاق) يخرج؛ لأن أي (مكتسبات) تعطى فإنما هي إنجازات انتزعت بشق الأنفس من بين مخالب الأسد! ويصبح أصحاب هذا الاتفاق أبطالاً يستحقون الشكر والثناء ثم الإشادة والإطراء.

إننا قد لا نستطيع حصر هذه النماذج في مثل هذا المقام؛ فهي تحتاج لدراسة أعمق وأشمل، ولكننا نؤكد على أننا مستهدَفون منذ زمن، ولذلك وُضعنا تحت مجهر الدراسات النفسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية، تقوم بذلك مؤسسات عريقة ومراكز أبحاث ذات إمكانات عالية، لم يكن ذلك بالأمس القريب، بل منذ أن أخفق الغرب في حروبه الصليبية، فأرسل جنوده من الرحَّالة والرهبان والتجار والسفراء والمستشرقين.. يسجلون ويحصون ويكتبون ويرسمون، حتى باتت أعراقنا وخصائصنا وثقافتنا وتاريخنا وتقاليدنا ومجتمعاتنا وإمكاناتنا جميعها تحت المجهر، فأخذوا يدرسون ويخططون، ثم ينفذون ويُجهزون!

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥ - ١٧].



تخريج الأحاديث النبوية

فريضة شرعية وأمانة علمية

جلال راغــون

مما لا شك فيه أن السنة النبوية تعد المصدر الثاني للإسلام بعد القرآن؛ والأدلة على ذلك كثيرة، منها قوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩] وعدّ القرآن طاعة الرسول ﷺ طاعة لله - عز وجل -: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وحذرنا من مخالفة أمره: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وأقسم الله على نفي الإيمان عمن أعرض عن سنة رسول الله ﷺ ولم يقبل حكمها راضياً مسلّماً ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

فالسنة النبوية في مرتبة القرآن الكريم من حيث وجوب الاحتجاج؛ فهما معاً المصدران الأساسيان للإسلام، ولكن السنة ليست كالقرآن من حيث الثبوت؛ فالقرآن قطعي الثبوت بخلاف السنة فبعضها ظني الثبوت

١ - تقسيم السنة من حيث الثبوت:

من المسلَّمات العلمية عند المحدِّثين أن السنة النبوية تنقسم من حيث الثبوت إلى قسمين:

- سنة مقبولة، وسنة مردودة.

أ - السنة المقبولة: هي التي تتوفر على الشروط الآتية[1]:

١ - اتصال السند.

٢ - عدالة الرواة.

٣ - ضبطهم وإن خف.

٤ - عدم الشذوذ.

٥ - عدم العلة القادحة.

٦ - التقوية والاعتضاد عند الحاجة.

والحديث المقبول يتنوع إلى أربعة أنواع[2]:

١ - الصحيح لذاته.

٢ - الصحيح لغيره.

٣ - الحسن لذاته.

٤ - الحسن لغيره.

ب - السنة المردودة: وهي التي فقدت شرطاً من شروط القبول المتقدمة. وتعرف السنة المردودة عند المحدثين بالحديث الضعيف.

والحديث الضعيف أنواع كثيرة يمكن تصنيفها إلى صنفين:

١ - ما ضعفه خفيف.

٢ - ما ضعفه شديد.

وشر أنواع الضعيف الحديث الموضوع.

وقد أحببت أن أذكِّر - ولو على وجه الإجمال - بهذه المعطيات العلمية المقررة في مصطلح الحديث لأبين أنه: ليس كل ما ينسب إلى رسول الله ﷺ فهو ثابت مقبول، بل هناك أحاديث كثيرة ضعيفة وموضوعة. وهذا الأمر يحتم على من يريد الاستدلال بالحديث النبوي تخريجه ليعرف مرتبته من حيث القبول أو الرد.

٢ - حكم تخريج الأحاديث:

في ضوء ما تقدم يمكن أن نستنتج أن أول واجب على المستدل بالحديث النبوي الشريف تخريجه ليعرف مرتبته. وبعدم تخريج الحديث؛ فقد يساهم في نشر الكذب على النبي ﷺ إذا كان الحديث موضوعاً.

ومن الأدلة الشرعية التي نستفيد منها وجوبَ التخريجِ السنةُ النبوية؛ فهناك حديثان صحيحان يدلان على ذلك:

الحديث الأول قوله ﷺ: «من حدَّث عني بحديث يُرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»[3].

والحديث الثاني قوله ﷺ: «كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع»[4].

---

(١) نور الدين عتر، منهج النقد في علوم الحديث، طبعة دار الفكر بدمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ، ص ٢٨٦.

(٢) محمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث، طبعة المعارف بالرياض، الطبعة التاسعة، ١٤١٧هـ، ص ٣٣.

(٣) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه عن سمرة بن جندب والمغيرة بن شعبة: طبعة دار الفكر بلبنان ١٤٠٣هـ بعناية محمد فؤاد عبد الباقي، ج ١، ص ٩، وقد خرجت هذا الحديث وبينت ما يستفاد منه في مقال بعنوان: (وجوب التثبت في نقل السنة) نشر بمجلة البيان، العدد ١٢٥.

(٤) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه، وأبو داود، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، انظر السلسلة الصحيحة للألباني رقم ٢٢٥، المجلد ٥، ص ٣٨، ٣٩ طبعة مكتبة المعارف [illegible] الأولى ١٤١٢هـ.

والحديثان أخرجهما أيضاً ابن حبان في صحيحه وترجم لهما بقوله: «فصل ذكر إيجاب دخول النار لمن نسب الشيء إلى المصطفى ﷺ وهو غير عالم بصحته»(١). فمن نسب الحديث إلى رسول الله ﷺ وهو لا يعلم مرتبته فإنه يستحق دخول النار. ومعلوم أن من يستحق دخول النار هو تارك الواجب أو مرتكب الحرام.

وهذا الذي استفاده الإمام ابن حبان من الحديثين يدل على بعد نظره وحسن فقهه. وقد قال الشيخ شعيب الأرناؤوط في هذا المجال: «ومما زاد في إغراء العلماء بالنظر في صحيح ابن حبان والأخذ عنه ما حفل به هذا الصحيح من استنباطات فقهية دقيقة عنون بها المؤلف كل حديث أورده؛ فكتابه من هذه الناحية يعد كتاباً في الفقه ذا أهمية خاصة؛ لأن استنباطاته مبنية على أدلتها مستندة إلى نصوصها»(٢).

ويمكن أن نستدل على وجوب التخريج بالقرآن نفسه وذلك في قوله - تعالى -: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، فمن نسب الحديث إلى رسول الله ﷺ دون تخريج ومعرفة بمرتبته فقد قفا ما ليس له به علم، ومن ثَمَّ وقع في المحذور.

ويمكن أيضاً أن نستدل على الوجوب بالقاعدة الشرعية المشهورة: «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب» فعدم الكذب على رسول الله ﷺ واجب ولا يتم ذلك إلا بتخريج الحديث لمعرفة مرتبته؛ وعليه فتخريج الحديث واجب.

فاتضح لنا أن تخريج الأحاديث فريضة شرعية. ومعلوم أن ممتثل الفرض يثاب، وتاركه يستحق العقاب.

وتخريج الأحاديث يعدّ أمانة علمية أيضاً؛ إذ إنه - كما هو مقرر في المنهجية العلمية - يتعين على الباحث نسبة الأقوال إلى أصحابها وذكر المصادر والمراجع المعتمدة في نقل تلك الأقوال. إذا كان هذا في حق أقوال عامة الناس فما بالك بالنسبة لمن أقواله تعتبر من التشريع؟ فمن الأمانة العلمية أن نخرج الحديث ونبين مرتبته ونذكر المصادر والمراجع المعتمدة في ذلك. وإذا كان في عصور الرواية لا ينسب الحديث إلى رسول الله ﷺ إلا بذكر إسناده، واشتهرت في تلك العصور المقولة الآتية: «الإسناد من الدين؛ ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء» ففي عصرنا يعتبر تخريج الحديث هو إسنادنا، ولذا فما أحوجنا في هذا العصر إلى المقولة الآتية: «تخريج الحديث من الدين، ولولا التخريج لقال من شاء ما شاء»! ولكن مما يؤسف له في

(١) ابن بلبان الفارسي: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ج ١، ص ٢١٢.

(٢) مجلة البصائر، العدد ١٩ [illegible] ص ١٦ [illegible] وكتابه الصحيح لشعيب الأرناؤوط، وهي مقدمته لتحقيق الإحسان.

عصرنا قلة العناية بهذه الفريضة الشرعية، والإخلال بالأمانة العلمية، فتجد المستدل على أمر هام في الدين يستدل بالأحاديث دون تخريج وقد تكون ضعيفة وموضوعة، بَلْهَ الخطيب في خطبته والواعظ في موعظته والمدرس في درسه والكاتب في مقاله.

٣ - نموذج لقلة العناية بهذا الواجب:

النموذج الذي سأذكره ينتمي إلى مجال يعتبر في عصرنا من أهم وسائل الدعوة ونشر التعاليم الإسلامية. ذلك المجال هو الصحافة الإسلامية؛ فمما لا شك فيه أنها تقوم بدور متميز في توعية المسلمين بأمور الحياة المختلفة انطلاقاً من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وهي تستحق على ذلك كل تقدير واحترام. ولكن الملاحظ قلة عنايتها بواجب التخريج إلا من بعضها. فالمفروض أن تساهم الصحافة الإسلامية في نشر الإسلام الصحيح من منبعه الصافي القرآن وما ثبت عن رسول الله ﷺ.

وسأقتصر على مقال واحد تضمن ثمانية أحاديث بدون تخريج، عنوانه (اختيار الزوج) نشر بصحيفة إسلامية مغربية؛ وبعد تخريج تلك الأحاديث وجدت معظمها شديد الضعف، ومنها ما هو موضوع كما سيتضح مما يلي:

١ - تنكح المرأة لأربع: «لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك» أخرجه البخاري[(١)]، ومسلم[(٢)] عن أبي هريرة.

٢ - أتى رسول الله ﷺ رجل يستأمره في النكاح فقال: «نعم انكح، وعليك بذات الدين تربت يداك».

لم أقف على من أخرجه، وفي الحديث السابق غنى عنه؛ لأنه يتضمن معناه.

٣ - «لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين».

أخرجه ابن ماجه[(٣)] عن أبي هريرة، وفي إسناده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي وهو ضعيف في حفظه[(٤)].

٤ - «لا يختار حسن وجه المرأة على حسن دينها».

ذكر المتقي الهندي في كنز العمال[(٥)] أن

---

(١) ابن حجر: فتح الباري، طبعة دار الفكر، (بدت)، ج ٩، ص ١٣٢، ح/ ٥٠٩٠.

(٢) مسلم: الصحيح، ج ٢، ص ١٠٨٦، ح/ ١٤٦٦.

(٣) ابن ماجة: السنن، طبعة دار الفكر، (د ت) بعناية محمد فؤاد عبد الباقي، ج ١، ص ٥٩٧، ح/ ١٨٥٩.

(٤) ابن حجر: تقريب التهذيب، طبعة دار المعرفة، ببيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ (ت) عبد الوهاب عبد اللطيف، ج ١، ص ٤٨٠.

(٥) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، طبعة مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ، ج ١٢، ص ٣٠١.

الديلمي رواه عن عبادة بن الصامت، وفي إسناده الوازع ابن نافع[1].

قلت: قال في حقه الإمام البخاري: منكر الحديث. وقال النسائي: متروك[2].

٥ - «إياكم وخضراء الدِّمَن، قيل: وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء» رواه القضاعي في مسند الشهاب عن أبي سعيد الخدري، ومداره على الواقدي وهو متروك[3]. ومن ثَمَّ فهذا حديث ضعيف جداً.

٦ - «تخيروا لنطفكم، وانكحوا الأكفاء، وأنكحوا إليهم». أخرجه ابن ماجة وغيره عن عائشة، وقد صححه الشيخ الألباني بمجموع طرقه[4].

٧ - «تزوجوا في الحِجْر الصالح؛ فإن العرق دساس». أخرجه ابن عدي في الكامل عن أنس بن مالك، وهو موضوع[5].

٨ - «لا تتزوجوا الحمقاء؛ فإن صحبتها بلاء، وفي ولدها ضياع». **في إسناده كذاب كما ذكر الإمام الشوكاني[6] ومن ثَمَّ فهو موضوع.**

٤ - توجيهات للقيام بهذا الواجب:

أختم هذه الدراسة المتواضعة بتوجيهات تنير السبيل للقيام بواجب التخريج. وقبل ذلك يحسن بي أن أعرِّف التخريج ولو على وجه الإجمال[7]:

المقصود بتخريج الحديث عزوه إلى مصدره أي الكتاب الذي يذكر صاحبه الأحاديث بأسانيده كصحيح البخاري مثلاً. أما الكتب التي لا تُذكر فيها الأحاديث بالأسانيد فهي مراجع للسنة كرياض الصالحين للنووي، والترغيب والترهيب للمنذري على سبيل المثال.

والأصل في التخريج عزو الحديث إلى مصدره، وإذا تعذر ذلك فلا أقل من عزوه إلى المرجع الذي يلتزم صاحبه بعزو الأحاديث إلى مصادرها.

والغاية من التخريج معرفة مرتبة الحديث ليحتج بالمقبول ويترك المردود. ومصادر السنة كثيرة ومتنوعة يمكن تصنيفها إلى صنفين:

الصنف الأول: التزم أصحابه الصحة. ومن أشهر المصادر المندرجة في هذا الصنف الصحيحان: صحيح البخاري، وصحيح مسلم اللذان يعتبران أصح مصادر السنة النبوية،

---

(١) في المطبوع: الوازع بن قانع بالقاف، وهو خطأ.

(٢) الحافظ الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، طبعة دار المعرفة ببيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ (ت) البجاوي، ج ٤، ص ٣٢٧.

(٣) الألباني: السلسلة الضعيفة، طبعة المعارف بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ رقم الحديث ١٤.

(٤) الألباني: السلسلة الصحيحة رقم ١٠٦٧.

(٥) الألباني: ضعيف الجامع الصغير، طبعة المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ، ص ٣٥٨.

(٦) الشوكاني: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت (د ت) (ت) المعلمي، ص ١٣٠.

(٧) يراجع للتوسع في الموضوع: أصول التخريج ودراسة الأسانيد لمحمود الطحان، طبعة دار المعارف بالرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.

وهما جامعان، والجامع في الاصطلاح هو المصدر المرتب على الأبواب والذي يوجد فيه جميع موضوعات الدين وأبوابه[1]؛ وعليه فمن يريد الاستدلال بالحديث في أي مجال فسيجد مبتغاه في الصحيحين. وهما مطبوعان والرجوع إليهما ميسر، ولله الحمد.

الصنف الثاني: لم يلتزم أصحابه الصحة، ولذلك تجد فيه الأحاديث المقبولة والمردودة. ومن أشهر المصادر المندرجة في هذا الصنف السنن الأربعة: سنن أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه[2]. وهذه المصادر الأربعة لها مكانة خاصة عند المحدثين؛ فهي مع الصحيحين تتمم الأصول الستة المشهورة عند العلماء بالكتب الستة. وبما أن السنن الأربعة توجد فيها أحاديث مردودة فعلى المستدل بحديث من أحاديثها أن يبحث في أقوال المحدِّثين ليعرف مرتبته. وقد قام الشيخ **ناصر الدين الألباني** - رحمه الله - **بعمل جليل نحو السنن الأربعة؛ حيث ميز صحيحها من ضعيفها في سلسلة خاصة طبعت، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء؛ فالاستدلال بأحاديث الكتب الستة ميسر ولله الحمد.**

ومن مصادر السنة المندرجة في هذا الصنف أيضاً المسانيد والمعاجم ومن أشهرها مسند الإمام أحمد، ومسند البزار، ومسند أبي يعلى الموصلي، ومعاجم الطبراني الثلاثة: الكبير والأوسط والصغير. وقد قام إمام من أئمة الحديث بتيسير الاستفادة من هذه المصادر وذلك بإفراد زوائدها على الكتب الستة مع بيان مرتبتها، ذلك الإمام الهمام هو الحافظ نور الدين الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ) في كتابه الحافل: (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد)[3] وقد طبع؛ وعلى ذلك فإن في استطاعة من يريد الاستدلال بحديث من الأحاديث الواردة في المصادر السابقة أن يرجع إلى هذا المرجع الهام.

ومن أهم المراجع المعاصرة التي تضم آلاف الأحاديث المقبولة مع عزوها إلى مصادرها كتاب (صحيح الجامع الصغير وزياداته) للشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله.

وبهذا يتضح لنا أن علماء الأمة - قديماً وحديثاً - قدموا خدمات جليلة للسنة النبوية، ويسروا للباحثين السبل لتخريج الأحاديث ومعرفة مرتبتها.

وفقنا الله جميعاً للقيام بواجب التخريج؛ ففي ذلك خير عظيم والحمد لله رب العالمين.

---

(١) نور الدين عتر، منهج النقد، ص ١٩٨.

(٢) لأخذ نظرة عن مكانة السنن الأربعة عند المحدثين يراجع على سبيل المثال منهج النقد لعتر، ص ٢٧٥ - ٢٧٨.

(٣) لأخذ نظرة عن هذا الكتاب يراجع: (علم زوائد الحديث: دراسة ومنهجاً ومصنفات) لعبد السلام محمد علوش، طبعة دار ابن حزم ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ص [illegible]

إشكالية التعامل مع المصادر الأصلية والثانوية للفرق الإسلامية

ضوابط منهجية

د. أحمد جمال بادي

مدخل إلى الموضوع:

تعج المكتبة الإسلامية بكم هائل من الدراسات والمصنفات القديمة والمعاصرة فيما يتعلق بالفرق الإسلامية عموماً، وفيما يتعلق بمسائل الإيمان والتوحيد، أو ما اصطلح عليه بعض المتأخرين بـ «علم الكلام» على الخصوص.

لكن الباحث يلاحظ ويواجه إشكاليات عديدة في تعامله مع تلك الدراسات والكتب والمصنفات قد تقوده إلى نتائج سلبية وخيمة، ومنها أن التصورات الخاطئة عن فرقة مَّا من الفرق قد تؤدي إلى التجني في الحكم عليها والإجحاف في حقها؛ لا سيما إذا ما انضاف إلى ذلك العامل النفسي وما جُبِلَ عليه الناس من بغض المخالف مما يؤدي بدوره إلى التحامل والتحيز ضد تلك الفرقة. يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم علىٰ ألاَّ تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوىٰ﴾ [المائدة: ٨]، ﴿ولا تبخسوا النَّاس أشياءهم﴾ [الأعراف: ٨٥].

ومن النتائج المباشرة لوجود تلك الإشكاليات ما نلمسه عن قرب ونجده من تضارب في الأقوال ووجهات النظر بين تلك الدراسات والمصادر سواء في نسبة الأقوال إلى قائليها من كل فرقة، أو في حقيقة أقوال فرقة مَّا في المسألة الواحدة من مسائل الاعتقاد، أو في الحكم على تلك الفرقة ومدى قربها أو بعدها من الحق.

ومن تلك النتائج ـ وهو إشكالية قديمة متجددة ـ موضوع تفريعات وتقسيمات الفرق إلى فرق صغيرة والذي يبدو عليه في بعض الأحيان التمحل الواضح، وكأن الهم الوحيد

للمؤلف أو صاحب الدراسة هو إيصال عدد الفرق إلى اثنتين وسبعين فرقة ليطابق العدد المذكور في حديث « الافتراق » المشهور(١).

ويدخل في النتائج المترتبة على الإشكالية السابقة إهمال عامل التطور الفكري والعقدي لفرقة مَا أو لأحد رجالاتها مما أوقع الكثيرين في التناقض أو الحيرة والتخبط.

هذه الإشكاليات وما ترتب عليها من نتائج يُبرز مدى الحاجة إلى الضوابط المنهجية التي تعين كل باحث وطالب علم في موضوع الفرق الإسلامية على التعامل الصحيح مع ذلكم الكم الهائل من المصادر والمراجع العامة والخاصة، القديمة والمعاصرة.

ويحسن بي قبل البدء بالكلام على هذه الضوابط والقواعد أن أتلمس بعض الأسباب والعوامل التي أدت إلى وجود هذه الظاهرة.

الأسباب العامة للإشكالية:

إن المتتبع للدراسات العامة والخاصة عن الفرق الإسلامية من المتخصصين في هذا الفن ينتبه إلى جملة عوامل تشكل في مجموعها **أهم الأسباب الكامنة وراء الإشكالية المتحدث عنها:**

أولها: صعوبة الوصول إلى المصادر الأصلية « الأولية » لبعض **الفرق الإسلامية إما لضياعها** أو لعدم انتشارها؛ **أو لقلة التأليف عند أصحابها.**

وبذلك أصبحت المصادر العامة التي ألفت عن تلك الفرقة هي المعتمد لدى كثير من الباحثين وطلبة العلم.

ثانيها: ظاهرة النقل الحرفي المتكرر لبعض المؤلفات العامة في الفرق لاحقاً عن سابق دون تمحيص أو تحليل أو نقد أو تفكير وروية؛ فقد يخيل لبعض الدارسين إجماع أصحاب تلك المؤلفات والمصنفات على المسائل المنقولة والمدروسة، وما هي عند التدقيق والتحقيق إلا منقولات مكررة وعبارات مقتبسة غير محررة.

يقول ابن تيمية: « ما ينقله الشهرستاني وأمثاله(٢) من المصنفين في الملل والنحل عامته ما ينقله بعضهم عن بعض، كثير من ذلك لم يحرر أقوال المنقول عنهم، ولم يذكر الإسناد في عامة ما ينقله، بل هو ينقل من كتب من صنف قبله »(٣).

بل كثيراً ما ينقل الشهرستاني الأقوال دون عزو إلى مصادرها، وقد يترجم بعض الكلام فينقله من الأعجمية إلى العربية(٤).

كما يذكر الرازي(٥) بأن الشهرستاني ينقل عن كتاب: « الفَرْق بين الفِرَق » للبغدادي، وأن الثاني لا يكاد ينقل مذهب المخالفين على وجهه، ولذلك وقع الخلل في نقل المذاهب؛ وهي مسألة لها تعلق بقضية التعصب والتحيز المذهبي(٦).

---

(١) سيأتي الحديث عنه وتخريجه لاحقاً.

(٢) لاحظ العبارة؛ فالظاهرة عامة والحديث عن جمع من المصنفين الذين يسلكون المسلك نفسه، وليس عن الشهرستاني فحسب، فليتأمل.

(٣) ابن تيمية: « منهاج السنة النبوية »، ٦/٣٠٠، من منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

(٤) عبد العزيز بن محمد علي العبد اللطيف: « مقالات في المذاهب والفرق »، ص ٥١، دار الوطن، الرياض، ١٤١٣هـ.

(٥) انظر: جمال الدين القاسمي: « تاريخ الجهمية والمعتزلة »، ص ٢٣، ٢٤، ونقل كلام الرازي المذكور الدكتور عرفان عبد الحميد في كتابه « الفرق والعقائد الإسلامية »، ص ١٢٨ الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ ـ ١٩٧٧م.

(٦) أول الكتب تأليفاً عن الفرق « مقالات الإسلاميين » لأبي القاسم البلخي عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي المعتزلي (ت ٣١٧ هـ).

ثالثها: أن معظم المؤلفات العامة في الفرق أُلِّفت من قِبَل أصحاب توجه أو مذهب عقدي معين مما أدى إلى التحامل في النظرة إلى الخصوم والمخالفين عند الحديث عنهم، وسوء تفسير كلامهم وتأويل مقصودهم.

رابعها: ومن الأسباب الجلية أيضاً وراء الموضوع اعتماد كثير من المؤلفين والدارسين على المصادر التاريخية العامة فيما يتعلق بالأحداث التاريخية الخاصة بالفرق، وما يتعلق بتلك الأحداث من أقوال ذكرت عنها أو نسبت إلى تلك الفرق.

من بين تلك المصادر التاريخية العامة: تاريخ الطبري (ت ٢٢٤هـ) و «مروج الذهب» للمسعودي (ت ٣٤٦هـ) و «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، و «المنتظم» لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، و «البداية والنهاية» لابن كثير (ت ٧٧٠هـ؟)، و «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (ت ٧٨٠هـ).

والحق أن تلك الأحداث والوقائع والأقوال في حاجة إلى أمرين اثنين:

الأول: التأكد من مدى ثبوتها عن أصحابها.

الثاني: معرفة حال رواتها؛ لأنهم في غالب الأحيان قد يكونون من أتباع مذهب عقدي معين يروون الخبر ضد خصومهم ومخالفيهم.

ويكفي في التدليل على ذلك أن نعلم مثلاً أن أبا مخنف لوط بن يحيى (ت ١٥٧هـ) قد روى له الإمام الطبري في تاريخه ما يقارب ستمائة رواية[1]. علماً بأن أبا مخنف هذا معروف بتشيعه أولاً، وأجمع علماء الحديث على تركه وتوهينه لتشيعه وكذبه ثانياً.

خامسها: ومن الأسباب التي يمكن اعتبارها في الموضوع فيما يتعلق بالدراسات المعاصرة الخاصة بالفرق أن بعضها كتب بأيدي المستشرقين؛ حيث طبقوا عليها مناهجهم في البحث والاستدلال، ووظفوا فيها سيل المعلومات غير الموثقة توظيفاً خاطئاً، ورتبوها ترتيباً انتقائياً ليصلوا إلى النتائج المعدة سلفاً أو ما يوافق أهواءهم وتغرصاتهم. ثم تابعهم على آرائهم ونتائجهم بعض الكتاب والباحثين من المسلمين؛ وهو ما أوقع أصحاب تلك الدراسات في التناقض العجيب[2].

سادسها: ومن أسباب الإشكالية أيضاً اختلاف وجهات النظر حول تصحيح حديث الافتراق والأخذ به.

فرغم ورود الحديث في معظم كتب السنة[3]، ورواية عدد كبير من الصحابة[4] - رضي الله عنهم - له، ورغم تصحيح أقطاب الفن والتخصص له[5]، إلا أن عدداً من العلماء المتقدمين والمفكرين المتأخرين ضعفوه، وطعنوا في ثبوته وصحته.

(١) انظر: يحيى بن إبراهيم بن علي اليحيى «مرويات أبي مخنف لوط في تاريخ الطبري»، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٠هـ.

(٢) انظر: «ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي»، ١/٢٥٢ - ٢٥٧، ٢٦٧ - ٢٨١، مكتبة الطيب، القاهرة، ١٤١٧هـ.

(٣) منها: سنن أبي داود، والترمذي، وابن ماجة، ومسند الإمام أحمد، ومستدرك الحاكم، وسنن الدارمي، والطبراني في «الكبير» و «الصغير»، وصحيح ابن حبان، ومصنف ابن أبي شيبة ومسند أبي يعلى.

(٤) منهم: أبو هريرة، ومعاوية بن أبي سفيان: وعبد الله بن عمرو، وعوف بن مالك، وأنس بن مالك، وأبو معاوية، وأبو الدرداء، وواثلة بن الأسقع، وابن مسعود، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم أجمعين.

(٥) صحح الحديث الحاكم ووافقه الذهبي، وحسنه ابن حجر في تخريج الكشاف، وجوّد إسناده الحافظ العراقي.

والحقيقة الدامغة التي غابت عن هؤلاء أو ذهلوا عنها أن الواقع التاريخي والواقع المعاش اليوم خير دليل عملي مشاهد وأقوى حجة وبرهان على صحة هذا الحديث. فهل ينكر منكر ويكابر مكابر في وجود الاختلاف والتفرق والتشرذم على مر التاريخ وإلى يومنا هذا؟

فهذه المكتبة التي تعج بالكتب والمؤلفات والردود، والردود على الردود في مختلف مسائل الاعتقاد شاهد نظري على ذلك الأمر. وهذه الفرق بمسمياتها المختلفة والموجودة في كل أقطار العالم الإسلامي، وكثير منها لها حضور سياسي ملموس، شاهد عملي على ذلك.

بل إن أكثر الذين شككوا في حديث الافتراق وصحته إنما بثوا كلامهم هذا أثناء حديثهم عن الفرق التي يخالفونها ويردون عليها، فهل بعد هذا من عجب؟

سابع الأسباب: ومن أسباب الإشكالية أيضاً اختلاف وجهات نظر العلماء والباحثين والدارسين حول أسباب الاختلاف والتفرق **هل هي**: أسباب داخلية ذاتية؟ أم أنها أسباب خارجية ومن كيد أعداء الإسلام كاليهود والنصارى والمجوس؟ **أم أنها** عوامل مشتركة؟ **وإذا كانت مشتركة فهل هي منفصلة عن بعضها ولا ارتباط بينها؟ أم أنها أسباب داخلية ثم استثمرت واستغلت من قبل الآخرين (الأعداء) لتصل إلى ما وصلت إليه؟ لكل رأي من هذه الآراء قائل ومدافع، وعلى كل واحد منها أدلة تاريخية أو جدلية برهانية.**

أما التاريخ فيقول أهل الاختصاص فيه: أعطني أي فكرة أو رأي قائبته لك، وأثبت لك عكسه من التاريخ. وأما الجدل وقضاياه فله قواعده التي يمكن بها اختبار مدى صدقه من كذبه.

ولا زال الأمر في حاجة إلى تمحيص ودراسة.

أهمية تحرير الضوابط المنهجية:

ولعلنا مما ذكر آنفا نعلم مدى الحاجة بل والضرورة إلى تحرير الضوابط المنهجية التي تعين طلبة العلم بل وعموم المطلعين والباحثين الذين يبحثون في موضوع الفرق الإسلامية وأقوالها وأفكارها وآثارها والحكم عليها، فتيسر لهم سبل الإفادة من مختلف المصادر والمراجع على الوجه العلمي الصحيح المبني على قواعد التحقيق والتدقيق لتحصل بذلك الفائدة ويتم المقصود.

ونحن في حاجة اليوم لمثل هذا الأمر أكثر من أي وقت مضى للأسباب الآتية:

١ - توفر الكتب والمصادر بغثها وسمينها بتيسر الطباعة وانتشار دور النشر في كل بقاع الدنيا.

٢ - ازدياد عدد الجامعات الإسلامية في العالم الإسلامي الذي تبعه ازدياد عدد طلبة العلم والباحثين حول الموضوع.

٣ - وجود عامل الاستقطاب المذهبي والإحياء الطائفي.

٤ - نشأة بعض الجماعات الإسلامية في الساحة الدعوية والتي بنت فكرها وأصولها ومنهجها بتتبع خطا من سبقها من الفرق والمذاهب العقدية.

٥ - ما ترتب من سلبيات على الأمر السابق، انعكست آثاره على المجتمعات الإسلامية فعانت من تلك الآثار ولا زالت تعاني حتى الآن.

٦ - ما ترتب على الأمرين السابقين من دخول حلبة ميدان الكتابة في الموضوع من ليسوا من أهل الاختصاص كبعض الصحفيين الذين سالت أقلامهم

بمشاعرهم وما نشأ عن مشاعرهم من تصورات قد يكون فيها المبالغة والحيدة عن جادة الصواب.

٧ - ازدياد عدد المثقفين في العالم - وهو أمر محمود - الذين يكوِّن الكثير منهم تصوراته ومفاهيمه الإسلامية عبر ما يتلقفه وتقع عليه يداه من كتب ومقالات وأشرطة دون منهجية علمية سليمة. ويمثل هؤلاء في عمومهم ومجملهم الأرض الخصبة للاستقطاب المذهبي والطائفي المذكور.

بيان الضوابط وكيفية التعامل معها:

كل هذه العوامل والأسباب تجعل من آكد فروض الكفاية اليوم بيان الضوابط المنهجية للتعامل مع المصادر الأولية والثانوية للفرق الإسلامية.

وفيما يلي محاولة متواضعة في الموضوع[1]، وقد قسمت الضوابط إلى قسمين بحسب تقسيم المصادر إلى أولية وثانوية.

أولاً: الضوابط المنهجية للتعامل مع المصادر الأولية:

الأول: ينبغي لطالب العلم المبتدئ والباحث المستجد الذين لم تتأصل لديهم العلوم الشرعية، وليس لديهم المنهجيات الكافية الحذر من البدء بكتب الفرق، أو بالكتب التي ألفت عنها؛ لأنها مفازة لا يستطيع اجتيازها إلا الخبير الذي أخذ للأمر أهبته واستعداده، وإلا وقع في المهالك واحتوشته شبهات المنحرفين إلا أن يشاء الله تعالى.

ومن أسباب هذا التحذير أن مُعظم الكتب العامة التي ألفت عن الفرق زرعت الشبهات ولم تردّ عليها، وبذرت الشكوك ولم تكترث لعواقبها.

فالنصيحة للمبتدئ في الموضوع أن يبدأ بالكتب الآتية:

١ - الكتب التي تحذر من البدعة والابتداع، نحو: «البدع والنهي عنها» لابن وضاح، وكتاب الإمام الطرطوشي، وكتاب أبي شامة.

٢ - الكتب التي أصّلت الأصول والقواعد والضوابط في موضوع الفرق والفرقة والاختلاف، ويأتي في مقدمتها كتاب: «الاعتصام» للإمام الشاطبي.

٣ - البدء بالكتب التي كتبت عن الفرق ولم تكتف بإيراد الشبهات، بل ردت عليها وفندتها ودحضتها. ويأتي في مقدمة هذه الكتب المفيدة: كتاب: «التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع» لأبي الحسين محمد بن أحمد الملطي (ت ٣٧٧ هـ) فبالإضافة إلى ما يورده من آراء أهل البدع والرد عليها، قدم له مؤلفه بمقدمات منهجية في الموضوع.

الثاني: ضرورة معرفة مصطلحات كل فرقة والإلمام بها قبل الشروع في التعامل مع مصادرها أو غيرها من المصادر التي كتبت عنها، وذلك لمعرفة حقيقة أقوالها، وتبين مقصدهم بكلامهم.

فالتوحيد مثلاً مصطلح أو مفهوم له دلالاته الخاصة عند كل فرقة من الفرق؛ فهو عند السلف غيره عند المعتزلة، وكذا الحال بالنسبة للأشاعرة والمتصوفة وغيرهم.

وقُلِ الأمرَ نفسه بالنسبه لما يتعلق بهذا المفهوم من مفاهيم أخرى لها ارتباط به.

وقلّما يوجد مفهوم واحد في الفكر الإسلامي

---

(١) أفدت من كثير مما ذكر من هذه الضوابط من خلال تدريسي لمادة «الفرق» لطلبة كلية معارف الوحي بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا على المستوى الجامعي ومرحلة الماجستير.

عموماً وفي الدراسات العقدية على وجه الخصوص إلا ويوجد حوله اختلاف في معناه ودلالته بين الفرق الإسلامية المختلفة[1].

فلا بد من الوقوف على المصطلحات الداخلية الخاصة بكل فرقة، والحذر من اعتماد الباحث وطالب العلم على فهمه الذاتي وتحليله الشخصي للمصطلح أو المفهوم.

وإذا وجد بيان لمثل تلك المفاهيم والمصطلحات في كتب الفرقة نفسها فهو الأولى والمعوَّل عليه.

ويكفي في بناء عنصر الحذر والانتباه في هذا الباب علمنا أن مصطلحات مثل: «الفرق الناجية»، «أهل الحقيقة»، «أهل الشريعة»، بل حتى «أهل الجنة» لها دلالتها الخاصة وظلالها الخفية عند كل فرقة من الفرق الإسلامية.

الثالث: أهمية التفريق بين المصادر الأولية والثانوية في موضوع الدراسة أو البحث، والتفريق بين المصادر والمراجع؛ وأن يكون الاعتماد على المصادر الأساسية الأولية لكل فرقة، فهي مصدر معرفة رأي الفرقة، ومنها يستنبط ويستشهد ويستدل.

أما المراجع والمصادر الثانوية فوظيفتها ثانوية كتقديم رأي للنقاش أو إغناء الحوار أو المساعدة في تحليل نص. ولا يتم اللجوء إلى أي منها كمصدر بديل إلا عند تعذر الوصول إلى المصادر الأولية تعذراً حقيقياً مطلقاً لا تعذراً نسبياً أو مؤقتاً، وهذا الأمر خاص ببعض الفرق التي لا تعلم أقوالها إلا من خلال المصادر الثانوية لقدم الفرقة وقلة أو انعدام مؤلفات رجالاتها. وحتى في هذه الحالة الاضطرارية لا بد من مراعاة الضوابط العلمية والمنهجية في التعامل مع تلك المصادر والتي سأذكر ما تيسر لي منها لاحقاً.

وأضرب بعض الأمثلة للضابط السابق:

١ - فمن المصادر الأولية للمعتزلة «المغني» للقاضي عبد الجبار.

٢ - ومن المصادر الأولية للأشاعرة «المواقف» للإيجي، وشروحه.

٣ - ومن المصادر الأولية للماتريدية «النسفية» للتفتازاني، وشروحها.

٤ - ومن المصادر الأولية للشيعة الاثني عشرية «الكافي» للكليني.

ومع ما مر ذكره لا بد من مراعاة الضوابط الأخرى التالية.

الرابع: الوقوف على المنظومة العقدية للفرقة، والأقوال المتفق عليها لديهم ومعرفة رجالاتها، فلكل فرقة أقوال اتفقت عليها كلمتهم، وأمور وتفصيلات اختلفت فيها؛ حيث كانت سبباً في تفريقها إلى فرق أخرى صغيرة. وقد حاول عبد القاهر البغدادي - وغيره - جاهداً تتبع المتفق عليه والمختلف فيه بين

---

(١) ولذلك يحسن في مثل هذه الحال - للباحث وطالب العلم - الرجوع إما لكتب الفرقة نفسها للتعرف على المصطلح المراد، أو الرجوع إلى معاجم المصطلحات وأهمها:

أ - كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي.

ب - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة.

ج - مفاتيح العلوم للخوارزمي.

د - اصطلاحات الصوفية للكاشاني.

رجالات كل فرقة في كتابه «الفَرق»[1]، ولعل هذا يفسر لنا منهج البغدادي في تسمية الفرق الفرعية لكل فرقة رئيسية حيث ينسبها إلى صاحب المقولة بغض النظر عن وجود أتباع له أم لا.

ومن الأمثلة التطبيقية لهذا الضابط: أن النظّام - مثلاً - رفض اعتزاله كثير من المعتزلة. فلا يصح بذلك نسبة ما قاله وتفرد به عنهم إلى كامل الطائفة.

الخامس: التحري من نسبة القول إلى قائله والتأكد من مدى صحة تلك النسبة؛ فقد ينسب قول لفرقةٍ مّا ثم لا يتوافر دليل واحد على صحة هذه النسبة، ولعل الأمر يكون تخميناً أو ظناً أو رجماً بالغيب من قِبَل المخالفين.

فلا يفوت الباحث الناقد البصير عدم الجزم أو القطع بأمر يصعب إثباته على وجه اليقين؛ حيث إن قضية اليقين في مسائل كهذه أمر نسبي.

وكمثال يوضح لنا أهمية هذا الضابط ما ذكره ابن تيمية في شأن ما ينقله بعض المصنفين في بعض المسائل الاعتقادية عن طوائف «المرجئة» بقوله: «وبعض الناس يحكي هذا عنهم وأنهم يقولون: إن الله فرض على العباد فرائض ولم يرد منهم أن يعملوها ولا يضرهم تركها، وهذا قد يكون قول الغالية الذين يقولون: لا يدخل النار من أهل التوحيد أحد، لكن ما علمت معيَّناً أحكي عنه هذا القول، وإنما الناس يحكونه في الكتب ولا يعيِّنون قائله»[2].

السادس: أهمية الرجوع إلى المصادر المعترف بها من قِبَل الفرقة نفسها، والتي تعتمد عليها في نشر آرائها ومعتقداتها. فلا يعتمد الباحث على مصادر مشكوك فيها أو غير معترف بها من أصحاب الفرقة. فمحاولة إلزام «الشيعة الاثني عشرية» بكتابات «موسى الموسوي»، مثلاً، وهو في نظر بعض أهل السنة شيعي معتدل، ولكنه بالمقابل يعتبره الشيعة شيعياً معارضاً، فأي استدلال بكتاباته لن تلزمهم وإن كانت قد تقنع الآخرين.

السابع: يجب أن يكون الباحث عالماً بالمسار التاريخي للفرقة منذ النشأة وانتهاءاً بالعصر الحديث إن كانت الفرقة لا تزال موجودة، وأن يكون عالماً بأهم المحطات والأحداث التاريخية التي عاشتها، وبمواقف علمائها وأعلامها، وبطبقاتهم ومصادر التأثير فيهم وعليهم. وأن يحاول الباحث ما أمكنه جهده وطاقته أن يربط بين أفكار وأطروحات الفرقة والظروف الزمانية والمكانية التي تقلبت وعاشت فيها، وكذا الواقع التاريخي والفكري والسياسي الذي عاصرته؛ فإن ذلك يعين على فهم كثير من القضايا والإشكاليات وتفسيرها.

وهذا الأمر ينطبق على الفرقة باعتبارها فرقة وعلى رجالاتها بوصفهم أفراداً؛ فبعض مفكري الفرق من يكون قد مر بمراحل فكرية معينة وانعكس ذلك على كتاباته ومؤلفاته وأفكاره ومواقفه.

ومن أمثلة ذلك: أبو الحسن الأشعري، وأبو حامد الغزالي[3]؛ لأن فهم هذا الأمر وإدراكه مما يعين بإذن الله على استيعاب الاختلاف الذي قد يقع بين مصنفاتهم.

ومن هذا الباب أهمية معرفة طبيعة الكتاب التي أُلِّف من أجلها والظرف الذي أحوج إليه. فمن

(١) مع ما ذكره من المؤاخذات العلمية التي عليه.

(٢) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ٧/١٨١، طبعة الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.

(٣) ينصح بمراجعة كتاب «الحقيقة في نظر الغزالي» للدكتور سليمان دنيا.

المؤلفات ما كان السبب المحوج إليه المناظرات والخصومات بين الفرقة وغيرها.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة - رحمه الله - في هذا الشأن: «شغل المعتزلة بمجادلة الزنادقة والروافض والثنوية وغيرهم، وكل مجادلة نوع من النزال، والمحارب مأخوذ بطريقة محاربه في القتال مقيد بأسلحته، متعرف لخططه، دارس لمراميه. وكل ذلك من شأنه أن يجعل الخصم متأثراً بخصمه، آخذاً عنه بعض مناهجه؛ فالمعتزلة قد سرى إليهم بعض من تفكير مخالفيهم» ثم ذكر قولاً مشابهاً للمستشرق (نيبرج) - وقد يكون استنبط من قوله قاعدته السابقة - في مقدمة إخراجه لكتاب «الانتصار» للخياط المعتزلي: «مَنْ نازل عدواً عظيماً في معركة فهو مربوط به مقيد بشروط القتال وتقلب أحواله، ويلزمه أن يلاحق عدوه في حركاته وسكناته وقيامه وقعوده، وربما تؤثر فيه روح العدو وحيله، كذلك في معركة الأفكار، وفي الجملة فللعدو تأثير في تكوين الأفكار ليس بأقل من تأثير الحليف فيه»[1].

الثامن: وقد يكون من أهم الضوابط التي ينبغي اعتمادها في دراسة الفرق ومناقشة آرائها: **الأمانة والنزاهة العلمية التي تنأى بالباحث عن الخروج عن حد الموضوعية أو التحيز والتعصب لرأي معين دون أي دليل أو برهان. فلا بد للباحث من الحياد الموضوعي في التعامل مع اضطراب المصادر، وأن يتحرى الدقة والأمانة العلمية في النقل عن تلك المصادر، فلا يتلاعب بالأقوال أو يؤولها ويحملها ما لا تحتمل.**

وفي التعامل مع تلك المصادر لا بد من الاقتباس الكامل للنصوص وعدم قطع تلك النصوص أو بترها لتتناسب مع فكرة الباحث ورأيه المسبق.

كما أنه لا بد من الرجوع إلى أكبر عدد ممكن من المصادر عن كل فرقة، ثم المقارنة بين تلك المصادر للتعرف على آراء الفرقة وخلفياتها الفكرية بموضوعية، وعدم تجزئة أقوال الفرقة أو أقوال أئمتها، فلا يكون البحث علمياً إذا جمعت الأقوال الشاذة لفرقة مَّا لتعتبر هذه الأقوال هي آراء الفرقة. وإنما المعتبر هو ما عليه جمهور الفرقة وزعماؤها أو ما اتفقت عليه كلمتهم كما مر سابقاً. وأما تفرد فرد من الفرقة بقول لم يوافقه عليه غيره فلا يمكن أن ينسب للفرقة أو أن تتحمل الفرقة تبعة هذا القول أو ذاك.

ومن ذلك عدم تقويل شخصٍ مَّا شيئاً لم يقله، أو إلزامه بلازم القول أو المذهب، وهو أمر يقع أحياناً من بعض الباحثين والدارسين في تحليل أقوال الأشخاص والإشارة إلى أنه يقصد بالقول كذا وكذا.

ومن ذلك عدم قبول أقوال الفرق المتخاصمة في طعن بعضها بعضاً؛ لأن كل فرقة تشنع على مخالفيها وتحاول تصيد أخطائهم إلى حد المبالغة بل والتزوير أحياناً والزيادة على الأقوال. ومنها أن يكون الغرض من البحث أو الدراسة هو معرفة الحق في المسألة، وليس لأغراض أخرى حتى يتجنب الباحث مشكلة التعصب لفرقة أو ظلم أخرى.

ومنها البعد عن التعميم في إصدار الأحكام المتعلقة بالفرق؛ فلا بد من التحديد الذي يخرج

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد، ص١٢٧، طبعة دار الفكر العربي، القاهرة.

بالباحث عن دائرة التكهنات والافتراضات.

ومنها الإنصاف مع المخالف والاعتدال في النظرة إليه.

ومنها عرض أي رأي يختاره الباحث أو ينتقده على الكتاب والسنة؛ فهما المعيار الصحيح والوحيد لضبط الأقوال وقبولها أو ردها؛ فما وافقهما قُبِلَ، وما خالفهما رُدَّ.

التاسع: فهم طبيعة الاختلاف بين الفرق، ومعرفة كيفية التعامل معه. ويمكن فهم طبيعة الاختلاف بين الفرق في ضوء ما ذكره العلامة ابن القيم عند حديثه عن تقسيم الاختلاف إلى محمود ومذموم وبيان حال كل منهما بقوله: «الاختلاف ينقسم أهله إلى محمود ومذموم؛ فمن أصاب الحق فهو محمود، ومن أخطأه مع اجتهاده في الوصول إليه فاسم الذم موضوع عنه وهو محمود في اجتهاده معفو عن خطئه، وإن أخطأ مع تفريطه وعدوانه فهو مذموم»[1].

ثم يبين - رحمه الله - طبيعة الاختلاف المذموم ليكون مدخلاً لكيفية التعامل معه فيقول: «والاختلاف المذموم كثيراً ما يكون مع كل فرقة من أهله بعض الحق: فلا يقر له خصمه به بل يجحده إياه بغياً ومنافسة، فيحمله ذلك على تسليط التأويل الباطل على النصوص التي مع خصمه؛ وهذا شأن جميع المختلفين بخلاف أهل الحق فإنهم يعلمون الحق من كل من جاء به، فيأخذون حق جميع الطوائف ويردون باطلهم» ثم أوضح المنهج الحق في التعامل مع الاختلاف الذي بين الفرق فقال: «فمن هداه الله - سبحانه - إلى الأخذ بالحق؛ حيث كان ومع من كان، ولو كان مع من يبغضه ويعاديه، ورد الباطل مع من كان، ولو كان مع من يحبه ويواليه؛ فهو ممن هدي لما اختُلف فيه من الحق»[2].

وقفة مهمة:

ويجب التنبيه إلى أمر مهم هنا وهو ضرورة فهم كلام الإمام ابن القيم في سياقه الصحيح. فالواحد منا لا يكوِّن عقيدته وتصوراته ومفاهيمه بالتقاطها من هنا وهناك من كتب الفرق ليصلَ إلى الحق.

بل الأصل والأمر المتوجب هو بناء العقيدة الصحيحة من مصادرها الأصلية أولاً، وبناء المنهجية العلمية الرصينة من القواعد والضوابط والأصول، وقواعد الترجيح من مظانها قبل التعامل مع أقوال الفرق وآرائها، وذلك حرصاً على سلامة المعتقد وبعداً عن لوثات المبطلين وشبهاتهم التي توقع صاحبها في الحيرة والشك والتخبط الذي قد لا يفارق صاحبه إلا بالموت، نعوذ بالله من ذلك.

العاشر: ويتفرع عن الضوابط السابقة معرفة المنهج الصحيح في الحكم على الفرق المخالفة؛ وقد قعّد الإمام الشاطبي لهذه المسألة في كتابه: «الاعتصام»، ويمكن تلخيص أهم القواعد التي استخلصها من كلام العلماء وأئمة السنة في المسألة وذكرها في كتابه كما يلي:

١ - أن الفرقة لا تصير فرقة إلا بمخالفة الحق في أصل كلي، أو في جزئيات كثيرة لها حكم الأصل الكلي.

---

(١) الصواعق المرسلة، ص ٥١٥، النسخة المحققة.

(٢) المصدر السابق.

٢ - أن الثنتين والسبعين فرقة المخالفة الوارد ذكرها في الحديث هي جزء من أمة الإجابة، وأنهم مسلمون لا يحكم عليهم بكفر بدليل نص الحديث نفسه: «وستفترق أمتي».

٣ - أن هذه الفرق وإن حادت عن الجادة والصواب في قليل أو كثير ووقعت في البدعة، إلا أن هذه البدع ليست مكفرة. والبدع وإن كانت أشد حالاً من المعاصي إلا أن حكمها حكم المعاصي في الآخرة؛ حيث يكون صاحبها تحت المشيئة، فإن شاء الله عذبه على قدر بدعته ثم مآله إلى الجنة والنعيم، وإن شاء غفر له ابتداءاً وأدخله الجنة. وهذه المغفرة قد تكون بسبب: كزيادة الحسنات على السيئات أو بشفاعة أو غير ذلك من الأسباب الموجبة لدفع العذاب[1]، وقد تكون بمحض عفو الله ورحمته.

٤ - قد يكون من تلبس برأي فرقة من الفرق معذوراً بسبب من أسباب العذر الشرعي، والذي من شأنه أن يرفع عنه الوزر والإثم.

ثانياً: الضوابط المنهجية للتعامل مع المصادر الثانوية (المراجع) في الفِرَق:

تشمل هذه المصادر الثانوية ما يلي:

١ - المصادر العامة التي سبقت الإشارة إليها في أول المقال.

٢ - المصادر الخاصة التي كتبت عن «الفرق» ولكن من غير أصحابها.

٣ - الدراسات المعاصرة والمراجع المتأخرة سواء أكانت رسائل علمية لنيل درجة علمية مَا، أو كانت كتباً علمية ألفها أهل الاختصاص في الفن من المتأخرين، أو ألفها كاتب من عموم المثقفين والمفكرين المعاصرين.

٤ - الدراسات التي ألفها المستشرقون عن الفرق الإسلامية وآرائها، ويدخل في ذلك كتب الفرق التي قاموا بتحقيقها والتقديم لها.

وفيما يلي أهم هذه الضوابط حيال تلك المصادر:

الأول: ضرورة فهم الآراء والأقوال في المصادر الثانوية بعد فهمها في مصادرها الأولية.

الثاني: التثبت من صحة الأقوال ونسبتها، والمقارنة بين ما ورد في المصدر الثانوي والمصادر الأولية لتوثيق الأقوال وتمحيصها ومعرفة أوجه الاتفاق والاختلاف.

الثالث: عند النظر في المعلومات المأخوذة عن المصادر الثانوية لا بد من التفريق بين: ما يمكن اعتباره حقائق مسلَّمة وأموراً ثابتة لا تقبل الجدل، وبين ما يمكن اعتباره افتراضات وتخميناً تحتاج إلى برهنة ودراسة واختبار للتأكد من صحتها أو خطئها؛ وبين ما هو رأي أو وجهة نظر قد تكون راجحة أو مرجوحة.

الرابع: عدم الاكتفاء بمصدر ثانوي واحد في أخذ المعلومة حتى لا تتكرر الأخطاء، بل يتوجب على الباحث وطالب العلم والمثقف الرجوع إلى أكبر عدد ممكن من المصادر الثانوية لا سيما في حالة قلة المراجع الأولية أو عدمها؛ ثم المقارنة بين المصادر الثانوية فيما بينها ليظهر الحق في المسألة.

الخامس: على الباحث وطالب العلم أن يكون على علم بموقف صاحب المصدر من الفرقة التي هي موضوع الدراسة، فلا يعتمد على مناصر

---

(١) أوصلها بعض العلماء إلى عشرة أسباب كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية، ونقله ابن أبي العز في شرح الطحاوية.

ولا معارض. وهذا الأمر يستوجب بذل الجهد ومضاعفته في تخير المصادر الموضوعية.

أما الدراسات التي تنطلق من منطلق عدائي أو تقديسي فلا تعتمد باعتبارها أساساً ولكن قد يتم الرجوع إليها بوصفها دراسات استثنائية تعين الباحث على معرفة عمق توجهات الفرقة إذا كان الكاتب مناصراً لها، كما تعينه على معرفة جوانبها المتعددة.

وأما إذا كانت الدراسة عدائية فهي تعينه - أي الباحث - على تفهم موقف الآخرين « المخالفين » من هذه الفرقة وأهم النقاط التي انتقدت لأجلها.

والأصل أن تكون الأولوية للكاتب الذي عاصر تلك الفرقة ولا تربطه بها أي علاقة انتماء أو عداوة.

كما ينبغي أن يكون الباحث مدركاً ومستبصراً بما يطلق عليه « مرحلة الاستقطاب المذهبي »[1] كما يجب الانتباه إلى معرفة حقيقة الظروف والملابسات التي أحاطت بكتابة تلك المصادر.

السادس: لا بد من أن يضع الباحث في اعتباره عند التعامل مع هذه المراجع أنها نتاج جهد بشري يعتريه ما يعتري كل الأعمال البشرية من الخطأ والنسيان والقصور.

وبناءً على ذلك الأمر لا بد أن تخضع تلك الدراسات لميزان الحقيقة والنقد والتمحيص.

السابع: الحذر من تقليد بعض الدراسات المعاصرة التي وقعت في شراك المستشرقين وحبائلهم، وتأثرت بآرائهم وأقوالهم واستنتاجاتهم؛ حيث نقلتها واعتمدتها وأخذت بها مأخذ التسليم.

وكذا الحذر من الإسقاطات المعاصرة لدى بعض الدراسات؛ حيث حاولت تفسير الأحداث التاريخية السابقة في ضوء ما هو واقع اليوم[2].

الثامن: هناك بعض الأسئلة التي ينبغي للباحث أن يطرحها على نفسه عند قراءة المصادر الثانوية ومراجعتها لعلها تنير له الطريق وتحدد له مدى جدوى الدراسة التي يتعامل معها ومصداقيتها. فمن هذه الأسئلة:

- ما هو الدافع والمحرض على كتابة المقال أو الكتاب؟

وأضرب مثالاً على ذلك بكاتبين من بلدين مختلفين ألف كل منهما كتاباً يناصر فيه فكر المعتزلة ومنهجهم، وكان سبب مناصرتهما لهذه الفرقة وفكرها واضحاً من خلال عباراتهما ومقدماتهما وتعليقاتهما أنها ردة فعل، مع اختلاف في نوعية ردة الفعل تلك. وقد نسي هذان المسكينان أن منهج المعتزلة يعتمد القوة وفرض الرأي على الآخرين، كما يعتمد مصادرة أفكار الآخرين مهما كان حالها وصحتها، والحكم على المخالف بالكفر. لقد فر هذان الكاتبان من شيء ليقعا في أسوأ منه.

ومن الأسئلة أيضاً:

- هل كان الكاتب عضواً من أعضاء الفرقة، أو هو ينظر إلى الفرقة من خارجها؟
- إلى أي حد حلل النصوص المنقولة عن الفرقة من زاوية نظر تخصصه؟
- ما هي المنهجية التي استعملها لتحديد الفرقة وتصنيفها؟

---

(١) كما أشار إليه الأستاذ الدكتور عرفان عبد الحميد فتاح في كتابه: « دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ».

(٢) انظر: د. سفر الحوالي: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، ١/٢٥٢ - ٢٥٧، ٢٦٧ - ٢٨١، ٣٠٢ - ٣٠٥.

- هل صنفها حسب أفكارها وآرائها، أم حسب مفكريها وأعلامها؟

- ما هي الضوابط والمعايير التي استعملها في تصنيف الفرق الصغيرة الفرعية داخل تلك الفرقة؟

- ما هي المصادر والمراجع التي رجع إليها في دراسته لتلك الفرقة: هل هي مصادر أصلية أم ثانوية؟ هل هي مصادر الفرقة نفسها أم مصادر كتبها عنها مخالفوها؟

- وفي حالة كونها مصادر ثانوية: هل تحدث الكُتَّاب بوصفهم أشخاصاً معاصرين للفرقة وشاهدي عيان، أم هم مجرد نقلة؟ وكم بينهم وبين الحدث من سنوات ونَقَلَة؟

- هل هؤلاء النقلة ثقات وموثقون؟

- هل حاول هؤلاء الذين كتبوا عن الفرقة كمصدر ثانوي التأكد من الحقائق والمعلومات التي يذكرونها؟

- هل أصحاب الفرقة المتحدث عنها يوافقونه فيما توصل إليه، أم أن مصادرهم تقول خلاف ذلك؟ وإذا كان لديهم خلاف ذلك فهل حرره وبينه؟

- إلى أي حد كان الكاتب موضوعياً أو متجنياً منحازاً ضد الفرقة؟

- إذا كان النقل عن مصادر أولية كتبها أصحاب الفرقة أنفسهم: هل ما نقل عن الفرقة هو كلام كل من ينتسب إليها؟ أم أنه كلام فرقة من فرقها؟ أم اجتهاد علم من أعلامها قد لا يوافقه عليه غيره منهم؟ أم أنه - على الأقل - كلام جمهورهم ومعظمهم؟

- في أي فترة تاريخية كتب الكتاب: في مرحلة تكون الفرقة وبداياتها، أم أنه في الفترة الوسطى (التطور)، أم في فترة لاحقة ومتأخرة؟

إن إثارة مثل هذه الأسئلة وغيرها له دور جيد في التعامل مع المصادر الثانوية، لتحصل الفائدة المرجوة للباحث، ويخرج من بحثه بنتائج علمية مثمرة.

ولا يفوتني تذكير القارئ الكريم بالحرص على الدعاء النبوي الجامع في هذا الباب - رغم بذل جهده في تحقق الأسباب بالأخذ بالضوابط المذكورة وغيرها - والذي خرّجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، فيما روته عائشة - رضي الله عنها وعن أبيها - في شأن دعاء استفتاحه ﷺ، الصلاة عند قيامه لصلاة الليل، ونصه: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختُلِفَ فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[1].

كما أرجو الله - سبحانه وتعالى - أن يكون هذا المقال بداية ومفتاحاً لجهود علمي أكبر في هذا المجال المهم، وأن يتحول إلى دراسة علمية أوسع وأشمل وأكثر فائدة لطلبة العلم؛ سواء حصل ذلك الأمر مني أو من غيري. كما أسأله - سبحانه - أن يوفقنا جميعاً إلى ما يحب ويرضى من الأقوال والأعمال، وأن يثبتنا على الحق والصراط المستقيم، وأن يعلِّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا علماً آمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله الأمين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، ١/٥٣٤.

ما كل ما يعلم يقال.. وفي الدعوة أيضاً

سليمان الخضير

يصادف القارئ أثناء اطلاعه على بعض الكتابات التي تصف واقع المسلمين أو تقومه مقاطع وفقرات قد صيغت بأسلوب يجمع بينها أنها تحمل في صريح عباراتها آهات وزفرات أفرزتها غَيْرةٌ وحرقة - فيما نظن - لكنها تحكي من وراء مجموعها نفسية قاتمة وتصوراً كالحاً للحال الذي يعيشه المسلمون، وربما تزيد الظلامية النفسية في بعضها فيعطي المتحدث أو الواعظ أو الكاتب وصفاً باستحالة التغيير، وأنه ضرب من إضاعة الوقت، وخير له أن يُقْبِلَ على خاصة نفسه.

والحديث لا يدور في صحة فحوى تلك العبارات، ولا على الباعث عليها، ولا هل كان أصحابها ذوي نفسيات تشاؤمية؟ وإنما الكلام من خلال قاعدة مشهورة هي أن (ما كل ما يعلم يقال)؛ فلقد جربنا تحذير الناس عن طريق التألم على الواقع، وتعداد حالات الانحراف المرير، وسردنا لهم أمثلة على تفاهة اهتمامات الشباب، وإسفنجية المرأة.. وأخطاء الصحوة.

ولكن هل الناس - مع اختلاف نفسياتهم وتباين طباعهم - يؤثر فيهم هذا الأسلوب المفرد؟ وهل مجموع الناس على الصفة المذكورة؟

فهل يسعنا أن نجرب - بالإضافة إلى طريقة التحذير - أسلوب إبراز الجانب المشرق في واقع الناس من خلال إعلان النماذج الرائعة في التسابق للخيرات من غير المتدينين والتصريح بإكبار الشباب لعلماء الشريعة وإجلالهم في نفوسهم، وذكر الأفكار التربوية التي تفتقت عنها تجارب ربات البيوت، ومدى إقبال الفتيات والأمهات على مدارس تحفيظ القرآن الكريم النسائية، ونتائج الدراسات الميدانية الإيجابية لواقع الناشئة والفتيان؟

قد يكون الوصف المشين لواقعٍ مّا صحيحاً، ولكن التصريح به دائماً - وربما تعميمه - يلقي في

النفوس شعوراً بالإحباط، ولعل هذا مما يشمله مفهوم حديث رسول الله ﷺ عند مسلم: «إذا قال الرجل: هلك الناس فهو أهلكهم» على رواية فتح الكاف، أي تسبب في هلاكهم بإشعارهم بالهلاك من خلال وصفهم به[1]، على نحو قوله ﷺ لمعاوية - رضي الله عنه -: «إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم - أو كدت تفسدهم -»[2]. قال في فتح الودود: أي إذا بحثت عن معايبهم وجاهرتهم بذلك فإنه يؤدي إلى قلة حيائهم منك، فيجترئون على ارتكاب أمثالها مجاهرة[3]، ربما كان سبباً في إعطاء بعض من لديه ميل للشر جرأة على المنكر؛ ولذا حرم الله - سبحانه - الحديث في من وقع في الزنا، إلا من قامت عنده البينة (أربعة شهود بشروط)؛ لما في الخوض في ذلك من إشاعة الفاحشة[4] قال الله - تعالى -: **﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ (15) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (16) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (17) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (18) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾** [النور: ١٥ - ١٩]، وهذا عند ذكر الحالات الفردية؛ فكيف إذا كان وصفاً عاماً؟ إنه حينئذ يتيح فرصة لمن كان يقلقه فعله المعصية أن يهدئ روعه؛ فهو - كما يتصور من التعميم - يرى المجتمع على مثل حاله!! وقد قال عثمان - رضي الله عنه -: ودّت الفاجرة (أي الزانية) لو أن أهل المدينة كلهم زنوا.

وفي المقابل فإن بعض النفوس لا تتحمل الوقوف أمام الخطر وحدها؛ وتشعر - في الوقت نفسه - أنها المكلفة بإزالته أو تغييره ولا يمكنها ذلك، فتصادق اليأس وتلوذ بالسلبية.

لقد كان أحد أسباب وقوع الناس في المعصية وغلبة الغفلة عليهم عدم الإحساس بالمسؤولية، وضعف الشعور بالانتماء للإسلام من خلال الفهم المخطئ للانتماء للإسلام: أنه لا يكون إلا بالاتباع المحض، والتدين الصادق، فصاروا ينظرون لأنفسهم نظرة تقويم سلبية تدفعهم لـ (اللامبالاة) بالأحكام الشرعية؛ باعتبار وقوعهم في المعصية وخروجهم عن الإسلام الصحيح - مع احتفاظهم بالاسم - وحين تذكر

(١) انظر تفصيل معنى (قول الرجل: هلك الناس) في شرح النووي على مسلم: (١٦/١٧٥) فهو مهم، على أن النووي - رحمه الله - نقل عن الحميدي أن رواية الرفع أشهر. والله أعلم.

(٢) رواه أبو داود، ح/٤٢٤٤.

(٣) عون المعبود: (١٣/٢٢٣)، (أو كدت إلخ) شك من الراوي.

(٤) انظر مجموع الفتاوى: (١٥/٣٣٣ - ٣٣٥)، (١٤/٢٠٩، ٢١٠).



لبعضهم الجوانب المشرقة في نفسه، والمواقف الإسلامية التي تُحفَظ له، ومشاعره الصادقة تجاه الدين وأهله: حينذاك تشرق نفسه وينفتح لها أفق جديد قد لا يتغير في ظاهره شيء ولكن حسبنا أن وثَّقنا الإسلام في قلبه؛ فهو خير لنا من أن ننخدع بظاهرٍ باطنه خواء، أو نخسر مسلماً فهم الانتماء للإسلام خطأ!

إنه مع وجود مظاهر الخلل والانحراف الواقعة في مجتمعات المسلمين اليوم فإن جوهر الإسلام ـ ولله الحمد ـ باق ما يزال نابضاً في الحياة الاجتماعية الإسلامية إلى حد كبير؛ فجذوة العقيدة حية في النفوس علاها الرماد بتأثير المعاصي والمنكرات والبدع والخلط في بعض المفاهيم كـ (العبادة، والإسلام)، والانصراف عن القوة في أخذ الدين والجدية في التربية، ولكنها حية تنتظر من ينفخ عنها الرماد لتشتعل من جديد، وبخاصة عندما تهدد الإسلام قوى خارجية أو داخلية، وبتعبير أدق: عندما ينجح الدعاة في إشعار جماهير المسلمين بوجود الخطر على الإسلام(١)، وأن كل فرد منهم عليه أن يساهم في رد هذا الخطر؛ فجوهر الإسلام باق ما يزال نابضاً في نفوسهم وكثير من أنماط حياتهم.

ولعلي لا أعد عدم التفات من لم يلتفت من الدعاة إلى هذا الملحظ (إبراز الجانب المشرق) أو عدم توفيته ما يناسبه من اهتمام لا أعده مشكلة حينما تكون القناعة به راسخة في الأذهان؛ فهو على غرار جملة من المبادئ والمسائل والاهتمامات في طريقها للتنفيذ، تختفي لبعض الوقت لتخلف القدرة عليها تارة، وتقدير عدم ملاءمة الزمان والمكان تارة أخرى!

إنما غاية الإشكال والحرج في عدم قناعة بعض الدعاة بوجود جانب مشرق ـ فضلاً عن جوانب ـ في المجتمع، وإنما الواقع ـ في نظره ـ أكوام من المنكرات تتكدس شيئاً فشيئاً؛ فتستحيل براكين يترقب ثوراتها في أي لحظة، ومثل صاحب هذا الرأي بحاجة إلى أن يقف على نتائج دراسات صادقة، وبشائر لا تخلو منها المجتمعات الإسلامية ـ بحمد الله ـ وتقديم الدلائل على أن بعض الأمور قد تكون في ظاهرها شراً ـ أو يغلب عليها الشر ـ لكن فيها مصلحة خفية لا تلبث أن تربو وتنمو، فتزهر خيراً كثيراً، وتثمر فجراً جديداً.

وحينما يؤكد على ضرورة إظهار الجانب المشرق للمجتمع ينبغي لنا مراعاة أمور منها:

١ - أن ما تقدم لا يفهم منه المناداة بترك جانب التحذير بالكلية، وإغفال إيضاح أبعاد الشر، وتقدير تبعاته لو استمر الحال؛ فهذا

---

(١) انظر: الغارة على التراث الإسلامي: (١٠، ١٠٨) وواقعنا المعاصر (١٢٨).

الفهم انتقال من طرف إلى طرف، ودين الله بين الغالي فيه والجافي عنه.

٢ - إن إظهار الجانب الإيجابي ينبغي ألاَّ يكون مديحاً صرفاً يكال بالمكيال، وإنما يوظف لنفض ما قد علق ببعض النفوس من اليأس والانهزامية، وأن يكون منضبطاً متزن الطرح؛ فإنه قد يترتب على التوسع فيه ركون الناس إلى هذا المديح والإخلاد إليه، فيعمل فيهم عمل المسكر: نشوة ولا عمل!

٣ - أن حاجة الناس إلى البرامج العملية التي تصحح واقعهم في أنفسهم ومجتمعهم لا تقل عن حاجتهم لتقويم الواقع وتصحيحه، وإبراز مواطن الشر فيه، وتحديد نقاط الضعف التي تتخلله، ومداخل العدو إليه، كما لا تقل عن حاجتهم إلى زرع الثقة فيهم، وإقناعهم بطاقاتهم ومواهبهم وتوظيفها توظيفاً شرعياً.

وهم - بحاجة كذلك - إلى قيادات تقدم لهم تلك البرامج العملية، وتتقدمهم فيها، وتشاركهم تنفيذها.

٥ - تتعرض المفاهيم - لأكثر من سبب - إلى عوامل تعرية (أو تغطية) مما يستوجب مداومة مراجعتها مع الناس، وعقد المقارنات مع معان أخر مظنة وقوع الخلط بينها، وتأصيلها تأصيلاً شرعياً، وتنبيه الناس إلى دقائق من شأنها لفت انتباههم إلى ما هو أبعد منها وأعمق؛ فإن من الخطر لبس الحق بالباطل، وتصور الأشياء على غير وجهها. قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «المرء ما لم يحط علماً بحقائق الأشياء التي يحتاج إليها يبقى في قلبه حسكة»[1].

٦ - وحين لا نرغب في ذكر جوانب كلية مشرقة في حياة عامة الناس - أو نجهلها - فهل نملك أن نقدم لهم نماذج مفردة من واقعهم في التغيير؟! نحو:

- أخبار التائبين من المسلمين والكفار، على أن تكون تلك الأخبار والقصص جامعة بين تنوعها في طبقات الناس وتخصصاتهم ومستوياتهم الاجتماعية، وبين بعدها عن المثالية في السرد والصياغة!

- أخبار من تفوَّق بعد إخفاق، أو شارك في الإصلاح بعد انطواء وعزلة، أو كان ثمرة تربية عالم أو مربٍّ، أو نشأ في بيئة غير ملائمة واستدرك زمانه واغتنم ما بقي من عمره؛ فقد أعاقتنا جُمَل مثل: «كان نابغاً في صغره» «ظهرت علامات النجابة فيه منذ نعومة أظفاره» «حفظ القرآن ولم يناهز الحلم» «مات ولم يخلف بعده مثله» «نشأ في بيت علم وصلاح».

- أخبار المشاركين في مسيرة الإصلاح ولو بالقليل فكان له أثر ملموس.

والله ولي التوفيق.

---

(١) مجموع الفتاوى: (١٠/٣٦٨).

الاعتدال في الحماس للفكرة

محمد بن عبد الله الدويش

من جوانب القصور لدى البشر الغلوُّ والإفراط، وفقدان التوازن في التعامل مع الأفكار. ومن مظاهر فقدان التوازن: الغلو في الحماس للفكرة.

فقد يتكوَّن لدى المرء اقتناع بفكرةٍ مَّا، أو حماسة لمشروع دعوي أو علمي، أو رؤية في تفسير ظاهرة من الظواهر؛ فيغلو في الحماس لهذه الفكرة. ومن مظاهر هذا الغلو:

● تضخيم الفكرة وإعطاؤها أهمية أكبر من حجمها، سواء في الحكم على مدى انتشار ظاهرة من الظواهر في المجتمع، أو في التفاؤل بنجاح مشروع من المشروعات، أو في أهمية الإقدام عليه وخطورة إهماله، أو في صلة هذه الفكرة بتفسير ظاهرة من الظواهر.

● توسيع دائرة الفكرة، والتكلف في ربط أمور كثيرة ربطاً متكلَّفاً بها، مع أنه لا علاقة لذلك كله بهذه الفكرة من قريب ولا من بعيد.

● الاستهانة بغيرها، ويصل الأمر في أحيان كثيرة إلى احتقار ما يقوم به الآخرون وينشغلون به عن هذه الفكرة الرائدة! ولو كانوا قد قاموا بوظائف شرعية، أو سدوا ثغوراً مهمة مما تحتاجه الأمة؛ فهناك من يحتقر جهد من يدعون غير المسلمين ـ رغم دخول كثير من الناس في الدين على أيديهم ـ بحجة سوء واقع المسلمين وأنه أوْلى بالدعوة والاهتمام، وهناك من يحتقر من يعتني بالعلم الشرعي ونشره وتعليمه بحجة أن غيره من الميادين الدعوية أوْلى منه، وهناك من يعكس الصورة، وهناك من يحقر جهود البناء بحجة أن الأولوية في الاحتساب على المنكرات ... وهكذا.

● الغفلة عن سلبيات هذه الفكرة ومشكلاتها؛ فكثير من الأفكار والمشروعات قد لا تخلو من جوانب

سلبية ومن مشكلات وعقبات، إلا أن الغلو في الحماس لها يؤدي بصاحبها إلى أن يغفل عن سلبياتها ومشكلاتها، وكما قيل: حبكُ الشيءَ يعمي ويصم.

● إشغال طائفة ممن لا يعنيهم الأمر بهذه الفكرة؛ فالناس طاقات ومواهب، وقدرات وإمكانات، وما يعني الخاصة قد لا يعني العامة، وما يفقهه الدعاة وطلبة العلم قد لا يفقهه غيرهم، فليس من المقبول أن نسعى إلى حشد طاقات الناس ـ على اختلاف مشاربهم وقدراتهم ـ للحماس لفكرة معينة والتفاعل معها.

إن الغلوَّ صفة مرذولة مذمومة، تأباها الطباع المستقيمة، وتمجها العقول السليمة؛ فكيف والشرع قد ذمَّ الغلو وعاب أهله بغضِّ النظر عن موضوع الغلو ومجاله؛ فالغلو في تعظيم من يستحق التعظيم والتوقير قد يوصل إلى الشرك، بل كثير من صور الشرك هي نتيجة للغلو في هذا الباب.

والغلو في التعبد ـ ولو كان فيما هو مشروع بأصله ـ يقود إلى رهبانية تخالف منهج النبي ﷺ وسنته، فكيف بالأفكار والآراء التي تحتمل الخطأ والصواب؟

وكما أن غلو الشخص في العبادة يشغله عن الواجبات الشرعية الأخرى كما قال ﷺ: «يا عثمان! أرغبت عن سنتي؟! فإني أنام وأصلي وأصوم وأفطر وأنكح النساء؛ فاتق الله يا عثمان! فإن لأهلك عليك حقاً، وإن لضيفك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً؛ فصم وأفطر، وصلِّ ونم»[1].

فكما أن هذا الغلو يشغل صاحبه عن حقوق أخرى، فغلو المرء في الحماس لفكرة يشغله عن غيرها.

وفي المقابل فحين لا تروق لنا فكرة فينبغي أن نعتدل في ردها ورفضها؛ فالغلو يولد الغلو.

---

(١) رواه أبو داود، ح/ ١١٦٢.

قراءة سياسية لنصوص بيعة العقبة

عبدالحكيم الصادق

لا ريب أنه بعد رجوعه ﷺ من الجولة السياسية لمدينة الطائف، ورحلته الربانية إلى بيت المقدس وسدرة المنتهى، ولقائه مع ممثلي الأمم من النبيين والمرسلين - عليهم السلام - قام ﷺ بعد ذلك بتعديل منهج التغيير؛ حيث اعتمد العمل من خلال مؤسسات المجتمع الجاهلي وأعمدته المتمثلة في القبيلة وأركانها؛ فقد قام ﷺ باتصالات مكثفة بتلك المؤسسات، كقبيلة عامر بن صعصعة، ومحارب بن خصفة، وفزارة، وغسان، ومرة، وحنيفة، وسليم، وعبس، وبني نصر، وبني البكاء، وكندة، وكلب، والحارث بن كعب، وعذرة، والحضارمة[1].

كل ذلك محاولة منه ﷺ أن يقبلوا الإسلام، أو يؤووه ويمنعوه حتى يُبلِّغ دعوة الإسلام، ويُقيم دولة القرآن على أنقاض دول الكفر والعصيان، وفي تلك التحركات السياسية قَدِم بعض قيادات الأوس والخزرج إلى مكة سعياً لعقد تحالفات سياسية مع قريش رجاء أن تؤمن عليهم حياتهم الداخلية التي كانت تهددها النزاعات الشديدة بين الأوس والخزرج، وتدفع عنهم المخاطر الخارجية المتمثلة في تهديدات قبائل يهود، وذلك ما كان من زيارة سويد بن الصامت الذي ارتاد مكة يبحث عن تحالف، وكذلك أبو الحيسر أنس بن رافع، وإياس بن معاذ كانا في وفد لذلك الغرض، وأسعد بن زرارة، وذكوان بن عبد قيس الزرقي ذهبا إلى مكة للغرض نفسه كذلك!

وقد تم بالفعل اللقاء بشخص الرسول القائد ﷺ، وكانت هذه اللقاءات الاستراتيجية تدور في فلك إمكانيات قيام دولة الإسلام، والتمكين لها على أرض يثرب حسب ما هو متاح من الحيز المكاني؛ والقطاع البشري المؤمن، وحجم العناصر التأمينية الأساسية، كعنصر القوة العسكرية، والاقتصادية، والأمنية.

الأبعاد السياسية لنصوص بيعة العقبة:

لا يخفى أن الإنسان مدني بالطبع؛ فهو مفطور على الاجتماع ببني جلدته، تَحْدُوه بذلك دوافع الحصول على الكساء والغذاء والدفاع عن نفسه ضد الحيوان[2]. والإنسان خاضع لضرورة ثانية هي إقامة الجماعة السياسية لضبط جدلية النظام والحركة؛ فالسلطة السياسية ظاهرة اجتماعية في المقام الأول، ولا يمكن تصور وجودها خارج الجماعة، كما أنه لا قيام للجماعة دون نظام سياسي. ذلك أن هنالك قطبين يتقاسمان الوجود الإنساني،

---

(١) راجع طبقات ابن سعد، ١/[illegible].

(٢) انظر: المقدمة، لعبد الرحمن بن خلدون، [illegible] القلم، بيروت، عام [illegible]١٤هـ، ٤١.

هما: قطب التعاون ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، ثم قطب الصـــراع ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، ومن ثم فإذا ما تصورنا هذا الوجود كائناً حياً، كان لا بد له من ناظم يضبط ويكبح الغرائز الفردية الجامحة، وينمي بالمقابل الإحساس بالتضامن الاجتماعي!

وهذا ما عبر عنه الخليفة الراشد علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بقوله: «لا بد للناس من إمارة بارَّة كانت أم فاجرة، فقيل: يا أمير المؤمنين! هذه البارَّة قد عرفناها؛ فما بال الفاجرة؟ فقال: تقام بها الحدود، وتأمن بها السبل، ويجاهد بها العدو، ويقسم بها الفيء»(١).

فالرسول الكريم ﷺ الرائد كان يرى ضرورة السلطة والتنظيم كضرورة الماء للكائن الحي، بل كان يرى ذلك حتى في أبسط شكل من أشكال الاجتماع السياسي، كخروج ثلاثة نفر في سفر، كما صح عنه ﷺ ذلك، وذلك حين قال: «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم»(٢)، وفي رواية أحمد قال ﷺ: «لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة الأرض إلا أمَّروا عليهم أحدهم»(٣).

يقول ابن تيمية - رحمه الله - في فهم هذه الأحاديث أنه ﷺ قد: «أوجب تأمير الواحد في الاجتماع العارض في السفر منبهاً في ذلك على سائر أنواع الاجتماع»(٤).

ويقول في موضع آخر: «وكل بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالاجتماع، والتعاون، والتناصر، فالتعاون على جذب منافعهم، والتناصر لدفع مضارهم، ولهذا يقال: الإنسان مدني بالطبع، فإذا اجتمعوا فلا بد لهم من أمور يفعلونها يجتلبون بها المصلحة، وأمور يجتنبونها لما فيها من المفسدة، ويكونون مطيعين للآمر بتلك المقاصد والناهي عن تلك المفاسد، فجميع بني آدم لا بد لهم من طاعة آمر وناه...»(٥).

لقد كان الرسول ﷺ مدركاً تمام الإدراك للدور الذي تلعبه السلطة في عملية النهوض التاريخي، والتغيير الحضاري الضخم، ولكنه لم يدرك ذلك مقولة ذهنية فحسب، بل مارس تلك الحقيقة ممارسة الواعي بخطه الاستراتيجي، المدرك لتقلبات النظم السياسية، الراصد للتحولات العرفية والإنسانية، العارف بالضرورة الإنسانية والحاجة الفطرية لذلك؛ حيث إنه كان حريصاً على إقامة السلطة السياسية، وبناء الدولة الإسلامية قبل هجرته للمدينة، وذلك أثناء بيعات العقبة الثلاث التي ركزت على تأسيس مقومات الدولة، وقيام أركان الاجتماع السياسي بصورة لم يسبق لها مثيل ولا نظير في تاريخ التحول البشري، والاجتماع السياسي.

أولاً: البعد الديني في بيعة العقبة:

يتضح مما مضى أن الدولة الإسلامية قائمة على عقيدة، وفكر، وتصور، وأنه بقدر وضوح هذه القضايا في أذهان أفراد المجندين لصفوف الدولة، وانتشارهم أفقياً ورأسياً مشكلين بذلك قاعدة عريضة تحمل هذه العقيدة والفكر والتصور

---

(١) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، لابن تيمية، دار الآفاق الجديدة، ببيروت، عام ١٩٨٣م، ٣٥.

(٢) موسوعة السنة، سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب (في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم)، المجلد التاسع: ٨١/٣.

(٣) موسوعة السنة، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ١٨٦/٢، ٢١٤، وكذلك الترمذي، في كتاب الجهاد، ح/ ١٦٧٤.

(٤) انظر: الحسبة في الإسلام، لابن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة، عام ١٤٠٠هـ: ٥.

(٥) المرجع السابق، ٢ - ٣.



الصحيح، أقول: بقدر هذا الوضوح والانتشار يكون التمكين للدولة، وبسط التأمين الشامل لأفكارها، وقياداتها، وبرامجها الآتية والبعيدة، كما يفهم ذلك من قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

ولأهمية هذا البعد الديني جاء ذكره في صدارة بنود مشروع قيام الدولة الإسلامية؛ حيث قال الرسول القائد ﷺ: «أما الذي أسألكم لربي: أن تؤمنوا به، ولا تشركوا به شيئا»[١]. وذلك ضرورة لتحقيق الإيمان بالله ومقتضيات ذلك الإيمان، واجتناب نواقضه الاعتقادية، والقولية، والعلمية، لكون ذلك شرط صحة في المشروع الإسلامي على مستوى الفرد والجماعة في مرحلتي الدعوة والتأسيس، والدولة والتمكين... يعبدونني لا يشركون بي شيئا.

ثانياً: البعد السياسي:

لا يخفى أن البيعة الأولى كانت تدور في فلك ضرورة الإيمان بهذه الدعوة الجديدة وحمايتها ونشرها بين أوساط قبائل الأوس والخزرج تمحيصاً لتحقيق أبعاد المشروع السياسي، وذلك بإقامة دولة الإسلام بأركانها الاعتبارية (دار ـ وأنصار ـ وسلطان).

وهذا البعد السياسي فيما يبدو كان واضحاً في أذهان الرهط الخزرجي، وبرهان ذلك حين أشار الرهط الخزرجي على الرسول الكريم ﷺ أن يتريث في القدوم عليهم إلى أن يتمكنوا من ترتيب الأوضاع في بلادهم من الناحية السياسية والأمنية وغير ذلك مما هو لازم لذلك التحول التاريخي.

ثم أرسل الرسول القائد ﷺ بعد هذه البيعة مصعب بن عمير ـ رضي الله عنه ـ لتحقيق هذه المقدمات الضرورية لقيام الدولة الإسلامية، فانطلق مصعب بن عمير ومن أحاط به من رجال الأنصار ـ رضوان الله عليهم ـ يقصدون كسب سادة المدينة إلى الإسلام، فأسلم حينئذ عدد من زعماء المدينة، منهم أسيد بن الحضير، وسعد بن معاذ.

وحين أصبح عدد الزعماء الذين أسلموا من أهل المدينة كافياً لتقديم النصرة إلى الدعوة بمعنى تسليم السلطة السياسية إلى الرسول القائد ﷺ هنالك عقد الأنصار في المدينة مقر الدولة الإسلامية الجديد مؤتمراً فيما بينهم قرروا فيه إعطاء النصرة للرسول ﷺ لكي يتسلم مقاليد الحكم والسلطان في المدينة، وعلى إثر هذا المؤتمر قدم وفد من هؤلاء الأنصار والزعماء يتألف من ثلاثة وسبعين رجلاً، وامرأتين ـ وذلك في موسم الحج ـ وتم عقد بيعة العقبة الثانية التي أعطي فيها زمام الحكم والدعوة لصاحبها رسول الله ﷺ؛ وذلك في الموعد نفسه الذي ضربه رسول الله للاجتماع بهم.

فقد ورد نص هذا المؤتمر الذي انعقد في المدينة على لسان جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ حين قال: «فائتمرنا، واجتمعنا سبعين رجلاً منا، فقلنا: حتى متى رسول الله ﷺ يطرد في جبال مكة، ويخاف؟ فرحلنا حتى قدمنا عليه، قال: تبايعوني قلنا: نبايعك.. الحديث»[٢].

وهذا يعني: أن هذا الاجتماع مع الرسول القائد ﷺ في هذا الوقت إنما كان فقط ـ من أجل البيعة

---

(١) رواه أحمد، ح/ ١٦٤٦١.

(٢) المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي: ٢/٦٢٥.

والتواثق على شيء قد تقررت الموافقة عليه من قبل هذا اللقاء؛ وذلك بإعطاء النصرة للنبي ﷺ بالمفهوم السياسي.

يدل على ذلك عدة أمور تفهم من حديث كعب بن مالك - رضي الله عنه - بشأن هذه البيعة وهي: أن العباس بن عبد المطلب - وكان أول من تكلم في الاجتماع - بادر الأنصار قائلاً: «إن محمداً قد أبى إلا الانحياز إليكم، واللحوق بكم»(١).

إذن، فالأمر مبتوت فيه، وليس هذا الاجتماع من أجل الدخول في مباحثات حوله من أجل تقريره أو لا، وإنما كان الاجتماع من جهة الرسول القائد ﷺ للتثبت من تسلم زمام السلطة وأن يسمعوا له ويطيعوا على كل أحوالهم «أبايعكم على السمع والطاعة في النشاط والكسل»(٢)!! «وأما الذي أسألكم لنفسي أن تطيعوني أهدكم سبيل الرشاد»(٣).

هذا من جانب النبي ﷺ، أما من جهة الأنصار فقد كان التأكيد على قبولهم للدعوة والدولة الإسلامية، وأنهم على أتم الاستعداد للتضحية من أجل سلامة هذا المشروع، وتحقيقه على أرض الواقع، وتأمين أهدافه في مختلف مراحل التمكين والتأمين، «لن نقيل ولا نستقيل»!!

ثالثاً: البعد العسكري:

لا ريب أنه لا يستقيم أمر عقيدة، وفكر سياسي، وكيان دولة تتجلى على أرض الواقع؛ إلا بقوة عسكرية تحميها في مراحل تأسيسها وتمكينها؛ فكم من حق ديس بالأقدام لعدم وجود قوة تحميه! وكم من باطل قام وانتفخ ليس بأفكاره وعدالة مبادئه، وإنما للقوة المدججة التي تحميه وتنافح عنه! والواقع خير شاهد على ذلك. قال - تعالى - لنبيه: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً﴾ [النساء: ٨٤](٤).

جاء في رواية الزهري فيما قاله أسعد بن زرارة - رضي الله عنه - أحد رجالات الأنصار في هذا الاجتماع، قال: «يا رسول الله! إن لكل دعوة سبيلاً إنْ لينٌ وإنْ شدةٌ!!

وقد دعوتنا اليوم إلى دعوة متجهمة للناس، متوعرة عليهم!!

دعوتنا إلى ترك ديننا واتباعك إلى دينك، وتلك مرتبة صعبة فأجبناك إلى ذلك!

ودعوتنا إلى قطع ما بيننا وبين الناس من الجوار، والأرحام، والقريب والبعيد، وتلك مرتبة صعبة فأجبناك إلى ذلك!

ودعوتنا ونحن جماعة في عز ومنعة، ولا يطمع فينا أحد أن يرأس علينا رجل من غيرنا، قد أفرده قومه، وأسلمه أعمامه، وتلك رتبة صعبة فأجبناك إلى ذلك! وكل تلك الرتب مكروهة عند الناس إلا من عزم الله على رشده، والتمس الخير في عواقبها، وقد أجبناك إلى ذلك بألسنتنا، وصدورنا، نبايعك على ذلك، ونبايع الله ربك، يد الله فوق أيدينا، ودماؤنا دون دمك»(٥).

ثم قام العباس بن نضلة - رضي الله عنه - أحد فاعليات الأنصار الذين حضروا البيعة، فألقى كلمة

---

(١) الروض الأنف، للسهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي، مطبعة الجمالية، بمصر ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤م: ٢/ ٨٩.

(٢) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ١/ ٦٦.

(٣، ٤) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: ١/ ٣٢٦.

(٥) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: ١/ ٣٢٦.

توضيحية قال فيها: «هل تدرون علامَ تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم! قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس»(١).

ثم قام أبو الهيثم بن التيهان - رضي الله عنه - أحد فاعليات الأنصار الذين حضروا البيعة، فألقى كلمة أكد فيها على أهمية البعد العسكري لهذه البيعة المباركة، فقال لهم: «يا قوم! هذا رسول الله، أشهد أنه لصادق، وأنه اليوم في حرم الله وأمنه، وبين ظهري قومه وعشيرته، فاعلموا أنه إن تخرجوه رمتكم العرب عن قوس واحدة! فإن طابت أنفسكم بالقتال في سبيل الله، وذهاب الأموال، والأولاد فادعوه إلى أرضكم؛ فإنه رسول الله حقاً، وإن خفتم خذلاناً فمن الآن. فقالوا عند ذلك: قبلنا عن الله، وعن رسوله ما أعطيانا، وقد أعطينا من رسول الله الذي سألتنا يا رسول الله»(٢).

رابعاً: البعد الأمني:

لا بد للحركة التي تريد إحداث انقلاب استراتيجي سواء أكانت في مرحلة الدعوة والتأسيس، أو طور الدولة والتمكين أن تعتني أيما اعتناء بفن الأمن والتأمين لتحقيق التغيير الجاد الذي يهدف إلى استرداد حاكمية الله على العباد والبلاد، ولا يكون ذلك التغيير الجاد إلا في وسط من ردود فعل حادة أو متوسطة من قِبَل الجاهلية الكنود، فإن لم تكن استراتيجية الحركة قد أعدت العدة لتأمين قياداتها وبرامجها في حالات الانتقال، والاصطلام، والاستلام، يكون الأمر جد خطير.

يقول ابن حجر - رحمه الله - وهو بصدد حديثه عن بيعة الحرب، بيعة قيام الدولة الإسلامية، مؤكداً فيها على أهمية البنود الواردة بخصوص الأمن والتأمين للدعوة والدولة في مراحل تأسيسها والتمكين لها: إنما كان ليلة العقبة ما ذكر ابن إسحاق وغيره من أهل المغازي أن النبي ﷺ قال لمن حضر من الأنصار: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم، وأبناءكم، فبايعوه على ذلك، وعلى أن يرحل إليهم، هو وأصحابه»(٣).

وفي رواية أحمد: «وعلى أن ننصر رسول الله ﷺ إذا قدم علينا يثرب، فنمنعه مما نمنع منه أنفسنا، وأزواجنا، وأبناءنا»(٤).

وينبغي ألا يعزب عن بالنا أن طلب الرسول ﷺ من الأنصار في هذه البيعة - بيعة الدولة الإسلامية - التأمين الشامل والكامل بشقيه الوقائي والإيجابي في إطار (الأنفس، والأزواج، والأولاد، والأصحاب) ما هي إلا سنة من سنن قيام الدولة الإسلامية التي تساعد على انطلاق استراتيجية الدولة نحو الأفق الواسع تأسيساً وتجنيداً، استيعاباً وتمكيناً.

وفي المقابل فإن عدم الإقرار بهذا المبدأ، وعدم الاهتمام به، من وجهة نظر حركية تغييرية، وسياسية انقلابية يعتبر اختزالاً لسنة الرسول الكريم ﷺ، وغايات اعتذارية يلجأ إليها على الغالب الذين جعلوا القرآن عضين: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣].

خامساً: البعد الاقتصادي:

لا ريب أن الجانب الاقتصادي له أهمية كبرى في مراحل التأسيس وأطوار التكوين وذلك على مستوى الأفراد والجماعات والدولة، لذلك رأى الرسول القائد ﷺ تأمين هذا الجانب وضرورة

---

(١) الروض الأنف، ٢/١٩١.

(٢) السيرة النبوية، للإمام الذهبي، ٢٠٥.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ١/٦٦.

(٤) انظر موسوعة السنة، مسند احمد بن حنبل: ٥/٣٢٥.

التنويه عليه ضمن ديباجة البيعة التأسيسية، فقال لهم: «وأما الذي أسألكم لي ولأصحابي: أن تواسونا في ذات أيديكم، وأن تبايعوني على النفقة في العسر واليسر - فمددنا أيدينا فبايعناه»(١).

ويمكن لنا أن نفهم أن بنود البيعة كانت بمثابة لبنات تأسيسية لمؤسسات وزارية في إطار الدولة فيما بعد؛ وذلك لتلبي حاجات الدولة الداخلية والخارجية، وتأمين حياة الفرد في إطار ذلك، وذلك على كافة المستويات، فمثلاً قوله ﷺ: «تبايعوني: على السمع والطاعة، في النشاط والكسل»(٢) يعتبر ذلك بمثابة جهاز أمن يلبي حاجات الدولة والفرد ضمن منظومة أمنية بعنصريها الوقائي والإيجابي، وقوله ﷺ: «وعلى النفقة في العسر واليسر» بمثابة وزارة الاقتصاد التي تحقق التكافل الاجتماعي، والتضامن والتعاون الاقتصادي في إطار استراتيجية الدولة الداخلية والخارجية، وقوله ﷺ: «وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» بمثابة وزارة الحسبة؛ حيث إنها تحقق المحافظة على مبادئ المشروع الرباني من أن تشوبه الشوائب، وقوله ﷺ: «وعلى أن تنصروني إذا قدمت عليكم» بمثابة وزارة الدفاع؛ حيث تحقيق الأمن والاستقرار للدولة ولمبادئها وقيادتها من أي اعتداء خارجي، وقوله ﷺ: «وعلى أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم، وأزواجكم، وأبناءكم» بمثابة وزارة الداخلية؛ حيث تحقيق الأمن الشامل لقيادات المشروع الرباني، ولأهلهم «وعلى أن تقولوا في الله، لا تأخذنكم لومة لائم» بمثابة وزارة الخارجية؛ حيث نشر الدعوة خارج الحدود، وطرح قضاياها المصيرية في التجمعات السياسية والاجتماعية بدون خوف ولا وجل وأن تقولوا في الله، لا تأخذكم لومة لائم».

ومن هنا يمكن لنا القول بأن التكافل الاجتماعي، والتضامن الاقتصادي الذي طبقه رسول الله ﷺ عند دخوله واستقراره في مقر دولته الجديدة (المدينة المنورة) يعتبر تطبيقاً لهذا البعد الاقتصادي الذي تم الاتفاق عليه بين الرسول القائد ﷺ والأنصار - رضوان الله عليهم - الذين آثروا إخوانهم المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً. آثروهم بالأموال والأنفس في صورة لم يعرفها تاريخ البشرية من قبل، فقد صوَّر لنا المولى - عز وجل - ذلك بقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

[الحشر: ٩].

ولا يخفى أن هذا البعد الاقتصادي كان يدور في فلك تحقيق معالم التكافل الاجتماعي، والتضامن الاقتصادي، والاستقرار السياسي، وذلك من خلال الحفاظ على ثوابت المشروع الرباني، وقيمه العليا، والوقاية من مذلة حاجة المأكل والملبس والمسكن بالنسبة لعناصر الدولة وقياداتها، والتمكين للمهاجرين الذين تركوا أموالهم وديارهم من تحسين وضعهم الاقتصادي، واعتبارهم السياسي، ومكانتهم الاجتماعية في إطار المجتمع الإسلامي الجديد.

دواعي ودوافع ضمن الاجتماع المنعقد في العقبة الثانية:

لقد لوحظ في سرد الروايات التي تناولت وقائع البيعة لتأسيس الدولة الإسلامية عدة نقاط تحدد دوافع قبول أهل المدينة توصيات تلك القمة الكبرى، وتوقيعهم على بنودها بكامل السعادة والاطمئنان

(١) أحمد، ح/١٦٤٦١.

(٢) أحمد، ح/ ١٣٩٢٤.

«لن نقيل، ولن نستقيل» وهذه الدوافع، وتلك الدواعي جديرة بالتأمل، والتحليل، والاعتناء بها في مراحل الدعوة والتأسيس، والدولة والتمكين في حالتي الاستضعاف والاستخلاف، وهي كما يلي:

الدافع الأول: ديني:

لا يخفى أن أهل يثرب كانوا على وعي ديني متقدم عن بقية القبائل الأخرى، لذلك رأوا أن الإسلام يشبع رغبتهم الدينية، وفطرتهم البشرية، فأسعد بن زرارة، وأبو الهيثم بن التيهان كانا ممن يتكلم بالتوحيد بيثرب، حتى إن ذكوان بن عبد قيس الزرقي عندما استمع إلى الرسول ﷺ في مكة يوم ذهب ومعه أسعد بن زرارة إلى هناك، فقال لأسعد: «دونك! هذا دينك».

الدافع الثاني: سياسي:

لا شك أن هناك دافعاً سياسياً كان وراء تلك البيعة، وقد عبر هذا الدافع عن نفسه بأشكال متعددة، بعضها منطلق من حالة القلق التي سادت الأوس والخزرج بعد يوم بعاث وسعيهم إلى عقد تحالفات سياسية تؤمن لهم المستقبل.

وبعضها منطلق من الملل من الأوضاع السياسية في يثرب التي اتسمت بحروب قبلية متصلة بين الأوس والخزرج جعلت العلاقات الاجتماعية قلقة مضطربة والخوف من المستقبل حالة قائمة، ومن ثم دفعت أهل يثرب إلى البحث عن حل يوحدهم حتى وإن كان هذا الحل خارجياً؛ فقد عبروا عن ذلك بقولهم لرسول الله ﷺ: «عسى الله أن يجمعهم عليك فإن اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا أحد أعز منك».

الدافع الثالث: عسكري:

وذلك كان منطلقاً من الخوف من استعادة اليهود سيطرتهم على يثرب لا سيما أنهم كانوا يهددون أهلها من العرب بأن نبياً سيظهر وأن اليهود سيتبعونه ويقتلون به العرب، كما جاء ذلك على لسان الأنصار يوم البيعة؛ حيث قالوا: «يا رسول الله! بيننا وبين الرجال - يعني اليهود - حبال، وإنَّا قاطعوها؛ فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟».

الدافع الرابع: اجتماعي:

مما لا شك فيه أن هناك دافعاً اجتماعياً كان ضمن الدوافع التي عجلت بالتوقيع على بنود البيعة؛ إذ يوحي هذا الدافع بوجود خلل اجتماعي يعاني منه أهل يثرب؛ ففي حديث ابن إسحاق عن بيعة العقبة الأولى أن الرسول ﷺ بايعهم بيعة النساء: «على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف».

وفي تقديرنا أن الوعي الديني المتقدم، والقلق السياسي، والخوف من السيطرة اليهودية، والضجر من الحياة الاجتماعية، والمستوى الثقافي المتقدم، كل ذلك عمَّق الاتجاه نحو الإسلام، خاصة إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن الإسلام قدم لأهل يثرب الوحدة؛ لأنه قدم لهم العقيدة، وخلق لديهم روح التعاون والتكافل والتضامن التي جعلت الأوسي والخزرجي يتجاوز نفسه، ويتجاوز قبيلته إلى سعة الإيمان وأخوة الدين، فكان طبيعياً إذن أن يلتقيا في وحدة أصبحت أسسها أقوى من تحزيب اليهود الذين تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦].

ولا ريب أن الإسلام قد قدم لهم بعد ذلك السيادة سيادة العقيدة والفكر، وسيادة السلطة، وسيادة الذات؛ حيث وحَّدهم وحررهم من السيطرة اليهودية التي كانوا أسيري خوف منها سياسياً واقتصادياً وثقافياً واجتماعياً: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ

عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ثم بعد ذلك قدم لهم أيضاً حلاً أخلاقياً للعلاقات الاجتماعية، والروابط الأسرية: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

نتائج وتوصيات بيعة العقبة الكبرى:

لقد أسفرت البيعة الأولى عن عدة نتائج وتوصيات استراتيجية في إطار تأسيس الدولة الإسلامية، والانتقال من مرحلة الدعوة والتأسيس إلى مرحلة الدولة والتمكين، وفحوى هذه التوصيات ما يلي:

أولاً: ضرورة تشكيل الجماعة الدينية الاجتماعية ـ الأعوان، والأنصار ـ وذلك على هيئة منظومة موحدة لتنفيذ مشروع الدولة الإسلامية: «قد جعل الله لكم إخواناً»(١).

ثانياً: ترسيم الأرض وتحديد حدود الدار الإسلامية التي تقوم عليها الرعية وهي آمنة على نفسها، وفي مالها، وعلى عرضها: «قد جعل الله لكم داراً تأمنون بها»(٢).

ثالثاً: تعين السلطة الدستورية، والقوامة الشرعية: «ولا يطمع فينا أحد أن يرأس علينا رجل من غيرنا، قد أفرده قومه، وأسلمه أعمامه، وتلك رتبة صعبة فأجبناك إلى ذلك»(٣).

رابعاً: تقرير قاعدة السمع والطاعة لهذه السلطة الدستورية، والقوامة الشرعية، والقوانين الربانية في المنشط والمكره، في العسر واليسر: «تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر»(٤).

خامساً: تحديد الشوكة الشرعية: وتقرير أهدافها الاستراتيجية وفق دستورية الدولة الإسلامية الجديدة: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم، قال: فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال: نعم! والذي بعثك بالحق! لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول الله؛ فنحن والله، أهل الحروب، وأهل الحلقة، ورثناها كابراً عن كابر نبايعك على ذلك»(٥).

وبهذه التوصيات، وتلك الأهداف تم تكوين الرعية المؤمنة، وترسيم الأرضية، وتحديد معالم الدار سياسياً، وتعيين السلطة الدستورية والقوامة الشرعية، وتقرير قاعدة السمع والطاعة لهذه السلطة الدستورية، وتحديد الشوكة الشرعية. وبتلك التوصيات الانتقالية تكون الدولة الإسلامية قد خرجت من طور الدعوة والتأسيس إلى مرحلة الدولة والتمكين، ومن مرحلة الاستضعاف إلى مرحلة الاستخلاف.

وفي مقال تالٍ ـ بإذن الله ـ سوف نتناول تفاصيل تلك المرحلة الاستراتيجية الهامة في الفكر السياسي الإسلامي، مرحلة وضع الدستور، وكيفية التعامل مع الأقلية والأكثرية من خلال بنود الصحيفة الدستورية.

---

(١) الروض الأنف، للسهيلي، ٢/٢١١.

(٢) المرجع السابق، ٢/٢١١.

(٣) كنز العمال، ١/٣٢٦.

(٤) سنن البيهقي، للإمام البيهقي، ٩/٩.

(٥) الروض الأنف، ٢/١٨٩، ومجمع الزوائد، ٦/٤٢، ٤٤.



عبد السلام كامل عبد السلام

ذريني يا بنات الشعر هجرا ... ولا تُبقي لودّي اليوم ذخرا
ذريني؛ فالليالي صرن يأساً ... ولم نلمح مدى الآفاق فجرا
ولا شهماً نناديه فيأتي ... ولا قلباً فتيَّ النبض حُرًا
إلامَ الأمر يبقى دون بث ... ولا من بارق ينهلّ قطرا
أما ذي الصرب جاست في ثرانا ... وصبَّت حقدها الموّار موْرا
أما هذي نساءٌ مسلمات ... مؤرّقة وما لاقين يُسرا
أما سيقت شيوخ للمنايا ... وما رُحمت دموع القهر تترى
أما الأطفال قد سلبوا كراها ... وقد فقدوا ابتسام العمر قسرا
أما الصرخات تجتاز القواصي ... ولكن إنّ في الآذان وقرا
أما الآهات شقت كل فجّ ... ولكن عاد رجع الصوت صفرا
أما جرّوا إلى التقتيل قوماً ... جريرتهم نداء الله جهْرا
متى يا قوم نستلّ المنايا ... متى نعطي دم الشهداء مَهرا
متى كالسيل يعلو كل هام ... ظلوم لا يرى في الدين خيرا
أكوسوفاه! أين خيول ربي ... تجدّد فيك كوسوفاهُ بدرا
وأين شبابنا المقدام يمضي ... ليُجري من دم الأعداء نهْرا
وأين صوارمٌ لله غضبى ... تذيق الصربَ في الغَمَرات بكرا
وأين بنو صلاح الدين ذابوا ... وهم قبلاً أحالوا القفر قطرا
بني ديني! تركنا العزّ لمّا ... تركنا من جهاد الكفر سِفرا
وقلنا: ذاك إرهاب ذميم ... وأصبحنا لقول الغرب أسرى
«أعدّوا» قد نسيناها كأنا ... نسخنا من كتاب الله سطرا
وقلنا إننا للسلم ندعو ... فيا عجباً لفأر ودَهرا
بني الإسلام! مهما يدج ليل ... سينشر بعده الإصباح تبرا

المـوائـد!

تركي المالكي

١

صاحبٌ.. كان لي
في زمان الصخبْ!
حينها والجميعُ شجاعٌ
ورأس الغواية في المحتطبْ!
كان يركض خلف العواصف
يقذفها باللهبْ!
محتمٍ بالدروع الأسامي!
ومن تحتها لمعانُ الذهبْ!
(أتراه ذهبْ)؟!

٢

كان روحاً لروحي!
كان ينهشُ قيدَ الطغاة الذي
نهشتْ نابُهُ معصمي!
كان إيقاعُ نبضي على نبضه نغماً طاهراً
للصديِّ الظمي!
حبرُه من دمي!
والدواةُ جروحي!
يهدرُ البغيُ من فوقنا..
برعود الغضبْ!
مطراً أسود
ويُسوِّرُ من حولنا هضبات الرماد...
وينبحُنا بكلاب الخطبْ!
وترى دمَنا الجمرَ ما بينها يلتهبْ!لالا
برقُهُ.. ركضُ مهرٍ جموحِ!

٣

صاحبٌ.. آه! كانَ..
وفي غفلة من جروحي
بهتت نجمةٌ في السويداء وانسحبتْ..
نحوهمْ
رَمَّدتْ جمرَها تحت أقدامهم!
ثم باعت لهم نفسَها .. ودمي!
والهوى.. وضريحي!
وتعرّتْ على بابهم..
فتكسَّرَ ما كان من نغم طاهرٍ
رقصتْ فوقهُ..
كالغزالة للفهد..
فابتسمي.. يا جروحي!

٤

أسد كان لكنْ..
هوى لاثماً..
رِجْلَ كلبٍ قبيحٍ!
نابُهُ نهشَتْ قبلُ شقَّ (الأمينِ)
فكان الشهيدَ
وكان الأمينُ السجينَ الأمينَ!
فمانا أسمُّي الذي..
خلتُه أسدي.. وفمي.. ونصيحي!
ثم ها هو بين يدي قاتلي
لاعقاً قدمَ البغي..
داس على وهجه و (المعالم) منتفشاً
بعقود المديح!
واللعابُ يسيلُ على عظمة نالها
فوقها من دمائي السليبة..
لحمي.. وقومي.. وروحي!

٥

كان رؤيا تفوح باطيابها..
ثم ها هو كابوسُ حلمٍ قبيحٍ .. قبيحٍ!
فادفني جثةً سمّمتها حياضُ الذُّبابِ ادفنيها
واغسلي ما بقي من رؤاها
ثُمَّتَ التئمي يا جروحي!

يا من غادر السفينة!

صالح علي العمري

كان بالأمس على الشط ينتشل الغرقى؛ فكيف أصبح اليوم بينهم يصارع الأمواج؟!

رضيت بالدون؟! أم أسلمت للنكد؟! ... أمْ السراب ابتلى عينيك بالرَّمد؟!
أم هل بلغتَ المُنى.. والشمسُ ما وقفت ... والعمرُ متصلٌ والدرب في مدد؟!
أم هزّك البغيُ، والأيامُ دائرةٌ ... والحق يعلو على الأعداد والعُدد؟!
لا تحسبنَّ الهوى ينجيك من كبد ... فإنما خلق الإنسان في كبد!!
وجنة الخلد تُنسي كلَّ مسغبة ... أنعم بذاك النعيم الناضر الأبدي
هل بات يُلهيك ما يُلهيك من مُتع؟! ... فاذكر بربك ما تلقاه بعد غد
أم هل تغشاك قطاع الطريق ضحىً ... وحبلهم - يا أخي في الله - من مسد
أم هل غُررتَ بكُثْر الساقطين هنا ... فالحق لا يُبتغى من كَثْرة العدد
دنيا تربَّتْ على التنغيص فالتصقت ... بطبها.. كالتصاق الروح بالجسد
محبوبة قُوتُها وجدان عاشقها ... أعوذ بالله من نفَّاثة العقد
تزينتْ لاصطياد القوم وابتسمتْ ... والسمُّ في ثغرها فوق اللهاة ندي
يا أنت: أين المنى اللاتي شمخت بها ... فأعظم الغبن إزهاق المنى بيدي
غشاوة الدرب في عينيك شاهدةٌ ... أن السقام اجتوى جنبيك من أمد
والنفس كالموج تستهوي الرياح به ... والذئب يغريه قاصي البهم بالرصد
والفقر بعد الغنى ذلٌ ومَسكنةٌ ... والغيُّ بعد الهُدى عارٌ إلى الأبد
وكلُّ نفس أُهينت بعد عزّتها ... فليتها قبلُ لم تُعْزَزْ ولم تَسُد

قد كان لي فيك آياتٌ وموعظةٌ ... تزفُّ وبل الرضا بَرْداً على كبدي

قد كنت عند حدود الله ذا وجلٍ ... فما لك اليوم لا تلوي على أحد؟!

أين التلاوةُ والعَبْرات مسبلةٌ؟! ... أين الأحاديث ذات المتن والسند؟!

أين العلومُ التي أسدتك رونقها؟! ... وذقت ما ذقتهُ من عيشها الرَّغِد؟!

ما لي أراك حسير الطرف منهزماً ... وكنت بالأمس ترياقاً لكل صدي!!

ماذا أسَطِّرُ والآياتُ بيِّنةٌ ... وأنت تعلمُ ما يلتاع في خلدي

لكن تناجيك أشجاني، ومعذرتي ... أني محبٌّ رماه الحُزْن بالفَنَدِ

إن لم يكن في الفؤاد الحرّ من قبسٍ ... فليس يجديك ما أعددتُ من عُدد..

فخشية الله أطواق النجاة، وما ... يُغْني النفوسَ بهاءُ المال والولد

لمَّا سقطت أمامي.. وانجلى بصري ... عزّيت نفسي وثار الخوف في أودي

واحلولكت كلمات البشر في شفتي ... وأظلم الكون في عيني على عَمَدِ

ومهجتي وترت.. فالنفس بائسةٌ ... كأنها قبل لم تَبْسم ولم تزدِ..

أأنت من يشتري الدنيا بباقيةٍ ... ويصطفي الزيف والبهتان بالرشد

قد كنتَ بالأمس في درب التقى علماً ... فلا تك اليوم تمثالاً لكل ردي..

عُرى العقيدة جلّت عن مساومةٍ ... ما قيمتي في الملا من غير معتقدي؟!

قد كنت أبقيك للخطب الجليل فمن ... لغيهب الغمِّ والبأساء والكمد؟!

إبليس يغرين والأهواء عارمةٌ ... إني أعوذ بوجه الواحد الصمد

يا مالك الملك! يا من عزّ عابده ... كما رفعت زواياها بلا عمد..

ثبت فؤادي وكفر كل معصيةٍ ... ما لي سوى ملجئي بالواحد الأحد

يا صفو نفس: دروب الشك شائكةٌ ... بلا ركوبٍ ولا زاد ولا مدد

إن اللآلئَ تبقى وهي غاليةٌ ... وإنما تعصف الأمواج بالزبد!!

الطريق إلى القدس

أحمد بن عبد الرحمن الصويان

قبل عشرين عاماً تقريباً وقف ياسر عرفات خطيباً محمرَّ الوجه، منتفخ الأوداج، يستصرخ بأعلى صوته، ويستنجد بالعرب لإنقاذ فلسطين، وينعى الخيانة العظمى للرئيس المصري أنور السادات في (كامب ديفيد)، ويعجب أشد العجب من جرأته في الاستهانة بالشعوب، وكيف أنه وضع يده بأيدي المجرمين الذين عاثوا في الأرض فساداً، وتلوثوا بدماء الأبرياء!

وما هي إلا سنوات قلائل حتى تمخضت تلك الانتفاخة البطولية! عن الحقيقة الكامنة وراء تلك الشعارات الزائفة: فها هو ذا الرئيس الفذُّ يدخل إلى منتجعات كامب ديفيد فاتحاً، ويقف جنباً إلى جنب مع أسياد اليهود، ضارباً بقدمه تاريخاً حافلاً لهذه الأمة من الصراع والعداء مع بني صهيون، وناسفاً ثوابت الأمة ومقدساتها، وملقياً وراء ظهره ما تشبثت به الأمة من الحق والعدل، بل وساخراً بعقول الناس الذين صفقوا في يوم من الأيام لشعاراته الوطنية، وتصريحاته الثورية..!

إنَّ المرء حينما يتجرد من وازع الخوف من الله ـ تعالى ـ، والالتجاء إليه، والاعتماد عليه، ويمتلئ قلبه تعظيماً لأعداء الله ـ تعالى ـ وثقة بهم تراه يتخبط في دياجير الهوى، ومستنقعات الخيانة، ويعمى أو يتعامى عن إدراك الوقائع والأحداث، وينظر إليها بعين الذليل الحقير الذي لا يملك صرفاً ولا عدلاً.

إن ثمة حقيقة ناصعة الوضوح؛ وهي أن القدس ليست ملكاً من المنظمات، بل ولا لشعب من الشعوب، حتى يحق لهم أن يساوموا أو يفاوضوا عليها؛ بل هي للمسلمين جميعاً من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب، منذ أن تعطرت أرضها الطيبة بمسرى النبي ﷺ، ورواها الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بدمائهم الطاهرة فاتحين. لا يحق لكائن من كان أن يضع هذه الأرض المباركة أداة لكسب سياسي مزعوم، أو ورقة دعائية يقف بها تحت الأضواء، وأمام عدسات الإعلاميين..!!

إنَّ غدر اليهود وتلاعبهم في الاتفاقات المختلفة حقيقة حدثنا

عنهـا التـاريخ الماضي ، وهـا نحن نشـهـد في تاريخنا المعاصر طرفاً من ألاعيبهم الباردة ، وخيـاناتهم الجلية الواضحة - حتى مع من حالفوهم ووضعوا أيديهم معهم - ، وقد دلنا على ذلك كتاب ربنا في قوله - تعالى - : ﴿ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة : ١٠٠].

والصراع مع اليهود عقيدة قائمة مهما وُقِّع من عهود ومواثيق ، ولن ينتهي هذا الصراع إلا حينما : « يقول الحجر أو الشجر : يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي خلفي ، فتعال فاقتله »(١) ، وما هذا الارتماء المهين على أعتاب اليهود إلا علامة من علامات الخزي والخذلان ، وها هو ذا طريق النصر واضح بيِّن في كتاب الله - تعالى - لا يغفل عنه إلا من أعمى الله بصيرته ، وطمس على قلبه : ﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ (٢٠) أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ (٢١) أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى [illegible] أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى [illegible] ﴾ [الملك : ٢٠ - ٢٢].

[illegible] إلا حينما ضيعنا الدين ، [illegible] ن العط[illegible] وسقطنا في [illegible] [illegible] جد أشياخنا [illegible] [illegible] ألا ، [illegible] له [illegible] ام [illegible] المس[illegible] الأقصى ، [illegible] وجدها مليئة بالأعشاب الجافة والنباتات الصحراوية - مما يدل على غاية الهجر والإهمال - ، وقد خطَّ فيها الناس جادة ضيقة يسيرون فيها للوصول إلى مكان الصلاة ؛ فبينما هو كذلك ؛ إذا به يرى في ساحة المسجد فتاتين عربيتين متبرجتين تبرجاً مخجلاً ، وتسيران في هذه الجادَّة بتمايل وتكسُّر ، فقابلهما شيخ كبير السن ، فأشارتا إليه باستهزاء وسخرية ، وراحت إحداهما تشير إلى لحيته بتقذر ، والأخرى تكاد تسقط من الضحك به والعبث بلحيته ، فما كان من الشيخ المغلوب على أمره إلا أن طأطأ رأسه ، ولم يقوَ على ردهما ، وترك لهما الجادة .

قال صاحبي : فلمَّا دخلت المسجد إذا بي أرى ذلك الشيخ يعتلي المنبر لخطبة الجمعة! وما كنت أظن أن ذلك الشيخ هو الإمام ، فأصابني ضيق شديد ؛ فهل هذا هو قَدْر أهل العلم؟! وهل تصل مهانتهم إلى هذا الحد؟! وكنت أظن أن إمامنا سيتحدث عن حال تلك الفتاتين ، أو عن واقع الأمة المتردي ، وعزوف الناس عن الصلاة وطاعة الله - تعالى - ، ولكنه تحدث عن أمر آخر بعيد عن ذلك كله . فخرجت من المسجد وأنا أحوقل وأسترجع وأسأل الله - تعالى - اللطف بحالنا . . !!

فإذا كنا قد ضيعنا القدس بهجرنا لكتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ ، فلن نستردها إلا إذا عدنا إلى مصادر العزة والتمكين ؛ فنحن قوم أعزنا الله بالقرآن ، ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله .



(١) أخرجه مسلم رقم (٢٩٢٢).



احذروني.. أنا من الرؤوس الجهال!

خالد أبو الفتوح

abulfutoh@hotmail.com

عندما تضع شمعة مشتعلة في ضوء ساطع فإنك بمشقة تلحظ أنها مضيئة، ولكنك كلما ابتعدت عن مركز النور واقتربت بها إلى الظل ازداد ضوؤها لمعاناً، فإذا تخطيت إلى منطقة ظلمة ازداد بسطوعها، ويتصاعد ضوء الشمعة سطوعاً كلما دخلت بها إلى منطقة أكثر إظلاماً.. ضوء الشمعة هو هو لم يتغير، ولكن تغيرت البيئة المحيطة بها.. أليس كذلك؟

هكذا هُدَى الرسالة، وهكذا المقتبسون من هُدَاها: فالرسالة نور ساطع (مبين): ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، والمؤمنون بها مقتبسون من هذا النور ـ كل بقدره ـ: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]، وهكذا (لمعان) النقاط الضوئية الضئيلة الضعيفة (المقتبسون من الرسالة) عندما يخفت ضوء مركز الإشعاع الساطع (الرسالة نفسها)، فكلما بَعُدَ الإنسان عن مركز النور (علم الرسول ﷺ وهديه) زماناً ومكاناً ازداد ضعف إبصاره لذلك النور، وازداد تبعاً لذلك ظهور الضوء الخافت.

فعن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَدْرُسُ الإسلامُ كما يدرس وَشْيُ الثوب، حتى لا يُدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، ولَيُسرى على كتاب الله ـ عز وجل ـ في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية..»[١]، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا..»[٢].

وما دام الصادق الأمين ﷺ أخبر بهذا الحديث فهو واقع لا محالة، ولكن بعض الطيبين يظنون أن ذلك الاندراس واتخاذ الرؤوس الجهال يكون قبيل قيام الساعة فقط، ولا شك أن هذا الظن صحيح في حالة الاندراس التام والجهل المطبق، أما في غير هذه الحالة فالاندراس يحدث واتخاذ الرؤوس الجهال يتم، ولكن بتدرج ونسبية[٣]، فاندراس وشي الثوب ـ وهو بِلَى نقش الثوب ـ الذي ضربه الرسول ﷺ مثلاً لاندراس الإسلام لا يتم فجأة وبدون مقدمات ـ وإن تسارع في ظروف معينة ـ كما أن قبض العلماء لا يتم في لحظة واحدة؛ وهذا ما تؤكده رواية أخرى: «ولكن يذهب بالعلماء، كلما ذهب بعالم ذهب بما معه من العلم حتى يبقى من لا يعلم فيَضِلوا ويُضِلوا»[٤].

(١) أخرجه ابن ماجه، ك/ الفتن، ب/ ٢٦، والحاكم في مستدركه، ٤/٤٧٣، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح/ ٨٧.

(٢) أخرج البخاري، ك/ العلم، ب/ ٣٤، ومسلم والترمذي وابن ماجه وأحمد بن حنبل.

(٣) انظر كلاماً نفيساً للحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في فتح الباري: ١٣/٣٠٠.

(٤) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، ك/ العلم، ب/ ٤٢، وعبد الرزاق في مصنفه ١١/٢٥٤، وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٢٠١) أن الحديث أخرجه البزار عن عائشة رضي الله عنها، وقال: «فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث، وهو ضعيف، ووثقه عبد الملك بن سعيد بن الليث».

وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ واضح في أن هؤلاء الرؤوس الجهال ليسوا مجرد أدعياء علم، بل إنهم يتصدون لمسائل حيوية ووقائع نازلة في حياة الناس، وإنهم يعملون على تشكيل حركة الناس من منظور الدين، فهم متَّخذون ومسؤولون ومفتون... ثم هم : ضالون مضلون!

وهنا تظهر النسبية؛ فقد يكون هذا (الرأس) عالماً ببعض النصوص الشرعية ولكنه غير محيط بها كلها، وقد يكون حافظاً لها ولكنه غير فقيه في فهم معانيها، وقد يفقه معانيها الجزئية ولكنه غير عالم بمقاصد الشريعة الكلية، وقد يكون عالماً بمقاصدها ولكنه جاهل بأحوال الناس [1]، وقد يكون عالماً بأحوال الناس ولكنه لا يملك الأهلية لتنزيل الحكم على مناطه الصحيح، وقد يكون ماهراً في باب من أبواب العلم خاملاً في أبواب أخرى، وقد تُعكس هذه الأحوال، أو يكون فيه بعض هذا أو ذاك... وهكذا نرى أنه يمكن أن يكون عالماً من ناحية وجاهلاً ـ بل رأساً في الجهل ـ من نواحٍ أخرى، وبعبارة أخرى يمكن القول: إنه قد يوجد نصف رأس جهل أو ربع رأس جهل.. وهكذا.

والتدرج والنسبية واضحان أيضاً في تناقص عدد العلماء نسبة إلى عدد المستفتين، ولحاجة الناس إلى من يفتيهم فإنهم يكملون النقص بسؤال من هو أقل علماً، فيصبح هؤلاء رؤوساً، وهؤلاء (الرؤوس) لا بد أنهم مميزون عن عامة الناس بنوع من علم وإلا ما اتخذوهم رؤوساً، ثم تكثر حاجة الناس أكثر ويتناقص عدد العلماء أكثر ـ بالوفاة أو بالانصراف عن التعلم ـ فينزل الناس (بمعيار العالم) في اتجاه الجهل، فتصبح (الرؤوس الجاهلة الأولى) درجة رفيعة في العلم !... وهكذا حتى يكون العالم عند الناس رأساً في الجهل إذا نسبناه إلى العلم الحقيقي، أو بمعنى آخر: يكون ضوء الشمعة الصغيرة عند الناس بمثابة نور الشمس الساطع.

ومن هنا ندرك أنه ينبغي على كل ملقٍ (كاتب أو متحدث) ألا يتيه ويُعجب بما يأتيه من ثناء ومدح على ما كتب أو ألقى؛ بل عليه أن يعرف قدره وقدر إخوانه وقدر ما ينبغي أن تكون عليه إمكانات وقدرات من يتصدى لمثل هذه المهمة؛ فرواج ما كتبه أو ألقاه يعني أن ضوء الشمعة يسطع ليس إلا، وهو قد يعني من جهة أخرى أنه ما سطع إلا لأن حلكة الظلمة شديدة ومساحتها واسعة.. أقول هذا وأنا أول المتهمين لنفسي، لا تواضعاً ولكن ذكراً للحقيقة ليعلمها من يجهلها، ويتذكرها من غفل عنها.

فإذا كان الأمر كذلك ـ وهو كذلك ـ فما الذي أقحمني في هذا المنزلق فاركبني هذا المرتقى؟

أقحمني أني رأيت مَنْ هو أجهل مني يتصدى ويتصدر ويغوص ويلوص في كل مسألة، غير عابئ بأثر الكلمة، وغير مقدر لما ينبغي أن يكون عليه من يتبوأ هذا المقام؛ فقناعتي الشخصية كانت ـ وما زالت ـ أن كثيراً مما يلقى ملفوظاً أو مكتوباً ـ خاصة في صفحات الجرائد والمجلات ـ لا يستحق ثمن المداد الذي طبع به، ولا الوقت الذي بذل في إخراجه ثم في سماعه أو قراءته، وأنه لم يأخذ قوته وقابليته إلا من كونه مادة مسجلة أو حروفاً مطبوعة، بل إني على قناعة بأن بعض المستمعين والقراء يستطيع إلقاء أو كتابة بعض المواد التي لا تقل (حسناً) عما تلقيه أسماء لامعة، إذا صقل هؤلاء المتلقون مواهبهم وامتلكوا الجرأة على التعالم والتفيهق! ووجدوا الفرصة والتشجيع من أولي الأمر الفكري والثقافي!

إذن: فما المطلوب من الملقي (أو العالم) والمتلقي (أو المريد)؟

المطلوب ـ في رأيي ـ من الملقي:

أن يتخلى عن غروره وثقته المفرطة بنفسه، ويعرف قدره، وأن يتخلق بأدب القرآن: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، فهكذا عرفنا (العلماء) من سلفنا الصالح، لا يتورعون عن قول: (لا أعلم) ولا يجدون فيها

---

(١) قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: «ولا ينبغي أن ينصب نفسه للفتيا حتى يكون فيه خمس خصال: ... الخامسة: معرفة الناس»، انظر: إعلام الموقعين لابن القيم رحمه الله، ٤/ ١٥٢.

منقصة البتة، أما في أزمان الظلمات فلا توجد هذه العبارة في قاموس المسطِّرين والمتحدثين، وانظر إلى قول ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ: «صح عن أبي الدرداء أن (لا أدري) نصف العلم»، وسلوك الإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ: «قال الهيثم بن جميل: سمعت مالكاً سئل عن ثمان وأربعين مسألة، فأجاب في اثنتين وثلاثين منها بـ (لا أدري) »[1]، ثم انظر إلى حال واقعنا العلمي والثقافي لتعلم الحقيقة، وهي أنه كلما ازداد علم العالم اتسعت دائرة (لا أعلم)، وكلما نقص علمه تآكلت دائرة (لا أعلم)؛ لأن الأول يعلم عمق بحر العلم وامتداده، والآخر يظنها البقعة التي يرى لا غير!

ومطلوب من الملقي أيضاً أن يعمل على رفع الوصاية الفكرية وإنهاء الحضانة الثقافية عن قرائه وتلامذته، إن لم يكن حرصاً منه على إيصالهم إلى البلوغ الفكري والعلمي وانتفاع الدعوة بهم، فإبراءاً لذمته وتخفيفاً للمسؤولية الملقاة على عاتقه بتحمل تبعات انسياقهم الأعمى خلفه.

أما المتلقي والمتعلم فمطلوب منه عدة أمور:

مطلوب منه أن يستخدم ما ميز الله به الإنسان عن غيره، أن يستخدم عقله في التفكير والتمييز والتمحيص والسؤال، والسعي الدؤوب نحو تنمية ملكاته وتنشيطها واستثمارها.

ومطلوب منه التوازن بين الإقبال على السلوك المستنبط من قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] من جهة، والفرار من سلوك أهل الضلال المذكور في قوله ـ تعالى ـ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] من جهة أخرى، فمقتضى العبودية لرب العالمين أن تقف محايداً من كلام البشر وأفهام البشر، وألا تقبل منهم أو ترفض إلا ببرهان أو بينة تصلهم بالنور النازل من السماء، أو بحجة العقل ورصيد الخبرة... هكذا تربى أصحاب رسول الله ﷺ، بل إنهم كانوا يناقشونه ﷺ (نقاش استفسار لا اعتراض) عندما يرون في كلامه أو أفعاله ما لا يتفق مع الأصول التي تعلموها منه؛ فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: «قال رسول الله ﷺ: انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً! قالوا: يا رسول الله! هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ قال: تأخذ فوق يديه»[2]، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «صلى بنا النبي ﷺ الظهر ركعتين، ثم سلم، ثم قام إلى خشبة في مقدم المسجد ووضع يده عليها، وفي القوم يومئذ أبو بكر وعمر فهابا أن يكلماه، وخرج سَرَعَانُ الناس، فقالوا: قصرت الصلاة، وفي القوم رجل كان النبي ﷺ يدعوه ذا اليدين، فقال: يا نبي الله! أنسيت أم قَصُرَتْ؟ فقال: لم أنس، ولم تقصر، قالوا: بل نسيت يا رسول الله! قال: صدق ذو اليدين، فقام فصلى ركعتين.. »[3]، وقصة تأبير النخل معروفة مشهورة.

والحياد تجاه كلام البشر و أفهامهم ليس فقط مقتضى العبودية لله ـ عز وجل ـ بل مقتضى العقل الراجح؛ فالعاقل لا يعرف الحق بالرجال، بل يعرف الحق فيعرف أهله، والحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها فهو أولى بها.

وعليه: فمطلوب ثالثاً من المتلقي أن يكون كالنحلة تدور على الأزهار لترتشف من كل زهرة رحيقها، وفي الوقت نفسه: تتجنب شوكها؛ ثم تخرج عسلاً فيه شفاء للناس، فينبغي أن يقف هذا المتلقي ـ غير مسبق النظرة ـ في نقطة الصفر الحيادية: لا يقبل من أحد بالكلية ـ غير المعصوم ﷺ ـ ولا يرفض من أحد بالكلية، إلا ما دل على قبوله أو رفضه برهان أو بيِّنة؛ فليس في عالم البشر خير محض ولا شر محض.

أخي القارئ! تذكر دائمًا: أنك إذا كنت عاقلاً فأنت مكلف، وإذا كنت مكلفاً فأنت مسؤول.

الآن انتهيت، فهل اقتنعت؟ أعد القراءة في ضوء أن كاتب المقال من الرؤوس الجهال !!.. فكِّر، ميِّز، قارن، ناقش.. لقد أبرأت ذمتي... الشكوى لله!

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٨/٧٧.

(٢ ، ٣) متفق عليه.



التنصير.. هل أصاب الهدف؟ (٢ - ٢)

رسالة إلى أغنياء المسلمين

يقول (ثوم موناهان) البليونير الأمريكي الشهير صاحب إمبراطورية دومينو بيتزا: إنَّه كان يقرأ كتاباً للمؤلف الشهير (لويس) عن معنى الدين وسيئات الكبرياء وحب الذات، وأدرك آنذاك أنَّه مهتم أكثر مما يجب بحاجاته المادية وبقشور الحياة، وأنَّ الكبرياء والسلبية خيَّمتا على حياته، فكان اهتمامه الأول يدور حول ممتلكاته ويخوته وسياراته وشققه وابنتيه.. وفجأة اتصل بمهندس معماري كان قد كلفه ببناء قصر له، وطلب منه التوقف عن العمل فوراً؛ لأنه قرر أن يصبح فقيراً، واختار خدمة الفقراء، ثم اوعز إلى مساعديه ببيع يخوته وطائراته الخاصة وجزيرة يملكها.

ووضع البليونير (موناهان) الأموال التي جمعها من بيع ثروته في مشاريع مختلفة تديرها الكنيسة الكاثوليكية، وسمَّى مؤسسته الجديدة: (آفي ماريا فاونديشن). وحتى الآن أسس أربع مدارس في (آن ربور) (ولاية ميتشجان الأمريكية)، تشرف عليها الراهبات، وإذاعة تبث برامج دينية، وخدمة إنترنت لتسهيل التعارف بين الكاثوليكيين الذكور والإناث، ومهجعاً للفتيات على مقربة من جامعة ميتشجان.. كما أسس جمعيات مهنية لرجال الأعمال الكاثوليك، وقدَّم الدعم المالي لمشروع إنشاء كلية في نيكاراجوا..!![(١)].

هذا البليونير مثال واحد من أمثلة كثيرة تدعم التنصير والإرساليات الكنسية، وصدق المولى - جل وعلا - إذ قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

ولكنْ! أين أغنياء المسلمين الذين يملؤون السهل والبحر؟! أتراهم يجهلون حاجات الدعوة الإسلامية في المشرق والمغرب، أم أن سيئات التجاهل وحب الذات قد غلبت عليهم؟!

إننا لا نطالبهم بالتخلي عن أموالهم وإنفاقها كلها للدعوة الإسلامية، ولكننا نطالبهم بإخراج الحق الشرعي الواجب في دين الإسلام، ونذكِّرهم بقول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

وها هي ذي الجهود التنصيرية بين أيديكم، [illegible] بعضها في العدد الماضي، وترون بقيتها في هذا الملف، ونؤكد على أن [illegible] ليس هو تضخيم العدو، ولكنها دعوة صادقة لجميع المسلمين - رجالاً ونساءً، أغنياء وفقراء - تقول لهم: [illegible] ولى عهد النوم والكسل، وجاء وقت العمل والتضحية. قال الله - تعالى -: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

(١) انظر: مجلة الحلة، العدد (١٠٦٧).



التنصير.. هل أصاب الهدف؟ (٢ ـ ٢)

الإسلام والنصرانية نظرة استراتيجية

د. محمد يحيى

عندما جاء الإسلام فإنه لم يهدم المسيحية ويناقضها وينقض كل ما جاءت به؛ لكنه لم يأت ليكملها أو ليؤكد على أوضاعها العقائدية الموجودة عندئذ، بل أتى ليصحح تلك العقائد تصحيحاً جوهرياً حاسماً، ويلفت النظر إلى تحريف كتابها المقدس في عمل لم يقتنع به أصحابها إلا في العصر الحديث وفي السنوات الأخيرة على يد فصيل من دارسيهم شككوا في تلك العقائد وفي ذلك الكتاب. ومن هنا كانت علاقة الإسلام بالنصرانية علاقة مركبة لا تنكر وجود عيسى ـ عليه السلام ـ ولا عذرية والدته ولا معجزاته أو المعجزات التي أجراها الله له، ولا تعاليم ولا قيماً، ولكنها تنكر تأليهه والغلو في تقديسه، وتنكر ما تسرب إلى ذلك الدين من عقائد وثنية مشركة واضحة ومعها مذاهب فلسفية غامضة.

فالعلاقة المركبة هذه تحتمل اللقاء والصراع وأحدهما أو كلاهما، وتاريخ العلاقة معروف، وإن كتب في معظمه في العصر الحديث من جانب من يتعاطفون مع النصرانية أو يكرهون الإسلام.

كان الصدام أو الالتقاء الأول في الجزيرة العربية نفسها وإن لم يكن صداماً بالمعنى المعروف، ثم تطور إلى الفتوحات الإسلامية في مواجهة الدولة البيزنطية المسيحية في الشرق، وبعدها في مواجهة دويلات غربية نصرانية الطابع في الأندلس وسائر أسبانيا وجنوب فرنسا وإيطاليا. ومن الجانب الآخر أتت الحروب الصليبية التي ما زال بعض الناس وحتى ممن يحملون أسماءً إسلامية يجتهدون في نفي طابعها الديني الواضح عداءً للإسلام وكراهية له. وبعد زوال الهجمة التي كادت أن تمس قلب العالم الإسلامي نفسه جاءت الفتوح الإسلامية لشرق أوروبا وجنوبها وحتى وسطها على يد الدولة العثمانية؛ ولكنها سرعان ما أخلت الطريق ـ منذ القرن السابع عشر الميلادي وحتى الآن ـ للهجمة الصليبية الكبرى والثانية التي تسمّت باسم الحركة الاستعمارية استيطانية وإمبريالية، ثم بالاستعمار الجديد، ثم بهيمنة العصر الأوروبي ـ الأمريكي وسيطرة الغرب والنظام العالمي الجديد (والقديم) وأخيراً العولمة.

وفي هذه الهجمة العاتية لم يكن السلاح العسكري وحده هو المستخدم، بل اكتملت بأسلحة الفكر والمذاهب والعقائد والفلسفات المختلفة، وبعضها يعلن أنه علماني لا ديني، وإن وجدت له جذور قوية في الفكر اليهودي ـ النصراني مع جذور في الأفكار والفلسفات الوثنية، وما زال العالم الإسلامي يجاهد ضد تلك الهجمة الكبرى التي تتراوح أجنحتها من حركات التبشير الصارخ والجارف إلى

اجتياح شامل من جانب الأفكار العلمانية وبينهما السيطرة السياسية والاقتصادية وغسيل المخ الإعلامي والطوفان اللاأخلاقي الإباحي.

وبصرف النظر عن تجربة التاريخ والعِبَر التي يمكن أن تستخلص منها؛ فإن الصورة الراهنة تعكس في النظرة الأولى مزيجاً غريباً من التطورات قد يتصوره بعضٌ تطوراً حاداً وتصعيداً لذلك المحتوى من اللقاء والصراع الذي قد يكون كامناً في العلاقة الجوهرية بين الإسلام والمسيحية؛ فمن ناحية تعلو أصوات ـ معظمها من الجانب الكنسي النصراني وتجد استجابة من الجانب الإسلامي الرسمي الموجه علمانياً ـ تدعو للحوار والتعاون والتقارب في صيغ وأشكال وكيفيات غامضة مبهمة المعالم. ومن الناحية الأخرى تعلو أصوات الصراع ـ وأيضاً في جلة من الجانب النصراني ـ كما تُشهَد أحداث متتالية من العنف الموسوم بالطائفي في قطاع جغرافي عريض يمتد في إندونيسيا وحتى مصر، ومن الوسط الآسيوي والشرق الأوروبي حتى الوسط والشرق والغرب الإفريقي ماراً بالشرق الأوسط. بل ومن البلد الغربي الواحد نجد الاتجاهين نفسيهما متوافقين؛ فالسلطة ومعها الكنيسة تحذر من الإرهاب والتطرف الإسلامي المزعوم وتدعو إلى محاربته، والكنيسة ومعها السلطة ترفع لواء الحوار والتقارب والتعاون. لكن هذا المزيج السطحي من الكلام الإعلامي المعسول والاشتباك الطائفي أو الديني الدامي المثل يخفي وراءه تطورات واتجاهات كبرى في علاقة وأوضاع الإسلام والنصرانية قلما يلتفت إليها الانتباه لا سيما وهي على المستوى الاستراتيجي.

إن النصرانية في مجملها من شرقية أرثوذكسية وغربية كاثوليكية ـ بروتستانتية وعلى تنوع المذاهب والكنائس داخل هذين الجناحين الكبيرين تمر الآن بتطورات وتحركات كبرى تغيب غالباً بل تأكيداً عن أذهان من يفتتون بدعوات الحوار البراقة أو من يصبون جل اهتمامهم على الحوادث الطائفية. ومجمل هذه التطورات هو نهضة كبرى أو بالأصح قوة متنامية للكنائس بأنواعها لا تصاحبها نهضة دينية بمعنى تنامي الإيمان والعقيدة والالتزام لدى شعوب تلك البلدان، وهذه مفارقة كبرى أخرى؛ فالكنائس الغربية مثلاً تكسب الاتباع المسجلين في البلاد التي تمارس التنصير فيها لكنها تخسر شعوب بلادها نفسها، وهي تزداد قوة ونفوذاً أو تأثيراً أو حضوراً في تلك البلاد المعرضة للتنصير لكنها تفقد قوتها لدى دوائر الفكر في بلادها نفسها وإن أخذ هذا الاتجاه يضعف تدريجياً مع الضعف العام الذي اعترى الفكر العلماني ولا سيما في روافده الفلسفية ومبادئه العامة، وبالمثل نجد أن الكنائس الأرثوذكسية الكبرى في روسيا وشرق أوروبا تصعد بعد سقوط الشيوعية ودولها إلى مرتبة القوة والسلطة وتحرك الأحداث والسياسات في تلك البلاد باتجاه التعصب الديني ـ القومي (وقد توحد الدين مع

التنصير في باكستان

سنة ١٩٩٢م كانت خصبة جداً للمنصرين في كراتشي؛ فقد تضاعف عدد المتنصرين خلال هذه السنة؛ ففي شهر ديسمبر ١٩٩٢م وحده اعتنق أكثر من ٥٠ مسلماً النصرانية في مدينة كراتشي، بينما عدد المتنصرين في المدينة خلال سنة ١٩٩٢م نحو ٦٠٠ شخص، ومن أسباب هذه الزيادة أن الجهود التبشيرية بدأت تؤتي الآن ثمارها بعد جهد طويل. إلا أن غالبية المتنصِّرين كانوا من الشيعة والإسماعيلية، ولكن هناك نسبة لا بأس بها من أهل السنة الذين تنصروا لأسباب مختلفة.

يقول أحد الأساقفة: حينما أذهب إلى باكستان لأدعو إلى المسيحية في أرجائها بكل حرية لا يصيبني أذى من الحكومة أو الشعب.

[عن مجلة الإصلاح، العدد: ٣٧٣] ـ البيان ـ

القومية في تلك البلاد في هدم واضح وصارخ لأهم مبادئ الفكر العلماني ولكن تلك قصة أخرى) ضد الإسلام والمسلمين من مواطنيهم في وسط آسيا وشرق وجنوب أوروبا، وليست أحداث البوسنة وكوسوفا وبلغاريا واليونان والقوقاز والأبخاز وأذربيجان والشيشان ببعيدة، وهي موصولة بالقمع العلماني الممارس ضد الإسلام بجوارها في تركيا وحتى تركمانستان وغرب الصين مروراً بالطاجيكستان والأوزبكستان. ومعها تنهض الكنائس الأرثوذكسية في مصر وإثيوبيا وإرتيريا، وتناهض الحكومات، وتفتعل الصدامات، وتصل إلى مستوى من القوة والنفوذ لم يعهد من قبل. ولكن تبقى تلك القوة غير مصحوبة بنهضة روحية إيمانية مماثلة على المستوى العقيدي، بل تشعلها روح من التعصب الديني قومي وسياسي الطابع أكثر من كونه وليد الإيمان الديني الروحي.

ويبدو هذا التطور الاستراتيجي معكوساً على الجانب الإسلامي؛ حيث الصحوة الإيمانية الإسلامية العارمة في وجه عقود من الكبت والقمع العلماني والتغريبي لا تصل أو لا يسمح لها أن تصل إلى مستوى الفعل الاجتماعي السياسي، ولا نقول النفوذ والتأثير على توجه المجتمعات والدول. والحركات الإسلامية وهي لا ترقى في تنظيمها وقواعدها المادية والبشرية إلى مستوى الكنائس بأي حال - تتعرض للضرب والقمع والاضطهاد بينما تلاحق مصادر الصحوة الفكرية وشخصياتها ونشاطاتها في إطار مجموعة السياسات التي أصبحت تعرف باسم استراتيجية تجفيف المنابع.

وهذا الانعكاس في التطور العام لدى كل من المسيحية والإسلام يولد وضعاً غريباً؛ فالإسلام القوي الناهض بإيمانه وروحه والتزام جماهيره يبدو ضعيفاً إزاء تحكم نخب وأقليات علمانية سياسية وفكرية في مقاليد الأمور في معظم أو أهم بلاد الإسلام؛ بينما المسيحية بأجنحتها وهي ضعيفة في جانب الالتزام الجماهيري والإيمان الشعبي في بلادها تبدو قوية للغاية، بل وجارفة من ناحية وصولها والتصاقها بالقوى والقوة السياسية والإعلامية بل والاقتصادية داخل بلادها وخارجها. وفي إطار هذا الوضع المعكوس أو المتناقض تجري عملية التنصير الكبرى، بل إننا نستطيع أن نفهم عملية التنصير الكبرى التي تقوم بها الكنائس الغربية بالأساس (ويقابلها عند الجانب الأرثوذكسي النصراني الشرقي عملية الحرب المطلقة ضد الإسلام والمسلمين بالسلاح) في ذلك الإطار بالتحديد، فهذه العملية الموجهة بشكل متزايد إلى المسلمين هي تعبير وانعكاس عن القوة المتزايدة للكنائس ومعها تزايد العدوانية والشراسة والرغبات التوسعية وهي كذلك محاولة واسعة للتعويض والتغطية في وجه الضعف والخواء العقيدي الداخلي. وهي بالطبع كذلك طليعة وأداة حركة التوسع والهيمنة الغربية الأوروبية الجامحة في ظل النظام العالمي الجديد والعولمة بعد أن اتخذت هذه الحركة أو ذلك النظام طابع الهوية المسيحية - اليهودية عنواناً وشعاراً لها في ظل عودة جارفة إلى الأصول والجذور الفكرية وأدها إخفاق الفكر العلماني وأفوله في ينابيعه الفلسفية، وإن لم يكن ذلك في مظاهره وتجلياته الثقافية المختلفة.

وحركة التنصير الكبرى في هذا التصور أو لنسمها حركة التوسع العدواني والهجوم التي يتخذ شكل التبشير عند بعض منهم، وشكل الصدام والعدوان العسكري عند بعض آخر، وما بينهما من أشكال الغزو والتغلغل والتشكيل الثقافي والإعلامي تعد المظهر الرئيس إن لم يكن الوحيد للتوجه المسيحية نحو الإسلام في هذه الفترة وفي المستقبل المنظور. وهي توجه استراتيجي كما يعلنون بصراحة، وهي كذلك حتى ولو لم يعلنوا؛ لأنها - كما قلنا أو تصورنا - تعبير وانعكاس بين توجهات وتطورات عامة في قلب النصرانية العالمة فوق أنها ترجمة دقيقة لاحتياج مجتمعاتهم إلى هوية وقومية ورؤية جديدة تعوض إخفاق العلمانية بمتاهاتها، وفوق أنها صدى أو تعبير عن موقف العداء والرفض ثم الصراع مع الإسلام التي تبنته النصرانية تاريخياً.

وفي إطار هذا التوجه الاستراتيجي أو الهيكلي - إن

جاز استخدام ذلك المصطلح الشائع من لغة الاقتصاد - للنصرانية يتبغي النظر لمسألتي الحوار المزعوم والاشتباكات الحادة - وهما المحالان الأظهر حقيقة الآن على سطح العلاقة - باعتبارهما متدرجين في ذلك التوجه وتابعين منه: فالاشتباكات المذكورة هنا وهناك تعبير عن حدة العداء وتحرك مواقع الكراهة واستباق الغزو الفعلي في حالات كما حدث في تيمور الشرقية مثلاً مؤخراً. وهذه الاشتباكات هي مظاهر خارجية ساخنة وقد تكون منفلتة للحركة التوسعية النصرانية التي ترمز لها عادة باسم التنصير. أما دعوات الحوار المذكورة والتي تفرض بالقوة على بعض المؤسسات الإسلامية والشخصيات ذات الطابع الرسمي والواقعة تحت سيطرة النخب العلمانية في بلادها فهي مفهومة على أساس أنها خداع استراتيجي كما يقال في لغة العسكرية، أو استكشاف لأبعاد وأعماق ونوايا وحجم ونوع «العدو» الإسلامي، أو محاولة للفت الأنظار بعيداً عن التطورات الحقيقية والنوايا المضمرة، أو شل لأيدي المسلمين عن التحرك الفعلي باتجاه مواجهة الحركة التنصيرية والهجمة الغربية العامة وشغلهم بأمور تافهة وغامضة المعنى، وبالطبع فإن لعبة شعارات الحوار والتقارب وما أشبهها تروج لها النخب العلمانية صاحبة النفوذ لأنها في نهاية المطاف عميلة للغرب أو متواطئة معه، ويهمها أن تقدم الإسلام على هيئة مقربان لهذه العلاقة حتى تزداد حظوتها لدى الأسياد الغربيين بقدر خدماتهم بتطويع الإسلام وتدجينه ثم ضربه ليتسع المجال أمام الزحف الغربي.

وهكذا فإن الظواهر التي تطفو الآن على سطح العلاقة العامة بين الإسلام والنصرانية والتي يظن أنها عابرة أو شاذة (في حالة الاشتباكات الطائفية الدامية داخل بلاد المسلمين أو على خطوط التماس) أو يظن أنها تعبير عن عصر جديد من السلام الأبدي والتعاون والتقارب الأزلي (كما في حالة دعوات الحوار) هي في جوهرها وحقيقتها مجرد تعبير وترجمة لتوجه استراتيجي عام أصبح مسيطراً في هذه الفترة على المسيحية عموماً بشكل أصيل، ويقابله كما قلنا توجه مضاد أو انعكاس في الإسلام نحو الانكماش والتراجع والمواقع الدفاعية، وعدم نشر الدعوة تحت وطأة الهجمات والدعاوى العلمانية المختلفة، ويتزعمه مسلمون ينتسب بعضهم لمؤسسات إسلامية (للأسف) تدخل في عملية الحوار مع النصرانية الغربية بالذات التي تستخدم الحوار ستاراً تمويهياً لحركة التوسع التنصيري؛ فهل لهذا التعقد المتشابك والتوجهات الاستراتيجية المتضاربة والمختلفة جذرياً من يفهمه ويفكر ويعمل على ضبطه لصالح الإسلام؟ هذا هو السؤال الذي يحكم المرحلة، وهو سؤال أبعد بعض الناس على الجانب الإسلامي نفسه من الإجابة عليه بوقوعهم في دائرة تكتيكات الحوار والتراجع التي فرضها الغرب أو النصرانية على الإسلام.

■ قد ازداد عدد سكان بنجلاديش (١٢٠) مليون من (٧٠) مليون منذ استقلال البلاد، بينما ازداد عدد المسيحيين ليصل إلى ٣ ملايين من أصل (٢٥٠) ألف مسيحي في الوقت نفسه. هذا يعني أنه ازداد عدد السكان أقل من ضعفين، بينما ازداد عدد المسيحيين أكثر من عشرة أضعاف في ثلاثين عاماً مضت في بنجلاديش.

[مجلة مدينة الشهرية، السنة: ٣٦، العدد: ٢، محرم، وصفر ١٤٢١هـ الموافق مايو ٢٠٠٠م]

■ ذكرت نشرة صوت الشهداء التنصيرية The voice of the martyrs أنهم يسعون لجمع الأموال لتوزيع كتاب (معاناة فانتصار) باللغة العربية على النصارى الذين يعانون تحت النظم الإسلامية، الهدف من توزيع الكتاب هو رفع وتقوية معنويات النصارى الفلسطينيين في المنطقة. [مجلة الصراط المستقيم، العدد ٦٦]. - البيان -



التنصير.. هل أصاب الهدف؟ (٢ ـ ٢)

التنصير لم يكن خافياً

(٢ـ٢)

قصة العلاقة بين الإسلام والنصرانية

إبراهيم بن محمد الحقيل

«من لم يعرف الماضي فلن يفهم الحاضر، ومن ثم يعجز عن التخطيط للمستقبل»

انطلاقاً من هذا المفهوم سرد لنا الكاتب ـ في الحلقة الماضية ـ طبيعة العلاقة بين الإسلام والنصرانية وما نجم عنها من أحداث منذ بعثة النبي ﷺ. تنم عن مدى ما يبذلونه من مكر ومال، وما تخفي صدورهم أكبر. وفي هذه الحلقة يتابع الكاتب قصة هذه العلاقة بتسلسلها التاريخي حتى عصرنا (عصر العولمة) لنرى بحق: هل أصاب التنصير الهدف؟ ـ البيان ـ

الاستعمار:

بدأ الاستعمار الأوروبي عام ١٤٥٠م تقريباً، ووصل قمته عام ١٩٠٠م؛ إذ قسمت الأقاليم المستقلة غير الأوروبية بين المستعمرين، وبعد الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م ـ ١٩١٨م) بدأت مرحلة المعاكسة، وتقلص الاستعمار بسبب ثورات الشعوب المستعمَرة التي رفضت الاستعمار البغيض.

مراحل الاستعمار:

يمكن القول: إن الاستعمار مرّ بمرحلتين:

المرحلة الأولى: الاستعمار الأوروبي القديم: وهي المرحلة التي تسمى بحركة الكشوف الجغرافية التي تم شطر منها في القرن الخامس عشر الميلادي، وكان لهذه الكشوف الجغرافية هدفان:

الأول: تطويق العالم الإسلامي لإضعافه تمهيداً لضربه في الداخل؛ فقد أيقن النصارى أن ضرب العالم الإسلامي بجيوش جرارة غير مُجْدٍ، وأخذوا من الحروب الصليبية ـ التي دامت مائتي سنة ـ دروساً في ذلك.

الثاني: البحث عن طريق تجاري مع الهند لا يمر بديار المسلمين.

وقد استفاد النصارى من علوم المسلمين الجغرافية والملاحية عن طريق جواسيس الكشوف الجغرافية من اليهود الذين كانوا يتقنون اللغة العربية، وكثير منهم حل بين المسلمين متظاهراً بالإسلام، مما مكن لهم الحصول على خرائط عربية عن المحيط الهندي، ومعلومات عن التيارات البحرية والمواقع الجغرافية والرياح الموسمية فضلاً عن معلومات عن التجارة الشرقية. وكان من

أشهر هذه الرحلات الاستكشافية رحلة (فاسكو دي جاما) التي كانت صليبية المقصد تتخفى وراء العلم و لاستكشاف؛ فقد قال عقب رحلته التي أعانه فيها من المسلمين الجغرافي أحمد بن ماجد: «الآن طوّقنا رقبة الإسلام، ولم يبق إلا جذب الحبل فيختنق»(١).

لقد حملت الكشوف الجغرافية الروح الصليبية متمثلة في آراء البابا (نيقولا الخامس) الذي وضع خطة تنفذ مع الكشوف الجغرافية لضرب المسلمين الضربة الأخيرة؛ فقد أرسل عام ٨٥٩ هـ إلى ملك البرتغال مرسوماً بابوياً تضمن ما يعرف باسم: (خطة الهند) التي تقوم على إعداد حملة صليبية نهائية تشنها أوروبا للقضاء على الإسلام بعد أن تحقق كشوف البرتغاليين أهدافها ويتصلوا بالملوك النصارى سواء في إفريقيا أو آسيا ليسهموا في تمويل الحملة الصليبية بالأموال والرجال والعتاد، ويتم تطويق العالم الإسلامي(٢).

وتمثلت هذه الروح الصليبية في (هنري الملاح) أمير البرتغال، وفي القائد البرتغالي (البوكرك) الذي كتب في يومياته: «كان هدفنا الوصول إلى الأراضي المقدسة للمسلمين، واقتحام المسجد النبوي، وأخذ رفاة النبي محمد [ﷺ] رهينة لنساوم عليه العرب من أجل استرداد القدس، وكان هدفنا الثاني: احتلال جنوب مصر، من أجل تغيير مجرى نهر النيل كي يصب في البحر الأحمر، بدلاً من مروره على القاهرة في طريقه إلى البحر المتوسط مما يضمن لنا خنق القلب الذي يقود الحرب ضدنا»(٣).

المرحلة الثانية: الاستعمار الأوروبي الحديث (الإمبريالزم): كانت الثورة الصناعية وما تلاها من نشوء الرأسمالية ورسوخها في المجتمعات الغربية من أهم أسباب هذا الاستعمار؛ إذ احتاج الغربيون إلى المواد الخام لتشغيل مصانعهم، وإلى الأسواق التي يصرفون فيها منتجاتهم، فكان العالم الإسلامي هدفاً من أهداف هذا الاستعمار الذي ليس إلا فصلاً من فصول الحملات الصليبية على العالم الإسلامي كما هو قول القائد الإنجليزي (اللورد اللبني) بعد أن دخلت قواته المستعمرة فلسطين عام ١٣٣٧هـ؛ إذ قال كلمته المشهورة: «الآن انتهت الحروب الصليبية».

وهذا الاستعمار الحديث الذي مهد له المنصِّرون والمستشرقون بدراساتهم وأبحاثهم يقوم على استغلال البلاد التي استعمروها وتطويعها لإرادته أكثر من استيطانها وحكمها. وكان الاحتلال والاستيطان فيه مرحلة أولى لتحقيق التطويع وزرع العملاء، ومن ثم إعطاء الاستقلال والرحيل بعد ضمان ما يلي:

١ - حكمها من الخارج عن طريق عملاء الاستعمار، أو اتفاقيات الحماية والوصاية ونحو ذلك.

٢ - الاستحواذ على ثرواتها ومقدراتها عن طريق تشغيل شركات المستعمر في أراضيها وربط عملتها بعملة الدولة التي استعمرتها، فضلاً عن القروض والمساعدات وإقامة المشاريع وتوقيع المعاهدات التي هي في صالح المستعمرين.

٣ - التبعية السياسية والثقافية للمستعمر.

آثار الاستعمار:

نتج عن الاستعمار بمرحلتيه آثار عظيمة لا زالت الأمة الإسلامية تعاني منها إلى اليوم، ويمكن تقسيمها إلى قسمين:

القسم الأول: آثار دينية من ضعف الدعوة إلى الإسلام ونشره، وانتشار البدع والمنكرات، والجهل

(١) حاضر العالم الإسلامي، د. جميل المصري، ١/ ٧٩ ـ ٨٢، ولنظر: واقعنا المعاصر، ص ١٨٩.

(٢) أوروبا في مطلع العصر الحديث، ٦١، عن المصدر السابق، ١/ ٨٤.

(٣) انظر: حاضر العالم الإسلامي، ١/ ٨٤ ـ ٨٥.

بأصول الإسلام، وضعف الالتزام بأحكام الشريعة لدى كثير من المسلمين حتى صار الإسلام اسماً فقط عند كثير من أبناء الشعوب المستعمرة، وقد سلك المستعمرون في سبيل تحقيق ذلك طرقاً عدة منها:

١ – تقطيع العالم الإسلامي إلى دويلات صغيرة عقب إسقاط الخلافة العثمانية، وقد سعى النصارى بكل ما أوتوا من قوة ومكر للقضاء على الدولة العثمانية؛ لأنها ـ مع ما فيها من فساد وضعف ـ كانت الرباط الذي يربط أقصى العالم الإسلامي بأدناه؛ ولذا فإنها لما سقطت سقطت معها هيبة المسلمين، واستبيحت حرماتهم وامتهنت كرامتهم.

وكان مكر النصارى ومخططاتهم ضد الدولة العثمانية قديماً؛ ففي عام ٧٩٢ هـ تكوّن حلف صليبي مقدس من الصرب والبوشناق والمجر وبلغاريا ونصارى ألبانيا لقتال العثمانيين وإزالة دولتهم(١)، وتكررت هذه التحالفات التي كانت تُخفق مرة إثر مرة؛ لكنها أضعفت الدولة العثمانية.

٢ – تجفيف منابع العلم بأحكام الإسلام وشريعته، وإضعاف دور العلماء والدعاة باحتوائهم، وتصفية من تأبّى على سياسة الاحتواء، حتى صار من حاشية جنود الاستعمار وجلساء قادته أناس ينتسبون لأهل العلم.

٣ – ممارسة التنصير، وتبديل ثقافة الأمة بثقافة أخرى ليست لها، وهذا يتضح من خلال خطاب الوزير الفرنسي (صالفندي) الذي ألقاه عام ١٨٤٦م أمام جمع من الأطباء العسكريين في الجزائر؛ ومن قوله: «مما لا شك فيه أن الحكومة الفرنسية تعترف لكم بجميل إخلاصكم في معاملتكم للجنود؛ غير أن لكم مهمة أخرى أكثر أهمية؛ أنتم مدعوون إلى القيام بها وهي مؤازرتكم بقسط كبير في العمل على إدخال حضارتنا في بيئة القبائل العربية والبربرية. إن تبشيركم سيكون ولا شك القادر على النجاح خلال السنوات المقبلة؛ ومن جهتنا سنقوم بكل مجهوداتنا لنوفر لكم كل الظروف وسط المواطنين للعمل على نشر التعليم الطبي الذي سيصبح نافعاً في الوقت نفسه للإنسانية ولتثبيت قوتنا في هذا البلد»(٢).

وبقراءة هذا الخطاب يظهر أمامنا ثلاثة أمور أساسية:

أ – الارتباط الوثيق بين التنصير والاستعمار، وأن للتنصير دوراً ثقافياً إمبريالياً.

ب – أشار الوزير إلى دور هؤلاء الأطباء في إدخال الحضارة الغربية في البنية العربية ولكن بإدخال الثقافة الاستعمارية وليس إيجابيات الحضارة الغربية؛ بدليل أن الاستعمار الفرنسي للجزائر الذي زاد على ثلاثة قرون وثلث القرن لم تجنِ منه الجزائر إلا تخلف أبنائها ونهب خيراتها واستيطان أراضيها وإذلال شعبها.

ج – أن السلطات الاستعمارية كانت تدعم كل الجهود التي تساعد في التأثير الثقافي(٣).

وحتى بعد رحيل المستعمرين عن ديار الإسلام ظل التأثير الثقافي مسلطاً على الديار التي استعمروها عن طريق الجامعات الغربية كالجامعات الأمريكية في كثير من الدول العربية، والمدارس الغربية كذلك، وفي مصر وحدها أكثر من تسع مؤسسات تعليمية بين جامعة

(١) الحروب الصليبية، لأحمد شلبي، ١٢٢.

(٢) المجلة التاريخية المغربية، ١ كانون، ١٩٧٤م، وانظر الإسلام والحضارة العربية، ١/٢٤٨، ٢٥٠ فقد ذكر محمد كرد علي أن أكثر أساتذة المدارس التي أنشئت في مصر على عهد نهضتها الأولى كانوا من الفرنسيين المستعربين، حتى قال أحد الإنجليز: إن المدنية المصرية الحديثة هي مدنية فرنسية صرفة. وذكر أن أعداداً كبيرة من المنصرين كانوا يمارسون التنصير خاصة في الشام ومنهم الإيطالي والفرنسي والأمريكي والروسي والأسباني والأسكتلندي وغيرهم.

(٣) الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي، ٩٩، ١٠٠.

وكلية ومدرسة أمريكية وإنجليزية تمارس التنصير.

وكذلك عن طريق الأبناء العاقين لأمتهم المخلصين للغرب النصراني الذين درسوا في الغرب وتشربوا ثقافته، ثم سُلِّموا وزارات التربية والثقافة في البلاد الإسلامية، وأعطوا المنابر الإعلامية ليقوموا بتشويه الثقافة الإسلامية، والدعاية لثقافة المستعمرين، والدعوة إلى الأخذ بها بخيرها وشرها، وحلوها ومرها... كما قال طه حسين، وكما قال تركي الحمد: لا يمكن أن تأخذ السيارة ولا تأخذ ثقافتها أي: ثقافة صانعها.

وعن طريق النوادي الماسونية أيضاً والجمعيات الغربية من نسائية وغيرها التي أنشئت في العالم الإسلامي ويصلها كل الدعم المادي والمعنوي من المستعمرين.

٤ – تغيير اللسان العربي الذي في بقائه وحفظه حفظ الإسلام؛ إذ هو شعاره وبيانه[١].

وقد رأينا فيما مضى كيف أن النصارى في الأندلس إبَّان تنصيرها منعوا التخاطب باللغة العربية، وألزموا المسلمين بهجرها والتخاطب بلغة المستعمر.

وهكذا حصل في الاستعمار الحديث؛ فالاستعمار الفرنسي في الجزائر ركَّز على تعليم الفرنسية ومنع الجزائريين من تعلم العربية، وكان على الطفل الجزائري أن يتعلم الفرنسية بوصفها لغة قومية؛ لأن الاستعمار كان يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر العربية المسلمة[٢].

٥ – نشر الفاحشة في المسلمين وذلك بإخراج المرأة من بيتها، وإلقاء حجابها، وخلطها بالرجال في ميادين الدراسة والعمل، بل وإنشاء دور التمثيل والرقص والأزياء الفاضحة، والمجلات الهابطة، ومراكز إنتاج الأفلام والأغاني الخليعة، والإشادة بالماجنين والفسقة والسوقة من أولاد المسلمين ورفع شأنهم في وسائل الإعلام المختلفة.

وفي مقابل ذلك تضييق سبل المحافظة على العفة والطهارة بانتقاد وربما منع الزواج المبكر ومنع تعدد الزوجات، وإباحة الزنا قانونياً كما في تونس وتركيا، أو تضييق سبل الحلال وتوسيع سبل الحرام كما في كثير من الدول الإسلامية.

وقد قال قائد من قادة الصليبيين: «لن تهزموا المسلمين بكثرة الجيوش ولا بقوتها ولكن ستهزمهم جيوش النساء، وستهزمهم قوارير الخمر»[٣].

٦ – إحياء النعرات القومية (العربية، الطورانية، البربرية...) بقصد إضعاف الانتماء إلى الإسلام، واستبداله بالانتماء إلى القطر أو الوطن أو القبيلة أو نحو ذلك.

يقول أحد المستشرقين: «إننا في كل بلد إسلامي دخلناه نبشنا الأرض لنحصل على تراث الحضارات القديمة قبل الإسلام، ولسنا نعتقد بهذا أن المسلم سيترك دينه، ولكن يكفينا منه تذبذب ولائه بين الإسلام وتلك الحضارات»[٤].

القسم الثاني: آثار دنيوية: وهي كثيرة ومنها:

١ – تفريق الأمة الواحدة وضرب الحدود الاستعمارية بينها، ومن ثم التحريش بين الجار وجاره خدمة لمصالح المستعمرين، في إرغام الدول المستعمَرة على توقيع اتفاقات الأمن والحماية التي بموجبها تمتص الدول الكبرى – دول الاستعمار – خيرات هذه الدول الضعيفة التي تخاف جيرانها.

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ٢/٢٥٢ـ ٢٥٥، واقتضاء الصراط المستقيم، ١/٤٦١ ـ ٤٦٤.

(٢) انظر: في الثورة والتعريب، د. محمد مضايف، ٥٠ – ٥١.

(٣) الهزيمة النفسية عند المسلمين، د. عبد الله الخاطر، ٤٥.

(٤) الولاء والبراء في الإسلام، د. محمد سعيد القحطاني، ٤٢٠.

٢ – اغتصاب الأراضي الإسلامية؛ فقد اغتصب الاستعمار الأندلس كاملة، وأجزاءاً كبيرة من البلقان وروسيا البيضاء وأرض الجمهوريات الإسلامية وجبل طارق والجولان وفلسطين وغيرها، وأخيراً تيمور الشرقية.

٣ – التخلف الاقتصادي في البلاد المستعمَرة، والاعتماد على وسائل الإنتاج البدائي كـ (الزراعة) والتدخل في العلاقات الاقتصادية، وإقامة الحواجز الاقتصادية كالاحتكارات والمضاربات ونحوها.

٤ – تكريس تبعية نظم البلدان المستعمرة الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية للدول الاستعمارية العظمى ونظمها.

٥ – تغريب المواطن عن مشاكل شعبه، وإيجاد نموذج من المثقفين العاجزين عن فهم هذه المشاكل فضلاً عن حلها وتسليمهم زمام القيادة، كما أسهم الاستعمار – ولا زال يسهم – في حدوث القلاقل والثورات في المجتمعات الآمنة المستقرة خاصة عند رفضها لما تقرره السلطات الاستعمارية، إضافة إلى شغل المثقفين والمفكرين عن هموم أمتهم بالدعوة إلى الذوبان في الأنظمة الاستعمارية.

٦ – تكريس ما دُعي بالنخبوية الطبقية مع الحرص على اختيار نماذج من أبناء الطبقات الشعبية إخفاءاً للدور الحقيقي لمؤسسات الاستعمار الثقافي والإعلامي الموجودة في العالم الإسلامي.

٧ – وجود مجتمعات خاصة (فصائل ثقافية أجنبية) ضمن المجتمع الإسلامي تهدد وحدة المجتمع ووجوده؛ فالإرساليات التنصيرية، والشبكات الماسونية، والمؤسسات والجمعيات الغربية تعمل في كثير من بلاد المسلمين دون رقيب أو حسيب عليها، بل تدعمها الأنظمة العلمانية في الوقت الذي تقمع فيه أي توجه إسلامي.

٨ – إقناع الشعوب الإسلامية بأن الخير في الاستعمار الثقافي؛ وذلك عن طريق الوقوف ضد تطوير التعليم العام والتعليم العالي، وتشجيع التعليم اللاوطني والمؤسسات التعليمية الأجنبية وإثبات كفاءتها وقدرتها بدءاً من ضخامة منشآتها، وتطور وسائلها التعليمية والتربوية، وانتهاءاً بإيجاد الفرص الوظيفية لخريجيها دون الجامعات المحلية، ولا يمكن مقارنة الجامعة الأمريكية في مصر أو بيروت بالجامعات المحلية.

٩ – الشعور بالدونية والإحباط، والاقتناع بتميز الرجل الأبيض عن سائر الشعوب الملونة، وهذا كرَّسه الاستعمار العسكري بما مارسه من إرهاب جسدي وتصفية لأبناء الشعوب المستعمرة، بل وممارسة أبشع صور القهر والإذلال النفسي والجسدي؛ ومثال ذلك ما فعله الاستعمار الهولندي في إندونيسيا حتى إن الجندي الهولندي إذا أراد أن يعلو ظهر جواده أشار إلى الأندونيسي فيركع أمامه فيدوس الهولندي بحذائه على ظهر الأندونيسي ليعلو جواده.

وقبل ذلك أَلْزَمَ المتنصِّرون في الأندلس أن يسجدوا في الشوارع والطرقات إذا مر بهم الرهبان والقساوسة احتراماً لهم.

النظم العالمية والعولمة:

خرج الغربيون النصارى من بلاد المسلمين عقب استعمارهم لها بعد أن زرعوا عملاءهم، ومكنوا لأبنائهم، وضمنوا هيمنتهم في شتى المجالات، ولم يعد الشرق الإسلامي مصدر قلق لهم، وقضوا على خلافته، وفتتوا دولته وجزَّؤوه إلى دويلات صغيرة. كما نتج عن ذلك انتشار البغي والظلم؛ لأن القيادة والسيادة انتقلت من المسلمين – الذين يدينون بدين الحق والعدل مع الناس كلهم – إلى غيرهم سواء أكان هذا الغير أهل الكتاب – اليهود والنصارى – أم الملاحدة العلمانيين الماديين – الليبراليين والماركسيين وغيرهم من أصحاب النظريات المادية. ومن أجل إضفاء الشرعية على ممارسات الظلم

التي قام بها النصارى - المتدينون منهم والعلمانيون - في عصر سيادتهم وقوتهم فإنهم اخترعوا المجمعات الأممية، وأسسوا المؤسسات الدولية التي يمررون قراراتهم وتوصياتهم الجائرة عبر مجالسها واجتماعاتها. وجاءت فكرة هذه المؤسسات الدولية في نهاية الحرب العالمية الأولى حينما بات من الواضح انتصار الحلفاء على ألمانيا والدولة العثمانية؛ إذ كان النظام الدولي قبل الحرب قائماً على توازن القوى بين الدول الأوروبية الكبرى وكانت بريطانيا هي الطرف الأقوى في هذا النظام لحفظ التوازن، وبعد الحرب تبنى أصحاب الرأي وقادة الفكر في المجتمعات الأوروبية الدعوة إلى بناء نظام دولي جديد على أساس تكريس الهيمنة والسيادة الأوروبية على العالم، وتسخير عصبة الأمم لرعاية هذه السيادة وتنظيمها[1].

وبعد الحرب العالمية الثانية وهزيمة دول المحور (ألمانيا وإيطاليا واليابان) على يد قوات التحالف اجتمع قادة الحلفاء (أمريكا والاتحاد السوفييتي وبريطانيا) في قمة يالطا عام ١٩٤٥م لإعادة رسم الخريطة العالمية وتوزيع مناطق النفوذ بين المنتصرين في الحرب، ثم تحول شكل النظام الدولي إلى القطبية الثانية بعد تكوين حلف الأطلسي عام ١٩٤٩م وامتلاك الاتحاد السوفييتي القنبلة الذرية وتكوين حلف وارسو عام ١٩٥٥م[2].

وتحيزت دول العالم الثالث إلى أحد المعسكرين - الاشتراكي الشرقي، أو الليبرالي الغربي - واندفعت إلى صراع محموم وتنافس رهيب على امتلاك الأسلحة الفتاكة والدخول في حروب شعواء لمصلحة أحد المعسكرين مما أدى إلى فساد العمران واستنزاف الأموال، وإفقار الدول التي سموها دول العالم الثالث.

وبعد أزمة الخليج وترنح الدب الشيوعي وتفكك الاتحاد السوفييتي تحولت السيادة ومن دون منافس إلى أمريكا الرأسمالية البروتستانتية المحكومة باللوبيات الصهيونية، وهذه الزعامة القطبية لأمريكا جعلت رئيسها بوش عقب أزمة الخليج يفصح عن الغرور الأمريكي والابتهاج بحكم العالم حينما رسم خطوط النظام العالمي الجديد الذي تديره بلاده أمام الكونجرس فكان من قوله: كانت الولايات المتحدة على مدى قرنين من الزمان هي مثل العالم الأعلى في الحرية والديمقراطية، وقد حملت أجيال متعددة راية النضال للحفاظ على الحرية وتعظيم المكاسب التي حققتها، واليوم وفي عالم يتحول بسرعة شديدة فإن زعامة الولايات المتحدة لا غنى عنها[3]. وفي مناسبة أخرى قال في زهو وغرور: لقد أنقذنا أوروبا، وتغلبنا على الشلل، ووصلنا إلى القمر، وأضأنا العالم بثقافتنا، والآن ونحن على مشارف قرن جديد نسأل: لمن ينسب هذا العصر؟! إنني أؤكد أنه سيكون عصراً أمريكياً آخر[4].

ما الذي يريدونه في عصر النظام العالمي الجديد (العولمة)؟!

لقد تكفَّل أهل الكفر بتفتيت العالم الإسلامي وفرض سيادتهم عليه، ونهب ثرواته، وتصدير نظمهم إليه، لكن القصعة المستباحة كانت مقسمة بين الشرق والغرب وبعد سقوط الشيوعية ضمن الغرب الاستئثار بها وحده، ولم يبق ما يزعج الغرب النصراني العلماني إلا تفوق العالم الإسلامي في النواحي الاجتماعية،

---

(١) انظر: النظام الدولي الجديد، ياسر أبو شبانة، ١٧، والإسلام والنظام العالمي الجديد لمولاي محمد علي، ترجمة أحمد جودة السحار، ٩٢-١٣، والنظام العالمي الجديد ملامح ومخاطر، د. شفيق المصري، ٣٤.

(٢) انظر: تغيير العالم، سلسلة دار المعرفة، رقم ١١، ص ٢٤ - ٢٩، والنظام الدولي الجديد لأبي شبانة، ١٧.

(٣) أزمة الخليج والنظام العالمي الجديد، د. حسن نافعة، ١٢٧، والنظام الدولي الجديد، ياسر أبو شبانة، ٣١.

(٤) النظام الدولي الجديد، ٣١، عن: ما الجديد في النظام الدولي، مجلة مستقبل العالم الإسلامي، عدد ٨، ص ٣.

ومحافظته على نظام الأسرة، مما جعل قوى الشر تتواصى بالاختراق الثقافي وتجتمع على إفساد الأسرة المسلمة عبر مقررات المؤتمرات الدولية: مؤتمرات السكان والإيواء البشري والطفل والمرأة، وفرض المقررات الإلحادية على البلاد الإسلامية وربطها بالسياسة والاقتصاد والحصار لتأخذ صفة الإلزام بعد إخفاق التوصيات والنصائح، ولم تفلح المنظمات المشبوهة التي تسوّق لهذا الإلحاد والفساد، وفُضح القائمون عليها من عملاء خونة خانوا دينهم وأوطانهم.

هل يريدون تنصير العالم الإسلامي أم علمنته؟!

يبدو أنه لا فرق بين الأمرين؛ لأن الكنيسة تعلمنت، والعلمانية أحست بضرورة وجود الكنيسة؛ فالصراع زال، وحل محله الوفاق ليقوم كل بدوره تجاه أبناء النصرانية العلمانيين وتجاه غيرهم.

لقد ثار الغرب ثورة الحرية على الكنيسة وقيودها، وأعلن العلمانية فانتهى بذلك دور الكنيسة، وتحول الغربي إلى مادي حيواني يعب من شهواته ويشبع غرائزه ويعيش يومه ولا يفكر في غده ولا يؤمن بالحساب، ومنذ تلك الثورة ظلت الكنيسة تغازل العلمانية، وتخطب ودها بما يقدمه رجال الدين النصراني من تنازلات لإرضاء الماديين حتى خرقوا أنظمة الكهنوت، وخالفوا تعليمات أناجيلهم المحرفة، وأباحوا للناس ما أجمعت الشرائع والعقول والفطر السليمة على تحريمه من زواج الرجال بالرجال والنساء بالنساء وسائر أنواع الشذوذات، كما قالت مجموعة أبناء الرب(*): إن الخوف من الزنا لم يعد له مكان، وإن عمليتي اللواط والسحاق مباحتان ما دامتا تتمان في جو من الحب، وقال ديفيد جاكس المتحدث باسم هذه المجموعة: «إن تقديم العون الجنسي واجب على كل فرد، وإن أفراد المجموعة من النساء مطالبات بتقديم كل ما يمكن أن يغري أعضاءاً جدداً»[1]، وأنه لا بد من تغطية نفقات المجموعة من بيع الجنس إذا اقتضى الأمر!![2].

ولا أدل على علمنة الكنيسة من إعلان عدد من جماعات التنصير في أمريكا وهولندا وإيطاليا والسويد وألمانيا والدانمارك وأسبانيا وإنجلترا رفضهم للوصايا العشر التي جاءت في شريعة موسى، والتي تعد أهم دعائم النصرانية، واعتبر بعضهم أن هذه الوصايا انتهت وانتهى زمانها[3].

وفي المقابل ثبت لدى العلمانيين الغربيين حاجة الفرد إلى الكنيسة؛ لأنه مفطور على التعلق بالله سبحانه وتعالى؛ لا سيما بعد فُشُوّ أمراض القلق والجنون والفصام وغيرها من الأمراض النفسية في الغرب، وقد أدى كثير منها إلى الانتحار، فباركت العلمانية تنازلات الكنيسة، ولم تمانع من وجودها بعد فقد سلطانها لإشباعٍ روحي زائف.

عولمة التنصير:

مما سبق نفهم تآزر القوى العلمانية مع العصابات الكنسية في عملية التنصير الضخمة التي قد شحن الغرب إمكانياته لإنجاحها. وبات من الواضح تحول

(*) هي حركة تنصيرية نشأت عام ١٩٦٩م في أمريكا واسمها الرسمي (أبناء الرب وأسرة الحب) وتقوم على أساس التنصير عن طريق الجنس وتختار المنصرات الجميلات للقيام بهذه المهمة القذرة، وللأسف فإن لهذه الجمعية فروعاً في كثير من الدول الإسلامية.

(١) قارن هذه التنازلات في سبيل جذب الناس للكنيسة بما افتراه عدد من التنويريين على الإسلام من انه يجيز الاختلاط والموسيقى والفن والتمثيل والرقص إذا كان ذلك في مصلحة الدعوة وسبباً لالتزام الشباب والشابات بالإسلام بدل ان يتجهوا للموسيقى والرقص والغناء الغربي الذي لا يجوز عندهم، وتنازلات أخرى فيما يتعلق بالولاء والبراء وإلغاء جهاد الطلب وأحكام اهل الذمة وغير ذلك كثير وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «لتتبعن سنن من كان قبلكم».

(٢، ٣) فضائح الكنائس، مصطفى فوزي غزال، ٩٢.

الغرب من التنصير الفردي إلى التنصير الجماعي لسببين رئيسين:

١ - أن التنصير الفردي بطيء جداً لا يتناسب وعصر السرعة، ولا يتناسب مع اتساع رقعة العمل الفسيحة أمام المنصرين الذين يمكنهم الدخول إلى أي مكان ما دامت قوى الغرب السياسية تنفرد بالقرارات وتدير المنظمات الدولية.

٢ - أن التنصير الفردي يؤدي إلى اقتلاع الفرد من بيئته ومجتمعه مما يجعله مشلول الإرادة، منبوذاً من قومه مما يكون سبباً في رجوعه، وإن بقي على نصرانيته يصبح عبئاً على الكنيسة التي نصّرته، ولن يستطيع التأثير فيمن حوله.

والتنصير الجماعي يعني نقل أمة من الناس ـ قبيلة أو قرية أو مدينة كاملة ـ من الإسلام إلى النصرانية لكيلا يحس أحد منهم بالغربة، والوسيلة لتحقيق ذلك هو استغلال الأزمات والكوارث، وربما افتعالها من قبَل مَنْ بأيديهم القرار السياسي والعسكري والاقتصادي للتدخل في بلد ما وإيجاد أزمة تخنق شعبه، ومن ثم تقوم الهيئات والمنظمات التنصيرية بإكمال باقي المهمة بتنصير هذا الشعب الذي يعيش الأزمة، وهذا ما نص عليه مؤتمر كولورادو التنصيري؛ إذ جاء في إحدى فقراته: (لا بد من وجود أزمات معينة ومشكلات وعوامل إعداد وتهيئة تدفع الناس أفراداً وجماعات خارج حالة التوازن، وفي غياب مثل هذه الأوضاع المهيئة فلن تكون هناك تحولات كبيرة إلى النصرانية)[١].

وليس هذا يعني بالضرورة التنسيق الكامل بين الدوائر العلمانية صاحبة القرار في الغرب وبين المنظمات التنصيرية حتى لا يقال: إن هذا من إفرازات فكر المؤامرة ولكنه تقاطع المصالح؛ فالقوى السياسية والعسكرية والاقتصادية في الغرب تخنق شعوب العالم الثالث لإثبات القوة والغطرسة أو لنهب ثرواتها أو لتاديب من يرفض قوانينها الجائرة، والهيئات التنصيرية تستغل فرص التجويع والإفقار والحصار لتقوم بأنشطتها التنصيرية، ومن سيمنعها من ذلك إذا كانت الدولة المحاصَرة نفسها لم تستطع فك الحصار عن نفسها أو اختراقه فضلاً عن منع المنصرين من مد يد العون والمساعدة لشعبها المجوَّع المحاصر؟!

ولن يتوقف النصارى عند هذا الحد؛ إذ صرحوا بلزوم التدخل في شؤون الدول التي فيها أقليات نصرانية بزعم حمايتها من اضطهاد المسلمين مع أن هذه الأقليات تحظى في بلاد المسلمين بما لا يحظى به المسلمون من الرعاية والتكريم بل والذلة لهم وتنفيذ مطالبهم وإظهار شعائر شركهم تحت قيادة الحكومات العلمانية، ومع ذلك لم يرتض الغرب المنتصر هذه السيرة ولن ترضيه حتى يجعل الأقليات النصرانية حاكمة على المسلمين أو تنفصل عن الدولة لتشكل دولة نصرانية كما حصل في تيمور الشرقية وكما يريدون حصوله في جنوب السودان.

وفي زمن العولمة لن يستطيع أحد منعهم من التدخل في شؤون الدول الداخلية؛ لأن القوة بأيديهم والمنظمات الدولية تأتمر بأمرهم، وتصدر قراراتها على ضوء توجهاتهم، ثم إذا منعتهم وصار قرارهم وتدخلهم فردياً فمن سيعاقبهم ويحاصرهم؟! وقد ضربت السودان وأفغانستان بقرار فردي لصرف الأنظار عن فضيحة جنسية؛ فهل عوقب الضارب؟ وهل حوصرت دولته؟!

حوارات الأديان خطوة تنصيرية:

كان غلاة الصوفية الأقدمون دعاة وحدة الوجود والاتحاد والحلول يرون صحة كل طريق يوصل إلى الله ـ تعالى ـ سواء أكان حقاً (الإسلام) أم باطلاً كاليهودية والنصرانية والوثنية وغيرها. وأجاز بعضهم التهود

(١) انظر: تنصير المسلمين لعبد الرزاق ديار بكرلي، ٢٤ ـ ٢٦.

والتنصر ورجحه بعضهم على دين الإسلام وقد كشفهم شيخ الإسلام ابن تيمية ونقض باطلهم(١).

وفي النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري بعثت هذه الدعوة وتبنتها الماسونية، وأقنعت بها الأفغاني ومحمد عبده الذي أسهم في تأليف جمعية في بيروت باسم (جمعية التأليف والتقريب) هدفها التقريب بين الأديان الثلاثة(٢).

وفي السنوات الأخيرة تبنى الفرنسي روجيه جارودي إحياء دعوة (لويس ماسينون)(٣) المتمثلة في ربط الأديان التوحيدية الثلاثة بنفس الشبكة، وذلك من خلال وصلها بالإيمان الإبراهيمي على اعتبار أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ أبو الأنبياء، وقد افصح جارودي عن هذه الحقيقة بقوله: «لقد عرفت الإيمان الإبراهيمي عن طريق Kierkegaard واليوم أقوم بهذه المبادرة ـ الحوار الإبراهيمي ـ بالاشتراك مع أصدقائي اليهود والكاثوليك والبروتستانت؛ فإني أتابع المسير بقصد تجميع الإيمان الإبراهيمي، وما أجده اليوم في القرآن من أن إبراهيم هو أبو الأنبياء قد وجدته منذ عشرين عاماً»(٤) وقد عقد جارودي العديد من المؤتمرات وأنشأ معهداً لهذا الغرض في قرطبة الأندلسية وبيَّن أن لهذا المعهد توجهات عالمية لنشر نتاج الثقافات الثلاثة اليهودية والنصرانية والإسلامية وتعاليمها من خلال علاقة الإنسان بالإله والطبيعة والفرد وهو مركز دراسات لوحدة هذه الأديان(٥).

وللأسف فإن جارودي خدع بعض السذج من المسلمين وجمع منهم التبرعات لإنشاء هذا المعهد المشبوه، وحصر إدارته في اليهود والنصارى زاعماً السعي لنشر ثقافة الأديان الثلاثة!!

وقبل عدة أشهر نشرت بعض الصحف الغربية أن مؤتمراً للتقريب بين الأديان سوف يعقد تحت مظلة الأمم المتحدة وسيدعى إليه بابا الفاتيكان وممثلو مختلف الكنائس النصرانية وحاخامات اليهود إضافة إلى رؤساء كبار العلماء والمجامع الفقهية والبحوث الإسلامية ورئيس الأزهر وأئمة المساجد الثلاثة المكي والنبوي والأقصى.

والقصد معروف من هذه الدعوات التي تريد إذابة الإسلام في مناهج الذين كفروا، وليست حواراً حقيقياً ـ كما يظن المخدوعون ـ يقوم على المناظرة وقرع الحجة بالحجة وإحقاق الحق وإبطال الباطل، وذلك واضح في تقرير البروفيسور النصراني (ديون كراوفورد) الذي كتب تقريراً مطولاً عن حوارات الأديان التي يتبناها النصارى وكان من ضمن ما كتب: «ينبغي أن تتحول العلاقة بين المسلمين والنصارى من علاقة المواجهة السابقة إلى علاقة حوار، على ألا يؤدي هذا الحوار إلى المساومة على النصوص الإنجيلية من أجل تنمية الحوار، وهذا ما لا يجوز؛ فالحوار لا ينبغي أن يكون بديلاً عن التبشير بالإنجيل، وعلى المسلمين أن يفهموا أن الحوار يستهدف كسبهم إلى صف النصارى، وينبغي على النصارى أن يخالطوا المسلمين ويصادقوهم، وأن يستغلوا ذلك في إزالة سوء الفهم الراسخ في أذهانهم تجاه الإنجيل والمسيح»(٦).

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ٤/٢٠٢ ـ ٢٠٨، ١٤/١٦٤ ـ ١٦٧و ٢٨/٥٢٣، والصفدية، ١/٩٨ ـ ١٠٠، ٢٦٨، والرد على المنطقيين، ٢٨٢، ٢٨٣، عن الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان للعلامة، د. بكر أبو زيد، ١٧ ـ ١٨.

(٢) انظر: المصدر السابق، ٢٠.

(٣) يعمل أستاذاً للعلوم التاريخية والسلالات في جامعة باريس ودعوته تلك في كتابه المعنون بـ (العرب). انظر: سلسلة تقارير المعلومات الصادر عن وزارة الأوقاف الكويتية، ١/٩٧، رقم التقرير، ١٤/٨٧.

(٤) مجلة (Cambio) في ٩/٢/١٩٨٧م، ص ١٩، عن سلسلة تقارير المعلومات، ١/٩٨.

(٥) انظر: سلسلة تقارير المعلومات، ١/١٥، تقرير رقم، ٣٠/٨٧.

(٦) مجلة البحوث الإفريقية، ديسمبر ١٩٨٦م، عن الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب، د. كرم شلبي، ٢٢.

تنبيهات مهمة:

في ختام هذا العرض المختصر أنبه إلى أمور ثلاثة مهمة هي:

١ - أن الحرب بين المسلمين والنصارى ستستمر إلى نزول عيسى - عليه السلام - وقتله للدجال والخنزير، وكسر الصليب، والحكم بشريعة أخيه محمد ﷺ كما تواترت بذلك الأخبار في السُّنَّة النبوية[1]. وهيمنة النصارى العسكرية والسياسية والاقتصادية بل والثقافية لن تكون مطفئة لأحقاد النصارى على المسلمين حتى يردوهم عن دينهم كما هو قول الله - تعالى -: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقوله - تعالى -: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩] وفي الأحاديث الواردة في شأن الدجال قال النبي ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق - أو بدابق - فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ...»[2] وذكر فيه انتصار المسلمين وخروج الدجال وهم يقتسمون الغنائم مما يعني أن حوارات الأديان والسلام ونشر ثقافة المحبة، وانتهاء عصر الحروب... وغير ذلك من الادعاءات مجرد أمانٍ ينخدع بها من لا يحسنون التلقي عن الكتاب والسنة.

٢ - أن واجب المسلمين هو مدافعة الشر ومقاومة أهل البغي والظلم والكفر بكل ما أوتوا من قوة عملاً بقوله - تعالى -: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] فالسلاح وبناء الجيوش قوة، والكلمة الطيبة التي تفضح بها مخططات الأعداء والمنافقين قوة، والإلحاح على الله - تعالى - بالدعاء على الأعداء قوة، والتمسك بالإسلام والدعوة إليه قوة. والضعف هو في التخلي عن أحكام الإسلام أو تمييعها لإرضاء الأعداء، أو تفصيل شريعة الإسلام على أهواء الناس ومطالبهم. ونحمد الله - تعالى - على أنه لم يكلفنا بالنتائج وإنما طلب منا العمل فحسب: ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [يونس: ١٠٨]، وقوله - تعالى -: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ٩٩، ١٠٠]، وقوله - تعالى -: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: ٤٨].

٣ - أن الغلبة في النهاية لأهل الحق على أهل الباطل ولو زخرفوا باطلهم وزينوه وكانت وسيلته الفضائيات والإنترنت، ولو كان مدعوماً بالترسانات النووية والذرية والبيولوجية وغيرها؛ فإن جند الله - تعالى - أقوى؛ ومن جنده - سبحانه - الزلازل، والأمراض والكوارث والرعب: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢]، وقوله - تعالى -: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

بيد أن الذي يستحق نصر الله - تعالى - وتأييده هم عباده الذين استجلبوا نصره بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والوقوف عند حدوده، والدعوة إلى الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإصلاح النفس والبيت والسعي في نشر الصلاح في الأمة كلها.

أسأل الله - تعالى - أن ينصر دينه وأن يدحر الكفر وأهله؛ إنه سميع مجيب.

---

(١) انظر في ذلك مثلاً: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة محمد ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم في الفتن، باب فتح القسطنطينية، ونزول عيسى بن مريم (٢٨٩٧).

التنصير.. هل أصاب الهدف؟

(٢ ـ ٢)

تاريخ الوجود التنصيري في إفريقيا

أبو إسلام أحمد عبد الله(*)

لم تتعرف إفريقيا على عقيدة النصارى قبل السنوات الأخيرة التي شهدت نهاية الإمبراطورية الرومانية في شمال إفريقيا على يد المسلمين.

ومع أول عهد انتشار الإسلام في هذه المنطقة، لم يكن للنصارى غير مملكة قبطية في بلاد النوبة (شمال أم درمان بالسودان) كانت تسمى مملكة مروي (Meroe) رفضت دعوة التوحيد، وظلت على شركها في ظل الدولة الإسلامية، حتى عام ١٤٠٥م نصرانية، عندما هاجمتها قبائل الفونج الوثنية فقضت عليها، لتعود إفريقيا مرة أخرى بين وثنية تجذرت بجهالاتها وبين عقيدة إسلامية تنتشر كنسمات الربيع التي يفوح عبقها مع موجات الهواء البارد لترطب من حرارة خط الاستواء في قلوب الأفارقة الطيبين، بدون إرساليات طبية أو بعثات تعليمية أو خطط تنصيرية أو احتلال أرض أو عبودية بشر، أو جيوش لا تعرف غير الظلم وسفك الدماء.

كانت إفريقيا بالنسبة للنصارى عندما هجموا عليها كقطعة لحم جافة تسابقت إليها الكلاب لتنهش منها ما يسد نهمها، لم تكن الغاية هي المسيح، ولا رب المسيح، ولا للمسيح الرب (عندهم)، إنما كانت توسيع رقعة النفوذ في مواجهة الصراعات السياسية والعقدية التي سيطرت على كل أنحاء أوروبا، وممارسة حياة البلطجة وقطع الطرق والسرقة التي كانت تجتاح كل بلاد الغرب، إلى أن بدأت سياسة احتلال البلاد في إفريقيا وآسيا، ونهب ثرواتها واستعباد شعوبها، فيما يعرف بالحملات الاستكشافية أولاً، ثم الحملات الصليبية بعد ذلك.

وتحت ظل هذه الحملات تحركت الكنيسة الكاثوليكية من فرنسا ثم من بلجيكا والبرتغال وألمانيا وإيطاليا وأسبانيا، كما تحركت الكنيسة البروتستانتية الإصلاحية من إنجلترا ثم فرنسا وسويسرا وألمانيا واسكندنافيا وأمريكا، جاعلة لنفسها مقراً دولياً في منطقة جنوب إفريقيا.

ومن أشهر طوائف البروتستانتية التي نشطوا في قارة إفريقيا عموماً هم الإنجيليكان، والميثوديست، والبريسبيتاريان، ثم اللوثرية وجمعيات المعمدانيين Baptistes والأدفنتست Adventistes وبرج المراقبة Watch Tower المعروفة بجماعة شهود يهوه، وهي الجماعة الوحيدة التي حاربت الكنائس البلجيكية وحكوماتها دون السماح لها بالدعوة في منطقة الكونغو حتى اليوم.

وقد أدت هذه التعددية الاحتوائية في مذاهب وملل واعتقادات النصارى التي هرعت إلى الأرض الجديدة إلى إثارة الفتن والعصبية وإشعال الحروب الضارية بين القبائل الإفريقية على مستويين:

(*) رئيس مركز التنوير الإسلامي بالقاهرة.

- ففي الداخل بين من ترك الوثنية إلى النصرانية أو اعتنق مذهباً نصرانياً يخالف مذهب الآخر، لا داخل القبيلة فحسب إنما داخل الأسرة الواحدة وداخل العشيرة الواحدة، بين الأب وأبنائه، وبين الأشقاء وبين الزوج وأصهاره.

- وفي الخارج: بين القبائل بعضها مع بعض لارتداد بعضها عن الوثنية، أو لاختلاف المذاهب والملل التي اعتنقوها مجدداً من النصرانية.

وهكذا سالت دماء الثلث والآلوف من أبناء إفريقيا بأيديهم ثمن هذه الفتنة، إلى أن لجأت كل الإرساليات النصرانية إلى أسلوب جديد يحافظ على الطقوس والعبادات الوثنية التي تربط بين القبائل بعضها ببعض، والإبقاء عليها إلى جانب طقوس النصرانية وعباداتها، وإن اختلف ذلك عن أصولهم العقدية، وهو ما وصفوه بالنسبة للتصراني الزنجي الجديد بكلمتي «الموت الذاتي» أو «الاحتضار المعنوي» للدلالة على خطورة ذلك الانقلاب في حياة الرجل الإفريقي.

ولكن برغم الجهود الجبارة التي بذلت والأموال الطائلة التي أنفقت وعشرات الأرواح التي أزهقت بين المنصرين بسبب الأمراض التي كانت تنتشر في البلاد الإفريقية، فإن حصاد النصرانية كان شيئاً لا يذكر ولا يتناسب مع الجهود والأموال والتضحيات التي خسرتها الكنائس وإرسالياتها، حتى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

إن مع الحرب العالمية الأولى على وجه الخصوص، ولأسباب سياسية وعسكرية واقتصادية متعددة، يمكن القول إن النصرانية بدأت تجني ثمار كل السنوات السابقة، وأن تعيد الحيوية إلى البذور التي تناثرت هنا وهناك وحافظت على بقايا طقوس تنتمي إلى عقيدة النصارى بشكل مباشر أو غير مباشر.

مع بداية القرن العشرين تنبهت الكنائس الغربية إلى أخطائها في أساليب الدعوة على سواحل إفريقيا، ففرضت على أعضاء البعثات والإرساليات اتباع خطط مرسومة تقضي بدراسة تلك البيئات دراسة شاملة، وتفهم نظمها الاجتماعية وعاداتها وتقاليدها ولغاتها.

كما فرضت على الأعضاء ضرورة الاختلاط بالسكان وقبول بعض طقوسهم الدينية الوثنية وتقديرها بما يرضي الوثنيين، بل ومحاولة إيجاد مساحة لذلك القبول في العقيدة النصرانية، وعدم العمل على محوها، إنما التغلغل فيها والاستفادة من أي بذور صالحة بها، وقبول بعض العادات الوثنية واعتبارها عادات نصرانية تحتفل بها الكنيسة.

كما تنبهت الكنيسة الغربية إلى ضرورة إعداد وتدريب وتعيين قسس من الإفريقيين، وإنشاء مدارس ومعاهد لهذا الهدف بدعم مباشر من بابا روما بيوس الحادي عشر، ثم بيوس الثاني عشر.

لكن كلمات هوبير ديشان[1] ما زالت تحفر حروفها في عقل الكنيسة الغربية يوم أن قال: «لكن كسب الإسلام لأقوام جديدة ما زال يندفع كالسيل يكتسح ما أمامه، وامتداده في المناطق العريضة نحو الشمال وإلى الشرق رائع حقاً، أما مطاياه إليها فكانت اللغات الواسعة الانتشار في التفاهم، وهي لغات قبائل أولوف وبيل وماندانج وهوزا والسواحلية.

ثم يقرر ديشان قائلاً: «وسوف تظل المواجهة بين الإسلام والنصرانية في إفريقيا، وسوف تظل أيضاً مصائر هذه القارة متوقفة على إجابة السؤال: ترى أيهما ينتصر؟ الإسلام الشرقي أو المسيحية الغربية»[2].

الإرساليات الأولى على سواحل إفريقيا:

في العام ١٤٩١م أعلن أول ملك من ملوك إفريقيا اعتناقه للعقيدة النصرانية وهو ملك الكونغو، الذي مات

---

(١) هوبير ديشان: حاكم المستعمرات الفرنسية في إفريقيا (سابقاً) وأستاذ بمعهد الأجناس البشرية ومعهد الدراسات السياسية بجامعة باريس.

(٢) هوبير ديشان: ترجمة أحمد صادق حمدي، راجعه الدكتور محمد عبد الله دراز: الديانات في إفريقيا السوداء، إشراف إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم بمصر، سلسلة ١٠٠٠ كتاب، دار الكتاب المصري، القاهرة ١٩٥٧م، ص ١٥٦.

بعد تنصُّره مباشرة، وخلفه على العرش ابنه، فعمّدته إحدى الإرساليات التنصيرية باسم «الفونسو» وزُوجته واحدة من بناتها، فلما أنجب «الفونسو» ولداً منحه منصب أسقف عام الكونغو، وأصدر قراراً بتغيير اسم العاصمة من بانزا كونغوا Mbanza Congo إلى اسم ساو سلفادور إحدى المناطق الشمالية بانجولا الآن، وأعد مجموعة من أهالي البلاد للدعوة إلى دين النصرانية ومنحهم رتبة القساوسة.

في العام ١٦١٠م أسس البرتغاليون أسقفية نصرانية في مدينة لواندا Loanda على ساحل انجولا الشمالي، لكنها لم تحرز أدنى نجاح في أداء مهمتها فاغلقت أبوابها على من فيها لعدة سنوات، ثم بيعت بعد ذلك.

في العام ١٦٣٠م اعتنق زعيم مومباسا Mombaz (ممبسه) على الساحل الشرقي لكينيا عقيدة النصرانية، لكنه سرعان ما رجع عنها واعتنق دين الإسلام.

في العام ١٦٥١م أعلن مونوموتابا Mono-motapa ملك موزمبيق تركه للوثنية واعتناقه للنصرانية، استجابة لدعوة إرساليتين إنجيليتين كانتا قد استقرتا في حوض نهر زامبيزي، إحداهما يسوعية والأخرى دومينيكانية، أغدقا عليه الأموال، وسارا معه في استخدام الأرواح التي كان يعتقد بها في وثنيته.

وفي العام ١٦٦٥م أتت هجمة تنصيرية بروتستانتية من هولندا إلى سواحل جنوب إفريقيا، فقامت بتدمير جميع المؤسسات والكنائس والإرساليات التي كان قد أسسها البرتغاليون من قبل، ثم وضعوا أيديهم على منطقة رأس الرجاء الصالح؛ حيث نزل على أرضها أول قسيس بروتستانتي، لا ينافسه قسيس آخر من أي ملّة نصرانية أخرى.

وهكذا، منذ بداية القرن الحادي عشر حتى نهاية القرن السابع عشر النصراني وبداية القرن الثامن عشر، بقيت الدعوة السائدة بين وثنيات إفريقيا الجنوبية، هي دعوة الإسلام، لإخراج الناس من ظلمات الجهل والجاهلية وعبادة الأمطار والأنهار والجن والأحجار إلى عبادة الواحد القهار، وبقي الوجود النصراني محصوراً ومحاصراً في بقع محدودة للغاية.

ويعلن هوبير ديشان مؤلف كتاب الديانات في إفريقيا السوداء[1] قائلاً: «لكن تلك الجهود كلها، قضى عليها اضطراب الأحوال السياسية، والثورات، والجيو... التي كان يستعين بها تجار الرقيق، وارتداد الكثيرين إ... عقائدهم الوثنية القديمة، ولم يبق من كل ذلك إلا علا... الصليب التي اندمجت في المراسيم الوثنية».

مائة عام بلا حصاد:

مع بداية القرن الثامن عشر دخل الأسبان ميد... التنصير، بعد ما سمي بثورة الإصلاح في فرنسا ع... ١٧٦٩م ثم في أوروبا كلها، ورحلت عدة بعثـ... تنصيرية كقوافل طبية وتجارية إلى عدة مناطق، ولا... إقبالاً كبيراً من بعض الملوك الوثنيين، وبقايا ... النصارى والمتنصرين.

فقد وجه الملك الادا Allada ملك داهومي (بنـ... الدعوة إلى إحدى هذه البعثات، لتنشيط حركة التجا... في بلاده؛ فلما استوضح غرض البعثة وهي التنصـ... طردها من بلاده واوقف كل نشاط مع الهيئات الأوروبيـ...

فلجأت بعثة تنصيرية فرنسية إلى أسلوب آ... وهو دعوة الملوك او ابنائهم لزيارة فرنسا، فدعت أنـ... Aniaba ابن أمير ساحل العاج، لزيارة الكنيـ... الفرنسية الكبرى، بمدينة سايل، حيث أعلن الا... نصرانيته وخضع للتعميد الذي قام به القس الشهـ... بوسيويه Bossuet، فكان لذلك الحدث رد فعل كبـ... لدى السلطة الكنسية الفرنسية، التي استضافته قصر الملك لويس الرابع عشر، حيث أعلن الامن اتخـ... الملك أباً روحياً له، فلما عاد انيابا إلى بلاده ساحل العاج، أعلن ارتداده عن النصرانية والعودة إلى الوثنية دين آبائه.

ومثلما فعل نصارى البرتغال وهولندا وفرنسا،

(١) هوبير ديشان: مصدر سابق، ص ١٩٠.

حاولت الكنيسة الألمانية أن تحقق شيئاً في مواجهة المد الإسلامي بإفريقيا، فاختارت العمل بين قبائل تعرف بالهوتنتوت ولكنها لم تحقق أي نجاح.

ويقول هوبير ديشان: «حتى نهاية القرن الثامن عشر كان تعداد النصارى - في كل أرجاء إفريقيا - عشرين ألفاً من البيض، وبضع مئات من العبيد، ومع بداية القرن التاسع عشر لم يكن للنصرانية قدم ثابتة في مكان ما في إفريقيا السوداء، إذا استثنينا نقطاً ضئيلة على الساحل»(١).

ثم يستشهد ديشان على صدق استنتاجه هذا بما كتبه المنصر الإنجليزي وليم شو W.show عام ١٨٢٣م من مكتب إرساليته بمستعمرة رأس الرجاء الصالح قائلاً: «إنه لا يوجد أي بعثة تنصيرية فيما بين المكان الذي أعيش فيه وبين أبعد نقطة في شمال البحر الأحمر»(٢).

التركيز الصليبي على الجنوب الإفريقي:

مع بداية القرن التاسع عشر توغلت حركة الكشف الأوروبية في قلب إفريقيا، وكثرت البعوث والإرساليات الدينية التنصيرية، ثم تبعتها حركات الاحتلال الأجنبي الذي فتح الطرق المسدودة أمام التنصير، فكان هذا القرن حقاً هو العصر الذهبي للتنصير في إفريقيا، ولم يبدأ القرن العشرون إلا وكان للنصرانية تواجدها المحسوس والملموس والمرئي بشتى مذاهبها ومللها وكنائسها.

كان النشاط أكثر تركيزاً في إفريقيا الجنوبية؛ إذ بدأ برحلات الهجرة التي قام بها مئات من الهولنديين البروتستانت البيض، فاستوطنوا الأرض وتوغلوا فيها، لكن دون أن تتوفر أي دلائل على أن فكرة تنصير الزنوج مطروحة في عقولهم؛ إذ كان الهدف في هذه الفترة هو الهروب من أوروبا المتصارعة الفقيرة المتخلفة إلى حيث السيطرة على قبائل الزنوج واحتلال أراضيهم وثرواتها.

ولم تتوفر أي إشارة في الوثائق المتوفرة لدينا تدل على أن هناك إرسالية تنصيرية بالمفهوم الديني قد مارست الدعوة بين الأفارقة الجنوبيين قبل عام ١٨٤١م، عندما بدأ ذلك في مستعمرة الرأس المنصران الإسكوتلانديان روبرت موفات R.Moffat وديفيد ليفنجستون D. Livingstone وهما طبيبان اهتما برحلات الاستكشاف داخل مجاهل إفريقيا، لخدمة عملهما بالتنصير.

أسس الطبيبان مركزاً للتنصير بين قبائل بتشوانا، ومارسا مهنة الطب البدائي بين الناس، فاستخفوا بهذا المركز ولم يعيروا وجوده ودعوته اهتماماً أكثر من اهتمامهم بالذهاب إليه لمعالجة جروحهم وأمراض العيون المنتشرة بين أطفالهم، إلى أن أغارت إحدى القبائل المجاورة على سكان بتشوانا، فشارك موفات وصديقه في صد هذه الغارة وتنظيم صفوف المدافعين وتوجيههم مما كان سبباً في انتصارهم، خاصة أن الطبيبين كانا يؤكدان في كل أمر يصدرانه، بأنه آت

ميزانيات وأوقاف

- دخل الكنيسة في شمال أمريكا وأوروبا في عام ١٩٩٧م بلغ (٢٠٠) بليون دولار.
- مجلس كنيسة إنجلترا يبلغ دخله السنوي (٢٥٧) مليون جنيه إسترليني، أما الأوقاف المخصصة له فتبلغ (٢٣٨١) مليون جنيه إسترليني.
- خصصت المنظمات البروتستانية في الولايات المتحدة الأمريكية (١٧٢٨) مليون دولار سنوياً للتنصير في الخارج، وذلك لنشر عقائدهم المحرفة في (١٢٢) دولة، من بينها عشرات الدول الإسلامية. - البيان -

(١) هوبير ديشان: مصدر سابق، ص ١٥٧.

(٢) Groves, C.P., The Planting of christianity in Africa, London, 1952. P.196

باسم «المسيح الرب» الذي حمى قبيلتهم وهزم بقوته الروحية أعداءهم.

واستطاع موفات أن يستغل هذا الحدث الضخم في تاريخ القبيلة، من خلال التحامه المباشر بكبارها، حتى أعلنوا اعتناق النصرانية.

في بتشوانا، تزوج دافيد من ابنة موفات، واستطاع عن طريق زوجته العروس، أن يغزو قلب سيشيله Sechele أحد ملوك بتشوانا، ويملك هو زمام أمره، فعرض عليه النصرانية، ووعده بتزويجه واحدة مثل زوجته، فطلق سيشيله كل زوجاته وحظاياه، أملاً في الزوجة التي لم تأت؛ إذ طلب منه دافيد أن يتنازل أولاً عن دعوى قدرته الإلهية في إسقاط الأمطار؛ لأن هذا يتعارض مع قدرة «المسيح الرب» فاستجاب الرجل، لكن الله يشاء أن تشهد هذه القبيلة أربع سنوات عجاف لم ينزل خلالها مطر حتى أصابها الجفاف التام، مما اضطر دافيد إلى ترك هذا الموقع والذهاب شمالاً حيث استكشف الحياة في حوض نهر زامبيزي الذي يبدأ من الساحل الشرقي لإفريقيا وموزمبيق ويمتد إلى قلب زامبيا، وبدأ هناك دعوته مرة أخرى، ثم اعتاد التنقل والترحال في أدغال إفريقية الجنوبية على ضفاف حوض النهر، على مدى ثلاثين عاماً متواصلة، ترك خلالها آثاراً واضحة في نفوس المئات من أبناء القبائل الإفريقية، رافضاً أن يعود إلى أوروبا ثانية، حتى جاءه الموت فجر أول مايو سنة ١٨٧٣ قرب منطقة بنجويلو Banguelo على الساحل الغربي لإفريقيا وانجولا فدخل عليه اتباعه الزنوج الذين نجح في تنصيرهم، وتعبيراً عن حبهم له شقوا بطنه بسكين، ثم نزعوا قلبه من صدره، ودفنوه في أرضهم، ثم نقلوا جثته إلى مكان دفن الموتى.

وفي خط متواز تدفقت عدة بعثات أخرى في مناطق الكاب والناتال والترنسفال حتى مستعمرة روديسيا، فنزلت طائفة النصارى المنهجيين (الميثودست) Meth-odistes، واسسوا كلية لوفديل Lovedale لتخريج المنصرين والمعلمين، كما أسس فرانسوا كولار F. Coillard مركزاً للدعوة في روديسيا الشمالية بين قبائل باروتسي.

أما الإنجيليكان Angeliccans فقد ركزوا جهودهم في المدن وفي الغابات، واتخذوا أساساً في استراتيجيتهم للدعوة ألا يخالفوا أو ينقوا أي نظام قائم لدى القبائل في سلوكياتهم وعاداتهم وتقاليدهم إلى حد أن أعلن واحد منهم يدعى كولينسو Colenso إباحة تعدد الزوجات في قبيلة كافريه Cafres فعنفته كنيسته وحرمته من العمل بالتنصير لفترة زمنية.

وفي حين اتجهت البعثات الأمريكية إلى قبائل الزولو، اتجه الألمان الإصلاحيون إلى الجنوب الغربي لإفريقيا، وذهبت البعثات البرتغالية لممارسة نشاطها التنصيري في أنجولا وموزمبيق في الشمال الغربي.

وفي إحصاء غير موثق نشرته إحدى الإرساليات الأمريكية عن انتشار الكرازة (الدعوة) النصرانية في اتحاد جنوب إفريقيا عام ١٩٥٣م جاء على الوجه الآتي:

- الميثودست ٢,١٠٠,٠٠٠ نسمة.
- الإنجيليكان ٨٠٠,٠٠٠ نسمة.
- الكاثوليك ٦٥٠,٠٠٠ نسمة يتركز أغلبهم في روديسيا الشمالية.
- البروتستانت الهولنديون ٦٠٠,٠٠٠ نسمة تميزوا بالنعرة العنصرية، وجعلوا من الكنائس التي أنشؤوها ما هو خاص بالبيض وما هو خاص بالزنوج والملونين.

التنصير في شرق إفريقيا:

يضم شرق إفريقيا عدة ممالك شهيرة، استأثر الجهد التنصيري من بينها بمنطقة تنجانيقا (تنزانيا حالياً) وكينيا وأوغندا ورواندا وشطراً من جنوب السودان.

وقد استطاع المسلمون أن يحققوا مكاسب ضخمة في هذه الممالك كلها خاصة بعد أن كانت الهجمات البرتغالية الأولى قد طردت المسلمين منها، ثم استردها المسلمون ثانية ونشطت دعوتهم وتثبتت أصولهم في السنوات الأولى من بداية القرن التاسع عشر.

واستطاعت إنجلترا أن تحط بقواتها في زنجبار عام ١٨٤٠م بعد أن أخضعت مصر للنفوذ الأوروبي، وكان نفوذ مصر يمتد جنوباً حتى اوغندا، ثم توسع المحتلون في احتلال الأراضي وقهر ملوك القبائل وسرقة أراضيهم

وحيواناتهم مما أفسح الطريق أمام بعض البعثات للعبور إلى كينيا، واستطاع أحد المبشرين الألمان يدعى كرايف Krapf بأن يؤسس أول مركز للتنصير في مدينة ممبسة. وقام هذا المركز بترجمة كتابهم المقدس إلى اللغة السواحلية، مما فتح أمامهم آفاقاً رحبة ومستحدثة للدعوة النصرانية، فاسس مركزاً آخر بمدينة بوجامايو Bogamayo على الساحل المواجه لجزيرة زنجبار، بالتعاون مع منصر آخر يدعى ريمان Reb-mann.

فلما اكتشف أحد القبطان المسلمين - ويدعى سليم - في العام ١٨٤٢م منطقة البحيرات العظمى، وتمكن لأول مرة من اختراق عقبة السودان النباتية مما جعل النيل منفذاً مفتوحاً إلى سكان البحيرات الاستوائية، هرعت قوات الاحتلال إلى المنطقة وبسطوا سلطانهم عليها، وما لبث أن أرسل جريجوري السادس بابا روما في العام ١٨٤٦م بعثة تنصيرية ضخمة، أنشأت ما أطلق عليه: نيابة إفريقيا الوسطى الرسولية، يبدأ نشاطها من قلب القاهرة ويمتد إلى جنوب أوغندا، ثم أرسلت أول بعثة كاثوليكية معتمدة إلى جنوب السودان لاختراق قلب إفريقيا بقيادة الأب ريلو Rullo. فكان ذلك بمثابة الاختراق الأول لجدار الدعوة الإسلامية في منطقتي شرق إفريقيا، وإفريقيا الاستوائية.

وبرغم هذا الجهد النشط في حماية السلطات المحتلة، فإن دعوة النصرانية ظلت محصورة في المناطق الساحلية دون القدرة على اختراق المناطق الداخلية التي كانت تنتشر فيها دعوة الإسلام.

بل ويؤكد ز. هيل وتونوالو في كتاب لهما صدر عام ١٩٧٤م، أن طوائف تنصيرية متعددة قد توقف نشاطها تماماً مثل الفرنسيسكان، وأغلقت مراكز تنصيرية مثل مركز تنصير (كاكا) عام ١٨٦٢م[1].

وفي العام ١٨٨٠م تقريباً استطاعت مجموعة من قوافل التنصير النفاذ إلى داخل القارة مرة أخرى، فتمكن المنصرون الألمان على وجه التحديد من بناء عدة مراكز وكنائس في تنجانيقا (تنزانيا) وتمكن المنصرون الإنجليز من بناء عدة مراكز وكنائس في كينيا.

أما في أوغندا فكان النجاح حليفاً للكنيسة البروتستنتية التي نجحت في استمالة متيسا Mtesa ملك البلاد الذي كان متردداً في اعتناق الإسلام، لكنه لما رأى توافد البعثات الكاثوليكية إلى بلاده أيضاً. واقترب

الإيراد الدوري

- من المنظمات التنصيرية المشهورة: منظمة (S.O.S) (أنقذوا حياتنا)، وهي متخصصة في إنشاء قرى الأطفال حول العالم، تأسست منذ (٤١) سنة، وأنشأت حتى الآن (٣٧١) قرية.

متوسط مساحة القرية الواحدة: مليون متر مربع (١كم × ١كم)، تحتوي على كافة الخدمات التعليمية والصحية والتربوية والاجتماعية.

قُسِّم الأطفال في القرية إلى أسر، كل أسرة مكونة من عشرة أطفال، ترعاهم منذ نعومة أظفارهم أمٌ منصِّرة اختيرت لتربيتهم وتنشئتهم تنشئة نصرانية.

ميزانية هذه المنظمة سنوياً: (خمسة مليارات دولار)!!

قل لي بربك لو أنَّ موازنات المؤسسات الخيرية الإسلامية في أنحاء المعمورة جمعت لسنوات عدة، أتظنها تصل إلى ما وصلت إليه موازنة هذه المؤسسة؟!

ولكن هل تعلم كيف يتم تحصيل هذا المبلغ؟!

يدفع هذا المبلغ ستة ملايين موظف على شكل استقطاع شهري ثابت من الراتب، أربعة ملايين موظف منهم في ألمانيا.

ومن العجائب أن امرأة نمساوية تدفع لهذه المنظمة (١٠٠ دولار) شهرياً منذ (٤١) سنة بلا انقطاع!!

وامرأة أخرى ألمانية تسكن في أمريكا دفعت للمنظمة على شكل استقطاع شهري مبلغاً قدره ثلاثة ملايين دولار!

- البيان -

(١) أ. ل. شاتلين، ترجمة محب الدين الخطيب وآخر: الغارة على العالم الإسلامي، القاهرة، ١٩٣١م، ص ١٥ - ١٧.

من الصراع الحاد الذي تبودل بين الكنيستين لكسبه، واستشعر تخلف دعاة المسلمين عن مساندته في ظل السلطات المحتلة، فآثر ألا يعتنق ديناً، مفضلاً الموت على وثنيته، وخلفه على الملك ابنه موانجا Mouanga الذي وقع تحت تهديد البعثات التنصرية لإعلان نصرانيته، فأعلن تحديه لهذه التهديدات وأمر بقتل كل نصراني في ديوان مملكته، وأصدر قراراته بقتل كل من يعتنق ديناً غير الوثنية التي مات عليها والده، فالتزمت البعثات النصرانية الصمت وأوقفت كل نشاط لها داخل البلاد، في حين أعلن بعض من المسلمين تمردهم على قرارات: القتل أو الوثنية التي أصدرها موانجا، فاضطر إلى الهروب خارج البلاد، لكن أحداً من المسلمين لم يتقدم للإمساك بزمام حكام المملكة، فتآمر النصارى مع موانجا ووقفوا معه في مواجهة المسلمين وأعادوه إلى عرشه الذي لم يسع إليه أحد من المسلمين، وسمح للبعثات النصرانية أن تمارس نشاطها في البلاد بحرية، فانضم شطر منها إلى الكاثوليكية وشطر آخر للبروتستانتية، تولد بينهما صراع مذهبي بين القبائل، خاصة في قبائل باجاندا التي اختارت مذهب البروتستانتية.

غرب إفريقيا:

تضم منطقة غرب إفريقيا خاصة الساحلية منها والتي أصابتها الدعوة النصرانية: الكونغو، والجابون، والكاميرون، ونيجيريا، ومنطقة المينا التابعة لجمهورية داهومي (بنين حالياً) وساحل العاج وليبيريا، وسيراليون وكل قطاعات غينيا والسنغال.

وقد بدأت البعثات التنصيرية دورها الفعال في هذه المناطق مع بداية القرن التاسع عشر، حيث نزلت أول البعثات البروتستانتية إلى منطقة ليبريا وكانت تبشر بالمذهب الميثودستي، وتكونت هذه البعثة من خليط من المنصرين البيض وعدد من القساوسة الزنوج الذين يجيدون الإنجليزية.

أما البعثة الثانية فقد نزلت في سيراليون، وكانت تابعة لجمعية التنصير الكنسي، وبلغت من النشاط مستوى كبيراً جعل من سيراليون مركزاً لكل البعثات التنصيرية التي تعمل في غرب إفريقيا.

وأتت البعثة الثالثة من مدينة بال السويسرية، ونزلت في ساحل الذهب؛ حيث ركزت دعوتها بين قبائل فانتي Fanti وحققت نجاحاً كبيراً بينها، عوضها الخسائر الكبيرة التي تكبدها أندريا رايس Andreas Riis رئيس البعثة، في محاولاته المخفقة المتكررة بين قبائل أشانتي التابعة لساحل العاج، والتي وصلت في عنادها ورفضها لأي وجود نصراني، إلى حد أن احتجزت قسّين رهينة حتى جلاء البعثة عن أراضي الأشانتي وتحقق لها ما أرادت.

فلما أتت قوات الاحتلال الفرنسي وسيطرت على أملاك الأشانتي وأراضيهم حوالي عام ١٨١٥م، كانت بعثة الميثودست هي أسبق البعثات التنصيرية إلى هذه البلاد، حيث تم إعداد عدد من القسس الزنوج من أبناء القبيلة لممارسة الدعوة بينهم، كما أسست كنيسة محلية مستقلة خاصة بالمتنصرين الزنوج تابعة لطائفة البريسبيتريان النصرانية.

في العام ١٨٤٤م استطاع اثنان من المنصرين، أحدهما أبيض ويدعى تونزند Townsend والآخر زنجي ويدعى كروثر Growlther استطاعا أن ينشئا فرعاً لجمعية التنصير الكنسي في أبيوكوتا Abeo Kouta بنيجيريا بين أفراد قبيلة اليوروبا التي ينتمي إليها المنصر الزنجي.

ونجح كروثر كثيراً في نشر الدعوة النصرانية في نيجيريا لمعرفته بلغة القبائل في المنطقة ولهجاتها، حتى منحته المنظمة عام ١٨٥٤م منصب مطران نيجيريا، إلى أن مات عام ١٨٩١م.

ومن خلال إعداد منصرين من أبناء القبائل، ومنحهم الأموال والمناصب والوظائف والوجاهة الاجتماعية، حقق النصارى مكاسب ضخمة في شتى أرجاء نيجيريا، مهدت لكل البعثات الأخرى أن تمارس دعوتها في أرض جيدة الحرث وخصبة التربة ومهيأة لكل بذرة يمكن أن تؤتي حصاداً بأقل جهد ومال؛ إذ عملت إلى جانب البعثات البروتستانتية بكل مذاهبها ثلاث هيئات كاثوليكية هي:

آباء روح القدس، وليون، والآباء البيض.

وكان للهيئة الأولى نشاطها السابق ومراكزها النشطة في السنغال منذ القرن الثاني عشر، وهي ذاتها التي بذلت جهوداً ضخمة في غينيا السفلى.

أما جمعية ليون التي أسسها القس الثري بريزيلك Bresillac عام ١٨٥٦م، فكان أول نشاط تنصيري لها في غرب إفريقيا عام ١٨٥٩م بمدينة فريتون على ساحل سيراليون، لكنه لم يبق على أرض هذه المدينة أكثر من ثلاثة أشهر، حيث أصابته الحمى الصفراء ومات ليخلفه القس بلانك Planque الذي حدد هدفه على مدى نصف قرن من الزمان على ساحل غينيا، فأغدق عليها باستدعاء البعثات التنصيرية من كل المذاهب والملل النصرانية، ولم يغادر هذه المنطقة يوماً بإطلاق.

فلما تمكنت البعثات والمراكز التنصيرية وتثبتت قواعدها في المنطقة الساحلية، بدأت تنطلق نحو العمق الإفريقي حيث كانت السيطرة كاملة للوجود الإسلامي الذي لم يكن له وجود ملموس في السواحل الإفريقية.

تأسست عام ١٨٦٨م جمعية الآباء البيض للسيدة العذراء على يد القس الفرنسي لافيجري Lavigerie الذي ابتعثته الكنيسة الجزائرية؛ حيث كان يشغل منصب أسقف عام الكنيسة الجزائرية، فأرسل عام ١٨٧٥م ثلاثة منصرين إلى تمبكتو في قلب مالي جنوب الجزائر، غير أن قبائل الطوارق تصدوا لهم وقتلوهم.

وإلى رواندا بوروندي Rouanda Puroundi وشرقيّ الكونغو البلجيكية (حينذاك) امتدت جهود البعثات الفرنسية للآباء البيض، أما بقية الكونغو البلجيكية فكانت من نصيب البعثات البروتستانتية الآتية من انجلترا وأمريكا.

وفي المنطقة التي سميت بالكونغو الفرنسية، كان لجماعة آباء الروح القدس النصيب الأكبر فيها، حيث عمل هناك القس أوجوار Augouard الذي اشتهر باسم مطران أكلة لحوم البشر.

وفي هذه المنطقة تشير بعض الصفحات القديمة في تاريخ الكنيسة الغربية في إفريقيا أن الحماس الذي كان لدى البعثات والأفراد الآتية من طاحونة الحرب المشتعلة في أوروبا وارتدت ثوب الكنيسة وتعلقت بالصليب، بلغ ذلك الحماس بأحدهم أن لجأ في محاربة الإيمان - الذي ينتشر في هذه البلاد - بأحقية الرجل في الزواج بأكثر من امرأة، أنه كان يتزوج هو الفتيات زواجاً صورياً، حتى لا يتزوجن من رجال سبق زواجهم، ثم يعيد تزويج هؤلاء الفتيات مرة ثانية إلى أتباعه الكاثوليك الذين يؤمنون مثله بحرمة تعدد الأزواج.

ولعل أشهر المنصرين الفرنسيين الإنجيليين في منطقة الجابون كان الدكتور شفايتزر Schweitzer الذي كرمته ملكة إنجلترا ونال جائزة نوبل للسلام عام ١٩٥٤م لقاء جهوده التنصيرية في شرق إفريقيا ووقف المد الإسلامي هناك.

أما في الكاميرون فقد تسابقت البعثات الكاثوليكية والبروتستانتية القادمة من ألمانيا، فسيطرت الأولى على جنوب البلاد وتركت للأخرى مناطق صراع مذهبي وقبلي، بينما تمكنت بعض البعثات البروتستانتية الإنجليزية والكاثوليكية الإيطالية أن تصل بنشاطها إلى سكان أعالي النيل في السودان.

■ يقول جوسكين نفارو والز (أحد المتحدثين باسم الفاتيكان):

إن إفريقيا - شأنها شأن أمريكا اللاتينية - هي خزان للكاثوليكية في المستقبل.. إن كل ما تستطيع أن تفعله أن تنظر إلى الأرقام؛ ففي ١٩٠١م - في بداية هذا القرن - كان في كل إفريقيا ١,١ مليون كاثوليكي فقط، أي بمعدل ١٪ من سكان القارة، أما اليوم فإننا نزيد عدد الكاثوليك في كل سنة مليوني نسمة، وهناك ٦٥ مليون كاثوليكي في القارة، أو ١٦٪ من مجموع عدد سكانها، ونحن نتوقع أن يزيد عددهم قبل نهاية هذا القرن إلى ١٠٠ مليون.

[حقائق ووثائق - دراسة ميدانية عن الحركات التنصيرية - د. عبد الودود شلبي، ص ١٥] - البيان -

بعثات التنصير النسوية:

أدت البعثات النسوية دوراً كبيراً في خدمة الكنائس والمنظمات والجمعيات التنصيرية في إفريقيا منذ وقت مبكر للغاية، وتذكر الوثائق المتاحة أن من أشهر الإرساليات النسوية التي نشطت في هذه المنطقة كانت إرسالية الراهبات البيضاوات. وكلمة البيض أو البيضاوات تشير مباشرة إلى أن هذه البعثات بروتستانتية عنصرية.

ثم إرسالية سيدة الرسل، وإرسالية الراهبات الزرقاوات (كاثوليك في مواجهة البروتستانت البيض)، وإرسالية راهبات الروح القدس.

أما القوة المحركة التي أثارت كل همم الكنائس النصرانية الغربية للعمل النسوي في إفريقيا، فكانت لفتاة فرنسية ريفية تدعى جافوهي Javouhey لم تكمل عامها الثامن والعشرين عندما أسست عام ١٨٠٦م جمعية سان جوزيف الكلوني للدعوة النصرانية بين أبناء قريتها والقرى المجاورة.

وفي العام ١٨١٩م أبحرت بدعم من الكنيسة الأم على رأس أول إرسالية نسائية إلى منطقة السنغال، فأنشأت عدة مشاريع يدوية، ومستوصفات علاجية، وفصولاً تعليمية كنسية، استطاعت من خلالها أن تخترق جدار السلطات الإقليمية الحاكمة التي مهدت لها السبل لممارسة نشاطها، وكانت هي بدورها لا تألو جهداً لتمهيد كل السبل أمام الإرساليات النسائية التي تدفقت إلى إفريقيا، خاصة في منطقة السنغال وغينيا وساحل العاج، حتى أطلق عليها لويس فيليب ملك فرنسا حينذاك، لقب الرجل العظيم.

كلمة أخيرة:

وبعد هذه الإطلالة السريعة على تاريخ التنصير في إفريقيا نجد أن من موضوعية الطرح أن نستعيد السؤال الذي طرحه منذ نصف قرن من الزمان هوبير ديشان أحد حكام المستعمرات (المستعمرات مصطلح خاطئ وصوابه قوات الاحتلال) وهو: ترى أيهما ينتصر: الإسلام الشرقي، أو المسيحية الغربية؟

فالقضية بحق يشهد عليها الواقع، ويثير هذا الواقع عشرات المسائل والخطط التي يمكن أن يستدعيها خاطر المسلم الغيور على دينه، خاصة إذا ما تأكدنا أن ما كتبه أ. ل. شاتليه، ما زال متجسداً أمام عيوننا، حينما كتب يقول على لسان أحد القسس العاملين في إفريقيا: «إن الدين الإسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التبشير بالنصرانية في إفريقيا، لأن انتشار الإنجيل لا يجد معارضاً، لا من جهل السكان، ولا من وثنيتهم، ولا من مناضلة أمة من الأمم، غير أمة العرب. فليس خصمنا غير الشيخ الذي يملك نفوذاً أكثر مما هو للفرسان المحاربين»(١).

وهذا هو ما كرره بصياغة اكثر يأساً القس جابر دنر أحد كبار قساوسة أوروبا، أمام مؤتمر أدنبره الشهير، حينما قال عن دعاة الإسلام معبراً عن سخطه: «كيف يمكن التعامل مع هذه الأشياء؟ لقد وجدنا في رحلتنا الأخيرة عبر إفريقيا القبائل على نهر شاري، وجداول الكونغو وما بين الدرجات العاشرة والخامسة من خط العرض الشمالي، كلها تدين بالإسلام أما تلك الزوايا التي تنتشر في القرى والسهول والأدغال بشكلها غير الحضاري والمضاد للعصرية تماماً، فإنها رأس النبع للمد الإسلامي في أنحاء إفريقيا، الذي يحتاج من الكنائس أن تتوحد في مواجهتها وتوجيه ضربة قاسية لها(٢).

ثم يستطرد قائلاً: «إن شمال نيجيريا يجب أن يكون النقطة الأكثر أهمية، مع إنشاء مركز كبير لمختلف الكنائس في أقصى الغرب، ومحاولة الدخول إلى مناطق المسلمين، أما أوغندا فإن كانت توجد بها كنائس فهي أشبه بجزر في بحر الإسلام، لا تستفيد من الوجود القوي لحكوماتنا الأوروبية في المنطقة، خاصة في شرق إفريقيا؛ حيث يجب أن نحتل كل قوة وكل مركز

---

(١) R.Hill & Toniolo, The opening of the Nile Basin, 1842 - 1881, London 1974, V.1.

(٢) و. ت. هـ جابر دنر، ترجمة محمود الشاذلي: الوثيقة. الإسلام الخطر، المختار الإسلامي، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٣٠ ـ ٣٦.

استراتيجي للمسلمين لنخضعه للمراقبة. وهذا يتطلب التعاون الوثيق في الساحل الشرقي الذي طالما اشتقنا إليه في بلادنا(١).

الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى إفريقيا(٢):

- إن حجم الوسائل والتقنيات الحديثة المستخدمة في التنصير أصبح من الضخامة إلى حد ضرورة عمل دراسات متخصصة لمعرفة هذه الوسائل والتقنيات، ونوع الرسالة التي تقدمها، ومضمون هذه الرسالة والمساحة الجغرافية التي تغطيها ومدى تأثيرها، وهنا نشير فقط إلى أحد الوسائل المعاصرة وهو البث الإذاعي، من خلال عشرات المحطات المنتشرة في إفريقيا وخارجها، نذكر منها:

- إذاعة حول العالم Transworld Radio - Twr (تأسست عام ١٩٥٤م) تملك محطات للبث واستديوهات لإنتاج وإعداد البرامج الدينية في أكثر من خمسين دولة في العالم، أما إرسالها فيوجه على الموجات المتوسطة والقصيرة بأكثر من خمس وثلاثين لغة من بينها العربية.

- إذاعة راديو الفاتيكان Radio Vatcan (تأسست عام ١٩٣١م) تملك أكبر وأقوى أجهزة بث أرضية على مستوى العالم، وتقدم خدماتها بأكثر من سبع وأربعين لغة ولهجة من بينها العربية.

- محطة KGEL التنصيرية:

توجه بثها من كاليفورنيا بأمريكا، بأكثر من ثلاثين لغة.

- راديو صوت الإنجيل Radio Vooice of the Gospel - RVOG:

يبث إرساله من أديس أبابا بثلاث عشرة لغة على الموجتين المتوسطة والقصيرة إلى غرب وجنوب إفريقيا.

- المحطة الدينية النصرانية: ELWA:

تبث برامجها من ليبيريا على مدى ٤٠ ساعة يومياً.

- المحطة الكنسية بانجولا:

تبث برامجها بست لهجات محلية.

- محطة الكنيسة البرتغالية في موزمبيق:

تبث برامج بكل اللهجات المحلية إلى جانب اللغة البرتغالية.

■ شهداء التنصير: يصل عدد المنصرين الذين يتم التعرض لهم بصورة أو بأخرى نحو ٢٣٠٠٠٠ شخص عبر العالم سنوياً.

■ أحلام التنصير: يعتقد الكُتاب النصارى أن ٨,٥٧٪ من سكان الأرض سيكونون قد دخلوا حظيرة المسيح بمجيء سنة ٢١٠٠م أما في السنة ٤ بليون ميلادية فسيكون ٩٩,٩٠٪ من سكان الأرض مسيحيين.

■ نتائج التنصير: طبقاً للمصادر التنصيرية فقد انضم إلى حظيرة النصرانية خلال العقود السبعة الأولى من هذا القرن وحده ١١٥,٩ مليون شخص عبر العالم.

■ تخطيط التنصير: ولأجل تسهيل العمل التنصيري فقد قسمت الإرساليات المسيحية مسلمي العالم كله بدقة إلى ٣٠٠٠ مجموعة، عرقية وتتقاسم مختلف المنظمات التنصيرية العمل داخل هذه المجموعات؛ بحيث لا يوجد تضارب أو تناطح لاقتسام مناطق النفوذ؛ على عكس ما كان عليه الأمر في أوائل العهد الاستعماري.

[عن مجلة الإصلاح الأعداد: ٣٦٩ - ٣٨١]

■ تم تدريب أكثر من ١٠٠٠ سوداني على تنمية قدراتهم اللغوية في مجال التنصير، والهدف من المشروع تسهيل الوصول إلى جميع طبقات وطوائف الشعب، حيث إن هناك ١١٧ لغة في السودان.

[نشرة Pulse التنصيرية سنة ١٩٩٦م]

- البيان -

(١) و. ت. هـ جاير دنر، ترجمة محمود الشاذلي: الوثيقة. الإسلام الخطر، المختار الإسلامي، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٢٠ - ٣٦.

(٢) كرم شلبي: الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب، مكتبة التراث الإسلامي، ١٩٩١م (المقدمة).



التنصير.. هل أصاب الهدف؟ (٢ ـ ٢)

المواجهة الفاصلة بين الإسلام والنصرانية في إندونيسيا

د. توفيق محمد علوان

كنا قد تناولنا في مقال سابق(*) الأسباب التي دعت إلى ذلك التفوق النسبي ونجاح التنصير في إندونيسيا، وبينًا أن الأسباب التي أدت إلى هذه النائبة هي أسباب عديدة ومتشابكة، وتشمل كافة جوانب الحياة العملية والاقتصادية السياسية وغيرها من جوانب الحياة، وحددنا الأسباب الجغرافية والأسباب التاريخية والأسباب الثقافية والأسباب السياسية وناقشناها. ونواصل في هذا المقال تناول بقية الأسباب التي من وجهة نظرنا وعبر مشاهداتنا الواقعية تعتبر من أكبر الأسباب التي أدت إلى هذه النازلة الكبرى التي نزلت بالإسلام والمسلمين في إندونيسيا المسلمة وهي:

أولاً: الأسباب الاقتصادية.

ثانياً: الأسباب الاجتماعية.

ثالثاً: الأسباب العقائدية.

رابعاً: الأسباب الإعلامية.

فهذه الأسباب مجتمعة مع الأسباب السابقة قد تضافرت على الإسلام هنالك، وأدت إلى كل ما أنت راءٍ أمامك من تحلل وتمزق وانهيار بلغ ذروته في سلخ تيمور الشرقية نهائياً من الجسد الإسلامي، ولكن الطامة الكبرى لا تكمن ها هنا، بل إنها تكمن في أنه إذا انفرط هذا العقد فلسوف تتتابع حباته سراعاً إلى الزوايا السحيقة والضياع التام، وكم هنالك من تيمور بعد تيمور لا يدري العالم شيئاً عنها، وهي كثيرة وعديدة في إندونيسيا تتربص بها العيون الصليبية تمدها من ورائها المعاول الباترة جغرافياً وسياسياً وتنصيرياً ودولياً لوضع كلمة الختام على سفر هذه المأساة التي نسيها الجميع في غمار النكبات المتلاحقة على أطراف العالم الإسلامي.

أولاً: الأسباب الاقتصادية:

إن جميع المؤسسات الاقتصادية المتحكمة في الاقتصاد الإندونيسي تقع بغير استثناء في قبضة النصارى والصينيين الذين يجثمون بنيرهم الثقيل على أعناق المسلمين. ويأكلون أكلهم ويشربون شربهم، ويعتصرون دماءهم. وقد تصاب بصدمة هائلة ومفاجأة كبرى عندما يتبين لك أن هذه البنايات الشاهقة والتي تبشر بنهضة عالية وضعت إندونيسيا في حقبة معينة بين النمور الاقتصادية التسعة التي هددت الاقتصاد الأوروبي والأمريكي، إن هذه النهضة بلحمها وشحمها قد حصد ثمارها وجنى جناها النصارى وحدهم، بينما تحكموا دون رحمة أو هوادة في أرزاق الملايين الكثيرة التي بقيت تتضور جوعاً وتقاسي أشد حالات الحرمان والإذلال اليومي بحثاً عمًا يقيم حياة الكفاف. هذه

(*) مقال تيمور الشرقية والذئاب الصليبية، العدد: (١٤٤).

الجموع المنهكة التي ثارت في نهاية الأمر ثورة عاتية شعواء حرقت في لهيبها كل ما يمت إلى النصارى بصلة: بيوتهم، ومؤسساتهم، وشركاتهم، وبنوكهم، وقبل ذلك أنفسهم وأسرهم. (قبيل سقوط سوهارتو عام ١٩٩٨م)، الأمر الذي بدا ظاهراً للعيان أنه ناجم عن الشعور الجسيم بالإحباط والهوان من التحكم الذي لا يرحم من النصارى، وخاصة ذوي الأصل الصيني منهم. وكم كانت ملاحظة جديرة بالتأمل والتحليل أنه في أثناء الهياج الكامل للناس وحرق كل ما تقع عليه أيديهم ومن أراد إنقاذ نفسه أو مؤسسته أو أمواله أو بيته من الهجمات العارمة، فليس عليه إلا أن يكتب بخط كبير ظاهر: «أنا مسلم» أو «الله أكبر»، وغنيٌّ عن البيان الدلالة الحاسمة لذلك، ألا وهي أن المسلم الجائع والذي أخذ ينهب كل ما تقع عليه يده إنما يدرك دون غموض من هم الذين امتصوا دماءه، وأحرقوا فؤاده[1].

إن النصارى يسيطرون على النصيب الأعظم من كل أنواع التجارة بمساعدة الدولة، وعلى سبيل المثال، فإن الحكومة إبان النهضة الاقتصادية العامة في جنوب شرق آسيا في السنوات العشر الأخيرة قد صرحت في أكتوبر عام ١٩٨٨م، بقانون تنظيم البنوك الأجنبية والخاصة (Pakta 1988)، ومنذ ذلك التاريخ وحتى ديسمبر عام ١٩٩٥م تم تأسيس ١٦٥ بنك خاص، ولهذه البنوك ٣٤٥٨ منفذ بنكي غالبيتها الساحقة بأيدي النصارى (إن لم تكن جميعها). كما تم التصريح لعدد ٤١ بنكاً أجنبياً بعدد منافذ ومكاتب يبلغ ٨٣ (كلها للنصارى الأجانب). إن البنوك الخاصة التي تتحكم في اقتصاد البلاد مثل: البنك المركزي لآسيا، بنك بالي، BDNI,BLL، بنك دانامون، بنك دوتا، بنك نيجا، بانين بنك. أو البنوك الأجنبية مثل: بنك أمريكا، بنك هونج كونج، بنك طوكيو، بنك بنكوك، بنك تشيس مانهاتن، وغيرها، كلها تقريباً بأيدي غير مسلمة. إن الشركات المالية الاقتصادية قد بلغت ٢٥٢ شركة في عام ١٩٩٥م باستثناء شركات رأسمالية الدولة. أما شركات التامين فقد بلغت حتى اغسطس عام ١٩٩٦م عدد ١٧٣ شركة للتامين وإعادة التامين، كما أن الشركات المدعمة لها ١١٥ شركة.

هذه الأعداد الهائلة والتي تتحكم في مليارات الدولارات تحكماً كاملاً غالبيةُ اتباعها من بنوك وشركات وتامينات هم من النصارى (بعض التقارير تؤكد أنهم جميعاً من النصارى والصينيين) فهذا كله من الأسباب الرئيسة للأزمة الاقتصادية من جانب، ولأزمة الإسلام في مواجهة التنصير من جانب آخر[2].

ولا يغربن عن بالك أن النصارى الذين بلغوا هذا القدر من الثراء والغنى لن يضنوا على إخوانهم المنصرين القادمين من أقصى الأرض بالأموال الطائلة عوناً لهم على أداء الدور الذي جاؤوا من أجله. كل هذا والمسلمون يدورون دون رحمة تحت النير النصراني الثقيل، بينما يكدحون مواصلين الليل بالنهار بحثاً عن حفنات الأرز الكفاف.

ثانياً: الأسباب الاجتماعية:

هناك أسباب اجتماعية تفسر ظاهرة التنصير المستشرية، ألا وهي حرص الأبواق الحكومية، وبصورة ملحة على ضرورة تنظيم النسل، ولا شك أن الكثيرين من المسلمين، نظراً للظروف الاقتصادية القاهرة، مضافاً إليها الإلحاح الإعلامي، سرعان ما تستجيب لهذه الدعايات، مما أدى إلى التناقص المستمر في نسل المسلمين عبر العقود الأخيرة. بينما النصارى في أماكن تجمعاتهم لا يلقون بالاً لهذه الدعايات؛ ذلك أنهم يلتزمون بصورة صارمة بالتعاليم الكنسية البروتستانتية والكاثوليكية التي تحرضهم على الزيادة في النسل بكل وسيلة ممكنة؛ مما دعا بعض المحللين إلى اعتبار هذا الخلل الجسيم في التوازن السكاني (حيث كانت النسبة ١٠٠٪ للمسلمين منذ نصف قرن فقط)، إنما يرجع إلى هذه الأسباب، لا إلى النجاح في عمليات التنصير.

---

(١) (كاتب هذه السطور عايش هذه الأيام؛ وحيث كنت أعمل أستاذاً بالجامعة فقد قام البوليس بتحذيري من النزول إلى الشارع من منزلي حتى لأداء الصلاة في المسجد القريب الذي تعودت الصلاة فيه، ومع ذلك فإن الجموع الهائجة في كل مكان كانت ترفض الاقتراب من بيتي؛ لأنه «بيت عالم» ويقصدون بالعالم: (رجل الدين الإسلامي).

(٢) ملاحظة: التقارير والأرقام المذكورة كلها من مصادر حكومية معلنة.

ثالثاً: الأسباب العقائدية:

عقيدة الدولة الإندونيسية علمانية، أي أنها لا تلقي بالاً إلى الديانات عند تخطيط وتوزيع الخدمات أو الامتيازات. ولقد أدى هذا المذهب الأعمى إلى إيقاع أشد الظلم بالمسلمين؛ حيث تم فتح الأبواب والفرص دون تمييز بين الأغلبية الساحقة من المسلمين، وبين الأقلية التي لا تكاد تذكر من النصارى على رغم القاعدة المعتمدة في جميع أنحاء العالم والتي بموجبها تخضع الأقليات لرأي الأغلبية وإن لم تعتنقه، وإلا لزم العكس وهو غير معقول، إلا في حالة الأغلبيات المسلمة والأقليات النصرانية كما هو الحال في إندونيسيا؛ حيث يتوجب على الأغلبية المسلمة أن تعطل كافة أعمالها احتفالاً بالأعياد النصرانية الكثيرة، وعلى الأغلبية المسلمة أن تنصت بإمعان إلى البرامج المتتالية والتي لا تنقطع فيها الدعوة إلى الديانة النصرانية والتنصير المعلن الصريح الذي يذاع دون مداراة في التلفزيون الإندونيسي. وعلى الغالبية المسلمة أن تنصت بإعجاب إلى البطولات الخارقة لدعاة التنصير في التلفزيون الإندونيسي، مثال الأم تيريزا التي واصل التلفزيون الإندونيسي في حالة من الإبهار والاستعراض الكامل عرض تفاصيل حياتها التنصيرية على أعين الجمهور المسلم وأسماعه لساعات طوال، وكنت واحداً من المنكوبين بهذه البرامج؛ حيث رأيت التضخيم الذي لا يعقل في بعض الأحيان لأعمال هزيلة تافهة يمكن دون جهد مشاهدة أضعاف أضعافها من صغار الدعاة من الشباب الإسلامي، كذا تصوير الترف الذي تمارسه المنصرات على أنه شظف وجهاد ونبذ للحياة الدنيا، فضلاً عن الكذب والخداع وتقليب الحقائق والأمور، دع عنك الدعاية طوال هذا جميعه إلى أدلة كون الحق المبين في الديانة النصرانية، هذا الذي على الغالبية المسلمة في إندونيسية المسلمة أن تعيه وأن تسمعه، وخاصة في يوم الأحد؛ حيث إن يوم الجمعة يوم عمل لا يهدأ؛ بينما الأحد هو الإجازة الرسمية في أنحاء البلاد التي يقطنها مائتا مليون من المسلمين الذين ما زالوا بعدُ يحتفظون بشعائرهم يوم الجمعة وعلى رأسها شعيرة صلاة الجمعة.

رابعاً: الأسباب الإعلامية:

الإعلام الإندونيسي - خاصة التلفزيون - يركز بصورة أساسية على البرامج النصرانية التنصيرية الصريحة خاصة في أيام الأجازات والعطلات الرسمية. كذلك في أوقات الذروة الهامة من البث التلفزيوني.

وإنني - ومع أني مسلم - مضطر إلى الإنصات لساعات طويلة مشاهداً الكنائس من داخلها، وسماع المواعظ الطويلة وكأني أحد النصارى هذا على الأقل مرة أسبوعياً. وكما ذكرنا فإن يوم الأحد هو يوم الإجازة الرسمية في البلاد، بيد أن مائتي مليون من المسلمين ملزمون بالخضوع لهذه الخطة الشنعاء التي تخضع فيها الأغلبية على صورة مؤلمة لرأي الأقلية التي لا تكاد تذكر، بل الخضوع للأذقان لعقيدتها وديانتها. والأدهى من ذلك أن الكثير من المؤسسات تعتمد يوم السبت مضافاً إلى الأحد يوم عطلة أسبوعية مجاملة لعيون اليهود الذين لا وجود لهم أصلاً. إن يوم الجمعة هو اليوم الوحيد الذي لا خلاف على العمل فيه بغاية الجد والإخلاص ودون توقف إلا من أراد أن يصلي الجمعة فإنه يحصل على فترة انقطاع تساوي قدر الصلاة على أن يعود إلى العمل فور الانتهاء منه. بل إنني لاحظت أنه كلما كان الموظف أكثر التزاماً - أو حتى أراد أن يبدو هكذا أمام رؤسائه - فإنه يحرص غاية الحرص على الانتظام يوم الجمعة. إن العمل يوم الجمعة بالذات هو الدليل الذي لا تشوبه شائبة على ولاء الموظف والتزامه بالنظام العام في الدولة، وهو الجواز الذي عبره يحصل على رضى الرؤساء. ولما كان عملي في جامعة إسلامية تدرس العلوم الشرعية، ولما كان هذا هو النظام المتبع فيها، فلا تسل عن غيرها من المؤسسات الحكومية الأخرى غير المعنية بشؤون الإسلام، بل لا تسل عن المؤسسات الخاصة التي يترأسها عادة الصينيون والنصارى والتي لا ترعى فيه لمشاعر المسلم أدنى اهتمام.

إني لأعجب من هذا النظام وممن يقرره: من الذي يعطل الأعمال يوم الأحد؟ ولماذا يطبق بهذه الصرامة؟ ولماذا كان لا بد على المسلمين بأجمعهم أن يعطلوا أعمالهم حتى تذهب القلة النصرانية إلى كنائسها هانئين؟ ألم يكن كافياً أن يسمح لهم مثلاً بالذهاب إلى

الكنائس يوم الأحد في الوقت المخصص لعبادتهم، بينما يجازون مع المسلمين يوم الجمعة؟ وهل يعقل أن يعطل تسعمائة مسلم من كل ألف أعمالهم كل أسبوع من أجل ذهاب مائة إلى أداء طقوسهم الدينية؟ إن يوم الجمعة هو اليوم المعلوم على مستوى العالم الإسلامي ومهما كانت العقيدة التي تتبناها الدولة فيه. ودون النظر إلى مدى وجوبه شرعاً أم لا. بيد أن هذه الظاهرة هي الظاهرة اللافتة للنظر، والتي تشير دون لبس أو خفاء إلى حالة التحكم النصراني في شؤون الحياة السياسية والعقائدية في إندونيسيا المسلمة.

وكل يوم أحد يجلس المسلمون في البيوت لكي يستمعوا إما إلى برامج فاحشة جداً، أو إلى مواعظ نصرانية منوعة في كل أسبوع من كنيسة جديدة، أو خطبة ووعظ نصراني، أو فيلم عقائدي نصراني، أو سيرة أحد رجال نشر المسيحية المشهورين.

إن المسلمين يُحرَمون من أعمالهم يوم الأحد لمشاهدة التنصير على كافة القنوات، وهؤلاء المنصرون والمنصرات في أيديهم الأناجيل يقرؤونها، ولا ندري على من يقرؤونها؟ أعلى رعاياهم من النصارى أم على المغلوبين على أمرهم من المسلمين؟

ولماذا يجب على جميع المسلمين أن ينصتوا طوعاً أو كرهاً وأن يلتزموا؟

وبالطبع فإن وسائل الإعلام تعرض المواعظ الإسلامية أيضاً والبرامج الإسلامية؛ غير أن أوقاتها تكون ـ على الغالب ـ غير مناسبة، وكلها تقريباً بعد صلاة الفجر في التلفزيون، وهو وقت كما هو معلوم مشحون بالاستعداد للمدارس أو الاستعداد للخروج للوظيفة أو العمل، علماً بأن اليوم في إندونيسيا يبدأ فعلياً عند صلاة الفجر أي أن السوق وشراء الحاجيات المنزلية اليومية والسلع الغذائية وغير ذلك يتم عند الفجر أو قبله بقليل؛ بحيث لا يمكن أن يُرى في السوق أحد في العاشرة صباحاً مثلاً.

والمقصود أن الأوقات التي يعرض التلفزيون فيها برامجه الإسلامية هي أوقات أضعف بما لا يقارن بالتوقيت الذي يعرض فيه البرامج النصرانية، وأين وقت الفجر من وقت الإجازة الأسبوعية بكاملها.

ومما سبق يتبين أن التنصير إنما يتم بأموال المسلمين النازفة في أجهزة الإعلام، ولقد رأيت ساعة كاملة يوم الإجازة الرسمية ومن بعد صلاة العصر ـ الاختيار الدقيق لأفضل الأوقات ـ لبطولات الأم تيريزا مصورة في كل مكان نصَّرت فيه، مع عرض النتائج الباهرة لآثار تنصيرها والجموع التي تسير من ورائها إلى النصرانية، ذلك الشرف الذي لم يحظ به أحد من كبار دعاة الإسلام الذين قضوا أعمارهم فداء للدعوة ومنهم في بلاد المسلمين المختلفة، ومنهم من قضاها في بلاد بعيدة سائحاً في سبيل الله ـ تعالى ـ بل ومنهم من كان في إندونيسيا نفسها السنوات الطوال يعلِّم ويعظ ويدعو، ولعل في الصورة التي بيناها لك يتبين ما وراءها، وقس على ذلك بالطبع الصحافة وغيرها من وسائل الإعلام.

إن التنصير ها هنا لا يتم في زاوية نائية بعيدة، إنه يبث على وسائل الإعلام ظُهراً وفي رابعة النهار وعلى كل القنوات، وفي جميع الأوقات.

هذا بالطبع عدا أعياد النصارى؛ حيث تتفرغ نشرات الأخبار المرئية والمسموعة والمكتوبة لعرض الاحتفالات وتصوير الكنائس والجموع النصرانية في جميع أنحاء العالم في الاحتفالات الهائلة في أوروبا وأمريكا والفاتيكان وغيرها في تقارير تفصيلية ومطولة جداً ومنقولة بتمامها من البلاد التي تمت بها.

إن هذه الدعوة القهرية لهي واحدة من أعظم الأسباب، لا أقول في نجاح التنصير، ولكن لدورها المعنوي الهائل الذي لا ينكر في إشعال مس الجنون في عقول النصارى.

بركان النار في الجزر الإندونيسية:

بدأت وكالات الأنباء العالمية تنشر بصورة شبه يومية أخباراً عن اشتباكات بين المسلمين والمسيحيين في بقاع شتى من أنحاء إندونيسيا، هذه السياسة التي صارت الآن في عداد المسلَّمات المقررة عند بدء أي مخطط دولي لتمزيق أية بقعة إسلامية على وجه الأرض؛ فهي المقدمة للتدخل الدولي في الصومال عن طريق نشر أنباء الحرب والمجاعات، وهي الطريق للتدخل السابق في تيمور لفصلها، وغير ذلك مما هو معلوم من البدايات الإعلامية للاقتحام والتدخل الدولي السافر في الشؤون

الداخلية للدول الإسلامية دون غيرهم من طوائف العالم أجمع. والآن تبدأ من جديد للقدمة المجوجة والمكررة نفسها لبدايات التدخل الدولي المزمع للمرة الثانية في إندونيسيا، الأمر الذي بات المسلمون منه على أشد حالات الفزع والترقب والارتياب من خطط ونوايا الأمم المتحدة. ويضاف إلى تلك الصورة المأساوية الحالة المزرية التي تتعامل بها الحكومة الإندونيسية مع الأحداث الجسام التي تمثل الحياة أو الموت بالنسبة لإندونيسيا ووحدتها وحاضرها ومستقبلها، حيث يشلها الرعب القاتل من الغرب عامة ومن الولايات المتحدة الأمريكية خاصة، والذي تتراخى تحت وطاته أمام خطر داهم محدق بصورة ماثلة لا خفاء فيها، فقد بدأت «إيريان جايا» في عقد مؤتمر تحت إشراف الحكومة، وهي المحافظة التي سلمتها الأمم المتحدة في عام ١٩٦٣م إلى إندونيسيا معتبرة إياها محافظة إندونيسية خالصة بعد معارك طاحنة بين الحكومة الإندونيسية وبين المتمردين من النصارى في عام ١٩٦١م مع اشتراط إجراء استفتاء عام لسكان الجزيرة وهو ما تم تحت إشراف الأمم المتحدة في اغسطس عام ١٩٦٩م، وصارت بناء عليه «إيريان جايا» هي المحافظة السادسة والعشرين من إندونيسيا. ولكن الدول الأوروبية بقيت تقدم الدعم العسكري والمالي للمتمردين، وتولت أستراليا كبر الفتنة غير عابئة بقرارات أو مواثيق. وفي المؤتمر الذي عقد في ٢٩ مايو ٢٠٠٠م في «إيريان جايا» قرر المؤتمرون الانفصال عن إندونيسيا أسوة بتيمور، ووجهوا نداءاً إلى الأمم المتحدة بسحب قرارها رقم ٢٥٠٤ (١٩٦٩م) في حالة خداع معلن للرئيس عبد الرحمن وحيد بعد أن تناقلت الأنباء على أنه دعم المؤتمر بناءاً على وعود من قادة الانفصاليين بأن يكون مؤتمراً حقيقياً خالياً من أية تدخلات أجنبية. والواضح أن عبد الرحمن وحيد الذي فوجئ بالذي حدث قد مضى في التنازل على صورة مستفزة؛ بحيث سمح لأول مرة في تاريخ هذه المنطقة للانفصاليين برفع أعلامهم عالية جنباً إلى جنب مع الأعلام الإندونيسية، مما أثار ثائرة مجلس النواب الإندونيسي الذي أعلن رئيسه أكبر تانجونج أن الشعب الإندونيسي لن يتسامح في شبر واحد من الأراضي الإندونيسية، وأن الجميع مستعدون للموت دون ذلك.

ثم كانت أحداث بوسو وجزر الملوك في سولاويسي الوسطى؛ حيث قامت المجموعات الصليبية بتحريض من الرهبان في الكنائس بالهجوم على المسلمين مما أدى إلى مقتل مائتين منهم، ولكن الجديد في السيناريو هو الصورة البشعة التي يصر العالم المتحضر على تقرير أنها أسلوب ناجع في إرهاب المسلمين وإثارة الذعر في قلوبهم، ألا وهي التمزيق الوحشي للأجساد والتعذيب البشع للأحياء منهم. ونحن لا ندري كيف اقتنع الغرب بأن هذه المناظر البشعة يمكن أن تحدث آثارها في إندونيسيا التي تقطنها أكبر أغلبية مسلمة على وجه الأرض؟ إن هذه المناظر المقززة الكالحة لم يعد لها من فائدة إلا إثبات السعار المحموم الذي يتلمظ في أتونه الحارق الرهبان الذين فعلوا من الأفاعيل ما لم يجرؤ الكفار الشيوعيون في الستينيات على فعله، وإذا صحت هذه الأنباء عن هذه الوقائع الوحشية من الجثث التي عرضتها وكالات الأنباء فإن تداعياتها سوف تعود على النصارى أنفسهم في إندونيسيا باوخم العواقب. ومهما تناولت الأمم المتحدة قضيتهم وأعدت المخططات السرية أو المعلنة لها، فإن إندونيسيا ليست البوسنة أو كوسوفا أو الشيشان، وإن النصارى بها ليسوا أغلبية حتى يقطعوا الأجساد ويحرقوا القرى، كما أن الشعوب لا تفهم كثيراً في لهجات ومخططات وألاعيب الأمم المتحدة.

إن المسلمين البسطاء الذين يطالعون هذه الصور والأخبار ـ وبغاية البساطة ودون كثير فلسفة أو تحليل ـ سوف يحرقون قرى النصارى الذين يمثلون الأقليات في الغالبية العظمى من الجزر الإندونيسية، وسوف يمزقونهم كذلك بحسب الدروس الإعلامية المرسلة إليهم من العالم المتحضر بالليل والنهار من أجل الثار لإخوانهم. كما أن الضعف المزري في سلوكيات وتصرفات حكومة عبد الرحمن وحيد لن يؤدي إلى تنصير إندونيسيا أو انفصال «إيريان جايا»، بل سيؤدي إلى حرب أهلية منفلتة لا تحكمها إلا معايير

تقطيع الأشلاء وتمزيق الجثث وحرق البيوت والقرى والاغتصاب، والقيم المجيدة التي ميزت عصر الشرعية الدولية، والدروس البليغة التي علمتها وكالات الأنباء للمسلمين في كيفية التعامل مع الخصوم وتحت دعوى النصرانية والإنجيلية، وسترتكب الأمم المتحدة والعالم الحر الجريمة الكبرى التي لن تؤدي إلى تنصير إندونيسيا كما ظل الرهبان والبابوات يحلمون به لمدة ثلاثة قرون من الزمان، وإنما ستؤدي إلى سحق النصارى عن بكرة أبيهم.

والأغرب من كل هذا أن البابا الذي لزم الصمت المطبق المميت عندما اغتصبت النساء المسلمات بعشرات الآلاف على مرمى حجر من بيته في أوروبا، وأعلنت شاهرة جاهرة على جميع القنوات الفضائية، نراه اليوم يرفع عقيرته من أجل إنقاذ النصارى في إندونيسيا توطئة بالطبع للتدخل العسكري الدولي في شؤونها الداخلية، وهي اللعبة التي استمرأتها الهيئات الدولية لَمَّا لم تقف في وجهها أمة مسلمة تدفع عن شرفها وتفضل الموت الكريم على الحياة المستذلة المهينة. والأغرب منه أن بعض المسلمين الذين ما زالوا يوجهون النداءات للبابا المتسامح المسالم بتعليم النصارى التعاليم السمحة للإنجيل، وهو الذي حرضهم باسم الإنجيل على أن يقوموا بالحرق والاغتصاب وتمزيق الأجساد، وهو الذي أزّهم أزّاً وألهب مشاعرهم وعلمهم أشد التعاليم توحشاً وهمجية.

إن على المسلمين اليوم سواء في إندونيسيا أو في غيرها أن يدركوا أن خطر الرهبان الصليبية الوالغة في دمائهم على الإسلام أشد وطأة وأكثر ضراوة من غلاة الملاحدة الشيوعيين إبان أحقاب العربدة الكافرة في ديار المسلمين، وعليهم أن يعلموا أن الخلاص لن يكون عبر إرسال النداءات للأمم المتحدة أو مجلس الأمن الذي ليس من بين وظائفه تحقيق أي أمن لأي مسلم على وجه الأرض. ولا يغرنك القرارات التي صدرت بأن إيريان جايا جزء لا يتجزأ من إندونيسيا، فلسوف تنعقد الأمم المتحدة وتلغيها إن رأت إمكانية تدمير إندونيسيا. ولكن على الجميع أن يذكروا هجمة الغرب القريبة في لبنان عندما ظنوا أن النسبة السكانية المسيحية فيه يمكن أن تؤدي إلى انتزاع السيادة لهم والحكم بالعبودية على المسلمين، وقامت المجزرة الكبرى في لبنان حتى أتت على الأخضر واليابس، ثم لم تثمر إلا الآلام المضنية والجراح الغائرة العميقة، وعادت الأمور سيرتها الأولى.

وإن ما يجري الآن في إندونيسيا من العبث لا مسؤولة وعبث مدمر بالنار يفعله الرهبان الذين يحملون أشد الوجوه سماحة ووداعة، وأشد القلوب سواداً وضغناً وحقداً، يتعجلون تنصير إندونيسيا عن طريق الدم والحرق والنار لن يحرقوا إلا أيديهم، وسيلقنون أهالي إندونيسيا شرائع الغرب المتحضر في البوسنة ثم كوسوفا ثم الشيشان على مرأى العالم وسمعه، وستطبق هذه الشرائع كذلك دون الرجوع لأحد على نصارى إندونيسيا ولن يستطيع مجلس الأمن أن يفصل إندونيسيا عن إندونيسيا، ولا إندونيسيا عن جاوة ولا سومطره ولا غيرها من الجزر الهائلة التي تشمل عشرات الملايين من المسلمين الجاهزين معنوياً ودينياً للدفاع عن إسلامهم حتى الموت.

إن إندونيسيا ليست البوسنة، كما أن النصارى فيها ليسوا هم الصرب. وإذا ظن العالم أنه بالسهولة التي تم بها قطع تيمور الشرقية سيتم ذلك في سولاوسي أو وادي الملوك أو إيريان جايا فهو واهم. ولن يفيد ضعف الحكومة الإندونيسية الحالي في التعجيل بالهدف النصراني المعلن، بل سيؤدي إلى أوخم العواقب إذا تداعت الأمور ونفد صبر الشعب الإندونيسي على فصول المهزلة التي تدور شاخصة أمام ناظريه بإسقاطه لهذه الحكومة العاجزة الهزيلة، ومن ثم ينفتح الباب المتضرم على مصراعيه لصنوف من التطرف والاندفاع والتهور الذي لا تُشبع نيرانه الجامحة إلا مفاخر الحروب المتحضرة التي لقنها الغرب للمسلمين، فهي مفخرة جديدة وإنجاز عظيم من سلسلة الإنجازات الكبرى التي أتحفت الشرعية الدولية والأمم المتحدة عالمنا البائس المبتلى بها، وانتظروا فإنا منتظرون..!

مناطق سقطت في قبضة التنصير:

أولاً: نوساتنجارا الشرقية:

- العاصمة: كوبانج.
- المساحة: ٤٧٨٧٦ كيلو متر مربع.
- تتكون من ١١١ جزيرة أكبرها تيمور.
- بها أقل مستوى لسقوط الأمطار في جميع أنحاء إندونيسيا.
- بها حيوانات ما قبل التاريخ (زواحف عملاقة).
- عدد السكان: ٣,٥٧٧,٤٧٢ نسمة.
- الكثافة السكانية: ٧٥ فرداً لكل كيلو متر مربع.
- توزيع أصحاب الديانات:
- المسلمون: ٩,١٢٪.
- بروتستانت: ٣٣,١٦٪.
- كاثوليك: ٥٢,٨٩٪.
- هندوس: ٠,١٩٪. - بوذيون: ٠,٠٤٪.

ثانياً: إيريان جايا:

- المساحة: ٤٢١٩٨١ كيلو متر مربع.
- عدد السكان: ١,٩٤٢,٦٢٧ .
- العاصمة: جايا بورا .
- غنية بإنتاج البترول والنحاس.
- تشمل نصف جزيرة إيريان (جينية) وهي ثاني أكبر جزر العالم.
- تتميز بمنحدرات جبلية تنحدر تدريجياً، ومناطق شاسعة من المسطحات المائية.
- الكثافة السكانية: ٥ أشخاص لكل كيلو متر مربع.
- توزيع أتباع الديانات:
- مسلمون: ١٥٪.
- بروتستانت: ٦٣٪.
- كاثوليك: ٢٠٪.
- هندوس: ١٪ . - بوذيون: ٠,٨٪.
- تتميز بثقافتها الشعبية التقليدية والتي تميز المجموعات العرقية المختلفة.

ثالثاً: تيمور الشرقية:

- العاصمة ديلي.
- المساحة: ١٤٨٧٤ كيلو متر مربع.
- غنية بالأخشاب المميزة: الخشب الأحمر، خشب الحديد، خشب الرقائق وغيرها.
- عدد السكان: ٨٣٩٧١٩ .
- الكثافة السكانية: ٥٦ فرداً لكل كيلو متر مربع.
- توزيع أتباع الديانات:
- مسلمون: ١,٧٪.
- بروتستانت: ٢,٦٪.
- هندوس: ٠,٣٪.
- بوذيون: ٠,١٪.
- كاثوليك: ٩١,٤٪.
- كانت مسرحاً للحرب العالمية الثانية وبها كثير من الآثار الخاصة بالحرب.

ثانياً: مناطق في معارك فاصلة وانحسار مستمر للكثافة الإسلامية في صالح الكثافة النصرانية:

أولاً: سومطرة الشمالية:

- العاصمة: ميدان.
- المساحة: ٧٠٧٨٧ كيلو متر مربع.
- الأنهار: ١٢٠ نهر.
- غنية بالثروات النباتية والحيوانية.
- عدد السكان: ١١,١١٤,٦٦٧ حسب آخر إحصاء عام ١٩٩٥م.
- الكثافة السكانية: ١٥٧ فرد لكل كيلو متر مربع.
- توزيع أتباع الديانات:
- مسلمون: ٦٣,٢٢٪ .
- بروتستانت: ٢٧,٩٦٪.
- كاثوليك: ٤,٦٪.
- هندوس: ٠,٤١٪. - بوذيون: ٣,٦٨٪.

ثانياً: سولا ويسي الشمالية:

- العاصمة: مانادو.
- المساحة: ١٩٠٢٣ كيلو متر مربع.
- عدد السكان: ٢,٦٤٩٠٩٣ .
- الكثافة السكانية: ١٣٩ فرد لكل كيلو متر مربع.
- توزيع أصحاب الديانات:
- مسلمون: ٤٤,١٪ .
- بروتستانت: ٤٩,١٪.
- كاثوليك: ٢,٩٪ .

ـ هندوس: ٥٨,٠٪ . ـ بوذيون: ٢,٠٪.

– من أغنى المناطق بالثروة السمكية للمياه العذبة (مساحة ٢٦٧٨ هكتار).

– تحظى على اهتمام بالغ بها في كتب الإعلان عن إندونيسيا خاصة ارتفاع دخل الفرد والصادرات والواردات بالدولار الأمريكي.

– غنية بالذهب والنحاس والحديد والكبريت.

وأود من القارئ الكريم أن يعي جيداً ما في الأرقام من دلالات، وخاصة ما يتعلق بالمساحات التي تحتلها كل طائفة من أرض إندونيسيا، وعدد المسلمين مجتمعين إلى عدد الديانات الأخرى مجتمعين، وكثافة السكان في كل كيلو متر مربع، فإنها ناطقة بالمعاني الكبار التي قصدناها من هذا المقال، والتي سنبدأ في تحليلها ومناقشتها لاستجلاء الحقائق المجردة العارية، وكشف النقاب عن الأخطار الداهمة التي تهدد هذا الجزء العزيز من العالم الإسلامي، وذلك في مقال قادم إن شاء الله تعالى.

هذه هي شهادة الأرقام التي لا تكذب ولا تزيغ، هذه هي المناطق النائية المجهولة التي لم يسمع لها العالم ذكراً قبل اليوم. ومن يدري؟! ربما هبت عاصفة دولية مفاجئة من أجل تحرير (نوستنجارا الحرة) من تجاوزات وممارسات الجيش الإندونيسي، هذه المحافظة الإندونيسية التي لا يدري بها أحد حتى في العالم الإسلامي، ولكن العالم الصليبي يعرفها جيداً ويتلمظ لافتراسها كما فعل بتيمور الشرقية من قبل، هم الذين ما زالوا ينصِّرون هنالك منذ ثلاثة قرون توطئة لليوم الموعود الذي تتدخل فيه الشرعية الدولية ولجان حقوق الإنسان والمقررات العالمية والقوات الدولية من أجل إنقاذها من المسلمين على غرار ما تم في كل القضايا المماثلة سواء في الماضي أو في الحاضر. ثم من يدري؟! ربما خرج من بين أطفال المسلمين المطرودين اليوم من يعي ويفهم جيداً حقيقة الإعصار المدمر الذي يكتسح كل شيء أمامه، فيعيد الأمور المختلة المائلة إلى نصابها، ويقيم الحق مكان الباطل وينقذ الأطراف الغالية من الجسد الإسلامي المثخن بالجراح، من يدري؟ ربما يكون الانتصار الآتي أقرب من عيوننا، والفرج أدنى من المسافة بين أقلامنا وصحائفنا، يوم تتبدل أمور ظن الجميع أنها استعصت على السنن فلا تتبدل ولا تتغير، ظنوا أنها سبقت وأعجزت فلا تطالها سنة الله ـ تعالى ـ الصارمة الماضية دون هوادة على مشارف الدهور الغابرة في الأولين والآخرين.

■ إن الهدف الرامي إلى تنصير إندونيسيا يلقى تأييد بلاد قوية مثل الولايات المتحدة الأمريكية التي لا تتردد في إمداد الحركة التنصيرية بالمال في كل مناسبة، وهذه الحركة (الحركة التنصيرية) تلقى تأييد الأجهزة الأمريكية مثل وكالة المخابرات المركزية، كما تلقى تأييد أجهزة أخرى موزعة في أنحاء العالم وخصوصاً في البلاد الإسلامية، تحت غطاء المبشرين والتجار وخبراء التعدين...إلخ.

يجب علينا ـ نحن المسيحيين ـ أن نضمن أن تكون سياسة الحكومة موجهة نحو الغرب دائماً وخصوصاً نحو الولايات المتحدة الأمريكية، وعليكم أن تدركوا أن حزب غولكار (حزب سوهارتو) وحكومته موجهان نحو أمريكان وهنا هو السبب في توجيهنا لكل المسيحيين بالانضمام إلى حزب غولكار والعمل على فوزه في كل الانتخابات، وعلى كل المسيحيين أن يعرفوا أن حزب غولكار هو حزب المسيحين، وهو الحزب المسؤول عن نجاح المسيحيين إلى هذا الحد في إندونيسيا.

ويجب أن نتأكد دائماً من أن الصحف الإندونيسية والإذاعة والتليفزيون تكتب وتنيع الأحداث بصورة تخلق انطباعاً سيئاً حول الإسلام والمسلمين ولزرع الفتنة في صفوفهم لدفعهم إلى الاقتتال فيما بينهم: (شتتوهم ومزقوهم ثم سيطروا عليهم واحكموهم) هذه هي شعاراتنا وتكتيكنا لإخضاع المسلمين في إندونيسيا، ويجب أن نستغل الصحف وغيرها من وسائل الإعلام الخاضعة لنا لنشر الدعاية الكفيلة بتمزيق وحدة المسلمين في إندونيسيا.

[من وثيقة مجلس الكنائس الإندونيسي في مؤتمره بجاكرتا عام ١٩٧٩م ـ عن مجلة الإصلاح، العدد: ٣٨٠] ـ البيان ـ



التنصير.. هل أصاب الهدف؟ (٢ ـ ٣)

التنصير في إفريقيا

السنغال أنموذجاً

سيدي غالي لو

نبذة عن السنغال:

السنغال إحدى الدول الواقعة في غرب القارة الإفريقية، تحدها شرقاً جمهورية مالي، وغرباً المحيط الأطلسي، وشمالاً الجمهورية الإسلامية الموريتانية، وجنوباً الغينيتان (غينيا بيساو وغينيا كناكري).

تقدر مساحة السنغال بـ ١٩٦,٢٠٠ كلم٢، وعاصمتها دكار، ويبلغ تعداد سكانها ثمانية ملايين ونصف مليون نسمة(*)، وأهم القبائل التي يتشكل منها سكان السنغال هي: الفولانية، والولوفية، والسيرير، والجولا، والسونينكي، والماندينغ، وتنقسم البلاد إدارياً إلى عشرة أقاليم، ومن أهمها: دكار، وتياس، وجوربيل، وفاتك، وكولخ، ولوغا، وسين لوي، وتامباكوندا.

وكانت السنغال مستعمرة فرنسية لمدة ثلاثة قرون، ثم حصلت على استقلالها من فرنسا سنة ١٩٦٠م، وتحتفل بيومها الوطني في الرابع من إبريل. وبعد حصولها على الاستقلال مباشرة ألّفت مع جارتها «مالي» ما كان يعرف باسم «اتحاد مالي» غير أن ذلك الاتحاد كان قصير الأمد؛ حيث تفكك في ١٠/٨/١٩٦٠م.

والسنغال من الدول المؤسسة لكل من منظمة الفرنكوفونية ومنظمة الوحدة الإفريقية، كما أنها عضو في هيئة الأمم المتحدة وحركة عدم الانحياز ومنظمة المؤتمر الإسلامي. ونظراً لموقعها الجغرافي المتميز ودورها القيادي البارز في إفريقيا؛ فإن الغرب يطلق عليها اسم «بوابة إفريقيا». وكانت هذه البوابة ولا تزال مدخلاً رئيساً للتنصير في منطقة غرب إفريقيا».

بداية التنصير في السنغال:

التنصير حركة دينية سياسية استعمارية ظهرت إثر انهزامات الصليبيين، وتهدف إلى نشر الديانة النصرانية بين الأمم والشعوب وبخاصة المسلمين لإحكام السيطرة عليهم.

وكانت الحملات التنصيرية مركزة في بدايتها على مناطق النفوذ الإسلامي في الشرق، ثم امتدت إلى مختلف أقطار العالم. أما منطقة غرب إفريقيا بوجه عام والسنغال بوجه خاص فقد دخلتها الحملات التنصيرية في القرن الخامس عشر الميلادي إبّان الاكتشافات البرتغالية، فهو الوقت الذي وصل فيه المنصرون الكاثوليك إلى سواحل إفريقيا الغربية وبدؤوا يحتكون بسكان المنطقة من المسلمين والوثنيين.

(*) ٩٥٪ مسلمون، ٢٪ وثنيون، ٣٪ مسيحيون.

ففي عام ١٤٩٣م أصدر البابا الإسكندر السادس إذناً عاماً للبرتغاليين لاكتشاف مناطق غرب إفريقيا وممارسة التنصير فيها، واستمرت بعد ذلك جماعات المنصرين تتوارد إلى المنطقة إلى أن أرسلت الكنيسة الرومانية في الثلث الأول من القرن السابع عشر الميلادي جماعة رهبان كامبوجيين من نورمانديا للتنصير في السنغال على التحديد. ثم تطور التنصير في السنغال إلى حد تنصيب «ديوانت DUVANET» رئيساً للأساقفة بالسنغال سنة ١٧٦٣م وكان قد ركز النشاط التنصيري على سين لوي وغوري. وفي سنة ١٨٢٢م نزلت المنصرة «جاوويه JAVOUEH» مدينة سين لوي، ومن جهود هذه المبشرة أنها أعادت تنظيم مدينة سين لوي، وأقامت مدارس كاثوليكية في كل من سين لوي وغوري، كما أسست جمعية: «أخوات سينت جوزيف» وعادت إلى فرنسا بصحبة ثمانية من الشبان السنغاليين ليتلقوا تكوينهم الديني في فرنسا.

وكانت البعثات التنصيرية إلى السنغال تابعة للكنيسة الكاثوليكية، أما الكنيسة البروتستانتية فقد وصلت بعثاتها إلى السنغال من بريطانيا وألمانيا بعد الاستقلال، ولا زال أتباعها في السنغال أقلية مقارنة باتباع الكنيسة الكاثوليكية.

وقد ظهر من خلال هذا الاستعراض السريع ارتباط التنصير بالاستعمار الأوروبي؛ ذلك أن الأوروبيين قد خبروا من تجاربهم المريرة أنّ محاولات السيطرة الاستعمارية لا تنجح إلا بالقضاء على المقومات الروحية والمعنوية للأمم المستهدفة. ولا أدل على ذلك من أن أعضاء بعثات التنصير هم خليط من الدول الاستعمارية، كما أن أقدم الكنائس في السنغال قد بنيت في عهد الاستعمار الفرنسي وفي المدن التي ترسخت فيها قدم الاستعمار مثل سين لوي وغوري ودكار وبارنيه. وهذا هو ما يؤكده المنصرون انفسهم. فيقول المنصر «ايليكيا أمبوكولو» في كتابه: «من المنصرين إلى المكتشفين»: «من الصعب التحدث عن الاكتشاف مع نسيان أخيه التنصير»[1]. ويقول القسيس الدكتور صمويل زويمر في الخطبة التي ألقاها أمام مؤتمر القدس التبشيري سنة ١٩٣٥م: «وبذلك تكونون انتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية»[2]. وأكد الرئيس السنغالي ـ المسيحي ـ السابق «سينغور» أن «هدفنا ليس تنصير المسلمين بقدر ما هو تلويث عقيدتهم الإسلامية».

المنظمات والمؤسسات التي ترعى التنصير في السنغال:

توجد عشرات المنظمات المزعومة بأنها خيرية ترعى التنصير في السنغال، ومن هذه المنظمات:

١ - شبيبة العمال الكاثوليك، وتعمل في السنغال منذ سنة ١٩٣٩م.

٢ - هيئة الإغاثة العالمية الكاثوليكية، وتعمل في السنغال منذ سنة ١٩٤٧م.

٣ - مجلس الكنيسيات لمجالس الإله (عالمية) دخلت السنغال سنة ١٩٧٢م.

٤ - منظمة الإغاثة الكاثوليكية الأمريكية، وقد دخلت السنغال سنة ١٩٧٣م.

٥ - دابليو إف دي (W.F.D) - المانية - دخلت السنغال سنة ١٩٧٥م.

٦ - أرض الرجال «TERR DES HOMMES» (فرنسية سويسرية) دخلت السنغال سنة ١٩٧٩م.

٧ - البعثة الإنجيلية النرويجية (نرويجية) دخلت السنغال سنة ١٩٨٣م.

٨ - وورلد فيزيو إنترناشيونال (عالمية) دخلت السنغال سنة ١٩٨٤م.

٩ - الاتحاد المسيحي للشبان (عالمية) دخلت السنغال سنة ١٩٨٤م.

---

(١) من المنصرين إلى المكتشفين، إليكيا أمبوكولو، ص ٤٦.

(٢) قوى الشر المتحالفة، محمد محمد الدهان، ص ١١٤.

١٠ - البعثة الإنجيلية (أمريكية) دخلت السنغال سنة ١٩٨٥م.

١١ - الكنيسة الإنجليزية اللوثرية (بريطانية) دخلت السنغال سنة ١٩٨٤م.

١٢ - البعثة المعمدانية (أمريكية) دخلت السنغال سنة ١٩٨٤م.

١٣ - ليون كليب إنترناشيونال LIONS CLUB INTERNATIONAL (عالمية).

١٤ - مؤسسة إليزبيت جوف (باسم زوجة الرئيس السابق)، وهي تقوم مقام وزارة الشؤون الاجتماعية في السنغال.

إلى غير ذلك من المنظمات العاملة في الساحة السنغالية لخدمة التنصير والمدعومة من الدول الغربية بميزانيات ضخمة وعدد كبير من الموظفين.

الوسائل والأساليب:

تعتمد حركة التنصير على عدة وسائل وأساليب لتحقيق أهدافها، ومن أهمها:

١ - بناء الكنائس:

ويرتبط تاريخ الكنيسة في السنغال بالاحتلال الأجنبي للبلاد؛ حيث كانت الكنيسة ضمن أسلحة المستعمر. وعلى الرغم من عدم توافر إحصاءات دقيقة لدينا عن عدد الكنائس التي بنيت في السنغال حتى الآن فإن الدلائل تدل على كثرتها. ومن الملفت للنظر أن النصارى في السنغال لا يراعون في بناء كنائسهم حاجة المسيحيين إليها، بل يقيمون بعض الكنائس في مناطق لا وجود لهم فيها سعياً منهم لإظهار الوجود المسيحي في بلد تقل نسبتهم الحقيقية فيه عن ٤٪.

وقد تم بناء أول كنيسة في السنغال في غوري سنة ١٤٨٢م، وفي سنة ١٨٢١م تم تشييد كنيسة في مدينة سين لوي، وفي سنة ١٨٤٦م بدؤوا ببناء صومعة في دكار. ومن أقدم الكنائس في السنغال كنائس غوري وسين لوي ودكار وغازوبيل وفاتك وجنغولور وجروب وكولخ وزيغنشور ومورولاند وتياس وجوال.

٢ - إنشاء مراكز تكوينية:

لقد اهتم المنصرون بإنشاء مراكز تكوينية متقدمة لتخريج القساوسة والرهبان في السنغال، ففي سنة ١٨٥٠م فتحوا مركزاً لتكوين القساوسة الأفارقة في «غزوبيل»، وفي سنة ١٨٥٧م تم إنشاء مركز آخر لتكوين القساوسة على مستوى غرب إفريقيا في مدينة سبيقوتان التي تبعد عن مدينة دكار بحوالي ٤٠ كيلو متراً، كما تم فتح مركز «أخوات سنيت جوزيف» في سين لوي لتنصير البنات.

٣ - إقامة مؤسسات تعليمية:

لقد أدرك المنصرون خطورة التعليم، فاتخذوا منه أسلوباً لسلخ المسلمين عن عقيدتهم وطبعهم بالطابع النصراني. وقد أنشؤوا في السنغال مؤسسات تعليمية نصرانية من حضانات وروضات للأطفال ومدارس ومعاهد عليا. وتتمثل الخطورة الكامنة وراء هذه المؤسسات في أن الغالبية العظمى من الذين يتلقون بها العلم هم من أبناء المسلمين، يتخرجون منها وقد حملوا أسوأ فكرة عن دينهم ووطنهم، إنك تسأل أي تلميذ تخرج من هذه المؤسسات عن بدهيات الإسلام وأركانه، وعن سيرة رسول الله ﷺ، وحياة الصحابة - رضي الله عنهم - وعلماء الإسلام وأبطاله؛ فتجده لا يعرف عن ذلك شيئاً، وإذا سألته عن أدق المعلومات عن أوروبا أو أمريكا أجابك على الفور!

وهكذا نجحت هذه المؤسسات في تنشئة أجيال وإيجاد شخصيات مسلمة ممسوخة لا يربطها بالإسلام إلا أسماؤها؛ فترى محمداً يحمل فكر «جان أو بول»، وفاطمة لا تميزها عن «مادلين»، وتكون الظروف مواتية لأن تتبوأ هذه الشخصيات مكان الصدارة ومراكز النفوذ والحكم، فتكون بطبيعة الحال أداة طيعة لأعداء الإسلام. وقد وصل عداؤهم للإسلام إلى طرد أية بنت مسلمة ترتدي الحجاب في مدارسهم.

٤ - الخدمات الاجتماعية:

لقد استغل المنصرون الثالوث البغيض - الجهل والفقر والمرض - والكوارث الإنسانية للقيام بالتنصير تحت ستار

الخدمة الإنسانية. فأقاموا على طول السنغال وعرضها مستوصفات ومستشفيات، وملاجئ للأيتام ودوراً للُقطاء ومراكز للرعاية الاجتماعية. كما أنشؤوا عدة جمعيات شبابية ونسوية تُوظف لأغراض تنصيرية. وتقوم المنظمات التنصيرية بتوظيف آلاف من الشباب وتدريبهم في شتى المجالات ودعم مشروعاتهم الاستثمارية.

٥ – وسائل الإعلام:

يتمتع المسيحيون بنفوذ كبير في وسائل الإعلام في السنغال، ويشرفون على عدة برامج تنصيرية عبر التلفزيون والإذاعة الوطنية والإذاعات الحرة. كما أن وسائل الإعلام المقروءة من جرائد ومجلات تخدم أهداف التنصير، ويقومون بترجمة حلقات التنصير إلى اللغات المحلية، وبعض هذه الوسائل الإعلامية تقوم بهذه الأعمال دون وعي.

٦ – القنوات الدبلوماسية:

تتستر حركة التنصير وراء القنوات الدبلوماسية لتحقيق أهدافها. ومن المعلوم أن للفاتيكان بعثات بابوية بدرجة السفارات في معظم دول العالم، وهذه البعثات لا همّ لها سوى الإشراف على المؤسسات التنصيرية وتنشيط حركة التنصير في العالم. ويوجد مقر بعثة الفاتيكان في قلب العاصمة السنغالية دكار بالقرب من الكاتدرائية الكبرى، أضف إلى ذلك أن معظم سفارات الدول الغربية في العاصمة السنغالية دكار لها ملحقات – تسمى بأنها ثقافية – تقوم بنشاطات تنصيرية خطيرة، مثل المركز الثقافي الفرنسي، والمركز الثقافي البريطاني، والمركز الاجتماعي الياباني.

ومما يندى له الجبين أنه لا يوجد حالياً في سفارات الدول العربية والإسلامية في دكار ملحقات ثقافية أو دينية تهتم بشؤون الإسلام والمسلمين.

نتائج التنصير في السنغال (نجاح أو إخفاق)؟:

تختلف نتائج التنصير وآثاره من منطقة لأخرى وفقاً للخطة المرسومة للحركة التنصيرية في كل منطقة؛ ذلك أن المنصرين يهدفون من وراء عملهم إلى تحقيق النتائج الآتية:

١ – نقل المسلمين من الإسلام وحملهم على اعتناق المسيحية.

٢ – إفساد المسلمين عقائدياً وخلقياً وزعزعة القيم الإسلامية في نفوسهم.

٣ – تحقيق الربح المادي والمكسب السياسي.

أما الهدف الأول، وهو نقل المسلمين من الإسلام إلى المسيحية، فقد أخفق المنصرون إخفاقاً ذريعاً في تحقيقه، فنادراً ما يسجل في السنغال أن مسلماً قد تنصر وارتد عن الإسلام، اللهم إلا بعض الحالات التي تحدث من قِبَل أشخاص مستخفين بالدين يفعلون ذلك لتحقيق غايات شخصية.

النشاط التنصيري في إفريقيا

– ١,٦٠٠ مستشفى، ٥,١١٢ مستوصف، ١,٠٥٠ صيدلية، ١٢٠ ملجأ للمرضى، و ٩٨٠ دار لإيواء الأيتام والعجزة والأرامل.

– عدد الكتب التنصيرية المطبوعة بلغات مختلفة ٨٨,٦١٠ عنوان، ونشر منها مئات الملايين!

– عدد المجلات الكنسية الأسبوعية فقط أكثر من ٢٤,٩٠٠ مجلة متنوعة، يوزع منها ملايين النسخ!

– عدد النشرات التنصيرية ٧٠٠,٠٠٠ نشرة، يوزع منها عشرات الملايين.

– إعلام التنصير: عدد المحطات الإذاعية والتلفازية ٢,٣٤٠ محطة، تعمل ليل نهار لنشر تعاليم الإنجيل وخدمة التنصير في مناطق التجمعات والأقليات المسلمة على وجه الخصوص!

– معاهد التنصير: عدد معاهد التنصير في العالم أكثر من ١٢٠,٠٠٠ معهد، كما تشرف الكنيسة في إفريقيا على نحو ١١,٠٠٠ روضة أطفال تلقنهم فيها التنصير. [عن تقرير للندوة العالمية للشباب الإسلامي] – البيان –

وبالعكس فإن كثيراً من المسيحيين في السنغال يعتنقون الإسلام حتى أولئك الذين كانوا محل آمال الكنيسة، مثل سكرتيرة الكاردينال تياندوم التي كانت مقربة جداً إليه لما منَّ الله عليها من مواهب عقلية وفكرية، فأدى بها استعمال هذه المواهب إلى اعتناق الإسلام بفضل الله وتوفيقه. كما أن كفة الإسلام قد رجحت على كفة المسيحية من حيث القدرة على جذب الوثنيين واستقطابهم. ولذا فإن أتباع الكنيسة في السنغال إما مسيحيون وراثة، أو وثنيون اعتنقوا المسيحية فيما بعد، أما أن يكون فيهم مسلمون متنصرون فلا تكاد تجد من بينهم إلا قليلاً. كما أن غالبية النصارى في السنغال من قبائل الجولا والمانكانج والسيرير وهي القبائل الأشد تشبثاً بالوثنية.

وإنما نجحت حركة التنصير في السنغال في تحقيق الهدف الثاني المتمثل في إفساد عقيدة المسلمين وزعزعة القيم الإسلامية في نفوسهم، وذلك ما أوصى به القسيس صمويل زويمر في مؤتمر القدس التنصيري عام ١٩٣٥م؛ حيث قال: «المهمة التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليس هي إدخال المسلمين في المسيحية؛ فإن في هذا هداية لهم وتكريماً، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، ومن ثَمَّ لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها. إنكم أعددتم شباباً في ديار الإسلام لا يعرفون الصلة بالله ولا يريدون أن يعرفوها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية. وبذلك جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده الاستعمار لا يهتم للعظائم ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات، فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء»[1].

وبالتحالف مع قوى الاستعمار تحقق لهم فعلاً ما أرادوا من طبع المجتمع السنغالي بالطابع العلماني وإبعاد الإسلام عن مجال الحياة كل الحياة: السياسية، والاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية.

أما المكاسب المادية والسياسية التي حققها المنصرون في السنغال فحدث عنها ولا حرج؛ فقد أقاموا على طول البلاد وعرضها شبكة واسعة من المؤسسات التعليمية والمراكز الصحية والاجتماعية والمشروعات الاقتصادية التي تدر لهم ملايين الفرنكات متسترين تحت شعار خدمة المجتمع.

ولنضرب مثالاً لذلك بمدينة تياس: ففي هذه المدينة يوجد حي كامل هو أشبه بمدينة مسيحية، ويضم الكنيسة الكبرى في تياس، ودور العلم من الحضانة إلى الثانوية صممت على أحدث طراز، كما فيه مستشفى «سينت جان دي جيه» الذي يفوق المستشفى الإقليمي الحكومي بتياس في بنائه وتجهيزاته، كما يضم عدداً من المراكز الاجتماعية، وعدداً من الأندية الشبابية والنسوية، وأقساماً داخلية للتلامذة الذين يلتحقون بالمدارس الكاثوليكية وغير الكاثوليكية بتياس، كما يوجد فيه المقر الإقليمي لمنظمة «كاريتاس» - هيئة الإغاثة العالمية الكاثوليكية - التي تقوم بدور بارز في دعم برامج التنصير وتمويل المشروعات الاستثمارية للشباب والنساء.

دور الجمعيات المحلية في مواجهة التنصير:

على الرغم مما جندته حركة التنصير من طاقات مادية وبشرية وما تمتلكه من وسائل متنوعة لمحاربة الإسلام في القارة الخضراء فإنها لم تجد الطريق أمامها مفروشة بالورود، بل واجهت عمليات جهاد كبيرة ومقاومة عنيفة من مسلمي القارة، ولا سيما أن أبناء القارة قد أدركوا منذ الوهلة الأولى أن حركة التنصير متحالفة مع حركة الاستعمار التي جاءت لاحتلال أراضيهم وتدمير عقيدتهم وحضارتهم. ومن ثم شهدت

(١) قوى الشر المتحالفة، محمد محمد الدهان، ص ١٤٤، ١٤٥.

معظم مناطق إفريقيا ملاحم بطولية حقق المسلمون فيها انتصارات باهرة على حركة التنصير وجيوش الاستعمار.

وقد ظلت السنغال منذ القرن السابع عشر الميلادي بؤرة لصراع عقدي محتدم بين الإسلام من جهة والمسيحية والاستعمار من جهة ثانية. وقد مرت المقاومة الإسلامية ضد التنصير والاستعمار في السنغال حتى الآن بثلاث مراحل:

أ - مرحلة المواجهة العسكرية (الجهاد):

وتبدأ من القرن السابع عشر حتى العقد السادس من القرن التاسع عشر الميلادي، ومن أبرز النماذج الإسلامية لهذه المرحلة الداعية المجاهد: الحاج عمر الفوتي تال (١٧٩٥ ـ ١٨٦٤م) الذي انقاد وراءه باسم الجهاد عدد كبير من المسلمين، وامتد نفوذه من حوض نهر السنغال إلى جبال فوتا جالون في غينيا كناكري إلى ضفاف نهر النيجر و «ماسينا» في مالي. والإمام: سليمان بال مؤسس دولة «ألمام» ويعني الأئمة نسبة إلى الأئمة الذين كانوا قوادها، ومنهم الإمام عبد القادر حامد كان المتوفى سنة ١٧٦٩م.

ومباجاخوبا الذي كان له نفوذ كبير في حوض غامبيا، ومحمد الأمين درامي الذي كان يتمتع بنفوذ كبير في حوضي «باكو» و «بافولابي».

ب - مرحلة الدعوة بالكلمة (الحرب الباردة):

وتبدأ من القرن التاسع عشر الميلادي حتى منتصف القرن العشرين. وقد تميزت هذه المرحلة بالحفاظ على الإسلام حياة روحية وثقافية وتعزيز وجوده في البلاد، ومن رواد هذه الحقبة الشيخ الحاج مالك سي المتوفى سنة ١٩٢٢م، والشيخ الحاج عبد الله انياس المتوفى سنة ١٩٢٢م، والشيخ أحمد بامبا المتوفى سنة ١٩٢٧م(١).

وإنما عزف المسلمون عن المواجهة العسكرية في هذه الفترة تكيفاً مع الظروف بعد استعراض نتائج الجهاد في المرحلة السابقة، وبعد الاقتناع بأن الاستمرار في المواجهة العسكرية يعرض الوجود الإسلامي للخطر.

توزيع الأناجيل

هل تعلم أن مجموع الأناجيل التي تم توزيعها مجاناً خلال عام ١٩٨٧م فقط بلغ ١١٢,٠٠٠,٠٠٠ نسخة!

وهل تصدق أن الإنجيل في إفريقيا فقط ترجم إلى ٦٥٢ لغة ولهجة إفريقية! ولم تترجم معاني القرآن الكريم حتى بداية عام ١٩٩١م إلا لسبع لغات إفريقية!؟ كما سُجل الإنجيل بطريقة مناسبة للأمين على «كاسيت» بلغات عالمية تصل إلى ٥٤٤٥ لغة ولهجة لتوزيعها على عشرات الملايين في مختلف بلدان العالم.

[عن تقرير للندوة العالمية للشباب الإسلامي] ـ البيان ـ

بناء الكنائس

ـ ٣٢,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ دولار رصدتها الكنيسة في إفريقيا تحت شعار رعاية حقوق الإنسان الفقير، وبخاصة في المناطق ذات الأغلبية المسلمة، ليس حباً في المسلمين طبعاً أو عطفاً على بؤسائهم في مناطق المعاناة.

ـ في ساحل العاج: ـ على سبيل المثال ـ تبلغ نسبة النصارى ١٢٪ من جملة السكان، ومع ذلك تُشيَّد فيها كاتدرائية (كنيسة ضخمة جداً) تتسع لـ (٣٥٠,٠٠٠) شخص، مع أن غالبية السكان يعيشون تحت خط الفقر!!

ـ وفي مالي المسلمة المأساة بلغت ذروتها: فهناك كنيسة لكل (٥٠٠) شخص، مقابل طبيب واحد لكل (٨٢,٠٠٠) شخص!

[عن تقرير للندوة العالمية للشباب الإسلامي] ـ البيان ـ

(١) هؤلاء الشيوخ من شيوخ التصوف، وعندهم ألوان من البدع المنكرة، ولكنهم يحمدون على مواجهتهم للنصارى، وحرصهم على تثبيت الناس على الإسلام. ـ البيان ـ

وقد تمكن شيوخ الإسلام خلال هذه المرحلة من إقامة عدد كبير من خلاوي تحفيظ القرآن الكريم وبناء مساجد وزوايا، كما تمكنوا من جلب كثير من الناس إلى اعتناق الدين الإسلامي.

وإزاء هذا الزحف من العمل الإسلامي غير المسلح لجأ المستعمر المتحالف مع التنصير إلى أسلوب خبيث تمثل في اتهام الدعاة المسلمين بتحريض الناس على العصيان وتعبئتهم للجهاد المسلح ضد الاستعمار، ومن ثم تم نفي بعضهم خارج السنغال ووضع بعضهم الآخر تحت الإقامة الجبرية ومضايقة الآخرين. وصدق الله إذ يقول: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾. [الممتحنة: ٢].

غير أن سياسة العصا الغليظة هذه لم تنجح في وقف المد الإسلامي وصرف زعماء الإسلام عن الدعوة، بل زادت من حماستهم ومن سرعة انتشار الإسلام مما اضطر أعداء الإسلام إلى استبدال هذه السياسة بالإغراء والمهادنة وعقد الصلح والتفاهم مع زعماء الإسلام إلى جانب إعداد عينات محلية وتسخيرها لتحقق مآربهم.

ج - مرحلة الصحوة وقيام المؤسسات:

وتبدأ من بداية النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي إلى الوقت الراهن. وقد تميزت هذه المرحلة بـ :

١ - عودة أفواج طلاب العلم من الجامعات الإسلامية والعربية.

٢ - تأسيس جمعيات إسلامية.

٣ - انتشار المدارس الإسلامية والعربية.

٤ - قيام عدة محاولات لإيجاد حركة إسلامية شاملة.

٥ - فتح مكاتب لهيئات إسلامية عالمية.

وإنما تميز العمل الإسلامي خلال هذه المرحلة بالمميزات للأسباب الآتية:

١ - تأثر الطلاب العائدين من الدول العربية بالحركات الإسلامية المعاصرة وخاصة في مصر والجزائر.

٢ - رغبة خريجي الجامعات والمعاهد العربية في التفاعل مع المجتمع عن طريق التعليم.

٣ - تنصل الحكومة مؤخراً عن دمج المثقفين بالعربية في الوظائف الحكومية مما دفع كثيراً منهم إلى فتح مدارس حرة.

٤ - حصول الدولة على الاستقلال سنة ١٩٦٠م، وتخفيف القيود الصارمة التي كانت السلطات الاستعمارية قد وضعتها لمحاربة التعليم الإسلامي والعربي والحيلولة دون تأسيس جمعيات إسلامية.

وبناء على تلك المعطيات نخرت السنغال بعد فترة وجيزة من حصولها على الاستقلال بعدد كبير من الجمعيات والمراكز الإسلامية التي عززت وجود الإسلام في السنغال. غير أن تعدد هذه الجمعيات قد أدى - مع الأسف الشديد - إلى التشرذم والتفرق بدلاً من التعاضد والتنسيق لمواجهة العدو المشترك.

وخلاصة القول: أن دور الجمعيات الإسلامية في درء أخطار التنصير في السنغال كان ولا يزال ضعيفاً لعدة أسباب أهمها:

١ - ضعف التنسيق بين هذه الجمعيات في ظل تضافر الجهود بين المؤسسات التنصيرية.

٢ - عدم تركيزها على الأولويات واشتغالها بالمفضول دون الفاضل.

٣ - افتقار العناصر القيادية لكثير من الجمعيات إلى ثقافة إسلامية مؤصلة وكفاءة إدارية.

٤ - كون بعض الجمعيات أسماء بلا مسميات ولا وجود لها في الساحة، وإنما تُستغل لتحقيق مصالح شخصية بحتة.

٥ - ضعف الإمكانات المادية للجمعيات الإسلامية مقارنة بالإمكانات الكبيرة للمؤسسات التنصيرية.

٦ - تمتُّع المؤسسات التنصيرية بامتيازات كبيرة لاحتمائها وراء الهيئات الدولية والقنوات الدبلوماسية والرسمية بخلاف الجمعيات الإسلامية.

٧ - غياب زعامة إسلامية موحدة للإشراف على شؤون الإسلام والمسلمين في السنغال.

موقف الدولة من التنصير:

نستطيع أن نؤكد أن حركة التنصير ما كانت لتحقق مختلف الإنجازات التي حققتها في السنغال لولا الدعم اللامحدود والامتيازات الكبيرة التي تتمتع بها كافة مؤسساتها من قبَل الدولة والقوى العالمية، كما أن السياسة «العلمانية» المطبقة في البلاد إنما تخدم مصالح الأقلية المسيحية على حساب الغالبية المسلمة؛ ذلك أن المستعمر الفرنسي الذي عبَّد الطريق لسياسة الدولة قبل منحها الاستقلال كان قد وضع في الحسبان تقوية عقيدة المستعمر - المسيحية - واحتواء الإسلام، ولا زالت مقولة الحاكم الفرنسي «وليام بونتي» في عام ١٩١٠م: «علينا أن نتجنب كل ما يعزز نشر دين لا يؤمن معتنقوه بمبادئنا» هي المطبقة من قبَل بني جلدتنا اليوم.

وبالإضافة إلى هذا فإن النظام السياسي المتبع في الدولة يخدم الكنيسة في جميع المجالات:

- فالتعليم لا صلة له بالإسلام.
- والشؤون الاجتماعية تُستغل لدعم المراكز التنصيرية.
- والإجازة الأسبوعية يوم الأحدُ وهو يوم القداس للمسيحيين.
- أما التاريخ المعتبر فهو التاريخ الميلادي.
- والصليب الأحمر مكان الهلال الأحمر.
- جميع الأعياد نصرانية، ما عدا عيد الاستقلال ٤ إبريل، وعيد العمال فاتح مايو، وعيدين إسلاميين، ويومين آخرين يحتفل بهما بعض المسلمين.
- جميع المدارس المسيحية معترف بها ومدعومة من طرف الدولة، ولا توجد مدرسة إسلامية واحدة معترف بها إلا إذا التزمت بتطبيق النظام العلماني في التعليم.
- الاعتراف بالجمعيات النقابية والحركات الكشفية والشبابية ذات الاتجاه المسيحي دون سواها.

اعرف المنظمات التنصيرية

- مؤتمر المعمدانيين الجنوبيين.
- مجلس للإرساليات الأجنبية.
- عنوانه:

.P.O.Box6767 Richmnod, Va 23230

- الرئيس: د. آر. كي. باركر Dr. R.K.Parkess.
- أسست عام ١٨٤٥م.
- منظمة بروتستانتية معمدانية تهتم بالتنصير، نشر وبناء الكنائس، الإغاثة، الإذاعات المرئية والمسموعة، التعليم الديني، طباعة النشرات والكتب وتوزيعها وكل النشاطات التي تقوم بها الإرساليات.
- ميزانية المنظمة السنوية للتنصير في الخارج: ١٦٩,٢٧٥,٠٥٢ دولار أمريكي.
- عدد المنصرين الأمريكان المتفرغين في الخارج عن طريق المنظمة: ٣٨٣٩ شخص.
- عدد الموظفين في داخل الولايات المتحدة: ٤٨١ شخص.
- عدد المنصرين الأمريكان المتفرغين لمدة أقل من ٤ سنوات: ٧٥٥٠ شخص.
- عدد الدول التي تعمل بها المنظمة: ١٢٢ منظمة.
- أهم الدول الإسلامية التي تعمل فيها: (مصر، المغرب، كينيا، نيجيريا، تنزانيا، اليمن).

إحصائيات السكان في إفريقيا ١٩٩٥م (من وجهة نظر نصرانية):

الكاثوليك: ١٢٢,١٠٨,٠٠٠ نسمة.
البروتستانت: ١٠٩,٧٢٦,٠٠٠ نسمة.
الأرثوذكس: ٢٩,٦٤٥,٠٠٠ نسمة.
نصارى آخرون: ٨٦,٦٩٧,٠٠٠ نسمة.
المسلمون: ٣٠٠,٣١٧,٠٠٠ نسمة.
أديان محلية تقليدية: ٧٢,٧٧٧,٠٠٠ نسمة.
مجموع السكان: ٧٢٨,٠٧٤,٠٠٠ نسمة.

[نقلاً عن كتاب: لمحات عن التنصير، د. السميط]

- البيان -



التنصير.. هل أصاب الهدف؟ (٢ ـ ٢)

مواجهة التنصير

فيصل بن علي البعداني

لا تهدف هذه المقالة إلى وضع خطة لمواجهة التنصير؛ فذلك أمرٌ أضخم من أن تحويه مقالة، كما أن وضع خطة يتطلب إدراكاً للمخاطر الحقيقية للتنصير على المسلمين، والبيئات الخصبة دعوياً أمام دعاة الإسلام، ويستدعي إلماماً بسبل التنصير ووسائله المختلفة التي تكاد أن تتناول جوانب الحياة المختلفة، ويقتضي معرفةً جيدة بقدرات الدعاة وإمكاناتهم التي يمكن أن يوجهوها للمواجهة، وهو أمر يفوق إمكانات الفرد بكثير.

أضف إلى ذلك أن بين المنصرين اختلافات جذرية لا بد من مراعاتها أثناء وضع خطة للمواجهة، وتلك الاختلافات إما في المعتقدات والمبادئ، وإما في الطاقات والقدرات، وإما في الرغبة في الوصول إلى الحق والأخذ به، وإما في المكر والدهاء ومدى الوضوح في إبانة الأهداف واستخدام وسائل تنصيرية مباشرة.

زد على ذلك اختلاف تجذر النصرانية من بلد إلى آخر، واختلاف أحوال النصارى كثرة وقلة، نفوذاً وسلطة، غنىً وفقراً، حباً وبغضاً..إلى غير ذلك من الأمور التي تجعل من غير المناسب وضع خطة موحدة لمجابهة التنصير في كل البلدان، وإن الأليق هو أن يتجه دعاة كل بلد إلى وضع خطة لمجابهة التنصير تراعي عناصر القوة والضعف التي يملكها كل من المنصرين والدعاة على حد سواء، وحجم الخطر التنصيري الذي يواجه الدعوة ويعوق مسيرتها في ذلك البلد؛ فذلك أقرب إلى الحكمة والواقعية وأبعد عن المثالية والعيشْ في أبراج عاجية.

وانطلاقاً من ذلك فإن هذه المقالة تهدف إلى ذكر وقفات تذكِّر بقاعدة، وتؤكد على ضابط، وتنبه على جانب، وتحذر من عائق، وتبرز قضية، وتدعو إلى الموضوعية والواقعية في الطرح والتناول.

وقفات حول المواجهة:

١- العون من الله: فنتأهل لنيله:

عون الله للفرد أو المؤسسة الدعوية هو شرط النصر وبوابته في أي مواجهة؛ فمن انتصر فالله الناصر له، ومن وُفِّق فالله الموفق له، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧]، وفي المقابل فمن لم يسدده الله فلا مسدد له، ومن فقد عون الله كانت عاقبته الهزيمة ومصيره الخذلان.

كما قال الشاعر :

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى

فأول ما يجني عليه اجتهاده

وقد قال الله - تعالى - مقرراً لهذا الأمر: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [الملك: ٢٠].

وقد تيقن ذلك العاملون الصادقون، فتعلقت قلوبهم بمن يدبر الأمر سبحانه وتعالى، وبرئوا من حولهم وقوتهم، واستحقروا أعمالهم وجهودهم مهما كانت في نظر الآخرين عظيمة، ومن هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية الذي - على ضخامة ما قدم للأمة في مجالات كثيرة - كان كثيراً ما يقول: «ما لي شيء، ولا مني شيء، ولا فيّ شيء»(١). واتجهوا إلى السعي إلى نيل عون الله وتوفيقه الذي له أسباب معنوية ومادية، من حصلها حازه، ومن فقدها حرمه، والتي من أبرزها :

أ - دعاء الله - سبحانه - والتضرع بين يديه، كما قال - تعالى -: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] وفي حال النبي ﷺ يوم بدر وإلحاحه على ربه في تضرعه حتى سقط رداؤه عن منكبيه - مع أنه موعود بنصر الله تعالى - أسوة لمن أراد الاقتداء.

ب - التوكل على الله وتفويض الأمر إليه، كما قال - تعالى - : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ [الطلاق: ٣].

وحين اجتمع المشركون بعد أحد لحرب المؤمنين، وقال المؤمنون قلباً وقالباً: حسبنا الله ونعم الوكيل، كانوا كما قال الله عنهم: ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

ج - التوبة والإقلاع عن الذنوب والمعاصي، كما قال - تعالى -: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] . وفي الأثر عن الخليفة الراشد علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: «ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة»(٢) .

د - الصبر والإكثار من الصلاة كما قال - تعالى -: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠]. وقال - سبحانه -: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾. [البقرة: ٤٥].

هـ - تقوى الله وطاعته والحذر من معصيته، كما قال - عز وجل - : ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢]، وقال - سبحانه -: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾. [الطلاق: ٢].

و - بذل الوسع والأخذ بأسباب النصر المادية بقدر الاستطاعة امتثالاً لقوله - عز وجل -: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

فمتى أراد الدعاة تحصيل هذا السلاح الذي لا يمكن أن يمتلكه المنصِّرون فعليهم بذل الجهد واستفراغ الوسع في تحصيل هذه الأسباب حتى يكونوا أهلاً لنيل رحمة الله وعونه لهم في مواجهتهم لدعاة الشرك وأرباب الضلالة.

٢ - الانضباط الشرعي شرط النصر:

يعد الدخول في مواجهة التنصير أحد المزالق الخطرة التي يخشى فيها من التفلت من الضوابط الشرعية سواء كان ذلك في جانب عرض الإسلام

(١) مدارج السالكين، ١/ ٥٢٠.

(٢) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم: ٨١.

والحديث عن عقيدته وشريعته، أو في التعامل مع المنصرين الذين يستخدمون أساليب ملتوية وغير أخلاقية في عرض عقائدهم والحديث عن جوانب الإسلام المختلفة، منطلقين في ذلك من قول القديس بولس: (أنا أكون بكل الأشكال والمظاهر من أجل كل الناس)(١).

وذلك مما يمكن أن يحدث ردة فعل لدى بعض دعاة الإسلام فيجعلهم إما يقدمون تنازلات أثناء عرض الإسلام من أجل ترغيب النصارى به، وإما يتورطون بعدم الدقة في الحديث عن جوانب النصرانية المختلفة، وإما يعتمدون أثناء دعوتهم على سبل ووسائل غير مشروعة.

وشيء من هذا العمل كما لا يخفى يتنافى مع ثوابت الإسلام ومبادئه؛ إذ الغاية فيه مهما كانت نبيلة لا تسوّغ الوسيلة المنحرفة، والله - سبحانه - لا يُتقرَّب إليه بمعصيته، ولا تُنال بركته وتسديده وتوفيقه بمخالفة أمره.

والمطلوب في هذا السبيل هو: تأكد الدعاة من هيمنة النص الصحيح على خططهم وبرامجهم، ومن صحة الوسائل التي يستخدمونها في مجابهتهم للتنصير شرعاً، ومن مراعاتهم للمصالح والمفاسد المعتبرة شرعاً في أنشطتهم التي يقيمونها، انطلاقاً من قول الله - تعالى -: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

على أن الواقع - ولله الحمد - يثبت بأن من أعظم الأمور الدافعة لكثير من غير المسلمين للدخول في الإسلام ثبات مبادئه وقيمه وعدم تلونها بحسب رغبات المدعوين، والالتزام الأخلاقي لدى دعاته وعدم اعتمادهم لسبل ووسائل غير مشروعة، سواء في الترغيب في الإسلام من جهة، أو في التحذير من عقائد النصرانية المحرفة والأصول الوثنية التي داخلتها من جهة أخرى.

٣ - لا لردات الفعل في المواجهة:

المتأمل في جهود كثير من الدعاة الموجهة لمقاومة التنصير يجد أن أغلبها ردود أفعال حدثت نتيجة قيام المنصرين بأعمال استفزت بعض الدعاة - أفراداً ومؤسسات - فأوجد ذلك لديهم دافعاً لمواجهة تلك الأعمال التي أثارتهم.

وخطورة هذا الأمر تكمن في جانبين:

الأول: دلالته على أن أكثر الدعاة - واقعياً - حتى اليوم لم يدركوا أن العملية التنصيرية تحولت من عمل اجتهادي لفرد أو مجموعة إلى عمل مؤسسي ذي كفاءة إدارية عالية: تخطيطاً وتنفيذاً، تنظيماً ورقابة، ويمتلك إمكانات مالية وبشرية ضخمة.

ومن دعوة مباشرة إلى الدخول في النصرانية واعتناق مبادئها إلى جهد جاد يتناول كافة جوانب الحياة المختلفة التي يمكن أن تؤثر في الناس بصورة مباشرة أو غير مباشرة: سياسية واقتصادية، اجتماعية وصحية، ثقافية وإعلامية، رياضية وفنية.

ومن دعوة تركز على شريحة معينة في المجتمع إلى عمل يستهدف كافة شرائح المجتمع: رجالاً ونساءاً، كباراً وصغاراً، مثقفين وأميين، أغنياء وفقراء، وجهاء وعاديين.

ومن دعوة تهدف فقط إلى اعتناق الناس النصرانية إلى دعوة من أهدافها خدمة الاستعباد الغربي، والحيلولة دون انتشار الأديان الأخرى، وجعل أتباعها يخرجون من أديانهم ويعيشون بلا دين منغمسين في مستنقع الشهوات واللهو والرذيلة.

الثاني: دلالته على أن بإمكان المنصرين توجيه الدعاة الوجهة التي يريدون عن طريق القيام بأعمال تستفزهم بصورة فجة ليستهلكوا طاقاتهم ويستنفدوا قواهم بالرد عليها، وفي المقابل يقوم المنصرون بأعمال أخرى لا إثارة فيها تحقق مآربهم بعيداً عن أعين الدعاة ومقاومتهم.

---

(١) انظر: ١٣ خطوة لتنصير المسلمين، أبو إسلام أحمد عبد الله، ص ١٤.

والحل الأمثل لتجاوز هذه المعضلة يكمن في تحويل جهود الدعاة في مقاومة التنصير إلى جهد مؤسسي منظم يستشعر الخطر ويدرك ضخامته، ويدرس الواقع دراسة جيدة يتعرف من خلالها على عناصر القوة والضعف لدى الفريقين، وعلى ضوء ذلك يتم تحديد رؤية المواجهة ورسالتها، والأدوار التي تقوم بها، وأهداف كل دور، والوسائل المحققة لتلك الأهداف، والمدد الزمنية التي ستتحقق فيها الأهداف في ضوء الإمكانات المتاحة: بشرية، ومادية.

كما لا بد من وضع آلية للتقييم والمراجعة يتم من خلالها التأكد من السير في الاتجاه المراد، ومن تحقيق الوسائل المنفذة للأهداف المرجوة، ولا بد من امتلاك مرونة كافية تمكن الدعاة من تعديل الخطة متى حدث في الواقع ما يستدعي تعديلاً لبعض الأهداف أو إعادة لترتيب أولويات المرحلة، ومتى لوحظ بُطءٌ في السير أو انحراف عن الاتجاه المراد.

وباختصار: فإننا بحاجة إلى مواجهة مؤسسية منظمة تتسم بالموضوعية والواقعية؛ لئلا ننساق إلى حيث لا نريد. وهذا أساس كبير من أسس النجاح.

وليس المراد هدر أهمية الاستجابة السريعة للطوارئ بما يخدم الأهداف والغاية، بقدر ما هو المطالبة بأن تكون تلك الاستجابة ـ المتمثلة في ردة الفعل ـ هي في حقيقتها التخطيط المدروس المرن الذي يراعي الهدف، ولا يهمل مستجدات الواقع ومتغيراته السريعة.

وإذا ما رئي نازلة من النوازل فإن المطلوب هو السيطرة على ردة الفعل وضبطها بما يحقق الهدف، وذلك بفاصل بين المثير والاستجابة، يمنح فرصة للتفكير في أفضل ردة فعل ممكنة تنضبط بالمبادئ والقيم وتحقق الأهداف والنتائج المرجوة.

٤ - الحفاظ على رأس المال أولى:

لم تفلح الجهود التنصيرية في أوساط المسلمين في تحقيق نتائج ملموسة في موضوع إدخال الناس في النصرانية، ولكنها نجحت أو تحقق لها مرادها في ثلاثة مجالات:

الأول: إغراق كثير من أبناء المسلمين وبناتهم في بحر الشهوات والملذات وجعل الواحد منهم: «مخلوقاً لا صلة له بالله، ومن ثَمَّ لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها»[(١)]. وفي إيجاد فريق عريض من أبناء هذا الجيل « لايهتم بعظائم الأمور، ويحب الراحة والكسل، فإذا تعلم فللشهرة، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهرة يجود بكل شيء» [(٢)].

الثاني: إزالة روح الكراهية من نفوس كثير من المسلمين تجاه النصارى، حتى أصبحت طوائف كثيرة من المسلمين تعتقد بأن النصارى ليسوا بأعداء لهم، ومما ساعدهم على ذلك إظهار المنصرين لروح التسامح، وتقديمهم لبعض المساعدات الإغاثية لمناطق المسلمين المنكوبة، ورفعهم لشعارات الحرية والإخاء والمساواة، وممارستهم لكثير من أنشطتهم وبرامجهم تحت رايات غير دينية.

الثالث: العمل في أوساط فئتين من المسلمين تأثرتا بهم تأثراً كبيراً، وهما:

أ – خريجو الجامعات والمدارس والمعاهد التنصيرية الموجودة في ديار المسلمين.

ب – المهاجرون من المسلمين إلى بلاد النصارى لغرض العمل أو الدراسة أو حتى تلك الفئة التي تذهب للسياحة.

والتي استطاع النصارى إبهار كثير من أفراد هاتين الفئتين وخلق روح الإعجاب لديهم بقيم المجتمع الغربي وعاداته.

---

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ٢/٦٧٩.

(٢) انظر: المصدر السابق.

ولخطر ما في الأمر بالنسبة للمهاجرين تركيز المنصرين على جيل الأبناء الذي تخلّق جلهم بأخلاق تلك المجتمعات النصرانية وتطبع بعاداتها من جهة، ومن جهة أخرى جهل دينه وانبتر عن تقاليد مجتمعاته الأصلية وعاداتها.

ولا يخفى أن هذا النجاح المتحقق للمنصرين خطوة متقدمة على طريق إضعاف مقاومة التنصير لدى كثير من المسلمين، وتدرج ملموس لأن يلج إلى النصرانية أبناء المهاجرين والدارسين في المؤسسات التعليمية التنصيرية في الديار الإسلامية.

وهنا يعني ضرورة المبادرة إلى مراجعة الأمر وتصحيح الوضع القائم، وفي ظني أنه لا سبيل للأمة إلى تحقيق ذلك إلا أن تسارع بكافة فئاتها إلى رفع شعار: (التربية أولاً) ثم تحويل هذا الشعار إلى واقع معاش على كافة المستويات بحيث يتم تعديل المناهج لتتضمن جرعاً تحصينية ضد الغزو التنصيري؛ لأن زمن الانغلاق على الذات ولّى، والعالم أصبح في عصرنا قرية واحدة. كما لا بد من إيجاد البدائل العملية أمام الجميع والتي تنبثق من قيم الأمة ومبادئها، وترفع همم الأبناء والبنات ليدَعوا حياة الشهوات والملذات، ويطلّقوا الدعة والكسل، ويعيشوا لغاية هي: حمل الرسالة التي ابتعثهم الله من أجلها تعلُّماً وممارسة ودعوة.

كما لا بد من التفاته جادة إلى أبناء المسلمين في الغرب والذين يكثر عددهم يوماً بعد آخر، ويزداد حماس المنصرين للعمل في أوساطهم وتهيئتهم لنشر ما يتلقونه من أفكار وما يمارسونه من سلوكيات في أوساط المجتمعات المسلمة كلما ازداد عددهم منطلقين من قول زويمر: «تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم؛ لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أغصانها»(1)، وعندما نمارس ذلك الشعار ونهتم بجد بتلك الفئة يمكننا القول بأننا قد خطونا الخطوة الصحيحة الأولى في مواجهة التنصير والوقوف حجر عثرة أمام تنفيذه لمخططاته.

٥ - بالحق يزهق الباطل:

من السنن المتقررة: محو الجهل بالعلم، وإزالة الظلمة بالنور، واضمحلال الشبهة بالحجة، ودفع الباطل بالحق، ولذا فإن أعظم وسيلة لمجابهة التنصير هي عرض الإسلام وأصول الإيمان صافية نقية كما أنزلها الله - تعالى - على رسوله ﷺ، وذلك من خلال وضوح في الطرح وقوة في الحجة، ويشهد لهذا الأمر قوله - تعالى -: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] .

ويزيد من فاعلية هذه الوسيلة أن النصرانية ديانة يكتنفها الكثير من الغموض؛ فهي لا تستند إلى جلاء في العرض، ولا تعتمد على حجة مقبولة، وإنما تقوم على إثارة للشبهات حول الديانات الأخرى، وتهييج لعواطف المدعوين حول ما يزعمونه من قبول سيدنا عيسى - عليه الصلاة والسلام - لقتل نفسه وصلب جسده فداءاً للبشرية!

والأجدى أن يقترن عرض الإسلام بإيراد حججه العقلية والحسية - وفي الكتاب والسنة منها كثير - وفي المقابل يتم مطالبة القوم بالحجة والبرهان على دعاويهم الخالية من ذلك.

وأن يعمل على دراسة شبهات القوم حول الإسلام، وملاحقة المتجدد منها، وتعريف الدعاة بالرد الصحيح عليها.

والملحوظ كثرة خلط المنصرين الحقّ بالباطل؛ حيث يتغنون ببعض الحق الذي لديهم زاعمين بأن كل ما لديهم حق وأن المسلم يرد الجميع، ولمدافعة هذا الخلط فإن الداعية مطالب في طرحه وحواره بالموضوعية

(1) انظر المصدر السابق.

والاعتراف بجوانب الحق التي في دين القوم وحضارتهم، وبجوانب الضعف التي لدى المسلمين، وأن يبين أن مرد ذلك راجع إلى ضعف التمسك بالإسلام لا للإسلام ذاته ذاكراً الدلائل على ذلك.

٦ - لنشغل القوم بأنفسهم:

لا يملك المنصرون ما يهاجمون به الإسلام إلا الاتهام غير الموضوعي، وطرح الشبهات المغرضة حول بعض القضايا الجزئية؛ ولذا فإن الداعية مطالب بالحذر من أن يكون في موقف الدفاع باستمرار، وعليه أن يسعى لإشغال القوم بأنفسهم والعمل على نقلهم من مرحلة الهجوم إلى الدفاع، ويمكن أن يتم ذلك عن طريق أمور كثيرة منها :

أ - إبراز العقائد الوثنية والأصول الفلسفية للديانة النصرانية المحرفة، والحديث عن نسخ الأناجيل وتناقضاتها الصارخة، وما تضمنته من نسبة ما لا يليق إلى أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام.

ب - الحديث عن سلطة الكنيسة التي وصل الحال بسدنتها إلى بيع صكوك الغفران ودخول الجنة، والقيام بإدانة دورها السيئ في الماضي في محاربة العلم والوقوف حجر عثرة في طريق تقدم العلم وازدهار الحضارة والكشوفات العلمية.

والعمل على تعرية رجالها الذين ترهبنوا ظاهراً وتجذر الفساد الأخلاقي والمالي والشذوذ الجنسي بينهم باطناً نتيجة مخالفة الفطرة والبعد عن تعاليم الله - تعالى - وشرعه.

ج - تجلية الاختلافات الضخمة والتناقضات الجذرية في أصول الديانة النصرانية المحرفة وثوابتها بين طوائف النصارى، وإيضاح ما نتج عنها من تكفير وتصفيات جسدية ومعارك رهيبة أزهقت فيها آلاف الأنفس، وأهدرت فيها نفائس الأموال.

د - إيضاح دور البشر في تحريف الديانة النصرانية الحقة، وبخاصة ما قام به اليهود ووثنيو اليونان من أدوار مشبوهة في هذا الجانب منذ رفع سيدنا عيسى - عليه السلام - إلى اليوم.

هـ - الاستفادة من جهود الباحثين النصارى ذوي الشخصيات المستقلة والمنصفة قديماً وحديثاً الذين توصلوا بالبحث العلمي المتجرد إلى بطلان عقائد النصرانية المحرفة، وأثبتوا وقوع التحريف المتعمد للكتاب المقدس، ووجود تناقضات صارخة بين نسخه، وفي المقابل جزموا بصدق نبينا محمد ﷺ وصحة رسالته لما تضمنته من معجزات وبراهين لا تقبل الجحد والتكذيب، وشهدوا بسلامة القرآن من التحريف وخلوه من التناقض.

و - السعي إلى الاستفادة القصوى من كبار القساوسة وعلماء النصارى ومثقفيهم الذين أسلموا في مقارعة المد التنصيري باعتبارهم أدرى بخباياه، وأكثر اطلاعاً على أسراره ومعرفة بمخططاته وحال رجاله.

ز - الاهتمام بالمغتربين من النصارى في ديار الإسلام، والعمل في أوساطهم، والعناية بتأهيل من أسلم منهم علمياً ودعوياً، ثم تبنيه للعمل داعية في وسط قومه إذا رجع إليهم.

وعند النجاح في مثل هذه الأمور يكون الدعاة قد استطاعوا أن ينقلوا المواجهة إلى داخل معسكر المنصرين؛ ويجعلوا جهد القوم الأكبر منصبّاً على معالجة إشكالات الذات، وهذا بلا شك سيخفف من حدة النشاط التنصيري في أوساط المسلمين، وسينتقل القوم من مرحلة الهجوم إلى الدفاع، وهذا إنجاز كبير ومرحلة متقدمة في النزال.

٧ - لنوجد دوافع المواجهة لدى الجميع:

يسعى المنصرون عبر اعتماد وسائل تنصيرية غير مباشرة ورفع شعارات علمانية والانضواء تحت رايات غير دينية إلى إماتة روح المواجهة لدى المسلمين وإزالة دوافعها من النفوس.

والحق أنهم قد نجحوا في ذلك إلى حد كبير؛ بدليل

انك ترى كثيراً من أهل الخير وصادقي الولاء للإسلام من يدافع عن كثير من أعمال القوم في المجالات المختلفة: تعليمية وصحية وزراعية ومهنية ورعاية للأيتام والمسنين معتبرين أن مواجهتها إضرار بالناس ومنع للخير عنهم.

ولذا فالتحدي الكبير يكمن في قدرة العلماء والدعاة على توظيف قطاع عريض من شرائح المجتمع في مواجهة المد التنصيري، وفي مدى استطاعتهم إيجاد دوافع المواجهة لديهم حتى لا يكون تفاعلهم مع الدعاة قضية آنية.

ولعل من أبرز الأمور المعينة على إيجاد دافع مستمر لدى الناس لمواجهة المد التنصيري هي:

أ - إبانة الموقف الشرعي من النصارى، وأنهم كفار مشركون بنص القرآن، وتجلية أن الواجب الشرعي هو بغضهم والبراءة منهم والعمل على دفع ضلالهم.

ب - تتبع عثرات المنصرين والسعي إلى كشف أنشطتهم التنصيرية المباشرة التي يحرصون على إخفائها تحت أعمال غير مباشرة، والتي تتضمن طعناً في الإسلام أو مناقضة لأصوله، والعمل على استثمار ذلك في إيجاد الدوافع لدى الناس لمواجهتهم.

ج - القيام بتتبع أنشطة المؤسسة التنصيرية في المناطق والدول المختلفة، والتركيز على نشاطها المعادي للإسلام والذي قد تعلنه في موطن دون آخر، والقيام بتوثيقه ثم تعميم العلم به على الدول المختلفة التي للمؤسسة بها نشاط ليكون ذلك دافعاً لمجابهتها من قطاع عريض من الأمة.

د - العمل على الربط بين المؤسسات التنصيرية المحلية والمؤسسات الخارجية التي تتبعها أو توفر الدعم لها، والتي لها أو لرموزها جهود واضحة في محاربة الإسلام والطعن في ثوابته.

وعندما ينجح الدعاة في تجييش قطاع عريض من شرائح المجتمع لمواجهة النشاط التبشيري فإن ذلك سيحقق فوائد عديدة منها :

١ - كسب آخرين يحملون هَمَّ الإسلام ويعملون له، وهذا يؤدي بدوره إلي وقايتهم من التأثر بمكائد المنصرين ومخططاتهم.

٢ - تمكن العلماء والدعاة من التفرغ لأمور هامة لا يمكن للآخرين القيام بها كالتعليم والتربية.

٣ - إمكانية صرف جهود بعض من لديه خلل منهجي عن نشر باطله إلى الاشتغال بمواجهة باطل المنصرين وضلالهم.

٨ - التخصص طريق إتقان وعامل قوة:

قليلٌ أولئك الدعاة ونادرة تلك المؤسسات التي أخذت على عاتقها فقط مجابهة التنصير ومقاومة مخططاته، وقد يكون العذر أن الواجبات أكثر من جهود الدعاة وأوقاتهم، فاضطرهم الحال إلى أن يأخذوا من كل مجال بجانب، لأن ما لا يدرك كله لا يترك جله، ومع منطقية هذا الطرح إلا أن من سلبياته: عدم إتقان شيء من المجالات المتناولة، وعدم القدرة على الموازنة بينها بالصورة المرضية؛ إذ كثيراً ما نفرط في الاهتمام بمجال على حساب مجال آخر، وكثيراً ما يهمل الآخرون الاهتمام بمجال - مع أهميته - ظناً منهم بأن جهودنا تغطيه، والواقع خلاف ذلك.

وتزداد الخطورة حين يكون الأمر متعلقاً بمجال كالتنصير الذي تنوء مواجهته بعدة مؤسسات مجتمعة؛ فكيف يكون الحال حين تكون مقاومته جزءاً من جهد مؤسسة تعتني به حيناً وتهمله في أحيان أخرى.

والحل - لمواجهة هذا الضعف في التناول والاتكالية في المواجهة - يكمن في التخصص وحده؛ إذ إن زمن الفرد أو المؤسسة الأسطورة التي تعمل في كل شيء وتتقن كل شيء ولّى إلى غير رجعة، ولم يعد أمام من أراد إتقاناً وإجادة إلا التخصص؛ لأن ذلك سيعني تركيز الجهود، ومنع التشتت الذهني والعملي، وجودة العمل وزيادة الإنتاجية وسهولة التخطيط والتنفيذ والمتابعة.

ومع أن المطلوب هو إيجاد مؤسسات متخصصة في

مواجهة التنصير في كل قارة وإقليم بل وفي كل بلد إلا أن ذلك قد يحتاج إلى بعض الوقت. وجهود التنصير اليوم تنتشر في أوساط المسلمين انتشار النار في الهشيم، وهذا يعني أن تأخير المواجهة حتى تقوم تلك المؤسسات يحمل في طياته خطراً كبيراً.

ولذا فالحل المقترح: أن تقوم كل مؤسسة إسلامية تحمل هَمّ الدعوة إلى الله بإنشاء مراكز بحث متخصصة لرصد الجهد التنصيري في نطاق عملها الجغرافي أو النوعي دعوياً كان نشاطها أو تعليمياً أو صحياً أو اجتماعياً أو إغاثياً، واختيار مجموعة من الدعاة التابعين لها في كل بلد للقيام بهذه المهمة؛ بحيث يتم تأهيلهم وتوفير المتطلبات اللازمة لنجاح عملهم، وعندها يمكننا القول بأننا قد أدركنا خطورة المد التنصيري وخطونا خطوة جادة في مواجهته.

٩ - للدعاة مع تجربة المنصرين وقفات:

عند التأمل في عوامل نجاح المنصرين مع فساد عقائدهم وتناقضات نسخ أناجيلهم ومصادمة أطروحاتهم للعقل والمنطق يجد المرء أنها تعود إلى أربعة أمور هي: الإدارة الناجحة، والعاطفة الجياشة، والجهد المتميز، والذكاء الوقاد.

- فالإدارة الناجحة مكنتهم من تعزيز الإيجابيات ودعمها، وتحجيم السلبيات ونقاط الضعف ومحاولة تلافيها، واستغلال الفرص والإمكانات البشرية والمادية بأفضل صورة، وتجاوز الصعوبات وتحاشي المخاطر المتوقعة بقدر الاستطاعة.

- والعاطفة الجياشة مكنتهم من جذب كثير من المتطوعين إلى صفوفهم، وكثير من أصحاب الشركات ورؤوس الأموال إلى دعمهم، والمدعوين إلى التأثر بهم، وساعدهم على ذلك اعتناؤهم بالبرامج الإغاثية والاجتماعية والصحية والمهنية متخذين من ذلك مدخلاً للوصول إلى ما يريدون، والتي بدورها ساعدت على إظهار دينهم بمظهر الرحمة والرفق ومساعدة الضعفاء والإحسان إلى الآخرين ومواساتهم.

- والجهد المتميز حوّل الأفكار إلى أعمال، والأطروحات النظرية إلى ممارسات ميدانية.

- والذكاء المتقد دفعهم إلى اعتماد خطط بعيدة المدى، واستخدام وسائل غير مباشرة، ورفع شعارات براقة، والانضواء تحت رايات غير دينية، بل واستخدام العلمانية سلاحاً يهاجمون به الإسلام حين وجدوا أن الأصول النصرانية والشطحات العلمانية لا يمكن أن تقف في مواجهة الثوابت الإسلامية.

وهذا الأمر يستلزم من العاملين في حقل الدعوة عموماً، وبخاصة العاملين في مواجهة التنصير ومدافعة مكائد المنصرين وضلالاتهم وقفات عديدة أهمها:

أ - أنه لا بد من تحسين الوضع الإداري الهش في كثير من المؤسسات الإسلامية ضماناً لاستثمار أمثل للموارد البشرية والمادية والفرص المتاحة، وتحاشياً للمخاطر، وتلافياً لنقاط الضعف بقدر الإمكان.

وما لم يبادر أهل الشأن إلى العناية بذلك فإن الخسائر ستزداد، والعبء سيتضاعف، وإمكانية التصحيح والمعالجة ستصعب إن لم تتضاءل.

ب - أهمية العناية بالعاطفة واستخدامها في الطرح والممارسة الدعوية، وعدم الاقتصار على التناول العقلي والعرض المنطقي ـ مع أهميته ـ لأن العاطفة في جانب الهداية والتأثير في النفوس أقوى من العقل؛ إذ العقل بوابة الإقناع وما كل من اقتنع استجاب؛ ولكن العاطفة سبيل كسب القلوب واتخاذ المواقف وهو الغاية هنا، وفي ظني أن قصور كثير من الدعاة في العناية بجانب العواطف واهتمامهم بإقامة الحجة والبرهان فقط أدى إلى خسارة الكثير من الفئات التي كان يمكن استثمارها في مجابهة التنصير أو على الأقل حمايتها من مكائده.

ج - مع أهمية التخصص النوعي في أنشطة الدعاة إلا إنه لا بد من تكامل الأنشطة وتعاضدها وتنسيق أصحابها فيما بينهم؛ فالداعية مثلاً ما لم يحمل بيده

إغاثة وإحساناً يقدمه للمسكين فإن استجابة الناس لدعوته ستكون محدودة، والمغيث ما لم يحمل بيده مصحفاً، ويستصحب معه داعية فإنه يكون قد قصّر غاية التقصير، وأهدر فرصة لن تعوض، وهذا يوضح بجلاء حجم الخسارة التي تجنيها الدعوة من جراء تشتت الجهود وعدم تنسيق أصحابها فيما بينهم مع أن الأهداف في الغالب واحدة، والقواسم المنهجية المشتركة فيما بينهم قد تكون كبيرة.

د - أهمية حرص قادة المؤسسات الإسلامية على احتواء ذوي العقل الناضج والفكر الوقاد، والقيام بتشجيعهم على الإبداع والتفكير بعمق وحرية، ثم السعي إلى الاستفادة من أفكارهم المتميزة وأطروحاتهم الطموحة سواء كان ذلك في جانب تطوير العمل الدعوي والخيري أو في مواجهة مكايد أعداء الإسلام من منصرين وغيرهم.

وما لم يتم الاحتواء لهذه الطائفة من الدعاة من قِبَل المؤسسات الإسلامية - دعوية وخيرية - فإن نموها سيكون بطيئاً، وقفزاتها التطويرية ستكون محدودة، وقدرتها على منافسة المؤسسات التنصيرية في الميدان لن تكون بالصورة المرضية.

١٠ - العمل بوابة النجاح:

لا يعاني الدعاة إلى الله من مشكلة في ندرة الأفكار وقلة الوسائل التي يجابهون بها المنصِّرين بمقدار ما يعانون من كثرة المتكلمين وقلة العاملين؛ إذ غالبية الدعاة لم تستطع بعدُ أن تحوِّل ما تملكه من أفكار وتصورات في هذا السبيل إلى واقع عملي معاش يسهم في نصرة الحق ومحاربة الزيغ والضلال.

ولو تأمل المرء في حياة عظماء البشر لرأى أن عظمتهم لا ترجع إلى امتلاكهم قدرات خارقة يمتازون بها عن بقية البشر - إذ هناك كثير ممن يشاركونهم في امتلاك تلك القدرات إن لم يتفوقوا عليهم فيها - وإنما ترجع إلى سلطتهم على أنفسهم وحملهم لها على تجاوز إدراك الأفكار والحديث عنها إلى تنفيذها وتحويلها إلى واقع عملي معاش.

ولست بذلك أقلل من أهمية التصورات الناضجة والأفكار العميقة المبدعة التي يطرحها بعض الدعاة لمجابهة التنصير، ولكن من المؤكد أن تلك الأفكار - على جودتها - بدون تنفيذ ستبقى مجرد خيال وحلم.

وخطورة استمرار هذه الظاهرة غير خافية؛ إذ إنها تقلل الإنتاجية وتفقد الدعوة الكثير من الطاقات وفرص النجاح التي من الممكن أن يخفت بها صوت التنصير في ميادين كثيرة.

ومفتاح تجاوز هذه الظاهرة يعتمد على أمور عدة أهمها أمران :

أ - العمل على استمرار تنامي الشعور بالظاهرة والإحساس بخطورتها والعزيمة على تجاوزها.

ب - قيام كل فرد منا بتحمل مسؤوليته تجاه نفسه؛ بحيث يلزمها بالتنفيذ الفوري لما يؤمن به من أفكار ناضجة تصلح لمواجهة القوم ورد كيدهم.

وما لم يتم ذلك فإننا باقون في دائرة القول، والمنصرون في دائرة العمل، وما سبقَ متكلمٌ عاملاً.

١١ - وأخيراً: فالنصر للإسلام:

فالمواجهة مهما طال زمنها، وعظمت مشقتها، وإمكانات الدعاة مهما ضعفت، وخسائرهم مهما كثرت فالعاقبة للإسلام، والنصر آت لا محالة، بعد استكمال شروطه، وتحصيل أسبابه، وامتلاك وسائله.

جاءت بذلك النصوص الصريحة الصحيحة، ودل على ذلك الواقع المشاهد؛ فمن النصوص التي تبعث في النفس الأمل وتزيد الفأل الحسن وتزيل اليأس وتدفع القنوط قوله - تعالى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ

يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦]. والمنصرون ـ مجال حديثنا في هذا المقال ـ ينفقون أموالهم ويبذلون جهودهم وأوقاتهم، ويستنفرون كيدهم في الصد عن سبيل الله، وفي إقامة العقبات في وجه هذا الدين، والله ـ تعالى ـ ينذرهم بأنها ستعود عليهم بالحسرة، وسينفقونها لتضيع ويغلبوا، ولينتصر الحق في النهاية(١).

ومنها أيضاً: قوله ﷺ في الحديث الثابت عنه: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر»(٢).

وستنتهي المعركة مع القوم بنزول سيدنا المسيح ابن مريم عليه السلام، وعندها يتجلى التوحيد ويخبو الشرك، ويتبيَّن للقوم ما هم عليه من غرور وضلال.

وأكبر ضامن لنصرة الإسلام وهيمنته في الأرض طبيعة منهجه وحاجة البشرية إليه. يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ: «... فمن طبيعة المنهج الذي يرسمه هذا الدين، ومن حاجة البشرية إلى هذا المنهج، نستمد نحن يقيننا الذي لا يتزعزع في أن المستقبل لهذا الدين، وأن له دوراً في هذه الأرض هو مدعو لأدائه أراد أعداؤه أم لم يريدوا.. »(٣)، وأن دوره هذا المرتقب لا تملك عقيدة أخرى كما لا يملك منهج آخر أن يؤديه، وأن البشرية بجملتها لا تملك كذلك أن تستغني عنه طويلاً »(٤).

ويقول أيضاً: «... ونحن نعتقد أن المستقبل لهذا الدين، بهذا الاعتبار. باعتباره منهج حياة يشتمل على تلك المقومات كلها مترابطة، غير منفصل بعضها عن بعض. المقومات المنظِّمة لشتى جوانب الحياة البشرية، الملبية لشتى حاجات الإنسان الحقيقية، المهيمنة على شتى أوجه النشاط الإنساني»(٥).

ومن دلالات الواقع على ذلك أنك ترى إنجازات المنصرين ونجاحاتهم لا تتناسب أبداً مع جهودهم المبذولة والفرص المتوفرة والتأييد العالمي الذي يتلقونه والإمكانات المُتاحة، وفي المقابل: ترى الإقبال على الإسلام يفوق جداً جهود الدعاة المبذولة وإمكاناتهم الملموسة حتى أصبح المرء يجزم بأن الإسلام ينتصر بقوته الذاتية وما يحمله من حجج دامغة وبراهين ساطعة لا بجهود أبنائه وقوة المنتسبين إليه.

وكون الإسلام قادماً والتوحيد منتصراً أمر محسوم وقضية منتهية. ولكن السؤال الأهم بالنسبة لنا: ما دورنا نحن في ذلك؟ هل نكون ممن أسهم في نصرة الإسلام؛ فاعتصم بالله واستمد العون منه، وقام بما يجب عليه تجاه دينه؟ أم نكون ممن ركن إلى الدنيا واشتغل بالأولى عن الأخرى، ونسي ربه فأنساه الله نفسه؟!

نسأل الله رحمته ومعافاته، وأن يستعملنا في طاعته ويجنبنا غضبه.

والله غالب على أمره، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٣/١٥٠٦ ـ ١٥٠٧.

(٢) المسند، لأحمد، ٤/١٠٣، وإسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣، ٤) انظر: المستقبل لهذا الدين، لسيد قطب، ٩٣.

(٥) المرجع السابق: ٥، وانظر: رسالة قيمة في مسألة النصر للإسلام بعنوان: البشائر بنصرة الإسلام، لحمد الدويش.



التنصير.. هل أصاب الهدف؟ (٢ـ٢)

من الظلمات إلى النور

قصة إسلام قس نصراني

أعدها للنشر: د. عبدالرحمن الجمهور(*)

(إيفور إليويس) شاب يافع ممتلئ حيوية ونشاطاً. تلقى الدراسات الدينية النصرانية على أيدي قساوسة، فنشأه أبوه على حب الكنيسة والعمل لها. انخرط في الجامعة وهو يحمل الفكر النصراني، وبدأ دراسة التجارة والاقتصاد. أخذ على عاتقه التنصير وهو على مدرجات الجامعة، وتخصص في تنصير المسلمين، أو إخراجهم من دينهم إلى الفراغ الروحي.

ولكن مع هذه الحيوية والنشاط في تنصير الناس لم يشعر بالراحة النفسية، مع أنه بلغ منصباً عالياً؛ حيث أصبح كبير أساقفة الكنيسة التي يعمل فيها، ومع ذلك لم تستقم نفسه على هذا الدين، وأحس بأنه لا يشبع الروح، فجرب الهندوسية ولم تزده إلا نفوراً، فالأسرار والطقوس الهلامية التي تؤديها الطائفة الهندوسية لا تستقيم مع صفاء النفس وتعلقها بالله. بل إن الأفراد الذين يشركون مع الله آلهة أخرى لا تستقيم حالهم بل يزيد هذا الشرك من حيرة الإنسان، ويملأ قلبه حيرة ووحشة. فأيقن (إيفور) أن الهندوسية لا تصلح أيديولوجية روحية؛ فهي لا تخدم مصالح الإنسان وحاجاته؛ لأنها تمجد إنساناً وتصنع منه آلهة مع الله؛ فجرب الشيوعية وقراءة كتبهم ومبادئهم ولكن لم تشف هذه المبادئ حاجته الروحية، فشعر بشيء من الألم يعتصر قلبه. يقول (إيفور): إن العقيدة النصرانية لا تصلح أن تكون ديناً عالمياً؛ فهي لا تلبي حاجة النفس ولا توازن بين الفرد والمجتمع، بل لا توازن بين الدنيا والآخرة؛ فغالبية النصارى في العالم يشعرون بخواء روحي ونقص في الجانب العبادي، لا لشيء، ولكن لأنهم لا يوحدون الله بالعبادة. ففي دينهم أسرار لا يسمح للفرد العادي أن يعرفها، وهناك طبقية؛ فالسدنة غير القساوسة، والقساوسة غير الإنسان العادي، وأنت في خضم هذا المشروع الطبقي تنسى ربك وتتعلق بالقسيس؛ لأنه هو الذي يصفح، وهو الذي يغفر، وهو الذي يمتلك ناصيتك من دون الله.

إن الإنسان العاقل المنصف يشعر بالخيبة وهو يقرأ التناقضات في نسخ الإنجيل، ويشعر بالرهبة [illegible] وهو يقرأ القصص التي [illegible] من علماء الناس؛ فكيف من خير البشر: الأنبياء وأبنائهم وبناتهم وزوجاتهم؟

ومما زاد في عجبه أن المسلمين في سريلانكا - حيث ولد وترعرع - يختلفون عن المسلمين في بلاد العرب من حيث التطبيق والعمل للإسلام. وما رآه من تهاون في العبادات وعدم التفريق بين ما هو حلال وما هو حرام في بلده جعله يوقن أن الإسلام [illegible] خاص، وهو الإسلام الذي يخوفه

(*) رئيس قسم [illegible] الإنجليزية بجامعة الإمام محمد بن سعود [illegible] الإسلامية بالرياض.

سدنة الكنيسة ويقلق مضجعهم. ويضيف إيفور قائلاً: «إن من الأمور التي زادت في حيرته وعدم فهمه للإسلام دور الهلال في حياة المسلم، يقول: «كنت أسمع أن الهلال الذي يعد رمزاً للمسلمين مهمٌ في حياتهم، وكثير ممن يشرح دور الهلال في حياة المسلم يشبهه بالصليب عند النصارى؛ فالمسلم يصوم إذا رأى الهلال، ويفطر إذا رآه مرة أخرى، ويصوم إذا اكتمل البدر، ويحدد مواقيت الحج بالهلال، ويوضع على المنابر في المساجد، مما جعلني أعتقد ـ جهلاً ـ أن الهلال هو المعبود وليس الله تعالى»!!

كنت أثرت موضوعاً في الكنيسة سبب لي جدلاً كبيراً، وصممت على تنفيذ ذلك الأمر مهما كانت العواقب ومهما بلغ الثمن. طرحت فكرة الدعوة إلى النصرانية في بلاد المسلمين وبالتحديد في بلاد الحرمين، إلا أن القساوسة ومَنْ حولي عارضوا الأمر بشدة، وحاولوا تخويفي؛ فعقوبة مرتكب هذا الأمر الموت؛ حيث يقطع رأسه أمام الناس. أردت أن أكتشف هذا العالم المجهول، وأرى علاقة الهلال بالمسلمين، وأرى مدى تقبلهم لعقيدة التثليث. فكرت في الأمر ملياً ورأيت أن أقتحم هذه التجربة.

ذهبت إلى مكاتب التوظيف ووجدت وظيفة مأمور مستودع في شركة عربية في بلاد الحرمين، لم أتردد بالقبول، وفي فترة وجيزة انهيت وثائق السفر، وركبت الطيارة أوائل عام ١٩٨٣م وكلي أمل في أن أمارس نشاط التنصير لأرضي الكنيسة، وأثبت لهم صحة فرضيتي؛ ولأشعر بالرضى والزهو والفخر بقدراتي على الإقناع. كنت أتصور أن المسلمين في هذا البلد مثل المسلمين في بلادي، لكن الفرق شاسع والمهمة لم تكن سهلة.

لقد تغيرت نظرتي لديني ودين قومي عندما رأيت مظاهر الالتزام بهذا الدين، فلم أعد أجد في نفسي الرغبة الجامحة للتنصير؛ بل أصبحت أنظر للمسلمين نظرة إعجاب وتقدير يشوبها شيء من الاحتقار لذاتي ومعتقدي، لقد تحركت في داخلي موجة كره لديني، وبدأ الشك يساورني مرة أخرى، وأحسست أنني لست على الطريق المستقيم.

ومما لفت نظري تعظيم المسلمين للقرآن الكريم؛ فهم لا يلمسونه إلا إذا كانوا متطهرين، ولا يسمحون لغير المسلم بلمسه فضلاً عن قراءته، ويطبقون بعض الأحكام عند قراءته ويتغير صوتهم (الترتيل) عندما يقرؤونه، ويشعرون أنهم يعظمون الله ـ تعالى ـ ويتعبدونه بتلاوته. مع أننا عندما نتعامل مع الإنجيل لا نقيم لهذه الأحكام وزناً، بل لا يهمنا من يقرأ الإنجيل، وعلى أي حالة كان، بل إننا لا نقيم له قداسة ولا تعظيماً؛ فنأخذه إلى بيت الخلاء، ونهجره، ولا نؤمن بكثير مما فيه. فأحدث هذا الأمر شيئاً في نفسي وهزني أمر تعظيم القرآن وأوجد في نفسي رغبة شديدة لقراءته والبحث فيه لعلّي أجد بعضاً من المتناقضات كما هو الحال في كتابنا المقدس. ولكن لم أعثر على نسخة مترجمة، بل لم أجد من يعيرني نسخته؛ فأنا في نظرهم كافر لا يجوز أن ألمس القرآن. ومضت الأيام وهذه الرغبة تراودني وفضولي يقودني للسؤال عن النسخة المترجمة معانيها من القرآن كلما سنحت الفرصة، إلا أن الجهد ذهب سدى والأمر لم يتيسر لي بسهولة.

وذات ليلة دعاني مهندس باكستاني لتناول طعام

- نادي ٧٠٠ (700 CLUB)

برنامج تلفازي تنصيري بدأ في عام (١٩٦٣م) وإلى الآن، يبث يومياً إلى أكثر من (٢٧٥) محطة تلفاز داخل أمريكا، ويصل البث إلى أكثر من (٦٠) دولة أخرى. ويقدر عدد مشاهديه يومياً في أمريكا فقط بمليون مشاهد.

هل نعلم كيف بدأ تمويل هذا البرنامج؟!

يشرف على البرنامج ويقدمه المنصر العالمي المشهور (بات رابرتسون)، الذي أقنع (٧٠٠) شخص بالتبرع بمبلغ عشرة دولارات شهرياً، وذلك لتغطية كلفة إنتاج وبث البرنامج؛ ولهذا سمي البرنامج بهذا الاسم.

ـ البيان ـ

العشاء في منزله؛ فهذه آخر ليلة له في مدينة الجمعة؛ حيث نعمل؛ فهو سيسافر من الغد إلى أهله سفراً نهائياً. وأثناء تناول العشاء لمحت نسخة مترجمة لمعاني القرآن إلى الإنجليزية فطلبت من المهندس الباكستاني أن يعيرني إياها، ففعل، فطرت فرحاً ولم تسعني الدنيا من الغبطة والسرور، بل لم تعد لي شهية في الأكل أو الشرب، فقط أريد أن أتصفح القرآن، وأعرف ماذا فيه. وبدأت فكرة البحث عن المتناقضات تتسلل إلى رأسي، وبدأ الشيطان يسوّل لي ويعدني ويمنيني.

خرجت من منزل المهندس وذهبت إلى بيتي، وبدأت أقرأ في النسخة المترجمة، وأول ما قرأت: (بسم الله الرحمن الرحيم) شعرت بقشعريرة في جسمي، لقد قرأت كل الكتب المقدسة من الإنجيل إلى التوراة إلى كتب الأديان الأخرى ولكني لم أجد أي كتاب يبدأ باسم الله. إن للبسملة معنى استقر في قلبي؛ فأول مرة في حياتي أقرأ البسملة، اسم الله ـ تعالى ـ بعده صفة يغفل عنها الكثير (الرحمن) لقد تركت هذه الجملة في نفسي أثراً عجيباً، ودفعتني لأقرأ بتمعن وبقلب مفتوح.

ثم دلفت إلى سورة الفاتحة، إنها ترسم ما قاله عيسى ـ عليه السلام ـ لأصحابه عندما أرادوا أن يعرفوا كيف يحيُّون الإله، فقال لهم أن يحمدوه ويمجدوه ويدعوه؛ وهذا ما وجدته في سورة الفاتحة التي فتحت قلبي على مصراعيه، وانهال النور المضيء إلى قلبي، فأضاء أركان جسمي وجوانبه... لكم أشعر بطعم السعادة، والإيمان يملأ قلبي وأنا أقرأ كلام الله تعالى.

بعد ذلك قرأت سورة البقرة، هذه السورة العظيمة ـ والقرآن كله عظيم ـ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١، ٢] يا للعجب هذه الآية أو معناها أجده في الكتب المقدسة التي قرأتها، ولكنْ في ختام الكتاب بعد أن تنتهي المقاطع والتعاليم الدينية والقصص والمواعظ تأتي هذه الآية أو معناها لكن في هذا الكتاب أتت هذه الآية في أوله شامخة تعلن أن هذا الكتاب كامل وشامل لا ينقصه شيء. يا للعجب!! من يملك مثل هذه القدرة؟ إنه الله الواحد الأحد. أكملت القراءة إلى أن وصلت إلى الآية الرابعة: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤]، لقد زلزلت هذه الآية ما بقي في قلبي من ريب، وأزالت ما فيه من تساؤلات لا معنى لها. لقد جعلت قلبي ينفتح على مصراعيه، وأعلنت بين جوانب نفسي أن هذا الدين حق، وأن الذي أنزل القرآن هو المعبود المستحق للعبادة وحده... لم أعد قادراً على التحمل؛ فأنا أريد أن أمارس العبادة الصحيحة... لقد تذكرت قول المسيح ـ عليه السلام ـ إنه سيأتي بعدي من يقودكم إلى الحق والهدى، فهذا هو الحق والهدى الذي بشر به عيسى عليه السلام.

إنني الآن مسلم، ولكن لا أحد يعرف أنني مسلم، وعليَّ أن أصلي وأمارس الإسلام، وقبل الصلاة يجب أن أتطهر، ولكن كيف يتطهر المسلمون؟ لا أعلم. ودخل وقت الصلاة وسمعت المؤذن ينادي للصلاة، قمت وخلعت ملابسي كلها وغسلت جسمي، ثم دلفت نحو المسجد لأول مرة، ووقفت في الصف أقلد مَنْ على يميني وشمالي إلى أن فرغت من الصلاة وعدت إلى بيتي وأنا أشعر بنور في قلبي، ولأول مرة أشعر بالراحة، أول مرة أشعر بقيمة العبادة، أول مرة أشعر بطعم الإيمان، وأخذت أكتب ما أسمع من الإمام وأحاول أن أقول مثل ما يقول، وبقيت على هذه الحالة لمدة يومين وأنا أغتسل غسلاً كاملاً خمس مرات في اليوم الواحد، وفي اليوم الثالث إذا بالإمام يمسكني من يدي ويبدأ يعاتبني بصوت مرتفع، فهمت منه أنه عاتب عليَّ؛ لأنني لا أصلي في المسجد وأنا جار المسجد؛ فقد كان مظهري وأنا ملتح يوحي بأني مسلم. فأخبرته أنني مسلم جديد وأنني اعتنقت الإسلام حديثاً ففرح بي وفرح بي الآخرون.

وبقيت على حالي أياماً عدة وأنا أغتسل قبل كل صلاة إلى أن قدم إلى مكان عملي اثنان من خارج المدينة

وكان الوقت وقت صلاة فطلبا مني أن آذن لهما بالدخول إلى المرحاض للوضوء استعداداً للصلاة، فقلت لهما: «لا» وأرشدتهما إلى مكان مفتوح يصلح للوضوء. وغضبا عليَّ غضباً شديداً، وإنما أردت أن تتاح لي الفرصة لتعلُّم الوضوء بالمشاهدة، وبعد أن أتما وضوءهما، قمت وتوضأت مثلهما، وهما في دهشة وحيرة من أمر هذا النصراني الذي يتوضأ مثلهما تماماً!

بدأت تعلُّم الواجبات وأركان الدين والعبادات، وكلما قرأت زادت محبتي لهذا الدين، وتعلمت الكثير، ولعل أهم ما لفت نظري وجذبني لهذا الدين أنه دين شامل وكامل يعالج جوانب كثيرة في حياة الفرد والمجتمع، ويوازن بين الدنيا والآخرة، ويقدم للبشرية مشاريع إصلاح اقتصادية واجتماعية ونفسية.

وفي يوم من الأيام أخذني الإمام إلى مدير المعهد العلمي في مدينة الجمعة الذي أهداني عدداً كبيراً من الكتب المترجمة باللغة الإنجليزية؛ وأخبرني أن لديه مستودعاً للكتب باللغات الأجنبية، كالألمانية والفرنسية، وغيرها فأخذت هذه الكتب وبدأت مشروع الدعوة إلى الإسلام من خلالها؛ وعلى أثر ذلك شرعت في إعداد فريق للعمل في الدعوة إلى الله، ونجحنا ـ ولله الحمد والمنة والفضل ـ في هداية كثير من الناس في منطقتنا والمناطق المجاورة، وصار شغلنا الشاغل هو الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ وسط غير المسلمين.

ومن خلال تجربتي في الدعوة للنصرانية عرفت أن المسلم المتمكن من عقيدته العارف بالواجبات يتعذر علينا إقناعه أو خلخلة عقيدته، ذلك أن الحجج التي نحاجُ بها تعد من البديهيات عنده، بل أحياناً يحرجنا بإثارة نقاط مثل التثليث وألوهية عيسى، والغفران، وأصل الخطيئة، وغيرها كثير، ولا يدخل في معتقد النصارى إلا القليل، وهم من أولئك الذين ليس لهم حظ من العلم بالدين.

إن الدعاة إلى النصرانية في الآونة الأخيرة سلكوا مسلكاً خطيراً يتمثل في قبولهم المسلم ليعيش بينهم، بل ويقدمون له المغريات مثل المرتب العالي والمسكن المؤثث. بل ويسمحون للمسلمين ببناء المساجد وإقامة الشعائر الدينية، ولا يمنعونهم من مزاولة ما يريدون تحت شعار الحرية الدينية، وهم في الحقيقة يخططون لتنصير الجيل القادم.

فعندما يدخل المسلم في عالمهم محافظاً على دينه حريصاً على أداء ما افترضه الله عليه فإنهم يعمدون إلى تثقيف أبنائه وبناته بالثقافة الغربية، ولا تخلو من بعض المعتقدات النصرانية، فينشأ بين احضانهم يراهم في الليل والنهار، ويسمع منهم، ويقتدي بهم حتى إذا أدرك وبلغ سن الرشد سهل عليهم قيادته إلى معتقدهم، وهذا ما تحاول الكنيسة العالمية بثه بين المنصرين وأتباعهم، وهذا ما ينطوي عليه مبدأ النظام العالمي الجديد. .

فهل نعي خطر ما يخططونه لهدم الإسلام؟ والله نسأل أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة.

■ عدد اللغات في العالم (٦٧٠٣) لغة، ترجم الإنجيل إلى (٤٧٠٠) وتبقى (٢٠٠٠) لغة والعمل قائم على ترجمة الإنجيل إلى ٩٦٥ لغة تقريباً من اللغات المتبقية.

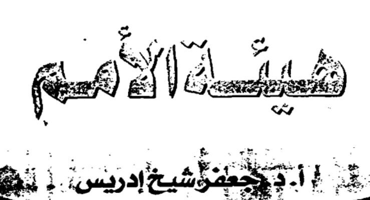
[نشرة Pulse، ٥ سبتمبر ١٩٩٧م، مجلة الصراط المستقيم، ٦٩].

■ ذكرت مؤسسة الأبواب المفتوحة أنها أرسلت ثلاثين طناً من الكتب والأناجيل إلى بغداد؛ حيث إن الطلب على الإنجيل كان كبيراً جداً.

[مجلة الصراط المستقيم، ٦٠].

■ ذكرت مجلة (تايم) في عددها الصادر في ديسمبر ١٩٩٦م، أنه في عام ١٩٩٥م قدم الأمريكيون ١٤٣٫٩ بليون دولار للمؤسسات الخيرية، وقد كان ٧٠٪ من هذا المبلغ مقدماً من أفراد. ـ البيان ـ





أ. د. جعفر شيخ إدريس

رئيس الجامعة الأمريكية المفتوحة

بما أن المسلمين أمة عظيمة من الأمم التي تسكن كرتنا الأرضية، فإنه يهمها أن تعيش في سلام مع غيرها من الأمم، وأن تشاركها وتتعاون معها في الرقي بالمجتمع الإنساني، وفي البحث عن حلول للمشكلات التي تواجهنا جميعاً، طبيعيةً كانت أم سياسية أم اجتماعية. وهيئة الأمم المتحدة منبر من أحسن المنابر لتحقيق ذلك. لكننا نرى أن استمرار هذه المنظمة في أدائها لهذه المهمة العظيمة رهين بإقرارها لثقافات الشعوب المكونة لها، وقيمها وخصوصياتها، وأن تكون وسيلتها للتغيير في المسائل التي تختلف فيها الثقافات والحضارات هي الحوار والتفاهم بالتي هي أحسن، وألاَّ تتحول إلى أداة تستغلها بعض الدول أو الجماعات لفرض معتقداتها وقيمها، وقمع المخالفين لها.

وعليه فإننا نود أن نؤكد ـ باعتبارنا أمة إسلامية ـ أننا لا نأخذ معتقداتنا وقيمنا من مصادر غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأن هذين المصدرين الإسلاميين يمثلان قانوننا الأعلى الذي نحكم به على غيرهما، فنرفض ما يتناقض معه، ونفسر في نطاقه ما نراه موافقاً له. وكما أن هذا الموقف مقتضى ديننا فهو أيضاً مقتضى حرية الدين التي وردت في الإعلان العالمي للحقوق الإنسانية؛ إذ إن هذه الحرية لن يكون لها معنى بالنسبة لنا إذا كان غيرنا هو الذي يفرض علينا كيف نفهم ديننا، وماذا نأخذ منه وماذا ندع، ثم يعاقبنا إذا نحن لم نلتزم بما أَمَرنا به!

في ضوء ما سبق نقرر رفضنا القاطع لبعض ما ورد في مقررات مؤتمر بكين متعلقاً بالعلاقة الجنسية، ونرى فيه دعوة إلى الإباحية التي لن ينتج عنها إلا مزيد من التفسخ الخلقي، والتفكك الأسري، وانتشار الأمراض التناسلية، وتعزيز النزعة الفردية، وما يتبع ذلك كله من زيادة في الجريمة، وتهديد لأمن المواطنين وسلامتهم.

لكننا نقر مع ذلك أن المرأة تعاني عالمياً من ظلم يجب أن يرفع عنها، ومن فقر يجب أن يزال، وأن هذا إنما يكون بالتعاون بين الجنسين باعتبارهما مخلوقين بشريين تحركهما الحجج العلمية والدوافع الخلقية. ولن يتحقق أبداً بإثارة جنس على جنس، بل يُخشى أن تؤدي مثل هذه الإثارة إلى صراع تكون المرأة في نهايته هي الخاسرة.

ويسرنا أن نشارك غيرنا من شعوب العالم في حل هذه المشكلات مهتدين بديننا وتجاربنا وتاريخنا، ومستفيدين كذلك من فكر غيرنا وتجربته وتاريخه.

وعليه فإننا في مجال إزالة الفقر ندعو دول العالم وأفراده إلى أن يطبقوا فريضة الزكاة الإسلامية، ولو فعلوا لما بقي على وجه الأرض فقير ذكراً كان أم أنثى. كيف لا، وهي ضريبة سنوية مقدارها ٢,٥٪ من رأس المال، تؤخذ من الأغنياء وتوزع على الفقراء، وأن يطبقوا المبدأ الإسلامي الذي يجعل من حق كل إنسان أن يعيش حياة كريمة ما دام المجتمع قادراً على ذلك. ونضم صوتنا إلى المنادين بإزالة الآثار السلبية للعولمة وما ينتج عنها من زيادة فقر الفقراء، واستغلال عمل النساء. ونرى مع غيرنا أن مما يساعد على تخفيف الفقر عن البلاد النامية أن ترفع عنها الفوائد الربوية على الديون التي تقترضها من الدول الغنية؛ فإن هذه الفوائد قد صارت عائقاً لهذه الأمم عن كل نمو اقتصادي.

وفي مجال التعليم نرى أن يشمل التربية الخلقية التي تغرس في المرأة الاعتزاز بما ميزها الله به، وترضى به، ولا تحاول أن تلهث وراء تقليد الرجال ومنافستهم فيما ميزهم الله به ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾ [النساء: ٣٢] وأن يفهم ما يمتاز به كل من الجنسين بأنه وسيلة للتعاون بينهما، وتكميل للواحد منهما بالآخر، وعون على بناء الأسرة واستقرارها، وتحقيق لمصلحة الأولاد.

وفي مجال الموازنة بين عمل المرأة خارج بيتها وبين واجباتها الأسرية نرى أن يطبق المبدأ الإسلامي الذي يلزم الرجل بالنفقة على زوجه وأسرته، ويجعل ذلك حقاً لهم، وأن تعين الدولة كل امرأة تفضل البقاء في بيتها لتربية أولادها وإعانة زوجها. إن عمل المرأة خارج بيتها ينبغي أن يُنظَر إليه على أنه ضرورة اقتصادية لا أمر يقتضيه تكريم المرأة واحترامها.







محاولة للاقتراب

المؤلف: روبرت أ. دال
ترجمة: د. علا أبو زيد
تلخيص: وائل عبد الغني

أصبحت السياسة في السنوات الأخيرة أهم العناصر الفاعلة والقوية التي تحرك الواقع البشري وتتحكم في مصيره - وفق مشيئة الله - بصورة تجعل الإنسان لا يسعه أن ينأى بواقعه عن دائرة تأثيرها.

والداعية باعتباره عنصراً مؤثراً لم يَعُدْ يسعه ترك الإلمام ولو إجمالاً بواقعه المعاش.. كيف يسير؟ وماذا يُراد له؟ بنظرة مبنية على قواعد وأسس موضوعية.

ويسعفنا في ذلك التحليل السياسي؛ إذ أصبح كمّاً معرفياً متميزاً في ظل قفزات التطور الهائلة في المعرفة الإنسانية خلال العقود الثلاثة الأخيرة. هذا العلم يُكسب المحلل والمارس مهارات ومدارك وخبرات واسعة.

وقبل أن نشرع في الاقتراب من عملية التحليل السياسي نشير إلى نقاط عدة ينبغي ألا نغفلها ونحن نطالع مثل هذه المعرفة:

١ - إن التطور الهائل في العلوم قد واكبه قدرٌ لا بأس به من التعريب، لكن لم نشهد - بعدُ - جهوداً قوية في مجال الأسلمة.

٢ - قلة المحاولات التي قصدت بناء منهج إسلامي للتحليل السياسي اعتماداً على الجهود الضخمة التي خلفها لنا علماؤنا أمثال الرازي والماوردي والجويني وابن تيمية وابن أبي الربيع وابن خلدون، والتي كانت مادة إثراء قوية انتشلت الفكر السياسي الغربي من أسر الكهنوتية إلى سعة المنهج التجريبي والتحليلي، والذي كان له أثره في التطور الفكري الأوروبي.

٣ - ولكن الفكر الأوروبي عموماً انفلت من أسر الكهنوتية إلى الفوضى الفكرية - والتي تشبه إلى حد كبير ما يعانيه عالمنا اليوم - مما ولَّد مدارس مادية تعتمد على الوضعية والحتمية والهرطقات اليونانية الغابرة.

٤ - هذا العلم له أثره العظيم في إحياء الوعي، ورغم أنه أكاديمي إلا أنه شهد جهوداً لتبسيطه ونقله إلى الجماهيرية في الغرب، ولكن هذا لم يحدث حتى الآن على المستوى الإسلامي والعربي بوصفه ظاهرة علمية وثقافية؛ ولهذا كانت هذه القراءة محاولة للاقتراب من الظاهرة السياسية على مستوى النظام السياسي الذي تُبنى فكرته على اعتبار أن الإنسان ينزع إلى العيش في تجمعات بشرية تضطره إلى الخضوع

لأحد أشكال السلطة وإقامة علاقات مع من حوله.

والسياسة - بتعبيرنا اليوم - ما هي إلا نمط مستمر من العلاقات الإنسانية يتضمن التحكم والنفوذ والقوة والسلطة، وهو ما يتتبعه المحلل السياسي؛ لأنها بمثابة البؤرة التي تتمحور حولها العلاقات، والعمل السياسي غير متصور دون ممارسة القوة.

ويتتبع التحليل كذلك أشكال الأنظمة وكيفية بنائها وسمات التشابه والتباين، ويحلل كذلك السلوك من حيث الدوافع والأسباب والظروف والنتائج التي تكتنف النماذج البشرية الممارسة للسياسة مستنداً على أسس ثابتة.

أسس التحليل:

تختلف الأسس التي يستند إليها التحليل طبقاً لفكر من يمارسه، والظروف التي نشأ فيها وتأثر بها. فلو كان أمامنا خمسة تحليلات عن الوضع الأفغاني الراهن مقدمة من خمسة محللين من باكستان وروسيا وطاجيكستان وإيران والولايات المتحدة لظهر جلياً إلى أي حدٍّ أثَّرت النشأة والعقيدة على طريقة التحليل ونتيجته.

ويتأثر التحليل كذلك بالنظريات السياسية التي يتبناها المحلل؛ فبعض النظريات مثلاً تقصر إطلاق مصطلح «النظام السياسي» على الأنظمة الحاكمة التي تمتلك سلطة فعلية (الدولة - الحكومة) بينما تتوسع أخرى في شمول نفس المصطلح لأي نظام يُمارس فيه نوع من القوة: كالقبيلة، والمؤسسة، والشركة، والمنظمة، والحزب.

حول النظام:

بالنظر إلى النظم السياسية نجد أن كل نظام يتفرع إلى أنظمة فرعية بينما هو مندرج في نظام أشمل منه، كما نجد أن الفرد قد يشكل جزءاً من أكثر من نظام؛ فأستاذ الجامعة يمثل جزءاً من النظام في جامعته، إلى جانب كونه عضواً بارزاً في أحد الأحزاب أو يشغل منصباً حكومياً. كما نجد أنه كلما ازداد النظام تعقيداً واستقراراً كلما أدى ذلك إلى نمو الأدوار السياسية فيه.

حول الحكومة:

أول ما يعني المحلل من النظام هو الحكومة؛ لا لأنها تملك القوة وحدها، بل لأنها تدعي لنفسها الحق المطلق في تنظيم استخدام القوة. ولكن هذا الادعاء مرهون بمدى تقبل الناس له؛ فإذا ما شك الناس في هذا الادعاء أو رفضوه فمعنى ذلك أن الدولة تواجه خطر التحلل، وإما إذا ما قبلوه فهنا تحقق الدولة صفة الشرعية التي تختلف عن صفة أخرى هي المشروعية؛ وهي الصفة التي تكتسبها الدولة من قوتها أو من نص الدستور.

أما شكل الحكومة فيختلف باختلاف شكل النظام وطرق اقتسام القوة فيه. ولكن ماذا نعني بالقوة هنا؟

اصطلاحات القوة والنفوذ:

تستند العلاقات البشرية إلى عدة أسس مثل الحب، والاحترام، والولاء، والمعتقدات المشتركة، لكن كل ذلك لا يُعنى به المحلل السياسي بالدرجة الأولى. إنما يعنى بالقوة وأشكالها كأساس للعلاقات، وبهذا يفيدنا تحليل القوة في معرفة عناصر التأثير وتوجهاتها.

ونعني بالقوة: (فرض مشاركة المواطن في الحياة السياسية)، كالتحكم في الحكومة أو التأثير فيها، وفرض تحكمه في القرارات المتعلقة بسلوكه وحياته الشخصية.

والمواطنون متفاوتون في قوتهم بالطبع، ويعني نشاط السياسي في مجال معين أنه يمارس نوعاً من القوة الظاهرة التي يتتبعها المحللون، في حين يغفلون نوعاً آخر يتمثل في قوته الكامنة والتي ينبني على تحليلها الاقتراب من المصداقية بالنسبة للتوقعات المستقبلية بالذات.

وعلينا أن نفرق بين قوة الفرد بوصفه فرداً وبين قوته باعتباره جزءاً من جماعة. وعند قياس القوة ينبغي تحديد محيطها: (أي المسألة التي تمارس فيها: السياسة الخارجية، البرلمان)، ومجالها: (عدد الأفراد الذين تمارس في نطاقهم). ولا بد كذلك من معرفة كيفية تمركز القوة أو تشتتها، وأسباب ذلك ودلالاته، ومدى ارتباطه بالظروف الدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

تحليل النفوذ:

ونعني بالنفوذ: العلاقات التي تتسبب في نتائج إيجابية ومفضلة بالنسبة للفاعل؛ أي الذي يمارس النفوذ.

ولهذا فأي وصف شامل لنظام مًا لا بد أن يتضمن إجابة عن السؤال الآتي: من هم الفاعلون الذين يمارسون نفوذاً في المجالات الحيوية (السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية)، والتي من خلالها يؤثرون بطريقة غير مباشرة على اختيارات غيرهم وقراراتهم؟

هؤلاء الفاعلون قد يكونون جماعات أو كيانات كلية أو أحزاب أو شركات أو شخصيات عامة.

ومع تراكم التحليلات سنجد أن النفوذ أشبه بشبكة معقدة من العلاقات المتبادلة بين الفاعلين والتي يكون بعضها إيجابياً (يتمثل في تأييد المصالح) وبعضها سلبياً (بعدم التأييد)، وهذا الأخير وإن كان إدراك حجمه صعباً إلا أنه يحتاج إلى مزيد من العناية.

ولكن كيف يمكننا قياس النفوذ؟

في الحقيقة لا يوجد معيار كمي يمكن أن نقيس من خلاله النفوذ، ولكن مع تراكم المعلومات وبإجراء المقارنات يمكن الاعتماد على أساس ترتيبي (مساو، أكبر من، أصغر من)، كما ينبغي حساب الوزن النسبي للنفوذ باختلاف المجال والمحيط.

ولتحديد شكل النفوذ ودرجته لا بد أن ندرك أسباب اختلافه، والتي يمكن إرجاعها إلى ثلاثة عوامل رئيسة[1] وهي:

١ - الاختلاف في توزيع الموارد السياسية التي يستخدمها الساعي للنفوذ ليؤثر على سلوك الآخرين، وتشمل: (المال - المعلومات - الطعام - التهديد باستخدام العنف - الوظائف - الصداقات - المستوى الاجتماعي - حق إصدار الضرائب - أصوات الناخبين).

٢ - التباين في المهارات والكفاءات في استخدام هذه الموارد.

٣ - التباين في مدى استخدام الأفراد مواردهم لأغراض سياسية.

ويُضاف إلى هذه الأسباب عوامل أخرى غير مباشرة أهمها:

- قيم الأفراد وتوجهاتهم وتوقعاتهم ومعلوماتهم الحالية.

- قيمهم وتوجهاتهم ومعتقداتهم وأيديولوجياتهم وبناء شخصياتهم ونوازعهم السابقة الأكثر تأصلاً.

- قيم الآخرين وتوجهاتهم وتوقعاتهم ومعلوماتهم ومعتقداتهم وأيديولوجياتهم وشخصياتهم ممن ترتبط تصرفاتهم بطريقة مًا بالقرار.

- عملية الاختيار أو التجنيد أو الدخول التي وصل بها صانعو القرار إلى مناصبهم.

- قواعد صنع القرار التي يتبعونها، والبنى السياسية والنظام الدستوري.

- مؤسسات المجتمع الأخرى (البنى الاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية والتعليمية التي تقوم بتخصيص الموارد الرئيسة).

- الأحداث التاريخية التي تركت آثارها على الثقافة والمؤسسات والبنى. وبنظرة كلاسيكية يمكن أن يُتصور أن يستخدم الحاصلون على النفوذ نفوذهم في الحصول على موارد أكثر تفتح أمامهم المجال للحصول على نفوذ أكبر، وهكذا دواليك.

ولكن هذا الأمر لا يحدث في الواقع؛ لأن الموارد موصوفة بالندرة. وأصحاب النفوذ لا ينفقون مواردهم إلا إذا كان العائد من ورائها أعظم قيمة، وهو ما ينعكس عند حدود معينة؛ إذ يسعى الخاضعون للسيطرة إلى تعظيم تكاليف تلك السيطرة. ولا ننسى كذلك الصراع الشديد على النفوذ[2].

طرق الحصول على النفوذ:

يمكن الحصول على النفوذ بأشكال مختلفة، بعضها حسن وبعضها قبيح؛ فمنها: الإقناع الحقيقي

(١) يمكن تطبيق هذه العوامل بإجراء مقارنة بين نفوذ منظمات الضغط اليهودية في الولايات المتحدة وبين مثيلاتها في روسيا وفرنسا من جهة، ومن جهة أخرى بينها وبين الجاليات الإسلامية الموجودة هناك.

(٢) من أبرز صور الصراع على النفوذ والتي يمكن التطبيق عليها ما حدث في العلم للمفني بين رئيس وزراء باكستان المدعوم من الأغلبية البرلمانية من جهة وبين رئيس الدولة الذي أطيح به، ثم مع كبير القضاة الذي لقي المصير نفسه.

(العقلاني)، والتحفيز، والخداع (الإقناع الخداعي)[1]، والإجبار المادي، والسيطرة.

تصنيف النظم (أوجه التباين):

يتم التصنيف وفق المدخل الذي يستخدمه المحلل والنشاط الذي يخدمه (جغرافي ـ طبغرافي ـ اقتصادي ـ سياسي...). ولهذا يصح وضع أسس متعددة كل منها يصلح أساساً لتصنيف النظم.

التحليل السياسي للنظم:

أ – أوجه الاتفاق:

يتحدد شكل النظام وفقاً للصيغة السياسية، والتي يتحدد وفقاً لها شكل السلطة وأسلوب السيطرة، هذه الصيغة ليست كمّاً موحداً متجانساً، ولكنها تبدأ بالمعتقدات التي يدين بها الجميع، وتتطور في شكل أيديولوجيات سرعان ما تتأثر بالمستجدات.

ولهذا لا نجد أيديولوجية فكرية يمكن وصفها بأنها متكاملة، أو يصح أن نقول عنها إنها صالحة للحكم إلى ما لا نهاية، لذلك فهي خاضعة للتعديلات شأنها شأن المناهج الأرضية، هذه النقطة تتفق فيها كافة الأنظمة بالإضافة إلى اتفاقها في:

– كونها مطاطة إلى الحد الذي يمكن معه إعادة تشكيلها حسب الرغبات المختلفة.

– أن كل النظم السياسية تسيطر عليها سلطة حاكمة تحتكر القوة.

- أن هذا الاحتكار قد يستند إلى عقيدة، أو نظرية فكرية، أو انتخاب، أو إلى القوة المتمثلة في الجيش والشرطة.

– أن كل الحكومات تسعى لاكتساب الشرعية؛ فإذا اتشح النفوذ بالشرعية فهذا ما يُشار إليه عادة بالسلطة.

– أن النظم لا يمكنها أن تعيش بمعزل عن العالم الخارجي.

– أن التصرفات المتاحة أمام النظام في أي دولة تتأثر بالتصرفات الماضية والمحتملة للنظم الأخرى.

– حتمية التغيير: فأي نظام لا بد أن يشهد تغيرات هامة لكن يصعب التنبؤ بها؛ ولهذا نجد أن عدم اليقين سمة بارزة للحياة السياسية.

ب – أوجه التباين:

وهي لا حصر لها. ولكن ما يمكن أن يُقال عنه إنه يترتب عليه نتائج هامة يمكن إجماله في النقاط الآتية:

١ – مسار النظام إلى الوضع الراهن.

٢ – درجة التحديث (المستوى الاجتماعي والاقتصادي).

٣ – توزيع الموارد والمهارات السياسية.

٤ – جذور التصدع والتلاحم الداخلي.

٥ – حدة الصراعات وحجمها.

٦ – مؤسسات اقتسام السلطة وممارستها.

وهذه الأخيرة هي أبرز ما يركز عليه التحليل الحديث.

الأنماط السياسية داخل المجتمع:

وفقاً للمشاركة السياسية يمكن تقسيم الناس إلى كثرة غير مهتمة بالسياسة، إلى جانب قلة مهتمة بها؛ هذه القلة تحوي قلة ثانية تمتلك من الدوافع ما يحفزها للسعي وراء القوة، ولكن المهارات الشخصية والموارد السياسية تحول دون وصول كثير من هؤلاء، لنجد أن الأقوياء هم قلة ممن يسعون نحو القوة، وإن كان التحليل يحتاج لفحص كل شريحة من هذه الشرائح الأربع إلا أن الأخيرة هي التي يمكن أن نسلط عليها بعض الضوء قليلاً بسؤال هو:

لماذا تتعدد الأنماط السياسية للأقوياء؟

هناك عدة أسباب تؤثر في ذلك:

الشخصية والخلق، التوجهات السياسية الأولية، المعتقدات ومواقف اللحظات الحاسمة، الثقافة العامة، الثقافة السياسية التي يشترك فيها مع قطاع من قطاعات المجتمع.

(١) هذا النوع من أكثر الطرق شيوعاً، ومن أبرز صوره ما يمارس في الانتخابات الأمريكية.

تحليل الأداء:

التحليل السياسي لا يمكن إخضاعه للمقاييس الكمية والوصفية التي تخضع لها الكيمياء، ولكن يمكن أن يخضع للتعليل السببي للوصول إلى نتائج مرغوبة مثل حرية أعظم ـ أمن أكثر... لذلك فالتحليل تكتنفه صعوبات كثيرة؛ ليس أسهلها تطوير مقاييس الظواهر السياسية.

تحليل القرار:

كيف ترتب الأولويات في ذهن المحلل أو السياسي؟ يختلف الترتيب من محلل لآخر كما سبق أن ذكرنا، ولكن إذا أراد المحلل أن يزيد من قوة التحليل فعليه أن ينوع في توقع الأولويات كي يمكنه تفسير أكبر عدد من الخيارات، ومع هذا فسيظل عدم اليقين يطاردنا ويحف بخياراتنا السياسية. وللتغلب على قدر من هذه المشكلة فإن القرار السياسي وتقويمه يجب أن يخضع لاستراتيجيات تقوم على ترتيب القيم وتوضيح الأهداف وتوقع المشكلات وتوصيف الحلول عن طريق وضع السياسات الممكنة، ثم تبحث كافة النتائج المهمة التي سوف تترتب على تقديم بديل على آخر.

وسعياً وراء الرشد فقد طُرحت بعض الاستراتيجيات:

استراتيجية المثالية الكاملة:

وتقوم على أساس فلسفي تخيلي للأهداف والوسائل، ولكنها أثبتت قصورها الشديد لكثرة مخالفة الواقع للتوقعات الكاملة.

وفي ظل عدم اليقين يصبح أمام متخذ القرار إما أن يغامر ويتخذ القرار في ظروف من عدم التأكد، أو ينتظر ليدرس الحالة جيداً ويتخذ القرار بالحل المثالي، ولكن الانتظار في عالم السياسة غير ممكن.

استراتيجية المثالية المحدودة:

ومن خلالها نقنع بتحقيق الحلول المرضية بدلاً من الحلول المثالية، ويمكننا أن نواجه مشكلة عدم اليقين بأحد الحلول:

١ - السعي نحو الحلول المرضية بدلاً من المثالية.

٢ - اتخاذ قرارات أولية لمعرفة ما يترتب عليها تمهيداً لاتخاذ القرار الأخير.

٣ - الاستفادة من التغذية الاسترجاعية ومن المعلومات التي ولدها القرار الأولي ذاته، ومن خلاله يمكن تقسيم الأدوار.

٤ - وضع إجراءات للوصول إلى الأهداف المرجوة.

وإذا افترضنا أن القرارات التي تتخذ عبارة عن سلسلة من الإجراءات؛ فإنه يمكن للسياسي تصحيح أخطائه في كل إجراء يتخذه وهو يسعى نحو الهدف، ولو افترضنا أننا نزيد في شيء نسبة ٥٪ سنوياً فإنه سوف يتضاعف في ١٤ عاماً(*).

ولكن هذه الاستراتيجية لم تنجح في حل كل المشاكل.

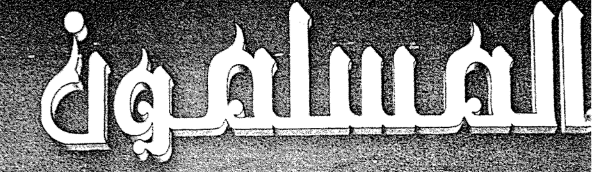
استراتيجية التجريب المدروس:

وهي تصلح في بعض النطاقات دون بعض لتجريب كافة الحلول ومن ثم اختيار أفضلها.

وقطعاً فإنه لا يمكن تفضيل إحدى هذه الاستراتيجيات على الأخرى تفضيلاً مطلقاً، ولكن على السياسي أن ينتخب من بينها ما يناسب طبيعة مشكلته، وعليه أيضاً إطلاق خياله البحثي الذي لا يستند إلى المعرفة وحدها بل يتخطاها إلى التنبؤ بما يمكن أن يكون عليه شكل المستقبل.

تلك أهم قضايا التحليل السياسي، والتي تعتمد على الأسئلة المنطقية: ما هو ـ لماذا ـ كيف ـ أين ـ متى ـ ... والتي يترتب على الإجابة عليها الإجابة على كثير من علامات الاستفهام القلقة داخل دنيا البشر، وهي بحاجة إلى أقلام مسؤولة وعقول متخصصة تُبْحِر بنا في تفاصيلها.

(*) التابع للسياسات الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط بالذات سيجد أن هذا الأسلوب متبع بفزارة ومنفذٌ بجدارة.



كامب ديفيد
وتكريس الهيمنة اليهودية على العالم الإسلامي
حسن الرشيدي

التعليم الإسلامي في إرتيريا
نايب صالح

مرصد الأحداث
حسن قطامش

العالم

كامب ديفيد

وتكريس الهيمنة اليهودية البروتستانتية على العالم الإسلامي

حسن الرشيدي

«إن هذه المفاوضات تمس جوهر هوية كل من الطرفين».

هذه العبارة كانت جزءاً من رسالة الرئيس الأمريكي بيل كلينتون في دعوته لرئيس وزراء إسرائيل باراك ورئيس السلطة الفلسطينية عرفات لحضور قمة كامب ديفيد الثانية، وما لم يذكره كلينتون عن تأثير المفاوضات ليس على هوية طرفيها العربي واليهودي فقط ولكن لها تأثيرها أيضا على هوية الطرف الأمريكي.

فكثيرون ينظرون إلى جوهر هذه القضية باعتبارها أرضاً محتلة وشعباً مشرداً ومستوطنات ومعتقلين، ولكن النظرة العقيدية لهذه القضية هي أخطر من ذلك بكثير؛ فهي معركة من سلسلة معارك متواصلة منذ أن خلق الله هذه الأرض، معركة بين الباطل والحق، بين الكفر والإيمان، بين فئة نعرف جيداً أوصافها وخصائصها وتفاصيل علوها في الأرض وطبيعته، ونعرف أيضاً طبيعة المعركة بيننا وبينهم وإلى ماذا تنتهي؛ بيَّنها لنا مالك الملك في كتابه وفسَّرها نبينا ﷺ في سنته.

ولمحاولة فهم ما يدور في أروقة كامب ديفيد من مخططات ومشاريع يجب علينا استنباط المشروع الرئيس الذي ينبثق منه ما بعده. ونقصد بالمشروع: المخطط البروتستانتي اليهودي للهيمنة، والذي بدأت خلفياته تظهر على مسرح الأحداث منذ ما يقرب من مائة عام. وإن كانت بداياته قبل ذلك بكثير. .

ففي القرن السادس عشر ظهر المذهب البروتستانتي على يد مارتن لوثر الذي دعا إلى وجوب إقامة الحقيقة الدينية على أساس الفهم الشخصي دون الخضوع لفهم رجال الدين له، وفي ظل هذا المذهب ازداد الاهتمام بالعهد القديم (التوراة) تحت شعار العودة إلى الكتاب المقدس باعتباره مصدر العقيدة النقية؛ وبذلك أصبح البروتستانت مهيئين للاعتقاد بما ورد في العهد القديم وخاصة ما يتعلق منها بوجود اليهود في فلسطين

باعتبارها وطنهم الذي أخرجوا منه والذي يجب أن يعودوا إليه طبقاً للنبوءات الواردة في العهد القديم. وهكذا مع انبعاث التاريخ القديم بكل تفاصيله وحكاياته التوراتية تحولت فلسطين في الضمير البروتستانتي من الأرض المقدسة للمسيحيين إلى أرض الشعب المختار مما أيقظ قضية انبعاث اليهود وعودتهم الجماعية إلى فلسطين؛ حيث يظهر المسيح للمرة الثانية، ويحكم ألف عام. وقد آمن بعض البروتستانت بضرورة اعتناق اليهود للمسيحية تمهيداً لقدوم المسيح، وآمن بعض آخر بإمكان تحولهم هذا بعد قدومه.

جرت أول المحاولات البروتستانتية لإرجاع اليهود إلى فلسطين عام ١٦٢٨م؛ حيث أسس عالم اللاهوت توماس بريتمان حركة العودة بين البروتستانت تنطلق من إيمان النصارى بعودة اليهود إلى فلسطين، وبعد ذلك توالت المحاولات البروتستانتية لتأسيس حركات شعبية تنطلق من الفكرة ذاتها حتى كان القرن التاسع عشر حين تم الربط ـ لأول مرة ـ بين الأفكار العقدية مع السياسة البريطانية، ومنذ ذلك الحين بدأ ما وصفه داقيد بولك بـ «الاتحاد العجيب بين السياسة الإمبراطورية ونوع من الصهيونية المسيحية»؛ ففي عام ١٨٣٩م تلقى بالمستون وزير خارجية بريطانيا ه ذكرة من هنري آسن سكرتير البحرية البريطانية موجهة إلى كل دول شمال أوروبا وأمريكا البروتستانتية تطالب حكام هذه الدول بأن يقتدوا بقورش، وينفذوا إرادة الله عن طريق السماح لليهود بالعودة إلى فلسطين، وقد قام بالمستون برفع المذكرة إلى الملكة فكتوريا، وبذلك بدا أن البروتستانت لا يتوانون عن عقد اللقاءات وطرح المشاريع على رجال الدولة والقيام برحلات استكشافية لدراسة فلسطين وتهيئتها لعودة اليهود إليها؛ في حين أن اليهود أنفسهم في ذلك الوقت كانوا آخر من يفكر في هذا الأمر؛ حيث كانوا يعتقدون أن المسيح سوف يجيء ويحررهم ويذهب بهم إلى الأرض المقدسة بمعجزة إلهية، ولكن مع ستينيات القرن التاسع عشر بدأت تتغير نظرة اليهود إلى وجوب عودتهم لأرض الميعاد لضمان نزول المسيح في معتقدهم.

هذه أهم ملامح المشروع اليهودي البروتستانتي التي تكونت وتبلورت عبر حوالي ثلاثة قرون؛ وكان البروتستانت ـ كما بينا ـ هم السباقين إلى طرحه، ويبقى السؤال الأهم وهو: كيف تحقق هذا المشروع على أرض الواقع، ووصل إلى ما وصل إليه الآن؟ أو ما هي آليات تنفيذه؟

لا شك أن تنفيذ هذا الحلم تم عبر مراحل طويلة:

المرحلة الأولى: التحضير والدور البريطاني: وقوامه: طرح موضوع الدولة اليهودية على الصعيد العالمي، وتشجيع الهجرة؛ وبناء الجيش العبراني، وتهيئة جميع الظروف لإعلان دولة إسرائيل. تبدأ هذه المرحلة مع مطلع سنة ١٨٩٧م وعقد المؤتمر اليهودي الأول بزعامة هرتزل في بازل بسويسرا بعد أن وجدت الحركة اليهودية كافة الأمور قد تم تمهيدها من قِبَل البروتستانت الإنجليز، ولم يكن مطلوباً منها سوى تبني هذه الدعوة نيابة عن اليهود في كل مكان، والعمل على استغلال كافة العوامل العقائدية والسياسية والاقتصادية؛ بالإضافة إلى المتغيرات الدولية لصالحها، وقد برز عامل مهم بالإضافة إلى العوامل السابقة ألا وهو: قلق حكومات الغرب من هجرة يهود أوروبا الشرقية فراراً من الاضطهاد. حينئذ اقترح هرتزل توجيه اليهود للهجرة إلى وطن يتم الاعتراف به قانونياً وطناً يهودياً؛ وبما أن فلسطين في هذه الفترة كانت خاضعة للسيطرة التركية فلم يكن في مقدور

الحكومة البريطانية إعطاء أي التزام للحركة اليهودية تجاه فلسطين ؛ ولكن حين سمحت الفرصة خلال الحرب العالمية الأولى باستيلائها على فلسطين عام ١٩١٧م أصدر اللورد بلفور وزير الخارجية البريطاني حينئذ وعده الذي ينص على إعطاء اليهود وطناً قومياً في فلسطين. ويصف السير رونالد ستوز في كتابه : (استشراقات الصدى الذي لقيه صدور الوعد بقوله : «لقي الوعد صدى رائعاً واستحساناً في الصحافة يضاف إلى ذلك ما حظي به من التأييد العام والكبير لدى آلاف الكهنة الإنجليكانيين والقساوسة البروتستانت وغيرهم من الرجال المتدينين في سائر أنحاء الكرة الغربية»؛ وقد علق هربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني على ذلك الوعد قائلاً : «هناك عطف واسع الانتشار وعميق الجذور في العالم البروتستانتي على فكرة إرجاع الشعب العبراني إلى الأرض التي أعطيت ميراثاً له، وهناك اهتمام شديد بتحقيق النبوءات التي توقعت ذلك مسبقاً».

بعد صدور وعد بلفور سعت بريطانيا جاهدة للحصول على موافقة الحلفاء لإخضاع فلسطين للانتداب البريطاني، وقد تم ذلك؛ ففي إبريل ١٩٢٠م وافق المجلس الأعلى للدول المتحالفة في سان ريمو على أن يوكل للحكومة البريطانية مهمة الانتداب على فلسطين، وتم لها قانونياً عام ١٩٢٣م عندما وقعت تركيا أتاتورك معاهدة لوزان.

وهكذا حصلت بريطانيا على ما تريد لتحقيق الحلم اليهودي عن طريق وضع فلسطين تحت الانتداب الذي تم في ظله فتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية، ومكنت سلطات الانتداب اليهود من شراء الأراضي وتأسيس نواة الجيش الإسرائيلي وحتى في بعض الحالات التي وجدت فيها الحكومة البريطانية أن بعض المسؤولين يقفون حائلاً أمام سرعة تنفيذ المشروع كما تريد قامت بإبعادهم كما فعلت مع الجنرال بولز الحاكم العسكري لفلسطين في بداية الانتداب؛ فقد قدم بولز لحكومته توصيات طالبها فيها بانتهاج سياسة عادلة تجاه السكان العرب، فسارعت السلطات البريطانية بإقالته وتعيين هربرت صمويل البروتستانتي المتعصب. الذي ملأ الدوائر الحكومية بالموظفين اليهود، واعتمد اللغة العبرية لغةً رسمية في فلسطين، وأمر بإطلاق سراح الزعيم اليهودي جابوتنسكي الذي كانت السلطات التي قبله قد حكمت عليه بالسجن ١٥ عاماً، وأطلق صمويل يد الضباط البريطانيين لتقديم المساعدات للمنظمات العسكرية اليهودية في الوقت الذي منع فيه السلاح عن العرب، وكان أشهر هؤلاء الضباط الكابتن وينجيت؛ حيث كان ينظر إلى المساعدة التي يقدمها لليهود أنها واجب ديني مفروض عليه أن يؤديه. ويقول عنه موشي ديان : « كان وينجت يؤمن إيماناً لا يتزعزع بالتوراة. قبل أن ينطلق في مهمته كان يقرأ في التوراة المقطع الذي يتحدث عن المنطقة التي سيسلكها فيجد فيه ضماناً لانتصارنا؛ انتصار إله يهوذا».

لقد قدمت بريطانيا الأساس الذي أكمله من بعدُ الآخرون. تقول دائرة المعارف البريطانية : «إن الاهتمام بعودة اليهود إلى فلسطين قد بقي حياً في الأذهان بفعل النصارى المتدينين وعلى الأخص في بريطانيا التي كان اهتمامها أكثر من اهتمام اليهود أنفسهم».

ويقول حاييم وايزمان أول رئيس لدولة إسرائيل : «للمرء أن يسأل : ما هي أسباب حماسة الإنجليز لمساعدة اليهود وشدة عطفهم على أماني اليهود في فلسطين؟ والجواب على ذلك : أن الإنجليز هم أشد الناس تأثراً بالتوراة، وتديُّن الإنجليز هو الذي ساعدنا في تحقيق آمالنا؛ لأن الإنجليزي المتدين

يؤمن بما جاء في التوراة من وجوب عودة اليهود إلى فلسطين، وقد قدمت الكنيسة الإنجليزية في هذه الناحية أكبر المساعدات».

المرحلة الثانية: إقامة القلعة ومركز السيطرة:

«إننا في حلف دائم وراسخ وغير قابل للفصم مع دولة إسرائيل» هذه العبارة رددها شولتز وزير الخارجية الأمريكي عام ١٩٨٥م؛ فأمريكا مثلها مثل بريطانيا ذات أغلبية بروتستانتية تغلغلت في تفكير مواطنيها الأفكار والنبوءات التوراتية الخاصة بعودة اليهود إلى فلسطين باعتبارها مقدمة لعودة المسيح؛ ولكن هناك عامل إضافي زاد من التعاطف الأمريكي مع اليهود ألا وهو الربط بين تجاربهم السابقة في الفرار من الاضطهاد في أوروبا وإنجلترا والصعاب التي واجهوها في الأرض الجديدة والأعمال الوحشية التي فعلوها ضد السكان الأصليين وبين اليهود؛ حيث خاضوا مثلهم تجربة الاضطهاد وقام اليهود مثلهم بأعمال وانتهاكات ضد العرب تحت دافع العامل العقدي، وهذا يفسر ما كتبه هيرمان ملفيل متحدثاً عن الشعب الأمريكي: نحن الأمريكيين شعب خاص، شعب مختار، وإسرائيل العصر الحاضر.

وتوالى على أمريكا الرؤساء وكلهم متفقون على الدعم اليهودي مدفوعون بخلفياتهم البروتستانتية؛ فالرئيس توماس جيفرسون واضع وثيقة استقلال أمريكا يقترح بأن يمثل رمز الولايات المتحدة على شكل أبناء إسرائيل تقودهم في النهار غيمة وفي الليل عمود من النار كما ورد في التوراة.

وفي عام ١٨١٨م بعث الرئيس الأمريكي جون آدمز برسالة إلى الصحفي اليهودي مردخاي مانوي عبر فيها عن أمنيته في أن يعود إلى جوديا - يهودا - لتصبح أمة مستقلة؛ ولقد لعب الرئيس ويلسون دوراً رئيساً في صدور وعد بلفور؛ حيث شارك في الاتصالات التي سبقت صدور الوعد وكان يقول: «إن ربيب بيت المقدس (يقصد نفسه) ينبغي أن يكون قادراً على المساعدة في إعادة الأرض المقدسة إلى أهلها».

وفي عام ١٩٢٢م اتخذ الكونجرس الأمريكي قراراً وقّع عليه الرئيس هاردنج جاء فيه عن الاعتراف بوطن قومي لليهود أعطى بني إسرائيل الفرصة التي حرموا منها منذ أمد بعيد لإعادة إقامة حياة وثقافة يهوديتين مثمرتين في الأراضي اليهودية القديمة طوال الفترة السابقة. ولم يكن الدور الأمريكي الرسمي يزيد عن التعاطف والتأييد المالي والمعنوي تاركاً المهمة لبريطانيا التي كانت في تلك الفترة القوة المهيمنة على المعسكر الغربي، ولكن منذ أربعينيات هذا القرن بدأ مركز الثقل في المعسكر الغربي ينتقل إلى الولايات المتحدة؛ وبذلك انتقلت قيادة المشروع البروتستانتي اليهودي إليها.

وعندما تولى ترومان رئاسة الولايات المتحدة أصدر بياناً بادر فيه إلى المطالبة بإدخال مائة ألف يهودي إلى فلسطين فوراً كما أوصى بتطبيق خطة التقسيم التي اقترحتها عليه الوكالة اليهودية، ولعب ترومان دوراً حاسماً أثناء حرب ١٩٤٨م؛ حيث عمل على استصدار قرار من مجلس الأمن بإعلان الهدنة بين القوات المتحاربة حين كانت الجيوش العربية لها الغلبة، وعمل على إعادة تسليح العصابات اليهودية فنجحت في إلحاق الهزيمة بالجيوش العربية.

وفي عام ١٩٦٧م كانت المحطة الثانية للمشروع اليهودي البروتستانتي في تلك المرحلة؛ حيث تولى جونسون الرئاسة الأمريكية وفي عهده حصلت إسرائيل على صفقات كبيرة من الأسلحة الهجومية والمعدات اللازمة للحرب الإلكترونية التي تمكنت إسرائيل بفضلها من هزيمة الجيوش العربية والاستيلاء على أراض شاسعة تفوق مساحة

إسرائيل عدة مرات. ويقول جونسون في تصريح أدلى به أمام جمعية أبناء العهد: إن بعضكم - إن لم يكن كلكم - لديكم روابط عميقة بأرض إسرائيل مثلي تماماً؛ لأن إيماني المسيحي ينبع منكم، وقصص التوراة منقوشة في ذاكرتي تماماً مثل قصص الكفاح البطولي ليهود العصر الحديث من أجل الخلاص من القهر والاضطهاد.

لقد كان انتصار إسرائيل في حرب عام ١٩٦٧ علامة فارقة في المشروع البروتستانتي اليهودي؛ إذ إنه كان بمثابة نهاية التمدد على الأرض لهذا المشروع بالنسبة للشق اليهودي. أما الشق الآخر البروتستانتي فقد جاء بجيوشه ليهيمن عسكرياً على المنطقة في حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١م.

وفي النصف الثاني من السبعينيات وصل إلى الرئاسة الأمريكية جيمي كارتر الذي قام بجهد غير عادي لدعم إسرائيل تم تتويجه بتوقيع أول معاهدة سلام مع دولة عربية - وهي مصر - وقد علل كارتر أسباب تأييده المطلق لإسرائيل؛ حيث قال: إن علاقة أمريكا بإسرائيل أكثر من علاقة خاصة. لقد كانت وما زالت علاقة فريدة لا يمكن تقويضها؛ لأنها متأصلة في وجدان الشعب الأمريكي نفسه وأخلاقه وديانته ومعتقداته.

وفي مرة أخرى أوضح الأمر أكثر قائلاً: إنه بوصفه مسيحياً مؤمناً بالله يؤمن أيضاً بأن هناك أمراً إلهياً بإنشاء دولة إسرائيل.

ولقد بدا المفهوم العقدي واضحاً أكثر في شخصية الرئيس رونالد ريجان الذي صرح مرة: بأنه كان يشعر عند الانتخابات الأمريكية بأن المسيح يأخذ بيده، وأنه سوف ينجح ليقود معركة الهرماجيدون التي اعتقد أنها ستقع خلال الجيل الحالي في منطقة الشرق الأوسط، ويبدو أن ريجان كان مؤمناً بحدوث تلك المعركة في القريب العاجل؛ حيث قال مخاطباً المدير التنفيذي للمنظمة الصهيونية (إيباك): حينما أتطلع إلى نبوءاتكم القديمة في العهد القديم وإلى العلامات المنبئة بمعركة هرماجيدون أجد نفسي متسائلاً - ! إذا كنا الجيل الذي سيرى ذلك لاحقاً؟ ولا أدري إذا كنت قد لاحظت مؤخراً أياً من هذه النبوءات، ولكن صدقني أنها تنطبق على زماننا الذي نعيش فيه.

وجاء بيل كلينتون إلى الرئاسة الأمريكية وكان قد زار اسرائيل عام ١٩٨١م؛ حيث وصف بنفسه هذه الزيارة بأنه تأثر بها كثيراً، وكانت زيارة دينية أكثر منها سياسية، كما أنه تأثر كثيراً بقصة موت أحد رجال الدين المسيحيين كان قد مات مؤخراً، وتحدث إليه طويلاً قبل ذلك؛ حيث قال له ذلك القس: إنه يأمل في أن يصبح رئيساً للولايات المتحدة، وأنه يجب عليه أيضاً أن يحافظ على إسرائيل.

المرحلة الثالثة: مرحلة التسوية السياسية والانتقال من مفهوم الهيمنة القائمة على السيطرة على الأراضي والحدود في البلدان العربية إلى مفهوم السيطرة الكيفية والاستراتيجية.

فالبروفيسور شيمون شامير الذي عمل سفيراً لإسرائيل في مصر قال في محاضرة له: «ينظر الإسرائيليون للسلام على أنه التحقيق النهائي للرؤية الصهيونية».

فمع اقتراب السبعينيات من نهايتها فإن ثمة بدايات مرحلة جديدة قد أخذت في التشكل؛ ومما يؤكد هذا الاتجاه ما كشفته وثيقة أمريكية كانت قد صدرت عام ١٩٧٩م كُشف عنها النقاب مؤخراً وهي من وضع عدة وزارات وجامعات ومعاهد بحثية عليا. تتحدث الوثيقة عن تصور للشرق الأوسط يهدف إلى إقامة تعاون بين دول المنطقة يقف في وجه أي مشروع قومي أو ديني، ويتولى الدعوة لهذا

المشروع المثقفون العرب وفي الجانب التنفيذي تطرح الوثيقة صيغة تفرض إسرائيل شريكاً في كل موارد الشرق الأوسط مع دوله وشعوبه.

ولم تأخذ هذه المرحلة الشكل النهائي إلا بانتهاء حرب الخليج الثانية وسقوط الاتحاد السوفييتي وتزعُّم أمريكا نظاماً عالمياً جديداً تحتل فيه مكان الصدارة والهيمنة؛ ولذلك نجد أن أول ما قام به بوش بعد أن استتب له الوضع في الخليج أن سعى إلى تفعيل ما يسمى بالعملية السلمية في المنطقة.

إن هدف هذه المرحلة هو إحداث تغيير على الجانب العربي؛ هذا التغيير يبدأ بضرورة تقبل إسرائيل ليس باعتبارها دولة فقط؛ بل يتعين قبولها بأساسها الديني ويمتد إلى تغيير معتقدات العرب السياسية، ويمر عبر إعادة صياغة شبكة العلاقات العربية مع القوة المهيمنة وهي التحالف اليهودي البروتستانتي، وأي اعتراف بإسرائيل بوصفها دولة فقط بدون التسليم بأساسها الديني لهو تكتيك، وليس خياراً استراتيجياً. ويرى كاتب مثل ألوف هارايفن أن هناك عدة عوامل تساعد على تحقيق السلام في المنطقة: قوة إسرائيل الاستراتيجية، وعزل العناصر غير المستقرة (يقصد بها العناصر الإسلامية التي تعيق هذا المشروع) وتدخل وتأثير الولايات المتحدة.

ويقول جولد مان رئيس المؤتمر اليهودي: إن إسرائيل التي تمثل الآن ما يقرب من ١٪ من مساحة العالم العربي عن طريق الحرب وسلاح المواجهة الساخنة يمكنها أن تحتل مساحة العالم العربي بأسره عن طريق السلام والتعاون الاقتصادي.

وفي السياق ذاته يمكن فهم مبادرة الملياردير الصهيوني روتشيلد بإنشاء معهد قرب جنيف بعد حرب ١٩٦٧م أطلق عليه اسم: «معهد من أجل السلام في الشرق الأوسط» بهدف دراسة احتمالات التطور الاقتصادي بالشرق الأوسط بعد تسوية الموقف وإنهاء حالة الحرب والبحث عن وسائل إقامة علاقات تجارية بين دول المنطقة أي بين إسرائيل وجاراتها العربيات.

والانسحاب الإسرائيلي الأخير من لبنان ما هو إلا تكريس لهذه السياسة أي الانسحاب من الأرض وترك إدارتها للعملاء مع ضمان الهيمنة والنفوذ.

وهكذا فإن هدف المشروع البروتستانتي اليهودي كان وسيظل دائماً وأبداً الهيمنة بالسلام؛ فالقتال أو السلام - بشروطهم - مجرد أداتين فقط أيهما تفد المشروع الصهيوني في إنجاز هدفه الاستراتيجي يكن لها الأولوية.

وقبل حرب ١٩٦٧م وفي أعقابها كانت إسرائيل تتناول أحاديث السلام كثيراً ولكن وفق مفهوم خاص ينبني على أساس إنشاء شبكة متعددة من التفاعلات الاجتماعية، والاقتصادية، والاستراتيجية قبل الوصول إلى اتفاق بالتسوية السلمية؛ ففي مؤتمر جنيف ١٩٧٤م - على سبيل المثال - أعلن أبا إيبان وزير الخارجية الإسرائيلي - حينذاك - أن السلام لا يعني وقف إطلاق النار، وأن الضمان الحقيقي للسلام هو إقامة مصالح مشتركة بين العرب وإسرائيل تتسم بالتنوع والكثافة.

وعقب مبادرة السادات وزيارته للقدس، وبالرغم من إعلان إسرائيل المسبق عن استعدادها للانسحاب من كل سيناء مقابل إحراز اتفاق سلام مع مصر - وقد أثبتت وثائق كُشِفَ النقاب عنها مؤخراً أن هذا العرض قائم في أعقاب حرب ١٩٦٧م - إلا أنه عندما بدأت مباحثات السلام مع مصر أخذ الإسرائيليون يدَّعون أهمية سيناء الحيوية بالنسبة لهم، وكان هذا يخدم هدف الحصول على أكبر كَمٍّ ممكن من الامتيازات في سيناء خاصة تلك التي

تتعلق بالبترول، وكان للإسرائيليين ما أرادوا؛ فعندما جاء الوقت لينسحبوا من سيناء كانوا قد ضمنوا التمتع بأهم مواردها: البترول، وحرية الملاحة. ومن ناحية أخرى عمدت إسرائيل إلى التقليل من الأهمية الاستراتيجية لسيناء كثمن لتحقيق السلام مع مصر واتخاذ ذلك خطوة لفرض الهيمنة الاقتصادية والسياسية على العالم العربي وقد كشف إسرائيل شاحاك رئيس رابطة حقوق الإنسان الإسرائيلية عن هدف المخطط الصهيوني بقوله: «إن السيطرة على الشرق الأوسط هدف كل السياسات الإسرائيلية، وإن هذا الهدف مشترك بين كل الحمائم والصقور على السواء، وإن كان الاختلاف بينهم على الوسيلة: بالاحتلال أم بالسيطرة الاقتصادية؟».

وهو المعنى نفسه الذي ذهب إليه شيمون بيريز عندما قال: إن إسرائيل تواجه خياراً حاداً: فإما أن تكون إسرائيل الكبرى اعتماداً على عدد الفلسطينيين الذين تحكمهم، أو أن تكون إسرائيل الكبرى اعتماداً على حجم السوق التي تحت تصرفها.

وقدم إيجال آلون نائب رئيس الوزراء الإسرائيلي مشروعاً من تسع نقاط نصت النقطة الخامسة منه على إقامة إطار حكم ذاتي في المناطق التي لن تكون تحت السيادة الإسرائيلية، ويمكن أن يكون في إطار الحكم الذاتي مرتبطاً بإسرائيل، ويمكن أن يتمثل هذا الارتباط بوجود إطار اقتصادي مشترك، ومعاهدة دفاع مشترك، وتعاون تقني وعلمي، واتفاقات ثقافية، وإيجاد حل مشترك لتوطين لاجئي قطاع غزة في الضفة الغربية. ومن الواضح أنه سيترتب على الحكومة - يقصد حكومة إسرائيل - أن تبادر إلى إعداد خطة عامة وشاملة وبعيدة المدى لحل مشكلة اللاجئين التي هي مشكلة مؤلمة وغير قابلة لحل كامل إلا على أساس تعاون إقليمي يتمتع بمساعدات دولية.

ويمكن القول دون مبالغة إن ترتيبات الحكم الذاتي الانتقالي في اتفاق غزة - أريحا تضمنت العديد من أفكار آلون، ويجب ألا ينظر إلى الأمر على أنه توارد أفكار، ولكنها الاستراتيجية التي تربط كل التحركات التكتيكية المتتابعة وصولاً إلى الأهداف الأساسية للمشروع البروتستانتي اليهودي.

وعند استعراض مبادرات التسوية السياسية السابقة منذ كامب ديفيد الأولى وحتى كامب ديفيد الثانية نجد أنها تؤكد على الحقائق الآتية:

- الحلول الجزئية هي الأصل في قيام هذه التسويات وليست الحلول الشاملة لمختلف جوانب الصراع وقضاياه.

- أن المطلوب من الحكومات العربية في هذه القضايا ليس الاعتراف فقط بإسرائيل؛ ولكن الرضوخ لأي مخططات في المنطقة لخدمة أهداف المشروع البروتستانتي اليهودي، وسحق أي محاولات من جانب الشعوب العربية في الوقوف في وجه هذه المخططات.

- أنه وفقاً للمشروع الذي تحدثنا عن أبعاده في السابق لا نستطيع أن نقول إن هناك ثلاثة أطراف في هذه المفاوضات؛ بل هناك طرفان: الطرف العربي، والطرف اليهودي البروتستانتي.

- أن هناك دائماً وجهين للتعامل مع ما تم الاتفاق بشأنه: وجه زائف أمام وسائل الإعلام يتم فيه استخدام الألفاظ والتعبيرات التي تساعد على تخدير الشعوب، ووجه سري وهو الوجه الحقيقي الذي لا يعلن عنه وهو الذي يتم تنفيذه وغالباً ما يتم الاتفاق بشأنه عبر القنوات السرية. والمؤتمرات العلنية ما هي إلا التكريس لما تم الاتفاق عليه، حتى

إن كاتباً سياسياً علمانيا كبيراً مثل محمد حسنين هيكل يشكو من ظاهرة تعمد إخفاء المعلومات وبما يدور في كواليس السياسة العالمية ودهاليز الحكام العرب والمتعلق منها بالشرق الأوسط والأمة العربية، وهو من هو من خبرة طويلة في السياسة سواء على مستوى الممارسة أو على مستوى جمع المعلومات والتحليل الثاقب البعيد النظر، أو على مستوى الصلات الشخصية بكثير من الشخصيات السياسية المؤثرة: العربية منها أو الأجنبية.

- أن توازن القوى بين الأطراف يكاد يكون منعدماً: بين طرف يملك أرقى التجهيزات العسكرية وأرقى التكنولوجيا التي أسقطت من قبلُ الإمبراطورية السوفيتية من غير أن يطلق طلقة واحدة وتسعى بمختلف السبل ألاّ يملك الطرف الآخر إلا الفتات من المعدات والأسلحة.

- أنه في ظل الهيمنة لأصحاب المشروع - ونعني بالهيمنة العسكرية منها والاقتصادية والثقافية والتعليمية والإعلامية... - فلا معنى لأي مكاسب على الأرض يحرزها الطرف الآخر ويصبح الحديث عن نفوذ فلسطيني على القدس أو جزء منها أو على أي شبر من الأراضي المحتلة أو حتى الدولة الفلسطينية لا قيمة له.

- أن الحكومات العربية - وبالأخص السلطة الفلسطينية - لا يمكن اعتبارها أطرافاً تعبر عن الشعوب العربية لأسباب عديدة منها أن ولاءها الفكري للغرب؛ حيث إنها ربيبته وصنيعته، كما أن أغلب أفرادها والمعبرين عنها اشتهر عنهم العمالة المباشرة لأطراف المشروع حتى إنه أثناء مؤتمر كامب ديفيد الأخير استدعى باراك رئيس مخابراته ومع وجود رئيس وكالة المخابرات الأمريكية؛ فإن مشاركة هؤلاء لتذكير المسؤولين العرب بماضيهم في العمالة فلا معنى لتشددهم إذن.

وفي الإطار نفسه ذكرت صحيفة هآرتس الإسرائيلية في ٢٥/٧/٢٠٠٠م أن الأمريكيين قاموا بإرسال مبارك إلى بعض العرب من أجل أن ينضموا إليه في السماح لعرفات بالتنازل عن القدس.

- سحق أي مقاومة محتملة للمشروع وخاصة من جانب الإسلام لأنه هو القوة الوحيدة التي تعرف أصل المعركة والطبيعة الحقيقية للقضية وأنه صراع عقيدة.

لقد شهدت الفترة الماضية قمعاً شديداً وتنسيقاً هائلاً بين أجهزة الاستخبارات في الدول العربية وأمريكا، وحتى العالمية لمحاصرة أي صوت وأي تجمُّع يُعرف عنه انتماؤه للصحوة الإسلامية وخنقه.

ولنا أن نتخيل أو نتصور تسويات سلمية أو كما يسمونه سلاماً يقام على هذه الأسس.

فهذه هي مقدمات مؤتمر كامب ديفيد؛ ومن المعلوم أن المقدمات تسبق النتائج، فكان لا بد من ذكر الحقائق أو المقدمات السابقة إذا أردنا أن نتعرف على نتائج أو ما تسفر عنه هذه القمة.

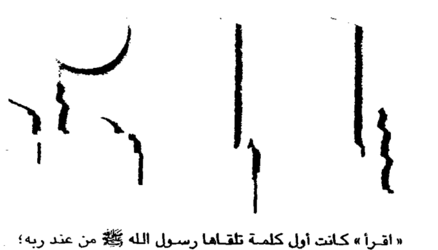
المراجع:

١- الشرق الأوسط الجديد: سيناريو الهيمنة الإسرائيلية، علاء عبد الوهاب، سينا للنشر.

٢- الشرق الأوسط: مخطط أمريكي صهيوني - أعمال ندوة مقاومة التطبيع - تحرير حلمي شعراوي، مكتبة مدبولي.

٣- الصليبيون الجدد (الحملة الثامنة) - يوسف العاصي الطويل - مكتبة المدبولي.

٤- الاستراتيجية الإسرائيلية لتطبيع العلاقات مع البلاد العربية - محسن عوض - مركز دراسات الوحدة العربية.



التعليم الإسلامي في إرتيريا

الواقع والتحديات

نايب صالح

« اقرأ » كانت أول كلمة تلقاها رسول الله ﷺ من عند ربه؛ فكانت هذه الكلمة دعوة صريحة لهذه الأمة أن تبني كيانها وهويتها على العلم والمعرفة : العلم بالله قبل كل شيء ، ثم تأتي بقية العلوم تباعاً حسب أهميتها وحاجة الناس إليها . وقد أبان الله - سبحانه وتعالى - أفضلية العلماء على غيرهم من الناس بقوله : ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر : ٩]، ورغَّب الرسول ﷺ في تلقي العلم فقال : «وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع»(١) وخص بالخيرية من تفقه في الدين خاصة فقال ﷺ : «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»(٢).

ولا خلاف بين الناس في ضرورة العلم عامة وأهميته في نهضة الأمم ، وبناء الحضارات ، وتنمية المجتمعات وتطويرها نحو مستقبل مشرق . وللتعليم الإسلامي على وجه الخصوص مهمة عظيمة في نشر الدعوة الإسلامية وتوسيع رقعتها بشرياً وجغرافياً ، والارتقاء بها نحو الأفضل ، وتعد دُور العلم « المنطلق الأول لبشائر الطلائع الإسلامية التي تتحرك نحو مستقبل باسم وغدٍ مجيد تبني للإسلام صرحاً عريضاً شامخاً يحقق الآمال المرجوة منه والأماني المعقودة عليه»(٣).

---

(١) رواه ابن ماجة ، ح/ ٢٢٢.

(٢) رواه البخاري ، ح/ ٦٩.

(٣) د. توفيق الواعي ، الدعوة إلى الله ، ص ٣٩٥.

التعليم الإسلامي في إرتيريا قبل الاستقلال:

تمثل فترة ما قبل خروج الاحتلال الإثيوبي من إرتيريا وتولي الحكم من قِبل الجبهة الشعبية في إرتيريا وإعلانه الاستقلال قبل عشر سنوات تقريباً فترة زمنية لها طابعها الخاص والمميز على وضع التعليم الإسلامي في إرتيريا.

ولما كان التعليم الإسلامي يشمل الدروس التي تلقى في المساجد، وما يتعلمه الصبيان في الكتّاب من القرآن الكريم وبعض مبادئ الدين الإسلامي فلا بد من القول إن هذا النوع من التعليم رافق بداية دخول الإسلام في إرتيريا، إلا أن أول مدرسة نظامية أقيمت في إرتيريا على الإطلاق يعود تاريخها إلى عام ١٢٨٣ هـ الموافق ١٨٧٠م عندما قامت الخديوية المصرية التابعة للسلطنة العثمانية بإنشاء مدرسة طوالوت الابتدائية في مدينة مصوَّع، ويمكن اعتبار هذه المدرسة أيضاً أول مدرسة إسلامية أقيمت على ثرى إرتيريا؛ لأنها كانت تابعة لدولة إسلامية أخرى.

وبعد ذلك تعرضت إرتيريا لمجموعة من الاحتلالات الأجنبية بدءاً بالاحتلال الإيطالي، ومروراً بالانتداب البريطاني، وانتهاءاً بالاحتلال الإثيوبي. وقد كان جميع هؤلاء المحتلين لا يولي التعليم الإسلامي أي رعاية أو اهتمام، بل - بالعكس من ذلك - كانوا يقفون عائقاً دون استمراره ويحاولون إجهاض الجهود الرامية إلى تطويره والنهوض به، وأسباب ذلك واضحة ولا تحتاج إلى تحليل لكون المحتل غير مسلم.

لذلك كانت الجهود التي بذلت لبناء التعليم الإسلامي في إرتيريا جهوداً أهلية، فردية كانت أو جماعية، ويمكن الحديث عن ثلاثة أنواع من مجالات التعليم الإسلامي في إرتيريا:

أ - الكتاتيب:

تعرف الكتاتيب في إرتيريا باسم الخلاوي في المنخفضات، أو القرآن في المرتفعات، وهي عبارة عن أماكن لتعليم الصبيان القرآن الكريم وبعض مبادئ الدين الإسلامي، وقد تكون في المساجد أو في غيرها من الأماكن حسب ما هو متوفر، وفي الحقيقة فإن الكتاتيب مظهر من مظاهر الحضارة الإسلامية لم تكن معروفة في العصر الجاهلي، فانتشرت بصفات متشابهة[1] في كل بقعة وضع الإسلام فيها أقدامه، وحرص المسلمون عامة وفي إرتيريا خاصة على إرسال أبنائهم إلى هذه الكتاتيب.

وتنتشر الكتاتيب في إرتيريا في المدن والقرى، وتقوم بتعليم الفتيان والفتيات على حد سواء، ولا يوجد تعداد رسمي يبين عددها بالضبط إلا أنها منتشرة بشكل جيد في جميع مناطق إرتيريا، وتعتمد على الجهد الذاتي للمعلم الذي يكون في العادة معلماً واحداً يتعاون معه الأهالي من الناحية المادية، على شكل رسوم يدفعها المتعلمون لمعلمهم.

وبالرغم من أن ميزة الكتاتيب تكمن في بساطتها؛ حيث يمكن إقامتها في أي موضع دون العناء في البحث عن أماكن خاصة لإقامتها حتى إن بعض المعلمين كانوا يعلِّمون الأطفال في فناء منازلهم بوضع مظلة بسيطة تقي الصبية من حرارة الشمس. إلا أنه أيضاً يجب التنبيه إلى أن الكتاتيب في إرتيريا لم تسجل أي تطور يذكر سواء من ناحية كفاية المعلمين وتنظيم تمويلها والعمل على تقوية عطائها سواء في تحفيظ القرآن أم في إعطاء جرعات مناسبة من مبادئ الدين، إلا ما كان من

---

(١) انظر: د. أحمد الأهواني، التربية في الإسلام، ص ١٩٠ وما بعدها.

مدرسة عمر بن الخطاب لتحفيظ القرآن الكريم في مدينة أسمرا التي تأسست في عام ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م؛ حيث ركزت على حفظ القرآن وتجويده وتعليم العلوم العربية والشرعية، والعمل على تفاعل المجتمع المحلي من خلال الدروس والمحاضرات العامة التي تلقى فيها للكبار والصغار، وقد ظهر تأثيرها الإيجابي على سلوك طلابها وسلوك المجتمع المحلي، وقد تعرضت بسبب العقيدة السلفية التي تبنتها للحرب من قِبَل بعض المبتدعة بحجة أنها تدرس دين الوهابية!! إلا أنها استطاعت أن تتجاوز هذه المحنة وواصلت مسيرتها حتى تم إغلاقها من قِبَل نظام الجبهة الشعبية الحاكم في إرتيريا في عام ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م.

وبالرغم من اعتماد الكتاتيب في إرتيريا على الطرق البدائية وافتقادها التطوير والتحسين إلا أنه يمكن القول إنها تمكنت مما يلي:

١ - غرس أسس العلم والإيمان القابل للنماء في أنفس النشء.

٢ - تعليم الصبية قراءة الحروف العربية وكتابتها، وتحفيظهم ولو شيئاً يسيراً من القرآن يتمكنون من خلاله أداء صلواتهم على الوجه المطلوب.

٣ - إشعار أطفال المسلمين الذين يترددون على هذه الكتاتيب بتميزهم عن غيرهم من أهل الأديان الأخرى.

٤ - تمكين النشء في أهم مرحلة من عمره من العيش في بيئة مسلمة يتربى فيها على الخلق الإسلامي.

ب - المعاهد الدينية:

شعر المسلمون في إرتيريا أن الخلاوي القرآنية وحدها غير كافية في حفظ هويتهم الإسلامية التي كانت وما زالت تتعرض للمسخ والطمس، وأحسوا بضرورة توسيع تعليم الشرع الإسلامي على نحو منظم ومفيد، ففكروا بإنشاء المعاهد الدينية، وبدأت الفكرة الأولى بالمعهد الديني الإسلامي بمصوع في عام ١٣٦٠هـ = ١٩٤٠م؛ حيث بدأ يؤدي دوره بشكل كامل بعد خمس سنوات من ذلك التاريخ، ووفقاً لما جاء في قانون المعاهد الدينية رقم (١) الذي أصدرته دار الإفتاء الإرتيرية في عام ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م فإن المعاهد الدينية في إرتيريا بدأت تنظم أعمالها في مبانٍ خاصة وفق النظم العصرية في التعليم في عام ١٣٦٣ هـ = ١٩٤٤م، وذلك لتحقيق الأهداف الآتية:

١ - حفظ الشريعة الإسلامية.

٢ - فهم علوم الشريعة ونشرها بين الناشئة الجديدة.

٣ - إيجاد الوعي الديني والثقافي في نفوس الناشئة.

٤ - صيانة الناشئة من وباء الجهل والعلمنة والانحراف عن المبادئ الإسلامية.

٥ - إخراج فئة يسند إليها أمر الثقافة الإسلامية والعربية وتعليمها للأجيال.

وكان هذا القانون الذي وضعته دار الإفتاء الإرتيرية أول محاولة لتنظيم المعاهد الدينية وتوحيدها في إرتيريا؛ إلا أن الظروف الأمنية والسياسية لم تساعد في تطورها للأفضل، واستمرت الجهود الأهلية في إنشاء المعاهد بلا تنسيق، مع عدد محدود من المعاهد التي تشرف عليها لجان الأوقاف في المدن الرئيسة، وقد بلغ عدد المعاهد الدينية في إرتيريا كلها في فترة من الزمن ما يزيد على عشرين معهداً يتراوح عدد الدراسين فيها بين ستمائة إلى مائتي طالب وطالبة في كل معهد، وانتشرت هذه المعاهد في أغلب مدن إرتيريا، منها: أسمرا، ومصوع، وجندع، وحقات، وصنعفي، ومنصورة، وأغردات، وأفعبت، وعدي قيح، ودقمحري، وإرافلي، وطرونا، وشعب، وزولا،

ومندفرا، وعدي خوالا، ومكَعْليلي، وأفتي، وتعد مدينة كرن الأكثر حظاً؛ حيث كان فيها حوالي سبعة معاهد.

وبعد سقوط نظام الإمبراطور هلاسي لاسي الصليبي الذي كان يتعامل مع هذه المعاهد بالإهمال والتضييق عليها وجدت المعاهد الدينية في عهد الحكم الشيوعي الإثيوبي بعض الانفراج؛ حيث عمل هذا النظام على إدخال العلوم التطبيقية التي تدرس في المدارس الحكومية في هذه المعاهد، وتحمل نفقات المدرسين الذين يدرسون هذه المواد، وأذن لطلاب المعاهد بالدخول في امتحانات الشهادة الابتدائية العامة التي تعقد على مستوى الوطن، مما شجع الكثير من الأهالي على تعليم أبنائهم في هذه المعاهد لاشتمالها على العلوم الشرعية والعلوم العصرية التي يمكن أن يتلقوها في المدارس الحكومية.

وقد عانت هذه المعاهد الكثير من المصاعب التي تمثلت في قلة الموارد، وضيق المباني، وضعف المدرسين، وانحصارها على المرحلة الابتدائية غالباً، واضطراب المناهج التي تدرس فيها؛ حيث تجد أن المعهد الواحد ينتقل من المنهج الأزهري إلى السوداني، وإلى السعودي.

ج - المدارس العربية والإسلامية:

كانت هناك مجموعة من المدارس العربية والإسلامية في إرتيريا تختلف عن المعاهد الدينية لجمعها بين العلوم العربية والشرعية والعلوم التطبيقية، وكان مما دعا إلى تأسيسها أن المدارس الحكومية التي كانت تدرس باللغة العربية في فترة الانتداب البريطاني لم تكن العلوم الدينية مدرجة في مناهجها، فاضطر العرب المقيمون في إرتيريا إلى تأسيس مدرسة خاصة باسم مدرسة الجالية العربية التي تبنت المنهج المصري، كما أسس المسلمون الإرتيريون عدداً من المدارس الإسلامية الأهلية في كل من أسمرا ومصوع وكرن، وأغلب هذه المدارس لم تستطع الاستمرار في أداء مهمتها، فتم تأميم بعضها من قِبَل الحكومة الإثيوبية وأصبحت مدارس عادية، ولم يبق من هذه المدارس العربية الإسلامية سوى مدرسة الجالية العربية التي تم تأميمها بعد الاستقلال من قِبَل نظام الجبهة الشعبية الحاكم في إرتيريا وتبديل اسمها إلى مدرسة الأمل، وألغيت منها المواد الشرعية!! بينما ما زالت مدرسة الضياء في أسمرا تؤدي دورها حتى هذا اليوم.

وبالرغم من العقبات الذاتية والخارجية التي واجهت التعليم الإسلامي في إرتيريا إلا أنه يمكن إجمال أبرز الثمار التي أثمرها في النقاط الآتية:

١ - إيجاد نخبة من المعلمين الذين يواصلون مسيرة التعليم الإسلامي في إرتيريا.

٢ - إعداد بعض القضاة الشرعيين (في الأحوال الشخصية).

٣ - تكوين مجموعة من أئمة المساجد والخطباء والدعاة.

٤ - إبراز مجموعة من الغيورين الذين يتحملون عبء الشؤون الإسلامية العامة كلجان الأوقاف وغيرها.

٥ - تهيئة أعداد جيدة من الطلاب يمكنها الالتحاق بالجامعات العربية والإسلامية.

٦ - الإسهام في حفظ الهوية الإسلامية للشعب الإرتيري المسلم.

واقع التعليم الإسلامي بعد الاستقلال:

لم يمر بالتعليم الإسلامي في إرتيريا وضع أسوأ مما يمر به الآن بعد الاستقلال تحت حكم نظام الجبهة الشعبية الجائر؛ فقد أسفر هذا النظام عن وجهه الصليبي من خلال تعامله مع المؤسسات الإسلامية وفي مقدمتها مؤسسات التعليم الإسلامي، وقام بإجراءات لم يسبق أن تجرأ أي

محتل على القيام بها، مما أدى إلى تقلص عدد المعاهد والدارسين فيها إلى أدنى من الربع مما كان عليه قبل الاستقلال، ومن أهم الخطوات التي قام بها هذا النظام لاختزال دور المعاهد الدينية والمدارس الإسلامية ما يلي:

١ - الزج بالدعاة ومعلمي المعاهد الدينية في غياهب السجون.

٢ - إغلاق بعض المعاهد بحجة عدم أهمية ما تقدمه في التنمية البشرية، وغيرها من الحجج الواهية من أجل تجفيف منابع الصحوة الإسلامية، وإبعاد المسلمين عن التمسك بالدين الإسلامي، وعزلهم عن الثقافة الإسلامية والعربية.

٣ - سن قانون يمنع المؤسسات الإرتيرية أياً كانت من تلقي المعونات الخارجية، إلا عبر الحكومة القائمة، وكانت المؤسسات الإغاثية والتعليمية الإسلامية هي المستهدفة من إصدار هذا القانون.

٤ - عدم الاعتراف بالشهادة التي تصدرها هذه المعاهد، أو التعاون معها بأي شكل من الأشكال، ومعاملة الطلاب الذين يدرسون فيها معاملة العاطلين عن العمل والدراسة، فيكونون عرضة للتجنيد الإجباري أكثر من غيرهم.

فالمعاهد القليلة المتبقية الآن تعد معاهد صورية؛ وذلك لأنه تم إفراغها من المعلمين الأكفياء، وقلَّ عدد الطلاب الذين يدرسون فيها مقارنة بما كان عليه الحال قبل سيطرة الجبهة الشعبية على حكم البلاد والعباد، ولعل الكتاتيب هي الوحيدة التي لم يستهدفها النظام الحاكم مباشرة، ولكنها هي أيضاً تحت المراقبة والمتابعة الشديدة، وقد يكون السبب في عدم تعرضها للإغلاق استهانة النظام بدورها؛ لأنها في الغالب لا تعلِّم غير القرآن، ولا يدرك الصبي معاني كلمات القرآن التي يقرؤها، ويبدو أن النظام يسير وفق تخطيط مرحلي وأسلوب خبيث ماكر؛ بحيث تكون البداية المعاهد، وما هي إلا فترة زمنية محدودة ويأتي الدور على الكتاتيب أيضاً، وهذا ما تشير إليه الدلائل في بعض مناطق إرتيريا؛ حيث عمد النظام إلى اختطاف معلمي بعض الكتاتيب وسجنهم بحجج مختلفة حتى تبقى الخلوة بدون معلم، فتنتهي تلقائياً دون أن يأمر النظام بغلقها مباشرة.

التعليم الإسلامي في معسكرات المهاجرين الإرتيريين بالسودان:

كان المهاجرون الإرتيريون الذين فروا بدينهم وأبدانهم من نير الاحتلال الإثيوبي الصليبي في بداية الهجرة يلحقون أبناءهم بالكتاتيب والمدارس والمعاهد السودانية، إلا أن أعدادهم أصبحت تزداد يوماً بعد يوم فكان لزاماً عليهم أن يؤسسوا مؤسسات تعليمية تعنى بالعلوم الإسلامية في المناطق التي خصصت لهم، فأسسوا كتاتيبهم ومعاهدهم ومدارسهم بجهودهم الذاتية، وكان أول معهد ديني يقام في وسط المهاجرين في منطقة ود الحليو في عام ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م، وقد توالت بعد ذلك في مناطق أخرى بسبب الهجرة المتزايدة يوماً بعد يوم.

وهناك نوعان من الكتاتيب في مناطق المهاجرين: أحدهما: كتاتيب عادية تقام في وسط الأحياء يحضر إليها الصبي من منزله في الفترة الصباحية والمسائية، وثانيهما: عبارة عن مراكز لتحفيظ القرآن تقام في وسط المعسكرات أو في مناطق نائية، ويلتزم فيها الدارسون بالإقامة الداخلية في هذه المراكز غالباً، ويتفرغون ليلاً ونهاراً لحفظ القرآن وتلقي بعض العلوم الشرعية، وتعتمد هذه المراكز على تبرعات المحسنين من الداخل والخارج.

أما المعاهد الدينية فهي لا تختلف عن المعاهد التي في داخل إرتيريا القائمة على الجهود الخاصة.

وقد أسهمت بعض المؤسسات في توسيع قاعدة التعليم الإسلامي في مناطق المهاجرين، وذلك مثل

جهاز التعليم الإرتيري الذي كان تابعاً لجبهة التحرير الإرتيرية قوات التحرير الشعبية، حيث كان يشرف على أربعة معاهد دينية، ويتحمل رواتب معلمي بعض الخلاوي القرآنية، بالإضافة إلى إقراره لمادة الدين في مدارسه التي كانت تبلغ ستاً وعشرين مدرسة، وذلك قبل استسلامه للنظام الحاكم في إرتيريا.

كما أسهمت بعض الجماعات والهيئات الخيرية في التعليم الإسلامي في تلك المناطق كجماعة أنصار السنة المحمدية بالسودان التي أسست مجموعة من المراكز والمعاهد في كل من مدينة كسلا وبعض معسكرات اللاجئين، وقد تخرج فيها عدد كبير من الإرتيريين تمكنوا من مواصلة دراساتهم الجامعية عبر منح دراسية في مختلف الجامعات الإسلامية في العالم الإسلامي، وهناك أيضاً مؤسسة الحرمين الخيرية في الآونة الأخيرة، وهيئة الأعمال الخيرية الإماراتية وهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية وغيرها من الجمعيات الأخرى، إلا أن أهم جمعية تقوم بالجهد الكبير في هذا الصدد في الفترة الحالية هي جمعية الإحسان الخيرية.

جمعية الإحسان الخيرية:

وهي جمعية خيرية إسلامية تعمل في مجال الدعوة والتعليم والإغاثة في أوساط المهاجرين الإرتيريين بشرق السودان وداخل إرتيريا، تأسست عام ١٤١٤هـ ومن أهم أهدافها نشر الإسلام، وتربية النشء على تعاليم الدين عبر إنشاء المؤسسات التعليمية المختلفة، ومن أجل تحقيق أهدافها هذه قسمت أعمالها إلى مجموعة من الشُّعَب أهمها شعبة التعليم التي تحوي قسمين:

- قسم التعليم المنظم: ويشرف على مدرسة ثانوية، وثلاث مدارس ابتدائية ومتوسطة أخرى، ومعهد لإعداد حفظة القرآن، وستة معاهد للبنات.

- قسم المراكز والخلاوي: ويشرف على ثلاثة وعشرين مركزاً لتحفيظ القرآن وتعليم بعض العلوم الشرعية، وقد خرَّجت هذه المراكز حوالي سبعمائة حافظ متقن، ولها أيضاً تسعة عشر مركزاً نسوياً بلغ عدد الحافظات اللواتي تخرجن فيها سبعين حافظة، كما يشرف هذا القسم على عدد من الخلاوي تربو على التسعين خلوة، ويبلغ مجموع الطلاب الذين تشرف عليهم الجمعية الآن حوالي ١٠٢٨٠ منهم ٤٨٦٠ طالبة، يقوم على تعليمهم وتربيتهم مجموعة خيرة من المعلمين والدعاة والمقرئين من خريجي الجامعات الإسلامية وغيرهم، وتكفل منهم الجمعية وحدها حوالي ٣٣٢ معلم وداعية ومقرئ.

وقد أثمرت هذه الجهود بفضل الله - تعالى - ثمرات عظيمة يلمسها كل من عايش وضع المهاجرين الإرتيريين في السودان منذ بداية هجرتهم حتى هذا اليوم؛ حيث ترسخت العقيدة الصحيحة في نفوس النشء، والشباب، وأصبحت الآثار واضحة في سلوك أفراد المجتمع الإرتيري المسلم المهاجر في السودان ومواقفهم.

ولم تتوقف جهود الجمعية على الجانب التعليمي فقط، بل تقوم بجهود دعوية، واجتماعية، ومشروعات خيرية متنوعة.

إلا أن هذه الجهود ما زالت معرضة للمخاطر نظراً لاعتمادها على الزكوات والهبات والمعونات غير الثابتة التي يتبرع بها المحسنون، والمؤسسات الخيرية التي لا تؤمِّن لنفسها مصادر دخل ثابتة؛ فإنها معرضة في أي لحظة لانحصار نشاطها أو الانهيار تماماً - لا قدر الله - وهذا ما يدعو المرء لدعوة الغيورين من أبناء الأمة الإسلامية وبخاصة القادرين منهم على أن يسهموا بإسهمات كبيرة تجعل هذه المؤسسات تعتمد على مصادر ثابتة من خلال مشاريع استثمارية أو أوقاف ثابتة يستفاد من



يرصدها: حسن قطامش
qatamish100@hotmail.com

صور شيشانية

١ - قال أحد أبرز الجنرالات الروس الذين قادوا الحرب الشيشانية إن زوجة المقاتل الشيشاني وأطفاله يجب أن يقتلوا لأنهم قُطَّاع طرق أيضاً؛ وفي حديث إلى صحيفة نوفايا غازيتا ذكر فلاديمير شامانوف الذي قاد المحور الغربي في المرحلة الأولى، ويقود الآن قيادة الجيش ٥٨، أن قواته دمرت في مدينة الخان يورت منازل كان فيها ١٢ مقاتلاً و ٨ متعاونين معهم، ومن ضمنهم زوجات مقاتلين. إن على زوجة قاطع الطريق أن تهجره أو أن تعامل مثله وكذلك أولادها.

وبمنطق جنرالي قال شامانوف: إن قطاع الطرق المقاتلين الشيشانيين إما أن يفهموا أخلاقياتنا أو يبادوا. [جريدة الحياة، العدد: (١٣٦١٤)]

٢ - حدد الزعماء الشيشانيون تسعيرة بالدولار عن كل ضابط روسي أو جندي يتمكن المقاتلون من اصطياده ببنادقهم. وأكد مسؤولون روس أن مقاتلي الشيشان يتلقون مقابلاً مادياً يصل إلى ثمانية آلاف دولار أمريكي مقابل كل فرد من أفراد الجيش الروسي يلقى حتفه في الشيشان؛ ويبلغ المقابل المادي عن الضابط ٣٠٠ دولار أما عن الجنود الذين لا يحملون رتباً فيصل إلى ١٠٠ دولار. فيما يتراوح مقابل ضابط الأركان بالمقر الروسي في خانكالا من ٥ إلى ثمانية آلاف دولار. وأشار هؤلاء المسؤولون إلى أنه تم أيضاً تحديد المقابل النقدي عن حاملة الأفراد المدرعة التي تتعرض للقصف ألف دولار وعن سيارة الجيب ٥٠٠ دولار. [جريدة البيان الإماراتية، العدد: (٧٣٢٧)]

٣ - دعا الرئيس الروسي فلاديمير بوتين الأوروبين إلى مؤازرة موسكو في مواجهتها «أممية الأصوليين الإسلاميين» التي قال إنها تشكل «قوساً من الاضطرابات، يمتد من الفلبين إلى كوسوفا»؛ وأكد أنه لن يتراجع عن هدف تصفية بؤر الإرهاب، وقال إن النزاع المسلح في القوقاز تقف وراءه «أممية أصوليين إسلاميين»، وأشار إلى أنه يشكل خطراً بالغاً على أوروبا؛ حيث يوجد عدد كبير من المسلمين. ولام الأوروبيين؛ لأنهم تركوا روسيا وحدها في حين كان عليهم أن يشكرونا وينحنوا إجلالاً لكفاحنا ضد الإرهاب. [جريدة الحياة، العدد: (١٣٦٣١)]

٤ - أعلنت وزارة الخارجية الروسية أن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين وجه رسالة شخصية إلى الزعيم الليبي العقيد معمر القذافي تتعلق بالعلاقات بين بلديهما.

وقال البيان: إن موسكو وطرابلس بحثتا في مشاكل مكافحة الإرهاب الدولي، وأن ليبيا أكدت دعمها للعمليات التي

إنجاز عربي!!

أخيراً حقق العرب الاكتفاء الذاتي وأعلنوا الحرب على المستورد، بل يستعدون الآن لاقتحام الأسواق الخارجية، ويحتاطون من سرقة الخواجات لأفكارهم الألمعية!

ولكن قبل أن نقيم الأفراح والليالي الملاح، علينا أن نتذكر أن هذه القفزة التنموية الهائلة لم تحدث في صناعات الفضاء أو البرمجيات ـ والعياذ بالله ـ أو حتى يا أخي في مجال البونبون واللبان! نعم! فالإنجاز العربي يحدث هذه المرة على شبكة الإنترنت متمثلاً في تقديم أول موقع إباحي للجنس باللغة العربية للبالغين فقط! [مجلة الأهرام العربي، العدد: (١٧٢)]

لا دين في السياسة أيها العرب..!

انتقدت السلطة الفلسطينية فتوى مفتي الديار الفلسطينية الشيخ عكرمة صبري التي يحظر بموجبها على الفلسطينيين التنازل عن الحق بالعودة للاجئين أو القبول بالتعويض لمن لا يرغب في العودة. واعتبرتها تدخلاً في شؤون سياسية لا يحق له التدخل فيها.

وقال الطيب عبد الرحيم الأمين العام للرئاسة الفلسطينية: إن المفتي لا يحق له التدخل في هذه الأمور. وفي تصريحات صحافية أدلى بها قال عبد الرحيم: إن المفتي ليس زعيم فصيل سياسي أو حركة، لذا لا يحق له إصدار فتوى في قضايا سياسية. وطلب عبد الرحيم من المفتي عدم التدخل في تلك القضايا؛ وكان الشيخ عكرمة قد أصدر فتوى اعتبر فيها قبول التعويض عن الأرض الفلسطينية مثل بيعها وأن ذلك لا يجوز شرعاً. وشدد المفتي في فتواه على أن كل من يأخذ التعويض عن ممتلكاته إنما يرتكب أمراً حراماً. ونوه المفتي إلى أن الديار الفلسطينية ليست سلعة للبيع والشراء فهي وقفية مباركة مقدسة. واعتبرت الفتوى (حق العودة والتعويض) أمراً جائزاً شرعاً. وتؤكد الفتوى أنه من حق اللاجئ العودة لأرضه والمطالبة بالتعويض عن الأضرار والمعاناة والخسائر التي لحقت به وبأولاده وأحفاده، في حين اعتبرت الفتوى العبارة التي تقول: (حق العودة أو التعويض) لا تجوز شرعاً لأن التعويض عن الأرض محرم شرعاً. وخلصت الفتوى إلى القول إن الذي لا يرغب في العودة ليس له الحق بأخذ التعويض مهما كانت الأسباب ومهما كانت المسوغات. من ناحية ثانية أصدرت هيئة العلماء والدعاة ـ ومقرها القدس ـ بياناً قالت فيه: «إن كل من يقبل التعويض عن أرضه يعتبر مرتداً وخارجاً عن جماعة المسلمين؛ فأرض الإسراء ليست موضع تنازل أو مساومة وليست سلعة للبيع والشراء»؛ من ناحية ثانية حذرت إسرائيل من خطورة تدخل المرجعيات الإسلامية في الجدل حول القدس. وقال إسحق ليفي الوزير المستقبل من حكومة إيهود باراك: إن مثل هذا التدخل يمهد الطريق أمام إضفاء مزيد من التطرف على مواقف الطرف الفلسطيني حول موضوع القدس؛ يذكر أن العديد من المرجعيات الدينية الرسمية والحزبية في إسرائيل قد أصدرت فتاوى تحظر بموجبها على المستوى السياسي إبداء أي تنازل في السيطرة الإسرائيلية على الأماكن المقدسة أو حتى على صعيد إخلاء مستوطنات يهودية في الضفة الغربية وقطاع غزة. [جريدة الشرق الأوسط، العدد: (٧٩١١)]

المفضوحون!!

طلبت امرأة تدير شبكة كبرى لفتيات الهوى في تل أبيب من رئيس الكنيست الإسرائيلي «أبراهام بورغ» أن يتدخل لتسوية ديون مالية كبيرة واستحقاقات مترتبة عليها لمصلحة الضرائب في «إسرائيل» مهددة في الوقت ذاته بكشف أسماء سياسية بارزة ولامعة من بينها أسماء لأعضاء في الكنيست كانت قد قدمت لهم خدمات جنسية عن طريق الشبكة التي تديرها، وذلك في حالة عدم مساعدتها في التهرب من الضرائب الباهظة المترتبة عليها لحكومة الكيان الصهيوني؛ وتقول المرأة التي تحاول حالياً ابتزاز شخصيات سياسية وأعضاء في الكنيست من بينهم رئيسه أنها تملك وثائق تثبت تورط أعضاء في الكنيست وشخصيات أخرى بفضائح جنسية عبر شبكة الإنترنت، كما تؤكد المرأة أن بحوزتها أشرطة فيديو وصوراً ووثائق تثبت صحة ادعائها، وتقول المرأة إنها قدمت في السابق خدمات جنسية لأعضاء في الكنيست. [جريدة السبيل الأردنية، العدد: (٣٤٠)]

التهم المكررة

نفذت الصين حكم الإعدام على ستة من أفراد جماعة عرقية تقاتل للحصول على الاستقلال في شمال غرب البلاد، وأعدم الرجال الستة، وجميعهم من أقلية الإيغور المسلمة بعد محاكمة علنية أقيمت في عاصمة إقليم شينجيانغ الصيني الذي تقطنه أغلبية مسلمة. وقالت الصحيفة شينجيانغ الرسمية اليومية إن الرجال الستة أعضاء فيما سمته بمنظمة إسلامية «رجعية»، قالت إنها تستهدف إقامة دولة مستقلة في الإقليم؛ وأضاف تقرير الصحيفة أن المحكمة وجهت إليهم اتهامات بالقتل وإحداث البلبلة في البلاد. وكان أحد الرجال الستة قد اعتقل وبحوزته أربعة أطنان من المواد الكيماوية التي يمكن استخدامها في صناعة متفجرات.

[موقع هيئة الإذاعة البريطانية على الإنترنت ـ http://bccarabic.com].

سلطة تحتاج إلى دعم!!

إثر ضغوط مكثفة مارسها مانحون من جهات عديدة على مدى بضع سنوات، كشف الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات أسراراً مالية مهمة تراوحت بين مدخرات بعشرات الملايين من الدولارات أودعت بصندوق للصرف على الرشاوى والدفع بسخاء لاسترضاء الموظفين، إلى فرض احتكار على صناعة الإسمنت وانتهاءاً بأسهم قيمتها ٦٠ مليون دولار في كازينو يدرُّ من الأرباح ما يفوق الوصف؛ وكانت الجهات المانحة بقيادة الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي قد طالبت في مرات عديدة السلطة الفلسطينية بالكشف عن معاملاتها المالية بما في ذلك الموارد الضريبية المقدرة بعشرات الملايين والتي يتم تحويلها إلى حسابات سرية في البنوك الإسرائيلية ولا يسمح لأحد بالاطلاع على التفاصيل الخاصة بها إلا الرئيس عرفات والمقربين منه في أوساط المستشارين، ويستفاد من التقرير المالي للسلطة الفلسطينية الذي عرض في المقام الأول على مؤتمر للمانحين انعقد في العاصمة البرتغالية لشبونة أن نحو ٥٣٠ مليون دولار لم تدرج بالخزانة الفلسطينية في العام المالي ١٩٩٩م؛ وأعلن وزير التخطيط الفلسطيني نبيل شعث الذي ساهم بإعداد التقرير الأخير أن الرئيس عرفات امتنع لسنوات عديدة عن السماح بنشر أو تداول البيانات والمعلومات الخاصة بالحسابات السرية بحجة أنه يرغب في استثمارها؛ وقال المستشار الاقتصادي بمكتب الممثلية النرويجية في الضفة الغربية تريجر لارس «ما فعلته السلطة شيء إيجابي بكل المقاييس». [جريدة الاتحاد الإماراتية، العدد: (٩١٣١)]

«طوبى» لأبو قريع

أبو قريع هو رئيس البرلمان الفلسطيني والرجل الذي فاوض الصهاينة سراً في أوسلو، أبو قريع يمتلك مصنعاً للباطون وإنتاج مصنعه يذهب بالكامل إلى المستعمرات اليهودية، كشفت عن هذه الفضيحة الصحف الإسرائيلية؛ فقد ذكرت صحيفة إسرائيلية أن رئيس المجلس التشريعي الفلسطيني أحمد قريع يقوم ببيع الباطون الجاهز إلى المقاولين الإسرائيليين العاملين في بناء المستوطنة الجديدة في ـ جبل أبو غنيم ـ في القدس المحتلة. وقالت أسبوعية ـ يروشلايم ـ التي أوردت ذلك في عددها الصادر الجمعة ٢٠٠٠/٧/٧م إن رئيس المجلس التشريعي أبو العلاء شريك في ملكية مصنع لإنتاج الباطون الجاهز ومواد البناء في أبو ديس يزود إنتاجه المقاولين اليهود في مستوطنة ـ هارحوما ـ التي تقوم إسرائيل بتشييدها على أراضي فلسطينية مصادرة في ـ جبل أبو غنيم ـ في الضواحي الجنوبية لمدينة القدس العربية المحتلة؛ وأشارت إلى أن ـ أبو العلاء ـ كان قد انضم قبل ثلاث سنوات كشريك في ملكية مصنع الباطون ومواد البناء العامل في بلدة أبو ديس مسقط رأس رئيس المجلس التشريعي الفلسطيني ومكان إقامته وعائلته الحالي؛ وتستطرد الصحيفة أنها علمت أن مسؤولين كباراً في السلطة الفلسطينية عبروا عن غضبهم إزاء صلة الأعمال القائمة بين المصنع الفلسطيني وشركات البناء الإسرائيلية في مستوطنة ـ أبو غنيم ـ لكن مقربين من ـ أبو العلاء ـ يقولون حسب ما تنسب إليهم الصحيفة ذاتها أن الأمر لا يتعدى كونه مشروعاً وعملاً تجارياً بحتاً؛ ويضيف هؤلاء المقربون في تعقيب لهم أن المستوطنات اليهودية الواقعة خارج الخط الأخضر ـ أي ضمن أراضي الضفة الغربية ـ ستنتقل بطبيعة الحال عاجلاً أم آجلاً إلى السيطرة الفلسطينية، ولذلك فإن بيع مواد البناء للمقاولين اليهود في الأراضي الفلسطينية المحتلة لا يعد مساعدة لـ «إسرائيل» أو مساعدة في بناء المستوطنات في الضفة الغربية، ومن المعروف ـ حسب ما تضيف الصحيفة ـ أن المصنع ذاته في أبو ديس يورد إنتاجه أيضاً لمقاولين إسرائيليين يتولون تنفيذ مشاريع بناء في مستوطنة ـ معاليه أدوميم ـ المقامة في جزء منها على أراضي أبو ديس والعيزرية وفي مستوطنات يهودية أخرى في الضفة الغربية. وتقول الصحيفة إنها لم تتلق لغاية موعد إقفال عددها تعقيباً مباشراً من السيد أحمد قريع على ما تضمنه خبرها . [موقع جريدة (عرب تايمز) على الإنترنت ـ http://www.arabtimes.com]

ولو مات الفقراء!!

أقر مجلس الشيوخ الأمريكي بسهولة مشروع ميزانية للإنفاق العسكري بقيمة ٢٨٨ مليار دولار تتضمن زيادة في الرواتب وتحسين الخدمات الصحية ودعم جهود تجنيد والاحتفاظ بقوات. ويزيد حجم الميزانية بنحو ٣,١ مليار دولار عما كان يسعى إليه الرئيس بيل كلينتون كما يزيد الإنفاق المالي لعام ٢٠٠١م بنحو ٢٠ مليار دولار عن العام الماضي. [جريدة البيان الإماراتية، العدد: (٧٣٠٢)]

نموت.. وتحيا العلمانية!!

في أثناء المرحلة الثانوية كنا في أثناء حصص الرياضة نرتدي الشورت ولم تكن هناك أي مشكلة.. ولكن بدأت تظهر المشاكل حينما بدأت التيارات الرجعية تتوسع شيئاً فشيئاً فارضة نفسها وتريد أن تفرض طابعها الديني وهذا ما لا نقبله؛ إننا دولة علمانية، وأنا فخور بكون تركيا الدولة العلمانية الوحيدة في العالم الإسلامي ولولا العلمانية لما كانت دولة كبيرة. نحن دولة حقوق والجميع بها متساو ولا يمكن أن تحتكر القلة الدين لتطبقه بالطريقة التي تريدها، وأنا مع عدم ارتداء الحجاب في أماكن العمل والجامعات لأنه هنا له مدلول سياسي!! فالدول الأوروبية - واذكر هنا ألمانيا وفرنسا - تمنع وجود الطالبات في مدارسها بالحجاب لأنه ببساطة ضد تقاليدها العلمانية هذه هي الحال في أوروبا فكيف تكون في تركيا؟!

ومن وجهة نظري المشكلة في تركيا أو الدول الإسلامية ليست في الدين وإنما في المؤسسة الدينية؛ فرجالها غير متعلمين، وأذهانهم مقفولة أمام كل شيء، إنني على يقين من أن الإسلام هو الأفضل لحياتنا. ومهمتنا هي الدفاع عنه ضد هؤلاء الذين يريدون الحجر علينا وعلى عقولنا باسم الدين وكأنهم أوصياء علينا نفعل كذا ولا نفعل كذا. إنهم يريدون أن نغلق عقولنا وألا نفكر. إنني أقول وبكل صراحة: لا قدسية لكلام رجال الدين.

[جول سراي، نائبة في البرلمان التركي ومرشحة رئاسة التي تنازلت للرئيس نجدت سيزر، مجلة الأهرام العربي، العدد: (١٧٢)]

وليمة يمنية!!

إذا كان المكفرون في مصر قد كفروا أعشاب البحر فإن المكفرين في اليمن يكفرون براً وبحراً وجواً؛ إذا كان أولئك يكفرون الأحياء فإن هؤلاء يكفرون الموتى. ويطلقون كاتيوشا التكفير على السمك في الماء وعلى النوارس في السماء، وعلى الوعول والغزلان في البر.. يكفرون كل الأعشاب بالأخضر منها واليابس. باستثناء عشب القات؛ لقد راح المكفرون في اليمن يجارون المكفرين المصريين ويبحثون لهم عن وليمة على غرار «وليمة لأعشاب البحر» وكان أن وجدوا ضالتهم في رواية الأديب محمد عبد الولي «صنعاء مدينة مفتوحة» التي فتحت شهية التكفير لديهم؛ وحقيقة فإن «وليمة لأعشاب البحر» وليمة حية ودسمة فالكاتب «حيدر حيدر» حي يعيش واللحم طازج وطري ومشبع بالدسم.. أما وليمة (صنعاء مدينة مفتوحة): فهي وليمة صغيرة وبائسة. لا لحم فيها ولا دم ولا دسم. فصاحب الرواية مات قبل أكثر من ربع قرن بحادث طائرة.. لكن المكفرين هنا قد تحلقوا حول وليمتهم وراحوا يرقصون ويدقون الطبول مثلهم مثل أكلة لحوم الموتى. هكذا ليس المصريون وحدهم يمتلكون سلاح التكفير. نحن أيضاً في اليمن نمتلك مثل هذا السلاح مع الفرق هو أن المكفرين في مصر يشهرون سلاح التكفير ضد التفكير، أما عندنا فيوجد تكفير من غير تفكير.. يوجد مكفرون من دون مفكرين.. لهذا السبب ولأن اليمن يعاني من ندرة المفكرين لجأ المكفرون إلى تكفير الموتى.. وصار شعارهم: أنا أكفِّر إذن أنا موجود؛ إنهم يكفرون ليثبتوا وجودهم، وليؤكدوا بأنهم قوة لها ثقلها في الشارع. وهم إن لم يجدوا شخصاً يستحق التكفير كفر بعضهم بعضاً. وكفروا كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وهم يعتقدون أن كل كاتب - أديب وشاعر - كافر حتى يثبت براءته ويعلن توبته!!

[الكاتب اليمني، عبد الكريم الرازحي، مجلة المجلة، العدد: (١٠٦٧)]

في النهاية.. كلب!!

بيعت الفيلا الفاخرة التي تملكها المغنية مادونا في ميامي بـ ٧,٥ ملايين دولار إلى غونتر الرابع أغنى كلب في العالم؛ وذكرت الصحف المحلية أن الشركة التي تتولى إدارة ثروة الكلب المذكور أنجزت الصفقة وبات في إمكانه الاسترخاء في الفيلا البالغة مساحتها ٧٨٠ متراً مربعاً؛ وقد ورث غونتر الرابع ثروته من والده غونتر الثالث الذي كان عزيزاً جداً على قلب صاحبته الكونتيسة الألمانية الراحلة كارلوتا ليبنشتاين التي تخلت له عن كل ثروتها البالغة ٦٥ مليون دولار قبل وفاتها في ١٩٩٢م، وتبلغ ثروة غونتر اليوم ٢٠٠ مليون دولار.

[جريدة الأنباء، العدد: (٨٦٧٩)]

تعليق على الأحداث

غانديهم وقرآننا!!

نشبت مشكلة قضائية في الهند بسبب عرض للأزياء ظهرت خلاله إحدى العارضات وهي تقدم رداءاً يحمل صورة للمهاتما غاندي، وقد انتقدت محكمة هندية الشركة المنظمة للعرض وقالت: إن هذا الزي الذي حمل على خلفيته صورة المهاتما غاندي كان بمثابة إهانة لسيرة الزعيم الهندي، كما طالبت منظميه ورئيس الشرطة المحلية بالاعتذار رسمياً للأمة. ويعد المهاتما غاندي الأب الروحي للهند كما تتمتع صوره بمكانة خاصة في جميع أنحاء الهند؛ حيث يهب كثيرون للذود عنها في حال تعرضها لأي انتهاك؛ وكان عرض الأزياء الذي تسبب في الجدل قد نظم في مدينة جايبور بشمال الهند وأدى ظهور العارضة خلاله وعلى ظهرها صورة المهاتما لإثارة غضب كثيرين من أتباع عقيدة غاندي الذين اعتبروا الأمر حطاً من كرامته، وطالبوا بتحرك قضائي ضد منظميه، وقد طالب قاضي المحكمة كلاً من الشركة المنظمة وقائد الشرطة في المدينة ـ الذي كان ضمن حضور العرض ـ بالاعتذار للأمة قبل نظر القضية رسمياً.

عندما قرأت هذا الخبر، ورأيت حجم الضجة التي حدثت بسببه في الهند، تذكرت كذلك خبراً آخر نشر صغيراً جداً وجانبياً جداً في بعض صحفنا العربية. يذكر الخبر أن شاباً عربياً وخطيبته دخلا عرضاً للأزياء في إسرائيل، وأنه وجد أثناء العرض أن الخلفية الموسيقية للعرض هي آيات قرآنية تتلى وكان ذلك تحديداً عندما خرجت عارضة أزياء بملابس داخلية فاحشة، وهكذا مر الخبر سريعاً دون اتهام أو دون إثارة، ويبدو أن الأمة تبلدت أحاسيسها حتى مع قرآن ربها، أما الهندوس، فمع زعيمهم يقيمون الدنيا ولا يقعدونها، فيا لخيبة أمة يهان كلام ربها ولا تتحرك!

ما زالت المأساة مستمرة

في واحدة من أهم مآسي المسلمين في العصر الحاضر، لا زالت مشكلة مسلمي بورما في تزايد مستمر، وفي تجاهل مستمر، ولم نعد نسمع من المنظمات الإغاثية شيئاً عن نجدتهم ولا طلب مساعدتهم برغم استمرار المأساة وشدتها على المسلمين هناك، فقد تواصلت الانتهاكات الخطيرة في حق السكان المسلمين من البورميين على يد القوات الحكومية البوذية؛ حيث لا زالوا يحرمون من أبسط حقوقهم من مثل الحرية في الاعتقاد والسفر. فالسفر ممنوع من قرية إلى قرية إلا برخصة من قوات الجيش؛ والتجنيد إجباري للجنسين مما يعني تعرض أعراض المسلمات للانتهاكات والتجاوزات والاعتقال التعسفي والهمجي في حق المسلمين متواصل: إذ يُغار على بيوتهم ليلاً ونهاراً ويُؤخذون إلى المعتقلات من دون توجيه التهم إليهم؛ ويحظر عليهم بناء المساجد والمدارس الدينية إلا برخص يصعب الحصول عليها. وصودرت منهم مزارعهم وأراضيهم وهجروا إلى مناطق وعرة وغير صالحة للزراعة؛ وتتزامن هذه الانتهاكات والتجاوزات مع قيام القوات البنغالية في بنجلاديش بطرد وإعادة الآلاف من المهاجرين البورميين إلى بيوتهم بدعوة أن عقود الإقامة لديهم انتهت، وأن الأمم المتحدة لم تعد تتحمل مسؤولياتها تجاههم، وهذا التهجير الإجباري يعرض هؤلاء المهجرين إلى مخاطر جمة منها تلفيق التهم لهم بأنهم يتعاونون مع المقاتلين البورميين ومدهم بالعون والمدد مما يعرض حياتهم للخطر الحقيقي؛ ومع الأسف فإن المحنة التي يتعرض لها الشعب المسلم في بورما لم تلق إلى اليوم الاهتمام المطلوب من كشف الجرائم البوذية ضد المسلمين في هذه البقعة من العالم وتقديم المساعدات الإنسانية اللازمة لهم.

بين اليهود والهندوس

تتطور العلاقات الهندية الإسرائيلية بشكل لافت في الفترة الأخيرة، ويتركز تمحور هذه العلاقة على اتفاق أكيد على محاربة «الإرهاب الإسلامي» فقد قام وزير الداخلية الهندي «لال كيرشنا ادفاني» ووزير الخارجية «جاسوال

سينج» بزيارات متتابعة لـ «إسرائيل» نتج عنها تشكيل لجان وزارية مشتركة لإقامة سلسلة من النشاطات التعاونية والتدابير التي تتعلق بمواجهة الإرهاب، كما اتفقت الحكومة الهندية مع إحدى المؤسسات الإسرائيلية لشراء آلات حساسة ونصبها حول معسكراتها لحمايتها من الحملات المفاجئة للمجاهدين الكشميريين. والتعاون بين الدولتين البوذية واليهودية قديم ومتجدد ومتطور. إلا أن الذي ينبغي متابعته والانتباه إليه هو تطور هذا الاتفاق وأثره على المسلمين والحركة الجهادية، وكان أبرز هذه التطورات السلبية هو نقل ٥٠٠ يهودي هندي من قبيلة شينلانج التي تقيم قرب الحدود مع بنجلاديش، وقد تم نقلهم بالفعل إلى الكيان الصهيوني وينتظر الآلاف دورهم للحاق بإخوانهم.

النزيف الدامي

ما زالت المآسي تتكرر بصورة مستنسخة، الأولى كالثانية والأخيرة كالتي سبقتها، وما زال المسلمون هم الوقود الأرخص لمحارق الحقد اليهودي أو النصراني أو البوذي، وإن كانت بلاد المسلمين تملك أغلى أسعار الوقود السائل، الخام منه والمكرر، إلا أن ذلك لم يمكنهم من الحفاظ على إخوانهم من أن يكونوا وقوداً حياً لمحارق هنا وهناك.

وفي الجمهورية التي تنهار شيئاً فشيئاً، تظهر إندونيسيا أندلس جديدة، والعجب أن المرء يظن أن أكبر دولة إسلامية من حيث عدد السكان من المفترض أن يكون مسلموها ـ وهم الأغلبية ـ في أمان مثل جميع الأغلبيات، إلا أن الوضع كان مختلفاً تماماً؛ فها هم مسلمو إحدى المناطق الإندونيسية «جزر ملوكو» أو جزر الملوك، أو جزر البهار يلاقون الأهوال على أيدي النصارى هناك، ووصل عدد القتلى عشرات الآلاف في مجازر بشعة.

فبمناسبة الاحتفال بالسنة الجديدة وبميلاد المسيح ـ عليه السلام ـ اجتمع بعاصمة جزر الملوك نحو ٣٠ ألف مسيحي وهم يرفعون الأعلام الخاصة بمنطقتهم والشعارات الداعية إلى الانفصال والمعادية للإسلام والمسلمين وكان منها: «نعم لعيسى [عليه السلام] ولا لمحمد [ﷺ]».

ومن حينها نظموا تظاهرات تطالب بالاستقلال وتطهير جزيرتهم من الغزاة الأجانب ويقصدون بهم المسلمين والبوذيين؛ وقام المتظاهرون المسلحون بالقنابل والبنادق والسيوف والخناجر بالهجوم على بيوت المسلمين ومحلاتهم ومطاردتهم في الشوارع والمرافق العامة، ثم القيام بإطلاق النار عليهم أو بذبحهم بالسيوف والخناجر، ونظموا مجموعات من القناصة فوق الأسطح والبيوت، وتنافسوا فيما بينهم أيهم يصيب الهدف. وكان ضحاياهم على قيد الحياة وكانوا يجهزون عليهم من دون رحمة ولا شفقة؛ وكانت هذه الجماعات المتعصبة تحت قيادة مجموعة من الرهبان والقساوسة التي كانت تلهب المشاعر وتحرضهم على تطهير الأرض من نجس المسلمين.

وتتحدث المصادر الواردة من المنطقة أنه ألقي القبض على أحد أئمة المساجد داخل مسجده وأطلقوا عليه النار فقتلوه، ولما علموا أنه دفن على أيدي المسلمين أخرجوا جثته من القبر وأضرموا فيه النيران.

وقاموا كذلك بتلطيخ المساجد بلحوم الخنازير ودمائها، وكتبوا على جدرانها بدم الخنازير شعارات تطالب بطرد المسلمين وإبادتهم؛ ويصف أحد الناجين من المذابح صورة من المشاهد المروعة فيقول: «تم القبض على جيرانه القرويين وسيقوا نحو المسجد. وكيف انتزع المهاجمون عدداً من الأطفال الرضع وأخذوا يلقون بهم في الهواء، ويستقبلون أجسادهم الغضة على أطراف سيوفهم، ثم انتقوا عشوائياً مجموعة من الأطفال وقيدوهم وشنقوهم واستخدموا أجسادهم المعلقة كأهداف يتدربون عبرها على الرماية بالسهام، أم البالغون، فكانوا يمثلون بهم أحياءاً قبل أن يقتلوهم، وكانوا يقولون للواحد منهم بلهجة ساخرة: «عفواً سامحني، أريد أذنيك، أو أنفك، إلخ، ثم يقطعون أعضاءه ببساطة هكذا»!

وإن كان حكم سوهارتو قد نجح في رفع درجة الفقر في أوساط مسلمي إندونيسيا، فيبدو أن ذلك لم يكن كافياً في السيطرة على المسلمين، فكانت السياسة الجديدة هي القضاء عليهم وفي عهد إمام العلماء المسلمين «وحيد».

[يمكن مراجعة صور من مآسي المسلمين في جزر الملوك بزيارة الموقع الآتي ـ www.gemakhadijah.cjb.net].



نظرات في العقيدة القتالية في الإسلام

محمود سلطان

في كتابه «إشكاليات الفكر العربي المعاصر» يشير الباحث المغربي محمد عابد الجابري، إلى أن «النهضة العربية الأولى التي انطلقت بظهور الإسلام، لتفتح البلدان المجاورة، ولتشيد حضارة عربية إسلامية متميزة، إنما قامت بعد أن استنزفت الحرب الطويلة كلاً من دولة الفرس، ودولة الروم»!! أو لسبب آخر هو ما أسماه الجابري بوجود «ما يشبه الفراغ السياسي في المنطقة»[1]. والجابري إذ يؤكد على ذلك فإنه يرفض أن تكون لمنظومة القيم الإيمانية التي أصلها الإسلام في وجدان القاتلين دوراً في الفتوح الإسلامية.

والجابري ليس استثناءاً؛ إذ إن نفراً من الباحثين العرب العلمانيين يذهبون إلى ما يذهب إليه[2]. ولعلنا نسأل: هل هذه هي الحقيقة الوحيدة في نهضة الماضي كما يزعم المبطلون؟! إنه لمن الثابت أن العقيدة القتالية في الفكر العسكري الإسلامي ترتكز إلى تضافر ما يسمى بـ «الشروط الموضوعية» أي فهم واستيعاب أبعاد الواقع «الجيو ـ سياسي» الذي ستدار المعركة في كنفه مع «الشروط العقائدية»، أي المخزون الإيماني المتجذر في الوجدان الجمعي للأمة، والذي يجعله الإسلام العامل الأكثر حسماً في توجيه مسار الحرب إما نحو النصر، وإما نحو الهزيمة.

ولئن كان الخطاب القرآني يعلي من شأن الشرط الموضوعي: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وكذلك كان النبي ﷺ القائد مؤصلاً لهذا المفهوم على الصعيدين

---

(١) محمد عابد الجابري، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، يونيو ١٩٨٩، ص ٢٤، ٢٥.

(٢) يقول د. عبد المنعم ماجد إنه «لا يوافق بعض المستشرقين في قولهم إن العرب كانوا مدفوعين نحو الفتوح بالحماس الديني، فمن غير المعقول أن يخرج البدوي ـ وهو لا يهتم بالدين ـ لنشر الإسلام» انظر كتابه التاريخ السياسي للدولة العربية، الطبعة الرابعة، الأنجلو المصرية، ١٩٧١م، ص ١٢٦.

السياسي والعسكري حين أبرم عقود البيعة «بيعة العقبة» وعقود الصلح «صلح الحديبية»، وفاوض قادة «غطفان» و«نجد» في غزوة الأحزاب، واختار موقع نزول الجيش يوم «بدر» بعد إعمال أساليب استثمار الخصائص البيئية والجغرافية للموقع عسكرياً، امتثالاً لقوله ﷺ: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة»[1]، بل إن كتب السيرة تذكر أن النبي ﷺ قام بعمليات جمع وتحليل المعلومات عن العدو؛ إذ استجوب ﷺ غلامين من «سقاة قريش» أسرهما نفر من أصحابه كانوا يلتمسون الخبر له عند ماء بدر، ويسجل ابن هشام الاستجواب على النحو الآتي: قال لهما النبي ﷺ: «كم القوم؟» قالا: كثير، قال: «ما عدتهم»؟ قالا: لا ندري، قال: «كم ينحرون كل ليلة؟»، قالا: يوماً تسعاً، ويوماً عشراً»، قال النبي ﷺ: «القوم فيما بين التسع مئة والألف»[2]، ونحو ذلك من الوقائع التي تعكس إعلاء الخطاب السياسي الإسلامي في عهد النبوة من قيمة «الاعتبارات الموضوعية» المؤثرة في حاضر ومستقبل الجماعة المسلمة، ولئن كان الأمر كذلك، فإنه في الوقت نفسه، يرفض الاعتقاد بأنها «المعيار» المطلق، أو «القيمة» المثلى التي يستند إليها في استشراف ما ستؤول إليه الأوضاع بعد أن تضع الحرب أوزارها.

والتراث العسكري الإسلامي يحتفظ لنا بتجربتين تعكسان فساد الرؤية المرتكزة على «الأرقام» والحسابات «العقلية» وحسب في تأطير مقومات النصر من جهة، وأسباب الهزيمة من جهة أخرى: الأولى «يوم بدر»؛ إذ كان المسلمون كما وصفهم القرآن - آنذاك - «أذلة» في إشارة إلى ضعف العدد والعدة والحصار الحديدي الذي فرضته قريش سياسياً وعسكرياً واقتصادياً على المسلمين والمدعوم بحقد وكراهية القبائل الأخرى المنتشرة بطول الجزيرة العربية وعرضها، ومع ذلك كان النصر حليف هذه الفئة المستضعفة: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، والثانية «يوم حنين» إذ كان التفوق العسكري لصالح المسلمين «اثني عشر ألف مقاتل» والمدعوم بصعود معنوي هائل بلغ الذروة إثر فتح مكة وإخضاع «قريش» - القوة

(١) انظر: مرويات غزوة بدر، ص ١٦٤ - ١٦٥.

(٢) راجع ابن هشام، ج ٢، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، ١٩٩٠م، بيروت، ص ٢٥٩، ٢٦٠.

العسكرية الرئيسة في الجزيرة ـ لسلطة الدولة الإسلامية الوليدة، ورغم ذلك لحقت بهم الهزيمة في بادئ الأمر: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

ومن هنا فإن العقل العسكري الإسلامي شديد الخصوصية والتميز عن نظيره المصاغ وفق معايير ونظم مادية إلحادية محضة؛ إذ إن الأول ينزع إلى رفض الانصياع الكامل لسلطة التفوق العسكري بوصفه شرطاً ينفرد وحده في توجيه مسار الحرب؛ إذ إنه يؤمن بأن إلحاق الهزيمة بالعدو ليس مناطاً بالفلسفة الكمية وحدها، ولكنه مناط بربط الأخيرة بهذا الثابت القرآني الخالد: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]. فهو يجمع بين ما هو موضوعي «التوظيف الاستراتيجي للواقع» وما هو إيماني في عقيدته القتالية، وهو ما يفسر انتصاراته الساحقة والمتلاحقة حتى وإن كان يتبوأ موقع «الاستضعاف» وعدوه يتبوأ موقع «التمكين» ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ﴾ [الأنفال: ٢٦]، والتأييد من قبل الله مرهون باستيفاء ما أشار إليه القرآن والسنة المطهرة من شروط، والتي يمكن إجمالها في أن تستقي الحرب مشروعيتها من إعلاء كلمة الله، وإخلاص النية في ذلك، وفق الضوابط الأخلاقية التي أصَّلها الإسلام فيما يمكن تسميته بـ «فقه الحرب».

والتأييد يأتي في شكل قانون من نمط آخر يتعالى على ما هو مألوف في حياة البشر من قوانين يفكك الثابت من النقائض، ويعكس ما تشير إليه من دلالات وهي على حالها، معلناً أكذوبة عبادة «القوة» أو عبادة «الآلة» العسكرية أو أنها تكفل وحدها إحراز النصر: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ [الأنفال: ٤٤].

ولذلك كان المفكر الفرنسي «روجيه جارودي» وقبل أن يشهر إسلامه شديد الوعي بهذه التجربة العسكرية ـ الإيمانية الفريدة؛ إذ نجده يقول: «إن انتشار الإسلام لا يشابهه أي انتشار سبقه أو أتى بعده، من غزوات كانت يقوم بها بدو آسيا، وكذلك من احتلال قام به الأوروبيون لغزو البلاد الضعيفة بالمدفع والبندقية والرشاش، فلم تكن الجزيرة العربية آهلة بالسكان، ولم يمتلك العرب مثل ما كان في

بلاد فارس أو بيزنطة من الأسلحة والتقنيات العسكرية؛ فالإمبراطورية الإسلامية إذاً لم تقم على مبدأ القوة الذي يمنحها تفوقاً عسكرياً ساحقاً، ولا يمكن فضلاً على ذلك تطبيق أي من النظريات ذات المنحى الماركسي الضيق والموجز التي تحاول أن تبحث عن سبب التاريخ وثوراته وتحولاته قياساً على التقنيات والعلاقات الاقتصادية وصراعات الطبقات التي تنشأ عنها»(١).

ثم يقر جارودي بما سبق أن أشرنا إليه حين يقول: «إن هذا التوسع الإسلامي السريع، والذي أدى غداة وفاة النبي ﷺ خلال اثني عشر عاماً - من عام ٦٣٣ ميلادية حتى عام ٦٤٥ ميلادية - إلى تثبيت تفوق المسلمين في فلسطين وسوريا وما بين النهرين ومصر، وهو انتشار لم يستطع إيقافه إلا العوائق الطبيعية فقط كسلاسل الجبال في آسيا الوسطى وفي إيران الشرقية وصحارى سيرتيابيك والنوبة. إن سبب هذا الانتشار السريع يرجع إلى أسباب داخلية مرتبطة بجوهر الإسلام نفسه ولا يمكن تفسيره بأسباب خارجية أو حتى بضعف أو تفكك الإمبراطوريات المهزومة مثل الرومانية في الشرق، والفارسية وقبائل القوط الجنوبية في آسيا الوسطى ولا حتى لأسباب عسكرية فقط»(٢).

ومن ثم فإن محاولات «مركسة» التاريخ الإسلامي (التفسير الطبقي للفتوح) أو علمنته «تهميش الدور الطليعي للدين في نهضة الماضي» إنما ينطلق عن وعي يفتقر إلى الحس التاريخي الناضج القادر على سبر غور الحقائق التاريخية أنها رؤى تتخذ من «الظاهر» فقط مادتها التحليلية. وصدق الله - تعالى - حيث يقول: ﴿يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ [الروم: ٧].

---

(١) روجيه جارودي، الإسلام دين المستقبل، ترجمة عبد المجيد بارودي، دار الإيمان للطباعة والنشر، بيروت، دمشق، ب. ت، ص ٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٠، ٤١.

بين طب الأدلة وفقه الأدلة

د. أيمن بن أسعد عبده

في السنوات العشر الماضية، حدث تطور كبير وهام في طريقة التفكير الطبي وحل المشكلات الطبية. ويتمثل هذا التطور في التحول التدريجي من الطب المبني على الخبرة والتجربة إلى الطب المبني على الأدلة والنتائج المستخلصة من البحث العلمي.

وقد بدأ هذا المنهج الجديد في الانتشار نتيجة لإدراك بعض العلماء والأطباء أن كثيراً مما كان يعتقد أنه ثوابت طبية وحقائق علمية لا تقبل الجدل هي في الحقيقة افتراضات متوارثة لم تثبت بالدليل العلمي القوي، ولم تخضع للأبحاث العلمية المقننة. وبناءاً على ذلك تم إخضاع كثير من المسلَّمات في الموروث الطبي إلى هذه المقاييس، فثبت بعضها، وتبين خطأ بعضها الآخر. وبعد ذلك لم يعد يقبل من أحد أي ادعاء دون أن يكون مدعماً بالدراسات القوية المؤيدة لصحته؛ فتكون قوة الادعاء وضعفه مرتبطة بقوة الأدلة المصاحبة وضعفها.

وصار هذا المنهج هو حديث الوسط الطبي الأكاديمي، وصارت المهارات اللازمة لممارسة هذا النوع من التفكير الطبي جزءاً أساسياً في التعليم الطبي لطلاب كليات الطب الغربية والأطباء المتدربين.

وأحسب أن لانتشار هذا النوع من التفكير أسباباً عديدة لعل من أهمها انسجامه مع المنهج التجريبي الاستقرائي الذي سيطر على الفكر الغربي بشكل عام، والذي يُخضع كل شيء للبرهان المنطقي أو العلمي.

وكلما تأملت هذا النوع من الطب ودرسته ومارسته وجدته امتداداً للتفكير العلمي الإسلامي الذي وُضعت أصوله، ومورس في شتى مجالات العلوم الشرعية منذ أكثر من عشرة قرون. يبدو ذلك جلياً في مناهج الأصوليين والفقهاء وعلماء المصطلح وغير ذلك من العلوم الشرعية. وفي هذه المقالة أسجل على عجل بعض النقاط الهامة التي تبين التشابه بين الفكر الطبي المبني على الأدلة وبين الفقه الإسلامي؛ وذلك عن طريق استعراض بعض القواعد الأساسية في طب الأدلة التي تستخدم الآن في التفكير الطبي الحديث، ومن ثم مقارنتها على عجل ببعض ما تقرر عند العلماء المسلمين الأوائل من القواعد الشرعية وأصول الاستدلال.

أولاً: كل قول يردُ على صاحبه ما لم يكن مدعماً بالدليل العلمي:

هذا هو الأساس الذي بني عليه طب الأدلة؛ حيث إن أي رأي أو دعوى علمية لا تمثل سوى رأي شخصي فحسب ما لم تكن مدعومة ومؤيدة بالدليل العلمي. ومن الطريف أنه في السابق كانت عوامل

أخرى مثل طول الخبرة والسن والجنسية تمثل العوامل المحددة لقبول الأقوال والآراء، فكان الاستشاري الأكبر سناً أو الأقدم خبرة يفتي في كل مرض، فيقنن ويصنف ويصحح ويخطئ، ولا يستطيع أحد مناقشته أو الرد عليه، ويعد قوله في نفسه دليلاً. أما الآن فإن أصغر الجالسين سناً وأقلهم خبرة بوسعه أن يطلب بأدب - أو بغير أدب - من هذا الطبيب دليلاً علمياً يؤيد قوله ويناقشه في دليله بشكل علمي موضوعي، فإن لم يكن للقول دليل يستند إليه رد على صاحبه كائناً من كان. كما أن بوسع طالب الطب الصغير أن يرد كلام الأكبر منه خبرة وسناً إذا توصل إلى دراسة أو بحث علمي قوي يؤيد قوله.

وفي العلم الشرعي - وبخاصة في علم الفقه - فإن التشريع لا يكون إلا بالدليل الشرعي من الكتاب أو السنة أو الإجماع. قال الله - تعالى -: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]. فكل قول في دين الله - تعالى - ينظر في دليله، فمتى ما وجد الدليل وصح أخذ بالقول وإلا اعتبر رأياً لا يمثل الشرع بالضرورة، وأما إذا خالف القول الدليل رد على صاحبه ولم يقبل. إن هذه القاعدة من أهم القواعد المعرفية في الدين الإسلامي.

ثانياً: عند التعارض بين الأقوال تقدر قوة القول على حسب قوة دليله:

فإذا تقرر أن كل قول يستمد شرعيته من دليله، فإنه يستمد قوته وضعفه من دليله. وقوة الدليل تتعلق بعناصر أساسية منها:

١ - نوع الدليل:

قسَّم علماء طب الأدلة الأدلة الطبية إلى مراتب ومستويات بحسب قوتها الدلالية، فاعتبروا أقوى الأدلة هي الدراسات المبنية على العينات العشوائية المعماة، تليها غير المعماة، ثم الدراسات الاستقرائية المستقبلية، ثم الرجعية، ثم الدراسات الوصفية. فعند تعارض الأقوال وتناقضها ينظر في أدلة كل قول، ويكون التفاضل بين الأقوال بحسب نوع الدليل المصاحب لها. ولقد تقرر في الفقه الإسلامي أن أقوى الأدلة هي الأدلة من القرآن الكريم الذي يقدم المحكَم فيه على المتشابه، وأدلة السنة الصحيحة، وفيها يقدم القول على الفعل، والقول على الإقرار، ثم الإجماع وتعتمد قوته على عصره ومن حكاه، ثم بالقياس، وعند التعارض تتفاضل الأدلة بهذه المقاييس الدقيقة.

٢ - صحة الدليل:

لا بد حتى يمكن الاستشهاد بالدليل من التأكد من مصداقيته وصحته. فلا بد من استيفاء الدراسة الطبية للشروط الأساسية للبحث العلمي، فوضعوا لكل نوع من الدراسات السابقة عناصر أساسية وعناصر ثانوية لا بد من استيفائها لقبول الدراسة. ويكون هذا عاملاً مهماً في قوة الدليل وضعفه. وبالمثل فإن صحة الدليل في الفقه الإسلامي شرط أساس لقبول الدليل. ولما كان القرآن محفوظاً بحفظ الله - عز وجل - وضع علماء المصطلح القواعد والضوابط التي تقاس بها صحة الأحاديث والمرويات عن الصحابة. وتمثل هذه النقطة سبباً مهماً لاختلاف الأقوال بين العلماء سواء في الطب أو الفقه؛ فعلى الرغم من الضوابط العلمية التي تحكم صحة الدراسات الطبية فإنها لا تزال تخضع لمدارس علمية مختلفة، وتعتمد على تمرس الناقد وخبرته في التعامل مع الدراسات الطبية. وكذلك الحال بالنسبة للفتاوى الشرعية؛ حيث يعتبر الاختلاف في ثبوت الدليل وصحته أحد أهم أسباب الاختلافات الفقهية.

٣ - مصدر الدليل:

هذه النقطة متعلقة بما سبق؛ فالدراسات

المنشورة في مجلات علمية معروفة يكون لها أفضلية على الأبحاث المنشورة في مجالات مغمورة، وكذلك إذا كان مصدر الدراسة مجموعة من الباحثين المعروفين في المجال ولهم باع طويل فيه، كان ذلك أدعى إلى قبول الدراسة بعد استيفاء شروط الصحة.

والقول في الفقه مرتبط أيضاً بمصدره؛ فالحديث في صحيح البخاري مثلاً يقدم على حديث معارض له عند الديلمي مثلاً، والفتوى الصادرة من أحد الأئمة الأربعة مثلاً ليست كالصادرة عمن دونهم وهكذا.

ثالثاً: تعتمد النتائج المستخلصة من الدليل على فهمه:

بعد أن تأكدنا من وجود الدراسة المؤيدة للقول، وكذلك من سلامة بناء الدراسة وقوة نوعها، صارت هذه الدراسة صالحة للاستدلال. وننتقل للخطوة التالية وهي فهم الدراسة لاستنباط النتيجة. ولهذه النقطة عناصر كثيرة أهمها:

١ - دقة الدليل في الدلالة على موقع الاستشهاد:

لا بد من التأكد من أن الدراسة المستخدمة دليل تدور حول نفس النقطة التي يستشهد لها بالدراسة. فلا بد أن تكون في نفس المرض، وتكون قد أجريت على مرضى مشابهين جداً للمريض المراد علاجه. وهذه النقطة هامة كذلك في الاستدلال الفقهي: إذ لا بد من التأكد من أن دلالة الدليل هي في نفس النقطة مناط البحث، وكلما كان الدليل أقرب وأكثر صراحة في الدلالة على المراد كلما كان الاستشهاد به أقوى.

٢ - قوة دلالة الدليل:

أهم العوامل المؤثرة في فهم الدليل وتطبيقه هو قوة دلالة الدليل: فالنتائج الرقمية للدراسة، وقوة نتائجها، تكسبها قوة أكبر، فلو ثبت أن علاجاً مًا فعال بنسبة ٩٠٪ فإنه يقدم على العلاج الذي فعاليته ٥٠٪ وهكذا. كما أن الدقة الإحصائية لهذا الأثر عامل آخر مهم في التأكد من مصداقية النتائج. وفي الفقه يهتم بالدلالات اللفظية للدليل لاستخلاص الأحكام الشرعية، وبحسب قوة الدلالات تكون قوة الأحكام المستخلصة. فالأصل في الأمر مثلاً أنه يقتضي الوجوب عند انتفاء الموانع، والمعاصي التي اقترن النهي عنها بالوعيد الشديد أو اللعن عدها العلماء من الكبائر، وكثير من الأحكام تتفاضل في فضلها بحسب تفاوت ثوابها وهكذا.

٣ - انتفاء موانع التعميم:

في هذه النقطة ينظر في عينة الدراسة، من حيث السن واللون والجنس والنشأة وغير ذلك للتأكد من أن هذه العينة المدروسة تمثل مجتمع المرضى المراد تطبيق نتائج الدراسة عليهم. فلا يمكن لنتائج دراسة أجريت على الأطفال أن تطبق على الكبار إلا أن يكون المرض لا يختلف بحسب العمر. وفي الفقه لا بد من التأكد من أن النص المستخدم تدخل ضمنه الحالة المراد استخلاص الحكم فيها، فلا تكون هناك قرينة توجب التخصيص، أو علة متعلقة بالحكم ينتفي بانتفائها.

٤ - استخلاص النتائج وتطبيقها:

بعد أن ثبتت لنا صحة الدليل وقوته، وبعد أن فهمناه فهماً صحيحاً، لا بد من أن نستخلص من هذا الدليل نتيجة نهائية على الحالة التي أمامنا أو المشكلة العلمية المراد حلها. ولهذه الخطوة الهامة مراحل أهمها:

أ - مقارنة الدليل بالأدلة الأخرى: عادة ما يكون في المشكلة الواحدة أكثر من دراسة واحدة، تتفاوت في صحتها وقوتها ومصدرها ونتائجها، ولذلك فقبل

التسرع في استخدام نتائج أي دراسة لا بد من مقارنتها مع الدراسات الأخرى ومعرفة موقعها الدقيق بينها، وهذا مقرر بشكل واضح في الفقه الإسلامي؛ حيث قرر العلماء وجوب محاولة الجمع بين الأدلة وعدم ضرب بعضها ببعض وذلك وفق ضوابط أصولية معروفة عند العلماء.

ب - معرفة الواقع المراد تطبيق الحالة عليه: ذكرنا في نقطة فهم الدليل ضرورة التأكد من مطابقة الدليل للواقعة المراد الاستشهاد بها، فينبني على هذا ضرورة فهم الحالة أو المشكلة المراد علاجها. ولذلك لا بد من التأكد من أن مواصفات المريض المراد علاجه وحالته داخلة ضمن العينة التي تمت دراستها في البحث، فإذا كانت الحالة مختلفة قليلاً فإنَّا ننظر إن كان الاختلاف بين الحالة وعينة البحث اختلافاً هاماً يؤثر على النتائج فلا نأخذ بالدراسة، أم أنه اختلاف في أمر فرعي لا يؤثر على النتائج فنأخذ بالدراسة. وفي الفقه تعتبر هذه النقطة عنصراً هاماً في معرفة الأحكام وإنزالها على الواقع أو ما يعبر عنه بعض الأصوليين بتحقيق المناط.

ج - معرفة النتائج العلمية الإيجابية والسلبية من التطبيق: قبل أن نصف الدواء لا بد من معرفة ملاءمة الدواء لهذا المريض بالذات والتأكد من خلوه من الموانع التي قد تجعله لا يستفيد من العلاج أو ربما يتضرر منه مثل أن تكون لديه أمراض أخرى أو أن يكون يستخدم أدوية أخرى وهكذا، ولهذا فقد يعالج المرض نفسه بأدوية مختلفة في مرضى مختلفين، بل قد يعالج المريض نفسه بأدوية مختلفة في مراحل متعددة من مرضه، وقد يعدل عن الدواء الأكثر فعالية إلى دواء أقل فعالية لوجود عوامل معينة مثل عدم تحمله للأعراض الجانبية. وفي الفقه تقدر في كل أمر المصالح والمفاسد، وتدرس الموانع الشرعية التي قد تؤثر على تطبيق الحكم مثل الضرورة والحاجة. بل قد يُفتى في المسألة الواحدة بفتاوى مختلفة لاختلاف حال السائل، فيُفتى أحدهم بالرخصة والآخر بالعزيمة مثلاً. كما قرر الأصوليون أن الفتيا تتغير بتغير المكان والزمان في المسائل الاجتهادية.

د - الاستئناس بالخبراء والمختصين في فهم الدليل وتطبيقه: وهذا من العناصر المهمة؛ فإن الأفهام قد تختلف حتى على الواضحات؛ ذلك أن أهل التخصص لهم خبرة طويلة في التعامل مع الأدلة في هذا الفرع، فيعرفون مظانها وطرق الاستنباط منها، ثم إنهم قد قاموا بعلاج آلاف الحالات المشابهة وصار لهم إلمام كبير بالواقع الحقيقي للمرض. ولذلك فإنهم يجتمعون بشكل دوري ليتدارسوا كل الأبحاث والدراسات في مشكلة معينة، ويخرجوا بتوصيات تعتبر أداة هامة يستخدمها الأطباء الأقل خبرة. وفي الفقه يكون دور علماء الفقه عظيماً في الجمع بين الأقوال والترجيح بين المذاهب وبيان الأقوال التي وافقت الدليل والأقوال التي أخطأته. كما تمثل المجامع الفقهية الحديثة والمؤتمرات الإسلامية المتخصصة وسيلة هامة جداً في التوصل إلى الأرجح والأولى بالاتباع.

هذه هي أبرز الخطوات التي ينص عليها علماء طب الأدلة في طريقة استخدام الدراسات العلمية وتطبيقها على الحالات الطبية مع أبرز أوجه الشبه بينها وبين الخطوات الأساسية في فهم النصوص الشرعية وتطبيقها في الواقع عند الفقهاء المسلمين. وقد تبدو بعض هذه النقاط بديهية في حس بعض لتمرسهم عليها، ولكن الذي يعايش الهالة العلمية والإعلامية المصاحبة لهذه الطريقة في التفكير الطبي يظن أن الأمر كشف جديد وعلم توضع أسسه الآن فقط.

ولا شك أن هناك اختلافات هامة كذلك بين المدرستين لا مجال هنا للتفصيل فيها ومن أهمها أن النصوص الشرعية هي وحي منزل من عند الله العليم بعباده، ولذا فهي الحق الذي لا يأتيه الباطل بخلاف الدراسات التجريبية التي لا تعدو أن تكون تجارب علمية قابلة للصواب والخطأ. ومن ثم فينبغي مراعاة الفوارق بين المدرستين كما ينبغي الاستفادة من تلك القواسم المشتركة.

وفي ختام هذه المقارنة العاجلة يمكننا الخروج ببعض الفوائد الدعوية التي تفرض نفسها:

١ - إذا كان أصحاب كل علم وفن يحاولون جادين ربط تخصصهم بالقواعد العلمية الثابتة فإن الدعاة إلى الله - تعالى - من باب أولى من واجبهم ربط دعوتهم بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة. وفي هذا العصر تكون حاجتنا أعظم لأن نربط الناس بالأدلة الشرعية ونقدم لهم الأحكام بأدلتها. كما ينبغي تعويد الناس على طلب الدليل وإزالة حواجز الرهبة والجهل بينهم وبينه ضمن الأطر الشرعية. ومن جانب آخر لا بد من الاستفادة من الأبحاث العلمية والدراسات الإحصائية في الجانب العملي للدعوة إلى الله حتى نتمكن من قياس النتائج بشكل رقمي يساعد كثيراً في التخطيط للبرامج الدعوية واختيار الأساليب الأكثر فاعلية بناءً على دراسات إحصائية دقيقة بدلا عن الآراء المجردة التي تفتقد في الغالب إلى النظرة الشاملة والتجرد المطلوب.

٢ - بعد ربط الناس بالدليل لا بد من الاستمرار في تأصيل طرق الاستنباط، وتيسير علم أصول الفقه للناس، وتقديمه إليهم بطريقة أكثر عصرية وجاذبية، ومحاولة إزالة حواجز الغموض والتعقيد بينهم وبين هذا العلم الهام. وكم في الساحة الدعوية من الطوام التي نتجت عن سوء فهم للنصوص أو الاعتماد على نص واحد دون نظرة شمولية لمجموع الأدلة.

٣ - تتفاوت مراتب الناس من حيث التعامل مع الأدلة والنصوص الشرعية بحسب مستوياتهم العلمية والعقلية، فكما وضع علماء طب الأدلة خططاً مرحلية يتدرج من خلالها المتدرب في التعامل مع الأدلة فإن الأمر مشابه جداً في التدرج في الأدلة الشرعية. فطالب الطب مثلاً مطالب فقط بمعرفة الحقائق الطبية العامة ومعرفة ما كان مؤيداً بالدليل مما كان مجرد فرضيات لم تثبت بعد مع تعويده على طلب الدليل والعناية به. فإذا تخرج وانخرط في برامج الزمالة التدريبية فإنه مطالب بمعرفة الدراسات المؤيدة للحقائق العلمية، ثم إذا تخصص فإنه مطالب إذ ذاك بمعرفة كل الدراسات العلمية في مجال تخصصه والمقارنة بينها ومعرفة نقاط القوة والضعف في كل منها ومجالات تطبيقها. وبالمثل فإن على العلماء والدعاة تعليم الناس الحقائق الشرعية المؤيدة بالدليل القوي وتعليمهم الدليل بقدر الإمكان، مع التركيز على أهمية الدليل والعناية بدراسته، ثم يترك التفصيل في الأدلة والأقوال للدعاة وطلاب الكليات الشرعية، وأما العلماء فإن عليهم في تخصصاتهم التبحر في الأدلة والمقارنة بينها.

٤ - أهل كل علم أعلم بمصادر الأدلة المعتمدة عندهم في فنهم؛ فلا بد أن يترك ذلك لهم ويحترم رأيهم في ذلك. فكما أن الأخبار الصحفية الخفيفة لا تعتبر مرجعاً علمياً للأطباء، ولا يقبل منك الطبيب رفض دوائه المؤيد ببحث رصين من أجل قصاصة من جريدة أو من أجل كلام الجيران فإن العالم الشرعي كذلك مؤتمن على الأدلة التي يقدمها ولا يجوز معارضة أدلته القوية بكلام فلان من الجاهلين أو المتعالمين.

٥ - لا بد من احترام التخصص؛ فكما أن الأمور الطبية التفصيلية لا بد أن تترك للأطباء فإن

العلوم الشرعية والفتيا لا بد من أن تُحال إلى العلماء وطلبة العلم. والعجب أن أكثر الناس تجرؤاً على القول بالرأي في الأمور الطبية هم العوام الذين قل عقلهم وعلمهم، وأما العقلاء من الناس فإنهم عادة ما يرجعون الأمر إلى أهله من الأطباء، وأما العلوم الشرعية فكأنها مشاع يضرب فيها كل أحد بما يشاء سواء من العوام والمتعالمين، مع أنها أعظم العلوم قدراً عند الله، وأكثر العلوم تأثيراً في حياة الناس، ولكن حمزة لا بواكي له!

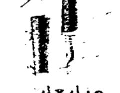
٦ - لا بد كذلك من احترام التخصص الدقيق؛ فإن المعرفة الطبية قد اتسعت اتساعاً عظيماً ولم يعد بوسع أحد أن يحيط بكل دقائق العلم. فإذا آلمك ضرسك فإن المتصور أنك تذهب إلى طبيب الأسنان وليس إلى طبيب الأطفال! وكذلك في العلوم الشرعية؛ فإن التخصص الدقيق مطلوب بل هو واقع فرض نفسه. فلا ينبغي لمن أعجب بخطبة خطيب جمعة أن يستفتي الخطيب في دقائق المعاملات الاقتصادية إلا أن يعلم أنه مؤهل وهكذا؛ لأن العالم أو الداعية قد يكون إماماً مجتهداً في فرع من العلم مقلداً في الآخر، ولا يضيره ذلك، بل ينبغي أن يزيد من ثقة الناس به. وكذلك يستحسن طلب الفتيا من العالم الموجود في المجتمع ذاته الذي تقع فيه المسألة لاطلاعه على الأحوال ومعرفته مواقع الحال.

٧ - لو نظرنا إلى الاختلاف الكبير بين علماء الطب، ومناقشاتهم الحامية التي لا تهدأ والناتجة عن الكم الهائل من الأبحاث العلمية التي تزج بها المطبعات على الرفوف لرأينا أن هذا الاختلاف في معظمه مبني على ما بينا بعضه فيما مضى من المعرفة بالبحث وصحته وقوته وكيفية فهمه وطريقة تطبيقه. وإن هذه الأسباب في الغالب هي نفس الأسباب التي تؤدي إلى الخلاف الفقهي بين العلماء الشرعيين، فلماذا يعتبر الخلاف الطبي أمراً مقبولاً ونقاشاً علمياً بينما يعتبر الخلاف الفقهي المنضبط تفريقاً للأمة وضيقاً في الأفق؟ ولماذا تتعالى الأصوات المتشنجة منادية بضرورة توحيد آراء الفقهاء على قول واحد وأطر الناس عليه أطراً بينما تتخافت هذه الأصوات عن الدعوة إلى التوحيد لآراء الأطباء على تشخيص واحد وعلاج واحد؟

وبالمقابل، فكما أن الخلاف المذموم بين الأطباء وإعطاء بعضهم آراء مناقضة تماماً لآراء الأطباء الآخرين، كما أن ذلك يقلل من ثقة الناس بالأطباء عموماً ويصرف الناس عنهم؛ فإن الخلاف بين الفقهاء إذا خرج عن أطره العلمية وضوابطه الشرعية فإنه يقلل من ثقة الناس بالعلماء ويصرفهم عنهم.

٨ - كلما ازداد عالم الطب تبحراً في الأبحاث الطبية والأدلة العلمية كلما كان - في العادة - أكثر تواضعاً وأقل تشنجاً لرأيه بل قد يطلب من المريض أخذ رأي طبيب آخر؛ فإن الأمر مماثل بالنسبة للعلماء الربانيين المتبحرين في العلوم الشرعية؛ فإنهم أوسع الناس بالخلاف صدراً وأقلهم تعصباً.

إن أمتنا الإسلامية تمتلك كنزاً معرفياً ثميناً لا تملكه أمة أخرى، وتحتضن تراثاً علمياً ضخماً، وإذا كان الغربيون اليوم يتشدقون بالمنهج التجريبي وبأصول البحث العلمي واستنباط الحقائق فإن أصول ذلك كله موجودة في إرثنا الثقافي، وإن كانوا قد تعاموا عن الدلائل الواضحة على التأثير الكبير الذي تركه الفكر الإسلامي على الفكر الغربي الحديث؛ فإن من واجبنا أن ننفض نحن الغبار عن الحقائق، ونرفع الرأس عالياً، ونستل الهمم من أغماد الذل والتبعية، فنقدم للبشرية هذه الأسس بصياغة إسلامية متوضئة متطلعة إلى السماء، موضوعية في بنائها، جذابة في عرضها. وإن ذلك لمهمة ما زالت كسيفة تنتظر فارس الأحلام!







تعقيب على مقال أحداث نيجيريا

إبراهيم محمد نتعالى

لقد قرأت في مجلتكم في عددها المائة والخمسين (١٥٠)، ص ١٢٢ مقالة بعنوان: (الأحداث الأخيرة في نيجيريا الخلفيات والحقائق) بقلم بلال عبد الله. وهي مقالة رائعة في عمومها وجديرة بالنشر في مضمونها؛ حيث احتوت على كثير من المعلومات الصادقة عن نيجيريا بدءاً بتاريخ خروج المستعمرين منها وانتهاءاً بما قام به النصارى الحاقدون قبيل حج هذا العام من شغب عنيف في مدينة كدونا حرسها الله.

بيد أن مقدمة المقالة تحتوي على أخطاء تاريخية فادحة وخصوصاً فيما يتعلق بحديث الكاتب عن كبريات قبائل نيجيريا، ولهذا أردت التنبيه إلى هذه الأخطاء وتصحيحها؛ لكي تكتمل فائدة المقالة، فأقول وبالله التوفيق:

قوله: «والنيجيريون عدة قبائل هي...» ثم ذكر خمس قبائل فقط وهذا خطأ؛ لأن قبائل نيجيريا تربو على ثلاثمائة قبيلة لكل منها لغة مستقلة، علماً بأن بعض هذه القبائل صغير جداً؛ حيث لا يتجاوز أفرادها خمسين ألفاً أو يزيد بقليل. بيد أن القبائل الرئيسة تتمثل في خمس قبائل وهي:

هوسا، ويوربا، وإيبو، وفُولْبي (فلاتة)، وكانوري. وتتمركز قبيلة هوسا في شمال البلاد، ويوربا في الجنوب الغربي من البلاد، وإيبو في الجنوب الشرقي، وفولبي في شمال البلاد ويوجد لها أفراد من الرُحَّل أصحاب المواشي في جميع مناطق البلاد. وأما قبيلة كانوري فتتمركز في شمال البلاد وخصوصاً في الشمال الشرقي.

قوله: «الإيبو في الشرق وهم بالنسبة لليوربا متخلفون» أقول: إطلاقه (الإيبو في الشرق) خطأ وإنما هم في الجنوب الشرقي. وقوله: (وهم بالنسبة لليوربا متخلفون) وهذا خطأ أيضاً؛ لأن إيبو لا يوصفون بالتخلف مقارنة مع يوربا من النواحي الحياتية: الاجتماعية والاقتصادية والمهارات المهنية والسياسية، بل وحتى من الناحية التعليمية والثقافة الغربية، رغم كل ما ذاقوه من مرارة الهزيمة في الحرب الأهلية، بل لو قال قائل عكس المذكور لكان أقرب إلى الصواب.

قوله: (وأسلم لله الإيبو، لكن لم يجدوا من يعلمهم الدين الصحيح سوى الصوفية من القادرية والتيجانية) أقول - والحق يقال -: إن قبيلة إيبو إلى الآن - وللأسف الشديد - لم يعتنق الإسلام منها سوى نزر يسير، وليس من الصواب أن يقال: إن هذا النزر إنما دخل الإسلام على أيدي المتصوفة، بل يمكن القول: إن معظم من اعتنق الإسلام منها إنما اعتنقه على أيدي غيرهم من السلفيين وجمهور المسلمين.

وقوله: (والهوسا وأكثرهم في الشمال وهم ليسوا جنساً قائماً بذاته إنما هو اصطلاح لغوي يطلق على الشعوب التي تتكلم لغة الهوسا. وكانوا وثنيين قبل أن يتحولوا إلى الإسلام على يد الفولانيين. وهم عدة إمارات يحكمها ملك أو أمير يعاونه بعض الوزراء. وهم يعملون بالتجارة لكنهم متأخرون. وتنتشر بينهم الصوفية التي ترى إبقاء التصوف سائداً بينهم لتضمن انقيادهم لها).

قوله: (وهم ليسوا جنساً قائماً بذاته إنما هو اصطلاح لغوي يطلق على الشعوب التي تتكلم لغة الهوسا) أقول: هذا كلام يجانبه الصواب؛ فإن قبيلة هوسا قبيلة معروفة قائمة بذاتها متماسكة الأطراف ذات لهجات متقاربة جداً بخلاف غيرها من القبائل المذكورة كقبيلة يوربا. وفولبي (فلاتة) فإن بعض لهجات هاتين القبيلتين غير مفهومة عند بعض أفرادهما لشدة تباينها. وأظن أن الذي يحمل بعض من لم يعرف عن قبيلة هوسا سوى التيسير على هذه الدعاوى هو كون لغة هوسا هي اللغة المهيمنة في شمال نيجيريا، بل وفي معظم مناطق نيجيريا رغم ما يشاهد من بعض المقاومة من هنا وهناك في بعض الولايات. وكذلك هيمنتها في جمهورية النيجر وفي مناطق شاسعة في كثير من دول غرب إفريقيا ووسطها؛ ذلك لأنها لغة سهلة جداً تشبه في سهولتها اللغة السواحلية المنتشرة في شرق إفريقيا وبخاصة في جمهورية تنزانيا، وكينيا، ويوغندا.

وقوله: (كانوا وثنيين قبل أن يتحولوا إلى الإسلام على يد الفلانيين) لا أدري ما مراد الكاتب بذلك؟ وهل أراد أنهم كانوا وثنيين قبل مئات السنين ثم اعتنقوا الإسلام فيما بعد، أو أنهم لم يعتنقوا الإسلام إلا في وقت متأخر كغيرهم من بعض الشعوب المجاورة؟ فإن أراد الأول فذلك صحيح، وإن أراد الثاني فقد جانب الحق؛ لأن قبيلة هوسا كانت قد قبلت الإسلام منذ مئات السنين ولها إمارات عديدة مشهورة يقودها أمراء مسلمون هوساويون، وقد كان بين هؤلاء الأمراء وخصوصاً أمير (كانو) وأمير (كستنا) وبين بعض العلماء الأجلاء في العالم الإسلامي كالشيخ العلامة جلال الدين السيوطي والشيخ العلامة المغيلي مراسلات. ومن المعروف أن العلاَّمة السيوطي توفي سنة ٩١١هـ.

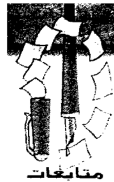
وقوله: (قبل أن يتحولوا إلى الإسلام على يد الفلانيين) أقول: إن هذا الإطلاق ليس بجيد، صحيح أن قبيلة هوسا استفادوا من بعض علماء فولبي (فلاتة) لكن لا يقال إنهم أسلموا على يد فلاتة. والصحيح أن يقال إن الإسلام دخل بلاد هوسا من جهتين رئيستين: الجهة الشرقية على يد كانوري قادة دولة بورنو. والجهة الشمالية على يد الونغريين (بمبرا) وفولبي (فلاتة) والذين جاؤوهم من بلاد مالي وما جاورها. وأظن أن سبب هذه المغالطات من بعض من ليس له إلمام كاف بتاريخ المنطقة هو ظنهم أن قبيلة هوسا إنما أسلمت على يد الشيخ العلاَّمة المجدد عثمان بن فودي إبان جهاده ضد الخرافات والخزعبلات والبدع المنتشرة في بلاد هوسا، ولم يعرفوا أن جهاد الشيخ عثمان بن فودي متأخر جداً عن دخول الإسلام في بلاد هوسا.

وقوله في قبيلة هوسا: (وتنتشر بينهم الصوفية) أقول إن هذا القول ليس بشيء؛ لأن انتشار الصوفية - للأسف الشديد - ليس حكراً ولا قصراً على أوساط قبيلة هوسا وبلادهم، وإنما هو ظاهرة عمت بها البلوى في معظم الدول الإسلامية، ولك أن تنظر إلى بلاد مصر ودول المغرب العربي.

قوله: (الكانوري: في الشمال وهي قبائل متمسكة بدينها ولها طلاب يدرسون في الأزهر وهم خليط من العرب والحاميين والزنوج، ومن أشهر قادتهم الداعية الإسلامي المعروف: عثمان بن فودي). قوله: (ولها طلاب يدرسون في الأزهر) أقول هذا الوصف لا تتميز به قبيلة كانوري عن غيرها من معظم القبائل المذكورة وعليه فلا فائدة في ذكره.

قوله: (ومن أشهر قادتهم الداعية الإسلامي المعروف: عثمان بن فودي) أقول: لست أدري كيف حصل هذا الغلط الفاحش من الكاتب؟ فإن الداعية المصلح عثمان بن فودي من قبيلة فولبي (فلاتة) وليس من قبيلة كانوري، بل إن جهاده ضد الخزعبلات قد هدد دولة كانوري بالزوال حيث انتزع منها أطرافاً شاسعة.

وقوله: (والفلاني وهم أصلاً من صعيد مصر وفدوا لتلك المناطق وحكموا مملكة تكرور) قوله: (وهم أصلاً من صعيد مصر) أقول قد سئمنا من مثل هذه الدعاوى: أن فلاتة من صعيد مصر أو فارس (إيران وما جاورها) وأن يوربا وكانوري من اليمن، وأن هوسا من القرن الإفريقي (إثيوبيا وما جاورها) وكأن البشر لا يقام لهم وزن إلا إذا اتصلت أصولهم بهذه المناطق المذكورة!



تعقيب على فتوى التوسل بالأنبياء والصالحين

بدر بن علي بن طامي العتيبي

اطَّلعت على فتوى لجماعة ممن ينتسب إلى العلم حول مسألة التوسل بالأنبياء والصالحين(*)، فلما قرأتها رأيت فيها المخالفة الصريحة لمذهب أهل السنة والتوحيد المستند إلى القرآن والسنة وكلام الصحابة وأئمة الدين، وقد علقت عليها على عجالة ببعض الوقفات التي توضح لطلاب الحق بطلان هذه الفتوى، فأقول مستعيناً بالله:

الوقفة الأولى: اعلم - أرشدك الله إلى الحق - أن مسألة التوسل بذوات المخلوقين من المسائل التي حصل فيها الخلاف مؤخراً بين أهل العلم، على أن مذهب السلف المتقدمين في القرون المفضلة هو عدم فعل ذلك، ولم ينقل عن واحد منهم أنه توسل بذات نبي ولا رجل صالح من سائر الناس، بل المنقول عنهم هو خلاف ذلك كما قال الإمام أبو حنيفة فيما نقل القدوري عنه أنه قال: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، وأكره أن يقول: «بمعاقد العز من عرشك» أو يقول: «بحق خلقك».

وما وجد عن بعض السلف من لفظ التوسل فالمراد به عند التحقيق هو التوسل بدعائهم كما سيأتي بيانه قريباً إن شاء الله.

الوقفة الثانية: التنبيه على أن كثيراً من أهل الجهل والهوى يخلط بين معنى التوسل والاستغاثة، ويسمي طلب جلب الخير ودفع الشر من الأولياء والصالحين توسلاً، ويغالطون أنفسهم ويقولون: نحن لا ندعوهم وإنما نتوسل إلى الله بهم، وصريح دعائهم أنهم ينادونهم ويستغيثون بهم

(*) نشرتها مجلة (الإصلاح) في الإمارات، في العدد الصادر في ٢١ جمادى الأولى ١٤٢٠هـ.

ويقولون: يا فلان! أغثني، يا بدوي! المدد، أنا في حسب الله وحسبك، يا فلان! ردّ غائبي.

وهذا كله نداء واستغاثة ولا ينطبق عليه مسمّى التوسل لا لغة ولا عرفاً مستقيماً، وتمويههم بأن ما فعلوه توسل هو من جنس تمويه مشركي قريش الذين يدعون اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى؛ فهم يقولون كما حكى الله عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] وهم في الحقيقة قد أشركوهم مع الله في جلب الخير ودفع الشر بل في الخلق والرزق وشؤون الربوبية!! ولهذا نبّه المحققون من العلماء على التفريق بين معنى التوسل ومعنى الاستغاثة؛ فالوسيلة هي أداة للوصول إلى المقصود، أمّا الاستغاثة فهي طلب الحاجة مباشرة من المنشود، ولهذا فإن الاستغاثة بالمخلوق عند أهل التحقيق من الشرك الأكبر المخرج من الملّة، وهو دين أبي جهل وأبي لهب، أمّا التوسل بذوات المخلوقين فهو من البدع المنكرة.

الوقفة الثالثة: قولهم في الفتوى المشار إليها آنفاً: «نعم يجوز التوسل إلى الله ـ تعالى ـ بالأنبياء والصالحين، وهو مشروع».

وفي هذا الإطلاق من المفتين نظر، وكان من تمام الأمانة الإشارة إلى وقوع الخلاف ولو بشيء يسير؛ وخاصة أن في كلام السائل ما يستدعي ذكر هذا الخلاف، وهو قوله: «ولا غبار عليه»، فكان من المتحتم عليهم تصحيح هذا الرأي عنده بأن المسألة مقام خلاف لا اتفاق، على أن الصواب عندنا أن الخلاف فيها محدثٌ منهم، والأصل عدم شرعية هذا النوع من الدعاء كما سيأتي إيضاحه أكثر.

الوقفة الرابعة: قولهم: «وهو مشروع لقوله ـ تعالى ـ في سورة الإسراء: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧] الوسيلة: القربة. وقيل: الدرجة، وقوله: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ معناه: ينظرون أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به» انتهى!!!

فأقول: تفسير الوسيلة بالقربة والدرجة والزلفى هو ما عليه أهل التفسير كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] الآية، ولكن ليس المراد به ما ذكروه هنا من أن المراد به التوسل بذات المخلوقين أو حتى جاههم، وإنّما معنى الآية عند أهل التفسير قاطبة: أن الله ـ تعالى ـ لـمّا عاب على المشركين في الآية التي قبلها آلهتهم عندما قال: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً﴾ [الإسراء: ٥٦] وبين فيهم القصور عن درجة الألوهية أبان لهم نقصاً آخر في آلهتهم لا يستحقون به أن يُعبدوا من دون الله، وهو أنهم ـ أي الذين تعبدونهم من دون الله ـ فقراء إلى الله يسعون إليه بالقرب والدرجات والأعمال الصالحة أيهم ينال القرب

منه بالعمل الصالح. وهم يرجون رحمة الله ويخافون عذابه؛ فمن كان مفتقراً إلى غيره راجياً رحمته خائفاً من عذابه لا يستحق أن يُعبد من دون الله.

هذا الذي عليه أهل التفسير قاطبة في معنى هذه الآية كما ذكره الطبري في تفسيره (٨/٩٥) والقرطبي كذلك (١٠/١٨١)، وابن كثير (٥/٨٦)، والسيوطي (٥/٣٠٦)، والشوكاني (٣/٢٣٧)، وغيرهم، ولم ينقل عنهم خلاف في هذه الآية إلا في سبب نزولها، وأصح ما روي في ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود أنها نزلت في أناس كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم أولئك النفر، وبقي الإنس على عبادتهم من دون الله، وقيل في سبب نزولها أقوال أخرى، والمقصود أن الآية ليس فيها دليل على طلب الوسيلة من المخلوق. أمّا قولهم في معنى قوله ـ سبحانه ـ: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ أي: ينظرون أيهم أقرب إلى الله منزلة فيتوسلون به؛ فهذا من أعجب العجب بل ومن أبطل الباطل، ولو كان المراد بذلك ما قالوه لكان معنى الآية: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ بزيادة (من)، وأهل التأويل على خلاف ذلك، قال القرطبي (١٠/١٨١): (يبتغون يطلبون من الله الزلفة والقربة، يتضرعون إلى الله ـ تعالى ـ في طلب الجنة، وهي الوسيلة، أعلمهم الله ـ تعالى ـ أن المعبودين يبتغون القربة إلى ربهم). المقصود أن الآية صريحة لمن حمى الله قلبه من علائق الجهل والهوى، وأن المراد ما سبق بيانه من أن آلهتهم التي يعبدونها من دون الله تطلب الوسيلة بالأعمال الصالحة إلى الله للقرب منه.

الوقفة الخامسة: استدلالهم بحديث الأعمى عن عثمان بن حنيف ـ رضي الله عنه ـ والحديث صححه الترمذي وقال: حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو غير الخطمي وصححه الطبراني والحاكم ووافقه الذهبي.

ولي في هذا الكلام نظرتان: في الدليل، وفي الاستدلال:

النظرة الأولى في الدليل: أن هذا الحديث عند النظر والتحقيق يتبيّن للخبير بالعلل أنه معلول لا يثبت، وإن صححه من صححه؛ وذلك للاضطراب في إسناده على وجوه عدّة ليس هذا مقام ذكرها الآن، وقد أشار إلى بعض ذلك الحافظ الإمام النسائي في عمل اليوم والليلة (ص ٢٠٤، ٢٠٥)، ويضاف إلى ذلك الاضطراب في بعض ألفاظ متنه؛ فتارة يذكر قوله: (يا محمد) وتارة لا يذكرها، وتارة يقول فيه: «اللهم فشفعه فيّ وشفعني فيه» وتارة: «وشفعني في نفسي» وتارة يزاد فيه قوله: «وإن كانت لك حاجة فافعل مثل ذلك» وتارة لا تذكر. وزيادة على ذلك انفراد راويه به وهو أبو جعفر وليس هو الخطمي عمير بن يزيد بل هو رجل آخر كما قال الترمذي، ويتبيّن ذلك لمن جمع طرق الحديث كما أوضحت ذلك في غير هذا المقام.

أما النظرة الثانية وهي في الاستدلال: فعلى

فرض صحة هذا الحديث فليس فيه دليل على أنه توسل إلى الله بذات النبي ﷺ ولا بقربه وجاهه عند ربه، والكلام عن معناه بجوابين:

الجواب الأول: أن هذا توسل بدعاء النبي ﷺ للأعمى، لقول الأعمى في أول الحديث: (يا رسول الله! ادعُ الله أن يشافيني)، فعلّمه النبي ﷺ هذا الدعاء، ودعا له بدليل قوله في آخر الحديث: (فشفعه فيَّ) أي اقبل شفاعته فيَّ، والتوسل بدعاء النبي ﷺ جائز، بل وبدعاء كل رجل صالح كما هو حال الصحابة في الاستسقاء ومن أحس بمرض يأتي إلى الرسول ﷺ فيقول: (يا رسول الله! ادع الله أن يسقينا أو أن يشافيني)، وهذا خاص بحياته كما سيأتي قريباً في الكلام على استسقاء عمر - رضي الله عنه - بالعباس عمّ رسول الله ﷺ.

والجواب الثاني: أن هذه قضية عين لا عموم لها، خاصة بالأعمى؛ ولو كان شفاؤه بمجرد هذا الدعاء لتعلّمه عميان الصحابة والتابعين وما أغفلوه، ولما كان من بينهم عميان، فعلم بذلك خصوصية هذا الأعمى بذلك الدعاء؛ إذ إنه جاء إلى النبي ﷺ فأظهر الله على يده تلك المعجزة، ولهذا ذكروا هذا الحديث في أحاديث دلائل النبوة.

الوقفة السادسة: قولهم: (ولا فرق في ذلك بين حياتهم ومماتهم؛ ذلك لأن التوسل في الحقيقة ليس بذواتهم المجردة وإنما هو بما لهم من منزلة ومكانة وجاه عند الله وهو باقٍ في الحياة وبعد الممات).

أقول: قولهم بعدم الفرق بين الحياة والممات في ذلك؛ لأن التوسل إنما هو بمنزلتهم لا بمجرد ذواتهم قولٌ لا يستند إلى دليل بيّن؛ بل الواقع خلافه؛ فمَنْ من الصحابة أو من التابعين توسّل إلى الله بجاه النبي ﷺ أو أحد من الصالحين؟ ثم ما السبيل لإثبات أن فلاناً - من غير الأنبياء - له جاه عند الله، حتى لو كان ظاهره السلامة والاستقامة؟ ولو أطلقنا له ذلك لحكمنا له بالجنة؛ وهذا لا يقول به سنيٌّ، بل حتى النبي ﷺ على رفعة قدره عند ربه وعلو جاهه لا يعتبر ذلك كافياً في تحقيق توسل الداعي به؛ فقد أخبر - عليه الصلاة والسلام - في حديث الشفاعة الطويل أن الناس يستشفعون به عند الله وهو المقام المحمود، ومع ذلك لم يتم لهم الأمر بمجرد ذلك حتى يذهب ﷺ إلى العرش ويسجد تحته ويدعو الله لهم.

إذن فمجرد التوسل بالذات أو بالجاه لا يعتبر كافياً في تحقيق المطلوب، والله أعلم.

الوقفة السابعة: قولهم: (أيضاً لعموم الآية السابقة وغيرها كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] وكلٌّ من المجيء والاستغفار واقع في سياق الشرط يدل على العموم كما هي القاعدة الأصولية لا نعلم في ذلك خلافاً).

أقول: هذه الآية عند أهل العلم خاصة

بالمنافقين في عهد النبي ﷺ ؛ إذ إن الله - سبحانه وتعالى - أخبر أن أولئك المنافقين لو أنهم جاؤوا إلى الرسول ﷺ وأعلنوا توبتهم لوجدوا الله تواباً رحيماً، وهذا خاص بحياته ﷺ.

أما ذكرهم للقاعدة الأصولية تلك وهي : (أن الفعل في سياق الشرط يفيد العموم)، فتفخيم وتضخيم وتلبيس على المستفتي؛ فليس في الكلام شرط ولا للشرط له فيه رائحة، والآية صريحة في المعنى لمن أعطاها أقل تدبر، بل لم يشترط الله عليهم المجي إلى النبي ﷺ لكي يستغفر لهم ﷺ.

الوقفة الثامنة: قولهم : (ومما يؤيد ذلك الحديث المتقدم - يعنون حديث عثمان بن حنيف - فإن النبي ﷺ علَّم الضرير الدعاء ولم يقيِّده بزمن أو يخصصه بأحد ؛ وهذا ما صرحت به رواية ابن أبي خيثمة الصحيحة أن النبي ﷺ لما علَّم الضرير المذكور قال له : «وإن كانت لك حاجة فافعل مثل ذلك» فهذا تصريح من المعصوم ﷺ بالتوسل في سائر الأحوال».

أقول : ولي في هذا الكلام نظرات :

النظرة الأولى : كون النبي ﷺ فهِّم أن حديث الأعمى عامٌّ له ولغيره، وأنه لم يخصص بوقت ولا بشخص، وهذا باطل شرعاً وقدراً كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - فلا هم موافقون لشرع الله، ولا ما يقولونه مطابق لخلق الله. قال شيخ الإسلام في رسالته المصرية في التوسل، وقد ذكرها في كتابه (التوسل والوسيلة، ص ٢٥٩) : والفرق ثابت شرعاً وقدراً بين من دعا له النبي ﷺ وبين من لم يدع له، ولا يجوز أن يجعل أحدهما كالآخر، وهذا الأعمى شفع له النبي ﷺ، فلهذا قال في دعائه : «اللهم فشفعه فيَّ» ثم إنهم بعد موته إنما كانوا يتوسلون بغيره بدلاً عنه؛ فلو كان التوسل به حياً وميتاً سواء، والمتوسل به الذي دعا له الرسول ﷺ، كمن لم يدع له الرسول لم يعدلوا عن التوسل به، وهو أفضل الخلق وأكرمهم على ربه، وأقربهم إليه وسيلة، إلى أن يتوسلوا بغيره ممن ليس مثله، وكذلك لو كل أعمى توسل به ولم يدع له الرسول ﷺ بمنزلة ذلك الأعمى لكان عميان الصحابة أو بعضهم يفعلون مثل ما فعل الأعمى فعدولهم عن هذا إلى هذا مع أنهم السابقون الأولون المهاجرون والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان؛ فإنهم أعلم منا بالله ورسوله وبحقوق الله ورسوله، وبما يشرع من الدعاء وينفع، وما لم يشرع ولا ينفع».

والنظرة الثانية : قولهم : «وهذا ما صرحت به رواية ابن أبي خيثمة... إلخ»، ويجاب عن كلامهم بجوابين :

الأول: أن هذه الزيادة مما تفرد بها مسلم ابن إبراهيم عن حماد بن سلمة، وقد رواها جماعة من الحفاظ بغير هذه الزيادة، ولعلها وَهْمٌ من حماد بن سلمة - يرحمه الله - فإنه على جلالته وشرفه في العلم، إلا أن له بعض الوهم في بعض الحديث، ولهذا لم يخرِّج له البخاري

في صحيحه، ولم يحتج به مسلم وإنما يذكره متابعةً، وقد تقدم أن الحديث غير ثابت عند التحقيق، ولو قلنا بثبوته لصارت هذه الزيادة شاذة، والله أعلم.

والجواب الثاني: أنه على فرض صحة هذه الزيادة؛ فالكلام خاص بهذا الأعمى في حياة النبي ﷺ؛ إذ قال له: «فإن كانت لك حاجة فافعل مثل ذلك»، ولم يقل: «ومن كانت له حاجة فليفعل مثل ذلك»، والمراد بقوله: «فافعل مثل ذلك» أي: صلِّ ركعتين وتوسل إلى الله بهذا الدعاء لقبول شفاعتي فيك.

النظرة الثالثة: قولهم: «فهذا تصريح من المعصوم ﷺ بالتوسل في سائر الأحوال» أقول: يقول النبي ﷺ: «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوآ مقعده من النار»، ومن الكذب على رسول الله ﷺ حمل كلامه على غير محمله ومراده، وكان يسع الإنسان السكوت: ﴿**آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ**﴾ [**يونس**: ٥٩]، فأين التصريح من الرسول - عليه الصلاة والسلام - بالتوسل به أو بغيره من الصالحين؟ وانظر كيف أطلقوا التوسل وقالوا: «فهذا تصريح.. بالتوسل في سائر الأحوال»، ولم يقيدوه بالنبي ﷺ، لكي لا ينتقض عليهم مذهبهم في التوسل ببقية الأولياء والصالحين الأحياء والميتين؛ فأين الصحابة عن هذا الدعاء لو صحَّ ثبوته أو معناه الذي يقولون: هل غفلوه في أمراضهم وحروبهم وخلافاتهم ونوائب الدنيا ومصائبها؟!

الوقفة التاسعة: قولهم: «وهذا ما فهمه الحفاظ والمحدثون: فإنهم فيما اطلعنا عليه من مصنفاتهم الحديثية والفقهية يوردون هذه القصة تحت باب الدعوات والأذكار غالباً».

أقول: وصنيعهم ذلك لا يكون حجة لوجهين:

الأول: أن من ذكره ممن صنَّف لم يشترط ذكر الصحيح في كتابه، ولهذا لم يخرجه أحد ممن ألف في الصحاح كالبخاري ومسلم وابن حبان وابن خزيمة حتى النسائي على تشدده لم يخرجه في السنن، وإنما أخرجه في عمل اليوم والليلة ولم يشترط فيه الصحة، وإخراج الحاكم له لا يعتبر حجة في صحته؛ إذ إن الحاكم مفرط في التساهل ولا يعتبر أهل العلم بتصحيحه؛ ففي كتابه الضعيف والموضوع مع اشتراطه الصحة؛ والمقصود أن نقل الحفاظ للحديث في مصنفاتهم لا يدلّ على العمل به، وإنما هو من باب الرواية وجمع الحديث على الرواة والأبواب.

الثاني: أنهم عندما أخرجوه لم يقل واحد منهم إنه عامٌّ في كل وقت، ولو قيل ذلك لم يقل أحد إنه دليل على التوسل بكل أحد؛ وبينهم وبين إثبات ذلك خرط القتاد!!

الوقفة العاشرة: قولهم: (وأمَّا الأدلة من الآثار فهي كثيرة أيضاً منها: توسل عمر بن الخطاب بالعباس - رضي الله عنهما - كما في صحيح البخاري، وقد قال ابن حجر في الفتح بعد هذه القصة ما نصّه: «يستفاد من قصة العباس استحباب الاستنفاع بأهل الصلاح

والخير وبيت النبوة»).

أقول: استدلالهم بأثر عمر بن الخطاب هذا حجة عليهم لا لهم؛ فعمر لم يتوسل بالنبي ﷺ بعد مماته كما يقولون، ولو كان متقرراً عند الصحابة جوازه لما عدل عمر عن التوسل بالنبي ﷺ إلى التوسل بالعباس رضي الله عنه، وعمر صنع هذا بمحضر من الصحابة من المهاجرين والأنصار ولو جاز التوسل بالنبي ﷺ لنبهوا عمر إلى ذلك، ومراد عمر بالتوسل بالعباس أي بدعائه فيقوم العباس ويدعو لهم لفضله، كما كان الصحابة يتوسلون بالنبي ﷺ في نزول المطر، حين يقدم عليه أحدهم ويقول: يا رسول الله! ادع الله أن يسقينا، فيدعو لهم فيمطَرون، كما ثبت ذلك في الصحيح.

وقد حصل لمعاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - عندما استسقى بيزيد بن الأسود الجرشي فقال: «اللهم إنا نستشفع أو نتوسل بخيارنا، يا يزيد! ارفع يديك، فرفع يديه ودعا، ودعا الناس حتى سقوا» روى هذه القصة غير واحد، وانظر تاريخ أبي زرعة وطبقات ابن سعد وتاريخ الفسوي.

وعلى هذا ينزل عبارة العلماء في كتبهم من قولهم: «يستحب أن يستسقى بأهل الصلاح والفضل»؛ لأن الناس مفتقرون إلى الإجابة في ذلك الموقف، فيقدمون أصلحهم فيدعو لهم رجاء الإجابة.

الوقفة الحادية عشرة: نقلهم من تاريخ الخطيب (١/١٢٠) قصة أبي علي الخلأل وما قاله: «ما همّني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر - الكاظم - فتوسلت به إلا سهّل الله لي ما أحب»، وهكذا ما ذكر من قول إبراهيم الحربي: قبر معروفٍ الترياقُ المجرّب».

أقول: كل ما نقلوه حيلة للضعيف، وكلها قصص خرافية باطلة صحت عن أصحابها أم لم تصح، مخالفة للكتاب والسنة وسيرة الموحدين الأبرار؛ ففي قصة الخلأل الأولى غلو في أصحاب القبور، وما هلكت الأمم من قبلنا إلا بالغلو في الصالحين وقبورهم، كما ثبت في الحديث، وقوم نوح عندما عبدوا وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً، كانوا يغلون في قبورهم حتى صارت أوثاناً تُعبد من دون الله كما ثبت عن ابن عباس في الصحيح، واللات التي عبدها مشركو قريش كان رجلاً يلتّ السويق للحجاج، فمات فعكفوا على قبره فعبدوه كما روى ذلك ابن جرير بسنده في تفسيره، وقد نهى النبي ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد؛ ومن اتخاذها مساجد تحرّي الدعاء عندها والصلاة، كما نهى عن شد الرحال إلى القبور كما جاء من النهي عن شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة، وإنكار أبي هريرة على الرجل شدّه للرحل إلى الطور على شرف ذلك الموقع واستدلاله عليه بهذا الحديث.

المقصود أن ما حصل من هؤلاء مخالف

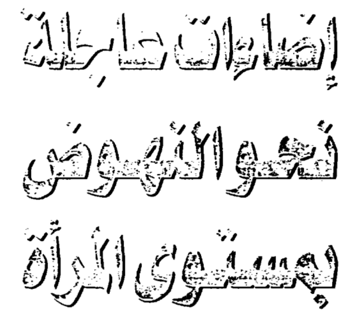
للكتاب والسنة من أكثر من وجه، ومن قلدهم في ذلك وضرب بسنة النبي ﷺ عرض الحائط، فليرتقب ما في قوله - تعالى - : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣]، وقال: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

الوقفة الثانية عشرة: نقلهم بعض كلام أهل العلم في ذلك، كالنووي وابن حجر ممن يذهبون إلى ما ذهبوا إليه، وإن كان نقلهم ذلك احتجاجاً منهم علينا؛ فعندنا من الرجال من قد منع ذلك كما تقدم نقله عن أبي حنيفة، وكما قال العز بن عبد السلام وهو من أئمة الشافعية: (لا يجوز أن يتوسل إلى الله بأحد من خلقه، إلا برسول الله ﷺ إن صحَّ الحديث)، وهكذا ابن تيمية وابن القيم وجماعة من السلف صرَّحوا بذلك، ولكن ليس هذا مسلكنا عند الخلاف أن نحتج بأقوال الرجال؛ لأن كلامهم عندنا يستأنس به ولا يؤخذ حجة، والرد عند حصول النزاع لا يكون إلا إلى الله وإلى رسوله ﷺ، كما قال - تعالى - : ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء: ٥٩]، قال أهل العلم كمجاهد وغيره: الرد إلى الله: أي إلى كتابه، والرد إلى رسوله: أي إليه حياً وإلى سنته ميتاً.

وعلى هذا كان من مسلك المسلم الناصح لنفسه عند وقوع الخلاف النظر إلى أدلة الشرع، ثم الاستئناس بعدها بقول كل أحد، أمّا أن يخالف في مسألة مَّا محتجاً علينا بقول فلان وفلان فهذا من أبطل الباطل، بل هو من جنس دين اليهود والنصارى الذين: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] يحلّون لهم ما حرم الله، ويحرمون لهم ما أحل الله، وهم يقلدونهم ويتبعونهم. وبعض العلماء حكيت عنهم مسائل خالفوا فيها السنة الصحيحة الصريحة، بل ربما صريح القرآن؛ ومع ذلك لا يعتمد على قولهم مع بقاء قدرهم؛ لأنهم بين الأجر والأجرين، ولو كانوا من الصحابة كما قال ابن عباس في مسألة خولف فيها وقالوا أبو بكر وعمر، فقال: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول لكم: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟ وقال الإمام مالك: كلٌّ يؤخذ من قوله ويُردّ إلا صاحب هذا القبر - وأشار إلى قبر النبي ﷺ.

أصلح الله شأن الجميع، وهداهم إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة والتمسك بما فيهما، والعناية بالتوحيد علماً وتطبيقاً، والحذر من الشرك قولاً وعملاً واعتقاداً، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.





فاطمة بنت محمد السليمان

إن القلب يذوب حسرة، ويتفطر ألماً على واقع المرأة المسلمة وكيف أنها تسير وفق مخططات الأعداء، تُلدَغُ من الجحر نفسه مرة بعد مرة، لا تروعها التجارب، ولا تعتبر بغيرها، تراها تسير بنفس خطوات أختها التي ذاقت مرارة الحرية المزعومة حينما عصت الله ورسوله، وتخلت عن عبودية ربها.

تسير في طريقها، وهي تسمع صيحات الغيورين، وتحذيرات العلماء متبعة هوى نفسها كأنما على بصرها غشاوة. وقد أدرك الأعداء أهمية دور المرأة، وكيف أن كأساً وغانية تفعل في أمة محمد ما لا يفعله سيف ومدفع، كما جاء في بروتوكولات حكماء صهيون؛ ولذلك فقد جلبوا للمرأة قضية تحتاج إلى دفاع، ونصبوا أنفسهم مدافعين عنها مع أن قضية المرأة لا يكابر في الحق فيها إلا ذو هوى كما يذكر الدكتور مصطفى السباعي - رحمه الله - فهذا إما مراهق لا يفكر إلا في أهوائه الجنسية، أو كاتب يرى في إرضاء غرور المرأة ودغدغة عواطف المراهقين والمراهقات طريقاً إلى رواج كتاباته، وطاغية يتقرب للغرب بأنه متجدد غير متعصب.

وما زادنا هذا التذبذب عزة
ولكن حصدنا دونه الشوك والعنا

أقول إن الناظر في هذا الواقع المرّ لا يملك إلا أن يطلق زفرة وهو يقول:

تكتلت قوة الدنيا بأجمعها
في طعنة مزقت صدري وما فيه

لكن البكاء والعويل لا يجدي، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن الحزن: «بأنه إن أفضى إلى ضعف القلب، واشتغاله به عمّا أمر الله ورسوله به كان مذموماً عليه من تلك الجهة».

بل إن الواجب هو العمل حسب الوسع والطاقة وفق خطط منظمة مدروسة يحاسب المسلم

فيها نفسه: ماذا قدم، وماذا تحقق من الأهداف؟ ليكون ذلك دافعاً له إلى تقديم المزيد، أو إعادة النظر في خططه ووسائله، ونحو ذلك.

وقد حاولت أن أطرح بعض الأفكار للعمل للنهوض بمستوى المرأة المسلمة ومن ثَمَّ بمستوى الأمة:

أولاً: احتواء الشباب الصالح، والفتيات الصالحات ممن نجد عند كثير منهم استعداداً للعمل والعطاء لكنه يريد من يوجهه، ويأخذ بيده، وذلك عن طريق الدورات العلمية، واللقاءات الدورية، وهذه نقطة مهمة إذا أُعملت سدت كثيراً من الثغور إذا ما أعطى كلٌّ في مجال تخصصه، وإذا أُهملت أهدَرت كثيراً من الطاقات الفاعلة.

ثانياً: نشر العلم الشرعي الصحيح بين الفتيات والشباب خاصة؛ فإن أهل الضلالة في هذه الأوقات الحرجة يدعون إلى باطلهم مصبوغاً بصبغة الشرع؛ فكم قرأنا في الصحف لمن ينادي بتغيير هيئة الحجاب الشرعي الذي تلبسه المرأة في بلادنا؛ لأنه لم ينزل من السماء بهيئته تلك، وماذا يحصل للحجاب لو أن العباءة وضعت على الكتف؟! لأنهم يعلمون أنهم لو قالوا للمرأة المسلمة: انزعي حجابك لقالت لهم: تباً لكم ولا كرامة. ولكن بهذه الخطوات الشيطانية تسايرهم المرأة، وهي مرتاحة الضمير.

وكم قرأنا في الصحف والمجلات عمن ينادي بضبط تعدد الزوجات بضوابط معينة كالراتب المالي، وغيره مما لم يُنزل الله به من سلطان ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣]، ويذكرون في دعوتهم تلك روح الشريعة، وضوابط الشريعة جهلاً منهم، أو مخادعة وهو الغالب؛ لأنهم لو راموا حكم الشريعة لسألوا علماء الشرع. وكم قرأنا في الصحف عن الدعوة إلى تحديد النسل، وسلطة الرجل، وتسلطه، ووجوب نزع الولاية من يده، وأن المرأة الآن أصبحت ذات مال خاص يحق لها التصرف والخروج بدون إذن الرجل أو الرجوع إليه وتصوير المرأة مظلومة مضطهدة في مجتمعنا... إلخ.

وهم في طرحهم هذا يحاولون دغدغة مشاعر المرأة، والضرب على الوتر الحساس.

أقول: إن المرأة المسلمة إذا قرأت مثل ذلك مما هو موافق لهوى نفسها مصبوغاً بصبغة الشرع أخذته على علاته، وهي وإن لم تفعله إلا أن نفسها تتشربه من حيث شعرت أو لا تشعر،

فيه).

كما أنه لا بد من الوعي بأن الأعداء أذكى من أن يدعوا إلى ما يريدون بأنفسهم، بل إنهم ينصبون لذلك نساءاً ورجالاً من ذوي الفكر، بل ومن ذوي الدين من بني جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا؛ ليكون لكلامهم وقع في النفوس على كثير من فتيات المسلمين وشبابهم الذين هم في الغالب سليمو الصدر ناقصو الوعي، وتوعيتهم بعداء اليهود والنصارى لنا بصور من عصرنا الحاضر الذي ينادون فيه بالسلام وتوحيد الأديان، ويكون نشر ذلك الوعي بالذهاب إلى أماكن تواجد الشباب والفتيات سواء أكان عن طريق الدروس والمحاضرات أو عن طريق الكتابة في الصحف والمجلات والنشرات والإنترنت، أو عن طريق الحديث عن ذلك في المجالس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

رابعاً: مشاركة الناصحين والناصحات في شغل أوقات الشباب والفتيات بما يعود عليهم بالنفع في الدنيا والآخرة خاصة أنه قد كثرت منافذ الشر التي تشغل أوقاتهم ما شاؤوا من ساعات الليل والنهار من القنوات الفضائية والإنترنت والتي تثير غرائزهم وتشعل شهواتهم، والقلب إذا امتلأ بالشهوة عمي العقل، وانتهكت

" إن الواجب هو العمل حسب الوسع والطاقة وفق خطط منظمة مدروسة "

وانعكس ذلك على تربية النشء في الأمد البعيد، كما هو ظاهر الآن.

لذلك يجب إثارة المسائل نفسها التي تثيرها الصحف وذلك بالرد عليها بردود علمية مؤصلة بالأدلة في الصحف نفسها التي وجدت فيها هذه المقالات إن أمكن، أو في غيرها من وسائل الإعلام الممكنة.

ثالثاً: نشر الوعي بين الفتيات والشباب بمخططات الأعداء، والاعتبار بحال المرأة المسلمة في كثير من البلاد الإسلامية، وما جنت على نفسها وعلى مجتمعها من ويلات، وبدأت ترجع إلى حجابها، وتجدد عهدها بربها.

ويكون نشر الوعي عن طريق توضيح وسائل الأعداء، وضرب الصور والأمثلة من الواقع.

وكما قيل: (عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه، ومن لا يعرف الشر يوشك أن يقع

الحرمات لسد هذه الشهوات التي لا تجد لها في الغالب منفذاً مباحاً، وسد هذه المنافذ غير ممكن في الغالب؛ لذلك لا بد من احتواء هؤلاء الشباب والفتيات وترشيدهم، وإيجاد البدائل الممكنة بمشاركة كل ناصح وناصحة بأفكاره، وتفعيل المناسب منها.

وينبغي أن يكون بذل هؤلاء الناصحين والناصحات خالصاً لوجه الله - تعالى - لتظهر بركته، فيُقدم فيها كلٌ واحد منهم في فكره وعمله المصلحة على حظ نفسه، مذكراً نفسه بين حين وآخر بهدفه الذي يسعى لتحصيله.

خامساً: توعية الآباء والأمهات بضرورة تربية النشء على العقيدة الصحيحة والفقه في الدين، وتذكيرهم بعظم المسؤولية «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»[1].

هذا بعض ما جاد به خاطري للنهوض بمستوى المرأة المسلمة، وهو وإن كان بطيئاً - كما يقولون - إلا أنه أكيد المفعول؛ لأن تربية الفتيات والشباب بالمحاضرات فقط التي تُلقى عليهم في الشهر أو نحوه مرة، مع أنهم يكونون قد أمضوا أمام الشاشات أكثر ساعات اليوم كما تدل على ذلك الإحصائيات المذهلة والتي ليس هذا مقام سردها أقول: إن التربية بالمحاضرات وحدها لمثل أولئك لا تكفي، وخاصة أن التربية عن طريق هذه الشاشات يكون بأسلوب محبب للنفس تتشربه من حيث لا تشعر.

وأخيراً وإن كان واقع الأمة الإسلامية الذي نعيشه اليوم من أسوأ عصورها، وإن تكاثرت على هذه الأمة السهام، وتواترت مصائبها إلا أن الله متم نوره ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون.

ونحن أُمرنا بالعمل ولا ننتظر النتيجة، وإن كنا نحبها ونرجوها ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ**﴾ [هود: ١١٧].

والله أسأل أن يلهمنا رشدنا ويقينا شر أنفسنا وأن يصلحنا ويصلح بنا، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم؛ إن ربي قريب مجيب.

---

(١) رواه البخاري، ح/٨٤٤.



من الفائزين

رياض بن ناصر الفريجي

لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وجدهم يحتفلون بعيدين، فقال: «قد أبدلكم الله بهما خيراً منهما: يوم الفطر، ويوم الأضحى».

[رواه أبو داود والنسائي].

وإن هاتين الشعيرتين العظيمتين تأتيان بعد موسمين زاخرين بأنواع من العبادات والطاعات مما يجعل المسلم يفرح ويسرّ لإتمامه شيئاً مما فرضه عليه خالقه ومولاه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

وإن مما اعتاده الناس تبادل التهاني والدعوات في الأعياد والمناسبات.

ومن هذه الدعوات: من العايدين، من الفائزين.

ولما كان موسم العيد قريباً كان من الحسن أن نعرف أعمالاً تجعل هذا الدعاء سديداً، وتيسر لنا الفوز حتى يكون سعينا رشيداً.

وإن قرآننا العظيم وهو دستورنا القويم قد أوضح في محكم آياته وسائل للفوز، وبيّن حقيقته. فإلى هذا المعين الصافي ووقفات مع الآيات التي حوت كلمة «الفائزين». جعلنا الله منهم برحمته وفضله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾

[التوبة: ٢٠].

فبعد أن صحّ فهم الإيمان، وهجروا الأهل وتركوا الأوطان، وجاهدوا بالمال والأبدان جازاهم الله بالرحمة والخلود في الجنان؛ كما في الآيتين التاليتين للآية السابقة (٢١، ٢٢).

قال السعدي: أي لا يفوز بالمطلوب، ولا ينجو من المرهوب، إلا من اتصف بصفاتهم وتخلّق بأخلاقهم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

[المؤمنون: ١١١].

يأتي هذا الخطاب في معرض الجواب على الكفار لما سألوه الخروج من النار فيخبرهم الجبار بأن سبب هذا البوار هو سخريتهم بالعباد الأبرار لما دعوا الملك الغفار: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ [المؤمنون: ١٠٩] فجازاهم الله بصبرهم على الأذى وتحملهم للابتلاء أعظم الجزاء بالفوز في دار البقاء.

قال السعدي: جزيتهم بما صبروا على طاعتي وعلى أذاكم حتى وصلوا إليّ بالنعيم المقيم والنجاة من الجحيم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢]. أطاعوا الله بفعل الواجبات وترك المحرمات، واتبعوا رسوله فيما أمر، واجتنبوا ما عنه نهى وزجر، ومع ذلك يخافون الله فيما سلف من أيامهم وما زلّت به أقدامهم ويتقونه فيما بقي من أعمارهم هؤلاء هم السعداء الذين فازوا بكل خير وأمنوا من كل شر في الدنيا والآخرة.

قال السعدي: أولئك الذين جمعوا بين طاعة الله وطاعة رسوله وخشية الله وتقواه، هم الفائزون بنجاتهم من العذاب لتركهم أسبابه، ووصولهم إلى الثواب لفعلهم أسبابه؛ فالفوز محصور فيهم؛ وأما من لم يتصف بوصفهم فإنه يفوته من الفوز بحسب ما قصر عنه من هذه الأوصاف الحميدة.

ثم تأتي آخر آية حوت هذه اللفظة لتبين حقيقة الفوز وتقرّر مفهومه فيقول ـ تعالى ـ: ﴿لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠].

فهل يستوي من حافظ على تقوى الله ونظر لما قدم لغده فاستحق جنات النعيم والعيش السليم مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ومن غفل عن ذكره ونسي حقوقه فشقي في الدنيا واستحق العذاب في الآخرة؟ فالأولون هم الفائزون، والآخرون هم الخاسرون.

وأخيراً: تقبل الله منا ومنك «وهي التهنئة التي كان يقولها الصحابة لبعضهم» كما جاء في فتح الباري. اللهم اسلك بنا سبيل طاعتك، وجنبنا سبيل معصيتك، واجعلنا ممن فازوا بجنتك برحمتك.



علي سالم بازرعة

تحدث القرآن عن الماء في ٦٣ موضعاً منها قوله ـ تعالى ـ: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾. [النور: ٤٥].

إن الحقيقة القرآنية المعجزة التي يعرضها القرآن عن الماء هي أن الله جعل حياة جميع الكائنات الحية على سطح الأرض مرتبطة بوجود الماء. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾، فإذا تأملنا في الإنسان الذي كرمه الله نجد أن متوسط نسبة وجود الماء في جسم الإنسان نحو ٦٥٪ من وزنه. وفي عالم النبات تتفاوت هذه النسب فتصل من ٧٠٪ إلى ٩٠٪ من وزنه ماءاً، والماء أحد مكونات البوتوبلازم (المادة الحية في الخلية)، وعليه فالماء يحدد بقاء النبات نفسه ووجوده.

فالماء الذي أنزله الله من السماء هو أغلى وأثمن مادة على وجه الأرض، له من الصفات العجيبة والخواص الفريدة ما جعله يتبوأ مكانة رفيعة. ومن هذه الخصائص ارتفاع درجة غليانه التي هي ١٠٠ درجة مئوية؛ فلو كانت درجة غليانه أقل من الصفر مثلاً لجفت البحار والأنهار واختفت الحياة. ومن خواصه زيادة حجمه عند تجمده عكس معظم المواد، ولذا نجد أن قطعة الثلج تطفو فوق السطح فتكون كغطاء عازل للطبقات السفلى فلا تتجمد، وتحتفظ المياه أدناه بدرجة حرارة كافية لحياة الكائنات البحرية وهي أغلب كائنات الحياة، فلا عجب إذا قلنا: «إن الحياة ظاهرة مائية» ومن خواصه أيضاً التي ينفرد بها عن غيره قدرته كسائل مذيب لكثير من المواد؛ فهو المذيب الأعظم.

يرجع العلماء سر هذه الخواص المدهشة للماء للرابطة القوية بين ذرة الأوكسجين وذرتي الهيدروجين في جزئي الماء (H_2O).

إن الماء هو من المواد التي توجد بالطبيعة بصورها الثلاث: الصلبة والسائلة والغازية ينتقل بينها في دورة ثابتة تعرف بالدورة الهيدرولوجية، وللرياح دور أساس في هذه الدورة كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات﴾ [الأعراف: ٥٧].

إن الإشارات العلمية الكثيرة في المواضع التي صرح القرآن فيها عن الماء ومطابقتها للواقع العلمي المعاصر تدل على الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، وأن الحقائق المذكورة في القرآن هي حقائق نهائية مطلقة وليست نسبية كما هو علم البشر.

إن الماء جعله الله ـ عز وجل ـ وسيلة للثواب والعقاب في الدنيا والآخرة؛ ففي الجنة يقول ـ تعالى ـ: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن ...﴾ [محمد: ١٥]، وفي المقابل في النار ﴿...كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم﴾.

وفي الدنيا عن الثواب يقول ـ تعالى ـ: ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا﴾ [الجن: ١٦]، أما العقاب فعن قوم نوح قال ـ تعالى ـ: ﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر (١١) وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر﴾ [القمر: ١١، ١٢].

إن المسطحات المائية على كوكب الأرض من محيطات وبحيرات وغيرها والتي تغطي أكثر من ثلثي مساحة الأرض هي التي ميزت كوكب الأرض عن باقي كواكب المجموعة الشمسية بلونه الأزرق المميز وبوجود الحياة عليه.

لقد أصبحت قضية الماء في عالم اليوم قضية للصراع من جانب الحكومات؛ لأنها سلعة اقتصادية يزيد الطلب عليها، بل يخشى أن تصبح المياه سبب حروب المستقبل. إن التدبر في الآيات القرآنية التي ذكر فيها لفظ الماء وما جاء ذكره عنها في السنة النبوية مثل قول المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «لا يبولن أحدكم في الماء الراكد، ثم يتوضأ منه» وهو يشير إلى قضية التلوث التي أصبحت مصدر رعب في عالمنا المعاصر. إن التدبر والتأمل فيما ذكر أعلاه يزيد المؤمن إيماناً وعلماً. نسأل الله أن يبارك لنا في القرآن والسنة، وأن ينفعنا بما فيهما من الآيات والحكمة.

الإجازة الصيفية

ماجد بن جعبل

ليس من المجازفة ولا من واقع الخيال إذا قلنا بأن ثلاثة أرباع المجتمع في ظرف يوم أو يومين على الأكثر يصبحون في عالم من الفوضى بسبب الفراغ الذي يغطي معظم الأوقات بالنسبة لهم؛ وهذا إن دل على شيء فالدلالة واضحة وهي عدم الانضواء تحت برنامج منظم يحفظ الوقت ويحمي من سوء ما يجلبه الفراغ من مساوئ. إن بعض الناس - وهم الأغلبية - يرى في البرنامج المنظم مصطلحاً واحداً وهو كبت الحرية وأخذ الراحة المزاجية من العطلة الصيفية. ونرجو أن تكون هذه الأسطر إيضاحاً لأحبائنا ودليلاً لهم إلى ما فيه صلاح الدنيا - ومن ضمنها الإجازة الصيفية - وصلاح الآخرة.

الوقت أغلى ما عني الإنسان بحفظه، وإذا كان هذا الوقت هو ريحان العمر وريعان الشباب فيا ترى كيف ستكون هذه الخسارة؟

وإن مما ينفع الإنسان في آخرته شغله فراغه في الدنيا بما يرضي الله؛ وعلى ذلك فللإجازة أمور تشغل بها منها:

حلقات تحفيظ القرآن الكريم: والتي يخرج منها الدارس برضى الله وبالتقوى وحسن الأخلاق وتعلم شرع الله والبعد عن أماكن الفساد والمعاصي، وهذا لا يقتصر على شخص دون آخر، بل حتى الأطفال في العاشرة فما فوقها على الآباء توجيههم إلى تلك الحلقات؛ فلعل الله أن يجعلهم بذرة صالحة ونواة طيبة لبناء مجتمع طاهر محافظ.

المراكز الصيفية: لقد أدت المراكز الصيفية عبر الأعوام السابقة دوراً كبيراً في الإجازات، وذلك لما تقوم به من نشاطات مختلفة تنمي الشباب على الخير والإصلاح؛ فمن الأنشطة الثقافية إلى الأنشطة الرياضية إلى بقية الأنشطة التي تتلاءم مع النشء.

طلب العلم الشرعي: ليست الإجازة حكراً على سن معين، ومن هذا المنطلق فإن بين أولئك شباب الصحوة الذين هم عماد الأمة بعد علمائها الأفذاذ، ولذلك فإن الإجازة ساحة للتنافس في طلب العلم الشرعي وتحصيله وتحصين النفس به من الشبهات المتتابعة عملاً بقوله ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله، وسنتي».

الخروج إلى القرى والهجر: للدعوة إلى الله ونشر دينه؛ وهذه النقطة ليست «لكل من هب ودب» ولكن لمن آتاهم الله علماً واسعاً وأخذوا على عواتقهم الوفية لله الدعوة إلى سبيله، وما أجمل لو نظم هذا العمل ونسق له كي يؤتي ثماره بإذن الله.

الالتحاق بدور التحفيظ النسائية: وهي - والله - عصمة للفتاة من السوء وأهله، ودليلٌ لها إلى مرضاة الله عز وجل. إن فتيات المسلمين اليوم هن غداً أمهات رجالهم الأفذاذ؛ فهل من شيء أحق بالحفظ منهن؟

أصون عرضي بمالي لا أدنسه ... لا بارك الله بعد العرض بالمال

تنظيم برنامج أسري: ويكون فيه كل متطلبات التفسيات الأسرية فيكون - مثلاً - متضمناً لدروس السيرة المتناسبة مع الأطفال، ودروس السيرة المتناسبة مع الكبار إلى جانب الرحلات البرية والتنزه.

ختاماً: إن بالإمكان أن يُشغل الفارغ بأي شيء؛ ولكن ما دام أن هناك سؤالاً وجزاءاً عن هذا الفراغ وعمَّا شغل به فإنه لا بد من التفكير في الذي سوف يحل محل الفراغ ما هو: نعيم، أم جحيم؟

سارع في السفر

صالح بن عبد الكريم العبودي

يا قلب فرّ، لله فرّ ... لا تكترنْ، فلست حر
دع عنك زيداً أو عمر ... لا ينفعونك وزن ذر
بالله سارع في السفر ... لا تنتظر لا تنتظر
يكفي الأسى يكفي الضجر ... يكفي السُّرى يكفي السهر
يكفي التأمل والنظر ... قد حان وردك للنهر
بالله أقلع لا تُصر ... لا تبقينَّ مدى العُمر
خذ عبرة ممن غبر ... احذر فقد ينجي الحذر
لم ينتبه لمَّا زُجر ... لم ينتبه حتى احتُضر

الشُّكرُ وأحلامُ التحقيق!

عبد الكريم علي الشهري

الشُّكْرُ ... نعم معناه في اللغة: الثناء على الإنسان بمعروف يُوليكَهُ[١].

وأيضاً هو: عرفان الإحسان ونشره[٢].

إلا أن محدودية الحروف لا تفي معنى «الشكر» حقه؛ إذ للشكر في الوجدان فضاء شاسع، وتُحمِّل قائلها عاطفة جياشة، ومشاعر فيّاضة، وتمنِّت النفس التخلص من همِّ القيام بالشكر، جزاءاً للمعروف المُسدى إليها.

فالشاكر الحقيقي دائماً صادق المشاعر، كبير الهمِّ تجاه مَنْ سيشكره كيف يجازيه؟ وهل ستكون الكلمات والمشاعر في رد المعروف كافية؟ نعم! يحق لمن أراد أن يشكر أحداً أن يكون مهموماً؛ لأن حقيقة الشكر نابعةٌ من حقيقة المعروف؛ فجميل روح تقديم المعروف على النفس يستوجب حكماً مشابهاً له من الشكر وإلا يُعدُّ ناكراً للمعروف هذا هو ميزان الفطرة التي ترى التقدير والشكر معيار العطاء. والله المستعان. لكن ونحن نعزِّز هذه الفطرة لا نعزِّزها لذواتنا وعلى حساب نياتنا، بل لأنه «لا يشكر الله مَنْ لا يشكر الناس»[٣] وحتى نتربى على هذا الخُلق العظيم... وإلا لو أردنا القيام بحق الشكر مع الله أولاً لما استطاع أحدٌ ذلك ولو يُجَرُّ على وجهه من ميلاده حتى مماته ليفي بنعمة واحدة ومعروف واحد لما وفّى: ﴿وإن تعدُّوا نعمة الله لا تُحصُوها﴾ [النحل: ١٨]. ولكن رحمته شاملة وسابقة.

فكيف لنا أن نقوم بالشكر مع البشر ذوي النفوس الطامعة الذين قد يمنون عليك معروفهم ولو كنت قد شكرتهم! ولو وسعهم شكرك لما منّوا عليك.

ولكن هناك النفوس الطيبة والضمائر المؤدّبة بالخُلُق الرفيع، تزن خُلُق الشكر مكاييل كثيرة، فتجد حرارة مشاعرها وصدق عواطفها، تجاه كل من أسدى معروفاً إليها؛ ففي أقل الأحوال الكلمة الصادقة المقرونة بالمشاعر الفيّاضة. أما الصمت وكان معروفاً لم يكن فهذا لا تطيقه النفس البشرية، وإن استطاعته قدراً من الزمن؛ فالنفس تتوق أن ترى ثمار معروفها لتستمر أو تزيد في العطاء. هذا ما يشهد به الواقع وليس يقدح في الإخلاص لله من هذا شيء.

فمَنْ لم يُحسن إلى مَنْ أساء فهذا عدل، ومَنْ أحسن إلى مَنْ أساء فهذا فضل: ﴿ذلك فضلُ اللَّه يؤتيه من يشاء﴾ [الجمعة: ٤].

فالمربّون والمعلّمون والدعاة والناصحون لهم فضل علينا كبير، ولهم فضل من الله؛ إذ تحمّلوا عناء التربية والتعليم والدعوة والنصح لنا، رغم أننا لم نستطع تحقيق الشكر لهم ولن نستطيع! إذ كيف يُشكر من كان سبباً في هدايتك؟ أم كيف يُشكر من سعى في تربيتك؟ أم كيف يُشكر من أفرغ وقته لك؟ أم كيف يُشكر من أدام النصح لك؟ أم كيف - وربي - يُشكر مثل هؤلاء وخاصةً وهم يتمثّلون قول الله - تعالى -: ﴿لا نريدُ منكم جزاءً ولا شُكُوراً﴾ [الإنسان: ٩] فهل يمكن أن نحقق لهم الشكر؟ حسبنا أن نسأل الله أن يقيهم شر ذلك اليوم، ويلقيهم نضرةً وسروراً، وأن يجزيهم بما صبروا جنةً وحريراً.

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس.

(٢) لسان العرب، لابن منظور.

(٣) مسند الإمام أحمد (٧٩٢١) من حديث أبي هريرة.

ظلام اليأس

فهد يحيى مطهري

أيُّ وردٍ يزهو في الصحراءْ ... أيُّ قلبٍ صاحٍ يشكو من ضَررْ

أيُّ طفلٍ ناحٍ يحكي حُزنَهُ ... أيُّ زرعٍ هالكٍ يرجو المطر

من ظلامِ اليأسِ يا قدسُ انتظرْ ... عودةَ الحقِ وطَرْدَ المُحتَقرْ

ليته يبكي فأُصغي نَحْوَهُ ... يطلب العَفْوَ وأرجو المُستَقرْ

أنت يا حيفاء هزّي شجونا ... وابعثي لحناً رقيقاً من وَتَرْ

وابعثي نحوي أريجاً علّهُ ... في الدُنى يَشْفي أنينَ المُحتَضِرْ

لأقتدي على طريق الأتقياء

محمد عبدالله الرويلي

علـى أي نحـــو تـودّ الحـكـايـة … ومـاذا تكـون وكـيـف النـهـايـة؟
علـى أي شـيء تموت المعـانـي … سـبيـل أراه لفـقـد الهـدايـة؟
نقـضت العـهـود وعـفت السـجـود … وأطلقت نفـسـاً تريد الغـوايـة
ننادي وفـاءً وتـغـضـي جـفـاءً … ونبـدي صـفـاءً وتخـفـي وشـايـة
رمـيـتَ بسـهـم الفـراق فـؤادي … وصـيّـرتَ صـفـو الوداد نكـايـة
رمـيتَ بهـجـرك حـبـاً تـليـداً … فـهل يا صـديقـي أصـبتَ الرمـايـة؟
فـقـل لـي بربـك: أي اعـتـذار … سـيـجـدي إذا مـا لـقـيت النهـايـة؟
فـهـلاً غـنمتَ الحـيـاة وإلا … سـتـبكي كـثـيـراً على كل آيـة
فـعـد للإلـه، ودع مـا سـواه … وخـذ مـن هُداه، ولُذْ بالعـنـايـة
إلى الله أمـضـي وكلّي خـضـوع … ثبـاتاً يفـيـض بصـدق الولايـة
سـأمـضي ودرب الرشـاد طريقـي … وأعـلـي مـن العـلـم والحـق رايـة
شـبـابَ المعـالي! خـذوها شـعـاراً: … لـزومُ الكـرام طـريقُ الحـمـايـة

ردود

* الإخـوة الأفاضل: عـبـد الرحـمن عـبـد الكريم، عيسى عـبد العزيز، أحـمـد يوسف محـمـد، محمد عبـد الله السحـيم، محـمد عـبد الله الرويلي، حـمد أحمد، صالح بن حسن القدسي: لقد أسعدنا كثيراً تواصلكم الكريم مع مجلتكم بالمقترحات، وهذا مما يثلج صدورنا ويشعرنا كذلك بالمسؤولية، سائلين الله - تعالى - أن نكون عند حُسنِ ظن إخواننا، وأن يوفقنا وإياهم لخدمة دينه ونصرته.

* الأخوين: الحـبيب كرون، أبـو خلود الساري: نعتذر كثيراً عن تلبية طلباتكم؛ وذلك لعدم أهلية المجلة لذلك، وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى.

* الأخ: صالح سـعـيد الزهراني: نرجـو التكرم بإعادة إرسال المشاركة؛ لأنها لم تصل كاملة عبر الفاكس.

* الأخ: أمير أبو بكر أحمد: نشكر لك تواصلك مع المجلة، وما أرسلته عن تطبيق الشريعة في نيجيريا مقتضب ويحتاج إلى توسع، ومرحباً بك وبمشاركاتك.

* الإخوة: رضـا أحمد الصمدي، عمـر الرماش، محمـد عودة الذبياني، أحمد عـبد الدايم أبو نصرة: جـزاكم الله خـيـراً على تواصلكم مع مـجلتكم، ونفيدكم بأن مشاركاتكم مجازة للنشر.

* الإخوة: أسـعـد سيـد تهامي، إمـام الطـيب، عـبـد الله بن سليـمـان الصـالح: بارك الله فـيكم، ومشاركاتكم مجازة للنشر في المنتدى.

* الإخـوة: حـامد سـفـر العبـدلي، د. عادل عـبد العـزيز حـامد، أبو عـزام المكي، عـبد الرحـمن القصيـمي، محمد نجيب لطفي، عـبد العزيز الويلي، عبـد الله سيد شـعبان، أبـو عـبـد الله الرحـابي، عبـد العزيز العبيسي، د. جـمال نصار حسين، حمد ابن عـبد الرحـمن السـالم: جـزاكم الله خـيـراً على تواصلكم الكريم مع المجلة، ونتمنى لكم التوفيق في مشاركات قادمة.



الحرية والعبودية

د. عثمان علي حسن

الحرية غاية يسعى إليها كل إنسان ويتمناها كل متمنٍّ، وليسوا كلهم ينالها ويحققها، إلا من أدرك معناها وعرف سبيلها وطلبها من مظانها، ولا حرية حقيقية للإنسان إلا إذا ملك أمر نفسه، وسيطر عليها وعلى مطالبها، وسعى في تغذيتها بما تحتاجه ويصلحها، ولا يكون ذلك إلا في التذلل والتعبد لله - تعالى - خالق الإنسان وفطرته؛ فمن أراد الحرية الصادقة التي لا يشوبها خداع، ولا يحجبها غش فعليه بالدخول في العبودية لله؛ فمن دخلها وترقى في درجاتها نال من الحرية بقدر ما حقق من العبودية.

فالله - تعالى - يريد لعباده أن يكونوا أحراراً حقيقة، ولهذا أمرهم بعبادته التي خلقهم لأجلها، وشرع لهم من صنوف العبادات ما يساعدهم على الوصول إلى هذه الغاية المطلوبة، والأمنية المرجوة؛ ولنضرب لذلك أمثلة:

ففي الصلاة التي هي عمود الإسلام وركنه الركين يتحرر المؤمن من سلطان النوم فيصبح هو الذي يتحكم فيه لا العكس، مع أن النوم حاجة فطرية لا يصمد إنسان أمام هجومه وإلحاحه إلا لوقت معلوم، لكن المؤمن المقيم للصلاة والمحافظ عليها ينفلت من نومه وينخلع من فراشه وراحته مستجيباً لنداء ربه، فيؤدي ما أوجبه الله عليه من الفريضة في رغبة ومحبة وانشراح صدر وطيب نفس، بل لا راحة له في غيرها، ولا قرار له في سواها، كما جاء عن الصادق المصدوق ﷺ: «أرحنا بها يا بلال»[1]، وقوله: «وجعلت قرة عيني في الصلاة»[2].

وفي الزكاة يتحرر المؤمن من رق المال، الدرهم والدينار ونحوهما؛ فهو يقتطع من ماله وكسب يده جزءاً معلوماً يصل به المحرومين وأصحاب الحاجات، طيبة بذلك نفسه، وطالباً تطهير ماله وصونه عن الآفات، وساعياً لتنميته وزيادته بالبركة، وبانفتاح أبواب من الرزق لم يكن يحتسبها، وفي الحديث: «ما نقص مال عبد من صدقة»[3]. وفي الحديث الآخر: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش»[4].

---

(١) رواه أبو داود، ح / ٤٣٢٢. (٢) رواه النسائي، ح / ٩٨٧٨.

(٣) رواه الترمذي، ح / ٢٢٤٧.

(٤) رواه البخاري، ح / [illegible]

وفي الصيام يتحرر المؤمن من قيود الطعام والشراب وشهوة الجماع مع أنها حاجات فطرية ليس في وسعه أن يستغني عنها مختاراً، فضلاً عن كونها أشياء مباحة وطيبة ونافعة، لكن المؤمن يترك ذلك كله من بزوغ الفجر إلى مغيب الشمس طيلة شهر بأكمله طاعة لله - تعالى - وإيماناً به واحتساباً للأجر والمثوبة. وفي هذا تربية عظيمة، ودربة رائعة، وذريعة لطيفة لترك الحرام الخبيث الضار من الأطعمة والأشربة والشهوات، وهي التقوى التي شرع الصيام وغيره من العبادات لتحقيقها: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وفي الحديث: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»(١). فالصوم عن المحرمات والخبائث والمفاسد أولى من الصوم عن المباحات والطيبات والمنافع، وهكذا يتحرر المؤمن من وطأة العادات الضارة.

وفي الحج يتحرر الإنسان من رق العادة؛ حيث يترك ما اعتاده من أساليب في الحياة من طعام وشراب ولباس ونوم، وأعمال وأشغال، وبقاء لدى الأهل والأولاد والأصدقاء ونحوهم من زملاء العمل أو الدراسة وغير ذلك مما يشق عادة تغييره أو مفارقته إلا بنوع كلفة، لكنه في الحج يترك ذلك كله طاعة لله، فيخرج الناس تاركين دورهم وما اعتادوه، إلى بيت الله الحرام، راجلين وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق، ولهذا سمى النبي ﷺ الحج جهاداً، لكن لا قتال فيه.

ثم تأتي أعظم عبادة وأسماها ألا وهي الجهاد في سبيل الله بالنفس؛ فالنفس أغلى ما يملك الإنسان؛ فهو يحرص عليها كل الحرص، ويجتهد في صونها عن الآفات والتلف، لكن المؤمن يعتبر تقديمها في سبيل الله - ذوداً عن حياض الإيمان والأوطان - إحياءً لها، وتخليداً لذكراها، ورفعة لدرجتها ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾. [آل عمران: ١٦٩].

وفي نوافل هذه العبادات مجال للاستزادة والترقي في مدارج الحرية ومقاماتها، حتى يصل إلى ذروتها ويعتلي سنامها، وقد قال الله - تعالى - في الحديث القدسي: «ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»(٢).

وهكذا سائر العبادات في الإسلام تدرب المؤمن على التحرر الحقيقي، وتسعى به لنيل الحرية الصادقة، فلا أحد يتحكم في حركته ومسار حياته إلا إيمانه بربه وخالقه، لا سلطان نوم، ولا سلطان طعام وشراب، ولا سلطان شهوة ومال، ولا سلطان عادة؛ فهو عبد لله وكفى، وسيد متصرف في احتياجاته كلها ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩].

(١) رواه البخاري، ح

(٢) رواه البخاري، ح/ ٦٠٢١.



مجلة إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن المنتدى الإسلامي

سعر العدد

الأردن ٥٠ قرشاً، الإمارات العربية ٨ دراهم، أوروبا وأمريكا ١,٥ جنيه إسترليني أو ما يعادلها، البحرين ٦٠٠ فلس، اليمن ٦٠ ريالاً، مصر ٢ جنيه، السعودية ٨ ريالات، الكويت ٦٠٠ فلس، المغرب ١٠ دراهم، قطر ٨ ريالات، السودان ١٠٠ ديناراً، سلطنة عمان ٦٠٠ بيزة.

EUROPE & AMERICA 1.5 (STERLING OR EQUIVALENT)

المركز الرئيس:

AL BAYAN MAGAZINE
7 Bridges Place, Parsons Green
London SW6 4HW, U.K.
Tel : 0171 - 736 9060
Fax : 0171 - 736 4255



مراجعات.. في المراجعات

تبدأ مجلة البيان في هذا العدد وما بعده طرح موضوع دعوي هام، يتعلق بمسائل (المراجعات) للعمل الإسلامي في مسيرته الممتدة على مدى العقود الثلاثة الماضية، باعتبارها ممثلة لمرحلة انتقال بين قرنين هجريين، و(المراجعة) - فيما يبدو - هي شعار المرحلة على كافة الأصعدة، وهي تأتي تقويماً للأداء فيما مضى، لترشيده فيما سيأتي بإذن الله.

والمراجعات قد تعتورها تراجعات. ومن ثم جاء طرح هذا الموضوع لكي يوضع على بساط البحث المتبصر، والحوار الجاد والنقاش الهادئ تقليصاً للضرر وتفادياً للخطر. والمجلة إذ تفتح صدرها لهذا الحوار المثمر في زاوية (قضية للمناقشة) تذكّر قراءها وكتابها والمتواصلين معها - والذكرى تنفع المؤمنين - بأن أدب الحوار صناعة إسلامية، لُحمتها النصيحة، وسداها الإخلاص؛ فنسيجها يستمد متانته من قوة الوشيجة الإيمانية والأخوة الإسلامية التي تعد المحافظة عليها من فرائض الدين. وإذا كان النقد لا يخص أحداً دون أحد؛ لأنه نقد للذات الإسلامية بوجه عام؛ فإنه لا يقصر أيضاً دون أحد، لأننا جميعاً - أهل الدعوة - شركاء في المغنم والمغرم، ومسؤولون عن حال الأمة الدينية، رفعة أو ضَعَة.

غير أننا نؤكد أن هناك فرقاً بين نقد الذات وجلد الذات، ولهذا.. فلا مجال في الحوار الجاد بين إخوة العقيدة لجرح الأشخاص أو الهيئات أو الجماعات، ولا لطعن في طوايا الضمائر والنيات.. لا نقص ولا هدم، ولا ظلم ولا هضم؛ فالنصيحة دين، والدين النصيحة..

وفق الله الجميع للقول السديد والفعل الرشيد.

مكاتب المنتدى الإسلامي ومجلة البيان

م	الدولة	المدينة	ص. ب.	الهاتف	الفاكس
١	بريطانيا	لندن	ــــ	٧٣١٨١٤٥	٧٣٦٤٢٥٥
٢	السعودية	الرياض	٢٦٩٧٠	٤٦٤١٢٢٢	٤٦٤١٤٤٦
٣	البحرين	المحرَّق	٥٠١٦٣	٣٣٥٣٠٠	٣٣٦٣٠٠
٤	قطر	الدوحة	١٦٤٦٤	٤٤٤١٠٤٤	٤٣٢٧١٦٧
٥	كينيا	نيروبي	٧٧٨٠٢	٣٥٠٥٢٦	٥٠٠٠١٥
٦	غانا	أكرا	٢٠	٢٣٥٧٦٦	٢٣٥٧٦٧
٧	بنغلاديش	دكا	١٢٠٧	٩٨٠٢٠١٥	٩٨٠٣٠٠٥
٨	السودان	بور تسودان	٦٩٥	٢٢٥٣٣	٢٢٥٣٣
٩	مالي	باماكو	E٢٠٣	٢٢٣٢٠٣٩٠٩	٢٢٣٢٠٣٩٠٩
١٠	جيبوتي الصومال	جيبوتي	٣٢٨٠	٣٤١١١٣	٣٤١١١٣
١١	تشاد	أنجمينا	١٧٨٩	٥١٨٥٩١	٥١٨٥٩٠
١٢	توجو	لومي	١٠٧٤	٢٦١٦١١	٢٦١٦١١
١٣	نيجيريا	كانو	٢٦٣٥	٦٣٧١٩٠	٦٣٧١٨٠
١٤	بينين	كوتونو	٠٣ـ ٤١٩٣	٣٠٣٩١٩	٣٠٣٩١٩

المراسلات والإعلانات

الدول العربية:

السعودية : مكتب مجلة البيان ـ ص.ب ٢٦٩٧٠ـ الرياض : ١١٤٩٦ـ هاتف ٤٦٤١٢٢٢ ـ فاكس ٤٦٤١٤٤٦ .

قطر: الدوحة، ص.ب: ١٦٤٦٤، هاتف: ٤٤٤١٠٤٤، فاكس: ٤٣٢٧١٦٧ .

البحرين: المحرّق مكتب دار البيان، ص.ب ٥٠١٦٣ ـ هاتف ٣٣٥٣٠٠ ـ فاكس ٣٣٦٣٠٠ .

البريد الإلكتروني: **bayan@naseej.com.sa**

أوروبا وأمريكا :

AL BAYAN MAGAZINE 7 Bridges Place, Parsons Green London SW6 4HW, U.K. Tel : 071 - 736 9060 Fax : 071 - 736 4255

■ الاشتراكات ■

بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهاً استرلينياً
أوروبا	٢٠ جنيهاً استرلينياً
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهاً استرلينياً
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهاً استرلينياً
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهاً استرلينياً

الحسابات

السعودية: شركة الراجحي المصرفية للاستثمار فرع الربوة شارع الأربعين حساب مجلة البيان رقم ٢١٠٠ ٧.

ـ مصرف فيصل الإسلامي حساب رقم: ٠٠٢ـ ٤٥١٤ـ ٤٢ـ ١٠٩.

ـ الشركة الإسلامية للاستثمار الخليجي حساب رقم ٦٣٤٩٢٤.

الإمارات: بنك دبي الإسلامي (فرع دبي) رقم الحساب ٥٥٤٦٥٢٤.

قطر: مصرف قطر الإسلامي حساب رقم: ٨٧٨٨٥٥ زكاة ٨٧٨٣٨٣ صدقات

حساب مجلة البيان: بنك قطر الدولي الإسلامي رقم: ٢٤٢٠٧٠٠٧١.

AL MUNTADA AL ISLAMI EDUCATIONAL TRUST
National WestMinister Bank PLC Fulham Branch
45 Fulham Broadway London SW6 1AG
Sorting Code No. 60-22-16
A/C NO: 44348452

الموزعون

سعودية : مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦ ، الرياض ١١٥٥٧ ، هاتف: ٤٦٤٦٦٨٨ ـ فاكس: ٤٦٤٢٩١٩ .

ـ الشركة الوطنية للتوزيع: هاتف: ٤٨٧١٤١٤ ـ فاكس: ٤٨٧١٤٦٠ .

مغرب : سوشبرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن أحمد ص.ب ١٣٦٨٣ ـ هاتف: ٤٠٠٢٢٣ ـ فاكس: ٢٤٦٢٤٩ .

يمن : مكتبة دار القدس ، صنعاء : ص.ب ٣٦٠٠ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة ، هاتف: ٢٠٦٤٦٧ .

سودان : شركة النحوي للتجارة والتوزيع ، الخرطوم: ص.ب ١٠٣٧١ ـ هاتف: ٧٧٤٣٣٦ـ ٧٧١٥٤٧ .

مصر : القاهرة ـ ش الجلاء ـ الأهرام للتوزيع ، هاتف وفاكس : ٥٧٤٧٠٢٣ .

أردن : الشركة الأردنية للتوزيع ، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف: ٦٣٠١٩١ ، ٦٣٥١٥٣ ، فاكس: ٦٣٥١٥٢ .

إمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان : شركة الإمارات للطباعة والنشر ، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف ٦٢٣٩٢٠ ، فاكس ٦٦٣٧٦٨ .

قطر : دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة هاتف: ٦٦٢٤٤٤ ، فاكس: ٦٦٢٤٥٠ .

كويت : شركة الخليج لتوزيع الصحف والمطبوعات: ص.ب: ٤٢٠٥٧ الشورفح ٧٠٦٥١ ـ هاتف: ٤٨١٦٨٨٥ ـ فاكس: ٤٨٣٦٦٨ .

بحرين : مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ـ المنامة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ـ ٥٣٤٥٦١ ، فاكس ٥٣١٢٨١ .





من أروقة المفاوضات

على الرغم من الإعلان الرسمي عن إخفاق مباحثات (كامب ديڤيد الثانية)، إلا أن استمرار المفاوضات بين الطرفين الفلسطيني واليهودي برعاية أمريكية، ثم الإعلان عن رغبة المفاوض اليهودي خصوصاً ـ بجعل المفاوضات سرية إلى أن يتم الاتفاق على حل يرضي الطرفين يثير تساؤلات عديدة، وينبئ عن أنَّ وراء الأكمة ما وراءها..!!

وكما أنَّ المفاوض الفلسطيني في أمريكا عام ١٩٩٣م) فوجئ أثناء المفاوضات بالإعلان عن اتفاقية (أوسلو) التي تضمنت سلسلة من التنازلات المخزية، وتجاوزات لكثير من الثوابت التي ظلت السلطة الفلسطينية تتشدق بها ردحاً من الزمن؛ فلا يستغرب على الإطلاق أن يفاجأ العالم باتفاق جديد بين الفلسطينيين واليهود يكشف عن حلقات جديدة من التزييف والتلاعب بالعقول..!

ولعلنا نشير هنا إلى بعض الحقائق المهمة من روقة المفاوضات التي تؤكد المؤامرة الكبرى على فلسطين، والسعي المحموم لترسيخ الهيمنة الصهيونية عليها:

أولاً: الرعاية الأمريكية لإسرائيل:

بعد إعلان وعد بلفور في عام (١٩١٧م) سارع الرئيس الأمريكي (وودرو ولسون) بمباركة ذلك الوعد، وبعث برسالة إلى زعيم الصهيونية الأمريكية (ستيفن وايز) يصادق فيها بشكل رسمي على وعد بلفور، على الرغم من تحفظات وزير خارجيته (روبرت لانسنج) لاعتبارات سياسية آنذاك. وفي عام (١٩٢٢) وافق مجلسا الشيوخ والكونجرس رسمياً على وعد بلفور.

وبعد إعلان قيام دولة إسرائيل في ١٤/٥/١٩٤٨م أعلن الرئيس الأمريكي (هاري ترومان) اعترافه بهذه الدولة الوليدة حتى قبل أن تطلب منه إسرائيل ذلك رسمياً، ثم بادرت الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم منحة مالية لإسرائيل قدرها مئة مليون دولار (وهي تعادل موازنة مصر والعراق وبلاد الشام في ذلك الوقت). ثم أخذت الولايات المتحدة الأمريكية تمارس ضغوطاً كبيرة على الدول المختلفة لتعلن اعترافها ودعمها لدولة إسرائيل.

وقد تتابع دعم الإدارات الأمريكية لتثبيت الوجود اليهودي في فلسطين، حتى إن الرئيس (ريتشارد نيكسون) قال في كتابه الشهير (١٩٩٩ نصر بلا حرب): (إن التزامنا ببقاء إسرائيل التزام عميق؛ فنحن لسنا حلفاء رسميين، وإنما يربطنا معاً شيء أقوى من أي قصاصة ورق. إنه التزام معنوي، إنه التزام لم يخلَّ به أي رئيس في الماضي أبداً، وسيفي به كل رئيس في المستقبل بإخلاص، إن أمريكا لن تسمح أبداً لأعداء إسرائيل الذين أقسموا على النَّيل

منها بتحقيق هدفهم في تدميرها).

ويلخص الرئيس الأمريكي (جيمي كارتر) موقف الرؤساء الأمريكيين بقوله أمام الكنيست الإسرائيلي في عام (١٩٧٩م): (لقد جسد من سبقني من الرؤساء الأمريكيين الإيمان حين جعلوا من العلاقات بين الولايات المتحدة وإسرائيل أكثر العلاقات خصوصية؛ إنها علاقات فريدة؛ لأنها متأصلة في ضمير الشعب الأمريكي وفي أخلاقه وفي دينه وفي معتقداته..!).

وها هو ذا الرئيس الأمريكي الحالي (بيل كلينتون) يعلن مراراً أنه: (لن يخذل إسرائيل أبداً!)، فتراه يبذل كافة إمكاناته السياسية لدعم اليهود، وترسيخ أقدامهم، والضغط على مناوئيهم.

بل إن المرشحين للرئاسة الأمريكية القادمة يتنافسان في إعلان الولاء لإسرائيل؛ فالمرشح الجمهوري (جورج بوش الابن) وعد بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس عقب انتخابه رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية، وقال في كلمة أمام اجتماع لجنة الشؤون العامة الإسرائيلية الأمريكية (إيباك): (سيحدث شيءٌ مًا عندما أُصبح رئيساً، فبمجرد أن أتولى المنصب سأبدأ عملية نقل السفير الأمريكي إلى المدينة التي اختارتها إسرائيل عاصمة لها..!).

أما المرشح الديمقراطي (آل جور) فقد فاجأ الجميع بترشيحه للسناتور (جوزف ليبرمان) لمقعد نائب الرئيس، وقال في لقاء مع عدد من قادة اليهود الأمريكيين: (إن رغباتكم وتطلعاتكم هي رغباتي وتطلعاتي!).

كل هذه الدلائل تؤكد الانحياز الأعمى والدعم غير المحدود من الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل، ومن ثَمَّ فإن الراعي الأمريكي لمفاوضات السلام لا يظهر بمظهر الراعي المتجرد الباحث عن حل عادل، وهو لا يخفي ولاءه لإسرائيل، ولا يتردد في المدافعة عن مطالبها، وتعجب أشد العجب من غفلة أو تغافل أولئك المتهافتين على السلام من أدعياء العروبة تهافت الجراد على النار المحرقة، وهم يرون هذه الحقائق ماثلة بين أيديهم عياناً بياناً لا تشوبها شائبة..!

وصدق المولى الحق - جلّ وعلا - إذ يقول: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

ثانياً: الدولة اليهودية دولة دينية:

من الحقائق الثابتة التي لا جدال فيها أن الدولة اليهودية بنيت بناءاً دينياً محكماً، وكان للحاخامات دور بارز في صناعة الحياة السياسية اليهودية وإدارتها. وإذا كان يحلو لبعض العلمانيين العرب التأكيد على أن الحزبين الرئيسين في إسرائيل (العمل، والليكود) حزبان علمانيان، وأن الأحزاب الدينية المتطرفة في إسرائيل لا تمثل إلا أقلية محدودة في الشارع اليهودي؛ فإن حزبَي (العمل، والليكود) يؤكدان انتماءهما الديني، وحرصهما على تحقيق التعاليم التلمودية، ولا يترددان في إعلان هذه الهوية والاعتزاز بها.

وقد أدار المفاوض اليهودي مؤتمرات السلام مع العرب عامة والفلسطينيين خاصة منطلقاً من هذه القاعدة التلمودية، ولهذا لم يكن غريباً على الإطلاق أن يكون أحد أعضاء الفريق اليهودي المفاوض المرافق لباراك من الحاخامات..!!

وفي أثناء انعقاد مؤتمر كامب ديفيد الثاني أصدر عدد من كبار حاخامات إسرائيل فتوى تحظر على الحكومة الإسرائيلية تسليم بلدات فلسطينية قريبة من محيط مدينة القدس، وذكرت صحيفة (معاريف): أن حاخامات (أدمورات) ورؤساء مدارس دينية (يشيبوت) من أعضاء مجلس كبار علماء التوراة - وهو المرجع الأعلى للفتاوى

والتشريعات الدينية اليهودية في إسرائيل - وزعوا بياناً موقعاً بأسمائهم تضمن رأياً دينياً مستمداً من كتاب التوراة اليهودية يؤكد عدم جواز تسليم بلدات أبو ديس والعيزرية والسواحرة الشرقية إلى الفلسطينيين ووضعها تحت سيادتهم.

ثالثاً: القدس جزء من العقيدة اليهودية:

أعلن رئيس الوزراء اليهودي السابق (ديفيد بن جوريون) أنه: (لا معنى لإسرائيل من غير القدس، ولا معنى للقدس من غير الهيكل!). وصرح وزير الأديان اليهودي عقب احتلال القدس عام (١٩٦٧م) أن: (أرض الحرم ملك يهودي بحق الاحتلال، وبحق شراء أجدادهم لها منذ ألفي سنة). ودرجت الحكومات اليهودية المتعاقبة على ترسيخ الصبغة اليهودية في المدينة المقدسة، وبناء المستوطنات اليهودية في جميع أجزائها، وأعلن الرئيس الحالي (إيهود باراك) شعاره الانتخابي المعروف: (نريد أن نصبغ القدس الشرقية بالطابع اليهودي الخالص).

ولقد حمل (إيهود باراك) هذه العقيدة معه إلى كامب ديفيد، وأعلن بوضوح قبل بدء المفاوضات أن القدس هي عاصمة إسرائيل الأبدية، وفي الوقت الذي كان فيه باراك يفاوض الفلسطينيين في كامب ديفيد كان (حاييم رامنون) الوزير المكلف بشؤون القدس، و(إبراهاما شوحاط) وزير المالية الإسرائيلي، و(سالي مريدور) رئيس الوكالة اليهودية، و(إيهود أولمرت) رئيس بلدية القدس يجرون مباحثات مكثفة - تنفيذاً لتعليمات باراك - لتعزيز الوجود اليهودي في القدس الشرقية.

ولهذا راح المفاوض اليهودي - ومن ورائه الراعي الأمريكي - يطرح حلولاً ترقيعية لعلاج مشكلة القدس، ويساوم المفاوض الفلسطيني ليحظى بمزيد من التراجعات والتنازلات..!!

ولكن: هل ظل المفاوض الفلسطيني مصراً على تشبثه بالحقوق الإسلامية، ولم يذعن للتوبيخ والتهديد والضغط الأمريكي..؟!

والذي نحسبه أنَّ المفاوض الفلسطيني باع أشياء كثيرة بثمن بخس، وتخلَّى عن مسلَّمات عديدة؛ بل غيَّر الدستور والميثاق[1]، وتجاوز ثوابت لا تخطر على بال، والقدس عنده أرض كبقية الأراضي يمكن استبدالها بأي أرض أخرى! ولكنه يعلم يقيناً أنَّ التفريط بها هو قاصمة الظهر، ومسمار النعش، خاصة أن الشعوب العربية لم تتهيأ بعدُ لمثل هذاالتحول الخطير؛ ولهذا يمكن أن تُسرَّب بعض الحلول الأمريكية واليهودية لجس نبض الشارع الفلسطيني والعربي، وقياس إمكانية القيام بتغييب الوعي العربي، وغسيل الدماغ الفلسطيني، كما حدث في مسائل أخرى معقدة!

فكما أنَّ السلام مع إسرائيل كان خيانة عظمى وخروجاً عن الصف العربي قبل عشرين عاماً، أصبح اليوم - بعد سلسلة طويلة من التخدير والتجهيل - رمزاً من رموز الواقعية واسترداد الحقوق العربية، ومعارضوه هم المتطرفون الإرهابيون. وكذلك القدس يمكن أن يكون التخلي عنها في الوقت الراهن جريمة لا تغتفر، أما بعد سنوات - في ظل السلطة الفلسطينية - فيمكن أن تكون واقعاً لا فكاك منه إذا أُحسن ترويض الناس وتغييبهم، والزمن كفيل بتغيير العقول وصناعة الآراء والقناعات التقدمية المنفتحة!! وانظر مثلاً كيف كان العرب يطالبون قديماً بفلسطين المحتلة فأصبحوا الآن لا يتحدثون إلا عن الأراضي المحتلة في عام ١٩٦٧م، وانظر إليهم قديماً يطالبون

---

(١) الغى المجلس الوطني الفلسطيني في اجتماعاته في غزة من ٢٢ إلى ٢٥/٤/١٩٩٦م، ميثاق منظمة التحرير الذي ينص على أن الكفاح المسلح يشكل الطريق الوحيد لتحرير فلسطين ضمن حدودها التي كانت قائمة في عهد الانتداب البريطاني.

بالقدس، فأصبحوا الآن لا يتحدثون إلا عن القدس الشرقية فقط.

رابعاً: الحرب دينية من طرف واحد فقط:

لقد نجح اليهود منذ بداية تأسيس دولتهم في عزل الإسلام عن ساحة المعركة، وهم يدركون تماماً أنه لا يمكن أن يقف في طريقهم إلا الراية الإسلامية. وقديماً قال ديفيد بن جوريون: (نحن لا نخشى خطراً في المنطقة سوى الإسلام!)، بل إن شمعون بيريز قال: (إنَّه لا يمكن أن يتحقق السلام في المنطقة ما دام الإسلام شاهراً سيفه، ولن نطمئن على مستقبلنا حتى يغمد الإسلام سيفه إلى الأبد!).

نعم.. لقد جرب اليهود الشعارات العربية الثورية وخبروها خبرة تامة، وأدركوا أنها هراء محض، يُراد بها تحقيق مكاسب نفعية حزبية وشخصية، ويسهل ترويضها وتدجينها، وكما قال الشاعر:

ألقاب مملكة في غير موضعها
كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد

ولهذا جنَّ جنون اليهود لَّما قامت الانتفاضة الفلسطينية المباركة مرددة آيات القرآن العظيم، يحدوها الحنين لإحياء شعيرة الجهاد في سبيل الله تعالى، واستعادة أمجاد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى:

خرجوا على الأعداء يلقون الحجر
ويكبرون وفي حناجرهم عمر
فإذا الحجارة في الصباح قنابل
الطفل ليث في المعارك والخطر

فكانت دعوات السلام من أجل إيقاف هذا المدِّ الإسلامي ووأده في مهده. وليس غريباً على الإطلاق أن تتولى السلطة الفلسطينية هذا الدور بتفان كبير، حتى إن وزير العدل في السلطة الفلسطينية أكد أنهم لن يسمحوا بوقوع أية عمليات عسكرية ضد الدولة اليهودية. بل إن الرئيس ياسر عرفات أعلن خلال استقباله وفداً من أعضاء المؤتمر اليهودي العالمي في عام (١٩٩٦م) أنَّ عدد المعتقلين من الإسلاميين من أعضاء حركتي حماس والجهاد بلغ في سجون غزة (٩٠٠) معتقل، ممَّا جعل شمعون بيريز يعلن ارتياحه ورضاه عن الجهود التي بذلتها السلطة الفلسطينية للقضاء على الإسلاميين..!

وتأكيداً على طبيعة الهوية الفلسطينية القادمة نرى ياسر عرفات يؤكد بمناسبة وبغير مناسبة أنَّ الدولة الفلسطينية الموعودة دولة علمانية (!!)، وكأنه يريد أن يقدم مزيداً من الطمأنات للدولة اليهودية وحلفائها في الغرب والشرق؛ حتى إنَّ الشيخ عكرمة صبري إمام المسجد الأقصى لَّما أفتى بعدم جواز التنازل عن الحق بالعودة للاجئين والقبول بالتعويض لمن لا يرغب في العودة؛ استنكرت السلطة الفلسطينية الفتوى بشدة. وقال الطيب عبد الرحيم الأمين العام للرئاسة الفلسطينية: (إن المفتي ليس زعيم فصيل سياسي أو حركة؛ ولذا لا يحق له إصدار فتوى في قضايا سياسية، وطلب من المفتي عدم التدخل في تلك القضايا..!!) وكأن السلطة الفلسطينية تعلن للملأ أنه لا سياسة في الدين، ولا دين في السياسة.

حرام على بلابله الدوح
حلال للطير من كل جنس!

إنَّ أمام الإسلاميين عامة والفلسطينيين خاصة بمختلف فصائلهم وأحزابهم أمانة عظيمة، ومسؤولية جسيمة؛ فالمنطقة تمر بمفرق طريق، ومنعطف خطير، وقد آن الأوان لرص الصفوف وتنسيق الجهود، والنظر إلى المستقبل بعين بصيرة مدركة؛ فالأمر قد تجاوز الرؤى المرتجلة، والجهود الفردية المبعثرة، والبرامج الهزيلة المشتتة. إنَّ الأمر جد وليس بالهزل.. فهل نعي ذلك..؟!



بل هذا حكم الإسلام في الغناء

راشد بن عبد الله العدوان

«إذا تكلم المرء في غير فنه أتى بهذه العجائب»، هي كلمة حكيمة، وحكمة نادرة، قالها الحافظ ابن حجر العسقلاني، في (فتح الباري شرح صحيح البخاري) (٣/٤).

والحافظ ابن حجر هو إمام أهل العلم بالحديث، وخاتمة الحفاظ، بل هو المحدث الحقيقي الأبرز منذ القرن الثامن الهجري إلى الآن.

وقد قال هذه الحكمة الصادقة في شأن رجلٍ عالمٍ كبير من طبقة شيوخه وهو (محمد ابن يوسف الكرماني) شارح البخاري؛ إذ تعرض في شرحه لمسألة من دقائق فن الحديث لم يكن من أهلها، على علمه وفضله، فتعرض لما لم يتقن معرفته، والكرماني هو الكرماني، وابن حجر هو ابن حجر.

لقد وردت هذه الحكمة البليغة على خاطري، حين قرأت مقالاً نشرته مجلة (العربي) في عددها (٤٩٥) الصادر في شهر شوال لعام ١٤٢٠هـ، ووجدتها تنطبق على هذا المقال تمام الانطباق، وكأنها وضعت له، أو قيلت بادئ بدء في شأنه.

لقد تعصب كاتب المقال لرأيه الشاذ مقلداً ومتبعاً ومغتراً بما ذهب إليه الإمام ابن حزم ـ رحمه الله ـ من إباحة الغناء وآلات الطرب على اختلاف أنواعها في رسالته الموسومة بـ «رسالة في الغناء الملهي، أمباح هو أم محظور؟» من مجموعة رسائل ابن حزم الأندلسي، بتحقيق الدكتور «إحسان رشيد عباس» مستمسكاً بشبهات واهية، وبحجج هشة، ضعّف فيها الأحاديث الصحيحة الثابتة في تحريم المعازف والغناء الملهي. وتصور يا أخي مبلغ الأثر السيئ الذي سيكون لهذا المقال في قلوب القراء من الخاصة وطلاب العلم؛ فضلاً عن العامة وذلك لأمرين:

١ ـ شهرة ابن حزم العلمية في العالم الإسلامي، وإن كان ظاهري المذهب لا يأخذ بالقياس، خلافاً للأئمة الأربعة وغيرهم.

٢ ـ غلبة الهوى على أكثر الناس؛ فإذا رأوا مثل هذا الإمام يذهب إلى إباحة ما يتفق مع أهوائهم لم يصدهم شيء بعد ذلك من اتباع أهوائهم، بل قد يجدون فيما يسمعون من بعض المشايخ ما يسوغ لهم تقليدهم إياه، كقولهم: «من قلد عالماً لقي الله سالماً»، وإن

كان ابن حزم - رحمه الله - ينهى عن التقليد، ويحرمه أشد التحريم.

يضاف إلى ذلك قلة العلماء الناصحين الذين يذكِّرون الناس بالحكم الصحيح في هذه المسألة، والأحاديث الصحيحة الواردة فيها، وكثرة ما يكتب ويذاع مخالفاً لها، فيتوهمون أن ما قاله ابن حزم صحيح، لا سيما وهم يقرؤون لبعض العلماء المعاصرين بعض فتاوى تؤيد مذهبه، وتميل إلى إباحة الآلات الموسيقية، وإنكار تحريمها، وتضعيف الأحاديث الواردة فيها، ضاربين عرض الحائط بالحُفَّاظ المصححين لها ومذهب الأئمة القائلين بمدلولاتها. ومن هذا المنطلق، ونصحاً لله ولرسوله ولكتابه وللمسلمين، سأقف مع الكاتب الدكتور بعض الوقفات في رد شبهه وتمويهاته مستعيناً بالله تعالى.

● **الوقفة الأولى:** قال الدكتور في معرض حديثه عن حكم الغناء عند الفقهاء: «بينما العنبري عبيد الله بن الحسن العنبري - القاضي والفقيه والمحدث - لا يرى به بأساً (أي الغناء)... إلى أن قال:... في حين كان قاضي المدينة ومحدثها إبراهيم بن سعد لا يرى به بأساً» أ. هـ.

قلت: وهذا الكلام مردود من وجوه:

الوجه الأول: أما إبراهيم بن سعد فقد ثبت عنه قوله بتحليل السماع، وقد غلط من نسبه مذهباً لأهل المدينة بسبب قوله؛ فقد صح عن مالك أنه سئل عن السماع فقال: إنما يفعله عندنا الفساق. أما عبيد الله بن الحسن العنبري فقد كفانا ابن القيم - رحمه الله - مؤونة الرد على الدكتور؛ حيث قال: «عبيد الله بن الحسن العنبري قاضي البصرة مطعون فيه»[1]. يعني في دينه، وقد ذكر ابن حجر في ترجمته من التهذيب ما يدل على توبته؛ فهذه من زلات بعض العلماء التي أنكرت عليهم، غفر الله لهم[2].

قال ابن الجوزي - رحمه الله -: «قال الطبري: فقد أجمع علماء الأمصار على كراهية الغناء والمنع منه، وإنما فارق الجماعة إبراهيم بن سعد وعبيد الله العنبري، وقد قال ﷺ: من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية» ثم قال بعد ذلك بقليل: «فهذا قول علماء الشافعية وأهل التدين منهم (أي في تحريم الغناء)، وإنما رخص في ذلك من متأخريهم من قل علمه، وغلبه هواه» ا. هـ[3].

قال ابن رجب - رحمه الله -: «وقد حكى زكريا ابن يحيى الساجي اتفاق العلماء على النهي من الغناء إلا إبراهيم بن سعد المدني وعبيد الله بن الحسن العنبري قاضي البصرة، وهذا في الغناء دون سماع آلات الملاهي؛ فإنه لا يعرف عن أحد ممن سلف الرخصة فيه» ا. هـ[4].

وقال: «وهذا الخلاف في سماع الغناء المجرد، فأما سماع آلات اللهو فلم يُحْكَ في تحريمه خلاف»[5].

الوجه الثاني: أن قولهم ليس بحجة، بل الواجب رده؛ لأنه من المحدثات، لقول النبي ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد» متفق

---

(١) إغاثة اللهفان، (١/٢٣٠).

(٢) قلت: وقد حذر العلماء من تتبع زلات العلماء، قال بعض السلف: «من حمل شاذ العلم حمل شراً كبيراً» رواه أبو بكر الخلال في «الأمر بالمعروف» ص ٣٣، ونحوه قال سليمان التيمي: «إن أنت أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله» رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٩١).

(٣) تلبيس إبليس، ص ٢٤٥.

(٤) نزهة الأسماع في مسألة السماع، ص ٦٩.

(٥) المصدر السابق، ص ٧٤.



عليه من حديث عائشة رضي الله عنها. وفي رواية لسلم والبخاري تعليقاً مجزوماً به: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

وقد ثبت تحريم الغناء والمعازف عن الرسول ﷺ من وجوه كثيرة، ولا قول لأحد مع الرسول ﷺ.

قال مجاهد: «ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ».

الوقفة الثانية: قال الكاتب: «ورُوي عن الإمام أحمد بن حنبل في الغناء ثلاث روايات: الحل، والكراهة، والحرمة..».

وللجواب عن هذا أقول:

أما مذهب الإمام أحمد - رحمه الله - في سماع الغناء فقد بينه ابنه عبد الله، قال: سألت أبي عن الغناء، فقال: ينبت النفاق في القلب [1] لا يعجبني، ثم ذكر قول مالك: إنما يفعله عندنا الفساق.

وقال الحافظ: أبو الفرج ابن الجوزي - رحمه الله -: «أما مذهب الإمام أحمد - رحمه الله - فإنه كان الغناء في زمانه إنشاد قصائد الزهد، إلا أنهم لما كانوا يلحنونها اختلفت الرواية عنه: فروى عنه ابنه عبد الله أنه قال: «الغناء ينبت النفاق في القلب، لا يعجبني». وروى عنه إسماعيل بن إسحاق الثقفي: أنه سئل عن استماع القصائد، فقال: أكرهه، هو بدعة، ولا يجالسون... وروى عنه أبو الحارث أنه قال: التغبير بدعة، فقيل له: يرقق القلب فقال: هو بدعة».

«فهذه الروايات كلها دليل على كراهية الغناء...» إلى أن قال: «فبان من هذه الجملة أن الروايتين عن أحمد في الكراهة وعدمها تتعلق بالزهديات الملحنة، فأما الغناء المعروف اليوم فمحظور عنده، كيف لو علم ما أحدث الناس من الزيادات» انتهى كلام ابن الجوزي[2].

وقد أجمع الأئمة الأربعة وأهل العلم على المنع من الغناء وآلات اللهو، وقد حكى شيخ الإسلام ابن تيمية اتفاقهم على ذلك، فقال: «وآلات اللهو لا يجوز اتخاذها، ولا الاستئجار عليها عند الأئمة الأربعة..

وقال: وأما الغناء المجرد فمحرم عند أبي حنيفة ومالك، وهو أحد القولين في مذهب الشافعي، وأحمد، وعنهما أنه مكروه».

● **الوقفة الثالثة:** قال كاتب المقال: «أما المرويات والمأثورات التي تحرم الغناء والمعازف فلقد ثبت بمقاييس الرواية ومعايير الجرح والتعديل للرواة أن جميعها مطعون فيه، وليس فيها حديث واحد صحيح (!!)، ومع ذلك روَّجها وأشاعها واستخدمها الذين لا دراية لهم بصناعة الحديث ومقاييس صحته..» ثم ذكر كلاماً لابن طاهر وابن حزم في الطعن في الأحاديث الناهية عن الغناء.

وكلامه مردود من عدة وجوه:

الوجه الأول: تأمل قوله: (وليس فيها حديث واحد صحيح) وما فيه من التلاعب بعقول القراء، والتمويه على الجهلة الأغبياء، كما لا يخفى على من نوَّر الله قلبه بنور العلم والإيمان.

الوجه الثاني: أن في كلام الدكتور تجاوزاً ظاهراً؛ حيث زعم أنه لم يرد فيها نص ثابت في تحريم الغناء وآلاته، وأين هو من الأحاديث الثابتة الصحيحة، ومن ذلك:

١ - ما أخرجه البخاري في صحيحه (٥٥٩٠) من حديث أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون

---

(١) قد ثبت هذا من قول ابن مسعود رضي الله عنه، وإسناده صحيح، انظر «تحريم آلات الطرب» للعلامة الألباني رحمه الله، ص ١٤٥.

(٢) تلبيس إبليس (١٤٩، ١٥٠).

الحِرَ[1]، والحرير، والخمر، والمعازف، ولينزلن أقوام إلى جنب عَلَمٍ، يروح عليهم بسارحة لهم، يأتيهم - يعني الفقير - لحاجة فيقولون: ارجع إلينا غداً، فيبيتهم الله، ويضع العلم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة».

٢ - ما أخرجه ابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» بإسناد حسن أن النبي ﷺ قال: «إن في أمتي خسفاً ومسخاً وقذفاً، قالوا: يا رسول الله! وهم يشهدون أن لا إله إلا الله؟ فقال: نعم، إذا ظهرت المعازف، والخمور، ولبس الحرير».

٣ - ما رواه عمرو بن الوليد بن عبدة عنه به مرفوعاً بلفظ:

«إن الله - عز وجل - حرم الخمر، والميسر، والكوبة[2]، والغبيراء، وكل مسكر حرام» أخرجه الإمام أحمد في المسند (٦٥٩١) والبيهقي بإسناد صحيح، إلى غير ذلك من الأحاديث الثابتة الصحيحة المروية عن جمع من الصحابة رضوان الله عليهم.

الوجه الثالث: أن الأدلة ليست مقصورة على الكتاب والسنة، بل يستدل بهما وبالإجماع وبقول الصحابي إذا لم يعرف له مخالف منهم على القول الصحيح، وبالقياس الصحيح عن جمهور العلماء، وبغير ذلك مما هو مقرر في كتب الأصول، ولم يخالف في حجية الإجماع إلا أهل البدع والأهواء، ولا عبرة بخلافهم؛ حيث إن الإجماع لا يكون إلا عن دليل سالم من الطعن والمعارض.

الوجه الرابع: عوَّلَ الكاتب على إعلال ابن طاهر وابن حزم للأحاديث الصحيحة، مموهاً على القراء، وابن حزم الظاهري من العلماء الحفاظ، قال الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ١٨٤): «وكان ينهض بعلوم جمة، ويجيد النقل، ويحسن النظم والنثر، وفيه دين وخير ومقاصده جميلة، ومصنفاته مفيدة، وقد زهد في الرئاسة ولزم منزله مكباً على العلم، فلا نغلو فيه، ولا نجفو عنه، وقد أثنى عليه قبلنا الكبار»، وقال أيضا: «ولي أنا ميل إلى أبي محمد لمحبته في الحديث الصحيح، ومعرفته به، وإن كنت لا أوافقه في كثير مما يقوله في الرجال والعلل، والمسائل البشعة في الأصول والفروع، وأقطع بخطئه في غير ما مسألة» ا. هـ.

ولابن حزم - رحمه الله - كلام في الجرح والتعديل، والنقد والتعليل منثور في مؤلفاته ومصنفاته.

فما هو موقف العلماء منه؟

قال الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٤/ ١٩٨ - ٢٠٢) في ترجمة ابن حزم: «كان واسع الحفظ جداً، إلا أنه لثقته بحافظته كان يهجم على القول في التعديل والتجريح وتبيين أسماء الرواة، فيقع له من ذلك أوهام شنيعة».

وقال العلامة المحدث الألباني - رحمه الله -: «وابن حزم - مع علمه وفضله وعقله - فهو ليس طويل الباع في الاطلاع على الأحاديث وطرقها ورواتها»، وقال بعد ذلك: «فينبغي ألا يؤخذ كلامه على الأحاديث إلا بعد التثبت من صحته وعدم شذوذه»[3].

(١) ورد في رواية أخرى بلفظ (الخز) وقد رجح الإمام عبد الحق الإشبيلي في «الأحكام» رواية: «الحِرَ» كما نقله الزيلعي في نصب الراية (٤/ ٢٣١). والعلَم: الجبل.

(٢) قال الخطابي في «المعالم» (٥/ ٣٦٨): «والكوبة» يُفسَّر بـ (الطبل) ويقال: هو (النرد)، ويدخل في معناه كل وتر ومزهر ونحو ذلك من الملاهي والغناء» انتهى نقلاً عن «تحريم آلات الطرب» للألباني.

(٣) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١/ ١٤١).



أما ابن طاهر ـ رحمه الله ـ فقد قال ابن حجر الهيتمي عنه: «وأما حكاية ابن طاهر عن صاحب التنبيه أنه كان يبيح سماع العود ويسمعه، وأنه مشهور عنه، وأن أحداً من علماء عصره لم ينكره عليه، وأن حلَّه هو ما أجمع عليه أهل المدينة، فقد ردوا على ابن طاهر بأنه مجازف إباحي كذاب مرجس العقيدة بخسها..» (إلى أن قال): «فإن ابن الطاهر متكلم فيه عند أهل الحديث بسبب الإباحة أوغيرها» ا. هـ [(١)].

الوقفة الرابعة: ذكر الكاتب الأحاديث التي أوردها ابن حزم ـ رحمه الله ـ في رسالته قادحاً في رواتها، ومضعفاً لأسانيدها؛ ولذلك تعقبه العلماء ـ أهل الحديث ـ في توهينه للأحاديث الصحيحة أو ذات الإسناد الحسن، وفيما يلي بعض الأحاديث التي أوردها صاحب المقال، وسأعقبها بأقوال أهل العلم، فأقول وبالله التوفيق:

١ ـ حديث معاوية: «أن رسول الله ﷺ نهى عن تسع... منهن الغناء» قال ابن حزم في رسالته في معرض نقده لهذا الحديث ص٤٣٤: «وأما حديث معاوية فإن فيه كيسان، ولا يدرى من هو، ومحمد ابن مهاجر، وهو ضعيف» ا. هـ.

قلت: قد خالف ابن حزم الأئمة الحفاظ في هذا؛ حيث نقل أهل هذا الفن بأن محمد بن مهاجر هذا ثقة، وثقه أحمد وابن معين ودحيم وأبو زرعة الدمشقي وأبو داود ويعقوب بن سفيان وابن حبان والعجلي، ولم يجرحه أحد، فقول ابن حزم: «ضعيف» غلط، لكن الحديث ضعيف لجهالة كيسان[(٢)].

٢ ـ نقل الكاتب من كلام ابن حزم قوله: «حديث سلام بن مسكين، عن شيخ شهر بن مسعود يقول: «الغناء ينبت النفاق في القلب» في رواة هذا الحديث شيخ لم يُسَمَّ، ولا يعرفه أحد» ا. هـ.

لكن هذا الأثر عن ابن مسعود صححه بعض أهل العلم، قال العلاَّمة الألباني ـ رحمه الله ـ: «قلت: وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات[(٣)]. وقد أشار إليه ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (١/٢٤٨)، وقال: «وهو صحيح عن ابن مسعود من قوله».

قال الألباني معقباً على قول ابن القيم: «ولكنه في حكم المرفوع؛ إذ مثله لا يقال من قِبَل الرأي، كما قال الآلوسي في «روح المعاني» (١١/٦٨)» ا. هـ.

أما قول ابن حزم: «في رواة هذا الحديث شيخ لم يسمَّ، ولا يعرفه أحد» فهذا «من سوء تصرف ابن حزم في الأحاديث؛ فإن عدم معرفته بأحوال الرواة لا يستلزم سقوط الخبر؛ فقد يعرف غيره ما جهله»[(٤)]، «ومن المقرر عند العلماء أن من عرف حجةٌ على من لم يعرف»[(٥)].

٣ ـ ثم ذكر كاتب المقال نقلاً عن ابن حزم ـ رحمه الله ـ تضعيف حديث أبي مالك الأشعري أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ليكونن من أمتي قوم يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف».

ثم أورد إعلال ابن حزم لهذا الحديث بقوله: «لم يورده البخاري مسنداً، وإنما قال فيه: قال هشام ابن عمار، ثم هو إلى أبي عامر، أو إلى أبي مالك،

---

(١) «الزواجر عن اقتراف الكبائر» لابن حجر الهيتمي (٢/٤٦١).

(٢) أحاديث ذم الغناء والمعازف في الميزان، للشيخ عبد الله الجديع، ص ٨٠.

(٣) تحريم آلات الطرب، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، ص ١٤٥.

(٤) تنبيه اللاهي على تحريم الملاهي، للشيخ إسماعيل الانصاري ص ٣٤.

(٥) تحريم آلات الطرب، ص ٤٧.

ولا يُدرى أبو عامر هذا» ا. هـ. من رسالته.

فأعلَّه ابن حزم بعلتين: الأولى الانقطاع بين البخاري وهشام، والأخرى جهالة الصحابي الأشعري.

والجواب عن قدح ابن حزم لهذا الحديث من وجوه عدة:

الوجه الأول: رد الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ إعلال ابن حزم على هذا الحديث في بعض كتبه؛ حيث قال في «تهذيب سنن أبي داود» (٥/٧٠م):

«وقد طعن ابن حزم وغيره في هذا الحديث، وقالوا لا يصح؛ لأنه منقطع، لم يذكر البخاري من حدَّث به، وإنما قال: (وقال هشام بن عمار)! وهذا القدح باطل من وجوه:

أحدها: أن البخاري قد لقي هشام بن عمار، وسمع منه، فإذا روى عنه معنعناً، حمل على الاتصال اتفاقاً[1]، لحصول المعاصرة والسماع، فإذا قال: (قال هشام) لم يكن فرق بينه وبين قوله: (عن هشام) أصلاً.

والثاني: أن الثقات الأثبات قد رووه عن هشام موصولاً:

قال الإسماعيلي في (صحيحه): أخبرني الحسن: حدثنا هشام بن عمار... بإسناده ومتنه سواء. والحسن: هو ابن سفيان.

الثالث: أنه قد صح من غير حديث هشام:

قال الإسماعيلي في (الصحيح): حدثنا الحسن، حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم، حدثنا بشر، حدثنا ابن جابر عن عطية بن قيس قال: قام ربيعة الجرشي في الناس.. فذكر حديثاً فيه طول، قال: فإذا عبد الرحمن بن غَنْم، فقال: يميناً حلفت عليها، حدثني أبو عامر ـ أو أبو مالك ـ الأشعري: والله ـ يميناً أخرى ـ حدثني أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ليكونن في أمتي قوم يستحلون الخمر ـ وفي حديث هشام: الخمر والحرير، وفي حديث دُحَيْم: الخَزَّ والحرير والخمر والمعازف..» فذكر الحديث.

ورواه عثمان بن أبي شيبة: حدثنا زيد بن الخباب قال: أخبرني معاوية بن صالح: حدثني حاتم بن حُريث عن مالك بن أبي مريم قال: تذاكرنا الطلاق، فدخل علينا عبد الرحمن بن غَنْم، فقال: حدثني أبو مالك الأشعري أنه سمع رسول الله ﷺ فذكر الحديث بلفظه.

الرابع: أن البخاري لو لم يلق هشاماً، ولم يسمع منه، فإدخاله هذا الحديث في «صحيحه» وجزمُهُ به، يدل على أنه ثابت عنده عن هشام فلم يذكر الواسطة بينه وبينه: إما لشهرتهم، وإما لكثرتهم، فهو معروف مشهور عن هشام، تغني شهرته به عن ذكر الواسطة.

الخامس: أن البخاري له عادة صحيحة في تعليقه، وهي حرصه على إضافته الحديث إلى من علقه عنه إذا كان صحيحاً عنده، فيقول: (وقال فلان) (وقال رسول الله ﷺ) وإن كان فيه علة، قال: (ويذكر عن فلان) أو (ويذكر عن رسول الله ﷺ).

ومن استقرأ كتابه علم ذلك، وهنا قد جزم بإضافة الحديث إلى هشام، فهو صحيح عنده.

السادس: أنه قد ذكره محتجاً به، مدخلاً له في كتابه (الصحيح) أصلاً لا استشهاداً؛ فالحديث صحيح بلا ريب» انتهى.

وقال أيضاً في «إغاثة اللهفان» (١/٢٥٨) بعد إيراده الحديث: «هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في (صحيحه) محتجاً به، وعلقه تعليقاً مجزوماً به..».

ثم قال: «ولم يصنع من قدح في صحة هذا

---

(١) وزاد في «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٦٠): «فالبخاري أبعد خلق الله من التدليس».

لحديث شيئاً، كابن حزم، نصرة لمذهبه الباطل في إباحة الملاهي، وزعم أنه منقطع؛ لأن البخاري لم يصل سنده به، وجواب هذا الوهم من وجوه...» يذكر الوجوه آنفة الذكر، ثم قال: «لو ضربنا عن هذا كله صفحاً، فالحديث متصل عند غيره...» ثم ذكر من وصله.

وقال في «روضة المحبين» ص ١٣٠ :

«... وأما أبو محمد [ابن حزم] فإنه على قدر يبسه وقسوته في التمسك بالظاهر، وإلغائه للمعاني المناسبات والحكم والعلل الشرعية، انْمَاعَ في باب العشق والنظر وسماع الملاهي المحرمة، فوسَّع هذا الباب جداً، وضيَّق باب المناسبات والمعاني والحكم الشرعية جداً، وهو من انحرافه في الطرفين حين ردَّ الحديث الذي رواه البخاري في (صحيحه) في تحريم آلات اللهو بأنه معلق غير مسند، وخفي عليه أن......» ثم رد عليه بنحو ما سبق، وقال:

«... فأبطل سنة صحيحة ثابتة عن رسول الله ﷺ لا مطعن فيها بوجه».

وقال العلامة الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» [٦/٤٧٥] :

«والبخاري إذا علق شيئاً بصيغة الجزم يحتج به، ثم إن البخاري علقه عن هشام بن عمار وقد لقيه، فيحمل على السماع. فالحكم حينئذ للوصل، كما هو معروف في موضعه» ا. هـ.

وقال ابن حجر الهيتمي في «الزواجر» ص٤٦٠ :

«ومن عجيب تساهل ابن حزم واتباعه لهواه أنه بلغ من التعصب إلى أن حكم على هذا الحديث وكل ما ورد في الباب بالوضع وهو كذب صراح منه، فلا يحل لأحد التعويل عليه في شيء من ذلك».

وقال قبل ذلك: «وصح (أي هذا الحديث) من طرق خلافاً لما وهم فيه ابن حزم فقد علقه البخاري، ووصله الإسماعيلي، وأحمد، وابن ماجة، وأبو نعيم، وأبو داود بأسانيد صحيحة لا مطعن فيها، وصححه جماعة آخرون من الأئمة كما قاله بعض الحفاظ» ا. هـ.

«وخلاصة الكلام في هذا الحديث أن مداره على عبد الرحمن بن غنم، وهو ثقة اتفاقاً، رواه عنه قيس بن عطية الثقة، وإسناده إليه صحيح، وعلى مالك بن أبي مريم، وإبراهيم بن عبد الحميد، وهو ثقة، وثلاثتهم ذكروا (المعازف) في جملة المحرمات المقطوع بتحريمها؛ فمن أصر بعد هذا على تضعيف الحديث فهو متكبر معاند، ينصبُّ عليه قول النبي ﷺ: (لا يدخل الجنة، من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) الحديث، وفيه: (الكبر: بطر الحق وغمط الناس) رواه مسلم»[1].

وبهذا ينتهي الجواب عن العلة الأولى وهي الانقطاع التي زعمها ابن حزم ومقلدوه، وتبين جلياً أنها (سراب) وبقي الجواب عن العلة الأخرى، وهي الشك في اسم الصحابي، فأقول:

الجواب عن العلة الثانية: أن إعلال ابن حزم لهذا الحديث بسبب الشك في اسم الصحابي، شبهة أشد ضعفاً عند العلماء، وفي ذلك قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٠/٢٤) :

«الشك في اسم الصحابي لا يضر، وقد أعله بذلك ابن حزم وهو مردود».

فالصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كلهم عدول؛ فالشك غير قادح «وذلك لأن الراوي عند تصريحه بالسماع من النبي ﷺ ثقة من كبار التابعين؛ بل قيل بصحبته؛ فهو من العارفين بصحبة محدثه عن

---

(١) تحريم آلات الطرب، ص ٥١.

النبي ﷺ ولا سيما وقد أكد ذلك بقوله: (والله ما كذبني) فلا يضرنا بعد ذلك شكه وتردده ما دام أنه أخبرنا بصحبته»[1].

«وقول ابن حزم: (ولا يدرى أبو عامر هذا) مردود عليه؛ إذ أبو عامر صحابي، والصحابي ثقة، سواء عرف اسمه أم لم يعرف، أو عرفت كنيته أم لم تعرف، كما هو مذهب جماهير أهل العلم»[2].

والخلاصة: أن الشك في هذه الرواية ليس من وجوه الاضطراب في شيء ولا يمكن القدح بسببه في هذه الرواية. فأبو عامر أو أبو مالك كلاهما ثابت الصحبة.

لذا قال العلامة العيني في «عمدة القاري» (٢١/١٧٥) رداً على من شكك في صحة الحديث بسبب التردد في اسم الصحابي:

«هذا ليس بشيء؛ إذ التردد في الصحابي لا يضر؛ إذ كلهم عدول»

قال الشيخ إسماعيل الأنصاري، بعد أن رد هذه الدعوى: «فبهذا تبين اتصال الحديث وبطلان كلام ابن حزم فيه، ولذلك حذر العلماء من الاعتماد على كلام ابن حزم فيه، كابن الصلاح في (مقدمة علوم الحديث) وابن كثير في (الباعث) وابن عبد الهادي في (المحرر)، والعراقي في (ألفية المصطلح) وابن القيم في (تهذيب السنن) وفي (إغاثة اللهفان)، وفي (روضة المحبين) والحافظ ابن حجر في (فتح الباري) والعيني في (عمدة القاري) وغيرهم»[3].

٤ ـ قال الدكتور معلقاً على حديث البخاري السابق: «وأنا أضيف إلى القدح في إسناد هذا الحديث أنه يتكلم عن قوم يستحلون الزنا والخمر ويقرنون مجالس الزنا والخمر هذه بالمعازف التي أصبحت عوناً على الكبائر والفواحش، فليست المعازف هنا مفردة، ولا مرادة لذاتها» ا. هـ.

أقول: «اجعل (أضيف) عند ذاك الكوكب»[4] فإن هذا التعليل فاسد من وجوه:

أحدها: ليس في الحديث ما يدل على أن التحريم المذكور إنما هو على شرط استحلال الخمر والزنا فقط، بل ظاهر الحديث يدل على أن التحريم المذكور مرتب على مجموع ما ذكر فيه من استحلال الخمر والزنا والحرير والمعازف.

ثانياً: من عجيب أمر صاحب المقال عدوله عما يدل عليه ظاهر الحديث، واتباعه للظن في ترتيب الوعيد على استحلال الخمر والزنا فقط، مع أنه من المقرر أن الدين لا يؤخذ بالظن.

ثالثاً: أن التأويل الذي ذهب إليه الدكتور لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا قياس ولا قول صحابي، وما لم يكن عليه دليل فليس عليه تعويل.

٥ ـ حديث أبي مالك الأشعري، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «يشرب ناس من أمتي الخمر، يسمونها بغير اسمها، تضرب على رؤوسهم المعازف والقينات، يخسف بهم الأرض» ضعفه ابن حزم، وتبعه الكاتب مقلداً، وقد صححه ابن القيم في موضعين من «الإغاثة» (١/٢٤٧ و ٣٦١).

وقال: «وهذا إسناد صحيح» وتبعه السيوطي في «الجامع الصغير» والمناوي في «فيض القدير»

---

(١) المصدر السابق، ص ٨٥.

(٢) الكاشف، للشيخ علي حسن علي عبد الحميد الأثري، ص ٤٧.

(٣) تنبيه اللاهي، ص ٢٢.

(٤) اقتباس مما رواه الطبراني (١٢/٢٦٤/١٣٠٠٨) بسند صحيح عن أبي مجلز، قال: كنت أسأل ابن عمر عن الوتر، فجعل يقول: آخر الليل فقلت: أرأيت... ؟ أرأيت...؟ فقال: «اجعل (أرأيت) عند ذاك الكوكب».

انظر مجموع الفتاوى (١١/٥٧)، وصيانة مسلم لابن الصلاح (٨٢، ٨٣).

كما أن الألباني صححه كما في «تحريم آلات الطرب» ص٤٥، وفي «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (رقم ١٨٨٧).

٦ ـ حديث عقبة بن عامر الجهني: «قال رسول الله ﷺ: كل شيء يلهو به الرجل فباطل إلا رمي الرجل بقوس، أو تأديبه فرسه، أو ملاعبته امرأته، فإنهن من الحق»، وقال ابن حزم: «وفي رواة هذا الحديث عبد الله بن زيد بن الأزرق وهو مجهول.. وللحديث طريق آخر، في رواته: خالد بن زيد وهو مجهول».

والجواب عن هذا أن يقال:

«هذا الحديث جيد الإسناد، رواته كلهم ثقات، وقد رواه الدارمي والترمذي وابن ماجة في سننهم من طريق هشام الدستوائي، وقال الترمذي: هذا حديث حسن» وعبد الله بن زيد بن الأزرق معروف عند أهل العلم، وقد وثقه ابن حبان وحسن حديثه الترمذي، وقال الحافظ ابن حجر في (التقريب): إنه مقبول.

أما خالد بن زيد فقد قال عنه الحافظ في (تهذيب التهذيب): خالد بن زيد بن خالد الجهني ذكره ابن حبان في (الثقات)»[1].

وصححه العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ في «الصحيحة» (١/٦٢٧).

٧ ـ حديث: «كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو ولعب إلا أن يكون أربعة: ملاعبة الرجل امرأته، وتأديب الرجل فرسه، ومشي الرجل بين الغرضين، وتعليم الرجل السباحة» ثم ذكر إعلال ابن حزم ... إلى أن قال ابن حزم: «ثم إن هذا الحديث ليس فيه تحريم... فاللعب ـ كما في هذه الرواية و (السهو واللغو) كما في روايته الأخرى ـ غير التحريم».

والجواب أن يقال: قد صحح هذا الحديث الحافظان: عبد العظيم المنذري، وابن حجر العسقلاني، وهما أعلم بالرجال وجيد الأسانيد وضعيفها من ابن حزم. قال ابن حجر في الإصابة: «رواه النسائي بإسناد صحيح، وقال الحافظ المنذري في (الترغيب والترهيب): رواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد».

أما قول ابن حزم: «ثم ليس فيه إلا أنه سهو ولغو وليس فيه تحريم».

فجوابه: أن يقال إن المراد باللغو ـ كما في حديث: «كل شيء ليس من ذكر الله ـ عز وجل ـ فهو لهو أو سهو إلا أربع خصال...» الحديث: هو الباطل، وكما تقدم ذلك صريحاً في رواية عبد الله ابن الأزرق[2]. وصححه الألباني كما في «صحيح الجامع» (٤٥٣٤).

٨ ـ حديث أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: «يمسخ قوم من أمتي في آخر الزمان قردة وخنازير، قالوا: يا رسول الله! يشهدون أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله؟ قال: نعم! ويصلون ويصومون ويحجون. قالوا: فما بالهم يا رسول الله؟ قال: اتخذوا المعازف والقينات والدفوف ويشربون هذه الأشربة، فباتوا على لهوهم وشرابهم فأصبحوا قردة وخنازير».

ثم أعله ابن حزم بقوله: «هذا الحديث مروي عن رجل لم يُسَمَّ ولم يُدْرَ من هو».

أقول: حُكْمُ ابن حزم على هذا الحديث بالسقوط، لكونه لم يعرف بعض من فيه من

---

(1) فصل الخطاب في الرد على أبي تراب، للشيخ حمود التويجري، ص ٢٧٨.

(2) المصدر السابق ص ٢٨٠.

الرواة، دعوى لا زمام لها ولا خطام، ولو أن كل من جهل أحداً من المحدثين حكم بسقوط حديثه، لسقط كثير من الأحاديث الصحيحة؛ لأنه ليس أحد من العلماء يحيط علماً بجميع الرجال، وشاهد ذلك كتب الجرح والتعديل وأسماء الرواة؛ فإنه يوجد في بعضها ما لا يوجد في بعضها الآخر، ويخفى على بعض العلماء ما لا يخفى على غيره.

وأقول أيضاً: إنه ثبت أن هذا الحديث إسناده حسن كما بين ذلك الشيخ عبد الله الجديع - حفظه الله - في كتابه القيم: «أحاديث ذم الغناء والمعازف في الميزان» ص ٣٦ وما بعدها؛ فليراجعه من شاء.

٩ - حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول ﷺ: «من مات وعنده جارية مغنية فلا تصلوا عليه»، قال ابن حزم: «هاشم وعمر مجهولان، ومكحول لم يلق عائشة».

الجواب أن يقال: «هذا حديث ضعيف كما قاله ابن حزم، وليس هو مما يحتج به القائلون بتحريم الغناء كما زعم ذلك ابن حزم، وإنما يذكرونه وأمثاله للاستئناس والاستشهاد، وفي الأحاديث الصحيحة غنية عنه وعن أمثاله من الأحاديث الضعيفة»(١).

١٠ - قال الدكتور نقلاً عن ابن حزم: «حديث ابن شعبان عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قول الله - عز وجل -: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ﴾ [لقمان: ٦]، قال: الغناء، وأحاديث ابن شعبان هالكة».

أقول: إن تفسير ﴿لهو الحديث﴾ بالغناء قد ثبت عن عدد من الصحابة منهم:

ابن عباس رضي الله عنه، كما روى ذلك البيهقي في سننه (١٠/٢٢٣)، والبخاري في الأدب المفرد، وابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (ص ٢٣١) وغيرهم. وروى البخاري في تاريخه الكبير (٤/٢١٧) عن عكرمة (لهو الحديث: الغناء) وعكرمة وارث علم ابن عباس.

وقد ورد أيضا من قول ابن مسعود - رضي الله عنه - كما أخرج ذلك البيهقي في السنن (١٠/٢٢٣)، وفي شعب الإيمان، وابن الجوزي في «التلبيس» ص ٢٣١؛ حيث سئل عن هذه الآية فقال: هو الغناء؛ والذي لا إله إلا هو - يرددها ثلاث مرات، وإسناده حسن(٢).

وكذلك ورد عن عدد من التابعين منهم: قتادة، وعكرمة، وإبراهيم النخعي، ومجاهد، وغيرهم.

١١ - ثم قال الكاتب تحت عنوان: «الحرمة للتوظيف لا للذات».

قال: «ثم إنه مع التسليم بأن المراد باللهو هنا الغناء، فهو ليس مطلق الغناء، ولا كل الغناء، وإنما هو الغناء الذي يتخذه المشركون ليضلوا عن سبيل الله، وليتخذوا سبيل الله هزواً.. فحرمته ليست لذاته وإنما لتوظيفه في الإضلال عن سبيل الله، وكل ما يضل عن سبيل الله حرام حتى ولو كان واجباً، أو مندوباً في ذاته».

فأقول جواباً على ذلك: إن الدكتور نسي أو تناسى - وكلاهما مر - أن اللام في قوله - تعالى -: (ليضل) إنما هي لام العاقبة كما في تفسير «الواحدي» أي: ليصير أمره إلى الضلال، كما قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (/٣١٧). فليس هو للتعليل.

ومن خلال ما تقدم، تبين المدى الذي وصل إليه الكاتب متابعاً ابن حزم من توهين الأحاديث الصحيحة، وتبين أنها مجرد جعجعة بدون طحن، ولولا خشية الإطالة لتتبعت الكاتب في سائر ما ذكر، لكن في هذا القدر كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد، والله المستعان.

(١) المصدر السابق، ص ٢٩٤.

(٢) انظر «أحاديث الغناء» ص ١٤٧.





عالمية القرآن

د. محمد خليل جيجك

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن العصر الذي نحن فيه أتى معه إلى جنب ذلك التقدم الهائل في ساحات العلم والمعرفة وغيرها بمشاكل فكرية عقدية كثيرة. ولا جرم أن من أهم ما أصيب في هذا العصر بالقسط الأوفر من المشاكل والأزمات هو الدين بحقه وباطله. أما تلك الأديان الباطلة فاستُخِفَّت أمام أعاصير شبهات المعاصرين استخفاف الريشة أمام الرياح العاصفة فلم تقاومها لا في نقير ولا قطمير.

أما دوامها على الساحة فلمجرد كونها تشكل عنصراً ثقافياً أو ثقافة فلكلورية للقوم الذين ينتسبون إليها، وأما الدين الإسلامي الحنيف الذي هو الدين الحق فاستطاع بما يحتوي عليه من تلك البراهين الواضحة والأدلة القاطعة أن يقاوم ذاك الباطل الوافد إليه من الخارج الذي استقدمه بعض الأغرار فاشتدت صولة المعاصرين الوضعيين وأذنابهم من الذين يريدون أن يستأصلوا شأفة الدين بأجمعه عن المجتمع فاشتدت صولتهم على الإسلام، وأتوا في كل يوم بباطل جديد وهجوم شديد، وازدادت مع الأيام مخططاتهم ضد الحق وأهله؛ لأنهم رأوا في الإسلام مقاومة متينة ما كانوا يحسبون حسابها، فهجموا على الإسلام هجمة شرسة، وحاولوا النيل من عقائده وزلزلة كيانه في القلوب والصدور باختلاق الأكاذيب الشنيعة عليه مما هو منه براء. ومن جملة تلك الأباطيل التي حاكوها وصار ينعق بها أجراؤهم ما اختلقوه ضد كتاب الإسلام في الآونة الأخيرة، وهو زعمهم أنه كتاب تاريخاني خاطب عصراً محدداً فقط ثم عفى عليه الزمن، ولم يبق له في هذه الدنيا المعاصرة مفعول إجرائي.

فوجب على علماء المسلمين أن يتصدوا لرد هذا الافتراء الشنيع الذي رده القرآن بالكثير من آياته وغزير مضامينه وجزيل مفاهيمه، وأن يردوه رداً علمياً يقتنع به أرباب الخبرة والحكمة وينتفع به أصحاب الروية والبصيرة كما سنذكر ذلك فيما يلي:

تمهيد:

إن قيمة عالمية القرآن من أهم القضايا التي يتحتم على علماء المسلمين المعاصرين أن يبينوها ويذكروا وجه الصواب فيها بالبراهين العقلية والحجج النقلية والأدلة الناصعة؛ لأنه قد خرج في الأوساط المسلمة في مختلف بلاد العالم الإسلامي، في هذا القرن من ينكرون

عالمية القرآن بزعم تاريخانيته - كما أسلفنا ذلك - مع أننا - نحن معاشر المسلمين سلفاً وخلفاً. منذ أن بعث الله هذا الكتاب إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها - نعتقد اعتقاداً جازماً انطلاقاً من نصوص كثيرة باهرة أن القرآن هو كتاب الله الذي خاطب البشرية به جميعاً إلى يوم القيامة بلا تقيد بزمان دون زمان، أو مكان دون مكان، أو جنس دون جنس، أو طبقة دون طبقة خاطبهم جميعاً بما يسعدهم في دنياهم وأخراهم من العقائد التي تليق بعظمة الخالق العظيم، والعبادات المعظمة لجلال الفاطر الحكيم التي تليق بقدسيته وكبريائه، والأحكام الرفيعة والأخلاق الفاضلة التي يسمو بها بنو البشر إذا طبقوها وعملوا بها - روحاً ونفساً، ومادة ومعنى، وفرداً ومجتمعاً. ويتطور المجتمع بما تحتوي عليه تلك المبادئ من الطاقات المحركة علماً وتفكيراً؛ فهو وحده القادر على تقديم بديل حضاري متضمن لأفضل الأسس لأكرم حضارة عالمية إنسانية تجاه ما ابتليت به الإنسانية من الحضارة الغربية التي لم تستطع أن تسعد الإنسان فرداً وجماعة سوى في جوانب طفيفة مادية.

عالمية القرآن إذاً من أوسع القضايا القرآنية مساحة وتغطية، ولكن لا يسعنا - وقد التزمنا الإيجاز في حدود هذه المقالة القصيرة لقلة بضاعتنا - إلا الإيماء بإشارات خفيفة لطيفة إلى هذا الموضوع الهام لعل الله يقيض له في مستقبل الأيام من رجالات العلم من يعطيه حقه.

ولكون القضية من البدهيات عند المسلمين بحيث لم يناقش فيه أحد عبر التاريخ الإسلامي كله رأينا أن علماء الإسلام ما كتبوا في الموضوع شيئاً يعتد به سوى بعض تلك المعلومات التفسيرية التي كتبوها بمناسبة تفسير تلك الآيات التي تدل على عالمية القرآن وهي آية: يوسف ١٢/١٠٤، الأنبياء ٢١/١٠٧، الفرقان ٢٥/١، سبأ ٣٤/٢٨، ص ٣٨/٨٧، القلم ٦٨/٥٢، التكوير ٨١/٢٧، وقد بحثنا في بعض المكتبات فلم نجد في الموضوع سوى بعض المقالات القصيرة لبعض العلماء.

وقبل عرض موضوع عالمية القرآن باعتبار مضمونه ومحتواه نرى أن نقدم بكلمة مختصرة عن التاريخانية التي ساقتنا إلى تناول هذا الموضوع.

إن مسألة تاريخانية(١) القرآن مسألة طلعت في زي الحداثة المزخرف المنمق من تحت قرن شيطان الاستشراق فلاكها بألسنتهم مقلدوهم من بعض مثقفي المسلمين عامداً بعضهم إلى ما تأتي به من العاقبة السيئة، وغير شاعر بعضهم الآخر بمغبتها المشؤومة التي أقلها زحزحة عقيدة بعض المسلمين وإضعاف ثقتهم بالقرآن - وهو الهدف الفريد الذي يسعى إليه بكدح بالغ المستشرقون وأذنابهم؛ لأنها لا تتواءم مع العقيدة الإسلامية الحقة، لا في قليل ولا كثير؛ فهي تتنافى مع علم الله المطلق التام، وتتنافى مع حقيقة خلود رسالة القرآن وأحكامه مدى العصور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وأهم أهداف التاريخانية التي خطها لها شيطان الاستشراق ضمن خطة مزورة متدثرة بالعلمية والموضوعية (!) هو الإبانة عن أن القرآن أضحى قديماً مع الزمن وأبلاه كر الليالي وأخلقه مر العصور؛ حيث كان كتاباً تاريخانياً خاطب كتلة محدودة من البشر في قطاع خاص من التاريخ والزمن، وكان في مستطاعه في تلك الأزمنة المحدودة تقديم حلول نافعة لتلك الكتلة الخاصة في ذلك القطاع الخاص.

وأما بعد الذي حدث من ثورات عظيمة في معظم جوانب حياة الإنسان الفردية والاجتماعية والإدارية والسياسية والاقتصادية وغيرها فلم يبق القرآن بدوره التاريخاني قادراً على الإيفاء بتقديم حلول فاضلة صالحة للمجتمعات البشرية في جميع جوانب حياتها! هذا هو ما يستهدفه أولئك الظالمون! فإذا الهدف اللئيم الأثيم لهذه الخطة غير الرشيدة هو إقصاء القرآن بدوره الفاعل عن جميع نواحي الحياة. ولا يخفى أن هدفهم أن يجعلوا رسالة

---

(١) إن التاريخانية نزعة فلسفية يتخذ منها فلاسفة الغرب نظرة فلسفية إلى بعض الأمور لا صلة لها مع عالمية القرآن، ولكن للانبهار البالغ عند كثير من أبناء بلاد العالم الإسلامي لكل ما يهب من الغرب طبقوها على القرآن وجعلوها نظرة معاكسة لعالمية القرآن.

الإسلام والقرآن عبارة عن أمور أخلاقية وجدانية، في دائرة ضيقة لا صلة لها بتوجيه الحياة بمعناها الشمولي، وهذه الصورة الشوهاء المختلقة عن رسالة القرآن التي يمليها الاستعمار الغربي والتنصير العالمي على عملائه هي نفس كيان النصرانية التي باءت بالإخفاق والبوار لا في الإصلاح الجماعي فقط بل حتى في الحفاظ على وجودها الذاتي أيضاً في صميم بلادها، وكفاها ذلاً وهواناً لها ولأبنائها!

وخلال تناولنا لموضوع عالمية القرآن نقدم الاتجاه الاستدلالي على العرض المضموني؛ فإن الناحية الاستدلالية أولى وأهم من ناحية علاقتها الوثيقة بصلب الموضوع.

عالمية القرآن من الناحية الاستدلالية:

إن الحديث عن عالمية القرآن من أهم القضايا اللاصقة بالقرآن، لا سيما في عصرنا هذا؛ فطرح القضية على عواهنها من غير استدلال صحيح لا يأتي بشيء سوى أن يكون من باب الأمنيات؛ فالاهتمام بالأمر يوجب الاستدلال له من ناحيتي العقل والنقل؛ فلنذكر القضية مستدلين عليها من كلتا الناحيتين:

أ ـ من الناحية العقلية:

إن الذي ينكر عالمية القرآن إما أن يكون منكراً للقرآن أو مؤمناً به. أما المنكر: فللكلام معه مجال آخر.

وأما المؤمن به: فنقول له:

أولاً: كن صريحاً جريئاً لا تخادع ولا توارب؛ فإن كنت تؤمن بالقرآن عن صدق قلب وإخلاص نية ففتش في نفسك هل ترى أنك تكون من المؤمنين بالقرآن مع إنكارك لنصوص كثيرة منه تدل على عالمية القرآن بلا لبس ولا غموض؟ ولا مسوغ لإنكارك إياها أو تأويلها تأويلاً باطلاً لا يرضاه الله ولا رسوله سوى أنك تحاول أن ترضي بذاك بعضاً من سادتك في التفكير، أو ترضي نفسك بقبول فكرها الذي ترى أنها الأقوم الأصوب لموافقتها مع آراء العصريين.

وثانياً: إنك إذا أنكرت عالمية أحكام القرآن بليَّ أعناق جميع تلك النصوص فهل تعلم أنك تكون واحداً من اثنين؟ إما أن تقول: إن القرآن لا يتدخل في الأحكام أبداً؟ وهو إنما بيَّن العقائد وشرح شيئاً من الأخلاقيات فقط فهذا أيضاً فرية بلا مرية، وهو من بداهة البطلان بمكان لكثرة النصوص التي تبين الأحكام في القرآن، حيث إن آيات الأحكام في القرآن تقارب عشرين بالمئة. وإما أن تقبل أن في القرآن أحكاماً متجهة إلى توجيه الحياة؟ ولكن تقول: غالب تلك الأحكام مضت فترتها التي كانت تعمل بها وعفى عليها الزمن وأبلاها الدهر. وحينئذ أيضاً تكون واحداً من اثنين: إما أن تقول: إن الله لم يعلم ما سيقع في المستقبل فلم يضع لها أحكاماً، إنما وضع أحكاماً لعصر النزول الذي كان يعلمه فقط فنقول له: هذا جهل عظيم أسندته إلى الله ـ تعالى ـ يتنافى مع ألوهيته على الإطلاق ـ تعالى الله عما تقول علواً كبيراً. وإما أن تسند البخل إليه سبحانه؛ حيث إن عدم إنزاله لما هو مفيد ونافع مع علمه به يستلزم البخل لا غير مما يتنافى مع رحمته ورأفته بعباده المؤمنين. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

إذا لاحظنا موقع القرآن بكونه آخر رسالات الله إلى الناس إلى يوم القيامة وخاتم الكتب الإلهية علمنا لتونا أن هذا القرآن نزل من يوم أن نزل يخاطب جميع البشر على جميع المستويات في جميع الأزمنة المتتالية إلى يوم القيامة وفي جميع الأمكنة على وجه البسيطة؛ بل الكل على حد سواء في كونه مخاطباً بخطابات القرآن المنزلة ومسؤولاً أمام تكاليفه النيرة المهيمنة على الزمان والمكان والمتغيرات. ولقد جاء هذا القرآن حينما بلغت البشرية سن الرشد العقلي، فجاء كتاباً مفتوحاً لجميع العقول لا في عصر النزول فقط، بل ليكون مستمراً في جميع الأزمان شاملاً لأصول الحياة البشرية التي لا تتبدل بتغير الأزمان والمجتمعات مستعداً لتلبية الحاجات المتجددة أيضاً التي يعلمها خالق البشر، وهو أعلم بمن خلق وهو اللطيف الخبير[1].

---

(١) انظر: محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن، ص ١٠١.

ب ـ من الناحية النقلية:

١ ـ الكتاب: إن عالمية القرآن تآزرت عليها جميع الأدلة المقبولة عند المسلمين من الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

فهناك العديد من الآيات التي تعلن أن هذا القرآن ذكرٌ لجميع العالمين: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [يوسف: ١٠٤، ص: ٨٧، القلم: ٥٢، التكوير: ٢٧] فإذا ما حاولنا أن نستنبط من خلال التعابير القرآنية وألفاظها مقصودنا من عالمية القرآن وجدنا ذلك سهل المساغ، فإن تلك الآي الأربع التي تصرح بأن القرآن ذكر للعالم أجمع إنما أتت:

أولاً: في صورة الحصر[١]؛ والجملة بهذه الصورة الحصرية تنفي في هذا الصدد عن القرآن كل صفة تنافي عالميته وتجعل عالميته منصوصاً عليها بلا امتراء ولا ارتياب.

ثانياً: إن تذكيره ـ ومن ثم عالميته ـ إنما هي باعتبار الرسالة التي تؤديها إلى الإنس والجن، فتصلح من خللهم وتزيل من دغلهم؛ كما تنبئ عن ذلك مادة الذكر أيضاً؛ فإن اللفظة تعني أن القرآن ذكر يُذكِّر الناس والجانَّ بما يحتاجون إليه فرداً وأسرة ومجتمعاً ودولة. يقول أبو حيان وابن عطية: إن كلمة «للعالمين» عام للإنس والجن ممن عاصروه وممن جاؤوا بعده؛ وهذا معلوم؛ من الحديث المتواتر وظواهر الآيات[٢].

ثالثاً: إن صيغة العالمين وهي جَمْعٌ وتعريفها بـ (ال) التعريف تدل في العربية على معنى الاستغراق، كما ذكروا أن من صيغ العموم الجمع المعرف بـ (ال) مع أن مما لا ريب فيه عند كل من لديه أدنى إلمام بالعربية أن للفظة «عالَم» ـ مفرد العالمين ـ أيضاً دلالة صريحة واضحة بلا تكلف أو تعسف على العموم؛ فإن معناه كل: ما يُعلَمُ به وجود الصانع من كل ما في الكون، فإذا جمع بالواو والنون ـ كما هنا ـ يكون خاصاً بالعقلاء من الإنس والجن أجمعين. فإذاً تدل هذه اللفظة «للعالمين» أيضا على أن القرآن ذكر لجميع العقلاء من الإنس والجن جميعاً بلا تقييد بزمان أو مكان أو طبقة أو جنس حتى إنك ترى الرازي (ت ٦٠٦) انطلاقاً من عموم دلالة العالمين يقول: «لفظ (العالمين) يتناول جميع المخلوقات، فدلت الآية على أنه رسول للخلق عامة إلى يوم القيامة»[٣] ومن البداهة بمكان أن عموم رسالة النبي ﷺ إنما يتحقق بعالمية كتابه الذي أرسل به إلى الناس كافة وهو يشكل رسالته التي يبلغها للناس عامة، وكذا يقول محمد صديق حسن: أي ما هذا القرآن أو الوحي أو ما أدعوكم إليه إلا ذكر من الله للجن والإنس العقلاء[٤].

فالقرآن ذكر لهم (أي جميع الناس): يذكِّرهم بوجه الصواب في دينهم ودنياهم، يذكِّرهم بما يصلح حالهم فرادى وجماعات.

ذكر لهم جميعاً: بلا تفريق ولا تمييز بين غني أو فقير: بين شريف أو وضيع.

ذكر للكل: في كل زمان ومكان وعلى كل حال وفي كل مستوى وتجاه كل حكمة وهداية وبر. يقول المراغي في تفسير الآية المذكورة: «أي ما هذا القرآن إلا عظة للثقلين كافة وكل ذي عقل سليم وطبع مستقيم يشهد بصحته وبعده عن البطلان والفساد»[٥].

وأيضا: فهناك آيات أخرى تصرح بعالمية القرآن كقوله ـ تعالى ـ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥

---

(١) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس ١٩٨٤، ج ١٧، ص٣١٠.

(٢) محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٣/١٩٨٣، ج ٦/٤٨٠، محمد عبد الحق بن غالب بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت ١٤١٣/١٩٩٣، ج ٤، ص ١٩٩.

(٣) محمد فخر الدين بن عمر الرازي، التفسير الكبير، دار الفكر، الطبعة الأولى، بيروت ١٤٠١/١٩٨١، ج ٢٤/٤٥.

(٤) صديق حسن القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، دار إحياء التراث الإسلامي، قطر ١٤١٠/١٩٨٩، ج ١٢/٧٣.

(٥) أحمد مصطفى المراغي، تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الخامسة، مصر ١٣٩٤/١٩٧٣، ج ٢٣/١٣٩.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٩] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤] ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ [الروم: ٥٨] ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٧] ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الزمر: ٤١]

كل هذه الآيات تجعل عالم العقلاء المكلفين على عمومهم بدءاً من زمن البعثة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها سواء جنهم وإنسهم من غير تقييد بزمان دون زمان أو مكان دون مكان تجعلهم جميعاً محلاً ومناطاً لنزول القرآن والإنذار به، قال - تعالى -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. يقول ابن عاشور - رحمه الله -:

«صيغت بأبلغ نظم؛ إذ اشتملت هذه الآية - على وجازة ألفاظها - على مدح الرسول ﷺ ومدح مرسله تعالى، ومدح رسالته بأن كانت مظهر رحمة الله - تعالى - للناس كافة وبأنها رحمة الله - تعالى - بخلقه.

فهي تشتمل على أربعة وعشرين حرفاً بدون حرف العطف الذي عطفت به ذُكِرَ فيها الرسول ومرسله - تعالى - والمرسل إليهم وخصوصية الحصر وتنكير (رحمة) للتعظيم؛ إذ لا مقتضي لإيثار التنكير في هذا المقام غير إرادة التعظيم وإلا لقيل: إلا لنرحم العالمين، أو إلا إنك الرحمة للعالمين، وليس التنكير للإفراد قطعاً، لظهور أن المراد جنس الرحمة، وتنكير الجنس هو الذي يعرض له قصد إرادة التعظيم. فهذه اثنا عشر معنى خصوصياً، فقد فاقت أجمع كلمة لبلغاء العرب وهي:

قفا نَبْكِ من ذكرى حبيب ومنزل

إذ تلك الكلمة قصاراها - كما قالوا -: إنه وقف واستوقف، وبكى واستبكى، وذكر الحبيب والمنزل «دون خصوصية أزيد من ذلك فجمع ستة معان لا غير[1].

ويقول ابن القيم في هذا المقام: «أصح القولين في هذه الآية أنها على عمومها، وفيها على هذا التقدير وجهان:

أحدهما: أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته؛ أما أتباعه فنالوا بها كرامة الدنيا والآخرة. وأما أعداؤه المحاربون له فالذين عجل قتلهم وموتهم خير لهم؛ لأن حياتهم زيادة في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة وهم قد كتب عليهم الشقاء؛ فتعجيل موتهم خير لهم من طول أعمارهم في الكفر.

وأما المعاهدون له فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته، وهم أقل شراً بذلك العهد من المحاربين له.

وأما المنافقون فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم وأموالهم وأهليهم واحترامها وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيره.

وأما الأمم النائية عنه فإن الله - سبحانه - رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض فأصاب كل العالمين النفع برسالته.

والوجه الثاني: أنه رحمة لكل أحد لكن المؤمنين قبلوا هذه الرحمة فانتفعوا بها دنيا وأخرى، والكفار ردوها فلم يخرج بذلك عن أن يكون رحمة لهم لكن لم يقبلوها؛ كما يقال: هذا دواء لهذا المرض؛ فإذا لم يستعمله لم يخرج عن أن يكون دواءاً لذلك المرض[2].

ثم إن هناك كلمات وتراكيب في القرآن تخاطب الناس عامة بلا تقييد بزمن أو صنف أو طبقة أو جنس أو مستوى[3] مما يدل على عالميته ومضي

---

(1) محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، ١٩٨٤، ج ١٦/١٦٥، ١٦٦.

(2) يسري السيد محمد، بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية ١٤١٤/١٩٩٣، ج ٣/١٩٨.

(3) إن القرآن يتجنب ما أمكن عن تلك الدوالّ الخصوصية التي تخص معنى اللفظة بامر خاص او فرد خاص او مكان خاص او مجتمع خاص او طبقة خاصة أو نحوها من الخصوصيات. وهذا من ادل الدلائل على عالميته، ومن هنا تجد الألفاظ العامة مستعملة في القرآن بكثرة كالموصول العام ولفظة قوم النكرة والجمع المعرف باللام والنكرة في سياق النفي وامثالها من الفاظ العموم حتى إن بعضاً من العلماء أفرد الألفاظ العامة في القرآن بالذكر فصار كتاباً حافلاً قيماً في بابه منها تلقيح الفهوم في صيغ العموم لخليل بن الكيكلدا العلائي.

أحكامه إلى الأبد دون تقييد بأي شيء ما. كما يسترعي أنظارنا من هذه الناحية خصيصاً أن القرآن يتوخى جمل خطاب العموم دون الخصوص، والإطلاق دون التقييد، والإجمال دون التبيين ما وسع لذلك المقام والمرام.

فانطلاقاً من هذا المغزى الهام قلما ترى في القرآن المخصصات والمحددات والمقيدات تذكر؛ كالأمكنة المحددة أو الأزمنة الخاصة أو الأشخاص المعينة أو الأعراف والتقاليد المختصة أو الأحوال الخصوصية أو العوارض المشخصة التي لا يكون فيها درس أو عبرة أو حكمة للجميع، وإذا ما وقعت حاجة أثناء البيان القرآني للتخصيص بصفة أو نحوها فإنما ينتقي القرآن منها أيضا تلك الصفات العامة التي خصوصيتها أقل كالمؤمنين والمتقين والصالحين والكافرين والمنافقين والغافلين والضالين وأمثالها مما لا يختص بجنس أو طبقة دون أن يقيد ذلك بالحجازيين أو المكيين أو المدنيين مثلاً مما يضيق دائرة دلالة اللفظ، ودون أن يخصص اللفظ؛ فالحكم بأبي بكر أو علي ـ رضي الله عنهما ـ مثلاً مما يجعل الأمر مقتصراً على واحد لا يتعداه رغماً من أن الصحابة عامة، وأهل الحرمين خاصة كانوا هم الملاصقين للرسول ﷺ ومن هنا ترى أن الفاظ وتراكيب الآي النازلة لسبب خاص وحول قضية خاصة وفي شأن شخص خاص جردت من عناصر التخصيص والتقييد ما أمكن ذلك وما لم يلتبس الأمر التباساً؛ فمثلاً انظر إلى آيات الإفك فرغم أنها نزلت في أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ بإجماع مفسري أهل السنة فإنك لا ترى في تلك الآي تحديداً بالاسم والنسب والقرابة للمفترى عليها.

وانطلاقاً من الاتجاه القرآني إلى التعميم في غالب أحواله ودلالاته اتخذ علماء الفقه وأصوله في الآيات المنزلة لسبب خاص قاعدة هامة لهم وهي: أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وكذا ترى أن الفرقان الحكيم يتعدى الحدود ويتجاوز الفوارق التمييزية حين ينادي المكلفين الذين اتخذهم القرآن له مخاطَبين فيناديهم بتلك التراكيب والتعبيرات العالمية الواسعة الدلالات والمفاهيم رغماً من ضيق الدائرة البشرية التي نزل القرآن فيها: «يا أيها الناس» «يا أيها الذين آمنوا» «يا بني آدم» «يا أيها الكافرون» «يا أيها المنافقون» مما يعم كل فرد من غير فرق، مع أن من المستطاع أن يخص من في تلك الدائرة الضيقة بالنداء، وهو المتبادر المألوف للخطابات البشرية التي تقع في قطاع خاص أو بين جماعة خاصة، وكذا يفصح عن عالمية القرآن ما تراه يُذكر في معرض بيان فوائد القصص والأمثال أنه ـ سبحانه ـ ضرب للناس أو صرف للناس من كل مثل يذكر الناس بصيغة الجمع المعرَّف باللام المفيد للاستغراق كما هو معروف عند أهل العربية. فلو لم يقصد الاستغراق لما أوتي بصيغة الاستغراق: وخصيصاً ترى مغزى عالمية القرآن كالمنصوص عليه بالتنصيص على الناس (المفيد للعموم) حينما يذكر أن من المهام التي كلف بها ﷺ بسبب نزول الكتاب هو الحكم بين الناس.

إن عالمية الرسالة تستلزم عالمية القرآن، كما أن عالمية القرآن تستلزم عالمية الرسالة ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥].

قال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»(١) ويقول أيضاً: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي.. وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»(٢).

ج ـ عالمية القرآن من الناحية المضمونية:

خاطبنا بمجموع تلك المفاهيم الجديدة في الآفاق البشرية ويمكن أن نستخلص بعض تلك المعاني السامية والمفاهيم الرامية إلى الكمالات والفضائل التي لا غنى لأي من أبناء البشر عنها والتي أنزلها القرآن إلى أرض البشرية في هذه العناوين الآتية.

(١) مسلم، الإيمان ٦٩.

(٢) البخاري، التيمم ١.



١- الحفاظ على الكرامة الإنسانية ما لم تنقلب إلى مظاهر سيئة مذمومة العواقب للفرد والمجتمع؛ فقد أذاق القرآن بتلك التعاليم السمحة الإنسان المستهان المستضعف طعم الكرامة النفسية ولذيذ العزة البشرية ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

ونرى هذه الحقيقة تتبلور - منعكسة إلى واقعيات الحياة - على لسان الفاروق - رضي الله عنه - حينما امتنع ابن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - وهو والي مصر وفاتحها وفي قمة مجده وعزة سلطانه عن توفية القصاص من نفسه لأجل صفعة صفعها أحد الأقباط؛ حيث قال الفاروق - رضي الله عنه -: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟

٢- **تحقيق العبودية لله وحده والإنقاذ من عبودية البشر؛** فقد هدى القرآن ذلك الإنسان الذي ضل عن سبيل الهدى إلى أفضل وسائل النجاة والخلاص عن عبودية البشر وهو عقيدة التوحيد التي لا تعرف للبشر رباً غير الله، ولا تعطي أية فرصة لأن يتخذ بعض الناس بعضهم أرباباً من دون الله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]. ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩، ٨٠].

وقد رأينا هذه الحقيقة العظيمة الناصعة التي يهديها الإسلام للبشرية جمعاء تتجسد في الحياة الواقعية على لسان ربعي بن عامر رسول سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنهما - قائد الجيش الإسلامي إلى الفرس حينما التقى مع القائد الفارسي رستم وهو بين حشمه وجشمه وفي ذروة زهوه وكبريائه قال له: جئنا لنخرج الناس من عبادة الناس إلى عبادة الله.

٣ - **إغاثة المظلوم ونصرة المستضعف وحمايتهما والنصفة لهما من الظالم والقوي:** فقد أتاح القرآن ملجأ شرعياً هاماً لجميع المستضعفين والمظلومين في أنحاء المعمورة، وجعل الدفاع عن المظلوم والمستضعف من وظائف المسلمين فرداً وجماعة. وانطلاقاً من هذا أخذ الدفاع عن المظلوم - لا عن دمه فقط بل عن دمه وعرضه وكرامته - محلاً رئيساً له في الفقه الإسلامي تحت عنوان: «باب الصيال» ويرى الفقه الإسلامي انطلاقاً من النصوص في إغاثة المظلوم الثابتة في الكتاب والسنة التي سنذكر بعضها منها أن المسلم إذا لم يدافع عن المظلوم يأثم ويستحق العذاب.

فمن تلك النصوص:

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥]، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

كما نجد تلك الحقيقة الناصعة والسمة الحضارية القرآنية التي هي من أكثر الأمور تحريكاً للعجلة الحضارية تتجلى كواقعة حياتية - لا مثالية تبقى بين الخيالات المرغوبة والأحلام الحلوة - على لسان الصديق - رضي الله - عنه في أول خطبته التي ألقاها حينما انتخب خليفة للمسلمين وهي أول خطوة إجرائية في خلافته؛ حيث قال: «أما بعد: فإني وليت عليكم ولست بخيركم، واعلموا أن القوي

فيكم ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له الحق».

٥ ـ المعاني النبيلة والفضائل السامية المملوءة حيوية ونشاطاً ونبلاً إنسانياً لا تختص بأمة دون أمة والتي هي في أية حضارة كانت؛ فهي كالروح للجسد فلم تخلُ أية حضارة منها إلا وأذن بالرحيل ركبها وانهار بعد غيرٍ كثيرة بنيانها، وحان في زمن غير طويل حينها ودمارها. إن القرآن أتى في باب الفضائل والمكارم وترسيخهما في المجتمع الإنساني وتشييد ذلك البنيان الإنساني وتحكيمه بروابط وأواصر خلقية اجتماعية لا مثيل لها ولا عديل ولا نظير لها ولا بديل؛ فلقد أتى في هذا الباب بما لم يسبقه ولا يلحقه لاحق: حيث بث روح الإخاء والتعاون والتساند والتكافل بين جميع أبناء الأمة: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢] كما أمر بالإحسان ونشر الفضيلة والعدل بين جميع طبقات الناس، ونهى عن جميع المنكرات والفحشاء: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]. وكفى بهذين النصين في هذا الباب شاهداً عدلاً.

٦ ـ من المعاني الدالة على عالمية القرآن الكريم: ما ورد فيه من الأدلة على ختم النبوة بمحمد ﷺ كالتصريح بختم النبوة بنبينا محمد ﷺ قال ـ تعالى ـ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]

قال الشربيني: «أي آخرهم الذي ختم؛ لأن رسالته عامة ومعها إعجاز القرآن، فلا حاجة مع ذلك إلى استنباء ولا إرسال» (السراج المنير٣/٢٣٧).

ومن هذه الأدلة: عموم الرسالة المحمدية؛ حيث قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

فالرسالة المحمدية عامة، وهذا القرآن حجة على كل من بلغه، لما قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

فالقرآن حجة على كل من بلغه من جميع الإنس والجن وإلى قيام الساعة.

ترى معي أن جميع هذه المعاني المذكورة بوصفها دلائل على عالمية القرآن إنما هي مما لها علاقة وثيقة بالكيان الإنساني المطلق من غير تقييد بجنس أو تحديد ببقعة أو تخصيص بطبقة أو تعيين بلون، ولها صلة محكمة بالهوية الإنسانية العامة المطلقة بلا تفريق ولا تمييز وبذلك يتجلى معنى هذه الكلمة الإلهية الحكيمة المدوية عبر العصور والقرون التي تطن في أذن التاريخ دوماً: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧].

فإذاً لا ضير علينا من مزاعم أولئك المغرضين على الإسلام وأهله، ولا ضير أيضاً على أذنابهم المتملقين لهم بتاريخانية القرآن؛ فإن الحقيقة أظهر من أن تخفى، والشمس أبهر من أن تختفي عن العيون بإغماض الخفاش عينها منها، أو بإنكار الأعمش لها كما قال الشاعر قديماً:

قد تُنكر العينُ ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم الماء من سقم

الإسلاميون والتخصصات المطلوبة

محمد بن عبد الله الدويش

من يتأمل اليوم في تخصصات الإسلاميين يجد أنه باستثناء التخصصات الشرعية ينتشر معظم هؤلاء في تخصصات الطب والمحاماة والهندسة وما يماثلها.

وهذا الأمر له دلالات عدة، منها:

● خطأ المقولة الشائعة بأن الصحوة الإسلامية إفراز للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المتردية؛ فمعظم قادة الحركات الإسلامية اليوم هم بين أصحاب هذه التخصصات الذين هم في الأغلب من طبقات اقتصادية واجتماعية عالية.

● الجدية عند الشباب الإسلاميين؛ إذ معظم هذه التخصصات لا ينجح فيها إلا الجادون.

● أن الدعوة الإسلامية قد نجحت في استقطاب عدد من المتميزين؛ فهذه التخصصات يقبل فيها في الأغلب حملة المعدلات الدراسية العالية، ويتيح لها كثرة المتقدمين اختيار العناصر المتميزة.

ومن الطبيعي أن تنتشر الدعوة الإسلامية في كافة المجالات، وأن تستوعب كافة الفئات والتخصصات وسائر شرائح المجتمع، ولا اعتراض على اتجاه طائفة من الشباب إلى هذه التخصصات وإقبالهم عليها.

ومع ما في هذه التخصصات من إيجابيات إلا أنها تحصر صاحبها في ميدان عمله، وقلّ أن يستثمرها صاحبها في دعوته، بل ربما استغرقت جزءاً كبيراً من وقت صاحبها أثناء دراسته وأثناء عمله، فلا يبقى لدعوته إلا اليسير.

ويبقى مجالان مهمان ينبغي أن تكون لهما الأولوية في توجه الإسلاميين ودراساتهم وهما - على الترتيب - :

المجال الأول: التخصصات الشرعية، فالعلم الشرعي لا غنى للدعوة عنه، وحين تفتقده تتسع دائرة الآراء الشخصية، فتزيد الشطحات والانحرافات. والشعور بأهمية العلم الشرعي موجود بحمد الله عند فئة عريضة من الإسلاميين - على المستوى النظري على الأقل - لكنه يحتاج إلى مزيد اهتمام ورعاية.

المجال الثاني: الدراسات الإنسانية التي لها أثرها في النظرة للإنسان والمجتمعات، والدراسات الإعلامية التي لها أثرها في توجيه الرأي العام وصياغته، ومما يبرز الحاجة لهذه التخصصات ما يلي:

● حاجة الدعوة الإسلامية إلى برامج تربوية لرعاية أبنائها وتربيتهم، ومع أهمية الجهد التربوي الذي تقوم به الصحوة وتقدمه لأبنائها وضخامته، فلا تزال في كثير من الأحيان تعتمد على التجارب الشخصية والمحاولة والخطأ، وتفتقر إلى الاستفادة المثلى من أهل الاختصاص في هذا الميدان.

● أهمية المواقع والأدوار الاجتماعية التي يتولاها أهل هذه التخصصات، وخطورة هذه المواقع؛ فالمؤسسات التعليمية والتربوية والإعلامية والتخطيطية في المجتمع تعتمد على مثل هذه التخصصات.

● يحتاج الدعاة إلى الله كثيراً إلى هذه التخصصات؛ في دعوتهم: فهي تعينهم على الفهم الصحيح للمجتمعات وآليات التغير الاجتماعي، وإلى فهم اتجاهات التغريب والإفساد في المجتمعات فهماً أشمل وأدق، ويحتاجون إليها حتى يملكوا الأدوات الصحيحة لدراسة الظواهر التربوية والاجتماعية.

● يحتاج الدعاة إلى الله إلى هذه التخصصات؛ لأنها منطلق لكثير من الأعمال الدعوية، كالأعمال الإعلامية، والخدمات الاجتماعية، والمؤسسات التربوية والدعوية.

هذه الاعتبارات وغيرها تؤكد على الدعاة إلى الله - تعالى - الاعتناء بهذه التخصصات، وفي العدد القادم بإذن الله مزيد حديث حول هذا الموضوع.

أحمد العامر

١. التحبير شرح التحرير في أصول الفقه:

المؤلف: علاء الدين أبو الحسن علي المرداوي. دراسة وتحقيق: د. عبد الرحمن الجبرين، ود. عوض القرني، ود. أحمد السراح، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض. الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

يعد هذا الكتاب من أبرز كتب أصول الفقه وخاصة في مذهب الحنابلة، طبع في ثمانية مجلدات، وأصله ثلاث رسائل علمية تقدم بها المحققون لنيل درجة الدكتوراه في قسم أصول الفقه في كلية الشريعة بالرياض.

اعتنى المحققون بمراجعة أصوله، وضبط ألفاظه، وتحرير مسائله، وشرح مشكله، حتى خرج الكتاب بأبهى حلة.

٢. تقييد المهمل وتمييز المشكل:

المؤلف: الحافظ أبو علي الحسين بن محمد الجيَّاني، حققه: علي بن محمد العمران، ومحمد عزيز شمس. الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة. الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ. كتاب جليل القدر اعتنى بخدمة الصحيحين: ضبطاً لما يشتبه ويُشْكل من أسماء من قبل الرواة، وتنبيهاً لما أهمل من شيوخ البخاري، وكشفاً لألقاب جماعة من رواتهما.

٣. فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن:

المؤلف: العلاّمة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به: د. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

مؤلَّف نفيس يطبع لأول مرة، جمع فيه مؤلفه أهم علوم القرآن وأجلها، وهي: علم التوحيد، وعلم الأخلاق، وعلم الأحكام والعبادات والمعاملات. تميز الكتاب بالقوة العلمية، وغزارة الفوائد، مع سهولة العبارة وجزالة الألفاظ، بعيداً عن الحشو والتعقيد.

٤. الدعوة بين المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية

د. خالد عبد الرحمن القرشي، بدون تاريخ أو ناشر.

وهي دراسة تقويمية للعمل الدعوي بالمراكز الإسلامية في أمريكا قام بها المؤلف وهو عضو هيئة تدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وتتناول الدراسة إيضاح الموضوع وأهدافه، وأسباب اختياره، وتحديد مشكلة الدراسة، وتساؤلات حول المنهج في الدراسة.

ومما تناولته الدراسة: البحث في دخول الإسلام إلى أمريكا وانتشاره، وتعريف بالمنظمات والجامعات الإسلامية هناك، ووسائل العمل الدعوي في هذه المراكز والجمعيات، وتقويم العمل الدعوي، وبيان العوائق والمشكلات الدعوية

وكيفية علاجها، إضافة إلى خاتمة: جمع فيها أطراف الموضوع ونتائج البحث والتوجيهات التي رآها مما يؤدي إلى انتشار الدعوة بشكل صحيح بعيد عن الإفراط والتفريط.

٥. وقفات هادئة مع فتوى إباحة القروض الربوية لتمويل شراء المساكن في المجتمعات الغربية:

المؤلف: د. صلاح الصاوي، الناشر: التجمع الإسلامي في أمريكا الشمالية. الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ.

دراسة علمية متزنة، بعيدة عن التعصب والتشنج، للرد على فتوى كل من المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث ومؤتمر رابطة علماء الشريعة بأمريكا الشمالية، التي تبيح للمسلمين المقيمين بأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية الاقتراض بالربا لشراء مساكن.

يتميز الكتاب بالأصالة العلمية، والأدب الرفيع، وهو جدير بالنشر والدراسة خاصة في البلاد الغربية.

٦. حقيقة الخلاف بين السلفية الشرعية وأدعيائها في مسائل الإيمان:

د. محمد أبو رحيِّم ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م دار الجوهري عمان ـ الأردن.

الإيمان عند سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان يقوم على ركنين هما: القول، والعمل أو على أربعة عند التفصيل: (قول القلب وقول اللسان، وعمل القلب وعمل الجوارح) ولم ينقل عن سلفنا قيام الإيمان على ركنين: القول، والاعتقاد وشروط الكمال.

ونقل الإجماع ابن عبد البر، وأثبته شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: أجمع السلف على أن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان؛ وفي الكتاب رد على فئة من الدعاة في موضوع الإيمان تبين منه روائح إرجائية ردَّ عليها علماؤنا الأفاضل، ومن آخر ما صدر في هذا الباب الفتوى رقم ٢٠٢١٢ في ٧/٢/١٤١٩ في الموقف من كتاب (أحكام التقرير) والتي تضمنت التحذير من التطرق لهذا الموضوع ممن لم ترسخ قدمه في العلم الشرعي حتى لا تزل القدم. والأمل أن يكون الحوار في هذه المسائل علمياً دافعه الحرص والنصح والإشفاق بعيداً عن النقد الجارح لا سيما بين أصحاب المنهج الواحد. والله المستعان،،،

٧. على أعتاب الألفية الثالثة:

المؤلف: حمدان حمدان، الناشر: بيسان للنشر والتوزيع والإعلام ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

دراسة سياسية للجذور الذهبية لحضانة الغرب وأمريكا لإسرائيل، احتوت الدراسة على خمسة فصول وخاتمة: الأول: إرهاصات أوروبية، والثاني: البيورتيانية الإنجليزية والخروج على الكنيسة، والثالث: بين سياسة الدين ودين السياسة، والرابع: المسيحية المتهودة في أمريكا الشمالية، والخامس: مسيحية ويهودية في التاريخ. أما الخاتمة فكانت بعنوان: ثقل الجانب التوراتي في المسيحية. احتوى الكتاب على مادة غزيرة، ومعلومات وفيرة تستحق التقدير.

٨. معالم في طريق الإصلاح:

تأليف: عبد العزيز محمد السدحان، نشر دار العاصمة، ط ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

الإصلاح رسالة كبرى قام بها الأنبياء والرسل والعلماء والدعاة. والداعون إليه يلزم أن ينطلقوا من أصول واضحة وبصيرة راشدة حتى تؤتي دعوتهم أكلها، وقد وضَّح المؤلف بعض المعالم التي يستضيء بها مريدو الإصلاح على ضوء الكتاب والسنة وكلام أهل العلم ومنها: ١ ـ الإخلاص في العمل. ٢ ـ العلم بالعمل. ٣ ـ عدم ذكر المثاليٍ ودفع أبواب اليأس والقنوط. ٤ ـ عدم الإفراط والتفريط. ٥ - ربط العواطف بالعلم الشرعي. ٦ ـ الحرص على التخصصات العلمية. ٧ ـ الحذر من العجب. ٨ ـ الدعاء. ٩ ـ القدوة. ١٠- الصبر والصلاة. ١١ـ الاهتمام بالكيف لا بالكم. ويعتبر الموضوع رؤوس أقلام تحتاج إلى المزيد من العرض والتفصيل، ولعل لذلك بحثاً آخر يقوم به المؤلف إن شاء الله.

تأثرت بأصالة القرآن وصحته

حوار مع الشيخ جمال الدين زرابوزو

نبذة عن الضيف:

فضيلة الشيخ جمال زرابوزو علَم من أعلام الدعوة الإسلامية في أمريكا الشمالية، عرف بتميزه العلمي، وحرصه على التاصيل الشرعي، له عناية خاصة بعلم الحديث. ترجم عدداً من الكتب إلى اللغة الإنجليزية من أبرزها: كتاب فقه السنة، وهو مطبوع، وشرح العقيدة الطحاوية، نسأل الله - تعالى - أن ييسر طباعته. ومن أبرز مؤلفاته: شرح الأربعين النووية، وهو شرح مفصل طبع في ثلاثة مجلدات. كما أسس فضيلته مجلة (البشير)، وهي مجلة متخصصة تعنى بنشر الدراسات والأبحاث الشرعية، ولكنها توقفت عن الصدور.

ويسعدنا في هذا اللقاء أن نستضيف فضيلة الشيخ لنتحاور معه في عدد من القضايا في الساحة الأمريكية.

البيان: لعلنا نبدأ حوارنا مع فضيلتكم بالتعرف على سبب إسلامك، ثم اهتمامك بدراسة العلوم الشرعية؟

■ إنني في الأصل من إسبانيا، وقد نشأت في عائلة إسبانية كاثوليكية «تقليدية». وأقول «تقليدية» بمعنى أننا لم نكن متدينين جداً. ولقد بدأت رغبتي بالدين عندما دعاني أحد أصدقائي إلى كنيسة من كنائس جماعة «شهود يهوه». ولما أتى الوقت لأنتسب إلى تلك الكنيسة بشكل رسمي قررت أنه لا بد لي قبل ذلك من دراسة أديان أخرى قبل الانضمام إلى تلك الكنيسة كي أتأكد أن تلك الكنيسة هي الكنيسة الحقة. وهذا في الحقيقة هو الذي دعاني لدراسة الإسلام واليهودية والبوذية والهندوسية وغيرها. ولدى دراستي الإسلام تأثرت بأمرين أولهما: أصالة القرآن وصحته، و«نقاوة» الإيمان بالله، بعيداً عن الخرافات، والترهات، والآلهة البشرية وغير ذلك. وبعد عدة أشهر فقط من بداية دراستي لهذا الدين العظيم قررت أن أُسلم؛ علماً بأني لم أقابل مسلماً قطُّ في ذلك الوقت، وكذلك كنت شبه مقتنع بأنه لم يكن هناك مسلمون على الإطلاق في تلك القرية الصغيرة التي كنت أقيم فيها.

وبفضل الله ونعمته فقد وجدت عدداً من الطلبة المسلمين في تلك البلدة. وكان في البلدة عدد من الإيرانيين الشيعة يقيمون في تلك البلدة في ذلك الوقت؛ إلا أنني، والحمد لله، لم أشعر بأي

انجذاب أو تجاوب لتعاليمهم وما يدرسونه.

وكان أكبر الأثر عليَّ لإخوةٍ من المسلمين من الكويت والمملكة العربية السعودية. وقد كانوا بحق مجموعة من الإخوان الطيبين الذين أثَّروا فيَّ بشكل كبير. وبعد حمد الله وشكره، فإنني أتوجه بالشكر الخالص إلى أولئك الإخوة على دعوتهم وإخائهم الطيب.

ونظراً لخلفيتي ودراستي للأديان المختلفة فقد شعرت بأهمية العودة إلى المراجع الأصلية للعلم والمعرفة؛ وذلك لأميز بين ما أصبح «ممارسة» عادية للملتزمين باسمٍ مَّا، وبين التعاليم الحقيقية للدين. ولذا، فقد قررت مبكراً، بأنني إذا قررت الالتزام بدينٍ جديد فيجب أن ألتزم به بشكل جدي، وأنه يجب عليَّ بذل قصارى جهدي لدراسة هذا الدين من مصادره الموثوقة المعتمدة الصحيحة والأصيلة. والحمد لله؛ فمنذ أصبحت مسلماً أقمت في بيئة يوجد فيها عدد من الإخوة العارفين بهذا الدين، والذين يحبون مساعدة الآخرين من مختلف أرجاء العالم. ولقد كانوا خير مثالٍ وقدوة لي، وشجعوني دائماً على الدراسة والتعلم. فعلى سبيل المثال: بعد أن بدأت أقرأ العربية وأكتبها، بدأ عدد من الإخوة ـ جزاهم الله خير الجزاء ـ بمساعدتي للحصول على المراجع الأساسية من مختلف بلدان ما وراء البحار؛ إذ لم يكن هناك سوى أمكنة قليلة يمكن شراء الكتب العربية منها في أمريكا. وبتوفيق الله ـ سبحانه وتعالى ـ ثم بمساعدة هؤلاء الإخوة الكرام تمكنت من متابعة دراساتي وتحصيلي العلمي في مادة القرآن الكريم، والحديث، والفقه وغيرها من العلوم الشرعية.

البيان: ذكرتم تأثركم بالقرآن ولكن؛ هناك عدد كبير من الترجمات الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم؛ فما تقويمكم لها، وما أحسن الترجمات فيما ترون؟

■ نعم! لا شك أن هناك عدداً كبيراً من الترجمات لمعاني القرآن الكريم بالإنجليزية متوفرة حالياً، وكي أكون صريحاً معكم فإن هذه الترجمات تتفاوت ما بين «سيئة جداً» إلى «قريبة من الممتازة». فإذا تكلمنا عن ترجمة معاني الآيات الكريمة فقط، فأفضل الترجمات، في رأيي، ترجمة خان والهلالي، وترجمة «صحيح انترناشيونال»، وترجمة محمد بكتال، وترجمة عبد الله يوسف علي. وعلى جودة هذه الترجمات ـ كلٌّ على حدة ـ فإن هناك ما ينقصها ويعيبها. فعلى سبيل المثال: ترجمة خان والهلالي، على ما أخبرني عبد الملك مجاهد شخصياً [ناشر الترجمة]؛ فقد تقرر أن توضع «ملاحظات الشرح» والهوامش ضمن أقواس داخل نص الترجمة ذاته، وليس في الحواشي المستقلة. وإن هذا يجعل النص صعب القراءة، وغالباً لا يستطيع القارئ تمييز نص الآية ذاتها والملاحظات الشارحة لها. وأما ترجمة عبد الله يوسف علي فهي بلغة قديمة مهجورة تقريباً،

وهو يؤول معاني من معاني الآيات الكريمة، كما أن حواشيه وتعليقاته غاصةٌ بمظاهر التوبيخ والشجب. وإنني لا أوصي بترجمة يوسف علي بما تحتويه من الكم الهائل من التعليقات والحواشي عليها، علماً بأن هناك إصدارين جديدين من هذه الترجمة متوفرين في الأسواق، وقد قدما كثيراً من التحسينات على الترجمة الأصلية.

وإنني أعتقد أن ما ينقص المكتبة القرآنية باللغة الإنجليزية هو وجود حواشٍ وتعليقات على معاني القرآن الكريم يتم تقديمها على ضوء السنة المطهرة والحديث النبوي الشريف، وأقوال الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - ، وقدامى المفسرين، كما يجب تناول القضايا والموضوعات التي لا بد من مناقشتها وتناولها لقراء اللغة الإنجليزية. ولعل أفضل وأكمل شرح أو تعليق على معاني القرآن الكريم نجده اليوم هو كتاب العلامة أبي الأعلى المودودي مترجماً بالإنجليزية هو «تفهيم القرآن». ومع ذلك، فإن هذا الكتاب أيضاً عليه ما عليه من المآخذ، كما هو معروف لكثير من قرائكم. وقد نشرت مكتبة دار السلام مؤخراً طبعة موجزة مختصرة جديدة من المجلد الأول من تفسير ابن كثير، وأرجو أن يكون هذا العمل الجليل إسهاماً هاماً للمكتبة الإسلامية بالإنجليزية، إلا أن هذا العمل لم يُكتب للقارئ الإنجليزي، لذا فإنه لن يسدَّ كافة الفجوات التي يجب سدُّها في هذا المجال.

وإن مشكلة فراغ المكتبة الإسلامية باللغة الإنجليزية من شرحٍ فعّالٍ ومؤثر لمعاني القرآن الكريم هي إحدى المشكلات التي ما فتئ الدكتور جعفر شيخ إدريس يعالجها، وكذلك أنا شخصياً، خلال السنوات الماضية. وأرجو الله - سبحانه وتعالى - أن يجعل اليوم الذي تتوفر فيه تفاسير أفضل وأعمق باللغة الإنجليزية لقرائها كما هو متاح لقراء العربية.

البيان: نرجو من فضيلتكم أن تحدثونا عن المسلمين الأمريكيين من حيث تاريخهم ونسبتهم وتأثيرهم السياسي والاجتماعي.

■ في الحقيقة إن للإسلام تاريخاً طويلاً وممتعاً في أمريكا. وإنني لست متخصصاً في هذا المجال من جهة، وليس هذا المجال مجال خوض في التفاصيل عن هذا الموضوع بالذات، ومع ذلك فيمكنني أن أسرد بعض الملاحظات العامة. فالإسلام قد دخل إلى أمريكا على عدة موجات مختلفة، بما في ذلك مرحلة موجة المكتشفين الجغرافيين قبل كولومبوس وذلك من شمال إفريقية، والعبيد الذين أكرهوا على المجيء أثناء فترة «تجارة العبيد» من مختلف أرجاء العالم الإسلامي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين. إلا أن معظم هذه الموجات المبكرة من أفواج المسلمين لم يكن لهم كبير أثر مباشر على الوجود الإسلامي المعاصر في أمريكا. ولا يزال عدد المسلمين اليوم في الولايات المتحدة الأمريكية صغيراً نسبياً، وإن التقديرات


صدر حديثاً عن
دار ابن خزيمة للنشر
تيسير علم التجويد
للشيخ أحمد عبد الله الطويل
فتاوى الأئمة النجد
حول قضايا الأمة المصيري
أول مرجع معاصر يطر
بشمول منهج أئمة الدعو
في أخطر قضايا الأمة الرا
الشهد والشوك
في الحياة الزوجية
وإلى فاعلي الخير نهدي هذه المجموعة
من الحقائب الدعوية
حقيبة إلى أمل الأمة
وتشتمل على الرسائل التالية
لا جديد في الحجاب
لا يا أخية
رسالة عاجلة إلى الأخت المسل
ألا فعودي يا أخية
أختاه أين أنت غداً ؟!
حقيبة إلى الشباب المسلم
وتشتمل على الرسائل التالية
رسالة إلى جار المسجد
قبل الندم
رسالة عاجلة إلى الشباب المسلم
أخي أين أنت غداً ؟!
هذه هي الصلاة
تتميز هذه الحقائب الدعوية بالطباعة الفاخرة والسعر الدعوي المخفض



دار
القلم
مكتبة
و
قرطاسية
خدمة
التوصيل للمنازل
يوجد أشرطة وأناشيد إسلامية
يوجد مقررات مدرسية
https://t.me/megallat https://www.facebook.com/books4all.net oldbookz@gmail.com
حي المصيف، شارع ظبيا بنت البراء

الأولية العامة لعدد المسلمين حالياً في أمريكا يتراوح ما بين (٣ - ٩) ثلاثة إلى تسعة ملايين مسلم. إلا أننا يجب أن ندرك أن هذه التقديرات العامة لا يمكن الاعتماد عليها تماماً. والأهم من هذا كله يجب أن ندرك أن هذه التقديرات لا تفرق بين المسلمين الملتزمين، ومن لهم أسماء مسلمة فقط، أو أنهم ينتسبون للإسلام فقط؛ لأنهم انحدروا من أصول مسلمة، أو أتوا من بلدان إسلامية، وليس لأنهم يمارسون الإسلام في حياتهم العملية. ويمكن القول بشكل عام: إن التأثير السياسي والاجتماعي للمسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية لا يزال ضئيلاً جداً، وخاصة خارج الشواطئ الشرقية لأمريكا. ولا زلت أقابل - حتى هذا الوقت - أشخاصاً أمريكيين يعربون عن دهشتهم إذا سمعوا أن هناك مسلمين في أمريكا، أو أن تكون أعداد هؤلاء المسلمين بالملايين.

البيان: تنتشر الاتجاهات الصوفية عند بعض إخواننا المسلمين من ذوي الأصول الأوروبية. فما حجم هذا الانتشار وما أسبابه؟

أولاً: من الصعب جداً أن نحاول تقدير حجم هذه الظاهرة. ومع ذلك، فمما لا شك فيه أن نسبة كبيرة من الأمريكيين الأوروبيين ينجذبون لمختلف أشكال الطرق الصوفية. ومن الصعب عليَّ أن أحاول أن أبدي رأياً في هذا الأمر بناءاً على عدد النقاشات التي أجريتها مع أمثال هؤلاء. كما أن من الصعب أيضاً شرح الأسباب الداعية إلى ذلك. ولقد قابلت عدداً كبيراً من هؤلاء الأشخاص ويمكنني أن أقدم أفكاري فقط حول هذا الموضوع بناءاً على عدد من المناقشات مع هؤلاء الأشخاص. وينحدر كثير من هؤلاء الأشخاص من عوائل متوسطة أو عالية المستوى ومن خلفيات متحررة نسبياً. ولا يتطلع كثيرٌ منهم نحو طريقة جديدة في الحياة، أو إجراء تغيير في حياتهم؛ فهم سعداء بنوعيات حياتهم، كما أنهم سعداء بما هم عليه. وكل ما يبحثون عنه هو الرضى الروحي أو القناعة والسعادة الروحية المفقودة. أو ـ بمعنى آخر ـ إنهم يبحثون عن شخص يخبرهم أن كل ما يعملونه هو «صواب»، طالما أن قلوبهم سليمة. وإن هذا بالضبط هو ما يجدونه في الحركة الصوفية. وسترى أنهم سيستمرون في حياتهم العادية تماماً قبل أن يعتنقوا الإسلام، أو على الأكثر؛ فإن التغييرات التي يجب عليهم إجراؤها في حياتهم هي قليلة جداً. وفي الوقت ذاته، فإن كثيراً من الأشخاص قد انجذبوا للفكر الصوفي لأسباب مختلفة تماماً. إن أمثال هؤلاء الأشخاص يحاولون أن يرتقوا بأرواحهم، إلا أنهم يشعرون بركود كبير أثناء القراءة والاستماع للمحاضرات المتوفرة عن الإسلام. وإنني لم أستطع، حتى هذا اليوم، معرفة السبب الذي يؤكد فيه إخواننا على نشر مواد أولية فقط لأمثال هؤلاء، دون أن يكون فيها أي عمق في المحتوى. وكذلك الحال تماماً بالنسبة

للمؤتمرات والمحاضرات التي تعقد بشكل عام. وتصبح هذه المواد، وبسرعة كبيرة جافة جداً، ومكرورة، ومملة. فإذا أراد الأمريكيون الذين لا يحسنون قراءة العربية الانتقال من ذلك النوع من القراءة، فإن أمامهم ثلاثة خيارات هي: الأدب الصوفي، والأدب الحديث، أو أدب المستشرقين. ومن نافلة القول أن نقول: ليس أي من هذه الخيارات المتاحة مشجعاً، إلا أنه لا بد مما ليس منه بدٌّ؛ فليس هناك أية خيارات أخرى، وترى أن كثيراً من القراء يغوصون في هذه الأنواع الثلاثة من أنواع الأدب الإسلامي. ولسوء الحظ، فإن كثيراً ممن يقرؤون مثل هذه الكتب تضطرب أفكارهم، أو تستغرقهم مثل هذه الأعمال، ولذا فإنهم يتجهون إلى مسارات غير سنة المصطفى ﷺ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

البيان: المسلمون من أصول إفريقية يمثلون نسبة كبيرة في أمريكا مقارنة بغيرهم، ولكن ظهرت في أوساطهم منذ عهد قديم دعوات منحرفة مثل دعوة البلاليين، وأخيراً برز من قياداتهم لويس فرخان، فهل يمكن أن تحدثونا عن ذلك من الناحية التاريخية والعقدية المنهجية؟

■ يحتاج الجواب على هذا السؤال، في الحقيقة، مجالاً أوسع من مجال هذه المقابلة. وإذا لم يسبق لمجلتكم الغراء أن كتبت سابقاً عن هذا الموضوع فيستحسن أن تفردوا له مجالاً خاصاً فيها، إذ إنه يمثل، في اعتقادي، إحدى القضايا الهامة التي تُشْكِل على كثير من إخواننا المقيمين في العالم العربي وغيره. وباختصار، فإن كثيراً من التاريخ الإسلامي، فيما يتعلق بالأفارقة الأمريكيين، يتركز حول ما يسمى حركة: «نيشن أوف إسلام» (أمة الإسلام). ويعتقد أتباع هذه الحركة أن الحق - سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً أتى بشكل «رجل» يسمَّى «فرد محمد»، والتقى مع من يدعى «أليجا محمد» واختاره ليكون «رسولاً» له. وكان من تعاليم أليجا محمد: أن العرق البشري الأبيض هم شياطين. وكما يتضح من التعاليم الأساسية لهذه الجماعة، فإن تعاليمهم - وإن استخدموا لفظة «الإسلام»، وأشاروا إلى القرآن الكريم، فإن تعاليمهم كانت كفراً بواحاً - نعوذ بالله من الشيطان الرجيم - وكانت بعيدة بعداً كبيراً عن تعاليم الإسلام الحق. وبعد موت أليجا محمد عام ١٩٧٦، أجرى ابنه والاس محمد، أو وارث الدين محمد، بعض التغييرات على مفاهيم الجماعة وأفكارها، وقرَّبها نسبياً من الإسلام. فبدأ أفراد هذه الجماعة يصلُّون، ويسمعون عن حديث رسول الله ﷺ. ولسوء الحظ، فإن أحداً لم يدرس كيف يمكن النظر وتقييم «الكفر» الذي كانت عليه التعاليم السابقة لتلك الجماعة بشكل مباشر وصريح. ومن ناحية أخرى، فإن لويس فرخان رفض التغييرات التي حدثت في الجماعة، واستمر في تدريس عقيدة الكفر التي

كان يدرسها ويدعو إليها أليجا محمد. وقد ادعى لويس فرخان، في مناسبات، وخاصة في الآونة الأخيرة، أنه يعتقد بنبوة محمد ﷺ وأنه ينطق بالشهادتين، واستطاع بهذا أن يخدع كثيراً من المسلمين، بل واستطاع أن يخدع بعض المنظمات والمؤسسات الإسلامية أيضاً. وفي الوقت ذاته، لم يواجه فرخان أية مشكلة في أن يشرح لأتباعه أن رسول الله ﷺ هو خاتم رسل الله رب العالمين، إلا أن أليجا محمد أيضاً هو خاتم «الرسل»، نعوذ بالله مما يقول ويفتري. كما أنه استهزأ بالمسلمين والعرب من أهل السنة في بعض الأحيان، كما سخر من اعتقاداتهم وممارساتهم الإسلامية. ولسوء الحظ، فإن لفرخان أثراً كبيراً حتى هذا الحين بين المسلمين الأمريكيين - الأفارقة في الولايات المتحدة الأمريكية. ومما يزيد الأمر سوءاً أثر الإعلام على الناس من الأمريكيين الأفارقة وغيرهم، بل الأدهى والأمرُّ أنهم يعتقدون أن الإسلام، أو عندما يُسألون عن الإسلام، أن لويس فرخان هو خير من يمثل هذا الدين بحق، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

البيان: ماذا عن الدعوة السلفية في أمريكا عامة، سواء عند المسلمين البيض أو عند المسلمين السود ذوي الأصول الإفريقية؟ وهل ترون أن العلم الشرعي الأصيل ينتشر بين المسلمين الأمريكيين؟

■ أود أن أجيب على هذا السؤال بالحديث عنه من خلال وجهة نظري التاريخية. لقد اعتنقت الإسلام، ولله الحمد، في عام ١٩٧٦م، وقد كانت الدعوة السلفية غير معروفة في أمريكا لا بالاسم ولا بالفكرة. ولحسن الحظ، فقد كانت أكثر المواد المنتشرة بين المسلمين في تلك الآونة إما من كتابة الإخوان المسلمين، أو من كتابات الجماعة الإسلامية في الباكستان، وقد احتوت هذه المواد على كثير من المعلومات الجيدة عن الإسلام، إلا أنه في الوقت ذاته، لم تركز تلك الكتب على اتباع السنة المؤكدة لرسول الله ﷺ، وعلى هديه الكامل في الحياة، وهدي خلفائه الراشدين - رضي الله عنهم -، وهذا أقل ما يُقال في تلك الكتب. وكان التركيز ضعيفاً جداً على اجتناب البدع، وكذلك محاولة فهم الإسلام على أنه الطريقة الحقة الوحيدة للحياة. ولقد كان هذا الأمر، إلى جانب توفر كَمٍّ كبير من الأدب الصوفي، إلى جانب الأدب الحديث أو الحداثي، اللذين سهَّلا جداً على الأشخاص أمر الانحراف عن الطريق السوي لهذا الدين المستقيم. والحمد لله؛ فقد تغيرت الأمور تغيراً ملحوظاً منذ ذلك الوقت، وقد أصبح الآن للدعوة السلفية مؤسسات ومؤتمرات تمثلها وتدعو لها. ولقد تمَّ نشر عدد كبير من الكتب على هذا المنهاج، وبخاصة تلك الكتب التي تردنا من إنجلترا، والكتب التي يؤلفها وينشرها أحد رواد هذا المنهج السلفي في بلادنا الدكتور بلال فيليبس. ونحمد الله كذلك على أن الذين يرغبون

باعتناق الإسلام حالياً لن يواجهوا ما واجهه كثير من معتنقي الإسلام في الماضي. بل، ولله الحمد كذلك، فإن المسلم الجديد الذي يعتنق هذا الدين العظيم سيجد بسهولة وسرعة ما يوجِّهه إلى منهج السلف الصالح والطريق القويم لهذا الدين العظيم.

البيان: هناك جالية مسلمة كبيرة وافدة إلى أمريكا من العرب والهنود وغيرهم، فما أثر هؤلاء على نشر الإسلام في القارة الأمريكية؟

■ أشرت في إجابتي عن بعض الأسئلة السابقة إلى أنه لم يكن للمهاجرين الأوائل سوى أثر ضئيل جداً. إلا أن المهاجرين الذين قدموا إلى الولايات المتحدة الأمريكية في الستينيات وبعدها كانوا مختلفين تماماً عن المهاجرين الأوائل؛ فكانوا، بشكل عام، أكثر ثقافةً وأفضل حظاً في الوظائف والأعمال التي يتقنونها. فكان لهؤلاء، إلى جانب الكثير من الطلاب الوافدين، أثرٌ وجهدٌ كبير في تأسيس الكثير من المساجد وبعض المؤسسات الإسلامية النشيطة. وكان لهؤلاء أيضاً الفضل في التفكير بإنشاء نواةٍ للمدارس الإسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية. ولهذا، فإن أثر هذه الموجة الجديدة للهجرة كان إيجابياً وفعالاً إلى حد كبير. إلا أن كثيراً من هؤلاء اتبعوا ما يمكن أن نسميه «الإسلام التقليدي»؛ وذلك أنهم اتبعوا ما كان معروفاً وسائداً في البلدان التي أتوا منها، حتى ولو كان هذا غير صحيح وغير موافق لما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة. وقد لوحظ أن كثيراً من أولاد هذه الموجة المهاجرة الوافدة إلى أمريكا أنفسهم، ممن لم يكن لهم ارتباطٌ وطيدٌ بالتراث الحضاري لآبائهم دعوا للعودة إلى الإسلام الصحيح واتباع القرآن الكريم والسنة المطهرة. ولقد أدى هذا، لسوء الحظ، إلى شيء من التوتر والشدة والخلاف، إلا أننا نأمل أن يؤدي إلى نتيجة طيبة بعون الله وتوفيقه.

البيان: مجلة البشير بالإنجليزية من المجلات العلمية الرائدة في بابها، فهل يمكن أن تحدثونا عن تجربتكم في هذه المجلة؟

■ أولاً أود أن أشكركم على كلامكم الطيب عن مجلة البشير في سؤالكم هذا، ولله الحمد. فقد كانت مجلة البشير مجلة تصدر مرة كل شهرين، واستمرت على هذا النحو مدة ثماني سنوات ما بين عامي ١٩٨٧- ١٩٩٥ وكان هدفها الأساس توفير مقالات متعمقة ومتخصصة تُكتَب من قبل متخصصين في مجالاتهم في موضوعات أساسية عن الدين الإسلامي العظيم، إما في مجال التفسير، أو الحديث، أو الفقه أو غيرها من المجالات الإسلامية. فقد كان هناك تركيز كبير على المواد الأساسية التي تعرِّفُ بهذا الدين العظيم، مما جعل من الصعوبة بمكان العثور على مواد متعمقة ومتخصصة في موضوعاته المختلفة. وكانت مجلة البشير استجابة لهذا الطلب الهام. وقد واجهت البشير في البداية مشكلة «ندرة»

الكُتَّاب، مما جعل العبء الأكبر لهذه المجلة على محررِ المجلة، وهو أنا. وقد تمَّ تشجيع كثير من الكُتَّاب على الكتابة للمجلة، ووعد كثيرون بالكتابة، إلا أنه وللأسف الشديد لم يكتب منهم إلا عددٌ ضئيل. وإنني أعتقد أنه يجب ألا تكون هناك مجلة تعتمد على كاتبٍ واحدٍ فقط. ولذلك، فقد اتجَّه القرار إلى إيقاف المجلة أولاً. ومن جهة أخرى، فإن المجلة كانت معقولة الثمن جداً، إلا أن كثيراً من القراء آثروا أن يحصلوا عليها مجاناً بدل أن يقدموا الدعم المادي لها. وفي اعتقادي أن هذه قضية هامة جداً بالنسبة لكثير من الأنشطة الدعوية الإسلامية. ويشيع بين كثيرٍ من الناس أن كل ما يتعلق بالأمور الدينية الإسلامية يجب أن يكون مجاناً. والحق أقول، فمن وجهة نظر عملية، لا يمكن أن يكون هذا عملياً؛ فالذي حدث لمجلة البشير، مثلاً، أنه كانت بعض المساجد تشتري نسخة واحدة من المجلة، ثم يقومون بتصويرها وتوزيعها مجاناً بعد صلاة الجمعة. وقد أصبحت التبعات المالية كبيرة وثقيلة جداً، وخاصة بما أنه تمَّ اتخاذ قرار بعدم وضع إعلانات في المجلة، وذلك لعدد من الأسباب، وبذا، فقد اضطرتْ هذه المجلة لإغلاق بابها. وقد تمَّ بحمد الله وتوفيقه، نشر عدد من المقالات التي نشرت في العددين الأول والثاني من هذه المجلة في كتاب مستقل بعنوان: «نحو فهم لديننا»، وأدعو الله أن يجعل هذا العمل نافعاً ومفيداً لعامة المسلمين.

البيان: نستأذن فضيلتكم بالانتقال إلى موضوع آخر؛ حيث نعيش هذه الأيام حمى الانتخابات الأمريكية؛ فهل للمسلمين الأمريكيين أثر في انتخابات الرئاسة الأمريكية، أو انتخابات مجلس الشيوخ، أو الكونجرس؟ وهناك من ينادي في أمريكا بتكوين فريق من المسلمين للضغط على الساسة الأمريكان ويرون أن المسلمين يمثلون قوة فاعلة في أمريكا، فهل تتفقون مع هذا الرأي؟ وهل هو مجدٍ من الناحية العملية؟

■ سأحاول الرد باختصار جداً على هذين السؤالين. ولذا، ستكون إجابتي غير مكتملة. وإني أعتقد أن إعطاء ردٍّ كامل على هذين السؤالين لا يمكن استيعابه في مجال مقابلة في هذه المجلة.

فأولاً: لا يزال أثر المسلمين، حتى هذا التاريخ، ضئيلاً جداً على الانتخابات في أمريكا، علماً بأن هذا الأثر ينمو ببطء؛ حيث إن المسلمين ينخرطون في المجال السياسي أكثر وأكثر حالياً. إلا أنه في الوقت ذاته، يجب أن ندرك أنه إذا أردنا بحقٍّ أن يكون للمسلمين أثر قوي على الانتخابات الأمريكية، فلا بد أن يقوم الأفراد ببعض الأعمال غير المناسبة أخلاقياً أو قانونياً من وجهة النظر الإسلامية. وإنني أعتقد أنه يجب على المسلمين أن يكونوا حذرين جداً عندما يتناولون أموراً مثل هذه.

ثانياً: أني أعتقد أيضاً أن المسلمين في

أمريكا ليسوا جاهزين بعدُ لتمثيل أية قوة سياسية أو حزب سياسي؛ لأن جماهير المسلمين بشكل عام لم يطوِّروا بعدُ الوعي والإدراك العام ليعرفوا أين ولمن يعطون ولاءهم وإخلاصهم. ولسوء الحظ فإنني قد قابلت عدداً من المسلمين ممن يعتقدون بولائهم الوطني على أنهم مواطنون أمريكيون، بنفس القدر الذي يعلنون ولاءهم فيه للإسلام، إن لم يكن ولاؤهم لوطنيتهم الأمريكية أكثر من ولائهم للإسلام، ويصدق هذا أيضاً حتى عندما يكون هناك خلاف واضح بين الولاءين. وكما قلت، فإنني لا أريد الخوض في التفاصيل؛ فقد يكون من الخير ألا يكون للمسلمين قوة سياسية كبيرة أو أثر سياسي كبير في الوقت الحالي؛ فقد لا يكون من النافع لهم - والحالة هذه - أن يمتلكوا هذه القوة وهم لا يعرفون كيف يستخدمونها بشكل مناسب. ومن الواضح أن استنتاجي هذا (وقد لا يكون مقبولاً لدى الكثيرين)، إنما هو مبني ببساطة على ملاحظاتي الشخصية خلال السنوات الطويلة للمسلمين في هذه البلاد، والله وحده أعلى وأعلم.

البيان: تعمد وسائل الإعلام الأمريكية إلى تشويه الإسلام والهجوم على المسلمين؛ فهل ترون أن هذا سوء فهم للإسلام؟ أم أن لها خطة مدروسة معلومة أبعادها؟ وهل هناك خطة من بعض المسلمين أو الجمعيات الإسلامية لمواجهة ذلك؟

■ مما لا شك فيه أن هناك عدداً كبيراً من الناس يستخدمون وسائل الإعلام لمهاجمة الإسلام مثل: دانيال بايبس، ستيف إيمرسون، وغيرهما. وعلاوة على ذلك، فإن أكثر مصادر الإعلام لديهم ما يسمونه «خبراء» فيما يتعلق بأمور الإسلام. وأكثر هؤلاء الخبراء، بوجه عام، هم من المستشرقين الذين تعلموا كيف يمكرون بدهاء وبطرق خفية لمهاجمة الإسلام وهم يبدون للعامة بأنهم أكاديميون وباحثون فقط. ويبدو أن هؤلاء الأشخاص الذين يتربعون على القمة في هذا المجال يحاولون، دون أدنى ريب، أن يستخدموا تأثيرهم ونفوذهم وأدواتهم المختلفة ليسيئوا إلى الإسلام ويصرفوا الناس عنه. بينما نلاحظ أن الأشخاص الذين هم أدنى من هؤلاء في مجال الإعلام - وقد قابلت كثيراً منهم خلال السنوات الماضية - لا يعرفون إلا القليل عن الإسلام، وهم يعتمدون على ما تمدهم به مصادرهم التي تُدْعى - كما أشرنا آنفاً - «خبراء». ويصعب تحديد عدد الذين يودون فعلاً مهاجمة الإسلام، كما يصعب أيضاً تحديد عدد الجاهلين منهم. ويجب أن نأخذ في الحسبان أن كثيراً من الأمريكيين - بوجه عام - جهلة إلى حد كبير فيما يتعلق بأمور الإسلام وشؤونه. كما أن العاملين في المجالات الدنيا من الإعلام ليسوا أحسن حظاً من الجماهير الأمريكية بشكل عام، ولذا، فينبغي ألا نستغرب مدى جهلهم أيضاً. والحمد لله، فإن هناك بعض

المؤسسات والجمعيات الإسلامية حالياً تراقب بنشاط كبير ما يصدر في الإعلام الأمريكي وترصده، فإذا وجدت أي مادة منافية أو مضادة مهاجمة، فيبدؤون حملة إعلامية نشطة للاتصال بتلك المصادر الإعلامية، ويُعلِمون المسلمين في كافة أرجاء الولايات المتحدة الأمريكية بما يجري على الساحة الإعلامية. وقد أسست هذه المؤسسات القاعدة الأساسية والرفض الجماهيري، أو الطلبات القوية التي توجه إلى تلك المصادر الإعلامية التي تحاول التشويه أو المهاجمة ضد الإسلام والمسلمين لسحب ما يقولونه ضد الإسلام، أو تصحيحه. وقد كانت جهود هذه المؤسسات موفقة جداً، بحمد الله، في بعض الحالات. وقد ساعدت جهودهم الطيبة هذه على تحسين فهم الإسلام من قِبَل هؤلاء العاملين في مجال الإعلام.

البيان: ختاماً، نرجو من فضيلتكم أن تعرفنا بمؤلفاتك والكتب التي ترجمتها، ثم تخبرونا بمشاريعكم العلمية المستقبلية.

لقد تمكنت ـ بنعمة ربي ورحمته ـ من نشر بعض المؤلفات والترجمات. ولعل من أهم كتاباتي في هذا المجال: «تعليق على الأربعين النووية». ويقع هذا الكتاب في ثلاثة مجلدات ضخمة وهو شرح لهذه الأحاديث الهامة. وقد تكرم الدكتور جعفر شيخ إدريس بكتابة مقدمة لهذا العمل الضخم. وكذلك، فقد كتبت: «نحو فهم أفضل للقرآن الكريم» و «مكانة السنة وأهميتها». وأما أعمالي المترجمة فتشتمل على: «عالم الجن والشياطين للدكتور عمر الأشقر»، وعدد من الكتب التي كتبها الدكتور صالح السدلان، ومنها: «النشوز وفقه الزواج في ضوء القرآن والسنة». وأما فيما يتعلق بمشاريعي المستقبلية، فقد تعلمت منذ زمن طويل أن من الأفضل ألا يناقش المرء مشاريع المستقبل؛ فقد يظن المرء أنه سيفعل شيئاً ما في المستقبل، إلا أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يصرفه عنه ويوجهه إلى شيء آخر قد يكون مختلفاً تماماً عمَّا أراد. لذا، سأنتظر وإياكم لنرى المشروع التالي الذي سأنجزه بنعمة الله ورحمته وفضله.

وختاماً، فإني أرجو الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يبارك جهودكم الطيبة في هذه المجلة ـ البيان ـ ولله الحمد، فإنها لا تزال ذات نفع عظيم لكثير من المسلمين. وأرجو الله أن يزيدكم قوة إلى قوتكم، وقدرة إلى قدرتكم لتستمروا في العطاء والنشر للعديد من السنوات القادمة، بحول الله وتوفيقه.

فجزاكم الله خيراً.

الإيمان قول وعمل

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء
السعودية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. وبعد:

فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على ما ورد إلى سماحة المفتي العام من عدد من المستفتين لقيدة استفتاآتهم بالأمانة العامة لهيئة كبار العلماء برقم (٥٤١١) وتاريخ ٧/١١/١٤٢٠هـ، ورقم (١٠٢٦)، وتاريخ ١/٢/١٤٢١هـ، ورقم (١٠١٦)، وتاريخ ٧/٢/١٤٢١هـ، ورقم (١٣٩٥)، وتاريخ ٨/٣/١٤٢١هـ، ورقم ١٦٥٠)، وتاريخ ١٧/٣/١٤٢١هـ، ورقم (١٨٩٣)، وتاريخ ٢٥/٣/١٤٢١هـ، ورقم (٢١٠٦)، وتاريخ ٤/٤/١٤٢١هـ، وقد سأل المستفتون أسئلة كثيرة مضمونها: «ظهرت في الآونة الأخيرة فكرة الإرجاء بشكل خيف، وانبرى لترويجها عدد كثير من الكتاب يعتمدون على نقولات مبتورة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، ما سبب ارتباكاً عند كثير من الناس في مسمى الإيمان؛ حيث يحاول هؤلاء الذين ينشرون هذه الفكرة أن يخرجوا عمل عن مسمَّى الإيمان، ويرون نجاة من ترك جميع الأعمال وذلك مما يسهل على الناس الوقوع في المنكرات أمور الشرك وأمور الردة إذا علموا أن الإيمان متحقق لهم ولو لم يؤدوا الواجبات ويتجنبوا المحرمات ولو لم يعملوا شرائع الدين بناءاً على هذا المذهب. ولا شك أن هذا المذهب له خطورته على المجتمعات الإسلامية وأمور العقيدة العبادة؛ فالرجاء من سماحتكم بيان حقيقة هذا المذهب وآثاره السيئة وبيان الحق المبني على الكتاب والسنة، تحقيق النقل عن شيخ الإسلام حتى يكون المسلم على بصيرة من دينه، وفقكم الله وسدد خطاكم. والسلام عليكم رحمة الله وبركاته.

وبعد دراسة اللجنة للاستفتاء أجابت بما يلي:

هذه المقالة المذكورة هي مقالة المرجئة الذين يُخرِجون الأعمال عن مسمَّى الإيمان، ويقولون: الإيمان هو لتصديق بالقلب، أو التصديق بالقلب والنطق باللسان فقط، وأما الأعمال فإنها عندهم شرط كمال فيه فقط وليست نه؛ فمن صدق بقلبه ونطق بلسانه فهو مؤمن كامل الإيمان عندهم، ولو فعل ما فعل من ترك الواجبات وفعل لمحرمات، ويستحق دخول الجنة ولو لم يعمل خيراً قط؛ ولزم على ذلك الضلال لوازم باطلة منها حصر الكفر بكفر تكذيب والاستحلال القلبي، ولا شك أن هذا قول باطل وضلال مبين مخالف للكتاب والسنة وما عليه أهل السنة الجماعة سلفاً وخلفاً، وأن هذا يفتح باباً لأهل الشر والفساد للانحلال من الدين وعدم التقيد بالأوامر والنواهي الخوف والخشية من الله سبحانه، ويعطل جانب الجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يسوِّي بين الصالح والطالح، والمطيع والعاصي، والمستقيم على دين الله والفاسق المتحلل من أوامر الدين

ونواهيه، ما دام أن أعمالهم هذه لا تُخِلّ بالإيمان كما يقولون، ولذلك اهتم أئمة الإسلام قديماً وحديثاً ببيان بطلان هذا المذهب والرد على أصحابه، وجعلوا لهذه المسألة باباً خاصاً في كتب العقائد، بل ألَّفوا فيها مؤلفات مستقلة كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وغيره. قال شيخ الإسلام - رحمه الله - في العقيدة الواسطية: «ومن أصول أهل السنة والجماعة: أن الدين والإيمان قول وعمل. قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية». وقال في كتاب الإيمان: «ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة في تفسير الإيمان، فتارة يقولون: هو قول وعمل، وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية، وتارة يقولون: قول وعمل ونية واتباع السنة، وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وكل هذا صحيح». وقال - رحمه الله -: «والسلف اشتد نكيرهم على المرجئة لما أخرجوا العمل من الإيمان، ولا ريب أن قولهم بتساوي إيمان الناس من أفحش الخطأ؛ بل لا يتساوى الناس في التصديق ولا في الحب ولا في الخشية ولا في العلم، بل يتفاضلون من وجوه كثيرة» وقال - رحمه الله -: «وقد عدلت المرجئة في هذا الأصل عن بيان الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان، واعتمدوا على رأيهم وعلى ما تأولوه بفهمهم للغة وهذه طريقة أهل البدع». انتهى.

ومن الأدلة على أن الأعمال داخلة في حقيقة الإيمان وعلى زيادته ونقصانه بها، قوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]. وقوله - تعالى -: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ٩]. وقول الرسول ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق. والحياء شعبة من الإيمان». قال شيخ الإسلام - رحمه الله - في كتاب الإيمان أيضاً: «وأصل الإيمان في القلب وهو قول القلب وعمله. وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد. وما كان في القلب فلا بد أن يظهر موجبه ومقتضاه على الجوارح. وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دل على عدمه أو ضعفه. ولهذا كانت الأعمال الظاهرة من موجب إيمان القلب ومقتضاه، وهي تصديق لما في القلب ودليل عليه وشاهد له. وهي شعبة من الإيمان المطلق وبعضٌ له. وقال أيضاً: بل كل من تأمل ما تقوله الخوارج والمرجئة في معنى الإيمان علم بالاضطرار أنه مخالف للرسول. ويعلم بالاضطرار أن طاعة الله ورسوله من تمام الإيمان. وأنه لم يكن يجعل كل من أذنب ذنباً كافراً. ويعلم أنه لو قدر أن قوماً قالوا للنبي ﷺ: نحن نؤمن بما جئتنا به بقلوبنا من غير شك، ونقر بألسنتنا بالشهادتين؛ إلا أنَّا لا نطيعك في شيء مما أمرت به ونهيت عنه؛ فلا نصلي، ولا نصوم، ولا نحج، ولا نصدق الحديث، ولا نؤدي الأمانة، ولا نفي بالعهد، ولا نصل الرحم، ولا نفعل شيئاً من الخير الذي أمرت به، ونشرب الخمر، وننكح ذوات المحارم بالزنا الظاهر، ونقتل من قدرنا عليه من أصحابك وأمتك، ونأخذ أموالهم؛ بل نقتلك أيضاً ونقاتلك مع أعدائك. هل كان يتوهم عاقل أن النبي ﷺ يقول لهم: أنتم مؤمنون كاملو الإيمان، وأنتم أهل شفاعتي يوم القيامة ويرجى لكم أن لا يدخل أحد منكم النار؟ بل كل مسلم يعلم بالاضطرار أنه يقول لهم: أنتم أكفر الناس بما جئت به، ويضرب رقابهم إن لم يتوبوا من ذلك» انتهى.

وقال أيضاً: «فلفظ الإيمان إذا أُطلق في القرآن والسنة يراد به ما يراد بلفظ البر وبلفظ التقوى وبلفظ الدين كما تقدم. فإن النبي ﷺ بيَّن أن الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق. فكان كل ما يحبه الله يدخل في اسم الإيمان. وكذلك لفظ البر يدخل فيه جميع ذلك إذا أطلق وكذلك لفظ التقوى. وكذلك الدين أو دين الإسلام. وكذلك رُوي أنهم سألوا عن الإيمان فأنزل الله هذه الآية: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٧]. إلى أن قال: والمقصود هنا أنه لم يثبت المدح إلا على إيمان معه العمل. لا على إيمان خال عن عمل». فهذا كلام شيخ الإسلام في الإيمان. ومن نقل عنه غير ذلك فهو كاذب عليه.

وأما ما جاء في الحديث أن قوماً يدخلون الجنة لم يعملوا خيراً قط فليس هو عامّاً لكل من ترك العمل وهو يقدر عليه. وإنما هو خاص بأولئك لعذر منعهم من العمل أو لغير ذلك من المعاني التي تلائم النصوص المحكمة وما أجمع عليه السلف الصالح في هذا الباب.

هذا واللجنة الدائمة إذ تبين ذلك فإنها تنهى وتحذر من الجدال في أصول العقيدة لما يترتب على ذلك من المحاذير العظيمة وتوصي بالرجوع في ذلك إلى كتب السلف الصالح وأئمة الدين المبنية على الكتاب والسنة وأقوال السلف، وتحذر من الرجوع إلى الكتب المخالفة لذلك وإلى الكتب الحديثة الصادرة عن أناس متعالمين لم يأخذوا العلم عن أهله ومصادره الأصيلة. وقد اقتحموا القول في هذا الأصل العظيم من أصول الاعتقاد، وتبنوا مذهب المرجئة، ونسبوه ظلماً إلى أهل السنة والجماعة، ولبَّسوا بذلك على الناس، وعزوه عدواناً بالنقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - وغيره من أئمة السلف بالنقول المبتورة، وبمتشابه القول وعدم رده إلى المحكم من كلامهم. وإنَّا ننصحهم أن يتقوا الله في أنفسهم، وأن يثوبوا إلى رشدهم، ولا يُصَدِّعوا الصف بهذا المذهب الضالِّ. واللجنة أيضاً تحذر المسلمين من الاغترار والوقوع في شراك المخالفين لما عليه جماعة المسلمين أهل السنة والجماعة.

وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح والفقه في الدين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	**الرئيس**
عبد الله بن عبد الرحمن الغديان	عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ
عضو	**عضو**
بكر بن عبد الله أبو زيد	صالح بن فوزان الفوزان

الرقم: ٢١٤٣٦

التاريخ: ١٤٢١/٤/٨هـ



قف يا نسيم

شعر: ياسر جياكتا

وقف النسيم يسائل الأخيارا ... والكون يرقب دونه الأخبارا
متسائلاً عن أمة لَمَّا تزل ... في الذل راتعة وتلعق عارا
كانت تسود الكون ملكاً عامراً ... فالأرضَ تملك روضَها وقفارا
فالله أكبر في المآذن قد سرى ... للحق، أرشد للعقول، أنارا

• • •

وجيوش أحمد قد شققن طريقها ... نحو المدائن تفتح الأمصارا
فإذا بهم كالبحر يلطم بعضه ... والخيل تعدو والسيوف تبارى
والجند تصنع من غليل دمائها ... سيفاً، تفرق حولها الكفارا
والسيف يزار في العدو وقد لوى ... معه المنية تسحق الأعمارا
والجيش يسحب ثوبه مترسلاً ... والخيل ترفل كالعروس فخارا
بل خالد سيف الإله كأنما ... جعل البطولة شَمْلَة وإزارا
كالفجر يطرق في العدوَ بعزمه ... ويقود جيشاً جامحاً جرّارا

• • •

يا قوم قد ذهب الأباة فما أرى ... فيكم نجوماً تخلف الأقمارا؟
يا قوم ما الحدث الذي بنزوله ... عدل الأريب عن الصواب وحارا
عجباً أخالد! ما لقومي أذعنوا؟ ... وقد انتصرتَ على العدو مرارا!
أو ما رأيتم مصعباً بلوائه ... أو طلحةً، أو جعفر الطيارا
نذروا الجهاد بأن يكون حليفهم ... فالله تمم بيعهم وأجارا
قف يا نسيم على عبير دمائهم ... وانشره طيباً طيِّباً معطارا
فلعل ريح دم الشهيد يطيب لي ... يوحي إلى جيل الغد الأخبارا
يوحي بأن المجد ليس بآيب ... حتى نكشِّف دونه الأستارا
وبأن من رام المعالي ربما ... صفعته أيدي التضحيات مرارا
قف يا نسيم وسائل الأرض التي ... بعراء بدر واسكب الأشعارا
قف يا نسيم على الصبير(١) وسائلن ... أُحُداً وسائل سفحه الجبارا
قف يا نسيم وسائل الأرض التي ... بحُنَيْن واسأل دونها الأحجارا
ستجيبك حتماً أن جنداً قد مضوا ... يعلون ركناً للجهاد جهارا

---

(١) الصبير : السحاب الأبيض.

بشائر الحق

علي بن جبريل

(الله أكبر جاء الحق وانبلجا)   وطأطأ البغي رأس الذل وانزعجا
وأشرقت في الدُّنا الأنوار طافحة   يا سعدنا ... وخفى الإظلام واندرجا
تسابق البِشْر في الأنحاء، وانطلقت   بشائر النصر كيما تبهج المهجا
الله أكبر يا تاريخ.. مقبلة   أيامنا، مانحات للدُّنا الفرجا
شباب صحوتنا الميمون قادمة   جموعهم! تكسر الأقفال والرتجا
سيقبلون.. خيول النصر تحملهم   وينفضون تراب الذل والرهجا
أتوك من كل فج مظلم.. لُججاً   تسير.. تتبع في أدراجها لججا!
من كل ناحيةٍ يأتون، رايتُهم   خفاقة، لا ترى في صفهم عوجا
سفينة الحق يا تاريخ قادمة   لا ترهب الموج والطوفان والثبجا!
تسير رغم هياج الموج في ثقة   كأنها الصبح.. والموج العنيف دجى!!
تقول: يا صحبنا لا تيأسوا أبداً   إن عربد البغي والليل البهيم سجا
فالفلك قادمة يحدو مسيرتها   جميع من لطريق العزة انتهجا
والليل مهما عتا واسودَّ جانبه   فلن يقر أمام الصبح إن ولجا!
الله أكبر لم تعقُم حرائرنا   ما دام في سوحهن الشهم قد درجا
دماؤه من دم الفاروق منبعها   والروح وثابة لا تشتكي حرجا
من خالدٍ صاغ نصراً خالداً وأتى   يخوض ملحمة الأهوال مبتهجا!

أبناؤه كل شـهم من شـبـيـبـتنا ... لا يرهب البغي مهما ماد واعتلجا

شـبـيـبـةُ الحق لا يخشون نائبةً ... ولا يهابون جيش الكفر إن خرجا

هم يمتطون سروجَ الخيل صاهلة ... ويحملون لهذي الدلجة السرجا

يفرُّ إبليس منهم حين مقدمهم! ... فالنصر في دمهم - يا سعدهم - مزجا

تخرُّ قاعدة الإشراك إن طلعوا ... وإن سروا دُكَّ صرحُ الكفر وانفلجا!

هم يرحلون إذا ما العزةُ ارتحلتْ ... ويدلجون وراء الحق إن دلجا

ويهجرون ديار الذُلّ قاطبة ... والنور إن عرجوا ـ أيان هم ـ عرجا!!

سودٌ معاركهم.. بيضٌ مخايلهم ... نور مطالعهم.. كالبدر إن وهجا!

في صفهم كلُّ ذي علمٍ وذي أدبٍ ... هم ثلة لا ترى في صفهم همجا

في وحدة مثل بنيانٍ مرصّصةٍ ... أحجاره، لا ترى من بينهم فرجا

الله أكبر يا تاريخ.. دوحتُنا ... تزينت، والجنى في ساحها نضجا

ترقرق النورُ في أنهارِها طرباً ... والطير من أجمل الألحان قد نسجا

* * *

الله أكبر هذا الدربُ ـ أمتنا ـ ... من ضل عنه غوى، أو سار فيه نجا!

الله أكبر.. هذا ركبُنا قدموا ... فعانق الدرب ظل الركب واندمجا!

الخيرُ في دمهم والنصر ديدنهم ... والقلب - يا أمتي - في حبك اختلجا

أتوكِ من كل فجٍّ ينشدون لنا: ... (الله أكبر جاء الحق وانبلجا)

معاناة

عماد الغزي

محمد وأولاده الخمسة لم يذوقوا الطعام منذ يام، لا يجدون إلا كسرة الخبز يسدون بها جوعهم، يقيمون بها أَوَدَهم.

أما علي فهو بحاجة لمحسن متصدق لدفع تكاليف علاج ولده الوحيد الذي يحتاج لعملية عاجلة، وليس له إلا طرق أبواب الصحف والمجلات لعل ناشراً ينشر حالته، تصادف قلباً رحيماً أو باحثاً عن الشهرة لعلاجه.

خالد يحمل شهادة جامعية وقد مرت سنة وهو يبحث عن عمل وأخيراً وجد وظيفة (عامل نظافة) في حد الفنادق.

طفل لا يتجاوز العاشرة عامل بناء! أرملة باعت ـرامتها لإطعام أطفالها.

لم تكن تلك مقتطفات من قصة حزينة أو مشاهد ن فيلم لمخرج متشائم، إنها المعاناة اليومية لرجل لشارع المعتاد في بلاد المسلمين، تلاحقه الهموم الأحزان، فمن هَمِّ المأكل والمشرب، إلى العلاج الدواء والبحث عن الوظيفة، إلى تعليم الأولاد رعايتهم. ومع ضعف الإيمان والتوكل أصبح دائم لتفكير، مشغول البال، عابس الوجه لا ينفك من شكلة وحاجة حتى يبدأ في غيرها.

الحاجة وذل الحاجة أحالت جبال العزة والكرامة لى قيعان من الذل الهوان، لم يعد مكاناً للهمة العالية النفس الكبيرة، ورجل الإصلاح ورجل العقيدة أصبح ل منهما إنسان لقمة العيش، ذليلاً لها ولمن يقدمها له.

مصطلحات (الضمان الاجتماعي، التعليم للجميع، رعاية الصحية) لا وجود لها في المعجم العربي، إنها حكر على مواطنهم الغربي يرفل بها وينعم.

أما شعوبنا فلها توصيات صندوق النقد الدولي، ولها أن تسعد بارتفاع الناتج المحلي من الوعود الهائلة والحملات الإعلامية التي تجعل من سائر نكبات الأمة أنموذجاً فريداً في الإنجازات تستهلك فيه جميع مفردات المديح من معجمات اللغة العربية.

شعوب هذه حالها كيف يمكن لها أن تعمل وتنتج، فضلاً عن أن تبدع وتبتكر؟ يتفكر المرء أحياناً: لماذا هذه الحاجة والفاقة في بلاد المسلمين؟ لماذا نحن هكذا وبلادنا أرض الخيرات ومنبع الخامات؟

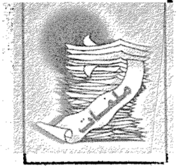
هل ما نحن فيه يراد لنا؟ هذا الذل والحاجة أهو أمر مخطط مقصود؟

هل يراد لنا أن نصبح ونمسي على هَمٍّ لقمة العيش، فننصرف عن معالي الأمور إلى سفاسفها، وننشغل عن درء الظلم عنا بدرء الظلم عن الآخرين؟

ومع المعاناة تنظر الجماهير إلى من يعبر عن معاناتها وينافح عن حقوقها؛ ولكن كيف تعبر بعض المجلات العربية عن هموم رجل الشارع المعتاد؟ وحسبنا منها عناوين أغلفتها الخارجية التي تعبر عن أهم موضوعاتها:

(رجال في عيادات أمراض النساء/ بزنس النساء هل هو إغراء؟ / لن أستغل جمالي في التمثيل/ أسرار ما قبل الزواج هل أبوح بها؟). إلى آخر هذه العناوين.

فهل تعبر هذه المجلات عن حال الأمة؟ وهل تنطق بلسانها: أين تعيش؟ ولماذا تعيش؟ وعلى من تعيش؟



التنصير.. هل أصاب الهدف؟ (٣ـ٣)

ماذا وراء الإرساليات الإنسانية؟!

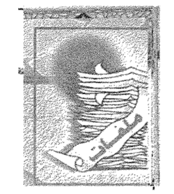
قبل أكثر من مائة عام قام الدكتور (لانسنج) وثلاثة من مساعديه، وهم: (جيمس كانتين، وصموئيل زويمر، وفيليب فيلبس) بتشكيل مجموعة تنصيرية في ولاية نيوجرسي الأمريكية، هدفها: نشر الدين النصراني في بعض البلدان العربية، وكانت البداية في منطقة الخليج والجزيرة العربية، ويذكر صموئيل زويمر السبب في هذا الاختيار بقوله: (إن من الدوافع إلى العمل في المنطقة: الأسباب التاريخية؛ فللمسيح الحق في استرجاع الجزيرة العربية التي أكدت الدلائل التي تجمعت لدينا في الخمسين سنة الأخيرة، أن المسيحية كانت منتشرة فيها في بداية عهدها)(١).

وبعد عدة سنوات من الاجتماعات وحملات التبرع بدأت الإرسالية الأمريكية أولى رحلاتها إلى البصرة في العراق في عام (١٨٨٩م)، ثم تتابعت الرحلات إلى الكويت والبحرين وعمان والإمارات واليمن.. ونحوها. وقد نشرت مقالات ومذكرات عدد من المنصرين في هذه المنطقة في عدة كتب من أهمها: كتاب (صدمة الاحتكاك) من إعداد وترجمة خالد البسام.

إنَّ قراءة بعض المقالات المترجمة في هذا الكتاب تُوقفنا على أخبار وحكايات مذهلة ومثيرة للانتباه قامت بها البعوث الأولى للتنصير في منطقة الخليج، وتجعلنا ندرك بيقين أن ما يسمى بالمساعدات الإنسانية والطبية ما هي إلا أداة رئيسة من أدوات التنصير وإخراج الناس عن دين الله تعالى. وهذا ما سيتأكد لنا عند قراءة الجزء الثالث من ملف (التنصير.. هل أصاب الهدف؟!) الذي خصصناه لعرض بعض جهود المنصرين في بعض الدول العربية. ونجزم بأن ما ذكر ما هو إلا شيء يسير من الواقع، لكن دلالاته عميقة..!!

لقد كنا نتوقع أن يكون هذا الملف في جزأين اثنين، إلا أن حجم المادة الكبير الذي بين أيدينا جعلنا نضيف هذا الجزء، مع أننا تركنا عدداً من المقالات الأخرى خشية الإطالة والإملال. ونرجو أن يجد القارئ الكريم في المادة المنشورة ما يفي بالغرض ويرضي الطموح بإذن الله تعالى.

(١) مقدمة صدمة الاحتكاك (ص٥)، دار الساقي. الطبعة الأولى ١٩٩٨م.



التنصير.. هل أصاب الهدف؟ (٣ـ٣)

الإبرار النصراني في السودان

دراسة ميدانية(*)

إعداد: محمود صالح

مقدمة الدراسة: تمنى النصارى أن يحولوا القارة الإفريقية كاملة إلى حظيرة لدينهم المبدل، ولـم يكتفوا بالأماني فقط، بل سـعوا إلى ذلك بكل ما أوتوا من أسباب توصلهم إلى ذلك. وقد نجحوا نجاحاً ضئيلاً جداً في عدد محدود من دول القارة، وهذا النجاح القليل يساوي إخفاقاً كبيراً، وهذا الإخفاق غذَّى لدى النصارى حقداً زائداً ومضاعفاً على الإسلام في تلك القارة؛ حيث هو دين الحق الذي يواجه الدين المحرف، وحيث العداوة التاريخية الطويلة للنصارى مع المسلمين في كل مكان؛ فكان لا بد من بث هذا الحقد بشكل أكثر عملية. وفي القارة نفسها، وفي دولة مسلمة كذلك. كانت تلك الدولة التي تنفس فيها النصارى بصدور ملؤها الحقد.. هي السودان، وجد النصارى في هذا البلد أسباباً عديدة تدعوهم لمحاولة الفتك به، وتحويله حسب أمانيهم إلى دولة نصرانية، أو ـ على الأقل ـ تحويل جزء منه. وقد كانت عناصر: المساحة الكبيرة، والتنوع القبلي، والعرقي، واللغوي، عوامل مساعدة للحملة الصليبية على السودان.

فالسودان بلد مساحته كبيرة؛ إذ تتجاوز ٢.٥ مليون كيلو متر مربع، ويضم أكثر من ستمائة قبيلة، كذلك هناك التنوع العرقي «النيلية، الحامية، الزنجية» إضافة إلى التنوع اللغوي «العربية، الإنجليزية، واللهجات القبلية»؛ حيث يوجد أكثر من ١١٠ نوع بين لغة ولهجة محلية، وفي الجنوب وحده ٥٣ لغة ولهجة.

أما التنوع الديني فيتركز المسلمون في الشمال، وهم يمثلون ٧٠٪ من إجمالي سكان السودان، أما الجنوب فإن ١٨٪ من سكانه مسلمون، و١٧٪ نصارى، والنسبة الباقية ٦٥٪ وثنيون ولا دينيون، كما أن للسودان حدوداً دولية متشعبة مع تسع دول هي: مصر، ليبيا، تشاد، إفريقيا الوسطى، زائير، أوغندا، كينيا، أثيوبيا، إرتيريا؛ مما يسهل المناوشات على أكثر من جبهة في وقت واحد لتشتيت الجهود الداخلية، هذا التنوع الكبير تم الطَّرْقُ عليه بشكل لافت لاستغلاله في توسيع الشقة بين سكان هذا البلد، وإذا ضُمّ إلى ذلك غياب الوعي وكثرة الجهل، والأهداف الخبيثة التي تسعى الحملة الصليبية لتحقيقها، أمكن في وسط هذا الواقع المضطرب تنفيذ شيء من المخطط الصليبي. لقد كان عدم الاستقرار داخل السودان مطلباً نصرانياً لانتزاع جنوبه ليكون دولة صليبية جديدة. كان هذا هو الهدف الأساس للحملات النصرانية الدولية المتتابعة على السودان، ولم يكن لهذه الحملات ارتباط بمكافحة الإرهاب، ولا بتطبيق الشريعة أو الداعين إليها. فعندما قام جون قرنق بقيادة الفرقة ١١٥ معلناً تمرده، كان ذلك في إبريل العام ١٩٨٣م، أي قبل أن يعلن النميري تطبيق الشريعة الإسلامية في السودان بسبعة أشهر. وكما كانت دعوة النميري

(*) تم إغفال ذكر عدد من المدن والمناطق ليناسب مساحة النشر... (البيان).

شعارات جوفاء، فقد تلتها شعارات جبهة الإنقاذ التي لم تكن هي الأخرى سبباً في هذه الحملة.

*** البابا يفتتح الحملة الصليبية:** في مطلع العام ١٩٩٣م هددت الولايات المتحدة بإدراج اسم السودان في قائمة الدول التي ترعى الإرهاب، وذلك بعد تقرير مساعد وزير الخارجية الأمريكي للشؤون الإفريقية «هيرمان كوهين»، فكانت تلك مقدمة لفتح باب من الشر للهجمات الصليبية. وقام بابا الفاتيكان بزيارة رسمية للسودان في فبراير من العام نفسه، واستُقبل في السودان استقبالاً حاراً، وكانت عبارات الاستقبال مليئة بالحفاوة والمديح الزائد.

هذا الترحيب الحار بالملهَم قابله صلف نصراني شديد، ووضوح في تحديد مهام الزيارة وأهدافها، فلم يوارب ولم يُوَرِّ، بل أعلنها بكل صراحة حين قال: «إن رياح التغيير تهب على إفريقيا وتتطلب احترام حقوق الإنسان، لقد كانت لي رغبة ملحة للمجيء إلى السودان، وبصفتي خليفة القديس بطرس الذي جعله السيد المسيح رأساً على كنيسته، فمن اللازم عليَّ أن أشجع وأثبِّت الإيمان في إخوتي وأخواتي أينما كانوا، ولا سيما عندما يقتضي الإيمان شجاعة كبيرة وقوة للصمود، وعندما يكون الشعب ضعيفاً وفقيراً ولا حامي له، يجب أن أرفع صوتي لأتكلم باسمه».

وفي تلك الزيارة استمع البابا إلى تحريض كبير من رئيس الأساقفة «غبريال زبير واكو» ليدلي بدلوه في تأجيج أوار الحملة الجديدة: «إننا لا نريد أن نتعمق في المتاعب والمشاق التي مررنا بها خلال السنوات الأخيرة؛ فهؤلاء الرجال والنساء، وخاصة الكهنة والرهبان والراهبات والمبشرين، قد تحملوا حقيقة حرارة اليوم، ويقفون هنا في احتياج للتشجيع، لقد مرت فترة شعرنا فيها بانعدام الأمل، وفقدان القدرة، إن هذا البلد لا يعرف المسيح جيداً. هؤلاء الكهنة والرهبان والراهبات قد حملوا صليبهم مع المسيح بشجاعة لا متناهية وثبات عجيب، وإن المبشرين يستحقون تقديراً خاصاً منا؛ إنهم الصفوف الأمامية من الرجال والنساء للإنجيل، إنهم الناس الذين يجهزون الأرض للزرع».

كانت زيارة البابا الباب الذي دخل السودان من خلاله في دوامة العقوبات المتتالية، فبعد هذه الزيارة بأشهر قليلة وفي يوليو ١٩٩٣م اجتمع البابا مع البعثات التنصيرية العاملة في السودان لمناقشة الأوضاع هناك، وما ينبغي عمله لتحقيق الهدف. وبعد ذلك زار البابا واشنطن وقابل الرئيس الأمريكي بيل كلينتون، واطلعه على أحداث زيارته للسودان، وما اتفق عليه في الاجتماع الذي تلاها. لم تطل المدة التي تتخذ فيها الإدارة الأمريكية مرئياتها حول الوضع في السودان؛ ففي ١٩/٨/١٩٩٣م أدرجت الولايات المتحدة السودان في قائمة الدول الراعية للإرهاب. وخطورة هذا القرار تكمن في قطع الولايات المتحدة للمساعدات العسكرية عن السودان وحثها المؤسسات الدولية والمالية على عدم تمويل السودان، في الوقت الذي تتدفق فيه المساعدات على جون قرنق في الجنوب ليقيم دولتهم النصرانية.

وفي ذلك العام أدانت لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة النظام الحاكم في السودان بممارسة عمليات الإعدام والتعذيب، وبارتكاب مجازر وقتل عشوائي واختطاف الأطفال لاستخدامهم عبيداً أو جنوداً، وأدى ذلك إلى صدور قرار جديد بإدانة السودان في ١٤/١٢/١٩٩٣م. ولم تشأ منظمة العفو أن يفوتها شرف الاشتراك في الحملة الصليبية، فوجهت بدورها اتهامات إلى السودان بقتل ٣٠٠ ألف من المدنيين العزل في مدينة جوبا. كما سارت منظمة العفو الدولية في الاتجاه ذاته حينما أصدرت تقريراً في السنة نفسها اتهمت فيه الحكومة السودانية باستعباد الأشخاص وبيعهم. ثم جاء دور صندوق النقد الدولي؛ حيث رفض منح السودان أية قروض، وذلك تنفيذاً للتهديدات الأمريكية، كما قام الصندوق بتجريد السودان من حق التصويت في اجتماعاته.

وهكذا نرى الحلقات بدأت في التجمع لإنشاء سياج حديدي كبير على السودان لإضعافه داخلياً، في الوقت الذي ينشغل فيه بصد هذه المؤامرة الدولية الصليبية، وهو ما سمح لحركة التمرد بالانتفاش ، والحركة التنصيرية بالانتشار، ثم جاء دور الدولة المحتلة القديمة للسودان - بريطانيا - في نفث سمومها لتأجيج نار الحرب، فقامت باستقبال المعارضة السودانية في البرلمان

البريطاني فيما عُد سابقة دولية خطيرة، كما أقدمت الدول الغربية على حملة نصرانية تدعو إلى التدخل الدولي في السودان وإقامة مناطق آمنة فيه على غرار ما حدث في العراق، وقد قادت هذه الحملة في بدايتها الكنائس الكاثوليكية الأوروبية والكنائس الكاثوليكية الإفريقية، ثم تولت الدول بعد ذلك هذه الحملة بنفسها، فأصدرت المجموعة الأوروبية والكونجرس الأمريكي ومجلس اللوردات البريطاني بياناً يدعو إلى التدخل الدولي في جنوب السودان، لوقف ما أسمته بعمليات التطهير العرقي ضد المسيحيين في جنوب السودان، ثم أعلنت الولايات المتحدة أنها تبحث إقامة مناطق آمنة لحماية الهاربين من الحرب الأهلية والمجاعة. وتوسعت الدعوة لإقامة مناطق آمنة حول العاصمة نفسها، ومناطق في الشمال.

وفي اتجاه آخر ـ ولزيادة جرعة الإلهاء والاستغراق في الدوامة المجهدة ـ تم جر السودان إلى مشاكل حدودية وسياسية مع الجيران، فأثيرت الخلافات مع مصر، ومع أوغندا، ومع إريتريا، وهكذا فتح باب آخر من الشر على ذلك البلد، ثم تلا ذلك الضربة العسكرية الأمريكية المشهورة لمصنع الشفاء للأدوية.

وإن كان الشعب السوداني قد صمد بفضل من الله أمام هذه الحملة الصليبية، إلا أن الحكومة قد قدمت تنازلات كبيرة في الواقع تخدم ـ من حيث تدري أو لا تدري ـ الهدف النصراني؛ حيث أعلنت أنها لن تطبق الشريعة الإسلامية في مناطق الجنوب، وأن الدستور السوداني لن يذكر أن الإسلام هو الدين الرسمي للدولة، وهذا بلا شك تنازل خطير له دلالاته في الواقع. وهكذا نرى كيف هي الحملة على هذا البلد المسلم الذي غدا كوحيدة الغنم وسط قطيع من الذئاب.

وتجيء هذه الدراسة الميدانية لتبين حجم الوجود النصراني في السودان، من كنائس ومدارس ومنظمات ومراكز اجتماعية وصحية وثقافية، كلها تعمل لتفتيت السودان من داخله متواصلين مع الساعين لهدمه من خارجه..

فلك الله يا شعب السودان!

ـ البيان ـ

• ولاية الخرطوم.. أولاً: محافظة الخرطوم:

أ ـ الكنائس:

*** شارع الجمهورية.. الخرطوم:**

١ ـ الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية: وتقوم برعاية شؤون الجالية اليونانية في الخرطوم.

٢ ـ كنيسة سيدة البشارة: وتقوم برعاية شؤون الروم الكاثوليك بالسودان.

*** شارع النيل ووسط الخرطوم:**

١ ـ مطرانية الأقباط الأرثوذكس: وتقوم برعاية كافة مصالح الأقباط بالسودان.

٢ ـ كاتدرائية القديس متَّى الكاثولوكية: وتمثل الإدارة العليا للنصارى الكاثوليك في السودان.

٣ ـ الكنيسة الإنجيلية: وتمثل إدارة من إدارات الكنيسة الإنجيلية في الخرطوم.

٤ ـ الكنيسة الإرسالية الأمريكية: وتتبع الكنيسة الإنجيلية. ٥ ـ كنيسة جنوب نادي المكتبة القبطية.

*** الخرطوم ٢:**

١ ـ الكنيسة السبتية: بها مدرسة لتدريس الكتاب المقدس، وتختلف عن الكنائس الأخرى في التعبد يوم السبت.

٢ ـ الكنيسة الأثيوبية الأرثوذكسية: وتمثل رئاسة النصارى الأثيوبيين الوافدين إلى السودان. ٣ ـ الكنيسة الأرمنية: وترعى شؤون النصارى الأرمن في السودان.

٤ ـ كنيسة السودان الداخلية: وتتبع الكنيسة الإنجيلية.

٥ ـ كاتدرائية جميع القديسين: وتتبع الكنيسة الأسقفية بالسودان.

*** الخرطوم ٣:** ١ ـ الكنيسة اللوثرية: وتتبع الكنيسة الإنجيلية. ٢ ـ مركز شهود يهوه.

*** العمارات:** ١ ـ كنيسة الرسولين بطرس وبولس: وهي كنيسة كاثوليكية.

٢ ـ كنيسة تابعة للأقباط.

*** الطائف:** يوجد في هذا الحيِّ كنيسة واحدة وهي: الكنيسة الأرتيرية الأرثوذكسية: وهي ترعى الجالية الأرتيرية النصرانية بالسودان.

ب ـ المؤسسات التعليمية النصرانية:

١ ـ كمبوني الكاثوليك (أساس + ثانوي) لكل مرحلة عدة أنهر. ٢ ـ مدرسة بيتربول ـ توجد في مقر

الكنيسة الإنجيلية وهي مسيحية بحتة. ٣ ـ الكلية القبطية الثانوية للبنين ـ توجد قرب إدارة شرطة المرور وهي الآن مجمدة النشاط. ٤ ـ المركز الكاثولويكي الأوسط: يقع شمال مستشفى الخرطوم، يقوم هذا المركز بتعليم الطلاب كبار السن غير المؤهلين لدخول المدارس. ٥ ـ مدرسة وروضة قبطية بمقر الكنيسة القبطية بشارع ١٥. ٦ ـ مدرسة كاثوليكية للأساس جوار مكتب التكامل العربي الليبي. ٧ ـ مدرسة سستر اسكول Sis-terschool تشرف عليها الوكالة البطريركية للروم الكاثوليك. ٨ ـ مدرسة ماري يوسف للأساس بالديوم الشرقية. ٩ ـ مدرسة سنقست الثانوية بالديوم الشرقية. ١٠ ـ مدرسة الإيمان اللاهوتية بكنيسة السودان الداخلية. ١١ ـ مدرسة الكنيسة السبتية. ١٢ ـ مدرسة السجانة ـ في الأصل هي مدرسة حكومية (مدرسة السجانة التجارية) استأجر النصارى مبانيها في الفترة المسائية. ١٣ ـ كميوني الكاثوليك (مدرسة أساس للطالبات بالسجانة جنوب السوق). ١٤ ـ مدرسة قلة جلدة « مدرسة الراهبات» بشارع الحرية الخرطوم. ١٥ ـ مدرسة ماري يوسف الصناعية بالمنطقة الصناعية الخرطوم. ١٦ ـ مدرسة القديس (أساس + ثانوي) جنوب القيادة العامة للجيش. ١٧ ـ مجمع الكنيسة الإغريقية اليونانية (تمهيدي + أساس + ثانوي) ش الجمهورية. ١٨ ـ مدارس الاتحاد شمال غرب مستشفى الخرطوم (روضة + أساس + ثانوي). ١٩ ـ مدرسة كاثوليكية ضخمة بكوبر.

ج ـ المراكز الثقافية والاجتماعية: محافظة الخرطوم:

١ ـ مركز الثقافة الإنجيلي ـ لعله أكبر مركز ثقافي وسط الخرطوم يستقطب عدداً كبيراً من المثقفين. وهو يتبع الكنيسة الإنجيلية ويلعب دور المكتبات العالمية. ٢ ـ مكتبة جمعية الكتاب المقدس ـ تقع شمال فندق أراك. ٣ ـ نادي المكتبة القبطية ـ الخرطوم غرب السوق الغربي. ٤ ـ بيت الشباب وهو تابع للأقباط ويقع جنوب كلية الآداب جامعة النيلين. ٥ ـ المكتبة الأرثوذكسية ـ توجد بمطرانية الأقباط . ٦ ـ الملعب الرياضي الكاثوليكي ـ شرق المركز الكاثوليكي الأوسط. ٧ ـ مركز اجتماعي بالعمارات ش (٣٣). ٨ ـ النادي الكاثوليكي ـ شارع المطار ـ والآن يتبع المؤتمر الوطني.

قامت منظمات عديدة رئاساتها بالخرطوم تعمل في مجال التنصير تحت ستار العمل الإنساني والطوعي؛ فهي معفاة من الضرائب والجمارك وبإمكانها إدخال أكبر قدر من الأدوية والسلع الاستهلاكية والملبوسات والآليات داخل البلاد، ولها مطلق الحرية في التنقل حتى إن عرباتها لا تخضع للتفتيش. وأبرز هذه المنظمات:

١ ـ منظمة أطباء بلا حدود الفرنسية. ٢ ـ منظمة أطباء بلا حدود الهولندية. ٣ ـ منظمة قول الإيرلندية . ٤ ـ منظمة إنقاذ الطفولة الأمريكية. ٥ ـ المنظمة الإفريقية للتنمية الإنسانية. ٦ ـ منظمة زملاء الإغاثة الإفريقية.

٧ ـ منظمة سدرا: أنشأت هذه المنظمة بالخرطوم مركزين للعناية المكثفة «أمراض الشريان التاجي والقلب». ٨ ـ مجلس الكنائس العالمي. ٩ ـ مجلس الكنائس السوداني . ١٠ ـ منظمة رعاية الطفولة البريطانية. ١١ ـ جمعية الكتاب المقدس. ١٢ ـ جمعية الشباب المسيحية بالسودان (المجلس الوطني للشباب المسيحي) ١٤ ـ Action Faim منظمة اكشن فايم. ١٥ ـ منظمة القديس منصور. ١٦ ـ منظمة وُتاب الألمانية. ١٧ ـ المنظمة السودانية الخيرية.

*** المنظمات العالمية:**

١ ـ الأمم المتحدة. ٢ ـ منظمة الأمم المتحدة للتنمية الإنسانية ـ صندوق الأمم المتحدة للسكان. ٣ ـ الجمعية العالمية لتنظيم الأسرة. ٤ ـ لجنة الإنقاذ الدولية. ٥ ـ برنامج الغذاء العالمي. ٦ ـ منظمة اليونيسيف. ٧ ـ منظمة أدرا.

كل هذه المنظمات ـ وغيرها كثير مما هو غير ظاهر تعمل عملاً تكاملياً في مجالات الإغاثة والصحة والتعليم وبناء الكنائس، وعموماً يمكن القول بأنها تهيئ المناخ الخصب لنفاذ كل أنشطة الكنائس داخل المجتمع السوداني. والله المستعان.

ثانياً: محافظة جبل أولياء:

منطقة مايو محلية النصر والسلام ـ جنوب الخرطوم:

أ ـ الكنائس: يوجد في هذه المنطقة خمس عشرة كنيسة: ١ ـ الكاثوليكية، ولها ست كنائس. ٢ ـ الإنجيلية، ولها أربع كنائس.

٣ ـ الأسقفية، ولها ثلاث كنائس. ٤ ـ البروتستانت، لهم كنيسة واحدة. ٥ ـ شهود يهوه، مركز واحد للقاءات.

ب ـ المدارس ١ ـ الكاثوليك لهم مدرستان. ٢ ـ الأسقفية مدرستان. ٣ ـ الإنجيلية مدرسة واحدة.

ج ـ المراكز الصحية والمنظمات العاملة:

١ ـ مركز صحي كاثوليكي في مقر كنيسة الأم. ٢ ـ مركز صحي يتبع كنيسة الأسقفية في مقر كنيسة الأم. ٣ ـ مركز صحي يتبع صندوق الأمم المتحدة للسكان بالدورة، هذه المراكز ـ بجانب العمل الصحي ـ تقوم بتوزيع الإغاثات وتوزيع موانع الحمل بدون ضابط «بحجة تنظيم الأسرة».

ومنها التي تقوم بتسليف النساء التاجرات في أسواق المنطقة مبلغاً من المال على أن يرد بعد حين. والحد الأدنى في حدود (١٥٠) ألف جنيه سوداني، وكذلك دعم بعض الأفراد بأبقار وطواحين بالضمان ويكون السداد بالتقسيط.

*** المنظمات العاملة في المنطقة:**

١ ـ منظمة أطباء بلاد حدود... أيام علاجية. ٢ ـ منظمة رعاية الطفولة البريطانية.. مركز صحي. ٣ ـ منظمة إدرا الأمريكية.. عمل صهاريج ومضخات المياه وتنظيم دورات فنية للشباب. ٤ ـ مجلس الكنائس السوداني.. ويشرف على أنشطة الكنائس. ٥ ـ المنظمة العالمية لرعاية الأيتام. ٦ ـ المنظمة العالمية لرعاية الفقراء. ٧ ـ منظمة قول الإيرلندية ـ الآن موقوفة، أنشأت مركزين صحيين والآن آلا إلى وزارة الصحة، وأُوقفت لأنه اكتُشف أن لها علاقة بحركة التمرد بجنوب السودان. ٨ ـ صندوق الأمم المتحدة للسكان: انشأ مركزاً صحياً واجتماعياً.

منطقة أنقولا: أغلبية سكانها نصارى ووثنيون وهي منطقة عشوائية.

أ ـ الكنائس: ١ ـ كنيسة السودان الداخلية. ٢ ـ كنيسة إنجيلية. ٣ ـ كنيسة كاثوليكية. ٤ ـ كنيسة لم أتحصل على جهتها.

ب ـ المدارس: ١ ـ لكنيسة السودان الداخلية: ١ ـ روضة ٢ ـ ابتدائي ٣ ـ محو أمية.

٢ ـ الكنيسة الكاثوليكية: تقيم الدروس الدينية والدورات بمقر الكنيسة.

ج ـ المنظمات: عمل المنظمات في هذه المنطقة يتم من خلال الكنائس الموجودة فيها.

منطقة مانديلا: تقع جنوب منطقة أنقولا، وهي منطقة عشوائية كذلك وتعتبر تجمعاً للنازحين؛ فمعظم سكانها غير مسلمين، وقدر تعدادهم بحوالي (٢٥،٩٠٠) نسمة، والخمور فيها علنية كأنقولا، ويشيع فيها أكل الميتة ونسبة البطالة فيها عالية.

أ ـ الكنائس: يوجد بها ١٢ كنيسة: ١ ـ الأسقفية ست كنائس. ٢ ـ الكاثوليك أربع كنائس. ٣ ـ الإنجيلية كنيستان.

ب ـ المدارس: ١ ـ مدرسة الرحمة.. منظمة بريطانية. ٢ ـ مدرسة سانتوفيلب.. أسقفية (أساس + حضانة). ٣ ـ مدرسة الكازتيو.. مجلس الكنائس السوداني. ٤ ـ مدرسة الاتحاد.. كاثوليكية وهي أكبر مدرسة بالمنطقة. ٥ ـ مدرسة المسيحية.. إنجيلية.

ج ـ المنظمات: ١ ـ منظمة أطباء بلا حدود الفرنسية: لها أكبر مستشفى بالمنطقة (العلاج مجاني). ٢ ـ منظمة إدرا الأمريكية: ـ مركز تغذية أطفال... حفر عدد من المضخات وعمل صهريج واحد. ٣ ـ منظمة فار: أ ـ برنامج إصحاح البيئة. ب ـ حفر عدد من دورات المياه للمواطنين. ٤ ـ منظمة (RCA): أ ـ رعاية الأمومة والطفولة. ب ـ توزيع إغاثات. ٥ ـ مجلس الكنائس السوداني: يشرف على الأنشطة التبشيرية بالمنطقة.

منطقة الجبل ـ دار السلام:

أ ـ الكنائس: توجد ثمانية كنائس و٢١ مركزاً صغيراً للنشاط الديني بدار السلام.

ب ـ المدارس: ١ ـ مدرسة دار النعيم للأساس. ٢ ـ كميوني الحارة (٦) شرق. ٣ ـ كميوني الحارة (٦) غرب. ٤ ـ مدرسة المجلس الوطني للشباب المسيحي بالسودان. ٥ ـ مدرسة مزرعة غبريال (زعيم الكاثوليك بالسودان).

ج ـ المراكز الاجتماعية: ١ ـ مركز كاثوليكي بالحارة الخامسة: اجتماعات، عروض فيديو، مساعدات. ٢ ـ مركز الحارة السادسة: عرض فيديو. ٣ ـ مركز الحارة الرابعة مربع ١: مركز لتدريب وترقية المرأة، وهو

يتبع منظمة «وُتاب الألمانية» ويقوم هذا المركز بالآتي:

١ - إسعافات أولية. ٢ - عمل أيام علاجية بالتعاون مع منظمة أطباء بلا حدود. ٣ - محو أمية. ٤ - إعطاء سلفيات والسداد بفائدة بنسبة ٢٠٪ «تعامل ربوي». ٥ - مركز تنقو لعرض الفيديو. ٦ - مركز اجتماعي «مأوى كاثوليكي داخل مزرعة غبريال في مدخل دار السلام».

د - المنظمات: ١ - مجلس الكنائس السوداني. ٢ - منظمة وتاب الألمانية. ٣ - المجلس الوطني للشباب المسيحي بالسودان. ٤ - منظمة أطباء بلا حدود.

٥ - منطقة سوبا والجريف:

أ - الكنائس: ١ - سوبا الحلة: كنيسة واحدة. ٢ - سوبا السكة حديد: توجد بها كنيسة واحدة. ٣ - سوبا الأراضي: بها (١٧) كنيسة بالإضافة إلى مركزين لشهود يهوه. ٤ - السلمة: بها (٧) كنائس. ٥ - الجريف غرب: وبها كنيسة واحدة.

(ب) المدارس: ١ - سوبا السكة حديد: كميوني أساس واحد. ٢ - سوبا الأراضي: ٣ مدارس كميوني أساس + ٤ مدارس رياض أطفال.

ثالثاً: محافظة أُمبدة.. محلية الأمير:

أ - عدد الكنائس: توجد أربعة كنائس للكاثوليك وواحدة للبرتستانت، هذه الكنائس موزعة في الحارة العاشرة والحارة ١٢، والحارة ١٩. كنيسة الحارة ١٩ أطلقت شباباً وشابات لهم الجرأة في طرق أبواب المنازل لممارسة الدعوة الفردية لا سيما وسط شباب قبيلة النوبة.

ب - المدارس: أ - روضة + مدرسة أساس (نصرانية بحتة) برعاية القديس مرقس بالحارة ١٢، ويدرس فيها بعض أبناء المسلمين . ب - كميوني كاثوليكي للأساس بالحارة ١٦/ب حي البستان. ج - كميوني كاثوليكي بالحارة ١٩.

ج - المراكز الصحية والاجتماعية: أ - مركز صحي بالحارة ١١ تابع للبروتستانت. ب - مشغل نسوي بالحارة ١١ تابع للبروتستانت. ج - مركز إغاثي بالحارة ١١ تابع للبروتستانت. د - عدد (٣) مراكز للعروض السينمائية في الحارة ١٩.

منطقة ود البشير: منطقة عشوائية، غالبية سكانها غير مسلمين.

أ - الكنائس: توجد نحو ثماني كنائس.

ب - المدارس: توجد أربع مدارس للأساس للنصارى بجانب الدراسة بمقررات الكنائس.

ج - المراكز الصحية: ١ - مركز صحي كاثوليكي. ٢ - مركز تحصين الأطفال - الصليب الأحمر. ٣ - عيادة زملاء الإغاثة الإفريقية - العلاج مجاني. ٤ - عيادة منظمة أدرا - عيادة متكاملة والعلاج مجاني.

د - المنظمات: ١ - منظمة رعاية الطفولة البريطانية: تعتبر ود البشير مركزاً للإدارة والنشاط للمنظمة، أنشأت مدرسة أساس ولها مستودع أدوية. ٢ - منظمة زملاء الإغاثة الإفريقية: لها عيادة وتقوم بتوزيع الإغاثات. ٣ - الصليب الأحمر: له مركز لتحصين الأطفال. ٤ - منظمة أدرا الأمريكية: قامت بعمل عدة صهاريج ولها عيادة.

محلية دار السلام: المربعات: غالبية السكان مسلمون وتعتبر منطقة حديثة.

أ - الكنائس: توجد عدد ٢٢ كنيسة.

ب - المدارس: توجد ١٩ مدرسة وكميوني للأساس.

ج - المراكز الصحية: ١ - مركز صحي بالحارة ٨. ٢ - مركز صحي بالحارة ٤. ٣ - المنظمات: تعمل في غموض وغير ظاهرة النشاط بالمربعات.

رابعاً: محافظة أم درمان... محلية أم درمان:

أ - الكنائس: انحصرت الكنائس في المناطق الواقعة حول سوق أم درمان فبلغ عددها سبع كنائس كبيرة: ١ - رئاسة الكنيسة الأسقفية: توجد جنوب مستشفى التجاني الماحي وهي الجهة المسؤولة عن كافة أنشطة الكنيسة الأسقفية بالسودان. ٢ - الكنيسة الأسقفية - شرق مستشفى الخرطوم التعليمي. ٣ - الكنيسة الأسقفية الثالثة - جوار استاد المريخ. ٤ - الكنيسة الإنجيلية - شرق مستشفى أم درمان التعليمي. ٥ - للأقباط أكبر ثلاث كنائس بالمنطقة في حي المسالمة شمال سوق أم درمان وجوار مدرسة محمد حسين الثانوية، وكل كنيسة من هذه الكنائس تقع على مساحة كبيرة وداخلها ملحقات: إما روضة أو مركز اجتماعي وثقافي.

ب ـ المدارس: ١ ـ كلية اللاهوت: تابعة لكنيسة السودان الداخلية. وهي تتبع المنهج الإنجيلي وتخرج قسيسين. ٢ ـ المدارس الأسقفية (روضة + أساس + ثانوي). ٣ ـ المدارس الإنجيلية (تمهيدي + ثانوي أكاديمي + ثانوي تجاري) كلها في شرق مستشفى أم درمان التعليمي. ٤ ـ مدارس الراهبات بحي المسالمة (روضة + أساس + ثانوي). ٥ ـ الدار القبطية ـ شرق مدرسة محمد حسين الثانوية ـ تلعب دور المدرسة وبها مكتبة.

منطقة كرري: غالبية السكان مسلمون.

أ ـ الكنائس: توجد تسع كنائس بكرري وتوزيعها كالآتي: في الحارة ٤٨ أو خُدير: ١ ـ كنيسة السودان الداخلية. ٢ ـ كنيستان أسقفيتان. ٣ ـ كنيسة كاثوليكية. في الحارة ٥٤: ١ ـ كنيسة أسقفية في الميدان الرئيس جوار مسجد الحارة. ٢ ـ كنيستان أخريان في أطراف الحارة الجنوبية والجنوبية الغربية. ـ في الحارة ٤٢. التعويضات: توجد كنيسة واحدة. ـ في الحارة ٣٤: كنيسة كاثوليكية واحدة ـ تصدت اللجنة الشعبية بالحارة لهذه الكنيسة منذ تصديقها وبنائها فحتى الآن نشاطها مجمد.

ب ـ المدارس: ١ ـ كمبوني كاثوليكي بالحارة ٥٦ (روضة + أساس). ٢ ـ ثلاث مدارس أساس (أسقفية، كاثوليكية . إنجيلية) بالحارة ٤٨. ٣ ـ مدرسة أساس كاثوليكية بالحارة ٥٤. ٤ ـ مدرسة أساس كاثوليكية بالحارة ٤٧. هذه المدرسة أنشئت جوار المدرسة الحكومية وسحب إليها طلاب وطالبات النصارى بالمدرسة الحكومية. ٥ ـ كمبوني ـ مرحلة الأساس بالحارة ٤٢ «التعويضات». ٦ ـ كمبوني بالحارة ٣٤ مُوقف النشاط لممانعة اللجنة الشعبية بالحارة.

ج ـ المراكز الصحية والاجتماعية: ١ ـ عيادة متنقلة وأسبوعية لطلاب كمبوني الحارة ٥٦. ٢ ـ مركز رعاية صحية وتغذية ـ يتبع منظمة أشاد بالحارة ٤٨. ٣ ـ نادي كاثوليكي بالحارة ٥٤.

د ـ المنظمات: ١ ـ منظمة إدرا الأمريكية. أنشأت صهريجين وبئرين ودورات مياه بالمدرسة الحكومية بالحارة ٤٨. ٢ ـ المنظمة الإفريقية للتنمية الإنسانية (آشاد) أنشأت مركزاً للرعاية الصحية وتغذية الأطفال بالحارة ٤٨. ٣ ـ هنالك منظمة عاملة بالمنطقة من خلال الكنائس بالمنطقة.

خامساً: محافظة شرق النيل:

منطقة الحاج يوسف: أغلب السكان مسلمون، ولكن غالبيتهم من أبناء الولايات الجنوبية.

أ ـ الكنائس: توجد ٢٣ كنيسة: ١ ـ كنيسة قبطية شمال حي التكامل داخل المزرعة القبطية. وتضم كذلك فواكه ودواجن ومزرعة ألبان ومقابر القسيسين. ٢ ـ ثلاث كنائس في مربع ١ حي التكامل. ٣ ـ ثلاث كنائس أخرى بمربع ٢ حي التكامل. ٤ ـ أربع كنائس بمربع ٣ حي التكامل. ٥ ـ كنيسة كاثوليكية واحدة بالوحدة مربع ٩ (رعية القديس استنفانوس). ٦ ـ كنيستان بالشقلة جنوب. ٧ ـ عشر كنائس بكرتون كسلا «حي بركة» أغلب السكان فيه غير مسلمين وتوزع الكنائس كالآتي: ١ ـ مركز شهود يهوه في مربع ١. ٢ ـ كنيسة زكريا الكاثوليكية مربع ٢. ٣ ـ كنيسة أسقفة مربع ٢. ٤ ـ كنيسة الرسولية الجديدة مربع ٤. ٥ ـ ثلاث كنائس كاثولكية مربع ٤. ٦ ـ ثلاث كنائس بميدان مربع ٥.

ب ـ المدارس: توجد نحو ١٦ مدرسة أساس متفرقة كالآتي: ١ ـ سبعة مدارس بحي التكامل. ٢ ـ مدرسة واحدة بالوحدة مربع ٩. ٣ ـ مدرستان بالشقلة جنوب. ٤ ـ ست مدارس بكرتون كسلا «حي بركة».

ج ـ المراكز الصحية والاجتماعية: ١ ـ مركز صحي المنظمة السودانية الخيرية «الوحدة مربع ٩». ٢ ـ عيادة منظمة اكشن فايم ـ حي التكامل. ٣ ـ مستودع أدوية بحي التكامل مربع ٢. ٤ ـ عيادة ومركز تغذية.. تابع لمجلس الكنائس السوداني. تقع في كرتون كسلا مربع ٢. ٥ ـ مركز تغذية.. الصليب الأحمر .. كرتون كسلا مربع ٢. ٦ـ مركز تنمية المرأة.. الجمعية العالمية لتنظيم الأسرة (وله أنشطة متعددة منها تعليم كبار وروضة أطفال وتعليم المهارات النسوية.. إلخ). ٧ ـ استراحة للقسيسين بمربع ٤ كرتون كسلا. ٨ ـ مركز القديسة ميري لتنمية المرأة تابع للكنيسة الكاثولوكية في مربع ٩ حي الوحدة. ٩ ـ توجد نحو سبعة مراكز لإيواء المشردين بحي التكامل. ١٠ ـ مركز

كاثوليكي لتوزيع الإغاثة بالشقلة جنوب. ١١ ـ نحو خمسة مراكز لعروض الفيديو بكرتون كسلا.

د ـ المنظمات: ١ ـ مجلس الكنائس السوداني. ٢ ـ منظمة رعاية الطفولة البريطانية. ٣ ـ منظمة Actian Faim. ٤ ـ الجمعية العالمية لتنظيم الأسرة. ٥ ـ المنظمة السودانية الخيرية. ٦ ـ الصليب الأحمر.

مدينة بحري:

أ ـ الكنائس: توجد خمس كنائس: ١ ـ الكنيسة الإنجيلية بالمحطة الوسطى بحري. ٢ ـ ثلاث كنائس للأقباط بحلة حمد. ٣ ـ كنيسة كاثوليكية على النيل بحلة حمد.

ب ـ المدارس: ١ ـ كلية النيل اللاهوتية ـ تقع شمال مسجد بحري الكبير وتخصصت في تخريج القساوسة وأساتذة الكتاب المقدس. ٢ ـ المدرسة الإنجيلية للبنات وتضم (حضانة + تمهيدي + أساس + ثانوي) تقع شرق مدرسة اللاهوت. ٣ ـ مدرسة الأقباط ـ حلة حمد بمركز الأقباط. ٤ ـ كميوني كاثوليك بحلة حمد ـ طالبات مرحلة أساس. ٥ ـ مدرسة الراهبات بحلة حمد ـ طالبات مرحلة أساس

ج ـ مركز الراعي الصالح الثقافي الإنجيلي: يوجد بمقر الكنيسة الإنجيلية بالمحطة الوسطى ببحري؛ وتعتبر أكبر المراكز الثقافية الإنجيلية وبه (كتب، فيديو، أشرطة كاسيت) للاطلاع والبيع والاستعارة.

مدن وعواصم الولايات الأخرى:

محافظة الحصاحيصا: مدينة الحصاحيصا:

تقع هذه المدينة بالولاية الوسطى جنوب الخرطوم أكثر من ٩٩٪ من سكانها مسلمون والنشاط النصراني فيها ضئيل جداً والحمد لله؛ غير أنها كغيرها شهدت هرجاً ومرجاً من قِبَل النصارى في أيام احتفالاتهم بعيد الكرسمس، حيث وزعوا شحنة عربة بوكس من الأناجيل والكتب النصرانية.

أ ـ الكنائس: ١ ـ كنيسة كاثوليكية بحي المزاد. ٢ ـ كنيسة بمقر السكن العشوائي بحي ود الكامل كُسِرت هذه المنطقة بفضل التخطيط العمراني. وتركن هذه الكنيسة وحدها، والآن يمارس فيها النشاط. ٣ ـ مقر السلخانة القديم بحي اركوتب قد اتخذوه كنيسة لهم.

ب ـ المدارس: لديهم حضانة وروضة بحي الزهور. ويقيمون دورات للغة الإنجليزية بمقر الكنيسة بالمزاد.

مدينة رفاعة: تقع شرق الحصاحيصا في الضفة الشرقية للنيل، ومعظم سكانها مسلمون، وفيها نحو ١٦ مسجداً.

أ ـ الكنائس: ١ ـ كنيسة كاثوليكية عبارة عن منزل عادي ملك. ٢ ـ كنيسة إنجيلية ـ عبارة عن منزل مؤجر. ٣ ـ كنيسة السودان الداخلية: منزل مؤجر. ٤ ـ كنيسة أسقفية: عبارة عن منزل مؤجر كذلك.

ب ـ المدارس: ١ ـ يمارس النصارى نشاطهم التعليمي من خلال كنائسهم ومن ثم الالتحاق بالمدارس الحكومية. ٢ ـ مدرسة الشيخ لطفي: عبارة عن مدرسة ثانوية في البدء أستأجرها النصارى لتكون مدرسة قومية لجميع طلابهم بالمنطقة قامت منظمة أمريكية بإنشاء داخلية لهم لتمثل أكبر مركز اجتماعي، والآن هذه المدرسة مسؤولة عنها الحكومة.

منطقة مصنع سكر الجنيد:

١ ـ يقع هذا المصنع شمال مدينة رفاعة. وسكان المنطقة الأصليون مسلمون، والنصارى فقط هم جزء من النوبة الذين جاؤوا إلى المصنع عمالاً. ٢ ـ توجد ثلاث كنائس بالمنطقة: واحدة بالحي الشعبي، والثانية بحي التضامن ومعها مدرسة كميوني، والثالثة بقرية ود السيد.

مدينة واد مدني: عاصمة ولاية الجزيرة تعتبر عاصمة الولاية الوسطى وتقع على بعد حوالي ١٨٦ كم من الخرطوم، غالبية سكانها مسلمون، وتركزت مؤسسات النصارى في أعرق حيّين بالمدينة وخارج المدينة في منطقة تقع شرق الإنقاذ.

أ ـ الكنائس: ١ ـ كنيسة كاثوليكية. ٢ ـ كنيسة إنجيلية. ٣ ـ كنيسة أسقفية. ٤ ـ كنيسة قبطية. ٥ ـ كنيسة إنجيلية.. الأخيرة مقرها في شارع النيل شمال الفرقة التجانية.

ب ـ المدارس: ١ ـ روضة + مدرسة أساس .. الكنيسة الأسقفية. ٢ ـ تمهيدي + رياض أطفال + مدرسة أساس الكنيسة الإنجيلية. ٣ ـ مدرسة الكنيسة الكاثوليكية.

ج ـ المراكز الاجتماعية والصحية:

١ ـ مركز شباب الكنيسة الإنجيلية.. اجتماعي، ثقافي. ٢ ـ عيادة الكنيسة القبطية. ٣ ـ مركز اجتماعي كاثوليكي، كان منزلاً مجاوراً للكنيسة بالقسم الأول تقاموا بشرائه بملغ ٦٥ مليوناً، وأفاد أهل المدينة أن أسعره حينئذ لا ينبغي أن يجاوز الـ ٢٠ مليون جنيه، أدفعوا للجار الآخر ١٦٥ مليوناً ولم يبع!

مدينتا سبخة والسوكي: تعتبران ضمن ولاية سنار بالنسبة لسنجة:

١ ـ المركز الكاثوليكي للصلاة يقع جنوب غرب المدينة. ٢ ـ كنيستان عشوائيتان في حي ١٤.

أما بالنسبة لمدينة السوكي: فقد انحصر فيها نشاط لنصارى في منطقة واحدة ـ حي يدعى الكميوني ـ وهذا الكميوني الذي سميت به المنطقة عبارة عن مركز تنصيري كبير في ساحة تقدر بست قطع سكنية، ويضم الكنيسة، ومركزاً صحياً تحت إشراف الصليب الأحمر، ومركزاً تعليمياً واجتماعياً، ولكن نشاط هذا المجمع شبه مجمد الآن.

ـ يوجد انتشار لبعض القبائل المسيحية مثل الذندية في الأحياء الشرقية من المدينة.

مدينة الأبيض: تقع جنوب كوستي وتمثل عاصمة شمال كردفان، وتبعد نحو ٧٢٠ كم من الخرطوم العاصمة ـ غالبية السكان مسلمون، ولكن توجد مقابر للنصارى بصورة مستفزة في مدخل المدينة أمام القيادة العسكرية وكأنها تعطي انطباعاً بأن غالبية سكان المنطقة نصارى، وكذلك الشكل الهندسي الذي بنيت به الكنيسة الكاثوليكية من حيث الموقع والارتفاع؛ إذ يمكن مشاهدتها من أي موقع بالمدينة!

أ ـ **الكنائس:** ١ ـ الكنيسة الكاثوليكية الأم ـ توجد بالحي البريطاني وتقع في أكبر مجمع للكاثوليك بالسودان بعد رئاستهم بالعاصمة القومية الخرطوم. ٢ ـ كنيسة كاثوليكية ـ جنوب إدارة مرحلة الأساس. ٣ ـ الكنيسة القبطية ـ توجد بحي القبة غرب، قامت رئاسة الأقباط بإعفاء قسيسها السابق من منصبه بسبب إسلام ثلاثة من فتيان الكنيسة واستبدلته بآخر، فقام الأخير بجمع شمل النصارى وتحويل نشاط النادي القبطي إلى داخل الكنيسة التي جعل منها مركزاً دينياً واجتماعياً وثقافياً. ٤ ـ أربعة كنائس في منطقة طيبة ـ في شرق المدينة وهي «كاثوليكية، إنجيلية، أسقفية، شهود يهوه». ٥ ـ كنيسة واحدة بحي البوبايا كريمة جنوب». ٦ ـ كنيسة واحدة بحي الرقيبة كريمة شمال». ٧ ـ كنيسة واحدة بمنطقة حزام بقر «أغلبية سكانها نصارى وتعلو الصلبان أكثر المنازل». ٨ ـ كنيسة واحدة بحي الزندية شمال شرق الوحدة. ٩ ـ كنيستان بدار السلام. ١٠ ـ الروكب «الكرنقو» يوجد به ثلاث كنائس غالبية السكان غير مسلمين ولا يوجد مسجد.

ب ـ **المدارس:** ١ ـ كميوني الكاثوليك ـ جنوب غرب البيطري ويعتبر أكبر مجمع تعليمي للنصارى بالمنطقة، ويضم المراحل (تمهيدي + أساس + ثانوي بكل مرحلة أكثر من نهر واحد من الفصول الدراسية). ٢ ـ روضة وحضانة بمقر الكنيسة القبطية. ٣ ـ روضتان للأطفال ومدرسة أساس بمنطقة طيبة. ٤ ـ روضة بمنطقة حزم البقر. ٥ ـ روضة بمنطقة الزندية. ٦ ـ روضة + مدرسة أساس بدار السلام. ٧ ـ روضة بالروكب «الكرنقو».

المنظمات: لا توجد منظمات ظاهرة؛ فإن نشاطها يتم من خلال المدارس والكنائس.

جنوب كردفان: مدينة الدبخ: تقع في جنوب كردفان وعلى بعد ١٦٠ كم جنوب مدينة الأبيض، أغلب السكان فيها مسلمون، وهي منطقة قريبة من مواقع الحرب والتمرد بجبال النوبة. يسيطر الكاثوليك على النشاط التنصيري بالمنطقة.

أ ـ **الكنائس:** ١ ـ الكنيسة الكاثوليكية الأم بحي الموظفين شرق. ٢ ـ كنيستان للكاثوليك بحي الطرق. ٣ ـ كنيسة للكاثوليك بحي التومات. ٤ ـ كنيسة للكاثوليك بحي المرافيت. ٥ ـ الكنيسة الأسقفية بحي الموظفين (تعتبر مركز نشاطهم الوحيد بالمدينة).

ب ـ **المدارس:** ١ ـ روضة وكميوني أساس كاثوليك بحي الموظفين بمقر الكنيسة، ولها الأثر الكبير بسبب تدهور التعليم الحكومي حيث إن الدراسة فيها مجمدة لمدة عامين باستثناء المدارس الثانوية.

٢ ـ روضة بحي التومات. ٣ ـ الكنيسة الأسقفية تمارس نشاطها التعليمي من خلال مقرها بحي الموظفين.

ج ـ المنظمات: ١ ـ منظمة أطباء بلا حدود الفرنسية التي كانت من أنشط المنظمات بالمنطقة ولكنها الآن لها مشاكل مع الحكومة، ولذا فنشاطها مجمد. ٢ ـ منظمة إنقاذ الطفولة الأمريكية: تعمل في مجال تحصين الأطفال وتوزيع إغاثات وأدوية بالقرى المجاورة للمدينة. ٣ ـ منظمة اليونسيف: قامت بعمل مضخات مياه في معظم مدينة الدلنج.

د ـ المراكز الصحية: قامت الكنيسة الكاثوليكية بتأسيس أكبر مستشفى توليد بالمنطقة، ولما جعلته الدولة تابعاً لوزارة الصحة قاموا بسحب كل المعدات الحديثة التي جاؤوا بها ـ ولكن لا يزال المستشفى تحت إدارتهم، وبه عيادة عامة في الفترة الصباحية يوجد بحي الموظفين.

مدينة كادوقلي: تعتبر عاصمة جنوب كردفان وتبعد ٢٩٠كم جنوب مدينة الأبيض، أغلب سكانها مسلمون. وتعتبر منطقة حرب والأمن فيها غير مستتب، الكاثوليك هم الطائفة المسيطرة على نشاطها النصراني بالمنطقة.

أ ـ الكنائس: لا توجد كنائس كثيرة بالمنطقة ومع ذلك فالنشاط أكبر من أن يتصور: ١ ـ الكنيسة الكاثوليكية بحي المصانع. ٢ ـ الكنيسة القبطية بحي السوق. ٣ ـ اشترى الكاثوليك منزلاً بحي السوق وأرادوا جعله كنيسة ولكن المواطنين تصدوا لهم ومنعوهم. ٤ ـ في منطقة خردود الواقعة شرق مدينة كادوقلي استطاع الكاثوليك تصديق ١٢ ألف متر مربع من السلطات العليا بالبلاد بتجاوز المحلية! ويعتقد أن هذه المنطقة سوف تكون أكبر مركز تبشيري بشرق إفريقيا ـ تقع غرب مدرسة تلو الثانوية العريقة، ومعظم المساحة يسكنها مسلمون من قبل التصديق، والآن هم معرضون للإزالة والترحيل! والمدهش أن النصارى بالمنطقة لا يتجاوز عددهم أربع أسر، وقد أنشأ الكاثوليك ابتداءاً كنيسة صغيرة من القش في جزء من المساحة لكن المسلمين قاموا بإحراقها؛ والآن لم ير النصارى بداً من تجميد مشروعهم هذا ، وربما لحين!

ب ـ المدارس: ١ ـ روضة للكاثوليك بحي المصانع. ٢ ـ روضة بحي السوق. ٣ ـ روضة بقردود فيها نحو ٣٠ طالباً وطالبة من الأطفال ومعظمهم من أبناء المسلمين. ٤ ـ كميوني ضخم مقترح بالجنينة الكاثوليكية في المدخل الشرقي للمدينة.

ج ـ المراكز الصحية والاجتماعية: ١ ـ عيادة كاثوليكية متكاملة تقع جنوب غرب السوق الداخلي. ٢ ـ قاموا بشراء معظم المرابيع الواقعة شرق السوق الخارجي. ٣ ـ لهم مركز في شمال السوق يقوم عليه شباب نصراني مهمته إفساد الشباب المسلم بتوفير جو الرقص بالأشرطة الغربية والشيشة والخمور والنساء. ٤ ـ تقوم الكنيسة الكاثوليكية باستقطاب واستقبال النازحين بسبب الحرب فتكسوهم وتعطيهم الإغاثات وهم وثنيون؛ ثم توفر لهم جو التعليم؛ ومن ثم تدعوهم للتنصر والتمرد على العرب والحكومة.

د ـ المنظمات: ١ ـ منظمة إنقاذ الطفولة الأمريكية: توجد بحي المصانع، وقد وظفت سودانيين مسلمين وتعمل تحت مظلة العمل الإغاثي وتطعيم الأطفال، وتطالب الموظفين بإحصائيات سكانية وتصنيف الأسر، ويبدو أن هذا تمهيد لعمل استراتيجي غير معروف! ٢ ـ منظمة كير: حفرت عدة مضخات مياه وتدعم النازحين بأغنام للأسر . ٣ ـ منظمة اليونسيف: حفرت عدة مضخات مياه وتدعم المدارس وتعمل دورات مياه. ٤ ـ منظمة UNDP : تعمل في مجال التنمية الزراعية، وتركز على الأرياف فتقوم بحرث الأرض؛ وتملك المواطنين أغناماً للاستفادة منها.

مدينة الدمازين: تمثل الدمازين عاصمة ولاية النيل الأزرق، وتركز نشاط النصارى فيها في أربعة أحياء على النحو الآتي:

١ ـ حي الثورة: يقع في شمال غرب المدينة، ويشكل المسلمون فيه الأغلبية ومعظمهم من قبيلة الهوسا والزغاوة ـ ويوجد في الحي كنيستان لقبيلة البرون إحداهما مشيدة بمواد محلية من القش والأخرى بمواد ثابتة ـ تجدر الإشارة إلى أن قبيلة البرون هي المستهدفة من قبل النصارى (لأنهم نازحو الكرمك وقيسان ويتصفون بالجهل والبساطة).

ولاية شرق السودان... مدينة القضارف:

تبعد حوالي ٤١١ كم من العاصمة الخرطوم، وأغلبية السكان فيها مسلمون، ولكن للنصارى مراكز ضخمة في وسط المدينة في أرقى الأحياء: (ديم حمد، والسوق الرئيس).

* ديم حمد: أ ـ الكنائس:

١ ـ مركز الكنيسة الكاثولكية: يقوم بالإشراف على كافة نشاط الكاثوليك بالولاية. ٢ ـ مركز الكنيسة الأسقفية. هذا المركز مسؤول عن كافة نشاط الكنيسة الأسقفية بالولاية.

* السوق: الكنيسة الإنجيلية + مركز ثقافي تعليمي تابع للكنيسة وتوجد كنائس عشوائية في كل من: (كسارة + سلامة البيئة + جبل كارقو).

أبرز المنظمات: ١ ـ المنظمة الإفريقية لرعاية الأمومة والطفولة: ٢ ـ منظمة الأغذية العالمية.

* كل نشاط المنظمات الأخرى يدار عبر الكنائس.

مدينة كسلا: تقع في أقصى شرق البلاد في الحدود السودانية الإرتيرية، وتبعد حوالي ٥٦٠ كم من العاصمة الخرطوم، وأغلب سكانها مسلمون، ويتركز نشاط النصارى في منطقة (واونور) التي معظم سكانها من النصارى، بينما ينتشر الأحباش النصارى في مناطق متفرقة من المدينة.

أ ـ الكنائس: ١ ـ الكنيسة الكاثوليكية توجد بالمربعات: مربع ١٦ وتعتبر أكبر مركز تنصيري بكسلا. أسس هذه الكنيسة حبشي وكل اللجنة التنفيذية من الأحباش بينما للنصارى الجنوبيين المناصب الهامشية (أفادنا بهذه المعلومة: محمد مرسليو يعقوب «رئيس شباب الجنوب وأمين الدائرة الاقتصادية للمؤتمر الوطني» بكسلا.

٢ ـ كنيسة قبطية بحي الميرغنية. ٣ ـ كنيسة + مدرسة أساس بمعسكر ود شريفي جنوب شرق المدينة.

توجد نحو خمس كنائس في منطقة نهر عطبرة: ثلاث منها في خشم القربة، واثنان في حلفا (المصنع + حي الثورة) بالإضافة إلى مدرسة كميوني واحدة.

ب ـ أبرز المنظمات: ١ ـ منظمة سودان بلان: لها مكاتب في كل من كسلا، خشم القربة، معسكر ود شريفي؛ حيث تشارك في مشاريع المياه والعلاج وبناء المدارس وكفالة الأيتام. ٢ ـ منظمة أكوور: لها مكتب رئيس بحي الترعة، وأبرز نشاطها يتمثل في دعم الصناعات الصغيرة، والغالب على تعاملها التعامل الربوي. ٣ ـ منظمة الأغذية العالمية: تقوم بتقديم إغاثات للنازحين.

مدينة بورتسودان: تقع في منطقة البحر الأحمر بشرق السودان، وغالبية سكانها مسلمون، ولكن مؤسسات النصارى تحتل مواقع استراتيجية في قلب المدينة ومشيّدة بصورة ضخمة وتتوزع كالآتي:

أ ـ الكنائس: ١ ـ الكنيسة الكاثوليكية: يتبعها مدارس كميوني + تمهيدي + أساس + ثانوي. ٢ ـ الكنيسة الإنجيلية: بها مدرسة أساس + روضة. ٣ ـ مطرانية الأقباط: ملحق بها كنيسة السيدة العذراء مدرسة أساس+ روضة + ثانوي+ النادي القبطي. ٤ ـ الكنيسة الأسقفية. ٥ ـ كنيسة كبيرة تقع جنوب هيئة توفير المياه ـ الآن مغلقة ولا نشاط لها، وقد حاول الشيخ محمد الحسين عبد القادر ـ رحمه الله ـ رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بالولاية الشرقية ـ في عصره شراء هذه الكنيسة وتحويلها إلى مسجد لولا تراجع النصارى (مصدر هذه المعلومة شاهد عيان الرقاق عبد الرحيم).

* النشاط النصراني في المنطقة الطرفية:

١ ـ منطقة فليب: فيها ثلاث كنائس ومدرستان ومنظمة. ٢ ـ أم القرى: بها كنيسة واحدة. ٣ ـ منطقة سلالاب الامتداد مربع ٣ الريفي: توجد كنيسة ومدرسة. * المناطق الأخيرة توجد فيها قبائل الجنوبيين والنوبة بكثرة.

المنظمات: ١ ـ أوكسفام Your Acation يور أكشن: يقومان بدعم الصناعات الصغيرة والأسر المنتجة «قروض ربوية». ٢ ـ Canda Fation: تنظيم دورات مجانية لمحو الأمية خاصة للاجئين، ودورات لأساتذة مرحلة الأساس بالتعاون مع وزارة التربية. ٣ ـ منظمة الأغذية العالمية: إغاثات ومشاريع خيرية.

ولاية نهر النيل: مدينة شندي:

معظم السكان مسلمون، والنصارى أقلية بهذه المدينة وينحصر نشاطهم في أركويت ومربع ١ ومحطة السكة حديد الرئيسة في منطقة أركويت حيث تنتشر قبائل اللاتوقا والسلك والدينكا والنوير والزاندي، وتوزيع النشاط فيها كالآتي: ■ في مربع ٣٨ توجد أكبر مدرسة للنصارى وكميوني ـ حديث الإنشاء بميناء سلح وعلى

مساحة كبيرة جداً «لم يكتمل التأسيس بعد» ■ في مربع ٣٧ يوجد كميوني للأساس + روضة للأطفال يقومون في هذه المنطقة بتوزيع إغاثات وكتب نصرانية وعروض فيديو ومعارض دورية. ■ مؤخراً في نهاية عام ١٩٩٩م قاموا بتصديق أربع كنائس أخرى لإنشائها بمنطقة أركويت متجاوزين السلطات المحلية؛ ووراء هذا الأمر القائم بأمر النصارى بالمنطقة ويدعى (غيري) قاضي مديرية قائم بالمنطقة. هذه الكنائس الآن قيد التنفيذ مع اعتراض المحافظ الحالي الأستاذ عبد الله التهام والغيورين على دينهم من أهل المنطقة. ■ في مربع ١٢: توجد كنيستان (إنجيلية، وأرثوذكسية) في منازل عادية (ربما تكون مستأجرة أو مشتراة).. وبالمربع مسجد واحد. ■ الأقباط: ولهم أكبر مركز بالمدينة في محطة السكة الحديد الرئيسة بمدينة شندي، ويضم المركز: ١ ـ كنيسة. ٢ ـ مكاتب. ٣ ـ مركز اجتماعي وتعليمي.

كما يمتلكون نادياً باسم الشباب المسيحي بمربع ١ غير مشيد. ويتركز الأقباط في المربع ١؛ إذ يمثلون نحو ٥٠٪ أو أكثر من سكان المربع وعدد كبير منهم رأسمالي، واشتهروا بامتلاك مصانع الفرات وعدد من المحلات التجارية بالسوق.

مدينة عطبرة:

أ ـ حي السيالة: أكبر مجمع للأقباط الأرثوذكس ويضم:

١ـ مطرانية الأقباط الأرثوذكس + التربية المسيحية وكنيسة السيدة العذراء. ٢ ـ مستوصف الأقباط الخيري: أسس عام ١٩٩٠م ومعه صيدلية أسست عام ١٩٩٦م. ٣ ـ نادي المكتبة القبطية. ٤ ـ المدارس القبطية (أساس + ثانوي). ٥ ـ الكنيسة الإنجيلية ومدارسها (أساس + ثانوي) ولديهم روضة بالمربعات جنوب السوق الرئيس، بالسابق كانت مدرسة متوسطة.

ب ـ منطقة السوق: يوجد أكبر مجمع للكاثوليك والذي يضم الآتي:

١ ـ كنيسة على مساحة كبيرة جداً. ٢ ـ مكاتب إدارة في مربع منفصل. ٣ ـ روضة + مدرسة أساس. ٤ ـ مدرسة ثانوية. ٥ ـ ورشة حدادة ملحقة بالمدرسة.

ج ـ منطقة الوحدة: تقع في شرق المدينة ومعظم سكانها من النوبة أو القبائل الجنوبية التي كانت تسكن في امتداد نهر عطبرة.

أ ـ الكنائس: توجد كنيستان: ١ ـ الإنجيلية: في مربع في وسط الوحدة تقريباً ومعظم روادها من النوبة. ٢ ـ الكاثوليكية: تقع في المنطقة العشوائية وروادها من الجنوبيين والزاندة؛ ولديهم روضة للأطفال في ثلاثة مرابيع.

الولاية الشمالية: مدينة مروي: انحصر مراكز النصارى في منطقتين وهما دار السلام (الكمبو) والمربعات.

أ ـ دار السلام: منطقة عشوائية جنوب مروي، وأصبح تخطيطها وشيكاً. سكانها من النوبة والجنوبيين وقليل من الزاندي ـ الأغلبية مسلمون، ولكن ليس لديهم غير مصلى واحد وغير مهيأ ولا تقام فيه (جمعة).

بالمنطقة كنيستان: ١ ـ كاثوليكية + روضة. ٢ ـ إنجيلية غير مكتملة التشييد.

ب ـ المربعات: يوجد بها منظمة إدرا الأمريكية (وكالة الأفنتست للتنمية) تقوم هذه المنظمة بنشاط كبير جداً خاصة في وسط العرب الرحل ـ كتقديم إغاثات ـ تنظيم دروس ـ محو الأمية ـ ودورات الإسعافات الأولية والإرشاد الصحي وتوفير الخيام.. إلخ».

كما تقوم بدعم الأسر الفقيرة بأغنام، وتنشئ مخيمات علاجية، وتستغل أندية الأحياء وزوايا الصلاة في عمل برامجها المختلفة.

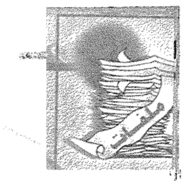
مدينة كريمة: انحصر وجود مراكز النصارى بالسوق والكميو (دار السلام).

* السوق: توجد فيه الكنيسة الكاثوليكية وهي مسؤولة عن كافة أنشطة النصارى بالمنطقة.

* دار السلام: منطقة عشوائية في شمال شرق المدينة بها نحو ١٢٠ أسرة. ـ توجد بها كنيسة إنجيلية وبها روضة للأطفال. ـ يوجد مسجد واحد من المواد المحلية. ـ توجد أنشطة متفرقة في كل من:

* مربع ٢: نادي الوحدة خاص بالنصارى من النوبة والجنوبيين.

* مربع ٣: منزل (علي سعيد) من النوبة الدلامة ـ كان مسلماً وتنصر.



التنصير.. هل أصاب الهدف؟ (٣ ـ ٣)

النصرانيون في جنوب الجزيرة

بشير البعداني

توطئة:

الجزيرة العربية آخر أرض هبط عليها الوحي من السماء.

وهي القلب النابض لمليار ومائتي مسلم يمتدون عبر امتداد الكرة الأرضية؛ ولذا فهي تمتاز بخصائص وسمات تميزها عن بلاد الدنيا مجتمعة؛ ففيها بيت الله الحرام، وإليه يحج الناس كل عام، وإليه يتجهون في صلواتهم. هذا الارتباط بين الإسلام ديناً والجزيرة العربية مكاناً وبين ساكنيه من جهة أخرى أدركه المنصرون قديماً في الحروب الصليبية التي استمرت زهاء ثلاثة قرون، وحديثاً قالوا: «لن تتوقف جهودنا وسعينا في تنصير المسلمين حتى يرتفع الصليب في سماء مكة، ويقام قداس الأحد في المدينة..!»[١]، من أجل هذا كله ركز منصرو اليوم على الجزيرة وعلى من يسكنها ومن يحيط بها. وقد وجدوا بغيتهم في جنوبها؛ وبالتحديد في بلاد اليمن البوابة الجنوبية المطلة على المحيط الهندي، حيث التقت هنا المصالح السياسية - الاقتصادية - الدينية، واجتمع النصارى وتداعوا لغزو جديد هدفه تحطيم بوابة العمق الاجتماعي للجزيرة بأسرها.

وأستطيع القول إن أهم الأسباب التي هيأت لعملية التنصير في اليمن هي:

١- اندثار بعض شعائر الإسلام وعدم الدعوة إليها، لإحساس الجميع بأنهم مسلمون وكفى.

٢- الجهل والأمية؛ حيث بلغت نسبة الملمين بالقراءة والكتابة من البالغين ٣٨٪ وهي من أدنى المعدلات في العالم[٢]. وأشارت آخر الدراسات إلى أن نسبة الأمية قدرت بحوالي ٥٠٪ من السكان.

٣- التردي في الجانب الاقتصادي، وضغوط البنك الدولي؛ حيث أشارت بياناته إلى أن أكثر من ١٩٪ من سكان اليمن يعيشون تحت خط الفقر، وعلى سبيل المقارنة فقد بلغت نسبة من يعيشون تحت

(١) الزحف إلى مكة، د. عبد الودود شلبي.

(٢) اليمن إلى أين؟ د. يحيى صالح محسن.

خط الفقر في مصر ٦٪ ، وفي إيران ٩٪ من السكان، ونسبة تقل عن ٣٪ في كل من الجزائر وتونس والمغرب(١).

٤- النظام الديمقراطي المفتوح والدعم المعنوي التي تتلقاه المنظمات التنصيرية من بعض الجهات والشخصيات النافذة في البلد.

٥- عدم وجود أهداف ثابتة واستراتيجيات واضحة للدعوة بين كثير من فصائل العمل الإسلامي.

٦- الأوضاع الصحية التي تعد من أشد الأوضاع تدنياً في العالم؛ فالفقر والحمل المتقارب، وانخفاض الوعي الصحي، وارتفاع معدلات سوء التغذية وتزايدها المطرد؛ حيث وصلت إلى ١٥,٩٪ لعام ١٩٩٦م. وتشير البيانات الرسمية لوزارة الصحة إلى أن مجموع المواطنين المصابين بوباء الفيروس الكبدي يزيد عن ٣,٥ مليون مواطن(٢).

٧- ضعف الجانب العقدي وغياب عقيدة الولاء والبراء لدى فئات كثيرة في المجتمع.

٨- حسن معاملة النصارى للبسطاء والمتعاملين معهم في الشركات والمؤسسات.

٩- إعجاب بعض أبناء المسلمين بمدرسيهم النصارى، والشعور بالفخر والاعتزاز لدى زيارة بعض النصارى لبيوت المسلمين.

١٠- تعدد واجهات العمل النصراني بين: معاهد دراسية - هيئات إغاثية - مراكز صحية - مراكز دراسات - مراكز ثقافية...

١١- ضعف دور المؤسسات الإسلامية وانشغال كثير منها بقضايا داخلية أو جزئية.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: متى بدأ التنصير في اليمن؟ ومن هي الجهات التي تقوم بذلك؟ وما هي أشكال هذا التنصير وصوره؟ وهل استطاع أن يحقق شيئاً من أهدافه...؟

تشير التقارير إلى أن أول عمل تنصيري منظم بدأ بعد خمسينيات هذا القرن، وتركز أساساً في مدينة عدن وبلاد العرب الجنوبية، واستمر العمل حتى عام ١٩٧٢م ، كما بدأ العمل في شمال اليمن من عام ١٩٦٩م إلى أوائل عام ١٩٨١م.

هذا النشاط يتبع منظمة نصرانية تدعى: (فريق البحر الأحمر الدولي) الذي أسسه المنصر (ليونل قرني) في عام ١٩٥١م، والذي قضى سبعة عشر عاماً قبل هذا التاريخ في أعمال التنصير في الشرق الأوسط.

كما يطلق على هذا الفريق مسمى آخر وهو: (الخيَّامون) وهم النصارى القادمون للعمل في البلاد الإسلامية في مجالات مختلفة كالطب والهندسة والتعليم والتمريض... الخ.

وشعار هذه المنظمة: (الإسلام يجب أن يسمعنا)، وهدفها نشر إنجيل الرب عيسى بين المسلمين. والمنظمة تعرِّف بنفسها أنها فريق البحر الأحمر الدولي RSTI منظمة عون دولية غير حكومية ذات خلفية نصرانية مركزها الرئيس في إنجلترا.. وتحصل على الدعم من الكنائس والأفراد ومنظمات العون النصراني؛ ويدعم الفريق حالياً مشاريع تنموية في كل من جمهورية مالي، وجيبوتي، وباكستان، واليمن،

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

وتنزانيا؛ وكل المشاريع خاضعة لموافقة الحكومة المضيفة، وتمتد الأنشطة على نطاق واسع في مجال التنمية الريفية والتعليم والصحة والدعاية الصحية الأولية والتعليم الأولي..[(١)].

واستناداً لما سبق فإن التعريف الخاص بالمنظمة يلقم حجراً لكل من يحاول التقليل من خطر المنظمات النصرانية أو إنكار أن لها أعمالاً تنصيرية.

تُرى هل نستطيع الآن أن نتعرف على أشكال التنصير وصوره داخل بنية المجتمع اليمني؟

بالتأكيد الإجابة: نعم! فأماكنه متعددة ومتشعبة وهي كما يلي:

أولاً: الكنائس ودور العبادة:

١ - الكنيسة الكاثولوكية بالتواهي:

تعتبر الكنيسة الكاثولوكية الواقعة في مدينة التواهي وعلى مقربة من القاعدة العسكرية البحرية اليمنية أهم موقع كنسي نصراني تم افتتاحه في بداية الخمسينيات إبان الوجود البريطاني في محمية عدن، ويتبع حالياً المجمع الكنسي الكاثولوكي في مدينة لارنكا بقبرص، ولكنه يدار مؤقتاً من الإدارة الأنجليكانية بمدينه دبي بدولة الإمارات العربية المتحدة، وربما تكون هذه الكنيسة هي أهم كنيسة على الإطلاق تم بناؤها في جنوب الجزيرة العربية، ولقد سعدت الإدارة الأمريكية كثيراً بإعادة افتتاحها في عام ١٩٩٥م، وتم ذلك بمساعدة السفارة الأمريكية بصنعاء ودعمها؛ وذلك من خلال جهود سفيرها السابق السيد ديفيد نيوتن؛ حيث افتتح المركز الطبي الكنسي الملحق بها والذي يقدم خدمات لكثير من طالبي الخدمات الطبية من أبناء المنطقة المحيطة بالكنيسة؛ كما أن التقارير ذكرت أن الصلوات تقام بها بشكل منتظم عصر كل يوم أحد، وقد اهتم الرهبان والراهبات الذين يعملون في العيادة الصحية كثيراً بالمقبرة النصرانية في منطقة المعلا التي تضم رفات الكثير من النصارى ممن توفوا في مدينة عدن.

٢ - الكنيسة المعمدانية بكريتر ـ مدينة عدن:

توجد كنيسة معمدانية في مدينة كريتر بعدن لا تبعد كثيراً عن سوق الخضار، ولكن تم إلغاؤها وتحول المبنى إلى مبنى حكومي. وكانت الكنيسة تدار من قِبَل الكنيسة الأنجليكانية المعمدانية التي تتخذ من لندن مقراً لها؛ وسبب ذلك إهمال أعضاء تلك البعثة وتقصيرهم.

٣ - دور العبادة النصرانية بصنعاء:

قامت بعض العناصر الإنجيلية النشطة وبدعم غير مباشر من السفارة الأمريكية بصنعاء باستئجار مبنى يقع في الحي السياسي؛ وذلك لاستخدامه داراً للعبادة يوم الأحد، ولأداء بعض القداسات النصرانية كلما دعت الحاجة لذلك، كما يقام قدّاس يوم الأحد في المعهد الكندي ـ في مدينة حدة في إحدى الشقق المستأجرة لهذا الغرض في المجمع السكني.

٤ - دُور العبادة النصرانية بإب:

تقوم البعثة النصرانية المعمدانية الأمريكية من خلال مستشفى جبلة المعمداني بمدينة جبلة بمحافظة إب بدور كبير سواء فيما يتعلق بالدعوة للتنصُّر، أو القيام بأداء صلوات يوم الأحد

---

(١) مجلة الأسرة العدد ٨٣.

بالكنيسة المعمدانية الملحقة بالمستشفى. ويقوم القساوسة والراهبات بدور إنساني - على حد زعمهم - وتنصيري من خلال زيارة النساء والفقراء ودور الأيتام والسجون. وقد استطاعت البعثة وخلال سنوات عملها الطويل إدخال بعض الأشخاص إلى الديانة النصرانية؛ إذ بلغ عددهم ما يقرب من ١٢٠ يمني.

ثانياً: النشاط الصحي:

-المركز السويدي بمدينة تعز في شارع الدائري.. له نشاط تنصيري، ويحمل ترخيصاً من وزارة التربية والتعليم باسم تعليم اللغة الإنجليزية، وله نشاط خيري يتستر وراءه لأعماله النصرانية، كما يقيم دورات لتعليم النساء التدبير المنزلي والخياطة.

- جمعية من طفل إلى طفل.. مركزها الرئيس مدينة تعز، ولها نشاط في صفوف الأطفال المصابين بالعمى والخرس؛ حيث استطاعوا أن يؤثروا عليهم عن طريق تغيير الإشارات لديهم تهيئة لدخولهم في النصرانية من دون أن يشعروا بذلك.

- منظمة أدرا في منطقه حيس «تهامة» وهي نشيطة جداً، وقد استطاعت أن ترسل كثيراً من الشباب إلى دول نصرانية مثل سنغافورة والفلبين وبانكوك باسم الحصول على شهادات في اللغة الإنجليزية؛ كما يقومون بزيارات منظمة للمناطق النائية مثل مديريتي العدين والقفر؛ حيث يخيم عليها الجوع والفقر والمرض والجهل، ولك أن تتوقع النتيجة!

- المركز الصحي بالحديدة في شارع شمسان، ودار العجزة في شارع زايد؛ حيث يقوم المبشرون بدور رهيب في الاختلاط بالبسطاء وتقديم العون والمساعدة لهم.. كما امتد نشاطهم إلى جامعة الحديدة خاصة في قسم اللغة الإنجليزية؛ حيث قاموا بوضع المنهج الذي يشوه الإسلام ويخدم التنصير.

- جمعية رسالات المحبة «بعثة الإحسان»: يمتد نشاطها الواضح في صنعاء وتعز والحديدة وخصوصاً بين المصابين بالجذام والأمراض العقلية، وكان لها ارتباط مباشر مع المنصِّرة الهندية الأم تريزا، وتقوم الجمعية حالياً بالعناية بأربعمائة مريض ومسن، وخمسة وثلاثين معوقاً، ولهم مقر ثابت عبارة عن مبنى ملحق بالمستشفى الجمهوري بصنعاء يضم حوالي عشر راهبات.

- داران لرعاية العجزة بصنعاء وتعز وتشرف عليهما راهبات بعثة الإحسان التابعة للأم تريزا.

ـ جمعية أطباء بلا حدود وتتستر بالإغاثة ولها نشاط تنصيري.

ـ معسكر اللاجئين الصوماليين بالجحين بمدينة أبين، وتقوم المنظمات النصرانية بالدور ذاته بين هؤلاء الفقراء المسلمين؛ حيث نسيهم إخوانهم المسلمون.

- منظمة ماري ستوبس وهي نشطة في مجال رعاية الأمومة والطفولة، وتدعم مشاريع تنظيم النسل.

ثالثاً: المنظمات المانحة:

ـ منظمة أوكسفام: وتدعم العديد من المشروعات المتعلقة بالتنمية والتعليم والصحة والقات.

ـ منظمة اليونسكو: وتدعم مشاريع البنية

التحتية، وهدفها إزالة الخلاف بين المسلمين والنصارى.

- منظمة رادا بارنر: وتدعم المشاريع التي تتعلق بالطفولة.

رابعاً: النشاط السياحي:

نشرت صحيفة الثورة - كمثال - في عددها رقم ١٢٥٤٢ بتاريخ ١٥ / ٣ / ١٩٩٩م عن وصول ٨٠٠ سائح إلى عدن فيما تصل ٢٧ سفينة سياحية تستقبلها الموانئ اليمنية حتى نهاية شهر ٣/١٩٩٩م.

وهؤلاء يقومون بالعديد من الأنشطة في تجوالهم داخل اليمن منها:

١- توزيع الإنجيل في المدن المختلفة ومنها الحديدة؛ حيث وزع الإنجيل في السوق المركزي، كما أقيمت الصلوات وحضرها السياح.

٢- توزيع مجلة بالعربية تسمى FISHERS وهي تدعو إلى اعتناق النصرانية.

٣- توزيع القصص المصورة النصرانية.

٤- توزيع بعض الهدايا والتقاويم التي تحمل شعار النصرانية في صور مختلفة لكنائس عالمية.

٥- النزول إلى أماكن التجمعات في الأسواق ومحاولة كسب قلوب الناس بالتصوير معهم.

٦- ومن أبرز نشاطهم ما حدث في منطقة الحسينية؛ حيث وزع بعض السياح شريط ڤيديو وكاسيت يدعو للنصرانية، وفي ختام الشريط يقوم المحاضر بتلقين المستمع الصلاة والترانيم النصرانية للحصول على بركة المسيح.

خامساً: النشاط التعليمي الثقافي:

وأتذكر هنا رئيس الجامعة الأمريكية الأسبق هوارد ويلس حين قال: «التعليم في مدارسنا وجامعاتنا هو الطريق الصحيح لزلزلة عقائد المسلم وانتزاعه من قبضة الآلام».

المعهد الكندي بصنعاء:

يتستر هذا المعهد خلف تعليم اللغة الإنجليزية، ويتميز بقلة التكلفة مقارنة بالمعاهد الأخرى وقوة منهجيته، وإقامة الرحلات والاحتفالات بنهاية كل دوره، ولا تزيد إعارة المدرس عن عام واحد في اليمن، ويستمر المدرسون المغادرون بالتواصل مع طلابهم.. ومن مناهجهم: التعامل الخلاق مع طلابهم، وإثارة الشبهات بشكل فردي لبعض الطلاب، ولا يدخلون في مواضيع خلافيه مع الطلاب مجتمعين.

كما تزيد نسبة الطالبات عن الطلاب في المستويات الدراسية المتقدمة.

- أما المعهد البريطاني - المعهد الأمريكي - المعهد الفرنسي.. فكلها تقوم بالمهمة نفسها، ومقرها صنعاء. ناهيك عن مراكز الدراسات التابعة لهم التي تيسر للمنصرين مهمتهم، وتتيح لهم التجول في اليمن بغرض البحث العلمي.

وتشترك كافة المعاهد في بعض الأعمال، منها :

١- توزيع بعض نسخ من الإنجيل هدايا.

٢- منح دورات مجانية للمتفوقين ورحلات تعليمية إلى أوروبا؛ حيث قدمت الحكومة الهولندية ثلاثين منحة في عام ١٩٩٧م لطلبة من الجامعات اليمنية، وبعدها قدمت الحكومة البريطانية ثلاثين منحة للكليات المختلفة.

٣- مساعدة الطلاب الذين يقعون في مشاكل مالية أو نفسية.

العزة

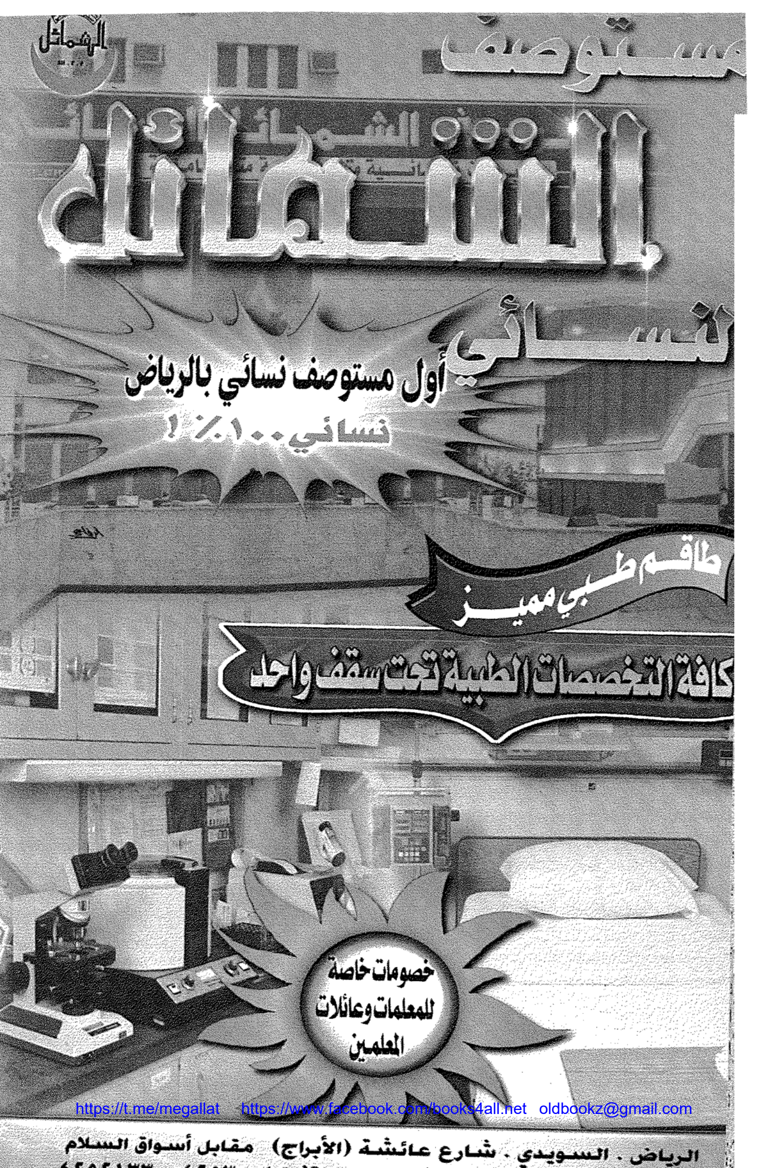




موضوع منـ...
فضلاً اقلب الصفحة



تسجيلات التقوى الاسلامية
ص.ب ٢٦٨٢١ الرياض ١١٤٩٦ ـ هاتف ٤٧٩٣٢١٦ ـ ٤٧٧٩٣٤١
جدة ـ حي السلامة ـ بجانب مسجد الشعيبي ٢٣٢٥٢٥٨
WWW.ALTAQWA.COM E-MAIL INFO@ALTAQWA.COM


مستوصف
الشمائل
نسائي
أول مستوصف نسائي بالرياض
نسائي ١٠٠٪ !
طاقم طبي مميز
كافة التخصصات الطبية تحت سقف واحد
خصومات خاصة للمعلمات وعائلات المعلمين
الرياض . السويدي . شارع عائشة (الأبراج) مقابل أسواق السلام



العزة

تشكيك في الثوابت. شعور بالدونية. مركب نقص. هزيمة نفسية.
الإنبهار بالغرب وتقليده. تدسس بالإسلام و الخجل من الإنتماء إليه. تكالب الأعداء.
يأس و فقد الثقة بالنفس. تنازلات و تراجع تحت ضغط الواقع. توكيد الذات السلبي.
ضعف الإعتزاز بالإسلام. التذلل للمسؤول. إنسلاخ من الهوية. القبول بالذلة و الإذلال.
الخنوع و الخضوع. التبعية الفكرية و الثقافية. السير خلف كل ناعق. الببغاوية.
تضخيم الذات و الكبر و احتقار الآخرين. كيل الثناء و المديح. تبرير الأخطاء و الإصرار عليها.
رفض المخالف. الإستحياء من إظهار شعائر و مظاهر الإسلام.

تلك بعض مظاهر و علامات إذا ما وجدت في فرد أو أمة فإنهم بحاجة إلى:

العزة

أي الإعتزاز بالنفس و بما يحملون من مبادىء و قيم. و أهم ما يحمله المسلمون هو هذا الدين.وحمله و التمسك به لا يكفيان إذا لم يصاحب ذلك إعتزاز به .. فإذا تحقق الإعتزاز تحققت العزة و بالتالي رفعت الذلة..وتحققت الأهداف و المبادئ التي يدعوا إليها.

إنطلاقا من ذلك يجئ هذا الإصدار الخاص (إصدار العزة) ليلقي الضوء على موضوع العزة كمشروع برنامج متكامل.

بدأت فكرة المشروع بمحاضرة خصنا بها الدكتور/طارق السويدان انطلق فيها من رؤية عميقة لأهمية العزة و حاجة أمتنا إليها..فكان-بحق-موفقا في تسليط الضوء على هذا الموضوع حيث استعرض-بشكل مختصر-كيف تحققت لأمتنا العزة في سابق عهدها مدللا على ذلك ببعض المواقف و الصور التي عكست إعتزاز الأفراد بما يحملون...ثم عرّج إلى حال الأمة و ما وصلت إليه من وهن و ذلة تجلت في مظاهر لا ينكرها إلا مكابر وشرح أسباب ذلك و انتهى أن لا مناص للخروج من هذه الحاله -حالة الذلة-إلا بسلوك الطريق الذي سلكه المعتزون السابقون.وكعادة الدكتور/طارق كان أسلوبه في الطرح آخّاذاً ومقنعا فشخّص الداء و وصف الدواء فجزاه الله خيرا.

و لأن موضوع العزة كبير و عظيم و جدير بالإهتمام رأينا أن نوسع دائرة بحثه ونفصّل ما أجمله الدكتور/طارق ليحقق الأهداف المرجوه منه و التي تتركز في إبراز أهمية العزة و كيف تتحقق وكشف خطر الذلة و كيف ترفع مع التركيز على إيقاظ أو زرع العزة لدى الفرد في جميع مراحله العمرية لما لعزته و ذلته من أثر على عزة الأمة و ذلتها .

وضعت خطة الموضوع-المشروع-وبدأ التنفيذ .وسيطرح

١ -العزة ..لمن ؟..كمدخل للموضوع د/طارق الس

٢ -العزة..وكيف تتحقق للفرد؟

مفهومها.أنواعها. مصادرها. أهميتها. مكوناتها. مظا صفات المعتزين. وسائل إكتسابها. نماذج من تحققها معوق طريقها. آثارها.

٣ -الذلة..وكيف ترفع؟

مفهومها. أنواعها. خطرها على الفرد و المجتمع. مظ أسبابها. وسائل الأعداء في الإذلال. وسائل رفعها. آثارها.

٤ -البرنامج العملي للعزة. (لأحد علماء ال

كيف ترفع من عزتك؟-كيف تنبذ الذلة؟

٥ -أطفال أعزاء لا أذلاء.

أهمية العزة للطفل وخطر الذلة عليه. علامات الطفل و الذليل. وسائل تربوية في زرع العزة و نبذ الذلة. دور و دوائر التوجيه. الآثار المترتبة.

٦ -العزة و الذلة في ظلال القرآن. (د/صلاح الخ

٧ -مواقف الأعزاء و قصص الأذلاء. (

٨ -نصوص نثرية و شعرية في العزة. (

٩ -معتز. (إصدار للأد

١٠ -العزة. (أناشيد لأبي عبد

تلك هي محاور الموضوع و أهم عناصره و يتوقع أن يح الألبوم ذو ١٠-١٢شريطا وسيبدأ الطرح أولا بشريط الدك طارق السويدان في أوائل شهر رجب١٤٢١هـ إن شاء الله وذ تمهيداً للمجموعة ولصلاحيته **للتوزيع الخيري** ثم يعقبه-بف الألبوم الكامل للموضوع و نأمل أن تخرج جميعها في موعده

وحرصاً على إثراء الموضوع وتغطية جميع محاوره فقد فيه نخبة من المشايخ و الدعاة و المفكرين و الأدباء و النفس و المربين و الأطباء النفسيين و الأعلاميين و الص من داخل المملكة و خارجها سائلين الله أن ينفع به...



٤- القيام بالرحلات المختلطة لطلابهم.

٥- إثارة الشبهات عن الإسلام.

من هنا نخلص إلى أن أخطر المهام التي يقوم بها الخيَّامون الجدد هي زعزعة القيم والمفاهيم لدى أبناء المسلمين؛ وبالتحديد عقيدة الولاء والبراء، وغرس قيم الحب والألفة والولاء مع المجتمع النصراني، وهذا - في رأيي - أخطر من عملية التنصير نفسها؛ فالتنصير يمكن اكتشافه والحد من انتشاره أما الأولى فإن نتائجها ستظهر في الأجيال القادمة من أبناء أمتنا الإسلامية، هذا ما قاله مريض جبلة: «أشهد بأنهم مسلمون، وأننا مسيحيون» هذا القول أعاد إلى الذاكرة قول مالك بن نبي - رحمه الله - عندما زار أوروبا: «وجدت إسلاماً ولم أجد مسلمين، وعدت لأجد مسلمين ولم أجد إسلاماً».

وقبل كل هذا بل بعد كل هذا.. ألا يحق لنا أن نطرح سؤالاً أخيراً: كيف كانت ردة فعل الأفراد والمؤسسات والحكومة تجاه ما جرى وما سيجري؟

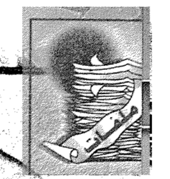
ولعل ما حدث من مقتل الراهبات الثلاث في مدينة الحديدة عام ١٩٩٨م نذير بتصرفات فردية لا يعلم مداها إلاَّ الله.

أما دور المؤسسات فهو نشاط خجول يحتاج إلى إذكاء كالجمر تحت الرماد، ومنه الأنشطة التي قام بها مركز الدراسات الشرعية بمدينة إب؛ حيث أصدر في العدد الخامس من نشرته معلومات عن وسائل التنصير، وكذّب ادعاء المنصرين، وأبرز أنشطتهم ووسائلهم.. كما قام بعض الدعاة في مدينة عدن بإقامة العديد من المحاضرات وتوزيع المطويات التي تحذر الناس من خطر التنصير.

أما موقف الحكومة اليمنية فيوضحه لنا تقرير وزارة الخارجية الأمريكية عن خلفية بعض الشؤون المهمة في اليمن للعام ١٩٩٨م الصادر عن مكتب شؤون الجزيرة العربية والخليج الفارسي بدائرة الشرق الأوسط في ٣٠ مايو ١٩٩٨م «.. لكن نتيجة الغموض الذي يكتنف الدستور في اليمن فيما يتعلق بالسماح بفتح دور للعبادة النصرانية بالرغم من وجود النص الدستوري الذي يؤكد على أن الشريعة الإسلامية هي مصدر كل التشريعات؛ إلا أن السلطات التنفيذية اليمنية المختصة كثيراً ما تغض الطرف عن كافة الأنشطة الكنسية والنصرانية في عموم اليمن».

ختاماً.. لم يقف المسلمون قديماً مكتوفي الأيدي أمام الحملات الصليبية التي استهدفت تدمير المدن وإراقة الدماء وقتل الأطفال والنساء واغتصاب الشريفات العفيفات من بنات المسلمين.. والدور المطلوب اليوم من العلماء وطلبة العلم والمؤسسات التعليمية الإسلامية وهيئات الإغاثة والجمعيات الخيرية جد كبير؛ فيجب أن تتوحد الجهود وتخلص النيات، وأن يعلم الجميع بأن وسائل المواجهة هي ذاتها أساليب الدعوة؛ فهدفنا نحن المسلمين ليس مجرد المواجهة والصد بل يتعدى الأمر أكثر من ذلك وهو الدعوة إلى الله بحيث نسعى إلى هداية هؤلاء المنصِّرين أو بعض منهم - وهذا مشاهد ولله الحمد - في الوقت نفسه الذي نحمي فيه مجتمعنا من هذه الهجمة.

والله من وراء القصد.



التنصير.. هل أصاب الهدف؟ (٣ـ٣)

٣٧ نصيحة للمنصرين في الجزائر

الترجمة: مركز التنوير الإسلامي: القاهرة
الإعداد والتحرير: أبو إسلام أحمد عبد الله رئيس المركز

في تقرير أصدرته لجنة التنصير بكنيسة كليفلاند البروتستانتية في أمريكا، مكون من ٩٤ صفحة، حول تجربة التنصير في عدد من قرى دولة الجزائر ومدنها، على مدى خمس سنوات متتالية، ختمت اللجنة تقريرها بتلخيص لما تضمنته الدراسة في ٣٧ نصيحة، تحت عنوان: (اقتراحات نهائية)، تدور كلها حول أسلوب التنصير بين عوام المسلمين الجزائريين الذين أسمتهم الدراسة: (المسلمين الشعبيين).

اعترف التقرير في صفحاته الأولى بصعوبة التنصير بين المسلمين، إلا إذا كانوا طائفة من ثلاث على وجه التحديد: أن يكونوا من جماعات صوفية، أو أن يكونوا تابعين لمذهب شيعي، أو تابعين لطائفة القاديانية؛ إذ إن هذه الطوائف الثلاث تشترك مع عقيدة النصارى في قبول ما يعرف بالحلول الإلهي في الإنسان، وهو ما يمهد الطريق أمام المنصر لقبول عيسى المسيح ابناً لله.

فماذا عن عوام المسلمين في الجزائر؟ وإلى أي مدى استطاعت الإرسالية التنصيرية تحقيق أهدافها؟

يؤكد التقرير بأن ثوابت المسلم الجزائري، حتى المسلم الشعبي ـ حسب تعبيره ـ ليس من السهل تحريكها، أو قبول المساومة حولها، أو التنازل عنها.

ولذلك لم تكن هذه النتيجة المفجعة للإرسالية ـ مع رجل الشارع الجزائري ـ هي نهاية المطاف، ولم تكن هي الصخرة الوحيدة التي تحطمت عليها طموحات الإرسالية؛ إذ استطرد التقرير قائلاً: «أما المسلم الجزائري العلماني الذي تأثر بالأفكار الأوروبية وموجة الإلحاد التي تجتاح الشارع الغربي اليوم، فإنه لم يتخلص بعدُ من تأثيرات الجانب الإيماني في الإسلام، إلى الحد الذي يمكن وصفه أحياناً بالخصم الروحاني.. لقد سلّموا أنفسهم جميعاً للغيب،

لعدالة الله التي وعدتهم آيات القرآن، فجعلت الواحد منهم مطمئناً وراضياً بما هو فيه ومؤمناً تمام الإيمان بما أُخبر به».

إن الذي يحير البعثات التنصيرية تلك الثوابت الراسخة في حياة المسلمين، خواصهم وعوامهم، فكانت الإشارات واضحة للجنة التنصير إلى ضرورة «الحذر من مواجهة المسلم الجزائري - أي مسلم جزائري بدءاً من الأطفال وانتهاءاً بالشيوخ والعجزة - بأن يسوع ابن الله أو أنه الله المنقذ المخلص؛ لأن المسلمين في الجزائر مثل الوهابيين السعوديين والأصوليين المصريين، يعتقدون بيسوع آخر غير الذي عندنا (عند النصارى) والذي يعني (المنقذ). هؤلاء الأصوليون لا يعرفون غير عيسى المسيح بأنه نبي واحد.

واختصاراً لصفحات طويلة، نصل إلى خلاصة تجربة لجنة التنصير الإنجيلية - التي مارست عملها في قرى الجزائر ومدنها لمدة خمس سنوات متتالية - في سبع وثلاثين نصيحة، جاءت على الترتيب الآتي، وقد زدنا عليها العناوين الجانبية لمزيد من التوضيح والبيان:

غيِّروا ملابسكم واحتشموا:

١ - غالباً ما تكون الملابس الغربية التي يرتديها المنصرون موضع انتقاد ونفور من المسلمين، ولذا فمن الأفضل للمنصر أن يرتدي زي المنطقة التي يعمل بها، وكذلك زوجته أو العاملات اللائي يساعدنه في الإرسالية، كما يجب على المبشر ألا يرتدي شورتاً في زيارته للمسلمين، ومن الخطأ جداً على البنات أو النساء المشاركات في البعثة، أن يرتدين ألبسة قصيرة، تسبب لهن الحرج عند جلوسهن على حصائر مع النساء المسلمات(١).

لا يجلس خلفكم أحد:

٢ - عند جلوسك بين المستمعين لدعوتك، يجب أن تختار مقعدك وموقعك بعناية شديدة، فيكون الجميع أمامك، تراهم وتنظرهم بعينيك، فلا تسمح لأحد أن يحدثك من مستوى أعلى أو من نافذة علوية أو طابق علوي، كما عليك أن تحذر من أن يجلس واحد خلفك لئلا يسمح له موقعه بعمل إشارات تطعن فيما تقول(٢).

حادثوا فرادى المسلمين:

٣ - ليس من الحكمة أن تتحدث مع مسلم عن إيمانه أو إيمانك الشخصي في حضور مسلم آخر؛ فذلك يجعله على الفور مدافعاً بحرارة ومرتقياً بدينه، خاصة إذا كان في القرية سكان غير مسلمين يشاركونهم في الأرض وفي السيادة(٣).

زوروهم وأنتم فرادى:

٤ - من الحكمة أن يكون معك في دعوتك رجل آخر واحد أو امرأة واحدة فقط منعاً للاستثارة.

---

(١) وغالباً ما يجذب احتشام النصرانيات ود المسلمات وإلفهن لهن.

(٢) وهذا أسلوب عفوي يسهم كثيراً في إفساد النتائج المرجوة.

(٣) والمأمول ألا تغيب هذه الحمية والغيرة عن المسلم دائماً.



اخلعوا أمامهم أحذيتكم:

٥ ـ في سلوك المسلمين عامة وفي الجزائر خصوصاً، كثير من الاحترام والتبجيل وكرم الضيافة لضيوفهم، حتى لو كان الضيوف من غير دينهم؛ فربما يحضرون لك كرسياً عند زيارتك لهم ويرغبونك في الجلوس عليه وهم جلوس على الأرض، فلا بد أن تتجنب ذلك مهما كان قدر الضغط عليك. دعهم يرونك مجرد إنسان، تكون كما يكونون، ولا تنس أنهم يستعملون الحصير الذي يجلسون عليه في صلاتهم، ولهذا فهم يخلعون أحذيتهم قبل الجلوس عليها، ولا بد أن تفعل مثلهم.

قف أو اجلس مثلهم:

٦ ـ لا بد أن تراعي قانون المكان في مجلسك، فتكون جالساً أثناء الوعظ إذا كان الكل جلوساً، وتكون واقفاً إن كنت في مكان عمل أو سوق أو في مكان مسموح فيه بالاجتماع.

خزعبلات ولكن إياك أن تعاديها:

٧ ـ اللغة العربية عند المسلمين تسمى (لغة الملائكة) وهم يبدون الوقار والاحترام للنص العربي ويعتبرونه صكاً مقدساً، في مواجهة النص الفرنسي الذي يذكّرهم بالاحتلال، وتستطيع أن تستفيد من هذه الخزعبلات، مبيناً لهم أننا أيضاً نحب الحروف العربية ونجد المتعة في قراءتها، واحذر أن تقرأ نصاً بلغتك غير العربية، حتى لو أن تلجأ لكتابته على لافتة دون أن تقرأه[1].

صلِّ من أجلهم:

٨ ـ صلِّ قبل لقاء المسلمين، وصلِّ وأنت بينهم، وبعد أن تتركهم، أن يسكن سيدنا قلوبهم.

الاستعداد للنقاش:

٩ ـ قبل اللقاء اكتب أهم النقاط التي سيدور حولها النقاش، واستخدم كثيراً كتابك المقدس، وضع خطوطاً تحت المواضع التي تناسبك، لتجدها سهلة ومريحة.

احذر من السقوط:

١٠ ـ اعتمد على الروح القدس لتهديك إلى هدفك، فربما تُقتاد نحو هدف آخر.

التمهيد للرسالة:

١١ ـ ابدأ وعظك لعشر دقائق حول التقاء الأديان والبشر في المولد والموت، وفي لقاء الله بعد الموت.

الموضوع الواحد:

١٢ ـ تعامل مع موضوع واحد طوال الوقت؛ فإن حقيقة واحدة تكون كافية للقاء واحد.

المسلم يحترم شجاعتك:

١٣ ـ يعجب المسلمون بالرجل الذي يتحدث بشجاعة عن معتقداته، فلا تخش أن تتكلم

---

[1] إن مما يثلج صدور المسلمين تلك المواقف الدقيقة التي رصدوها، وأبسط الطبائع التي أستلفتت انتباههم في حياة المسلم العادي، حتى يعرف دعاة الإسلام مواطن الخير في أهلهم، فيرعوها وينموها ويجيدوا حصاد ثمارها التي من أزكاها تلك العلاقات الربانية بين المسلم ولغة القرآن.

بالحقيقة كاملة، ولا تحذر إلا أن تجرح دينهم ومعتقداتهم أو تسيء لقرآنهم ونبيهم وعبادتهم.

الاعتذار وسيلة للهروب:

١٤ ـ لو سئلت سؤالاً لا تعرف إجابته أو استشعرت في الإجابة ما يعوق أهدافك، فإن من الأفضل أن تعتذر بعدم علمك وترجئ الإجابة لوقت آخر؛ وتشغل سامعيك بسرعة بموضوعك أنت الذي تعظ فيه.

الأرضية المشتركة:

١٥ ـ قاعدة أساسية للوعظ أن تذكر بين الحين والآخر ما هو متفق عليه بينك وبين المسلمين.

احذر من السقوط:

١٦ ـ استعن دائماً بأحد الكتب التي تهتم بالرد على اعتراضات المسلمين، واحتفظ بصفحة واحدة لكل اعتراض، واحذر أن تُستدرج لمناقشة اعتراض لم تُعدَّ نفسك لمناقشته.

لا تناقش الثالوث:

١٧ ـ من الحكمة[١] تجنب مناقشة عقيدة الثالوث ولو للحظة واحدة، ولو كان ذلك بإيضاحات مثل: إن الثالوث كالرجل الذي له ثلاث وظائف، أو كالشمس متعددة الأشعة والوظائف، فإن تلك الإيضاحات تناسب العقل الغربي) لكنها لا تقنع العقل المسلم[٢].

اقنع المسلم انه مخطئ:

١٨ ـ تذكر أن المسلم لن ينحني أبداً ليسوع، سيداً منفرداً عن الروح القدس، فلا تحاول إقناعه بذلك، واحرص أن تقنعه به في لقاء آخر.

لا تستخدم العفاريت:

١٩ ـ لا تحاول أن تستخدم مواهب الروح القدس[٣]، مثل التكلم بألسنة غريبة أو عمل معجزة أمامه[٤]؛ لأنه سوف ينسب ذلك إلى الأرواح الشريرة، ولن يقبل المسلم إلا ما تتحدث به إلى عقله، وبلغته التي ينجذب إليها.

بِع له الإنجيل ولا تهده:

٢٠ ـ تذكر أهمية الكتاب المقدس ولا تحاول أن تهديه إلى مسلم إلا بثمن، واعلم أنه سوف يرفض شراءه منك؛ لأنه لا يحمل الاصطلاح الإسلامي: «بسم الله الرحمن الرحيم»[٥] فذكِّره بأنه حينما يشتري خبزاً فلن يجد عليه هذا الاصطلاح، إنما هو يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم» ويأكل، فلِمَ لا يفعل الشيء نفسه مع كلمة الرب[٦]، التي هي خبز الحياة؟

---

(١) تلك واحدة من القضايا الشائكة التي يواجه عوام المسلمين بها كبار النصارى، بل كانت واحدة من أشد الاختلافات التي أورثت صراعات بين طوائف النصارى المختلفة، ولم يجدوا حلاً حتى اليوم، لذلك أوصت لجنة الإرسالية التنصيرية بتجنب المناقشة في هذه المسألة.

(٢) الذي لم يذق حلاوة التوحيد حتى يميز بينها وبين ما عليه من ضلال.

(٣) مصطلح كنسي يدل على استخدام الجن والشياطين.

(٤) كإظهار هالة ضوئية يتمثلون فيها ـ وهماً ـ صورة العذراء مريم عليها السلام.

(٥) وهذه رؤية اختزالية لحقيقة رفض المسلم.

(٦) بتآليف متى ومرقص ولوقا ويوحنا!!

احترم إنجيلك كاحترامهم للقرآن:

٢١ - المسلمون في الجزائر مثلهم مثل كل المسلمين يتعاملون مع القرآن بكثير من الاحترام والتقديس والرهبة، فحاول أن تتعامل مع الكتاب المقدس بنفس القدر أمامهم، فلا تحط من قيمته.

استفد من جوع المسلمين:

٢٢ - كثير من المسلمين الشعبيين تائهون عن الحقيقة، يبحثون عن المنقذ الذي يواجهون به حالات الطرد والتشريد والجوع والاضطهاد التي أصابتهم حتى الموت خلال السنوات الأخيرة، ومن الواضح أن الرب يهيئهم حتى تعمل برسالته بينهم[١].

ربكم يبارك دعوتكم للمسلمين:

٢٣ - إن السيد ينادي الشباب أن يخدموه بين المسلمين بكثير من الصبر الذي يأتي بالعظمة للرب يوم نقف أمام العرش ويصيح رجل بصوت عال: «الخلاص لربنا الجالس على العرش ومعه الخروف»(!!).

شاركوا المسلمين دهشتهم لتعدد كتبنا:

٢٤ - المسلمون يدهشون عندما يجدون أن الكتاب المقدس هو كتابان، أولهما العهد القديم المعروف بتوراة موسى والذي يضم تسعة وثلاثين كتاباً، وثانيهما العهد الجديد المعروف بإنجيل عيسى، لكنهم سيدهشون أكثر إذا عرفوا أن العهد الجديد يضم أربعة أناجيل، والأناجيل الأربعة سبعة وعشرون كتاباً، ولذا فإنه من الأهمية بمكان أن نقترب من المسلمين بمشاركتهم الدهشة، وإنكار أن لدينا عدة كتب؛ لأنها جميعاً عبارة عن بشارات سارة وليست هي الكتاب الذي نزل على المسيح من السماء.

حذارِ أن تنسب الإنجيل لله:

٢٥ - لسوء الحظ[٢] أن أناجيلنا تنتسب إلى متَّى ولوقا ومرقص ويوحنا، وهي إساءة لا يمكن حذفها؛ فاحذر أن تنسبها إلى الله؛ لأن كلام الله عند المسلمين هو شريعة وقانون.

لا تذكروا اسم بولس:

٢٦ - حاول كثيراً أن تتجنب في مناقشتك اسم بولس الرسول، فإما أنهم لم يسمعوا عنه من قبل وهذا يثير حفيظتهم لذكر رسول لم يسمعوا عنه، أو أنهم قد سمعوا عنه؛ حيث يعتبرونه أسوأ رجل في تاريخ النصرانية؛ لأنه اخترع[٣] مفاهيم لم يجئ بها المسيح، وهذا في الحقيقة ما قرأه أئمة المسلمين قديماً في كتب كبار النقاد الغربيين لتاريخ عقيدة النصرانية.

---

(١) يعتبر هذا الباب من أخطر الأبواب التي يحاول النصارى أن ينفذوا منها إلى حياة القلة النادرة من المسلمين الذين يمكن أن يُفتنوا في دينهم، إلا أن الوثائق والتقارير والأرقام أكدت إخفاقهم فيه، وراجعت الكنيسة حساباتها في استخدامه بعشرات المراكز التنصيرية، غير أنهم لم يفقدوا الأمل بعد في إمكانية استخدامه في بعض قرى الجزائر.

(٢) هكذا بنفس التعبير الصريح.

(٣) هكذا بنفس التعبير الصريح.

لا تقل إن المسيح ابن الرب:

٢٧ ـ حاذر أن تقول إن المسيح ابن الرب؛ فأنت بذلك تفعل شيئاً مزعجاً يعتبرك به المسلمون «مشركاً بالله»، وهذا يعني ـ في اللغة العربية ـ أسوأ الخطايا التي يمكن أن يرتكبها بشر تجاه الله.

المسلمون وثنيون ضالون فلا تصفهم بحقيقتهم:

٢٨ ـ تبعاً لبولس الرسول فإن المسلمين جميعاً يمارسون الوثنية التي هي مكروهة عندهم لتصديقهم القرآن واتباعهم محمداً [ﷺ] باعتباره رمزاً لخطيئة البشر التي ترفض كفارة ربنا يسوع وفداءه، فاحذر أن تصفهم حسب وصف بولس (الضالين) ولا تعوِّل على قناعتهم بدخول الجنة إذا نفَّذوا شريعة قرآنهم وإنكارهم لفداء المخلِّص.

نؤمن بقانون الله وإيماننا بيسوع أعظم:

٢٩ ـ المسلمون يصدقون أن الله لديه سلطة كافية لكي يسامح أي إنسان على أخطائه، وأنهم سوف يكونون على الصواب إذا ما نفذوا قانونه وشريعته، بينما نحن نعتقد بأننا نكون على الصواب إذا ما كنا نؤمن إيماناً كاملاً بيسوع المسيح ربنا وسيدنا، وليس بفعل ما يأمر به القانون، فهل يعني هذا أننا نرفض القانون أو نبتعد عنه؟ إننا نهتم مثل المسلمين بالقانون وبالشريعة، ولكن إيماننا بالمسيح الرب المنقذ المخلِّص الفادي يكفينا لأن نحقق كل الصواب الذي يريده الرب، وكل خطايانا قد بذل روحه فداءاً لها؛ لأن ربنا(١) يجعل المذنب الذي يؤمن به، بريئاً من كل ذنوبه.

أبو الأنبياء كان خطَّاءاً فلا تنكروا هذا للمسلمين:

٣٠ ـ إن إبراهيم [عليه الصلاة والسلام] لم يحيَ حياة مستقيمة(٢)، وقد فعل أخطاءاً كثيرة، لكنه عند المسلمين «أبو المؤمنين» ويعتبر مثالاً لهم، وهذا ما يجب أن نوضحه للمسلمين بشجاعة، دون أن ننقد القرآن الذي جعل إبراهيم أباً للأنبياء.

المسلمون لا يضمنون الجنة ونحن بيسوع نضمنها:

٣١ ـ يتباهى المسلمون بقدسية قرآنهم التي لا ترقى إليها أناجيل النصارى، فلا تحاول أن تقلل من أهمية هذه القداسة، ولكن يكفي أن تطرح عليهم سؤالاً:

ـ هل يوجد مسلم واحد على وجه الأرض يؤكد له القرآن أن زيارته لمكة لأداء فريضة الحج مقبولة عند الله أم لا؟ بالطبع سوف تكون الإجابة بالنفي؛ لأن القرآن ينص على أن الجزاء عند الله يحدده بعد الموت، أما عندنا، فيكفي الإيمان بيسوع(٣)، لنضمن أن كل أعمالنا مقبولة، فأي الطريقين نختار؟

إشكالية حروف الجر:

٣٢ ـ لا يستطيع مسلم أن يقول أنا أعرف

---

(١) ولم يوضح أي رب من الأرباب الثلاثة.

(٢) نعوذ بالله من ذلك.

(٣) وكأننا ندلل على بضاعة في مزاد للبيع.

الله، إنما دائماً يقول: «أعرف عن الله»، «أعلم عن الله»، «أتحرك بعون الله» فهناك حرف جر يفصل بين المسلم وربه؛ لأنه يظل يبحث طوال حياته «عن» معية الله، لكننا [النصارى] بإيماننا بالرب نعرفه بدون حرف جر[١].

سماوية الإسلام والنصرانية:

٣٣ ـ من الصواب أن تقدم وعظك بما هو مشترك بين الإسلام والنصرانية؛ فكلا الديانتين سماويتان، ونحن مثل المسلمين نحترم قوانين السماء [يقصد الله] باعتبارها بياناً لإرادته، ونعتقد في سيادته على المخلوقات، وأنه قادر على كل شيء.

ثقافة المسلمين أقوى:

٣٤ ـ إن كثيراً مما يرفضه المسلمون من عقيدتنا هو رفض آلي[٢] من العقلية الإسلامية، فعليك أن تتسلح بالصبر، خاصة أن ثقافتنا لا تساعدنا على منازلتهم، ووجودنا في بلاد المسلمين لا يحقق لنا نتائج سريعة، ولا تصدمك كثيراً الكلمات الدينية[٣] التي سوف تصل إلى أذنيك في كل مكان تذهب إليه؛ لأنها لا تعني شيئاً كثيراً عندهم وهم يرددونها[٤].

لا تخجل من يهوذا:

٣٥ ـ سؤال يسأله المسلمون دائماً: لماذا كان اختيار يسوع ليهوذا الخائن أن يكون أحد تلامذته الحواريين؟ المسلم يقول إن المسيح كان رسولاً وعلى ذلك فهو يؤمن بضرورة أن يكون لديه موهبة معرفة الغيب، ولذلك فالمسلم يصر على هذا السؤال، والحقيقة أن السؤال أكبر من ذلك بكثير؛ فهو ليس فقط: لماذا يهوذا؟ ولكن لماذا خلق الرب العالم لو أنه يعلم أن الإنسان سوف يخطئ؟ إن الإجابة جزء من مشكلة أكبر تقع تحت عنوان: «مشكلة الشر»، ويجب ألا نكون خجولين أبداً عندما نقول: إن هناك أشياء معينة ليس لدينا الإجابة عنها الآن، ولسنا وكلاء للدفاع عن ربنا[٥].

مسيحنا أعظم من محمدهم[٦]!

٣٦ ـ سؤال مهم يمكن أن تبادر به المسلمين من حولك، ولكن ليس في اللقاءات الأولى، وربما يكون ذلك قبل الخطوة الأخيرة التي قد يؤمن فيها المسلم بيسوع المسيح، وهو: إذا كان المسلمون يؤمنون بأن المسيح لم يمت ورفعه الرب إليه، في الوقت نفسه الذي يؤمنون فيه بأن

---

(١) لكن الإشكالية الفاضحة أنه لم يوضح المرة تلو المرة، أي رب من الأرباب الثلاثة لديهم؛ إذ يقتضي صدق القول انفراد كل واحد منهم بمعرفة متميزة، لاختلاف الطبيعة والإرادة والكينونية والهوية، فأي معرفة غير النصب ـ لا الجر ـ يقصدون؟.

(٢) بل هو فطري.

(٣) التي يستخدمها المسلمون في حياتهم العادية.

(٤) بل هي تعني التداخل والانسجام التام بين العقيدة والسلوك، دون انفصام أو تكلف أو تكليف.

(٥) وربنا وربهم لا يحتاج لوكلاء، إنما الذين عينوا أنفسهم وكلاء هم المحتاجون أن ينزهوه ـ سبحانه وتعالى ـ عن شركهم بجلاله ووحدانيته.

(٦) ومع النصيحة قبل الأخيرة، تغير لجنة التنصير من تكتيك الحركة والمبادرة بما يظنون أنه سلاح هجومي.

محمداً ﷺ قد مات ويزورون قبره في المدينة، ألا يجعل ذلك من المسيح رسولاً أعظم من محمد؟

الخروج من مازق الصليب:

٣٧ - إذا وجه المسلمون إليك سؤالاً حول صلب المسيح واعتبار النصارى أن ذلك كان فداءاً منه؛ فلماذا يذهب هو للصليب بداية ويعفي نفسه من الإهانة واللطم والأذى وحمل الصليب والركل بالأقدام والسب؟ ولماذا كان يحاول الهرب أصلاً من القبض عليه وتقديمه إلى الصليب؟

في البداية يجب أن نقول إن المسيح كان بشراً وكان إلهاً، ويجب ألاّ نقلل من طبيعته البشرية حينذاك، وبطرس الرسول نفسه قد وجد صعوبة في تقبل عملية الصليب، وأنكر ألوهية ربنا المسيح، مع أنه كان أكبر حوارييه وأقربهم إليه، ولذا يجب أن نكون متعاطفين مع المسلمين في هذا السؤال، ولا بد أن نصبر عليهم حتى يتفهموا قول المسيح عندما اقترب موته: «ليس ما أريد ولكن ما تريد» قالها ثلاث مرات ليظهر أنه بقبول الصلب قَبِلَ رسالة الرب الذي هو الأب، لكي يصبح ممثلنا وفادينا.

• • •

تلك هي النصائح الـ ٣٧ التي أوصى بها مركز التنصير الإنجيلي أعضاءه المنصرين العاملين في دولة الجزائر المسلمة، بعد جهد ولأيٍ لمدة خمس سنوات كاملة بين قرى أرض الجزائر وأزقتها وحاراتها، وسط الخراب والدمار الذي تمارسه ميليشيات فرنسا الصليبية وأعوانها داخل البلاد باسم الإسلام والمسلمين الذين لا يملكون حق الدفاع عن أنفسهم، في ظل هيمنة النظام الدولي الجديد، وهزيمة نفسية باغتت الصحوة الإسلامية التي أخطأت المسار حيناً، وزلت في أوحال العنف أحياناً أخرى.

وبرغم ذلك، والأجواء مهيأة تمام التهيؤ أمام الإرسالية الإنجيلية، لم يكن الحصاد حسبما رغبوا فيه، ولم تكن الثمرة هي ذاتها التي ذهبوا إلى الجزائر من أجلها؛ فبرغم محاولات الاحتلال الفرنسي في صبغ حياة الجزائريين بآداب وأدبيات وطبائع ولغة وعادات وتقاليد فرنسا، فإن ما تصوروه من غبار علا وجوه المسلمين، كان هذا الغبار جلاءاً للبصائر والقلوب، ولم تجد الإرسالية الكنسية ما تقنع مرسليها به غير تقديم هذه النصائح التي تضمنها هذا التقرير، معبرة عن خيبة الرجاء، وقلة الحيلة، وسوء العاقبة، وفساد الفهم، وضخامة الأنا، وخلل العقيدة، إلى أن تستعيد الجزائر الجريحة عافيتها، وتضمد بزاد الشريعة جراحها.



خُذِ الكتاب بقوة

أحمد بن عبد الرحمن الصويان

هجرة المسلمين واستقرارهم في البلاد الغربية حقيقة واقعة منذ سنين طويلة، إلا أنها ازدادت زيادة مطردة في العقد الأخير خاصة، وإن كان لهذه الهجرة ما يسوِّغها شرعاً عند بعض الناس، إلا أن الغالبية من هؤلاء المهاجرين لم يستوطنوا في بلاد الغرب لحجج شرعية، وإنما لأهواء وظروف شخصية واجتماعية.

ودراسة الأحوال الفكرية والاجتماعية والأخلاقية والنفسية لهؤلاء المهاجرين ينبغي أن تكون من أولى أولويات عمل المراكز الإسلامية في بلاد الغرب، لتكون هذه الدراسات - بإذن الله - الأساس الذي تنطلق منه البرامج الدعوية والتربوية.

ولعل من أبرز الظواهر الاجتماعية السائدة في كثير من أبناء الجالية الإسلامية ضعف التميُّز الإسلامي أو انعدامه فكراً وسلوكاً؛ فأثر البيئة الغربية يظهر بجلاء عليهم، وخاصة الأجيال الجديدة التي وُلدت ونشأت وتعلمت في الوسط الغربي. وهذه الظاهرة نتيجة حتمية لا تحتاج إلى استقصاء أو بحث وإثبات[1]. ولكن الأمر الذي يستحق التأمل والنظر هو حال الإسلاميين خصوصاً؛ فكثير منهم لم يَسْلَم من أثر البيئة السلبي، ولعلِّي أكتفي هنا بمثل واحد، وهو ضعف التمسك بكثير من الأحكام الشرعية، والتفريط بأحكام الهدي الإسلامي الظاهر، وخاصة في شؤون المرأة. ولست أعني هنا الإشارة إلى الخلاف المشهور بين الفقهاء في كون الوجه والكفين عورة أو ليسا بعورة، بل الأمر أبعد غوراً من هذا؛ حيث أصبح الحجاب عند بعضهم - مع الأسف الشديد - معنى لا حقيقة وراءه؛ فهو لون من ألوان التجديد والتمدن، ولم يبق منه إلا منديل رقيق يغطي بعض شعر الرأس، مع لبس البنطال الضيق، والظهور بألوان الزينة والعطور. أما قضايا الاختلاط ومصافحة الأجانب، بل والمشاركة الرياضية، فحدث عنها ولا حرج.

وإن تحدث في ذلك متحدث اتُّهم سريعاً بالتنطع والتكلف والتشديد، ورُمي بالجهل بالواقع الغربي والظروف الاجتماعية التي يعيشها الناس، وأنه ينظر إلى أمريكا وأوروبا بمنظار الأعرابي الساذَج الذي لا يعقل ولا يبصر..!! وقد سمعت أحد المفكرين المستنيرين يهزُّ يديه أمام جمع من

(١) أجرت الكاتبة الأمريكية (إيفون حداد) دراسة إحصائية عن الأجيال المسلمة المقيمة في أمريكا ومدى قبولها أو رفضها لفكرة العلاقة بين الرجل والمرأة قبل الزواج، فوجدت أن الجيل الأول من المهاجرين يرفض بشدة هذه العلاقة، أما الجيل الثاني من المسلمين الذين ولدوا في أمريكا فقد ظهر أنه أقل رفضاً للفكرة بدرجة كبيرة، أما الجيل الثالث من المسلمين فقد رأى ١٣٪ منهم فقط أن هذه الفكرة غير شرعية! ثم استنتجت الباحثة: أن ثلاثة أجيال تكفي لذوبان المسلم في البيئة الغربية. (انظر: مجلة الصُراط المستقيم، عدد (٦٨) ١٤١٨هـ).

الإسلاميين، ويأمرهم بالرقي الفكري والتجاوب الفاعل مع المعطيات الحضارية المعاصرة، ويحذرهم من الجمود والوقوع في رواسب التخلف والظلامية.. قال كل ذلك لمَّا سمع أحدهم يتلو حديث النبي ﷺ: «إني لا أصافح النساء»(١)!

والعجيب أنك تجد من بعض المنتسبين إلى الفتوى من المفكرين والدعاة من يسوِّغ هذا التمييع ببعض الأدلة المتكلَّفة. وأذكر أن أحد الأشياخ المحاضرين في أحد المؤتمرات الإسلامية في أمريكا بدأ محاضرته بهجوم صارخ على إدارة المؤتمر التي فصلت الرجال عن النساء، وينعي هذا التخلف الفكري والعقلية البدائية التي لا زالت تسيطر علينا حتى ونحن في أمريكا (!!)، وفي نهاية المحاضرة قام مدير المؤتمر معلقاً، وكنا نظنه سوف يدافع عن موقفه، وإذا به يعترف بالخطأ ويعتذر للإخوة والأخوات، ويذكر أن سبب الفصل سبب فني وليس سبباً فكرياً، ووعد بإصلاح الوضع في اليوم التالي، ثم وفَّى بما وعد..!!

إن اندماج المسلمين في البيئة الغربية أدى إلى ذوبان مذهل في الشخصية الإسلامية، وميوعة شديدة في تلقي الأحكام الشرعية، وميل ظاهر إلى البحث عن الرخص بدون فقه ولا بصيرة، ويصدق في وصف كثير منهم قول الله - تعالى -: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١]. والطريف في الأمر أن المسلمين حديثاً من الغربيين الأصليين ربما يكون بعضهم أكثر جراة وصدقاً في الالتزام بالأحكام الشرعية والاعتزاز بها وعدم التحرج من إظهارها أمام الملأ..!

وأذكر أنني زرت في الولايات المتحدة الأمريكية منطقة تنتشر فيها طائفة من طوائف النصارى البروتستانت تسمى بـ (الآمش) يرون أن من أسباب البلاء الذي تعيشه الإنسانية تلك الحضارة المادية التي سيطرت على الإنسان الغربي، وجرته إلى مستنقع الرذيلة والانحطاط، ولهذا انعزلوا عن المجتمع وتركوا كل ألوان الحضارة، وامتنعوا عن استخدام كافة المخترعات التقنية الحديثة، وأسسوا مجتمعهم الخاص بهم بما في ذلك مدارسهم التي ترعاها الكنيسة، وراحوا يشتغلون بالزراعة وتربية المواشي بوسائلهم البدائية المتاحة وامتنعوا عن شرب الخمور والزنا..! والعجيب أن نساءهم لا زلن يلبسن اللباس الطويل الساتر، ويضعن منديلاً على الرأس، ولا يختلطن بالرجال. وعلى الرغم من ازدراء بعض إخوانهم الأمريكان لهم إلا أنهم فخورون بمبادئهم، ومعتزون بمسلكهم..!!

ولست ها هنا في صدد تحليل ظاهرة (الآمش) هذه، ولكنني أشير هنا إلى أن هؤلاء القوم على الرغم من أنهم رأوا أن بلادهم وصلت إلى قمة التقدم المادي المعاصر إلا أنهم انعزلوا عنهم، وراحوا يمارسون معتقداتهم الفكرية والسلوكية بكل اعتزاز. أفلا نقوى - نحن المسلمين الذين نعتقد يقيناً بحمد الله تعالى أننا نملك الدين الحق - أن نعتز بديننا، ونتمسك بشرائعنا، ونعض عليها بالنواجذ، ونشمخ برؤوسنا أنَفَةً وافتخاراً بعقيدتنا وآدابنا السامية..؟!

إن التكليف بالأحكام الشرعية باب من أبواب الابتلاء الذي يمتحن فيه دين الإنسان، قال الله - تعالى -: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]. وهذا الدين جدّ ليس بالهزل، وإن من أسوأ ما نجنيه على أنفسنا أن نتخذ شرائع الإسلام ألعوبة نلهو بها، ونأخذ منها بمقتضى أهوائنا، أو أن نجعل الواقع الفكري أو الاجتماعي المنحرف يضغط علينا، ويملي علينا ما يشاء، وها هي ذي دلالات القرآن العظيم واضحة بيِّنة لا تردد فيها ولا خفاء، قال الله - تعالى -: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]. والهزيمة في الهدي الظاهر آية عظيمة على الهزيمة القلبية؛ ولهذا شدّد النبي ﷺ في التحذير من ذلك، وقال: «من تشبه بقوم فهو منهم»(٢).

(١) رواه النسائي، ح/ ٤١١٠.

(٢) رواه أبو داود في اللباس، ح/ ٣٥١٢.

العمل الإسلامي
بين ضرورة المراجعة وخطورة التراجع

عبد العزيز كامل

بينما تستقبل الدعوة الإسلامية عقدها الثالث من القرن الخامس عشر للهجرة النبوية الشريفة؛ تتزامن بشكل لافت في بلدان مختلفة موجة مشتركة من الدعوات إلى إجراء مراجعات شاملة لمناهج العمل الإسلامي وإداراته وممارسته بأطيافه المتنوعة.

والدعوة الإسلامية إذ تعبُر إلى هذا العقد مثخنة بجراح كثيرة؛ لا يخلو صدرها ـ مع ذلك ـ من العديد من أوسمة النور التي حازتها عبر بضعة عقود ماضية، منذ بدأ الانبعاث المبارك لصحوتها التي انتعشت في بدايات القرن الهجري الحالي، تصديقاً للسنة الإلهية التي أخبر عنها رسول الله ﷺ في قوله: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها»[1] ويجيء هذا الإقبال على (المراجعات) في ظروف تكاد تتشابه فيما يتعلق بالعمل الإسلامي في العالمَيْن العربي والإسلامي؛ إذ إن العقديْن الماضيين ـ على وجه التحديد ـ شهدا ممارسات وتجارب كاملة أو شبه كاملة لتيارات إسلامية انتقلت خلالها من التنظير الفكري إلى الممارسة الواقعية. فمنها من صدمتها التجارب، ومنها من عركتها مرارة المحن، ومنها من أنضجتها حرارة الاحتكاك بالواقع، ومنها كذلك مَنْ أقعدتها الإحباطات والإخفاقات، وذلك على المستويين: الفردي، والجماعي، وكانت الثمرات المقتطفة من ذلك كله

---

(١) رواه أبو داود في الملاحم، ح/ ٤٢٩١، والبيهقي في معرفة الآثار والسنن، ١/ ١٣٧، وأخرجه الحاكم في المستدرك، ٤/ ٥٢٢، وابن عدي في الكامل (المقدمة/ ١٨١)، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة، ٢/ ١٥٠)، ح/ ٥٩٩.



تجمعها سلة واحدة أمام الناظرين، لا يكاد بادي الرأي يفرق بين اليانعة منها والمعطوبة، ولا نشك في أن مجموع تلك الثمرات إنما جاء نتاجاً لتفاعلات التجديد المختلفة في اتجاهاتها ومجالاتها، والمتنوعة في سلبياتها وإيجابياتها، فمن شأن التجديد دائماً أن يستخرج الزُّبْد ويلقي بالزَّبَد.

وبرغم أن المرحلة الحالية تكاد (المراجعات) تكون عنوانها الرئيس، إلا أن لتلك المرحلة سمات أخرى تفصيلية من أهمها: أنها مرحلة توقف متردد عند مفترق طرق محيِّر، يعود بالدعوة لدى بعض الفصائل إلى الوراء نحو خمسة عقود عندما كان شعار المرحلة وقتها: (من أين نبدأ؟) والمرحلة أيضاً يميزها حماس فاتر بعد نشاط متوقد استمر طوال العقد الثاني من القرن الرابع عشر، ويتخلل تلك المرحلة هبوط ملحوظ في أسهم كثير من الرموز الدعوية التي كان لها رنين وطنين، بعد سلسلة متصلة من معارك هدم الرموز، ومباريات تصفية الآخرين معنوياً، كما أن كثيراً من الشعارات البراقة والمفرطة في الطموح، قد خبا ضوؤها إلى حدٍ ملموس.

ولكن هذا كله لا ينفي أن هناك قفزات نوعية للدعوة الإسلامية قد أنجزت بالفعل، وهناك منها ما ينتظر الإنجاز. ومع ذلك، فالشعور الثابت لدى غالبية المهتمين؛ أن إمكانات المسلمين في نصرة الدين لم يُستغل منها إلا القليل، ولهذا يصح القول بأن إنجازات الصحوة تبدو كبيرة عملاقة باعتبار، وتبدو صغيرة متواضعة باعتبار آخر، فهي عملاقة باعتبار التحديات التي تواجهها والعقبات التي توضع في سبيلها والظروف الاستثنائية التي تعمل فيها، وهي متواضعة باعتبار إمكانات المسلمين الجبارة التي حباهم الله إياها مادياً ومعنوياً، فلم يوظفوا منها لخدمة الدين إلا القليل.

إن هناك اضطراباً تتسم به المرحلة، وإذا رحنا نبحث عن الأسباب التي أدت إلى وصول الدعوة لتلك المرحلة المتشابهة المعالم في أكثر بقاع العالم الإسلامي، فإننا نعثر على أبرزها بين ثنايا خارطة دعوية شديدة التداخل والتعقيد، فمن تلك الأسباب:

١ - استطالة بعض فصائل العمل الإسلامي لمرحلة الاستعداد لإقامة الكيان الإسلامي المكَّن له في الأرض؛ حيث تواصلت عقود قامت خلالها دول وكتل عالمية وسقط بعضها، دون أن يقوم للإسلام في المقابل كيان أو كتلة قوية تمهد لإعادة الخلافة الضائعة.

٢ - تكرار الإحباطات في أمكنة كثيرة على صعيد محاولات الوصول إلى إقامة كيانات إسلامية خالصة عبر وسائل متنوعة سلمية



ـ كما في التجارب البرلمانية ـ أو غير سلمية ـ كما في التجارب الجهادية ـ مع تطوير الأنظمة العلمانية الدائم لطرق مواجهتها لأي نهضة إسلامية متوقعة.

٣ - تضاعف حدة الصراع بين الحركات والدعوات الإسلامية ومناوئيها بعد أن انضمت إلى هذا الصراع بشكل سافرٍ قوىً دولية كانت تتخفى بالأمس وراء الأنظمة العلمانية، ثم هي اليوم تنبذ إلى المسلمين على سواء، وتسعى إلى (عولمة الصراع) مع الإسلام في كل البقاع.

٤ - انضمام شريحة من الإسلاميين إلى خندق المواجهة المعادي، بقصد أو بغير قصد، وتحت تأويلات أو تَعِلاَّت تصب في النهاية في قناة تمد المعسكر المناوئ بأسباب القوة والبقاء، وتخلط الأوراق الدعوية والتربوية في قضايا الولاء والبراء، والحكم والتحاكم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها.

٥ - اتساع الخرق على الراقع بشأن الخلافات العلنية والسرية بين زعامات فكرية وأخرى حركية، مما أوقع كثيراً من الأتباع في حيرة لم يجدوا منها مخرجاً إلا بالخروج من دائرة الهم الإسلامي العام.

٦ - استمرار غياب الدور القيادي للعلماء العاملين في أكثر بقاع العالم الإسلامي، وانسحابهم من الميدان لصالح زعامات من علماء غير عاملين أو عاملين غير علماء، مما أوقع العمل الإسلامي في دوامات (التجربة والخطأ) المتكررة التي تستهدف اكتشاف الأخطاء بشكل عملي بدلاً من تجنبها ابتداءاً بتأصيل علمي.

٧ - استشعار بعض القيادات أنها بذلت ما في وسعها، بل أكثر مما في وسعها دون الوصول إلى نتائج مرضية، ولسان حال أحدهم يقول: (آن للمقاتل أن يستريح) وهو شعور مخدِّر، أوصل إلى حالة من الاسترخاء ظهرت آثاره في انصراف قطاع عريض من شباب الأمس المتحمس إلى التشاغل بالأمور المعيشية التي قد لا تمتُّ لأعمال الدعوة بصلة، وهذه الظاهرة تؤدي بصورة متكررة إلى تصدع في بنيان العلاقات والصلات التي لا بد منها لاستمرار أي عمل ناجح متواصل.

٨ - التهام نار المواجهة في بعض البلدان للعناصر المتميزة أولاً بأول، بالقتل أو السجن أو التوقيف أو التجميد أو الاحتواء، مع قلة توافر الظروف التي يمكن في ظلها تعويض العنصر الفاقد أو ملء المكان الشاغر.

٩ - اكتشاف كثير من العاملين للإسلام أنهم كانوا يقعون بشكل منتظم ضحية العمل الارتجالي الذي لا يدري إلى أين وصل، كما لم يكن يعلم من قبل من أين بدأ، وافتقاد بعض آخر لتوازنهم الفكري نتيجة صدمات واقعية

أفاقوا منها بعدما اكتشفوا أنهم كانوا يكمّلون النقص الخطير في معالم لوحة الصراع من مخيلاتهم ويملؤون فراغاتها بظنونهم.

١٠ - وصول الكثيرين إلى قناعة ببُعد البَوْن بين الآمال والأعمال، أو بين الواقع والخيال، أو بين الإمكانات والطموحات، أو بين الحقائق والمثاليات، وبدلاً من إعادة النظر في محاولة تقريب هذا البون، كان اللجوء إلى الهروب هو الحل الأسهل والأمثل لدى بعض من تعتمد الجماهير على توجيهاتهم وتنتظر تنظيراتهم.

ومع أهمية الاعتراف بوجود تلك الأسباب التي مرَّ ذكرها وغيرها؛ فإن المراجعات ووقفات التأمل من الأمور البالغة في أهميتها حد الضرورة؛ فهي واجبة على فصائل العمل الإسلامي قبل أن تكون حقاً لها في ظل المتغيرات المتلاحقة التي تتتابع على ساحة الدعوة الإسلامية، ولا أظن أن أحداً من المهتمين بأمر المسلمين يشك في أهمية المراجعة في هذه المرحلة، ولو من باب تقويم ما مضى من مراحل النشاط الإسلامي في أشكاله كافة، وإذا كان ذلك كذلك، فإن التشارك في التشاور من أجل هذا تحتمه الفريضة الإسلامية المحكمة في النصح لله ورسوله وللمؤمنين خاصتهم وعامتهم؛ فالمراجعة أو المحاسبة أصل إسلامي أصيل؛ وخاصة إذا سارت الرياح بما لا تشتهي السفن.

وهذا الأصل مستمد من قوله - تعالى - لأصحاب رسول الله ﷺ بعد أن دهمتهم نازلة أحد: ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، وقوله - تعالى -: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

وفي سياق التنقل بين محطات المحاسبات والمراجعات، هذه وقفات تأملية نأمل منها أن تفتح آفاقاً لحوار أوسع وأعمق:

أولاً: بين المراجعة والتراجع خيط رفيع، ومع ذلك فهو لا يُرى إلا عن بُعد، وهو أشبه بالمعْلَم الملموس عند مفترق الطرق، من لم ينتبه إليه التبست عليه السُّبل، وربما رجع القهقرى، وهو ينشد الشد في المسير.

ثانياً: مثلما تتحول المراجعات - في بعض الأحيان - إلى تراجعات، فإن التراجعات قد تتطور إلى انتكاسات، والانتكاسات المنهجية منها أخطر من الانتكاسات الحركية؛ فالحركات تضعف وتقوى، وتقع وتقوم، أما المناهج فقلما تنهض بعد سقوطها على مستوى الفرد والمجموع.

ثالثاً: محطات الإقبال على المراجعة قد تكون في لحظات ضعف منسحب - وهذا على الغالب - أو لحظات اندفاع غير محسوب، وفي كلا الحالتين فإن المراجعة وقتذاك قد تقع تحت وطأة

ظروف نفسية غير مستقرة، أو نظرات شخصية عجْلى، تختصر التأمل وتبتسر النتائج. واستصحاب هذا الملحظ مفيد عند أي مراجعة حتى لا تخضع لمؤثرات خارجية ضاغطة.

رابعاً: لا يحدث الإقبال على التراجع - في الغالب - إلا تحت مسمى المراجعة، ثم تنتحل تلك التراجعات أسماء براقة، وشعارات خدّاعة، تتسربل بالحكمة طوراً وتتلفع بالواقعية تارة، وترتدي أثواب زور من العلم والتعقل والأناة مرات أخرى.

خامساً: كثيراً ما يحدث التورط في مستنقعات التراجع، بدفع من أوهام تضخم (التجربة) ومبالغات تفرد (الرمزية) التي تخلع ألقاباً وأوصافاً على أشخاص قد يكونون بالفعل رموزاً أو أصحاب تجارب، ولكن التفويض المطلق لبعض (الرموز) وأصحاب التجارب في المراجعات هو الذي يفتح الأبوب وسيعة أمام التراجعات التي تتسلل سَلِسةً على ألْسنة مَنْ لا يفكر أحد في مناقشتهم أو مراجعتهم.

سادساً: التواصل بين الأجيال عامل مهم في إكساب عمليات المراجعة شيئاً من العصمة النسبية، وكما أن رصيد سابقة الابتلاء أو التجربة لا يكفي لإفراز مراجعات ناجحة في كل الأحوال، كذلك فإن الأجيال الجديدة بدمائها الجديدة لا يصلح لها أن تستغني بجدتها وفتوتها عن خلاصات (تجربة العمر) لمن سبقوهم على الطريق فعرفوا منحنياته الخطرة، وخبروا معالمه ومراحله.

سابعاً: من أخطر مزالق المراجعة، الانشغال باجترار مرارات الماضي، أو التلمظ بحلاواته، وأخطر من ذلك الاحتراب في ميدانٍ مّا قد كان، حيث ينشغل بعضٌ بتقاذف التهم في تلاوم ضار غير نافع. وعندها يكون حرص قوم على نفي الآخرين وتصفيتهم معنوياً هو بوابة الولوج والخروج في أي حوار يستهدف المراجعة، ولهذا لا يرجعون من ذلك بشيء.

ثامناً: عندما تحل المناطحة محل المناصحة، والجدال بالتي هي أخشن بدلاً من التي هي أحسن، فإن نزغات الشيطان وتحريشاته تتسوَّد الموقف، وتتصيد الفرص للإيقاع في انتكاسات التراجع التي لا يفرح الشيطان بشيء فرحه بها في صفوف المؤمنين، وإذا كانت الحزبية صفة قبيحة مقيتة، فالعنصرية أقبح وأشد مقتاً، ولهذا لا ينبغي أن يكون لهما موضع شبر على بساط النقاش والتقويم.

تاسعاً: جل المراجعات تنصب على أمور عملية تطبيقية مع أن الأصل هو الأمور المنهجية التي لو سلمت لسلمت الأعمال والتطبيقات، والتركيز على اتهام التطبيق العملي لا ينبغي أن يدفع التهمة عن التنظير المنهجي، بل الأصل أن

يُبدأ بمقدمات الشيء لا بنتائجه.

عاشراً: هناك من المناهج ما تم وضعه في عجلة قبل استكمال شروطه من النضج العلمي والفهم الواقعي، ومن الجناية على الدين أن تعاد مراجعته بالنَفَس المتعجل نفسه.

حادي عشر: هناك أشكال من التأصيل المنهجي أشبه بالتفكير بصوتٍ عالٍ، ومع هذا تلتقط هذه السوانح الفكرية العابرة، وتقتطف فجة غير ناضجة، ويحاول بعض الناس أن يصنع منها (بخة) سائغة، لمجرد أنها فكرة فلان أو سانحة علان، وبعضها يطلق كأنه شعارات، مع أن التأصيلات لم تكن يوماً بالشعارات.

ثاني عشر: قد تكون المراجعات (محطة) يتوقف عندها القطار توقفاً نهائياً على مستوى أفراد أو مجموعات، قد يكون بعضهم مهيأً نفسياً ليحط رحاله في أقرب المنازل تعللاً بالنوازل، وفي هذه الحالة لا تكون تلك المحطة إلا خطة، أعد لها الشيطان بمكر وحيلة تورَّطوا فيها في لحظات ضعف وغفلة.

ثالث عشر: ومن المناهج ما أملتها ظروف نشأتها الزمانية أو المكانية؛ فلا ينبغي تجاهل ذلك عند التقويم، بحيث تقوَّم سلع الماضي في سوق الحاضر أو المستقبل، وكذلك لا يصلح تقويم كل تجارب العالم بالمقاييس المحلية لبلدٍ مَّا، فالمعايير المحلية لا تصلح للتعميم في التطبيق فضلاً عن التقويم.

رابع عشر: هذه الظروف الزمانية والمكانية المختلفة لا يصح معها استعارة المناهج (في غير الثوابت) لتطبيقها في غير زمانها أو في غير مكانها، فتلك مزلة أقدام قد لا ينتبه إليها كثير من الناس، وقد لا يكون العيب في جزئية معينة في المنهج، بقدر ما يكون في ملاءمة الزمان أو المكان له.

خامس عشر: من المعلوم أن الأمور القدرية لا تحكم على الأمور الشرعية؛ فعدم التحقق قدراً لا يستلزم عدم الصحة شرعاً؛ فلا يصلح أن يقال: كل التجارب البرلمانية لم تنجح فهي غير شرعية، أو كل الحركات العسكرية قد أخفقت فهي لذلك غير شرعية. ومن الأخطاء المنهجية في تقويم المناهج ومراجعتها: التعميم والإطلاق، كأن يتخذ من رأوا الإخفاق في أعمال جهادية معينة - مثلاً - موقفاً رافضاً لأي عمل جهادي، حتى يتحول ذلك إلى شعار، خاصة عندما يطلق على الجهاد لفظ (العنف) لتسهيل نبذه على النفس الضعيفة أو المترددة، وبشكل يُراد له أن يُعمم على كل الساحات التي قد تكون ظروف بعضها مختلفة ومستوجبة لمثل هذا الجهاد. والعكس أيضاً قد يحدث، عندما تنجح تجربة جهادية ما، فيطلب من المسلمين في كل ساحات العمل الإسلامي أن ينقلوها



بحذافيرها إلى مواقعهم، وقس على ذلك في قضايا سرية العمل أو علانيته، وسلمية المواجهة أو عسكرتها، والموقف من الحكومات والأنظمة، وطريقة التعامل مع الشعوب، وأساليب التعاطي مع القوى الكبرى ونحو ذلك.

سادس عشر: للتأصيل العلمي أهميته وخطورته في وضع المناهج الدعوية أو تقويمها أو مراجعتها، وكذلك الفهم الواقعي للقضايا الكبرى. وهناك جفاء قد طال من بعض فصائل العمل الإسلامي لأحد الأمرين أو كلاهما، وذلك ناتج عن موقف غير متوازن من العلماء، فبينما تُقطع الأواصر والوشائج مع العلماء في بعض الأماكن بما يحرم الدعوة من خير ما عندهم، فإن هناك أماكن أخرى تبالغ في ربط الدعوة الإسلامية كلها بفرد أو ببضعة أفراد من العلماء، بحيث تُرهن قضايا الأمة كلها بكلمات منهم، قد لا تأخذ حقها من النظر والتدقيق، أو قد تكون خارج نطاق تخصصهم أصلاً.

سابع عشر: عندما تقتصر عمليات المراجعة على رموز التجربة نفسها، فإن ذلك يعرض المناهج والتطبيقات لتكرار الأخطاء؛ لأن عين الإلف والعادة ربما تعشي عن المعايب والخروق، وهذا يمكن تلافيه بإخضاع المراجعات لمتفحصين جدد، وذلك أحرى بتخليص الدعوات من حظوظ النفس ونزوعها الدائم نحو الدفاع وتحسين الصورة تشبثاً بنظرية: «ليس في الإمكان أحسن مما كان».

ثامن عشر: الظروف النفسية المتقلبة عامل خطير في اتخاذ المواقف العملية، وربما العلمية؛ فكم من طروحات ومواقف اكتست أردية دعوية، وهي في حقيقتها ردود فعل نفسية ربما نشأت عن مواقف شخصية، لمحبة مفرطة أو بغض غير متوازن، وهذا أمر ليس من السهولة منعه، ولكن ليس من الصعوبة رصده والحذر منه.

تاسع عشر: التراجع ليس قريناً للمراجعة في كل الحالات، فقد تكون المراجعة ـ أو هكذا يجب أن تكون ـ نقطة انطلاق نحو تجديد جديد، ينفي الخَبَث وينقِّي المعادن، وللنية الصالحة في ذلك دور كبير ﴿إن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٠].

وأخيراً نقول: المناهج أبنية، تتفاوت في سلامة قواعدها، وصلابة أعمدتها ورحابة مرافقها، وهي تحتاج بشكل دائم إلى صيانة وتجديد، وإلى إشراف وتقويم. وتقويم الأبنية الدعوية وترميمها وإصلاحها أَوْلَى من التوالي في هدمها بعد بنائها، فتلك طريقة مَرْضيَّة غير مَرْضية، يولع بها بعض المعجبين بعادة (خرقاء مكة)(١) التي أنزل الله ـ تعالى ـ في أمثالها قوله

(١) هي امرأة كانت معروفة بمكة تقوم بغزل الخيوط في نسيج محكم ثم تنقضه، ثم تنسجه ثم تنقضه؛ انظر تفسير الطبري، ج ١٤، ص ١١٠.

ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾ [النحل: ٩٢]. فهذا الإنكاث هو أخطر مظاهر الانتكاس والارتكاس.

وحتى لا يكون الكلام ملقىً على عواهنه، أذكر بعضاً من مظاهر الانتكاس الدعوي الذي تتعرض له بعض القضايا والمفاهيم والثوابت بشكل متدرج، تحت مسمى: المراجعات، وسأكتفي الآن بالإشارة إليها اختصاراً، حتى تتيسر الفرصة ـ بإذن الله ـ للتعرض لها أو لبعضها تفصيلاً، فمن ذلك:

- الاضطراب الجديد في المواقف من النظم العلمانية ورموزها وأحزابها وطروحاتها الفكرية وأساليبها العملية.

- التغير المتردد في المواقف من الفرق المبتدعة ومفاصلتها ورفضها وطرق التعامل معها.

- التحول المتسلل إلى مفهوم الجهاد، ومحاولات تفريغه من مضمونه الشرعي إلى مضامين أخرى قد تصلح لغيره ولا تصلح له.

- التخلي المتزايد عن التعاطف العملي مع قضايا المستضعفين والأقليات بدعوى السآمة من إضاعة الجهود فيها.

- التمييع الطارئ في التعامل مع كثير من المسائل الكبرى التي كانت تمثل أهدافاً استراتيجية لدى الكثيرين حتى وقت قريب، مثل: السعي إلى الوحدة الإسلامية، أو توحيد فصائل أهل السنة، أو السعي لإقامة كيان حقيقي لهم تمهيداً لإقامة أو إعادة دولة الخلافة.

- التراجع المستمر أمام هجمة الإعلام الشرسة ضد الإسلاميين، إلى حد تحرج بعض من الانتساب لمنظومة العمل الإسلامي، أو الخجل من استعمال المصطلحات الشرعية التي تزعج أعداء الدين مثل: الموالاة والمعاداة، والإيمان والكفر، والمعروف والمنكر، والتحاكم لله، والجهاد في سبيل الله، ونحو ذلك.

- وأخيراً: تعريض قضايا حساسة جداً في العمل الإسلامي لفوضى التصريحات والشعارات والطروحات غير الناضجة، وإعادتها إلى نقطة البدء، بعد أن كانت قد استقرت إلى وضع مقبول بين غالبية الفصائل العاملة للإسلام، مثل قضايا الحكم والتحاكم، والموقف من العلمانية، ومسألة العمل الجماعي ومشروعيته، ووسائل الدعوة وأساليبها، ومسائل الهدي الظاهر وضوابطها، والموقف من وسائل الإعلام المعادية للدين، والموقف من علماء السلطة ورموز ما يسمى بـ (التنوير) ونحو ذلك من المسائل والقضايا.

ولعل الله ـ تعالى ـ ييسر على صفحات (البيان) الغراء، تجاذب الحديث حول هذه القضايا، قضايا المراجعات، في مطارحة لا تخلو من المصارحة....

والله من وراء القصد.



رؤية في مسيرة العمل الإسلامي

خالد أبو الفتوح

abulfutoh@hotmail.com

بعد أكثر من سبعين عاماً من عمر الحركة الإسلامية المعاصرة حققت فيها الحركة إنجازات وإخفاقات لا يستهان بها.. لا تزال التساؤلات مطروحة والرؤى متعددة حول مسيرة العمل الإسلامي، منها: منهجية التغيير التي ينبغي سلوكها، ويدخل تحت ذلك: جدلية العلاقة بين القيادة والقاعدة، وإطار العمل الأكثر حيوية وإفادة، وكذا: دور الفرد العادي والوعي الشامل في هذه المسيرة.

فالناظر في واقع الأمة الإسلامية وكذلك في واقع الصحوة يرى معالم واقعية تعطي النقاط السابق ذكرها أهمية متنامية.

فالمتربصون بالأمة وبالصحوة كثيرون، والصراع بين الأطراف معقد، والمصالح متشابكة إن لم تكن متعارضة.. كما أن عدم الوعي الذي قد يؤدي إلى الانحراف بمسار كثير من التوجهات التي قامت عليها الدعوات الإصلاحية ودعا إليها روادها الأوائل، أو استخدام بعض هذه الحركات من غير وعي منها في ضرب الدعوة عامة لخدمة أهداف الأعداء في المدى البعيد ثم الانقضاض على هذه الحركات المستخدمة بعد ذلك، أو الإصرار على المضي في مسار خاطئ رغم ظهور خطئه بسبب صعوبة القبول بمظهر التراجع على القائد أو ضغط الأتباع للمضي في هذا المسار، أو شيوع السلبية انتظاراً للمنقذ المخلِّص الذي سيقلب المعادلات الاجتماعية والسياسية، أو سرقة جهود الإسلاميين وقطف غيرهم ثمار جهودهم... إلى غير ذلك من مظاهر ملموسة في تاريخ الأمة والصحوة وواقعهما.. كل ذلك شائع متكرر، ولك أن تنظر في بدايات ومآلات نماذج، كثورة الجزائر، والمقاومة الفلسطينية للاحتلال الصهيوني، وكذلك الجهاد الأفغاني، وتطور الأحداث في الجزائر قبل الانتخابات الشهيرة وبعدها، وحركة التحرير الفلبينية(1)... لتتأكد أن القائمة طويلة ومفتوحة لتكرار هذه الحالات المؤسفة.

فلماذا ينجح الأعداء في تملك زمام المبادرة وتحويل المسار حيث مصالحهم، بينما يخفق أصحاب التوجه الصحيح في الحفاظ على مكاسبهم والتنبه لانحراف المسار أو لسرقة الآخرين لجهودهم؟

إذا اعتبرنا النماذج المذكورة سابقاً خلفية لهذا التساؤل فإن الإجابة عليه تدعونا إلى مناقشة شأن مهم في تاريخ الأمة ومسيرة الصحوة، أعني بذلك: جدلية العلاقة بين القيادة والقاعدة، ومكانة تأثير كل منهما في الآخر، وأهمية ذلك التأثير، وأيضاً: أهمية

---

(1) هناك نماذج أخرى لم تكن إسلامية خالصة، ولكن تحولت مساراتها أيضاً نحو تفريغ أهدافها واستغلال عدم وعي الأتباع: كالثورة العربية الكبرى، وثورة سنة 1919م بمصر، والثورة الإريترية...

تنمية وعي الأمة وتفعيل إرادتها(١).

جدلية العلاقة بين القيادة والقاعدة:

أما الأمر الأول، وهو: جدلية العلاقة بين القيادة والقاعدة، فكثير من فصائل الحركة الإسلامية شخّص الأزمة التي تمر بها الأمة على أنها أزمة في القيادة، سواء في توجهاتها أو في قدراتها أو في شرعيتها، ومن ثم: توجهت جهود الإصلاح - حسب هذه الفصائل - إلى التأثير في هذه القيادة، سواء في إرشادها، أو في إنمائها، أو في قلبها واستبدالها، كما توجهت بعض هذه الجهود نحو إيجاد كيان جماعي بديل يخرج من تحت ظل القادة والمقودين، في الوقت الذي ركزت أدبيات بعض فصائل الحركة الإسلامية على الدور المحوري لـ (القائد) وضرورة العمل من خلال إطار تنظيمي عضوي، في مقابل تهميش دور الفرد في التغيير والإصلاح... وعليه: فقد قامت تصورات متباينة عن آلية حركة التغيير، ثم تشتت جهود السعي إلى التغيير مناحيَ شتى حسب تصور كل حركة عن مكمن الداء.

مجال النقاش:

وبدايةً فإن أحداً لا يستطيع إنكار أهمية وجود القيادة والعمل الجماعي، ولكن ما درجة هذه الأهمية؟ وهل يتوقف العمل المثمر على ذلك العامل؟ وهل مجرد وجود هذه القيادة الواعية المخلصة والعمل التنظيمي العضوي يذلل الصعاب، ويحل المشكلات تلقائياً؟ وما القيادة والعمل الجماعي المقصودان؟ وما مدى الأضرار التي قد تسببها قيادة غير واعية أو غير مخلصة؟ وإذا غابت القيادة الموجِّهة والإطار الجماعي التنظيمي، أو لم يتفق عليها، ألا من سبيل للتغيير؟

مرة أخرى نحرر محل النقاش، وهو أننا لا نناقش أهمية القيادة والعمل الجماعي؛ فهذا أمر مفروغ منه، جاء الإسلام بالحث عليه نصاً وإشارة، ولكن الذي نناقشه هو: إذا كان من هذه الإشارات الترغيب في أداء الصلاة جماعة، فهل أوقف الإسلام أداءها على هذه الصورة بحيث لو لم تتحقق لسقط العمل بها؟ وهل ندب إلى الجماعة في أركان الإسلام الأخرى إذا لم تحدث اتفاقاً، أم تركها لتمارس بوصفها عملاً فردياً؟

نطرح هذه التساؤلات بشكل آخر: **هل تعيش مجتمعاتنا أزمة قائد أم محنة أمة؟**

قائد عظيم، ولا إقلاع:

- نجيب على هذا التساؤل: أولاً، بإيراد نماذج لقادة لا يُختلَف على عظمتهم، ولكن متبوعيهم لم يكونوا على المستوى المطلوب من التجرد والوعي والإرادة، فلم يستطع هؤلاء القادة الإقلاع بهم نحو الهدف المنشود:

● فموسى - عليه السلام - كان رسولاً نبياً، بل من أولي العزم من الرسل، وكان كليم الله، وقد شد الله أزره بأخيه هارون - عليه السلام - واستطاعا بتوفيق الله أن يواجها الطاغية فرعون وينقذا بني إسرائيل من القهر والذل الذي كانوا يعيشونه، ولكن الخروج بهم من مصر لم يتبعه خروج إلى حمل الرسالة المنوطة بهم من تقديس الله - عز وجل - وبسط سلطانه في الأرض المباركة ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥]، فلننظر إلى مواقفهم بعد خروجهم من مصر ومعاينتهم للآيات البينات:

- ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ [البقرة: ٦١].. ارتباط بالأرض والشهوات.

- ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥].. تطاول وجرأة على الله ورسله، واشتغال بما لم يكلفوا به.

(٢) لن نتطرق في هذا المقال إلى الحديث عن اختيار أصحاب القدرات القيادية وتنميتهم، أو ما يعرف بـ (فن صناعة القائد)، فذلك مجال آخر يستحق إفراده بالكتابة، وعسى أن يكفينا بعض أهل التخصص والخبرة عن الخوض فيه.



ـ ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ﴾ [الأعراف: ١٤٨].. انبهار بالمظاهر، وعبادة غير الله.

ـ ﴿فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨].. دونية وتبعية نفسية للآخرين، واستهانة بأقدس مقوماتهم وهو توحيد الله عز وجل.

ـ وعندما أمروا بالتحرك للتمكين لهذا الدين، وقال لهم موسى ـ عليه السلام ـ: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١]، كان رد فعلهم أن: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].. جبن، وسوء خلق مع الله ورسله.

ولكن بني إسرائيل دخلوا الأرض المقدسة بعد نحو أربعين عاماً تحت قيادة نبي آخر هو يوشع بن نون، فما الذي تغير؟ لم تكن القيادة الجديدة أفضل من موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ ولكن الذي تغير هو خروج جيل جديد أثناء سنوات التيه (أربعين سنة في دروب الصحراء) في بيئة مختلفة عن بيئة القهر والذل والارتباط بالدنيا وعبادة الأوثان التي عايشتها الأجيال الأولى تحت سلطان فرعون[1]؛ فالذين خرجوا من مصر كانوا في الحقيقة أمة معوِّقة وحملاً مثقلاً لقائد عظيم، بينما انطلق من أرض التيه فئة متيقنة بلقاء الله تعرف سنن الله في تدافع الناس، وتطلب منه وحده الصبر والثبات والنصر.. انتصرت هذه الفئة رغم قلتها ومع قائد على درجة أقل من سابقه.

أي: كانت المعوقات التي في بني إسرائيل أكبر أثراً في التغيير من عظم إمكانات قيادة موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ بينما نهض وعي الفئة الجديدة، وإخلاصها لله، وإرادتها الجازمة، بإمكانات يوشع بن نون الأقل في العظمة مقارنة بموسى وهارون عليهما السلام.

● ومن ذلك: حالة النجاشي بعد إسلامه؛ فقد كان محققاً لما يطمح إليه كثير من فصائل الحركة الإسلامية المعاصرة، كان ملكاً يسيِّر دولة وفي يده مقاليد الحكم، ولكنه لم يستطع القيام بدور يتناسب مع حجم سلطاته؛ وذلك لأن قومه لم يكونوا مؤهلين لقبول هذا التغيير.. وقد يقول قائل: إن قومه كانوا نصارى لا يؤمنون بهذا الدين، ولكن هذا ليس محل تأثير في موضوعنا؛ فقوانين النهوض، والإرادة في حمل رسالة، والدفع بالسنن التي يتم بها التغيير.. لا تتبدل بمجرد تغير دين الأفراد، ونحن نبحث في العامل المؤثر في التغيير من خلال جدلية العلاقة بين القائد والأمة، ولكي يتضح هذا العامل أكثر نذكر نموذجاً لا يتطرق إليه احتمال هذا الاعتراض المذكور.

● هذا النموذج هو ما سجله التاريخ الإسلامي في الفتنة التي وقعت بين المسلمين بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ، وأعني بذلك: المواجهة التي حصلت بين أهل العراق بقيادة علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وأهل الشام بقيادة معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ فعلي لم يكن أقل إخلاصاً ولا كفاءةً ولا شجاعة من معاوية، بل كان أفضل منه وأسبق، ولكن الفارق كان في الأتباع؛ فقد شاع في غالب معسكر علي ـ رضي الله عنه ـ روح التفتيت والخروج من الصف والتطاول وعدم الطاعة، فكانت حياته معهم محنة شاقة رغم ظهور رغبتهم في الاستقامة وطلبهم للإصلاح بدعوى الحرص على الدين، ولكن ذلك شكَّل صورة ونموذجاً للوعي الزائف، بينما امتاز معسكر معاوية بالانتظام والسمع والطاعة، فصبت روافد جهودهم في نهر واحد جرى في نهاية الأمر لصالحهم، وهذا ما أشار إليه علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ بقوله ـ مخاطباً أتباعه ـ: «وإني والله لأحسب أن هؤلاء القوم سيظهرون عليكم، وما يظهرون عليكم إلا بعصيانكم

---

١) أشار إلى هذا المعنى أيضاً ابن خلدون في مقدمته، انظر المقدمة، جـ ١، ص ١٥٠، ط. المكتبة التجارية.

إمامكم وطاعتهم إمامهم، وخيانتكم وأمانتهم، وإفسادكم في أرضكم وإصلاحهم...»[1]، وهكذا لم يغن القائد العظيم عن أتباعه غير المؤهلين شيئاً في إحداث التغيير والتمكين[2].

قيادة، ومثالب:

- ونجيب على التساؤل: ثانياً، بإيراد بعض نتائج غياب الوعي في الأمة، وتعلق آمال التغيير على مجرد وجود قائد مخلص فذ، ثم الالتفاف حوله وانتظار توجيهاته، **فمن هذه النتائج:**

● سلبية الأفراد ووقوفهم حائرين مكتوفي الأيدي نتيجة استصغارهم لدورهم والإمكانات التي في طاقتهم؛ وذلك لأنهم ينتظرون توجيهات القائد المنتظر، بينما لا يعملون حتى على الارتقاء بأنفسهم ليكونوا مؤهلين للقيام مع هذا القائد بالدور المطلوب منهم في التغيير.

● وجود أرضية خصبة للمتاجرة بالشعارات التي تحلم (الجماهير) بتحقيقها، ثم إفراغ هذه الشعارات من مضمونها بعد إجهاض الدعوات الأصيلة التي ترفع الشعارات نفسها، وبعدها يمكن السيطرة على الجماهير غير الواعية وتحويلها نحو المضامين المنحرفة المستهدفة.

● تهيئة نفوس الأفراد لقبول قيادة أي فرد يحمل تطلعات الوصول والزعامة ويستطيع ملء الفراغ الموجود، بإشباع تعطش الأفراد للانقياد، وذلك يتحقق بقفز أفراد يملكون موهبة التصدر والظهور وارتداء ثوب الزعامة مع عدم تحقق مقوماتها فيهم، وأحياناً مع عدم إخلاصهم، فيسهل قياد هؤلاء القادة وتوجيههم - وخلفهم أتباعهم غير الواعين - إلى الوجهة التي يريدها الخصوم، أما في حالة كون الأتباع على ما هو مطلوب من وعي وإرادة فإنهم يكشفون مبكراً زيف هذه القيادات ويرفضونها ويضعونها في حجمها الحقيقي.

● إيجاد المناخ الملائم للاستبداد والانفراد بالرأي والتوجيه والقرار، والعمل على مصادرة الآراء الأخرى، وتحجيم أي كفاءات غير إمَّعيَّة تبرز في الساحة، أو قمعها بدعوى المحافظة على وحدة الصف، ومن ثَمَّ: يفقد الجميع إمكانات هذه الكفاءات بدل استيعابها، وذلك فضلاً عن إهمال تكوين صفوف من الكوادر القيادية المؤهلة والبديلة التي تستطيع شغل الفراغ بشكل صحيح عند غياب الصفوف الأولى لأي ظرف من الظروف.

تكوين الأمة وانحراف مسارها:

- ونجيب على هذا التساؤل: ثالثاً، بمدارسة التكوين الطبيعي للأمة صاحبة الرسالة، وعلاقة القائد بذلك التكوين، وذلك من خلال النظر في نشأة الأمة الإسلامية على يد رسول الله ﷺ، ومن ثم: نستطيع رصد الانحراف الطارئ حالياً على هذا التكوين وهذه العلاقة.

فالرسول ﷺ بعد صدعه بالحق في مشركي مكة التف حوله المؤمنون به، فأخذ يحوطهم برعايته وتربيته حتى كونوا نواة صلبة (فئة مؤمنة) لأمة واعية متماسكة، ولما كان المجتمع المكي حينها مستعصياً على التغيير المنشود اتجهت الأنظار إلى يثرب، حيث استطاع رسولُ رسول الله ﷺ مصعب ابن عمير - رضي الله عنه - العمل على تكوين قاعدة قوية تصلح لانطلاق مجتمع (الأمة/ الدولة)

---

(١) البداية والنهاية، لابن كثير، جـ٧، ص ٢٣٨.

(٢) قد يرد على هذه الأمثلة حالات أخرى يتوهم معارضتها لما تدل عليه الأمثلة المذكورة، كما في التغيير الذي حدث بتأثير قادة عظام مثل عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه -، أو صلاح الدين الأيوبي، ولكن عند التأمل نجد أن مثل هذه النماذج تؤيد ما تشير إليه الأمثلة المذكورة عالياً ولا تعارضها، وذلك من حيث عودة الأحوال إلى سابق عهدها - أو أشد - من المظالم والتفلت أو التشرذم والتناحر بمجرد موت هذا القائد النموذج أو غيابه أو انحرافه، وتدبير هذا الأمر (بالاغتيال أو المؤامرات أو الإغراء) ليس بمستبعد من أصحاب المصلحة في ذلك كما حدث في موت عمر بن عبد العزيز مسموماً (انظر أخبار ذلك مسندة في سير أعلام النبلاء، ٥/ ١٣٩ - ١٤٠) والمقصود هنا أن وجود القائد الصالح لا يمثل وحده صمام أمان ضد انحراف الأمة، بعكس وعي أفراد الأمة - أو مجملهم - الذي يمثل صمام أمان ضد انحراف القائد أو غيابه.

من أرضها، وحينها هاجر المسلمون ومعهم الرسول ﷺ إلى هناك، فكانت (الأمة/ الدولة) الناشئة بقيادة الرسول ﷺ في الوطن الجديد (المدينة).

وفي ذلك نلاحظ:

● أن قيادة الرسول ﷺ لصحابته في مكة لم تكن من منطلق الزعامة السياسية والحق القانوني، بل كانت بتأثير (القرآن)، عن طريق الدعوة والتربية؛ فعلى الرغم من وجوب طاعته ﷺ المطلقة، وعلى الرغم من توجيهه ﷺ لصحابته بما يدفع بالدعوة والمؤمنين بها في المسار الصحيح، إلا أننا نلاحظ أن الرسول ﷺ لم يضع نفسه في موقع صاحب السلطات في هذه المرحلة، فلم ينقل عنه ﷺ أنه أمر العبيد المسلمين بالتمرد على أسيادهم المشركين أو اغتيالهم، وإنما كان يأمرهم بالصبر، ويعمل على رفع البلاء عنهم بالوسائل المتاحة والمتعارف عليها في المجتمع المكي، كما لم ينقل عنه ﷺ أنه أمر الأزواج المسلمين بالانفصال عن أقرانهم...، وكان الخط العام في هذه المرحلة أقرب إلى عدم السعي للانفصال العضوي عن المجتمع، كما أنه ﷺ لم يستخدم نفوذه في تطبيق نظم تتسم بصفة السلطة على المؤمنين به حينها، فلم ينقل عنه ﷺ أنه أمر بالتزامات مالية تؤدى في هذه المرحلة، كما لم ينقل عنه ﷺ أنه سعى في رد عبيد الله بن جحش أو معاقبته عندما ارتد إلى النصرانية أثناء هجرة المسلمين إلى الحبشة، وكذا: لم ينقل عنه معاقبة من ارتد بعد الإسراء والمعراج[1]، فلحكمة ما اقتصر الرسول ﷺ على التوجيه من خلال تأثير الإيمان والتربية (القرآن) ولم يستخدم (سلطات) القائد في هذه المرحلة.

كما أن سيرة المصطفى ﷺ توضح أنه خاطب الأفراد عندما كان فرداً، وخاطب الطوائف والجماعات عندما كان فئة، وخاطب الدول والملوك عندما كان للمسلمين دولة، فلم نجد له ﷺ خطاباً إلى ملك من الملوك في المرحلة المكية رغم أنه بُعث للعالمين بالنص القرآني المكي ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١][2]، وفي ذلك إشارة إلى أهمية عدم القفز على المراحل وتخطيها قبل نضوجها.

● كما يلاحظ أن انتقال رسول الله ﷺ والمسلمين إلى المدينة لإقامة مجتمع (الأمة/الدولة) الإسلامية لم يكن خارقاً لسنن التغيير، بل جاء بشكل طبيعي وفق سنة من سنن الله الكونية في التحول من مرحلة وسيطة إلى أخرى، هي سنة البرزخية؛ حيث توجد بين المرحلة المنتقل منها والمرحلة المنتقل إليها مرحلة وسيطة لا تنتمي إلى هذه ولا إلى تلك، وفي الوقت نفسه: تحمل بعض ملامح المرحلة السابقة وبعض ملامح المرحلة التالية، والبرزخية (الزمانية أو المكانية أو الفيزيائية.. أو الاجتماعية) سنة كونية سارية في شتى نواحي الحياة التي تتعلق بالانتقال، فالوقت بين طلوع الفجر وشروق الشمس برزخ بين الليل والنهار، والوقت بين المغرب والعشاء برزخ بين النهار والليل، والربيع برزخ بين الشتاء والصيف، والخريف برزخ بين الصيف والشتاء، ووادي محسر برزخ بين منى ومزدلفة، وعرنة برزخ بين عرفة والمشعر الحرام، والنعاس برزخ بين اليقظة والمنام، وسكرات الموت برزخ بين الحياة والموت، والقبر برزخ بين الدنيا والآخرة، والشبهات برزخ بين الحلال والحرام، والتمييز برزخ بين الطفولة والبلوغ، وغليان السوائل برزخ بين الحالة السائلة والحالة الغازية.. ويطول الأمر إذا أردنا رصد حالات البرزخية باعتبارها سنة من سنن الله الكونية في التغيير، ولكن الذي يهمنا

---

(١) خبر ارتداد بعض المسلمين بعد الإسراء والمعراج جاء في أحاديث صحيحة، فمن ذلك ما أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/٦٢-٦٣) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح/٣٠٦.

(٢) هذا الملمح في سيرته ﷺ هو ما دعا بعض المستشرقين للزعم بأنه ﷺ أضاف إلى دعوته صفة العالمية بعدما وجد الفرصة مواتية، وكذبوا في هذا الزعم بالنص القرآني المكي المذكور، والصحيح: أن هذا السير في خطوات الدعوة والدولة هو ما تمليه طبيعة سنن التغيير والتمكين للدعوات.

هنا أن تحول المجتمعات من حال إلى حال يخضع أيضاً لبرزخية اجتماعية، وهذا ما نراه في تكوين المجتمع الإسلامي في المدينة، فقد تمثلت هذه المرحلة البرزخية في الفترة الممتدة من بيعة العقبة الثانية وحتى الهجرة النبوية المشرفة؛ حيث أثمرت جهود الرواد الأوائل من المسلمين بالمدينة - رضي الله عنهم - في تغلغل الإيمان والتربية الصحيحة في هذا الوطن الجديد للمسلمين، حتى إنه لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون، أي: أصبح في المدينة مجتمع يحمل رسالة في الحياة، يتطلع إلى قائده الطبيعي للانطلاق به نحو تطبيق هدف هذه الرسالة، وهنا انتقل الرسول ﷺ والمهاجرون إلى المدينة لتأسيس المجتمع الجديد على الأسس الجديدة بعد التهيؤ لهذه المرحلة.

● الملحوظة الثالثة نستخلصها من الملحوظتين السابقتين: وهي عن رصد آلية تكوين الفئة[1] ثم تحولها إلى مجتمع أمة/ دولة، وعلاقة ذلك التكوين والتحول بموقع القائد من القاعدة.

فالأمر يبدأ بدعوة داعية - أو دعاة - إلى مبدأ يؤمن به ويضحي من أجله، ويكون في هذا الداعية من مؤهلات التأثير ومقوماته ما يمكنه من جذب بعض الأفراد للإيمان بما يدعو إليه، وهنا تبدأ مرحلة تكوين الفئة، حيث يربي صاحب الدعوة المؤمنين بها تربية مكثفة، وغالباً ما يكون هؤلاء المؤمنون على درجة عالية من الإخلاص والإرادة، وهذا ما مكنهم من الإيمان بشيء جديد غريب يخالف المألوف ومواجهة الملأ أصحاب المصلحة في استمرار هذا المألوف القديم، ويكون موقع القائد (الداعية) في هذه المرحلة هو موقع القطب صاحب التأثير والجاذبية، فتنجذب حوله عناصر القاعدة (الفئة) وتتلقى منه راغبة مختارة؛ فالقيادة هنا قيادة طبيعية غير مفتعلة، والسلطان الذي تحمله هو سلطان الإيمان وأثر التربية.

في حالة نجاح الدعوة وانتشارها فإن المؤمنين بها يتطلعون إلى تجسيد ما يؤمنون به والانطلاق بالرسالة التي يحملونها، وهنا يبحثون عن فئة أخرى تنصرهم وتؤازرهم، أو عن وطن يستوعب تحولهم الكامل من فئة أخرى إلى أمة، إن لم ينصرهم مجتمعهم ولم يستوعبهم وطنهم الأصلي، كما أنهم يعملون على إقامة نظمهم ومؤسساتهم التي يطبقون عن طريقها المبادئ التي آمنوا بها، فيقيمون في مجتمعهم الجديد دولتهم المأمولة، وعند ذاك تظهر حاجتهم إلى قائد بصلاحيات جديدة (صلاحيات الدولة) يحمل سلطاناً إضافياً هو سلطان السلطات[2]، فيذعنون لأقدر من يمثل مبادئهم وينطلق بالرسالة التي يؤمنون بها (الذي كان في صدر التاريخ الإسلامي: رسول الله ﷺ [3]، والخلفاء الراشدون الأربعة).

عندما تتحد الدعوة بالدولة (القرآن بالسلطان) ويكون معيار النجاح هو قدر المزج المنضبط بينهما للمحافظة على استمرار المجتمع كـ (أمة/ دولة) صاحبة رسالة، حيث لن تحمل الأجيال اللاحقة الزخم نفسه من الإيمان والتربية التي تربى عليها الجيل الأول من المؤمنين، كما أن الانتشار السريع والواسع سيضخم كتلة الأمة بإضافة عناصر كثيرة لم تتح لها فرصة التربية الكافية، وربما لم تنهل من الإيمان الصافي بالقدر الكافي، وهذا ما حدث في الفتوحات السريعة الواسعة في العصور الإسلامية الأولى.

---

(١) يقول أبو هلال العسكري: الفرق بين الجماعة والفئة: أن الجماعة هي الجماعة المتفرقة من غيرها... ثم قيل لجمع كل من يمنع أحداً وينصره فئة، وقال أبو عبيدة: الفئة: الأعوان، (الفروق في اللغة) ص٢٧٣.

(٢) أشار ابن خلدون إلى هذا المعنى، حيث يقول: « ... وهذا التغلب هو المُلك، وهو أمر زائد على الرئاسة؛ لأن الرئاسة إنما هي سؤدد وصاحبها متبوع وليس له عليهم قهر في أحكامه، وأما الملك فهو التغلب والحكم بالقهر» (المقدمة، ج ١، ص ١٤٨)، وهذا بالضبط ما يطلق عليه القانونيون المحدثون: سلطة القهر، وهي عندهم من خصائص الدولة.

(٣) يلاحظ أن حقد رأس المنافقين عبد الله بن أبيّ ابن سلول على رسول الله ﷺ، كان أحد أسبابه أن هجرته ﷺ إلى المدينة سلبت من ابن سلول المكانة والصلاحيات التي كانت تهيأ له باعتباره ملكاً على الأوس والخزرج.

وفي هذا السياق نستطيع فهم القول المنسوب إلى عثمان بن عفان - رضي الله عنه - «إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن»، فلقد قالها - إن كان قالها ! - في وقت هو قائد أمة / دولة، وليس في مرحلة تكوين فئة / أمة، فكان لا بد أن يحافظ على هذا التوازن ليسير المجتمع المسيرة الصحيحة.

وهنا نفهم أيضاً لماذا لم يستخدم - رضي الله عنه - سلطات السلطان في فتنة مقتله ومنع الصحابة الذين حوله من التصدي بالقتال لمن يحاصرونه؛ فليس ذلك لمجرد حقن دماء المسلمين فقط؛ فهو أول من يعلم - رضي الله عنه - أن قتال الفئة الباغية من الدين، ولكن هذا المنع - في نظري - لأن ذلك التقاتل كان سيؤدي إلى سقوط من تبقى من صفوف القيادات المستقبلية للمسلمين، وهو أمر سيقضي على الدولة (السلطان)، وهذا واضح من إصراره الشديد - رضي الله عنه - على خروج كبار الصحابة من داره وطلبه عدم اشتباكهم مع المتمردين، ومن قوله لمندوب المتمردين: «أمَّا خلعي، فلا أترك أمة محمد بعضها على بعض»[1]، كما أن آفة جماهير المتمردين عليه كانت نقص أثر (القرآن) وعياً وتربية فيهم، وهذا واضح في سيرتهم، وهو ما مكن اليهودي ابن سبأ من استغفالهم وقيادهم، فآثر عثمان - رضي الله عنه - أن يضحي بنفسه على أن يضحي بالأمة والدولة.

مسيرة الانحراف:

ولنرصد الآن الانحراف الذي طرأ على هذا التكوين وهذه العلاقة:

- أثقلت الأمة بتضخم كتلتها البشرية فجأة، ولم تسعفها الإمكانات ولا الوقت لتربية المسلمين الجدد التربية الإيمانية المطلوبة.

- نشأ عن ذلك تضاؤل نسبة الوعي بالرسالة وأهدافها وسنن التغيير والإصلاح، كما قلَّت نسبة المتحمسين أصحاب الإرادات والهمة العالية.. (تضاؤل أثر القرآن).

- تعويضاً لأثر ذلك التضاؤل: ارتفعت نسبة السيطرة والتوجيه عن طريق سلطات الدولة وأجهزتها.. (تعاظم شأن السلطان).

- بدأ ظهور ضمور وعي الأمة عند نقض عروة الحكم، وسوف يكتمل بنقض عروة الصلاة (لينقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولهن الحكم وآخرهن الصلاة)[2]، لأن الوعي ينحسر من الدائرة الأشمل إلى الدوائر الفردية الأضيق، بعكس نشأته وتكوينه.

- نتيجة تضاؤل الوعي (كمّاً وكيفاً) في الأمة: شاع فيها على نطاق واسع القابلية للاستغفال والاختراق والجمود.

- وحسب قاعدة (كما تكونوا كذلك يؤمر عليكم)[3] والنبوءة الصادقة (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم..)[4] كان يتولى القيادة أمراء فيهم من نسبة التمثل بـ (القرآن / السلطان) بقدر ما في الأتباع من نسبة الإذعان لـ (القرآن / السلطان)، وكان هذا الخط يسير باتجاه الخلافة الراشدة، فالملك العاضّ، فالملك الجبري[5].

- كان يسير ملتحماً مع هذا الخط خط آخر باتجاه افتراق القرآن عن السلطان، إلى أن تم الاستغفال شبه التام، فحدث الافتراق شبه الكامل

---

(١) انظر: العواصم من القواصم، لابن العربي، تحقيق: محب الدين الخطيب، ص ١٢٩ - ١٣٤، وانظر تعليق الخطيب، ص ١٣٧.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد عن أبي أمامة الباهلي (٥/٢٥١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ح/٥٧١.

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (ح/٧٣٩١)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير (ح/٤٢٧٥)، وفي معناه قوله - تعالى -: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩]، وانظر في إيضاح ذلك كلام محمد رشيد رضا في تفسير المنار (٨/١٠٢)، وانظر أيضاً: كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى، ١٤/١٥٥.

(٤) أخرجه البخاري، ك/ الرقاق، ب: ما يحذر من زهرة الدنيا.

(٥) ترتيب هذه المراحل عن حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنه - الذي رواه أحمد بن حنبل (٤/٢٧٣) وحسنه الألباني (سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح/٥)، وأوله: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون... ».

بين القرآن والسلطان على يد الدعاة على أبواب جهنم، في الوقت الذي انحدر فيه وعي الأمة وإرادتها نحو المرحلة الغثائية.

صور من مسيرة العمل الإسلامي:

وبعد أن ظهرت الصحوة وبدأت الرغبة في الخروج من هذه المرحلة الغثائية ظهر السؤال: كيف السبيل لإصلاح الخلل الذي حدث في هذا التكوين وهذه العلاقة؟

على أرض الواقع رأينا سبلاً عدة، ولكن الذي يعنينا هنا هو محاولة التغيير عن طريق التأثير في مركز القيادة الحالية؛ بناءاً على تصور مؤداه أن انحرافها هو الأكبر أثراً في الانحراف بالأمة، ومن ثَمَّ: فإن التأثير في هذه القيادة - بإرشادها، أو قلبها وإستبدالها - سيكون نقطة التحول إلى التغيير الأفضل - حسب هذا التصور -، وترتب على ذلك: أن بعض الفصائل ركزت عملها في التغيير على أحد سبيلين: الأول: محاولة الوصول بالطرق السلمية و(المشروعة قانوناً) أو بالمنازلة السياسية إلى موقع يمكّنهم من التأثير على مركز القيادة الحالية أو المشاركة في السلطات المؤثرة، والآخر: محاولة إزاحة أشخاص القيادات الفعلية أو الأنظمة بأساليب العنف والمنازلة العسكرية (الجهاد المسلح).

وإذا تجاوزنا البحث في مدى واقعية هذين السبيلين وسجل التجارب غير الناجحة فيهما، فإننا لا نستطيع تجاوز الاعتبارات الآتية:

أولاً: أن البحث في سبل التغيير لا يقتصر على مجرد البحث في حلِّ عمل معين أو حرمته (كالمشاركة في حكومات علمانية أو دخول برلمانات أو القيام باغتيالات أو الاستيلاء على أموال..) فهو يشمل مع ذلك البحث: موازنة المصالح والمفاسد، واستقراء السنن الربانية في التغيير، واستجلاء المنهج النبوي في إقامة المجتمع المسلم، إضافة إلى دراسة خصوصية الواقع المعاصر دراسة موضوعية.

ثانياً: أن المسلم يتعبد لله - عز وجل - باتباع منهج نبيه ﷺ في التغيير، وكما أنه يعمل على عودة الخلافة على منهاج النبوة في تطبيق القيم والأحكام؛ فإنه ينبغي عليه أن يحرص على أن تكون عودة هذه الخلافة من خلال منهاج النبوة في النشأة والتكوين والتغيير أيضاً[(١)]، كما أن المسلم مطالب عندما ينفصل القرآن عن السلطان بأن يقترن بالقرآن (.. ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان، فلا تفارقوا الكتاب...)[(٢)].

ثالثاً: أن الاستمرار في هذه المحاولات للقفز إلى السلطة مع عدم التقدير الصحيح لإمكانات أطراف

---

(١) غالى بعض العاملين في الحقل الإسلامي في هذا الاتجاه، فتصور أننا لا بد أن نعيد المرحلة المكية بكل ما فيها، ولا شك أن ذلك خطأ ظاهر، فهو بذلك يهدر أربعة عشر قرناً من عمر الأمة، كما أن الواقع المكي يختلف بلا شك عن واقع المحنة الذي تعيشه الأمة الآن.
ولكننا في الوقت نفسه نسجل ملحوظتين تجعلنا نهتم بالبحث في طبيعة هذه المرحلة وما تلاها:
أولاهما: أن التشوهات العقدية والسلوكية التي أحدثتها على مدى السنين الفرق والمذاهب المنحرفة (القديمة والمعاصرة) في الأمة جعلت الدعوة إلى الإسلام النقي الشامل وكأنها دعوة جديدة؛ حيث لم يألف الناس العيش في ظل الإسلام ومن خلاله بلا دخن، فغربة الإسلام الصحيح قاسم مشترك بين المرحلتين الزمنيتين، وإن لم تكن بالدرجة نفسها.
ثانيهما: أن الدافع من وراء دراسة هذه المرحلة هو كشف طبيعة الحركة الصحيحة للدعوة عموماً، ثم بعد ذلك ينبغي أن نضع أنفسنا من هذه الحركة الصحيحة حسبما يقتضي الواقع، ومثل ذلك كقطار انطلق من نقطة ما، وبعد زمن أخذت مسيرته تتعثر إلى أن توقف، فمن قائل: إنه توقف لفساد قائده، وآخر يقول: لنفاد الوقود، وثالث: لعطب في أجزائه أو محركاته، ورابع: لثقل العربات التي يجرها... ولكي يستأنف القطار مسيرته فلا بد أن يكون فريق الإصلاح على علم كامل بأسرار وقوانين وخصائص سير هذا القطار التي بها تمكن من الانطلاق أول مرة، ومن ثم يبحثون عن موطن الخلل الحقيقي ثم يعملون على تداركه وإصلاحه.

(٢) جزء من حديث أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/٩٠) والصغير (١/٢٦٤) ومسند الشاميين ١/٣٧٩ (ح/ ٦٥٨)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/٢٢٨ و٢٣٨) وذكر أن فيه انقطاعاً، وذكره أيضاً ابن حجر في المطالب العالية (ح/ ٤٣٤٨)، وقال محققاه (٥/ ٩ ط.الوطن): «قال البوصيري (١٠/٥١٨ رقم ٨٥٢٥): رواه إسحاق بن راهويه عن سويد بن عبد العزيز المديني، وهو ضعيف، ورواه أحمد بن منيع ورواته ثقات، ولفظهما واحد».

[illegible] العاملين في الحقل الإسلامي مع استمرار قناعتهم بأنهم يبذلون ضحيات وجهوداً مشكورة في سبيل هذا الدين، بينما الحقيقة أنهم كمن يجري على سير جهاز لتخسيس، يحرق سعراته الحرارية ولا يغادر مكانه، قد يغذي الأعداء هذه المحاولات بتخطيط ومكر بهدف لجاء الحركة الإسلامية إلى الدخول في نفق (الإجهاد لمفضي إلى الإجهاض)، وقد يحرصون على جر الدعاة وأتباعهم إلى محاور جانبيه وإثارة قضايا جزئية، تكون بمثابة الراية الحمراء التي يستثير بها مصارع الثيران الثور المتصارع معه؛ ليستهلك بها جهده ويوجهه الوجهة التي تمكنه من طعنه والقضاء عليه بعد هذه الاستثارة وهذا التوجيه.

رابعاً: أن في هذا المسعى محاولة لخرق سنن الله تعالى - في التحول، وتجاوز لسنة (البرزخية الاجتماعية) كما أوضحنا سابقاً، وهذا غير مستطاع ولا ينبغي أن يطمع إليه ويعمل له؛ لعدم إمكانه وعدم واقعيته، فالواقع يشهد أن المجتمع الإسلامي في تحوله إلى حالته الراهنة مرّ بمرحلة برزخية اجتماعية طويلة، ولن يعود إلا من خلال برزخية اجتماعية معاكسة (قد تقصر وقد تطول)، هي التي نعيشها الآن، والتي قد تسمى عند بعض الكتاب (مخاضاً) وآخرون يطلقون عليها (إرهاصات) وغيرهم يسميها (يقظة) أو (صحوة)...

خامساً: أننا لو افترضنا جدلاً نجاح فصيل أو آخر في القفز إلى الحكم رأساً وتملك قيادة شعب ما، فإنه سيكون قائداً غريباً غير طبيعي، كما أنه لو أقام دولة فهناك شك كبير أن يحوِّل هذا الشعب إلى (أمة/ دولة) لها رسالة تحملها وتضحي من أجلها؛ لأنه -(أي: الشعب) سيعتبر أن هذه الرسالة تملى عليه، ومن ثَمَّ: سيسهل على المغرضين والمنافقين تضليل الجماهير واستعمالهم ضد هذه القيادة المفروضة عليهم؛ مستغلين أن هذه الجماهير لن تحمل الانتماء إلى قيادة لم تخرج منها، كما أن وعي هذا الشعب لن يكون في مستوى كشف الأساليب الملتوية للمنافقين.

ومن يقول: إن قيادة هذه الجماهير سهل لأنهم أتباع كل ناعق ينسى أنه قد يأتي من هو أكثر نعقاً منه فيسقطه وتتبعه الجماهير أيضاً.

بين النشوء الطبيعي والمصطنع:

وهذه النقطة تعود بنا إلى السؤال المحوري في هذا المقال: هل نعيش أزمة قيادة أم محنة أمة؟ وأيهما ينصلح أولاً: الأمة أم القيادة؟ وكيف يكون اتجاه التغيير: من أعلى إلى أسفل أم العكس؟

نبلور التطور الطبيعي لتكوين الأمة/الدولة في الآتي:

داعية ينشر دعوة تفرز طليعة (فئة) تكوِّن أمة تحمل رسالة وتقيم دولة تختار قائداً.

ونبلور تصور الشكل الآخر المخالف للتطور الطبيعي - والذي رأيناه في واقع تطلعات بعض الفصائل الإسلامية - في الآتي:

قائد يؤثِّر في نخبة تتحول إلى تنظيم يتميز عن الجماهير ويقفز على دولة تتبنى دعوة تملى على أمة.

- في الحالة الأولى: تظل جسور التواصل ممتدة بين الطليعة (الفئة) والجماهير، حيث تحرص هذه الطليعة على عدم التميز بغير ما تحمله من مبادئ وقيم[1]، لذا: فمجال الحركة أكثر انفتاحاً أمامها، كما أن أساليبها أكثر تنوعاً، وذلك رغم وضع العراقيل والعوائق أمامها، أما في الحالة الأخرى: فإن تميز التنظيم العضوي عن الجماهير - الذي يغذيه

---

(١) في إلماحة ذكية أشار شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - إلى أن مخالفة المشركين والكفار في الهدي الظاهر لا تكون إلا بعد ظهور الدين وعلوه، وأن هذا كان هدي رسول الله ﷺ، وأبان شيخ الإسلام - رحمه الله - أنه قد يعود الأمر في بعض الظروف فـ «يستحب للرجل أو يجب عليه: أن يشاركهم أحياناً في هديهم الظاهر، إذا كان في ذلك مصلحة دينية: من دعوتهم إلى الدين، والاطلاع على باطن أمرهم...» (اقتضاء الصراط المستقيم، ص١٧٦- ١٧٧، ت/ الفقي)، وهذه الإلماحة في غاية الأهمية؛ لأن التميز بغير المبدأ الأهم في المراحل الدعوية الأولى سينشئ قضايا جانبية يدور حولها الاستقطاب أو الصراع بين الداعين والمدعوين، مما سيشوش على وضوح القيم والمبادئ الأسس التي يستهدفها الداعون، وهذا ما يساعد على الانحراف بمسار الدعوة إلى وجهة مخالفة لوجهتها الأصلية بأيدي الدعاة أنفسهم!.

غالباً التعالي المصاحب للنفسية النخبوية - ينحرف بهذا التنظيم نحو **الانفصال** عن الجماهير، إما بانحراف مسار حركة هذا التنظيم، وإما بكيد الأعداء وتدبيرهم ومكرهم[1]، ومن ثَمَّ: تسهل - بعد التميز والانفصال - **المحاصرة ثم الاستئصال**، من غير أن تحس الجماهير بفقدان شيء منها، سواء أكان هذا الشيء هو عناصر النخبة والتنظيم أو المبادئ والقيم.

- في الحالة الأولى: تظل الطليعة متماسكة حتى وإن تعددت الرؤى داخلها؛ لأن روح التحزب والتشيع يصعب سريانها فيها، ولأن أكبر ما يهمها هو نشر الدعوة بين الناس لتعبيدهم لرب العالمين، أما في الحالة الأخرى: فلأن التنظيم عضوي قائم على الضم والطرد حسب معيار (الالتزام الحزبي) فإن الفرصة مهيأة لبروز تنظيمات أخرى تختلف مع بعضها نتيجة اختلاف الرؤى أو وجود الأهواء، ومن ثم: تكون الفرصة مهيأة أيضاً لانشغال هذه التنظيمات ببعضها، أو على الأقل: عرقلة عمل كل واحد منها لعمل الآخر من غير قصد، بل قد يستعمل الأعداء بعضها ضد بعضها الآخر.

ونود التنبيه هنا إلى أن مجرد وجود روح الحزبية المقيتة تؤدي إلى هذه النتائج السلبية نفسها، حتى مع عدم وجود هيكل تنظيم عضوي، ولكن الفرصة في ظل التنظيم العضوي تكون مهيئة أكثر لبروز هذه الروح.

علينا التذكر: أن من عوامل سقوط الأندلس: كثرة الإمارات والدويلات والتناحر بينها، وذلك ما أدى إلى ضعفهم جميعاً واستغلال الأعداء لذلك، فكان سهلاً استئصالهم دويلة إثر أخرى.

- قد يظهر أن الهدف (نشر الدعوة وتعبيد الناس لله سبحانه) بعيد والطريق طويل في الحالة الأولى، وهذا صحيح لأول وهلة، ولكن عند التأمل فيه نجد أنه طريق مستقيم، لذا: فهو أقصر طريق بين الهدف ونقطة الانطلاق، أما في الحالة الأخرى: فقد يبدو - بهذا الأسلوب - أن الهدف قريب والطريق قصير؛ وهذا صحيح أيضاً للوهلة الأولى، ولكن الحقيقة أن الهدف يخالطه السراب، والطريق إليه متعرج تكثر به المنعطفات والانتكاسات، لذا: فهو طريق أطول من الأول، كما أن نتيجته (القفز إلى السلطة) ليست هي المستهدفة في المقام الأول.

- في الحالة الأولى: يكون القائد إفرازاً طبيعياً ملائماً لأمة واعية متيقظة أثمرت فيها جهود الدعوة، فكان هذا القائد خارجاً من أسفل إلى أعلى، ومن ثَمَّ: تلتف الأمة حول اختيارها رغم الصعاب لتنطلق وتحقق الرسالة التي تحملها، ويصعب استغفالها أو سرقة خيارها أو التلاعب على مطالبها، بينما في الحالة الأخرى: يكون القائد مصطنعاً مفروضاً من القمة على القاعدة، ولذا: فهو يبسط سلطانه من خلال سلطاته فقط، ومهما كان هذا القائد فذّاً فإنه لن يستطيع الانطلاق بأمة غير واعية أو ليس لها همة لتحقيق أهداف سامية، كما أن هذه الأمة يسهل استغفالها وسرقة خيارها؛ لأن فيها القابلية للاستغفال نتيجة اضمحلال الوعي.

لتوضيح ذلك نضرب مثالاً متخيلاً: فلو توهمنا أن (الحزب الشيوعي البريطاني!) استطاع أن يتسلل إلى الحكم بطريقة أو بأخرى، وأزاح الأسرة البريطانية المالكة ووضع الحكومة المنتخبة في السجون، ثم فرض تصوراته الماركسية وقمع الحريات في المجتمع البريطاني القائم على تقديس الحرية وشيوع روح الإيجابية والفاعلية المؤثرة والمشاركة في الحياة العامة...، كم من الأيام - بل من الساعات - نتصور أن يبقى في الحكم؟ ولماذا؟.

بعد التفكير في النتيجة والسبب قارن ذلك بما يحدث في بلدان أخرى من العالم!

فإذا كان الأمر كذلك فما هو البديل - أو الرديف - لأخطاء الواقع الحركي الذي نعيشه؟

دور لكل مسلم:

وهذا ينقلنا إلى الشق الآخر من الموضوع، وهو

---

(١) لعل هذا كان أحد أهداف مشركي قريش من وراء حصار المسلمين في الشِّعب، ولكن هذا الهدف لم يتحقق لأسباب عديدة، من أهمها: بقاء الروابط الاجتماعية القوية بين المسلمين وقومهم رغم التمايز العقدي، ووجود بقية من الأخلاق الإنسانية الراقية عند بعض كفار قريش ذوي المكانة في قومهم.



الحديث عن أهمية تنمية وعي الأمة وتفعيل إرادتها، فيمكن القول: إنه ينبغي ترسيخ مفهوم أن عمل أفراد الأمة المؤثر في التغيير غير مشروط بانتظار قائد أو الانضواء في إطار عمل تنظيمي عضوي، وذلك يتم إذا أمكن الارتقـاء بوعي المسلم إلى المستوى الطبيعي المفترض، وهو أن للمسلم رسالة في الحياة تجاه نفسه وأسرته والآخرين لا يمكنه التخلي عنها، وأن له شخصياً دوراً - كبر أم صغر - في حركة التاريخ البشري، وأن حمل هذه الرسالة والقيام بهذا الدور ليس نافلة يمكنه التخلي عنها، بل هما من صميم الأمانة المكلف بها بصفته مسلماً؛ فالمسلم - بخلاف النصراني أو البوذي... مثلاً - لا يصح له لكي يستقيم على الجادة أن يكتفي بالاعتكاف أو الانزواء في معبد ويترك الحياة تسير كما يريدها شياطين الإنس والجن، كما لا ينبغي له حتى الاكتفاء بـ (التبشير) بالإسلام كعقيدة على مستوى الأشخاص من غير أن يكون لهذه العقيدة أثر في الواقع المعاش؛ لأنه في الحقيقة مأمور باتباع الدين كله، وفي الوقت نفسه: لأن هذا الدين يشمل الحياة كلها، كما أن عليه العمل على إظهار هذا الدين على الدين كله، وهذا لا يتأتى إلا بالحرص على التأثير في مجرى الأحداث.

وهذا ما رأيناه يحدث في سيرة الصحابة والصالحين جميعهم، ولكننا ننتقي بعض الأمثلة الواقعية التي تدلل على ما نحن بصدده، وهو العمل على رفعة هذا الدين والتغيير من أجله بما تسنح به الفرص وبالإمكانات المتاحة؛ لتصب في اتجاه رفعة هذا الدين حتى ولو غابت القيادة، فمن هذه الأمثلة:

- ما قام به أبو بصير - رضي الله عنه - عندما انفلت من مكة إلى المدينة فأرسلت قريش في إثره رجلين لرده من رسول الله ﷺ حسب بنود اتفاق صلح الحديبية، وهذا ما تم بالفعل، ولكن أبا بصير لم يستسلم ويستكن، بل تحايل - رغم صعوبة موقفه - واستولى على سلاح أحد الرجلين، ثم ضربه به بينما فر الآخر، وجاء أبو بصير إلى رسول الله ﷺ وقال له: «يا نبي الله! قد والله أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم، ثم أنجاني الله منهم»، قال رسـول الله ﷺ: «ويل أمه، مسعر حرب لو كان له أحد!» فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف (ساحل) البحر، فكوّن مركزاً لإيواء وتجميع المستضعفين الهاربين من مكة من غير إحراج سياسي لدولة المسلمين في المدينة، ثم أخذ هذا التجمع الصغير يكبر ويغير على قوافل قريش التجارية، إلى أن أرسلت قريش إلى رسول الله ﷺ تناشده الله والرحم ضم هذا التجمع إليه، فأرسل النبي ﷺ إليهم، فقدموا عليه في المدينة [1].

فأبو بصير - رضي الله عنه - ما استكان ولا رضي بواقعه، ولا استقل إمكاناته، ولا انتظر انضمامه الفعلي إلى جماعة المسلمين، ولكنه تحرك - وحده - بفاعلية وإرادة نحو هدفه.

- المثال الثاني وقع بعد إعلان سقوط إعلان الخلافة العثمانية على يد أتاتورك وزمرته من أعضاء حزب الاتحاد والترقي؛ حيث اندلعت في تركيا احتجاجات واسعة واجهتها الحكومة الجديدة بالقمع والتنكيل، ثم منعت تدريس الدين في المدارس، فحث الشيخ سليمان حلمي طوناخان الناس على مخاطبة الحكومة باستعدادهم لتحمل تكاليف تدريس الدين لأبنائهم، ولكن الحكومة رفضت وهددت وتوعدت، فانزوى المدرسون عن ذلك مقتنعين أن تعليم الدين غير ممكن في ذلك الوقت وأنهم ليس عليهم حرج في الاعتذار عن ذلك، إلا الشيخ سليمان الذي استعظم المسؤولية أمام الله - عز وجل - فكان يبحث عن أحد يعلمه فلا يجد لخوف الناس من الحكومة، فبدأ بتعليم ابنتيه في البيت على أن تقوما بتعليم زوجيهما وأولادهما، ثم استحدث دفع أجر لطلبته نظير تعليمهم، وكان يرعى تلامذته بنفسه حتى إنه كان يذهب بالمريض منهم إلى الطبيب، مما جعله يعيش على الكفاف، ولكي يخفي طلبته عن عيون الرقابة الأتاتوركية عمد دائماً إلى تبديل أماكن تدريسهم، فكان يدرسهم يوماً في غرفة مؤذن

(١) القصة بتمامها في: البخاري ومسلم.

المسجد، وآخر في بيت أحد أتباعه، وثالثاً في قبو مبنى، أو يستأجر مزرعة ويخبئ طلابه فيها في زي العمال، يزرعون الأرض صباحاً ويدرسون الدين مساءاً، أو يذهب بهم إلى قمة جبل، ورغم انكشاف أمره وتعرضه للاعتقال والتعذيب والملاحقة إلا أنه واصل مهمته التي انتدب نفسه لها بإصرار وإرادة وتضحية مستحضراً أن: «ليس التعب يضنينا، ولا الإزعاج يثنينا، سنسارع إلى نداء التعلم والتعليم والخدمة حتى وإن أدى بنا إلى الموت»[1].

- المثال الأخير في هذا الصدد مثال لحالة معاصرة عايشتها، وهي دليل على أن أي شخص - مهما تضاءلت إمكاناته وقدراته ومهما كان موقعه - يستطيع أن يساهم بعمل ما لنصرة هذا الدين وأهله؛ فقد ذكر لي أحد الأصدقاء (من غير ذوي الوجاهة عند الناس) أنه وزوجته يحرصان على عدم شراء ملابس مصنوعة في بلاد الكفر، وقد يطوفان هما وأولادهما على محلات عديدة ولا يشترون شيئاً رغم توفر المطلوب من هذه البلاد بأسعار مناسبة وجودة لا بأس بها، وذلك حتى لا يدعما بمالهما القليل أعداء المسلمين.

قد يكون أثر تصرف هذين الزوجين غير ملموس، وقد يشق عليهما الالتزام بذلك.. ولكنهما في النهاية فعلا ما يمليه عليهما ولاؤهما للمسلمين، وقاما بما في إمكانهما.. وقد يكون هذا هو الدور المطلوب من مثلهما.

فهذه النماذج - وغيرها كثير - توضح أن الشعور التلقائي بعد الإيمان بهذا الدين هو العمل على نصرته وظهوره، وأن الفرد - مهما كان علمه وقدره وموقعه - يملك من الإمكانات والطاقات ما يمكنه من لعب دور في حركة التاريخ، ولكن المهم هنا هو الكشف عن تلك الطاقات والإمكانات - من نفسه أو من الآخرين - وتجليتها وتفعيلها.

صحيح أن الإطار التنظيمي أو الجماعي أقدر على الاستفادة من هذه القدرات وتوجيهها في مصب واحد لخدمة هدف محدد، ولكن الإلحاح في التعويل على هذا الإطار يحمل أكثر من مخاطرة، منها - إضافة إلى ما ذكر سابقاً - محدودية القدرة على استيعاب جميع الأفراد، ومنها: الاقتصار على أفق القائمين عليه وتصوراتهم وأهدافهم، ومنها: الجمود عن العمل والحركة إذا فُقِدَ هذا الإطار أو شُلَّ أو عُطِّل.

فإذا كان الأمر كذلك فكيف تتحول رغبة الأفراد في النصرة إلى عمل مؤثر في حركة الأحداث تتجمع مفرداته لتصب في النهاية في الاتجاه الصحيح من دون انتظار لدور (الآخرين) أياً كانوا: قائداً أو تنظيماً أو جماعة أو أغلبية أو دولة؟

في اعتقادي أن ذلك يتم من خلال عاملين:

الأول: استيعاب فهم سنن التغيير في الأنفس والمجتمعات، ونشرها في الأمة ولو في صورة أولية غير معقدة.

الثاني: توفر الإرادة الجازمة والتصميم التام على العمل لهذا الدين من أي موقع وبأي إمكانات، واستحضار ذلك في مواقف المسلم الحياتية مما ينشط فاعليته.

فهذان العاملان يكوِّنان سياجاً يحمي الأمة - من خلال أفرادها الواعين - من الوقوع في السلبية أو في الإيجابية العكسية، وبذلك تستطيع أن توظف طاقاتها للعمل على بصيرة خلف قائدها إن وجد، بحيث لا تكون عبئاً عليه، وفي الوقت نفسه: تمارس الرقابة بوعي صحيح على هذا القائد حتى لا ينحرف عن المسار المستهدف، كما تمارس الشهادة على الأمم الأخرى بأدائها الأمانة المنوطة بها، أما إذا لم يوجد هذا القائد الذي يستحق أن تجتمع عليه الأمة فإنها لا تقف مكتوفة الأيدي في انتظاره، بل يعمل كل فرد من موقعه بدافع ذاتي يغذه للتقدم إلى الأمام في طريق الخير والإصلاح.

أخيراً: فإن نجاحنا في الإقلاع بالأمة مرهون بمدى أدائنا للبلاغ المبين، أي: البلاغ الواضح الناصع، القوي الواسع الانتشار، وذلك أداءاً لأمانة الدعوة، كما أنه مرهون أيضاً بمدى قدرتنا على تفجير الشارع الإسلامي بالوعي بالإسلام على الحقيقة وبالواقع دون تزييف، مع شحذ إرادته ودفعه نحو تفعيل دور أفراده في الاتجاه الإيجابي الصحيح.

كل ذلك مرتبط بأن يكون التيار فوق التنظيم، ليحل التواكب محل التشرذم والتنسيق محل الفوضى.

---

(١) انظر: العثمانيون في التاريخ والحضارة، د. محمد حرب، والإسلاميون وتركيا العلمانية، هدى درويش.



التراجعات ... والمراجعات

نـــزار الســؤال قــرار

د. ماجد الإبياري

بدأ يظهر في الفترة الأخيرة الحديث عن (التراجع والمراجعة) في العمل الإسلامي، وأخذ المتحدثون يعرضون تصوراتهم، وتحليلاتهم حول القضية المثارة.

وهذه المناقشة للقضية الجديدة التي بدأت تأخذ أنماطاً مختلفة وصوراً متعددة، أثارت عدداً من النقاط الهامة التي ينبغي الوقوف عندها وتأملها و (مراجعتها).

النقطة الأولى:

كثر الحديث عن تراجع الحركة الإسلامية من الكتاب الغربيين، ومن العلمانيين العرب؛ وهؤلاء وأولئك ليسوا محل حديثنا؛ إذ شدة عداوتهم لدين الله وكل عمل لنصرته لا تخفى على أحد، لكن مجال حديثنا عن فئة من الإسلامين لا نقول إنها تابعت الغربيين والعلمانيين في تحليلهم للظاهرة، ولكنها تولت الحديث عن ذلك في الوسط الإسلامي.

إن الفئة التي تولت إظهار هذه المسألة - ولا زالت - فئة لها مكانتها ولها دورها الرائد في العمل الإسلامي، إنها فئة من أهل الفكر والثقافة. فلم تُثَر المسألة من عالم مشتغل بنشر العلم والتعليم، ولم تُثَر كذلك من داعية أو مربٍّ يشغله واقع العمل الدعوي (التطبيقي)، ولم نسمعها كذلك من خطيب أو واعظ مهتم بتوجيه الناس ونصحهم.

لم تُثَر القضية من أولئك جميعاً بالرغم من كونهم شركاء أهل الفكر والثقافة في العمل الدعوي، وإن أثيرت فليس بتلك الصورة.

ومع التقدير الشديد لأهل الفكر إلا أننا نخشى أن يكون ذلك طريقاً جديداً يراد توجيه الدعوة إلى سلوكه، خاصة أن هناك شبه تواصٍ به فيما بينهم، وكم سلكت الدعوة طرقاً وجَّهها إليها أفراد منها، لهم مكانتهم ومنزلتهم في الدعوة، ولم يُشرك في ذلك بقية أهل التوجيه والعلم والخبرة، وكانت النتيجة مرارة شديدة تجرعتها الدعوة.

أحد أولئك المفكرين، وفي وقت فورة العمل المسلح لعدد من الجماعات الإسلامية في عدد من البلدان، لم يكن يرى من سبيل



دار المسلم تقدم

تجديد الوعي
بقلم
الدكتور عبد الكريم بكار

دليل السالك إلى ألفية ابن مالك
من ١ إلى ٣
للشيخ عبد الله بن صالح الفوزان

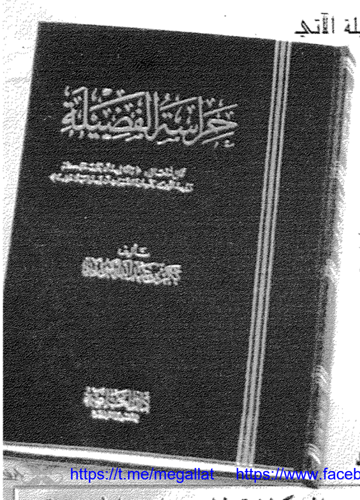


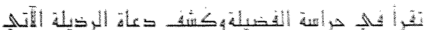
طرق التعليم التربوية في السنة النبوية
د. أحمد فؤاد عليان

رؤى ثقافية
للدكتور عبد الكريم بكار



٤٤٥٣١٧١ الرياض ١١٤٨٤
٤٩٣١١٤٩ ص.ب ١٧٣٥٦





- خطر نظرية الخلط الآثمة
- الاهتمام بالموضة من لدن البغايا
- وجوب الإيمان بالفوارق بين الرجل والمرأة
- الحجاب العام، الحجاب الخاص
- الاختلاط
- التبرج والسفور
- تربية الأولاد
- الغيرة على المحارم
- كشف دعاة المرأة إلى الرذيلة
- خطة دعاة الرذيلة في مجال الحياة العامة، الإعلام، التعليم، العمل
- تاريخ نظرية (الحرية والمساواة) وآثارهما التدميرية في العالم الإسلامي
- إعادة المطالب المنحرفة لضرب الفضيلة في آخر معقل للإسلام
- المتعين إجراؤه تجاه دعاة الرذيلة

وغيرها من الفوائد والمعلومات المهمة

من أفضل الكتب التي ألفت في هذا الموضوع بيد عضو هيئة كبار العلماء الشيخ بكر أبو زيد

خصم خاص جداً قريب من سعر التكلفة للهيئات الخيرية

أخ خ خ...
لقد نسيت الموعد

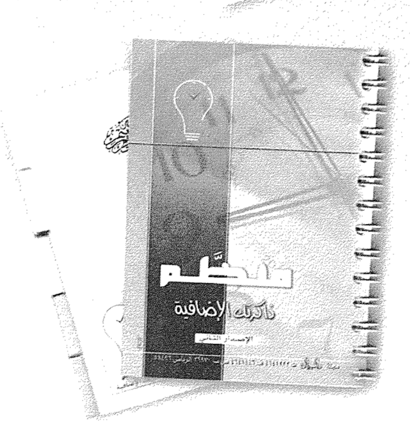
سبحان الله
أين وضعت رقم
هاتف صالح؟

هل سددتُ
القسط الشهري
أم لا؟

عجباً
لم كل هذه الأوراق
في جيبي؟



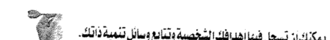
تزف إليك مفكرة

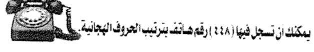




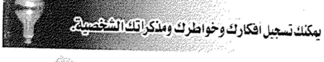
- يمكن فتحها بزاوية (٣٦٠) درجة.
- يمكنك التخلص من الأوراق بسهولة.
- صغيرة الحجم (مقاس ١٠سم × ٧سم).
- يمكن أن تنسق من خلالها (٥٣٣) موعد على الأقل.
- إمكانية متابعة أعمالك اليومية.

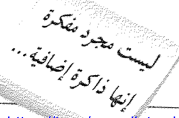












مجلة البيان ت ٤٦٤١٢٢٢ ف ٤٦٤١٤٤٦ ص.ب ٢٦٩٧٠ الرياض ١١٤٩٦

لإخراج الأمة من أزمتها إلا ما تقوم به هذه الجماعات؛ فلا يفل الحديد إلا الحديد!! ثم ما لبثت الأيام تمضي وهدأت الفورة - أو قضي على الثورة - حتى خرج علينا يسير في اتجاه معاكس يحاول إلزام الدعوة على السير معه، وذلك حين دعا إلى أن تلتزم الحركة الإسلامية خياراً استراتيجياً جديداً يقضي بإلغاء فريضة الجهاد!

وآخر راح - بعد تراجعه - يسفِّه كثيراً من الحركات الإسلامية ويتهمها بنقص الفهم وسذاجة العقل، مع أنه كان أحد الرموز الهامة في ذلك الفريق الناقص الفهم، الساذج العقل.

فهل يتوقع هذا أو ذاك أن تنخدع الدعوة بهم مرتين، أو أكثر من ذلك؟ وهل ما زالوا يتوقعون أن آراءهم الفردية وطروحاتهم الشخصية سوف تلاقي تجاوباً سريعاً كما كانت من قبل؟ ولهذا فلا عجب أن يكون أول المتأثرين بنتائج (موضة التراجع) السلبية الذين تولوا كبر تضخيمها.

ونعيد: مع تقديرنا الكبير لأهل الفكر والثقافة، ودورهم الاستشرافي لمتطلبات الدعوة بقراءة الماضي، ودراسة الحاضر، إلا أن التجارب التي مرت بها الدعوة الإسلامية تنبئنا أن مثل هذه القضايا الكبيرة تحتاج - لكي نسلِّم بها، وكونها قضية كبيرة توجه لها الجهود والطاقات - إلى أهل العلم والدعوة، مع أهل الفكر والثقافة، تحتاج لكي نخرج لها بحل يصلح الأمة وتبرؤ به الذمة، إلى اتفاق المنظرين مع التطبيقيين.

النقطة الثانية:

ما هو التوصيف الواضح لمصطلح (التراجع) هل يعنون به تراجع مستوى الأداء في العمل الإسلامي، علمياً كان أم عملياً: في الأفكار والتصورات، أم الأهداف والسياسات، في حجم العمل أم نوع العمل؟ أم يقصدون ذلك كله ومثله معه!؟ وإن كانوا يقصدون ذلك كله فإن التراجع لا يكون إلا عن مستوى أعلى ومتقدم، وإن كان ذلك كذلك فلماذا يُغرق أولئك في تفاصيل إخفاق العمل الإسلامي في كل مجالاته، ومنذ نشأته الحديثة، ولم نرَ في كتاباتهم الأخيرة حول هذه الظاهرة إلا النقد الشديد للحركة وإنجازاتها؛ فهي عندهم لم تعرف التخطيط وطرائقه، ولا المنهجية الحركية وسبلها، ولم تحقق شيئاً من أهدافها - إن كان لها أهداف - وحركة بهذا الوصف، هل يكون لها إنجازات تتراجع عنها؟ فعن أي تراجع يتحدث القوم؟!

النقطة الثالثة:

لم تخرج كتابات الخائضين في مسألة التراجع عن كونها توصيفاً لواقع مأزوم؛ فجُلُّ الكتابات تركز على بيان أهداف الدعوة الإسلامية الكبرى، وتعرض نماذج من صور الإسلام المشرقة في القرون المفضلة، وكيف واجه الرسول الكريم ﷺ الجاهلية الأولى، ثم تُعرِّج بعد ذلك على أسباب انتكاسة الأمة وتنكبها الطريق القويم، وسطوة أعدائها وتكالب الأمم على القصعة، ثم يأتي الحديث عن نشأة الحركة الإسلامية الحديثة، وكيف كانت البدايات ساذجة، ولم تكن مدركة للواقع العالمي، ولا حتى المحلي فضلاً عن الإقليمي، ثم تسهب الكتابات في أسباب الخلل الداخلي بشتى صوره... إلخ، وهذا كله صحيح في مجمله. ثم إذا عنونت عناوين أمثال: (كيف نخرج من الأزمة؟) أو (الخروج من التيه) أو غير ذلك من العناوين التي تُفرح كل مغتم ومتألم لحال الأمة، تجد بعد الشرح المستفيض الذي استغرق مئات الصفحات، يُقتضب الكلام، ويجمل الحديث إجمالاً: إنه (بالعودة الصادقة للمنهج الرباني) !! و (اتباع سبيل سلف الأمة الصالح في التربية والدعوة والجهاد)!! و(إدراك الحركة لمخاطر الكيد اليهودي والنصراني وقوى الشر المتكالبة على الأمة)!! و(ضرورة التكاتف والتآزر بين فصائل العمل الإسلامي، والاعتصام بالأخوة الحقة)!! بل منهم من قال بعد عشرات الصفحات في بيان تقصير الأمة وتواكلها وتخاذلها عن العمل: (إن

نصرة هذا الدين بيد الله عز وجل، ولا تحتاج إلى جهود بشرية؛ فإنه - عز وجل - إن قال للشيء (كن فيكون) !! فعلامَ الحديث السالف إذن عن أثر الفكر الإرجائي والصوفي والتواكلي وخطورته على الأمة؟

إن كل ما قيل حق، ولا غبار عليه، وهو كلام جميل ورائع؛ ولكن يا أحبتنا! يا من سوَّدتم تلك الصفحات في عرض حال أمة يعلمه الجميع، ويدركه الصغير والكبير! نشكر لكم هذه الحلول (العامة) التي نتفق وإياكم على صحتها، ولكن أخبرونا مأجورين عن تفاصيل ذلك! أفيدونا مشكورين عن برنامج علمي قابل للتطبيق العملي في وسط هذه الظروف الحوالك التي أظلمتم بها الدنيا في وجوهنا، كيف الطريق التنفيذي للعودة إلى المنهج الصافي؟

إن توحيد الصفوف وتراصُّها مطلب ملحٌّ للغاية، ولكن أخبرونا بالسبيل الذي يوحد به عشرات الألوف من الشباب الذين تربوا على تزكية النفس، وعلى التربية الروحية والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، تربوا على ذلك عشرات السنين، كيف يوحد هؤلاء مع ألوف أخرى لم ترَ من طريق لنصرة دين الله إلا مقارعة الباطل بكل ما تيسر لها، من تسفيه إعلامي، وتحقير سياسي، وحرق وقتل وتدمير، ويرون ذلك كله جهاداً وإعلاءاً ونصرة لدين الله؟ كيف السبيل إلى رص الصفوف بين هؤلاء وأولئك بعدما كبر الصغير هنا، وشاب الكبير هناك على ما أشربوه من مفاهيم؟ هذا مع فرض أن القادة والموجهين قد تآلفوا وتعاونوا؛ فكيف وقلوب رؤوس الناس لم تصفُ بعد؟!

إن طرق الحلول بهذه الوسيلة ليذكرنا بمن يعظ الناس في أهمية الخشوع في الصلاة؛ لأنها عماد الدين، ولأنها أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، ولأن الله - عز وجل - ربط الفلاح بذلك حين قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢]، والعبد إن صلحت صلاته صلح سائر عمله... إلخ؛ وهذا كله مسلَّم به، ولكن كيف نخشع في الصلاة؟ هذا جانب لا يتطرق إليه الناصح، وينقطع حديثه، أين هذا ممن يصنف في ذكر عشرات الطرق لكيفية الخشوع في الصلاة؟

إن التوصيف أمر هين، يحسنه أصحاب الأقلام، ومن لم يمسكوا الأقلام، والمريض بسهولة شديدة يصف أعراض مرضه للطبيب، ولكن الطبيب لا يزيده وصفاً آخر، قد يذكر له أسباب المرض حتى يتوقاها بعد ذلك؛ ولكن دوره لا يقف عند ذكر الأسباب، بل يصف له علاجاً لهذا المرض بعد معرفته بوصفه وسببه، ويحدد له موعداً لتعاطي الدواء وحجم الجرعات ومدة التناول، ويطلب منه مراجعته للتأكد من صحة سير العلاج وتحسُّن المريض، فإن لم يكن أهل العلم والفكر والدعوة أطباء الأمة، فأي دور يريدونه لأنفسهم؟!

ولا شك أن القضية المطروحة للنقاش جدٌّ هامة، فهي واقع معاش، ولكن لا بد من وضع القضية في إطارها الصحيح، وحجمها الصحيح، وتقدير زمانها بشكل صحيح. إن تراجع العمل الإسلامي الحالي عما قدمه قبل ذلك حاصل بلا شك، والعودة لمراجعة ذلك التراجع خطوة صحيحة على الطريق، ولكن قضية التضخيم، والمبالغات، والتوريم السطحي لقضايا كبيرة تمس حياة الأمة، هو أمر ينبغي التنبيه عليه. وإنها لمهمة عظيمة وخطيرة في الوقت ذاته، تحتاج إلى أصحاب الأفهام والعلم الأصيل، وتحتاج إلى رجال يتجرعون لآلام أمتهم يبيعون أنفسهم لله.

ولكون محدثكم ليس من هؤلاء ولا أولئك فلا يستطيع تقديم صورة علمية قابلة للتطبيق العملي في هذا الواقع المأزوم، ولكن في الإمكان أن تكون هذه دعوة لرموز الأمة من علمائها الأبرار ودعاتها الأطهار، ومفكريها الأخيار الذين يستطيعون أن يجتمعوا ويأتلفوا، ويضعوا مسألة التوصيف جانباً؛ فقد وصفنا بما فيه الكفاية، ونحتاج إلى برامج عملية لحل إشكالات الأمة الكبيرة، وإلا بقي السؤال قائماً: كيف نخرج من الأزمة؟

المسلمون

- **حل القضية الكشميرية بأيدينا .. ولكن؟**

د. محمد طاهر حكيم

- **كشمير وإرهاصات الحل النهائي**

د. يوسف بن صالح الصغير

- **النـزاع الإثيوبـي الإرتيـري**

سعيد إسماعيل صابر

- **دعوة الوثنيين في مالي**

مكتب مالي

- **مرصد الأحداث**

حسن قطامش

العالم





حول القضية الكشميرية بأيدينا ولكن!

د. محمد طاهر حكيم

كشمير جرح قديم من الجراحات الساخنة التي أصابت جسد الأمة الإسلامية الضعيف في هذا العصر الكئيب الذي يشهد تعرّض المسلمين لنكبات ومآسٍ وتداعي الأمم، وتكالب الأعداء عليهم من كل حدب وصوب.

كشمير المسلمة التي احتلتها الهند ظلماً وعدواناً في عام ١٩٤٧م ثم قامت بممارسة العنف والاضطهاد لمنع الشعب المسلم من المطالبة بتقرير مصيره وفقاً لقرار الأمم المتحدة الصادر في ٥ يناير ١٩٤٩م، ذلك القرار الذي كان وراءه الحكومة الهندية نفسها.

وقد بلغت الوحشية الهندوسية ذروتها منذ عام ١٩٩٠م حين أصدر البرلمان الهندوسي - (برلمان أكبر دولة ديموقراطية كما يزعمون) قراراً يسمح لقوات الاحتلال في الولاية والتي يزيد عدد أفرادها عن سبعمائة ألف جندي - وهو ما يمثل أعلى نسبة وجود عسكري في أي منطقة في العالم؛ إذ يبلغ عدد جنود الاحتلال الهندوسي في الولاية ١ : ٧ بالنسبة إلى السكان - بعملية استئصال المسلمين وقتلهم عشوائياً، والزج بهم في غياهب السجون ومراكز التفتيش والتعذيب، وذبح أطفالهم، وحرق شبابهم أحياءً، وهتك أعراضهم، ونهب أموالهم، وإحراق بيوتهم ومنازلهم ومزارعهم حتى أصبح الشعب هناك يعيش تحت الإرهاب والحكم العسكري ونظام المعسكرات الذي يذكرنا بأساليب النازية والفاشية بحجة أنهم إرهابيون ولا ذنب لهم إلا أنهم يطالبون بتقرير مصيرهم الذي وُعدوا به من المنظمة الدولية.

وقد قدّم الشعب الكشميري خلال هذه المدة التضحيات

الضخمة لتحقيق هدفه السامي؛ حيث بلغ عدد الشهداء أكثر من سبعين ألف شهيد وعدد الجرحى أكثر من ثمانين ألف جريح، ووصل عدد المعتقلين إلى أكثر من سبعين ألف معتقل إلى جانب عشرات الآلاف من المنازل والمتاجر والمساجد والمدارس التي دُمرت وأحرقت، والآلاف من النساء المسلمات اللاتي تعرضن للاغتصاب على أيدي الجنود الهندوس. وبلغ عدد العوائل التي نكبتْ في فَقْد عائليها نحو نصف مليون عائلة(١).

ويزداد الوضع سوءاً يوماً بعد يوم في الوادي الجميل، وتحمل لنا الأخبار يومياً أنباء الاعتقالات والاغتيالات والمداهمات، ويتساقط الشهداء الواحد تلو الآخر، والعالم الإسلامي صامت لا يفعل شيئاً، ولم ينطق بكلمة فاعلة تجاه هذا الجرح النازف. وأما العالم الحر فإنه يبدو وكأن صرخات النساء والأطفال والشيوخ لم تصل إلى سمعه ولن تصل أبداً؛ لأنه صنع من الهند النووية التي تحرس له شرق آسيا من المد الإسلامي عملاقاً عسكرياً وبطلاً بوليسياً مهمته تأديب الدول الإسلامية في المنطقة.

وقد دفع هذا الإرهاب الهندوسي المسلمين في كشمير إلى مواجهة الاحتلال والقيام بعمليات فدائية بطولية ضده؛ وذلك بعد وصولهم إلى حد اليأس في معاناتهم وعدم وجود بصيص من الضوء في نهاية النفق.

وقد وقعت في الفترة الأخيرة جملة أحداث ومتغيرات جعلت قضية كشمير في بؤرة الاهتمام الدولي، ومن هذه الأحداث:

١ - إعلان كل من الهند وباكستان امتلاك الأسلحة النووية والصاروخية في مايو عام ١٩٩٨م. ولا شك في أن امتلاك الدولتين هذا النوع من السلاح المدمر له أثر كبير على الأحداث الجارية والمشحونة بالتوتر الشديد في كشمير، وإذا علمنا أن حربين من الحروب الثلاثة وقعت بين البلدين كان سببهما كشمير ظهر لنا خطورة الموقف في المنطقة بعد امتلاك البلدين الأسلحة النووية.

٢ - ثم تأتي المواجهة الأخيرة التي قادها المجاهدون الكشميريون في «كارجل» العلم المهتي والصمود لأكثر من شهر أمام القوات الهندوسية حتى عرضتْ عليهم الهند أنْ توفر لهم ممراً آمناً لينسحبوا إلى كشمير الحرة. وهذا يُعتبر تحولاً مهماً في قوة المقاومة الكشميرية وقدرتها على المناورة.

وقد خسرت الهند في هذه المواجهة من الجنود أكثر مما خسرتْه في حرب عام ١٩٧١م، وكاد البلدان النوويان أن يدخلا في حرب حقيقية، وقد أثبتت هذه المواجهة خطورة الموقف في كشمير وضرورة حله في أقرب فرصة ممكنة.

ولكن كيف السبيل إلى حل هذه القضية القديمة؟ هل بقرارات مجلس الأمن، أو بطلب المساعدة من الدول الكبرى؟

إن الرهان على كل هذا لحل القضية الكشميرية رهان خاسر؛ وذلك لأن قرارات مجلس الأمن لا تطبق إذا كانت في صالح المسلمين، لكن لو كانت هذه القرارات ضدهم فإنها تفرض عليهم كما تفرض على دولهم العقوبات الاقتصادية والتجارية والعسكرية والمقاطعة الدولية إذا لم تخضع لرغبة الدول الكبرى، بل وتدرج أسماؤها في قائمة الدول المساندة للإرهاب والمنتهكة لحقوق الإنسان .. إلخ. أما الدول الأخرى المحتلة لأراضي المسلمين والغاصبة لحقوقهم فلا تلزم بتطبيق أي قرار صادر من مجلس الأمن، ولا تفرض عليها أية عقوبات إلا صورياً ذراً للرماد في عيون المسلمين. بل هي في كثير من الأحيان تعربد يمنة ويسرة وتهزأ بقرارات

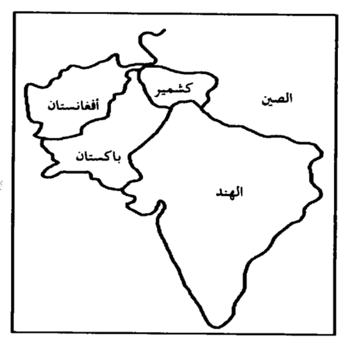
---

(١) مقابلة مع اليف الدين الترابي في مجلة الحرس الوطني العدد ٢١٠، رمضان ١٤٢٠هـ.

المجلس «الموقرة» دون أن يثير ذلك حفيظة المجلس، أو أن يكون فيه التحدي للمجتمع الدولي. وهذا يؤكد أن المجلس لن يقف مع أية قضية للمسلمين مهما كانت إذا كان الطرف الآخر فيها من غير المسلمين، وهذا واضح من القرارات التي أصدرها المجلس في قضية فلسطين وكشمير والبوسنة وغيرها من القضايا الإسلامية.

الحقيقة أننا - نحن المسلمين - نبالغ في حسن الظن بمجلس الأمن عندما نلجأ إليه ونتوقع منه أن ينظر إلى قضايانا بعين العطف أو على الأقل بعين العدل والإنصاف، ويغيب عن أذهاننا حقيقة مهمة وهي أن أعضاء المجلس الدائمين يُهمهم أول ما يهمهم مصالح بلدانهم الخاصة؛ فقد كتبت مجلة «أخبار الولايات المتحدة والعالم» الأمريكية في ٢٣/٥/١٩٩٤م: إن انتهاكات الهند لحقوق الإنسان - وهي مروعة وبشعة - تثير سخطاً أقل لدى الرأي العام الأمريكي وأعضاء الكونجرس؛ وذلك بسبب واضح من وجهة نظرنا نحن وهو أن الضحايا في الهند هم من المسلمين في جميع الأحوال؛ فإن المصالح الأمريكية مع الهند هي أيضاً من الضخامة بحيث لا يمكن التضحية بها من أجل الأخلاقيات والمثل»!!.

وهكذا قد تم إبلاغ رئيس وزراء الهند السابق خلال زيارته لواشنطن في الأسبوع الأخير من مايو ١٩٩٤م بأن إدارة كلينتون ستتوقف عن أي نقد علني مباشر لخرق الهند لحقوق الإنسان، وأن أي ملاحظات بهذا الصدد سيتم تداولها بين البلدين بالطرق الدبلوماسية. وفي زيارته الأخيرة للمنطقة صرح كلينتون في الهند - وبالحرف الواحد أنه: «لم يأت للمنطقة للوساطة في قضية كشمير، وأن على البلدين أن يحلا هذه القضية فيما بينهما، ولم يُشر - من قريب ولا بعيد - إلى أن هذه القضية قد صدرت فيها قرارات من مجلس الأمن وعلى الهند أن تطبق هذه القرارات؛ كما اغفل تماماً موضوع



انتهاك الهندوس لحقوق الإنسان، رغم أن إدارته قد وصفت الهند - في التقرير السنوي لحقوق الإنسان عام ١٩٩٨م «بأنها رائدة وبامتياز في مجال انتهاك حقوق الإنسان في العالم؛ حيث تتفوق على الكثير من الدول بانتهاكاتها الواسعة والمتعددة الوجوه والأشكال لحقوق الإنسان». ولكن لأن الضحايا هم من المسلمين فإن أمريكا لا تضحي بمصالحها من أجل حقوق طائفة من المسلمين.

ولنا أن نتساءل: لو كان الكشميريون يهوداً أو نصارى أهكذا كان كلينتون يتعامل مع هذه القضية؟ وهذا يؤكد مرة أخرى أن الدول الكبرى لن تقف مع أية قضية للمسلمين إذا كان الطرف الآخر فيها من غيرهم.

إن تزييف من يسيِّر مجلس الأمن ليس له حد ولا مثيل؛ فهم يتغنون بالديمقراطية، ويدعون إلى حق تقرير المصير وتحرير الشعوب المضطهدة فإذا تعلق الأمر بالمسلمين رأيت عجباً؛ فـ «قرارات الأمم المتحدة في شأن كشمير صارت قديمة بالية مضى عليها خمسون عاماً» و «نحن نتفهم أسباب ضرب روسيا للشيشان ونقدرها» و «إننا لن نسمح مطلقاً بوجود دولة على عتبات أوروبا يحكمها المسلمون» أما إذا تعلق الأمر بغير المسلمين فيظهر الوجه البريء للمنظمة الدولية، فتقلق وتحزن على انتهاك

حقوق الإنسان. فتيمور الشرقية كانت جزءاً من إندونيسيا، ومعظم سكانها من النصارى الذين طالبوا بالاستقلال، فتدخلت المنظمة الدولية وأرسلت القوات وفرضت استقلالها وانفصالها بدعوى تحقيق رغبة (الشعب التيموري) بالانفصال، وأعطت المنظمة الدولية إنذاراً للقوات الإندونيسية بالانسحاب من الإقليم خلال ٤٨ ساعة وهكذا حصل.

والسؤال: هل هناك شك في رغبة المسلمين في كشمير في الانفصال عن الهند، أو رغبة الشيشانيين عن روسيا، أو رغبة الكوسوفيين عن صربيا؟ فلماذا لم يدعُ مجلس الأمن للاستفتاء على استقلال كشمير أو الشيشان أو كوسوفا؟ ولو تم ذلك وكانت النتيجة بالإيجاب فهل يفرض مجلس الأمن بالقوة ذلك الاستقلال؟

الجواب طبعاً: لا؛ والسبب واضح؛ فانسحاب القوات الإندونيسية من تيمور الشرقية يؤدي إلى قيام دولة نصرانية وتقطيع جزء من الدولة المسلمة وهو مطلب الغرب ومبتغاه، وأما انسحاب القوات الروسية من الشيشان أو الصربية من كوسوفا أو الهندوسية من كشمير فسوف يؤدي إلى قيام دولة مسلمة على أعتاب روسيا في الشيشان، وإلى قيام دولة مسلمة في قلب أوروبا بالنسبة لكوسوفا وإلى تقوية دولة باكستان الإسلامية بسبب كشمير وهذا كله مرفوض عندهم.

إذاً فحلُّ قضايانا لا يكون بقرارات مجلس الأمن، ولا بالشكوى إلى الدول الكبرى وإنما بالقيام بواجبنا في نصرة إخواننا في كشمير وغيرها.

إن الوضع في كشمير جد خطير، والهندوس بعد زيارة كلينتون وتأييده الواضح لهم أصبحوا أكثر تعسفاً واستعلاءاً وعربدة، ويلوّحون بشن حرب ضد باكستان بعد أن صرّح الناطق باسم كلينتون قائلاً: «تخطئ باكستان إذا كانت تظن أن أمريكا تؤيدها إذا وقعت حرب بين الهند وباكستان» وفي هذا الكلام تهديد مبطن بالحرب، وتأييد واضح للهندوس، بل تحريض لهم على شن حرب ضد باكستان.

خطوات حل الأزمة:

لذا أرى أن حل القضية الكشميرية يكون باتباع الخطوات الآتية:

أولاً: التضرع بالدعاء والتوجه إلى الله ـ تعالى ـ لينصر هؤلاء المظلومين؛ فإن الدعاء يعمل ما تعجز عنه القذائف والصواريخ: يُروى أن قتيبة بن مسلم استعصى عليه فتح كابول، فقال: عليٌّ بمحمد ابن واسع ـ وكان عابداً زاهداً ـ فأُخبر بأنه متكئ وهو يشير بأصبعه إلى السماء، ويقول: يا حيُّ يا قيوم انصرنا عليهم! فقال: لأصبع محمد بن واسع أحبُّ إليَّ من ألف سيف شهير في سبيل الله.

ثانياً: الاستمرار في جمع المساعدات المالية وتقديمها لهم بقصد تغطية احتياجات المجاهدين ورعاية المهاجرين والمجروحين ومن لا عائل لهم منهم حتى تتغير الظروف لصالحهم. وهذا واجب شرعاً. قال ـ تعالى ـ: **﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ [الأنفال: ٧٢]** وقال ـ سبحانه ـ: **﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]**، وفي الصحيحين قال ﷺ: «المسلم أخو المسلم: لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يسلمه» وأخرج الإمام أحمد من حديث سهل بن حنيف أن النبي ﷺ قال: «من أُذلَّ عنده مؤمن فلم ينصره ـ وهو يقدر على أن ينصره ـ أذله الله على رؤوس الأشهاد يوم القيامة»، وهو ضعيف لكن يشهد له حديث أنس أن النبي ﷺ وسلم قال: «من نصر أخاه بظهر الغيب نصره الله في الدنيا والآخرة» رواه البيهقي.

إن الواجب على كل مسلم أن ينصر إخوانه في كشمير وفي غيرها بكل ما يستطيع؛ فمن استطاع أن ينصرهم بماله فليفعل، ومن استطاع أن ينصرهم

بالكلمة قولاً أو كتابة عبر وسائل الإعلام المختلفة فليفعل، ومن استطاع أن يدافع عنهم بنشر قضيتهم بين الأمم والشعوب وتعريف العالم بما يقع عليهم من ظلم واضطهاد وقهر وتقتيل وتشريد وتهجير ونهب ممتلكات وتدمير منازل ومزارع من قبل الجنود الهندوس وعصاباتهم المتطرفة فليفعل. ولا أقل من أن يشترك جميع المسلمين في الدعاء لهم.

ثالثاً: أن تقوم الشعوب الإسلامية بالضغط على حكوماتها لتقطع كل العلاقات مع الهند - إذا لم توقف حملتها ضد الشعب الكشميري وتحدد موعد إجراء الاستفتاء الموعود - مع التنديد الشديد والتشهير بما تقوم به قوات الاحتلال في الولاية من الممارسات الإجرامية، وتعلن تأييده وتبني قضيته صراحة وتعرضها في المحافل الدولية بما يتفق مع الواقع والحقيقة لا كما تردده أبواق الدعايتين الهندوسية والصهيونية.

رابعاً - وهو الأهم -: أن تقوم جميع الحكومات الإسلامية بإخطار الهند رسمياً أن مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية مهدّدة في جميع المناطق في العالم الإسلامي إذا لم توافق على إجراء الاستفتاء في الولاية وتحدد موعده. فإن لم تفعل الهند ذلك نفّذت الحكومات الإسلامية المقاطعة الاقتصادية؛ فهذه هي ورقة الضغط الإسلامية التي لو استخدمتها الدول الإسلامية - فإن الهند سوف تجثو على ركبتيها طالبة هي الحل؛ لأن أكثر من ٧٠٪ من اقتصاديات الهند تقوم على العائد من الدول الإسلامية؛ فهناك مئات الألوف - بل الملايين - من العمالة الهندوسية ومئات الشركات الهندوسية تعمل في هذه الدول، كما أن هذه الدول تعتبر من أكبر الأسواق للمنتوجات والمصنوعات الهندية، والأموال التي تكسبها الهند من هذه الدول تصرف لقتل المسلمين وسفك دمائهم في كشمير وفي داخل الهند؛ فقد أوردت مجلة «الوسط» (٣١/١/١٩٩٤م) في تحقيق مفصل لها مخاطر العمالة الهندوسية والجرأة البالغة الخطيرة للتنظيمات السياسية الهندوسية؛ فضلاً عن بلايين الدولارات التي يحولها هؤلاء إلى أحزابهم المتطرفة التي تفتك بالمسلمين في الهند وتعمل على إبادتهم.

وتقول المجلة: إن الصحافة القطرية قد شنت حملات شعواء على العمال الهندوس مستندة إلى منشور تم توزيعه بينهم وأسمته مجلة الشرق القطرية: «المنشور القذر» وهو موجه من القائد المحلي لجماعة RSS/VIP إلى جميع المتطوعين الهندوس وجاء فيه: «اذهبوا يومياً إلى المعبد صباح مساء أينما كنتم، شيدوا معبداً في منازلكم ومواقع أعمالكم ومتاجركم التي تعملون فيها.. حافظوا على معبودكم من خلال تمثال «راما» أقيموا اجتماعات أسبوعية، وقدموا تقاريركم إلى القائد المحلي، واعملوا قدر طاقتكم على إغراق أصدقائكم وزملائكم في إدمان الكحول والمخدرات والنساء، كونوا على صلة حميمة جداً بالمسلمين لتتمكنوا من تفريق وحدتهم، واجعلوا الغش شعاركم في التعامل معهم».

وجاء في المجلة أيضاً: «وحذرت الصحف القطرية من أن العاملين الهندوس في الخليج يموّلون المنظمات الهندوسية المتطرفة مثل جماعة (فيشوار هدو بيرشاد) التي قامت بدور بارز في عملية هدم مسجد بابري وكذلك منظمتي (ما هات شترا) و(شيتوسنيا) اللتين تثيران المشاعر ضد المسلمين الهنود.

بل إن هناك أمراً أخطر من سابقه يدعو إلى مقاطعة الهندوس الوثنيين وهو: بُعد التوغل الصهيوني إلى منطقة الخليج عبر البوابة الهندية؛ فقد حذّر الكاتب إبراهيم إسماعيل في مجلة الإصلاح العدد ٢٦٤ تاريخ ٢٥/١١/١٩٩٣م) مما سماه الخطر المنعكس على الخليج من العلاقات الهندوسية الصهيونية المتنامية، وقد أثار الكاتب عدة أسئلة مهمة في هذا الصدد عن حجم

الاختراقات الإسرائيلية الهندية لأجهزة دول المنطقة وتغلغلها إلى مواطن التأثير، وعن حجم الاستثمار اليهودي عن طريق البوابة الهندية، وعن حجم العمالة اليهودية الهندية - المليونيرية - التي يُخشى أن تكون هي التي تسيطر على ٨٠٪ من أسواق المنطقة سواء أسواق الذهب أو الإلكترونيات أو الأقمشة، مشيراً إلى مخاطر ذلك كله على الحالة الأمنية والاجتماعية والاقتصادية وكذلك على العمل الإسلامي في المنطقة مذكِّراً في هذا الصدد بالعداء الهندوسي الصهيوني المتأصل لكل عمل إسلامي في ضوء تصريحات المسؤولين في البلدين، وأشار إلى بيان وزير الخارجية الصهيوني في زيارته الأخيرة للهند حيث صرح قائلاً: «إن الكيان الصهيوني والهند معنيتان بمواجهة الخطر الأصولي الإسلامي المشترك سواء عبر منظمة حماس أو حركة المقاومة الكشميرية، وإن هناك تنسيقاً كاملاً ومشتركاً بين دلهي وتل أبيب لتبادل المعلومات والخبرات في هذا الجانب».

لأجل هذا كله فإن مقاطعة الهندوس ليس واجباً إنسانياً وقومياً فحسب بل هو واجب ديني شرعي أيضاً، فقد دعا سماحة الشيخ ابن باز - رحمه الله - إلى مقاطعة الهند اقتصادياً وسياسياً[١] كما أفتى فضيلة الشيخ عبد الله بن جبرين بوجوب مقاطعة الهندوس لما سئل عن حكم استقدامهم والتعامل معهم؛ حيث قال: «ولا يجوز إكرامهم ولا استخدامهم بما فيه إعزاز لهم مع وجود المسلمين الذين يقومون مقامهم.. على المسلمين في كل البلاد أن يقاطعوا هذه الفئة من الهندوس والسيخ ونحوهم من الكفرة ويقطعوا الصلة بهم.. ويردوا إليهم العمالة التي تعمل في بلاد المسلمين حتى لا يعينوا الكفر على الإسلام، وذلك من الجهاد في إظهار الإسلام وإذلال الكفر»[٢].

إن الدول الإسلامية مسؤولة أمام الله - تعالى - عن تفريطهم في مساندة إخوانهم في كشمير وفي الهند وهي قادرة على نصرتهم ضد ممارسات الهندوس الإجرامية بالمقاطعة الاقتصادية.

إننا على يقين بأنه لو قامت الدول الإسلامية بمقاطعة المصنوعات والمنتوجات الهندية وكذلك الشركات الهندية المختلفة، وطردت العمال الهندوس وقذفت بهم إلى شوارع كلكتا ودلهي وبومبي (وأحلّتْ محلهم العمال المسلمين من الهند وغيرها) فإن الهند تجثو على ركبتيها ذليلة خاضعة تطلب هي بنفسها إجراء الاستفتاء في كشمير، ونكون بهذا قد نصرنا إخواننا في الله، وجنبنا المنطقة حرباً خطيرة - لا قدر الله - فالمقاطعة الاقتصادية وحدها تستطيع إجبار الهندوس على الاستجابة لمطالب المسلمين، ومن كان عنده شك في ذلك فليجرب؛ والتجربة خير برهان.

إن الحقيقة التي لا تحتاج إلى إثبات هي: أن قضايانا لن يحلها أحد سوانا، وأن شرور الهندوس والصهاينة والصليبيين والشيوعيين واعتداءاتهم على المسلمين لن يقهرها «شرعية دولية» ولا قرارات شجب واستنكار وإدانة وإنما تهزمها وحدة المسلمين واتفاقهم ضد أعدائهم اقتصادياً ودفاعياً وتفوقهم التقني والعلمي والعسكري.

إننا ندعو إلى تعزيز دور منظمة المؤتمر الإسلامي وتفعيله، وإلى وجوب الاتحاد والتعاون بين المسلمين في كل المجالات ولا سيما الاقتصادية والعلمية والدفاعية.

والله من وراء القصد،،،

---

(١) مجلة كشمير، العدد الحادي عشر والثاني عشر، رجب ١٤١٣هـ ص ٢٢.

(٢) بيان صادر عن جمعية الإصلاح في دولة الإمارات، دبي ٧/١٢/١٩٩٢م.





كشمير وإرهاصات الحل النهائي

د. يوسف بن صالح الصغير

يمثل عـام ١٩٤٧م بداية الصـراع الدمـوي فـي كل من فلسطين وكشـمير؛ مع تماثل في الدور الإنجليزي الذي يتلخص في تسليم بلاد المسلمين إلى أعدائهم من اليهود والهندوس. وقد صدر قرار الأمم المتحدة الذي ينص على حق الشـعب الكشـميـري في تقـرير المصير وذلك عام ١٩٤٩م، وما يزال هذا القرار حبراً على ورق، بل ويتجاهله اللاعبون الكبار؛ لأن الهدف منه ليس إعادة الحقوق إلى الشعب المسلم في كشمير بل امتصاص غضب الناس وإعطاءهم أملاً كاذباً بالحصـول على الحقوق. وقد قـامت الهند بعد احتلالها ثلث كشمير بمحاولة تخدير الشعب الكشميري وكسر حدة مقاومته عن طريق إعطاء إقليم كشـمير الحكم الذاتي، وأطلقت عليه اسم: (جـامو وكشـمـير)، ويطلق على رئيس حكومـة الإقليم لقب رئيس الوزراء أسـوة برئيس الحكومـة الهندية، وكـان لها عَلَمُهـا الخـاص وبرلمانهـا الخـاص، واسـتـمـر هذا الوضـع من ١٩٤٩م إلى ١٩٥٣م؛ حيث بدأت الحكومـات الهندية المتعـاقبة في تقليص مـيزات الحكم الذاتي حتى تم إلغاء لقب رئيس الوزراء، وأصبح يطلق على رئيس حكومة الإقليم لقب كبير الوزراء أسوة بالولايات الهندية الأخرى.

وبقدر مـا كـانت هزائم باكسـتـان المتوالية في الحـروب مع الهند عـاملاً أسـاسـيـاً في تثبيت الهند أقدامـهـا في كشـمـير، وفي تسـرب اليـأس إلى نفوس الشـعب الكشـمـيري، فـإن الحـرب في أفـغـانسـتـان وخـروج الروس منها قد بعث الأمل في إخـراج الهنود من كشـمير. وكـان اشـتـراك عـدد كـبـيـر من المجـاهدين الكشـمـيـريين في حـرب أفغانستان وتوجههم إلى كشمير بعد توقف الجهاد في أفغـانستان بداية مـرحلة جديدة في كشمير من العمل المسلح مع بروز العامل

الإسلامي وتكوُّن حركات جهادية كثيرة. ومنذ قيام ثورة ١٩٨٩م التي ما زالت مستمرة حتى الآن فقد تحولت كشمير إلى جرح مؤلم للهند يبتلع ٢٠٪ من الميزانية العسكرية وبلغ عدد القوات الهندية حوالي ٦٠٠,٠٠٠ جندي، أي حوالي عسكري هندي لكل سبعة كشميريين، وبلغت الخسائر البشرية ما بين ٢٥ إلى ٧٠ ألف قتيل، وكان هذا الصراع مؤلماً؛ حتى إن وزير الدفاع الهندي سارع فور التفجيرات النووية الهندية إلى الكشف عن نية الهند اجتياح بقية كشمير وتحدي باكستان أن تختار مكان المعركة وزمانها، وبدا للهند أنها قاب قوسين أو أدنى من إنهاء القضية بابتلاعها كلها وتحطيم باكستان الداعم الرئيس - أو لنَقُلْ الوحيد - للمقاومة في كشمير؛ ولكن التفجيرات النووية الباكستانية أعادت التوازن للمنطقة، واستمر النزيف مع إصرار الهند على عدم بحث قضية كشمير في أي لقاء دولي أو حتى اشتراك دولة ثالثة في المفاوضات، وكان التجاهل التام هو نصيب مطالب الكشميريين بالحرية والاستقلال أو الانضمام لباكستان حتى قامت عملية كارجيل التي يبدو أنها أُعِدت بدقة على أعلى مستوى من قِبَل الجيش الباكستاني والمجاهدين.

عملية كارجيل وبداية التدخل الأمريكي:

بينما كان العالم الغربي النصراني مستنفراً قواه في سبيل فصل تيمور الشرقية عن إندونيسيا بدعوى تحقيق مطالب الشعب التيموري، وكالمعتاد كان علم الأمم المتحدة يرفرف فوق القوات الأسترالية التي نابت عن العالم الغربي في تنفيذ مهمة نصرة الشعب النصراني المظلوم وفي تنفيذ قرارات الأمم المتحدة بإعطاء شعب تيمور الشرقية حق تقرير المصير بدأت عملية كارجيل لتذكير العالم أن هناك قراراً للأمم المتحدة عمره خمسون عاماً بإعطاء شعب كشمير حق تقرير المصير، ومع ذلك فلم يلتفت أحد لهذا القرار، بل قامت الهند بحشد قواتها وسط تأييد غربي لعملية إبادة قوات المتطرفين التي وقعت في الفخ وتصفيتها، وتم حصار المنطقة الجبلية المنيعة؛ ولكن القوات الهندية أخفقت في إعادة احتلال المواقع التي استولى عليها المجاهدون، وتكبدت آلاف القتلى من قوات النخبة، وهنا تدخلت أمريكا وقدمت عربون التحالف الاستراتيجي مع الهند، وتم استدعاء رئيس وزراء باكستان آنذاك نواز شريف إلى واشنطن، وأُجبر ليس فقط على الاعتراف بالدور الباكستاني في العملية بل وتعداه إلى إصدار أمر بانسحاب المجاهدين في حرج شديد؛ ولكن المقاومة الشرسة التي أبداها المجاهدون اضطرت الهند إلى فتح ممر آمن لهم والسماح بانسحابهم إلى كشمير الحرة.

إن زيارة الرئيس الأمريكي كلينتون للهند، ومن ثم مروره على باكستان تدل على الاستراتيجية الأمريكية الجديدة في المنطقة؛ فقد أحيطت الزيارة للهند بكثير من الاهتمام وكانت عبارة: (أكبر ديمقراطيتين في العالم) تتكرر كثيراً أثناء الزيارة مما يدل على الاحترام المتبادل، بل وتكرمت أمريكا بالاعتراف أن الهند دولة قوية لها مصالحها الخاصة التي لها الحق في حمايتها؛ وذلك خلاف الدول الصغرى التي تتعامل معها أمريكا وفق مصالحها الخاصة فقط. لقد ألقى الرئيس كلينتون خطاباً مهماً في مجلس النواب الهندي صرح فيه أن سياسات الحكومة الهندية ستكون لها عواقب تتجاوز حدود الهند، ولكنه عاد واعترف بأن الهند عليها أن تتصرف حسب مصالحها؛ ومن ناحية أخرى حث الهند على إجراء حوار لحل الأزمة في كشمير التي اعتبرها عامل عدم استقرار في المنطقة. إن الفارق بين الزيارتين أن زيارة الهند فيها كثير من الغزل الدبلوماسي، وتشمل المباحثات التصدي للصين ومجالات التعاون التقني والاقتصادي وسبل دعمها.

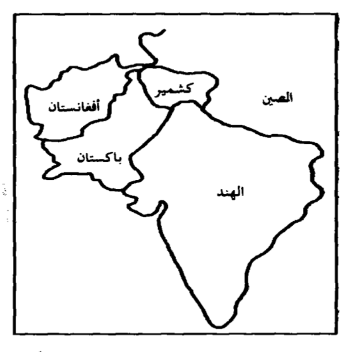
أما الزيارة لباكستان فتتركز على شكل الحكومة وتخفيف الدعم للأحزاب الكشميرية، بل إن طلب التحقيق مع الشيخ مسعود أظهر الذي أطلقته الهند بعد عملية خطف الطائرة الهندية، وأخيراً المساعدة في القبض على بن لادن والمشاركة في مطاردة الأفغان العرب والضغط على طالبان و... وفي المقابل، فإن المصلحة الباكستانية المتوخاة هي فقط عدم تصعيد عملية خنق باكستان ومقاطعتها.

إن إشارة الرئيس كلينتون إلى وجوب الحوار لحل الأزمة في كشمير مع اقتناع الهند بصعوبة الحل العسكري أو استحالته قد أدى إلى تداعيات كثيرة حولها كثير من علامات الاستفهام.

يوجد في كشمير عدد كبير من الأحزاب والجبهات ومنها حزب المؤتمر القومي الذي يسيطر على حكومة الإقليم برئاسة فاروق عبد الله، وهو حزب موال للهند نوعاً ما، وهناك تحالف جميع الأحزاب الكشميرية للتحرير ويضم ٢٠ حزباً وجماعة وكان يرأسه الشيخ سيد علي شاه ورئيسه الحالي البروفيسور عبد الغني بت، وأخيراً مجلس الجهاد الموحد بقيادة سيد صلاح الدين رئيس حزب المجاهدين وهذا المجلس يضم أكثر التجمعات الجهادية وأكثرها عداءاً للوجود الهندي.

الهند وسياسة فرق تسد:

إن كثرة الأحزاب الكشميرية وتفاوت طروحاتها وأهدافها له دور مؤثر في إضعاف الجانب الكشميري وفي إيجاد مجال للمناورة في الجانب الهندي الذي يبدو أن تحركاتهم محسوبة بدقة؛ فقد بدأت عملية جس النبض والحوار مع الوسط؛ وذلك من أجل جذب الأطراف؛ فقد قامت السلطات الهندية بإطلاق عدد من قادة تحالف جميع الأحزاب الكشميرية للتحرير، وفتحت الحكومة الهندية قنوات اتصال مع قيادة التحالف بقيادة الشيخ سيد علي الجيلاني. وتصر الهند على إجراء المحادثات في



إطار الدستور الهندي أي بقاء كشمير جزءاً من الهند، وهذا ما يرفضه حالياً جميع قادة التحالف والذين يصرون من جانبهم على وجوب مشاركة باكستان في المباحثات؛ لأنها حليف أساس للمقاومة الكشميرية من جهة، ومن جهة أخرى فإن استقلال كشمير الذي يطالب به بعض الأحزاب يقتضي موافقة كل من الهند وباكستان عليه.

إن رد فعل الحكومة المحلية في كشمير على المباحثات هو طرح قانون الحكم الذاتي، وصوّت البرلمان في جامو وكشمير لصالح العودة إلى وضع ما قبل ١٩٥٣م. وبعد حوالي شهر رفضت الحكومة الهندية بإجماع وزرائها هذا القرار. وهذا الرفض يعني عدم مناقشة القضية في البرلمان الهندي، وهذا الرفض يوحي بأن الحكومة الهندية تريد إرسال إشارة إلى الأحزاب الكشميرية أن الحكم الذاتي هو أقصى ما يمكن قبوله، وأن دور حزب المؤتمر القومي في إدارة كشمير قد شارف على الانتهاء.

وأخيراً كانت ردة الفعل الثانية أو الخطوة الثالثة ألا وهي إعلان حزب المجاهدين ـ وهو أكبر الأحزاب في كشمير ـ على لسان قائده الميداني في سرينجر وتبعه إعلان القيادة في باكستان هدنة مؤقتة لمدة ثلاثة أشهر، وكان هذا الأمر مفاجأة للأحزاب

الأخرى خاصة أعضاء مجلس الجهاد الموحد الذين أعلنوا رفضهم هذه الهدنة، وأصدروا بياناً فيما يلي نصه:

«يعلن مجلس الجهاد الموحد بعد البيان الذي أعلنه حزب المجاهدين بكشمير المحتلة (عبد المجيد دار) وباكستان (سعيد صلاح الدين) أن إعلان الهدنة ووقف القتال ضد قوات الاحتلال الهندية أو إجراء مفاوضات معها في هذا الوقت هي قرارات مرفوضة وغير مقبولة، وأن الجهاد سيتواصل حتى تحرير كشمير؛ لأن الهند أكدت في كل مناسبة رفضها وقف مظالمها واعتداءاتها على السكان المحليين، كما أن الهند لا تسعى سوى إلى بث الفرقة بين القادة العسكريين والسياسيين داخل كشمير، ولا يهمها سوى مصالحها. ولقد حاولت عبر فاروق عبد الله أن تقنع الكشميريين بحيلة الحكم الذاتي وستحاول حيلاً مماثلة مع أشخاص آخرين».

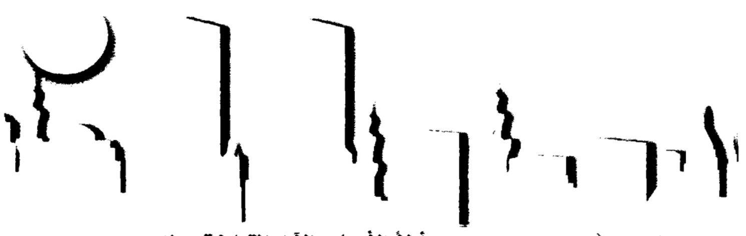
إن الانفراد بالهدنة والتفاوض سقطة وقع فيها حزب المجاهدين، وكما هو متوقع فقد أيدت أمريكا وفرنسا الهدنة، وأرسلت الهند مفاوضين إلى سرينجر، وبينما تبرأت باكستان من الإعلان وأنها لا تعترف سوى بتجمع أحزاب الحرية ممثلاً وحيداً للشعب الكشميري فإن إعلان الحزب للهدنة قبل مفاوضات مسبقة مع الهند وقبل استشارة باكستان أمر مستبعد.

إن أخشى ما نخشاه هو خضوع باكستان للضغوط الأمريكية وقيامها بالضغط على حزب المجاهدين لإعلان الهدنة وإيقاف العمل الجهادي. لقد كان رد الأحزاب الأخرى عنيفاً؛ حيث كانت تجري مفاوضات الحزب مع الهنود تحت ضغط عمليات عنيفة متوالية مع هجوم إعلامي كثيف ضد الهدنة مما دفع الحزب وخوفاً من فقدان قواعده إلى إعلان إيقاف الهدنة واستئناف العمليات بدعوى رفض الهند مشاركة باكستان في المفاوضات ومن أجل تسويغ الهدنة وأن الحل لا يمكن إلا بتدخل باكستاني مباشر وهو ما يصعب تصوره عملياً؛ فقد صرح رئيس الحزب سيد صلاح الدين لهيئة الإذاعة البريطانية أن الوقت قد حان لِتُقْدِمَ باكستان على المخاطرة. وأكد صلاح أن جماعته تحت القيادة العسكرية على الإقدام على تدخل عسكري مباشر لتقديم الدعم لها حتى تتم تسوية النزاع بشكل نهائي. إن تنازل الهند وإقدامها على التفاوض يجب أن يستثمر بموقف موحد من قِبَل الأحزاب الكشميرية، وألا يكون وسيلة رخيصة للتفريق بينهم، ومن ثم التخلص منهم جميعاً! إن مسارعة المجموعات المختلفة إلى قبول الحوار بدون تنسيق يدل على قصر نظر سياسي أو على أقل تقدير يوحي بضغوط غير مرئية تمارس على الأحزاب المختلفة. إن قدرة المجاهدين على دخول المدن والقيام بعمليات كثيرة ومهاجمة مقرات القيادة الهندية يدل على قدرات عسكرية متميزة يجب استثمارها في خنق القوات الهندية وقطع خطوط تموينها وجعل حركتها مكلفة جداً، وعدم الدخول في مواجهات مكلفة. إن الجهاد في كشمير وعمليات نصب الكمائن وتدمير القوافل المتحركة سيجعل بقاء القوات الهندية وتمويل ٦٠٠,٠٠٠ جندي أمراً غير محتمل.

لماذا نوقف الجهاد عندما بدأ يؤتي ثماره التي يجب أن تتجاوز مصالح حزب معين أو قيادة معينة؟ إن ثمن وقف الجهاد يجب أن تدفعه الهند بالخروج من كشمير لا أن يدفعه المجاهدون خلافاً فوق خلاف وفرقة فوق الفرقة. إن كثرة أسماء الأحزاب وتشابهها ليس ظاهرة صحية، وإن بداية الحل تكمن في دمج الأحزاب المستقيمة على المنهج في اسم واحد ليس تحته أسماء.

وليكن شعارنا قوله - تعالى -: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].





النزاع الإثيوبي الإرتيري

لأسباب والتداعيات والتطورات المحتملة

سعيد إسماعيل صابر

أولاً: الأسباب والآراء المتباينة حوله:

النزاع الذي انفجر بين النظامين في مايو ١٩٩٨م ظل لغزاً محيراً حتى الآن، وسيظل كذلك حتى يفصح أحد النظامين أو كلاهما عن الأسباب الحقيقية وراء النزاع الذي تطور إلى حرب ضارية؛ وذلك نظراً لتاريخ العلاقة الحميمة بين النظامين والتحالف الاستراتيجي الذي كان قائماً بينهما خلال فترة النضال المسلح الذي امتد لأكثر من خمسة عشر عاماً، وهو ما يصعب معه تصديق حدوث النزاع المسلح بينهما بصورة مفاجئة ولأسباب يمكن اعتبارها غير ذات أهمية!

إنَّ مسؤولي النظامين، ـ كلاً على حدة ـ تناول موضوع الحرب الدائرة بينهما في مؤتمراتهم الصحفية والتلفزيونية، واتهم كل منهما الآخر ببدء الحرب وتناول أسبابها من الزاوية التي تخدم مصلحة نظامه وتسوِّغ موقفه لخوض غمارها.

وقد اتهم النظام الإثيوبي نظام أفورقي ببدء الحرب وتحويل النزاع من نزاع اقتصادي إلى نزاع حدودي، وقال: إنَّ النزاع بدأ في الحقيقة مع ممارسات النظام الإرتيري للتهريب والغش التجاري الذي يتعارض مع ضوابط الاتفاقية الاقتصادية التي كانت بيننا، ثم تطور الأمر بعد ذلك مع إصدار العملة الإرتيرية [نقفة] حيث طلب منا النظام الإرتيري

عتبار، الـ (نقفة) عملة موازية لعملتنا (البِرّ) ونحن رفضنا هذا الطلب بحكم تعارضه مع مصلحة بلادنا، وقررنا أن يكون تعامل التجاري بيننا على أساس خطاب الاعتماد وبالعملة الصعبة ابتداءاً من ١٩/١١/١٩٩٧م، إلا أن نظام أفورقي رفض قرار، وواصل أساليب التلاعب وتهريب السلع الإثيوبية وخصوصاً البن إلى إرتيريا وإعادة تصديره إلى دول إفريقية على ه سلعةً إرتيرية، كما واصلت شبكاته الخاصة ترويج دولارات مزيفة داخل إثيوبيا، مما اضطرنا إلى إلغاء التسهيلات تجارية التي كانت تمنح لهم، وأوقفنا صادراتنا من بن وشطة وبهارات وحتى حبوب الطاف إلى إرتيريا.

ومن جهة أخرى فإن النظام الإرتيري يقول: إن النزاع نشأ بسبب رغبة النظام الإثيوبي في ضم إرتيريا إلى كيانه السياسي ن جديد، واتهم إثيوبيا بمحاولة احتلال بادمِّي واقتطاعها من الوطن بداية لاحتلالها وإعادة السيطرة الاستعمارية عليها.

هناك بعض الدراسات التي تناولت النزاع المذكور أكدت اتهامات إثيوبيا لنظام أفورقي ببدء الحرب وتحويل النزاع إلى زاع حدودي وممارسات التهريب وترويج الدولارات المزيفة، كما أن بعض الصحف العربية والأوروبية أشارت أيضاً إلى

حدوث ذلك. ومن الدراسات التي ذكرت ذلك دراسة بعنوان: (النزاع الإثيوبي الإرتيري) صدرت العام الماضي ١٩٩٩م من «مركز الدراسات الاستراتيجية» بالخرطوم؛ حيث تناول فيها عدد من المفكرين وخبراء بأوضاع المنطقة موضوع النزاع والأسباب التي أدت إلى وقوعه استناداً إلى المعلومات التي لديهم بهذا الشأن.

هل هناك دوافع أجنبية وراء النزاع؟

وإذا تركنا جانباً ادعاءات النظامين حول أسباب النزاع هناك فإن بعضاً من المراقبين أو المهتمين بشؤون المنطقة يتحدثون عن النزاع وأسبابه بصورة مغايرة؛ وبعض منهم يدعي أنه نزاع دبره النظام الإثيوبي بتشجيع من أمريكا من خلال وضع خطة لتضييق الخناق على نظام أفورقي اقتصادياً حتى يُدفَع دفعاً لتفجير النزاع؛ وذلك لتحقيق هذه الأهداف في نهاية الأمر:

● تحجيم غلو النظام الإرتيري أو الحد من غرور رئيسه.

● أو استبداله بقيادة أخرى من داخل نظامه تكون أكثر واقعية وانفتاحاً على الصعيدين الداخلي والخارجي، وأكثر ارتباطاً وتفاهماً مع إثيوبيا. ويضيف هؤلاء: إلا أن أمريكا مع عدم ارتياحها لنظام أفورقي لا تقبل فكرة إسقاط النظام برمته رغم قبول نظام زيناوي بها؛ وذلك خوفاً من البديل المحتمل؛ حيث تقول: إن البديل سيكون أسوأ؛ وذلك لأن قوى المعارضة الإرترية التي من المحتمل أن تحل محل النظام في حالة سقوطه ستكون من الذين يتبنون أفكار القومية العربية أو الإسلامية في حين أن التجمعات السياسية التي تراهن عليها إثيوبيا لتحل محل نظام أفورقي ليست من القوة والنفوذ السياسي لتقيم السلطة البديلة وحدها.

وهناك مقولة يرددها الحادبون أو المشفقون على أحوال المسلمين في إرتيريا مفادها أن الحرب بين الطرفين حرب متفق عليها بين النظامين بهدف إبادة المسلمين الإرتيريين وتشريدهم إلى خارج الوطن لتبقى إرتيريا وطناً خاصاً للمسيحيين من البلدين، ولتأكيد ذلك يقولون: لقد لجأ عدد كبير من المسلمين الإرتيريين إلى السودان من جراء هذه الحرب، كما أن عدد ضحاياهم في جبهات القتال يفوق بكثير عدد ضحايا النصارى

الإرتيريين؛ إلا أن هذا هو مجرد تخمين لا يستند إلى أ[illegible] بيانات إحصائية رسمية كانت أو غير رسمية.

الأسباب الحقيقية وراء النزاع:

أمَّا أنا فأميل إلى القول بأنَّ أحد الطرفين تعمـ[illegible] افتعال الحرب بدون تحريض خارجي؛ نظراً لاعتقاد[illegible] بأنَّ تنفيذ مثل هذا السيناريو سوف يحسم له مشاكل[illegible] وخلافاته مع الطرف الآخر، أو يحقق له أهدافاً أخرى[illegible] وفيما يلي أسوق الأسباب التي تدعوني لتصور[illegible] النزاع على هذا النحو:

١ - التشابه في طبيعة النظامين من حيث تأثره[illegible] بموروثات الفكر الشيوعي فيما يتعلق بالسلطة وأهم[illegible] المحافظة عليها والتشبث بها.

٢ - التشابه في التحديات وفي طبيعة واتجاها[illegible] المعارضة التي واجهت النظامين قبل حدوث النزاع بينه[illegible] في مايو ١٩٩٨م.

إنَّ النظامين الإرتيري والإثيوبي هما من الأنظمـ[illegible] الاستبدادية ذات الخلفية الماركسية، وإن كان هناك اختلا[illegible] بينهما حيث يعتبر (نظام زيناوي) إلى حدٍّ مَّا نظام[illegible] ديمقراطياً بسبب موقفه من قضايا القوميات ولإتاحـ[illegible] بعض الحقوق الديمقراطية في بلاده بالمقارنة مع (نظا[illegible] أفورقي) الطائفي الذي يضرب به المثل في ممارسـ[illegible] الطغيان ومعاداته للإسلام وهضمه حقوق المسلمين؛ فضـ[illegible] عن أنهما يعتبران السلطة إنجازاً استراتيجياً هاماً ينبغ[illegible] فعل أي شيء للمحافظة عليه والتشبث به.

إن التحديات واتجاهات المعارضة وحجمها الت[illegible] واجهت كلاً منهما قبل وبعد تسلمهما الحكم فيها الكثي[illegible] من التشابه أيضاً.

على الصعيد الإثيوبي: كانت هناك معارضة شديد[illegible] من الأحزاب التي تنتمي إلى قومية الأمهرا والأرومو مثـ[illegible] (الحزب الثوري لتحرير الشعوب الإثيوبية - وحز[illegible] الميسون) لفكرة منح الشعب الإرتيري حق تقرير المصير وبعد تسلم زيناوي السلطة في إثيوبيا فإن أحزا[illegible] المعارضة سالفة الذكر بالإضافة إلى تيارات أخرى كان[illegible] متحالفة مع منغستو أعلنت رفضها القاطع للتحالـ[illegible] الاستراتيجي الذي كان قائماً بين جبهة زيناوي وجبهـ[illegible] أفورقي والذي تطور عبر ٢٠ عاماً من النضال المشترا[illegible]

خوفاً من أن يصل كلاهما إلى السلطة، ومن ثم إحكام سيطرة قومية تقراي على إثيوبيا؛ ومع هذا فقد توقفت معارضة هؤلاء لنظام زيناوي بعد انفجار النزاع بين النظامين في شهر مايو ١٩٩٨م لأسباب قد تكون تكتيكية.

على الصعيد الإرتيري: كانت المعارضة للتحالف المذكور في نهاية الثمانينيات كبيرة وفعالة من حيث الحجم والتأثير نظراً لما كان يمثله التحالف من خطورة على مصالح المسلمين وحقوقهم، وعلى مصالح القوى الوطنية الأخرى خصوصاً بعد التدخل السافر لجبهة زيناوي في الصراعات الداخلية للثورة لصالح جبهة أفورقي ضد (جبهة التحرير الإرترية) خلال الفترة الواقعة بين ١٩٨٠ ـ ١٩٨١م وبسبب المخاوف التي كانت تحوم حول ذلك التحالف من أن تتمخض عنه دولة كونفدرالية تضم حكومة الجبهتين تكون نواة لدولة أكسوم الصليبية الكبرى وذلك نظراً لانتماء العناصر الرئيسة المتنفذة في قيادة الجبهتين إلى قومية واحدة هي قومية التقراي.

وإذا أضفنا إلى ما سبق ذكره الانعكاسات السلبية الخطيرة للنزاع الذي بدأ بين النظامين في عام ١٩٩٧م والذي أخذ في مراحله الأولى شكل الإجراءات والإجراءات المضادة في المجالات الاقتصادية والأمنية، ومنع إثيوبيا من استخدام ميناء عصب؛ حيث أدى إلى عرقلة انسياب التجارة الإثيوبية عبر ذلك الميناء، ومن ثم إلى تطور النزاع بصورة دراماتيكية إلى نزاع حدودي في مثل (بادمي)، يتأكد لنا بأن الطرف الذي افتعل الحرب أو الذي بدأ بها هو نظام أفورقي؛ لأنه تصور ـ نتيجة للطبيعة التآمرية في تفكيره ـ أن اللجوء إلى مثل هذا الأسلوب سيساعده قطعاً على الخروج من المأزق السياسي والاقتصادي الذي وقع فيه نظامه، ومن ثَمَّ لسحب البساط من قوى المعارضة التي تتربص به فضلاً عن حسم المشاكل الأمنية والاقتصادية التي بينه وبين إثيوبيا لصالحه.

إن نظام أفورقي نظراً لنزعته المفرطة في المغامرة ولسوابقه المشهودة في هذا المضمار فإن إقدامه على تلك الخطوة ليس غريباً؛ إلا أن هذا لا يعني بالضرورة أن نظام زيناوي الذي تعاطى مع تلك الخطوة وعمل على تأجيجها ثم توظيفها لأقصى درجة من أجل تحقيق أهدافه أو لدرء المخاطر التي كانت تهدد نظامه ليس في حاجة إلى افتعال الحرب، أو لم تكن في نيته اللجوء إلى مثل ذلك الأسلوب وإن لم يكن على درجة نظام أفورقي نفسها من الاستعداد للمغامرة؛ وذلك لأنه هو الآخر كان في حاجة لتلك الوسيلة للتخلص من الضغوطات التي كان يتعرض لها قبل انفجار النزاع، وإن اختيار ١٢ مايو ١٩٩٨م لتفجير النزاع المسلح في منطقة (بادمي) من جانب نظام أفورقي قبل الاحتفال بالذكرى الخامسة للاستقلال بأيام قليلة فقط واختيار ١٢ مايو ٢٠٠٠م لتفجير الجولة الثالثة من الحرب من جانب نظام زيناوي قبل يومين فقط من إجراء الانتخابات البرلمانية الإثيوبية ليس عبثاً؛ كما أنه لم يكن مجرد مصادفة بل هو دليل إن لم يكن قطعياً فهو ظني لما ذهبت إليه من تبادل افتعال أحد الطرفين للنزاع، واختيار توقيت تفجير المعارك في كل جولة من جولات تلك الحرب.

تداعيات الحرب المحتملة:

لقد أفرزت الجولة الأخيرة من الحرب تداعيات خطيرة على الصعيدين الداخلي والخارجي أُوجزها في الآتي:

على الصعيد الداخلي:

١ – انهيار جزئي في جيش النظام الإرتيري، واستسلام الآلاف منهم لجيش النظام الإثيوبي، ولجوء آلاف آخرين إلى السودان.

٢ – نزوح عشرات الآلاف من المواطنين الإرتيريين إلى داخل السودان خصوصاً من المناطق الغربية لإرتيريا. والجدير بالذكر أن أعداداً كبيرة من هؤلاء هم من أبناء النصارى الإرتيريين الذين نزحوا خلال الأعوام السابقة إلى مناطق المسلمين ذات الأراضي الزراعية الخصبة في القاش وبركة وفي غيرها من مناطق الساحل للاستثمار والإقامة فيها؛ وذلك في إطار خطة استيطانية واسعة تمولها جمعيات ومؤسسات مشبوهة؛ وتشرف على تنفيذها حكومة أفورقي في غفلة من أصحابها الحقيقيين الذين حُرِمُوا من ملكيتها بموجب قانون إعادة ملكية الأراضي للدولة.

٤ – إخفاق قوى المعارضة الإرتيرية الممثلة في (التجمع الوطني الإرتيري) في استثمار نتائج النزاع

وانهيار جيش أفورقي في عدد من المناطق، وفي التعامل مع تطورات الأحداث في الجولة الأخيرة من المواجهة العسكرية بين النظامين برؤية موحدة وبالتنسيق المطلوب.

على الصعيد الخارجي:

١ - تأكيد عُزلة نظام أفورقي الطائفي محلياً وإقليمياً ودولياً وتفضيل القوى الصليبية العالمية بقيادة أمريكا والدول المتنفذة في الاتحاد الأوروبي إثيوبيا؛ بدليل الضغوطات الأمريكية المكثفة التي كانت وراء قبول نظام أفورقي لاتفاق السلام الأخير في الجزائر بما في ذلك الموافقة على منح إثيوبيا منفذاً على البحر وممراً حراً إلى هذا المنفذ. جاء هذا في تصريح لمسؤول إرتيري خصَّ به جريدة البيان الإماراتية الصادرة في ٢٠٠٠/٧/٤م.

٢ - عدم إظهار الحكومات العربية الاهتمام الكافي بتطورات هذا النزاع وتداعياته المحتملة على المنطقة العربية وخصوصاً على دول حوض البحر الأحمر ودول واقعة في منطقة القرن الأفريقي.

٣ - بروز اهتمام أمريكي أوروبي متزايد لتطورات الوضع في منطقة القرن الإفريقي والنزاع بين البلدين ودورهما الحاسم في وقف إطلاق النار، وتوقيع اتفاقية السلام.

٤ - وضوح الدور الروسي في مجال المجهود الحربي الأثيوبي سواء في مجال التسليح أو في مجال التخطيط العسكري وإدارة العمليات.

٥ - تحطم جزء مهم من حلقة الحصار حول السودان باقتتال الحلفاء المفترضين بالإضافة إلى فقدان المعارضة السودانية لقواعدها مؤقتاً في إرتيريا نتيجة لظروف الحرب وانقطاع التموين.

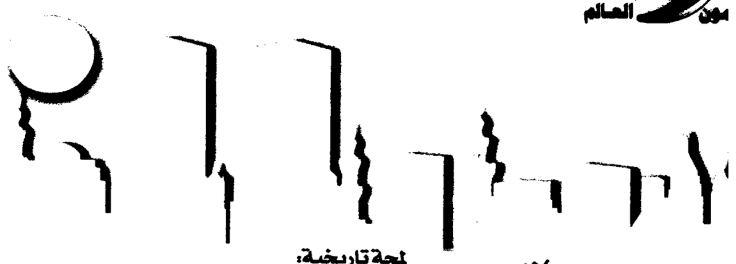
ثالثاً: التطورات المحتملة:

لقد تَوقَّعْتُ في دراسة صدرت لي من (مركز الدراسات والبحوث الإرتيرية) في شهر مايو المنصرم أن يتضمن سيناريو الحل السلمي المتوقع من مفاوضات الجزائر إقرار نظام أفورقي بملكية إثيوبيا للمناطق المتنازع عليها ضمن شروط وقف إطلاق النار، وقد حققت إثيوبيا ما أرادت من خلال انتصارها العسكري. واتفاقية الجزائر لوقف إطلاق النار لم تطالب إثيوبيا صراحة للخروج من تلك المناطق بل على العكس من ذلك فإن الاتفاقية ركزت على إحلال قوات حفظ السلام محل القوات الإثيوبية في مناطق غير متنازع عليها داخل الأراضي الإرتيرية بعمق ٢٥ كيلو متر كما توقَّعْتُ مطالبة إثيوبيا بقوة للمنفذ البحري في المفاوضات، وقد حدث ذلك بالفعل وتضمنت الاتفاقية منح إثيوبيا منفذاً على البحر حسب ما أشرت إليه في الفقرة السابقة.

وفي هذه المرحلة فإن هشاشة وقف إطلاق النار في مناطق الاحتكاك بين قوات الطرفين، وما تضمنته اتفاقية الحل السلمي الموقعة في الجزائر من فقرات وبنود غامضة تفتقر إلى التحديد في الكثير من موضوعات النزاع مثل: المناطق المتنازع عليها، والمناطق العازلة داخل الأراضي الإرتيرية بعمق ٢٥ كيلو متراً التي تحتلها الآن القوات الإثيوبية، وأخيراً موضوع منح المنفذ البحري لإثيوبيا، والموافقة المزعومة لنظام أفورقي على كل ذلك كل هذه التطورات تمثل ألغاماً مزروعة قد تنفجر في أي لحظة خصوصاً مع استمرار وجود حشود قوات الجانبين في مناطق الاحتكاك، واستمرار حالة التوتر والاحتقان وانعدام الثقة بين الطرفين؛ وذلك رغم ما يقال عن بدء اللجان والخبراء الدوليين عملهم للوقوف على حقيقة الأوضاع في المناطق المتنازع عليها.

ولو تطور النزاع، وبدأت الحرب بين الطرفين من جديد على خلفية المعلومات المذكورة أعلاه فإن من المحتمل أن يسعى النظام الإثيوبي جدياً هذه المرة لإسقاط النظام الإرتيري. وإذا أضفنا إلى التطورات الأمنية الراهنة في مناطق الاحتكاك دعوة النظام الإثيوبي مجدداً لقوى المعارضة الإرتيرية لزيارة العاصمة أديس أبابا في هذا الوقت بالذات لتأكد ذلك الاحتمال؛ خصوصاً إذا كانت الدعوة بغرض التباحث حول احتمالات التطورات المقبلة؛ وذلك لأن النظام الإثيوبي حتى الآن حقق مكاسب أكثر مما كان يطالب به ويتوقعه، والمشكلة الباقية بالنسبة له الآن هي صعوبة التعايش مع نظام أفورقي المعروف بنزعات الغدر والمغامرة بعد حرب استمرت لأكثر من ثلاثة أعوام، ومن ثم المحافظة على ما استرده من حقوق مزعومة له، أو ما حققه من مكاسب سياسية وأمنية بصرف النظر عن صحة دعاويه أو عدم صحتها في هذا الصدد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



دعوة الوثنيين في مالي

المنتدى الإسلامي
مكتب مالي

لمحة تاريخية:

الدولة التي تعرف اليوم بـ (جمهورية مالي) تقع ضمن أراضي دولة مالي الإسلامية التي قامت وتأسست من قِبَل قبائل الماندينجو بين المحيط الأطلسي غرباً ونهر النيجر شرقاً وجنوباً وذلك في القرن الثالث عشر الميلادي.

دولة مالي اليوم:

استقلت هذه الدولة عن فرنسا يوم الخميس ٢٢/٩/١٩٦٠م وهي دولة كبيرة مترامية الأطراف مختلفة في التضاريس؛ حيث تبلغ مساحتها ١,٢٤٠,٠٠٠ كم٢، وعدد سكانها حوالي ٩,٤٠٠,٠٠٠ نسمة، ولها موقع جغرافي استراتيجي؛ حيث كانت حلقة الوصل بين غرب إفريقيا وشمالها عبر الصحراء في التجارة.

ونسبة المسلمين فيها حوالي ٨٠٪ بينما يبلغ عدد النصارى ١٥٪ والوثنيين ٥٪. والدولة يوجد بها أراضٍ واسعة صالحة للزراعة والرعي وتربية المواشي، وهي تحتل المركز الثاني في إنتاج القطن على مستوى القارة بعد جمهورية مصر العربية. ولكن هذه الطاقة الطبيعية لم تستغل إلا قليلاً؛ فالدولة تعاني من المشاكل الاقتصادية وتصاعد الديون الخارجية عليها، وتحتل المرتبة ما قبل الأخيرة من حيث سلم التعليم على مستوى العالم، ويعيش أغلبية الناس في فقر مدقع.

وتنقسم الدولة إدارياً إلى ثمانية اقاليم هي:

كاي، كولوكورو، سيكاسو، سيقو، موبتي، تمبكتو، غاو، كيدال، بالإضافة إلى دائرة العاصمة باماكو.

ويتالف المجتمع المالي من اجناس وقبائل منها:

البمبارا، السونكي، الفولانية، السينفو، مينقا، الدجون، بوبو، البوزو، السونغي، الطوارق، وغيرهم.

مواطن الوثنيين في مالي:

الوثنية تنتشر في مجموعة من الأجناس البشرية في مالي كالبمبارا في منطقة كولوكاني، بيلدوقو، وهي المنطقة الواقعة بين كيتا وباماكو جنوباً ونيورون وناران شمالاً. والقرى التي أسلمت على يد دعاة المنتدى الإسلامي قريباً جزء من هذه المنطقة.

وكذلك في منطقة سيقو يوجد بعض قبائل البمبارا الذين ما زالوا يدينون بالوثنية وخاصة في بعض القرى الواقعة بين ماركالا، وكولو كانكوانتومو وهي المعروفة بـ (سنة) كقرية جونغون وكوابوغو.

أما القبائل البوبو والسينفو ومينقا فيقطنون في المناطق الشرقية لـ (سيقو) وخاصة بين مدينة بلا وكوتييلا وسان وحدود مالي المتاخمة لدولة بوركينا فاسو.

ثم نتوجه في شرق البلاد فنجد مجتمع الدجون على مرتفعات الدجون في منطقة بنجاغارا وخاصة سنقو وكماديقلي والقرى التابعة لهما، كما أن للوثنيين وجوداً في منطقة واسولون وبوغوني والحدود المتاخمة لدولة ساحل العاج.

أهمية دعوة الوثنيين:

الوثنية أحد الأديان الثلاثة المنتشرة في مالي (الإسلام، والنصرانية، والوثنية).

والوثنية في الحقيقة نوعان:

١ - **الوثنية في لباسها القديم:** هم عبدة الأصنام والأوثان، وقد وجهت دعوات إسلامية وغيرها إلى هؤلاء الوثنيين في عقر بيوتهم منذ فترة طويلة، ولا يزال بعضهم على وثنيته إلى الآن، وأسلم بعضهم إسلاماً يشوبه شيء من العادات الوثنية كالحفلات السنوية للأصنام والتمائم. وأهم وجه للديانة عند الوثنيين هو الاعتقاد بوجود قوة خفية غامضة تسيِّر حياة البشر، وهذه القوة قد تحل في الكائنات البشرية أو الحيوانات أو الأشياء.

ومن عادة الوثنيين أيضاً تقديم القرابين إلى الآلهة والأرواح في المناسبات المختلفة، وتتمثل هذه القرابين عادة في مقادير معينة من الحبوب أو الثمار، أو في كميات محدودة من الطعام أو في رأس أو أكثر من الماعز أو الغنم أو الماشية. ومنهم مَنْ لا يكتفي بهذه الأنواع من القرابين بل تقاليده تسمح بتقديم قرابين بشرية. ومن الأمثلة على المجتمعات التي تجري تقاليدها بتقديم قرابين بشرية البمبارا - فعندما تمر بالقرية أحداث خطيرة يُختار أحد الأشخاص وفي الغالب يكون شخصاً أشقر اللون لتقديمه قرباناً.

وكانت طريقة التضحية تختلف تبعاً للظروف؛ فإذا تعلق الأمر بقضية مصيرية للقرية كان الشخص يشطر إلى شطرين ويُلقى شطره الأسفل إلى المعبود، أما الجزء العلوي فيدفن.

والحمد لله؛ فقد بدأت هذه الظاهرة تنقرض كثيراً بسبب انتشار الإسلام والوعي.

ومن ملامح الوثنية المنتشرة بكثرة حتى الآن - مع انتشار الإسلام وحتى في بعض القرى التي أسلم بعض سكانها أو معظمهم - ما يسمى: «حامية القرية».

فيعتقد الوثنيون أن أرواح الأسلاف وخاصة مؤسسي القرى تسكن في أشياء معينة وخاصة الحيوانات كالتماسيح والأفاعي أو بعض الحيوانات الأليفة.

ويعتقدون أن رخاء القرية متوقف على بقاء هذه الأشياء، وأن حمايتها واجبة وفرض عين على كل أهالي القرية، والويل كل الويل لمن تسول له نفسه المساس بأمن هذا الشيء.

ويهتم المنصرون بهذه الفئة من الوثنيين وتقف معهم جنباً إلى جنب لحل مشاكلهم الاجتماعية التي لا تخرج عن دائرة الفقر والجهل والمرض فيبنون لهم الكنائس والمستوصفات، ويحفرون لهم الآبار، ويعطونهم الغذاء والكساء والدواء، ويعلمونهم مبادئ النصرانية، ويشجعونهم على شرب الخمور وتربية الخنازير على أن يشتروها منهم؛ وقد يضحي بعضهم بحياته للبقاء معهم فترة من الزمن - ليست قليلة - للدعوة إلى النصرانية بكل ما يملكه من الوسائل المادية والمعنوية.

يقول البروفيسور كري دمبلي في محاضرة له عن «الفلسفة» الإنسانية في الشيوعية والإسلام والنصرانية في باماكو: «إن إله المسلمين لا يعرف إلا تعذيب الناس بالنار، أما إله النصارى فإنه يبشر بالحب والرحمة».

وقد حقق المنصرون بسبب خططهم، ثم بالعوامل المساعدة من فقر وجهل حققوا أهدافاً عجيبة، فارتفعت نسبة النصارى من ٣٪ إلى ١٥٪ في

غضون أعوام قصيرة من عمر الزمن؛ فقد ركز المنصِّرون في دعوتهم للوثنيين على أمور:

١ - تحديد الهدف.

٢ - الداعية.

٣ - المدعو.

وهذا ما صرحوا به خلال مؤتمر سيقو في مالي عام ١٩٨٧م في محاضرة للباستير محمد إنجاي بعنوان: ما هي الطرق الناجحة للدعوة إلى النصرانية؟

ولهم وسائل أخرى مؤثرة كإذاعات حرة دينية.

أما المسلمون فمع ما يبذلونه من جهود مباركة إلا أنها قليلة في مقابل الجهود التنصيرية لأسباب كثيرة منها صعوبة الوصول إلى أماكن تواجد هؤلاء الوثنيين، وقلة الدعاة في أوساطهم، وقلة المساعدات الإنسانية في مقابل مثيلاتها التنصيرية.

٢ - **الوثنية المعاصرة**: وهؤلاء هم الذين يصرفون أنواع العبادة لأمواتهم، ويتقربون بها إليهم لكي تشفع لهم عند الله، والطامة الكبرى أن هؤلاء يمثلون السواد الأعظم ممن ينتمون إلى الإسلام؛ وهذا يتمثل في بناء القباب والمساجد على أضرحة أموات أوليائهم؛ وسبب تعلقهم بهذا النوع من العبادات شدة الفقر مع غلبة الجهل وضعف الإيمان، وهذه الفئة متعصبة لمبادئها ومشائخها.

وبعد: فهل الوثنيون السالفون والحاضرون بحاجة إلى دعوة إسلامية صحيحة في مالي؟

وضع الوثنيين والصعوبات التي تواجه الدعاة في مناطقهم:

منذ بداية السبعينيات والبلاد تمر بمرحلة قاسية عصيبة، وهي كغيرها من البلاد الواقعة جنوب الصحراء الكبرى؛ فبسبب تتابع الجفاف ومواسم القحط التي سادت أجزاءاً كبيرة من البلاد وخاصة مناطق الزراعة والمزارعين وهي أكثر المناطق تأثراً بالوثنية تردت الأوضاع الاقتصادية، وفقدت كمية كبيرة من المحصولات والغلات الزراعية والتربة الصالحة وهي التي تعتمد عليها سكان القرى اعتماداً كلياً في تسيير الحياة اليومية، وبالإضافة أيضاً إلى بداوة المناطق وبساطة سكانها كل هذا جعل مناطق الوثنيين أراضي خصبة لتلقي الدعوة الإسلامية والإقبال على الدعاة، وخاصة إذا كانت هذه الدعوة تصاحبها المعونات الإنسانية التي تسد حاجات الوثنيين. وبالتجربة أعطت هذه المعونات ثماراً يانعة من إسلام وثنيين جدد، واستمرار من أسلم على إسلامه على يد دعاة المنتدى الإسلامي في منطقة كلوكاني «بيلدوقو».

أما الصعوبات التي تواجه الدعاة في مناطق الوثنيين فتتمثل في عدم توفر سبل المواصلات إلى بعض الوثنيين كمرتفعات الدجون لوعورة الطريق واتخاذ بعض الوثنيين سفوح الجبال وداخل الكهوف مساكن لهم مما يكون عائقاً للوصول إليهم.

ومن العوائق أيضاً: صعوبة التفاهم بين الدعاة والوثنيين في بعض المناطق؛ حيث يجد الداعية حواجز نفسية كتمسك بعض الوثنيين بمعتقداتهم القديمة واعتقادهم بأن التخلي عن هذه المعتقدات قضية مصيرية وقضية حياة أو موت.

ومن الصعوبات والعوائق أيضاً: تنافس المنصرين مع الدعاة في استغلال هذا الميدان الخصيب؛ فكثيراً ما يجد الداعية وثنياً يسلم على يديه وبعد فترة ولعدم المتابعة يتنصر هذا المسلم لظروف الحياة ومغريات المنظمات التنصيرية، فيذهب عمل الداعية أدراج الرياح، كما أن اللغة قد تشكل حلقة من سلسلة هذه الصعوبات.

فالوسائل التي يجب أن تُتَّبَعَ لكي تثمر دعوة هؤلاء الوثنيين: متابعة من أسلم منهم متابعة جادة مدروسة ومنظمة ومرتبة؛ وذلك بتنفيذ القوافل الدعوية المستمرة لصعوبة توفير داعية لكل منطقة؛ فالدولة مترامية الأطراف، وهذه القوافل تكون مزودة بالدعاة والمواد التموينية (الغذائية) والمنشورات باللغات المحلية لما لمسنا بالتجربة من أثر طيب وناجح لهذه القوافل.

ومن الوسائل أيضاً: إقامة دورات، وإنشاء مراكز محو الأمية، وتنظيم الجولات الدعوية في مختلف

المناطق، وكذلك بناء المساجد في مناطق المسلمين الجدد لإحياء رسالة المسجد وتنشيطها دعوياً بإلقاء المواعظ، والقيام على حلقات تحفيظ القرآن من قِبَل الدعاة وفتح المدارس لتعليم أبناء المسلمين مبادئ دينهم.

ومن أهم الوسائل أيضاً: تبني المشاريع الإنسانية الخيرية في مناطق المسلمين الجدد؛ لأنه السلاح المستخدم من قِبَل المنصرين كبناء المستشفيات وحفر الآبار وبناء السدود وإنشاء المراكز الإغاثية في المناطق المنكوبة على أن يصاحب كل هذا برامج دعوية مدروسة جادة هادفة.

طرق دعوة الوثنيين ووسائلها في مالي:

إن دعوة الوثنيين المعاصرين أدت إلى صراعات عنيفة بين السنيين والصوفيين - ولا زالت وإن كانت قليلة - وهذا ما يفرض علينا وعلى كل عاقل ترك الاستفزاز والعصبية مع ضرورة النظر الاعتباري إلى الواقع لمصلحة الدعوة الإسلامية الصحيحة في مالي، فيا ترى ما هي الطرق والوسائل الكفيلة لذلك؟

أما الطرق الدعوية: فإنها لا تخرج عما يأتي:

أ - أن يكون الوثني قابلاً للحق معترفاً به، لكن عنده نوع من غفلة وتأخر، وله أهواء وشهوات تصده عن اتباع الحق، وهو الوثني عابد الأصنام والأوثان، فهذا يُدعى بالموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق والترهيب من الباطل، ويوجد الآن جهود ومواقف وشواهد للمنتدى الإسلامي وهيئة الإغاثة - حسب علمنا - في مناطق (سان، وكولوكاني الوثنية).

ب - أن يكون الوثني معانداً جاحداً، وهو القبوري الذي يعتقد تأثيراً لأوليائه من أصحاب القبور. فهذا يجادَل بالتي هي أحسن. ويوجد حالياً - حسب علمنا - للدعاة مواقف وشواهد وجهود دعوية مباركة مع هؤلاء القبوريين.

قال - تعالى -: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

أما الوسائل الدعوية: فكثيرة جداً، ولكن كلتا الطائفتين الوثنيتين تحتاجان إلى دعاة من ذوي القدوة



الحسنة في العلم والعمل، فاهمين لطبيعة أحوال الوثنيين وعاداتهم وتقاليدهم، وذلك ليتسنى لهم معرفة المدعوين أولاً، ثم التدرج والأخذ بأيديهم إلى نور الهداية والإيمان الصحيح ثانياً، وذلك باللين والرفق والتواضع والتسامح وحسن المعاملة بالزيارات التفقدية، وتكريمهم بالهدايا في المناسبات وغيرها، ثم غرس الإيمان الصحيح في قلوبهم من خلال البرامج الدعوية المخططة تخطيطاً حكيماً، كالتعليم ودروس الوعظ ونحوهما، ويمكن الاستعانة بوسائل الإعلام كلها، وخاصة التلفزة، والاهتمام بحاجتهم الاجتماعية كبناء المستشفيات ودور الرعاية الاجتماعية - ككفالة الأيتام والعجزة، وبناء المساجد والمدارس، وحفر الآبار وغير ذلك، والاهتمام بتربيتهم الصحيحة؛ وذلك من خلال تنظيم اللقاءات العامة والخاصة، من دروس ومؤتمرات ومناقشات ومحاضرات، وتوزيع الكتيبات والمنشورات المترجمة بالفرنسية، وغيرها، يقوم بها دعاة من ذوي الحكمة البالغة والسيرة الحسنة في مجال الدعوة، ويكون همهم وجهودهم قاصرة على السعي إلى هداية الوثنيين وغيرهم ولا يستعجلون النتائج، بل تكون أنشطتهم الدعوية مبنية على خطط مدروسة ومحكمة، ووسائل حية مع الجدية والإتقان في العمل.

والله نسأل التوفيق والسداد على درب الحق.

رصدها: حسن قطامش
qatamish100@hotmail.cor

لنية على ... يعها!!

على العكس من وجهات نظر الناقدين الذين لم يذهبوا إلى هناك لم تكن قمة كامب ديفيد غير ناجحة، بل كانت هذه القمة خطوة مهمة وتاريخية للجهود التي بذلت طيلة ٥٢ عاماً لحل الصراع العربي الإسرائيلي، وبصفتي أحد المشاركين في المفاوضات منذ انطلاق مؤتمر مدريد للسلام عام ١٩٩٢م بإمكاني القول بصراحة ووضوح إن الفلسطينيين والإسرائيليين الآن أقرب من أي وقت ضى من التوصل إلى اتفاق سلام شامل. وبالحق فإن نهاية الصراع بيننا على مشارف الرؤية، وأقول هذا من دون تهوين من الفجوات التي لا تزال ماثلة بين الطرفين بشأن كل المسائل، ويتوجب علينا الإقرار والتقدير بحقيقة أن الطرفين دما تنازلات مهمة، وتحولا عن مواقفهما الصلبة، أما الاتهامات الموجهة للطرف الفلسطيني من رفضه تقديم تنازلات فهي جاهل الحقيقة والتاريخ.

فأخْذُ الفلسطينيين بالحلول الوسط أمر ليس بالجديد؛ فقد قبلنا من خلال اتفاق أوسلو عام ١٩٩٣م بالسيادة لإسرائيلية على ٧٨٪ من فلسطين التاريخية، وعلى تأسيس الدولة الفلسطينية فوق ٢٢ في المائة منها فقط.

ولا نزال نعتقد أن القدس ستكون يوماً ما عاصمة للدولتين، خاصة أن مسألة القدس نوقشت بجدية وبشكل مفتوح خلاق لأول مرة في قمة كامب ديفيد. [صائب عريقات، كبير المفاوضين الفلسطينيين، جريدة الشرق الأوسط، العدد: (٧٩٢٥)]

لكم الله

موقفنا واضح.. نحن نجاهد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، ونصرة دينه، وهذا لا يتم إلا بالاستقلال التام، وأعتقد أنه لا يصح الجهاد إذا كان الهدف منه هو الحكم الذاتي فقط؛ لأن إعلاء كلمة الله الذي هو الهدف الأساس للجهاد في سبيل الله لا يتم من خلال الحكم الذاتي، ولم تتغير قناعاتنا، بل ازدادت ولله الحمد، وازدادت ثقتنا بالله بأن النصر آت لا محالة؛ لأنه وعد من الله الذي لا يخلف الوعد، وأن المستقبل للإسلام والعاقبة للمتقين.

وقد غيَّر الإخوة المجاهدون الاستراتيجية القتالية واتخذوا المواقع الجديدة فوق الجبال المطلة على جزء من المعسكر الذي وصل إليه العدو، ويقومون بضربات سريعة قاتلة على جنوده، ويكبدونهم خسائر كبيرة.

إن في الهزيمة العسكرية المؤقتة دروساً وعظة قد لا نجدها في النصر؛ وفعلاً لمسنا كثيراً من الإيجابيات بعد الحوادث، ومنها أن المسلمين ازدادوا تحمساً وتأييداً للجبهة الإسلامية، وكثير من المسلمين الذين لم ينزلوا لميدان المعركة من قبل نزلوا الآن، وحتى النساء يردن أن ينزلن إلى الميدان.

وتفخر الحكومة الفلبينية بالعمليات الوحشية؛ فالإذاعات المرئية ومحطات التلفزة الفلبينية تعرض يومياً عمليات النهب والسرقة والحرق والتدمير وعمليات تمزيق القرآن الكريم، وصب الخمور على أوراقها، وكذلك تدمير المساجد والمدارس أو تدنيسها بالنجاسات كالخمور والخنازير، يعرضونها على التلفاز لترى الجماهير أن الجيش الفلبيني تمكن من أداء مهمته. أما المسلمون المشردون فعددهم حسب إحصاء العدو الجزئي أكثر من ثلاثمائة ألف مشرد؛ والصحيح أنهم مليون على الأقل.

[سلامات هاشم، رئيس جبهة مورو الإسلامية، مجلة المجتمع، العدد: (١٤١٢)].

أي تغـــيــــر؟!

تعليقاً على لجوئه إلى محكمة حقوق الإنسان الأوروبية، عقب مصادقة محكمة التمييز على قرار السجن الصادر بحقه، قال نجم الدين أربكان زعيم حزب الرفاه المحظور في مؤتمر صحفي: «هناك جهات تسعى في الفترة الأخيرة لإظهاري شخصاً ينتظر العون والمدد من الغرب، لقد كنا ننتقد الغرب قبل ثلاثين عاماً بسبب كون الدول الأوروبية كانت تتحرك كاتحاد مسيحي آنذاك، وترفض قبول تركيا بين صفوفها بدعوى أنها مسلمة، غير أن الغرب تغير أيضاً وبدأ يدافع عن حقوق الإنسان، ولذا شرعنا بدورنا بمساندة الغرب وحملة الدفاع عن حقوق الإنسان التي تقودها محافل المثقفين».

[مجلة المجتمع، العدد: (١٤١٢)]

وهذه حقوق الإنسان!

أجريت دراسة استقصائية لاستطلاع الراي العالمي حول سؤال: ما اهم شيء في الحياة؟ وهل يتمتع الإنسان بحقوقه ويمارس الديمقراطية؟ الدراسة نفذها معهد جالوب الدولي وشملت ٧٥ الفاً من البالغين في ٦٠ دولة، بتوصية من هيئة الأمم المتحدة للوقوف على أوضاع سكان العالم، حتى تستطيع الأمم المتحدة تحديث دورها وتحديد أهدافها في الألفية الثالثة لخدمة البشرية. جاء في الاستقصاء أن الصحة الجيدة والحياة الأسرية السعيدة والحصول على فرص عمل أهم شيء في الحياة، وبخصوص حقوق الإنسان فقد اظهر المشاركون في الدراسة عدم ارتياحهم لمستوى احترام حقوق الإنسان في معظم دول العالم، بينما أعرب أقل من ١٠٪ من المشاركين عن اعتقادهم بأن حقوق الإنسان تحترم، وأن حماية حقوق الإنسان هي أهم عمل لا بد أن تضطلع به الأمم المتحدة.

[مجلة الأهرام العربي، العدد: (١٧٦)]

وهذه حقوق الحيـــوان!!

ثمة مشروع قانون قدم إلى الكونجرس الأمريكي يدعو إلى فرض عقوبات على الدول التي تنتهك فيها حقوق القطط والكلاب. فتقتلها مثلاً وتستغل جلودها لتحقيق الأرباح والكاسب المادية.

ويتبنى المشروع ويقود المعركة لإقراره السناتور وليم روت رئيس اللجنة المالية في مجلس الشيوخ والنائب جيرالد كليركا في مجلس النواب. والذي أوصل الموضوع إلى الكونجرس نتائج تحقيقات سرية قامت بها أبرز منظمات الرفق بالحيوان في الولايات المتحدة؛ إذ بعد تحقيقات طويلة تبين لها بالأدلة القاطعة أن الصين وتايلاند والفلبين تمارس تجارة تحقق منها مئات الملايين من الدولارات سنوياً. تقوم على تربية الكلاب والقطط وذبحها واستخدام جلودها في صناعة القفازات والحقائب والأحزمة والمعاطف ومقاعد الركاب في السيارات ولعب الأطفال. وأثبتت التحقيقات أيضاً أن هذه المنتجات بل والجلود نفسها تصدر إلى الولايات المتحدة تحت أسماء جلود حيوان كالثعلب والذئاب والمينك وغيرها.

وتبين للجنة أن البلدان الثلاثة تقتل سنوياً ما لا يقل عن مليوني كلب وقطة للتجارة بجلودها وفرائها. وقال النائب كليركا: إنه إذا كانت تلك الدول لا تأبه بحياة الكلاب والقطط فإنه يجب الا تجد لبضائعها سوقاً في الولايات المتحدة. ويجب فرض عقوبات تجارية عليها.

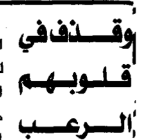
[مجلة المجلة، العدد: (١٠٧١)]

كـرامـــات المظلومين!!

صفقة أسلحة خفيفة تستخدم لمقاومة المتظاهرين تسلمتها دولة عربية أخيراً تبين أنها غير صالحة للاستخدام؛ حيث ظهر أن قاذفات القنابل المسيلة للدموع لا تقذف، مما يعني أن القنابل ستنفجر في المكان نفسه الذي يقف فيه مطلقوها.

[مجلة الوسط، العدد: (٤٤٦)]





«إنها الحرب الأبدية التي كتب علينا أن نواجهها هنا في نضالنا على البقاء وسط هذه البقعة الفظيعة من العالم، من أراد أن يرى دليلاً على الصعوبة التي تواجهها دولة إسرائيل في مسعاها للبقاء فلينظر إلى ما تقوم به حماس ضدنا»، هكذا علق عامي إيلون رئيس جهاز المخابرات الإسرائيلي السابق على قيام الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة بالكشف عن معمل المتفجرات في مدينة نابلس، ويواصل إيلون تعليقه قائلاً: «يجب ألا يضلل أحد فينا نفسه؛ فنحن نواجه العدو الأشرس في العالم بأسره، نحن نواجه حركة ترى في حربها ضدنا واجباً مقدساً من الدرجة الأولى، بإمكاننا نحن والسلطة الفلسطينية أن ندعي أننا قد حققنا الانتصار عليها بعض الوقت لكن ما هو أكيد أن كل من يعتقد أن الصراع بيننا وبين قوى السلام في المنطقة ينتهي بحل أمني هو ببساطة مخطئ ومضلل، عليكم أن تتذكروا المرات العديدة التي أعلنا فيها موت حماس واندثارها من الوجود تماماً، لكن دوماً كنا نفاجأ بأننا كنا نبالغ في تمنياتنا، هم ببساطة يريدون الخلاص منا للأبد».

[جريدة السبيل الأردنية، العدد: (٣٤٦)]

فضح أهل الفضائح

إن الذين يقومون بالترويج للجنس والاجتراء على مختلف القيم الأخلاقية يحتجون بمقولتين أساسيتين: الأولى: ترفع شعار المصارحة والمكاشفة، وتنادي بالحرية المطلقة وإحياء شعار: (لا محظور في الصحافة). المقولة الثانية: تستشهد بأن الكلام في الجنس (والبوح) بتفاصيله ليس أمراً جديداً على الثقافة الإسلامية التي حفلت على مدار تاريخها بألوان مماثلة من المعالجات، خاضت في كل شيء ولم تخف أي شيء. لي تعليق على هاتين المقولتين ألخصه فيما يلي: صحيح أن المصارحة والمكاشفة مطلوبة في كل شيء، لكن السؤال هو: كيف؟ وفي أي سياق؟ ومن على أي منبر؟ وبأي هدف؟ ومن أي طرف؟ ذلك أن البوح بهدف البوح وعلى صفحات الصحف السيارة قد يمثل تحريضاً في الانحراف وسبيلاً إلى إشاعة الفاحشة بين الناس، ثم إنه ليس صحيحاً أنه لا يوجد محظور لا في الصحافة ولا في أي مجال آخر، حيث تظل هناك خطوط حمراء يتعين احترامها، وتتمثل في ثوابت المجتمع وقيمه الأساسية، ومن أسف أن الذين يرفعون ذلك الشعار في عالمنا العربي يسوِّغون به الجرأة على القيم الأخلاقية والدينية، لكنهم يلتزمون منتهى الحذر حين يخوضون في المسائل السياسية. ثم إن الثقافة الإسلامية حفلت بكتابات خاضت في الجنس وغيره من الأمور الحساسة أخلاقياً واجتماعياً؛ لكننا ينبغي ألا ننسى أن كتابات تلك الأزمنة لم تكن في متناول العامة، حيث كان الوراقون ينسخون الكتب ويوزعونها على دوائر محدودة، بينما تكفلت الطباعة في زماننا بالترويج واسع النطاق لأي كلام مكتوب، والقدر المتيقن أن الذين كانوا يتصدون لمثل تلك الأمور لم يكونوا يقصدون الإثارة أو الترويج لبضاعتهم، وإنما كانوا يخوضون فيها لأسباب تتعلق بتعميق المدارك والدعوة للاعتبار، وتلك ملابسات تختلف تماماً عن تلك التي نواجهها في زماننا. لذا لزم التحذير والتنويه والله أعلم!

[فهمي هويدي، مجلة المجلة، العدد: (١٠٨)]

وإذا أصبحتم أغلبية!؟

غربان مجلس الأمة الحالي لديهم نظام ديمقراطي قائم على أن الناس أحرار في اختياراتهم، وأن الناس متساوون في الحقوق والواجبات، وأن الناس يخضعون بشكل عام لنظام الدستور والإيمان بكل ما فيه، ومع هذا فقد قيدوا الحرية بحجة حماية الثوابت، واستلبوا حقوق الآخرين بحجة تثبيت العادات والتقاليد، واضطهدوا الغير بدعوى أنه شذ عن الإجماع أو خالف رأي الأغلبية. كل مجتمعات العالم تم حكمها بالأغلبية، وكل أحكام الأغلبية هي أحكام استبدادية تعسفية لأنها لا تأخذ بالاعتبار حقوق الآخرين ومصالح الأقليات. النظام الديمقراطي هو النظام الوحيد الذي تحكم بموجبه الأمة مجتمعة «الأمة مصدر السلطات» وتراعي فيه حقوق الأفراد قبل الجماعات، وتقيد فيه قرارات الأغلبية بمبادئ ديمقراطية راسخة ومواد دستورية واضحة. الأغلبية لا تحكم في النظام الديمقراطي؛ لأنها مقيدة بحقوق الأقلية، والأكثرية «ليس بيدها شيء» لأنها محكومة بمبادئ وقواعد دستورية. والنظام هنا في هذه الدولة - ورغماً عن خبراء التخلف ومدعي الفقه الدستوري، وفقاً للمادة السادسة - «ديمقراطي» السيادة فيه للأمة وليس لمن ملك الأغلبية وليس للشريعة الإسلامية كما ادعى بعض المتفيقهين الدستوريين. والدستوريون هنا نسبة إلى الحركة الدستورية يعني الإخوان وليس إلى الفقه الدستوري، فهل يعي هذه الحقيقة الابتدائية من ينتصر بقصد أو بدونه لمعاول هدم النظام الديمقراطي في الكويت؟

[الكاتب اليساري الكويتي، عبد اللطيف الدعيج، جريدة القبس، العدد: (٩٧١٦)]

هناك فرق.. بل فروق!!

١ ـ يشهد معدل الخصوبة في دول المغرب العربي منذ ثلاثين عاماً تراجعاً متواصلاً يهدد تجدد الأجيال، وفق تقرير أعده المعهد الوطني الفرنسي للسكان. وقال المعهد في دراسة له، إن تونس حققت المعدل الأدنى الضروري لضمان سلامة التوزيع الديموغرافي للسكان مع ٢,٢ طفل لكل امرأة في ١٩٩٨م وربما بلغ المعدل ٢,١ في عام ١٩٩٩م.

أما في الجزائر فانخفضت معدلات الخصوبة إلى ٣,١ لكل امرأة في ١٩٩٦م و١٩٩٧م.

وقال المعهد إنه إذا استمرت الحال على ما هي عليه فإن معدل الخصوبة في العام ألفين لن يتجاوز ٢,٥ طفل لكل امرأة في المغرب و٢,٣ في الجزائر و٢ في تونس. وبدأ معدل الخصوبة بالتراجع في هذه الدول في مطلع السبعينيات؛ إذ كان معدل الخصوبة في الجزائر في مطلع السبعينيات ٨,١ طفل وفي المغرب ٧ أطفال لكل امرأة في ١٩٧٢م. وعلى سبيل المقارنة احتاجت فرنسا قرابة ٢٠٠ سنة لينخفض معدل الخصوبة فيها من ٦ أطفال للمرأة في منتصف القرن ١٨ إلى حوالي طفلين لكل امرأة في الثلاثينيات من القرن العشرين. أما الدول المشمولة بالدراسة فلم تحتج سوى ٢٥ عاماً لذلك! ارتفعت نسبة النساء اللواتي يستخدمن وسيلة لمنع الحمل من ٥٪ في نهاية الستينيات إلى ٣١٪ في ١٩٧٨ و٦٠٪ في ١٩٩٤ـ ١٩٩٥م. وكانت ٥٪ من المغربيات يستخدمن حبوب منع الحمل في الستينيات مقابل ٥٩٪ حالياً. أما الجزائر فاتجهت إلى خفض سن الزواج غداة الاستقلال مما أدى إلى ارتفاع معدل الخصوبة إلى أقصى مستوى في السبعينيات. إلا أن استخدام حبوب منع الحمل انتقل من ٨٪ في ١٩٧٠ إلى ٥٧٪ في ١٩٩٥م.

[جريدة الشرق الأوسط، العدد: (٧٩١٩)]

٢ ـ أعلنت سلطات سنغافورة أنها ستقدم مكافآت مالية للآباء الذين ينجبون أكثر من طفل، وجاء هذا القرار في محاولة لتقليص تراجع الخصوبة في هذه الجزيرة الواقعة جنوب شرقي آسيا. ومن المقرر أن تفتح الحكومة في إطار الخطة الجديدة حساباً مصرفياً خاصاً للأزواج الذين ينجبون طفلهم الثاني أو الثالث، حيث تقدم لهم مبالغ مالية سنوية إلى أن يصل الطفل عامه السادس وستدفع في هذا الصدد مبلغ مئتين وواحد وتسعين دولاراً أمريكياً في السنة، إضافة إلى خمسمائة واثنين وثمانين دولاراً لدعم مصاريف الأبوين، وستضاعف هذه المكافآت بالنسبة لمن ينجبون طفلهم الثالث، كما سيسمح للأمهات اللواتي ينجبن طفلهن الثالث بالحصول على إجازات ولادة، خلاف ما هو معمول به حالياً، حيث تقتصر هذه الإجازة على الطفلين الأولين، وقال رئيس وزراء سنغافورة إن حكومته ستدفع مبالغ مالية تصل إلى أحد عشر ألفاً وسبعمائة وخمسة وستين دولاراً أمريكياً لتعويض الدخول التي تفقدها الأمهات خلال العطلة التي تستمر ثمانية أسابيع.

[موقع هيئة الإذاعة البريطانية www.bbcaraic.com]

(إلــف) والمألوف!!

اعترف مسؤول فرنسي أمام المحكمة أن شركة (إلف اكين) النفطية الفرنسية كانت تقوم عبر شركة فرعية خفية في جنيف اسمها (إلف تريد) بتمويل سري لمسؤولين ورؤساء حكومات وجمهوريات إفريقية، بغية إفسادهم وشراء ولائهم. وتخلى أندريه نارالو المسؤول السابق عن إفريقيا في الشركة عن إدمانه إخفاء المعلومات وقال إن عمولاته بلغت ٦٠٠ مليون فرنك في حسابه الشخصي الأصلي؛ فيما أشارت مصادر أخرى إلى أن هذه العمولة وصلت إلى ٨٠٠ مليون فرنك. ويتم تحويل جزء من هذه المبالغ عن طريق البنك الفرنسي ـ الإفريقي (فيبا) قبل أن تصب في حسابات رؤساء وزراء وجمهوريات البلدان الأجنبية أي غير الفرنسية. ويتم استخدام هذه الأموال في استخدام الحرس (المقربين) ومن ضمنهم فرنسيون من أنصار الزعيم اليميني شارل باسكوا أو في صرفها في البذخ حيث وصلت مصروفات زوجة رئيس الجابون، ايديث بونجو، إلى ١,٥ مليون فرنك في اليوم اليوم الواحد. وهكذا يتم الضغط على ميزانيات الدول من أجل....

وتؤكد مصادر موثوقة بأن الجابون كانت هي التي تستعمر فرنسا وليس العكس في عام ١٩٨٢م، وكان عمر بونجو، الذي يعتبر صديقاً شخصياً لجاك شيراك يقوم بتمويل المرشحين من أنصار صديقه الفرنسي.

[جريدة البيان الإماراتية، العدد: (٧٣٧٦)]

هل لديهم شرف؟!

في خطوة وصفت بـ «الاستفزازية» وغير المسوّغة أقدم مجلس الشيوخ الأمريكي «الكونغرس» على سن مشروع قانون لمكافحة ما سمي بـ «جرائم الشرف» وصولاً لإقراره ومن ثم البدء في تطبيقه ضمن برامج ضغوطات السياسة الأمريكية الخارجية على بلدان العالم الثالث وبالذات منها الدول العربية والإسلامية. واعتبر مراقبون أن سَن الكونغرس الأمريكي لمشروع هذا القانون سابقة لم تحدث في السياسة الدولية فضلاً عن اعتباره تدخلاً سافراً في خصوصيات الدول العربية والإسلامية. محللون أفادوا أن مصادقة مجلس الشيوخ الأمريكي على مشروع القرار ورفعه ليصادق عليه من قبل مجلس النواب يعد سابقة خطيرة لم يسجل مثيل لها في أي من المحافل الدولية، وأضافوا أن الكونغرس الأمريكي سيطلب بعد إقرار هذا القانون التدخل المباشر في شؤون الدول المعنية تحت مظلة حماية أرواح الأبرياء من النساء مؤكدين أن الأردن سيكون على رأس هذه الدول حسب ما جاء في أحد التقارير المتعلقة بهذا الصدد.

[صحيفة السبيل الأردنية، العدد: (٣٤٤)]

وهذه أسرتهم!

١ - أظهر مسح جديد أجري مؤخراً في شيكاغو الأمريكية أن أكثر من نصف أطفال الولايات المتحدة يعيشون الآن مع أحد الوالدين، وليس مع الوالدين معاً نتيجة لتراجع معدلات الطلاق.

[مجلة الكوثر، العدد: (١٠)]

٢ - ديك تشيني المرشح نائباً لجورج بوش الابن: سُئل عن موقفه من سياسة الإدارة الأمريكية الحالية إزاء تجنيد الشواذ جنسياً في الجيش والمعروفة باسم سياسة (عدم الجهر) التي تغض الطرف عنهم وتتبنى إزاءهم سياسة متسامحة فقال: (أعتقد أنني سأساند هذه السياسة، وأعتقد أن هذا أفضل الممكن في هذه الظروف). وسئل تشيني عن ابنتيه وإحداهما معروفة بشذوذها الجنسي فقال إنه يفخر بابنتيه وأن الحفاظ على خصوصية حياتهما الشخصية حق يجب عدم المساس به.

[جريدة البيان الإماراتية، العدد: (٧٣٤٩)]

العمل على أشده

فتحت العاصمة الأسترالية كانبيرا الباب نحو تأسيس إذاعة «نصرانية أصولية» للبث باتجاه دول شرق وجنوب شرق آسيا، الذي من المعتقد أن يثير غضب وحساسيات عدد من الدول الآسيوية المسلمة وحتى البوذية والشيوعية التي ستغطيها دائرة الإذاعة التي تقود حملة التنصير؛ فقد دفعت منظمة «كريستيان فيزن» البريطانية مبلغاً مالياً لم يعلن مقابل إيجار أقوى محطات البث في منطقة جنوب المحيط الهادي التي كانت تستخدم سابقاً من قبَل إذاعة أستراليا بالقرب من داروين.

وستبث الإذاعة الجديدة برامج دينية وأغاني مسيحية وبرامج صحية وثقافية وأخرى لم تحدد، وتؤكد الجماعة النصرانية الإنجيلية أن إذاعتها التي ستكون باسم: «إذاعة الصوت المسيحي» لن تكون سياسية التوجه والمضمون، لكن المنتقدين لها من الأستراليين يعتقدون أن مضمونها الديني سيزعج الدول الآسيوية التي سيستمع سكانها لبرامجها عبر أجهزة محطة «كوكس بينونسيلا». وتغطي المحطة معظم مناطق الصين وإندونيسيا وماليزيا وتايلاند والدول الأخرى المجاورة من أقصى الصين وكوريا شرقاً إلى الهند غرباً. لكن الصين وإندونيسيا هما هدف المحطة الأول: وكلاهما يتعرض لحملتي تغريب وتنصير شديدتين منذ عقود، وكانت الصين تحاول دائماً الضغط على كانبيرا من أجل عدم بث إذاعة دينية موجهة لسكانها من أراضيها في السنوات الماضية.

وتقول المنظمة النصرانية المؤسسة ضمن أهداف بث الإذاعة: إنها تهدف إلى «تعريف الناس بالمسيح، ونشجع من يؤمن به ويقبله ابناً للرب ليصبحوا مؤمنين حقيقيين بربهم. وقد تأسست هذه المنظمة المتخصصة بأنشطة التنصير عبر وسائل الإعلام عام ١٩٨٨ وتصف نفسها بالقول: نحن شركة خيرية أمرها الرب بإيصال رسالة المسيح عيسى لمليار إنسان عبر استخدام وسائل الإعلام الحديثة.

[مجلة الإصلاح، العدد: (٤٣٠)]

لمن كان له قلب

عكست دراسة في بريطانيا الاعتقاد السائد في الغرب بأن التعايش بين رجل وامرأة بدون زواج يقيهما من منغصات الزواج. وأظهرت الدراسة التي أجرتها الباحثة الاجتماعية باتريسيا مورغان ونشرتها في كتاب أن الأطفال الذين يولدون لأبوين غير متزوجين يعانون من مشكلات نفسية وتربوية، ولو كان الأبوان يعيشان تحت سقف واحد. واتهم الكتاب وعنوانه: (زواج النخبة) المسؤولين والمنظمات الاجتماعية بالخضوع لمجموعة من البوهيميين والعبثيين الذين «يروجون لنظرية كاذبة مفادها: أن الزوج لا يعدو كونه ورقة رسمية». وضم الكتاب نتائج إحصاءات في مختلف أنحاء العالم دلت على اللذين يعيشان في ظل «التعايش» يعانيان قدراً أكبر من التوتر والاكتئاب، إضافة إلى كونهما أكثر ميلاً إلى الخيانة من اللذيْن يقترنان رسمياً. وانتقد الكتاب وجهة النظر الرسمية القائلة إن بعض أشكال التعايش أكثر ثباتاً من الزيجات؛ لأنها تنتهي بالإنجاب، مشيراً إلى أن ثمانية في المئة فقط من أتباع الفئة الأولى ظلوا تحت سقف واحد بعد إنجابهم طفلهم الأول. ولاحظ الكتاب اتجاهاً حالياً لدى الشباب إلى تفضيل الزواج على التعايش، مشيراً إلى أنه في السنتين الأخيرتين فضَّل ٢٢ في المئة من الرجال و١٧ في المئة من النساء التعايش في مقابل ٤٥ في المئة من الرجال و٥١ في المئة من النساء الذين اختاروا الاقتران رسمياً.

[جريدة الحياة، العدد: (١٣٦٧١)]

وفعلتها ياوحيد!!

قال الرئيس الإندونيسي عبد الرحمن وحيد الذي يرأس أكبر دولة إسلامية من حيث عدد السكان: «إنه يجب أن تكون لإسرائيل سيطرة إدارية على القدس» ولكنه أبلغ الصحافيين أن السيادة السياسية على المدينة المقدسة يجب أن توكل إلى هيئة دولية تضم ست دول مجاورة والأمم المتحدة» وتحدث وحيد بعد اجتماع سري مع شمعون بيريس وزير التعاون الإقليمي الإسرائيلي وقبيل وصول ياسر عرفات إلى البلاد، وقال وحيد: «إخفاق قمة كامب ديفيد في يوليو الماضي يرجع إلى حقيقة أنه لم يتم بحث سوى شكل واحد من أشكال السيادة، ولكن إذا قسمنا السيادة فسيختلف الأمر» وقال وحيد: «من الأفضل أن نفرق بين السيادة الإدارية التي ستكون في أيدي الإسرائيليين وبين السيادة السياسية التي ستتولاها لجنة تضم سبعة أعضاء هم: مصر، والأردن، وسوريا، ولبنان، وفلسطين، وإسرائيل، والأمم المتحدة». وقال وحيد: إن «إندونيسيا تفخر بأن تساعد في مسيرة السلام في الشرق الأوسط».

وكانت زيارة بيريس لإندونيسيا أول لقاء على هذا المستوى الرفيع بين البلدين منذ سبع سنوات.

[جريدة الأنباء، العدد: (٨٧١١)]

شكراً!!

أعلن عبد الستار خان وزير خارجية باكستان عن اعتزام حكومته اتخاذ إجراءات صارمة لطرد جماعات الأفغان العرب المقيمين على الأراضي الباكستانية منذ احتلال الاتحاد السوفييتي السابق لأفغانستان. وقال: إن الحكومة الباكستانية لن تسمح باستخدام أراضيها في أنشطة لتهديد سلامة أراضي الدول العربية الشقيقة أو زعزعة الاستقرار والسلام فيها.

وقال: إن إسلام آباد تتعرض لضغوط شديدة من حلفائها العرب في منطقة الشرق الأوسط لتضييق الخناق على الأفغان العرب الذين يشتبه في تدبيرهم اعتداءات إرهابية ضد بلادهم الأصلية.

واعترف الوزير بأن ٢٥ ألف متشدد من الأفغان العرب الذين خاضوا الحرب لتحرير أفغانستان من الاحتلال السوفييتي (١٩٧٩ - ١٩٨٩م) لم يعودوا إلى بلادهم ويعيش غالبيتهم في باكستان الآن.

[جريدة الأهرام، العدد: (٤١٥٢٤)].

التأمين وجهات نظر أخرى

د. رفيق يونس المصري(*)

في العدد ١٤٨ الصادر في ذي الحجة ١٤٢٠هـ، نشرت مجلتكم الموقرة مقالاً للدكتور سليمان بن إبراهيم بن ثنيان، بعنوان: «حقيقة شركات التأمين»، أخذ فيه برأي الفقهاء المانعين للتأمين، بكل أنواعه، ورأى أنهم هم العلماء الذين يعتد برأيهم في بلاد المسلمين، كما رأى أن الباحثين الذين قالوا بأن للتأمين إيجابيات هم - بنظره - ليسوا من أهل العلم. وأورد عدداً من سلبيات التأمين، منها أن شروطه شروط إذعان تعسفية واستغلالية، وأن شركاته ليس من همها إلا الربح، وأنها اشترت بالمال ذمم كثير من المستشارين، والمحامين، والأطباء، والخبراء، وغيرهم من أفراد طاقم التأمين، وأن هذه الشركات تعقد كثيراً من العقود، ولا تفي إلا بالقليل منها، وأن الكثرة الكاثرة في التأمين هي الجماعة الخاسرة، وأن القلة القليلة هي الحفنة الرابحة من قادة التأمين في العالم، وأن بلدان العالم فئتان: فئة مصدرة للتأمين، وفئة مستوردة له، وأن تكلفة التأمين تكلفة عالية، وأنه السبب في الكثير من الجرائم، كالقتل، والكذب، وأن التأمين فيه ربا، وغرر، وقمار، وأن شره يغلب خيره، وأنه ليس فيه أي مصلحة اقتصادية، ويغني عنه التأمين الذاتي، أي إنشاء حساب استثماري لاحتياطي الحوادث... إلخ.

المعلوم أن الفقهاء المعاصرين على ثلاثة آراء في التأمين: الأول يكتفي بالتأمين الخيري القائم على الزكوات، والصدقات، الوصايا، والديات، والنذور، والكفارات، ومن القائلين بهذا الرأي: الدكتور شوكت عليان من الفقهاء،

(*) باحث في الاقتصاد الإسلامي والفقه المالي.

والدكتور عيسى عبده من الاقتصاديين المسلمين.

والرأي الثاني يجيز التأمين التعاوني دون التجاري، ومن القائلين بهذا الرأي: الدكتور الصديق الضرير، والأستاذ محمد أبو زهرة، والدكتور حسين حامد حسان، والدكتور محمد بلتاجي حسن، من الفقهاء.

والرأي الثالث يجيز التأمين التجاري أيضاً، ومن القائلين بهذا الرأي: الأستاذ مصطفى الزرقا، والأستاذ علي الخفيف من الفقهاء، والدكتور محمد نجاة الله صديقي من الاقتصاديين المسلمين.

ومما يؤخذ على رأي المانعين للتأمين التعاوني عدم اهتدائهم إلى بعض النصوص الشرعية، ومن ذلك حديث الأشعريين، وهو أنهم كانوا إذا أرملوا (فني زادهم وافتقروا) في الغزو، أو قلَّ طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في إناء واحد، ثم اقتسموه بينهم بالسوية (صحيح البخاري، كتاب الشركات، وصحيح مسلم، باب فضائل الصحابة).

إن التأمين الخيري لا يعوض المصاب إلا إذا أصابه فقر، أما التأمين التعاوني أو التجاري فإنه يعوض المصاب، ولو لم يصبه فقر؛ لأن الغرض منه هو ردُّه إلى مستواه السابق من الغنى والكفاءة الإنتاجية.

والناس متفاوتون؛ فبعضهم قد لا يرى حرجاً من اللجوء إلى التأمين الخيري، عند الحاجة، وبعضهم يفضل الاعتماد على نفسه، والتقليل من الاعتماد على الآخرين، وتخفيف الأعباء عن الإيرادات الخيرية وحصائل الزكاة.

وكذلك الناس متفاوتون حيال المخاطر؛ فبعضهم قد يكون أكثر رغبة وقدرة على تحمل المخاطر، وبعضهم قد يجد ميلاً لديه لركوب المخاطر في الأنشطة الاقتصادية المختلفة، لا سيما إذا كانت هناك وسيلة كالتأمين تخفف عنه آثار بعض المخاطر، لكي تشجعه على ركوب مخاطر أخرى يحتاج إليها النشاط الاقتصادي في المجتمع. والتأمين إذا ما طبق في اقتصاد بلدٍ مَّا، فإن الاقتصادات الأخرى تتخلف وراءه، إذا لم تطبقه.

ومما يؤخذ على رأي المجيزين للتأمين التعاوني، والمانعين للتأمين التجاري، أنهم رأوا أن التعاونيات كالتبرعات يغتفر فيها من الغرر ما لا يغتفر في المعاوضات. وهذا فيه نظر؛ لأن حقيقة: «أتبرع لك على أن تتبرع لي» ليس من التبرعات، بل هو من المعاوضات. ومما يؤخذ عليهم أيضاً أنهم ميزوا بين معاوضات تهدف إلى الربح، ومعاوضات لا تهدف إليه، فمنعوا التأمين التجاري وأجازوا التأمين التعاوني. وهذا التمييز غير مسلَّم؛ لأن الإسلام يجيز التجارة، كما يجيز الربح. وغاية الفرق بين التأمين التعاوني والتأمين التجاري أن الأول تديره جمعية تعاونية، والآخر تديره شركة تجارية.

وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن جميع

الفقهاء الذين أجازوا التأمين التعاوني، أو أجازوا التأمين التجاري، إنما أجازوا التأمين، بغض النظر عن كونه تعاونياً أو تجارياً، وهذا اعتراف منهم بالمصلحة الاقتصادية والاجتماعية للتأمين.

كما أن جميع الفقهاء، حتى الذين منعوا التأمين التعاوني والتجاري، قد أجازوا التأمين الحكومي: التأمينات الاجتماعية، والتقاعد، والمعاشات. والتأمين الحكومي يمكن أن يدار بشكل تعاوني بلا أرباح، ويمكن أن يدار بشكل تجاري استرباحي.

فلا يمكن القول بأن العلماء الذين يعتد برأيهم قد حرموا التأمين بجميع أنواعه، سواء كان تعاونياً أو تجارياً، حكومياً أو خاصاً.

أما ما ذكر من أن التأمين فيه ربا فالرأي في هذا أن الربا ليس من لوازم التأمين؛ إذ يمكن استثمار أقساط التأمين استثماراً غير ربوي، بصيغة المشاركة في الأرباح مثلاً. كما أن قسط التأمين لا ينظر إليه على أنه قرض، حتى يقال بأن مبلغ التأمين يكون فيه ربا إذا زاد على قسط التأمين. والربا في القرض مضمون، أما التأمين فالزيادة فيه غير مضمونة، فقد تقع، وقد لا تقع.

أما ما ذكر من أن التأمين فيه قمار فالرأي في هذا أن القمار يكون في اللعب، والتأمين ليس لعباً، والمقامر في القمار يخلق المخاطر، أما المستأمن فإنه يتحصن من المخاطر. وهذا التمييز الدقيق بين ما يدخل في القمار وما يلتبس به وليس منه تمييز لم يعرفه الفقهاء المعاصرون فحسب، بل عرفه أيضاً الفقهاء القدامى، منهم أبو عبيد في الأموال؛ حيث ميز تمييزاً دقيقاً بين القمار من جهة، والقرعة والخرص من جهة أخرى، خلافاً للفقهاء الذين حرموهما، ظناً منهم أنهما من القمار المحرم.

أما ما ذكر من أن التأمين فيه غرر فالرأي فيه أن الغرر فيه على مستويين: مستوى العلاقة بين شركة التأمين ومجموع المستأمنين، ومستوى العلاقة بين شركة التأمين وكل مستأمن على حدة. فالمستوى الأول فيه الغرر إلى حد كبير، بالنظر إلى قانون الأعداد الكبيرة Law of Large Numbers المعروف في علم الإحصاء. والمستوى الثاني وإن كان فيه غرر أكبر، إلا أن للمستوى الأول تأثيراً عليه، بحيث إن الغرر فيه يصير أقل نسبياً.

أما القاعدة القائلة بأن الغرر يغتفر منه في التبرعات ما لا يغتفر في المعاوضات فهي صحيحة بشكل عام، بمعنى أن الغرر أكثر اغتفاراً في التبرعات وأسهل، غير أن هذا لا يعني أن المعاوضات لا غرر فيها. فالجعالة فيها غرر في الحصول، وفي المقدار، وفي الأجل، كالتأمين، ومع ذلك فإنها جائزة عند جمهور الفقهاء. فإذا قلت: من عثر على سيارتي المسروقة فله ١٠٠٠ ريال، فإن الباحث عنها قد يجدها وقد لا يجدها، وقد يعمل قليلاً أو كثيراً،

لمدة قصيرة أو طويلة، ومن ثم فقد يحصل على الجُعل أو لا يحصل عليه.

أما ما ذكر من أن أرباح التأمين أرباح عالية فالحل فيه هو المنافسة الكفيلة برد الأرباح إلى حدود الاعتدال، أو الإشراف الحكومي على تحديد الأقساط، لا سيما في حال الاحتكار.

وأما ما يقال من أن عقد التأمين هو عقد إذعان، فهو إذن حرام؛ فهذا ربما أتى من سوء الترجمة. فعقد الإذعان ترجمة عربية للعبارة الفرنسية Contrat d'adhésion، والصواب في الترجمة هو: عقد الانضمام، وأما عقد الإذعان فهو حالة متطرفة من عقود الانضمام، عندما تكون شروطها تعسفية فعلاً، في غياب المنافسة، والإشراف الحكومي.

أما أن التأمين الذاتي Self-Insurance يغني عن التأمين التعاوني أو التجاري، فهذا قد يصلح بالنسبة للمنشآت الكبيرة التي يتسع نشاطها إلى الدرجة التي ينطبق عليها قانون الأعداد الكبيرة. أما المنشآت المتوسطة والصغيرة فلا يصلح لها التأمين الذاتي، لا سيما في السنوات الأولى من تطبيقه.

أما ما ذكر من الآفات الأخرى، كالقتل، والكذب، وشراء الذمم فهذه آفات عارضة؛ فالوارث قد يقتل مورِّثه، لأجل استعجال ميراثه، فهل نمنع الميراث لأجل احتمال مثل هذا القتل؟ إن الفقهاء قد منعوا الميراث، في هذه الحالة، عن القاتل فقط، ولم يمنعوه عن سائر الناس. والكذب، وشراء الذمم، فاشيان في كثير من الأسر، والمنشآت، والأنشطة. فإذا استغلت المستشفيات مرضاها، وأجرت لهم تحاليل، أو عمليات لا يحتاجون إليها، فهل نمنع النشاط الطبي والمخبري من أصله، أم نعاقب فقط من يرتكب هذه المخالفات؟ وكذلك قد تدخل سيارتك إلى ورشة إصلاح، فتستبدل الورشة قطعاً لا حاجة لاستبدالها، وقد تستخدم عمالاً حمقى، فتضيع أموال الناس وجهودهم وأوقاتهم، فهل نعزف عن استخدام السيارة، وهل نمنع قيام ورشات لإصلاح السيارات؟

أنا لا أشك في أن بعض المجيزين للتأمين التجاري قد استدلوا له بأدلة ضعيفة، وأن بعضهم كان يريد إباحته بأدلة متكلفة، وبأي ثمن، وبناءاً على أحكام مسبقة. ولكن خصومهم، إذ شعروا بأنهم قد استطاعوا ردَّ مثل هذه الأدلة ظنوا أنهم قد ردوا التأمين، والحال أن التأمين يمكن أن يستدل له بأدلة أخرى قوية يصعب ردها.

الإبداعية الجماعية (*)

(١-٢)

بقلم: جان كلود أبريك ترجمة: محمد بلحسن
راجع ترجمته وقدّم له وعلق عليه: د. محمد أمحزون

تمهيد:

لقد قطع الغربيون في دراسة ما يسمى بـ «علم النفس الاجتماعي» شوطاً بعيداً. ويعدّ هذا العلم من المجالات الحيوية ـ الاستراتيجية التي ينبغي للدعوة الإسلامية الاهتمام بها فيما يتصل بحقل الوسائل والأدوات.

فهو يُعنى بدراسة الظواهر الفكرية: نظام الإدراكات والتصورات الاجتماعية، وظواهر التواصل الاجتماعي على مستويات مختلفة من العلاقات المجتمعية، ودراسة العلاقات بين الأفراد، ودراسة العلاقات بين الأفراد والجماعات: (مؤسسات، جمعيات، أحزاب، نواد)، ودراسة الجماعات من حيث تركيبها ووظائفها، وعلاقات التأثير فيما بينها، وبسط آليات تفجير الطاقات لدى الجماعات والأفراد، وأساليب العمل بروح الفريق، واتخاذ القرارات داخل الجماعة، وإلقاء الضوء على الوسائل التي تتبناها النخب في توجيه المجتمع؛ إلى غير ذلك من المناهج والأدوات والوسائل التي ينبغي للدعاة استيعابها للدخول في معترك مواجهة النخب العلمانية المفسدة، والتأثير على القطاعات الواسعة من الجماهير.

ولكل ظاهرة من هذه الظواهر يتوفر: «علم النفس الاجتماعي» على نظام معرفي متطور: نظريات وأبحاث ودراسات واختبارات تؤهله لفهم النشاطات الذهنية العليا، وبعض الأبعاد النفسية للحياة الاجتماعية للجماعات. ومن أجل توسيع مجال الرؤيا فإن «علم النفس الاجتماعي» يقوم بدراسة:

١ ـ الأسباب التي تدفع الناس للتماثل (أي التشبّه بغيرهم) أو الخضوع، وذلك بالبحث عن

(*) هناك فرق بين الإبداع والإبداعية؛ فالإبداع يعني اكتشاف الجديد، والإبداعية تعني إيجاد ملكة الإبداع لدى الأفراد والجماعات.

خصائص الفرد الذي يَمْتَثِل ويخضع، والفرد الآخر الذي يقاوم التأثيرات الاجتماعية (العادات، التقاليد..).

٢ ـ ما هي خصائص المؤسسات والجماعات التي تحاول أن تنمّط سلوك الأفراد؟ ما هي منطلقاتها العقائدية الأيديولوجية وآلياتها في التأثير؟ (المؤسسات التربوية، النوادي، الجمعيات، وسائل الإعلام، الجامعات، المعاهد..).

٣ ـ كيف يفكر الأفراد في واقعهم اليومي؟ كيف يقبلون السلوك المنحرف على أنه سلوك عادي غير شاذ؟ كيف يفسرون ما يحدث لهم؟ ويشمل ذلك البحث عن القوانين التي تحكم وتتحكم في التفكير الاجتماعي.

٤ ـ البحث عن الخصائص الأساسية التي يجب أن تتوفر في الجماعات التي تؤيد التغيير، حتى تكسب خاصيات الفاعلية والتأثير؛ كيف تستطيع هذه الجماعات أن تؤثر على الأغلبية؟ كيف تعمل لتحويل وتصحيح بنيتها التصورية العامة تجاه القضايا الرئيسة على الرغم من نقص هذه الجماعات العددي، ونوعية مفاهيمها التي تخالف سلوك الأغلبية، ومع وجود احتمالات التهميش المتوقعة نظرياً تجاه هذه الجماعات؟ ما هي طبيعة التفاعلات التي يحدثها أفراد الأقلية الفاعلة والعملية داخل واقع الأغلبية التي تخالفهم في الاعتقاد والرأي والقيم والمقاييس الحياتية؟ كيف تؤطِّر هذه الأقليات (الجماعات) علاقاتها الداخلية من أجل التفعيل المستمر نحو الإبداع والإنتاج؟ ما هي مستويات اتخاذ القرارات داخلها.

٥ ـ إلقاء الضوء على مجمل التأثيرات التي تمارسها وسائل الإعلام على الفرد من خلال دراسة مختلف المواضيع الإعلامية المساقة للفرد: المقاييس التي تنتج الخطاب الإعلامي، كيفية تغيير هذا الخطاب ليستطيع أن يصبح قاعدة سلوكية وفكرية عامة ومعتادة لدى أفراد مجتمع ما[1].

ومن الموضوعات التي يوليها «علم النفس الاجتماعي» اهتماماً متزايداً، ويخضعها للبحث والرصد والاختبار الميداني: موضوع التفكير الإبداعي.

على أن هذا التفكير يؤدي عبر مجموعة من الأساليب والأدوات والإجراءات إلى مساعدة الإمكانات الذهنية على الارتقاء، وتحسين كفاءة الأداء، والقدرة على حلّ المشكلات، وطرح البدائل واكتشاف الخيارات[2].

ولما كان الإبداع يعني التأليف بين الأفكار والصور وتركيبها تركيباً فذاً ينتج عنه الإتيان بقاعدة جديدة أو اكتشاف لقانون جديد، أو استخراج لشكل غير مألوف[3]؛ فإن تنمية هذا النوع من التفكير يستحق اهتماماً خاصاً منّا نحن المسلمين؛

---

(١) علم النفس الاجتماعي، تأليف مجموعة من الباحثين الفرنسيين، نشر تحت إشراف سيرج موسكوفيسي، باريز، المطابع الجامعية لفرنسا، ١٩٩٢.

(٢) عبد الكريم بكار، مدخل إلى التنمية المتكاملة: رؤية إسلامية، ص ٨٧.

(٣) المرجع نفسه، ص٨٧.

حيث يشتدّ الطلب اليوم على الإنسان الفذ المبدع بشكل دقيق وجيّد لخدمة دينه وأمته في سبيل الدفع نحو الارتقاء الحضاري.

ولمعرفة المناهج وآليات الرصد والتجارب والحلول المبتكرة التي يستخدمها «علم النفس الاجتماعي» لتطوير هذا الفنّ وتعميمه في حقول المعرفة وفي مجالات الحياة المختلفة، فإنّ هذا البحث الذي ترجم من اللغة الفرنسية لأحد أقطاب علم النفس الاجتماعي الفرنسيين، سيبيّن وسائل التحليل المنهجي للإبداعية، وكيفية توظيف تقنيات الإبداع لتحفيز الذهن على الابتكار والتجديد، وإجراء التجارب لتنمية ملكة الإبداع لدى الأفراد، وتقييم إبداعية الجماعات وتنافسها، والعوامل التي تخضع لها عملية الإبداع... إلى غير ذلك من العوامل التي يبرز من خلالها أهمية التفكير الإبداعي في تغيير الواقع وتجديده وإغنائه.

مقدمة المؤلف:

اهتمام علم النفس بالإبداع هو جد حديث؛ فإلى غاية سنة ١٩٥٠م، كان حجم عناوين المنشورات في علم النفس المخصّصة للإبداعية بنسبة واحد في الألف. وإلى غاية هذا التاريخ أيضاً توجه الاهتمام بالخصوص إلى تحليل سيرورة الإبداعية المعتبرة ظاهرةً قليلة وحاضرة - حصراً - داخل نخبة الباحثين والمبدعين الكبار، ومنذ هذه الفترة كانت المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع ناتجة بالأساس عن تحليل تراجم العظماء، أو شهادات تركها بعضهم مثل بوانكاري poincare، والمتعلقة بمناهج تفكيرهم.

ولم تظهر الإبداعية باعتبارها ضرورة اجتماعية واقتصادية إلا مع نهاية الحرب العالمية الثانية وانعكاساتها؛ حيث أصبحت موضوعاً للدراسة. وإزاء التطور السريع للمجتمعات الصناعية فإن ازدياد المنافسة وسرعة التحولات في المناهج والتقنيات والأسواق فرض البعد النوعي أساساً للتكيف والنمو الاقتصادي، وتحوّل الاهتمام أيضاً من المبدعين إلى الأفراد الإبداعيين من دراسة الإبداع إلى دراسة الإبداعية؛ أو بمعنى آخر: من دراسة خصائص نخبة ضيقة إلى شريحة أكثر اتساعاً.

وهكذا احتل مفهوم الإبداعية وضعاً مستقلاً بالنسبة للإبداع. ويمكن تسمية الإبداعية: (التطور التدريجي المتتابع والملكة التي بواسطتها يقوم فرد أو جماعة تحتل وضعاً معيناً بإعداد نتاج جديد أو أصيل موافق لمتطلبات الظرفية ومقاصدها أو الحالة الراهنة). إذن: نعتبر فرداً أو جماعة مبدعة حسب قدراتها لتحريك هذه العملية.

ويعود الفضل لجيلغورد (1973,1950: Guil-gord) من خلال رسالته المشهورة المقدمة لجمعية علم النفس الأمريكية، والتي صاغ فيها الأفكار الجديدة الغنية بالنتائج النظرية والتطبيقية المتعلقة بالإبداعية:

- القابلية للإبداعية توجد بمستويات مختلفة ولكن عند جميع الأفراد العاديين[١].

---

(١) معنى ذلك أن الإبداعية كامنة في جنس الإنسان، إلا أنها في حاجة إلى من يحفزها وينشطها لتخرج إلى عالم الواقع.

● السياق الإبداعي يمكن أن ينتج طواعية، ويمكن أيضاً تدريسه وتطويره لدى عدد كبير من الأفراد.

وبالإضافة إلى هاتين الفكرتين المركزيتين تضاف بعض أعمال أوسبورن (Os- 1953: 1963, born) الفكرة التي تنص على أن وضعية الجماعة تساعد على الإبداعية(١).

ولهذا بدأنا نرى في الولايات المتحدة ثم في أوروبا وفرنسا، وخاصة ابتداءاً من سنة ١٩٦٠م تطور مجموعة من الأبحاث في علم النفس، مستعملة بالخصوص المناهج التفاضلية والساعية مثلاً إلى اكتشاف أو إبراز العلاقات بين الإبداعية والذكاء، وتعريف خصائص «الشخصيات الإبداعية» وتقييمها إلخ.. ويمكن للقارئ المهتم أن يعود في هذا الصدد إلى مجلة لوبوتي (Leboutet) حول هذه المسألة ١٩٧٠م.

آثار الجماعات النوعية:

عوضاً عن الدخول في هذا مقارنة بين تقدير خصائص الجماعات والأفراد، والتي كشف عنها موسكوفيسي وبيشلي (1972: Paicheler/moscqvici) على أنها غير ذات جدوى، سنحاول إبراز بعض الأبحاث التجريبية ونتائجها القادرة على توضيح نوعية وضع الجماعة وبالخصوص فهم: لماذا يمكن للجماعة أن تشكّل حافزاً للإبداعية؟

أ ـ الجماعة تفضل التغيير:

في تجربة شهيرة، قارن لوين (1965,1947: K. Lauin) الآثار الخاصة لمحاضرة مقابل نقاش جماعة حول تحوُّل العادات الغذائية المنزلية الأمريكية تحولاً يتمثل في استهلاك السُلابة(٢) عوضاً عن اللحم.

وفي مقام أول استمعت جماعة من النساء إلى محاضرة هامة ألقيت من طرف مختص يؤكد فيها الامتيازات الغذائية والاقتصادية للسُلابة، عن طريق عرض وجبات مناسبة... إلخ.

وفي الحالة الثانية، وبعد عرض تمهيدي وجيز، دفعنا بربات البيوت إلى مناقشة المشكلة فيما بينهن. وفي كلتا الحالتين دامت التجربة ٤٥ دقيقة. وأُجري تحقيق في المنزل بعد أسبوع من التجربة أظهر أن ٣٪ فقط من ربات البيوت اللائي استمعن إلى المحاضرة استعملن السلابة مقابل ٣٢٪ من اللائي ناقشن هذه المسألة داخل الجماعة.

على أن جميع التجارب المنجزة من طرف لوين، والتي تستعمل الوسائل نفسها اتخذت هذه النتيجة، سواء تعلق الأمر باستهلاك الحليب السائل أو الحليب المسحوق أو إعطاء زيت كبد سمك المورة

---

(١) لما كان وجود الفرد في الجماعة أمراً ضرورياً، ولا يتمّ شيء من المعاني المذكورة إلا في إطار الجماعة، رغب النبي ﷺ فيها وحثّ عليها، بل وأمر بها، كما جاء في حديث عمر ـ رضي الله عنه ـ: «... فمن أراد بحبوحة الجنّة فليلزم الجماعة» (أخرجه الترمذي في سننه وقال حسن صحيح)، وفي حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «يد الله مع الجماعة» (أخرجه ابن أبي عاصم في السنّة وصححه الشيخ الألباني). ولتربية الروح الجماعية عند المؤمنين شبههم النبي ﷺ بالبنيان، في تماسكهم وتفاعلهم وتكاملهم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً» (أخرجه البخاري في كتاب الأدب)، كما وصفهم بالجسد الواحد، (المصدر نفسه، كتاب الأدب).

(٢) كراع الذبيحة وبطنها.

للطفل. ولو أننا عوضنا العرض بنصيحة شخصية استغرقت نفس الوقت؛ فإن أثر الجماعة يظل مهيمناً بالنسبة للتغيير؛ فالوجود داخل الجماعة والتفاعل الاجتماعي والإدراكي يمكن أن يؤدي إلى انخفاض مقاومة التغيير عند الأفراد، ويساعد على ظهور سلوكيات جديدة يؤطرها الحس الجماعي[١].

ب - الجماعة تفضل المخاطرة:

أظهرت مجموعة من الأبحاث، بعد أعمال ولاش وكوجان (1966: Wallach/Kogan) بأن الجماعة المكونة من أفراد ذوي آراء مختلفة والمناقشين لحالة معينة يختارون حلولاً أكثر مخاطرة من الأفراد المنسجمين في الجماعة نفسها. وازدياد المجازفة داخل الجماعة في بعض الحالات يشكل عاملاً ملائماً للإبداعية؛ فهي تسمح للجماعة باختيار حلول مثمرة على الأقل أو أصيلة؛ لأن فيها مجازفة[٢].

ج - عدم تجانس الجماعة وأثره في الإبداعية:

إن التباين في الجماعة على صعيد المواقف والكفاءات يعد رصيداً جوهرياً؛ لأنه يسمح باحتكاك الآراء المختلفة[٣] والاستفادة من كفاءات الآخرين، ويعني عوامل تشجع الإبداعية. ولكن يمكن أن يكون أيضاً مصدراً للتوقف والصعوبات: كبح أو إعاقة أمام أفراد جماعة أكثر كفاءة، وتجميد التواصل بسبب صراعات المواقف... إلخ. فالاختلاف[٤] يشكل مصدراً كامناً للصراعات الاجتماعية الإدراكية.

وأظهرت أبحاث هال وواتسون (1970:Watson/ Holl) بأن التنافر داخل الجماعة يساعد على الإبداعية إذا أُخذت هذه الصراعات الاجتماعية - الإدراكية بعين الاعتبار وضُبطت حالتها. وقد جعل هذان الباحثان جماعة في وضع لحلّ المشكلة الآتية: أنتم ضمن طاقم من الفلكيين تعرّض لحادثة في القمر، ويجب عليكم الالتحاق بسفينة فضائية توجد على بعد ٣٠٠ كيلو متر على القمر؛ فالسفر طويل وصعب، ويجب عليكم اختيار المواد التي ستحملونها معكم، والتي سوف تسهل عليكم بلوغ الهدف. وكل فرد رتّب ١٥ مادة لحملها. وهذا العمل أُنجز داخل الجماعة، وينبغي آن ينتهي إلى نظام واحد.

ومن ها هنا تم تحديد شرطين تجريبيين: فالتعليمات تدعو الأفراد إلى توضيح آرائهم المختلفة

---

(١) إن التغيير في القرآن الكريم سنة اجتماعية لا سنَّة فردية، بدليل قول الله - عز وجل -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]؛ إذ كلمة قوم تعني الجمع أو الجماعة، فكل فكرة أو خبرة اجتماعية تُقدَّم للإنسان تؤثر في مواقفه، سواء كانت هذه الأفكار والخبرات إيجابية أم سلبية. وإنما يتجلى الحذق والمهارة في إعطاء مواقف أسلم وأيسر ولا يتم ذلك إلا عن طريق الوحي المعصوم من الخطأ.

(٢) إن روح المخاطرة والمغامرة يؤطرها فعلاً السلوك الجماعي سواء على صعيد الفكرة أو الموقف. فالتواصي بالحق والصبر الذي جاء في «سورة العصر» لا يتصور إلا في جماعة يوصي بعضها بعضاً بالصبر على العبء المشترك، ويتعاون الجميع على تكاليف الإيمان، بما يوحي ذلك من مجازفة ومخاطرة بالمال والنفس، والصدع بالحق لتغيير الواقع من سيئ إلى أحسن.

(٣) اختلاف التنوع.

(٤) اختلاف التضاد.

ومناقشتها، أو عدم تحديد أي شيء؛ وتُظهر النتائج بوضوح بأن أخذ الجماعة للاختلاف بعين الاعتبار يؤدي من جهة إلى نتائج مرضية عامة، ومن جهة أخرى يؤدي إلى اكتشاف أفكار جديدة وأصيلة تتعلق باستعمال المواد(١).

وهذه النتائج تؤكد النتائج القديمة (لتريانيز) المتعلقة بالإبداعية الثنائية التكاملية: تباين المواقف والكفاءات لعنصرين في تفاعل لا تساعد على الوصول إلى نتائج مرضية(٢).

وعلى العكس من ذلك، ففي حالات تجريبية تلقى فيها عناصر ثنائية متكاملة مسبقاً: «تدريباً للاتصال مع الآخرين»؛ فالأزواج المتباينين(٣) هم الأكثر إبداعية.

ويمكن القول (عند تريانديز :Triandis)، إنه حينما يتقلص الضغط المرتبط بتباين الجماعة - مثلاً - بفضل التعلّم أو الاتصال والاحتكاك؛ فالآثار الإيجابية لهذا التباين يمكن أن تتطور وتؤدّي إلى إبداعية عالية. وهذا التحليل يكشف أهمية بعض أنواع الزعامة (Leodership) وضرورتها، أو الحيوية في الجماعات الإبداعية المركزة على ضبط وتدشين مناخ ترابطي إيجابي. (وسنعود إلى هذه النقطة).

وأكمل كولاروس واندرسون (Andernon, Collaros: 1969) هذه النتائج بإظهار أن التباين الحقيقي والتباين الشكلي ليس هما الأساس. وبدراستهما لجماعات «تحفيز الإبداع»(٤): وضعا ثلاث حالات تجريبية:

- في الأولى يجب على الفرد أن يفكر في أن الأعضاء الثلاثة الآخرين في الجماعة خبراء في «تحفيز الإبداع».

- في الثانية: واحد فقط من الأعضاء خبير.

- في الثالثة: لا يوجد أي خبير(٥).

لكن في الحقيقة فإن الجماعة متطابقة في الحالات الثلاث؛ بمعنى أنها مكوّنة من أفراد سُذّج بدون تجربة. وحينئذ، فإن تبيان عدم تجانس الجماعة هو الذي تم التلاعب فيه. على أن إبراز الجماعة بهذا الشكل يؤدي إلى اختلافات جوهرية: فالجماعات المتجانسة(٦) تطوّر إبداعية عالية أكثر

---

(١) إن التعدّد الإيجابي ينصبّ في قناة اختلاف التنوع؛ حيث يعمل عناصر الجماعة الواحدة أو الجماعات على إغناء الخبرات والمواقف بالأفكار المتنوعة، وعلى سدّ حاجات المجتمع وتصحيح مساره بشتى الأساليب، وعبر جميع الوسائل والطرق في سبيل التجديد والتغيير.

(٢) ولحلّ هذه الإشكالية ينبغي التفاهم والتطاوع، كما جاء في حديث ابن أبي بُردة عن أبيه قال: «بعث النبي ﷺ جدّه أبا موسى - الأشعري - ومعاذاً إلى اليمن فقال: يسّرا ولا تعسّرا، وبشرا ولا تنفرا [وتطاوعا]، (الحديث) أخرجه البخاري في كتاب المغازي. وفي حديث غزوة ذات السلاسل أن النبي ﷺ أمدّ عمرو بن العاص بأبي عبيدة بن الجراح في مائتين من المقاتلين، وأمره أن يلحق بعمرو وألاّ يختلفا، فأراد أبو عبيدة أن يؤمّ بهم فمنعه عمرو وقال: إنما قدمت عليّ مدداً وأنا الأمير، [فطاوعه أبوعبيدة] (الحديث). انظر الفتح، غزوة ذات السلاسل.

(٣) اختلاف التنوع.

(٤) مصطلح انجلو - أمريكي يعني البحث عن أفكار أصيلة وجديدة داخل جماعة من الناس، وذلك بتحفيز قدراتهم للتعبير الحرّ عن أفكارهم وخواطرهم. (قاموس لاروس).

(٥) في الواقع، فإن أفراد الجماعة على نفس المستوى الذهني، ولكن أوهموا بأن معهم خبراء لاختبار ردود أفعالهم في هذه الحالات.

(٦) فكرياً وشعورياً.



من غيرها، وتكوِّن عن نفسها ـ من خلال مناخ اجتماعي مؤثر ـ صورة إيجابية، بينما يؤدي الخوف الوهمي في الحالات السابقة من حكم واحد أو مجموعة من الخبراء على أفراد الجماعة إلى تراجع أو كبح في إنتاج الأفكار وخاصة الأفكار الجديدة والأصيلة.

وهذا النوع من الأبحاث يؤكد على أن الصورة التي تكوِّنها الجماعة عن نفسها هي بُعْدٌ رئيسٌ في حركيتها وحيويتها. ولهذا فالأبعاد الرمزية لوضع الجماعة تشكل ـ في رأينا ـ أحد الموضوعات الجديدة والمركزية للأبحاث حول إبداعية الجماعات.

أسلوب الزعامة والإبداعية:

أشرنا في الفقرة السابقة إلى أخذ الصعوبات الاجتماعية الشعورية المرتبطة بعدم تجانس الجماعة بعين الاعتبار؛ فدور الزعيم يجب أن يكون حاسماً في نشاطها وإبداعيتها. وفي هذا الصدد خصص لوين ومساعدوه أبحاثاً عديدة لهذا الموضوع الذي سوف نحاول بطريقة موجزة تلخيصه.

فهؤلاء الباحثون أنجزوا دراستهم خلال الفترة (١٩٣٩ـ ١٩٤٠م) حول جماعات من الأطفال الأمريكيين تصل أعمارهم إلى ١٢ سنة يرتادون نوادي للترفيه. والملاحظات تعم فترات طويلة (عدداً من الأسابيع) وهدفها دراسة العلاقات بين أنواع القيادات وظاهرة الجماعة. وتمّ تعريف ثلاثة أنواع من الزعامات ستناسب تصرفات الشخص المسؤول عن الجماعة:

أ ـ الزعيم المستبدّ: فالقرارات المتعلقة بالعمل وتنظيم الجماعة تصدر عن المسؤول وحده، بطريقة موازية لتطور الأنشطة.. والقرارات ليست مسوَّغة، ولا واضحة بالنسبة للإصلاح. ومعايير تقييم الزعيم ليست معروفة، وأخيراً يبقى بعيداً عن الاندماج في محيط الجماعة، ولا يتدخل إلا لإصدار الأوامر أو للتنظير في حالة الصعوبة[(١)].

ب ـ الزعيم الشوري: فالقرارات ناتجة عن المناقشات التي يطرحها الزعيم، وهي تأخذ بعين الاعتبار رأي الجماعة. كما أنها مترابطة بالنسبة للإصلاح. وكل مرحلة تُحدَّد بوضوح ودقة، والزعيم يوضح الأحكام الخاصة به ويسوِّغها. وعندما يطرح مشكلة، يقترح مجموعة من الحلول تختار الجماعة أحدها. ودون المساهمة الكبيرة في توجيه الأنشطة، فإنه يضطر للاندماج في حياة الجماعة[(٢)].

---

(١) إن المتأمل في مسارات الأمم السابقة واللاحقة عبر الاستقراء والتجربة يلاحظ أنه كلّما ساد الاستبداد جماعة أو أمة أو دولة كان ذلك سبباً لسلب المجتمع إرادته وحريته، فتخدَّر مشاعره فلا يميز بين ما ينفعه وما يضرّه.

ومما لا شك فيه أن ظاهرة الاستبداد تقتل روح الإبداع وتحول دون تفجير الطاقات، مما يؤدي إلى المنحدر الخطير من التدهور والاضمحلال بكافة صوره على مختلف الأصعدة.

(٢) على أنه كلّما حظي المجتمع بالاستقرار والعدل والشورى، كان ذلك مناخاً ملائماً للإبداع العلمي وحافزاً على التطور الإنساني. ولذلك أمر الله ـ عز وجل ـ المؤمنين بالتشاور فيما لا نص فيه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ﴿وأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، وروي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه لم يكن أحد أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ، (سنن الترمذي، باب ما جاء في المشاورة)، وذلك تعويداً لهم على التفكير بالمشاكل الهامة، وحرصاً على تربيتهم على الشعور بالمسؤولية. على أنه بالاستقراء نجد أنه كلّما اتسع نطاق الشورى كانت الجماعة أقرب إلى إصابة الحق.

ج - الزعيم الاسمي: بعد تحديد الوسائل والأدوات التي تتوفر عليها الجماعة؛ فالزعيم يتصرف تصرفاً سلبياً، والجماعة تتمتع بحرية تامة مع العلم أنها يمكنها اللجوء إلى المسؤول. وهذا الأخير لا يحكم ولا يقيّم؛ فوجوده يعتبر وديّاً ولا يتدخل إلا بعد الطلب، ويتخذ قليلاً من المبادرات.

وتُظهر النتائج المتوصّل إليها: أن نوع زعيم الجماعة يحدّد مجموع سلوكها الانفصالي والاجتماعي والإدراكي.

وهكذا ففي الجماعات ذات القيادة السلطوية (المستبدة) يهيمن الخمول أو العنف؛ فالمناخ الاجتماعي الشعوري هو مناخ سيئ، والالتحام ضعيف بين أفراد الجماعة، والتوترات الداخلية تساعد على ظهور مجموعات صغرى. وبما أن العنف لا يمكن أن يوجه ضد المسؤول فيوجّه ضد بعض أعضاء الجماعة أو نحو الخارج، مع ظهور ضحايا. وفيما يتعلّق بالعمل يلاحظ أنه بوجود الزعيم تكون نتيجته جيدة، وهي عالية بالمقارنة مع الجماعات الشورية، ولكنها مطبوعة بالتماثل أو التشابه القوي والاختلافات بين الأفراد جد ضعيفة. ولكن بغياب الزعيم ينهار الإنتاج، وتتخلى الجماعة عن أي مسؤولية أو مبادرة.

وفي الجماعات ذات القيادة الشورية فالنتيجة مرتفعة ومستقرة، وحتى بعد مغادرة الزعيم للجماعة. وهذا الوضع يساعد على التعبير عن الاختلافات الفردية. وهكذا فالمنتوج من نوعية ممتازة، ولكنه أقلّ انتظاماً من الوضعية المستبدة. ورضا عناصر الجماعة يكون مرتفعاً، والمناخ الاجتماعي - الشعوري إيجابي، كما أن الالتحام قوي. فهذه الجماعات تستطيع أن تصمد أكثر من غيرها لمحاولات التقسيم الخارجية، كما أن العنف تجاه المسؤول يمكن التعبير عنه بطريقة مباشرة، ولا يؤدي إلى توترات داخلية بين أفراد الجماعة، كما هو الحال في المثال السابق.

وفي الجماعات ذات القيادة «ذره يفعل»[١]، فالنتيجة جدّ سيئة، دون أن يكون لحضور الزعيم أو غيابه دور خاص[٢]؛ فهذه الجماعات يمكن وصفها بأنها نشيطة وغير منتجة؛ فالمناخ الاجتماعي الانفعالي للجماعة جدّ سيئ، وكذلك الالتحام ومستوى الرضا. وكما هو الحال في الجماعات السلطوية يظهر العنف تجاه الآخرين، وفي اتجاه الخارج، ويوجد ضحايا.

وعرفت أبحاث (لوين: Lewin) وفريقه نجاحاً كبيراً في علم النفس الاجتماعي، وفي علم النفس الصناعي للأهمية الفعلية للإشكالية المدروسة؛ فلم توضح بأن نوع كذا من القيادة هو أفضل من نوع كذا، ولكن بيّنت بأن كل نوع من القيادة ينتج مناخاً اجتماعياً خاصاً ونتيجة معيّنة.

ويظهر بوضوح أنه إذا كان هدف الجماعة هو الإبداعية فالقيادة الشورية هي الأكثر إنتاجاً

(١) أي: يتصرف كما يشاء.

(٢) ويُقضى الأمر حين تغيب تيم ولا يستأمرون وهم شهود».

وعطاءاً؛ فهي بدون عرقلة الإنتاجية تسمح باستعمال وجهات النظر المختلفة عن طريق التعبير أولاً، ثم اتخاذ خطوة موحدة تفترض مناخاً إيجابياً. والأشكال الواقعية لهذا النوع من القيادات تمليها ضغوط المحيط الاجتماعي. على أن تطوير الإبداعية لدى جماعة تفترض على أية حال تعويض مفهوم السلطة والزعيم بالمنشط والمنظم.

أقلية نشيطة وإبداعية الجماعات:

رأينا بواسطة لوين خاصة: أن الجماعة يمكن أن تكون الركيزة أو المعبر للتحول، ولكنها أيضاً ـ كما أظهرتها الأبحاث فيما يتصل بالتأثير الاجتماعي ـ وسيلة خطيرة للامتثالية[1] والخضوع وإفقار الأفكار، والحدّ من الإبداعية لصالح قوانين وسلوكيات غالبة[2] والأفراد غير المتثلين ليس لهم إلا الاختيار بين الخضوع أو الخروج عن المألوف[3].

وبفضل أعمال موسكوفيسي (Moscovici) يتبيّن أن الأقلية لها أهمية كبيرة؛ وأظهرت الدراسات الحديثة في علم النفس الاجتماعي أن وجود أقلية داخل جماعة يعتبر عنصراً مساعداً على التجديد والابتكار؛ لأنه يساعد على تجاوز قوانين الجماعة وعاداتها[4].

وإذا أحدثت الأغلبية تغييراً بتبني وجهة نظرها الخاصة[5]، فالأقلية بدورها تطلق سيرورة للتأثير أقل وضوحاً، ولكن تؤدي إلى ظهور أفكار جديدة ومتنوعة تساعد على الإبداعية.

ويحمل بحث حديث لنميت وواشتلر جواباً لهذه الإشكالة. والفرضية العامة للكاتبين يمكن صياغتها على النحو الآتي: أفراد جماعة يكونون أكثر إبداعية إذا كانت فيهم أقلية ذات تكوين قوي ومتماسك.

فديناميكية الأقلية وحركيتها وقوتها تدفع الأفراد إلى التساؤل عن مواقعهم، وتساعدهم على تناول جوانب أخرى من الواقع، وإيجاد حلول جديدة ومختلفة.

والنتائج المتحصّل عليها بعد الاختبارات تُظهر:

- أن الأفراد يتبعون رأي الأغلبية أكثر من اتباعهم رأي الأقلية[6].
- أن الأفراد الذين يشكلون أغلبية في مواجهة

---

(1) إنتاج سلوك مشترك ومتشابه لدى مجموعة من الأفراد.

(2) إن البيئة الاجتماعية تلعب دوراً كبيراً في إخضاع الأفراد لمجموعتين من التقاليد والعادات الموروثة التي تنمّط السلوكيات وطرق التفكير، وتنتج بذلك أوضاعاً تتسم بروح القطيع، وضمور حسّ التجديد والابتكار، كما جاء في الحديث الشريف: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه...» الحديث أخرجه البخاري في كتاب القدر.

(3) يقصد هنا: محاولة الخروج عن الأوضاع والتقاليد الاجتماعية السائدة، والرغبة في التغيير والتجديد.

(4) إن النخبة الفاعلة أو الفئة المصلحة تعدّ عاملاً مهماً في الإصلاح الاجتماعي وتهيئة الأوضاع الموصلة في النهاية إلى التغيير. وهو مطلب شرعي ملحّ، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

(5) وهذا نادراً ما يحدث؛ إذ على امتداد التاريخ الإنساني لم تستطع الأغلبية أن تقوم بدور التغيير، وإنما النخب المصلحة هي التي تفعل ذلك: ﴿فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هود: ١١٦].

(6) إن تحديد الرؤى والمواقف داخل التصور الغربي يعتمد في الغالب على كثرة العدد؛ فالأغلبية لها تأثيرها الواضح في مجريات الأمور، وفي =

اقلية يعطون عدداً مرتفعاً من الأجوبة الجديدة الصحيحة أكثر من الذين هم أقلية في مواجهة اغلبية[1].

كما أظهرت النتائج أن تأثير الأغلبية وتأثير الأقلية يرتكز على سيرورتين مختلفتين:

١ ـ أن الأغلبية جدّ فعّالة لجرّ الأفراد نحو الحلول التي تقترحها، بمعنى نحو امتثالية قارة[2]. وعلى العكس، إذا كانت الأقلية تدفع أقل نحو هذا النوع من السلوك فإنها تساعد الأفراد على اللامركزية، وعلى تحليل يأخذ بعين الاعتبار العناصر المقترحة التي تعين على إنتاج حلول جديدة ومبتكرة غالباً ما تكون صحيحة.

٢ ـ أن وجود جماعة ذات أقلية نشيطة وقوية يمكن اعتبارها عاملاً مساعداً على الإبداعية. وهذه النتيجة تعين على توضيح النتائج المتحصلُ عليها من طرف (موسكوفيسي، ولاج) التي تبين أن تأثير الأقلية هو جدّ قوي في محيط تكون قاعدته هو البحث عن الأصالة واكتشاف الجديد.

= جميع القضايا المعروضة على الرأي العام. بينما في التصور الإسلامي، فإن تحديد الرؤى ومن ثمّ المواقف ينبع من خضوع الإنسان المسلم لمرجعية عليا (الوحي) بدل الاحتكام إلى رأي الأغلبية: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]. وجاء في الأثر عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدي».

أما رأي الأغلبية، فيُتّبع إذا كان موافقاً للحق، ويُترك إذا كان خلاف ذلك: «فإذا أحسن الناس فأحسن معهم، وإذا أساؤوا فاجتنب إساءتهم» عن عثمان بن عفان رضي الله عنه (البخاري: كتاب الأذان). وفي حديث الترمذي: «لا تكونوا إمّعة».. (الحديث).

(١) إن التفوق العددي ـ في بعض الأحيان ـ يلعب دوراً في تحفيز الأفراد وتشجيعهم على الإدلاء بآرائهم والتعبير عن أفكارهم إذا كانوا يواجهون جماعة أقل منهم عدداً.

(٢) وهو سلوك غير صحي.

هل أرخص الدماء وأرخصت أمتنا!

.مهدي قاضي

يجب أن تدرك الأمة أن دعم المسلمين ذين يتعرضون للمذابح والتشريد المساعدات المالية والدعاء على الرغم من همية ووجوبه والحاجة إليه وضرورة البادرة إليه إلا أنه في الحقيقة حل قتي وجزئي لا يوقف المآسي ولا يحلها ماماً؛ وإن انتهت مأساة فستظهر أخرى؛ أن الداء الحقيقي مستمر وهو ضعف الأمة ذلها وهوانها وعجزها عن حماية أبنائها. الذي يحدث نتيجة بُعد الأمة عن الالتزام لتام بأوامر ربها. قال ﷺ في الحديث الصحيح عن ابن عمر: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا يرفعه عنكم حتى ترجعوا إلى ينكم» أخرجه أحمد وأبو داود والطبراني. وقال أيضاً في الحديث الحسن عن ثوبان: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. قالوا: قلنا: يا رسول الله! أمن قلة نحن يومئذ؟ قال: أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل» الحديث... أخرجه أحمد وأبو داود.

ومذابح أمتنا ومآسيها في العصر الحديث مستمرة منذ عشرات السنين منها ما عرفناه ومنها ما لم نعرفه، ويجب أن يشعر المسلمون أنهم مسؤولون عن استمرار مآسي الأمة من هذا الجانب؛ لأنهم بتقصيرهم واستمرارهم في الذنوب وتركهم الجد في الدعوة إلى الله والإصلاح يكونون سبباً في ضعف الأمة، ومن ثم يكونون سبباً في عجز الأمة عن حماية أبنائها؛ ووضع حل جذري لهذه المآسي وبذلك يكونون ـ بتقصيرهم ـ من أسباب استمرار مذابح المسلمين.

وما يحز في النفس أكثر هو أن الكثير من الخطباء والمحاضرين والكتاب والشعراء والدعاة عموماً لا يقومون في خطبهم ودعائهم وتوجيهاتهم عند الحديث عن مآسي المسلمين بتذكير الناس بهذا الجانب الهام بالشكل الواضح والكافي والمؤثر الذي يشعر كل فرد مسلم بمسؤوليته هو في نفسه في تحقيق هذا الواجب؛ مع أن هذا ـ كما ذكر سابقاً ـ هو الحل الحقيقي الجذري للمآسي.

وبغض النظر عن أنه الحل الأهم فإنها فرصة للدعاة لتذكير الناس بالعودة إلى الله من هذا الجانب؛ وهذا من قبيل المفهوم التربوي (التربية بالأحداث). ومن الخسارة ألا تستغل هذه الفرصة لتذكير الناس بالهدف الحقيقي الذي تطمح إليه الأمة وهو عودة المسلمين إلى الالتزام التام بدينهم والذي به ـ بإذن الله ـ يتحقق للأمة نصرها وتمكينها في الأرض.

وبعبارة أخرى نقول للدعاة بأنه يجب علينا ألا نعالج الأعراض فقط وننسى المرض الحقيقي للأمة حتى ولو كانت الأعراض شديدة وحادة في بعض الأحيان.

يا أمة الحق إن الجرح متسع
فهل تُرى من نزيف الجرح نعتبر؟
ماذا سوى عودة لله صادقة
عسى تغير هذي الحال والصور!

إن الحل لمآسي أمتنا يمكن تلخيصه في كلمتين: (عودة، ودعوة).

أي عودة كل فرد في الأمة إلى تطبيق الدين والالتزام التام بأوامره، ودعوته غيره إلى ذلك.

ويا ليت أن تصبح هاتان الكلمتان شعاراً لطريق الحل لإنقاذ أمتنا، وأن تكون رمزاً تتذاكر الأمة به لكي لا تنسى ذلك، ولكي تسرع للطريق الحقيقي الموصل للنجاة والعزة والكرامة.

الجمال بجمال النفس بلا غش

هدى بنت فهد المعجل

إلى متى تركضين إلى الوراء..؟ سؤال جذاب.. إلاَّ أن إحداهن تقول: لن يجذبني هذا السؤال إلا إذا مارس الرجل عملية الرجوع إلى الأمام.

تحدٍّ فاضح.. تفضح به مثيلاتها..!!

إحداهن تُرى عيناها حيناً عسليتين، وحيناً سوداوين، وأحياناً زرقاوين.. فهل لديها عمى ألوان..؟

عندما نرى بعض الوجوه النسائية نتساءل: لو أن المرأة بيدها اختيار شكلها وهيئتها.. فأي شكل وأي هيئة تختار؟ وتقف أمام المرآة مؤكدة المقولة المأثورة: (ثروات الأرض تكفي جميع البشر لكنها لا ترضي أطماعهم). أحياناً تضطرك الظروف أن تقومي بزيارة لا ترغبينها.. إذا كنت ممن لا يركضن إلى الوراء.. فمن أرغمك على زيارتهم، فمجتمعهم وأفكارهم بعيدة كلية عن مجتمعك وأفكارك.. لكن والدتها تقول: لا بد أن تذهبي معنا.. وإرضاءاً لرغبة الوالدة .. وحتى لا تُنعتي بالانطواء والتكبر تذهبين. وما أن يدور رحى الحديث حتى تشعري بمدى ضآلتك الثقافية الفنية قياساً بأفكارهن.. فـ (الروميل) هذا لا يناسب عينَيْ فلانة؛ لأن عينيها واسعتان، وزاد (الروميل) من سعتهما.. هكذا يقولون .. وأنت تتساءلين في نفسك: وما هو (الروميل)؟

إحداهن تقول: أشعر بـ (حكة) في بشرة وجهي.. فقالت إحدى الجالسات: أنت تستعملين الطبقة السابعة وربما لا تناسبك.. جربي الطبقة الثالثة.

تحدقين في وجه تلك القابعة بجانبك تريدين (عد) كم طبقة على وجهها.. فترمقك بنظرة وتسألك: أي الطبقات تناسب بشرتك..؟!

* مأزق.. هاوية.. كيف لك انتشال نفسك منها..؟

* أي قصَّات الشعر تعتقدين أنها تناسب وجهي..؟!

بهذا التساؤل انتشلتك إحداهن مما أنت فيه..!!

الجميع يتحدثن وأنت صامتة.. حسناً الآن هن سكوت.. فتحت فـ[ـرصة] لتتحدثي.

* قلت: من قرأ منكن ما طرح في الصحافة من آراء حول قضية..؟

وقبل أن تكملي قطعت تلك الجالسة أمامك حديثك متسائلة:

* لا أدري هل أنت صاحبة المشغل.. فأنا مدعوة إلى حفلة صديقة أخت[ي] بعد شهرين، وفستاني الذي خيط قبل أربعة أشهر شاهدوه، وأريد تفصي[ل] فستان سهرة آخر. بعد أن قطعت تلك حديثك أدركت أنه لا مجال [لك] بينهن وليقلن عنك ما يقلن.

هذه جلسة واحدة من جلسات عدة، وبعضهن لا يجدن لهن مكا[نا] وسطها. تمارسين الركض إلى الوراء هل لأجل الرجل فقط.. لإرضائه. ربما.. ولكن في الغالب لا .. بل تمشياً مع الحضارة التي خدعت بها.. فهـ[ـذا] (كريم) لإزالة التجاعيد تقرئين عنه فتسارعين إلى أفخم محلات التجمي[ل] وخوفاً من أن تنفد الكمية تقتنين علبتين، ولا أهمية للسعر؛ وما أن تضعـ[ـي] لمسة منه على وجهك وبعد دقائق (يلتهب) وجهك.. فتتجهين رأساً إلـ[ـى] الثلاجة وتأخذين قارورة ماء بارد جداً تسكبينه على وجهك ليطفـ[ـئ] اللهيب.. فيأتيك السؤال: هل جهلت أن ما يناسب بشرة فلانة قد لا يناسـ[ـب] بشرتك؟ ثم ما هو دور الطبيب..؟! تركضين وتركض من خلفك زميلاتك فمن يسبق أولاً..؟! بل لماذا الركض المحموم..؟! هل لتتشبثي بالرجل أكبـ[ـر] فترة ممكنة..؟!

من قال إن ركضك هذا يمكِّنك من التشبث بقلب الرجل.. بل إن الرجـ[ـل] الذي يطلب زوجة تكون حقل تجارب لجميع أنواع المساحيق.. ليس أهـ[ـلا] للزوجية ولا لتكوين أسرة.. نعم! الله جميل يحب الجمال.. ولكنه حذَّر مـ[ـن] المغالاة والمبالغة في كل شيء ومن ضمن ذلك التجمّل..

وجِّهي عينيك إلى الأمام لتري أن قدميك قد استدارتا جهة الخلف ومارستا الركض المحموم إلى الوراء.. بل بينهما وبين حافة الهاويـ[ـة] أشبار قليلة.

تعقيب على تعقيب

نيب القحطاني

اطلعت على التعقيب المقدم من الأخ الكريم (عبد الله بن علي الحمدان) في العدد (١٥٣) ص (١٤٠) حول حظته على ما ورد في الشطر الأول من البيت العاشر من قصيدة (من البلقان إلى الشيشان) في العدد (١٥١) حول لة (يا رحمة الله! هل في الأمر من فرج؟...) وأود هنا إيضاح اللبس الذي وقع فيه الأخ الكريم:

أولاً: أشكر للأخ غيرته على حماية جانب التوحيد وحرصه على بيان الحق كما كان يطمح إليه، وأوصيه بعدم عتماد على النقل دون التتبع عن موافقة المقول للمنقول حتى لا يسيء الظنّ بإخوانه، وتختلط عليه سور كما حصل.

ثانياً: يتبيّن من سياق البيت الشعري أن الأمر لا يقتضي الدّعاء مطلقاً ولا ما يترتب عليه من كفر كما أورد مما تند عليه (عياذاً بالله) فلم أقل: (يا رحمة الله أنقذينا. أو ما شابه ذلك من لوازم الدعاء وأساليبه التي لا تخفى) سياق الكلام كما ورد في المطبوعة بيّن أن النداء بالصفة إضافة إلى الموصوف متبوع بأداتي استفهام وعلامته في نطرين، وليس الشطر الأول فقط كما ذكر. وليس في هذا الأسلوب حرج شرعي ولا لفظي ولو سأل الأخ قبل التهمة نقل لكان أوْلى وهو من باب حسن الظنّ بأخيه المسلم.

عجائب الزمان (مستجدات العصر الفكرية)

حسين عبدالرحمن عقيل

جائب الدهر لا تفنى وإن ظهرت
لنا عجائبُ قلنا ما الـذي بعدُ
تى نفيء لأمرِ الله في عـرضٍ
ويُفرّقَ الجمعُ ذا بؤسٌ وذا سعدُ

إن من مستجدات عصرنا الفكرية، وما ظهر في مارنا الزمنية ما يسمى بـالحداثة والعلمانية ـ وما ظهر وخراً بما يسمى بالنظام العالمي الجديد (وهو ما عي بالعولمة).

جّت بنا من ديار الغرب عولمـةٌ
طريقة الغاب، لا شرع ولا ذِمـمُ
ناس أسرى لديها في مَخيلَتِهـا
تَغطُ ناساً وتُرَقي مَنْ تـرى القِمَـمُ

إنها مسميات لامعةٌ وبراقة ولكنها من معدنٍ سرعان ما تصدأ ذراته فتترك خبثها في واحة فكرنا النقي، فيتكون لدينا مركبات فكرية ذات روابط عقدية معقدة التركيب؛ وذلك لطمس معالم مادة شرعنا ونهجنا القويم وتصبح مادةً تتفاعل مع كل جديد من مستجدات العصر.

لذا فإن على الأمة الإسلامية مجابهة هذه التغيرات بكل ما تملكه من وسائل التصدي لها، وليكن لكل مثقف وكاتب وواعظ وأديب دوره الفعّال نحو هذه التغيرات الفكرية بالكلمة الناصحة الناجعة لتبين مخاطرها، وتظهر مهالكها فيجبُ على الكاتب ألاّ يجفّ قلمه أمامها، والشاعرِ ألاّ تمحل واحة شعره، والواعظ ألاّ يَقِلّ عطاؤهُ. كلٌ بما منحه الله من هبة يجودُ بها على دينه وأمته لكي نحيا حياةً آمنةً مطمئنة، ونعبدَ الله على بينةٍ من أمرنا.

التثبت أولاً ثم الانطلاق

عادل الدوسري

لما وصل عقبة بن نافع إلى البحر المتوسط ثم انطلق حتى وصل إلى المحيط الأطلسي دخل في البحر وقال قولته العظيمة: «والله لو أني أعلم أن وراءك قوماً لا يؤمنون بالله لخضتك إليهم».

لكن عقبة حينما وصل إلى المحيط الأطلسي ما كان هناك أحد يحمي ظهره، ولما أراد العودة إلى القيروان وأراد التراجع، هاجمه البربر وثاروا عليه وقتلوه في الطريق، فقال موسى بن نصير لما سمع القصة: رحمه الله، كيف ينطلق ولم يحم ظهره؟ أما كان معه رجل رشيد؟

إذاً لا بد من الانطلاق من قاعدة قوية؛ ولذلك تدخل هذه الاستراتيجية في أغلب الأمور؛ فهاهم حفاظ كتاب الله ـ عز وجل ـ ينصحون أن تكون البداية بالسهل، ثم الصعود مع التثبت والمراجعة، بل أول ما نزل القرآن لم ينزل جملة واحدة؛ بل بالتدرج. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان: ٣٢] وقد ذكر العلماء من حكمة نزول القرآن منجماً: تثبيت فؤاد النبي ﷺ، وأيضاً: تيسير حفظه وفهمه. يقول الدكتور مناع القطان ـ رحمه الله ـ: «فما كان للأمة الأمية أن تحفظ القرآن كله بيسر لو نزل جملة واحدة وأن تفهم معانيه وتتدبر آياته؛ فكان نزوله مفرقاً خير عون لها على حفظه في صدورها وفهم آياته(١).

إن من الضروري عدم الاندفاع بقوة لغالب الأعمال لكي لا يضيع جهد الإنسان. يقول صاحب كتاب الهمة العالية: «فتجد من الناس من يقبل على عمل من الأعمال باندفاع زائد، ونشاط خارج عن طوره، فيكلف نفسه من المهام ما ينوء بحمله وما لا تطيقه نفسه، وما هي إلا مدة وتني همته وتنثني عزمته»(٢).

الكثير يتمنى الوصول إلى ما يريد بأسرع ما يمكن، وهنا موقع الزلل والخطر؛ فإن الهمة حين لا تكون متدرجة تنعكس على صاحبها.

إن الصبر من مقومات التثبيت وأركانه؛ فمن ضيع الصبر ضاع ما أراده. يقول الشافعي ـ رحمه الله ـ:

اصبر على الجفا من معلم
فإن رسوب العلم في نفراته
ومن لم يذق مر التعلم ساعة
تجرع ذل الجهل طول حياته»(٣)

إن هذه القاعدة العظيمة لتدخل في أغلب أمورنا في الحياة؛ فلا فتوى بلا علم، ولا قول دون تجربة، ولا نجاح دون صبر؛ وكل هذه وغيرها لا تكون إلا من خلال الضبط والحفظ في الصدور.

---

(١) مباحث في علوم القرآن، لمناع القطاع، ص ١١٠.
(٢) الهمة العالية، لمحمد الحمد، ص٨١.
(٣) من عيون الشعر، الشافعي، ص٢٤.



صرخة

فهد بن علي العبودي

مَسْراكِ هَدَّ قوائمي وجَنَاني ... وقضى بصمتِ فمي وعَقْدِ لساني
مَسْراكِ يا شيشان أسبَلَ أدمُعي ... من مُقْلَتيَّ فَألْهَبَتْ أجفاني
مَسْراكِ يا شيشان زَادَ مواجعي ... لمَّا استَقَرَّ بخافقي لِمَاني
ماذا أقول؟ وكيف أروي ما أرى ... شِعراً؟ وقد قَصُرَتْ حروفُ بياني
أنا لا أبثُّ مشاعري بقصيدتي ... لكن أبثُّ مشاعر الأكوان
أبصرتُ أهْلَكِ - والمآسي جمَّةٌ - ... ما بين مقتولٍ وبين مُهانِ
ما بين أرْمَلةٍ تَنوحُ وطفلةٍ ... تبكي وشيخٍ من أساهُ يُعاني
بالله ما للقوم لم يستيقظوا؟ ... فكأنهم خُلِقوا بلا آذان
أوَ ما دَرَوا عمَّا أصابك؟ ويحهم ... أم أنهم قد أطرقوا بهوانِ
قولي لِمنْ تَرَكوكِ في أيدي العِدا: ... يا قومُ! أين أُخُوَّةُ الإيمانِ؟
يا أمَّةَ الإسلام لستِ ضعيفةً ... لكنْ أُصِبْتِ بغفلةٍ وتَوانِي
شيشان يا أرضَ البطولةِ والفدا ... لا تقنطي من رحمةِ الرحمنِ
سَيُعِزُّكِ الرحمنُ رَغْمَ جيوشهم ... وَعتادهم؛ فالعزُّ للتوحيد والشيشانِ

ردود

* **الأخ: محمد أحمد سلامة:** وصلتنا ملاحظاتك على مقال: «ماذا يحدث في السودان؟»، وقد أرسلت الملاحظات لكاتب المقال للإفادة. وفقنا الله وإياك لكل خير.

* **الأخ: عبد الرحمن عيد العتيبي:** أرسل يستفسر عن القضية التي أثيرت في البيان حول الخلاف بين الأستاذ جمال سلطان، ورفعت السعيد، وقد تم الصلح ودياً بين الطرفين.. وجزاكم الله خيراً.

* **الأخ: أبو معاذ الخالدي:** نشكر لك كلامك الطيب، كما نشكر لك ملاحظتك على ملف التنصير حول كلمة «التبشير» جعلنا الله وإياك من المتواصين على البر والتقوى.

* **الشيخ: خميس بن عاشور:** نرجو التكرم بإفادتنا بعنوان بريدي آخر يمكننا التواصل معكم من خلاله؛ حيث إن العنوان المرسل من قبلكم على جامعة الأمير عبد القادر أرسلنا لكم عليه رسالة، وأعيدت لنا مرة أخرى. بارك الله فيكم.

* **الأخ: أحمد مرحوم:** وصلتنا مقالتكم: «إعجاز (ق)» ونعتذر عن نشر المقال لغلوها في المسلك العلمي التجريبي، وهو منحى خطير في التفسير ونوصيكم بقراءة كتاب اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر لفهد الرومي.

* **الأخت: سارة بنت عبد الله:** سبق أن كتبنا في هذه الصفحة طلباً للأخت علياء بنت عبد الله لإفادتنا بعنوانها كي نوافيك به، ولكن حتى الآن لم يصلنا أي رد.

* **الأخ: ناصر بن محمد المكاوي، والأخت: أمل القصيبي:** نشكر لكما تواصلكما الكريم، ونفيدكما بأن مشاركاتكما ستنشر إن شاء الله.

* **الإخوة: سالم فرج سعد، طلال بن علي الجابري، عبد الله العزام:** سعدنا بتواصلكم الكريم مع المجلة، ومشاركاتكم سوف تنشر في المنتدى إن شاء الله.

* **الإخوة: حمزة الفرائضي، خالد الربيعة، عبد الخالق القحطاني، علي سليمان البذيخي، عشابي هشام، محمد علي شماخ، أنور عيسى أحمد، فهد أحمد الأسطا، محمد جلال، حسين سالم القحطاني، الحسن محمد ماديك، علي بحري اليامي:** نشكر لكم حرصكم الطيب على التواصل مع مجلتكم، ونتمنى دوام التواصل، مع تمنياتنا بالتوفيق في مشاركات قادمة.



الدعاة والقناعة الزائفة

محمد يحيى مفرح

الداعية إلى الله هو الوسيلة الأولى التي تزيد بها أعداد المتوجهين إلى الله - تعالى - في كل زمان ومكان، ومع تزايد الوسائل الدعوية (أشرطة، وكتب، وتجمعات تربوية، وهيئات خيرية) أرى أنه قد بدأت تترسخ قناعة لا يصرح بها الكثير من أصحابها، ولا إخالهم يريدونها على حقيقتها، ومفاد هذه القناعة الداخلية: أن هذه الوسائل تسد خللاً، وتجبر كسراً يغني في أحيان كثيرة عن أشخاص الدعاة واستمرار عملهم مع ذات المدعو، وتنعكس هذه القناعة المترسخة في نفوس بعضهم لتبرز آثارها عليهم في بعض المظاهر الآتية:

١ - الاكتفاء بإيصال الوسيلة السهلة إلى المدعو مع الحرص قدر الإمكان على جعله يستفيد منها (كاستماع شريط يدعو إلى الالتزام، أو يثير الجوانب الإيمانية في نفس المدعو)، واعتقاد أن الحجة قد قامت على هذا المدعو، والجهد قد بلغ حده معه مما يستلزم الاهتمام بغيره من المدعوين، ويكون معيار النجاح هنا هو القدرة على إيصال الوسيلة إلى هذا المدعو. وهذا ولا شك فيه قصور واضح يبدو جلياً حينما يقدم الداعية هذه الوسائل السهلة على اتصاله المباشر بشخص المدعو الذي قد يكون بأمسِّ الحاجة إلى من يتفهم نفسيته ويقدم له ما يخص حالته بالذات.

٢ - تصور أن مجرد احتواء المدعو في جماعةٍ مًا هو غاية الوسائل التي يمكن أن يسعى إليها الداعية والتي تؤدي إلى النقلة المطلوبة في نفس المدعو وسلوكه (مثل ضمه إلى النشاط الذي يشرف عليه بعض الأخيار ضمن دائرة المدرسة أو الحي)، ثم ينصرف الداعية بعد ذلك لتكثير العدد بضم أناس آخرين، وهذا الداعية - إن لم يكن في الوسط من يتابع المدعوين غيره - يقع في القصور من النواحي الآتية:

أولاً: عدم متابعة المدعو فردياً ليمكن تربيته بالشكل الصحيح، والاعتماد على قدرته في الانسجام مع الجماعة، أو قدرة الوسط على احتوائه ويكون هذا هو معيار النجاح.



ثانياً: ربط التزام هذا الشخص بجماعة معينة وليس بمنهج أصيل ومبدأ راسخ، وهذا تتمثل خطورته في أن المدعو قد يفقد جوهر الالتزام بالدين عند مفارقته لهذه الجماعة لأي سبب كان، كما أنه سوف يحاكم الناس كلهم من خلال قيم هذه الجماعة وأفكارها ومنهجها، وربما كان هذا سبب كثير من الفرقة والخلاف.

ثالثاً: تغليب جوانب التربية الجماعية والاعتماد عليها أكثر من الجوانب المهمة في التربية الذاتية مما قد ينتج عنه التزام بلا جدية وهو مشاهد ملموس.

٣ - الظن بأن مجرد انخراط المدعو في عمل خيريٍّ مَّا كفيل بقلب موازين مفاهيمه وإصلاح حاله (مثل من يثير أهمية العمل للدين في نفس المدعو لينقله مباشرة للقيام بأعباء الدعوة من منطلق البلاغ فقط، أو من يجعله ينطلق في مجال جمع التبرعات والاهتمام بالفقراء والأيتام ونحو ذلك) ويكتفي بذلك، ثم ينطلق إلى غيره ليحثه على الانخراط في عمل خيري وهكذا، ويكون معيار النجاح عنده قدرته على استثارة كل فرد وتوجيهه للعمل الخيري الذي يناسبه. وهذا ولا شك قصوره واضح في عدم تأسيس هؤلاء على القواعد الراسية العلمية والإيمانية أولاً قبل الزج بهم في أعباء هذه الأعمال وزخمها ومشاكلها، ولذلك فإنه سريعاً ما يشاهد أحد هؤلاء المدعوين وقد خبت نار العاطفة التي أججها الداعية في نفسه، وانقطع عن العمل، وربما عاد بعد ذلك إلى أسوأ من حاله السابقة، دون أن يبالي الداعية بهذه النتائج في ظل فهمه لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ﴾ [الشورى: ٤٨].

وأعود لأقول إنه مع تزايد الوسائل الدعوية تبقى متابعة الداعية وتربيته واتصاله المباشر الدائم بالمدعو ـ في حدود الضوابط الشرعية للتربية بكل جوانبها ـ هي الوسيلة الأولى لنقله إلى الحياة الطيبة، كيف لا، والداعية هو الوسيلة الوحيدة التي يمكن أن تتفاعل مع شخص المدعو حرصاً ولطفاً وليناً وحكمة بل وغلظة أحياناً، وخاصة في فترات الصراع التي يواجهها أكثر المدعوين حين يفكرون ويشرعون في اتخاذ قرار النقلة؟

وأخيراً فإنني أرجو ألا يفهم من المقال أنه انتقاد للوسائل الدعوية أو دعوة لطرحها جانباً وعدم الاستفادة منها؛ فإن أثرها في الدعوة ملموس ـ بفضل الله ـ وأكبر من أن يُحصَر، والداعية المسدد هو من عرف كيف يستفيد منها بالشكل الأمثل.

أسأل الله أن يوفق الجميع للقيام بواجب الدعوة على النحو الذي يرضيه ـ تعالى ـ ويقيم به الحجة، ويعين على انتشال الناس من حبائل الشيطان، والله تعالى أعلم.



دار
ابن الجوزي
للنشر والتوزيع



مجلة إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن المنتدى الإسلامي

سعر العدد

الأردن ٥٠ قرشا. الإمارات العربية ٨ دراهم. أوروبا وأمريكا ١,٥ جنيه إسترليني أو ما يعادلها. البحرين ٦٠٠ فلس. اليمن ٦٠ ريالا. مصر جنيهان. السعودية ٨ ريالات. الكويت ٦٠٠ فلس. المغرب ١٠ دراهم. قطر ٨ ريالات. السودان ١٠٠ دينار. سلطنة عمان ٦٠٠ بيزة.

EUROPE & AMERICA 1.5 (STERLING OR EQUIVALENT)



المركز الرئيس:

AL BAYAN MAGAZINE
7 Bridges Place, Parsons Green
London SW6 4HW, U.K.
Tel : 0171 - 736 9060
Fax : 0171 - 736 4255



استقبالهم لرمضان



قال مدير البرامج بإحدى القنوات الفضائية في مقابلة صحفية: (نطمح أن تكون برامج رمضان لهذا العام مليئة بالجاذبية والإثارة والتنوع، نريد أن نستغل هذا الشهر الذي يرتفع فيه معدل المشاهدين بمقدار كبير لتقديم رسالتنا الإعلامية برؤية عصرية تناسب مرحلة العولمة الإعلامية والثقافية التي نشهدها).

لقد سخَّرت الفضائيات العربية شتى ألوان الفساد والانحلال، وراحت تنتج العهر والفجور، باسم التقدم والتحضر، سلعتها الرئيسة (المرأة الكاسية العارية، المائلة المميلة)!!

ويزداد فجورهم في ليالي رمضان المباركة، وكأنهم أخذوا عهداً على أنفسهم أن يحطموا أثر الصيام في نفوس الضعفاء من الناس، ويهجموا بكل صلف وإسفاف على الكرامة والعفة، وتجد فيهم قوة وَجَلَداً على نشر باطلهم والدعوة إليه.

إن هذا التردي الإعلامي يجب أن يكون قوة دافعة لنا نحن معاشر الدعاة؛ لنواجه الباطل بكل أنفة واعتزاز، ونعدّ العدّة الشرعية الواجبة لدعوة الناس وتربيتهم على الآداب الفاضلة، فكيف تطيب نفوسنا ونحن نرى دعاة الرذيلة يسلبون أخلاقنا ويمسخون عقولنا؟! وشهر رمضان موسم فضيل تقبل فيه القلوب على الطاعات، ولكن الارتجال في إعداد الخطط الدعوية لن يُحقق النتائج التي نطمح إليها.

لقد اعتاد كثير من الدعاة على توجيه الخطاب الدعوي لرواد المساجد - خاصة - وهذا حسن بلا شك، ولهم علينا حق كبير، ولكن شريحة كبيرة من فتيان الأمَّة وفتياتها ربما لم يسمعوا كثيراً من برامجنا وأنشطتنا، فهل فكرنا في طرائق الوصول إليهم؟! وهل قدمنا البرامج الجادة التي تشبع احتياجاتهم..؟! إن الوسائل المعتادة في الدعوة مهمة جداً لا يجوز أن نزدريها، أو نقلل من شأنها، ولكن هل فكرنا في وسائل أخرى تعطينا مزيداً من الانتشار والوصول إلى كافة شرائح الأمة؟!

نحسب أن هذا تحدٍّ كبير يكشف بعض ملامح جديتنا ونضجنا في حمل هذه الرسالة الخالدة.

مكاتب المنتدى الإسلامي ومجلة البيان

م	الدولة	المدينة	ص. ب.	الهاتف	الفاكس
١	بريطانيا	لندن	—	٧٣١٨١٤٥	٧٣٦٤٢٥٥
٢	السعودية	الرياض	٢٦٩٧٠	٤٦٤١٢٢٢	٤٦٤١٤٤٦
٣	البحرين	المحرَق	٥٠١٦٣	٣٣٥٣٠٠	٣٣٦٣٠٠
٤	قطر	الدوحة	١٦٤٦٤	٤٤٤١٠٤٤	٤٣٢٧١٦٧
٥	كينيا	نيروبي	٧٧٨٠٢	٣٥٠٥٢٦	٥٠٠٠١٥
٦	غانا	أكرا	٢٠	٢٣٥٧٦٦	٢٣٥٧٦٧
٧	بنغلاديش	دكا	١٢٠٧	٩٨٠٢٠١٥	٩٨٠٣٠٠٥
٨	السودان	بور تسودان	٦٩٥	٢٢٥٣٣	٢٢٥٣٣
٩	مالي	باماكو	E٢٠٣	٢٢٣٢٠٣٩٠٩	٢٢٣٢٠٣٩٠٩
١٠	جيبوتي/الصومال	جيبوتي	٣٢٨٠	٣٤١١١٣	٣٤١١١٣
١١	تشاد	أنجمينا	١٧٨٩	٥١٨٥٩١	٥١٨٥٩٠
١٢	توجو	لومي	١٠٧٤	٢٦١٦١١	٢٦١٦١١
١٣	نيجيريا	كانو	٢٦٣٥	٦٣٧١٩٠	٦٣٧١٨٠
١٤	بينين	كوتونو	٠٣-٤١٩٣	٣٠٣٩١٩	٣٠٣٩١٩

المراسلات والإعلانات

الدول العربية:

السعودية: مكتب مجلة البيان - ص.ب ٢٦٩٧٠ - الرياض: ١١٤٩٦ - هاتف ٤٦٤١٢٢٢ - فاكس ٤٦٤١٤٤٦.

قطر: الدوحة، ص.ب: ١٦٤٦٤، هاتف: ٤٤٤١٠٤٤، فاكس: ٤٣٢٧١٦٧.

البحرين: المحرَق مكتب دار البيان، ص.ب ٥٠١٦٣ - هاتف ٣٣٥٣٠٠ - فاكس ٣٣٦٣٠٠.

البريد الإلكتروني: bayan@naseej.com.sa

أوروبا وأمريكا:

AL BAYAN MAGAZINE 7 Bridges Place. Parsons Green London SW6 4HW. U.K. Tel : 071 - 736 9060 Fax : 071 - 736 4255

■ الاشتراكات ■

بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيها استرلينيا
أوروبا	٢٠ جنيها استرلينيا
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيها استرلينيا
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيها استرلينيا
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيها استرلينيا

الحسابات

- **السعودية**: شركة الراجحي المصرفية للاستثمار فرع الربوة شارع الأربعين حساب مجلة البيان رقم ٢١٠٠ / ٧.
  - مصرف فيصل الإسلامي حساب رقم: ٠٠٢ - ٤٥١٤ - ٤٢ - ١٠٩ .
  - الشركة الإسلامية للاستثمار الخليجي حساب رقم ٦٣٤٩٢٤.
- **الإمارات**: بنك دبي الإسلامي (فرع دبي) رقم الحساب ٥٥٤٦٥٢٤.
- **قطر**: مصرف قطر الإسلامي حساب رقم:٨٧٨٨٥٥ زكاة ٨٧٨٣٨٣ صدقات حساب مجلة البيان: بنك قطر الدولي الإسلامي رقم: ٧١٠٠٧٠٢٤٢.

AL MUNTADA AL ISLAMI EDUCATIONAL TRUST
National WestMinister Bank PLC Fulham Branch
45 Fulham Broadway London SW6 1AG
Sorting Code No. 60-22-16
A/C NO: 44348452

الموزعون

- **السعودية**: مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦، الرياض ١١٥٥٧، هاتف: ٤٦٤٦٦٨٨ - فاكس: ٤٦٤٢٩١٩.
  - الشركة الوطنية للتوزيع: هاتف: ٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٤٨٧١٤٦٠.
- **المغرب**: سوشبرس للتوزيع، الدار البيضاء، ش جمال بن أحمد ص.ب ١٣٦٨٣ - هاتف: ٤٠٠٢٢٣ - فاكس: ٢٤٦٢٤٩.
- **اليمن**: مكتبة دار القدس، صنعاء: ص.ب ٣٦٠٠ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة، هاتف: ٢٠٦٤٦٧.
- **السودان**: شركة النحوي للتجارة والتوزيع، الخرطوم: ص.ب ١٠٣٧١ - هاتف: ٧٧٤٣٣٦-٧٧١٥٤٧.
- **مصر**: القاهرة - ش الجلاء - الأهرام للتوزيع، هاتف وفاكس: ٥٧٤٧٠٢٣.
- **الأردن**: الشركة الأردنية للتوزيع، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف: ٦٣٠١٩١، ٦٣٥١٥٣، فاكس: ٦٣٥١٥٢.
- **الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان**: شركة الإمارات للطباعة والنشر، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩، هاتف ٦٢٣٩٢٠، فاكس ٦٦٣٧٦٨.
- **قطر**: دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة هاتف: ٦٦٢٤٤٤، فاكس: ٦٦٢٤٥٠.
- **الكويت**: شركة الخليج لتوزيع الصحف والمطبوعات: ص.ب: ٤٢٠٥٧ الشورفح ٧٠٦٥١ - هاتف: ٤٨١٦٨٨٥ - فاكس: ٤٨٣٦٦٨.
- **البحرين**: مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف - المنامة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ - ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.



الافتتاحية

يخربون بيوتهم بأيديهم

فوجئ الصحافيون الذين يتابعون اللقاء الذي عقد في السفارة الأمريكية في باريس بين باراك وعرفات وأولبرايت بخروج عرفات غاضباً، وركب سيارته وهو يردد: هذه إهانة لا يمكن السكوت عليها. وفوجئوا ثانية بأولبرايت تخرج راكضة من المبنى وتأمر الحرس بإغلاق البوابات لمنع سيارة عرفات من الخروج، وأعيد عرفات إلى مبنى السفارة بعد أن مسحت أولبرايت الإهانة بقُبَلٍ طبعتها على خده! والسؤال الملحُّ أنه إذا كان الاجتماع سيتم في السفارة الأمريكية فما الفرق بين واشنطن وباريس والقاهرة و.....؟ وهل هدف تغيير الأماكن يتعدى استخدام زعماء هذه الدول في الضغط على الجانب الضعيف وإضعاف مقاومته؟ وأن ما يعجز عنه كلينتون في مخيم داود قد ينجح فيه شيراك في باريس أو حتى مبارك في القاهرة؟

لقد حرص اليهود منذ بداية ما يسمى بمفاوضات السلام على الإمساك بخيوط اللعبة جميعاً؛ وكان تخطيطهم محكماً بحق؛ فقد ركزوا على اختراق الخارجية الأمريكية، وتمكنوا من السيطرة على مراكز القرار فيها، وأصبح بأيديهم رسم السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط وجنوب آسيا، وإذا كانت أولبرايت اكتشفت ماضيها اليهودي متأخرة وعلمت به من الصحف؛ فإنها لم تستطع أن تخفي أن جُلَّ المحيطين بها هم من اليهود الطارئين على الخارجية؛ ومارتن إنديك ليس إلا واحداً منهم. لقد أصبح المفاوض الفلسطيني حين يقابل وزيرة الخارجية الأمريكية يجد نفسه بين يدي يهودية، وإذا زاره المنسق الأمريكي لعملية السلام فإذا به يهودي، وإذا ذهب إلى السفير الأمريكي لدى اليهود فإذا به أيضاً يهودي، ولا ندري هل

ضباط المخابرات الأمريكية (C.I.A) الذين يتولون إدارة التنسيق الأمني يهود أم لا؟

لقد كان يعتقد اليهود أن محادثات كامب ديفيد ستكون نهاية المطاف؛ ولذلك كشفوا تصورهم للحل النهائي؛ فمشكلة اللاجئين سيتم حلها على حساب غيرهم؛ فكل دولة توطن الفلسطينيين المقيمين فيها، ومن يعود إلى فلسطين فسيعود إلى المناطق التي تديرها السلطة وليس إلى بيوتهم؛ أي أنهم سيبقون لاجئين، وأما المشكلة الأخرى وهي وضع القدس؛ فإن حلها في نظر اليهود سهل وبسيط؛ فقد قاموا بإطلاق اسم «القدس» على مناطق فلسطينية في ضواحي القدس، وشيدوا مبنى البرلمان الفلسطيني المنتظر، ولم ينسوا جَعْلَ مكتب عرفات يطل من بعيد على المسجد الأقصى، أما ما كان يسمى: (القدس) فقد أطلقوا عليه: (أورشليم) وبدأ التركيز الإعلامي يُشيع أن الحل المثالي هو قيام عاصمة لدولة «إسرائيل» اسمها: (أورشليم) وعاصمة لفلسطين تسمى: (القدس)، ولتمرير هذا المخطط فقد أثيرت قضية السيادة على الحرم ومحاولة حصر النقاش حولها حتى ينسى الناس القدس بعد أن نسوا فلسطين وسلموا بحق اليهود في احتلالها. وكانت المماحكات المقصودة لا تنتهي؛ فقد اعترف اليهود بحق السيادة الفلسطينية على أرض الحرم مقابل حقهم في السيادة على ما تحت الحرم؛ لأنهم يدّعون أن الهيكل يقع تحت الحرم. وأثيرت قضية مهمة جداً تمس السيادة الفلسطينية!!! ألا وهي أن الحرم محاط بمنطقة سيطرة يهودية؛ فكيف يدخل الفلسطيني إلى الحرم دون المرور على الأمن اليهودي؟ وكان أحد الاقتراحات الأمريكية أن يكون هناك ممر مغطى بالزجاج العاكس بحيث يمارس اليهود حقهم في مراقبة المصلين الذين يفدون إلى الحرم دون أن يروا الجنود اليهود خلف الزجاج! إن هذه الطروحات والمناقشات تهدف إلى صرف الأنظار عن أساس القضية، وإبراز الجزء بحيث يغطي على الكل. إن اللحظات الأخيرة الحاسمة كانت توحي بقرب التوقيع على صك الاستسلام النهائي على الرغم من تردد عرفات الذي كان يخشى على سلطته من ردة الفعل المتوقعة ولا يستبعد خوفه من التاريخ، وكانت الورقة الوحيدة التي كان يلوح بها هي إعلان الدولة الفلسطينية، والتي سرعان ما تراجع عن تحديد موعده، ولم يبق له شيء يساوم به؛ فقد أنجز بنجاح إحراق أوراقه -

والبركة في أجهزته الأمنية ـ وهنا حدث ما لم يكن في الحسبان، واختلطت الأوراق من جديد، وهدم اليهود في أيام معدودة ما بنوه في سنوات، وبقي على المسلمين استثمار كبوات العدو وعدم التفريط في هذه الفرص التي قد لا تتكرر، وتتميز الأحداث الأخيرة بحالة الارتباك التي يعاني منها اليهود سواء في دولة الإقامة أم دولة الحماية (أمريكا).

وإليك أخي القارئ أبرز ملامح ما يجري، وكيفية توظيف الحدث في مصلحة الأمة:

أولاً: لقد قام شارون زعيم كتلة الليكود بدخول ساحة المسجد الأقصى لإثبات سيادة اليهود على الحرم، وأنه الوحيد الذي لا يفرط في المطالب اليهودية، وكان برفقته قوات كبيرة من الأمن قدمتها له الحكومة.

ثانياً: استعداد حكومة باراك لردة الفعل المحتملة عسكرياً وأمنياً، وكانت تهدف إلى كسر شوكة الفلسطينيين وكسب نقاط مهمة في المفاوضات. أما في حالة تفاقم الوضع فإن الثمن سيدفعه شارون ومن ورائه تكتل الليكود المعارض.

ثالثاً: إن قيام الفلسطينيين بمواجهة اليهود بصدور عارية ومواجهة القوات اليهودية المدججة بالسلاح والمستعدة مسبقاً يدل على أن الأمة ما زالت حية، وأن الخير باق فيها إلى يوم القيامة، وأن من حق الفلسطينيين الحفاظ على تضحياتهم، واستثمار حالة التعاطف التي تعم العالم الإسلامي في القيام بأعمال إيجابية تخدم القضية، وفي مواجهة السيطرة اليهودية على مستوى العالم عامة وفي أمريكا خاصة.

رابعاً: إن الإعلام سلاح أساسي في هذه المرحلة وله أكبر الأثر في تحريك الرأي العام ومن ثَمَّ التأثير على مواقف الحكومات، ويجب على المسلمين بناء آلتهم الإعلامية القادرة على التأثير وتوجيه الأحداث. إن صورة طفل صغير يُقتَل على يد اليهود بصورة بشعة قد ساهم في إحراج العدو وأذنابه، والسؤال هو: كم من المشاهد لم نستثمرها؟ وكم من التصريحات والممارسات التي لم نستغلها في إبراز صورة اليهود الحقيقية للعالم؟!

خامساً: إن الشعوب الغربية قد تكون معادية لنا؛ ولكن يجب علينا استغلال الأحداث في إثارة عواطفهم ضد اليهود، والتركيز على سيطرة اليهود عليهم، وأن مصالحهم في العالم الإسلامي عرضة للتهديد في حال استمرار تبني وجهة النظر اليهودية.

سادساً: استثمار التخبط في المواقف الأمريكية والتي تفضح سيطرة اليهود على مواقع اتخاذ القرار والاستهانة بعواطف المسلمين؛ فبينما يصدر الناطق باسم الخارجية الأمريكية بياناً ينتقد العبث بمحتويات مدرسة يهودية في روسيا فإن أمريكا تقف بكل قوة ضد أي إدانة لإسرائيل في مجلس الأمن بل منعت ذكر شارون بالاسم. إن تهمة اللاسامية يجب أن تستبدل باللاإسلامية التي يجب أن تطرح بقوة ويواجه بها كل مسؤول أو إعلامي في الغرب.

سابعاً: إن قرار إغلاق السفارات الأمريكية في بعض العواصم الإسلامية يهدف من ورائه إلى تصوير العالم الإسلامي أنه عدو، ولكن يجب إبراز أن اللوبي اليهودي في أمريكا هو سبب تزايد مشاعر العداء ضد أمريكا في العالم الإسلامي.

ثامناً: إن بروز الرأي العام في العالم الإسلامي ومحاولته التعبير عن مشاعره ومواقفه يجب أن يُدعَم من قِبَل الحكومات؛ فإن محاولة كبته سيضعف الدول الإسلامية أمام محاولات السيطرة الأجنبية.

إن الأحداث الأخيرة تدل على أن الأمة بخير، وأن لديها القدرة على النهوض.

﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ [آل عمران: ١٣٩].

سنابل الخير

(١-٢)

فيصل بن علي البعداني
albadani@hotmail.com

المال مال الله عز وجل، وقد استخلف - تعالى - عباده فيه ليرى كيف يعملون، ثم هو سائلهم عنه إذا قدموا بين يديه: من أين جمعوه؟ وفيمَ أنفقوه؟ فمن جمعه من حله وأحسن الاستخلاف فيه فصرفه في طاعة الله ومرضاته أثيب على حسن تصرفه، وكان ذلك من أسباب سعادته، ومن جمعه من حرام أو أساء الاستخلاف فيه فصرفه فيما لا يحل عوقب، وكان ذلك من أسباب شقاوته إلا أن يتغمده الله برحمته.

ومن هنا كان لزاماً على العبد - إن هو أراد فلاحاً - أن يراعي محبوب الله في ماله؛ بحيث يوطن نفسه على ألاّ يرى من وجه رغّب الإسلام في الإنفاق فيه إلا بادر بقدر استطاعته، وألاّ يرى من طريق حرم الإسلام النفقة فيه إلا توقف وامتنع.

وإن من أعظم ما شرع الله النفقة فيه وحث عباده على تطلُّب أجره: الصدقةَ [١] التي شرعت لغرضين جليلين: أحدهما: سد خَلَّة المسلمين وحاجتهم، والثاني: معونة الإسلام وتأييده[٢]. وقد جاءت نصوص كثيرة وآثار عديدة تبين فضائل هذه العبادة الجليلة وآثارها، وتُوجِد الدوافع لدى المسلم للمبادرة بفعلها.

وهذه الفضائل والآثار كثيرة جداً تحتمل أن يفرد لها كتاب فضلاً عن أن ترسل في مقال؛ ولذا سأقتصر على أبرزها، وذلك فيما يلي:

١ - علو شأنها ورفعة منزلة صاحبها:

الصدقة من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله عز وجل؛ ودليل ذلك حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - مرفوعاً: «وإن أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مؤمن، تكشف عنه كرباً، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً»[٣]، وحديث: «من أفضل العمل: إدخال

---

(١) الصدقة: هي النفقة التي يطلب بها الأجر، وتطلق على الفرض والنفل، إلا أن عرف الاستعمال في الشرع جرى في الفرض بلفظ الزكاة، وفي النفل بلفظ الصدقة، انظر: المفردات، للراغب: ٤٨٠، والتوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي: ٤٥٢، ٤٥٣.

(٢) انظر: جامع البيان، للطبري: ١٠ / ١٦٣، أحكام القرآن، لابن العربي: ١ / ٢٣٠.

(٣) قضاء الحوائج، لابن أبي الدنيا: ٤٠ رقم: ٣٦، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: ١ / ٩٧ رقم: ١٧٦.

السرور على المؤمن: يقضي عنه ديناً، يقضي له حاجة، ينفس له كربة»[1]. بل إن الصدقة لتباهي غيرها من الأعمال وتفخر عليها؛ وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: «إن الأعمال تتباهى فتقول الصدقة: أنا أفضلكم»[2].

وهذه الرفعة للصدقة تشمل صاحبها؛ فهو بأفضل المنازل كما قال ﷺ: «إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعمل فيه حقاً فهذا بأفضل المنازل...»[3]، وهو صاحب اليد العليا كما أخبر بذلك النبي ﷺ بقوله: «اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا هي المنفقة، واليد السفلى هي السائلة»[4]، وهو من خير الناس لنفعه إياهم وقد جاء في الحديث المرفوع: «خير الناس من نفع الناس[5]، وهو من أهل المعروف في الآخرة، ويدل على ذلك قوله ﷺ: «أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة»[6].

ولا تقتصر رفعة المتصدق على الآخرة بل هي شاملة للدنيا؛ فمن جاد ساد، ومن بخل رذل، بل قال محمد بن حبان: «كل من ساد في الجاهلية والإسلام حتى عرف بالسؤدد، وانقاد له قومه، ورحل إليه القاصي والداني، لم يكن كمال سؤدده إلا بإطعام الطعام وإكرام الضيف»[7]، والمتصدق ذو يد على آخذ الصدقة، بل إنه كما قيل: يرتهن الشكر ويسترق بصدقته الحر[8]. ولذا كان ابن السماك يقول: «يا عجبي لمن يشتري المماليك بالثمن، ولا يشتري الأحرار بالمعروف»[9].

٢ - وقايتها للمتصدق من البلايا والكروب:

صاحب الصدقة والمعروف لا يقع، فإذا وقع أصاب متكأً[10]؛ إذ البلاء لا يتخطى الصدقة؛ فهي تدفع المصائب والكروب والشدائد المخوِّفة، وترفع البلايا والآفات والأمراض الحالَّة، دلت على ذلك النصوص، وثبت ذلك بالحس والتجربة.

فمن الأحاديث الدالة على ذلك قوله ﷺ: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات»[11]، وقوله ﷺ في حديث أبي سعيد - رضي الله عنه -: «وفعل المعروف يقي مصارع السوء»[12]، ومنها: حديث رافع بن خديج - رضي الله عنه - مرفوعاً: «الصدقة تسد سبعين باباً من السوء»[13].

---

(١) شعب الإيمان، للبيهقي: ٦/١٢٣ رقم: ٧٦٧٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٢/ ١٠٢٥ رقم: ٥٨٩٧.

(٢) صحيح ابن خزيمة: ٤/ ٩٥ رقم: ٢٤٣٣، المستدرك، للحاكم: ١ / ٤١٦ وقال: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه).

(٣) جامع الترمذي: ٤/ ٥٦٢، ٥٦٣ رقم: ٢٣٢٥، وقال: (حسن صحيح)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي: ٢/٢٧٠ رقم: ١٨٩٤.

(٤) صحيح مسلم: ١/٧١٧ رقم: ١٠٣٣.

(٥) شعب الإيمان، للبيهقي: ٦/ ١١٧ رقم: ٧٦٥٨، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: ١/ ٦٢٣ رقم: ٣٢٨٩.

(٦) الأدب المفرد، للبخاري: ٨٦ رقم: ٢٢١، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ١/٤٠٧ رقم: ٢٠٣١.

(٧) روضة العقلاء، لابن حبان: ٢١٤.

(٨) انظر: الآداب الشرعية، لابن مفلح: ١/٣١٠.

(٩) روضة العقلاء، لابن حبان: ١٩٥.

(١٠) انظر: الآداب الشرعية، لابن مفلح: ١/٣١٠.

(١١) المستدرك، للحاكم: ١/١٢٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٢/٧٠٧ رقم: ٣٧٩٥.

(١٢) شعب الإيمان، للبيهقي: ٣/٢٤٤ رقم: ٣٤٤٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٢/٧٠٢ رقم: ٣٧٦٠.

(١٣) المعجم الكبير، للطبراني: ٤/٢٧٤ رقم: ٤٤٠٢، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد: ٣ /١٠٩ وقال: (وفيه حماد بن شعيب وهو ضعيف)، وأورده ابن حجر الهيتمي في الزواجر: ١/٣١٨، ٣١٩ ضمن أحاديث أفاد بأنها صحيحة إلا قليلاً منها فإنه حسن، والظاهر أن هذا الحديث حسن بشواهده، وانظر: المقاصد الحسنة، للسخاوي: ٢٦٠ - ٢٦١ رقم: ٦١٨، وكشف الخفاء، للعجلوني: ٢/٢٨ - ٢٩ رقم: ١٩٥٣.

ومنها أيضاً: قوله ﷺ حين هلع الناس لكسوف الشمس: «فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا»[1] قال ابن دقيق العيد في شرحه له: «وفي الحديث دليل على استحباب الصدقة عند المخاوف لاستدفاع البلاء المحذور»[2].

كما أن الصدقة تحفظ البدن وتدفع عن صاحبها البلايا والأمراض، يدل لذلك حديث: «داووا مرضاكم بالصدقة»[3]، قال ابن الحاج: «والمقصود من الصدقة أن المريض يشتري نفسه من ربه - عز وجل - بقدر ما تساوي نفسه عنده، والصدقة لا بد لها من تأثير على القطع؛ لأن المخبر ﷺ صادق، والمخبَر عنه كريم منان»[4]، وقد سأل رجل ابن المبارك عن قرحة في ركبته لها سبع سنين، وقد أعيت الأطباء فأمره بحفر بئر يحتاج الناس إليه إلى الماء فيه، وقال: أرجو أن ينبع فيه عين فيمسك الدم عنك[5]، وقد تقرح وجه أبي عبد الله الحاكم صاحب المستدرك قريباً من سنة فسأل أهل الخير الدعاء له فأكثروا من ذلك، ثم تصدق على المسلمين بوضع سقاية بنيت على باب داره وصب فيها الماء فشرب منها الناس، فما مر عليه أسبوع إلا وظهر الشفاء وزالت تلك القروح وعاد وجهه إلى أحسن ما كان[6].

والأمر كما قال المناوي: «وقد جُرِّب ذلك - أي التداوي بالصدقة - فوجدوا الأدوية الروحانية تفعل ما لا تفعله الأدوية الحسية، ولا ينكر ذلك إلا من كثف حجابه»[7].

وليس هذا فحسب؛ بل إن بعض السلف كانوا يرون أن الصدقة تدفع عن صاحبها الآفات والشدائد ولو كان ظالماً، قال إبراهيم النخعي: «كانوا يرون أن الصدقة تَدْفَع عن الرجل الظلوم»[8].

وفي المقابل فإن عدم الصدقة يجر على العبد المصائب والمحن؛ لحديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - مرفوعاً وفيه أن جبريل قال ليعقوب - عليهما السلام - عن الله - عز وجل -: «أتدري لِمَ أذهبت بصرك وقوست ظهرك، وصنع إخوة يوسف ما صنعوا: إنكم ذبحتم شاة، فأتاكم مسكين يتيم وهو صائم فلم تطعموه منه شيئاً»[9].

٣ - عظم أجرها ومضاعفة ثوابها:

يربي الله الصدقات، ويضاعف لأصحابها المثوبات، ويعلي الدرجات.. بهذا تواترت النصوص وعليه تضافرت؛ فمن الآيات الكريمات الدالة على أن الصدقة أضعاف مضاعفة وعند الله مزيد قوله - تعالى -: **﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾** [**الحديد**: ١٨] والتي أوضحت بأن «المتصدقين

(١) صحيح البخاري، فتح ٢/٦١٥ رقم: ١٠٤٤.

(٢) إحكام الأحكام، لابن دقيق العيد :٢/١٤١.

(٣) شعب الإيمان للبيهقي: ٣/٢٨٢ رقم: ٣٥٥٨، وأفاد المنذري في الترغيب والترهيب: ١/٥٢٠ أنه روي مرفوعاً ومرسلاً قال: (والمرسل أشبه)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: ١/٦٣٤ رقم: ٣٣٥٨.

(٤) المدخل، لابن الحاج: ٤/ ١٤١ - ١٤٢.

(٥) انظر: الزواجر، لابن حجر الهيتمي: ١/٣٢١.

(٦) انظر: الزواجر، لابن حجر الهيتمي: ١/٣٢١ - ٣٢٢.

(٧) فيض القدير، للمناوي :٣/٥١٥.

(٨) شعب الإيمان، للبيهقي: ٣/٢٨٣ رقم: ٣٥٥٩.

(٩) المستدرك، للحاكم: ٢/٣٤٨ وصححه ووافقه الذهبي.

والمتصدقات لا يتفضلون على آخذي الصدقات، ولا يتعاملون في هذا مع الناس، إنما هم يقرضون الله ويتعاملون مباشرة معه، فأي حافز للصدقة أوقع وأعمق من شعور المعطي بأنه يقرض الغني الحميد، وأنه يتعامل مع مالك الوجود؟ وأن ما ينفقه مُخْلَف عليه مضاعف، وأن له بعد ذلك كله أجراً كريماً»(1).

ومنها: قوله - تعالى -: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: 245] قال الجصاص مبيناً علة تسمية الله للصدقة قرضاً: «سماه الله قرضاً تأكيداً لاستحقاق الثواب به؛ إذ لا يكون قرضاً إلا والعوض مستحق به»(2)، وعلل ذلك ابن القيم بأن «الباذل متى علم أن عين ماله يعود إليه ولا بد؛ طوعت له نفسه، وسهل عليه إخراجه، فإن علم أن المستقرض مليء وفيّ محسن، كان أبلغ في طيب فعله وسماحة نفسه، فإن علم أن المستقرض يتجر له بما اقترضه، وينميه له ويثمره حتى يصير أضعاف ما بذله كان بالقرض أسمح وأسمح، فإن علم أنه مع ذلك كله يزيده بعطائه أجراً آخر من غير جنس القرض... فإنه لا يتخلف عن قرضه إلا لآفة في نفسه من البخل أو الشح أو عدم الثقة بالضمان»(3).

ومنها: قوله - عز وجل -: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 261] والتي لها أثر عظيم في دفع العبد إلى الصدقة؛ إذ يضاعف الله له بلا عدة ولا حساب، من رحمته - سبحانه - ورزقه الذي لا حدود له ولا مدى(4).

ومن الأحاديث الدالة على عظم أجر الصدقة: قوله ﷺ: «ما تصدق أحد بصدقة من طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - إلا أخذها الرحمن بيمينه - وإن كان تمرة - فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل؛ كما يربي أحدكم فُلُوَّه أو فصيله»(5)(6)، قال ابن حجر: «الصدقة نتاج العمل، وأحوج ما يكون النتاج إلى التربية إذا كان فطيماً، فإذا أحسن العناية به انتهى إلى حد الكمال، وكذلك عمل ابن آدم - لا سيما الصدقة - فإن العبد إذا تصدق من كسب طيب لا يزال نظر الله إليها يكسبها نعت الكمال حتى تنتهي بالتضعيف إلى نصاب تقع المناسبة بينه وبين ما قدم نسبة ما بين التمرة إلى الجبل... والظاهر أن المراد بعظمها: أن عينها تعظم لتثقل في الميزان، ويحتمل أن يكون ذلك معبراً به عن ثوابها»(7)، ومنها: قوله ﷺ: «من أنفق نفقة في سبيل الله كتب له سبع مئة ضعف»(8) قال المباركفوري: «وهذا أقل الموعود، والله يضاعف لمن يشاء»(9)، وحديث أبي مسعود الأنصاري - رضي الله عنه - أن رجلاً جاء بناقة مخطومة(10) فقال: «هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «لك بها

---

(1) في ظلال القرآن، لسيد قطب: 6/3490.

(2) أحكام القرآن، للجصاص: 1/616.

(3) طريق الهجرتين، لابن القيم: 538 - 539.

(4) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: 1/306، وراجع: إعلام الموقعين، لابن القيم: 1/141، 142.

(5) الفلو: ولد الفرس إذا فطم عن أمه، والفصيل ولد الناقة إذا فصل عن الرضاع. انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: 4/447، 4/505.

(6) البخاري، فتح 3/ 326 رقم: 1410، مسلم: 1/702 رقم: 1014واللفظ له.

(7) الفتح: 3/328، 329.

(8) المسند: 31/196، 197 رقم: 18900، وصححه الألباني في صحيح الجامع: 2/1054 رقم: 6110.

(9) تحفة الأحوذي: 5/ 254.

(10) مخطومة: أي عليها خطام وهو مثل الزمام، انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض: 6/315.

يوم القيامة سبع مئة ناقة كلها مخطومة»(١) واستطعم مسكين عائشة ـ رضي الله عنها ـ وبين يديها عنب، فقالت لإنسان: «خذ حبة فأعطه إياها، فجعل ينظر إليها ويعجب، فقالت عائشة: أتعجب؟ كم ترى في هذه الحبة من مثقال ذرة؟!»(٢)، قال يحيى بن معاذ: «ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا إلا من الصدقة»(٣).

٤ ـ إطفاؤها الخطايا وتكفيرها الذنوب:

جعل الله الصدقة سبباً لغفران المعاصي وإذهاب السيئات والتجاوز عن الهفوات، دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة، ومنها: قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤] والذي هو نص عام يشمل كل حسنة وفعل خير، والصدقة من أعظم الحسنات والخيرات فهي داخلة فيه بالأولوية(٤)، وقوله ـ سبحانه ـ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ... وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ... أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥] وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤] والتي أفادت أن من أول وأجلّ ما تنال به مغفرة الله للخطايا وتجاوزه عن الذنوب: الإنفاق في مراضيه سبحانه.

ومن النصوص الدالة على ذلك أيضاً: قوله ﷺ: «تصدقوا ولو بتمرة؛ فإنها تسد من الجائع، وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار»(٥)، وقوله ﷺ: «والصدقة تطفئ الخطيئة كما يذهب الجليد على الصفا»(٦)، وما أخرجه البخاري في صحيحه في باب: الصدقة تكفر الخطيئة من حديث حذيفة ـ رضي الله عنه ـ وفيه: «فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والمعروف»(٧)، وقوله ﷺ: «يا معشر التجار: إن الشيطان والإثم يحضران البيع؛ فشوبوا بيعكم بالصدقة»(٨)، ومعناه أن التاجر: «قد يبالغ في وصف سلعته حتى يتكلم بما هو لغو، وقد يجازف في الحلف لترويج سلعته؛ فيندب إلى الصدقة ليمحو أثر ذلك»(٩)، وقال محمد بن المنكدر: «من موجبات المغفرة: إطعام المسلم السغبان». قال بعض أهل العلم عقب إيراده له: «وإذا كان الله ـ سبحانه ـ قد غفر لمن سقى كلباً على شدة ظمئه فكيف بمن سقى العطاش، وأشبع الجياع، وكسا العراة من المسلمين؟»(١٠).

ولاستفاضة النصوص في كون الصدقة مكفرة للذنوب وماحية للخطايا استحب بعض أهل العلم الصدقة عقب كل معصية(١١)، ولعل مستندهم في

---

(١) مسلم: ٢/١٥٠٥ رقم: ١٨٩٢.

(٢) الموطأ: ٢/٩٩٧، وانظر: التمهيد، لابن عبد البر: ٤/٣٠٢.

(٣) المستطرف، للأبشيهي: ١/٢٥.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٤/٢٥٥، وفي ظلال القرآن، لسيد قطب: ٤/١٩٣٢.

(٥) مسند الشهاب: ١/٩٥ رقم: ١٠٤، والزهد، لابن المبارك: ٢٢٩ رقم: ٦٥١، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ١/٥٦٨ رقم: ٢٩٥١.

(٦) صحيح ابن حبان: ١٢/٣٧٨ ـ ٣٧٩ رقم: ٥٥٦٧، وصححه المحقق، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: ١/٣٦٣ رقم: ٨٦١.

(٧) البخاري، فتح ٣/٣٠٣ رقم: ١٤٣٥.

(٨) جامع الترمذي: ٣/٥١٤ رقم: ١٢٠٨ وقال: حسن صحيح؛ وصححه الألباني في صحيح الترمذي: ٢/٤ رقم: ٩٦٦.

(٩) المبسوط، للسرخسي: ١٥/١١٥.

(١٠) عدة الصابرين، لابن القيم: ٢٥٥.

(١١) انظر: مغني المحتاج، للشربيني: ٣/١٢٣، غاية المحتاج، للرملي: ٦/ ١٧٦.

ذلك قوله ﷺ : «وأتبع السيئة الحسنة تمحها»[1]، والصدقة من كبار الحسنات ورؤوس الطاعات؛ فهي داخلة في عموم النص قطعاً.

٥ ـ مباركتها المال وزيادتها الرزق:

تحفظ الصدقة المال من الآفات والهلكات والمفاسد، وتحل فيه البركة، وتكون سبباً في إخلاف الله على صاحبها بما هو أنفع له وأكثر وأطيب[2]، دلت على ذلك النصوص الثابتة والتجربة المحسوسة؛ فمن النصوص الدالة على أن الصدقة جالبة للرزق قول الذي ينابيع خزائنه لا تنضب وسحائب أرزاقه لا تنقطع واعداً من أنفق في طاعته بالخلف عليه: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، قال ابن عاشور في تفسيره: «وأكد ذلك الوعد بصيغة الشرط، وبجعل جملة الجواب اسمية، وبتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي بقوله: ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾، ففي هذا الوعد ثلاث مؤكدات دالة على مزيد العناية بتحقيقه... وجملة: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ تذييل للترغيب والوعد بزيادة أن ما يخلفه أفضل مما أنفقه المنفق»[3]، وقال العلامة السعدي: «قوله: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ﴾ نفقة واجبة أو مستحبة، على قريب أو جار أو مسكين أو يتيم أو غير ذلك ﴿فَهُوَ﴾ تعالى ﴿يُخْلِفُهُ﴾ فلا تتوهموا أن الإنفاق مما ينقص الرزق، بل وعد بالخلف للمنفق الذي يبسط الرزق ويقدر»[4]، وما أجمل مقولة بعضهم: «أنفق ما في الجيب يأتك ما في الغيب»[5].

ومن النصوص الدالة أيضاً على أن الصدقة بوابة للرزق ومن أسباب سعته واستمراره وتهيؤ أسبابه، وأنها لا تزيد العبد إلا كثرة قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] إذ الصدقة غاية في الشكر، وقوله ـ عز وجل ـ في الحديث القدسي: «يا ابن آدم أَنفقْ أُنفقْ عليك»[6]، وقوله ﷺ: «ما فتح رجل باب عطية بصدقة أو صلة إلا زاده الله بها كثرة»[7]، وقوله ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً»[8]. كما يدل على ذلك قوله ﷺ: «بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة[9]؛ فإذا شرجة[10] قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته[11]، فقال له: يا عبد الله! ما اسمك؟ قال: فلان ـ للاسم الذي سمع في السحابة ـ، فقال له: يا عبد الله لِمَ تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان ـ لاسمك ـ فماذا تصنع فيها؟

---

(١) جامع الترمذي: ٤/٣٥٥ رقم: ١٩٨٧ وقال: (حسن صحيح)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: ١/٨١ رقم: ٩٧.

(٢) انظر: شرح الزرقاني، للموطأ: ٤/٥٤٩، سبل السلام، للصنعاني: ٤/ ٢٠٨.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١٢/ ٢٢٠.

(٤) تيسير الكريم، الرحمن للسعدي: ٦٨١.

(٥) كشف الخفاء، للعجلوني: ١/٢٤٥ رقم: ٦٤١.

(٦) البخاري، فتح ٨/٢٠٢ رقم: ٢٦٨٤، مسلم: ١/٦٩٠ رقم: ٩٩٣ واللفظ له.

(٧) شعب الإيمان، للبيهقي: ٣/٢٣٣، ٢٣٤ رقم: ٢٤١٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٢/٩٨٦ رقم: ٥٦٤٦.

(٨) البخاري، : ٣/٣٥٧ رقم: ١٤٤٢، مسلم: ١/٧٠٠ رقم: ١٠١٠.

(٩) الحرة: أرض بها حجارة سود كثيرة، وانظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: ٧/ ٢.

(١٠) الشرجة: مسيل الماء إلى الأرض السهلة، وانظر: تاج العروس، للزبيدي: ٣/ ٤١٣.

(١١) المسحاة: مجرفة من حديد، انظر: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير: ٤/٣٢٨.

قال: أما إذ قلتَ هذا؛ فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثه، وأرد فيها ثلثه» وفي رواية: «وأجعل ثلثه في المساكين والسائلين وابن السبيل»[1].

وفي المقابل جاءت نصوص عديدة ترد على فئام من الخلق ـ ممن رق دينهم أو ثخنت أفهامهم ـ ظنوا أن الصدقة منقصة للمال، جالبة للفقر، مسببة للضيعة، فأبانت أن الصدقة لا تنقص مال العبد، وأن شحه به هو سبب حرمان البركة وتضييق الرزق وإهلاك المال وعدم نمائه، ومن هذه النصوص قوله ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال»[2]، وقوله ﷺ: «ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه، فأما الثلاث التي أقسم عليهن: فإنه ما نقص مال عبد من صدقة...»[3]، وقوله ﷺ لأسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ حين قالت له: ما لي مال إلا ما أدخل عليَّ الزبير فقال لها: «أنفقي ولا تحصي فيحصي الله عليك، ولا توعي فيوعي الله عليك»[4].

والتجربة المحسوسة تثبت أن «المعونة تأتي من الله للعبد على قدر المؤونة»[5]، وأن رزق العبد يأتيه بقدر عطيته ونفقته؛ فمن أكثر أُكثر له، ومن أقل أُقِل له، ومن أمسك أُمسِك عليه[6]، وقد نص غير واحد من العارفين أن ذلك مجرب محسوس[7]، ومن شواهد ذلك قصة عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن مسكيناً سألها وهي صائمة وليس في بيتها إلا رغيف فقالت لمولاتها: أعطيه إياه، فقالت: ليس لك ما تفطرين عليه! فقالت: أعطيه إياه! قالت: ففعلت، قالت: فلما أمسينا أهدى لنا أهل بيت أو إنسان ـ ما كان يهدي لنا ـ شاة وكفَّنها[8]، فدعتني فقالت: كلي من هذا، هذا خير من قرصك»[9].

والقضية مرتبطة بالإيمان ومتعلقة باليقين، والأمر كما قال الحسن البصري: «من أيقن بالخلف جاد بالعطية»[10].

٦ ـ أنها وقاية من العذاب وسبيل لدخول الجنة:

الصدقة والإنفاق في سبل الخير فدية للعبد من العذاب، وتخليص له وفكاك من العقاب، ومثلها ـ كما في الحديث ـ: «كمثل رجل أسره عدو، فأوثقوا يده إلى عنقه، وقدموه ليضربوا عنقه، فقال: أنا أفتدي منكم بالقليل والكثير؛ ففدى نفسه منهم»[11]، وقد كثرت النصوص المبينة بأن الصدقة ستر للعبد وحجاب بينه وبين العذاب، ومن هذه النصوص: حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في إثبات نعيم القبر وعذابه والذي تضمن إخباره ﷺ بأن الصدقة وأعمال البر تدفع عن صاحبها عذاب القبر؛ إذ قال ﷺ: «إن الميت إذا وضع في قبره إنه يسمع خفق نعالهم حين يولُّون عنه؛ فإن كان مؤمناً

---

(١) مسلم: ٣/٢٢٨٨ رقم: ٢٩٨٤.

(٢) مسلم: ٣/٢٠٠١ رقم: ٢٥٨٨.

(٣) جامع الترمذي: ٤ / ٥٦٢ رقم: ٢٣٢٥، وقال: (حسن صحيح)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: ١/ ٩ رقم: ١٤.

(٤) البخاري، فتح ٥/٢٥٧، رقم: ٢٥٩١.

(٥) جزء من حديث مرفوع عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عند البيهقي في شعب الإيمان: ٧/١٩١ رقم: ٩٩٥٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ١/٣٩٤ رقم: ١٩٥٢.

(٦) انظر: روح المعاني، للآلوسي: ٢٢/١٥٠.

(٧) انظر على سبيل المثال: سبل السلام، للصنعاني: ٤/٢٠٨.

(٨) أي غطاها بأقراص ورغف، انظر: النهاية، لابن الأثير: ٤/١٩٣.

(٩) الموطأ، لمالك: ٢/٩٩٧.

(١٠) روضة العقلاء، لابن حبان: ١٩٨.

(١١) جامع الترمذي: ٥/١٤٨ رقم: ٢٨٦٣ وقال: (حسن صحيح غريب)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ١/٣٥٤ رقم: ١٧٢٤.

كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصيام عن يمينه، وكانت الزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه، فيؤتى من قِبَل رأسه، فتقول الصلاة: ما قِبَلي مدخل، ثم يؤتى عن يمينه، فيقول الصيام: ما قِبَلي مدخل، ثم يؤتى عن يساره فيقول الزكاة: ما قِبَلي مدخل، ثم يؤتى من قِبَل رجليه فتقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس: ما قِبَلي مدخل... »[1].

ومنها: الأحاديث التي تضمنت التهديد والوعيد لأصحاب الثراء كقوله ﷺ: «هلك المكثرون، إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا - ثلاث مرات: حثا بكفيه عن يمينه وعن يساره وبين يديه -، وقليل ما هم»[2]، وفي رواية: «ويل للمكثرين...»[3]، ومنها: قوله ﷺ: «من أعتق رقبة مسلمة كانت فكاكه من النار عضواً بعضو»[4]، وحديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - وفيه قوله ﷺ: «يا معشر النساء تصدقن؛ فإني رأيتكن أكثر أهل النار، فقلن: وبِمَ يا رسول الله؟ قال: تكثرن اللعن، وتكفرن العشير»[5]، قال ابن حجر في شرحه: «وفيه أن الصدقة تدفع العذاب، وأنها قد تكفِّر الذنوب بين المخلوقين»[6] وقال الشوكاني في ثنايا تعداده لفوائد الحديث: «ومنها: أن الصدقة من دوافع العذاب؛ لأنه علل بأنهن أكثر أهل النار لما يقع منهن من كفران النعم وغير ذلك»[7].

وقد كثر حض النبي ﷺ أمته على اتخاذ أحدهم الصدقة - مهما قلَّت - حجاباً بينه وبين النار فقال ﷺ في حديث عدي بن حاتم - رضي الله عنه -: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة»[8]، وفي رواية: «من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل»[9]، وقال ﷺ: «اجعلوا بينكم وبين النار حجاباً ولو بشق تمرة»[10]، وقال ﷺ: «يا عائشة استتري من النار ولو بشق تمرة؛ فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان»[11].

ولا يقتصر أثر الصدقة والإنفاق على دفع حر القبور والخلاص من لهيب جهنم بل إنها من أسباب دفع الخوف والحزن عن العبد وتحصيله للأمن، ومن السبل العظيمة لدخوله الجنة، ومن النصوص الدالة على ذلك قوله - تعالى -: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤] والذي يعم جميع النفقات في طاعة الله وطرق مرضاته - سواء أكانت للفقراء والمعوزين أم في سبيل رفعة الدين ونصرته - ويشمل جميع الأوقات والحالات[12].

وقوله - عز وجل -: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن

(١) المستدرك، للحاكم: ١/٣٧٩ وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، صحيح ابن حبان: ٧/٣٨٠، ٣٨١ رقم: ٣١١٣ وحسنه المحقق.

(٢) المسند، لأحمد: ١٣/٤٤٧ رقم: ٨٠٨٥، وقال المحقق: (إسناده صحيح).

(٣) سنن ابن ماجة: ٢/١٣٨٣ رقم: ٤١٢٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٢/١١٩٩ رقم: ٧١٣٧.

(٤) المسند، لأحمد: ٢٨/٢٤١ رقم: ١٧٠٢٠ وقال المحقق: (حديث صحيح).

(٥) البخاري، فتح: ١/٤٨٥ رقم: ٣٠٤.

(٦) فتح الباري، لابن حجر: ١/٤٨٥.

(٧) نيل الأوطار، للشوكاني: ٦/١٢٤.

(٨) البخاري، فتح: ١٣/٤٨٢ رقم: ٧٥١٢، ومسلم: ١/٧٠٣ رقم: ١٠١٦.

(٩) مسلم: ١/٧٠٣ رقم: ١٠١٦.

(١٠) المعجم الكبير، للطبراني: ١٨/٣٠٣ رقم: ٧٧٧، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: ١/٩٤ رقم: ١٥٣.

(١١) المسند، لأحمد: ٦/٧٩، وحسنه المنذري والألباني كما في صحيح الترغيب: ٣٦٢.

(١٢) انظر: لباب التأويل، للخازن: ١/٢٠٨، تيسير الكريم الرحمن، للسعدي: ١١٦، في ظلال القرآن، لسيد قطب: ١/٣١٦.

﴿رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ...﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤] والذي جلّى الله فيه صفة أهل الجنة، وأبان بأن من أجلّ سماتهم التي تؤهلهم لدخول الجنة الإنفاق في مراضيه سبحانه والإحسان إلى خلقه بأنواع البر(١).

ومن النصوص النبوية الدالة على أن الصدقة من أسباب دخول الجنة قوله ﷺ: «أربعون خصلة أعلاها منيحة العنز (٢) ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة»(٣).

ولا يتوقف أثر الصدقة على هذا فحسب بل الأمر أعظم جداً من ذلك؛ إذ يبادر خزنة كل باب من أبواب الجنة: لدعوة المتصدق كل يريده أن يدخل من قِبَله، وللجنة باب يقال له: باب الصدقة، يدخل منه المتصدقون؛ لحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين(٤) في سبيل الله(٥) نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير - إلى أن قال - ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة..»(٦) وقد أبان العيني أن المراد بالصدقة هنا: النافلة؛ لأن الزكاة الواجبة لا بد منها لجميع من وجبت عليه من المسلمين، ومن ترك شيئاً منها فيخاف عليه أن ينادى من أبواب جهنم(٧).

٧ - أنها دليل صدق الإيمان وقوة اليقين وحسن الظن برب العالمين:

المال ميال بالقلوب عن الله؛ لأن النفوس جبلت على حبه والشح به، فإذا سمحت النفس بالتصدق به وإنفاقه في مرضاة الله - عز وجل - كان ذلك برهاناً على صحة إيمان العبد وتصديقه بموعود الله ووعيده، وعظيم محبته له؛ إذ قدم رضاه - سبحانه - على المال الذي فطر على حبه(٨)، ويدل على هذا الأمر قوله ﷺ: «والصدقة برهان»(٩)، ومعناه: أنها دليل على إيمان فاعلها؛ فإن المنافق يمتنع منها لكونه لا يعتقدها، فمن تصدق استدل بصدقته على صدق إيمانه(١٠)، قال المناوي: «(والصدقة برهان) حجة جلية على إيمان صاحبها أو أنه على الهدى أو الفلاح، أو لكون الصدقة تنجيه عند الحساب كما تنجي الحجة عند المحاكمة، وقال القزويني: الصدقة برهان على جزم المتصدق بوجود الآخرة وما تتضمنه من المجازاة؛ لأن المال محبوب للنفوس المتصفة بالخواص الطبيعية؛ فلا يقدر على بذل المال ما لم يصدق بانتفاعها فيما بعد بثمرات ما يبذله، وفوزها بالعوض وحصول السلامة من ضرر متوقع بسبب فعل قُرِنت به عقوبة»(١١).

والصدقة بطيب نفس تورث القلب حلاوة

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٢/ ١١٩.

(٢) المنيحة عند العرب العطية، وهي على وجهين: أحدهما: أن يعطي الرجل صاحبه الشيء بمنافعه صلة فتكون له، وهي الهبة، والآخر: أن يعطيه ناقة أو شاة أو نخلة ينتفع بها زمناً ثم يردها، انظر: فتح الباري لابن حجر: ٥/ ٢٨٨، عون المعبود للعظيم آبادي: ٥/ ٩٧.

(٣) البخاري، فتح: ٥/ ٢٨٧ رقم: ٢٦٣١.

(٤) المراد بالزوجين: إنفاق شيئين من أي صنف من أصناف المال من نوع واحد. انظر: فتح الباري لابن حجر: ٤/ ١٣٤.

(٥) المراد بقوله: (في سبيل الله): عموم الإنفاق في وجوه الخير، وقيل: مخصوص بالجهاد، والأول أصح وأظهر، انظر: شرح مسلم للنووي: ٧/ ١٦٢، فتح الباري لابن حجر: ٧/ ٣٤.

(٦) البخاري، فتح ٤/ ١٣٣ رقم: ١٨٩٧، مسلم: ١/ ٧١١ رقم: ١٠٢٧.

(٧) انظر: عمدة القاري، للعيني: ١٠/ ٢٦٤.

(٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٨/ ٢٤٩، دليل الفالحين، لابن علان: ١/ ١٤٢.

(٩) مسلم: ١/ ٢٠٣ رقم: ٢٢٣.

(١٠) انظر: شرح مسلم، للنووي: ٣/ ١٢٧، جامع العلوم والحكم، لابن رجب: ٢/ ٢٣ - ٢٤.

(١١) فيض القدير، للمناوي: ٤/ ٢٩١.

الإيمان، وتذيق العبد طعمه، وتعمق يقينه بالله عز وجل، وتخلص توكله عليه، وتوجب ثقته بالله وحسن الظن به[1]؛ لأن من استنار صدره، وعلم غنى ربه وكرمه - عز وجل - عظم رجاؤه وهانت الدنيا في عينه فأنفق ولم يخَفِ الإقلال، ويشهد لصحة ذلك قول أعظم الموقنين وإمام المتوكلين وأجلّ من أحسن الظن برب العالمين لبلال - رضي الله عنه - حين ادخر شيئاً ولم ينفقه: «أنفق يا بلال، ولا تخش من ذي العرش إقلالاً»[2]، قال القرطبي بعد أن أبان بأن عدم الإنفاق وترك الصدقة خوف الإقلال من سوء الظن بالله: «فإن كان العبد حسن الظن بالله لم يخف الإقلال؛ لأنه يخلف عليه كما قال - تعالى -: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]»[3].

٨ - تخليتها النفس من الرذائل وتحليتها لها بالفضائل:

تطهر الصدقة النفس من الرذائل وتنقيها من الآفات، وتقيها من كثير من دواعي الشيطان ورجسه، ومن ذلك: أنها تبعد العبد عن صفة البخل وتخلصه من داء الشح الذي أخبر - سبحانه - بأن الوقاية منه سبب للفلاح وذلك في قوله - عز وجل -: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، ويُذهِب الله بها داء العجب بالنفس والكبر والخيلاء على الآخرين والفخر عليهم بغير حق، كما أنها من مسببات عدم حب الذات حباً مذموماً، ومن دواعي نبذ الأثرة والأنانية، وعدم الوقوع في شيء من عبودية المال وتقديسه وهو ما دعا على فاعله النبي ﷺ بالتعاسة والانتكاسة فقال: «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة... تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش»[4].

وفي المقابل فالصدقة تهذب الأخلاق وتزكي النفس وتربي الروح على معالي الأخلاق وفضائلها؛ إذ فيها تدريب على الجود والكرم، وتعويد على البذل والتضحية وإيثار الآخرين، وفيها سمو بالعبد وانتصار له على نفسه الأمارة بالسوء، وإلجام لشيطانه، وإعلاء لهمته: إذ تُعلق العبد بربه وتربطه بالدار الآخرة، وتزهده بالدنيا؛ وتضعف تَعلُّق قلبه بها.

ويدل لذلك قوله - تعالى -: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣][5]؛ إذ في قوله: ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ إشارة إلى مقام التخلية من الرذائل والذنوب والأخلاق السيئة، وفي قوله: ﴿وَتُزَكِّيهِم﴾ إشارة إلى مقام التحلية بالفضائل والحسنات والأعمال الصالحة[6].

كما يدل لذلك أيضاً قوله - عز وجل -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [المجادلة: ١٢] والذي أبان الله فيه بأن الصدقة سبب لنيل الخيرية وطهرة للنفس من الأدناس وتخلية لها من الرذائل[7].

ولو لم يكن في الصدقة إلا أنها تعلق النفس بالقربات، وتشغلها بالطاعات، كما قال بعض

---

(١) انظر: عدة الصابرين، لابن القيم: ٢٥٣.

(٢) المعجم الأوسط، للطبراني: ٣/٨٦ رقم: ٢٥٧٢، مسند أبي يعلى: ١٠ / ٤٢٩ رقم: ٦٠٤٠ وجود إسناده المحقق.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ١/ ٢٥٣.

(٤) البخاري، فتح: ٦/٩٥ رقم: ٢٨٨٧.

(٥) قد اختلف في المراد بالصدقة في الآية: أهي الزكاة الواجبة أم غيرها ؟ والظاهر أن المراد بها كما قال الحسن البصري: الصدقة غير المفروضة. بدلالة نزولها في الطائفة التي تخلفت عن الغزو فبذلوا أموالهم كمالاً في توبتهم، لتكون جارية في حقهم مجرى الكفارة، فأمر الله رسوله ﷺ بأخذها منهم تطهيراً لهم وتزكية، انظر: جامع البيان، للطبري: ١٤/٤٥٤، تفسير الرازي: ١٦/ ١٨١.

(٦) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١١/٢٣، تيسير الكريم الرحمن، للسعدي: ٣٥٠.

(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٨/ ٤٩، تيسير الكريم الرحمن، للسعدي: ٧٨٥.

السلف: «إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، وإن من جزاء السيئة السيئة بعدها»[1] - والصدقة من أعظم الحسنات وأجلّها - لكفى بذلك فضلاً.

٩- أنها بوابة لسائر أعمال البر:

جعل الله الصدقة والإنفاق في مرضاته مفتاحاً للبر[2] وداعية للعبد إلى سائر أنواعه؛ وذلك لأن المال من أعظم محبوبات النفس؛ فمن قدم محبوب الله على ما يحب فأعطى ماله المحتاجين ونصر به الدين وفقه الله لأعمال صالحة وأخلاق فاضلة لا تحصل له بدون ذلك، وآتاه أسباب التيسير بحيث يتهيأ له القيام ببقية أعمال البر فلا يستعصي شيء منها عليه، يدل لذلك قوله - تعالى -: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ - ٧] قال السعدي في تفسيره: «﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾: أي: نيسر له أمره، ونجعله مسهلاً عليه كل خير، ميسراً له ترك كل شر؛ لأنه أتى بأسباب التيسير، فيسر الله له لذلك»[3].

وقد أوضح الله هذا الأمر وجلاّه في قوله - عز وجل -: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] أي: لن تنالوا حقيقة البر الذي يتنافس فيه المتنافسون، ولن تدركوا شأوه، ولن تلحقوا بزمرة الأبرار حتى تنفقوا مما تَهْوَوْن من أموالكم ومن أعجبها إلى أنفسكم[4].

وقد فقه الصحابة - رضي الله عنهم - هذا التوجيه الرباني فحرصوا على نيل البر وكمال الخير بالنزول عما يحبون وببذل الطيب من المال نصرة للدين وسداً لحاجة المساكين، سخية به نفوسهم طمعاً في ثواب الله وإحسانه[5]، فكان الواحد منهم إذا ازداد حبه لشيء بذله لله رجاء نيل البر؛ فهذا أبو طلحة - رضي الله عنه - كان أكثر الأنصار بالمدينة مالاً، وكان أحب أمواله إليه حديقة يقال لها: بيرحاء، فلما نزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] قام إلى رسول الله ﷺ فقال: «إن الله يقول في كتابه: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إليَّ بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث شئت...»[6]، وقال زيد بن حارثة لما نزلت هذه الآية: «اللهم إنك تعلم أنه ليس لي مال أحب إلي من فرسي هذه»، وجاء إلى النبي ﷺ فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: قد قبلها الله منك»[7]، «وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري أن يبتاع له جارية من جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى في قتال سعد بن أبي وقاص، فدعا بها عمر بن الخطاب فأعجبته فقال: إن الله يقول: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ فأعتقها»[8].

وقال عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -: «تلوت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ فذكرت ما أعطاني الله فما وجدت شيئاً

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٢/ ١٤٦.

(٢) البر: جماع الخير والطريق الوصل إلى الجنة. انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي: ١١١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي: ٨٥٧.

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود: ٢/٥٧، شرح الموطأ، للزرقاني: ٤/٥٣٨.

(٥) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: ١/٤٢٤. (٦) البخاري، فتح: ٥/٤٥٤ رقم: ٢٧٥٨، مسلم: ٦٩٣ رقم: ٩٩٨ واللفظ له.

(٧) تفسير عبد الرزاق: ١/١٢٦، جامع البيان، للطبري: ٦/٥٩٢ رقم: ٧٣٩٨، تفسير عبد بن حميد كما في الدر المنثور للسيوطي: ٢/٢٦١.

(٨) جامع البيان، للطبري: ٦/٥٨٨ رقم: ٧٣٩٢، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٤/١٣٣.

أحب إليَّ من جاريتي رضية فقلت: هي حرة لوجه الله»[1]، ومرة كان راكباً على راحلة عظيمة فأعجبته فأناخها وجعلها لله تعالى [2].

وعلى هذا الدرب سار كثير من سلف الأمة وصالحيها؛ فهذا الربيع بن خثيم كان إذا جاءه السائل يقول لأم ولده: يا فلانة! أعطي السائل سُكَّراً؛ فإن الربيع يحب السُكَّر. قال سفيان: يتأول قوله - عز وجل -: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [3]، وروي عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يشتري أعدالاً من سُكَّر ويتصدق بها، فقيل له: هلاَّ تصدقت بقيمتها؟ فقال: لأن السُّكَّر أحب إليَّ؛ فأردت أن أنفق مما أحب [4].

وكان لزوجة عمر بن عبد العزيز جارية بارعة الجمال، وكان عمر راغباً فيها، وكان قد طلبها منها مراراً فلم تعطه إياها، ثم لما ولي الخلافة زينتها وأرسلتها إليه، فقالت: قد وهبتكها يا أمير المؤمنين فلتخدمك، قال: من أين ملكتِها، قالت: جئت بها من بيت أبي عبد الملك، ففتش عن كيفية تملكه إياها، فقيل: إنه كان على فلان العامل ديون فلما توفي أُخذت من تركته، ففتش عن حال العامل وأحضر ورثته وأرضاهم جميعاً بإعطاء المال، ثم توجه إلى الجارية - وكان يهواها هوى شديداً - فقال: أنت حرة لوجه الله تعالى[5].

فهذا هدي السلف؛ فهل من متأس بهم وسائر على نهجهم؟!

١٠ - إدراك المتصدق أجر العامل:

ما أسعد المتصدقين! إذ دلت النصوص الثابتة على أن صاحب المال يدرك بتصدقه وإنفاقه من ثواب عمل العامل بمقدار ما أعانه عليه حتى يكون له مثل أجره متى استقل بمؤونة العمل من غير أن ينقص ذلك من أجر العامل شيئاً، ومن هذه النصوص الدالة على ذلك قوله ﷺ: «من فطَّر صائماً كتب له مثل أجره لا ينقص من أجره شيء»[6]، وقوله ﷺ: «من جهز غازياً فقد غزا، ومن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا»[7]، ومعناه: أنه مثله في الأجر ما دام قد أتم تجهيزه أو قام بكفاية من يخلفه بعده[8]، وجاء الحديث عند البيهقي بلفظ: «من جهز حاجاً أو جهز غازياً أو خلفه في أهله أو فطَّر صائماً فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيئاً»[9].

والأمر غير مقصور على هذه العبادات بل شامل لجميع الطاعات؛ فمن أعان عليها كان له مثل أجر فاعلها[10].

فيا من يستطيع أن يجاهد وهو قاعد، ويصوم وهو آكل شارب، ويعلِّم القرآن، وينشر الخير، ويدعو إلى الله في كل مكان وهو في بيته لم يباشر من ذلك شيئاً لا تَحْرِم نفسك الأجر ولا تمنعها الثواب، واعمل بوصية رسول الله ﷺ لك حين قال: «اغتنم خمساً قبل خمس - وذكر منها -: وغناك قبل فقرك»[11]، واعلم بأن المال زائل والعمل باق؛ إذ لم يخلد أحد مع ماله، ولم يدخل مالُ القبر مع صاحبه، بل هو وديعة لديك، ولا بد من أخذها منك، فما بالك تغفل عن ذلك؟!

---

(١) المستدرك، للحاكم: ٣/ ٥٦٨.

(٢) انظر: الحلية، للأصفهاني: ١/ ٢٩٤ - ٢٩٥.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٤/ ١٣٣.

(٤) انظر: المصدر السابق: ٤/ ١٣٣.

(٥) انظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود: ٤/ ٥٨.

(٦) المسند، لأحمد: ٢٨/ ٢٦١ رقم: ١٧٠٣٣، صحيح ابن حبان: ٨/ ٢١٦ رقم: ٣٤٢٩ واللفظ له، وهو حديث صحيح.

(٧) البخاري، فتح: ٦/ ٥٨ رقم ٢٨٤٣، مسلم: ٢/ ١٥٠٦ رقم: ١٨٩٥.

(٨) انظر: فتح الباري، لابن حجر: ٦/ ٥٩.

(٩) شعب الإيمان، للبيهقي: ٣/ ٤٨٠ رقم: ٤١٢١، ورجاله ثقات.

(١٠) انظر: فيض القدير، للمناوي: ٦/ ١١٤.

(١١) المستدرك، للحاكم: ٤/ ٣٠٦، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ١/ ٢٤٣ رقم: ١٠٧٧.



محمد بن عبد الله السحيم

لـمَّا كان المزاح سُنَّة مشروعة، وخُلُقاً يحبه كثيرٌ من الناس، وأداةً يستميل بها الداعية قلوب المدعوين، ومتنفساً ينفس الشخص بها عن نفسه؛ صار لزاماً على صاحبه أن يتبصر بآدابه ويلتزم بضوابطه؛ حتى يأتي به على وجهه ويتحقق به مقصوده، ولا يكون ذلك سبباً لبغضه أو استهجانه أو النفور عنه.

ومن هذا المنطلق كانت هذه المقالة محاولة لتحديد بعض معالم هذا الخلق - أعني المزاح - وبيان شيء من آدابه.

وقد جعلتها على شكل مسائل؛ لتكون أجود في الترتيب، وأكمل في الفائدة، وأيسر في التصور.

أسأل الله أن ينفع بها، وأن يجعلها عملاً صالحاً متقبلاً.

المسألة الأولى: سبب تسميته بهذا الاسم:

سمي المزاح مزاحاً؛ لأنه زاح عن الحق. هكذا قال ابن حبان[١]، وذكر ذلك البغوي[٢].

المسألة الثانية: حكم المزاح:

المزاح مشروع دل على ذلك سنة رسول الله ﷺ؛ فمن ذلك ما يلي:

١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قالوا: يا رسول الله! إنك لتداعبنا! قال: «إني لا أقول إلا حقاً» وفي رواية: «إني لأداعبكم»[٣].

٢ - وكان ﷺ يلاعب زينب بنت أم سلمة ويقول: يا زوينب! يا زوينب! - مراراً -»[٤].

٣ - وقال أنس بن مالك - رضي الله عنه -: «إن كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول

---

(١) روضة العقلاء، ص ٧٨.

(٢) شرح السنة (١٣/١٨٤).

(٣) رواه الترمذي (١٩٩١)، والبغوي في شرح السنة (٢٦٠٢) وحسناه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٩٤) ولفظه: «إني لأمزح، ولا أقول إلا حقاً».

(٤) رواه الضياء في المختارة وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٠٢٥).

لأخ لي صغير: يا أبا عمير! ما فعل النغير؟»[1].

٤ - وكان النبي ﷺ يدلع لسانه للحسن بن علي، فيرى الصبي حمرة لسانه فيبهش إليه. أي: يسرع إليه بعد أن أعجب به[2].

٥ - وعن أنس أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهر بن حرام وكان يهدي للنبي ﷺ الهدية من البادية، فيجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج، فقال النبي ﷺ: «إن زاهراً باديتنا، ونحن حاضروه» قال: وكان النبي ﷺ يحبه، وكان دميماً، فأتاه النبي ﷺ يوماً، وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره فقال: أرسلني! من هذا؟ فالتفت فعرف النبي ﷺ، فجعل لا يألو ما ألزق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه وجعل النبي ﷺ يقول: «من يشتري العبد؟»، فقال: يا رسول الله! إذاً والله تجدني كاسداً، فقال الرسول ﷺ: «لكن عند الله لست بكاسد» أو قال: «لكن عند الله أنت غال»[3].

والخلاصة:

أن المزح سنة. قيل لسفيان بن عيينة: «المزاح هجنة؟ قال: بل سنة، ولكن الشأن فيمن يُحسنه ويضعه مواضعه»[4].

وعلى هذا جرى عمل كثير من السلف. قال ابن مسعود: «خالط الناسَ، ودينَك لا تَكْلِمَنَّه»[5]. وكان عمر يقول: «إنه ليعجبني أن يكون الرجل في أهله مثل الصبي؛ فإذا بُغِيَ منه وُجِدَ رجلاً»[6]. وقال ثابت بن عبيد: «كان زيد بن ثابت من أفكه الناس في بيته، فإذا خرج كان رجلاً من الرجال»[7]. وروي عن ابن عباس أنه قال لقوم قعود لديه: «أحمضوا(*)، أي: لما خاف عليهم الإملال أحب أن يُجِمَّهم فأمرهم بالأخذ في مُلَحِ الحكايات»[8]. وقال علي بن أبي طالب: «أجِمُّوا هذه القلوب؛ فإنها تمل كما تمل الأبدان»[9]. وعن أبي الدرداء قال: «إني أستجِمُّ ببعض الباطل(**) ليكون أنشط لي في الحق»[10]. وقال ربيعة الرأي: «المروءة ست خصال: ثلاثة في الحضر، وثلاثة في السفر؛ ففي الحضر: تلاوة القرآن، وعمارة مساجد الله، واتخاذ القرى في الله. والتي في السفر: بذل الزاد، وحسن الخلق، وكثرة المزاح في غير معصية»[11]. وكان ابن سيرين يمزح ويضحك حتى يسيل لعابه، وإذا أردته على شيء من دينه كانت الثريا أقرب إليك من ذلك[12]. وقال ابن عباس: «المزاح بما يحسن مباح، وقد مزح رسول الله ﷺ فلم يقل إلا حقاً»[13]. وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي: «الناس في سجن ما لم يمزحوا»[14]. وقال ابن حبان: «الواجب على العاقل أن يستميل قلوب الناس إليه بالمزاح وترك التعبيس»[15].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦١٢٩).

(٢) رواه البغوي وحسنه محقق شرح السنة (٣٦٠٢).

(٣) رواه البغوي في شرح السنة (٣٦٠٤) وصحح المحقق إسناده، ونقل عن الحافظ تصحيحه في الإصابة.

(٤) شرح السنة (١٣/١٨٤). (٥) ذكره البخاري في صحيحه معلقاً مجزوماً به (١٢/١٥٧) فتح.

(*) أحمضوا: قال ابن منظور: أحمض القوم إحماضاً: إذا أفاضوا فيما يؤنسهم من الحديث والكلام. (لسان العرب، مادة حمض).

(٦، ٧، ٨) شرح السنة (١٣/١٨٣).

(٩، ١٠، ١١) شرح السنة (١٣/١٨٤).

(**) الباطل هنا ليس الذي هو ضد الحق ولكنه الهزل. قال ابن منظور: بَطِلَ في حديثه بطالة، وأبطل: هَزَل. (لسان العرب، مادة بطل).

(١٢) بهجة المجالس (٢/٥٦٨). (١٣، ١٤) بهجة المجالس (٢/٥٦٧).

(١٥) روضة العقلاء، ص ٧٦.

وهنا مسألة:

نقل عن بعض السلف كراهة المزاح ومنعه، بل روي عن النبي ﷺ: «لا تمارِ أخاك ولا تمازحه»[١].

ونقل عن بعضهم قوله: «لكل شيء بدء، وبدء العداوة المزاح». وكان يقال: «لو كان المزاح فحلاً ما ألقح إلا الشر».

وقال جعفر بن محمد: «إياكم والمزاح؛ فإنه يذهب بماء الوجه». وقال إبراهيم النَّخْعي: «لا يكون المزاح إلا في سخف أو بطر»[٢]. وقال الإمام ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ: «وقد كره جماعة من العلماء الخوض في المزاح لما فيه من ذميم العاقبة ومن التوصل إلى الأعراض واستجلاب الضغائن وإفساد الإخاء»[٣].

فكيف نجمع بين هذا وبين ما سبق تقريره في حكم المزاح؟

والجمع بين ذلك ـ كما قال الحافظ في الفتح ـ: «والجمع بينها: أن المنهي عنه ما فيه إفراط أو مداومة عليه لما فيه من الشغل عن ذكر الله والتفكر في مهمات الدين، ويؤول كثيراً إلى قسوة القلب والإيذاء والحقد وسقوط المهابة والوقار. والذي يسلم من ذلك هو المباح. فإن صادف مصلحة مثل تطييب نفس المخاطب ومؤانسته فهو مستحب»[٤].

المسألة الثالثة: أنواع المزاح:

المزاح نوعان:

١ ـ **محمود:** وضابطه كما قال ابن حبان: «هو الذي لا يشوبه ما كره الله عز وجل، ولا يكون بإثم ولا قطيعة رحم»[٥].

٢ ـ **مذموم:** وضابطه كما قال ابن حبان أيضاً: «الذي يثير العداوة، ويُذهب البهاء، ويقطع الصداقة، ويجرئ الدنيء عليه، ويحقد الشريف به»[٦].

ولكي يكون أكثر وضوحاً؛ فإننا نسرد بعض فوائد المزاح وبعض مخاطره، فنقول:

قال بعضهم: «من فوائد المزاح أنه[٧]: يسلي الهم، ويرقع الخَلَّة، ويحيي النفوس، ويميل قلوب الناس إليه». كتب أحدهم إلى صاحب له: «ولنا بعدُ مذهب في الدعابة جميل لا يشوبه أذى ولا قذى، يُخرج إلى الأنس من العبوس، وإلى الاسترسال من القطوب، ويلحقنا بأحرار الناس وأشرافهم الذين ارتفعوا عن لبسة الرياء والتصنع»[٨].

وكما أن للمزح فوائد فإن له مخاطر، منها[٩]:

إفساده المودة، وإيغار الصدور، وإثارة العداوة، وذهاب البهاء، وتجرئة الدنيء، وحقد الشريف، وإحياء الضغينة. وهذا ما حدا مسعَر بن كِدام إلى أن ينصح ابنه كداماً قائلاً[١٠]:

إني نحلْتُك يا كِدَامُ نصيحتي
فاسمع مقال أب عليك شفيقِ
أما المزاحة والمراء فدعهما
خُلقان لا أرضاهما لصديقِ
إني بلوتهما فلم أحمدهما
لمجاورٍ جاراً ولا لشقيقِ

---

(١) رواه الترمذي (١٩٩٥) وضعف إسناده الحافظ في البلوغ (١٣٠٧).
(٢) انظر جميع ما سبق في بهجة المجالس (٢/٥٦٩ وما بعدها).
(٣) المرجع السابق (٢/٥٦٩).
(٤) فتح الباري (١٢/١٥٨).
(٥، ٦) روضة العقلاء، ص ٧٧.
(٧) مسافر في قطار الدعوة، ص ٢٤٧.
(٨) عيون الأخبار (١/٣٧٤).
(٩، ١٠) روضة العقلاء، ص ٧٧، ٧٨.

وقال آخر[1] :

وإيـاك من حـلو المـزاح ومــــره
ومن أن يراك الناس فـيـه ممارايا
وإن مــراء المـرء يُخلِق وجـــهــه
وإن مـزاح المرء يبـدي الـتـشـانيـا
دعـاه مــزاح أو مــراء إلـى التي
بهـا صـار مـقلـيَّ الإخـاء وقـاليـا

المسـألة الرابعـة: ضـوابط المزح المحمود[2] :

١ - ألاَّ يكون إلا حقاً. كما سبق من قول النبي ﷺ : «إني لا أقول إلا حقاً»[3].

٢ - ألاَّ يداوم المرء عليه، بحيث يكون صفة لازمة؛ لأن الجد من سمات العاملين. يقول محمد أحمد الراشد: «وقضايا الإسلام أوفر جداً وأثقل هموماً من أن تدع عصبة من الدعاة تطيل الضحك، وتستجيز المزاح، وتتخذ لها من صاحب خير فيها محور تندُّر تروي قصصه وغرائبه. والابتسامة علامة المؤمن ولسنا ننكرها، والنكتة في ساعتها سائغة، والأريحية أصل في سلوكنا، والألفة والبشاشة ليس العبوس. والقهقهة الأولى لك والثانية نهبها لك أيضاً فإنَّا كرماء، ولكن الثالثة عليك وتشفع حسناتك لها عندنا، وأما الرابعة فيلزمها حد لا شفاعة فيه. وشعار الضحك للضحك باطل، والهزل الهزيل مرفوض في أوساط العمل الإسلامي، وإنما الداعية مفوض بالجد والتجديد»[4].

٣ - ألاَّ يشتمل المزاح على مساوئ الأخلاق ومعايب الكلام مما ينكره الشرع أو يمجه الطبع.

٤ - اختيار الوقت المناسب والمكان المناسب.

وقد ذكر الدكتور عادل الشويخ ـ رحمه الله ـ أوقاتاً يجمل فيها المزاح. فقال: أجمل ما قد يكون المزاح بعد صلاة الفجر؛ ودليله ما رواه سماك بن حرب قال: قلت لجابر بن سمرة: «أكنت تجالس رسول الله ﷺ؟ قال: نعم! كثيراً ما كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح أو الغداة حتى تطلع الشمس فيضحكون ويبتسم»[5]، وقال: «ومن الأوقات ـ أيضاً ـ بعد صلاة العشاء. أي: السمر فيه»[6]، وقال ـ أيضاً ـ «ويقال: إذا كانت المؤانسة تصح من الأهل[7] فهي تصح من الإخوان والخلان، ويزداد استحبابها إذا كانت لمصلحة الدعوة في بذل النصح، وتقريب القلوب، وزيادة المودة، وإزالة الكدر، وإيجاد أجواء الحب والتعارف»[8].

قلت: إن الوقت يخضع لنظر المازح حسب اختلاف الأحوال.

وخلاصة الضوابط في رأيي أن ينظر لها من زاويتين:

---

(١) المرجع السابق، ص ٧٩.

(٢) ينظر: فتح الباري (١٢/١٥٨)، الأذكار للنووي، ص ٤٦٨، مسافر في قطار الدعوة، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٧.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) تقرير ميداني، ص ٢٣.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٦٧٠).

(٦) مسافر في قطار الدعوة، ص ٢٤٥.

(٧) ينظر فتح الباري (١/٢٧٨ ـ ٢٨٨).

(٨) مسافر في قطار الدعوة، ص ٢٤٥.

١ - ذات المزح.

٢ - آثاره.

فمتى كان أحدهما أو كلاهما حراماً فهو حرام وإلا فلا.

وهذه فائدة ساقها لنا الإمام النووي في المزاح فقال: «المزاح المنهي عنه هو الذي فيه إفراط ويداوم عليه؛ فإنه يورث الضحك وقسوة القلب، ويشغل عن ذكر الله والفكر في مهمات الدين، ويؤول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء، ويورث الأحقاد، ويسقط المهابة والوقار. فأما ما سلم من هذه الأمور فهو المباح الذي كان رسول الله ﷺ يفعله فإنه كان يفعله؛ في نادر من الأحوال لمصلحة، لتطييب نفس المخاطب ومؤانسته، وهذا لا مانع منه مطلقاً، بل هو سنة مستحبة إذا كان بهذه الصفة، فاعتمِدْ ما نقلناه عن العلماء وحققناه؛ فإنه مما يعظُم الاحتياج إليه. والله الموفق»(١).

تنبيه:

مما تجدر الإشارة إليه أنه يوجد ما يغني عن كثير من المزاح إذا أحسن المرء استخدامه، ألا وهو التباسط. وهذا مفيد لمن لم يعطه الله طابع المزح والمرح. ولكن لا تنس أن للتباسط آداباً.

المسألة الخامسة: نقاط متفرقة:

اجعل لك هدفاً في مزاحك حتى يؤتي ثماره.

المزاح كالملح في الطعام فاجعله قدراً، ولكن لا تنس أن بعض الناس لا يأكلون الطعام إذا كان فيه ملح.

قال الشاعر:

أفد طبعك المكدود بالجِدِّ راحة ... يُجمُّ وعلِّله بشيء من المَزحِ

ولكن إذا أعطيته المَزْح فليكن ... بمقدار ما تُعطي الطعام من المِلْحِ

فبعض الناس لا يناسبه المزاح كما نقل الذهبي في سِيَره عن خلف بن سالم: «كنا في مجلس يزيد ابن هارون فمزح مع مستمليه، فتنحنح أحمد بن حنبل، فقال يزيد: من المتنحنح؟ فقيل له: أحمد بن حنبل. فضرب على جبينه وقال: ألا أعلمتموني أن أحمد هاهنا حتى لا أمزح»(٢).

وبعض الناس قد يجره مزحك معه إلى إيذائك كما قيل: «لا تمازح الغلمان فتهون عليهم أو يجترئوا عليك»(٣). وقيل: «لا تمازح الشريف فيحقد عليك، ولا تمازح الوضيع فيجترئ عليك»(٤).

قال ابن حبان: «من مازح رجلاً من غير جنسه هان عليه واجترأ عليه، وإن كان المزاح حقاً؛ لأن كل شيء يجب ألا يسلك به غير مسلكه ولا يظهر إلا عند أهله. على أني أكره استعمال المزاح بحضرة العامة، كما أكره تركه عند حضور الأشكال»(٥).

قال ابن المقفع: «وعلى العاقل أن يجعل الناس طبقتين متباينتين، ويلبس لهم لباسين مختلفين: فطبقة من العامة يلبس لها لباس انقباض وانحجاز وتحفظ في كل كلمة وخطوة، وطبقة من الخاصة يخلع عندهم لباس التشدد، ويلبس لباس الأنسة واللطفة والبذلة والمفاوضة، كلهم ذو فضل في الرأي وثقة في المودة وأمانة في السر ووفاء بالإخاء»(٦).

---

(١) الأذكار، ص ٤٦٨.

(٢) سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٧١).

(٣، ٤) روضة العقلاء، ص ٧٧.

(٥) روضة العقلاء، ص ٨٠.

(٦) الأدب الصغير، ص ٤١.

قال الدكتور عادل الشويخ: «ألاَّ يكون المزح إلا مع الأقران؛ لأن المزاح مع الأعلى يؤذيه، ومع الأقل يؤدي إلى الجرأة على المازح، وكذلك ينبغي البعد عن ممازحة الأعداء لما يقود إلى مفسدة تؤذي الداعية في دينه ودنياه»(١).

فحاول أن تدرس شخصية من أمامك: هل هو مناسب أم لا؟ ولعل هذا هو هدي النبي ﷺ، فلم يكن يمازح كل أصحابه.

● لعل من المناسب ألاَّ تمزح مع شخص أول مرة حتى تعرفه.

● إياك والتجريح في المزاح.

● لا تتكلف المزح.

● احذر الأريحية الزائدة مع البعض.

● أشعِر من تمازحه أنك تحترمه. وهذا كان هدي النبي ﷺ مع من يمازحه، مثل قوله: «لكن عند الله أنت غال».

● احذر أوقات انفتاح النفس.

● أحسِن التصرف مع من يخطئ معك في مزحه حسب ما يناسب المقام: من رد مفحم، أو تجاهل، أو تحديق النظر فيه أو غير ذلك من الأساليب الناجعة.

المسألة السادسة: أسئلة ينبغي مراعاتها عند المزاح:

١ - هل هذا الوقت مناسب؟

٢ - هل هذا الشخص مناسب؟

٣ - هل هذا الكلام أو الفعل «ذات المزح» مناسب؟

٤ - هل هذا المكان مناسب؟

المسألة السابعة: صور من مزح السلف(٢):

١ - قال غالب القطَّان: أتيت محمد بن سيرين وكان مزَّاحاً فسألته عن هشام بن حسان، فقال: تُوفي البارحة أما شعرت؟ فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، فضحك وقال: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢].

٢ - قيل لابن سيرين: إن قوماً يقولون من الشعر ما يوجب الوضوء، فعجب من جهلهم وكان في المسجد فتمثل:

نُبِّئتُ أن فتاة كنت أخطبها
عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

فقام واستقبل القبلة وكبر مفتتحاً صلاته.

٣ - ودخل رجل على الشَّعبي ومعه في البيت امرأة، فقال: أيكم الشعبي؟ فقال الشعبي: هذه.

٤ - وسُئل الشعبي عن لحم الشيطان فقال: نحن نرضى منه بالكفاف. قال: فما تقول في الذبان؟ قال: إن اشتهيتَه فكله.

٥ - سأل رجل الشعبي: هل يجوز للمُحرِم أن يحك بدنه؟ قال: نعم، قال: مقدار كم؟ قال: حتى يبدو العظم.

٦ - وسُئل: عن الرجل يغتسل في البحر إلى أين يتوجه؟ قال: يتوجه إلى ثيابه حتى لا تسرق.

٧ - ودخل يوماً الحمَّام فوجد صديقاً له متجرداً فأغمض عينيه، فقال له صديقه: منذ متى عميت؟ فقال له الشعبي: منذ أن هتك الله سترك.

---

(١) مسافر في قطار الدعوة، ص ٢٤٥.

(٢) انظر: عيون الأخبار (٢/٢٦٤ وما بعدها)، بهجة المجالس (٢/٥٥٦ وما بعدها).

حتى نستفيد من التخصصات الإنسانية

محمد بن عبد الله الدويش

كان الحديث في المقال السابق حول أهمية الاستفادة من التخصصات الإنسانية والاعتناء بها، ونواصل الحديث في هذه المقالة عن هذا الموضوع بالإشارة إلى بعض مجالات الاهتمام بالدراسات الإنسانية والإفادة منها.

فمن هذه المجالات:

أولاً: توثيق الصلة مع المتخصصين في هذه التخصصات ممن يحملون الغيرة الإسلامية، والسعي لتنظيم أعمال وبرامج علمية جماعية مشتركة مع أمثال هؤلاء، وهذا النوع من التواصل والتعاون لا يمكن أن يحقق ثمرته ما لم ينطلق أصحابه فيه من فضاء يتجاوز الحدود الحزبية، والخطوات التصنيفية.

ثانياً: الاستفادة من النتاج المتاح في هذا الميدان، والمتمثل في الرسائل الجامعية، والدراسات المنشورة في الدوريات العلمية، وبحوث المؤتمرات واللقاءات العلمية وأعمالها، ويمكن أن يتسع مدى الاستفادة من هذا النتاج باعتناء طائفة من المهتمين بفهرسة هذه المواد المهمة وتصنيفها

ثالثاً: كثير من المتخصصين في الدراسات الإنسانية حصلوا على شهاداتهم العلمية من جامعات غربية، وتناولت رسائلهم العلمية دراسات ميدانية اهتمت بمجتمعات المسلمين، وكثير منها يحوي نتائج في غاية الأهمية، ولا أقل من أن يقوم كل منهم بترجمة نتاجه وطباعته ليكون قريب التناول من المهتمين، وإن كان المنتظر منهم أكثر من ذلك.

رابعاً: تنظيم برامج تأهيلية ودورات فيما يحتاجه الدعاة من هذه التخصصات، فلا يسوغ بحال أن

نكون في عصر يحترم المنهج العلمي، ويعتني بالتخصص، فيكوِّن طائفة من المربين والمصلحين نظرتهم للإنسان والمجتمعات والمتغيرات التي تؤثر فيها ـ من خلال آراء واقتناعات شخصية، وأن يتحدثوا في هذا الباب فيما لا يحسنون ولا يجيدون؟

إن الدعاة اليوم على اختلاف ميادين أعمالهم بحاجة إلى قدر من الثقافة العلمية في الظاهرة الإنسانية، ومن ثَمَّ فتنظيم هذه البرامج والدورات، وإسهام المختصين في ذلك أمر لا يقل أهمية عن الدورات الإدارية والقيادية التي بدأ الشعور بأهميتها والتفاعل معها يتنامى، وبدأت تشهد إقبالاً واهتماماً واضحاً.

خامساً: وهو أهم هذه المجالات: توجيه طائفة ممن يملك القدرات العقلية والعلمية، ويحمل الحس والغيرة الدعوية إلى التخصص في هذه الميادين والأنواع ودراستها؛ فهي أولى بكثير من التخصصات التي غاية ما فيها أن تشغل أوقات أصحابها، ثم تهيئهم لفرص عمل ووجاهة اجتماعية ليتجهوا بعد ذلك للاعتناء بغير تخصصاتهم.

إننا نحتاج اليوم إلى أن يتولى العمل الإعلامي مختصون في الإعلام بدلاً من الأطباء، وبحاجة إلى أن يتولى الجانب الإداري ويهتم به مختصون في الإدارة بدلاً من الحاسب الآلي، وإلى أن يتحدث في الجوانب التربوية المختصون فيها بدلاً من الصيادلة والمهندسين. ونحتاج إلى أن يكون حضورنا الأكاديمي في التخصصات الإنسانية أكثر منه في التخصصات التطبيقية.

ويمكن الاتجاه لهذه التخصصات في الدراسات العليا وبعد الدراسة الجامعية، وهذا يهيئ اتجاه طائفة ممن ملكوا قدراً من النضج والاستقرار، وقدراً من العلم الشرعي حين يكونون خريجي كليات شرعية، مما يعطيهم قدرة أكثر على التأصيل الشرعي لهذه العلوم والتخصصات والإفادة منها.



كيف نتعامل مع المبتدعة؟

سليمان الخضير

كان مما تزامن مع إقبال المسلمين على السُّنَّة وعنايتهم بها - علماً وعملاً - الأخذ بمبدأ كراهة البدعة وأهلها وإنكارها عليهم؛ وفقاً للسنة الإلهية وتبعاً للحكم الشرعي.

غير أنه مما صاحب ذلك عند فئام من الناس قدر من الحماسة يصاحبها قدر من قلة العلم ومعرفة القواعد والمقاصد الشرعية التي تضبط تصرفات المكلفين؛ مما أضعف تقدير المصالح والمفاسد.

وتبعاً لذلك كانت هناك رؤى متضاربة وتصرفات متباينة إزاء المبتدعة أجمل وصفها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بوصفه لاختلاف الناس في أخذهم بعقوبة (هجر المبتدع) فقال: «إن أقواماً جعلوا ذلك عاماً، فاستعملوا من الهجر والإنكار ما لم يؤمروا به [مما] لا يجب ولا يستحب، وربما تركوا به واجبات أو مستحبات وفعلوا به محرمات، وآخرون أعرضوا عن ذلك بالكلية؛ فلم يهجروا ما أُمِروا بهجره من السيئات البدعية، بل تركوها ترك المعرض لا ترك المنتهي الكاره... ولا يعاقبون بالهجرة ونحوها من يستحق العقوبة عليها، فيكونون قد ضيعوا من النهي عن المنكر ما أمروا به إيجاباً أو استحباباً... ودين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه»[(١)].

وقد ظن أناس أن (هجر المبتدع) حكم شرعي لازم كملازمة المسببات لأسبابها، وهو بمنزلة الحدّ أو هو كالبراء. والواقع أن هجر المبتدع - كغيره من عقوبات المبتدعة وأهل المنكرات - من المصالح المرسَلة التي تقدر بقدرها، ويعمل بها حسب الحال.

من هنا رغبت في جمع نظائر في موضوع التعامل مع المبتدعة وترتيبها على شكل فقرات لتكون معالم للمنهج الشرعي في التعامل مع عامة ذوي المخالفات الشرعية، وخاصة المبتدعة[(٢)].

---

(١) مجموع الفتاوى: (٢٨/٢١٣).

(٢) وقد أكثرت فيها - مع اختصارها - من النقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - لأمور:

- مشابهة زماننا لزمانه في أمور هذه منها.
- أنه من محققي العلماء الذين يقدمون خلاصات لكلام السلف المتقدمين.
- ما رزقه الله - سبحانه - من قبول وقناعة في أوساط أهل السنة.

أولاً: لا يجوز أن نتدين باتخاذ موقف سلبي من مسلم بسبب أمور وقع فيها إلا بعد أن يغلب على ظننا أنها بدعة أو معصية، من خلال معرفة كون ذلك العمل ـ أو الأعمال ـ بدعة فعلاً أو معصية؛ فإن جملة من الخلافات التي تقع بين الناس في المسائل الشرعية يكون سببها قصر النظر في فهم الخلاف المذهبي الفقهي، وفي الوقت ذاته توسيع دائرته ليصبح خلافاً عقدياً أو مخالفات شرعية[1]، أو ربما كانت في أمور دنيوية ليست من الشرع أصلاً.

فينبغي للمسلم أن يتعرف إلى مفهوم البدعة وماذا يشمل؛ فإن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، ولتقريب مفهوم البدعة يمكن أن تعرَّف بأنها: كل ما لم يشرعه الله ورسوله ﷺ، مثل:

- ما تخلف فيه واحد من شروط الاتباع، وهي أن يوافق السنة في زمانها ومكانها وسببها وقدرها وصفتها وعددها، كتخصيص يوم للاجتماع فيه على عبادة، كما خص الشارع أيام الأعياد.
- أو ما هو مخالف للقرآن أو السنة عند أهل العلم، كبدعة الخوارج والرافضة.
- أو المداومة على خلاف ما داوم عليه النبي ﷺ من العبادات كمداومة الاجتماع لصلاة تطوع مثل قيام الليل أو قراءة قرآن أو ذكر.
- ومن الابتداع جعل الامتناع عن المباحات ديناً.

ومن المهم استحضاره ـ أيضاً ـ: أن البدع ليست بدرجة واحدة، بل تتفاوت بقدر ما ارتبط بها من مفسدة، كما قال الشاطبي: «كل بدعة عظيمة، بالإضافة إلى مجاوزة حدود الله بالتشريع، إلا أنها ـ وإن عظمت لما ذكرناه ـ فإذا نسب بعضها إلى بعض تفاوتت رتبها: فيكون منها صغار وكبار؛ إما باعتبار أن بعضها أشد عقاباً من بعض؛ فالأشد عقاباً أكبر مما دونه، وإما باعتبار فوات المطلوب في المفسدة»[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن الطوائف المنتسبة إلى مبتدعين في أصول الدين على درجات: فمنهم من يكون قد خالف السنة في أصول عظيمة، ومنهم من يكون قد خالف السنة في أمور دقيقة»[3].

ثانياً: معالم في التعامل مع أهل البدع:

المَعْلَم الأول: يراعى في التعامل مع أهل البدع أن يكون قائماً على أصلين: الإخلاص، والمتابعة.

وذلك أن الحكم ببدعة ما واتخاذ موقف من أهلها مسائل شرعية نحن متعبدون بها، فيشترط لها ما يشترط لسائر العبادات، ومعنى الأخذ بالإخلاص: أنه ينبغي ألا يكون الموقف (عقاباً أو تألفاً) إزاء أحد من المبتدعة تشهياً ولا تشفياً. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فمن هجر لهوى نفسه أو هجر هجراً غير مأمور به كان خارجاً عن هذا[4]، وما أكثر ما تفعل النفوس ما تهواه ظانة أنها تفعله

---

(١) ولا أدعي ـ هنا ـ أن كل ما جاء في المذاهب شرعي وفق السنة... ولكن الذي أحمد الله عليه أنه يكاد ألا ينسب لعالم من علماء المذاهب المعتبرة ما يحكم ببدعته الصرفة، والبدع المتفشية في أوساط الناس المنتسبين للمذاهب هي مما جاء بعدهم؛ فألصقت بالمذهب الذي يحمل اسم هذا العالم أو ذاك، وكان أئمة المذاهب من أغير الناس على شرع الله ودينه أن يحدث فيه ما ليس منه، كيف وقد حفلت كتبهم بعبارات اطراح رأيهم لحديث رسول الله ﷺ.

(٢) الاعتصام للشاطبي، ١/٦١.　　(٣) مجموع الفتاوى، ٣/٣٤٨.

(٤) أي عن الهجر الشرعي.



طاعة لله!»[1]. وقال ـ رحمه الله ـ عن الرجل «إذا كان مبتدعاً يدعو إلى عقائد تخالف الكتاب والسنة أو يسلك طريقاً يخالف الكتاب والسنة... بُيِّن أمره للناس؛ ليتقوا ضلاله ويعلموا حاله، وهذا كله يجب أن يكون على وجه النصح وابتغاء وجه الله ـ تعالى ـ لا لهوى الشخص مع الإنسان؛ مثل أن يكون بينهما عداوة دنيوية أو تحاسد أو تباغض أو تنازع على الرئاسة، فيتكلم بمساوئه مظهراً للنصح وقصده في الباطن الغض من الشخص واستيفاؤه منه؛ فهذا من عمل الشيطان»[2].

أما متابعة هدي رسول الله ﷺ في التعامل معهم فهو ما سنستوضح معالمه في هذه المقام.

المَعْلَم الثاني: أهل السنة يعلمون الحق ويرحمون الخلق:

والمبتدع من أولئك الخلق الذين يرحمهم أهل السنة مع يقينهم بكونهم على بدعة يستحقون بها العقوبة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «وأئمة السنة والجماعة وأهل العلم والإيمان فيهم العلم والعدل والرحمة، فيعلمون الحق الذي يكونون فيه موافقين للسنة سالمين من البدعة، ويعدلون مع من خرج منها ـ ولو ظلمهم ـ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨] ويرحمون الخلق فيريدون لهم الخير والهدى والعلم، ولا يقصدون لهم الشر ابتداءاً، بل إذا عاقبوهم وبينوا خطأهم وجهلهم وظلمهم كان قصدهم بذلك بيان الحق ورحمة الخلق»[3].

وقال: «وإذا نظرت إلى المبتدعة بعين القَدَر ـ والحَيْرة مستولية عليهم، والشيطان مستحوذ عليهم ـ: رحمتهم وترفقت بهم؛ أوتوا ذكاءاً وما أوتوا زكاءاً، وأعطوا فهوماً وما أعطوا علوماً، وأعطوا سمعاً وأبصاراً وأفئدة ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦][4].

يمثل هذا الخلق العالي أبو أمامة الباهلي ـ رضي الله عنه ـ لما رأى سبعين رأساً من رؤوس الخوارج ـ وقد جُزَّت ونُصِبَتْ على درج دمشق ـ قال: «سبحان الله! ما يصنع الشيطان ببني آدم؟ كلاب جهنم، شر قتلى تحت ظل السماء، ثم بكى وقال: إنما بكيت رحمة لهم حين رأيتهم كانوا من أهل الإسلام»[5].

المعلم الثالث: أهل البدع مستوجبون للعقوبة[6]:

وذلك لمخالفتهم أمر الله ـ تعالى ـ ونهيه وأمر رسوله ﷺ ونهيه، سواء كانت تلك المخالفة في القلب عن اعتقاد أو كانت من أعمال الجوارح، وهم من جنس مواقعي المنكر ينكر عليهم بالقلب واللسان واليد.

فأما العقوبات المشروعة في حق المبتدع فمنها:

١ ـ هجرهم[7].

(١) مجموع الفتاوى، ٢٨/٢٠٧.

(٢) مجموع الفتاوى، ٢٨/٢٢١.

(٣) الرد على البكري: (٢٥٧).

(٤) مجموع الفتاوى (الحموية)، ٥/١١٩.

(٥) الاعتصام، للشاطبي، ١/٧١.

(٦) انظر ضوابط إيقاع العقوبة في آخر البحث.

(٧) مجموع الفتاوى، ٢٤/١٧٥.

قال ابن عبد البر في فوائد حديث كعب بن مالك في الذين خلفوا: «وهذا أصل عند العلماء في مجانبة من ابتدع، وهجرته، وقطع الكلام عنه»[1].

وقال البَغْوي: «وفيه - أي حديث كعب بن مالك - دليل على أن هجران أهل البدع على التأبيد... وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدعة ومهاجرتهم»[2].

ومن الهجر: عدم أخذ العلم عنه، ولا مناكحته، ولا الصلاة خلفه مع وجود إمام غيره؛ فإن كان هو الوالي فإنه يصلي خلفه الصلوات التي لا يمكنه فعلها إلا خلفه كالجمع والأعياد، ولا يعيد[3].

٢ - عدم الاستماع لكلامهم ومجالستهم:

وهو لون من ألوان الهجر، وقد جاء عن أبي زُرعة عن أبيه قال: «لقد رأيت صَبيغ بن عِسْل بالبصرة كأنه بعير أجرب يجيء إلى الحلَق فكلما جلس إلى حلقة قاموا وتركوه، فإن جلس إلى قوم لا يعرفونه ناداهم أهل الحلقة الأخرى: عزيمةَ أمير المؤمنين»[4].

وقال رجل من أهل الأهواء لأيوب السختياني: أسألك عن كلمة، فولَّى أيوب وهو يقول: «لا، ولا نصف كلمة - مرتين يشير بأصبعيه -»[5].

قال شيخ الإسلام: «لا يجوز الاستماع إلى أهل البدع، ولا النظر في كتبهم لمن يضره ذلك»[6].

٣ - الإنكار والرد عليهم:

فيجب كشف بدعة المبتدع ولو أدى إلى غِيبته؛ إذ ليس لمعلن البدعة غِيبة[7]، إلا إن كانت البدعة خفية فتدحض بحسب درجة خفائها، ولا يعلن بإنكارها لئلا يكون سبباً في فشو أمرها، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «يجب الإنكار على أهل البدع ولو كانت بدعتهم بقصد حسن»[8].

وفي موضع آخر: «ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة؛ فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين... ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب؛ فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً، وأما أولئك فيفسدون القلوب ابتداءاً»[9].

٤ - حرمانه من بعض الأمور:

كحرمانه من إعطاء الزكاة إن كان فقيراً إلى أن يتوب[10]، كما أنه لا تقبل شهادته، ويحرم من الإمامة في الصلاة كل ذلك لمن يملك منعه وحرمانه.

٥ - العقوبات البدنية:

وقد تصل للقتل لمن يملك ذلك، وأوضح مَن يصدق عليه ذلك: الداعيةُ لبدعة المصرُّ عليها، كما جرى للجَعْد وغيلان والجَهْم، وقد تكون العقوبة بما دون القتل[11].

---

(١) عن تحفة الإخوان: (٤٥).

(٢) شرح السنة، ١/٢٢٦، ٢٢٧.

(٣) مجموع الفتاوى، ٢٣/٣٤٢، ٣٥٣، ٢٨/٢٠٥.

(٤) شرح أصول أهل السنة للالكائي: (رقم الأثر: ١١٤٠).

(٥) شرح أصول أهل السنة للالكائي: (رقم الأثر: ٢٩١).

(٦) مجموع الفتاوى: (١٥/٣٣٦).

(٧) مجموع الفتاوى، ٣٥/٤١٤، ١٥/٢٨٦.

(٨) مجموع الفتاوى، ٢٤/٢٩٢.

(٩) المصدر السابق، ٢٨/٢٣١.

(١٠) مجموع الفتاوى، ٢٨/٥٧٢.

(١١) المصدر السابق، ٣٥/٤١٤، مختصر الفتاوى المصرية، ٦٠٢، الاختيارات العلمية، للبعلي، ٥١٩.

المَعْلَم الرابع: المقاصد الشرعية في تعامل أهل السنة مع المبتدعة:

هذه المقاصد منها ما يعود إلى الهاجرين القائمين بهذه الوظيفة الشرعية، ومنها ما يعود إلى المهجور، ومنها ما يعود إلى عامة المسلمين، كما أن منها ما روعي فيه جناب الشريعة وحماية السنن من البدع والأهواء.

وعند الحديث عن التعامل مع المبتدعة فالمقصود وجها التعامل: بالعقوبة بأي من صورها، أو بالتأليف المشروع عند الحاجة إليه؛ فإن المغلب في التعامل معهم هو جانب إيقاع العقوبة (بحسبها)، لكن تلك المقاصد تشمل ما لو كان ذلك التعامل تألفاً وتودداً.

المقصد الأول: إصلاحهم وهدايتهم.

فليس المبتدع - في الجملة - شراً من الكفار الذين شرع لنا دعوتهم ودلالتهم على الحق، بل ربما كان فيهم من القرب للحق ما يدعو للاهتمام بهم، وبخاصة إذا كانت البدعة عن جهل وبُعد عن مصادر العلم. وقد ناظر ابن عباس - رضي الله عنه - الخوارج فرجع منهم من أراد الله به الخير والهداية[1].

قال الخطابي: «إن هجرة أهل الأهواء والبدعة دائمة على مر الأوقات والأزمان ما لم تظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحق»[2].

وتقدم - قريباً - قول شيخ الإسلام: «يريدون لهم الخير والهدى والعلم، ولا يقصدون لهم الشر ابتداءً، بل إذا عاقبوهم وبينوا خطأهم وجهلهم وظلمهم كان قصدهم بذلك بيان الحق ورحمة الخلق».

المقصد الثاني: حماية الشريعة.

فإن الزجر بالعقوبة منهج شرعي من جنس الجهاد في سبيل الله؛ لتكون كلمة الله هي العليا، وأداءً لواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ تقرباً إلى الله - تعالى - بواجب الحب والبغض فيه - سبحانه - كما أن إيقاع العقوبة - بالهجر أو غيره - سبب لبعث اليقظة في نفوس المسلمين من الوقوع في هذه البدعة وتحذيرهم، ومن حماية الشريعة حصر انتشار البدعة الذي يحصل بقمع المبتدع وزجره فيضعف عن نشر بدعته[3].

قال الشاطبي: «إن توقير صاحب البدعة مظنة لمفسدتين تعودان بالهدم على الإسلام:

إحداهما: التفات العامة والجهال إلى ذلك التوقير.

الثانية: يكون كالحادي المحرِّض له على انتشار الابتداع في كل شيء»[4].

ولذلك كان موقف عمر - رضي الله عنه - من البدع صارماً؛ فكان حازماً في سد أبواب الابتداع مع توسع البلاد الإسلامية كما تقدم قريباً عن أبي زرعة عن أبيه قال: «لقد رأيت صَبيغ بن عِسْل[5] بالبصرة كأنه بعير أجرب يجيء إلى الحِلَق فكلما جلس إلى حلقة قاموا وتركوه، فإن جلس إلى قوم لا يعرفونه ناداهم أهل الحلقة الأخرى: عزيمة أمير

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية بإسناد صحيح كما قال ابن تيمية في منهاج السنة، ٨/٥٣٠، وانظر: مجلة البيان العدد ١٢، ص ٢٢.

(٢) معالم السنن، ٤.

(٣) رسالة هجر المبتدع، للعلامة بكر أبو زيد، نشرت في مجلة البيان على حلقات، والنص في العدد ١٥، ص ١٦.

(٤) الاعتصام، ١/١١٤.

(٥) صبيغ بوزن عظيم مكبراً، وعسل بكسر العين وسكون السين. انظر الإصابة للحافظ ابن حجر، ٢/١٩١، رقم الترجمة (٤١٢٣) القسم الثالث من حرف الصاد.

المؤمنين»[1]. و«الدين لا يذهب من القلوب بمرة، ولكن الشيطان يُحدث له بدعاً حتى يخرج الإيمان من قلبه»[2].

المَعْلم الخامس من معالم التعامل مع المبتدعة: العدل معهم:

في الوقت الذي ندين لله - تعالى - ببغض المبتدع واستيقان استحقاقه للعقوبة: نلزم أنفسنا بما ألزمنا الله به من العدل والإنصاف؛ فالعدل منهج شرعي في كل شيء، على أن «العدل المحض في كل شيء - كما يقول شيخ الإسلام - متعذر علماً وعملاً، ولكن الأمثل فالأمثل»[3]، وأصل هذا المعلم قول الله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

فمن العدل: ذكر ما لهم من صواب:

وذلك بحسب المقام والحال، واعتبار المصالح والمفاسد؛ والجمع بين ذكر محاسن المبتدع والتحذير منه غير سائغ في كل مقام، وإفراد المحاسن بالذكر مظنة الاغترار، والاقتصار - في جميع الأحوال - على التحذير وذكر المثالب بخس وإجحاف، ولكن حسب ما يقتضيه المقام.

ويمثل هذا المَعْلَم الإمام الذهبي - رحمه الله - في تراجمه، كما في قوله عن الفخر الرازي: «المفسر المتكلم... كان فريد عصره، ومتكلم زمانه، وكان ذا باع طويل في الوعظ، ويبكي كثيراً في وعظه»[4].

ويتمثله شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في حديثه عن الباقلاني الأشعري - مثلاً - فيقول: «مع ما كان فيه من الفضائل العظيمة والمحاسن الكثيرة والرد على الزنادقة والملحدين وأهل البدع، حتى إنه لم يكن من المنتسبين إلى ابن كُلاَّب والأشعري أجلَّ منه ولا أحسن كتباً وتصنيفاً»[5].

ومن العدل: تفاوت الولاء والبراء في حقهم:

الأصل في المسلم الموالاة والمحبة، كما أن الأصل في الكافر المعاداة، غير أن المبتدع والفاسق ينقص من موالاتهما بحسب جريرتهما، ولذلك قد يجتمع في المسلم حب وبغض: فيُحَبُّ لما معه من إيمان، ويُبْغَضُ لما اقترفه من بدعة وعصيان. قال شيخ الإسلام: «وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وفجور وطاعة، وسنة وبدعة استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، كاللص الفقير تقطع يده لسرقته ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته، وهذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة»[6].

ومن العدل: قبول الحق إذا جاء به أحد منهم:

فليس من العدل رد الحق لكون صاحبه على خطأ أو باطل؛ فهما أمران غير متلازمين، وعندما يكون القول حقاً ويراد به باطل يرد ذلك القول (الحق) بسبب غايته لا بسبب قائله، وإنما كان قائله - بما هو عليه من الباطل - قرينة يستفهم منها الغاية التي من أجلها قبل ذلك (الحق).

قال معاذ - رضي الله عنه -: «اقبلوا الحق من كل

---

(١) شرح أصول أهل السنة للالكائي: (رقم الأثر: ١١٤٠)، وأصل الخبر رواه الدارمي في السنن: (ح ١٤٦) من طريقين بألفاظ مختلفة، وابن وضاح في البدع: (٥٦، ٥٧) والآجري في الشريعة: (٧٣)، ونسبه الحافظ في الإصابة لابن الأنباري وصحح إسناده.

(٢) من قول ابن مسعود - رضي الله عنه - انظر شرح أصول أهل السنة للالكائي: (رقم الأثر: ١٩٦).

(٣) مجموع الفتاوى، ١٠/٩٩.

(٤) ميزان الاعتدال، ٣/٢٨٠.

(٥) درء تعارض العقل والنقل، ٢/١٠٠.

(٦) مجموع الفتاوى، ٢٨/٢٠٩، وانظر: ٢٨/٢٢٨.

من جاء به وإن كان كافراً أو قال: فاجراً»، قالوا: كيف نعلم أن الكافر يقول الحق؟ قال: «على الحق نور».

وقال شيخ الإسلام: «فلا يجوز لنا إذا قال يهودي أو نصراني ـ فضلاً عن الرافضي ـ قولاً فيه حق أن نتركه أو نرده كله، بل لا نرد إلا ما فيه من الباطل دون ما فيه من الحق»[١].

ضوابط في إيقاع العقوبات بأهل البدع:

تلك العقوبات المذكورة في المعلم الثالث ـ الهجر فما فوقه ـ لها ضوابط تختلف من حالة لأخرى؛ تبعاً لما يأتي:

أ - اختلاف البدع. ب - أحوال المبتدعة.

ج - أحوال أهل السنة أيضاً.

وذلك «أن الشرع الشريف يزن الواقعات والأحوال الداخلة تحت قاعدته العامة (الولاء والبراء) بميزان قسط، وقسطاس مستقيم يكون وسطاً عدلاً بين جانبي الإفراط والتفريط، فلا تزيد عن حدها ولا تنقص عنه، فتلتقي العقوبة للمبتدع بالهجر مع مقدار بدعته باعتبارات مختلفة، وما يحف بذلك من أحوال تنزل على قاعدة (رعاية المصالح وتكثيرها، ودرء المفاسد وتقليلها).

فـ «هجر المبتدع ليس عاماً في كل حال، ومن كل إنسان، وكل مبتدع. وترك الهجر والإعراض عنه بالكلية تفريط على أي حال... وميزانها للمسلم الذي به تنضبط المشروعية هو: مدى تحقق المقاصد الشرعية من الهجر: من الزجر والتأديب ورجوع العامة وتحجيم المبتدع وبدعته، وضمان السنة من شائبة البدعة»[٢].

قال شيخ الإسلام في المسلك الحق في الهجر: «فإن أقواماً جعلوا ذلك عاماً، فاستعملوا من الهجر والإنكار ما لم يؤمروا به، [مما] لا يجب ولا يستحب، وربما تركوا به واجبات أو مستحبات وفعلوا به محرمات.

وآخرون أعرضوا عن ذلك بالكلية فلم يهجروا ما أمروا بهجره من السيئات البدعية، بل تركوها ترك المعرض لا ترك المنتهي الكاره... ولا يعاقبون بالهجرة ونحوها من يستحق العقوبة عليها، فيكونون قد ضيعوا من النهي عن المنكر ما أمروا به إيجاباً أو استحباباً، ودين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه»[٣].

وهناك حالات لا بد من مراعاتها والنظر فيها عند إيقاع العقوبات العملية، فأما إنكار القلب واعتقاد بغض المبتدع فغير داخل في هذه الحالات نحو:

حال المهجور: ففرق بين القوي في الدين وبين الضعيف فيه؛ فإن القوي يؤاخذ بأشد مما يؤاخذ به الضعيف في الدين، كما في قصة كعب بن مالك وصاحبيه، رضي الله عنهم[٤].

حال المكان: وفرق كذلك بين الأماكن التي كثرت فيها البدع، كما كثر القدر بالبصرة، والتنجيم بخراسان، والتشيع بالكوفة، وبين ما ليس كذلك، رعاية للمصالح الشرعية[٥].

حال الهاجرين: إن مما تنبغي مراعاته كذلك حال الهاجرين أنفسهم؛ في قوتهم وضعفهم وقلتهم وكثرتهم؛ فإذا كانت الغلبة والظهور لأهل السنة كانت مشروعية إيقاع العقوبات قائمة على أصولها، وإن كانت القوة والكثرة للمبتدعة ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله ـ فلا المبتدع ولا غيره يرتدع بالهجر، ولا يحصل به المقصود الشرعي: لم يشرع الهجر، وكان مسلك التأليف أولى خشية زيادة الشر، وهذا كالحال المشروع مع العدو: القتال تارة، والمهادنة تارة، وأخذ

---

(١) منهاج السنة النبوية، ٢/٣٤٢.

(٢) هجر المبتدع، مجلة البيان، العدد ٢١، ص ٥٢.

(٣) مجموع الفتاوى، ٢٨/٢١٣، وانظر: منه (٢٠٦).

(٤) انظر: فتح الباري، ٨/١٢٣.

(٥) مجموع الفتاوى، ٢٨/٢٠٦-٢٠٧، وانظر: ٢٨/٢١٢، ٢١٣، فهو مهم.

الجزية تارة، كل ذلك بحسب الأحوال والمصالح[1].

حال البدعة[2]: فهي ـ من حيث الكفر بها ـ إما مُكفِّرة أو غير مكفِّرة. ومن حيث الاستقلال: حقيقية أو إضافية[3]، فليس الموقف من صاحب بدعة غير مكفِّرة كالموقف من ذي البدعة المكفِّرة.

حال المبتدع نفسه: فهو متردد بين أن يكون داعية، أو جاهلاً، أو متأولاً، أو صاحب هوى، أو مستتراً، أو مصراً عليها.

فالداعي للبدعة ـ كما قال الشاطبي ـ: «إذا دعا إليها فمظنة الاقتداء أقوى وأظهر، ولا سيما المبتدع اللسن الفصيح الآخذ بمجامع القلوب إذا أخذ بالترغيب والترهيب وأدل بشبهته التي تدخل القلوب بزخرفها»[4].

والجاهل والمقلد يقول فيهما شيخ الإسلام: «وأما الجهال الذين يحسنون الظن بقول هؤلاء ولا يفهمونه فهؤلاء تجد فيهم إسلاماً وإيماناً ومتابعة للكتاب والسنة»[5].

وفي موضع آخر: «وهؤلاء الأجناس وإن كانوا كثروا في هذا الزمان فلقلة العلم والإيمان، وفتور آثار الرسالة في أكثر البلدان، وأكثر هؤلاء ليس عندهم من آثار الرسالة وميراث النبوة ما يعرفون به الهدى وكثير منهم لم يبلغه ذلك»[6].

والمتأوِّل له شروط: ألا يخالف معلوماً من الدين بالضرورة، وأن يكون تأويله سائغاً له وجه مقبول في اللغة، وأن يُعلم بقرائن الأحوال اجتهاده وأنه لا يقصد معارضة الشريعة.

فأما صاحب الهوى: فيقول الشيخ حافظ الحكمي في حقه: «ولكن هؤلاء منهم من عُلم أن عين قصده هدم قواعد الدين وتشكيك أهله فيه؛ فهذا مقطوع بكفره، وآخرون مغررون ملبَّس عليهم؛ فهؤلاء إنما يُحكم بكفرهم بعد إقامة الحجة عليهم وإلزامهم بها»[7].

وأما المستتر: فكما قال شيخ الإسلام: «لا سبيل لنا عليه؛ لأنه ليس أكثر شراً من المنافقين الذين كانوا في عصر رسول الله ﷺ»[8].

وأما المصر عليها: فيجعل من قبيل الداعي إليها، فيكون داعية معلناً لها، وأما عدم الإصرار فهو من قبيل كونها فلتة، وزلة عالم إذا كانت منه ثم لم يعاودها[9].

وهنا أمر في غاية الأهمية: وهو صورة من صور التعامل مع المبتدعة تختلف عما تقدم؛ فليست عقاباً ولا تألفاً، وإنما أدت الحاجة إليها وهي: ما إذا كانت الواجبات لدى أهل السنة مثل: الجهاد والتعليم والطب والهندسة ونحوها متعذراً إقامتها إلا بواسطتهم، فإنه يعمل على تحصيل مصلحة الجهاد، ومصلحة التعليم، مع الحذر من البدعة، واتقاء الفتنة به وبها ما أمكن. قال شيخ الإسلام: «فإذا تعذر إقامة الواجبات من العلم والجهاد وغير ذلك إلا بمن فيه بدعة مضرتها دون مضرة ترك ذلك الواجب: كان تحصيل مصلحة الواجب مع مفسدة مرجوحة معه خيراً من العكس»[10].

والله الموفق للصواب، والهادي للرشاد.

---

(1) المصدر السابق.

(2) الاعتصام للشاطبي، 1/167 ـ 174،

(3) يراد بكونها حقيقية أنه لا أصل لها في الشرع كالاحتفال بالمولد، أما الإضافية فأصلها عبادة شرعية أضيف عليها كيفية غير شرعية كالذكر الجماعي.

(4) الاعتصام، 1/169.

(5) مجموع الفتاوى، 2/336، 337.

(6) المصدر السابق.

(7) معارج القبول، 2/116.

(8) مجموع الفتاوى، 28/205.

(9) الاعتصام، 1/174.

(10) مجموع الفتاوى، 28/212.

فتوى: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالسعودية

حــول كتابــيّ:

التحذير من فتنة التكفير .. صيحة نذير

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. أما بعد:

فإن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء اطلعت على ما ورد إلى سماحة المفتي العام من بعض الناصحين من استفتاءات مقيدة بالأمانة العامة لهيئة كبار العلماء برقم (٢٩٢٨) وتاريخ ١٣/٥/١٤٢١هـ. ورقم (٢٩٢٩) وتاريخ ١٣/٥/١٤٢١هـ. بشأن كتابَي: «التحذير من فتنة التكفير» و«صيحة نذير» لجامعهما: علي حسن الحلبي، وأنهما يدعوان إلى مذهب الإرجاء من أن العمل ليس شرط صحة في الإيمان، وينسب ذلك إلى أهل السنة والجماعة، ويبني هذين الكتابين على نقول محرفة عن شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ ابن كثير وغيرهما، رحم الله الجميع؛ ورغبة الناصحين بيان ما في هذين الكتابين ليعرف القراء الحق من الباطل... إلخ.

وبعد دراسة اللجنة للكتابين المذكورين والاطلاع عليهما تبين للَّجنة أن كتاب «التحذير من فتنة التكفير» جَمْع علي حسن الحلبي - فيما أضافه إلى كلام العلماء في مقدمته وحواشيه يحتوي على ما يأتي:

١ - بناه مؤلفه على مذهب المرجئة البدعي الباطل الذين يحصرون الكفر بكفر الجحود والتكذيب والاستحلال القلبي كما في ص/ ٦ حاشية / ٢ وص/٢٢ وهذا خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة من أن الكفر يكون بالاعتقاد وبالقول وبالفعل وبالشك.

٢ - تحريفه في النقل عن ابن كثير - رحمه الله تعالى - في: «البداية والنهاية: ١٣/١١٨» حيث ذكر في حاشية ص/١٥ نقلاً عن ابن كثير: «أن جنكيز خان ادعى في الياسق أنه من عند الله، وأن هذا هو سبب كفرهم» وعند الرجوع إلى الموضع المذكور لم يوجد فيه ما نسبه إلى ابن كثير - رحمه الله تعالى -.

٣ - تقوُّله على شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في ص/ ١٧ - ١٨ إذ نسب إليه جامع

الكتاب المذكور أن الحكم المبدل لا يكون عند شيخ الإسلام كفراً إلا إذا كان عن معرفة واعتقاد واستحلال. وهذا محض تقوُّل على شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - فهو ناشر مذهب السلف أهل السنة والجماعة، ومذهبهم كما تقدم، وهذا إنما هو مذهب المرجئة.

٤ - تحريفه لمراد سماحة العلاَّمة الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله تعالى - في رسالته/ تحكيم القوانينِ الوضعية؛ إذ زعم جامع الكتاب المذكور أن الشيخ يشترط الاستحلال القلبي مع أن كلام الشيخ واضح وضوح الشمس في رسالته المذكورة على جادة أهل السنة والجماعة.

٥ - تعليقه على كلام من ذكر من أهل العلم بتحميل كلامهم ما لا يحتمله كما في الصفحات ١٠٨ حاشية/ ١، ١٠٩ حاشية/ ٢١، ١١٠ حاشية/٢.

٦ - كما أن في الكتاب التهوين من الحكم بغير ما أنزل الله وبخاصة في ص / ٥/ ح/ ١. بدعوى أن العناية بتحقيق التوحيد في هذه المسألة فيه مشابهة للشيعة - الرافضة - وهذا غلط شنيع.

٧ - وبالاطلاع على الرسالة الثانية: (صيحة نذير)، وُجد أنها كمساند لما في الكتاب المذكور - وحاله كما ذُكر -.

لهذا فإن اللجنة الدائمة ترى أن هذين الكتابين لا يجوز طبعهما ولا نشرهما ولا تداولهما لما فيهما من الباطل والتحريف، وننصح كاتبهما أن يتقي الله في نفسه وفي المسلمين وبخاصة شبابهم، وأن يجتهد في تحصيل العلم الشرعي على أيدي العلماء الموثوق بعلمهم وحسن معتقدهم، وأن العلم أمانة لا يجوز نشره إلا على وفق الكتاب والسنة، وأن يقلع عن مثل هذه الآراء والمسلك المزري في تحريف كلام أهل العلم، ومعلوم أن الرجوع إلى الحق فضيلة وشرف للمسلم. والله الموفق.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

الرئيس
عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ

عضو
عبد الله بن عبد الرحمن الغديان

عضو
صالح بن فوزان الفوزان

عضو
بكر بن عبد الله أبو زيد

الرقم: ٢١٥١٧
التاريخ: ١٤/٦/١٤٢١هـ

قراءة في الذهنية السلفية

نواف الجديمي

ثمة شيء ينبغي أن يقال وهو: إن عمليات المراجعة والنقد لكل الأفكار والمواقف والتحركات السابقة، وتكرر عملية التصحيح وتقييم الماضي: هي الضمان الوحيد للبقاء والحيوية والتجدد لكل الحركات والجماعات والتيارات والأحزاب، بل إن النظريات المجردة لا بد أن تخضع لنفس المقياس إن أرادت الدوام والاستمرار.

الإشكالية المتجددة دائماً، والتي ترافق عمليات النقد والمراجعة: هي الشعور الذي قد يعم الشريحة السائدة، وربما النخبة أحياناً، بأن هذا النقد لا ينبع من صدق وإخلاص للحركة أو المبدأ، وإنما يهدف إلى التقليل من قيمتها والحط من قدرها، فضلاً عن أن تسيطر نظرة تآمرية ضد القائمين بالنقد واتهامهم بمحاولة التخريب والهدم من الداخل، مما قد يستتبع تصدي البعض للدفاع والذود عن تلك القضايا، والثبات على كل مواقفها وتحركاتها ربما دون قناعة حقيقية بها، وإن كانت تحمل العديد من الأخطاء والإشكاليات، معتقدين أنهم بذلك أكثر إخلاصاً وانتماءاً.

إن استقراءاً مبسطاً لوقائع التاريخ ونشوء الأفكار والحركات يعطينا دلالة كبيرة على أن عملية التصحيح المتجددة هي التي تبعث القدرة على الاستمرار، ولا أدل على ذلك من الديمقراطية ـ بوصفها نظاماً للحكم ـ التي بدأت واقعاً ملموساً بعد الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م، وكانت آنذاك مقصورة على النبلاء والخاصة، ثم ما لبثت تتطور حتى وصلت إلى صيغتها الحالية، وهي ما زالت تمارس نوعاً من النقد الذاتي واستعداداً للتطور نحو الأفضل. أما الشيوعية فكانت على النقيض؛ إذ إن الجمود والتصلب كانا السمة الغالبة للدولة الشيوعية ـ رغم ملامح التطور الطفيفة التي أجراها خروتشوف ومن بعده بريجينيف بعد زوال الحقبة الستالينية ـ وذلك مما عجل في زوالها.

حتى مبدأ الحرية المطلقة ـ والذي كان نتاجاً للثورة الفرنسية ـ بدأ يراجَع في الغرب؛ إذ بدأ وهجه يتضاءل، وطفت هشاشته على السطح؛ ولذلك تسود الغرب اليوم ومنذ الخمسينيات من هذا القرن نظرية المسؤولية الاجتماعية بوصفها نظرية بديلة عن نظرية الحرية المطلقة. وكذا الرأسمالية كنظام اقتصادي حر والذي ساد الغرب سنين طويلة، بدأت الاشتراكية تزاحمها على السلطة، وبدأت الولايات المتحدة تتجه إلى تطوير جديد للنظرية أسمته الطريق الثالث.

إذاً فالغرب ما فتئ يتطور ويراجع نظرياته ومواقفه؛ لذلك هو قادر على التفوق المادي والتقني، بل وفي العلوم الإنسانية كالإدارة والفلسفة

والاجتماع، رغم الخواء الروحي الذي تعيشه فئات المجتمع والضياع والانحلال والتمزق الأسري، والذي كان مفترضاً أن يلقي بظلاله على الجوانب المادية الأخرى.

ونحن - المسلمين - إذ نملك منهجاً ربانياً صالحاً لكل زمان ومكان فإن مجال النقد والتقييم لا يأخذ حيزاً واسعاً من قناعاتنا - وإن كنا في الوقت ذاته لا نستطيع نفيه وإقصاءه - إذ إن كثيراً من مواقفنا وقناعاتنا - خاصة فيما يتعلق بأساليب التربية والتنشئة، والتعامل مع الآخر، والقدرة على التحليل والاستنتاج لمجريات الحياة اليومية ومستحدثاتها على الجانب الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، ومن ثم اتخاذ المواقف الصحيحة - ليست خاضعة لثوابت الشريعة بقدر ما هي اجتهادات بشرية محضة تخضع للحوار والمراجعة.

والسلفية إذ تملك منهجاً ربانياً واضحاً، وعقيدة صحيحة وتأسياً بسلف هذه الأمة، لهي الأولى بمراجعة الماضي وتقييمه، وهي الأولى بالرجوع إلى الحق إن تبين لها ذلك.

ولكن الحقيقة التي لا يمكن أن نغفل عنها أننا أصحاب حساسية مفرطة لأي محاولة للنقد والتقييم، وننظر إليها بتشكك وريبة، فضلاً عن سوء الظن الذي يصبغ نظرتنا لدوافع هذا الكاتب أو ذاك من عملية النقد.

قد أكون مخطئاً عندما أرى أن جميع محاولات النقد والتقييم سواء كانت من داخل البناء أو من خارجه، تصب في النهاية لصالح تلك الجهة التي تعرضت للنقد؛ وذلك إن استطاعت الاستفادة منه في تصحيح مسيرتها.

ونحن إذ ندعو لقراءة الذهنية السلفية لَنطالب بممارسة هذا النقد لمواقفنا وعلاقاتنا بكل تجرد وموضوعية، حتى نستطيع مراجعة الماضي ومن ثم التخطيط السليم للمستقبل، وتبني أساليب ومواقف صحيحة ومتعلقة بعملية البناء الذاتي للأفراد، أو الجماعي للمجتمع والأمة، أو في علاقتنا مع الآخر.

ونقول ذلك مع إدراكنا أن السلفية ليست نمطاً واحداً بل هي ألوان طيف متعددة، وفيها أصوات هادئة وأخرى متشنجة لا نستطيع تجاهلها، وندعو إلى التعامل معها وتصحيح مواقفها، ومع ذلك فهي تحوي جمهوراً غالباً له مشتركات كثيرة، ويسوده تقارب كبير في الأفكار وطريقة التنشئة، وهذه الشريحة هي التي نقصدها ونتوجه إليها.

لذلك فأنا أدعو إلى إعادة التقييم والمراجعة والنقد. وأبدأ ذلك حفزاً للهمم، مع إدراكي بقصوري لاستقرائي وبحثي المحدود، تضاف إليه تجربة محدودة. وأزعم أن هذه الإشكاليات التي سأذكرها تكاد تسود غالب الاتجاهات السلفية المعاصرة، وأدعو الإخوة إلى تسديد الأخطاء، وأن يتسع صدرهم لهذا النقد والتقييم؛ فلأن نقوم بذلك ونخطئ خير من أن نكتفي بتلميع الذات وذكر الأمجاد.

صراع الأفكار والمعلومات:

إن أردنا الدخول في صراع الأفكار والمعلومات فلا بد أن نكون حذرين؛ لأننا ندخل حقلاً من الألغام؛ ذلك أن الموضوع في طبيعته يتعرض لمفهوم كان وما زال سائداً في أذهان الكثيرين، ولذلك فإن مجرد طرحه قد يثير السواكن، ويلقي حجراً في الماء الراكد.

ما أريد قوله ببساطة هو: إن التيار السلفي دائماً ما يركز على دائرة المعلومات ويهمل دائرة الأفكار.

السؤال الذي يتبادر الآن هو: كيف؟!

والجواب: أن غالبية التيار السلفي المعاصر مع بعض امتداداته في التاريخ، لا يسلط الضوء بل

لا يعطي قيمة إلا للمعلومة المجردة بوصفها وحدة معرفية مستقلة عن دائرة الأفكار. فالمعلومة هي مجال التفوق والتميز، وبقدر ما يحفظ الشخص من الأرقام والأحداث والآثار والأحاديث والكتب والأسماء والتواريخ - ينال هذا الشخص مكانة مرموقة، ويوضع في خانة التفوق والإبداع، أما دائرة الأفكار وما تحويه من القدرة على التحليل والاستنتاج والسبر، وربط الأحداث، وتفكيك الظواهر المعقدة، وتوليد الأفكار، والقدرة على الفرز والنقد، فهذه الدائرة لا قيمة لها؛ لأنها لا تحوي كمّاً ملموساً نستطيع حسابه ومعرفة قدره.

إن تسليط الأضواء على المعلومات دون الأفكار بات أمراً سائداً في أوساط الشباب المتدين اليوم، فأصبح الحفظ وتدوين المسائل ومعرفتها هو أقصر الطرق للبروز بين الأقران، بل إن الأمر يتجاوز أوساط الشباب إلى شرائح أكبر سناً وأكثر نضجاً وتجربة، ولذلك نجد هذا التلميع للدائرة الأولى على حساب الدائرة الثانية امتد حتى داخل تخصصات العلوم الشرعية، فنجد مثلاً أن من يحفظ كتب السنة الستة قد لا تقارن شهرته وتعلق الشباب به بالمتضلع في أصول الفقه. مع أن هذا الأخير أكثر قدرة على العطاء للأمة اليوم مع هذه الثورة التقنية والفكرية الهائلة التي يشهدها العالم، والتي غيرت كثيراً من طبيعة الحياة وتفاصيلها. وهذا واقع يدركه كل من عاش بين أوساط الشباب.

ذلك فضلاً عن الإهمال الكبير وربما الازدراء لكتب الفكر حتى الإسلامي منها، مما انعكس بدوره على تسطيح كبير للعقول، حتى صار مصطلح الفكر قرين السفسطة الفارغة التي لا تكاد تعني شيئاً غير القدرة على الكلام المنمق والمتكلف.

إن الأفكار هي التي تصنع الحضارات، وتدعمها بوقود لا ينفد للاستمرار والبقاء. والتاريخ كله يشهد على أن تغيرات العالم هي تغيرات أفكار ومعتقدات؛ فالثورة الفرنسية لم تقم رفضاً للتسلط الكنسي فقط، بل هي في أساسها كانت إرهاصاً لعديد من الأفكار التي سبقت الثورة بما يزيد عن القرنين، ولذلك كان شعارها عند قيامها «الحرية، والإخاء، والمساواة». والشيوعية قامت على فكرة صراع الطبقات وعلى أساس المادية الجدلية والمادية التاريخية، والنازية قامت على فكرة تفوق العرق الألماني على بقية الأعراق والإثنيات.

وتاريخنا الإسلامي مليء بالحركات والتغيرات التي قامت على الأفكار الصحيحة والمنحرفة، ولا أدل على ذلك من أن مبعث رسالة محمد - عليه الصلاة والسلام - كانت لتغيير معتقدات الناس وأفكارهم، وإعادتهم إلى الحنيفية المسلمة، وثورة الخوارج قامت على فكرة عدم جواز تحكيم الرجال في كتاب الله. والشيعة أول ما قامت كانت لفكرة أحقية عليّ - رضي الله عنه - بالخلافة لأنه من آل البيت، وفي تاريخنا القريب لم تقم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلا على تصحيح معتقدات الناس مما علق بها من شرك وتصوفات، ولم تقم جماعة الإخوان المسلمين إلا على فكرة دعوة الناس إلى التمسك بالإسلام وتوحيد الصفوف.

واليوم نعيش زمن فورة الأفكار والتصورات والمعتقدات التي تملأ عالمنا بشكل مذهل، وإذا اجتزأنا القرن العشرين وسلطنا الضوء على منطقتنا العربية نجد أن هناك عدداً من الأفكار والأيديولوجيات سيطرت في مراحل متعددة على قطاع كبير من الناس في العالم العربي؛ وأبرزها القومية العربية، والماركسية الشيوعية، والبعث العربي، والنظرية الليبرالية الغربية.

والسؤال الحيوي هنا: ما مدى معرفة السلفيين بتلك الأيديولوجيات التي سيطرت زمناً على منطقتنا؟ وهل تمت دراستها دراسة مفصلة متعمقة للرد عليها وتبيين عوارها من داخلها، كما كان منهج ابن تيمية في الرد على خصومه؟

الحقيقة أن ذلك لم يحصل إطلاقاً.. وإن وجد من الإسلاميين من تصدى لهذه الأفكار دراسة ومعرفة ومن ثم رداً وتفنيداً؛ فهم ـ دون شك ـ من خارج التيار السلفي، وهم ـ في الغالب ـ غير مرضي عنهم، ويحملون العديد من المخالفات في الفكر والاعتقاد كما يصفهم أفراد التيار السلفي، بل إن المتخصصين في العقيدة من السلفيين ـ وهم أقرب الناس إلى دراسة هذه المعتقدات الجديدة ـ ما زالت قائمة المذاهب والمعتقدات المنحرفة التي تدرس عندهم تدور حول القدرية والكلاَّبية وإخوان الصفا والجهمية؛ مع أن انتشارها تناقص كثيراً إلى درجة الانتهاء أحياناً؛ في الوقت الذي يهملون فيه المعتقدات المتوجهة في العالم اليوم والتي قد تلاقي قبولاً في المجتمعات المسلمة؛ فمثلاً هل دُرست الديمقراطية كآلية للاختيار ونظام للحكم من أصحاب التيار السلفي بدلاً من فتاوى التحريم الجاهزة ـ ربما ـ دون استيعاب جيد للفكرة؟ وهل لاقت الأنظمة البنكية الدراسة التفكيكية الشرعية الجيدة من أجل إيجاد بدائل إسلامية للمعاملات البنكية الربوية؟ وهل وجد علم النفس الدراسة التحليلية العميقة لآخر نظرياته وأطروحاته ومن ثم الدراسة الشرعية لها؛ ومعرفة مدى موافقتها للتصور الإسلامي ثم محاولة استخراج ملامح للنظرية الإسلامية في علم النفس؟ هل قام رموز التيار السلفي بدراسة هذه القضايا الملحة في الساحة اليوم، أم أنها إلى الآن ليست من باب المفكَّر فيه؟

أما إن أردنا الحديث عن آخر النظريات الفلسفية والفكرية في العقود القليلة الماضية، وآخر الدراسات والتحليلات للمجتمعات المعاصرة، والتطورات الحضارية، والاستقراءات المستقبلية، كصراع الحضارات، ونهاية التاريخ، وحوار الإسلام والغرب، وصراع الأيديولوجيا، والاختراق الثقافي ومسائل الهوية، وكلها قضايا معقدة ومتشابكة وتحتاج إلى فهم متأنٍ واستيعاب عميق فإننا سنجد ـ دون شك ـ أن غالب النُّخب السلفية من علماء وطلبة علم وتربويين ومحاضرين وغيرهم لم يسمعوا بتلك المصطلحات من قبل؛ فضلاً عن أن يكونوا درسوها واستوعبوها. وإن كان قد سمعوا بها فقد لا يزيد الأمر في كثير من الأحيان عن نظرة الازدراء والدونية لتلك السفسطات الفارغة التي لا تنفع المسلم في دنيا ولا دين. كما قد يقال.

وفي الوقت الذي يتعاظم فيه دور المفكر على مستوى العالم يتضاءل دور الحافظ والمتقن للمعلومات والكتب والأرقام، بسبب تطور تكنولوجيا الصناعة وإنتاج أجهزة حفظ المعلومات ووسائل استرجاعها وطباعتها، والذي جعل أجهزة حاسب صغيرة وبواسطة أقراص ممغنطة تستطيع حفظ عدد هائل من المعلومات قد تفوق في كميتها المكتبات الضخمة، وقد خدمت هذه الأجهزة الجانب الشرعي كثيراً؛ إذ توجد اليوم أقراص ممغنطة تحوي أكثر من مائة وعشرين كتاباً في الحديث، وأقراص أخرى جمعت الكثير من المسائل الشرعية وأقوال الفقهاء؛ مما جعل الحصول على الحديث أو رأي الفقهاء في إحدى المسائل أمراً متيسراً بالقدر الذي لا يتجاوز مجرد الضغط على عدد من الأزرار. والسنون حُبلى بتطورات كثيرة في هذا المجال، وإن كنا نؤكد أن هذا لا يقلل بالضرورة من قيمة العالم ولا ينقص من

قدره. ولكن إذا أردنا أن نكون منصفين فإنه من دون شك يقلل كثيراً من قيمة التوجه الحفظي للعلماء وطلبة العلم، ويزيد من قيمة القدرة على الاستنباط واستخراج الأحكام وغيرها من العمليات التي تعتمد على العقل لا الذاكرة.

ولا أنسى الإشارة إلى أن هناك - دون شك - تداخلاً بين دائرة الأفكار ودائرة المعلومات، وأن هناك مشتركات كثيرة في الوسط بين المسارين، ولكن تجدر الإشارة - أيضاً - إلى أن هناك تبايناً كبيراً بين أطراف الدائرتين، لذلك نجد أصحاب التيار السلفي قد يحيطون بهذه المشتركات، وقد يدخلون قليلاً إلى دائرة الأفكار، ولكنهم بالطبع لا يوغلون في الدخول، ولا يصلون الأعماق.

النشء الذي لا يكبر:

ربما تكون من إشكاليات الذهنية السلفية - والتي تتقاطع مع النقطة السابقة في بعض الجوانب وتتفاوت في جوانب أخرى -: النظر بتخوف وتوجس للتدفق الهائل في المعلومات والأفكار في عالم اليوم، والخشية من تأثر النشء بها، هذا النشء الذي قد يمتد عمره إلى قرابة الثلاثين وربما أكثر وهو غير قادر على الفرز والقراءة النقدية، ويخشى عليه دائماً من التأثر حتى بأبسط الأفكار وأكثرها سطحية وضحالة. أما الرموز وطلبة العلم والمربون فهم وحدهم القادرون على الفهم الواعي للأفكار التي تطرح، والكشف عن مدى مخالفتها للشرع، وربما أحياناً الكشف عن خبثها ومكرها والسموم التي تدسها من أجل التأثير على جيل النشء؛ ثم قد يُطرح عدد من التساؤلات مثل: ما قيمة هذه الأفكار؟ وما وزنها؟ وما مقدار فائدتها للشباب الناشئ؟! وإذا أشكل على الشباب شيء في معرفة سيرة مؤلف أو كنه كتاب؛ فما عليه إلا أن يسأل أحد المهتمين من نفس التيار ليعطيه فتوى جاهزة مقبولة في شأن ذلك الكتاب أو ذاك المؤلف؛ مما ينتج عنه أحياناً اختزال كبير للأفكار في حدود مقولات مبتسرة لا تكشف فكراً ولا تروي ظمأً، فنجد أن عقولاً ضخمة في الساحة الفكرية والثقافية أنتجت مشاريع ودراسات فكرية تحليلية رائدة، يُختزل فكرها في أن فلاناً يرى في الجنة والنار كذا، وأن فلاناً يؤوِّل الصفات ولا يثبتها، وغير ذلك من اختزال للأفكار الهادرة في قطرات قليلة وجمل مجتزأة، وأبسط ما تحلل به كتابات هؤلاء أن يقال: إن فلاناً تأثر بالفكر القومي، وفلاناً ماركسي سابق، وفلاناً يعاني من الاستلاب للغرب، وتكفي هذه المقولات لإسقاط هذا المؤلف أو ذاك من قائمة الذين يستفاد منهم، فينشأ الشاب على أن فلاناً هو من يرى كذا، وفلاناً هو من يرى كذا، ربما دون أن يرى غلاف كتاب لأحد هؤلاء الذين تكلم عنهم فضلاً عن أن يكون قد قرأه.

وربما نكون في حاجة إلى التأكيد على أن التذكير بمخالفات أي كاتب ومفكر خاصة في مجال الاعتقاد أمر مطلوب؛ ولكن ينبغي قبل ذلك إعطاء صورة واضحة ومنصفة عن تلك الأطروحات أو الدراسات الرئيسة التي أنتجها هذا المؤلف. كما أنه من المعلوم أن الشاب والقارئ السلفي في الجملة لا يأخذ عقيدته من ذلك النوع من الكتب، مما يقلل من مقدار تخوفنا من الاستلاب والتأثر.

هذا السلوك في التعامل مع الأطروحات الفكرية والثقافية ربما ينتج في المستقبل ردود أفعال تتفاوت في شدتها، مثل أن تقرأ بعض هذه الكتب في الخفاء ودون علم المحيطين، مما قد يصيب بعضاً بردة فعل عنيفة، خاصة عندما يستوعب تلك الأفكار والكتب، ويكتشف أنه كان يعيش فترة تغييب لعقله

وازدراءاً لقدراته. وربما اتهم من كان معهم بالسطحية والضحالة وهشاشة الفكر، وممارسة الوصاية على من دونهم، ومصادرتهم للرأي الآخر وتهميشه أياً كانت قوته وعمقه.

أذكر أن أحد الإخوة وهو يعمل مديراً لإحدى المدارس الثانوية الأهلية التقى عدداً من أساتذة العلوم الشرعية المتقدمين للتوظيف، ودار بينهم حوار حول عدد من القضايا الثقافية، فكان يقول: إنه فوجئ بالمستوى الثقافي المتدني جداً، وبالبساطة والسطحية عند هؤلاء الأساتذة، مما جعلني أقول له: إن هؤلاء من النشء الذي لا يكبر.

نعم النشء الذي يظل نشئاً لا يملك القدرة على الفرز والتقييم والفهم لأي طرح ثقافي وفكري إذا لم يضع قدميه على طريق التطور نحو الأفضل والفهم والإدراك للأطروحات الحديثة بشكل متزن ومتدرج، وإلا فسيكون أحد ضحايا النظرة السائدة التي ترى أن أصحاب المرحلة الثانوية هم صغار من الصعب أن يستوعبوا تلك القضايا «المعقدة»!!.. ومن هم في المرحلة الجامعية لا يملكون القدرة على التمييز والفرز، وربما تشوش أفكارهم ويدخلون في إشكالات ومعتركات قبل الأوان، والموظف - وهو متزوج في الغالب - لديه من هموم الحياة وطلب الرزق والعمل الدعوي ما يصرفه عن الاهتمام والمتابعة، حتى إذا امتد العمر بذلك النشء، كان في حقيقته لا يزال نشئاً لا يستطيع الدخول في عالم الفكر والثقافة دون تأثر؛ لأنه لا يملك آليات النقد والتقييم. وإن أراد الدخول فإن استعداده للتطور والاستفادة يكون قد تقلص كثيراً؛ لأنه صار يملك عقلاً قد شكلته البيئة والتوجهات السائدة فيها حتى صار أشبه بقطار يسير على سكة حديد لا يحيد عنها لا يميناً ولا شمالاً، ثم في النهاية لا يزيد على أن يكون رقماً مفرداً قد ينفع فقط في تكثير السواد.

قد يقال: يكفي أن تنفر طائفة من المؤمنين بهذا الأمر دون الآخرين. وهذه حقيقة دون شك؛ إذ من البداهة أن ذلك ليس مطلوباً من الجميع ولا حتى الغالب إذا كنا نتحدث عن التخصص في هذا المجال والتعمق فيه، ولكن إذا كان الحديث عن قضية الوعي والنضج في التعامل مع الآخر أياً كان، فلا أقل من أن تكون سمة غالبة، ولا أعتقد أننا بذلك نطلب مستحيلاً. ثم في موضوع التخصص: أين هي تلك الطائفة التي تكفي الآخرين هذا الأمر؟! هل هي موجودة فعلاً؟ أم لا نزال في طور الإعداد والتنشئة؟ لأنه عند استقراء سريع للساحة الثقافية اليوم قد لا تخرج بأكثر من أسماء تعد على أصابع اليدين - إن تواضعنا كثيراً في شروط التقييم.

إن كنا نريد أن نقوم بواجبنا على هذا الصعيد، وأن نعد إجابات للأسئلة النهضوية الملحة من واقع شريعتنا وبصفاء منهج السلف، فلا بد من إعادة النظر بأساليبنا في التنشئة والتكوين، قبل أن تفد علينا إجابات من الخارج، ينشغل مثقفونا في تفنيدها والرد عليها، دون أن نصنع من ثقافتنا شيئاً يلائم هذا الواقع بمستحدثاته التي لا تتوقف.

المؤامرة.. المؤامرة:

قد لا تكون النظرة التآمرية صفة إسلامية بقدر ما هي عقدة عربية تجمع غالب التوجهات والتيارات والأحزاب في عالمنا العربي، وتشكل نقطة محورية في علاقاتها مع الغرب وطريقة التعامل معه، وهي نزعة تشكلت - في صورتها الحدية المعاصرة - بعد سيطرة الاستعمار على العالم العربي، وما صاحبه من ظلم وطغيان وتكميم للأفواه.

وبدءاً يجب أن نؤكد على قضية هي من المسلّمات والثوابت في عقيدة المسلم، ولكن التأكيد

عليها قد يحد من الفهم الخاطئ لمضمون هذا الكلام ومقاصده ـ وهي : أن عداء الغرب للإسلام والتآمر عليه ومحاولة إضعافه هي مسألة عقيدة قبل أن تكون مسألة فكر وتحدٍّ حضاري : ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة : ١٢٠] . ولكن من هو الذي يكره الإسلام في الغرب؟ هل هم كل أفراد المجتمع؟! أم المؤسسات الحاكمة؟ وهل ما يحرك الغرب في علاقاته مع العالم الإسلامي والعربي هو نزعته العدائية فقط؟ أم أن هناك مجموعة معقدة وخطوطاً متداخلة في خريطة العلاقات السياسية . وهناك مصالح وموازين قوى ، ربما تجعل الغرب في ظروف معينة يدعم الحركات الإسلامية ـ ولو معنوياً ـ كما حصل في أفغانستان ، وهذا ما لا يتصوره بعضهم ، والتي تجعل المسلمين الذين يعيشون في الغرب أكثر حرية في إقامة شعائرهم وعباداتهم وبناء مساجدهم ومراكزهم ، بل وفي دعوتهم للإسلام لأفراد تلك المجتمعات ، واستخدام بعض الوسائل الإعلامية الرسمية ، فضلاً عن الحرية في تنفيذ وإصدار أي وسيلة إعلامية خاصة ، وهذا ما لا يحصل قطعاً في معظم الدول الإسلامية إن لم يكن في جميعها .

لذلك فمع إيماننا بهذا العداء ، إلا أن المسألة لا تحسم بوصفات وفتاوى جاهزة ومبسطة ، بل تحتاج إلى تصور واقعي وسياسي ومصلحي ، يضاف إلى تصورنا العقدي المستقر في النفوس ، حتى نصل إلى صورة أقرب للحقيقة لهذه اللحظة التاريخية المعقدة من عمر العالم .

إننا نجد أن الأجيال الإسلامية الشابة في معظمها تربى اليوم على نزعة تآمرية حادة تفسر بها كل الظواهر المعادية للإسلاميين والمتدينين ، وتضع كل المعادين في سلة واحدة ، وتحشدهم في جبهة موحدة هدفها ضربهم والقضاء عليهم ، حتى إننا نساهم في رسم صورة ذهنية سطحية لدى الناشئة مفادها : أن كل هؤلاء العلمانيين ـ بكل ما يحمله هذا المصطلح من تعميم يشمل : الليبراليين والشيوعيين والبعثيين والقوميين والمنحلين خلقياً ـ أن كل هؤلاء هم ببساطة عملاء للغرب سواء بشكل مباشر أو غير مباشر ، ويُدعمون منه مادياً ومعنوياً ، وأن هدفهم الوحيد هو القضاء على المتدينين ، ومن ثم القضاء على الإسلام ؛ مما قد يرسم صورة كاريكاتيرية في أذهان بعض الناشئة تجعلهم يتخيلون أشكال هؤلاء المتآمرين وهم يجتمعون في سراديب مظلمة ، حيث تنبت لهم قرون التآمر ، وتتسع العيون وتزداد حدتها ، وهذه الصورة وإن بدت مضحكة إلا أنها نتاج طبيعي للخطاب التعبوي واللغة العاطفية التحريضية ، وتوجيه الرأي العام الإسلامي الذي تمارسه بعض رموز الصحوة في كل طرح جماهيري ، ضد كل من يحمل توجهات مخالفة للتيار الإسلامي ، وربما يتكرر الاستشهاد ببروتوكولات حكماء صهيون ، حتى ترسم في ذهنياتنا الصياغة المثلى لتوصيات المتآمرين في اجتماعاتهم ومؤتمراتهم .

إن طرحاً بهذا التوجيه له ـ دون شك ـ انعكاسات خطيرة على ذهنية الشباب المتدين ؛ حيث يساهم في تشكيل عقليات مسطحة وحدية ، تتعامل مع ظواهر الحياة وتفاصيلها ببساطة مفرطة ، وتبني خوفاً من هذا الجيش العارم والمنظم تنظيماً دقيقاً من العملاء والمنافقين والحاقدين في الداخل ، وأسيادهم الذين يدعمونهم في الخارج ، وتبني عداءاً ليس فقط لكل من له انتماءات أيديولوجية أخرى ، بل ربما لكل من يشك في ولائه للتيار المتدين بكل مواقفه وأطروحاته ، حتى يغدو من الصعب تصور

أن العدو رقم واحد للماركسيين في العقود الماضية كانت الليبرالية الأرستقراطية، لا التيار الإسلامي وإن وقف في الخانة الثانية، وأن ألد أعداء القوميين والبعثيين هو الغرب المستعمر وعملاؤه في الداخل، لا التيار الإسلامي وإن وقف أيضاً في خانة العداء.

هذا التفسير التآمري للظواهر والأحداث الحياتية ربما أخذ منحىً آخر، هو محاولة التصدي والاستعداء لكل المستحدثات العلمية الحديثة ذات الطابع الإعلامي والجماهيري، والتي هي نتاج تطور تقني محض، وجعلها وكأنها لم تصنع ولم توجد إلا لمحاربة الإسلام ولصرف الشباب المسلم عن دينه؛ حيث ما زلنا نسمع من يطالب بتقليص انتشار الإنترنت وإغلاق المقاهي المخصصة له؛ لأنها قد تستخدم في العبث المحرم، دون مجرد التفكير في إيجاد بدائل وحلول، ولأن التاريخ يعيد نفسه، فقد كان الطرح الإسلامي قبل عدد من العقود هو محاربة المجلات والإذاعات والتلفاز بعموم، أما اليوم وبعد أن صارت تلك المستحدثات واقعاً مفروضاً، ووجدت بدائل إسلامية، صار الطرح مختلفاً؛ فليس كل المجلات تحارَب لأن هناك مجلات إسلامية نافعة، وليس كل الإذاعات سيئة؛ لأن هناك إذاعات مفيدة وتخدم الدين، وليس التلفاز بعمومه حراماً؛ لأنه قد يحوي برامج إسلامية جيدة ومفيدة، ومع أن هذا يمثل اليوم وعياً، إلا أنه وعي متأخر ينطبق عليه المثل الذي يقول: «حكيم بعد الحادث».

لعل من أسباب هذا التفسير التآمري غياب التصور الصحيح للخريطة الأيديولوجية في العالم العربي أثناء القرن الأخير وفي العقود القليلة الماضية، وطبيعة المتغيرات التي حصلت، وطريقة نشوء الأفكار وانتشارها، وتأثر الضعيف بالقوي، واستلاب المغلوب للغالب ـ كما وصفه ابن خلدونَ في المقدمة ـ الذي ساهم في تشكيل جيل يحمل مبادئ الغالب شرقياً كان أم غربياً، لا بطريقة تآمرية نفاقية بل بقناعة حقيقية تنتج أحياناً عن إخلاص وصدق وحب للمجتمع والأمة، وإن كان ظل بهذا السبيل، بل ربما كانت هذه المبادئ والأيديولوجيات نتاج البيئة العربية المحضة في إحدى مراحل الضعف، كما هو الحال بالنسبة للقومية العربية والبعث العربي، اللذين يقومان في أساسهما على بث الروح العربية الوحدوية في أرجاء العالم العربي.

إننا نضيع وقتاً في الانشغال المستمر في محاولة تقصي المؤامرات والتصدي لها وفضحها، مما قد يسبب ضياع كثير من الجهود على حساب بنائنا الداخلي وتكوينه الثقافي الذي يجب أن يعد لمواجهة متغير لا يكاد يتوقف، وزرع الوعي المبكر في عقول الأجيال، ومد الجسور بوعي وبصيرة لأقرب التوجهات والأيديولوجيات المعاصرة، وبناء تحالفات تكتيكية لخدمة الأهداف المشتركة.

وفي آخر هذه السطور التي لا تعدو أن تكون إشارات مقتضبة لقضايا تحتاج الكثير من الحوار والنقاش، أرجو أن تكون معالم هذه الأفكار قد اتضحت وتجلت وإن كان بشكل مختصر ومتعجل؛ لأنني أعوِّل كثيراً على قدرتنا في مراجعة مواقفنا وتصوراتنا، وعلى النقد الذاتي المتبصر لمسيرتنا وواقعنا، وإن كان هذا النقد لا يصفو في بداياته من أخطاء.

بقي أن أشير إلى أن هناك تطوراً واضحاً في صفوف التيار السلفي إذا ما قورن بالعقود الماضية، ووعياً متزايداً يبشر بارتفاع مستمر لمؤشر القياس، مما يدعونا إلى مزيد من الوقفات والمراجعات تجنبنا الوقوع في نفس الأخطاء التي وقعنا فيها سابقاً، ومن أجل ألا يكون تاريخنا الذي يعيد نفسه إلا ذلك الذي يحمل النجاح والتقدم والإبداع.



تنزيل الشريعة الإسلامية في الواقع الإسلامي الراهن
بين الرفض والقبول

محمد إكيج

يعيش العالم الإسلامي بشكل عام، والعربي منه على وجه الخصوص صحوة إسلامية هائلة تؤكد أوبة الجماهير المسلمة إلى هويتها الأصيلة، ورغبتها وطموحها في تحقيق النهوض الحضاري الذي طال انتظاره تحت ضغط التحديات الداخلية والخارجية على حد سواء، ولئن شملت مسحتها نفسية الشعوب وغشيت غاشيتها سلوكياتها ومعاملاتها، وبدأنا نلحظ يوماً بعد يوم اندحار المظاهر التغريبية الهجينة في سلوكيات بعض الأفراد والجماعات في المجتمع الإسلامي؛ فإنها أفرزت إفرازات إيجابية محمودة تاخمت عتبات الأنظمة والمؤسسات الحاكمة في البلاد الإسلامية الراهنة؛ رغم صنوف التضييق والحصار تارة والتهميش واللامبالاة تارة أخرى.

ولعل من حسنات هذه الصحوة المباركة أنها أعادت الاعتبار والمصداقية والمشروعية ـ ولو على المستوى النظري ـ لقانون الأمة الأصيل الذي ساد في المجتمعات الإسلامية زمن الوهج الحضاري للأمة الإسلامية؛ رغم فترات النكوص والتذبذب التي انتابت مساره التاريخي قبل أن «يتوارى» عن التطبيق على إثر الهجمة الشرسة للقوانين الوضعية الغربية والمتغربة، والتي حاصرته حتى في المواقع الضيقة التي تهم شخصية المسلم وأحواله العائلية.

لقد غدت الشريعة الإسلامية وإشكالية تطبيقها في الواقع الإسلامي الراهن من المواضيع الأساسية التي تشغل بال المفكرين سواء أكانوا إسلاميين أم علمانيين، كل من وجهة نظره الخاصة، ولم تعد الدعوة إلى تطبيقها مقتصرة على برامج الحركات الإسلامية وبعض الدعاة المخلصين، وإنما بدأت تشق طريقها نحو العديد من الهياكل التنظيمية والبُنى الدستورية والقانونية لبعض الدول العربية والإسلامية، بل وترجم ذلك عملياً بإدخال نصوص جديدة أو تعديل نصوص قديمة في دساتيرها وقوانينها التي تتعلق بمصادر التشريع التي تمتاح منها إلا أن هذا الموضوع ـ وكما هو الشأن لكثير من المواضيع الإسلامية الحساسة ـ كان عرضة لكثير من سوء الفهم والتعسف في التأويل والنقد والتغليط، مما جعل الآراء والتصورات يتوزعها تياران رئيسان:

أ – تيار مؤيد وراغب في التطبيق ويمثله عموم الإسلاميين.

ب – تيار رافض أو متحفظ إزاء هذا التطبيق، ويمثله عموم العلمانيين بمختلف توجهاتهم.

وإذا حاولنا تتبع آراء هاتين الجبهتين؛ ألفينا أن كلتيهما تستند في قولها ودعوتها إلى مسوِّغات تعزز به موقعها سلباً أو إيجاباً إزاء هذه القضية، وسنحاول أن نقف على مرتكزات كل طرف ومسوغاته على حدة، لنخلص في نهاية المطاف إلى تبيان الأبعاد الحقيقية والخلفيات الكامنة المستكنة وراء كل موقف وتجليتها.

مسوغات الرفض العلماني لتطبيق الشريعة الإسلامية:

يتأسس هذا الرفض على جملة من الحجج نوردها كالآتي:

أ - ترى التوجهات العلمانية أن الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في العصر الحاضر تفتقد إلى الرؤية المنهجية العامة التي ستيسر هذا التطبيق، وذلك لكونها تنبني على نصوص بالغة العمومية: فآيات الأحكام لا تتجاوز في مجموعها خمسمائة آية، ولا يمكن أن تعد قانوناً بالمعنى الصحيح للكلمة؛ هذا فضلاً عن الاختلافات الواسعة بين المذاهب الفقهية القديمة والحديثة حول كيفية تنزيلها على الوقائع المستجدة.

٢ - إن هذه الدعوة تفتقد إلى المصداقية التاريخية، لأن الشريعة الإسلامية لم تطبق في أجلى صورها إلا في فترة جد محدودة تنيف عن الأربعين حولاً، وفي بيئة لم تعرف من التعقيدات والمستجدات مثل ما نعيشه في عصرنا الراهن، مما يجعل إعادة إنتاج تلك التجربة تكريساً لماضوية القوانين العربية والإسلامية، وخروجاً عن منطق التاريخ الذي يقتضي التطور والتحديث، ومواكبة الابتكار الإنساني في النظم والأحوال والقوانين.

٣ - إن تطبيق الشريعة الإسلامية سيؤدي إلى تفتيت وحدة المجتمع العربي والإسلامي؛ بحكم وجود العديد من الأقليات غير المسلمة والتي تتعايش جنباً إلى جنب مع الشعوب الإسلامية في ظل القوانين الحالية دون أدنى حساسية أو «مركب نقص» لأن الجميع يستظل بمظلة الوطنية العاصمة من كل انقسام أو تشتت. ويستدلون هنا بموقف الرفض «النصراني العربي» لهذه الصيغة لما تنطوي عليه من أخطار العودة إلى نظام «أهل الذمة» و «نظام الملل» أي إيجاد نظام تراتبي في المواطنة.

٤ - إن تطبيق الشريعة الإسلامية سيكون ذريعة للحاكم المسلم للاستبداد، وانتهاك حقوق الإنسان، وسفك الدماء بدعوى تطبيق شرع الله ومحاربة المفسدين، ولعل في التجارب التاريخية التي عرفها تاريخ الإسلام السياسي خير شاهد على ذلك، ودليلاً ساطعاً على توظيف الدين لأغراض شخصية دنيئة، كما أن بعض التجارب المعاصرة تؤكد هذا وتشهد عليه.

٥ - إن تطبيق الشريعة الإسلامية سيخوِّل المؤسسة الدينية صلاحيات واسعة في إطار الدولة؛ مما سيتيح إمكانية الهيمنة وإقصاء المؤسسات الأخرى، وسيمثل هذا سابقة في تاريخ الدولة العربية الإسلامية؛ إذ المعلوم من استقراء التاريخ الإسلامي أن هذه المؤسسة نشأت بمعزل عن الدولة بل وفي تعارض معها.

٦ - إن الغاية المبتغاة من المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية وإثارة النقاش حولها، هي بلوغ أهداف سياسية مرحلية كتحسين الموقع السياسي، والضغط باسم الشريعة على الخصم قصد انتزاع ما يمكن انتزاعه من مكاسب في اللعبة السياسية الداخلية، وقد تبين ذلك بشكل جلي في مشاركة العديد من الحركات الإسلامية في إطار هذه اللعبة وفق شروط لم تشارك أصلاً في وضعها. ومعلوم أيضاً أن هذه القضية تفتقد إلى إجماع إسلامي حول المبدأ أصلاً، كما تعاني من انشطار في الموقف الإسلامي العام يتراوح بين موقف رافض لها داع إلى التعامل الإيجابي مع الأنظمة السياسية القائمة، إلى موقف داع لها رافض لكل الأجهزة الحالية، وإلى موقف اجتهادي يحاول التوفيق بين القواعد العامة للشريعة والاندماج المباشر أو غير المباشر في اللعبة السياسية على علاتها وقواعدها الهجينة.

ملاحظات بشأن الدعاوى العلمانية:

قبل استعراض حجج المؤيدين لهذه القضية لا بد من إبراز جملة من الملاحظات بشأن الحجج العلمانية الآنفة الذكر:

١- إن الأطراف العلمانية بإصرارها على رفض تطبيق الشريعة الإسلامية أو حتى المطالبة بذلك تبغي تكريس القطيعة بين الجماهير المسلمة وبين هويتها الأصيلة المتجسدة في الإسلام عقيدة وسلوكاً وشريعة ونظاماً، وفي المقابل تعمل على إدامة القوانين الوضعية الدخيلة، ومن ثم تعميم الإلحاقية للغرب، ومصادرة المرجعية التاريخية للأمة الإسلامية الكامنة في نفوس شعوبها رغم مظاهر الانحراف والتسيب واللامبالاة الطافية في المجتمعات الإسلامية الراهنة؛ لأن هذه الحالات لا تعدو أن تكون مظاهر نفسية متوترة تشعر بالقلق وتبحث عن «الذات» في خضم واقعها المضطرب والمفروض باستبداد الأنظمة المتغربة التي تحتكر السلطان السياسي بمعاول «الأنا» وعقلية «الآخر» وتخطيطه!!

٢ - إن العلمانيين يطبقون مقولة «قياس الشاهد على الغائب» في محاكمتهم للشريعة الإسلامية، وذلك لارتكازهم في بناء تحفظاتهم (وهي تعني رفضهم) إزاء الشريعة على روايات من تاريخ الدول الإسلامية تحكي عن سفك دم أو حمق أو تهور حاكم في تطبيق بعض الأحكام الإسلامية، فيتخذون هذا العمل المُشين حجة على الإسلام وليس على فاعله، ولو لجأنا إلى هذا المنطق في تقويم مسار القوانين الغربية والمتغربة المعمول بها في مختلف أرجاء العالم الإسلامي والعربي لما بقيت حصاة في جدرانها بَلْهَ أن يكون حجراً، والتاريخ الأوروبي والغربي - تاريخ المظالم - خير شاهد على ذلك؛ ولو قورنت جرائم الحكام المسلمين الأوائل التي يُتَذَرَّع بها لرفض شريعة الإسلام، لما بلغت في هولها وفظاعتها عشر ما بلغته جرائم حكام أهل الغرب وساساتهم، ونحن هنا لا نسوِّغ الظلم والطغيان باسم الإسلام، وإنما نوازن بين المفاسد؛ وللعاقل حرية الترجيح!!

٣ - إن النخب المتغربة في العالم العربي والإسلامي يغيظها أن تكتسب الحركات الإسلامية ومقاصدها مصداقيتها لدى الشعوب من خلال بنائها لمشروعها السياسي على أسس الشريعة الإسلامية ومقاصدها، مما يدفعها إلى «الإرهاب الفكري والمصطلحي» وذلك من قبيل الاتهامات الفجة والانطباعات القيمية المستفزة التي تسجلها في شأن هذه الحركات، بل بلغت الوقاحة ببعضها إلى مستوى «العمالة الفكرية» لبعض الأنظمة المتغربة ثمناً لبقائها، وإفناءاً لخصمها، وما اليسار المتغرب في تونس عنا ببعيد.

٤ - وأخيراً، إن عتاة العلمانيين، وبعد أن بارت بضاعتهم في السوق الفكرية والسياسية العربية والإسلامية، وعجزوا عن اختراق البنية الفكرية والنفسية للإنسان المسلم لجؤوا إلى التكسب والارتزاق من الإساءة بأقلامهم إلى ما يمت بصلة إلى الإسلام، بتأويلاتهم الفجة لنصوصه المقدسة، أو للإسلاميين بالنبز والتشهير وسوء الأدب، وأمثال هؤلاء في العالم العربي والإسلامي كثر.

مسوغات الاتجاه الداعي إلى تطبيق الشريعة الإسلامية:

تتمثل حجج مؤيدي هذا الاتجاه في الآتي:

١ - إن الشريعة الإسلامية، وإن توارت عن مواقع التوجيه المباشرة في حياة المسلمين، وتركت لتوجيه التيارات المنحرفة والأنظمة الوضعية، تملك رصيداً تاريخياً هاماً يزكي مصداقيتها ومشروعيتها في التطبيق من جديد، وذلك بعد استصحاب مقاصد الشريعة الإسلامية الغراء، وخاصة ذات الصبغة الاجتماعية نظراً لما استجد من النوازل التي تستلزم تنزيل أحكام الشريعة عليها.

٢ - إن تطبيق الشريعة الإسلامية سوف ينهي «الانشطارية الولائية» القابعة في نفسية الإنسان، بل والمجتمع المسلم بشكل عام؛ ذلك أن المسلم يتوزع في الوقت الراهن بين ولائين: أحدهما للأنظمة السياسية القائمة بقوانينها وتشريعاتها المتغربة في عمومها، وثانيهما للإسلام الذي يمثل جوهر هويته وشريعته الواجبة الاتباع، وقد كانت هذه الثنائية في الولاء ولا تزال سبباً في كثير من مظاهر الإعياء والنكوص والرياء والنفاق الفردي والجماعي، فانعكس ذلك سلباً على أداء أمتنا الحضاري.

٣ - إن تطبيق الشريعة الإسلامية سوف ينمي لدى الفرد المسلم وكذا المجتمع عقلية «الواجب الشرعي» المحفزة للعمل، بدل عقلية «الحقوق» الدافعة للمطالبة المستمرة والاستياء والنفور والتقاعس عن تنفيذ الخطط والتوجيهات الصادرة - حاضراً - عن أهل السلطان السياسي، نظراً للقطيعة القائمة بين الأسس المعرفية لهذه القوانين والتركيبة النفسية للفرد المسلم.

٤ - إن تطبيق الشريعة الإسلامية لن يلغي سلطة المؤسسات بل سيعمل على ترسيخها وتزكية مشروعية العمل بها؛ لأن موقف الإسلام من المؤسسات أصيل، والتجربة التاريخية للدولة الإسلامية ثرية جداً في هذا المضمار، وتكفي الإشارة إلى بعض الهيئات التي عرفتها الدولة الإسلامية النواة كـ «هيئة النقباء الإثني عشر» و «هيئة المهاجرين الأولين» اللتين كانتا بمثابة «مؤسسات دستورية» ذات اختصاصات محدودة

كالتمهيد لعقد البيعة مثلاً. يضاف إلى هذا العديد من المؤسسات التي أفرزها تطور بُنية الدولة الإسلامية عبر مختلف المراحل والعصور، ومن ثم فلا ضير من استصحاب ما يمكن استصحابه من مؤسسات الدولة العصرية لكن بعد تنقيتها من كل الأوضار الأيديولوجية العالقة بها ظاهراً وباطناً.

٥ - إن تطبيق الشريعة الإسلامية لن تكون أداة تسلطية بيد الحاكم، بل على النقيض من ذلك تماماً ستكون معياراً لضبط تصرفاته ومحاسبته على ضوئها؛ لأن الحكومة في الإسلام ليست «ثيوقراطية» تمثل ظل الله في أرضه، ولا هي تقوم على منطق التسلط الفئوي، وإنما هي شورية تقوم على أساس رقابة الأمة لما يُسن من نظم وقوانين تلائم المصلحة العامة والمقاصد الإلهية العليا.

٦ - إن المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية في زماننا هذا وإن كان يبدو أنه ذو طبيعة سياسية، إلا أنه ليس مطلباً فئوياً أي يخص الإسلاميين وحدهم - بل هو مطلب شعبي جماهيري، لأنه يهدف إلى إعادة المصداقية والمشروعية المستلبة لقانون الأمة الحقيقي، ولا مجال للتعبير عن ذلك في الظرف الراهن في رأيي إلا من خلال المؤسسات التي تقرها الأنظمة المتغربة في كثير من بلادنا الإسلامية، أي تكوين الأحزاب والمشاركة السياسية المشروعة.

وقبل الختام؛ يجدر بنا أن نشير إلى أن الموقف من تنزيل مضمون الشريعة الإسلامية في الواقع الإسلامي الراهن لا يزال يتوزع داخل الصف الإسلامي بين ثلاث اتجاهات:

- اتجاه أول يدعو إلى التطبيق الفوري، وخاصة مسألة الحدود.

- اتجاه ثان يدعو إلى تأجيل الشعار وانتهاج أسلوب إصلاحي قصد تعديل أو تطوير الشرائع السائدة في الاتجاه الذي لا يتعارض ومقاصد الشريعة الإسلامية العامة.

- اتجاه ثالث يدعو إلى فتح الحوار وتعميق النقاش حول «القاع النظري» لهذا الموضوع - على حد تعبير الكاتب التونسي صلاح الدين الجورشي - من أجل إيجاد مقترحات عملية وتفصيلية للتطبيق.

ولعل هذا التوزع يعكس مدى الشتات النظري القائم حالياً بين الاتجاهات الإسلامية، مما يعني أن الأمر يحتاج إلى رؤية منهجية واضحة تلم بمختلف جوانب الموضوع، ولن يتأتى ذلك إلا بإدارة الحوار الواسع بين مختلف الاتجاهات قصد إيجاد الإجابات لمجمل الأسئلة التي تتداولها النخب الفكرية والسياسية في العالم العربي والإسلامي، كما أن المفكرين الإسلاميين مطالبون بدراسة المجتمعات الإسلامية ابتداءاً من المجتمع القدوة (مجتمع الرسول ﷺ) حتى مجتمعاتنا المعاصرة مع تبيان مختلف الأنماط التطبيقية للأحكام الإسلامية التي سادت في كل مجتمع على حدة، وتجلية الخروقات والتجاوزات التي شهدتها؛ وذلك لتبرئة ذمة الدين الإسلامي الحنيف من كل جور أو عسف ارتكب باسمه في زمن من الأزمان، مما يتخذ في يومنا هذا تَعلّة لأي رفض أو تحفظ .

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن دراسات الفقه الدستوري والجنائي الإسلامية لا تزال ضعيفة إلى يومنا هذا، فإذا استثنينا بعض المجهودات التي خلفها لنا الشهيد عبد القادر عودة من خلال مؤلفيه القيمين: «الإسلام وأوضاعنا القانونية»، و«التشريع الجنائي في الإسلام» وكذا ما ألفه الدكتور محمد فتحي الدريني حول «نظرية التعسف في استعمال الحق في الشريعة الإسلامية» فلا نكاد نجد إلا اجتراراً لاجتهادات فقهية قديمة كانت في واقع أمرها صدى لواقعها بالدرجة الأولى مما يتطلب اجتهادات جديدة في هذا المضمار تجيب بدقة عن الإشكالات المطروحة في العصر الحاضر.

وختاماً: نقول إن هذا الموضوع يحتاج إلى مجهودات فكرية ونظرية متضافرة تخدم الصالح العام للأمة الإسلامية لإخراجها من واقع التردي الحضاري الذي تعيشه في الوقت الراهن، ولن يتأتى ذلك إلا بالحوار الهادف والبناء بدل الاتهامات والاتهامات المضادة الفجة.

لقد طال ليلك أرض السلام

مروان كُجُك

لَقَدْ طَالَ لَيْلُكِ أَرْضَ السَّلامْ — وَآدَكِ[1] ظُلْمٌ شَدِيدُ الظَّلامْ

وَبِتِّ كَأَنَّكِ بَيْنَ الْبَرَايَا — تُسَاقِينَ سَوْقَ ذَلِيلِ السَّوَامْ

يَقُودُكِ عِلْجٌ إِلَى مُبْتَغَاهُ — شَحِيحُ الْفِعَالِ سَخِيُّ الْكَلامْ

يُزَوِّرُ كُلَّ صَبَاحٍ مَقَالاً — بِأَنَّ الْبِلادَ عَلَى مَا يُرَامْ

فَلا ذُلَّ فِيهَا وَلا فَقْرَ فِيهَا — وَلا هَمَّ فِيهَا سِوَى أَنْ تَنَامْ

* * *

لَقَدْ طَالَ لَيْلُكِ، وَالْمُجْرِمُونَ — أَحَلُّوكِ سِجْناً وَخِيمَ الرَّغَامْ

وَقَالُوا: هُنَا الْعَيْشُ حَتَّى تَمُوتِي — قَضَى الْقَاضِيَانِ: الْهَوَى وَالْخِصَامْ

بُعِثْنَا لِنَهْدِمَ كُلَّ الْمَعَالِي — وَعِثْنَا فَسَاداً بِكُلِّ نِظَامْ

فَنَحْنُ الْعَدُوُّ وَنَحْنُ الصَّدِيقُ — وَنَحْنُ الْعِرَاكُ وَنَحْنُ الْوِئَامْ

سَطَوْنَا عَلَى الدَّارِ وَالنَّاسُ فِيهَا — فُرَادَى سُكَارَى الْفُؤَادِ نِيَامْ

فَلَمْ نَلْقَ حَرْباً وَلَمْ نَلْقَ إِلاَّ — رُؤُوساً تُجِيدُ فُنُونَ الْكَلامْ

لَهَا صَوْلَجَانُ الْحُرُوفِ الْمُقَفَّى — وَنَثْرُ تَخَارِيفِ أَهْلِ الْمَنَامْ

تَبِيتُ وَفِي مُقْلَتَيْهَا بَرِيقٌ — وَتُصْبِحُ غَارِقَةً فِي الظَّلامْ

---

(١) أي: أجهدك وشقَّ عليك.

تَعِيشُ عَلَى ذِكْرَيَاتِ الْجُدُود ... وَتَهْدِمُ مَجْداً رَفِيعَ الْمَقَامْ
وَتَحْيَا عَلَى قَوْلِ: نَحْنُ الأُبَاةُ ... وَتَأْبَى مَسِيرَةَ قَوْمٍ كِرَامْ
وَتَجْتَرُّ فِي النَّاسِ: كُنَّا وَكُنَّا. ... وَتُسْلِمُ مُهْجَتَهَا وَالْخِطَامْ
وَتُعْطِي الزِّمَامَ لِفَسْلٍ ذَمِيمِ ... سَلِيلِ بُغَاةٍ حَفِيدِ لِئَامْ
بِهِ الْغِلُّ يَأْوِي سَعِيداً وَلُوداً ... قَوِيَّ الْمِرَاسِ شَدِيدَ الضِّرَامْ
يَذُرُّ الرَّمَادَ بِعَيْنِ الْحَسُود ... وَيَسْحَرُ لُبَّ الْفَتَى الْمُسْتَهَامْ
وَيَكْتُبُ بِالسَّيْفِ عَدْلاً عَمِيماً ... وَيَمْلأُ أَعْيُنَنَا بِالسِّهَامْ
لَنَا مِنْهُ كُلَّ صَبَاحٍ وُعُودٌ ... تُقِيتُ الظُّنُونَ، تُحَاكِي الْغَمَامْ:
سَنَجْعَلُ أَرْضَ السَّلامِ مُرُوجاً ... حَدَائِقَ غُلْباً، وَجَيْشاً عُرَامْ
يَكِيدُ الْعَدُوَّ وَيَحْمِي الْبِلادَ ... مِنَ الذُّلِّ وَالْقَهْرِ وَالإنْقِسَامْ(١)
وَيَبْنِي صُرُوحَ الْحَيَاةِ بُرُوجاً ... وَيَعْدِلُ فِي الْخَلْقِ حَاماً وَسَامْ

* * *

لَكِ اللهُ يَا شَامَةً فِي الدِّيَار ... وَإِنْ طَالَ لَيْلٌ وَسَادَ طَغَـ
وَلَوْ كَبَّلُوكِ بِكُلِّ الصُّكُوك ... وَظَنُّوا الأُمُورَ انْتَهَتْ لِلْخَـ
فَعُودِي لِرَبِّكِ وَاسْتَرْشِدِيهِ ... وَظَلِّي عَلَى الْعَهْدِ حَتَّى الـ
فَمَهْمَا يَجُرْ فِيكِ مِنْ مُسْتَبِدٍّ ... وَيَجْعَلْ حُصُونَ الْهُدَى كَـ
فَلَيْسَ لِحُكْمِ الدَّعِيِّ بَقَاءٌ ... وَلَيْسَ لِعَهْدِ الشَّقَـ
وَسَوْفَ نُمَزِّقُ سِتْرَ اللَّيَالِي ... وَنَبْعَثُ فِي الأَرْضِ رُوحَ الـ

---

(١) الانقسام: مصدر خماسي، وهمزته همزة وصل؛ إلا أنها قطعت لضرورة الشعر.

في السّحر

عبدالرحمن السنوسي

رَبَّاه هَذي جَبْهَتي … تَعْنُو لوَجْهِكَ فِي حُضُورْ
وَتَسُلُّ مِن أيَّامِهَا … هَذي الدَّقَائقَ في السَّحُورْ
فَلَعَلَّهَا تَحْظَى بِمَا … أكْنَنْتَ مِن سِرٍّ ونُورْ
وَتَذُوقُ مَعْنًى قَدْ طَوَتْـ … ـه .. سِجَافُ هَاتِيكَ السُّتُورْ
وَتَصُوغُ مِنْ هَالاتِه … سَوْطاً لأهْوَاء تَثُورْ
فَلَقَدْ أمَضَّ فُؤَادَهَا … فَوضَى بِأحنَاءِ الصُّدُورْ
وَتَشَعَّبَتْ مِنْ حَوْلِهَا … فِكَرٌ كَأسْرَابِ الطُّيُورْ
وَيَسُوقُهَا أمَلٌ إلى … نَجْوَاكَ في كَنَفِ السَّحُورْ
فَلكَمْ حَدَاهَا بُؤْسُهَا.. … فَتَصِيح لَيْلاً: ... يَا غَفُورْ
ولَكَم أثَارَ شُجُونَهَا … ألَمٌ مُمِضٌ لا يَغُورْ
لا الصَّبْرُ ثَاوٍ في الفُؤَادِ … وَلا المُقِيمُ بِهِ صَبُورْ
أبداً حَيَاتي في عَنَاء … ليس يُحْيِيهَا السُّرُورْ
قَدْ بَرَّحَ الألَمُ الممضُّ … بِهَا وَأضْنَاهَا الفُتُورْ
فَإلَيْكَ أشْكُو شِقْوَتي … في هَدْأةِ اللَّيْلِ الوَقُورْ
وإلَيْكَ أرْفَعُ هَامَتِي … ويَدَيَّ إبَّانَ الحُضُورْ
لتَشُدَّ أزري يا كَرِيم … وتمحُ أخْطَاءَ الشُّعُورْ!

كنتُ أدعو للصواب

محمد عبد السلام الباشا

عندما أسْفَرَ شَيبي
باكياً عهد الشبابِ
عندما أيقنتُ أنّي
مِنْ تُرابِ
عائداً نحوَ الترابِ
عندها جالستُ نفسي للحسابِ
قد سألتُ النفسَ
من غيرِ تغابي
علَّها تَدري سَوادَ الأمرِ
مِنْ قَبْلِ الجوابِ
علَّها تبني مَلاذاً
في جِنانِ الله،، تسعى للثوابِ
هل أقومُ الليلَ في جوفِ الظلامِ؟
هل أُباري الطيرَ..
في تسبيحة تعني التزامي؟
هل أصونُ الصومَ في شهرِ الصيامِ؟
هل رَعَيْنا حقَّ جيرانٍ لنا قبلَ الملامِ؟
هل نُريدُ الحقَّ..
في أقوالِنا عندَ الكلامِ؟
هل نصونُ العهدَ..
حتَّى في الخِصامِ؟

هل تَواصَيْنَا بِصَبْرٍ ..
في النوازلْ؟
هل أجبْنَا دعوةً للخيرِ..
أو جُدْنا لسَائلْ؟
هل تَمَسَّكْنَا بأنواعِ الفضائلْ؟
هل سَلَكْنا للعُلا كلَّ الوَسائلْ؟
إنْ فَعَلْنَا..
نحنُ في الإبحارِ أقوى
بلْ إلى الخيراتِ نَسعى..
قُلْ ونَهْوى
عندها يزداد شوقي للمآبِ
عندها تُشْرِقُ شَمْسي..
بعد طولٍ للغيابِ
قد دنتْ مني الأماني
في جنانِ اللهِ مِنْ غيرِ عذابِ
عندها تَدْري بأنّي
كنْتُ أدعو للصوابِ
كانَ قَولي:
إنَّما الدُّنيا سرابٌ في سرابِ
حاذِرُوها..
إنَّها تجري سريعاً كالشهابِ



الأمم المتحدة .. ما حدود صلاحياتها؟!

أ.د. جعفر شيخ إدريس

رئيس الجامعة الأمريكية المفتوحة

أظهرت الجلسة الأخيرة الخاصة للأمم المتحدة قضية يجدر بالدول الأعضاء - ولا سيما الإسلامية منها - أن توليها قدراً كبيراً من العناية، لما يترتب عليها من آثار خطيرة بعيدة المدى.

سميت الجلسة بالخاصة؛ لأنها إنما عقدت لإجازة «القرارات» التي كان مؤتمر بالصين قد أجازها قبل خمس سنوات. ولذلك سميت الجلسة «بيجن/٥»(*) وقد أعطيت المنظمات غير الحكومية فرصة لحضور هذه المناسبة لمناقشة القرارات والتأثير على الممثلين الرسميين، وإن لم يؤذن إلا للقليل جداً منهم بحضور جلسات الجمعية نفسها.

لقد كانت مقررات «بيجن» كلها متعلقة بالمرأة، وكان فيها كثير من الاقتراحات الجيدة والمفيدة، كتلك المتعلقة برفع المعاناة عن الشعوب ولا سيما النساء فيها، وكتلك التي تتحدث عن الجوانب السلبية للعلمنة الاقتصادية. لكن المقررات تضمنت أيضاً دعوة إلى الإباحية الجنسية من شذوذ بين الرجال وشذوذ بين النساء، وأن البنت لها الحرية في أن تتصل بمن تشاء وأن تتزوج من تشاء من غير اعتبار لدين، ولا لرأي أسرة.

كنت فيمن شهد هذه الجلسة فرأيت فيها عجباً أثار في نفسي كثيراً من الآراء والمقترحات للجماعات الإسلامية، أرجو أن أتعرض له في مناسبات أخرى. أما الآن فيكفي أن أقول: إن معظم المنظمات غير الرسمية التي شهدت هذه الجلسة كانت من النوع المتحمس للإباحية الجنسية والداعي لها بقوة، حتى إنك تكاد ألاَّ تسمع صوتاً غير أصواتها، وقد بذلتْ جهداً كبيراً ومنظماً في التأثير على الممثلين الرسميين أصحاب القرار. ولولا لطف الله - تعالى - ثم اعتراض بعض المنظمات الإسلامية - وكان من أهمها رابطة العالم الإسلامي - والدول الإسلامية لأجيزت هذه التوصيات الإباحية.

لكن عرض هذا الموضوع على هيئة الأمم أثار في ذهني سؤالاً مهماً انتهزت فرصة وجودي في هيئة الأمم للتعبير عنه بين الجماعات الإسلامية، وللكتابة عنه في نشرات رابطة العالم الإسلامي. والموضوع هو: ما حدود صلاحيات الأمم المتحدة؟ قلت: إنه ليس من حق منظمة الأمم المتحدة أن تصدر قرارات في مسائل تتعلق بالمعتقدات والقيم التي يختلف فيها الناس اختلافاً كبيراً. وذلك للأسباب الآتية:

أولاً: إنه بما أن الدول المكونة للأمم المتحدة يختلف كثير منها ذلك الاختلاف الكبير في المعتقدات والقيم؛ فإنه لا يمكن لهؤلاء الأعضاء أن يستمروا متعاونين لمواجهة المشكلات التي تهمهم جميعاً إلا إذا كانوا مستعدين لأن يتعايشوا ويتحمل بعضهم بعضاً رغم هذه الخلافات. إن التغيير في هذه المسائل الجوهرية الأصولية

(*) «بيجن» أي: بكين، وهي عاصمة الصين.

لا يأتي إن أتى - وسواء كان إتيانه إلى خير أو إلى شر - إلا بالتدرج وبالطرق السلمية. لكن الذي نراه الآن هو أن بعض الجماعات الغربية تريد أن تستغل المنظمات العالمية لكي تفرض معتقداتها وقيمها على المجتمعات الأخرى. وقلت: إنني موقن بأن بعض الدول - ومنها الدول الإسلامية - لن تنفذ هذه القرارات. وأن هذا سيؤدي إلى عدم احترام قرارات الأمم المتحدة، وربما أدى في النهاية إلى إضعاف المنظمة وعدم فعاليتها.

إننا - نحن المسلمين - مثلاً لا نأخذ معتقداتنا وقيمنا من الأمم المتحدة أو غيرها من المنظمات، ولا نعدها مصدراً مشروعاً لها، وإنما نأخذها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

والغريب الذي لا يعلمه كثير من الناس أن موقف أمريكا شبيه بموقفنا الإسلامي هذا؛ فالدستور الأمريكي والقوانين الأمريكية هي عند الأمريكان فوق كل ما سواها من قرارات واتفاقات، فلا شيء من هذا يصير ملزماً قانوناً إلا إذا أجازته الهيئة التشريعية، وهي لا تملك أن تجيز أمراً مخالفاً للدستور. ولذلك فإن وزيرة الخارجية الأمريكية اعتذرت في خطابها بهيئة الأمم بهذه المناسبة بأن بلدها لم يستطع إجازة مقررات «بيجن» بسبب معارضة بعض الشيوخ!

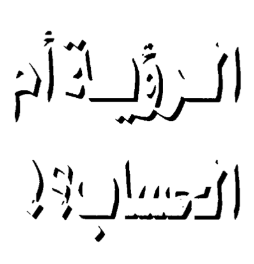
ونحن نضع كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ فوق كل قانون وكل قرار وكل اتفاق، بل ونفسر ما نوافق عليه منها في حدود هذا القانون الأعلى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١] ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

ثانياً: إن إعلان حقوق الإنسان الذي أقرته الأمم المتحدة يعطي الناس حق الحرية الدينية؛ فماذا يبقى للناس من هذه الحرية إذا أعطت الأمم المتحدة نفسها الحق في أن تفرض عليهم كيف يفهمون دينهم، وماذا يأخذون منه وماذا يدعون، وإلا كانوا معرضين للعقوبات؟ إن المسلم لا يظل مسلماً إذا هو أباح ما حرم الله تعالى، وإن من أشد المحرمات في دين الله جرائم الزنا وعمل قوم لوط. فكأن الأمم المتحدة تطلب من المسلمين إذن أن يتخلوا عن دينهم!! كيف يستقيم هذا مع اعتبار الحرية الدينية حقاً من الحقوق الإنسانية التي تدافع عنها الأمم المتحدة؟

إن الدين في المفهوم الإسلامي هو منهاج الحياة الذي يختاره الناس لأنفسهم، سواء كان هذا المنهاج قائماً على أسس من دين أنزله الله تعالى، أو كان شيئاً اختاره الناس وتصالحوا عليه. فما يسمى بالعلمانية هو بهذا الاعتبار دين، وقرارات «بيجن» هي أيضاً دين. فإذا فرضتها الأمم المتحدة على الشعوب تكون قد أكرهتهم على الالتزام بدين لا يؤمنون به؛ فأين حرية الدين إذن؟

ثالثاً: ماذا يبقى للدول من سيادة قومية إذا كانت قرارات الأمم المتحدة ستكون فوق ما تقرره الشعوب في أوطانها، حتى لو كانت قراراتها صادرة عن هيئات تشريعية كتلك التي توجد في البلاد الغربية؟ لكن الواقع أن هذا التطاول على السيادة القومية لن يمارس إلا على الشعوب الفقيرة والضعيفة. أما الشعوب الغنية والقوية فلن يجرؤ على مساءلتها أو محاسبتها ومعاقبتها أحد. وهذا يعني أن ما تقرره أو ترضى عنه الشعوب في الدول القوية هو الذي يفرض عن طريق الهيئات العالمية على الشعوب الفقيرة. هذا على افتراض أن الشعوب هي فعلاً التي تقرر. أما في الواقع الذي نراه فإن شعوب تلك البلاد هي نفسها مستغلة ومسخرة لأهواء جماعات أقلية غنية نشطة.

إذا كانت الحكومات القطرية تحدد صلاحيات الحكومة الفدرالية أو المركزية وصلاحيات حكومات الولايات أو الإمارات؛ بحيث لا يجور بعضها على بعض، أفلا يكون من العدل أن تحدد صلاحيات منظمة الأمم المتحدة، وصلاحيات الحكومات القطرية المكونة لها؟



الخلاف شر

أحمد بن عبد الرحمن الصويان

من المسائل المتفق عليها قديماً وحديثاً: إعذار المجتهد المخالف؛ فما زال العلماء يخالف بعضهم بعضاً في مسائل الاجتهاد، ولا يمنعهم ذلك من التواد والتحاب؛ وأقوال الأئمة في ذلك كثيرة جداً، منها:

قال يحيى بن سعيد الأنصاري - وهو من أجلاَّء التابعين -: «ما برح المستفتون يُستفتَوْن، فيُحل هذا، ويُحرِّم هذا، فلا يرى المحرِّم أنَّ المحلِّل هلك لتحليله، ولا يرى المحلِّل أن المحرِّم هلك لتحريمه»(١).

وقال سفيان الثوري: «إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي قد اختُلف فيه وأنت ترى غيره فلا تنهه»(٢).

وقال ابن قدامة المقدسي: «لا ينبغي لأحد أن ينكر على غيره العمل بمذهبه؛ فإنه لا إنكار على المجتهدات»(٣).

وقال ابن تيمية: «التفرق والاختلاف المخالف للاجتماع والائتلاف حتى يصير بعضهم يبغض بعضاً ويعاديه، ويحب بعضاً ويواليه على غير ذات الله، وحتى يفضي الأمر ببعضهم إلى الطعن واللعن والهمز واللمز، وببعضهم إلى الاقتتال بالأيدي والسلاح، وببعضهم إلى المهاجرة والمقاطعة حتى لا يصلي بعضهم خلف بعض، وهذا كله من أعظم الأمور التي حرمها الله ورسوله، والاجتماع والائتلاف من أعظم الأمور التي أوجبها الله ورسوله»(٤).

وهذه المسألة على الرغم من وضوحها وجلائها واتفاق الناس عليها إلا أن في تطبيقها عند بعض الناس خللاً ظاهراً؛ فخلافٌ يسير في مسألة فقهية اجتهادية يسوغ فيها الخلاف يؤدي إلى ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية. نسأل الله السلامة.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/٩٠٣).

(٢) الفقيه والمتفقه (٢/٦٩).

(٣) الآداب الشرعية، لابن مفلح الحنبلي (١/١٨٦).

(٤) خلاف الأمة في العبادات ومذهب أهل السنة والجماعة، لابن تيمية، ضمن مجموعة الرسائل المنبرية (٣/١١٦).

ومن المسائل الفقهية التي يتجدد حولها الجدل في البلاد الغربية خاصة في مثل هذه الأيام، مسألة: (إثبات دخول شهر رمضان وخروجه)؛ فمنهم من يرى وجوب الاعتماد على الرؤية، ومنهم من يرى الاعتماد على الحساب. والقائلون بالقول الأول يختلفون فيما بينهم على أقوال: فمنهم من يرى اعتماد رؤية مكة، ومنهم من يرى اعتماد رؤية أقرب بلد إسلامي، ومنهم من يرى اعتماد رؤية أي بلد إسلامي...

ومثل هذا الخلاف أدى في العام المنصرم في بعض المدن الأوروبية - مثلاً - إلى جدل عريض، ثم تطور إلى قيل وقال، ثم وصل الحال إلى تراشق بالتهم عند بعضهم، وراح بعض أتباع كل فريق يستدعي خلافات أخرى، ويستثير كوامن من الاختلافات القديمة..!! ووقع بعضهم فيما أشار إليه العلامة القاسمي بقوله: «غريبٌ أمر المتعسفين، والغلاة الجافين، تراهم سراعاً إلى التكفير والتضليل، والتفسيق والتبديع، وإن كان عند التحقيق لا أثر لشيء من ذلك إلا ما دعا إليه الحسد، أو حمل عليه الجمود وضعف العلم»(١).

فالقائلون بالقول الأول: يرون إخوانهم قد ردوا النص الشرعي، وساروا على منهاج أهل الأهواء من العقلانيين الذين لا يعظمون النصوص ولا يرعون حرمتها، وربما عظم بعضهم هذا الخلاف، وزعم أنه ليس خلافاً فقهياً، بل هو خلاف منهجي، **وما الخلاف في هذه المسألة إلا أثر من آثاره!!**

والقائلون بالقول الثاني: يرون إخوانهم قد جمدوا في فهم دلالة النص، فمقصود الشارع أن يتثبت الناس من دخول الشهر، فإذا استطاعوا معرفة دخوله بأي طريقة علمية صحيحة فثمَّ مقصود الشارع. والحساب الذي ردَّه المتقدمون من أهل العلم كابن تيمية وغيره هو الحساب الظني الذي يكثر فيه خطأ الحسابيين واختلافهم فيما بينهم، أما الحساب في هذا العصر فقد تغيرت آلياته وتطورت أدواته، وأصبحت نسبة الخطأ فيه قليلة جداً، والشرع لا يأتي بما يخالف العقل.

وأحسب أن حسم الخلاف بين الفريقين متعسر جداً إن لم يكن متعذراً؛ فمن جاء بفتوى من أحد العلماء رُدَّ عليه بفتوى أخرى مخالفة لها من عالم آخر، وكل عالم لدى صاحبه أولى بالاتباع من الآخر.

إذن ما الحل في ظل غياب الولاية الإسلامية التي تجمع الناس على رأي واحد؟!

أرى أن أمامنا خيارين:

● **الخيار الأول**: أن يأخذ كل مركز بما يرى أنه الأرجح، وعلى الأئمة ومديري المراكز الإسلامية والمساجد أن يتقوا الله - تعالى - في الترجيح، ويبذلوا الجهد في الوصول إلى الحق الذي تبرأ به الذمة، ويستشعروا عظم الأمانة المناطة في أعناقهم.

ثم ينبغي لكل مركز ومسجد أن يقدر رأي الآخرين الذين خالفوه، ويلتمس لهم العذر، ويذبَّ عنهم، ولا يسمح بالجدل والمراء.

وهذا الرأي وإن كانت نتيجته تفريق الناس في المدينة الواحدة، إلا أن فيه قطعاً لمادة الخلاف والتنازع، وسداً لأبواب الغيبة والنميمة، قال ابن تيمية: «.. وإن رجح بعض الناس بعضها [يعني:

---

(١) الجرح والتعديل، للقاسمي (ص ٣٧).

بعض الاجتهادات] ولو كان أحدهما أفضل؛ لم يجز أن يظلم من يختار المفضول ولا يذم ولا يعاب بإجماع المسلمين، بل المجتهد المخطئ لا يجوز ذمه بإجماع المسلمين، ولا يجوز التفرق بذلك بين الأمة»[1].

● **الخيار الثاني وهو الأوْلى والأرجح**: أن يجتمع أهل الرأي من الأئمة ومديري المساجد والمراكز ويتدارسوا المسألة، ثم يخرجوا باتفاق موحَّد؛ ويتطلب هذا حرصاً من الجميع على ضرورة التآلف والاتفاق، والالتزام بقول النبي ﷺ: «تطاوعا ولا تختلفا»[2]. فليس المقصود أن ينتصر المرء لرأيه، بل المقصود هو تحقيق المصلحة الشرعية؛ فمفسدة التدابر والتنابذ والتقاطع أعظم أثراً وأشد خطراً من الأخذ بأحد القولين؛ لأن غاية ما في أحدهما أنه اجتهاد مرجوح يثاب عليه صاحبه بأجر واحد، وأما الاختلاف فكما أنه يزيد من الشرخ المستشري في جسد العمل الإسلامي، ومدعاة لسخرية غير المسلمين من المسلمين؛ فهو مخالف لمقصود الشارع الذي أمر بالتعاون على البر والتقوى، قال الله - تعالى -: ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ**﴾. [**آل عمران**: ١٠٥].

أنا لا أدعو إلى المثالية في إنهاء الخلاف برمته؛ فهذا أمر غير واقعي على الإطلاق، ولو سلم منه أحد لسلم منه أصحاب النبي ﷺ، ولكن الذي نهى عنه علماء السلف والخلف: هو أن يتحول الخلاف إلى صراع وتصادم وشقاق. قال الإمام الشاطبي نقلاً عن بعض المفسرين: «فكل مسألة حدثت في الإسلام فاختلف الناس فيها ولم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة علمنا أنها من مسائل الإسلام، وكل مسألة طرأت فأوجبت العداوة والتنافر والتنابز والقطيعة علمنا أنها ليست من أمر الدين في شيء، وأنها التي عنى رسول الله ﷺ بتفسير الآية، وهي قوله - تعالى -: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً**﴾ [**الأنعام**: ١٥٩] .... فيجب على كل ذي دين وعقل أن يجتنبها، ودليل ذلك قوله - تعالى -: ﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً**﴾ [**آل عمران**: ١٠٣]، فإذا اختلفوا وتقاطعوا كان ذلك لحدثٍ أحدثوه من اتباع الهوى. هذا ما قالوه، وهو ظاهر في أن الإسلام يدعو إلى الألفة والتحاب والتراحم والتعاطف؛ فكل رأي أدى إلى خلاف ذلك فخارج عن الدين»[3].

وها هنا مسألة جديرة بالاهتمام: فإذا آمنا بأن مسألة (إثبات دخول الشهر وخروجه) مسألة خلافية يسع فيها الاجتهاد، فهل يصح للإنسان أن يترك الرأي الراجح الذي يراه، ويأخذ بالرأي المرجوح، من أجل توحيد الكلمة وتأليف القلوب وتجميع الصفوف ودرء النزاع والتدابر؟! أم أن ذلك من التفريط والتمييع والتساهل والاجتماع على أرض هشة؟!

والحق الذي لاريب فيه أنَّ مصلحة الاجتماع والائتلاف أوْلى، وترك الرأي الراجح تحقيقاً لهذه المصلحة ممَّا دلَّ عليه الشرع المطهر، وإذا تعارضت

---

(١) خلاف الأمة في العبادات ومذهب أهل السنة والجماعة، لابن تيمية، ضمن مجموعة الرسائل المنبرية (٣/١٢٤).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في كتاب الجهاد والسير رقم (١٧٣٣).

(٣) الموافقات (٤/١٨٦ - ١٨٧).

المصالح، فتحصيل المصلحة الأعلى مقدم على المصلحة الأدنى، كما هو مقرر في علم الأصول، قال ابن تيمية: «.. ولا يجوز أن تجعل المستحبات بمنزلة الواجبات يمتنع الرجل من تركها ويرى أنه قد خرج من دينه أو عصى الله ورسوله، بل قد يكون ترك المستحبات لمعارض راجح أفضل من فعلها، بل الواجبات كذلك. ومعلوم أن ائتلاف قلوب الأمة أعظم في الدين من بعض هذه المستحبات، فلو تركها المرء لائتلاف القلوب كان ذلك حسناً، وذلك أفضل إذا كان مصلحة ائتلاف القلوب دون مصلحة ذلك المستحب، وقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما: عن عائشة أنَّ النبي ﷺ قال لها: «لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لنقضت الكعبة ولألصقتها بالأرض، ولجعلت لها باباً يدخل الناس منه وباباً يخرجون منه»[1]. وقد احتج بهذا الحديث البخاري وغيره على أن الإمام قد يترك بعض الأمور المختارة لأجل تأليف القلوب ودفعاً لنفرتها، ولهذا نص الإمام أحمد على أنه يُجهَر بالبسملة عند المعارض الراجح، فقال: يجهر بها إذا كان بالمدينة. قال القاضي: «لأن أهلها إذ ذاك كانوا يجهرون، فيجهر بها للتأليف وليعلمهم أنه يقرأ بها، وأن قراءتها سنة، كما جهر ابن عباس بقراءة الفاتحة في صلاة الجنازة»[2].

إذن فالمسألة تحتاج إلى فقه رشيد يتسع فيه الصدر، ويسمو فيه المرء عن أهوائه؛ فليس الفقيه هو الذي يتعصب لرأيه، أو يشدِّد على الناس، وقديماً قال الثوري: «إنما العلم عندنا الرخصة من ثقة، فأما التشديد فيحسنه كل أحد»[3].

وكاني بقائل قد يقول: إننا ـ معاشر أهل الحق ـ إذا تنازلنا عن رأينا في مسألة فقهية اجتهادية من أجل اجتماع الصف؛ قادنا ذلك إلى التنازل في مسائل منهجية وعقيدية أخرى فيكثر الخلط، وتتميع الصفوف..!

وهذا تحفُّظ مردود؛ لأنَّ التنازل في مسائل منهجية وعقيدية انحراف غير سائغ، وهو مخالف للسبيل الشرعي الذي سلكه سلفنا الصالح، ولكن الذي ندعو إليه هو التحاور والتطاوع في مسائل اجتهادية يسع فيها الخلاف تحقيقاً لمصلحة أعظم نفعاً بإذن الله، ومراعاة لقاعدة تعد من أعظم قواعد الإسلام وأصوله، وهي: الاعتصام بحبل الله تعالى، وترك التفرق والاختلاف المذموم، وها هو ذا عبد الله ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ يترك رأيه بقصر الصلاة في الحج ويأخذ بفعل عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ لمَّا رأى الإتمام؛ فلمَّا سئل عن ذلك قال: «الخلاف شر»[4]، وفي رواية: «إني أكره الخلاف»[5]. فهذا خلاف في مسألة متعلقة بركن مقدَّم على الصوم، وقعت في ذاته لا في زمانه، ومع ذلك فقد تطاوع الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ولم يختلفوا؛ فللّه دَرُّهُمْ! وما أحوجنا للاهتداء بهديهم.

اللهم اجمع كلمة المسلمين على الحق، وأعذهم من نزغات الأهواء.

---

(١) أخرجه البخاري، رقم (٢٦ ، ١٥٨٣، ١٥٨٤.. وغيرها)، ومسلم (٢/٩٦٨ ـ ٩٧٣).

(٢) خلاف الأمة في العبادات ومذهب أهل السنة والجماعة لابن تيمية، ضمن مجموعة الرسائل المنبرية (٣/١٢٤ ـ ١٢٥).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (١٠/٧٨٤).

(٤) أخرجه: أبو داود، رقم (١٩٦٠).

(٥) أخرجه: البيهقي (٣/١٤٤). والحديث أصله في صحيح البخاري، رقم (١٠٨٤، ١٦٥٧).



تفكيك أمريكا

المؤلف: رضا هلال

عرض: وائل عبد الغني

الطبعة الأولى فبراير ١٩٩٨م

الإعلامية للنشر

٢٢٩ صفحة ـ كبير

نقلت السيولة اللغوية التي يحياها العالم اليوم «التفكيك» من عالم الماديات إلى مجال الاجتماع والسياسة، في دراسة التجربة الإنسانية الفردية والجماعية من خلال الفكر والممارسة ومعرفة وسائل ممارسة السلطة وأساليبها من الفرد والمجتمع.

وفي النموذج الأمريكي يرتبط التفكيك بالتفكك ـ كما سنرى ـ برابط كالرابط بين الدليل والدلالة، أو البرهان والقضية.

فالولايات المتحدة الأمريكية ـ التي يراها المؤلف فكرة أكثر من كونها دولة ـ آخذة في انفراط عقدها داخلياً، وهي في ذلك أشبه ما تكون بثوب مبهرج تبدو بهرجته بادي الرأي للبسطاء والسذج شديدة الجاذبية، لكن عند التدقيق ترى رقعاً شوهاء تفتقر إلى التناسق في غالب أحيانها إلى جانب هشاشة الرابط أو التنافر بين الرقع؛ تلك هي أمريكا تحت المجهر.

والمؤلف الذي قسم كتابه إلى: مقدمة، وخاتمة، وملحق، ضمَّنه نصاً لإعلان الاستقلال، والدستور الأمريكي وتعديلاته، بالإضافة إلى لبِّ الكتاب بفصوله الخمسة؛ استفاد في تأليفه من اطلاعاته ودراساته وطبيعة عمله مراسلاً صحفياً في حشد الأرقام والشواهد والمتابعات الخاصة؛ مما يسهل من محاولة فهم الواقع الأمريكي الذي يبدو لأول وهلة مستعصياً على التفكيك.

الفصل الأول: شخصية أمريكا:

يتناول في هذا الفصل السمات العامة للشخصية الأمريكية على المستوى الفردي والاجتماعي والآليات التي استخدمت في تشكيل هذه الشخصية.

● فالشخصية النموذج: هي شخصية «الفرونتيير» أو «الرائد المكتشف» الذي تحرك نحو أرض الأحلام، والتي تطورت وفق الظروف إلى «الغازي المتقدم» (الكاوبوي) الذي اجتاح القارة طمعاً في الثروة وحباً للسيطرة، وحين سيطر على القارة؛ دفعته أطماعه نحو الخارج في مشروعه الإمبريالي.

هذه الشخصية تمثل الشخصية الأمريكية النموذجية التي تتسم بعدة سمات نفسية وفكرية أهمها :

- الطموح : الذي يحفز على العمل ويدفع نحو المجهول؛ لاعتقاد أن ما هو كائن وراء الأفق لا يمكن إلا أن يكون الأفضل.

- ومنها : الاعتماد على الذات في مواجهة ظروف العيش القاسية التي واجهها المكتشف مرة مع الأرض الجديدة، ثم واجهها « الكاوبوي» مرة أخرى مع السكان الأصليين « الهنود الحمر»، والصفتان السابقتان جعلتا المجتمع في حالة سيولة دائمة؛ فهناك ٤٠ مليون أمريكي يغيرون مساكنهم سنوياً كما يغيرون وظائفهم وأزواجهم، والأمريكي يغير مسكنه خلال عمره بمتوسط ١٤ مرة.

- وسمة ثالثة : هي « الفردية المقدسة» التي طغت بجوانبها المختلفة على الوجدان الأمريكي، بدءاً بـ « المذهب البروتستانتي» الذي يرفض وصاية الكنيسة ويرى فردية التجربة الدينية، ومروراً بـ « الرأسمالية» التي تقدس الملكية الفردية، وانتهاءاً بالديمقراطية التي تقدم الحرية الفردية على المصلحة الجماعية، وربما كان لتقديس الفردية أسبابها التاريخية والأيديولوجية خلال النشأة والتكوين لضمان البقاء والتوحد والاستقلال، ولكنها كانت بداية أزمة كما كانت طرف حل؛ لأنها أوجدت أنواعاً من الصراع بين الفرد والفرد، والفرد والمجتمع، والفرد والدولة؛ وذلك للنسبية السائدة في تفسير القيم وتأويل المصطلحات.

- مثل هذا الجو أفرز الفلسفة الأمريكية الوحيدة « البراجماتية» التي تعلي من مصلحة الفرد بوصفها قيمة فوق كل القيم، وتؤمن بالنتائج العملية دون اعتبار للثقافة. وقد أشار المؤلف إلى سمات أخرى مثل : الاعتداد بالذات، والتعالي على الآخر، والعدوانية الشديدة ـ في مواضع أخرى من الكتاب.

بوتقة الانصهار:

أما الآلية التي تم بها ختم الشخصيات المهاجرة إلى أمريكا بالختم الأمريكي (أي : لتتأمرك) ـ بعد أن خلَّف المسدس رصيداً أسود من التجربة فكانت فكرة أخرى مارسها الرجل الأبيض للحفاظ على السمة الأمريكية وهي فكرة « بوتقة الانصهار» أي أن الجميع ينصهرون بماضيهم داخل هذه البوتقة لتتأمرك شخصيتهم، ولكن هذه الفكرة لم تكن سوى لون من الهيمنة المستترة للثقافة الأنجلو ـ ساكسونية على باقي الثقافات ليصبح « الأمريكي» هو « الإنجليزي المعدل»، هذه الهيمنة تصطدم صراحة مع قيم حرية التحييد والمساواة، لكنها جعلت اللغة والقوانين والمؤسسات والأفكار السياسية والعادات والآداب والصلوات كلها أمريكية؛ ولكن المجتمع الأمريكي لم يكن « بوتقة انصهار» وإنما كان « صحن سَلَطة» اختلطت فيه الأصناف دون أن تمتزج.

لكن هذه الفلسفة ما لبثت أن تراجعت أمام الفلسفة الإثنية والجيتو العرقي ضد هيمنة الرجل الأبيض؛ إذ يتزايد الآسيويون بنسبة ١٠٨٪ (زيادة معدل المواليد والهجرة)، والهيسبانيون بنسبة ٥٣٪، والسود بنسبة ١٣٪ بينما لم تتعد نسبة البيض ٦٪؛ ووفقاً لهذه المعدلات فإن القارة البيضاء يمكن أن تتحول إلى اللون البني أو الرمادي في غضون ٢٠ أو ٣٠ سنة.

رسالة أمريكا « المصير المبين»:

القوم كما يقدسون الفردية يقدسون كل ما هو

أمريكي؛ لأن أمريكا ـ كما يقولون ـ منحة الله للأرض، وأنه أوكل إليها حراسة معاقل الحرية في العالم، وأن السلام يسود على يديها؛ ولهذا فهي تقوم بدور رسالي وعليها أن تسيطر على العالم؛ لأن مصير العالم ـ المبين ـ أو نهاية التاريخ سيكون أمريكياً، هذه النظرية شكلت الخلفية العقدية والفكرية لدى صانع القرار والرأي العام في التدخلات الأمريكية في العالم؛ لأن التدخلات تعني مباركة الرب لأمريكا، ومن ثم كانت التدخلات بدءاً بالحرب الأوروبية (العالمية) الثانية وانتهاءاً بالتدخلات الأخيرة ومروراً بإيران ودول أمريكا الجنوبية وفيتنام والخليج؛ ففي كل مرة لم تعدم الولايات المتحدة مسوغاً؛ فقد كان أولاً: مواجهة الشيوعية، ثم مكافحة الإرهاب، ثم حماية الديمقراطية وحقوق الإنسان والحماية من الاضطهاد الديني؛ أما الهدف المستتر فهو تمكين المصالح الاقتصادية الأمريكية من التوسع على مستوى الأرض؛ لأن من حق أمريكا مقاسمة الآخرين أقواتهم ومقدراتهم!

وبعد بيان الملامح وطريقة التشكيل يرسم المؤلف لأمريكا صورة بالأرقام:

- فالسكان (٢٦٧ مليون) منهم ١٩٤ مليون بيضاً، ٣٣,٨ مليوناً سوداً، ٢٩,٥ مليوناً إسبانيين، ١٠,٥ ملايين آسيويين، ٢,٢ مليونان ومائتا ألف هنوداً حمراً.

- وكان ٣٦,٥ مليون أمريكي تحت خط الفقر (عام ١٩٩٦م).

- ٥٥٪ هي نسبة المتزوجين في الرجال، ٥٢٪ في النساء (فوق ١٥ سنة).

- ١٠٣٣٧ عدد المحطات الإذاعية الخاصة.

- ١٧٠,٢١٢ مليار دولار هو رقم العجز التجاري (عام ١٩٩٦م).

- (٣٤٪ زنوج، ٦٣٪ بيض، ٥١٪ هسبانيون) يرون أن الشخصية الأمريكية تغيرت للأسوأ خلال عشرين سنة ماضية.

- و (٤١٪ زنوج، ٢٦٪ بيض، ٣٨٪ من الهسبانيين) يرون أن أمريكا لن تبقى أمة واحدة بعد قرن.

- معدل الجريمة ٥٠٧٨٩ في المليون.

الفصل الثاني: أمريكا الحلم والسياسة:

في هذا الفصل يقابل بين قيم الحلم الأمريكي حول الحرية ـ والمساواة ـ والسعادة، وبين الواقع المليء بالازدواجية والبراجماتية والمعضلات التي يتسرب الحلم تحت ضغطها؛ فبينما يحصل الـ ٢٥٪ من العائلات الأكثر غنى على ٥١,٣٪ من الدخل عام ١٩٩٣م فإن نصيب الـ ٢٥٪ الأفقر كان ٦,٢٥٪؛ ولكن الفارق يزداد مع الوقت. أما نسبة الفقراء فقد بلغت ١٨٪ عام ١٩٩٥م إضافة إلى ٣٥ مليوناً يعيشون دون تأمين صحي. أما العائلات التي تمثل نسبتها ١٪ الأكثر غنى فتمتلك ٥,٦ تريليون (ألف مليار) دولار.

ومع اتساع الهوة يتحول الحلم الأمريكي في المساواة وتكافؤ الفرص إلى كابوس بفعل النخبة الطفيلية التي تحاول زيادة نصيبها من الثروة على حساب الفقراء؛ حتى إن بعضهم لا يعد نفسه أمريكياً وعلى استعداد للإقلاع بطائرته إذا ما وقعت أي هزات داخلية.

* **المعضلة الثانية**: لما كانت المعضلة الأولى هي تجاور الأغنياء والفقراء في مجتمع واحد فإن المعضلة

الثانية تتمثل في تجاور أمتين من السود والبيض، وصعود ما يعرف بـ «القبلية الجديدة» فالجيتو الزنجي تتزايد خصوصياته الثقافية والأيديولوجية المنبثقة من اللون - يوماً بعد يوم - في أحياء وأعمال ووضع اجتماعي ومعيشي يحكي جزءاً من الحرب العنصرية التي جعلت الحديث عن المساواة أشبه بطرفة ثقيلة، بعد تجربة ثلاثة قرون مليئة بالمرارة والازدواجية الأخلاقية والسياسية خلفت العنف والعنف المضاد. وقد بلغت جرائم العنف العنصري عام ١٩٩٣م وحده: ٦٢٧٧٥٩ جريمة.

* **أما المعضلة الثالثة**: فتتمثل في رأسمالية البورصة بوصفها نموذجاً متضخماً لحجم الاقتصاد الحقيقي؛ حيث تبلغ التعاملات في الدقيقة الواحدة ٢٠ مليون دولار تدور كلها في إطار الرأسمالية المالية - مرحلة ما بعد الرأسمالية التجارية والصناعية - التي تقامر في الأوراق المالية، وتكمن خطورة الوضع في أن كل لحظة تحمل في ثناياها فرص الانهيار التام أو الصعود.

* **والمعضلة الرابعة**: تتمثل في الصدام بين الرأسمالية والديمقراطية.

وقد عرف هذا الصدام منذ وقت مبكر، وكثر حوله الجدل بين طرفين: طرف يرى أن الأحق بالحكم هم الأقلية المالكة الرأسمالية، والآخر يرى أحقية الأغلبية وإن كانوا فقراء، وانحاز مجلس الشيوخ إلى مصالح الأغنياء، بينما عبر مجلس النواب عن مصالح الفقراء، ولضمان حقوقهم أكثر أنشؤوا الحزب الديمقراطي، فأنشأ الرأسماليون الحزب الجمهوري الذي استطاع بتحالفه مع المال أن يقلب الطاولة على ما قيل إنه ديمقراطية. ونتيجة لذلك دخل النظام السياسي في أزمة مستفحلة ضد الأغلبية نتيجة الضغوط التي تمارسها مجموعات المصالح ولجان العمل السياسي؛ حيث أصبح المرشحون عرضة للشراء في سوق مالية بمال وطني وأجنبي.

* **وأما المعضلة الخامسة**: فتتمثل في سيطرة اللوبي الصهيوني والتراث اليهودي - المسيحي؛ فسيطرة التراث اليهودي - المسيحي على العقلية الأمريكية مثَّل مركز دعم ونقطة ارتكاز للوبي الصهيوني الذي رتب أجندته مبكراً وجمع أوراقاً كثيرة في يده منها:

- وسائل الإعلام التي يمتلكها اليهود أو يسيطرون عليها، ورموزهم الإعلامية المؤثرة وذات الشعبية الكبيرة؛ هذه الورقة تستخدم وسيلة للضغط ولتشكيل الرأي العام في آن واحد.

- ومنها جماعات الضغط التي تطوِّق مؤسسة الرئاسة والكونجرس[1] من خلال الدعم المالي وغيره؛ فهناك ٧٦ عضواً في مجلس الشيوخ من مجموع ١٠٠ عضو قد تلقوا الدعم المالي المباشر من لجان الإيباك بالإضافة إلى ٣٢٤ من مجموع أعضاء مجلس النواب البالغ ٤٣٧ عضو.

- ومنها التسلل غير العادي لليهود إلى مراكز صنع القرار منذ عهد بوش.

- ومنها ما أشرنا إليه من تسلل المفاهيم التوراتية إلى العقيدة الإنجيلية التي تجعل من دعم اليهود وإسرائيل ليس مجرد موقف سياسي بل التزاماً عقدياً أيضاً؛ فهناك ٢٥٠٠ منظمة إنجيلية داخل أمريكا تمارس هذا الدعم بصوره المختلفة.

(١) كشف الرئيس ترومان حجم الضغوط التي تعرض لها من اليهود لدعم دولتهم في عام ١٩٤٨م، ومن أبرز صور الضغط ما مارسه اللوبي لإثناء الرئيس فورد عن منح الأردن صفقة صواريخ هوك.

* أما المعضلة السادسة: فتتمثل في تناقض القوة العسكرية والتراجع الاقتصادي: يرى نعوم تشومسكي أن النظام العالمي أحادي القطبية عسكرياً، لكنه ثلاثي اقتصادياً: «اليابان، وألمانيا، والولايات المتحدة»، ولكن القوة العسكرية دون قاعدة تدعمها كارثة، ولكم أثقلت هذه القوة كاهل دافعي الضرائب، وإذا كانت الولايات المتحدة نجحت على المستوى العسكري إلا أنها لم تثبت جدارة في مجالات أخرى مثل: البيئة والمخدرات والمنافسة الاقتصادية؛ فمع أن إنفاقها على الدفاع يقدر بـ ٣٠٠ مليار دولار وتخصص له ٦٥٪ من جهود البحث فإن الصناعة لا تستحوذ إلا على ٢٪ في أواخر الثمانينيات. وكان لذلك أثره على تدهور الصناعة وتراجع معدل نمو الإنتاجية، وزيادة الديون الخارجية، وعجز الميزانية والميزان التجاري وميزان المدفوعات، وتراجع الاقتصاد الصناعي لصالح اقتصاد الخدمات، ولهذا فإن استطلاعات الرأي بين الأمريكيين تشير إلى أن الأمور تسير من سيئ إلى أسوأ، ولا أمل في الإصلاح إلا من خلال كارثة قومية؛ لأن طبيعة السلطة تحول دون تمرير تشريعات للإصلاح، كما أن النظام الحزبي في حالة من السيولة، والطريق مفتوح أمام جماعات المصالح، والتغير الديموغرافي في غير صالح الرجل الأبيض وله ظلاله على المستقبل السياسي والاقتصادي، والشركات المتعددة الجنسيات تلعب دوراً خطيراً لإبقاء الأمور على ما هي عليه، والمأزق يزداد تعقيداً؛ فقد بلغت الديون الخارجية ٤,٣ تريليون دولار في عام ١٩٩٥م في مقابل ١٤ مليار في عام ١٩٩١م.

الفصل الثالث: الدين الأمريكي:

مع أن الولايات المتحدة علمانية؛ بمعنى أنها لا تتبنى مذهباً معيناً، إلا أن الدين فيها له مكانة قوية، حتى إن أول تغيير للدستور كان سببه الدين، وقبل هذا ارتبط المؤسسون الأولون للدستور (البيوريتان) بالدين ارتباطاً واضحاً في ارتباط تحركاتهم وأسمائهم وأحلامهم بالكتاب المقدس، ومع كثرة الطوائف والخوف من الاضطهاد أو نشوء حرب دينية أسس جيفرسون فكرة إيجاد حائط فاصل بين الكنيسة والدولة يحمي من الاضطهاد الديني، أو بمعنى آخر إبعاد السلطة عن المجال الديني، وكان ذلك الحائط يرتفع حيناً، وينخفض حين تعلو موجة من التدين الفكري العام، ومع مجيء كارتر أخذ هذا الحائط بانخفاض مستمر حتى إن المحكمة العليا انقلبت على أحكامها السابقة بزواية ١٨٠ درجة.

ولكي نتفهم طبيعة الدين الأمريكي لا بد من معرفة الخريطة الدينية التي تتشكل من: ٨٨٪ من النصارى (٦٠٪ بروتستانت، ١٧٪ كاثوليك، ١٪ أرثوذكس) ٢٪ يهود - ١٪ مسلمون[1] - ٢٪ ملحدون - ٣٪ لا دينيين - ٤٪ أديان أخرى.

ومن خلال هذه الخريطة يظهر جلياً أن المسيحية هي الضلع الثالث لمثلث ضلعاه الآخران الديمقراطية وفلسفة «دعه يعمل دعه يمر»، وكانت المسيحية كالفينية مصطبغة بالأمريكية متسمة بالمادية والفردية تركز على فردوس الدنيا وليس على فردوس الآخرة.

وقد لعب الدين الأمريكي دوراً مهماً في ترسيخ الانقسام؛ حيث ظلت الكنائس بمذاهبها المختلفة أسيرة العرق والطبقة نتيجة عدم وجود كنيسة رسمية للدولة. في هذا الخضم برز نجم الأصولية

(١) يبدو أن هذه الإحصائية غير دقيقة؛ لأن المسلمين البالغ تعدادهم ١٠ ملايين يمثلون نسبة ٣,٧ تقريباً.

الإنجيلية واستطاعت أن تكسب أنصاراً وتوحد صفوفها لتلعب دوراً سياسياً قوياً؛ فقد لعبت دوراً في إنجاح كل من ريجان وبوش. ومنذ عام ١٩٩٠م دخلت في تحالف مع الحزب الجمهوري، ورفعت شعاراً أكثر صراحة مثل «حزب الله».

ومع نجاح كلينتون الديمقراطي تحول اليمين إلى الكونجرس لينال الأغلبية في المجلسين، وبهذا يعود الدين قوة محركة لعجلة السياسة، ومن مواقف أكثر توراتية متزعمة الحملة الصهيونية العالمية تحت ستار حماية المسيحيين المضطهدين في العالم بما يهدد بصدام عالمي محتمل، وقد حقق الإنجيليون هذه المكاسب من خلال عمل مؤسسي منظم يحمل برنامجاً متكاملاً ويمتلك من وسائل التأثير ما لا تمتلكه دولة قوية.

وعند تحليل الخطاب الإنجيلي يبدو واضحاً البصمة اليهودية التي اخترقت البروتستانتية منذ مارتن لوثر ثم تجذرت مع الأيام.

الفصل الرابع: حالة الجنس في أمريكا:

تضخم الجنس في الولايات المتحدة حتى أصبح ظاهرة من حيث المعايير والسلوك؛ حيث لا يمكن لمن يحلل المجتمع الأمريكي أو الفكرة الأمريكية أن يتجاوزه؛ لأنه أصبح جزءاً من صلب المكون الثقافي والاجتماعي الأمريكي.

وأصبح - كمال الثقافة الأمريكية مادة لقلب الحقائق؛ فالشذوذ تحرر جنسي، والفوضوية في العلاقات ثورة جنسية، وإلغاء قوامة الرجل مساواة، وحماية الشواذ تسامح جنسي، والخوض في أدق خصوصيات العلاقة ثقافة جنسية من حق الجميع!

والمؤلف في هذا الفصل تجاوز حدود ما يمكن أن يكون نقلاً علمياً إلى ما يمكن أن يكون تزويقاً أو تسويقاً؛ لأن مجاراة القوم في خوضهم لا يخضع للنسبية، والنزول على اصطلاحاتهم بُعد عن الفطرة وعدوان عليها.

ومن يطالع الفصل يرى كيف تآكلت مسألة الأعراض وفقدت حساسيتها لدى الأمريكيين؛ نتيجة لقيام الرأسمالية بتفكيك المجتمع وروابطه والتي من أهمها رابطة الزوجية والمصاهرة وهو الأمر الذي أوجد حالة من الفوضى الاجتماعية والأخلاقية؛ حيث أصبحت المرأة سلعة تباع وتشترى وتُسوِّق وسيلةً للجذب والإعلان وعقد الصفقات دون أدنى مشقة! وأصبح البغاء صناعة ذات أعراف وتقاليد وسوقاً يبلغ حجم أمواله ١,٥ تريليون دولار تقوم عليه مافيا تحميه من مؤسسات الدولة. كما حولت أفلام هوليود بإصداراتها المتتابعة في هذا المجال الولايات المتحدة إلى ماخور كبير، وإلى جانب هوليود تأتي الدوريات والقنوات التلفزيونية، وانتشار وسائل منع الحمل، وتوفر أدوات خاصة بالممارسة، وظهور النظريات التي تشجع على الحيوانية والشذوذ كـ «نظريتي دارون، وفرويد»، وكان لتمرد المرأة على استغلال الرجل أثر بالغ في انتشار حزمة من الأفكار التي تدعو إلى زواج المرأة بالمرأة والانقلاب على القوامة والأسرة - وبعد أن فقد المجتمع المناعة الأخلاقية والدينية إلا من بقية من الكاثوليك أفاق الجميع على صدمة الإيدز، وتبنت الدولة على استحياء - برنامجاً لنشر ثقافة تحمي من الأمراض، وعاد الحديث عن الأسرة بوصفها مؤسسة مهمة؛ ففي دراسة أجريت على عينة ممثلة لفئات المجتمع وافق ٩٠٪ على أن العائلة هي المؤسسة الأكثر أهمية في المجتمع الأمريكي، ولكن الكثيرين من هؤلاء فقدوا طريق العودة؛ إذ لم تتجاوز نسبة من لديه استعداد لإقامة أسرة سوى ٢٠٪ من الرجال، و١٣٪ من النساء!

وبهذا يبدو أن المجتمع فقد طريق الرجعة إلا أن يشاء ربي شيئاً سبحانه.

الفصل الخامس: الثقافة الشعبية الأمريكية:

هل يعني إفراد المؤلف هذا الفصل للحديث عن الثقافة الشعبية لا عن ثقافة النخبة أن الثقافة الأمريكية ثقافة تافهة ولا تعرف ثقافة النخبة على عكس الحال في فرنسا - مثلاً - أم أن البراجماتية الأمريكية لا تعبأ بثقافة النخبة، وأن الثقافة الشعبية هي الأبلغ أثراً - على اعتبار أن النقد الرديء يطرد النقد الجيد؟

وأياً كانت الإجابة فإنها سبة للثقافة هناك. أما عن الخلطة السحرية للثقافة الأمريكية فتتبنى الوسيلة أكثر من تبنيها للغاية، وتعتمد الاستهلاك لا البناء، وتعكس إلى حد بعيد الصورة النفسية للأمريكي المشبع بالغرور وحب الذات وجنون القوة ونزعة الأنا العنصرية.

والتوليفة التي يرى المؤلف أنها تعبر عن مضمون الثقافة الأمريكي هي:

أفلام هوليود ومادتها الرئيسة حول العنف والجنس، والنجوم الأمريكيون المعبرون عن الذوق الأمريكي في تجاوز الموضة والجنس، وأفلام رامبو التي تصنع رأياً عاماً لتأييد مواقف مستقبلية، وأغاني الراب في تعبيرها عن التصدع الثقافي المتمثل في تمرد الجيتو الزنجي، والنظرة الذاتية للآخر «نظرة الاستعلاء والتنقص».

● وفي الخاتمة: يلخص المؤلف نتائج التفكيك في أن الولايات المتحدة تحيا أزمة حقيقية ومتكاملة، ويخلص إلى أن العنصر الأهم في الأزمة يكمن في العقيدة الأمريكية وتناقضات المفاهيم حول الحرية والمساواة والديمقراطية والرأسمالية، وتتعارض هذه القيم بعضها مع بعض في كثير من الأحيان؛ فالولايات المتحدة ليست بالدولة العضوية كألمانيا التي قامت على تلاقي عرق ولغة وثقافة - أو الدولة القومية كفرنسا، وإنما هي متعددة الأعراق والثقافات جمع بين أطرافها العقيدة الأمريكية لهيمنة الثقافة الأنجلو - ساكسونية لقرون، ولكن استمرار الولاءات الفرعية والفصل العنصري واتجاه مؤشر النمو السكاني والهجرة تؤكد أن أمريكا القرن العشرين مهددة بألا تعود ساكسونية - بروتستانتية.

ويختم بقول هانتنجتون بأن تفكك الاتحاد السوفييتي يقدم مثالاً معقولاً للأمريكيين؛ لأن الدولتين ليستا قوميتين بالمعنى التقليدي، وأن العقيدة هي التي صبغت الدولتين؛ فإذا تفككت العقيدة الأمريكية، وسادت الانفصالية الثقافية، وتفكك الإجماع على الحرية والديمقراطية فتنضم أمريكا إلى الاتحاد السوفييتي على كل نفايات التاريخ.

إن الولايات المتحدة تمتلك من عوامل القوة الكثير لكنها لم تعد في يد واحدة ولا في طريق واحد. وهي مع هذا تنوء بأحمال وأثقال تمثل عامل نحر وإضعاف لأمريكا ما بعد الحداثة. فأمريكا الإنسان مهزومة نفسياً محبطة في مهاوي الاستدراج بعدما فقدت مفاتيح الاستدراك، وأمريكا الدولة تعجز عن تطوير آلياتها القديمة لتواكب ما تبشر به من أمركة، وأمريكا ولدت ميتة تعتمد على ضخ الدماء المهاجرة إليها.

وإلى جانب الحسابات المادية التي حفل بها الكتاب يبقى للمؤمن نظرته السُّننية التي تزيد القضية في حسه عمقاً وانتظاماً.

بقي أن نقول لوكلاء توزيع النموذج الأمريكي في عالمنا الإسلامي: إن النموذج الأمريكي بات منتهي الصلاحية! فضلاً على أنه غير صالح للاستخدام الآدمي!

التقرير السنوي للمنتدى الإسلامي

١٤٢١هـ



السلام عليكم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه .. وبعد:

فها هو ذا المنتدى الإسلامي يلتقي بكم مجدداً وهو مقدم على أعتاب عامه السادس عشر بخطى متئدة ومنهج منضبط وفق الكتاب والسنة؛ مستمداً عونه من الله ـ سبحانه، فله الحمد والفضل ـ، ومستنيراً بآراء أهل العلم والفضل.

وعبر مسيرته الماضية كانت تحفه دعوات ومشاعر وعطاء محبي الخير والإحسان؛ فلهم من الله الكريم أعظم الأجر ووافر الهبات ومنا أبلغ الشكر وأوفاه.

ونقلِّب فيما يأتي صفحات من العطاء أشرقت في بقاع كثيرة من العالم هادية ومرشدة إلى دين الله بالكلمة الطيبة والحكمة الرشيدة.

وقد حرصنا على تنويع أساليب إيصالها؛ فحيناً بالدروس العلمية والمحاضرات التوجيهية، وأحياناً أخرى بعقد الدورات الشرعية والتدريبية، وأولينا الجانب التعليمي وحلقات تحفيظ القرآن الكريم عناية كبيرة سعياً لتربية النشء على تعاليم الإسلام ومبادئه.

وانطلقت قوافل الدعاة إلى المناطق النائية والقرى الريفية مبشرة بالدين الحنيف.

ولم ننس الجانب الإغاثي لما يجسده من تراحم المسلمين وتوادهم، ولدوره الهام في تأليف القلوب وتهيئتها لقبول الحق.

وكان للجانب الإعلامي دوره الفعال في نشر الوعي عبر الكتاب الهادف والشريط المتميز .

وأُنشئت المساجد والمراكز الإسلامية لتجميع كلمة المسلمين، ولتكون منطلقاً لهذه الأنشطة وغيرها.

وأخيراً .. فهذه خطوة سبقتها خطوات، سار خلالها المنتدى وفق خطة مرسومة وأهداف مدروسة؛ آخذاً على عاتقه مواصلة المسيرة والعطاء بمشيئة الله وعونه ثم بعونكم ودعائكم وتوجيهاتكم.

المنتدى الإسلامي



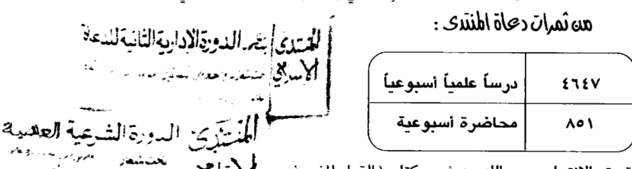
النشاط الدعوي

* مشروع كفالة الدعاة:

الدعاة المحليون هم الأداة الأجدى لنشر الإسلام بين بني جلدتهم، ولهذا فقد حرص المنتدى الإسلامي على إعداد نخبة من الدعاة وبنائهم بناءاً علمياً ودعوياً وتربوياً ليدعوا إلى الله على علم وبصيرة، وما يميز المنتدى في هذا المشروع أمران هما :

- أن الداعية يخضع لإشراف مباشر ومتابعة دقيقة بشكل مستمر من قبل مشرفين مؤهلين.
- أن المنتدى يحرص على تقديم برامج وأنشطة تهدف إلى رفع مستوى الداعية المكفول، ومن هذه الأنشطة : اشتراكه في دورات علمية وإدارية ـ عقد لقاء شهري علمي وتربوي لدعاة كل دولة ـ تكليف الداعية بإعداد بحوث شرعية متنوعة خلال السنة.

ويبلغ عدد الدعاة المكفولين من قبل المنتدى الإسلامي (٤٨٥) داعية منتشرين في (١٣) دولة من دول العالم.



من ثمرات دعاة المنتدى :

٤٦٤٧	درساً علمياً أسبوعياً
٨٥١	محاضرة أسبوعية

هذا وقد تم الانتهاء بحمد الله من شرح كتاب (القول المفيد في شرح كتاب التوحيد) في مركز المنتدى بلندن هذا العام.

* البرامج الدعوية:

١- **الدورات الشرعية**: أعد القسم العلمي في المنتدى الإسلامي منهجاً متكاملاً للدورات الشرعية يشمل أربع مستويات بحسب مستوى المشاركين، ويحرص المنتدى على استضافة نخبة من طلبة العلم والمربين المتميزين للمشاركة في برامج هذه الدورات.

وبحمد الله ومنته فقد بلغ عدد الدورات التي أقامها المنتدى خلال هذا العام (٤٢) دورة علمية موزعة على الدعاة والأئمة والمدرسين، وبلغ عدد المستفيدين منها (٢١٦٠) فرداً. ومن أبرز الدورات : الدورة الشرعية المشتركة لدعاة غانا وتوجو وبنين المقامة في دولة توجو، ودورة فقه الأقليات المسلمة المقامة في بريطانيا.

٢- **اللقاءات التربوية للدعاة**: وهي برامج تربوية فكرية ينظمها المنتدى لدعاته بشكل شهري أو شبه شهري، ويهدف هذا البرنامج إلى توحيد الأهداف المرحلية، ومراجعة عمل الدعاة، وقد أعد المنتدى لهذا البرنامج منهجاً خاصاً، ويُعد هذا البرنامج من أكثر البرامج تأثيراً في تصحيح مسار الدعاة إلى الله عز وجل.

٣- **الدورات الإدارية**: التفت المنتدى إلى أهمية تطوير طاقاته ورجاله إدارياً وتنظيمياً ورفع مستوى قدراتهم وإمكاناتهم؛ لأن بناء الرجال هو الكفيل - بإذن الله - باستمرار العمل وتطوره؛ ولذا فقد واصل المنتدى عقد الدورات الإدارية المتنوعة، وقد بلغت في هذا العام (١٣) دورة إدارية، استفاد منها قرابة (٦١٥) داعية.

النشاط التعليمي

* كلية لندن المفتوحة:



أنشئت الكلية في لندن عام (١٤٢٠هـ) لتدريس العلوم الشرعية باستخدام وسائل اتصال حديثة كالإنترنت والفاكس والهاتف بهدف نقل العلم الشرعي وتيسيره للدارسين حيثما كانوا، ويشرف على هذه الكلية نخبة مؤهلة من المدرسين، وتمنح الكلية: درجة الدبلوم، والبكالوريوس باللغة العربية والإنجليزية، وقد بلغ عدد الدارسين فيها في العام المنصرم (١١٥) دارساً.

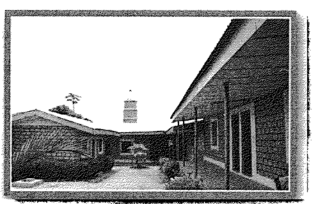
* المعاهد الشرعية:

حرصاً من المنتدى الإسلامي على نشر العلم الشرعي القائم على الكتاب والسنة وهدي سلف الأمة فقد تولى المنتدى ـ بحمد الله ومنته ـ تشغيل معهدين شرعيين أنشأهما البنك الإسلامي للتنمية في الصومال، أحدهما للمرحلتين المتوسطة والثانوية ويبلغ عدد طلابه (١٧٥) طالباً. والآخر معهد متخصص لإعداد المعلمين ويبلغ عدد طلابه (١٢٠) طالباً.

* المدارس الشرعية:

يتم في هذه النوع من المدارس تعليم العلوم الشرعية بشكل مكثف، وقد أنشأ المنتدى الإسلامي حتى الآن (٤) مدارس شرعية متخصصة وهي على النحو الآتي:

- متوسطة البيان الشرعية في نيجيريا، ويبلغ عدد طلابها (٤٥) طالباً.
- ثانوية البيان الشرعية في نيجيريا، ويبلغ عدد طلابها (٤٥) طالباً.
- مدرسة دار الحديث الابتدائية في دولة مالي، ويبلغ عدد طلابها (٢٣١) طالباً .
- ثانوية الإمام مالك في مالي، ويبلغ عدد طلابها (٨٠) طالباً.



جانب من مبنى ثانوية البيان في نيجيريا

ويحرص المنتدى في هذه المدارس على رفع المستوى العلمي والتربوي للطلاب من خلال برامج متنوعة تستثمر قدرات الطلاب ومهاراتهم.

*** المدارس النظامية:**

يدرس الطالب في هذه المدارس نوعين من المواد:

- العلوم المقررة في بلده.
- العلوم الشرعية المعدة من قبل المنتدى.

ويهدف المنتدى من هذا النوع من المدارس إلى تأهيل أبناء المسلمين تأهيلاً شرعياً وعصرياً يُمكِّنهم من مواصلة الدراسة في الجامعات الحكومية في مختلف التخصصات. وقد بلغ عدد المدارس النظامية التابعة للمنتدى (٢٧) مدرسة يدرس فيها (٦٦٥٢) طالباً.

ومن هذه المدارس:

اسم المدرسة	الموقع	عدد الطلاب
مدرسة المنتدى الابتدائية	لندن	١٩٠
مجمع الصديق التعليمي (ابتدائي - متوسط - ثانوي)	غانا	٧٨٠
مجمع الفاروق التعليمي (ابتدائي - متوسط)	غانا	٥٠٠
مدرسة عمر بن الخطاب (ابتدائي)	مالي	١٥٠
مدرسة أبخ الإسلامية (ابتدائي)	جيبوتي	٣٧٠
مدرسة دار الحنان (ابتدائي)	الصومال	٢٣٢
مدرسة الطيبة (ابتدائي)	بنجلاديش	١٥٠

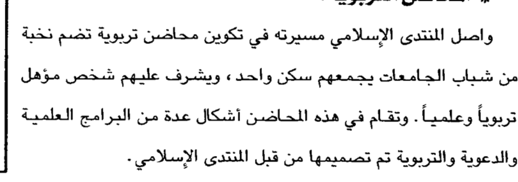

أحد فصول مدرسة المنتدى في لندن

التعليم الإسلامي ... صناعة رجال وحماية أجيال.

النشاط التربوي

يحرص المنتدى على توفير المناخ التربوي المناسب لشباب الأمة الإسلامية؛ وذلك لكي يتحول العلم فيها إلى عمل وممارسة، ومن هذه المناخات:





* المحاضن التربوية:

واصل المنتدى الإسلامي مسيرته في تكوين محاضن تربوية تضم نخبة من شباب الجامعات يجمعهم سكن واحد، ويشرف عليهم شخص مؤهل تربوياً وعلمياً. وتقام في هذه المحاضن أشكال عدة من البرامج العلمية والدعوية والتربوية تم تصميمها من قبل المنتدى الإسلامي.

ومن هذه المحاضن: (**دعاة المستقبل في نيجيريا**) الذي يضم عشرين طالباً جامعياً يدرسون في مختلف التخصصات الجامعية، ويهدف هذا المحضن إلى بناء هؤلاء الطلاب الجامعيين ليكونوا دعاة عاملين في مختلف التخصصات.

* المراكز الصيفية، والمخيمات الطلابية:

وهي برامج تربوية تقام بشكل دوري في مختلف الدول التي للمنتدى فيها مكاتب، وتخدم هذه البرامج فئة الشباب بهدف بنائهم وتنشئتهم تنشئة دعوية جادة، من خلال احتكاكهم بأقرانهم ومن هم أكثر منهم علماً خلال فترات زمنية مناسبة.

وقد أقام المنتدى الإسلامي العام الماضي (١٢) مخيماً ومركزاً صيفياً، استفاد منها (٦٩٠) طالباً في كل من الدول الآتية: مالي، نيجيريا، غانا، توجو، بنين، تشاد، بنغلاديش.

* برنامج الاعتكاف:

تربية الشباب على العبادة وحثهم على المنافسة في الخيرات هو أحد أنشطة المنتدى التي يقيمها في العشر الأواخر من رمضان المبارك من كل عام. وقد أشرف المنتدى على اعتكاف ما لا يقل عن (٥٣٠) شاباً خلال رمضان ١٤٢٠هـ في (٥) دول هي: بريطانيا، غانا، التوجو، نيجيريا، بنين.

الجدير بالذكر أن يوم الشاب المعتكف مليء بالبرامج الفردية والجماعية.

برامج الاعتناء بالقرآن الكريم

يهتم المنتدى الإسلامي اهتماماً خاصاً بكتاب الله - عز وجل - حفظاً وتجويداً ودراسة، ويسعى لتربية النشء المسلم على آدابه وتوجيهاته؛ وذلك من خلال عدد من البرامج والأنشطة:

* حلقات تحفيظ القرآن الكريم:

وهي حلقات تعليمية يتم فيها تعلم القرآن الكريم وحفظه، ويحرص المنتدى على توفير سبل استمرار الطلاب في الحلقات، كما يحرص على اختيار المعلم الكفء، وقد أصدر المنتدى كتاباً خاصاً بالحلقات يسلط الضوء على النواحي التربوية والإدارية في الحلقات؛ ويعتبر هذا الإصدار مرشداً لمعلم الحلقة والمشرف عليها.

- عدد حلقات التحفيظ في المنتدى: (٢٨٢) حلقة.
- عدد الطلاب والطالبات: (١٠,٤٦٩) طالباً وطالبة.
- عدد الحافظين لكتاب الله في العام الماضي فقط: (١٩٥) طالباً وطالبة.

* إقامة مسابقات حفظ القرآن الكريم:

ينظم المنتدى في كثير من مكاتبه مسابقات مختلفة المستويات لتشجيع الناس ولا سيما الشباب على حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد أقام المنتدى بتوفيق من الله (٢٥) مسابقة في كل من: مالي، غانا، بنين، جيبوتي، الصومال، تشاد، شارك فيها ما لا يقل عن (١٧١٢) شخصاً.

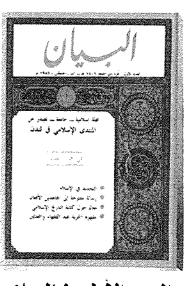
* تأهيل معلمي الحلقات:

نظراً لما لمعلمي الحلقات من دور أساسي في سير العملية التعليمية والتربوية داخل الحلقة فقد حرص المنتدى على رفع قدرات المشرفين على الحلقات والمدرسين فيها؛ وذلك بعقد دورات علمية لهم. وقد أقام المنتدى خلال هذا العام (٩) دورات في دول عدة.

قال ﷺ:

«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»

منابر المنتدى الإعلامية



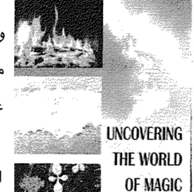
العدد الأول من البيان

* مجلة البيان:

مـا زالت مـجلة البيان ـ بتوفـيق من الله عـز وجل ـ تشق طريقـهـا بـخطوات راسخة ومنهج واضح، وقد بلغ عدد النسخ التي يطبعها المنتدى من البيان شهرياً (٤٢,٠٠٠) نسخة، توزع في أكثر من (١٠٠) دولة، وإخوانكم في البيان جادون في إيصال كلمة الحق ونشرها بين الدعاة وطلاب العلم في أنحاء العالم.

الجدير بالذكر أن المنتدى يوزع شهرياً (٥,٠٠٠) اشتراك مجاني للمراكز الإسلامية والدعاة وطلاب العلم الذين يشق عليهم شراؤها.

* مجلة الجمعة:



العدد الأول من الجمعة

وهي مجلة فتية تصدر باللغة الإنجليزية عن المنتدى الإسلامي في أمريكا، وتستهدف الأسرة المسلمة الناطقة بالإنجليزية، ومع أن المجلة تمر بظروف مالية صعبة إلا أن ذلك لم يُعِق انتشارها لا سيما في أمريكا وأوروبا؛ فقد بلغ عدد الاشتراكات فيها (١٠,٣٠٠) اشتراك .

ومجلة الجمعة مادة مفيدة للتواصل مع المسلم الجديد وتعليمه أصول الإسلام، ووسيلة مناسبة للمساهمة في ثباته على الهداية.

* كتاب المنتدى:

هي سلسلة من الكتب الدعوية والفكرية والتربوية يحرص المنتدى على حسن اختيارها وإعدادها ومراجعتها من قبل بعض العلماء وطلاب العلم. وقد أصدر المنتدى الإسلامي حتى الآن (٢٤) كتاباً تم

توزيع وبيع ما يقارب (٩٣١,٠٠٠) نسخة منها. ومن الإصدارات الجديدة في هذا العام:

١ - اعترافات علماء الاجتماع.

٢ - مَعْلَم في تربية النفس.

* **كتاب الجمعة:**



سلسلة تصدر باللغة الإنجليزية عن المنتدى الإسلامي، وقد بدأت هذه السلسلة بطباعة خمسة كتب تم ترجمتها إلى اللغة الإنجليزية، ومنها: كتاب: (منهج التلقي والاستدلال) للشيخ أحمد الصويان، وكتاب: (يا بني .. لقد أصبحت رجلاً) للشيخ محمد الدويش، وكتابا: (عالمية الإسلام) و (الخطيئة الأصلية) وكلاهما للدكتور عبد الله القحطاني.

* **مطويات المنتدى:**

وهي مطويات صغيرة تصدر بشكل دوري عن بعض مكاتب المنتدى الإسلامي باللغات المحلية، وتهدف هذه المطويات إلى نشر العلم الشرعي لغير الناطقين بالعربية.

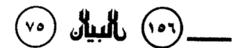
ومن أبرز هذه المطويات:

- مطوية (رسالة الإسلام) تصدر عن مكتب المنتدى في بنغلاديش باللغتين العربية والبنغالية.
- مطوية (أسبوعية المنتدى) تصدر باللغة الفرنسية وتوزع في دولتي توجو وبنين.
- مطوية (المنار) تصدر عن مكتب المنتدى في لندن ببريطانيا باللغة الإنجليزية.

* **برامج الإذاعة والتلفاز:**

يحرص المنتدى من خلال دعاته على إيصال كلمة الحق من خلال الوسائل الإعلامية المتاحة، ولذلك واصل دعاة المنتدى استثمار الفرص المتاحة للمشاركة في البرامج الإذاعية والتلفازية، إضافة إلى المشاركات في الصحف المحلية، وقد كانت المشاركات في هذه الوسائل على النحو الآتي:

المشاركة	العدد
برامج تلفاز	١٥
برامج إذاعية	٧٤١
صحف	٤٢



المشاريع الإنشائية

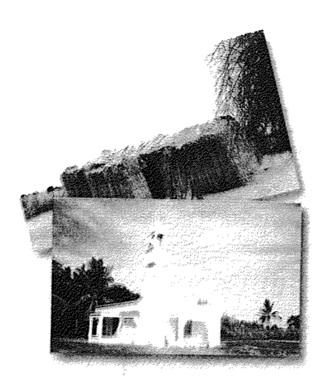
*** بناء المساجد:**

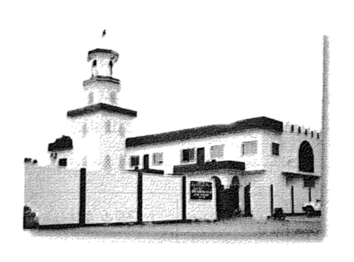
لما للمسجد من دور هام في بناء المجتمع المسلم؛ ومن أجل تحقيق هذا الدور فقد حرص المنتدى على دقة اختيار الموقع المناسب لإنشاء المسجد وتسجيل الأوراق الرسمية له باسم المنتدى، كما أن المنتدى يحرص على أن يشرف بشكل مباشر على إنشاء المسجد وتشغيله، وقد بنى المنتدى حتى الآن (٤١٧) مسجداً بتكلفة لا تقل عن (٣٣,٣٦٠,٠٠٠) دولار في مختلف بلدان العالم.

*** المراكز الإسلامية:**

يهدف المنتدى من إنشاء المراكز الإسلامية إلى توفير مكان متعدد المرافق والمنافع من أجل تسهيل تنفيذ البرامج الدعوية والتعليمية. وقد بلغ عدد المراكز التي بناها المنتدى الإسلامي حتى الآن (٢١) مركزاً في كل من: بريطانيا، بنغلاديش، نيجيريا، مالي، غانا، توجو، بنين، جيبوتي، كينيا، السودان، إندونيسيا، اليمن.

● وكان من آخر هذه المراكز (المركز الإسلامي في باماكو) بدولة مالي، الذي تم بناؤه حالياً وهو يضم إضافة إلى المسجد الجامع معهداً شرعياً، ومبنىً إدارياً، ومكتبة عامة، وقاعة محاضرات.





نشر الكتاب الإسلامي

للكتاب والشريط الإسلاميين دور كبير في نشر العلم والعقيدة الإسلامية الصحيحة؛ وبسبب ندرتهما في بعض الدول فقد تبنى المنتدى عدداً من الأنشطة لسد الحاجة إليهما، ومنها:

* توزيع المصاحف:

يتشوق المسلمون في الدول الفقيرة إلى اقتناء نسخة من كتاب الله عز وجل؛ ولذا فقد سعى المنتدى لتوفير نسخ من القرآن الكريم لمن يظن أنهم حريصون على قراءته وتدبر آياته، وقد بلغ عدد المصاحف التي وزعها المنتدى العام الماضي (٧٧٥٠) مصحفاً.

* طباعة وتوزيع الكتب الإسلامية:

يحرص المنتدى على طباعة الكتب الإسلامية باللغات المختلفة وتوزيعها على دول العالم، وقد وزع من هذه الكتب خلال العام الماضي (٢١٢,٧٢٠) كتاباً بعدة لغات. ومن ضمن الكتب التي قام المنتدى بطباعتها وتوزيعها:

- الواسطة بين الحق والخلق، لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - (مترجم بلغة الهوسا).
- الدروس المهمة لعامة الأمة، لسماحة الشيخ ابن باز - رحمه الله - (مترجم باللغة السواحلية).
- كيفية صلاة النبي ﷺ، لسماحة الشيخ ابن باز - رحمه الله - (مترجم باللغة الفرنسية).
- العقيدة الإسلامية الصحيحة، للشيخ محمد جميل زينو (مترجم باللغة الإنجليزية).

* إنشاء المكتبات العامة:

توفير المراجع وأمهات الكتب العلمية في الدول الفقيرة أمر ضروري للعلماء وطلاب العلم والدعاة في تلك الدول؛ ولذا فقد قام المنتدى باختيار قائمة من أهم الكتب في مختلف التخصصات الشرعية وعمل على توفيرها في مختلف الدول الفقيرة. وقد بلغ عدد المكتبات التي أنشأها المنتدى وأثثها قرابة (٥٢) مكتبة في أكثر من (٩) دول.

* توزيع المناهج الدراسية:

تفتقر كثير من المدارس الإسلامية في كثير من الدول الفقيرة إلى المناهج الدراسية؛ وهذا بدوره قد يؤدي إلى ضعف المستوى العلمي للطلاب؛ ولهذا سعى المنتدى إلى توفير المناهج الدراسية وشحنها إلى بعض المدارس، وقد بلغ عدد الكتب الموزعة (١٨٢,٨٤٦) كتاباً تقريباً.

* توزيع الشريط الإسلامي:

مع افتقار كثير من دول العالم إلى علماء موجهين فقد حرص المنتدى على نشر الشريط الإسلامي بمختلف اللغات بين صفوف الدعاة وعامة الناس. كما حرص المنتدى على توفير أجهزة نسخ الأشرطة لتسهيل نشر الشريط الإسلامي، وقد بلغ عدد الأشرطة التي تم توزيعها عبر مكاتب المنتدى قرابة (١٤,٢٧٠) شريطاً.

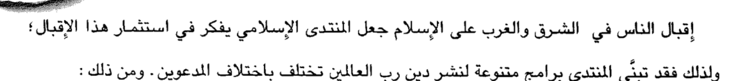
الكتاب الإسلامي... معين لا ينضب وزاد لا ينفد







نشر الإسلام



إقبال الناس في الشرق والغرب على الإسلام جعل المنتدى الإسلامي يفكر في استثمار هذا الإقبال؛ ولذلك فقد تبنَّى المنتدى برامج متنوعة لنشر دين رب العالمين تختلف باختلاف المدعوين. ومن ذلك :

*** القوافل الدعوية:**

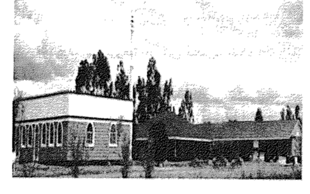
استمر المنتدى الإسلامي في تسيير القوافل الدعوية في أدغال إفريقيا. وبفضل من الله تمكن المنتدى خلال العام من تنفيذ (٢٠٠) قافلة في (٩) دولة .

ويصاحب القافلة عادة طبيب لمعالجة أهالي القرى، كما يتم توزيع مواد غذائية لتليين قلوبهم.

ومن فضل الله ومنته أن هدى للإسلام أقواماً من الناس في مختلف القرى والمناطق التي زارها الدعاة، وقد بلغ مجموعهم في العام الماضي (٤٨٢١) مهتدياً .

*** مراكز المهتدين الجدد:**

إن تحويل المسلم الجديد إلى إنسان يحمل همَّ الإسلام ويساعد في نشره بين بني جلدته أحد الأنشطة التي يقوم بها المنتدى الإسلامي من خلال إنشاء مراكز المهتدين الجدد وتشغيلها. وهي مراكز ينشئها المنتدى في بعض الدول لإعطاء المسلم الجديد دورات شرعية تمتد إلى أربعة أشهر متواصلة يتعلم فيها العقيدة الصحيحة وطرق تأدية العبادات وغير ذلك.



مركز ابن باز للمهتدين الجدد في كينيا

وقد أنشأ المنتدى حتى الآن (٤) مراكز للمهتدين الجدد. ويضم المركز مسجداً وفصولاً دراسية وسكناً للمهتدين ومكتبة وصالة طعام، وغير ذلك من المرافق .

وقد أقيمت في هذه المراكز خلال العام الماضي (١٦) دورة تعليمية خاصة بالمهتدين الجدد، واستفاد منها قرابة (٦٠٠) شخص من حديثي الإسلام .

*** اكتشف الإسلام:**

وهو موقع يعمل المنتدى الإسلامي على إنشائه عبر شبكة (الإنترنت) وذلك لدعوة مستخدمي هذه الشبكة العالمية من غير المسلمين الناطقين بالإنجليزية ومن أهم محتويات هذا الموقع :

- تعريف شامل بالإسلام.
- شبهات حول الإسلام.
- الرسول ﷺ في التوراة والإنجيل.
- ترجمة لمعاني القرآن الكريم بالإنجليزية.
- توضيح خطوات الدخول في الإسلام.

*** المسلم الجديد:**

وهو كذلك موقع يشرف عليه المنتدى الإسلامي في الإنترنت، ويهدف هذا الموقع لخدمة الذين منَّ الله عليهم بالهداية وسيكون الموقع - بإذن الله - مرجعاً للمهتدين الجدد للتعرف على أمور دينهم من أحكام وتشريعات وآداب وغير ذلك. وسوف يضم هذا الموقع ركناً خاصاً بالرجال وآخر بالنساء.

*** الطاولات الدعوية:**

يغتنم دعاة المنتدى الإسلامي في لندن تجمع الناس في بعض الأماكن لا سيما في عطلة نهاية الأسبوع ويضعون طاولات تضم كتيبات ونشرات وأشرطة تعريفية بالإسلام، كما يقوم الدعاة بالإجابة على تساؤلات الناس حول الإسلام، ولقد كان لهذه الطاولات أثر إيجابي في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ودخولهم فيه.

*** الدورات التدريبية في طرق دعوة غير المسلمين:**

تتطلب دعوة الناس إلى الإسلام معرفة أحوالهم ومداخلهم والأسلوب الأنسب لمحاورتهم؛ ولذا فقد حرص المنتدى على إقامة دورات تدريبية للدعاة والمهتمين بدعوة غير المسلمين تتناول أساليب الدعوة وطرقها وبعض الموضوعات الشرعية المتعلقة بهذا الموضوع. وقد أقام المنتدى دورتين في مركزه بلندن.

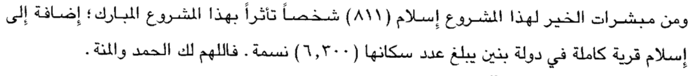
الأنشطة الإغاثية

يهدف المنتدى من خلال تنفيذه للبرامج الإغاثية إلى استثمار إقبال الناس على هذه البرامج في الدعوة إلى الله - عز وجل - وتصحيح العقائد ونشر السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم . ومن الأنشطة الإغاثية التي يقيمها المنتدى :

* مشروع إفطار الصائمين:

أقام المنتدى الإسلامي في رمضان عام (١٤٢٠هـ) مشروع الإفطار في (٥٦) دولة، وبلغ عدد المستفيدين من هذا المشروع (١,٦٦٩,٨٠٤) مستفيداً، بميزانية تقدر بـ (١,٠٦٦,٦٦٧) دولاراً.

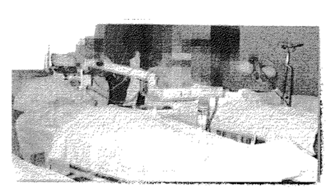
وقد رافق المشروع برامج دعوية مصاحبة بلغ عددها قرابة (٢٤,٢٩٠) برنامجاً.



ومن مبشرات الخير لهذا المشروع إسلام (٨١١) شخصاً تأثراً بهذا المشروع المبارك؛ إضافة إلى إسلام قرية كاملة في دولة بنين يبلغ عدد سكانها (٦,٣٠٠) نسمة. فاللهم لك الحمد والمنة.

* المخيمات الطبية:

يقيم المنتدى بشكل دوري بالتعاون مع (مؤسسة البصر العالمية) مخيمات لمكافحة العمى في الدول الفقيرة، وهي تخدم بالدرجة الأولى فقراء المسلمين مع عدم حجب خير هذه المخيمات عن غير المسلمين. لدعوتهم وتأليف قلوبهم.



وقد أقام المنتدى - بتوفيق الله - خمسة مخيمات في كل من: نيجيريا، كينيا، الصومال، مالي، توجو. تم الكشف فيها على أكثر من (٣٠,٤٠٠) مريض، وإجراء (٢,٢٩٠) عملية جراحية، وتوزيع (٦,٤٠٠) نظارة طبية. وقد كان لدعاة المنتدى دور دعوي بارز في استثمار إقبال الناس على هذه المخيمات وذلك بإعداد وتقديم عدد من المحاضرات، وتوزيع الكتيبات والكلمات الإرشادية والتعليمية.

ويسعدنا في المنتدى الإسلامي أن نقدم جزيل شكرنا وتقديرنا للجهود الحثيثة التي تقوم بها مؤسسة البصر العالمية، فهي مؤسسة رائدة في النشاط الإنساني المتخصص.

* مشروع الأضاحي:

وهو مشروع ينظمه المنتدى كل عام، وقد بلغ عدد الأضاحي التي تم ذبحها وتوزيعها على فقراء المسلمين عام ١٤٢٠ هـ (٣,٧٠٠) رأس من الغنم و (٥٠) من البقر. واستفاد من هذا المشروع قرابة (٤٣,٥٠٠) شخص .

البرامج الإغاثية للمنكوبين:

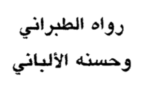


يسهم المنتدى في رفع المعاناة عن إخوة لنا في الدين ابتلاهم الله - عز وجل - ببعض المصائب والنكبات؛ فقد سيَّر المنتدى الإسلامي قوافل إغاثية لإغاثة المنكوبين من الجفاف الذي أصاب منطقة أوجادين في شمال الصومال. كما قدم المنتدى معونات سريعة للاجئين الإرتيريين النازحين من إرتيريا إلى شرق السودان بسبب الحرب التي دارت بين إرتيريا وإثيوبيا.

ويستعد المنتدى في الوقت الحالي لتقديم المساعدة للمتضررين من المجاعة التي ظهرت آثارها في شرق دولة كينيا .

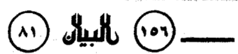
قال رسول الله ﷺ:

«أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرورٌ تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً»



رواه الطبراني
وحسنه الألباني



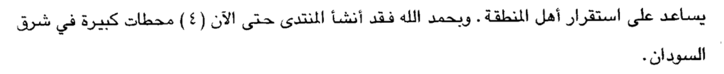


مشروع عيون الحياة لحفر الآبار

الجفاف شبح يهدد كثيراً من الدول الفقيرة، ويكدر صفو الحياة فيها ولا سيما في القارة الإفريقية، ولذا حرص المنتدى على المساهمة في تخفيف هذه المعاناة عن المسلمين من خلال:

* محطات المياه:

وهي محطات كبيرة لاستخراج المياه تضخ قرابة (٧٠٠٠) جالون يومياً، ويهدف المنتدى من هذا النوع من المحطات إلى توفير مصدر مائي ثابت



يساعد على استقرار أهل المنطقة. وبحمد الله فقد أنشأ المنتدى حتى الآن (٤) محطات كبيرة في شرق السودان.

* الآبار الارتوازية:

وهي آبار تحفر بواسطة أجهزة الحفر الحديثة، ومن ثم يركب عليها مضخة يدوية؛ لأنها الأنسب في مناطق الجفاف التي لا يتوفر فيها الكهرباء. وقد حفر المنتدى حتى الآن (٢٥٤) بئراً ارتوازياً في مختلف الدول التي تعاني من شح الماء.

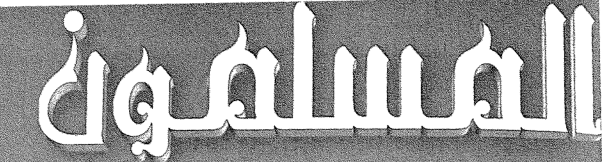
* الآبار السطحية:

وهي آبار تحفر في المناطق التي يقترب فيها مستوى الماء إلى سطح الأرض أو التي يصعب استخدام أجهزة الحفر الحديثة فيها. وقد حفر المنتدى الإسلامي حتى الآن (٣٢٠) بئراً سطحياً.

* مشروع سلسبيل لسقيا الماء:

وهو عبارة عن خزانات كبيرة تُنشَأ في الأحياء الفقيرة للمسلمين الذين يعانون من قلة الماء، ويتم تغذية هذه الخزانات بشكل يومي من خلال صهريج كبير تابع للمنتدى، وقد أنشأ المنتدى (٦) خزانات في منطقة كسلا بالسودان.

قال ﷺ: «أيما مؤمن سقى مؤمناً على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة».



■ مع القدس في محنتها

عبد العزيز كامل

■ العالم الإسلامي ماذا فعل من أجل القدس

عبد العزيز الحامد

■ كامب ديفيد هل أخفقت

عماد الغزي

■ الإجراءات الإسرائيلية لتهويد المدينة المقدسة

مركز العودة الفلسطيني

■ الانتخابات الأمريكية

خالد الحسن

■ شباب العالم في الفاتيكان

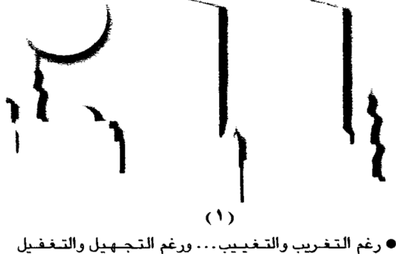
إبراهيم بن محمد الحقيل

■ مرصد الأحداث

حسن قطامش









زفرات قلم.. مع القدس في محنتها

عبدالعزيز كامل

(١)

● رغم التغريب والتغييب... ورغم التجهيل والتغفيل والتأجيل.. فرضت قضية بيت المقدس نفسها على الساحة الدولية في الآونة الأخيرة، ولكن .. لا يدري أحد إلى أي منتهى ستقود المنطقة والعالم تلك البقعة الصغيرة المبنى والعظيمة المعنى؟!

كل الاحتمالات واردة إلا احتمال تحقق الوهم أو الإيهام العربي بعودتها عن طريق عملية الدجل الكبرى المسماة: (عملية السلام)!

(٢)

● الأحداث الأخيرة التي اجتاحت فلسطين منطلقة من ساحات المسجد الأقصى، أثبتت أن هناك شعباً كاملاً يريد أن يجاهد، ولديه كامل الاستعداد للبذل والفداء، ولكن هذا الشعب أعزل ... إلا من الحجارة!! فكيف ذلك؟! ومن المسؤول عنه؟ وكيف يظل شعب من المسلمين احتُلت أرضه، واغتُصب حقه مجرداً من السلاح طيلة أكثر من نصف قرن؟ من المسؤول عن حرمان أهل الأرض المقدسة من حمل السلاح للدفاع المشروع عنها كما يدافع الشيشان الآن ومِن قَبلِهم الأفغان؟!.. إنها - حقاً - معضلة تحتاج لمن يحل لغزها ويسعى لفكها!!

(٣)

● زيارة رمز الشر (شارون) لباحة المسجد الأقصى كانت على غرابتها ووقاحتها تصرفاً طبيعياً لمن أراد أن يدشن حرباً دينية صريحة في المنطقة؛ لأن رد الفعل المترتب عليها لم يكن متوقعاً فقط، بل كان منتظراً من جيش أعد نفسه لمثل هذا اليوم منذ حادثة النفق عام ١٩٩٦م. و (شارون) لم يكن ليبادر بمفرده بخطوة كتلك الخطوة البعيدة الأثر على الحكومة الإسرائيلية بأسرها، لولا أن (باراك) قد بارك خطوته هذه؛ ليبني الاثنان (حزب الليكود وحزب العمل) عليها بعد ذلك ما يريان من خطوات في شأن ما يسميه اليهود: (جبل الهيكل) بعيداً عن أهزولة (عملية السلام).

(٤)

● من غرائب وعجائب تلك الجدلية الهزلية، الإسرائيلية العربية، المعروفة بالعملية السلمية؛ أنها استمرت نحواً من عشر سنوات للبحث في كل قضايا الصراع إلا المسائل المهمة، والخطيرة، والمعقدة: (القدس ـ العَوْدة ـ الحدود ـ الدولة ـ المياه ـ المستوطنات) فلما جاء موعد مناقشة تلك القضايا الكبيرة من أجل الوصول إلى (الحل النهائي).. تبرع الراعي (الكاوبوي) الأمريكي، بعشرة أيام في كامب ديفيد للفراغ منها، ثم تكرم بأربعة أيام أخرى، ليكون نصيب البقعة المباركة التي ظلت تحت كنف المسلمين أربعة عشر قرناً، أربعة عشر يوماً، لكي تنقل ملكيتها إلى من سرقوها واغتصبوها بصكوك دائمة، عنوانها: (الحل النهائي) أو المحطة الأخيرة في عملية السلام.. «العادل والشامل والدائم»!

(٥)

● ظهر عملياً في مفاوضات الحل النهائي في كامب ديفيد، أن كل ما أسماه اليهود: (أرض إسرائيل) هو جميعه في كفة، والقدس وحدها في كفة، وظهر أيضاً بعد تسريب بعض تفاصيل المفاوضات أن القدس كلها كانت في كفة، وما أسماه اليهود (جبل الهيكل) في كفة. و (جبل الهيكل) الذي أصبح (فجأة) هو الاسم الإعلامي الدولي لمسجدي الأقصى والصخرة؛ ظهر أن يهود العالم يرجحون كفته على كل شيء من أراضي الشرق الأوسط. وأثبت اليهود أن قادتهم من أمثال بن جوريون وبيجن وغيرهما، كانوا يعنون ما يقولون عندما رددوا مراراً: (لا قيمة لإسرائيل بدون القدس، ولا قيمة للقدس بدون الهيكل).

(٦)

● ترجمة هذا الكلام من الناحية الواقعية أن كامب ديفيد الثانية ـ وربما ما يأتي بعدها من ثالثة ورابعة ـ كانت تمثل في حقيقتها حواراً تفاوضياً صعباً حول موضوع مركزي أساسي، وهو أرض المسجد الأقصى نفسها التي لم يكن للحديث المكثف عن (القدس الشرقية) والسيادة عليها أي معنى غير معنى السيطرة التامة عليها؛ وبهذا اختُصرت أزمة الشرق الأوسط وأعيدت إلى نقطة المركز: المسجد الأقصى والسيادة عليه: هل هي للمسلمين، أم لليهود، أم للنصارى؟

وأصبح الصراع في الشرق الأوسط صراعاً على أرض مسجد كما قال (شلومو بن عامي) وزير الخارجية الإسرائيلي بالوكالة.

(٧)

● الخطاب الإسرائيلي والأمريكي في الآونة الأخيرة اضطر للإفصاح عن حقيقته الدينية الصرفة فيما يتعلق بالسيطرة على أرض المسجد الأقصى، واضطر الخطاب الرسمي السياسي والإعلامي العربي إلى أن يتكلم باللهجة نفسها أو قريباً منها ليتحدث عن السيادة على (أرض الحرم القدسي)(*). ولكن ظهر في هذا الخطاب العربي تصنُّع ظاهر؛ فالخطاب العلماني بدا هزيلاً وهو يتحدث عن (المقدسات) و (الحرمات)؛ إذ كيف يتحدث عن القدسية أقوام انتهك أكثرهم كل شيء مقدس في الدين، بدءاً من الشريعة المقصاة عمداً وقصداً، وانتهاءاً بمحاربة التدين والمتدينين سراً وعلناً. وقد كان شيئاً مزرياً أن نسمع عن مغادرة الوفد الإسرائيلي لمكان التفاوض كلما حل يوم السبت احتراماً له، بينما ما زلنا نرى النظم المعمول بها لا تمانع ـ في أكثر بلاد المسلمين ـ من ممارسة كل الأعمال الحياتية وقت صلاة الجمعة استهانة بها!

(*) أرض المسجد الأقصى، رغم بركتها وقدسيتها، ليست حرماً، لأن للحرم في الإسلام أحكاماً شرعية معروفة، وهذه الأحكام يُعمل بها في مكة والمدينة ـ وهما حرمان ـ ولكن لم يشرع العمل بها في بيت المقدس. انظر فتاوى ابن تيمية، ج ١٤، ص ٢٧.

(٨)

● الروح الإسلامية - على ما يبدو - سوف تُستنفر قريباً وتُستدعى للذود عن المقدسات، بعد الإعلان عن إفلاس الزعامات اللادينية، وتلك الروح تُخاطب الآن على استحياء، بعد أن (اكتشف) العلمانيون العرب أن الصراع يسفر يوماً بعد يوم عن وجهه الديني الحقيقي... ولكن هذا (الاكتشاف) - وللأسف الشديد - ظهر لهم بعد أن كسروا بأنفسهم رماح تلك الروح، وقصوا ريشها في أنحاء العالم العربي والإسلامي، وبعد أن قام عرفات - ذاته - بخضد الشوكة الإسلامية داخل الأرض المقدسة، وليجد الفلسطينيون العاديون أنفسهم - بعد خراب مالطة - قوة عزلاء شلاَّء تقف وجهاً لوجه أمام قوىً دينية يهودية ونصرانية متربصة بدين الحق، ومتشبثة بدين الباطل تحت الرايات التوراتية والغايات التلمودية.

(٩)

● يبدو أيضاً أن العلمانية العربية لا يزال في جعبتها المزيد من عيِّنات المزايدين على قضية فلسطين، وأنها تُعِد، أو تُعَد لتتخطى مرحلة الثورية القومية حيث دعاوى القتال والنضال، إلى مرحلة «الجمهوريات الملكية»، حيث الانبطاح بعد الانفتاح على (العدو المصيري) للوصول إلى «تسوية» القضية نهائياً بالأرض. والتوصل إلى «حل» نهائي لتلك العقدة التي أظهرت عوار الدعاوى العلمانية بكافة أطيافها وأصنافها الدعائية الخائبة.

(١٠)

● مفارقة عجيبة، تلك التي يكشفها تسلسل أحداث القضية الفلسطينية؛ فبعد أن كانت قضية إسلامية، تحولت إلى قضية عربية قومية، ثم إلى قضية أوكلِ أمرها إلى (دول المواجهة) ثم إلى قضية تُهم جبهة (الصمود والتصدي)، ثم إلى قضية تعني الشعبين الفلسطيني والأردني، ثم إلى قضية تخص الشعب الفلسطيني وحده، ثم إلى قضية في يد السلطة الفلسطينية دون سائر الشعب الفلسطيني، ثم إلى قضية تحت تصرف عرفات وحده!! وإذا بعرفات يتحول - بتدبير مقصود - إلى رجل يتكلم وحده باسم أكثر من مليار(*) مسلم بشأن المقدسات، ويجتهد نيابة عنهم، ويتفاوض ويتفق، ويُوقِّع سراً وجهراً، ومختاراً ومكرهاً، بالوكالة والأصالة عن العالم الإسلامي بأسره!

(١١)

● هذا العالم الإسلامي، استُبعد منذ عقود طويلة ليقف موقف المتفرج على ما أطلق عليه العلمانيون: (الصراع العربي الإسرائيلي). وطيلة خمسين عاماً من صراعات الحرب والسلام البائرة ظل العالم الإسلامي متفرجاً بالفعل، بناءاً على طلب (أصحاب القضية) فلما جَدَّ الجِدُّ، وبرزت جسامة المسؤولية، إذا بهؤلاء يستنجدون بالعالم الإسلامي، ويعاتبونه على المواقف الباردة التي يتعامل بها مع التطورات الساخنة لأكثر قضايا المسلمين المعاصرة خطورة، حتى إن عرفات ورفاقه - بعد أن أيسوا من السيادة الفلسطينية على القدس، طلبوا إسناد تلك السيادة إلى العالم الإسلامي، ولكن... أنى للمتفرجين المستبعدين طيلة عقود أن يتحولوا إلى مشاركين أساسيين في (اللعبة) التي لم يُمكَّنوا من فهم قواعدها، أو يشاركوا في صنع تطوراتها؟!... لقد رُفض الطلب، قبل أن يتكلم عن المطلوب!

(١٢)

● في حمأة التورط الفلسطيني الرسمي، والانكشاف العربي العلني، والحرج المتزايد للعالم الإسلامي، بدا العالم النصراني في أوج التنسيق والتنظيم مع اليهودية العالمية، حتى إن حديث باراك وشارون وليفي وبن عامي - لم يعد يختلف في جوهره وغايته كثيراً عن حديث كلينتون وأولبرايت وآل جور وبوش عند الخوض في

(*) المليار: ألف مليون.

مسألة (جبل الهيكل)، وأصبحت القدس - كما لم تكن من قبل - أحد الموضوعات الأساسية للمزايدة السياسية في الانتخابات الأمريكية بين الحزبين الكبيرين الديمقراطي والجمهوري، حتى أصبح البيت المقدس بوابة للدخول إلى البيت الأبيض.

(١٣)

● بدا أن كلينتون - بعد كامب ديفيد الثانية - لم يكن يرغب في ختم عهده الملوَّث بحيازة جائزة نوبل للسلام، بقدر ما كان حريصاً على إسدال الستار على الفصل الأخير من عملية الاستسلام التي كانت أمريكا الراعي الأول لها. فتوقيع ياسر عرفات أو من ينوب عنه أو يأتي بعده على وثيقة التنازل عن القدس ليهود الشرق (إسرائيل) أو يهود الغرب (أمريكا) تحت مسمى السيادة الدولية لن يكون له معنى آخر سوى الاعتراف الرسمي للعرب جميعاً؛ بل للمسلمين جميعاً بالهزيمة في المعركة الراهنة مع اليهود، ولكن لعل الانتفاضة الجديدة تتمكن بعون الله من قلب السحر على الساحر.

(١٤)

● قيل الكثير عن «إخفاق» كامب ديفيد الثانية، وقد يأتي يوم يُكشف فيه عن أن تلك القمة لم تتعثر سوى في موعد التوقيع المعلن عن اتفاقات سبق التوصل إليها، ولهذا تردد على لسان أكثر من مسؤول عربي وغربي أن كامب ديفيد الثانية تخطت أكثر من ٨٠٪ من المسائل المعلقة! وقد تعلمنا من الممارسات السياسية العربية في السنوات الأخيرة أن أخطر الاتفاقات والمعاهدات لم يتم التوصل إليها إلا سراً، وعبر مفاوضات متكتم عليها، ثم ترفع المداولة بشأنها لكي تعلن النتائج في وقت أكثر مناسبة. وبالمناسبة؛ فإن المرء يجد نفسه أمام السؤال: لماذا كان هذا الحرص القاتل على إحاطة مفاوضات الكامب الثانية بتلك السرية الفولاذية التي لم تحظ ببعضها مفاوضات الكامب الأولى؟!

(١٥)

● بعد انفضاض كامب ديفيد هدد عرفات بالإعلان عن قيام الدولة الفلسطينية في موعدها، ورد كلينتون بالتهديد بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس قبل موعدها، ولكن عرفات سحب تهديده وأجَّل إعلان الدولة للمرة الثالثة، وبقي تهديد كلينتون قائماً؛ لأنه ليس مجرد تهديد من رئيس راحل، بل هو قرار ملزَم من مجلس نيابي يمثل الشعب الأمريكي؛ فقرار نقل السفارة صدر عن الكونجرس الأمريكي منذ عام ١٩٩٥م وتم التأكيد عليه عام ١٩٩٧م، ولكن الرئيس الأمريكي لا يملك إلا التأجيل فقط وليس من حقه الإلغاء، وعندما يحين وقت تنفيذ القرار سيتوالى الاعتراف الدولي بالقدس عاصمة لدولة (إسرائيل)، وعندها.. سيكون مسموحاً لعرفات بالإعلان عن قيام الدولة الفلسطينية المستقلة (العلمانية) - كما وعد - وعاصمتها القدس.. عفواً: أبو ديس!

(١٦)

● الذاكرة العربية المصابة بداء النسيان المزمن نسيت أو تناست أن مدينة (أبو ديس) قد حصل ما يشبه الاتفاق على اعتبارها عاصمة للدولة الفلسطينية حال قيامها، وذلك بعد إطلاق اسم (القدس) عليها، وقد كُشف عن ذلك أكثر من مرة عن طريق تسريب بعض التفاصيل عما يسمى بوثيقة (مازن - بيلين) نسبة إلى محمود عباس (أبو مازن) أمين سر السلطة الفلسطينية و(يوسي بيلين) وزير العدل الإسرائيلي.

وقد كَشَفَتْ سر (أمين السِّر) في السلطة الفلسطينية، وعن (عدل) وزير العدل الإسرائيلي - صحيفةُ نيوزويك الأمريكية في منتصف سبتمبر ٢٠٠٠م، ولم تشأ السلطة أن تنفي - كما فعلت طيلة سبع سنوات سابقة - مصداقية هذه الوثيقة!! ومع ذلك لم يكشف لنا (أمين السر) في المنظمة عن السر في اختيار (أبو ديس) مقراً للبرلمان الفلسطيني الذي تم بناؤه بالفعل فيها! والْتُقطت له الصور ونشرت بالصحف.

(١٧)

● أدمن الخطاب العلماني العربي - على امتداد عهود وعقود خلت - تصوير الانكسارات بصورة الانتصارات، والهزائم المنكرة على شكل اختراقات مبتكرة، ولقد كان عجيباً في حس العقلاء أن يصور الموقف المأساوي السلطوي للمنظمة الفلسطينية؛ رغم تكرار التخاذل والتنازل بمواقف البطولة والرجولة! فعرفات ورفاقه ما ذهبوا للتفاوض بشأن الحل النهائي في كامب ديفيد إلا بعد أن فرغوا - بشكل نهائي - من حرق جميع الأوراق التي كان يمكن الضغط بها والمساومة بشأنها، وعلى رأسها المقاومة الداخلية الإسلامية، هذا في الوقت الذي ذهب فيه اليهود للتفاوض (النهائي) بعد أن فرغوا بشكل عملي شبه نهائي من تهويد القدس خلال ما يزيد على ثلاثة عقود، وخاصة في عقد التسعينيات الذي تكفل عرفات فيه بتأمين الإسرائيليين (المسالمين) من خطر (الإرهابيين) الإسلاميين حتى قال (بيريز) عن ذلك العقد: إنه أزهى العصور الأمنية في عمر الدولة الإسرائيلية!

(١٨)

● ألح عرفات كثيراً على التمسك بـ (الشرعية الدولية) ومقرراتها عند إبرام أي اتفاق بشأن القضية الفلسطينية، وقد رددت الزعامات العربية العبارات بهذا المعنى، فهل كان هذا تمهيداً نفسياً ووجدانياً للشعوب العربية والإسلامية لأن تقبل بأي حل ما دام لا يتعارض مع (الشرعية الدولية)؛ وإن كان يتعارض مع الشرعية الإسلامية؟!

إن الحديث عن حل في ظل الشرعية الدولية - شرعية اليهود والنصارى - يعيد القضية إلى نقطة الصفر حيث كانت قبل أكثر من خمسين عاماً، عندما قدمت الدول الكبرى مشروعاً لوضع أرض المسجد الأقصى تحت الوصاية الدولية، بمقتضى القرار (١٨١) الصادر عام ١٩٤٧م، وإذا تم إقرار هذا الحل - وهذا احتمال قائم - فإن العرب يكونون بذلك قد أحبطوا بأنفسهم نصف قرن بجهده وجهاده، حرباً وسلماً، (وكأنك يا أبو زيد ما غزيت)!

(١٩)

● الشرعية الدولية اليوم تقوم عليها الأمم المتحدة، والأمم المتحدة خاضعة - من الناحية الواقعية - للسيطرة الأمريكية؛ وأمريكا - واقعياً - تحت سيطرة اليهود، فهل سيبخل يهود أمريكا يوماً على يهود (إسرائيل) بقرار يعيد أرض المسجد الأقصى للدولة الإسرائيلية؟! وهل ستحول دولة من الدول المائة والثمانين - من أعضاء المنظمة الدولية - ضد استخدام الفيتو الأمريكي الذي يَنقُض ولا يُنقَض؟! ويلغي ولا يُلغى، حقاً إنه عصر العلو الكبير.

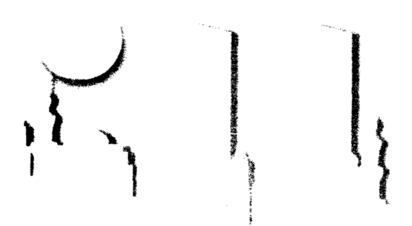
(٢٠)

● وهنا مفارقة أخرى كبرى تكمن بين تقزيم قضية القدس على مستوى العالمين العربي والإسلامي، حتى تصبح قضية سلطة بلدية، في ظل قيادة فردية - وتضخيم تلك القضية على المستوى الآخر، حتى تتحول من قضية عصابات يهودية محلية إلى قضية حكومة لها علاقات دولية، إلى قضية عالمية تتبناها الشرعية الدولية بمنظمتها العالمية، من وجهة نظر يهودية ونصرانية بحيث تمهد لمفهوم أهل الكتاب من جعل القدس عاصمة للعالم، ريثما يحل زمان السيطرة اليهودية على العالم.

ونعود إلى ما بدأناه؛ فالقضية تفرض نفسها على الدنيا، وكل العالم يتحدث بشأنها: الأمريكان، والبريطان، والروس، والطليان، والفرنسيون، والألمان، وكل عَبدة الصلبان والأوثان - كلهم يسترضون اليهود، ويتكلمون بلسان اليهود، وقد لمس عرفات ذلك في جولته التي طاف خلالها بعشرين دولة، حتى أحس بأن دولته لن يؤيدها أحد ما لم يأذن بها اليهود، يهود أمريكا ويهود إسرائيل، نقول: أما وقد تكلم أصحاب كل الأديان؛ فقد حُق لنا أن نتساءل: أين أهل الإيمان؟! أين القدس عند أهل الإسلام؟!

أين بيت المقدس في قلوبنا؟! هل قدسناه كما قدسه ربنا؟! هل عظمنا مسجده كما عظمه كتابنا؟ هل شددنا إليه الرحال ولو بقلوبنا - كما ندب إلى ذلك رسولنا...؟

اللهم غَفراً... اللهم ستراً... اللهم رحمة وعفواً.



العالم الإسلامي ماذا فعل من أجل القدس؟

عبدالعزيز الحامد

اقترحت السُّلطة الفلسطينية على الإسرائيليين والأمريكيين - بعد أن (فوجئت) بتصلب الموقف الأمريكي والإسرائيلي في رفض السيادة العربية والفلسطينية على القدس - اقترحت أن تُسند السيادة عليها إلى العالم الإسلامي ممثلاً في منظمة المؤتمر الإسلامي، وبالرغم من أن هذا الاقتراح الفلسطيني كان بمثابة أول تنازل من السُّلطة الفلسطينية عن شعار: (لا تفريط في السيادة الفلسطينية على القدس عاصمة لدولة فلسطين)، بالرغم من ذلك فقد رفض الإسرائيليون هذا الطلب، وقال (شلومو بن عامي) وزير الخارجية الإسرائيلي بالوكالة مؤكداً رفض (إسرائيل) للسيادة الإسلامية على القدس: «بالنسبة إلينا.. إن السيادة الفلسطينية والسيادة الإسلامية العالمية يعنيان عملياً الشيء ذاته، وأؤكد رفض رئيس الوزراء لهذه الفكرة». [الحياة/٢٠/٩/٢٠٠٠م].

وصدر بعد ذلك بيان عن مكتب (إيهود باراك) في اليوم التالي جاء فيه: «إن إسرائيل لا تعارض فقط نقل السيادة على «جبل الهيكل» إلى الفلسطينيين، بل ترفض تماماً نقل السيادة إلى أي هيمنة إسلامية» [الشرق الأوسط ٢١/٩/٢٠٠٠] ومن يسمع هذا الطلب الفلسطيني وذاك الرفض الإسرائيلي يظن أنه كان بالإمكان فعلاً أن تسند السيادة على القدس إلى منظمة المؤتمر الإسلامي، مع العلم بأن تلك المنظمة في واقع الأمر لا تملك الآلية القادرة على تحمل هذه التبعة العظيمة؛ ولا أدل على ذلك من أن الدور الذي مُكنت هذه المنظمة من القيام به - منذ أقيمت - لأجل القدس، هو دور متواضع جداً مقارنة بتلك القضية الضخمة العظيمة، هذا مع أن السبب في إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي في الأساس إنما جاء رد فعل على حريق المسجد الأقصى الذي حدث في ٢١ أغسطس عام ١٩٦٩م؛ وللتدليل على تواضع هذا الدور - مقارنة بما كان يُتوقع من منظمة

المؤتمر الإسلامي - فإننا نسُوق استعراضاً للملامح الرئيسة لطريقة تلك المنظمة في التعامل مع قضية المسلمين الأولى.

فكما سبق - تشكلت منظمة المؤتمر الإسلامي رداً على إقدام الصهاينة(١) على إحراق المسجد الأقصى، فقد تنادى زعماء العالم الإسلامي لعقد مؤتمر قمة لبحث الموقف الواجب اتخاذه تجاه تلك الجريمة الشنعاء، وبدا وقتها أن قضية القدس والأقصى يمكن أن تكون عامل توحيد للأمة الإسلامية، ولكن هذا ما لم يحدث طيلة العقد التالي، عقد السبعينيات؛ إذ شُغل العالم الإسلامي بهموم كثيرة صرفته عن الاهتمام بقضيته المركزية، وأصبحت منظمة المؤتمر الإسلامي رمزاً مجسِّداً لما يمكن أن يقدمه العالم الإسلامي - على مستوى الدول - لصالح قضية فلسطين؛ ذلك الدور الذي لم تُتح له سوى أن يكون رمزياً فقط في غالب الأحوال؛ لقد أثمر المؤتمر الأول لزعماء العالم الإسلامي نتيجة مهمة، كان يمكن أن يستفاد منها لأقصى الغايات لو فعِّلت ورتب لها ترتيباً إيجابياً؛ ذلك أنه قد صدر في نص ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي أن من أهم أهدافها: «الحفاظ على سلامة الأراضي المقدسة وتحريرها، ودعم كفاح الشعب الفلسطيني ومساعدته على استرجاع حقوقه وتحرير أراضيه». ونص الميثاق أيضاً على خصوصية القدس على المستوى التنظيمي، حيث جاء النص على أن: «يكون مقر المنظمة في مدينة جدة مؤقتاً، إلى أن يتم تحرير القدس، لتصبح مقراً دائماً لها»؛ ولكن نشاط منظمة المؤتمر الإسلامي المخصص في الأساس لخدمة قضية بيت المقدس - تقلص واختُصر من (مؤتمر إسلامي عالمي) إلى «لجنة» لجنة القدس المنبثقة عن المؤتمر عام ١٩٧٥م، وتحول دور هذه اللجنة، من الناحية الواقعية إلى «صندوق» يستجدي من العالم الإسلامي بفقرائه وأغنيائه من الأموال ما يمكن أن تصرِّف به شؤون محدودة داخل الأرض المقدسة، ليس منها ما يساعد في قليل ولا كثير على تحرير تلك الأرض المقدسة؛ وذلك في الوقت الذي تنهال على تلك الأرض - منذ ما يقرب من قرن من الزمان - مليارات الدولارات من اليهود والنصارى، بهدف إعادة صهرها ثم تشكيلها في هيئة يهودية صرفة؛ وبمقارنة بسيطة بين الواقع العربي الإسلامي، والواقع اليهودي في مدينة القدس بعد أربعة وثلاثين عاماً من احتلالها - وهو واقع معروف - ندرك بُعد الشقة بين ما قدمه العالم الإسلامي للقدس وما قدمه ولا يزال يقدمه العالم اليهودي والعالم النصراني أيضاً؛ والسؤال المرير هنا هو: من الذي يقدس القدس.. نحن أم هم؟! وللتذكير ببعض ما تعهدت به المنظمة، نذكر شيئاً من قراراتها ووعودها فيما يتعلق بالمسؤولية التي تحملتها نحو القدس والأقصى، ونحن نذكرها لنقارن فقط بين الأقوال والأفعال.

● في مؤتمرها الأول المنعقد في سبتمبر ١٩٦٩م، أكدت القمة الإسلامية «أن حكومات الدول الإسلامية وشعوبها يرفضون أي حل للقضية الفلسطينية لا يكفل لمدينة القدس وضعها السابق قبل الاحتلال في يونيو ١٩٦٧م» ومعنى هذا أن الدول الإسلامية كلها ترفض أي سيادة على مدينة القدس لغير أهلها من الفلسطينيين المسلمين.

● وفي القمة الإسلامية الثانية التي عقدت في لاهور في شهر فبراير ١٩٧٤م جاء في قرارات منظمة المؤتمر الإسلامي النص الآتي: «القدس رمز فريد من نوعه لالتقاء الإسلام بالأديان السماوية

---

(١) الذي قام بذلك العمل لم يكن صهيونياً يهودياً، بل كان صهيونياً نصرانياً، وهو مايكل دنيس.

(المقدسة)، ولقد تولى المسلمون لأكثر من ١٣٠٠ سنة شؤون القدس كأمانة لكل من يعتزون بها، وبهذا كان انسحاب إسرائيل من القدس شرطاً لا يقبل التغيير؛ لتحقيق سلام دائم في الشرق الأوسط».

● وعندما أصدرت الحكومة الإسرائيلية قرارها بضم القدس الشرقية المحتلة انعقد مؤتمر للمنظمة على مستوى وزراء الخارجية في مدينة فاس بالمغرب في ٢٠/٩/١٩٨٠م؛ وقد التزمت الدول الإسلامية في هذا المؤتمر باستخدام (جميع) قدراتها السياسية والمالية والنفطية والعسكرية (!!) لمجابهة القرار الإسرائيلي، والتعهد بفرض مقاطعة(١) سياسية واقتصادية على البلدان التي تساند القرار الإسرائيلي.

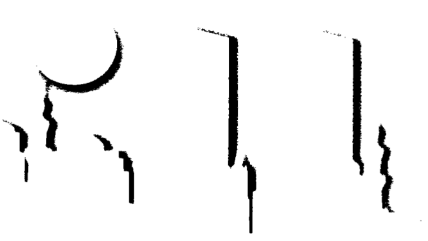
● وفي المؤتمر الثالث للمنظمة والمنعقد في يناير ١٩٨١م، أعلنت المنظمة الإسلامية العالمية (الجهاد المقدس) لتحرير القدس (!!) وفقاً لمواد القانون الدولي التي تَكْفُل الدفاع المشروع عن النفس في المادة (٥١) من ميثاق الأمم المتحدة، وجددت القمة الدعوة إلى مقاطعة (إسرائيل) وقررت: أن إبقاء أي دولة إسلامية على أي شكل من أشكال العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية معها - يُعد تشجيعاً لها على مواصلة احتلال الأراضي العربية المحتلة وعلى رأسها القدس الشريف.

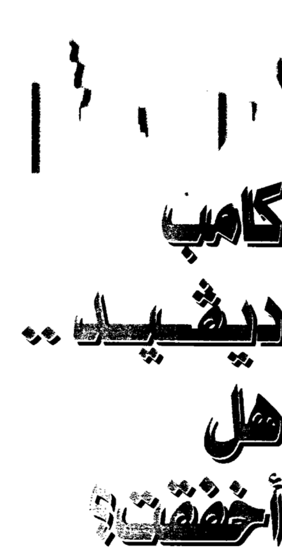
● وعندما أقبل العرب - بسعي جماعي - على (نسخ) تلك القرارات والتوصيات، والتعهدات السابقة، بالدخول في التفاوض السلمي مع اليهود في مؤتمر مدريد في أكتوبر عام ١٩٩١م أعلنت منظمة المؤتمر الإسلامي: «أن القدس هي جوهر قضية فلسطين، ولذلك لا يمكن تغييبها عن مفاوضات السلام»؛ ولكن القدس غُيِّبت بالفعل، واستمرت مفاوضات السلام ما يقرب من عشر سنوات دون أن يكون هناك همس عن القدس، ومع ذلك سكتت المنظمة، وسُلمت القضية إلى (أصحابها) الأصليين وهم: منظمة التحرير!! وكأن القدس كانت أو أصبحت ملكاً لتلك المنظمة لتتحدث عنها وتنفرد بها عن مئات الملايين من المسلمين. وعندما أُعلن عن انعقاد كامب ديفيد الثانية التي تحطمت نتائجها على صخرة القدس بدأ الكلام عن أنواع متعددة من أشكال السيادة على القدس من طرف اليهود والنصارى؛ ولكنها تستثني العالم الإسلامي ممثلاً في المنظمة الإسلامية العالمية، وعندما أصدرت منظمة المؤتمر الإسلامي في دورتها السابعة والعشرين في ٣٠ يونيو ٢٠٠٠م، ما أطلق عليه: «نداء القدس» وجاء فيه: «إن القدس هي العاصمة السياسية والتاريخية للشعب الفلسطيني وللدولة الفلسطينية، وهي ملتقى الأديان والرسالات السماوية، ومركز تعايش الحضارات والثقافات، وهي جزء لا يتجزأ من الأراضي الفلسطينية»(٢) فإن الظاهر من هذا النداء أنه كان يهدف إلى مساندة الموقف الفلسطيني المعلن بعدم التفريط في (ذرة تراب) من القدس الشرقية؛ ولكن هذا الموقف المعلن بدأ ينافسه الموقف غير المعلن وهو القبول بجزء من خارج القدس، وهو (حي أبو ديس) ليكون عاصمة للدولة الفلسطينية - إذا قامت - وعندها أصدر وزراء خارجية دول منظمة المؤتمر الإسلامي إعلاناً في (١٩/٩/٢٠٠٠م) جاء فيه: «نعبر عن تقديرنا للجهود الرامية إلى اتفاق على المسار الإسرائيلي الفلسطيني من عملية السلام».... والسلام!!

(١) هذا قبل مقاطعة هذا القرار بالهرولة إلى التطبيع.

(٢) جريدة الأهرام، ١ يوليو ٢٠٠٠م.







كامب ديفيد.. هل أخفقت؟

عماد الغزي

ببساطة حاول عرفات وباراك إقناع العالم بأن محادثاتهما المغلقة والتي استمرت ١٤ يوماً برعاية كلينتون نفسه لم تكن ناجحة، ليس على القضايا الفرعية وحسب، وإنما على القضايا الأساسية؛ فهل حقاً كانت كذلك؟ أم أن الإخفاق الظاهري للمحادثات هو من مقتضيات التوقيع على الاتفاق النهائي، وأن هناك ترتيبات مكملة خارج إطار الأطراف الحاضرة يجري إعدادها الآن؟ هذا ما سنسعى للإجابة عليه.

عرفات بحاجة لهذا الإخفاق:

بعد التوقيع على اتفاقية أوسلو دخل عرفات غزة دخول الفاتحين، واستُقبل استقبال الأبطال من البعض؛ وما كان له ذلك لولا استغلاله لمجموعة من العوامل استطاع توظيفها لتمنحه شرعية تمثيل الفلسطينيين في هذا الاتفاق ثم قيادتهم.

ومن هذه العوامل:

أ - الرصيد النضالي القديم لحركة فتح والمنظمة التي يتزعمها عرفات، هذا الرصيد قام على أشلاء رجالٍ كثيرين قاتلوا وجاهدوا لتحرير فلسطين في الستينيات والسبعينيات ولم يكونوا يقبلون أي سلام مع اليهود.

ب - داعب عرفات مشاعر الفلسطينيين حين صور لهم الاتفاق مع «إسرائيل» بأنه المخرج الوحيد من حياة البؤس والشقاء في مخيمات الذل، حتى صوّر لهم غزة سنغافورة الشرق الموعودة بعد أن تنهال عليهم المساعدات الدولية من كل جانب.

ج - الفلسطينيون في البداية كانوا يجهلون حقيقة اتفاقية أوسلو وبنودها السرية. أحلام الدولة المستقلة... آمال زوال الاحتلال، كانت أكبر من أن تسعى هذه الشعوب للتفكير قليلاً في تبعات الاتفاق. إنها فترة التقت فيها العاطفة والاندفاع الفطري للإنسان نحو الخلاص على مسافة بعيدة من تغليب العقل والتأمل، إنه ملتقى التائهين من الشعوب المغلوبة التي قُيِّد علماؤها في السجون، وغيِّب الناصحون المخلصون عن القرار.

اليوم تغير الأمر:

الرصيد النضالي الذي منح عرفات الشرعية تغير إلى صورة قاتمة لدى الفلسطينيين وتمخض عن استبداد أجهزة السلطة وقطاعاتها الأمنية الثلاثة عشر وعن الفساد المالي والإداري.

● أما سنغافورة الشرق فواقع الفلسطينيين بعد الاتفاق أصبح مدعاة للإحباط عند بعضهم؛ فمن زيادة معدلات البطالة مروراً بالغلاء الفاحش إلى انخفاض مستوى المعيشة المتدني أصلاً حتى أصبح جزء كبير من سكان ما سمي بمناطق الحكم الذاتي يعيش تحت مستوى الفقر.

● أما حقيقة الاتفاق وبنوده وما يترتب عليه فقد أخذت تتضح يوماً بعد يوم، وإذا بالمهمة الأولى للدولة الموعودة هي حماية أمن «إسرائيل» وحدودها، وتنفيذ أوامر الموساد والـ C.I.A.، وكل عملية جهادية يقوم بها فلسطيني ضد «إسرائيل» أصبحت خرقاً للميثاق وتراجعاً عن العهود.

رئيس الدولة الرمز لا يستطيع دخول دولته أو التنقل فيها إلا بإذن من السلطات الإسرائيلية!

مظاهر كثيرة ومعاناة أكثر أدرك الفلسطينيون من خلالها مدى ضعف هذا الكيان وحجم المأساة التي وصلوا إليها بعد صبرهم الطويل.

● ومن ثم فعرفات الآن بحاجة لعملية تلميع جديدة - وقد تكون الأخيرة - وقد يريد هو ويُراد لعملية التلميع هذه أن تمنحه الشرعية مجدداً ومن ثم الجرأة على توقيع الاتفاق التاريخي القادم الذي جَبُنَ أن يوقع عليه في اللحظات الأخيرة في كامب ديفيد الهالكة.

عاد عرفات من كامب ديفيد بصورة حاولت السلطة من خلالها أن تصنع منه البطل صلاح الدين الذي رفض التنازل عن القدس.

الإعلام الفلسطيني والعربي ساهم في الجريمة، حتى الذين اتهموه بالخيانة والتنازل عادوا لمدح صموده في صحفهم ومجلاتهم وكأنهم جميعاً في نسق واحد يقودهم ويوجههم هم وعرفات قائدٌ واحد!!

القدس:

لم تكتفِ «إسرائيل» أو تقبل بما وقَّع عليه قادة المنظمة وعرفات في أوسلو وما أعلنوه من قبولهم بحق «إسرائيل» في الوجود؛ بل اشترطت وسعت لأجل إقرار علني من المجلس الوطني الفلسطيني وأمام كلينتون نفسه بإلغاء البنود التي تدعو لإزالة دولة «إسرائيل» من الوجود. إسرائيل تدرك أن عرفات وقادة المنظمة هم في نهاية الأمر لا يمثلون شعوبهم، وهي بهذه الخطوة حصلت على إقرار تاريخي وشعبي بحقها في فلسطين.

واليوم ونحن على أبواب التسوية المرتقبة حول قضية هي من أخطر قضايا العالم الإسلامي ومدار حروب تاريخية بين المسلمين والنصارى.. ألا وهي القدس، فإن «إسرائيل» لا تريد توقيع عرفات فقط

أو المجلس الوطني الفلسطيني فقط إنما تريد إضافة لذلك كله إقراراً عربياً ضمنياً أو علنياً بما سيوقع عليه ويقبله عرفات حول القدس.

ومن هنا يأتي الحديث بعد كامب ديفيد المحبَطة وقبل القمة القادمة عن لمّ الشمل العربي الذي ظاهره طي صفحة الماضي للخلافات العربية، وحقيقته الاستجابة للضغوط الأمريكية لإضفاء الشرعية العربية على ما سيقوم به عرفات حول القدس.

الاستحقاقات المالية للاتفاق تحتاج إلى ترتيب:

لاتفاقية التسوية النهائية تبعات مالية ضخمة من الناحية النظرية على الصعيدين الفلسطيني والإسرائيلي مع اختلاف جذري في التطبيق لكلتا الحالتين.

فعلى الصعيد الفلسطيني تتراوح هذه الاستحقاقات بين عصا يهدد بها الراعي الأمريكي أغنياء العرب بوجوب تمويل الاتفاق وصندوق التعويضات للاجئين الفلسطينيين، وجزرة يُلوِّحون بها للفقراء فيتنازلون عن حق العودة أملاً بالاستقرار ولقمة العيش طالما أن الوطن ميئوس من رجوعه.

أما في الجانب الآخر فتختلف المعادلة؛ حيث تطالب «إسرائيل» بعدة آلاف من ملايين الدولارات لتقوم بتفكيك بيوت جاهزة تتكون منها المستوطنات الصغيرة التي ستسلم أراضيها للفلسطينيين بموجب اتفاقية التسوية النهائية.

الراعي الأمريكي يملك من الرأفة والنزاهة ما يجعله يمول جزءاً كبيراً مما تطلبه «إسرائيل» هذا عدا المساعدات العسكرية لتقوية أمن «إسرائيل» التي سيصبح بعض أراضيها في الضفة مكشوفاً للعدو بسبب التسوية النهائية.

الثوابت الإسرائيلية والثوابت الفلسطينية:

نستطيع أن نقول بكل ثقة ووضوح أن هناك ثابتاً فلسطينياً واحداً طوال العقود الماضية لدى المنظمة وقادتها، وهو أنهم على استعداد دائم للتراجع عن مطالبهم وبشكل مرحلي، وهم أيضاً على استعداد دائم بمرور الزمن للقبول اليوم بما رفضوه بالأمس، أمام هذا الثابت الذي يقود أية أمة أو جماعة للكارثة، أمام هذا تقف الثوابت الإسرائيلية على الجهة المقابلة، بعنادها وصلابتها واتفاق قادة «إسرائيل» قديماً وحديثاً على قواعدها الأساسية مع اختلاف واجتهاد لكل واحد منهم على شكليات التطبيق.

إذا أردنا الآن أن نتصور الاتفاق النهائي وبنوده وما يترتب عليه فقد يكفينا فقط دراسة الثوابت الإسرائيلية وفهمها.

إن الاتفاق القادم سيمنح «إسرائيل» ما تريد، أما القادة الفلسطينيون فيمكن إخراجهم من المأزق بأن تُصاغ بنود الاتفاق بطريقة مبهمة الألفاظ في بعض فقراتها، يستطيع من خلالها هؤلاء القادة تفسير هذه البنود بالطريقة التي ترضي شعوبهم وتخرجهم من الحرج وتهمة الخيانة، إلا أنها في نهاية المطاف تصطدم مع الواقع المشاهد المحسوس الذي يناقض تفسيرهم ويطابق تفسير «إسرائيل» ومطالبها.

وفي هذه العجالة سنتناول ثوابت اليهود وأهدافهم من خلال محاور اللاجئين والسلام والأمن:

اللاجئون:

ترتكز العقيدة الإسرائيلية في قضية اللاجئين على ثلاث ركائز أساسية، وهي حسب الأهمية:

أولاً: إلغاء هوية: «لاجئ فلسطيني»:

إن وجود أي شخص فلسطيني يحمل هوية «لاجئ» في أي مكان من العالم يعني أن له قضية تحتاج لحل، وأن له وطناً قد شرد منه يطالب بعودته، وأن الذي أخرجه من وطنه عدو لا بد من محاربته.

ومن هنا كانت «إسرائيل» ومنذ تأسيسها تطالب بتوطين اللاجئين الفلسطينيين، وتتعرض الدول العربية التي تقطنها جاليات فلسطينية منذ فترة طويلة لضغوط أمريكية قوية لأجل التوطين.

وقد يتم توطين بعض منهم في أماكن إقامتهم الحالية، وتهجير بعضهم مرة أخرى ليستقروا في بلد جديد كالعراق مثلاً مقابل رفع الحصار عنه، وكل ذلك ضمن اتفاقات مصالح دولية ـ بعضها معلن والآخر غير معلن ـ تذهب ضحيتها في النهاية الشعوب.

ثانياً: إبعاد الفلسطينيين عن الحدود مع «إسرائيل»:

لا تريد «إسرائيل» للفلسطيني أن يعيش ولو بعد التوطين على مقربة من حدودها، إنها ترى في قربه إثارة للذكريات والحنين للوطن المسلوب على الجانب الآخر من السياج، وقد يتحمس بعضهم فيقرر القيام بعملية جهادية ضد عدوه الذي لا يبعد كثيراً عنه، وقد ترددت أنباء أثناء الضربات العسكرية الإسرائيلية الأخيرة للجنوب اللبناني رداً على استفزازات حزب الله ـ عن وجود اتفاق شيعي يهودي لتهجير الفلسطينيين من جنوب لبنان إلى شماله، ويعجب القارئ حين يعلم أن سفارتي أمريكا وكندا في لبنان تقومان بجزء من هذه المهمة حيث تركزان في قبولهما لطلبات الهجرة للشباب الفلسطينيين المقيمين في لبنان على الذين يسكنون المخيمات الجنوبية المحاذية لـ «إسرائيل».

ثالثاً: تفكيك بنية المخيمات الفلسطينية:

(مخيمات الحقد والكراهية) هكذا يصف نتنياهو المخيمات الفلسطينية في لبنان والأردن وسوريا، وهو يعبر عن وجهة النظر اليهودية التي ترى في المخيمات وتجمع الفلسطينيين في مكان بائس واحد ـ أرضاً خصبة للجماعات الأصولية والمد الإسلامي، واجترار ذكريات الماضي وإثارة الكراهية ضد «إسرائيل» ومن ثم فهي تهدف إلى تفكيك هذه المخيمات وتشتيت الفلسطينيين الذين يعيشون فيها داخل الدولة، وقد خرجت في الآونة الأخيرة دعوات داخل الدول العربية التي تحوي هذه المخيمات ظاهرها الرحمة والشفقة مطالبة بإعادة تأهيل المخيمات وتحسين حالة الفلسطينيين، وحقيقتها الاستجابة لمطالب اليهود بتفكيك بنية هذه المخيمات وإزالتها نهائياً؛ وللمنتفعين دور في هذه القضية؛ فهناك من يطمح ببيع أراضيه لصندوق التعويضات لبناء مساكن للفلسطينيين عليها كوليد جنبلاط مثلاً.

السلام:

السلام هدف استراتيجي لـ «إسرائيل» يسعى إليه اليهود بشتى السبل، وهم على استعداد للتنازل عن بعض مكتسباتهم ومطالبهم لأجله، والسلام يحقق لـ «إسرائيل» الكثير من المكاسب منها:

أولاً: الشرعية:

تمثل الشرعية العامل الأهم في وجود أي نظام سياسي واستمراره، ولا يخفى أنه كلما توسعت

عملية السلام ترسخت شرعية «إسرائيل».

أن تتحول «إسرائيل» عند العرب من دولة معتدية إلى صاحبة حق في الوجود، وأن يتحول العداء العربي إلى صداقة وسلام وتعاون - إنجاز لا يعادله إنجاز لدولة «إسرائيل»، وحين تترسخ هذه الشرعية سيتحول المصرون على عداء «إسرائيل» إلى خارجين على القانون والإجماع العربي وناقضين للعهود والمواثيق مع اليهود، وبعد أن كان أولئك المناضلون يكتسبون شرعيتهم من عداء «إسرائيل» إذ تتحول المعادلة إلى شرعية قيام «إسرائيل» وحلفائها بمحاربتهم وقتلهم!!

ثانياً: تخفيف الضغط العسكري والأمني:

تتيح عملية السلام لـ «إسرائيل» تخفيف الضغط الأمني الداخلي، وتقليل توقعات الهجوم الخارجي والخوف منه؛ مما سيجعلها تتفرغ أكثر لأمورها الداخلية كاستيعاب المهاجرين وتدريبهم عسكرياً وتأهيلهم، وترسيخ بناء الدولة، وتحويل جزء من تكاليف الاستعداد العسكري الدائم إلى الأبحاث والصناعات العسكرية والتقنية.

ثالثاً: الاستقرار السياسي:

استقرار «إسرائيل» سيجلب لها المزيد من الاستثمارات الأجنبية الأمريكية والأوروبية؛ مما سينعكس إيجاباً على الاقتصاد الإسرائيلي.

رابعاً: سهولة الاختراق الأمني:

الانفتاح على الدول العربية والتبادل الدبلوماسي والتجاري سيتيح لـ «إسرائيل» القرب أكثر من المنطقة وجمع المعلومات الاستخباراتية بشكل أدق، ومن ثم تتبع أي حركات جهادية أو معارضة للسلام مع «إسرائيل» داخل هذه الدول.

خامساً: الانفتاح الاقتصادي:

زيادة التبادل التجاري مع الدول العربية وتصدير التقنية الإسرائيلية والخبرات الأمنية سينعكس إيجاباً على الاقتصاد الإسرائيلي، ويربط الاقتصادات العربية تدريجياً باقتصاد «إسرائيل»، وقد تردد الخبر كثيراً عن تملك اليهود أسهماً في الكثير من الجامعات الأردنية؛ مما سيجعلهم مؤثرين حتى في مناهجها.

الأمن:

اليهود شعب جبان بطبعه يحتل الهاجس الأمني العامل الأكبر في صنع قراره السياسي والعسكري، حتى قادة «إسرائيل» السياسيون هم في الأصل قادة عسكريون، ولا يمكن أن يُنظر إلى التطبيع أو أية اتفاقات سلام إلا بالقدر الذي يحقق لـ «إسرائيل» أهدافها الأمنية، ولـ «إسرائيل» مطالب أمنية على الصعيد الخارجي - التهديدات الخارجية - والصعيد الداخلي، وقد تحقق بعض هذه المطالب علناً أو سراً، وهي تسعى بشكل دائم لتحقيق أقصى درجات مطالبها الأمنية.

المطالب الخارجية:

الحفاظ على تفوق «إسرائيل» العسكري العددي والنوعي والتقني بحصولها على أحدث الأسلحة خاصة الطيران ومضادات الصواريخ، ومنذ تأسيس «إسرائيل» كان السلاح والدعم العسكري الثمن الذي كان على الولايات المتحدة أن تدفعه دائماً استرضاءاً لـ «إسرائيل» كلما برزت الحاجة لقبولها بمقترحات جديدة لعملية السلام وتقديم تنازلات للعرب، وفي الجهة المقابلة إضعاف القوة العسكرية للدول العربية وتحييدها وخاصة المجاورة لها وذلك من خلال:

١ - منع زيادة هذه الجيوش أو تقليل أعدادها.

٢ - الحيلولة دون امتلاك سلاح طيران قوي ومتطور وصواريخ بعيدة المدى.

٣ - إضعاف نفوذ رجال العسكر السياسي.

٤ - تقليل الميزانية العسكرية مما سيؤدي إلى تقليل برامج التدريب وعدم تحديث الأسلحة القديمة.

٥ - منع قيام أي صناعة عسكرية تقنية متطورة وأهمها السلاح النووي، والاعتماد على استيراد السلاح خاصة الأمريكي.

● وقد استجاب العرب عملياً لبعض هذه المطالب؛ فقد استُحدثت أنظمة في بعض الدول العربية المجاورة لـ «إسرائيل» تسمح للمزيد من الشباب بالإعفاء من الخدمة العسكرية الإلزامية، وتم تسريح بعض الاحتياطي، حتى الطائرات بدلاً من تجديدها بِيعَ بعضُها لسداد الديون.

● حُيِّدت الجيوش العربية تدريجياً، بل الجيش المصري الذي كان أحد أقوى الجيوش العربية تُرِكَ ليتآكل على مدى عشرين سنة.

المطالب الأمنية الداخلية:

وما نعنيه هنا داخل حدود «إسرائيل» والأراضي الفلسطينية:

١ - محاصرة مد الإسلاميين ونفوذهم.

٢ - تفكيك بنية الجماعات الإسلامية الجهادية.

٣ - محاربة أعداء السلام سواء كانوا أشخاصاً أو جماعات أو مؤسسات.

٤ - التخلص من عبء ضبط الفلسطينيين أمنياً.

٥ - لجم العمليات الجهادية ضد اليهود.

٦ - الحفاظ على أمن «إسرائيل» ورجالها.

بعد سنوات من نشوء كيان السلطة الفلسطينية ظهر حجم الالتزامات الملقاة على عاتقها بموجب بنود الاتفاقيات العلنية والسرية للحفاظ على أمن «إسرائيل» ومنع قيام أي فلسطيني بعمل جهادي ضد اليهود.

وأخيراً: عرفات.. هل هو المتهم الوحيد؟

لأن عرفات ضعيف، وزعيم شعب مشرد، وشخصية مكروهة لدى العديد من حكومات العرب؛ فقد سُمح بنقده واتهامه بالخيانة في وسائل الإعلام المختلفة، ونحن إذ نتحدث عنه فإننا نؤكد الآتي:

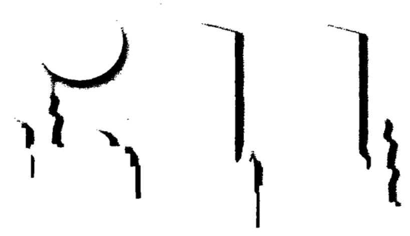
أ - لم يكن عرفات ليجرؤ على السلام مع اليهود لولا تخاذل العلماء في أكثر أقطار العالم الإسلامي، وقبولهم بأن يكونوا خارج الميدان.

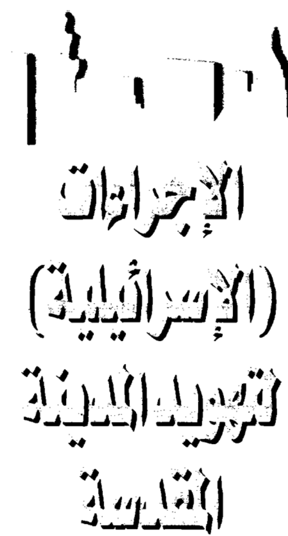
ب - صمت الشعوب العربية نتيجة عملية تغريب وتخريب أخلاقي مركزة تعرضت لها منذ حرب الخليج الثانية عبر كم هائل من القنوات الفضائية التي حولت هموم الشباب نحو الفن وسعار الجنس.

ج - العصبية والقومية التي زُرعت في الشعوب العربية خلال العقود الأخيرة جعلتهم ينظرون إلى القضية الفلسطينية وكأنها قضية خارجية لا تعنيهم.

د - يؤكد الكثير من زعماء الدول الغربية وكذلك مذكرات الخارجية البريطانية ومراسلاتها بأنهم لم يشعروا أبداً من خلال تعاملهم الرسمي مع الدول العربية بالاهتمام بالقضية الفلسطينية، ويؤكدون كذلك أنه لم يحدث أبداً أن أحداً من الزعماء العرب طلب خلال مقابلاتهم السرية تحرير فلسطين أو إزالة دولة «إسرائيل»، وأن جل اهتمامهم أن تسير الأمور بطريقة لا تثير حفيظة شعوبهم أو توقعهم في الحرج.







الإجراءات (الإسرائيلية) لتهويد المدينة المقدسة والمشاريع المطروحة حول المدينة

مركز العودة الفلسطيني ـ بريطانيا

نعتقد أنه ما من مسلم إلا ويعلم تمام العلم منزلة المسجد الأقصى في عقيدته، من حيث هو أولى القبلتين ومسرى الرسول محمد ﷺ، وأنه ثاني مسجد يبنى بعد البيت الحرام بأربعين سنة ـ كما ورد ذلك في الحديث الشريف. ولسنا هنا بصدد الحديث عن مزايا المسجد الأقصى ومنزلته في عقيدة المسلم ودينه، ولكننا سنسلط الضوء على الإجراءات (الإسرائيلية) لتهويد القدس، وما يتهدد المسجد الأقصى من خطر، وكذلك المشاريع المطروحة لإنهاء هذه القضية.

جهودهم لتهويد المدينة المقدسة:

ما فتئ الصهاينة منذ اليوم الأول لاحتلال القدس يعلنون أن القدس عاصمة موحدة وأبدية لدولتهم، وقد عمدوا إلى كل الوسائل والأساليب لتهويد المدينة المقدسة وتهجير أهلها الفلسطينيين منها. وتمثلت هذه الأساليب بأشكال عدة نورد منها ما يلي:

١ - سن التشريعات والقوانين التعجيزية الخاصة بأهالي القدس: فمنذ اليوم الأول لاحتلال المدينة أعلن عن توسيع حدود بلدية القدس لتمتد حتى رام الله شمالاً وبيت لحم جنوباً؛ وذلك لضم أكبر مساحة ممكنة من الأرض بأقل عدد من السكان العرب، وكذلك لتشمل المستوطنات والمناطق اليهودية الماهولة. فأصبح الفلسطينيون للمرة الأولى في تاريخ المدينة أقلية تبلغ نسبتهم ٣٠٪ من مجموع السكان!

– ثم توالت الإجراءات التعسفية بحل مجلس أمانة القدس العربية، ونقل جميع أملاكها، ووضع جميع موظفيها تحت تصرف بلدية القدس اليهودية.

– وفي شهر يوليو ١٩٦٧م صدر قرار بضم القدس العربية إلى القدس الغربية المحتلة منذ عام ١٩٤٨م، وبعد هذا القرار سارعت السلطات الصهيونية إلى تطبيق قانون «أملاك الغائبين»، والغائب: هو

كل مقدسي لم يشمله الإحصاء الرسمي (الإسرائيلي) الذي جرى في يوليو ١٩٦٧م، وبهذا القانون وضعت الحكومة (الإسرائيلية) يدها على عقارات المقدسيين «الغائبين» وطبقت الحجز على أموالهم المنقولة وأسهم الشركات التي تخصهم.

– ثم عمدوا بعد ذلك إلى إلغاء القوانين الأردنية السارية واستبدالها بتشريعات (إسرائيلية) مما أدى إلى إغلاق البنوك والدوائر الحكومية الأردنية، وأسفر ذلك عن تشريد الموظفين وعائلاتهم ومن ثَمَّ التأثير على التركيبة السكانية.

– تم إخضاع التعليم العربي (للمناهج الإسرائيلية) ولإشراف وزارة التعليم الإسرائيلية. ثم بعد المعارك الشرسة التي خاضها المقدسيون ضد سلطات الاحتلال اضطرت إلى التراجع عن تدريس المناهج الإسرائيلية في المدارس العربية.

– إزالة أجزاء كبيرة من الأحياء العربية القائمة تدريجياً، وإجلاء المزيد من أهلها كما حدث في حي المغاربة، وحارة الشرف، وحي المصرارة، ومنطقة باب الخليل.

– تطبيق قوانين الدفاع البريطانية لعام ١٩٤٥م ضد سكان القدس العرب؛ وتشمل: العقوبات الجماعية، وهدم المنازل، ومنع التجول، والاعتقال بدون محاكمة.

٢ – مصادرة الأراضي والعقارات واستملاكها: فقد صادرت سلطات الاحتلال الصهيوني أكثر من ٣٠ ألف دونم[(١)] من أراضي القدس العربية من عام ١٩٦٧م إلى يومنا هذا. وكانت أول عملية هدم واستملاك لأراضي فلسطينية في القدس قد جرت بعد ثلاثة أيام من احتلال المدينة عام ١٩٦٧م عندما أرسلت سلطات الاحتلال جرافاتها إلى حارة المغاربة في البلدة القديمة الملاصقة لحائط البراق؛ حيث أعطت السكان إنذاراً مدته نصف ساعة قبل أن تهدم ١٣٥ منزلاً وبعض المساجد والمدارس والمتاجر؛ مما أدى إلى تشريد ٤٣٥ عائلة مقدسية. ثم توالت عمليات الهدم والمصادرة تمهيداً لبناء المستوطنات داخل المدينة وخارجها حتى وصل عددها إلى ٢٩ مستوطنة سرطانية في القدس وما حولها. كما تم الاستيلاء على الكثير من البيوت العربية داخل البلدة القديمة وإسكان اليهود المتطرفين فيها واعتبارها بؤراً استيطانية؛ وذلك بحجج شتى منها تطبيق قانون الغائب أو عن طريق التزوير والادعاء بملكية الأرض والبيت المقام عليها، وما إلى ذلك.

٣ – سياسة مصادرة هويات الإقامة: خلال حكم نتنياهو فقط تم سحب ٢٠٨٣ بطاقة إقامة من فلسطينيين مقيمين في القدس وهو ما يعني طرد أكثر من ٨ آلاف مقدسي آخذين بعين الاعتبار أفراد عائلاتهم الملحقين بهم. وهناك أكثر من ٧٠ – ١٠٠ ألف مقدسي مهددون بفقدان هويتهم وحق الإقامة في مدينتهم لأوهن الأسباب.

ثم عمدت هذه السلطات الصهيونية إلى تطبيق قانون رقم ١١ لسنة ١٩٧٤م والذي ينص على إلغاء الإقامة في حالات عدة منها:

– إذا قيَّد وزير الداخلية الإسرائيلي حق الإقامة بأي شرط، وكان هذا الشرط لا ينطبق على طالب الإقامة المقدسي.

– إذا وقع تغيير على وثيقة السفر التي منح بموجبها حق الإقامة في القدس.

– في حالة التخلي عن الإقامة في (إسرائيل) والعيش في دولة أخرى سواء حصل على جنسية من هذا البلد أم لا، بل يكفي تقديم طلب جنسية من بلد آخر حتى يسقط حقه في الإقامة في القدس. وينطبق هذا الشرط على جميع أهل القدس الذين يقيمون لسبب أو لآخر خارج حدود القدس البلدية بما فيها ضواحي القدس!

وقد وضعت سلطات الاحتلال شروطاً إضافية حتى لا يتمكن المقدسيون من الاحتفاظ بهوياتهم تشمل: تقديم إثباتات معينة مثل فواتير الأرنونا (ضرائب الممتلكات) والماء والكهرباء، وشهادات تطعيم الأولاد، وأخرى تثبت

(١) الدونم: تبلغ مساحته ١٢٠٠ متر مربع تقريباً.

دراستهم في القدس. ومن لم يستطع تقديم أي من هذه الشهادات تسحب هويته، وليس من حقه أن يسكن في المدينة، وإذا سكن فيها بعد ذلك ولو يوماً فإنه يعتقل فوراً!

أما بالنسبة لتصاريح البناء فإنها تشبه المستحيل لكثرة التعقيدات والإجراءات التي يتطلبها ذلك، إضافة إلى الرسوم العالية جداً التي تدفع مقابل الحصول على حق إضافة غرفة لبيته؛ حيث تبلغ قيمة هذه الرسوم ٢٥ ألف دولار أمريكي! مما أدى إلى وضع المقدسيين في وضع حرج للغاية؛ فكل من أراد الزواج إما أن يسكن مع أهله في بيتهم الصغير أو يغامر وينتقل للسكن في إحدى الضواحي، مما يعرضه لخطر سحب هويته وإقامته المقدسية.

٤ - فرض الضرائب الباهظة: فرضت السلطات الصهيونية سلسلة من القوانين والأنظمة الضرائبية على سكان مدينة القدس بغرض ضرب البنية التحتية للقطاع التجاري في المدينة؛ حيث ثبت بدراسات ميدانية أن أكبر نسبة ضرائب في العالم هي المفروضة على سكان مدينة القدس؛ رغم أن هذه الضرائب غير قانونية دولياً بموجب معاهدة جنيف ولاهاي التي تُحرِّم فرض ضرائب على المحتل.

ومن هذه الضرائب: ضريبة الدخل، وتجبى بنسبة ٣٥٪ من أرباح الأفراد وما نسبته ٥٥٪ على الشركات، وضريبة القيمة المضافة، وتجبى بنسبة ١٧٪ من قيمة المبيعات. وهناك ضريبة الأملاك، وهي ضريبة على الأراضي بنسبة ٣,٥٪ من قيمة الأرض حسب تخمين موظفي الضريبة (اليهود). وضريبة البلدية (الأرنونا) وتجبى على أساس مساحة الشقق والمحلات التجارية، بقيمة تتراوح بين ٦٠ - ٧٠ دولاراً على المتر الواحد من المحلات التجارية سنوياً، ومن ٢٠ - ٤٠ دولاراً على المنازل. وهناك رسوم التأمين الوطني، وتجبى من السكان العرب ومن أصحاب العمل بنسبة ١٠٪ من الدخل. ورسوم إعلام، وهي رسوم تجبى على كل جهاز تلفزيون موجود في المنزل. وضريبة أمن الجليل وهي ضريبة فرضت على السكان العرب إثر تعرض منطقة الجليل الأعلى للهجمات الفدائية؛ وبناءاً على ذلك فإن سكان القدس العربية مجبرون على دفع ضريبة عن هذه الهجمات لتعويض اليهود عن خسائرهم.

علماً بأن جميع هذه الضرائب مرتبطة بجدول غلاء المعيشة، ويتم تحصيلها في حالة الامتناع عن الدفع بحجز الأملاك والمصادرة والسجن، ولزيادة الإمعان في خنق الاقتصاد العربي وشل الحركة التجارية في المدينة فرضت سلطات الاحتلال الإسرائيلي طوقاً وحصاراً أمنياً على مداخل القدس العربية منذ ١٩٩٣/٤/١م مما أثر سلباً على المدينة وشل الحركة التجارية والاقتصادية فيها - بعد أن فصلت القدس عن الضفة الغربية والقطاع - ومنعت البضائع الوطنية من دخولها، مما أدى إلى خسائر كبيرة في القطاع التجاري. هذا إلى جانب البطالة؛ حيث أثر الطوق الأمني على زيادة نسبة البطالة، مما أدى إلى ارتفاعها إلى ما نسبته ٥٥٪ في مدينة القدس.

٥ - والخطر الأعظم الذي يشكله اليهود: هو الخطر الذي يتهدد المسجد الأقصى بالسعي لهدمه وإقامة الهيكل المزعوم الذي يعدونه قبلتهم المفقودة منذ ألفي عام. وهذا ما عبر عنه أول رئيس وزراء في إسرائيل وهو بن غوريون عندما قال: «لا قيمة لإسرائيل بدون القدس، ولا قيمة للقدس بدون الهيكل» ويقول: «إن شعبي الذي يقف اليوم على أعتاب الهيكل الثالث لا يستطيع أن يتحلى بالصبر على النحو الذي كان يتحلى أجداده به». كما عبر عن ذلك الممثل الحكومي لوزارة نتنياهو، موشي بيلد في كلمة أمام مؤتمر في ١٩٩٨/٩/١٧م وحضره نحو سبعة آلاف من المتشددين اليهود؛ حيث قال: «إننا جيل الهيكل الذي هو قلب الشعب اليهودي وروحه». والهيكل ليس له مكان آخر في اعتقاد اليهود غير الأرض التي يقوم عليها المسجد الأقصى ومسجد الصخرة، ولا يتم بناء الهيكل إلا بهدم هذين المسجدين.

وهناك الآن نحو ١٢٠ جماعة دينية متعصبة من ضمنها ما لا يقل عن ٢٥ جماعة وتنظيماً يتخصص

أعضاؤها في أمر واحد: هو التخطيط والترتيب لهدم المقدسات الإسلامية مع التخطيط والترتيب لبناء المعبد اليهودي مكانها. وقد شكلت في الآونة الأخيرة تحالفات فيما بينها للعمل المنظم بهذا الصدد، ومن أبرز هذه التحالفات ما يسمى بـ «رابطة القدس» وهي تضم أكبر عشر منظمات.

وقد قامت هذه المنظمات بأكثر من خمسة وأربعين عملاً عدائياً ضد مسجدي الأقصى والصخرة؛ بدءاً بمحاولة إحراق الأقصى وإشعال النار فيه إلى إطلاق النار على المصلين إلى محاولة تفجيره وفتح الأنفاق والطرق السفلية لتهديد أساساته وتفريغ التربة من تحته ليكون عرضة للانهيار عند أي عارض - طبيعي أو صناعي - من الاهتزازات العنيفة. وذلك ما قاله خبير الآثار الإسرائيلي جوزيف سيرج في ١٨/٨/١٩٩٠م: «سنقوم بإعادة بناء الهيكل الثالث على أرض المسجد الأقصى الذي تستطيع إسرائيل تصديعه باستخدام الوسائل الحديثة»! وقبل بضعة أيام شكلت الحاخامية الكبرى في إسرائيل لجنة من الحاخامات لاتخاذ قرار ببناء الهيكل، وجابت مسيرة ضخمة البلدة القديمة وحاولوا دخول الأقصى مطالبين باتخاذ القرار ببناء الهيكل وهدم المسجد الأقصى.

مشاريع الحلول المطروحة حول المدينة:

المشاريع التي طرحت لحل قضة القدس خلال سني الاحتلال كثيرة جداً، إلا أن أياً منها لا يحقق العدالة واسترجاع الأقصى إلى حوزة المسلمين؛ فكلها تراوحت بين الحكم الذاتي لبعض الأحياء العربية، أو سيادة محدودة عليها مع السماح برفع العلم الفلسطيني فوق المسجد الأقصى؛ كما عرض ذلك إيهود باراك رئيس الوزراء الإسرائيلي على رئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات خلال قمة كامب ديفيد الأخيرة؛ فقد عرضت إسرائيل على الفلسطينيين تطبيق مبدأ السيادة الوظيفية على بعض الأحياء العربية؛ بحيث تكون بعض هذه الأحياء تحت السيادة الفلسطينية ذات الطابع الخدماتي، مثل المسؤولية عن خدمات الكهرباء والمواصلات والتعليم والصحة والضرائب وجمع القمامة وما إلى ذلك. أما بالنسبة إلى المسجد الأقصى فقد سمح للفلسطينيين برفع العلم الفلسطيني فوق الأقصى دون أن تكون لهم سيادة فعلية عليه. مع تأمين ممر آمن للفلسطينيين يصلهم بالمسجد الأقصى بحيث لا يرى الزائر العربي أي جندي إسرائيلي في هذا الممر. (كما قال باراك لعرفات).

وهناك بعض الاقتراحات لتكوين مجلس بلدي واحد لإدارة القدس الشرقية يتم انتخابه لإدارة الشؤون المدنية لها. كما أن هناك اقتراحاً بسيادة مطلقة لبعض الأحياء والقرى العربية المحيطة بالقدس بعد ضمها إلى «القدس الكبرى» وبذلك يحقق الفلسطينيون عاصمتهم بإقامتها في هذه القرى التي تعد جزءاً من القدس الشرقية، ويرفع الحرج عن القيادة الفلسطينية؛ حيث إنها أعلنت دولة عاصمتها القدس الشرقية!

وأخيراً نقول: إن الوضع جد خطير؛ فالمفاوضات ما زالت جارية، والمؤشرات تشير إلى احتمال عقد قمة كامب ديفيد ثالثة تكون للتوقيع فقط وليس للتفاوض. ومع الأخذ بعين الاعتبار الفارق الرهيب في ميزان القوى بين «الفلسطينيين» و«إسرائيل» المدعومة أمريكياً بكل أسباب القوة، وكذلك التراخي العربي والإسلامي في نصرة قضية القدس؛ فإن مستقبل القدس الشريف في خطر شديد، وقد يتم التنازل عنها بحجج الواقعية، والضعف المستشري في أوصال الأمة، ونقص الدعم العربي والإسلامي أو بأي حجة أخرى.

نقول: إن واجب المسلمين عظيم هذه الأيام في الحفاظ على أغلى مقدساتهم ومسرى نبيهم محمد ﷺ، وهي أمانة عظيمة سوف يُسأل عنها المسلمون أمام الله، ولا ندري ماذا ينتظر المسلمون حتى يتحركوا لنصرة أقصاهم المبارك؟ هل ينتظرون أن يُحوَّل إلى معبد يهودي؟ أم يُحوَّل إلى إسطبلات للخيل كما حصل في زمن الصليبيين؟!









الانتخابات الأمريكية الحدث والتفاعلات

خالد حسن

تشكل الانتخابات الأمريكية حدثاً هاماً في حياة الشعب الأمريكي يتكرر على مستوى الرئاسة كل أربع سنوات، بينما تنظم انتخابات الكونجرس كل سنتين تقريباً، حيث ينتخب جميع أعضاء مجلس النواب وثلث أعضاء مجلس الشيوخ. وتسبق عملية الاقتراع العام تعبئة عامة وحملة انتخابية يمكن وصفها بالشرسة لا سيما في مرحلة الانتخابات الأولية التي تتضمن تصفية مرشحي الأحزاب وإفراز مجموعة تحظى بالتأييد الشعبي والحزبي، والتي لا تلبث أن تتناقص حتى تصل إلى مرشح واحد للحزب. من ناحية أخرى تأخذ العملية الانتخابية نوعاً من الهدوء الذي يتغير مع اقتراب موعد انعقاد مؤتمرات الأحزاب القومية في شهر أغسطس، على أن حدتها تستمر بالتصاعد التدريجي حتى تصل ذروتها عشية يوم الاقتراع العام في الثامن من نوفمبر المقبل.

الأحزاب السياسية الأمريكية ومعمعة الانتخابات:

النظام السياسي الأمريكي مبني على أساس تعددي مؤداه تنافس الأحزاب السياسية ومؤسسات المجتمع المدني لإفراز قيادات تحظى بالدعم الشعبي؛ وذلك بهدف إدارة شؤون الحكم وفق ما تمليه مصالح جماعات الضغط ومؤسسات صناعة القرار؛ فالأحزاب السياسية تشكل الركيزة الأساسية لما يسمى بـ « الديمقراطية الأمريكية »، على أن الحزبين الديمقراطي والجمهوري يهيمنان على إدارة شؤون الحكم لفترة تزيد على القرنين من الزمن، وطوال هذه الفترة طرأ تعديل مشهود في وجهات نظر الأحزاب إزاء قضايا التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وقضايا تركيبة المجتمع الأمريكي وتعميم الحريات.

وإلى جانب الحزبين الكبيرين هناك العديد من الأحزاب الصغيرة والناشئة التي تسعى لإيجاد حزب سياسي ثالث قادر على تجاوز مشكلات الحزبين المهيمنين ورؤاهما في معالجة الملفات الأكثر حساسية وإثارة للجدل، ومن أبرز تلك الأحزاب: حزب الإصلاح الأمريكي THE REFORM PARTY الذي أنشأه رجل الأعمال روس بيرو المليونير من ولاية تكساس، وهناك حزب الخُضر، وحزب دافعي الضرائب، والحزب الاشتراكي الأمريكي.

وتتجلى أهمية الأحزاب في حياة المجتمع الأمريكي في كونها هيئات سياسية تتنافس على تعبئة الجماهير، وتوجيه مقدراتها المالية والقيمية نحو الهيمنة على إدارة تملك برنامجاً للحكم يتم طرحه على عامة الشعب الذي يصوت بدوره على من يمثله بالقبول أو بالرفض؛ لذلك فإن التأثير الفعال في العملية الانتخابية ينبع من خلال الانتماء لأحد الأحزاب القومية وتقديم برامج تحظى بموافقة قطاعات الحزب، ومن ثم تطرح على المستوى القومي ليتم مداولتها والتصويت عليها.

وإن أهم الأحداث السياسية التي تجري على أرض الواقع على الصعيد التنظيمي تتجسد في مؤتمر الحزب الذي ينعقد في شهر أغسطس، وذلك بحضور ممثلي الولايات، وأثناء ذلك يعلن عن الترشيح الرسمي لمرشح الحزب الذي تمكَّن من تحقيق القبول على مستوى الانتخابات الأولية. وقد انعقد مؤتمر الحزب الجمهوري في مدينة فيلادلفيا، بينما انعقد مؤتمر الحزب الديمقراطي في مدينة لوس أنجلوس في أغسطس ٢٠٠٠م.

ويلاحظ على المؤتمر الجمهوري لهذا العام - والذي حظي فيه بوش - تشيني بتأييد ودعم من قبَل مبعوثي الحزب من كافة الولايات وأعضاء الإدارات الجمهورية السابقة وزعماء الكونجرس الأمريكي - يلاحَظ عليه نوع من التغيير في رؤية الحزب للأقليات ودورها في حياة المجتمع الأمريكي؛ فقد سعى المؤتمر لإشراك أكبر عدد ممكن من أقليات السود واللاتين وجماعات المزاد وغيرهم، وإعطائهم دوراً بارزاً في الحياة السياسية، لكن لا يعدو الأمر هالة دعائية وطابعاً استهلاكياً وتمويهياً أملاه واقع التهافت على أصوات الناخبين وتلميع صورة الحزب وواجهاته عبر الادعاء بأنه يمثل كافة طوائف المجتمع الأمريكي من النواحي الدينية والعرقية، ويولي اهتماماً خاصاً لشؤون الأقلية مقابل تأييدها لبوش الابن في الانتخابات القادمة. وقد برز شخص «كولن باول» في المؤتمر الأخير بوصفه مدافعاً عن الأقلية السوداء والذي أكد على أولوية الاهتمام الفعال بمشكلات السود، وطالب كوادر الحزب بالعدول عن معارضتها للبرامج الإنمائية والتعليمية الهادفة إلى تحسين أوضاعهم ومعاناتهم في المجتمع الأمريكي.

في حين لقي الثنائي غور - ليبرمان دعماً وقبولاً من المشاركين في مؤتمر الحزب الديمقراطي الذي ارتكز علي الرخاء الاقتصادي الذي تحقق في العهد الرئاسي الديمقراطي السابق للترويج والدعاية للمحافظة على الإرث السابق ومكتسبات مرحلة «الانتعاش».

محاور استقطاب في الانتخابات الأمريكية:

المعركة الانتخابية الحالية تدور بشكل رئيس بين الحزبين الديمقراطي والجمهوري؛ إذ يتطلع من خلالها كلا الحزبين للسيطرة على مؤسسات الحكم لا سيما الجهازين التنفيذي والتشريعي ومن ثم القضائي؛ فالحزب الديمقراطي يلهث لإحكام قبضته على الرئاسة إلى جانب تحقيق أغلبية في مجلسي النواب والشيوخ، أما الحزب الجمهوري فيسعى

للإطاحة بالديمقراطيين واصفاً إدارة الرئيس كلينتون بأنها تفتقر للضوابط الأخلاقية اللازمة لإدارة شؤون المجتمع، كما أنها تفتقر إلى الحكمة والكفاءة الإدارية في تسيير شؤون الحكم في السياسة الخارجية والداخلية.

ومن ناحية أخرى يعتبر الجمهوريون آل جور امتداداً لهذا النهج غير المنضبط الذي أدى إلى زعزعة ثقة الشعب الأمريكي بمؤسسة الرئاسة، ومن ثم لا بد من وضع حد لمثل هذا التسيب، وذلك بانتخاب إدارة جديدة تحظى بمؤهلات أخلاقية رفيعة - أو هكذا يزعمون - وقد فرض التوجه نحو السطو على إدارة البيت الأبيض توسع الجمهوريين على حساب الحزب الديمقراطي باتجاه الأقليات والتي لم تكن تحظى باهتمام يذكر في مراحل خلت من الحزب الجمهوري.

انتدابات نواب الرئيس وأثرها على العملية الانتخابية:

مما لا شك فيه أن مسألة انتداب نائب الرئيس واختياره لخوض العملية الانتخابية من الخطوات المحورية في السباق نحو مؤسسة الرئاسة، وقد سعى كل من بوش وجور لاختيار شخص ليس فقط ليخلفه رئيساً للولايات المتحدة في حالة عجز الرئيس أو انعدام مقدرته على الوفاء بأداء واجباته الرئاسية، بل نائباً يساهم بفعالية في العملية الانتخابية من خلال ما يجلبه للقائمة الانتخابية من رصيد شعبي وتأييد حزبي ومالي وعرقي، إلى جانب قدراته وخبراته في السياستين الداخلية والخارجية، وحسب رأي عدد من المراقبين فإن بوش كان موفقاً إلى حد ما باختياره وزير الدفاع السابق تشيني نائباً له؛ وذلك لتدارك القصور الذي يعاني منه في مجالات السياسة الخارجية والدفاعية، فقد كان تشيني أداة تدبير وعقل مخطط في إدارة الرئيس بوش الأب، ويحظى بتأييد الكونجرس الأمريكي وزعمائه، ويضاف إلى هذا ما يتمتع به من شبكة قوية في العلاقات الدولية والصداقات الحميمة التي تربطه مع الدول الأوروبية، وحلف الناتو، ودول الخليج، والعديد من الدول العربية والآسيوية، مما يعزز من دور السياسة الأمريكية على المستوى الدولي ويعيد إلى الأذهان أطروحات النظام الدولي الجديد والرامي إلى جعل القرن الحادي والعشرين قرناً أمريكياً كما كان القرن العشرون - أو هكذا يتصورون -.

أما اختيار آل جور للسناتور ليبرمان فإنه استهدف الظفر بتأييد الجالية اليهودية بثقلها المالي والتنظيمي والإعلامي، واعتبر بعض المحللين الأمريكان مثل هذا الاختيار مؤشراً على «قدرة» المرشح الديمقراطي على اتخاذ قرارات غير مسبوقة وأنه مرشح «شمولي» يهدف إلى أن تشمل إدارته المجتمع الأمريكي بتنوعه الديني والعرقي.

الدين والسياسة في الانتخابات الأمريكية:

يثار جدل واسع حول دور الدين في الانتخابات الأمريكية؛ وذلك للاعتبارات الآتية:

- مفهوم العلمانية الأمريكية مختلف تماماً عما هو سائد في العالم العربي والإسلامي؛ فالعلمانية الأمريكية تعني فصل الدين والمؤسسات الدينية عن سلطة الحكومة وتدخلها وتعسفها، وعليه فإن الجماعات والمؤسسات الدينية تترك وشأنها لتنمو وتتوسع بمنأى عن تدخل الحكومة؛ ولذلك فإن الطوائف والجماعات الدينية النصرانية واليهودية - وإلى حد ما الإسلامية - تحظى بحرية تامة لإدارة شؤونها، وكما لا يخفى على القارئ فإن العلمانية

بصورتها هذه تختلف عما هو عليه الحال في أوطاننا؛ حيث يحاصر الدين ليس فقط في دور العبادة بل وحتى أهل التدين يتعرضون لمضايقات وتحرشات لتجفيف منابع التدين.

ولا يفهم من سياقنا هذا إقرار التجربة العلمانية الأمريكية، وإنما للتبيين والوقوف على مظاهر الغلو والتطرف في عملية محاكاة التجارب ونقل النماذج التي برع في نسجها ونبغ في هضمها واجترارها بعض المهووسين بالأمركة أو المولعين بالاستنساخ، ولو أنهم أمعنوا النظر وراجعوا حساباتهم لوجدوا أنهم أوصلوا الأمة إلى مرحلة من الغلو والتطرف في تطبيق العروض المستوردة، وليتهم التزموا بحرفية التلقي والتنفيذ، وأوغلوا في المحاكاة برفق!

- عامل آخر ساهم في تفاقم دور الدين في حركية الانتخابات الحالية وهو الفضائح الأخيرة التي عصفت ولا تزال تعصف بالبيت الأبيض والكونجرس الأمريكي؛ فقد أدت فضيحة مونيكا لوينسكي إلى مساءلة الرئيس، كما أدت فضائح جنسية مماثلة للإطاحة بزعيم مجلس النواب السابق جنجرش، واعتبر هذا الوحل الأخلاقي بمثابة الناقوس الذي «نبه» المجتمع الأمريكي بشكل عام إلى ضرورة التزام السياسة بضوابط الأخلاق، ودور الدين بوصفه محورياً في تنمية الوازع الديني في إدارة شؤون المجتمع.

- أمر آخر يتجلى في الدعم المشهود الذي يتلقاه جورج بوش الابن من «التجمع المسيحي» وهو مؤسسة كنسية ضخمة يتزعمها بات روبرستون، والذي خاض الانتخابات الأولية لعام ١٩٨٨م، هذا التجمع يحظى برصيد شعبي وإعلامي ومالي معتبر يؤهله إلى التأثير الفعال على عملية الانتخابات.

- «التجمع المسيحي» يدير أيضاً إمبراطورية إعلامية محلية ودولية - وهي في توسع مستمر - تمكنت من توصيل الرسالة النصرانية إلى العديد من الدول والمجتمعات المختلفة بلغاتها المحلية في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، فضلاً عن دورها داخل المجتمع الأمريكي.

- ويضاف إلى هذه العوامل انتداب اليهودي الأرثوذكسي - نائب آل جور عن الحزب الديمقراطي - السيناتور ليبرمان، وهو معروف بالتزامه الديني وتمسكه بشعائر التلمود، وبذلك سعى الديمقراطيون إلى تقديم لائحة انتخابية تتجاوز القصور الأخلاقي الذي تعاني منه الإدارة الحالية.

أبعاد السياسة الخارجية لإدارة بوش وآل جور:

إن فوز بوش وتشيني سيعيد إلى أرض الواقع الأطروحات السياسية المتعلقة بمفهوم «النظام الدولي الجديد» والذي نظَّر له بوش الأب وأعضاء إدارته لا سيما تشيني، ومؤدى هذا النظام أن تكرس الولايات المتحدة زعامتها للشؤون الدولية سياسياً وأمنياً واقتصادياً وثقافياً، وعليه فإن هذا الطرح ينادي بقرن أمريكي جديد ثان هو القرن الحادي والعشرون، خاصة في ظل الوهن الذي أصاب الأمة الإسلامية، وإخفاق روسيا الفيدرالية في إعادة ترتيب أوضاعها وتبوُّؤ مكانة دولية، وتراجع دور الاتحاد الأوروبي في السياسة الدولية بالرغم من «استماتة» فرنسا لإدارة الحلف سياسياً؛ فقد أحبطت جهود الاتحاد في حل مشكلات القارة بمنأى عن القيادة الأمريكية؛ وما البلقان عن المراقبين ببعيدة؛ حيث راح ضحيتها الآلاف من المسلمين على يد الصرب المجرمين.

ومن شأن الإدارة الجديدة في حالة انتخاب بوش - تشيني أن ترفع من ميزانية الدفاع وتعزز الوجود

الأمريكي على مستوى القواعد العسكرية، وكذا تطوير شبكة الدفاع الجوي الأمريكي القادرة على اعتراض أية صواريخ عابرة للقارة تستهدف الإخلال بالأمن الأمريكي، هذا بالإضافة إلى ما ورّثه بوش الأب لابنه من علاقات «حميمة» مع دول الخليج العربي والدول العربية والإسلامية.

من ناحية أخرى فإن انتخاب آل جور رئيساً للولايات المتحدة، وليبرمان نائباً له سيعزز من نهج الإدارة الحالي المتمثل في هيمنة اليهود على السياسة الأمريكية ومن ثم هيمنة المصالح «الإسرائيلية» على حساب قضايا العرب والمسلمين، وليس هذا فحسب بل هيمنة مصالح «إسرائيل» على حساب المصالح «الأمريكية» نفسها؛ ففوز آل جور يعني أن مناصب نائب الرئيس ووزير الخارجية والمالية والدفاع والاحتياط الفيدرالي والعديد من السفارات، إلى جانب الهيمنة التقليدية لليهود داخل الكونجرس الأمريكي وحتى سلك القضاء ستكون جميعها ـ غالباً ـ تحت قبضة اليهود حيث تستخدم لصالح الكيان الصهيوني وأهدافه التوسعية.

الديمقراطية الأمريكية رؤية من الداخل:

لا يمكن بحال من الأحوال تجاهل القوى الصهيونية الأمريكية في التأثير على العملية الانتخابية وعلى مراكز صنع القرار في الولايات المتحدة خاصة ما يخدم قضايا «إسرائيل» ومصالحها، وتحتمي هذه القوى ـ في سعيها لإحكام قبضتها على هذا الحدث السياسي ـ بالانطباع القائم حالياً والمتوارث منذ فترة أن هناك توافقاً في المصالح الأمريكية ـ الإسرائيلية في الشرق الأوسط، وكذا شرعية تشكيل لوبي أو جماعة ضغط في أمريكا؛ لأن اللوبيات إحدى القضايا المحورية في المؤسسة السياسية الأمريكية، وحتى في المجتمع الأمريكي؛ إذ إن الفرد الأمريكي ـ كما ينص عليه القانون ـ له الحق في إسماع صوته للمشرعين الأمريكيين، والتأثير عليهم، إما لدفع ظلم، أو لرفع قضايا معينة، ومن هنا تبرز أهمية اللوبي في استراتيجية الأقلية اليهودية.

وبالمفهوم التقليدي كان اللوبي يشير إلى تجمعات طلاب الحاجات في الأروقة بالقرب من المجالس والمؤسسات السياسية للوصول إلى صاحب القرار أو المشرع، لكن مع التغييرات التي طرأت في المجتمع الأمريكي، وفي وسائل الاتصال والتواصل، ظهرت طرق أخرى للوصول إلى أعضاء الكونجرس من بينها ربط صلات وعلاقات مع الشخصيات السياسية ذات النفوذ القوي، وإسماعها مختلف الآراء، وإذا أخذنا مؤسسة الكونجرس عينةً لذلك، فإنها غير مركزية، وأعضاؤها يخضعون لضغوط متضاربة من أطراف ذات مصالح خارجية عبر المناطق والولايات التي ينتمون إليها، ومن ثم يتم التأثير في اتجاهين:

- الناخبين الأمريكيين، ومصادر صنع القرار.
- وعملية الضغط التي تبدأ من القاعدة، وعبر التبرع بالأموال خلال الحملات الانتخابية.

ومع نمو المؤسسة السياسية الأمريكية واتساعها تفاقمت ظاهرة الاستعانة بخبراء من خارج المؤسسة، وهذا ما أدى إلى تزايد عدد أعضاء اللوبي اليهودي ونشاطاته، ومن هنا تكمن «قوة» اللوبي الموالي لـ «إسرائيل» فهو منظم ونشط وفعال، ويمتلك قدرات مشهودة في جمع وإيصال المعلومات ووجهات النظر التي يراد فرضها.

وقد نما هذا اللوبي منذ إنشاء مؤسسة صغيرة سنة ١٩٥٤م تعرف بمنظمة «الإيباك» AIPAC وقد

بدأت بعدد محدود جداً، وبإمكانيات مالية لا تكاد تذكر، إلى أن وصلت الآن إلى ملايين الدولارات (حيث تقدر ميزانيتها السنوية حالياً أكثر من ١٥ مليون دولار)، وتمثل «إيباك» في الوقت الحاضر البنية التنظيمية التي تعمل على مضاعفة النفوذ السياسي لليهود الأمريكيين، وهي تشكل مركز التنظيم المعقد للهيئات اليهودية في أمريكا.

وتُعِدُّ هذه المؤسسة مؤتمرها السنوي في واشنطن للأعضاء العاملين وقادة الطائفة اليهودية وممثلين عن المجموعات المستهدفة أو المشاركين المخلصين وعشرات السياسيين والوجهاء الصهاينة، ويعتبر المؤتمر السنوي المنبر الذي تعرض من فوقه «إيباك» مواقفها السياسية وأولوياتها الضاغطة، كما تستخدم المؤتمر للتأثير على الساسة الأمريكيين للتعهد العلني بدعم الكيان الصهيوني، ويكفي للدلالة على تأثير ونفوذ هذه المؤسسة الإشارة إلى عدد الوفود التي شاركت في هذا المؤتمر ونوعيتها؛ ليس فقط على مستوى الإدارة الأمريكية ولكن - وهو الأهم - على مستوى الهيئات التشريعية بالكونجرس؛ فقد شارك في حضور هذا المؤتمر - على الأقل - ٤٧ عضواً من مجلس الشيوخ، و٦٧ عضواً من مجلس النواب وحوالي ٤٠ سفيراً من دول مختلفة.

ويذكر الكتاب اليهودي السنوي لعام ١٩٩٧م أن «إيباك» منظمة مسجلة للقيام بالعمل السياسي (اللوبي) لإيجاد التشريعات المتعلقة بالمصالح الإسرائيلية - الأمريكية، وبدعم السياسيين الذين يؤمنون بأن دعم أمن «إسرائيل» من مصالح الولايات المتحدة الحيوية، وتظهر فعاليةً من خلال لجان العمل السياسي المختلفة والتي تقوم بالتبرع لمن تختاره «إيباك» من المرشحين بمبالغ تفوق المبالغ التي تتبرع بها أي لجنة عمل سياسي أخرى خلال الحملات الانتخابية، إلا أن هذه المبالغ تنفق في السر وبعيداً عن مرأى أجهزة الإعلام الأمريكية، وقد أصبح بمقدور هذه المؤسسة انتخاب المرشح الذي تريده وتؤيده، كما أنها تعمل على إسقاط الأعضاء الذين لا يتعاونون معها كما حدث لعدد من أعضاء مجلس النواب والشيوخ.

وتجدر الإشارة إلى أن اليهود في أمريكا هم الأكثر تبرعاً ليس فقط لـ «إسرائيل» أو للقضايا المرتبطة بها، بل أيضاً للمشاريع الاجتماعية والثقافية، ومعدل تبرعاتهم يفوق المعدل الأمريكي، وهم معروفون لدى الرأي العام بهذا الأمر، كما أنهم حين يسخطون على مرشح ويدعمون مرشحاً آخر، لا يعلنون - وهذا في الغالب - أن سخطهم متعلق بموقف ما من الكيان الصهيوني، ويتظاهرون أن دعمهم موجه لخدمة قضايا المجتمع الأمريكي، ومن المعروف أن المهم بالنسبة للناخب الأمريكي أن يتخذ المرشح مواقف إيجابية في قضايا اجتماعية واقتصادية محلية، ولا يأبه هذا الناخب بطبيعة المواقف التي يتخذها المرشح تجاه قضايا العرب والمسلمين.

ولنأخذ حملة الرئيس كلينتون في عام ١٩٩٢م مثالاً على هذا الثقل والنفوذ؛ فقد كان كلينتون مدركاً لأهمية الثقل اليهودي في الانتخابات وحجم التبرعات التي يخصصونها للحملات الانتخابية؛ ولذا عين موظفين ومستشارين من المحيط اليهودي في حملته، ونشط اليهود خلال حملته فنظموا له حملات تبرع، وعملوا على تحويل ما بين ١٠٪ إلى ٢٠٪ من الأصوات لصالح المرشح كلينتون عبر المدن الرئيسة. وأشارت التقارير إلى أن اليهود قد ساهموا بنحو ٦٠٪ من مجموع التبرع الذي حصده لحملته الانتخابية، وأن نحو ٨٠٪ من أصوات

اليهود ذهبت إلى كلينتون.

فأي «ديمقراطية» هذه التي يتحكم فيها الأقلية؟

وأي «ديمقراطية» هذه التي تشترى فيها المواقف والأصوات؟

وأي «ديمقراطية» هذه التي يعرض فيها المرشح نفسه في المزاد العلني؟

فهل وعى المستلَبون والمهووسون بتمثال الحرية الأمريكي حقيقة «الديمقراطية» الأمريكية وراجعوا حساباتهم وأمعنوا النظر في التجربة الانتخابية الأمريكية؟

معظم الناخبين المسلمين الأمريكيين مترددون حسب استطلاع المجلس المسلم الأمريكي:

في ردهم على استطلاع قومي أُجري بين ٨٤٤ مسلم أمريكي تبين أن ثلثي هؤلاء ليسوا منتسبين إلى أي حزب سياسي على الرغم من أن أربعة من كل خمسة منهم أفادوا بأنهم مسجَّلون للانتخاب، وقد كانت هذه النتائج حصيلة استبيانات للناخبين تسلمها المجلس المسلم الأمريكي ما بين شهري أغسطس ونوفمبر.

وقد كان المسلمون المنتسبون إلى حزب سياسي - وتبلغ نسبتهم ٣٢٪ من مجموع المنتسبين - موزعين مناصفة ما بين الديمقراطيين والجمهوريين؛ حيث اعتبر ٥٣٪ أنفسهم ديمقراطيين في مقابل ٤٧٪ اعتبروا أنفسهم جمهوريين.

وأفاد ٢٢٪ من المسلمين الأمريكيين أنه لو أجريت الانتخابات الآن لانتخبوا مرشحاً ديمقراطياً، في حين أفاد ٢٥٪ منهم أنهم ينتخبون مرشحاً جمهورياً، وبقيت نسبة ٣٧٪ مترددة في اختيارها.

ولقد استكملت ثلاثة أرباع هذه الاستبيانات في مؤتمرات ومواقع تسجيل الناخبين والمساجد، في حين استكمل الربع الباقي على موقع المجلس المسلم عبر الشبكةِ البينية (الإنترنت) أو بالبريد الحاسوبي.

وقد صرح المدير التنفيذي للمجلس المسلم الأمريكي قائلاً: «إن كون معظم المسلمين الأمريكيين في هذا الاستطلاع غير منتسبين حزبياً يؤكد حَدْسَنا بأن المسلمين الأمريكيين ينتخبون لصالح القضايا والمرشحين وليس لصالح الأحزاب» كما أشار إلى أن ازدياد نسبة الناخبين المسجلين من المجتمع المسلم الأمريكي يجب أن يدفع المرشحين إلى التواصل مع هذه الشريحة النامية التي تقدر حالياً بنحو ستة ملايين إلى ثمانية ملايين مسلم.

وقد قام المجلس المسلم الأمريكي في شهر سبتمبر بجهد رائد تمثل في إقامة مواقع تسجيل الناخبين في المساجد والمراكز الاجتماعية في أرجاء الولايات المتحدة، وتم تسجيل ناخبين جدد في مدن تراوحت بين شارلوت، وبيترزبرج، وتولسا، وبشكل خاص في فترة ما بعد الصلاة أيام الجمعة.

ويعزم المجلس الإسلامي الأمريكي على المضي في جهود تسجيل الناخبين خلال العام ٢٠٠٠م إضافة إلى الالتقاء مع حملات الانتخابات الرئاسية وإصدار دليل الناخب الذي يبين موقف المرشحين من القضايا الرئيسة التي تهم المسلمين لا سيما الأمريكيين.

نتائج استطلاع المجلس المسلم الأمريكي:

١- المسلمون الأمريكيون المسجلون للانتخاب.

الجواب	العدد	النسبة
نعم	٦٩٣	٨٢,١١٪
لا	١٢٠	١٤,٢٢٪
غير مؤهل/ لا جواب	٣١	٣,٦٧٪
المجموع[١]	٨٤٤	١٠٠٪

(١) أي: مجموع المشتركين في الاستطلاع.

٢- الانتساب الحزبي.

الجواب	العدد	النسبة
غير منتسب	٥٧٤	٦٨٪
ديمقراطي	١٤١	١٧,٧١٪
جمهوري	١٢٥	١٤,٨١٪
لا جواب	٤	٠,٠٤٨٪
المجموع	٨٤٤	١٠٠٪

٣ - إذا قام المسلمون الأمريكيون بالانتخاب اليوم (فمن ينتخبون؟)

المنتخب	العدد	النسبة
غير محدد	٣١٤	٣٧,٢٠٪
بوش	١٤٢	١٦,٨٢٪
لا جواب / لا ينتخب	١٣٠	١٥,٤٠٪
جور	١١٦	١٣,٧٤٪
جمهوريون آخرون	٧٢	٨,٥٣٪
برادلي	٧٠	٨,٢٩٪
المجموع	٨٤٤	١٠٠٪

٤- السلوك الانتخابي والانتساب الحزبي.

الجواب	العدد	النسبة
غير محدد	٣١٤	٣٧,٢٠٪
المسلمون الذين ينتخبون مرشحاً جمهورياً	٢١٤	٢٥,٣٦٪
المسلمون الذين ينتخبون مرشحاً ديمقراطياً	١٨٦	٢٢,٠٤٪
لا جواب / لا ينتخب	١٣٠	١٥,٤٠٪
المجموع	٨٤٤	١٠٠٪

هذه النتائج مبنية على ٨٤٤ إجابة لاستبيانات المجلس المسلم الأمريكي التي تم استرجاعها في الفترة ما بين أغسطس ونوفمبر ١٩٩٩م بوصفها سَبْراً أولياً للمجتمع المسلم الأمريكي.

أهم عشر قضايا يحددها المسلمون الأمريكيون:

بيان الأولويات عبر استبيان جديد لألف مسلم أمريكي.

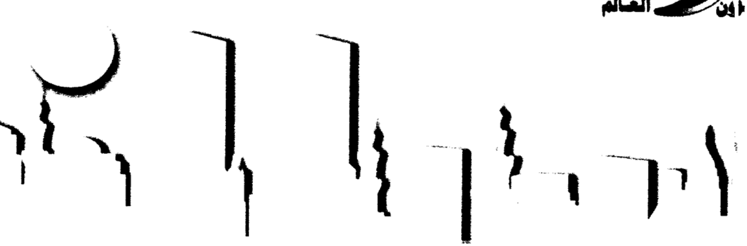
اعتبر المسلمون الأمريكيون موضوع كفالات المدارس، والقدس، والعقوبات على العراق، إضافة إلى الحقوق المدنية للمسلمين في الولايات المتحدة أهم القضايا التي تشغلهم حالياً. وذلك في دراسة جديدة للأولويات السياسية عند المسلمين الأمريكيين. وقد جاءت هذه النتائج عبر استبيان لألف أمريكي أجرته هيئة الاستثمارات والتسويق الاجتماعي العالمي «ICMI» في يناير ٢٠٠٠م للمجلس الإسلامي الأمريكي.

وأظهرت النتائج شريحة مسلمة أمريكية مهتمة بقضايا تواجه كل العائلات الأمريكية بما في ذلك اتجاهات التغيير في المدارس (كالكفالات والمدارس المدعومة رسمياً) والحقوق المدنية، والرعاية الصحية، وفي نفس الوقت كان الاهتمام بأمور السياسة الخارجية كالقدس وتأثير العقوبات على العراق على رأس الأولويات، وتم التعرف على هذه الأولويات من خلال استبيان هاتفي في شهر يناير ٢٠٠٠م شمل خمسمائة من أعضاء المجلس الإسلامي الأمريكي ومجموع خمسمائة مسلم آخرين، وقد طلب من هؤلاء أن يقوّموا عشرين قضية، فكانت القضايا العشر الأهم كما يلي:

- كفالات المدارس (المدارس المدعومة رسمياً).
- وضع القدس.
- العقوبات على العراق.
- الحقوق المدنية للمسلمين.
- الإجهاض.
- إدراج المسلمين الأمريكيين في المؤسسات الإسلامية.
- الرعاية الصحية.
- منع الجريمة.
- ضبط الأسلحة.
- سياسات الهجرة وقانون الأدلة السرية.

هذا ويوجد نحو سبعة ملايين مسلم في الولايات المتحدة، وسوف تمثل هذه الأولويات العشر بحول الله ـ تعالى ـ محوراً للدليل الانتخابي الذي يصدره المجلس الإسلامي الأمريكي.











شباب العالم في الفاتيكان

إبراهيم بن محمد الحقيل

«عزيزي الشاب: ليكن عندك طموح لتصبح قديساً كما أن عيسى قديس. يا شباب العالم في كل قارة: لا تخشَوْا أن تصبحوا قديسي هذه الألفية؛ لعل المسيح يصبح لكم رصيداً ثميناً، ولعل مريم العذراء القديسة تعطيكم القوة والحكمة لتستطيعوا التحدث مع الإله وللإله».

كان هذا نداء بابا الفاتيكان «يوحنا بولس الثاني» وقد وضع هذا النداء في إطار وميِّز بخط واضح ضمن نشرة تعريفية بالتجمع العالمي للشباب الذي دعا إليه البابا، وقد طبعت هذه النشرة التعريفية بست لغات في كتيب صغير وهي: الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والأسبانية والبرتغالية، ووزعت منه ملايين النسخ في روما والفاتيكان ـ خاصة ـ على كل الزوار والسيّاح.

واللافت للنظر صورة في آخر كل صفحة من اللغات الست المذكورة وفيها رجل ذو لحية وعليه لباس عربي ـ جبة وعمامة ـ وقد فتح يديه مستقبلاً شخصاً قادماً من بعيد يتوكأ على عصا كأن زيه زي راهب والشمس قد أشرقت من جهته. ولعل هذه الصورة تومي إلى حاجة الشرق الإسلامي إلى التنصير أو ترحيبه بالرسالة التي يحملها الرهبان، ولم يذكر عليها أيُّ تعليق، وأغلب الظن أنها رسالة إلى هؤلاء الشباب للانخراط في أعمال الكنائس وممارسة التنصير لا سيما أن نداء البابا ـ آنف الذكر ـ واضح في دعوة هؤلاء الشباب المغرر بهم لأن يكونوا منصرين.

والتنصير هدف رئيس يسعى إليه الفاتيكان وباباه بكل قوة، ويسخِّرون في سبيل نجاحه كل وسيلة، وما فتئ البابا يهتبل كل فرصة للدعوة إليه والتأكيد عليه، منطلقاً في ذلك من نص ورد في إنجيل متى (٢٨/١٩) يقول: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس».

اسم التجمع ووقته ومدته:

سمي هذا التجمع الشبابي بـ « اليوم العالمي للشباب » وصادف الـ (Givbileo) أي: العيد الخمسيني أو (اليوبيل) وهو يعني الفرحة الكبرى بالغفران أو الصفح أو العفو البابوي الذي يمنحه البابا كل نصف قرن؛ مما جعلهم يطلقون عليه أيضاً « يوبيل الألفية الثالثة للميلاد ».

وأما مدته الرسمية فخمسة أيام (١٥ - ٢٠ أغسطس ٢٠٠٠م)، واهتمت الكنيسة به، وسخرت كل إمكاناتها لنجاحه والدعاية له؛ لأنه صادف بداية الألفية الثالثة؛ التي جعل النصارى الاحتفال بها ممتداً من أول السنة إلى آخرها، وقسَّم البابا أعيادها وأيام الاحتفال بها على مختلف الفئات النصرانية؛ فمنها أيام للعمال، وأيام للمعاقين، وأيام للسجناء، وأيام للأطفال، وأيام للشباب... وهكذا، ومنها يوبيل الشباب هذا.

وتم هذا التجمع الضخم في موعده المحدد؛ إذ حضرته جموع غفيرة من شباب النصارى الذكور والإناث زادوا على مليوني شاب وشابة قدموا من ستين ومائة بلدٍ من مختلف القارات السبع حسبما أذيع رسمياً في أجهزة الإعلام الإيطالية والصحف؛ حتى ازدحمت روما في هذه الأيام الخمسة بالشباب والشابات، وخلت من أهلها الذين كانوا يقضون إجازة نصف الصيف في أطراف إيطاليا وخارجها.

واستعدت له الفاتيكان والأجهزة الحكومية وبلدية روما بما يناسب حجمه، ووفرت ما يحتاجه الزوار؛ فبيوت قضاء الحاجة المتنقلة قد صُفَّت على الأرصفة، ومراكز الإسعاف المؤقتة أقيمت في جنبات ساحة الفاتيكان وكافة الكنائس، وسيارات الإسعاف تقوم بدورياتها لنقل المصابين من الزحام أو حرارة الشمس التي بلغت ٣٧ درجة مئوية.

وقد أعد الفاتيكان وبلدية روما المدارس والكنائس ليسكن فيها الشباب بالمجان، ورحبت بعض الأسر بإقامة بعض الشباب عندهم، ووفر الفاتيكان للحضور وجبات الطعام والمياه دون مقابل، وتطوع سبعون ألفاً من الشباب والشابات بالقيام على التنظيم وحركة السير وتوزيع المنشورات وتقديم الإرشادات للزوار إضافة إلى ما تقوم به أجهزة الأمن في روما.

الصبغة العالمية لهذا التجمع:

أراد بابا الفاتيكان لهذا اليوبيل الشبابي النصراني أن يكون عالمياً؛ ولذلك نص في ندائه على: « شباب العالم في كل القارات » وحثهم على التنصير - كما مرَّ ذكره - وكأنه لا يوجد في العالم إلا شباب النصارى.

وزاد ذلك وضوحاً أن أعلام جميع الدول قد رُفعت في ساحة الفاتيكان أثناء هذا اليوبيل مع أن دولاً عدة ليس من مواطنيها نصارى البتة، وهذا التعميم له دلالات لعل منها:

١ - إضفاء الصبغة العالمية على الفاتيكان ونشاطاته، واعتبارها مهمة لكل الدول ولكل سكان الأرض، وسيأتي مزيد إيضاح ذلك في ذكر أهداف مثل هذه التجمعات.

٢ - الإيماء إلى أن كل بلد في العالم لا بد أن يكون فيه مواطنون نصارى، وإذا لم يكن فيه نصارى في حقيقة الأمر فلا بد أن يوجدوا، وهذا ما تدل عليه إحصائياتهم التابعة للمنظمات الدولية أو المؤسسات الغربية التي تتعمد إنقاص نسبة المسلمين عن النسبة الحقيقية في الدول التي فيها مسلمون وغير مسلمين، كما تتعمد رفض وجود

دولة ليس فيها إلا مسلمون وغير مسلمين، كما تتعمد رفض وجود دولة ليس فيها إلا مسلمون أي نسبة المسلمين فيها ١٠٠٪؛ فهم في إحصاءاتهم لا بد أن يقللوا هذه النسبة ٢٪ أو أكثر كأقلية غير مسلمة مخترعة في واقع الأمر وذلك لأمور أهمها:

أ - تنشيط التنصير في البلاد التي ليس فيها نصارى البتة على أمل أن يتنصر بعض أبنائها ومن ثم المطالبة بحقوقهم.

ب - إيجاد ذريعة لبناء المدارس والكنائس لهذه الأقلية التي يتم اختراعها عن طريق التنصير، أو زرعها بالتجنيس.

ج - استخدام الأقلية غير المسلمة بعد زرعها ورقة ضغط على تلك الدولة الإسلامية بتأليبهم على السلطات، ثم التدخل لحمايتهم تحت ذريعة حرية التعبد وحقوق الأقليات ونحو ذلك؛ خاصة إذا فكر المسؤولون في ذلك البلد بالاستقلال السياسي أو الاقتصادي، أو رفض وصاية الدول العظمى على بلادهم.

واستخدام ورقة الأقباط في الضغط على مصر بين حين وآخر واضح للعيان سواء فيما يتعلق بالخنوع لإرادة اليهود الظالمة فيما يسمى بعملية السلام، أو غير ذلك.

د - التهيئة لتجزئة الدولة الواحدة وذلك بزرع تلك الأقلية، ومن ثم دعمها في ثورتها الانفصالية سياسياً واقتصادياً وعسكرياً حتى يتم فصلها عن دولتها الأم والاعتراف بها، ومن ثم جعلها بؤرة للتنصير وإثارة القلاقل والفتن في الدولة الأم تحت حماية الدول الكبرى والمنظمات الدولية، وحال إندونيسيا شاهد على ذلك خاصة بعد انفصال تيمور الشرقية، وفي الطريق مناطق أخرى يريدون فصلها عنها.

٣ - قوة النصارى في هذا العصر وضعف المسلمين؛ فهم رفعوا أعلام الدول الإسلامية في هذا التجمع دون مشورة منهم وتلك مصيبة؛ فإن كانوا شاوروهم فالمصيبة أعظم، لا سيما أنهم رفعوا أعلام دول ليس بين مواطنيها نصارى البتة.

أهداف هذه التجمعات العالمية:

ما كان الفاتيكان لينفق هذه النفقات الباهظة - إعاشة وإعالة مليوني شاب وشابة مدة خمسة أيام - إلا لتحقيق أهداف توازي حجم الخسائر التي تحملها؛ ولعل من أبرز أهدافه هدفين مهمين يحتاجان إلى شيء من البسط والبيان:

الهدف الأول: إعادة قوة الكاثوليك، وإثبات شعبية البابا يوحنا بولس الثاني وكنيسته على سائر الكنائس الأخرى ورهبانها وبطاركتها، وإظهار أنه المثل الوحيد للنصارى كلهم بل ولسائر الأديان؛ إذ هو يرى أنه أعلى زعيم ديني في العالم.

وهذا الهدف ظاهر في نشاط البابا وقد بلغ من الكبر عتياً، ورحلاته المكوكية إلى كثير من دول العالم كانت لتفقُّد الأقليات النصرانية ولو كانت من غير الكاثوليك، فضلاً عن خطاباته الدينية المزوجة بالسياسة التي تدعو إلى السلام وتحض عليه؛ على اعتبار أن الدعوة إلى السلام هي البضاعة الرائجة هذه الأيام في سوق السياسة الذي سيطر فيه إخوان القردة على رعاة البقر وألزموهم بتبنيه وفرضه على العالم تيمناً بخروج ملك السلام الذي ينتظره اليهود ـ المسيح الدجال ـ.

وتذكر الموسوعات أن البابا الحالي أكثر البابوات نشاطاً في تاريخ الكنيسة؛ فقد سافر كثيراً ورآه الناس أكثر من أي بابا سابق، وقد ساعدت الرغبة

في معالجة القضايا الاجتماعية والسياسية المهمة في تاريخ الغرب النصراني في زيادة مقام البابوية (الفاتيكان)[١].

ولنشاط البابا السياسي والاجتماعي وتدخله في شؤون الآخرين استحق أن يحمل ألقاباً عدة تومئ إلى أنه أعلى سلطة دينية على وجه الأرض منها: «أسقُف روما - خليفة القديس بطرس - نائب يسوع المسيح - أمير الرسل - الحَبْر الأعظم للكنيسة العالمية - بَطْرِيَرك الغرب - كبير أساقفة إيطاليا - رئيس أساقفة المقاطعة الرومية - عاهل دولة الفاتيكان» وذلك وفقاً لما ورد في كتب الكاثوليك وموسوعاتهم[٢].

فالبابا يحاول بكل وسيلة أن يكون الممثل الوحيد لكافة النصارى في الأرض على اختلاف مذاهبهم، بل يرمي إلى ما هو أبعد من ذلك وهو توحيد الناس على دين واحد يكون هو الزعيم الأعلى له؛ كما حدث في الصلاة الجماعية التي أقامها ودعا إليها في مدينة (ESIS) الإيطالية وحضرها ممثلون عن شتى الملل حتى عن المسلمين مع الأسف، ووصفته أجهزة الإعلام عقبها بأنه: بابا الأديان كلها!![٣].

وهذا ما جعل بني دينه وجلدته يتهمونه بالسلطوية والتوسع كما قال أحدهم: «إن التوسع الكاثوليكي يعد بمثابة سياسة إمبريالية دينية عالمية قامت البابوية بقيادتها بصورة متزايدة، كما أنه يمثل موقف الكنيسة من الدول إلى جانب طموحاتها ومصالحها والقوى التي تمتلكها البابوية في كافة البلدان، أي أن هذا التوسع يعبر عن وجودها العالمي، ويسهم في أن يجعل منها قوة يتعين على أية سياسة أن تأخذ ذلك في اعتبارها»[٤].

وفي الوقت الذي تقمع فيه الأجهزة العلمانية ومن ورائها الدولية أي توجهات سياسية إسلامية ولو كانت بطرقهم الانتخابية الديمقراطية - كما يزعمون - فإن بابا الفاتيكان لم يفتر عن تسييس الكنيسة، وجعل الفاتيكان ذات الأساس الديني دولة سياسية بمنظمات عالمية: في عالم الصحافة والإعلام، وفي التنظيمات الشبابية - شباب بلا حدود - والتنظيمات النقابية العمالية - الحركة العمالية للعمال المسيحيين - ثم دخوله في الاتفاقات السياسية والحركات التحررية.

ولم نسمع الغربان العلمانية الناعقة بمكافحة الإرهاب والمنادية بفصل الدين عن الدولة تتهمه بتسييس الدين وأدلجته، واتخاذه ستاراً لأنشطة سياسية؛ فتلك التهم خاصة بمن يدين بالإسلام فقط!!

الهدف الثاني: محاولة إرجاع الناس - خاصة الشباب - إلى الكنائس بعد عزوفهم عنها بسبب العلمانية.

أرادت الكنيسة بهذا التجمع وأمثاله أن تثبت وجودها، وتشد الانتباه إليها.

أرادت أن تقول لبني دينها العلمانيين: إنني موجودة، والحل عندي.

وذلك بعد الضياع الذي وصلت إليه الأمم الغربية اللادينية، وكان للكنيسة دور في ذلك بما

(١) انظر مثلاً: الموسوعة العربية العالمية، ٤/١٠.

(٢) (Boydas: Philoso Phies Reliaiohsn: 951.2-A) عن تنصير العالم، د. زينب عبد العزيز.

(٣) سلسلة تقارير المعلومات الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت، ١/١٨٥.

(٤) «البابوية المعاصرة» لمارك بونيه. عن المصدر السابق، ٨٨.

ممارسته من ضغوط جعلت الشعوب الغربية تثور عليها وترفض مرجعيتها وتلغي تعاليمها، وتتخذ بديلاً عنها الإلحاد والحرية البهيمية المطلقة.

ولهذا كان البابا وهو يخاطب الشباب يدعوهم إلى الكنيسة ويعتذر بصراحة عن أخطائها السابقة، ويطلب السماح والعفو.

إن الغرب المتقدم في كافة المجالات المادية والترفيهية يبحث عن شيء فقده كلياً، ولا يدري ما هو هذا الشيء المفقود، ولا كيفية الوصول إليه والحصول عليه!

ذلكم هو الأساس العقائدي، والميزان الأخلاقي.

إنهم نصارى وفي الوقت ذاته لا يدينون بالنصرانية، تسأل أكثرهم: هل تؤمن؟! فيجيبك: نعم أؤمن بالله؛ ولكني لا أؤمن بالكنيسة.

يقول: أؤمن بالقوة العظمى التي كانت وراء خلق هذا الكون وتدبيره ولكني لا أؤمن بالأديان. لقد فقد الثقة بالكنيسة ورهبانها بما مارسوه عبر تاريخها الطويل من عنف وإرهاب، وبما يمارسونه في هذه الأزمان من دجل وأكاذيب لا يمكن لعقل سوي أو نصف سوي أن يقبلها.

إنه صراع يجده الغربي المسكين بين نداء الفطرة التي يولد عليها كل إنسان، وبين ما يتوارثه ويتربى عليه ويواجهه من إلحاد صارخ ومادية بغيضة وحرية مطلقة.

ترى الفرد الغربي يتطور في نظرته للكون والإنسان - إثبات وجود الخالق سبحانه - ولما يجب أن يكون عليه العالم من الإيمان بالله - تعالى - ومحبته؛ ولكن هذه النظرة مبتورة عن أصل الإنسان وسرِّ سعادته الكامن في تشرفه بالعبودية لله - تعالى - خالق الكون ومدبره وسلوك الطريق التي توصل إليه باتباع رسله - عليهم الصلاة والسلام - وتلك حقيقة ظاهرة في أولئك الشباب الذين قدموا من كل مكان علَّهم يجدون ما يملأ هذا الفراغ الذي تعاني منه قلوبهم، ولم تغن عنه الحياة المادية والرفاهية التي يعيشونها، والكنيسة تراهن على ملء هذا الفراغ القلبي لدى الشباب متى ما ترددوا عليها وأخذوا تعاليم الرهبان ووصاياهم.

لقد كان البابا في خطابه للشباب يحاول إقناعهم بالعودة إلى الله - تعالى - وأنه قريب منهم، ومهتم بأمرهم وهذا ظاهر في قوله لهم: «أيها الشباب: إلهنا هو الله الذي يدعونا ويتحدث إلينا، وأنت حقيقة موجود عندما تكتشف أنه يتحدث إليك، ولديك القدرة أن تتجاوب معه... ماذا تقول عندئذ عن حياة شاب مسيحي لا يتحدث إليه الإله إطلاقاً، إنها حياة لا يعني فيها الإله شيئاً... الإله يكشف نفسه بالتحدث إليك ويقول لك: «إن الإنسان مهم له. وهو يجعل حياتنا معه قائلاً: أنا سوف أكون معكم حتى نهاية الزمان».

وكثيراً ما أكد في حديثه إليهم ذلك، وذكَّرهم بيسوع ورحمته بهم وشفقته عليهم، وحبه لهم.

إن الكنيسة مستميتة في محاولة إقناع الشعوب النصرانية بالعودة إليها خاصة فئات الشباب التي يُنذر ضياعها العقيدي، وفسادها الأخلاقي بعواقب وخيمة على الغرب وحضارته المادية. ولا أدل على تلك الاستماتة والحرص من الشعار المختار لهذا اليوبيل الشبابي العالمي الذي كان شعاره: «الإيمان صعب ولكنه ممكن».

وواضح في الشعار تلمسه للجرح النازف وتحسسه للأزمة التي يعاني منها كل مادي ملحد، وقد روعي فيه نفسية الشباب المتسمة بالتحدي

ومحبة المغامرات والإقدام بقصد دفعها إلى الإيمان والعودة إلى الكنيسة وترك الملذات التي أسرت الشباب الغربي واستعبدته وحولته من إنسان عاقل إلى حيوان شهواني.

إن الشباب ما حضروا إلى ذلك التجمع إلا للبحث عما يقنعهم بدينهم، ويسعد قلوبهم التي تعيش شقاءً سببه البعد عن الله ـ تعالى ـ وعن دينه الذي ارتضاه لعباده ـ الإسلام ـ والمقابلات التي أجريت مع بعضهم دالة على ذلك، فقد سئل أحد الشباب: لماذا تحضرون، وماذا تريدون؟ فقال: نريد الجنة. فهو يفكر فيما بعد الموت رغم أنه يعيش عيشة مادية في بيئة مادية لا تعترف إلا بالدنيا؛ لكنه يعود إلى فطرته أحياناً فيظل يبحث عن سبل نجاته وأسباب سعادته الأبدية؛ فربما وجدها فأسلم، وربما أضلته الكنيسة فمات على كفره.

وعرض التلفزيون الإيطالي لقاءً مع شاب فسأله المذيع: لماذا حضرت إلى هذا اليوبيل؟ فقال الشاب: لأن البابا دعانا.

قال المذيع: ومن هو البابا، أو ماذا تعرف عنه؟

قال الشاب: هو خليفة عيسى وأرى فيه عيسى.

والبابا يصرح دائماً أنه خليفة الإله.

وواضح من هذا الحوار أن قصد حضور الشاب كان دينياً، ويريد اتباع الأنبياء وأخذ تعاليمهم، ويظن أن البابا يدله على هذا الطريق.

ويؤكد تلك الحقيقة أن الشباب كانوا متحمسين للقاء البابا وسعداء بحديثه إليهم؛ فهم يصغون إلى كلماته ومواعظه، ومنهم من كان يدونها بقلمه، وكأنه يحس بحاجته إلى ذلك لعله يجد في مواعظه ما يملأ فراغ قلبه، ويروي ظمأه.

لقد كان الشباب يصفقون للبابا بحرارة شديدة، ويهتفون بحياته، فهم يرونه الوحيد القادر على الأخذ بأيديهم إلى بر الأمان وموطن السعادة في غابة الغرب المادية الموحشة، ويظنون أنه الدليل الذي سيربطهم بخالقهم ورازقهم.

والسؤال الذي ينبغي طرحه: هل سينجح البابا في توفير ما يطلبون، وتعويضهم عما يفقدون؟

كلا؛ لأن ما يدعوهم إليه محرف، ويزداد تحريفاً يوماً بعد يوم. وما لم يحرف منه فمنسوخ بشريعة محمد ﷺ.

والخطأ ـ كالمادية مثلاً ـ لا يصحح بالخطأ المتمثل بالدين المحرف، والجرح لا يعالج بفتقه دون رتقه، وكم من كافر تنقل بين ملل شتى منها المحرف ومنها المخترع فما وجد ضالته إلا في الإسلام الذي من ذاق حلاوته فلن يبتغي عنه بديلاً.

فيا ليت شعري! من يدل هؤلاء الشباب ـ الضالين ـ على الطريق الصحيحة، ومن يخرجهم من الظلمات إلى النور، ويأخذ بأيديهم من الشقاء إلى السعادة؟ ثم إن الكنيسة لم تعد تبيّن الحرام من الحلال ـ ولو في دينهم المحرف ـ وإنما اكتفى رهبانها بالدعاية إلى كنائسهم عن الدعوة إلى دينهم(١)، وبالمواعظ البسيطة التي تحث على الاتصاف بمكارم الأخلاق ولا تلزم بذلك ولو من جهة بيان الثواب والعقاب. وكان من ثمرة ذلك أن شبابهم بل كبارهم ليس عندهم معايير للحرام والحلال ولو على وفق دينهم المحرف، ولا أدل على ذلك من مقابلة أجراها التلفزيون الإيطالي مع مجموعة منهم قدمت

(١) هذا بالطبع في المجتمعات الغربية فقط، وإلا فهم يسعون بجد ونشاط إلى تنصير غيرهم، والمطلع على أحوالهم يتبين له أن تنصيرهم خارج أرضهم وبين الغرباء عنهم أكثر وأقوى من عملهم في أراضيهم وبين بني قومهم لأسباب وأهداف ليس هذا مقام عرضها.

لهذا اليوبيل فطرح المذيع عليهم هذا السؤال:

ما هو الحرام حسب رأيكم؟

فلم يعط أي واحد منهم جواباً ينطلق من أساس ديني سواء أكان صحيحاً - الإسلام - أم محرفاً - كالنصرانية مثلاً - ولا ذكر واحد منهم أن المحرم ما حرمه الله - تعالى -، أو ما أخبر عيسى - عليه السلام - أنه حرام أو ما قال البابا أو الراهب: إنه حرام. بل كانت إجاباتهم لا تعدو عن كونها وجهات نظر حسب الأهواء والأمزجة، وتلك هي عبادة الهوى الذي سماه الله إلهاً في قوله - تعالى -: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ [الجاثية: ٢٣].

ولذا فإن أحد الصحفيين المشاهير لما سئل على شاشة التلفزيون عن رأيه في يوبيل الشباب هذا قال: إن الشباب يريد أن يعود إلى الكنيسة؛ ولكنه في سلوكياته لا يتبع تعاليمها، فهو يمارس الجنس بشكل طبيعي وعادي، والمعيار عنده هو الحاجة اليومية التي تتطلبها منه الحياة المدنية الحديثة وليس ما يصدر من الكنيسة.

ودين ليس فيه حرام ولا له حدود ليس بدين، ولا يمكن أن يحقق السعادة التي يطلبها من دانوا به؛ لأن الإنسان مفطور على العبودية ولا بد له من آمر وناهٍ؛ فخيرٌ له أن يكون عبداً لمن يستحق العبودية ويتلقى منه الأوامر والنواهي وهو الله - تعالى - وإلا كان عبداً لمن لا يستحق العبودية كالشيطان والهوى والبابا وغيره من البشر.

تنازلات الكنيسة:

رغم الجهود الجبارة التي يقوم بها البابا وكنيسته الكاثوليكية وسائر الكنائس الأرثوذكسية والبروتستانتية؛ فإن الكنيسة عجزت عن إقناع النصارى بالرجوع إليها، وضبط شهواتهم على وفق تعليماتها؛ فما كان منها إلا أن تنزلت إلى متطلبات الناس، ووافقتهم فيما يريدون لإرضائهم وكسب اعترافهم بها ولجوئهم إليها.

وهكذا كل دين محرف لا يمكن أن يصمد أمام المتغيرات؛ فلا بد من تحديثه وتجديده وتحريفه كلما استجد زمن، أو تغير مكان، أو طرأت طوارئ، وهكذا كان حال الرهبان مع دين النصرانية المحرف يزيدونه تحريفاً كلما دارت عجلة الزمن، وليس المقام مقام تتبع وتأريخ واستقراء. وفي التاريخ القريب وذلك عام ١٩٦٢م افتُتح مجمع الفاتيكان الثاني ليبحث في تجديد العقيدة والحياة الدينية الكاثوليكية وتحديثها؛ لجذب الناس إلى الكنيسة[1].

ولم يكن متعصبة الكاثوليك راضين عن التمييع والتنازلات التي يقدمها باباوات الفاتيكان وخاصة الأخير منهم «يوحنا بولس الثاني» الذي أثارت تنازلاته مع العلمانيين أسقف الكنائس السويسرية (لوفبر) فخطب في سبعة آلاف من أتباع كنيسته متهماً بابا الفاتيكان بالعداوة للمسيح - عليه السلام - وعنَّفه حتى قال: «إن رئيس الكنيسة الكاثوليكية - ولم يسمه البابا - يقف الآن في صف أعداء المسيح وهذا عار شنيع... ولهذا نرى لزاماً علينا تحمل المسؤولية لإيقاف هذا الانهيار باسم الحداثة أو تحديث الكنيسة الكاثوليكية التي وصلت إلى حد الإفراغ والتآكل تحت شعار الإصلاح الدستوري»[2].

ومن مظاهر التمييع والتنازلات الكنيسية في هذا

(١) انظر: الموسوعة العربية العالمية، ٤/ ٩.

(٢) سلسلة تقارير المعلومات، ١/ ١٨٤.

اليوبيل الشبابي ما يلي:

١ - لم يذكر البابا في خطاباته للشباب حرمة الممارسات الجنسية المحرمة في دين النصارى التي غرق في مستنقعاتها الآسنة أكثر شباب الغرب وشاباته كالزنا واللواط والسحاق وسائر أنواع الشذوذ، مع مسيس الحاجة إلى ذلك؛ لكونها ظاهرة آثمة بين الشباب سببت الأمراض والطواعين والأوجاع والتفكك الأسري، والمفترض أنه داعية إصلاح، والمقام مقام توجيه وإرشاد؛ لكنه لم يرد إثارة حفيظتهم والحدّ من حرياتهم الآثمة ومخالفة أهوائهم لكيلا يعزفوا عنه وعن تجمعاته وكنيسته.

٢ - الكنائس أماكن عبادة النصارى، والمفترض في أماكن العبادة أن تكون محترمة معظمة عند أهلها مصونة من التبذل؛ ولذا كان الرهبان إلى وقت قريب يمنعون المرأة المتهتكة في لباسها من دخول الكنيسة، وبعض الكنائس توفر جلابيب تعلق بقرب الكنيسة تلبسها من أرادت الدخول ولباسها غير لائق، وكانت اللافتات التي تنبه على منع المتهتكة من دخول الكنيسة تعلق على أبوابها، ثم مع مرور الزمن بدأت تختفي الجلابيب وتزال اللافتات ليسمح للمرأة بدخول الكنيسة للتعبد أو للفرجة على أي شكل.

وفي يوبيل الشباب هذا كانت الفتيات يملأن ساحة الفاتيكان وكنيسة القديس بطرس[1] وهن نصف عاريات. ولم يعد للكنيسة قدسيتها عند النصارى؛ إذ إن مقدمات الزنا من التقبيل والضم تمارس أمام الرهبان داخل كنيسة بطرس في قلب الفاتيكان، وتحت التصاوير والتماثيل المقدسة التي وضعوها لمريم وعيسى - عليهما السلام - ولمشاهير القديسين.

٣ - سمح البابا والرهبان بنصب منصات قرب الكنائس الكبرى ليرقص عليها الشباب من الجنسين في هذا اليوبيل على أنغام الموسيقى الغربية الصاخبة، وبعضها يتم بحضور أرباب الكنائس وإشرافهم؛ وذلك كل ليلة.

٤ - كان من المناظر المخجلة والمزرية بالرهبان في هذا اليوبيل الشبابي أن ترى الراهب وقد لبس الرداء الكهنوتي، وأثقل رقبته بالصلبان - المقدسة عنده - جالساً بجانب فتاة نصف عارية في حديقة الكنيسة لتعترف له بذنوبها، ولا يدري من يراهما: هل الحاجة لها أن تنفس عن نفسها بالاعتراف بخطاياها، أم أن الحاجة للراهب يشبع غريزة فطرية حرّمتها عليه الكنيسة وقد أباحها الله له بالزواج؟

وكان من آخر تقليعات الكنيسة الكاثوليكية تكليف الرهبان بالخروج إلى المراقص يرقصون مع المخمورين والعاريات بقصد جذبهم إلى الكنيسة، ولإثبات أن الكنيسة تتفهم متطلبات رعاياها، ولا تعارض حاجاتهم ولو كانت هدماً لدينهم؛ فأي دين هذا يا ترى؟!

بين الإسلام والنصرانية:

بان بما سبق عرضه أن الكنيسة تنازلت مضطرة عن مبادئها المحرفة حتى وصلت إلى هذا الحد

(١) يعتقد الكاثوليك أن بطرس كان صياداً ودعاه المسيح - عليه السلام - إلى التبشير بدينه، وسماه بطرس، وهو الذي رأس الكنيسة في مهدها، وقتل في روما، فبنيت كنيسته على قبره، وهي أكبر كنيسة في روما، وهي وما يحيط بها من بنايات مقر عمل بابا الفاتيكان وإقامته، وهو أعلى مرجعية دينية لدى الكاثوليك، وفي ساحتها يحيي البابا قُدّاسات النصارى في المناسبات والأعياد؛ فهي من أقدس الكنائس عندهم وأقدمها، ومع هذا لا قدسية لها عندهم في واقع الحال.

المخجل الذي قد يستحي منه بعض العلمانيين، واتضح بذلك أن الدين المحرف لا يمكن أن يصمد أمام المتغيرات، ولا بد من تحريفه وتجديده كلما اقتضت الأحوال ذلك.

أما الإسلام فمختلف تماماً عن ذلك من حيث شموليته وصلاحيته لكل الأزمان والأماكن والأحوال؛ بل لا يوجد ما يصلح للناس ويُصلحهم وتستقيم الحياة به إلا في دين الإسلام، وما عداه فباطل وإثم وسبب لشقاء الإنسان في الدنيا قبل الآخرة.

وبهذا ندرك الخطأ الفاحش الذي وقع فيه من تشبهوا بقساوسة النصارى ورهبانهم في تمييع الإسلام وتحريف نصوصه، وتبديل شريعته، وتغيير أحكامه ليوافق أهواء الناس وشهواتهم، وحتى يتناسب مع هذا العصر كما يفعله كثير من متفقهة المسلمين ومتعلمتهم - أو متعالميهم - الذين يتصدر بعضهم للفتيا في القنوات الفضائية.

وهذا منهج خطير يرمي إلى علمنة المسلمين كما عُلمنت النصرانية المحرفة، وإضفاء الشرعية على هذه العلمنة باعتبارها صادرة من شيوخ معممين؛ وربما كانوا ذوي تخصصات شرعية ويحملون أعلى الشهادات الشرعية من جامعات إسلامية عريقة!

والإسلام لن يتضرر بذلك؛ لأنه دين محفوظ بحفظ الله - تعالى - له؛ لكنَّ مَنْ يتضرر من جرائه المفتي الذي تجرأ على الله - تعالى - وأضل الناس عن الحق، والمستفتي الذي وقع في الإثم بسبب اتباعه لمن يفتيه بهواه، والعامة الذين يستمعون إلى تلك الفتاوى.

ومن مظاهر الإضلال في الفتيا: مخالفة النصوص الصحيحة الصريحة أو الإجماع، وإحياء الأقوال الضعيفة والشاذة التي أخطأ فيها أصحابها. بل إنهم في بعض الأحيان يأتون بفتاوى ليس لهم فيها سَلف، وربما دعا بعضهم إلى المحرم باسم الدعوة والمصلحة المرسلة وتحت شعارات صحيحة؛ لكن يراد بها باطل كتغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والحال، ويتوسعون في ذلك توسعاً عظيماً بلا ضوابط ولا ورع ولا تقوى.

بين العلمانيين والرهبان:

دأب العلمانيون العرب - عند إرادتهم القدحَ في الإسلام أو تعاليمه أو ردَّ فتوى شرعية - على استرجاع التاريخ واستدعاء ما حصل من أرباب الكنائس فيما يسمى في التاريخ الأوروبي بالقرون الوسطى التي كانت الهيمنة فيها للكنيسة ورهبانها، ويساوون بين الإسلام والنصرانية، وبين علماء المسلمين ورهبان النصارى إمعاناً في الإضلال وطمساً للحقائق وتلبيساً على المتلقي عنهم.

وقد لوحظ في الآونة الأخيرة تغيّر هذا الاتجاه عند كثير من العلمانيين الذين أخذوا يطالبون علماء المسلمين بالتسامح وتفهم متطلبات العصر وتغير الزمن، ويؤكدون على ضرورة احتذاء علماء المسلمين بالرهبان والقسيسين الذين خضعوا لشهوات الناس، وفصّلوا لهم النصرانية على وفق ما يتناسب مع العصر المادي العلماني، ثم لما اقتنع بعض المنتسبين للعلم بهذه الفكرة وخضعوا لرغباتهم وضعهم العلمانيون في صف الرهبان بجامع العقلانية والبعد عن التشدد والتطرف والإرهاب الديني ومخاطبة الناس بأسلوب حضاري كما يقولون. وكفاهم شرفاً أن يُشبهوا بأصحاب الكنائس لا بأقلام الأثريين الرجعيين عندهم وإنما بأقلام المتنورين العلمانيين!!

وفي الوقت ذاته يتمالأ من ميعوا الإسلام مع العلمانيين على حرب المتمسكين بالإسلام - كما أنزل - الذين يرفضون التلاعب بشريعته لموافقة أهواء الناس ويصمونهم بكل نقيصة، ويلصقون بهم كل تهمة؛ فتأمل إلى ما أدى إليه التنازل عن بعض الشريعة باسم المصلحة الفضفاضة، وانظر إلى الهوة السحيقة التي تردى فيها أصحاب هذه الاتجاهات الخاطئة!

هُبَل لا يزال يُعْبَد!!

يسمى هذا العصر عصر العلم والتقدم، وحين تذكر البلاد الغربية يتبادر إلى ذهن كثير من الناس أن تلك البلاد التي أفرزت الحضارة الحديثة لا يمكن أن تغزوها الخرافة أو يصدق أفرادها بها، أو يلغوا عقولهم ويتعلقوا بأوثان لا تنفع ولا تضر - كما كان أهل الجاهلية يعبدون هُبَلاً واللات والعزى؛ لأن بلاد الغرب عمرت حضارتهم وقامت على احترام العقل وتقديسه؛ ولكن الحقيقة مجانبة لذلك؛ فمظاهر الخرافة منتشرة، وسوق السحرة والكهان والعرافين رائجة في بلادهم.

وفي يوبيل الشباب هذا كان الرهبان ركعاً وسجداً وجاثين على الركب يتلون الأناجيل، ويرددون الترانيم، ويؤدون الصلوات تحت التماثيل والتصاوير التي امتلأت بها كنيسة القديس بطرس، ومنهم من تعلق بأقدام الوثن يقبلها باكياً؛ والشباب يمرون بهم ليتعلموا الوثنية من أئمتهم ورهبانهم في عصر الذرة والنفاثة والاستنساخ والدخول في الألفية الثالثة كما يقولون. وشرك العبادة ليس أمراً جديداً عند النصارى فقد قال الله عنهم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال - تعالى -: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]. والنصوص في إثبات ذلك كثيرة.

وشركهم ليس شرك أفراد من عامتهم؛ بل هو شرك أحبارهم ورهبانهم أقروه في مجامعهم الكنسية الكبرى التي ألَّهوا فيها عيسى - عليه السلام - وجعلوه مساوياً لله - تعالى - وجعلوا لأمه مريم صفة الأمومة الإلهية وأنها والدة من تم تأليهه، واعتبار الاعتراض على ذلك هرطقة[1] توجب التكفير والقتل. تعالى الله عن شركهم علواً كبيراً.

ولن تجد وصفاً - وأنت تراهم يترددون على تلك الأوثان في كنائسهم - أبلغ وأدق من وصف الله - تعالى - لهم بالضُّلاَّل كما قال - تعالى -: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]. قال ابن أبي حاتم: لا أعلم خلافاً بين المفسرين في تفسير المغضوب عليهم باليهود والضالين بالنصارى[2].

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضُلاَّل»[3].

لماذا الصدُّ عن الإسلام؟

اتضح بما سبق عرضه أن دين النصارى المحرف ليس مقنعاً لأُناس يوصفون باحترام العقل وإعماله، ومهما عمل البابا والفاتيكان والنصارى

(١) الهرطقة: مصطلح كنسي يعني الخارجين على تعاليم الكنيسة.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم، ١/٢٣، وفتح الباري، ٨/١٥٩، والدر المنثور، ١/١٦.

(٣) أخرجه الترمذي في تفسير سورة الفاتحة وقال: حسن غريب (٢٩٥٤) وأحمد، ٤/٣٧٨، والطبراني في تفسيره، ١/٧٩، وصححه ابن حبان كما في الموارد (٢٢٤)، وأحمد شاكر في تخريج الطبري (١٩٤).

أجمعون من وسائل لإقناع أنفسهم بصحة دينهم فلن يقتنعوا به فضلاً عن إقناع غيرهم به.

وفرح الشباب بهذا التجمع العظيم؛ إلا أن استئناسهم به لن يدوم طويلاً، كما لم تدم سعادة الشعوب الغربية بالتطور والرفاهية العظيمة؛ وهكذا كل سعادة بغير الله - تعالى - والعبودية له واتباع رسله مهما كانت كبيرة وأسبابها عظيمة - فلن تلبث إلا يسيراً حتى تنقلب شقاءاً على صاحبها في الدنيا قبل الآخرة. وقد قرر هذه الحقيقة العالم الرباني شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - بقوله: «فإن حقيقة العبد قلبه وروحه، وهي لا صلاح لها إلا بإلهها الله الذي لا إله إلا هو، فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره، وهي كادحة إليه كدحاً فملاقيته ولا بد لها من لقائه، ولا صلاح لها إلا بلقائه، ولو حصل للعبد لذَّات أو سرور بغير الله فلا يدوم ذلك؛ بل ينتقل من نوع إلى نوع، ومن شخص إلى شخص، ويتنعم بهذا في وقت وفي بعض الأحوال، وتارة أخرى يكون ذلك الذي يتنعم به والتذ به غير منعم ولا ملتذ به؛ بل قد يؤذيه اتصاله به ووجوده عنده ويضره ذلك»(١).

وما دام الأمر كذلك فإن سدنة الباطل والقائمين عليه لم يألوا جهداً ولن يألوا في إخفاء الحق ومحاولة طمسه وتشويهه وحجبه عن الناس وصدهم عنه بكل وسيلة يملكونها. وهكذا كان حال الإسلام مع خصومه قديماً وحديثاً. ففي القديم كان المشركون في عهد الرسالة يمنعون الناس من سماع القرآن خشية اتباعهم لمن أُنزل عليه، وتواصوا بالتشويش عليه كما أخبر الله عنهم بقوله - تعالى -: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾** [**فصلت**: ٢٦]، وقد ذكر المفسرون أن المشركين كانوا يطردون الناس عن النبي ﷺ وأصحابه - رضي الله عنهم -، ويقابلون القرآن بالمكاء والصفير والصياح وإنشاد الأشعار والأراجيز(٢).

قال ابن عاشور: «وهذا من شأن دعاة الضلال والباطل أن يكمموا أفواه الناطقين بالحق والحجة بما يستطيعون من تخويف وتسويل وترهيب وترغيب، ولا يدعون الناس يتجادلون بالحجة ويتراجعون بالأدلة؛ لأنهم يوقنون أن حجة خصومهم أنهض؛ فهم يستر ونها ويدافعونها لا بمثلها ولكن بأساليب من البهتان والتضليل، فإذا أعيتهم الحيل ورأوا بوارق الحق تخفق خشوا أن يعم نورها الناس الذين فيهم بقية من خير ورشد عدلوا إلى لغو الكلام، ونفخوا في أبواق اللغو والجعجعة لعلهم يغلبون بذلك على حجج الحق، ويغمرون الكلام الصالح باللغو، وكذلك شأن هؤلاء»(٣).

وثبت في الصحيح أن المشركين شرطوا على ابن الدغنة لما أجار أبا بكر - رضي الله عنه - أن لا يُظهر عبادته خشية أن يتبعه أقوامهم وقالوا: «مُرْ أبا بكر فليعبد ربه في داره فلْيُصلِّ فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذنا بذلك، ولا يستعلن به؛ فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا»(٤).

---

(١) مجموع الفتاوى، ١/٢٤ - ٢٥.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/١٤٧، وروح المعاني للآلوسي، ١٢/٣٧١.

(٣) التحرير والتنوير، ٢٤/٢٧٧.

(٤) صحيح البخاري، كتاب: مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٣٩٠٥).

وكذلك يفعلون في العصر الحاضر؛ إذ إن أعداء الإسلام من يهود ونصارى ووثنيين ومنافقين قد حملوا على عواتقهم حرب الإسلام، وصدَّ الناس عنه بكل وسيلة تارة بالترغيب - تحسين الشهوات وبثها ونشرها - وتارة بالترهيب - إيذاء المسلمين ومحاصرتهم وتجويعهم وإعلان الحرب عليهم - وتارة بالتنفير - وصف المسلمين بالتطرف والإرهاب وتشويه الإسلام عند غير المسلمين - ومع ذلك فإن أعداد من يدخلون في الإسلام - بحمد الله تعالى - في ازدياد لا يشهد له مثيلاً أي دين آخر، وجُلُّ من يدخل في الإسلام يدخله عن قناعة بعد بحث وتقصٍّ، وفيهم من علية القوم - من المثقفين والمنظِّرين والمنصرين - كثر؛ لأنه لا يحق إلا الحق، ولا يبقى إلا الصحيح، ومهما اجتهد أهل الباطل في طمس الحق وإخفائه فإنهم لا يستطيعون.

بعد هذا العرض المختصر لهذا اليوبيل الشبابي النصراني العالمي أود التنبيه على أمور أربعة:

١ - وجوب شكر الله - تعالى - على نعمة الإسلام التي هدانا لها، ولو شاء لجعلنا من أولئك الضالين الحيارى الذين تعلقوا بالمخلوقين ونسوا الخالق - سبحانه وتعالى - فنحمد الله - تعالى - أن هدانا، ونسأله الثبات على الإسلام إلى الممات إنه سميع مجيب.

٢ - فريضة الدعوة إلى هذا الحق الذي عرفناه - وهو الإسلام - ودلالة الضالين عنه عليه، والمسؤولية عظيمة، والأمانة ثقيلة؛ أبت حملها السموات والأرض والجبال وأشفقن منها وحملناها ففرض علينا أداؤها، وإلا تعلق أولئك الضلال برقابنا يوم القيامة يشكون إلى الله - تعالى - تقصيرنا وتفريطنا في دعوتهم. نسأل الله - تعالى - العافية.

٣ - إن ضلال أولئك الشباب المجتمعين يزيد يقيننا بديننا، ويقوي إيماننا، ويحثنا على التمسك به والعض عليه بالنواجذ؛ لأنه حق هدانا الله إليه؛ فمن الغبن والحمق التفريط فيه أو تضييعه، ومن مظاهر التفريط فيه عدم التزام أحكامه.

٤ - إن تأجيل بيان بعض شرائع الإسلام لمن أسلم حديثاً منهج صحيح كما كانت شرائع الإسلام تتنزل على رسول الله ﷺ شيئاً فشيئاً، ولكن التنازل عن شيء منها بحجة الدعوة أو المصلحة المرسلة أو دواعي العصر أو نحو ذلك فباطل وإثم وافتيات على الإسلام واستدراك على الشارع سبحانه وتعالى. وفرق كبير بين التنازل الذي يسلكه المزورون لشريعة الإسلام وبين التأجيل لمصلحة راجحة، ومن سلك مسلك التنازل والتحريف لأحكام الإسلام من متعلمة المسلمين فقد تشبه بالرهبان الذين حرفوا وما زالوا يحرفون النصرانية إلى اليوم، «ومن تشبه بقوم فهو منهم»[1] كما ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ.

(١) رواه أبو داود، ح/ ٣٥١٢.



يرصدها: حسن قطامش

qatamish100@hotmail.com

المكافحة مستمرة!!

دعا رؤساء جمهوريات آسيا الوسطى إلى مشاركة روسيا في معاهدة خماسية لـ «مكافحة الإرهاب والتطرف السياسي والديني والإجرام المنظم».

وحضر رؤساء كازاخستان وأوزبكستان وطاجكستان وقرغيزستان اجتماعاً في العاصمة القرغيزية «بيشكيك» أعلن على أثره رئيس الدولة المضيفة عسكر أكايف أن روسيا: «دولة عظمى ويمكن أن تغدو القوة الرئيسية» في منظومة لتحقيق الأمن والاستقرار في آسيا الوسطى التي كانت جزءاً من الاتحاد السوفييتي.

وعقد الاجتماع بعد اتساع نطاق العمليات التي تخوضها أوزبكستان وقرغيزستان ضد تنظيمات إسلامية تحمل السلاح في المثلث الواقع بين هاتين الدولتين وطاجكستان. وأكد الرئيس الأوزبكي إسلام كريموف أن «المراكز الإسلامية المتطرفة» التي قال إنها تعمل من أفغانستان؛ تهدف إلى: «حرف دول آسيا الوسطى عن الطريق العلماني الديموقراطي».

وأضاف: «لا يمكننا ضمان الأمن في آسيا الوسطى ما دامت الحرب قائمة في أفغانستان، لأن المجموعات المتمردة التي تعتبر أساس المشكلة موجودة في أفغانستان. ودعا رؤساء الجمهوريات الأربع المنظمات الدولية «كمنظمة الأمم المتحدة» إلى اتخاذ الاجراءات اللازمة لوضع حد للحرب الأهلية في أفغانستان «واستئصال هذا الخطر». [جريدة الحياة، العدد: (١٣٦٧٧)]

العولمة المفترسة

إن ظاهرة اندماج المؤسسات الاقتصادية والشركات متعددة الجنسيات برؤوس أموال تصل إلى مئات المليارات من الدولارات ـ أفضت إلى تمركز الثروة في يد قلة قليلة من الدول أولاً ثم قلة قليلة من أفراد تلك الدول ثانياً إلى الدرجة التي أصبحت معها ثروة ثلاثة أغنياء أمريكيين تعادل أو تزيد على ثروات ٤٨ دولة من دول العالم الفقيرة. وثروة ٤٨ أمريكياً تزيد على ثروة ١,٣ مليار صيني يبلغ الناتج القومي لهم حوالي ٧٠٠ مليار دولار سنوياً، وأن ٢٢٥ ثرياً من أثرياء الدول المتقدمة يملكون ألف مليار دولار أي ما يعادل الناتج المحلي الإجمالي لـ ٤٧٪ من سكان العالم، في حين أن ٤٠ مليار دولار أي ما يوازي ٤٪ فقط من ثروات الـ ٢٢٥ شخص كافية لكي تؤمن لكل سكان المعمورة الخدمات الاجتماعية الأساسية التي يحتاجون إليها أي الغذاء والصحة والمياه والتعليم. وأوضحت الدراسة أنه في ظل العولمة المتوحشة أصبح نصف سكان العالم أي ثلاثة مليارات نسمة من الفقراء يعيش منهم ١,٣ مليار نسمة تحت خط الفقر، ويقبع أغلبهم في الدول النامية في حين أن ١٠٪ فقط من القابعين على قمة العالم في الاتحاد الأوروبي وأمريكا يستحوذون على ٥٠٪ من تجارة العالم. وأن ١٣٪ فقط من سكان العالم ينفقون ٦٨٪ من الإنتاج العالمي الأمر الذي يعكس عدم مساواة صارخة واستغلال تتعرض له شعوب العالم الثالث. كما أشارت الدراسة إلى أن خمس دول فقط هي: الولايات المتحدة وألمانيا وفرنسا واليابان وبريطانيا تتوزع بها ١٧٢ شركة من أصل ٢٠٠ شركة الأكبر والأشرس عالمياً والمسيطرة على الاقتصاد العالمي. وتعرضت الدراسة للزيادة المستمرة في عدد الشركات متعددة الجنسيات موضحة أن عددها ارتفع أخيراً من ١١٠٠٠ شركة تتحكم في ٨٢٠٠٠ شركة فرعية تزيد مساحتها على ٢٥٪ من حجم التجارة العالمية عام ١٩٧٥م إلى ٣٧٥٠٠ شركة تتحكم في ٢٠٧٠٠٠ شركة فرعية تتعامل بأكثر من حجم التجارة العالمية عام ١٩٩٠م.

[مجلة الأهرام العربي، العدد: (١٨٠)]

انتكاسة ليبرالية

معضلة الاتجاه الليبرالي تكمن في قدرته على تكوين هالة إعلامية ودعائية لا تتلاءم مع حجمه الطبيعي، لقد انشغل المؤسسون باستثارة الرأي العام، دون اهتمام بالقاعدة الشعبية وتنميتها.

من يستمع للطروحات الليبرالية، وزخم الأقلام الصحفية المساندة و«المطبلة» للنهج الليبرالي يظن أن المجتمع الكويتي يسير نحو العلمانية وهو منها قاب قوسين أو أدنى، ولكن من ينظر إلى حقيقة المجتمع الكويتي من الداخل يجد أنه أقرب للمجتمع الإسلامي المحافظ المتشبع بالقيم والمبادئ الإسلامية. لقد نجح الليبراليون مع بداية الستينيات بفضل موجة المد القومي، ومناهضة الإمبريالية في كسب ود الكويتي وعطفه، فصفقت لهم الجماهير، ثم ما لبثت الفئة الواعية من هذه الجماهير أن تخلت عنهم عندما أدركت زيف الخطب والشعارات والهتافات البراقة والبعيدة عن الواقع.

[الكاتب الكويتي : عادل القصار، جريدة القبس، العدد : (٩٧٨١)]

استهزاء بالدين ودعوة للمنكر

إن البنت اليمنية لا تترهل البتة. إنها تتزوج وتنجب بزينة من الأطفال وتظل برشاقة عود القات محتفظة برشاقتها إلى أن تشيخ، وحتى عندما يجف عودها وتموت فإنها لا تتعفن في قبرها كغيرها من نساء العالم ولا تقربها الديدان!! كل هذا ببركات هذا العشب السحري الذي قيل: إن أبانا آدم تناوله وطرد من الجنة بعد أن أغرته أمنا حواء!! ولمَ لا! وها هي بعض دول العالم تُحرِّم القات وتطرد من جنانها المصطنعة كل يمني يتناوله وتنزل به أشد العقوبات، لكن القات سيغدو عشباً عالمياً في عصر العولمة، وسيكتشف العالم المتخم عما قريب ميزة هذا العشب الموضوع في القائمة السوداء.

ومع احترامي وتقديري لجمعية مكافحة القات التي تصدر نشرة دورية بعنوان ـ يمن بلا قات ـ إلا إنني على يقين بأن المستقبل في اليمن للقات. بل إنني أخشى على هؤلاء الذين يحلمون بيمن بلا قات أن يتحقق حلمهم بالمعكوس: فكل الدلائل والمؤشرات تؤكد أنه في المستقبل سيكون هناك قات فقط. قات بلا يمن.

[الكاتب اليمني : عبد الكريم الرازحي، مجلة المجلة، العدد : (١٠٧٥)]

بئس ما صنعوا!!

يعرض موقع على شبكة الإنترنت في الأرجنتين خدمة غير تقليدية؛ وهي مساعدة من يمارسون الخيانة الزوجية على اجتناب افتضاح أمرهم.

فنظير سداد مبلغ ١٢٠ دولار أمريكي يحصل المشترك في الموقع على خطة متكاملة لتمويه تحركاته وتسويغ غيابه عن العمل والمنزل. وتتضمن الخطط التي يضعها العاملون في الموقع إرسال بطاقات دعوة لحضور مؤتمرات وهمية وتذاكر طيران مزيفة، وشهادات تثبت حضور تلك المؤتمرات.

ويقول المسؤولون عن الموقع: إن الخدمة التي يقدمونها لعملائهم متقنة لدرجة تمكنهم من خداع زملائهم ورؤسائهم في العمل وليس فقط الزوجات والأزواج. وقد لاقى الموقع إقبالاً شديداً فور بدء عمله لدرجة أن مسؤوليه قرروا عدم قبول أكثر من ألف عميل في وقت واحد، واللافت للنظر أن عملاء الموقع ليسوا جميعاً من الرجال، فنصفهم تقريباً من النساء. وذكر القائمون على الموقع أن النجاح الضخم الذي حققه مشروعهم في الأرجنتين جعلهم يفكرون في إقامة خدمات مماثلة في دول أخرى بأمريكا اللاتينية. ولم ينس القائمون على الموقع تجهيز مؤثرات صوتية تحاكي صوت قاعة اجتماعات، وتسمع تلك المؤثرات عبر الهاتف أثناء حديث السكرتيرة المزيفة.

ويقول مسؤولو الموقع: إن احتمال انكشاف المؤامرة شبه معدوم؛ لأنهم يدرسون حالة كل عميل على حدة، ويضعون له الخطة المناسبة له.

[موقع هيئة الإذاعة البريطانية www.bbcarabic.com]

تحسبهم جميعاً

دلت نتائج استطلاع رأي جديد في «إسرائيل» أن الشباب من طلاب المدارس الثانوية يكرهون المستوطنين اليهود في الضفة الغربية بالدرجة الأولى ثم يكرهون العرب بمقدار مشابه تقريباً. وجاءت هذه النتيجة مفاجئة للغاية.

وأجرت الاستطلاع صحيفة «يديعوت أحرونوت» بواسطة معهدين جامعيين، إسرائيلي (الجامعة العبرية في القدس) وفلسطيني (جامعة بيرزيت) بمشاركة ٦٢٠٠ تلميذ من ثانويات يهودية وعربية في «إسرائيل» (العرب هم فلسطينيو ١٩٤٨م) ونشرت نتائجه في الصحيفة، وفيما يلي أبرز ما جاء فيها:

– في المجموعة الكاملة للتلاميذ، بغض النظر عن الانتماء تبين أن ٥١٪ منهم يكرهون المستوطنين في الضفة الغربية أكثر من أية فئة سياسية أخرى، وأن ٥٠٪ يكرهون العرب بالدرجة الأولى، و٤٧٪ يكرهون اليهود المتدينين المتزمتين (حريديم) بالدرجة الأولى.

– في هذه المجموعة أيضاً، قال ٤٧٪: إنهم يكرهون رئيس الحكومة اليميني السابق بنيامين نتنياهو، و٢٧٪ قالوا: إنهم يكرهون إيهود باراك، و٢٤٪ قالوا: إنهم يكرهون شمعون بيريز.

– بلغت نسبة الذين يكرهون حركة «سلام الآن» ٣٤٪، لكن نسبة الكراهية لليكود أكثر ٣٥٪ والكراهية لحزب العمل ٢٤٪.

– عند الدخول في التفاصيل يتضح أن الفوارق في الكراهية للمستوطنين والعرب تعود إلى الانتماءات الطائفية. إذ أنه في صفوف التلاميذ اليهود الأشكناز، يكرهون اليهود المستوطنين ٥٦٪، واليهود المتدينين المتزمتين ٥٠٪ أكثر من كراهيتهم للعرب ٣٨٪. أما اليهود الشرقيون فإنهم يكرهون العرب أولاً ٦٣٪ ثم حركة «سلام الآن». وأما التلاميذ العرب فإنهم يكرهون أولاً اليهود المتدينين المتزمتين ٨٥٪ ثم المستوطنين ٧٣٪.

ورأت الدكتورة داليا مور، المشرفة على هذا البحث، أن الوضع بين الشباب مثله بين الكبار في «إسرائيل»: يشكل هوة اجتماعية كبيرة بدأت تأخذ طابع الكراهية، وهناك خطر في تدهوره إلى العنف. وقالت: إنها تجد في موقف اليهود من المستوطنين كراهية للعنف ولمحاربة مسيرة السلام، وكذلك إحساساً لديهم بأن المستوطنين يبتزون الدولة، ومواقفهم ليست مبنية على أية مبادئ.

[جريدة الشرق الأوسط، العدد: (٧٩٥٩)]

مع القرامطة والماركسية

ماذا لفت نظرك في تجربة «ثورة ظفار»، لكي تكتبها من جديد؟

لفت نظري في هذه التجربة جرأتها في محاولة وضع الشعارات الثورية موضع التنفيذ والتطبيق، في مجتمع تقليدي كان شديد التخلف. خصوصاً أنها تمت في إطار من المرجعيات المختلفة المتأثرة بشعارات القوميين العرب، وصعود عبد الناصر ومواجهته للرجعية وللنفوذ الاستعماري في المنطقة. إضافة إلى استفادتها من الماركسية. وهذه التأثيرات كانت مهمة عصر كامل، وهي تجربة حاولت الرد على أسئلة كانت مطروحة ولا تزال، في اتجاه البحث عن طريق للتنمية والتحديث والاستقلال الوطني. وبمعنى آخر فإن ثورة «ظفار» ليست إلا محاولة للتغيير، اصطدمت بأوضاع معقدة. ولأن قوانين التغيير جزء أساسي من قوانين الحياة، فلا بد من تأملها للاستفادة منها في المستقبل، وهي تجربة أجهضت تحت ضغط عوامل وتناقضات عدة، بين التقليدية والتحديث، وبين الأنانية الفردية والجماعية، وبين صورة الاستقلال الوطني عندما تتناقض مصالحه مع النفوذ الأجنبي ومؤامراته ومصالحه. لدي تجربة قديمة في هذا الموضوع، حدثت عام ١٩٧٩م حيث عملت على سيناريو عن ثورة القرامطة بالتعاون مع السينمائيين السوريين عمر أميرلاي ومحمد ملص، وللأسف لم يخرج هذا العمل إلى النور في شكل فيلم، وأفكر جدياً في الاشتغال عليه من جديد في شكل روائي، لكن ما عطلني هو أنني وجدت أن «ثورة ظفار» وأحداثها أكثر قرباً من لحظتنا الراهنة.

[الكاتب المصري: إبراهيم أصلان، مجلة الوسط، العدد: (٤٥١)]

أخلاق أمريكية في مهمة إنسانية

أظهر تقرير عن تحقيق عسكري نشره البنتاجون رسمياً أن جنوداً أمريكيين من قوة حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة في كوسوفا أساؤوا معاملة مدنيين (من خلال انتهاك المبادئ الأساسية لكرامة البشر).

وأفاد التحقيق الذي قام به الكولونيل جون مورجان أن عناصر من الوحدة الأمريكية خالفوا التعليمات العسكرية وعمدوا إلى (مضايقة واستجواب وإهانة وضرب ألبان). واعترف التقرير بوجود عدد من الحوادث التي تعرضت لها نساء من كوسوفا؛ حيث قام بعض الجنود بملامسة عوراتهن إضافة إلى شكاوى من إجراء عمليات تفتيش غير ملائمة. كما قام أحد أعضاء القوة الأمريكية باغتصاب وقتل فتاة ألبانية عمرها ١١ عاماً!!

[جريدة البيان، العدد : (٧٣٩٩)]

بذور الشر

الصورة التي يطالعها المرء في موقع «بذور السلام» على الإنترنت تبدو بريئة وجذابة إلى حد كبير. يقولون: الحكومات تصوغ المعاهدات، لكن الناس هم الذين يصنعون السلام. وحركة بذور السلام تفعل ما لا تستطيع أي حكومة أن تقوم به، إنها تغرس بذور ذلك الحلم الجميل في أعماق الأطفال الذين شبوا وسط أهوال الحرب، فتعلمهم كيف يتعايشون مع بعضهم بعضاً، وكيف يتبادلون الثقة فيما بينهم على نحو يمتص أسباب الصدام والصراع، ويُمكّن الذين أعمتهم الكراهية من أن يبصروا الوجه الآخر، الإنساني لأعدائهم. في موضع آخر يقولون: نحن منظمة أهلية غير رسمية، ومحايدة، ولا شأن لنا بالسياسة، وكل مرادنا أن نساعد صبيان وصبايا مناطق الصراع على أن يتعلموا «مهارات صنع السلام»، وقد جعلنا المعسكر الذي أقمناه في غابات ولاية «مين» (في الشمال الشرقي للولايات المتحدة) مختبراً لمساعدة تلك الفئات على التفاهم والتفاعل المتبادل بعدما وفرنا جواً مواتياً لهذا الغرض؛ إذ من خلال تعليم الجميع فضائل الاتصالات واحترام الرأي الآخر، وعبر استمرار التواصل ومع استخدام تقنيات وفنون حل الصراعات؛ فإننا نتيح لأولئك الفتيان أن يتفهم ويتقمص كل منهما الآخر، إننا نسلح الجيل القادم بالأفكار والقدرات القيادية اللازمة لإنهاء دورة العنف وإقامة السلام على الأرض.

وهدفها هو الجمع بين الأجيال الجديدة من العرب والإسرائيليين، وتنقية وجدانهم من بذور «الخوف والتوجس والكراهية» في بداية عملها نجحت في جمع ٥٠ فتى وفتاة من ثلاثة أقطار شرق أوسطية، بينها «إسرائيل»، وبمضي الوقت نجحت في جذب أبناء ثماني دول بالمنطقة هي: إسرائيل، الأردن، فلسطين، مصر، المغرب، تونس، قطر، اليمن، ووصل عدد المشاركين في المعسكر الصيفي الذي أقيم في العام الماضي إلى ٤٠٠ شخص قدموا من تلك الدول، وهؤلاء تم انتقاؤهم من بين ألفي فتى وفتاة تقدموا للالتحاق بالمعسكر.

[مجلة المجلة، العدد : (١٠٧٣)]

احتمال وارد

وجدت حكومة جنوب إفريقيا نفسها مرة أخرى في صلب جدل حول مرض الإيدز بعدما وزعت نسخة عن فصل في كتاب أكد أن مؤامرات دولية ساهمت في نقل هذا الفيروس إلى القارة الإفريقية.

وأكدت باتريسيا لامبرت الناطقة باسم وزيرة الصحة أن الأخيرة نقلت نسخة لهذا الفصل الوارد في كتاب يتضمن فرضيات مشكوكاً فيها إلى وزراء الصحة في مختلف أقاليم البلاد.

وفي كتابه: «هاك حصان شاحب» أكد وليام كوبر أن طائفة «إيلوميناتي» الداعية إلى تشكيل حكومة عالمية نقلت الفيروس إلى إفريقيا في ١٩٧٨م بواسطة لقاح ضد مرض الجدري للقضاء على سكان القارة.

[جريدة الحياة، العدد : (١٣٦٩٢)]

في عهد الشيخ وحيد

قام وفد إندونيسي اقتصادي رسمي يضم رؤساء شركات الصناعة والاستثمار بزيارة (إسرائيل) لأول مرة من أجل عقد لقاءات اقتصادية وتجارية، وقام الوفد بزيارة الأردن ومناطق السلطة الفلسطينية حسب تعليمات حكومة إندونيسيا؛ وذلك بهدف تفادي أي نقد من جانب العناصر الإسلامية بسبب إرسال الوفد إلى (إسرائيل)، وذلك في أعقاب زيارة وفد إسرائيلي لإندونيسيا لدراسة العلاقات الاقتصادية بين الدولتين، وقد استضافت الغرفة التجارية في (إسرائيل) الوفد الإندونيسي، وكذلك وزارتي التجارة والصناعة والخارجية واتحاد الصناعيين ومعهد الصادرات. [صحيفة معاريف اليهودية - (مترجم)]

لا يتحملون الأخلاق!!

لم يستطع حزب العمال البريطاني تحمل أعباء انتهاج المبدأ الأخلاقي في سياسته الخارجية لمدة طويلة؛ فقد صرحت مصادر بالحزب بأن زعامات الحزب قررت إسقاط هذا المبدأ في حملتها الانتخابية المقبلة. وقالت المصادر: إن شعار ربط السياسة الخارجية بالأخلاق أصبح عبئاً ثقيلاً على كاهل وزير الخارجية البريطاني روبن كوك، الذي كان قد أعلنه بعد أيام من وصول حزب العمال إلى الحكم في مايو ١٩٩٧م. وأضافت المصادر أن هذا الشعار امتلأ بالثقوب بعد رفض وزراء حزب العمال منع مبيعات الأسلحة لأنظمة حُكْم سجلُّها سيئ في مجال حقوق الإنسان. [جريدة الأهرام، العدد : (٤١٥٤٦)]

فليبكوا على حائط آخر!!

كشف عالم الآثار اليهودي (إبراهام برانيس) الذي قضى معظم حياته في إجراء حفريات حول القدس وعلاقتها باليهود إلى استنتاجات غاية في الخطورة تقول: إنه لا يوجد أي دليل على وجود ما يسمى بـ «حائط المبكى». وقال عالم الآثار في تصريحات أدلى بها مؤخراً: «إنه في المكان الذي يدَّعي اليهود الآن أنه حائط المبكى والملاصق لسور المسجد الأقصى لا يوجد شيء اسمه حائط المبكى». [جريدة السبيل الأردنية، العدد : (٣٥١)]

تعليق على الأحداث

لا تتركوها وحيدة!!

لم تكن المجزرة التي قام بها الصهاينة في حق المسلمين في المسجد الأقصى المبارك - بعد زيارة «أريل شارون» - لم تكن الأولى، ولن تكون الأخيرة في صراعنا مع يهود، مواقف اليهود لا تستغرب؛ لكن الذي نستغربه الآن هي تلك الحال التي وصل إليها المسلمون في تفاعلهم مع مذابح الأقصى، مع تهويد القدس، مع ضياع فلسطين. كانت الأحداث تجري في الأرض المقدسة، تجري معها أعين المسلمين تتابعها، كان الدم يقطر من جريح واحد، تفور له دماء المسلمين، غضبة وحزناً، كان الخطيب يخطب والكاتب يكتب والمتظاهر يُظهر غيرته على بلاد الإسلام وحرماتها المنتهكة، يندد العلماء، تشجب الحكومات، تعترض النقابات، كان الكل يتفاعل مع الحدث هناك، ومع هذه المذبحة لم تكن هذه الصورة كما هي! بالرغم من أن فلسطين كما هي، واليهود كما هم، والقتلى والجرحى كما هم كذلك. ما الذي حدث للمسلمين؟! كنا نظن أن تفاعلهم مع الأحداث مرتبط بمدى التأثير الإعلامي وحجم الصور المنقولة، كما حدث مع البوسنة والصومال والشيشان، ولكن الأمر قد ازداد سوءاً، فالصور المعروضة عليهم أيضاً كما هي من عشرات السنين. إن دلالات كثيرة تحملها إلينا الأحداث، ونخشى أن يكون أشدها: موت الإحساس بداخلنا تجاه إخواننا ومقدساتنا. ونخشى نسيان القضية بآلامها المريرة بعد هدوء العاصفة، ولا نفيق ولا نمد لها يد العون إلا مع مجزرة أخرى وقتلى آخرين، فنتكرم عليهم ببعض دموعنا وبعض من حسراتنا المؤقتة وبعض من أحاديثنا، ونحسب أننا قدمنا شيئاً بهذه المشاركات الكبيرة!! وإن كان الشعار السياسي المخزي الذي ترفعه كثير من الدول العربية «التسوية» لم تغيره تلك الأحداث بجسامتها!! إلا أن هذه المواقف لا تعبر عن أحاسيس الأمة، لكن الذي نخشاه ونحزن له أن يتحول واقع كثير من المسلمين اليوم شعاراً جديداً بعنوان: «لفلسطين رئيس يحميها»!!

العولمة الدينية.. دعوة خطيرة

في سابقة خطيرة وقبل القمة الألفية التي جمعت زعماء العالم، عُقد في الأمم المتحدة ما سمي بمؤتمر الأديان، ولم ينل هذا المؤتمر حظه من التغطية الإعلامية، فيبدو أنه كان مقصوداً أن تكون هناك «تغطية» كاملة على أعمال المؤتمر فلا يظهر منه شيء. انطوى المؤتمر على دعوة كفرية انتهت بتوقيع زعماء العالم الدينيين على أن كل الأديان سواء!

ولم يحدد المنظمون معنى الدين بشكل من الأشكال، وكان الاتفاق الضمني أن الدين هو ما تعتقد أنه دين، وحدد المنظمون شرطين فقط لمنع ازدحام المؤتمر - بعد هذا التعريف المائع - فاشترطوا للمشاركة في هذا المؤتمر ألا يقل عمر هذا الدين عن ١٠٠ سنة، وألا يكون مؤسس هذا الدين على قيد الحياة!!

ولا يخفى على مسلم أن دين الإسلام خاتم الأديان وأفضلها، وأنه الدين الحق الذي لا يقبل الله غيره، وأن مساواته مع غيره من الأديان حتى السماوية منها التي سبقته كفر؛ إذ هو ناسخ لها، فكيف بأديان أتت بعده.

وإن كان هذا عجيباً، فالأعجب من هذه الدعوة: مشاركة بعض المنتسبين إلى العلم في بعض بلاد الإسلام في هذا المؤتمر الكفري العالمي، وتوقيعهم على ما اتفق عليه من هذه المساواة الشائنة.

والأكثر من ذلك: شعور أحد المفتين في بلاد الإسلام بخيبة الأمل الكبيرة لعدم مشاركة «الدلاي لاما» البوذي في هذا المؤتمر لأسباب سياسية - وحزنه لذلك كثيراً!! فإذا كان الدين - على حد قوله - لا يتدخل في السياسة؛ فلا ينبغي للسياسة أن تتدخل في الدين.

إن تبني الأمم المتحدة لهذا المؤتمر خطوة خطيرة لعولمة الأديان تسعى لتذويب ما تبقى للمسلمين من دينهم في ديانة عالمية جديدة، فانتبهوا معاشر المسلمين؛ فلم يبق لنا إلا ديننا، فإنه وإن تمت عولمة المسلمين وهم مجبرون في كافة شؤونهم؛ فإن للدين شأناً آخر.

أمَّ الكاثوليكية.. كم أنت بغيضة!!

ما زالت فرنسا على عهدها مع دينها وعدائها الشديد للإسلام والمسلمين، وفي الفترة الأخيرة وخلال أسبوع واحد فقط كان لفرنسا مع المسلمين في بلادهم وفي بلادها ثلاثة مواقف لافتة للنظر:

- الموقف الأول: عند دخول طالبة مصرية مدرستها الفرنسية المتوسطة في مدينة الإسكندرية وهي مرتدية الحجاب - إيشارب -!، اعترض مدير المدرسة؛ لأن هذا الحجاب محظور في المدارس الفرنسية حتى لو كانت خارج فرنسا، فهي خاضعة لنظام التعليم الفرنسي في المدارس الفرنسية، فهو لا يريد تمييزاً بين الطالبات بحجابها المرفوض؛ وقد تم فصل الطالبة من المدرسة وأشقائها - الذكور - الثلاثة!!.

- الموقف الثاني: في مدرسة بنات ثانوية فرنسية - أيضاً - في أبو ظبي، تم توزيع كتاب مقرر على الطالبات تحت عنوان «زهرات الشر» غلاف الكتاب يحمل صورة لفتاتين مخمورتين وعاريتين تماماً وتمارسان الشذوذ، هذا الغلاف!!! أما المضمون: فهو دعوة تفصيلية لممارسة هذا السلوك الذي تترفع عنه الحيوانات، وسوّغ المستشار الثقافي للسفارة الفرنسية في أبو ظبي ذلك بأنه منهج جديد لهذا العام، ولم يكن لديه علم به!!

- الموقف الثالث: في قلب فرنسا بلد الحرية والثقافة، وبالتحديد في مدينة نيس «جنوب فرنسا» رفض جاك بيرا، رئيس البلدية السماح للمسلمين هناك ببناء مسجد، وقال: إن المساجد التي هي أماكن للعبادة يصعب تصورها في جمهورية علمانية، لدينا حصة كافية من قبائل المسلمين في فرنسا، ولا أرغب في المزيد.

سبق تلك المواقف أكبر منها وأكثر وستتلوها مثلها وأكثر منها كذلك، هذا يقين؛ فتاريخ أمِّ الكاثوليكية مع إسلامنا مرير، بيد أننا نهيب بالمسلمين الذين يضعون بناتهم في أحضان هذه الأم أن يفيقوا لأنفسهم.





د. زيد بن محمد الرماني

استحوذت العولمة على أوسع اهتمام في أدبيات العالم العربي الاقتصادية والثقافية والسياسية والتربوية والإعلامية والتقنية، وسيتضاعف هذا الاهتمام في القرن الحادي والعشرين الذي ستصبح العولمة من أبرز مظاهره، والأكثر تأثيراً على صياغة ملامحه وقسماته وتضاريسه.

إن العولمة التي أصبحت لغة دارجة في الأدبيات المعاصرة ما زالت تعاني من بعض الغموض؛ فهناك غموض فيما يتعلق بمعنى العولمة وبحقيقتها: فهل هي ظاهرة حياتية جديدة، أم مجرد موضة فكرية طارئة مصيرها للزوال؟ وهل هي حركة تاريخية ستستمر في النمو، أم هي فقاعة من الفقاعات التي ولدت لتموت؟!

وهناك غموض فيما يتعلق بنتائج العولمة ومترتباتها بالنسبة للواقع العربي؛ فهل العولمة حالة صحية، أم مرضية؟ وهل هي حركة استعمارية، أم تحريرية؟ هل ستصب في سياق الاستقلال والذاتية، أم التبعية والاستتباع؟!

ثم هل المطلوب منا الانغماس فيها، أم الانكماش عنها؟ هل ستحتوينا، أم سنحتويها؟ هل ستزيدنا تقدماً أم ستضاعف تأخرنا؟!!

إن مؤلفات: مثل كتاب: «نهاية التاريخ» لفوكاياما، وكتاب: «صراع الحضارات» لهنتنجتون وكتاب: «صعود وهبوط الإمبراطوريات» لبول كيندي، وكتاب: «**الموجة التالية**» لتوفلر، وكتب أخرى من تلك التي برزت خلال السنوات الأخيرة، تأتي ضمن سياق المشروع الفكري في الدول المتقدمة لفهم العولمة والكوكبية الاقتصادية، باستكشاف آفاقها وفرصها وتحدياتها ومساراتها المستقبلية.

يقول د. محيي محمد مسعد في كتابه: «ظاهرة العولمة: الأوهام والحقائق»(١): إن الكتابات السابقة تشكل درجات عالية من الوعي بالعولمة (اللحظة الحضارية القائمة).

---

(١) ص ٤٣.

لقد كان ملفتاً للمتأمل ما تعرضت له العولمة من نقد صارم وعنيف برهن على تخوفات حقيقية؛ فالأمم والحضارات ليست على استعداد للاستتباع الحضاري لتيار العولمة الجارف، وما أطلقته من أحلام وردية ووعود سحرية تخفي وراءها أضراراً خطيرة، كالتي حاول أن يصورها كتاب «العولمة والجنوب»[(١)] لكرولين طوماس وبيتر ولكين، الذي اعتبر العولمة آلية لتكريس الفوارق بين الشمال المتخم بالغنى والجنوب الذي يعاني من الفقر المدقع.

أو التي صورها كتاب «العولمة: النظرية والممارسة»[(٢)] لمؤلفيه: إلينور كوفمن وجيليان ينغز؛ حيث اعتبر أن ظاهرة العولمة قد دشّنت عهداً فظاً من العدوان على البيئة، كان من مظاهرها انتشار التلوث وتآكل طبقة الأوزون، وانكماش التنوع الأحيائي، والهدر في مصادر الطاقة.

أو الذي تحدثت عنه فيفيان فورستر في كتابها: «الرعب الاقتصادي»[(٣)] حيث عرضت السؤال الآتي: ما الذي يحصل عندما نعلم أنه ليس ثمة أزمات، بل مجرد تبدل وتحول يقودان مجتمعاً بأكمله، بل وحتى حضارة بأجمعها إلى المجهول؟!

وقد انتقد هذه الأصوات الغاضبة آلان ميك في كتابه: «العولمة السعيدة»[(٤)] الذي حاول أن يقدم العولمة على أنها ليست شراً أو خيراً في ذاتها، ولا داعي للإفراط في وصفها بالوحشية أو الفتك والرعب ونشر الأجواء المفزعة حولها.

ومن ثم فإن البشرية بحاجة إلى تكوين وعي عالمي له خاصية الاتصال والتواصل على الأصعدة والمستويات المختلفة، لمواجهة المخاطر والتحديات التي يتأثر فيها العالم كله، مثل: ظاهرة العولمة ومشكلات البيئة والتلوث، والاحتباس الحراري، وقضايا الصحة والسكان والفقر والمجاعة ونقص الغذاء والمياه.

يقول زكي الميلاد في كتابه: «المسألة الحضارية: كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير؟»[(٥)]: إن المشكلة الحقيقية ليست في العولمة، وإنما جذر المشكلة في تباين مستويات التطور الحضاري في العالم، الذي يجعل من

---

(١) كرولين طوماس وآخر «العولمة والجنوب» ص ٣٠.

(٢) إلينور كوفمن وآخر «العولمة النظرية والممارسة» ص ٢٣.

(٣) فيفيان فوستر «الرعب الاقتصادي» ص ٧.

(٤) آلان منك «العولمة السعيدة» ص ٦٢.

(٥) زكي الميلاد «المسألة الحضارية» ص ٣٨.

الغرب الطرف المستفيد من هذه العولمة، باعتباره أنجز مشروعه في التقدم.

والمشكلة مع الغرب أنه حوَّل مشروعه في التقدم إلى تكريس التبعية وضبط آليات السيطرة على العالم.

فالمواجهة الحقيقية للعولمة هي عن طريق الإنماء والبناء وإنجاز مشروعات التقدم والعمران.

يذهب صادق جلال العظم في مقالة له بعنوان: «ما هي العولمة؟»[1] إلى أن العولمة هي عقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز وبقيادتها وتحت سيطرتها، وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ.

ويشير محمد عابد الجابري في مقالة له بعنوان: «العولمة والهوية الثقافية»[2] إلى أن العولمة هي ما بعد الاستعمار، وأنها مجرد آلية من آليات التطور الرأسمالي يعكس إرادة الهيمنة على العالم.

وفي مقالته: «أصل العولمة وفصلها»[3] يقول جورج طرابيشي: إن مفهوم العولمة لم يعرف الاستقرار بعد، وتبقى العولمة هي الظاهرة التاريخية لنهاية القرن العشرين أو لبداية القرن الحادي والعشرين.

هذه العولمة، إذن، إنما تخدم مصالح وأفكار الطرف القوي في العالم، وتطمس الأطراف الأخرى، وهي ليست العولمة التي يحتاجها العالم في هذه المرحلة، أو التي يتطلع إليها مع القرن الحادي والعشرين.

فهذه العولمة - التي عبر عنها الغرب - ترتكز على الانتفاع المادي والجشع الاقتصادي واحتكار الثروات ورفع القيود عن الأسواق والبضائع وامتصاص الأموال، وهذه الأمور هي من أكثر العوامل سبباً وتحريضاً على النزاع والصدام والصراع.

إن عولمة الغرب اقتصادية في الأساس تتوخى الربح والنفع المادي؛ والأبعاد والحقول الأخرى التي ارتبطت بها كالثقافة والاجتماع والتربية والإعلام وغيرها إنما وظفت لذات الغاية الاقتصادية النفعية.

إن الخوف الحقيقي على هويات العالم وثقافاته من اكتساح العولمة الغربية وفرض الاتجاه الواحد جاء نتيجة وجود الضعف والضمور في بنية بعض تلك الهويات والثقافات وتكويناتها، مما يستدعي ضرورة التجديد

(١) د. صادق العظم «ما هي العولمة؟»، ص ٣٤.

(٢) د. محمد عابد الجابري «العولمة والهوية الثقافية»، ص ٢.

(٣) جورج طرابيشي «أصل العولمة»، ص ١٦.

الداخلي لمزيد من الحماية والمناعة والتحصين[1].

ومن ثم، فإن العولمة التي يحتاج إليها العالم هي العولمة التي يشترك الجميع في صنعها وصياغتها لا أن ينفرد طرف واحد بها ويسخّرها لصالح امتيازاته، ووفق فلسفته الفكرية والاقتصادية والاجتماعية.

وإذا كانت العولمة قد قوبلت في العالم باعتراضات شديدة وانتقادات قاسية، فلأنها تخدم طرفاً واحداً، وتعبِّر عن رؤية هذا الطرف وهو الغرب.

إن العولمة تضع أمام المفكرين المسلمين سؤال المستقبل عن المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر الذي تجد فيه الأمم والحضارات خياراً واتجاهاً مقنعاً وفعالاً ومختلفاً عن الخيار والاتجاه الذي يفرضه الغرب على العالم.

والمستقبل ليس مفتوحاً على الغرب فحسب، بل هو مفتوح على كل الثقافات والأمم والحضارات وبحاجة إلى اكتشاف جديد في زمن زحف العولمة.

إن الأدبيات الإسلامية والعربية في هذا الوقت مطالبة وبإلحاح لتكثيف الحوار والمناقشة والتباحث حول المشروع الحضاري الإسلامي، والآلية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والإعلامية والفكرية التي تتناسب مع إمكانات وقدرات كل دولة.

وأخيراً، فإن العولمة تستدعي من الأمم والحضارات أن تجدد نظرتها إلى العالم وتعيد تقويمها حضارياً فهل ستكون العولمة آخر مطافات الغرب؟ أم أنها ستكون قاعدة انبعاث الحضارات الأخرى؟

هذا يعني أن للعولمة أسئلتها الصامتة والمتجددة، وأنها ستفتح أكثر من احتمال على العالم والمستقبل.

ورغم ما سبق، فإنه سوف يستمر الجدل الذي يختلط فيه المعقول باللامعقول، والحقائق بالأوهام، والوقائع بالافتراضات، والموافق والمخالف، في قضية العولمة!!

> ❞ إن العولمة تضع أمام المفكرين المسلمين سؤال المستقبل عن المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر ❝

---

(١) ميكل تومبسون وآخرون «نظرية الثقافة» ص ١٠، ١١.



ظاهرة القلق.. الأعراض والعلاج

لطف الله خوجه

نسمع أن في الغرب أعداداً هائلة من المصابين بالقلق والاكتئاب يضطرون لزيارة عيادات الصحة النفسية بصفة دورية، وليس غريباً أن يكونوا كذلك، لكن الغريب أن نسمع عن مثل ذلك بين المسلمين؛ فأعداد المترددين على العيادات النفسية في ازدياد، وقد سمعنا منذ فترة أن شاباً مات منتحراً، فَلِم يحدث مثل هذا عند المسلمين، وهذا القرآن والنور النبوي بين أيديهم، والعلماء الصادقون لا يبخلون عليهم بنصيحة؟ أظن أن السبب هو الإغراق في الماديات.

فالغربيون مبدؤهم وحياتهم وأهدافهم كلها مادية، وليس لهم عناية بالجانب الروحي، وهذا هو السبب في شقائهم، والمسلم الذي يبالغ في العناية بجسده مع إهمال روحه يعتريه ما يعتري الكافر من ضيق واكتئاب وحاجة ملحة إلى زيارة العيادات النفسية بصفة دائمة. إن الإنسان مخلوق من مادة جامدة أرضية محصورة في نطاق معين، ومادة لطيفة روحية تسيح في العالم بلا حدود، وكل من هاتين المادتين تحتاج إلى عناية خاصة؛ فالعناية بإحداهما دون الأخرى تنقص إنسانيته، وذلك ينعكس سلباً على راحته.

وأكثر الناس اليوم يغلِّبون جانب المادة الجامدة (الجسد) فيسري هذا الجمود إلى المادة اللطيفة (الروح) فتصبح كذلك جامدة محصورة في حدود الجسد، فيفقدون إنسانيتهم ويصبحون قوالب حجرية لا تقبل التمدد؛ وترفض التوسع والانشراح.

وأساس الراحة والطمأنينة الانشراح والسعة، وتلك القوالب الحجرية الجامدة تمنع من ذلك فيحدث الضيق والقلق والاضطراب، فهذه نتيجة العناية بالمادة الجامدة مع إهمال المادة اللطيفة.

لكن العناية بالروح والجسد - كل بقدره - يفسح المجال أمام هذه المادة اللطيفة أن تعانق العالم العلوي، وأن تسري في مجال الكون الرحب الواسع، تنظر فيه وتتأمل حقائقه، وترجع بالعبر المفيدة، والفوائد العجيبة، دون مانع أو قيد يكون من الجسد، بل ربما سرت لطيفة الروح إلى الجسد فيزول عنه الجمود، وذلك مما يشرح الصدر وينفس الكربات، ويزيل عن البدن أمراضه وعلله، وهذا حال من أعطى كل شيء حقه، فلم يهمل حاجات الروح مقابل حاجات الجسد، قال الله - تعالى -: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

إن الإنسان نصفه روح ونصفه جسد، فمن صار غايته في جسده لم يعد إنساناً، أرأيتم في يومٍ ما نصف إنسان، ليس له إلا عين واحدة وأذن واحدة، وشق فم، وشق أنف، وشق وجه وشعر، ويد ورجل واحدة؟ هل رأيتم صورة بشعة كهذه؟ فهذا مثل من جمد ولم يلطف. من نظر إلى جسده

ولم يلتفت إلى روحه هو نصف إنسان في كل شيء، لم يعرف من إنسانيته إلا الجمود والتحجر والقسوة والغلظة، فأنَّى لمثل هذا أن ينعم أو يطمئن؟ إنه يخالف إنسانيته وطبيعته وخلقته التي خلقه الله عليها، ومن رام مخالفة الإنسانية أو كسر الطبيعة أو تغيير الخلقة الربانية انكسر وتشتت وضاع، وأحاط به القلق والاكتئاب، فيبحث عن المخرج فلا يجده إلا في الانتحار، بعد يأسه من عيادات الطب النفسي أن يجد فيها الطمأنينة والانشراح.

إن الله - جل شأنه - عندما خلقنا في هذه الدنيا لم يخلقنا هملاً، بل خلقنا لغاية، وهذه الغاية باختصار أن نعبد الله وأن ندعو الناس إلى عبادته، ومن لازم ذلك عمارة الأرض بالقدر الذي يحقق تلك الغاية، وهذه العبادة منسجمة غاية الانسجام مع إنسانيتنا؛ فالعبادة تلبي حاجة الروح. قال - تعالى - : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤ - ١٥]، والعبادة لا تحصل إلا بعمارة الأرض بالسعي في الرزق وإعداد القوة لإرهاب العدو، وتلك تلبي حاجة الجسد. قال - تعالى - : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، وقال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وبذلك تكون الإنسانية متكاملة متوازنة فتستقر الحياة، وتحلو اللحظات، ويزول عنها أسباب القلق، فأنَّى للقلق أن يغزو الإنسان إذا صار مدركاً لأهمية التوازن في الحياة بين حاجات الروح والجسد؟ ولا يحقق هذا التوازن إلا المؤمن، ولذا فإنه يعيش حياة طيبة مطمئنة، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] بعكس الذي يقدم حاجات الجسد فإنه يختل ميزانه، وتختفي حدود إنسانيته فيدركه الشقاء، كالبقال الذي لا يملك ميزاناً يبيع به، وصاحب الأرض الذي لا يعرف حدود أرضه، قال - تعالى - : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

تقولون: قد عرفنا وسمعنا مراراً ما تقول؛ فاذكر لنا المخرج من هذا المأزق الذي نقع فيه دائماً، مع معرفتنا أهمية العناية بالروح وأنه سبب السعادة إلا أننا ننساق وراء الجسد فنشعر بخيبة الأمل والضيق يحاصرنا في كل مكان؛ فلا نحن الذين علمنا فسعدنا، ولا نحن الذين جهلنا فاعتذرنا بجهلنا!

فالجواب أن نقول: لا تُنال الثمرة بالأماني والأحلام، إنما تُنال بالعمل والجد والصدق؛ فنحن نعلم ونسمع دائماً مثل هذا الكلام، لكن من الذي يعمل له؟ إننا نريد أن يدخل الاطمئنان في قلوبنا والعيش الهنيء بمجرد أن نسمع ونعلم دون أن نعمل، وهذا خطأ، فلم يكن الإنسان ليبلغ الرزق بلا سعي، ولم يكن له أن يرزق الولد بلا زوجة، ولم يكن له ليُشفى من المرض بلا دواء، وكذا لم يكن له ليطمئن وينشرح صدره بلا عمل صالح وذكر دائم؛ فحاجات الروح كحاجات الجسد، وهل يستغني المرء عن الطعام يوماً؟ هل يستغني عن اللباس وقتاً؟ هل يستغني عن المسكن لحظة؟ كذلك لا يستغني عن الذكر والعمل الصالح؛ فهو محتاج إليه أعظم من حاجته إلى الطعام والماء واللباس والمسكن بل والهواء؛ فإن حاجات الجسد إذا امتنع منها فإن غاية ما في الأمر هلاك نفسه وبدنه، لكنه إذا امتنع من حاجات روحه خسر الدنيا والآخرة، وكان في جهنم معذباً لا يموت فيها ولا يحيا.

هذا العالم المادي بدأ يجمع ما تناثر منه في الحقبة الماضية ويعود إلى رشده بعد إلحاده ويقر بأن عبادة الله هي المنجاة من كل الأمراض الجسدية والروحية، وعلماء العالم الماديون يعقدون كل سنة اجتماعات مكثفة لدراسة تأثيرات العبادة والذكر على

البدن، ويخرجون بتوصيات تتفق مع ما جاء به الإسلام من أهمية العناية بالعبادة وخطورة الإغراق في الماديات؛ فهؤلاء أصحاب المادة والعلم المجرد والإلحاد يقولون هذا، رجعوا عن إلحادهم بعد أن ذاقوا ويلات مخالفة الطبيعة الكونية ومحاولة كسر الخلقة الربانية، وعرفوا أن الطريق الصحيح هو انسجام الجسد مع الروح لا طغيانه عليه؛ فهل نحن بحاجة إلى اعترافاتهم ليؤمن بعضنا بما جاء عن ربنا؟ نعم! فإن بعض المسلمين ـ وهذا ما يؤسف له ـ لا يؤمن ولا يطمئن إلى الحقائق الكونية والشرعية إلا إذا جاءت عن العالم الغربي المادي، وهذا نوع من الانهزامية والتبعية المقيتة التي تشكك في إيمان المسلم وتجعله عرضة للتقلبات، لكن الله ـ تعالى ـ يقول: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، فنحن نؤمن بما جاء عن الله ـ تعالى ـ على لسان رسول الله ﷺ ولو لم يأتنا دليل غيره، فما جاءنا عن الشرع كاف في حملنا على الاتباع؛ فثقتنا بربنا ـ سبحانه ـ وبرسول ربنا ﷺ أعظم من كل شيء.

ثم إننا ننبه إلى أمر هو غاية في الأهمية؛ فعندما نقول: إن العبادة تبعث على السعادة والطمأنينة لا نزعم أن الدنيا تصبح جنة كجنة الآخرة، ينتفي منها كل مظاهر الألم والحزن، لا، بل الذي ينتفي هو دوامه ولزومه.

أما الألم فهو موجود في الدنيا ولا بد؛ لأن الله ـ تعالى ـ خلق دارين: دار الدنيا وهي مزيج من الخير والشر، ودار الآخرة وهي إما خير محض وذلك في الجنة، وإما شر محض وذلك في النار، فما دمنا في الدنيا فلا بد إذن من الألم. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، لكن الفرق بين المؤمن والكافر أن المؤمن موعود بالثواب على الصبر، وعنده من العلم الإلهي ما يملأ نفسه صبراً ورضىً؛ فما من ألم يصيبه إلا ويكون كفارة له أو رفعاً لدرجته، ومهما صبر على المصائب فإنها تنقلب في حقه هي بذاتها نعمة لما كان محتسباً، يقول ﷺ: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا أذى ولا همٍّ ولا غمٍّ حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّر الله بها خطاياه»(١) وقال: «إن عظَمَ الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط...»(٢).

أعراض القلق:

لا يسلم الإنسان من الهموم؛ لأن الله خلقه على هذه الصفة، قال ﷺ: «أصدقها ـ يعني الأسماء ـ حارث وهمَّام»(٣) فهذان الوصفان ينطبقان على الإنسان، فهو حارث يسعى في رزقه، وهو همَّام يهتم لما يريده. والهموم على نوعين: هموم دنيوية، وهموم أخروية، فأشرفها الأخروية، ولا يمكن علاجها، وأما الدنيوية فيمكن علاجها، وهي إما أن تتعلق بالماضي أو الحاضر أو المستقبل، أما الهم المتعلق بالماضي فإن سببه الإخفاق في عمل ما، أو الألم من إساءة الآخرين، أو طلب الانتقام من المعتدين، أو الشعور بنكران الجميل من القريبين، وأما الهم المتعلق بالحاضر فإن سببه الشعور بالنقص في الذات، وعدم الثقة بالنفس.. وأما الهم المتعلق بالمستقبل فإن سببه الخوف من الإخفاق في عملٍ مَّا، والخوف على النفس من الأذى، وعلى الرزق من الضياع.. هذه أهم أسباب القلق، ومعرفة السبب أول العلاج.

فأما الهموم المتعلقة بالماضي: فعلاجها النسيان؛

(١) رواه البخاري، ح/٥٢١٠.
(٢) رواه الترمذي، ح/٢٣٢٠.
(٣) رواه أحمد، ح/١٨٥٨.

فالرجل الذكي هو من يعيش دقائق ساعاته دون أن ينبش ما في الماضي؛ فإن حوادث الإساءة والتعدي ونكران الجميل والإخفاق أمور شائعة في كل مجتمع لا نتخيل العالم بدونها؛ فإن الناس جائرون في أحكامهم إلا القليل، ومن النادر أن تجد من يعطي كل ذي حق حقه، ولذا فمن الخطأ أن نتوقع الإحسان من الإنسان في كل شيء؛ فالظلم والجهل غالبان، قال - تعالى - عن الإنسان: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ [الأحزاب: ٧٢] والكامل من غلبت حسناته سيئاته. إذا فهمنا هذه الحقيقة البشرية استرحنا من التألم من إساءة فلان أو ظلم فلان أو جحوده، ولو كانوا أقرباء أو أبناءً، وليس من الحكمة أن نشغل أوقاتنا وقلوبنا بطلب الانتقام ممن ظلمونا، فأوقاتنا أثمن من أن نضيعها في هذه الصغائر، ألا يكفي أننا أضعنا دقائقنا ونحن نستمع إلى إساءتهم؟ إن قلوبنا الغضة تتألم وتمرض وقد تموت إذا نحن سمحنا لأنفسنا بإعادة التفكير في المآسي الماضية، ولا يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغه الجاهل من نفسه، فالجاهل يهلك نفسه بما مضى، وعدوه في راحة مما هو فيه.. والإحسان إلى الناس عمل نبيل، ومن كان نبيلاً ينبغي له ألا ينتظر ممن أحسن إليهم شكراً أو ثواباً، بل ينتظر الثواب من الله تعالى ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨، ٩]، فالمنتظر ثوابه من الناس يرجع آسفاً متألماً، لكثرة الجاحدين، وقد لا يكونون جاحدين بل ناسين غافلين.

إن الرجل المثالي يفرح أن يحسن للآخرين، ويخجل من إحسان الناس إليه؛ لأن تقديم الإحسان علامة التفوق، أما تلقيه فهو دليل الفشل. والإخفاق من طبع البشر، فلماذا نتألم من حصوله؟ إن مخترع الكهرباء أجرى مئات التجارب ولم يفلح في واحدة منها قبل أن يصل إلى التجربة الناجحة، ولو أنه توقف عند أول تجربة منها لما اخترع المصباح؛ فليس الإخفاق عيباً بل العيب في اليأس، وليس صحيحاً أن نتوقع النجاح في كل عمل.

وأما الهموم الحاضرة: وهي المستمرة في الإنسان، المتعلقة به على الدوام، وهي في العادة تكون متعلقة بشخصيته، فعلاجها الثقة بالنفس. إن بعض الناس يشعرون بالنقص، وسبب هذا الشعور أشياء متعددة، كأن يكون المرء فيه عاهة، أو غريباً عن المجتمع في لونه أو جنسه، فيدفعه ذلك إلى التقيد أو الانزواء، وهذا خطأ يولد القلق، لماذا يستحي الإنسان من شيء لم تعمله يداه؟ إن الله - تعالى - لحكمةٍ مايز بين خلقه، وكل إنسان له عقل يستطيع أن يقدم الشيء الكثير لنفسه ولأمته، ولو كان فيه نقص في بدنه. كان عطاء بن أبي رباح عالماً لا يفتي في مكة غيرُه، وقد ذكروا أنه كان عبداً أسود دميم الخلقة جداً، لكن ذلك لم يمنعه من التطلع إلى المستقبل حتى بلغ أعلى مرتبة، حتى إن الخليفة جاء وجلس بين يديه كالتلميذ يتعلم منه، وقام وهو يوصي أولاده بالعلم، واليوم نسمع برجل مؤمن عظيم يقود شعباً بأكمله وهو مشلول، وليس فيه شيء يتحرك إلا لسانه، يقودهم؛ لأنه لم يلتفت يوماً إلى عاهته ونقص بدنه؛ فالإنسان في مقدوره أن يكون شيئاً عظيماً في كل الأحوال ما دام يملك هذا العقل. إن ٩٠٪ من شؤون حياتنا صحيحة، و١٠٪ فقط هي التي تحتاج إلى تصحيح، أليس من الخطأ أن نتجاهل هذه التسعين ونتنبه للعشرة؟

وأما الهموم المتعلقة بالمستقبل: فهي التي دافعها الخوف، الخوف من الإخفاق في العمل، والخوف على النفس من الأذى، والخوف على الرزق من الضياع، وعلاجها غرس الأمل والشجاعة في النفس، والتعلق بالرب جل شأنه. فلماذا نتوقع

الإخفاق؟ إذا أقبلنا على عملٍ ما فلنتفاءل؛ فالفأل من الرحمن، وهو حسن ظن برب العالمين، والتشاؤم من الشيطان، وهو سوء ظن برب العالمين، فإذا أخفقنا في أمر فلنجابه هذا الإخفاق بهدوء وضبط نفس، ولندخل العمل ونحن متفائلون نرجو أحسن النتائج؛ فإذا أخفقنا فلا بأس أن نسأل أنفسنا: ما هي أسوأ النتائج المترتبة على هذا الإخفاق؟ وما هي الحلول الممكنة؟ وكيف يمكن البدء بأفضلها؟ إن الإخفاق شيء متوقع في كل مهمة؛ ولذا يجب علينا أن نوطِّن النفس على تحمل النتائج السيئة فيما لو أخفقنا.

إن التفاؤل لا بد أن يكون رفيقنا، لكن يجب كذلك أن نتوقع الإخفاق ونهيئ أنفسنا لتقبل نتائجه، ونفكر بهدوء في أمثل الطرق التي تخفف من آثاره. إن أنجح الناس من يملك القدرة على أن يجعل المر حلواً، والإخفاق نجاحاً، وهو الذي يحتال على الأزمات فيخرج منها غانماً أو سالماً.. أما الخوف على النفس من أذى الناس فيكفي أن نعلم أن الأمور بيد الخالق، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧]، وأن الناس لا يبلغون أن يضروا أو ينفعوا ولو اجتمعوا على ذلك.. وأما الخوف على الرزق فهو خوف لا معنى له إذا علمنا أن كل إنسان لن يأخذ إلا ما قُدِّر له؛ وبدل أن يقلق الإنسان على رزقه كان ينبغي له أن يعد النعم التي يعيشها، فمهما سُلِبَ الإنسان من نعمة فقد أبقى الله له نعماً مقابلها كثيرة، فقط لننظر في أنفسنا جيداً، فإذا كان لدينا الماء الصافي والطعام الكافي واللباس الساتر والمسكن الذي يُكِنُّ فإن علينا أن ألاَّ نتذمر أبداً.

علاج القلق:

إن وسائل القضاء على القلق كثيرة ومن أهمها:

العمل؛ فالفراغ يولد الملل والقلق، والانشغال بأي عمل مفيد يقي الإنسان شر القلق، وإن خير عمل يُذْهِبُ القلق هو محاولة إسعاد الآخرين؛ فالذي يرسم البسمة على شفاه الآخرين يجد البسمة في قلبه. ولا ريب أن إيمان المسلم بالقضاء والقدر أكبر معين على تخطي حواجز الاكتئاب؛ فاسمعوا إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣]، فكل شيء مكتوب مقضي مقدر، فلماذا الجزع والهلع؟ يقول رسول الله ﷺ: «قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»(١). هذه العقيدة إذا رسخت في النفس فإن الأثر هو ما بيَّنه القرآن الكريم: عدم الأسى على ما مضى، وعدم الفرح بما يحصل، وإذا انضمت إلى هذه العقيدة ـ عقيدة الإيمان باليوم الآخر ـ فإنه لا يبقى للقلق مكان في النفس؛ فإن الإيمان باليوم الآخر يورث الإنسان الرضا بما يصيبه ابتغاء ثواب الآخرة، فإن لم يكن الرضا فالصبر، والصبر مانع من القلق والملل.. **ومن أعظم مُذهبات القلق**: توحيد الله وعدم الشرك به؛ فالمشرك هو أعظم الناس قلقاً؛ ولذا فإن الانتحار في المشركين كثير، وكلما عظم التوحيد تصاغر القلق، وكلما قلَّ التوحيد زاد القلق، ومن هنا نفهم لماذا كانت: لا إله إلا الله، هي دعوات المكروب؟ لأن القلق من الشيطان، وكلمة التوحيد تطرد الشيطان، وفي ذلك زوال القلق. يقول ﷺ: «دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت»(٢). وعن أسماء بنت عميس قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أعلمك كلمات تقوليهن عند

(١) رواه مسلم، ح/٤٧٩٧.

(٢) رواه أبو داود، ح/٤٤٢٦.

الكرب - أو في الكرب - الله الله ربي لا أشرك به شيئاً»[1]، وقال ﷺ: «دعوة أخي ذي النون؛ إذ دعا وهو في بطن الحوت: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ [الأنبياء: ٨٧]، لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب له»[2]، وكان إذا أكربه أمر قال: «يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث»[3].

وما سبب كثرة القلق بين المسلمين اليوم إلا ضعف توحيدهم، وسبب ضعف توحيدهم كثرة معاصيهم وجهلهم بأمور التوحيد، لكنهم لا يقرون بهذا الجهل؛ فالكثير يزعم أنه يعرف أمور التوحيد التي تقيه من الشرك، لا لأنه تعلمها، لا، بل لأنه نشأ بين أبوين مسلمين، في بلاد المسلمين، وكأن النشوء في بلاد المسلمين يهب الإنسان علماً! وما هذا إلا تلبيس الشيطان، ولو أجرينا اختباراً بسيطاً في أمور التوحيد وأمور الشرك لهؤلاء المتعالمين لوجدناهم أجهل الناس بما زعموا أنهم به عالمون؛ إذ التوحيد لا ينال إلا بالتعلم والعمل؛ فمن علم وعمل واجتنب المعاصي استراح من القلق.

إن أعظم وسيلة للشفاء من القلق هو الإيمان بالله، والمؤمن الحقيقي لا يصاب بالقلق، وآلاف من البشر المعذبين بين أيديهم الشفاء لو أنهم تطلعوا إلى رحمة الله بدلاً من أن يخوضوا معارك الحياة بمفردهم.

أما الهموم الأخروية فهي التي تتعلق بما يتعرض له الإنسان بعد الموت من عذاب القبر وأهوال القيامة وأحوال الجنة والنار؛ فهذه الأمور لا ريب أنها مقلقة ولا مخرج منها؛ فكيف للإنسان أن يسلم من الموت أو من أحوال القبر أو أهوال القيامة؟ إما إلى جنة أو إلى نار؟ يقول - تعالى -: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ① يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ [الحج: ١، ٢]، وقد كان ﷺ يسأل الله الجنة، ويستعيذ به من عذاب النار وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال في كل صلاة.

إن هموم الدنيا بمقدورنا أن نتغلب عليها، أما هموم الآخرة فمن المحال أن نتغلب عليها؛ لأنها آتية واقعة لا محالة: ﴿فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾ [الذاريات: ٢٣]، والتهرب منها نقص في العقل؛ فإن من تعامى عن هموم الآخرة يسيء إلى نفسه مرتين: المرة الأولى بتغافله عن الحقيقة، والثانية أنه يبعد عن نفسه سبباً هاماً من أسباب علاج القلق، وبيان ذلك: أن همّ الآخرة يدفع الإنسان إلى العمل الصالح والتوقف عن العمل السيئ الذي هو سبب الشقاء. إذاً هموم الآخرة هي بذاتها تزيل الهموم، وهذا من أعجب الأمور.. هموم تزيل هموماً؟ نعم! إذا صار الإنسان لا يهتم إلا لآخرته، ويخاف من الخسران ومن النيران، فإنه سيقصر عن المعاصي التي هي من أهم أسباب الاكتئاب، وهو بذلك يستريح من السبب الأعظم المسبب للقلق، وفوق ذلك، فإن من جعل الآخرة همه كفاه الله هم الدنيا والآخرة، قال ﷺ: «من كانت همّه الآخرة، جمع الله له شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا راغمة، ومن كانت همه الدنيا، فرّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له»[4].

وقد كان السلف - رحمهم الله - كثيراً ما يهتمون

---

(١) رواه أبو داود، ح/١٣٠٤.

(٢) رواه الترمذي، ح/٣٤٢٧.

(٣) رواه الترمذي، ح/٣٤٤٦.

(٤) رواه ابن ماجة، ح/٤٥٩٥.



لأمر آخرتهم، ولا يهتمون لشيء من أمر الدنيا، حتى كان منهم من يبول الدم خوفاً من الله، ومنهم من يصفرُّ لونه إذا قام يتوضأ، بين جباههم كأمثال رُكَب المعزَى من طول السجود، يعلوهم حزن عميق، وعيونهم تنهمر على الدوام؛ فهذا أبو بكر - رضي الله عنه - كان كثير البكاء، وعمر - رضي الله عنه - في وجهه خطان أسودان كشراك النعل من أثر البكاء، وكان منهم من إذا ذكر الموت انتفض كما ينتفض الطير، وبعضهم إذا أوى إلى فراشه تقلب وتأوه، لا يأتيه النوم من ذكره للنار، وقد عُرِض بول الإمام أحمد حين مرضه على طبيب فقال الطبيب: «هذا رجل قد فتت الغم والحزن جوفه»(١).

القلق كما ورد في القرآن:

والقرآن الكريم يصور حال هؤلاء القلقين في معرض المدح لهم، قال - تعالى -: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، وقال - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المعارج: ٢٧]، إذاً فقد كانوا يقلقون ويهتمون، لكن شتان بين من يهتم لآخرته، وبين من يهتم لدنياه؛ فالأول عبد لله حقاً، والآخر عبد لنفسه، عبد للدرهم والدينار، عبد للخميصة والخميلة، إن أُعطي رضي، وإن لم يُعط سخط: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٤].

كذلك من أنواع الهموم الأخروية همُّ الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فكل من سلك سبيل الدعوة فلا بد أن يقلق ويغتم؛ لأنه يدعو الناس إلى أمرٍ أكثرهم معرضون عنه، فهو يحزن لأجل إعراضهم، وهو يتألم لأذاهم، وهو يخاف على مستقبل الدعوة، وقد كان الأنبياء يعانون من هذا النوع من القلق أكثر من غيرهم؛ لأن حياتهم كلها كانت في سبيل الله، وكل همهم كان في إصلاح الناس، ولنتصور مقدار معاناة بعضهم حين يبذل وقته ونفسه وماله وأهله من أجل دعوة قومه ثم لا يؤمن له إلا القليل، بل بعضهم لا يجد من يؤمن له، قال ﷺ: «عُرِضَتْ عليَّ الأمم، فرأيت النبيَّ ومعه الرهط، والنبيَّ ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد»(٢)، ونوح - عليه الصلاة والسلام - يمكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، ثم إذا ركب السفينة لم يركب معه إلا القليل: ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]. إن قلق الأنبياء كان شديداً للغاية، وقد صوَّر القرآن لنا كثيراً من أوجه هذه المعاناة التي كانت تطوف بنبينا الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - قال - تعالى -: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣ - ٣٦]، وقال - تعالى -: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦]، أي مهلك نفسك حزناً عليهم، فمن شدة ما يصيبه من ألم وقلق بسبب إعراض قومه كاد يهم ويترك بعض ما يدعوهم إليه خشية أن يكذبوه، قال - تعالى -: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ

(١) سير أعلام النبلاء، ١١/٣٣٦.

(٢) رواه البخاري، ح/٥٣١١.

مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود: ١٢]، لكن القرآن كان يخفف عنه، ويدعوه إلى التقليل من الحزن والأسف. يقول الله ـ تعالى ـ لنبيه ﷺ: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [فاطر: ٨]، ويقول ـ سبحانه ـ: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧]، وكم من آية في القرآن تبين للرسول الكريم أن مهمته البلاغ لا الهداية: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]، ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: ٤٨]، وكم من قصة قصها الله في القرآن من أخبار الأولين من أنبياء ومرسلين تسلية له على ما كان يصيبه من حزن وقلق جراء تكذيب قومه له، والله يذكِّره أنه ليس بدعة في هذا الأمر، ويعده بالغنيمة والفتح القريب، ويذكر له أنواع النصر الذي أنزله على المؤمنين:

﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١٠، ١١١]

علماؤنا والموقف من القلق:

إن موضوع القلق كان محل عناية العلماء؛ فقد اعتنى بعضهم بجمع الآثار التي تسلي الإنسان وتذهب همومه، نجد ذلك في كتب الأذكار كالأذكار للنووي، وبعضهم أفرده بكتاب خاص، كتاب: «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» و«الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» لابن القيم، وبعضهم أفرد بعض أسباب القلق بمؤلف خاص مثل كتاب: «برد الأكباد عند فقد الأولاد» لمحمد بن ناصر الدين الدمشقي، ومن الكتب التي اعتنت بعلاج القلق كتاب: «دع القلق وابدأ الحياة» للمؤلف الأمريكي دايل كارنيجي(*)، وهو كتاب جيد في الجملة، اعتنى بالطرق العلمية والعملية لعلاج القلق، وهي طرق استفادها من تجاربه الخاصة وتجارب غيره في الحياة، لكنَّ في الكتاب عيباً لا يخفى على مسلم، هو أن مؤلفه كافر، وقد قلنا إن أساس الانشراح هو التوحيد، وأساس القلق هو الشرك والكفر؛ فكيف لكافر أن يخط للناس طريق السعادة؟! هذا مستحيل، فهذا الكاتب حشد في كتابه عشرات القصص والتجارب الحقيقية المفيدة لعلاج القلق، إلا أن كل تلك العلاجات كانت أشبه ما يكون بالمخدر الموضعي الذي يطغى على الألم بقوته لكنه لا يعالج المرض، فإذا زال أثر التخدير عاد الألم، وهكذا كان يفعل هذا المؤلف، فكل آرائه ونصائحه في علاج القلق كانت سطحية خالية من العلاج الناجع القاطع لأسباب القلق. ولعلكم لا تستغربون بعد هذا أن تعلموا أن هذا المؤلف الذي كتب كتابه هذا الذي يدعو فيه إلى التفاؤل والأمل قد مات منتحراً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، فأي طريق لعلاج القلق مهما كان جميلاً وتجربة صحيحة فإنه يبقى علاجاً مؤقتاً ما لم يخالطه الإيمان بالله والتحلي بدين الإسلام. والمسلم هو أوْلى من يتصدى لهداية البشر إلى السعادة ونبذ القلق؛ فأين هو عن هذه المهمة النبيلة التي هي من أهم الواجبات المنوطة به؟ تلك هي أهم أسباب القلق وأنواعه وعلاجه، أرجو أن أكون وُفِّقت فيما قدمت وبينت، والحمد لله رب العالمين.

(*) للشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ كتاب قيم بعنوان: (جدد حياتك) من خيرة ما ألف وهو قراءة جديدة وإعادة لما كتبه (كارنيجي) في كتابه المذكور لأصوله الإسلامية، وهو كتاب جيد في بابه.



الإبداعية الجماعية

(٢-٢)

بقلم: جان كلود أبريك ترجمة: محمد بلحسن
راجع ترجمته وقدَّم له وعلَّق عليه: د. محمد أمحزون

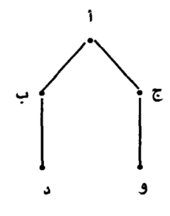
في الحلقة الماضية مهد الكاتب لمراجعته بالإشارة إلى تقدم الغربيين في «علم النفس الاجتماعي» وما هي الجوانب التي يهتم بها هذا العلم. ثم تطرق إلى مقدمة المؤلف التي تحدثت عن اهتمام علم النفس بالإبداع، وبين ماهية الجماعة التي تفضل التغيير، ثم الجماعة التي تفضل المخاطرة، وألمح إلى عدم تجانس الجماعة وأثره في الإبداعية، وانتقل إلى الكلام عن الزعامة والإبداعية، فتحدث عن الزعيم المستبد، وعن الزعيم الشوري، والزعيم الاسمي، ثم بين أنه إذا كان هدف الجماعة هو الإبداعية فالقيادة الشورية هي الأكثر إنتاجاً وعطاءاً، وفي هذه الحلقة يتابع الكاتب مراجعته القيمة. **ـ البيان ـ**

مهمة وإبداعية الجماعات:

الأبحاث التي سوف نعرضها الآن تدرس جميع العلاقات التي تجمع بين «طبيعة المهمة» المنجزة من طرف الجماعة و«السلوك الاجتماعي والشعوري والإداري» لهذه الأخيرة، ويتبيّن من خلال الأبحاث أن ظاهرة الجماعات محدّدة مباشرة بأربعة أنظمة معادلة، سوف ندرسها على التوالي:

(أ) تلاؤم «نموذج المهمة» مع «شبكة الاتصال» فلامون (Flament) ١٩٦٥م:

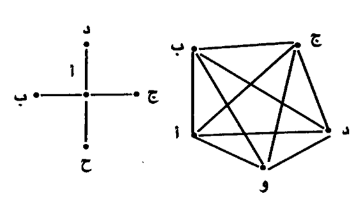
تعني «شبكة الاتصال» مجموع الإمكانيات الحقيقية للاتصال بين أفراد جماعة ما، ويمكن تقديمها على الشكل الآتي:



الرسم رقم (١)

(١) الرسم رقم (١) يمثل شبكة اتصال ذات سلطة هرمية، تصدر الأوامر، وتقوم عناصر الجماعة بتنفيذها.





الرسم رقم (٢) الرسم رقم (٣)

أمثلة لشبكات الاتصال

إن عدداً كبيراً من الأبحاث المنجزة في الولايات المتحدة في سنوات الخمسينيات أظهرت كيف أن قدرة جماعة على التنافس، ونوع الزعيم، والاتصالات: هي محدَّدة بواسطة شبكة الاتصالات المفروضة على الجماعة. وتبدو النتائج متناقضة: لأن الشبكة المركزية تظهر أحياناً عنصراً مسهلاً، وأحياناً مشوشاً على كفاءة الجماعة.

ويرجع الفضل لفلامون في إزالة كل هذه التناقضات بإدخال مفهوم جديد لدراسة الجماعات: وهو: «نموذج المهمة».

فنموذج المهمة أُنجز بواسطة تحليل منطقي رياضي لتطوير الاتصالات الضرورية لإنجازات اجتماعية أفضل: فهو مجموع الاتصالات الصغيرة الضرورية، مع الأخذ بعين الاعتبار طبيعة المهمة. وأظهر فلامون أن كفاءة الجماعة وقدرتها على التنافس تكون أفضل عندما يكون هناك تماثل أو تطابق بين شبكة الاتصالات ونموذج المهمة. وبمعنى آخر: فشبكة الاتصالات ليست لها مميزات خاصة، وينبغي أن ترتبط دائماً بنوع المهمة المنجزة[٣]؛ فهذا هو نظام الملاءمة الأول الذي يدير ظاهرة الجماعات: تلاؤم أو تطابق «نموذج المهمة» مع «شبكة الاتصال».

(ب) تلاؤم طبيعة المهمة مع بنية الجماعة:

سوف يتحول اهتمام موسكوفيسي وفوشو (Foucheax / Moocovici) عن دراسة شبكات التواصل لينصبَّ على تحليل العلاقات الرابطة «لبنية الجماعة»[٤] وطبيعة التواصل الفعلي المتبادل داخل الجماعة.

والجماعات التي تمَّ انتقاؤها للاختبار تضم كل واحدة منها أربعة أفراد، تواجه على التوالي مهمتين نوعيتين:

* **أشكال أولر (Euler)**: نعرض للأفراد ألواحاً بها أشكال رسمت من خلال تقاطع خطوط وأعمدة، وهي عبارة عن مربعات منسقة. نجد في كل خانة حرفاً (أ، ب، ج) ورقماً (١، ٢، ٣، ٤)، علماً بأنه لا يسمح بتكرار نفس الحرف ونفس الرقم على الخط الواحد والعمود الواحد، وأن التوفيقات (أ ١، ب ٢، د ٣، ج ٤) غير جائزة. يطالب الأفراد باكتشاف التوفيقات: س (x) من أجل ملء الخانات. وهذه المهمة تفرض استعمال حساب رياضي من أجل بلوغ حلّ يقدّم جواباً صحيحاً واحداً.

* **أشجار ريجي (Riguet)**: المطلوب من الأفراد تركيب سبعة عيدان بطريقة تمكّن من الحصول على أشكال مختلفة، يختلف كل شكل عن آخر إذا تمَّ

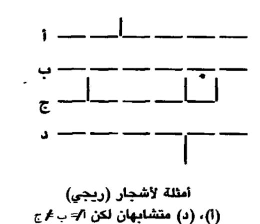
(١) الرسم رقم (٢): يمثل شبكة اتصال متفاعلة وإيجابية؛ إذ يقوم عناصر الجماعة بالاتصال بعضهم ببعض، مما يساهم في تفعيل العلاقات بينهم وإغنائها، وإذكاء روح الإبداع لديهم.

(٢) الرسم رقم (٣): يمثل شبكة اتصال مركزية؛ إذ يقوم المركز وحده بدور الاتصال بالأطراف.

(٣) يعني ذلك أن تكون شبكة الاتصال التي تتكون منها عناصر الجماعة متفاعلة فيما بينها ومنسجمة، ومدركة تماماً لطبيعة المهمة المنوطة بها وأبعادها.

(٤) العناصر التي تتركب منها الجماعة.

تركيبه بطريقة لا تفضي بعد دورانه إلى شكل تمّ اقتراحه. وباستثناء البنيات المغلقة نستطيع تركيب ٢٣ شكلاً مختلفاً فقط. وهذه المهمة بالغة التعقيد عن سابقتها، إلى حدّ أنه لم تكشف الطريقة السليمة لاستخراج جميع الأشكال، ولذلك فهي توجب استحضار سلسلة من الاستنتاجات والابتكارات.



أمثلة لأشجار (ريجي)

(أ)، (د) متشابهان لكن أ≠ ب ≠ ج

	د(٢)		
ج(٤)	؟	د(١)	أ(١)
	ج(١)		
	أ(٤)		

مثال لأشكال أولر

الحل الصحيح: ب (٣)

شكل رقم (٢) المهمتان المستعملتان من طرف مسكوفيسي وفوشو.

تتطلب المهمتان من أفراد الجماعة سلوكيات معينة وخاصة؛ إذ يفترض لتأدية مهمة «حلّ المسألة» إيجاد تنظيم وتنسيق بين أفراد الجماعة؛ وذلك لما تفرضه هذه المهمة من وضع استراتيجية مشتركة بين العاملين، في حين أن المحاولات الفردية المبذولة لتأدية مهمة الإبداعية، والتي لا تخضع لتنسيق سابق بين أعضاء الجماعة لا تعيق سير العمل من بلوغ الأهداف المرسومة، بل على العكس، فإن هذا النهج هو المطلوب في هذه الحالة شريطة أن يتم تصويب هذه الاجتهادات الفردية وضبطها فيما بعد من طرف الجماعة ككل.

تختلف إذن كل من الضغوط والضرورات الإدراكية(١) للمهمة اختلافاً جذرياً، ولهذا يفترض الباحثون أن الضغوط التي تمارسها المهمة هي المحددة الفعلية لدينامية (حركية) الجماعة. «على أنه توجد علاقات متكافئة بين كل من «طبيعة المهمة» و«بنية التواصل» داخل الجماعة، ومدى قدرة الأخيرة على «حل المسألة». وتؤكد النتائج هذه الفرضيات (انظر الجدول رقم ٢ أدناه).

الجدول رقم ٢ : النتائج الأساسية لتجربة موسكوفيسي وفوتشو.

إبداعية	مسألة
٣٧	٤٥
٦٠	١٩

وتيرة النجاح

	إبداعية	مسألة
بنية مركزية	٣٣ (٤)	٦٦ (٨)
بنية غير مركزية	٦٦ (٨)	٣٣ (٤)

بنيات الجماعات المحصل عليها

(١) مجموع الخصائص المحددة للمهمة.

نستنتج فعلاً أن مهمة «حلّ المسألة» تشجع على ظهور بنية مركزية للجماعة، بالمقابل فإن «مهمة الإبداعية» تقود نحو إفراز جماعات ذات بنيات متجانسة؛ بمعنى أن كلّ الأفراد متكافئون، ولا توجد أية تراتبية هرمية تجدد عطاءاتهم وإنتاجاتهم.

فضلاً عن ذلك، فإن عطاء الجماعة يكون أحسن إذا ما تبنّت هذه الأخيرة علاقات تواصلية ذات بنية تلائم نوعية المهمة: «بنية مركزية»(١) عندما يخصّ الأمر مهمة «حل مسألة». و«بنية غير مركزية»(٢) في حالة مهمة «الإبداعية».

وعلاوة على ذلك، فإن كل نوع من المهمات ينتج نوعاً خاصاً من التواصل داخل الجماعة: «تواصل خطابي» موجه لجموع أفراد الجماعة، ويحتوي أساساً على معلومات في حالة مهمة تستوجب إيجاد حلول لمسألة معينة. «تواصل متبادل» يشمل مجموع أفراد الجماعة ويتبنى توجهاً نقدياً في حالة الإبداعية.

أخيراً نستنتج أن الجماعات من أجل تحسين مستوى عطاءاتها، تغير بنيتها (تركيبتها) التواصلية بمجرد إنجازها للمهمة الأولى، وذلك لتتلاءم مع طبيعة الضغوط التي تفرزها المهمة اللاحقة.

على أن مجموع هذه النتائج يبيّن: أن طبيعة المهمة هي المحدد الفعلي والحقيقي لبنيان الجماعات، وكذا طبيعة التواصل المطلوب بين الأعضاء ونوعيته، وأن إنتاج الجماعة وعطاءها يصبح فعلياً وأكثر حضوراً على مستوى الواقع إذا ما استطاعت الجماعة اتخاذ بنية (تركيبة) تماثل (تكافئ) بنية المهمة(٣).

وهكذا فإن مستوى إنتاج الجماعة يتحدد فعلاً من خلال نظام كامل للتلاؤم: تلاؤم «طبيعة المهمة» و«بنية التواصل» داخل الجماعة.

(ج) تلاؤم طبيعة المهمة مع البنية الاجتماعية للجماعة تتميماً للتحليلات السابقة:

عملت أبحاث بواتو وفلامون: على دراسة التفاعل الحاصل بين البنية الاجتماعية للجماعة - التي تم تحديدها من خلال الاختبارات المعيارية(٤) للعلاقات الاجتماعية، وكذا الاختلافات الوظيفية لأعضاء الجماعة - وطبيعة نموذج المهمة. ولن نعرض هنا تفاصيل الترتيبات التجريبية، وكذا تفاصيل المهمة: كونها بالغة التعقيد، وسنكتفي فقط بالإشارة إلى أن الجماعات: تضم كل واحدة منها ثلاثة أفراد تربطهم علاقة تراتبية (هرمية).

وتختلف كل جماعة عن الأخرى، من حيث طبيعة بنيتها الاجتماعية.

تقوم الفرضية العامة التي قدّمها الباحثون والتي تم التحقق منها على مستوى التجربة من افتراض أن الجماعات تكون أكثر عطاءاً بشكل ملحوظ عندما تتلاءم بنيتها الاجتماعية مع طبيعة نموذج المهمة، مما يدفعنا إلى استنتاج وجود ما يسمى: «مبدأ التلاؤم الوظيفي الرابط لبنية المهمة مع البنية الاجتماعية للجماعة».

ولهذا فإن كل جماعة ترغب أن تكون منتجة ومعطاءة، يجب عليها أن تتوفر على بنية اجتماعية معينة ملائمة لطبيعة المهمات المنوطة بها. وبالإضافة إلى ذلك فإنّ التلاؤم الحاصل بين الجماعة وطبيعة المهمة يعمل على تقوية العلاقات بين أفراد الجماعة كلهم.

وبهذا يمكن البرهنة على النظام الثالث للتلاؤم، والذي يربط طبيعة المهمة بالبنية الاجتماعية للجماعة.

---

(١) بنية هرمية تعمل على توجيه المعلومات من القيادة إلى القاعدة.

(٢) بنية متجانسة، بمعنى أن جميع الأفراد متكافئون وظيفياً داخل الجماعة.

(٣، ٤) القياسية.

خلاصة: إن معرفة العوامل الموضوعية الخاصة بالجماعة: شبكة العلاقات، والبنية الاجتماعية للجماعة، وكذا طبيعة المهمة المراد إنجازها - تسمح بالإحاطة معرفياً بالديناميكية[1] الاجتماعية والتصورية للجماعة والتنبؤ بمسيرتها ونموها.

(د) تلاؤم تصور المهمة مع طبيعة المهمة:

يمكن تعريف تصور المهمة (البعد الرمزي) على أساس أنه «نظرية أو نسق من الافتراضات ينتجه أفراد الجماعة حول طبيعة المهمة، غايتها، الوسائل الكفيلة لإنجازها، وكذا مجموع السلوكيات الضرورية من أجل بلوغ حد مُرضٍ من الفعالية والحضور على مستوى الواقع».

تتكون الجماعة المتحنة من أربعة أفراد، يطلب منها القيام بإحدى مهمتي فوشو وموسكوفيسي (Faucheux - Mascovice): الأولى مهمة «حل المسألة» (أشكال أولر Euler) والثانية: مهمة الإبداعية (أشجار ريجي Riguet).

يعمل المُخْتبر أثناء كل مهمة من المهمتين على تمرير تصورين مختلفين، وذلك عبر استمارات مستقرئة ومسهلة لتداعي الأفكار:

- تصور المهمة: يقال لعناصر الجماعة من أجل حثهم على تصور المهام موضوع الاختبار: إن هذه الأخيرة ترتكز على الاستنباط: المنهج والتفكير الدقيق.
- تصور الإبداعية: حيث يبدو لأفراد الجماعة أن المهمة تعتمد على الإبداع: الجدّة والابتكار.

وتُظهر الفرضيات الأساسية للبحث، والتي تم التحقق منها على مستوى التجربة استنتاجين:

- يحدّد تصور المهمة درجة فعالية (عطاء) الجماعة؛ إذ إن تصورين مختلفين لنفس المهمة يؤديان إلى بروز درجتين من الفعالية.
- تصل فعالية الجماعة حدودها القصوى في حالات تلاؤم «تصور المهمة» مع «طبيعة المهمة»، (انظر الجدول رقم (٣) أدناه).

طبيعة المهمة

تصور المهمة	إبداعية	مسالة
مسالة	١٩,١	١٣,٥
إبداعية	٢٠,٣	١١,٤

سقف النقاط:
- ٢٠ للمسألة.
- ٢٣ للإبداعية.

الشكل رقم (٣)

إن «تصور المهمة» يحدد السياق الحركي للجماعة؛ إذ يشجع على ظهور نشاط المراقبة بين المستويات المكونة لهرمية الجماعة: «طبيعة المهمة» التي تستوجب ضرورة تكوين بنيات تواصلية هرمية، في حين تشجع «مهمة الإبداعية» عناصر الجماعة على الإنتاج المتنوع والأكثر حدة.

فالتصور يحدد إذن نوع النشاط الذي سوف يسيطر على الجماعة، والذي يدفع هذه الأخيرة إلى تحقيق إنجازات معينة.

وإجمالاً، تعمل مجموع هذه النتائج على إبراز نظام رابع للتلاؤم يسهم في تسيير ظاهرة الجماعة؛ فتصل الجماعة حدوداً قصوى من العطاء والفاعلية عندما يتحقق التلاؤم بين تصور المهمة وطبيعة المهمة.

تقييم تنافس وإبداعية الجماعات:

إذا كان التوجه السائد في علم النفس الاجتماعي هو أن تقييم الجماعات يوقف إبداعيتها، فإنه من الثابت أن القليل من نتائج التجارب يساند هذا الرأي. وفيما يتعلق بنتائج المسابقات المنظمة بين عناصر الجماعة الواحدة أو فيما بين الجماعات، فلا يبدو أنه بإمكاننا أن نستنبط من هذه النتائج

(١) مجموعة القوانين التي تحدّد سلوكيات جماعة معينة، مستندة إلى نظام ترابطي بين أعضائها، وتعنى بدراسة الدور الذي تلعبه هذه القوانين في التواصل، واتخاذ القرارات والإبداعية داخل الجماعة.

المتعارضة المحصل عليها إلى الآن توجهاً ما أو خلاصات متماسكة.

ومن وراء لفظة «إبداعية» يبرز مشكل إضافي ناتج عن إمكانية دراسة ظواهر ذات طبيعة مختلفة أو أبعاد مختلفة لنفس الظاهرة. غير أنه يبدو جلياً أن هذه المتغيرات ـ سياق التقييم، سياق التنافس ـ بإمكانها أن تؤثر بكيفية مميزة على مختلف مكونات النهج الإبداعي. ويبدو لنا أن التجربة الحديثة نسبياً التي قام بها جلوفر (Glover) سنة ١٩٧٩م توضح وتبرهن بما فيه الكفاية على صحة هذا الرأي.

وتدرس هذه التجربة النتائج الخاصة بثلاث حالات للجماعة:

ـ حالة تأخذ بعين الاعتبار قدرات الجماعة على التنافس من خلال سياق التقييم والتنافس بين الجماعات.

ـ حالة تأخذ بعين الاعتبار قدرات الفرد على التنافس من خلال سياق التقييم والتنافس بين عناصر الجماعة الواحدة.

ـ حالة تغيّب أهمية قدرات الفرد أو الجماعة على التنافس، وكذا كل تقييم أو تنافس بين عناصر الجماعة الواحدة أو فيما بين الجماعات.

تقسم الموضوعات على جماعات من ستة أفراد؛ وعليها أن تحقق مهمة متبعة من خلال اختبارات الإبداعية: أي إيجاد كل الاستعمالات الممكنة لمعطيات معلومة.

في مرحلة أولى: تشتغل جميع الجماعات في نفس السياق غير الخاضع لعمليتي التقييم والتنافسية. وفي مرحلة ثانية: يقوم المشرف على التجربة بإدراج التعليمات المصوغة للشروط التجريبية الثلاثة.

وتكمن أهمية عمل جلوفر في كون اهتمامه لن يرتكز على النتائج الخاصة المحصّل عليها من لدن الجماعات، بل على النتائج المحصل عليها من خلال أربعة أبعاد مختلفة لهذا الناتج.

ـ في حالة السلاسة: يكون عدد الأجوبة مختلفاً.

ـ في حالة المرونة: يكون عدد الأجوبة النموذجية مختلفاً.

ـ غنى الإعداد: أي مدى القدرة على إغناء الجواب.

ـ الأصالة: وتحدّد من خلال عدد الأجوبة النوعية أو المتفرّدة.

هذا وتبيّن النتائج أن كل سياق له تأثير خاص على مختلف الأبعاد الإدراكية للمهمة (انظر الجدول رقم (٤) أدناه).

الوضعيات	نوعية الخصائص			
	السلاسة	المرونة	غنى الإعداد	الأصالة
التقييم التنافسي: التركيز على الجماعة	+ +	+ +	-	-
التقييم التنافسي: التركيز على الفرد	+	+	-	-
عدم التقييم - عدم التنافس	-	-	+	+

الجدول رقم (٤) نوعية الخصائص التي توصل إليها جلوفر ١٩٧٩م

ـ يساعد السياق غير الخاضع للتقييم والتنافس على الإثراء والابتكار المتعلقين بإنتاج الجماعة غير أنه يقلّص من سلاسته ومرونته.

ـ يساعد السياق «التقييمي ـ التنافسي» على سلاسة الجماعة ومرونتها، إلا أنه يحول دون إثراء إعدادها وأصالتها.

ـ يؤدي التركيز على الجماعة في الوضعيتين: التنافسية والتقييمية إلى حصول السلاسة والمرونة الإدراكية أكثر مما يتم الحصول عليه عند التركيز على أفراد الجماعة؛ في حين لا يؤثر ذلك على تطور الإعداد والأصالة لديها.

وتبدو لنا هذه النتائج ذات أهمية بالغة إذا ما أكدتها أبحاث أخرى؛ ذلك أنها ستسمح باستنباط تحليل جديد لإبداعية الجماعات، حيث سيلعب تحليل النظم الإدراكية الذي تمّ استعماله في الإبداعية دوراً حاسماً، كما سيسمح عند الاقتضاء بتفسير التناقضات الملموسة بين بعض النتائج.

مناهج وتقنيات الإبداعية في إطار الجماعات:

لنترك الأبحاث التجريبية جانباً، ونتطرق للإبداعية في مظهرها الآخر: إبداعية مجموعة من المناهج المعدّة لتحديد قدرات كل فرد، لابتكار حلول جديدة... وبمغادرتنا المختبر وعالمه القاتم، سنلج عالم التعبير العفوي والتحرري؛ حيث تبدو البشاشة والضحك والفكاهة ورفض الآراء ـ شروطاً لازمة وضرورية لتطوير الإبداعية.

ومهما كانت تقنيات الإبداعية، فإنها تسعى فعلاً إلى تحقيق هدف واحد هو رفع الضغوط العاطفية والاجتماعية أو الإدراكية التي تعمل على تقييد الخيال الإبداعي.

ونجد من بين أهم عوائق الإبداعية:

ـ التقاليد والعادات الفردية والجماعية[1]: يجب إذاً الحد من كل مقاومة تعرقل التغيير.

ـ السلطة وثقل الأنظمة والبيانات: يجب العمل على إزاحة الخضوع للسلطة؛ سواء كانت سلطة رئيس أو سلطة خبير[2].

ـ عالم الضوابط الاجتماعية والإدراكية: يجب التغلب على الامتثالية[3] والتماثل[4].

ـ العقل: أطره وحدوده وقواعد عمله: يجب الانسلاخ عن السلوك العقلاني أو تعليقه أثناء مراحل الإبداع[5].

ومن أجل رفع هذه العراقيل تم إعداد حالات مختلفة تسعى جميعها إلى تحقيق الهدف نفسه: ألا وهو تحرير العفوية التي تُعتبر أساس الفكر الإبداعي. ومن ثم تبدو أهمية هذا المناخ الودي، واستعمال كل وسائل الإثارة الفكرية والعاطفية التي تهدف إلى استرجاع أو خلق وضع ونظرة جديدة إلى الأشياء والأفكار المقبولة على العموم، وليس بإمكاننا طبعاً تقديم كل هذه التقنيات في إطار هذا البحث، غير أن معظمها لا يشكل سوى متغيرات للمناهج الأربعة التي آثرنا تقديمها لاحقاً.

---

(١) عندما تكون سلبية وجامدة، وخاضعة للأمزجة والأهواء، وتعيق توظيف الطاقات المبدعة لدى الأفراد والجماعات. فالإسلام لم يلغ جميع الأعراف والعادات الجاهلية، وإنما ألغى منها ما كان مخالفاً للفطرة والحق.

(٢) يعني تعويض مفهوم السلطة والزعيم بالمنشط والمنظم، لتطوير الإبداعية وتفجير الطاقات الكامنة.

(٣) إنتاج سلوك مشترك ومتشابه لدى مجموع من الأفراد.

(٤) النمطية والتشابه في الأفكار.

(٥) يقصد هنا إطلاق العنان للخيال والتفكير الخصب، وذلك بغية توليد الأفكار؛ إذ كلما زاد عدد الأفكار المقترحة من أعضاء الجماعة زاد احتمال بلوغ قدر أكبر من الأفكار الأصيلة أو المعينة على الحل المبدع للمشكلات.

١ـ تحفيز الإبداع (Lebrainstarming) والتقنيات المشتقة عنه:

«تحفيز الإبداع» تقنية نشيطة، عرف وما زال يعرف نجاحاً هائلاً، ضبطه منذ ١٩٣٨م أوسبورن (Osbarn 1962 / 1921) عندما كان يشغل منصب مدير وكالة إشهارية بالولايات المتحدة. ولا يزال «تحفيز الإبداع» مع التقنيات المشتقة منه أحد أكبر الوسائل المعتمدة في دراسة الأسواق من لدن معظم المصالح العمومية الأمريكية، وعدد كبير من المقاولات والمنظمات.

أ ـ المنهج:

يرتكز تحفيز الإبداع على مبدأين أو فرضيتين أساسيتين:

- ضرورة فصل دالَّة الإنتاج والبحث عن أفكار دالَّة التقييم والحكم (إيجابي أو سلبي).

- يفضل تحقيق تحرير الإبداعية عن طريق الجماعة شريطة أن تكون الاجتماعات منظمة ومنشطة بإتقان.

وتستلزم التقنية في حد ذاتها ثلاث مراحل:

* **المرحلة الأولى:** الإعداد، ويتعلق الأمر بتحديد محور الدراسة فضلاً عن تكوين جماعة من عشرة إلى اثني عشر فرداً غير متجانسة ما أمكن.

* **المرحلة الثانية:** تتكون من جلسة تحفيز الإبداع ذاتها التي تتراوح مدتها بين نصف ساعة وساعة واحدة ويسيِّرها منشطان اثنان. والهدف المحدد للجماعة هو تقديم أفكار مع التقيِّد بالقواعد الأربعة الآتية:

- يمنع خلال الجلسة إصدار أي حكم نقدي (إيجابي أو سلبي).

- تشجيع الخيال الحرّ: يجب صياغة كل الأفكار مهما كانت غريبة ووهمية.

- المطلوب في ـ هذه المرحلة ـ هو كمية الأفكار وليس كيفيتها.

- أخيراً ـ المبتغى هو قرصنة أفكار الآخرين، أي من الممكن في هذا الصدد جمع وخلط وتتميم الأفكار المعبَّر عنها من طرف باقي أفراد الجماعة.

* **المرحلة الثالثة:** وتتم فيها عملية فرز وانتقاء وتمحيص حصيلة هذه الأفكار، ويتم إنجاز ذلك في أعقاب الجلسة من طرف مجموعة صغيرة مختلفة عند الاقتضاء. وبالإمكان اعتبار معدل ١٠٪ من الأفكار المعبَّر عنها خلال جلسة «تحفيز الإبداع» هو الصالح للاستعمال.

ب ـ التقنيات المشتقة:

* **الفكرة الرئيسة:** يرى أوسبورن (Osborn) أن تجميع الأفكار يلعب دوراً أساسياً في الإبداعية؛ حيث تنبثق أحسن الأفكار عن الخلط والتجميع المرتكزين على المحاكاة والمفارقات والتقارب. ويمكن لهذا البحث أن ينجز بحرية، كما يمكن بواسطة طرف الاستفهام (الأسئلة) إما لذاتها أو مندمجة مع حصة من حصص «تحفيز الإبداع».

● منهج البيانات الاستقرائية: يرتكز على تكوين أفكار انطلاقاً من الشبكة التالية: وضع قاعدة تفكير، واكتشاف استعمالات جديدة لشيء ما مثل: عبِّر، كبِّر، كيِّف، قلِّل، استبدل، أعاد الترتيب، قلب، خلط.

● منهج حذف أو تغيير عناصر موجودة: يرتكز على تكوين أفكار انطلاقاً من حالات خيالية مرتبطة بالمحور أو الشيء المدروس، مثلاً ماذا كان سيجري: «لو اختفت الكهرباء فجأة من الكون؟» أو لو نما إبهام ثان في اليد اليمنى؟» أو «لو تضاعف ثمن الخبز والدقيق مائة مرة؟».

ومن جهة أخرى يمكن استعمال هذا المنهج إما لإطلاق عملية البحث عن أفكار حول محور ما، أو كمنهج تربوي تكويني للإبداعية: إنه يسمح فعلاً بالتمرن على عدم التمركز الإدراكي وعلى المرونة والأصالة.

ج ـ أبحاث مختبرية فحصية:

يعتبر «تحفيز الإبداع» (Braingtorming) أحد المناهج القليلة المحثة على الإبداعية والتي أثارت العديد من الأبحاث المختبرية، للتأكد من صحة المبدأين الأساسيين المقترحين من لدن أسبورن (Os-born). ونؤكد أن نتائج هذه الأبحاث المختبرية (انظر روكيت 1976:Rouquette) جاءت مخيبة لآمال مؤيديها (أي لم تأت تماماً كما كان يأمل مؤيدوها)؛ فإذا كان المبدأ الأول الذي يقول بوجوب فصل عمليتي إنتاج الأفكار وإصدار الأحكام حولها قد تحققت فعاليته بامتياز على مستوى التجربة، فإن المبدأ الثاني الذي يحث على ضرورة إحداث عمل جماعي من أجل رفع مستوى الإبداعية لم يتمّ استيفاؤه مختبرياً.

ومن دون الدخول في جدل المقارنة بين حالتي الجماعة والفرد، فقد اتضح من خلال استقراء نتائج المهمات المدروسة داخل المختبر أن «تحفيز الإبداع» (Braingtorming) في حالة الجماعة يؤدي إلى مستوى إبداعي مشابه (مقارب) للذي نحصل عليه في الحالات الفردية.

٢ـ السينكتيك La synectique:

يستند منهج «السينكتيك» أساساً على الاستعمال الواعي والمنظم للاستعارة (أو المجاز)، ويهدف إلى تكوين الفكر الإبداعي المناسب للجماعة، ثم استعماله في تحليل المشاكل الملموسة.

ويدور منهج جوردون (1965: Gordon) وفكرته المركزية حول اعتبار الاستعمال الاستكشافي للاستعارة أساس الإبداعية، ومن ثم سنتعلّم وسندفع الجماعة إلى جمع وخلط وتقريب العناصر التي تبدو في الظاهر دون علاقة فيما بينها.

يتعلق الأمر إذاً بجماعة تهدف إلى تحويل الغريب إلى مألوف والمألوف إلى غريب. والمحاولة التي تمّ تحقيقها جماعياً وتستعمل دينامية (حركية) الجماعة؛ محاولة تستلزم خلق جو من الاطمئنان واللهو والمتعة حتى يسترجع المشاركون نظرة الطفل وسلوكه تجاه الواقع؛ فاللعب باعتباره سلوكاً ذهنياً وملكة إبداع هو الجواب الصحيح عند الكبير عن سلوكيات الطفل وملكاته، ولا يعدو الأمر بالنسبة للكبير أكثر من اكتشاف حالة الطفولة في حين نعتبر على العموم الكبير الذي يجد متعة في اللعب طفولياً. وعلى العكس من ذلك تعتبر «السينكتيك» أن هذه الحالة يجب الاعتناء بها واستغلالها بتأنّ بهدف تشجيع الحركة الإبداعية[1].

على أنه سيتحقق انقلاب في وجهات النظر والنظرة الجديدة المتوخاة بواسطة تقنية تقتضي الاستعمال المنهجي لثلاثة أنواع من التماثل:

ـ التماثل الشخصي: ويقتضي مطالبة المشاركين في الاختبار بالتماثل مع عنصر من عناصر المسألة المدروسة ثم تصور ردود الأفعال والسلوكيات والأوضاع التي سيصبحون عليها حينئذ[2].

ـ التماثل المباشر: ويقتضي استعمال معارف مادةٍ ما في ميدان مادةٍ مختلفة؛ فيمكن مثلاً الرجوع إلى البيولوجيا الحيوانية لدراسة مشاكل

---

(١) فنحن في تصورنا الإسلامي نعتقد بأن أعظم مصدر للتنوع وتحقيق الذات هو خلق اتجاهات متعددة لإنجاز الأعمال، وتنويع الطروحات الفكرية، والسير الأفقي على امتداد الزمان والمكان للنظر والاعتبار: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

(٢) ويقتضي ذلك تجاوز ذواتهم وتقمص الخصائص المحدِّدة للمسائل المعروضة للدرس، لمعايشة المشاكل والقضايا عن قرب، وتمثل السلوك الذي يمكن أن تنتجه، وإيجاد الحلول المناسبة لها.

إطلاق القذائف البحرية، أي أننا ننقل معلومات ميدان معلوم لإيجاد حلول مسألة في ميدان مغاير.

- التماثل الرمزي أو الخيالي: يقتضي استبدال مادة الإشكالية (محلّ الدرس): إما بصورة رمزية (الكويرة من الكريستال بالنسبة لاختبار بسيكولوجي - نفسي - مثلاً) أو رسوم كلمية[1] تستند إلى عنصر التعجب والخيال واللا معقول إلخ. ويتعلق الأمر هنا بترك المجال حراً للأوهام والتعبير الشعري والحُلم، بكيفية تجعل إنتاج أفكار جديدة أو أسلوب جديد يتصدى للمسألة.

ويمنح منهج «السينكتيك» امتيازاً للجماعات الأكثر تبايناً بكيفية تجعل فوارق الرأي تزداد حدة، وفضلاً عن ذلك، يكون أعضاء هذه الجماعات قد تعرّضوا لعملية انتقاء بناءاً على اختبارات ومحادثات ترتكز على «سلوكهم الاستعاري»، وقد رتبهم على عدم التمحور الذاتي والإدراكي، ويتوزع التكوين على عدّة أشهر ويضم ثلاثة أطوار:

ففي طور أوّلي تتفاعل الجماعة بكل عفوية مع المسألة المطروحة التي تحاول تحديد كل مظاهرها، بما في ذلك الأكثر غرابة، ويؤول هذا الطور إلى كشف الأبعاد الواجب تحليلها. ويعتبر الطور الثاني مرحلة إنتاج ترتكز على الاستعمال المنهجي للمعادلة القياسية. وفي الأخير تتم العودة إلى الواقع ضمن مرحلة ثالثة، وذلك لدراسة مختلف الحلول المرتقبة وتكييف الحلول القياسية مع المسألة الملموسة.

وقد عرف المنهج السينكتيكي نجاحاً كبيراً، مثله في ذلك مثل «تحفيز الإبداع»، ولا يزال - حالياً - يُستعمل كثيراً إما في شكله الكلاسيكي (التقليدي) أو في أشكال متفرعة عنها مثل منهج (Interlog) (انظر: جوي 1975: Jaoui) أو منهج (Bionique) (انظر: جيراردان 1972: Jerardin).

٣.التحليل التشكُّلي[2]:

يرتكز التحليل التشكُّلي على الاستعمال المنهجي للتنظيمات، باعتبار النشاط الإبداعي استكشافاً تنظيمياً لمجموعة من العناصر الموجودة والمرتبطة بمسألة معلومة. ما نبحث عنه إذن هو: كيف يمكن أن تنتظم هذه العناصر وتتجمع؟ وما هو نوع الحلول التي تنتج عن هذه التنظيمات؟ وبذلك نكون قد شكّلنا «قوالب حقيقية للاختراع» تسمح لنا باستكشاف منهجي لعالم ما هو ممكن (انظر: كوفمان 1970: Kaecfmon).

في مرحلة أولى - بالطبع يمكن استعمال هذه الخطة في حالة فردية - يكون هدف الجماعة هو دراسة المسألة لمحاولة طرحها بعبارات أوسع وأعمّ؛ ثم استقراء العناصر (أو كل الأبعاد) المكونة للمسألة العامة، وفي الختام تحليل كل عنصر بالنسبة لأبعاده المختلفة[3].

وبعد وضع قالب أو عدة قوالب، أي إعداد جدول ذي مدخلين يضم قائمة كل العناصر؛ إذ تقتضي المرحلة الثانية دراسة كل الحلول الممكنة المطابقة للتقاطع الثنائي لكل متغيّر. وفي هذه المرحلة يمكن لإبداعية الجماعة أن تتطور بفضل ما تمنحه

---

(١) لها علاقة بتفسير الأحلام.

(٢) علم التشكل (المورفولوجيا) علم يبحث في شكل الحيوانات والنباتات.

(٣) أي الانتقال من الخاص إلى العام أو من الجزئي إلى الكليّ، لأنه بعد استقراء العناصر الجزئية، يمكننا استنتاج قواعد كلية أو عامة.

لها شبكة الاستكشاف المنهجي الذي يحدده القالب من تشجيع وإثارة وتوجيه.

وفي المرحلة الثالثة يتم تدارس واختيار الحلول الملائمة للمسائل أخذاً بالحسبان العراقيل التقنية والقانونية والمالية.

يتضح إذن أن هذا المنهج بطيء حتى ولو كانت مرحلة التنظيم تتم بمساعدة الحاسوب، غير أنه يبدو حالياً في توسع كبير. وإن حصلنا على القليل من النتائج المضبوطة، فإنه يحسب الأمر لتطبيقه في مجالات حساسة جديرة بالكتمان: الملاحة الجوية، علم الفلك، الفيزياء... إلخ.

٤. المناهج التطبيقية(١):

نجمع تحت هذا العنوان نوعاً أخيراً من المناهج السائدة بكثرة، والتي تلامس مجال التحليل الطبي للجماعة، وإن كانت أهدافها مختلفة تماماً، وتتطلب منشطاً أو منشطين ذوي كفاءة خاصة ويخضعان للمراقبة.

أ ـ مناهج ترتكز على القيام بدور:

يقوم كل عنصر من الجماعة مقام الشخصية المعنية أو مقام مادة من مواد المسألة المعروضة، ويمثل السلوك الذي يمكن أن تنتجه بتفاعله المحتمل مع باقي عناصر الجماعة الذين يقومون مقام مواد أخرى. وإذا تعذّر القيام بهذا الدور فيمكن مطالبة المشاركة بالتعبير الشفهي لمدة عشر دقائق فقط باسم المادة التي يمثلها. وفي كلتا الحالتين يتابع جزء من الجماعة ما يحدث ويكرره في نفسه، ويحاول توجيهه إلى المسألة الملموسة قيد الدرس.

ب ـ الحُلم اليقظ الموجَّه(٢):

يتم تحقيق هذاالمنهج بواسطة جماعة قليلة العدد (عشرة أفراد على الأكثر)، وتستلزم جعل المشاركين في حالة بين النوم واليقظة؛ حيث يكون المشاركون ممدودين في ظلمة خفيفة، مستعملين تمارين استرخائية مناسبة. تدوم الحصة من ساعة إلى ساعتين، ويقوم المنشط باستعراض رسوم ومواضيع حيادية في البداية، ثم يجعلها تقترب شيئاً فشيئاً من المسألة المدروسة، ويكون رد فعل عناصر الجماعة بواسطة أحلام يقظة مقرونة بالمواضيع المقترحة. بعد ذلك يتم معالجة هذه القرائن والأحلام وتحليلها من لدن الجماعة والمنشط والملاحظين.

ومن الواضح أن هذه المناهج تهدف جميعها إلى التقليل من سلبية الأفراد وتحفُّظهم بكيفية تسمح لهم بإزالة العقبات والعوائق أمام قدرتهم الإبداعية، والوصول إلى صور وأحاسيس أكثر تعمقاً(٣).

---

(١) قريبة إلى التحليل الطبي.

(٢) ما يطلق عليه جلسة القصف الذهني.

(٣) ومعنى ذلك إطلاق العنان للتفكير، والترحيب بكل الأفكار مهما يكن مستواها (سطحية أو عميقة) ما دامت متعلقة بالشكلة موضوع الاهتمام. ومغزى هذه القاعدة أنه كلما كانت الفكرة فجّة أو بكراً، أي غير مصقولة ولا مشذبة كانت أفضل. فالمهم وجود أفكار، وسيكون تشذيبها فيما بعد أسهل. والغرض من هذه القاعدة مساعدة الفرد على أن يكون أكثر استرخاءً وأقلّ تحفظاً، ومن ثَمَّ أعلى كفاءة في توظيف قدراته على التخيل وتوليد الأفكار (انظر: عبد الكريم بكار: مدخل إلى التنمية المتكاملة).

وفي مرحلة ثانية، فإن هذا الكمّ أساسي في توليد الأفكار الأصيلة والآراء المبدعة. بمعنى أن الكم يولد الكيف، أو يتبخّر الغثاء من الأفكار ويبقى جيّدها: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

ويظهر أنها تعرف نجاحاً كبيراً في مجال دراسة الأسواق والإشهار؛ حيث يظل الهدف المهيمن هو البحث عن ردود الفعل والحوافز الكامنة، كما يظهر من جهة أخرى أن تطوير هذه المناهج واستعمالها دون مراقبة يطرح عدة مشاكل أدبية جديّة.

خلاصات:

كما سبق أن رأينا من خلال هذا العرض الموجز، فإن تقنيات الإبداع وافرة، كما أن جهود الذين يعملون على تطبيقها مثمرة بصفة خاصة، بما في ذلك الذين يزعمون أنهم يكونون بأنفسهم علم الإبداعية. وكما هو معلوم فإن مسألة التجديد تصير شيئاً فشيئاً مشكلة اجتماعية - اقتصادية أساساً، وتمر عن طريق العمل الجماعي؛ لأن هذا الأخير تم تعميمه في المقاولات، وكذلك في ميدان البحث العلمي والتربية، وفي كل ميادين الحياة الاقتصادية والاجتماعية. لكن رغم كل هذا فإن البحث في إبداعية الجماعات - سواء كان نظرياً أو تجريبياً - لا يزال في بدايته.

وكما أشار ماكجرات وكرافيتز (Kravitg/ Mcgrath : 1962) - في مجلة نشرت أخيراً تهتم بالأبحاث حول الجماعات؛ فقد بقي علينا أن نقوم بكل شيء في هذا الميدان أو تقريباً كل شيء؛ ذلك أنه باستثناء فترة قصيرة تم خلالها نشر «تحفيز الإبداع» (Brainatorming) وما حققه من نجاح، فإن هذا المبحث من علم النفس الاجتماعي ظل مبحثاً مشؤوماً لأسباب تتعلق بصعوبة إجراء التجارب والتحليل المنهجي الإبداعي، كما تتعلق بتعقّد التطور التدريجي المتتابع نفسه الذي تجري عليه المتغيرات الإدراكية والعاطفية والاجتماعية في نفس الوقت[١].

ومع ذلك يبدو أن علم النفس الاجتماعي لا يمكنه أن يهمل هذه المسألة طويلاً، وبإمكانه تغذيتها بأجوبة رئيسة - بفضل الخطة التجريبية التي تبدو ملائمة لهذا النوع من الأسئلة - في شأن التطور الاجتماعي والاقتصادي.

يبدو لنا إذن أن دراسة إبداعية الجماعات يجب أن تتحول في السنوات القادمة إلى أحد موضوعات البحث المهيمنة على نظامنا.

---

(١) وهذا مما يدل على عجز الفكر الغربي لضبط بنية العلاقات الإنسانية والنفسية المجتمعية في سيرورتها الآنية أو المستقبلية، مما يوحي بأن المرجعية الوحيدة القادرة على ضبط السلوك الإنساني هي «الوحي»: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤] .. لكن لا بأس من الاسترشاد والاستئناس بالخبرات الإنسانية، وخاصة الغربية المعاصرة والاستفادة من أدواتها ووسائلها المختبرية وتجاربها الميدانية في مجال تفكيك وتحليل الظواهر الاجتماعية، شريطة توظيفها في إطار المبادئ والقيم الإسلامية.

وداعاً أخي وشيخي

أحمد الشوادفي

ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، لا معقب لحكمه ولا رادَّ لقضائه، اللهم إنا نؤمن بقضائك ونحتسب عندك أجر الصبر على بلائك ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ﴾ [البقرة: ١٥٥].

أحسن الله عزاءنا في أخي وشقيقي الشيخ صفوت الشوادفي، أحسن الله عزاءنا في ناصر السنة وقامع البدعة، الذي أعمل ذكاءه وأبلغ جهده في خدمة الإسلام والمنافحة عن التوحيد. لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى، طبت حياً وميتاً يا أبا أنس. لقد هزّ قلبي وأعضائي خبر وفاته، وتشتت تفكيري وكياني، لكني سرعان ما دعوت ربي أن يرزقني الصبر ويلهمني صوابي.

كان - رحمه الله - واسع الأفق، ثاقب النظر، حاضر الذهن، سريع البديهة، كان داعية بليغاً رقيقاً حليماً متواضعاً قوالاً بالحق عاملاً به، لا يخاف في الله لومة لائم، كان رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، كان معلماً ومرشداً وناصحاً، وكان ذا همة عالية، يحمل هموم الأمة.

وإنه مما أثلج صدري مشاركة تلك الجموع[1] في تشييع الجنازة لا سيما وقد كان فيهم أفاضل القوم وشيوخ الأزهر وعلماء كافة الجمعيات الإسلامية، وكذلك ما أخبرني به بعض الإخوة أنه صلى المغرب قبل الوفاة [قبل الحادث] بعشرين دقيقة إماماً وكان آخر آية قرأها: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩]. كان - رحمه الله - في هذا اليوم الأخير من صباحه إلى مسائه في زيارة لوالدته حيث قضى عندها كل اليوم هو وأسرته، ولعل من حُسن خاتمته أنه كان حديث عهد بالبيت الحرام؛ فقد كان عائداً من عمرة قبل وفاته بأسبوعين تقريباً.

ولد رحمه الله في ١٩٥٥/٩/١م في بلدته الشفانية بمدينة بلبيس محافظة الشرقية بمصر، ومات في حادث سيارة يوم ١٨ من جمادى الآخرة ١٤٢١هـ، عن عمر ٤٥ سنة. حصل على شهادة جامعية من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بالقاهرة، وأثناء دراسته بالكلية حصّل كثيراً من العلم؛ حتى إنني أذكر أنه في السنة الثالثة من دراسته الجامعية ناقش عالماً من علماء الأزهر [واعظ المدينة] فقال له ذلك العالم: إني أتعجب كَيف جمعت بين تحصيلك

(١) أخبرني أحد الإخوة أن المشيعين كانوا قرابة الخمسين ألفاً.

للعلوم الشرعية ودراستك!!

وكان له - رحمه الله - عدة مناقشات ومناظرات أذكر منها ما كان مع فضيلة شيخ الأزهر الشيخ محمد سيد طنطاوي، ورئيس جامعة الأزهر الدكتور أحمد عمر هاشم؛ وقال له حينها شيخ الأزهر [وكان مفتياً لمصر في ذلك الوقت]: يا أستاذ صفوت، أنت رجل فقيه وأنا أحترم فقهك... وقد نُشرت هذه اللقاءات على صفحات جريدة اللواء الإسلامي في ثلاثة أعداد على ما أذكر.

كان - رحمه الله - في دعوته صابراً حكيماً مخلصاً يترك لله ويعطي لله؛ فقد ذكر لي أحد الشيوخ بالرياض أنه - رحمه الله - عندما كان يعمل بالمملكة العربية السعودية وأراد أن يعود إلى مصر من أجل الدعوة؛ عرض عليه عدد من أهل الخير رواتب مغرية جداً، ولكنه رفض كل العروض والإغراءات من أجل الدعوة إلى الله - عز وجل - وقد رأيت بعيني وسمعت بأذني اثنين من الشيوخ بالرياض وكانا في زيارته بمصر يعرضان عليه المجيء إلى السعودية للدعوة وهو الذي يحدد الراتب، ويعددان له المزايا الأخرى، فرفض في أدب وحكمة وقال لهما: الدعوة هنا بحاجة لي.

وكان - رحمه الله ورفع درجته - يخاطب الناس على قدر عقولهم وإدراكهم؛ فقد كنت معه ذات يوم في دار التقوى للنشر والتوزيع الخاصة به في مدينة بلبيس بمصر ودخل رجل رث الثياب وقال وهو يدخل من الباب: يا بدوي(1) ثم اقترب من الشيخ - رحمه الله - وقال: أعطني شيئاً يا عم الشيخ. فقال له الشيخ: لن أعطيك شيئاً. فقال الرجل ليه [لماذا]؟ فقال له الشيخ: خلِّ البدوي يعطيك! فسكت الرجل، فقال له الشيخ: الذي يعطي كل المخلوقات هو الله - سبحانه - ثم أدخل يده في جيبه وأعطاه بعض المال.

ومن أمثلة إخلاصه وحكمته في دعوته أن أنصار السُّنة في بلبيس أحيوا إقامة سنة صلاة العيد في الخلاء، فكانوا يفرشون مكاناً يسمى الساحة وهو ناد رياضي كبير ربما استوعب خمسين ألف مصل، وكانوا يقدمون هدايا للأطفال بعد الصلاة. والحقيقة أن المنظر والاجتماع لصلاة العيد كان لهما أثر كبير في مشاعر المجتمعين، وكانت الخطبة تحرك المشاعر والقلوب. ثم قامت وزارة الأوقاف بهذا العمل بدلاً من أنصار السُّنة؛ فغضب بعض طلبة العلم وبعض الشباب وأتوا إلى الشيخ - رحمه الله - وقالوا: كيف نحيي نحن هذه السُّنة في هذا المكان لعدة سنوات ثم تأتي الأوقاف وتأخذ منا المكان؟ فقال لهم: لماذا تغضبون؟! هم أقاموا السنة ونحن نصلي خلفهم، المهم إحياء السُّنة. فانظروا إلى سُنة أخرى لتحيوها.

ويرجع الفضل في صفاته الحميدة وإيثاره وكرمه وتقواه بعد الله - عز وجل - إلى تربية الوالدين أسأل الله - سبحانه - أن يجزيهما عنا خير الجزاء.

وبعدُ: فقد تُوفي الشيخ - رحمه الله - مربياً وقائداً من قادة أنصار السُّنة المحمدية في مصر، ومن أهم أعماله - رحمه الله - طباعة مجموع فتاوى ابن تيمية، طباعة مختارات من فتاوى دار الإفتاء المصرية عن مئة عام، جمع وطبع فتاوى لجنة الإفتاء بالمركز العام لأنصار السنة، جمع وطبع مجموعة من فتاوى اللجنة الدائمة بالسعودية، ألف عدة كتب ورسائل أشهرها: اليهود نشأة وتاريخاً، أشرف على طبع موسوعة الشيعة للدكتور علي السالوس، إلى غير ذلك. فاللهم أكرم نزله، ووسع مدخله، واجزه عن الإسلام والسنة خير الجزاء، واجمعنا به مع المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

والحمد لله على كل حال، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(1) أي يستغيث بأحمد البدوي؛ أحد أقطاب الصوفية، وله بمدينة طنطا قبر عليه مسجد معروف باسمه تكثر فيه الشركيات والبدع، ويقام له مولد يشهده كثير من العوام الجهال والصوفيين.

دعوة للمصالحة والوحدة

محمد فضل محمد فضل

الصلح شَعيرة عظيمة حثَّ عليها الإسلام في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨] والدعوة الإسلامية أحوج ما تكون لمثل هذه الشعيرة وهي تشق طريقها في وجه التحديات والمخاطر التي تحاك ضد الإسلام، ولما ظلت تتعرض له الدعوة الإسلامية من تصدع وانقسامات أثرت سلباً على مسارها الدعوي وكان له انعكاس سيئ على أفرادها، فمن كان يصدق أن الدعوة الإسلامية سيصيبها ما أصاب الأمم الأخرى من الشتات والتحزب إلى جماعات وفرق حتى أصبح كل فريق يكيل للآخر السباب ويتحين الفرص للانقضاض عليه، وفقد كلا الفريقين الثقة في الآخر، فانتشر بينهما سوء الظن، وانفرط عقد الأخوة الإسلامية وحل محلها الكراهية والبغضاء حتى أصبح الأخ ينفر من أخيه المسلم، وإذا رآه في المجالس العامة لا يصافحه ولا يسلِّم عليه؛ وهكذا ضاعت الأخوة الإسلامية في وسط هذا الركام من الخلافات والنزاعات التي لا يوجد ما يسوغها خاصة أن الفرقاء يجتمعون في الأصول؛ وقد يختلفون في مسائل اختلف فيها أهل الفضل قديماً، وليس عيباً أن يختلفوا اختلافاً سائغاً ولكن العيب أن يقتن البعض لهذا الخلاف ويسعى لتحزيب الناس عليه.

وقد اختلف السلف الصالح في مسائل كثيرة ولكنهم لم يتحزبوا ولم يدعو إلى مقاطعة مخالفيهم ولا إشاعة الكراهية بينهم؛ لأنهم كانوا يدركون أن الشخص قد يجتمع فيه الخير والشر، فيحبون ما عنده من خير، ويبغضون ما عنده من شر، وظلت جذوة الأخوة الإسلامية متقدة في صدورهم؛ ولهذا دانت لهم الأمم والشعوب واستطاعوا أن يسودوا العالم، فما أحوج الدعوة الإسلامية اليوم لهذا الفقه (أدب الخلاف) فالتاريخ يحدثنا أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ كانت تقول: «من زعم أن محمداً ﷺ قد رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية» بينما كان ابن عباس وجمهور الأمة يقول بالرؤية ولم نسمع أن أحداً قد وصف عائشة ـ رضي الله عنها ـ بأنها قد جاءت بمنكر من القول، بل اعتبرها المخالفون أنها قد اجتهدت ولها أجر الاجتهاد، ولم يسعوا إلى تجريمها أو اتهامها بالانحراف والخروج عن منهج السلف. وأما الاختلاف في الأحكام فأكثر من أن ينضبط؛ «ولو كان كلما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة، ولقد كان أبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ سيدا المسلمين يتنازعان في أشياء لا يقصدان إلا الخير، وقد قال النبي ﷺ يوم بني قريظة: «لا يصلين أحدٌ العصر إلا في بني قريظة»[1] فادركتهم العصر في الطريق، فقال قوم: لا نصلي إلا في بني قريظة ففاتهم العصر، وقال قوم: لم يرد منا تاخير الصلاة فصلوا في الطريق، فلم يُعب أياً من الطائفتين» أخرجاه في الصحيحين من حديث ابن عمر؛ وهذا إن كان في الأحكام فما لم يكن في الأصول المهمة فهو ملحق بالأحكام»[2].

(١) أخرجه البخاري وغيره، ح/٩٤٦.

(٢) الفتاوى، ج ٢٤ ، ص ١٧٢ .

البيان والتجديد

تركي بن عبد الله الشريف

تلمع مجلة البيان في سماء الإعلام الهادف لتعكس صورة هي أوضح ما تكون عن مدى الوعي الذي وصلت إليه الصحوة المباركة، وتجمع بين دفتيها هموم حَمَلَة الرسالة السامية واهتماماتهم وآمالهم في اتساق رائع وإخراج فريد، فكانت بحق لساناً صادقاً نزيهاً لهذه الصحوة المباركة. ولعل ما جاء في العدد ١٥٢ يعد دليلاً ناطقاً لما زعمت: غير أني أقف وقفة المتسائل مع افتتاحية ذلك العدد فأقول: فعلاً نحن بحاجة إلى مثل هذه المراجعات الواقعية التي تضع اليد على الجرح، وتنمي القدرة على المواجهة والتفكير والاعتراف بالتقصير بدلاً من السير الأعمى الفوضوي. غير أن الكلمة الصاعقة التي في بداية الحديث: «تشهد الحركة الإسلامية تراجعاً» تشعر المرء بالإحباط؛ إذ كيف تتراجع وهي لم تحقق أهدافها المرجوة منها بعد؟ أم كيف تراجعت ونحن نشهد انتصارات لها بين الفينة والأخرى؟

إن الحركة الإسلامية ما زالت في طور التكوين رغم جميع الإنجازات التي حققتها، ومعظم الأسباب المذكورة في الافتتاحية ـ إن لم يكن كلها ـ هي أسباب وأخطاء في تكوين الحركة وليست في الأداء فقط. وهذه الأسباب لم يحصل فيها تقدم أصلاً ـ على حد علمي ـ حتى نقول بالتراجع؛ وإنا لنحمد الله ـ عز وجل ـ أن هذه الأخطاء لم تكن عائقاً في تقدم الصحوة، لكن علينا المبادرة إلى إصلاحها.

هذا الحديث يدفعني إلى التأكيد على ضرورة مراجعة الذات في فترات قصيرة ولا ننتظر السنين لتبدي لنا الأخطاء بل نسعى بهذا الأسلوب الوقائي لإجهاض الأخطاء قبل وقوعها. أسأل الله ـ عز وجل ـ أن يجعلنا ممن يحاسبون أنفسهم ويستغفرون لزلتهم إنه الغفور الرحيم.



البدعة

محمود جمال البكر

تختص البدعة في الشرع بقيود ثلاثة هي:

١ – الإحداث: والمراد بالإحداث: الإتيان بالأمر الجديد المخترع إذا لم يسبقه مثيل كعبادة الأصنام أول وجودها.

والدليل على هذا القيد قوله ﷺ: «من أحدث». وقوله: «كل محدثة بدعة» وبهذا القيد خرج ما لا إحداث فيه أصلاً مثل فعل الشعائر الدينية كالصلوات المكتوبات، وصيام شهر رمضان، والأمور الدنيوية المعتادة كالطعام واللباس ونحو ذلك.

٢ – تعلق هذا الإحداث بالدين: والدليل على هذا القيد قوله ﷺ: «في أمرنا هذا»، والمراد بأمره ها هنا دينه وشرعه، [جامع العلوم والحكم ١/١٧٧] وبهذا القيد تخرج المخترعات المادية والمحدثات الدنيوية مما لا صلة له بأمر الدين.

٣ – ألاّ يستند هذا الإحداث إلى أصل شرعي بطريق خاص ولا عام؛ والدليل على هذا القيد قوله ﷺ: «ما ليس منه»، وقوله: «ليس عليه أمرنا». وبهذا القيد خرج ما له أصل شرعي عام أو خاص.

كما أن البدعة بالإطلاق الشرعي هي البدعة الواردة في حديث «كل بدعة ضلالة» دون البدعة اللغوية. ولذلك فإن البدعة الشرعية موصوفة بأنها ضلالة بخلاف البدعة اللغوية لا يلائمها وصف الضلالة والذم.

لماذا التقاعس؟!

صالح بن محمد

في خضم الأحداث وكثرة الجراحات والدماء النازفة في جسد الأمة، ومع التحديات العلمانية والكفرية الإلحادية لتجفيف المنابع وبخاصة عقيدة الولاء والبراء في قلب المسلم، وإزاغته عن دينه ومنهجه وعقيدته ولغته؛ نجد في هذه الأجواء من أبناء الإسلام ومن أهل الدعوة وأصحاب الصحوة: من رفع يده عن العمل الدعوي واكتفى بنواحه على الإسلام وأهله وندب الحظ - بحد زعمه - وآخرون منهم يعملون ولكن بخطى ثقيلة وخطوات بطيئة ليأسه من الإصلاح العام الشامل، وقليل هم أولئك الدعاة العاملون الصادقون المخلصون الجادون الواثقون بنصر الله وتمكينه لأهل دينه في الأرض.

فلماذا كل هذا التراجع والتقاعس والضعف والهوان؟! ألم يقل الله - تعالى -: ﴿وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] ثم إن من سنن الله الثابتة في هذا الكون: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٦٢] هي التمكين والنصر والغلبة لعباده المؤمنين: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] فالتمكين حاصل لا محالة؛ ولكن ما دورنا في رفع كلمة الله ونصرتها؟!

إن من المتحتم على المسلم وسط هذه الأجواء: الصبر والمصابرة، والجد والعمل، والدعوة الصادقة إلى الله، والدلالة على سبيله بجميع الوسائل والتقنيات العصرية، والاستقامة على الدين. قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - واصفاً حال أولئك: «وكثير من الناس إذا رأى المنكر أو تغير كثير من أحوال الإسلام جزع وكلَّ وناح كما ينوح أهل المصائب، وهو منهي عن هذا، بل هو مأمور بالصبر والتوكل والثبات على دين الإسلام، وأن يؤمن بأن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وأن العاقبة للتقوى، وأن ما يصيبه فهو بذنبه؛ فليصبر إن وعد الله حق ويستغفر لذنبه، وليسبح بحمد ربه بالعشي والإبكار»(1). [الفتاوى، ١٨/ ٢٩٣].

وهمسة أخيرة في أذن كل مصلح وداعية وعامل: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٤]. فلماذا التقاعس؟! فقد مضى عهد النوم!!

لا للعنصرية

محمد بن عبد الله الرويلي

من المؤسف أن الواقع اليوم يعجّ بألوان وأشكال من العنصرية؛ فبالإضافة إلى العصبية القبلية هناك العنصرية الإقليمية التي تسود بين بعض الأقطار العربية والإسلامية؛ فبعض الأقطار لا يطيق الأقطار الأخرى، وكذلك هناك العنصرية العرقية بين بعض السود والبيض، أو بين بعض العرب والعجم، أو غيرها من الصور البغيضة لهذا الداء العضال.

ولكن المصيبة العظمى تكمن في تأثر بعض الدعاة الذين يحملون لواء الصحوة بهذه النظرات الجاهلية بقصد أو بغير قصد، ومن ذلك ما يمارسه بعض الصالحين من تصرفات لا تخلو من العنصرية، كالحزبية في الدعوة، وعدم السماح للآخرين بالمشاركة في هذا العمل أو ذاك بحجج واهية، أو احتقار الدعاة لبعض إخوانهم في المناطق النائية وعدم الاقتناع بأي عمل يعملونه، أو الحديث عن مثل هذه الأمور والخوض فيها في المجالس الدعوية باسم المزاح، أو حصر الدعوة على فئات معينة من المجتمع وإهمال فئات أخرى وفقاً لموازين طبقية أو مادية، وغير ذلك من الصور والممارسات، وقد رأيت وسمعت الكثير من هذه الأمور بل شَمَمْتُ رائحة العنصرية وهي تفوح من بعض الدعاة.

إن وجود مثل هذا الأمر بين رجالات الدعوة لا شك في أنه تشويه للصحوة الإسلامية وتنفير منها وحيادةٌ عن المنهج الصحيح، ومن شأنه أن ينزع الثقة من قلوب الناس الذين تعلقت قلوبهم بالدعوة الإسلامية.

وليحذر الداعية المخلص، الحريص على نشر الخير والذي له قدم صدق عند الناس أن يعمل عملاً أو أن يُسمع منه قولٌ يوحي بشيء من التعصب أو التكبر أو الاحتقار لأحد؛ فإنه إن فعل ذلك يكون قد كتب سقوطه بنفسه، سقوطاً لا قيام بعده!

دموع الغروب

عبد الله بن حماد البلوي

وقف ذلك الشاب.. ينظر غروب الشمس.. ويرمقها وهي تختفي بعيداً.. ويختفي معها نورها الذي كسا الأفق.. فدمعت عيناه.. فقد تذكر أن غروب هذه الشمس إنما هو غروب عام كامل.. فلقد انتهى العام.. ولم يبق منه سوى بقايا هذه الأشعة التي بدأت في الرحيل.

فمر به شريط حياته في هذه السنة.. ليشاهد نفسه المعرضة ترخي زمام الهوى، ولتمضي به بعيداً عن الله وعن طريقه..

شاهد نفسه الغارقة في بحر الشهوات الذي تقاذفته أمواجه في كل مكان.. وهو بلا حراك..

شاهد الصائمين في رمضان يخرجون من المساجد بعيون دامعة وقلوب منكسرة وهو في لعب ولهو.

تذكر أنه في هذا العام الذي رحل قد عق أمه كثيراً، وخالف أمرها كثيراً، فدمعت عينه لهذا العقوق..

انهال دمعه أيضاً وهو يرى أهله يصومون أياماً من شوال؛ وهو لم يفكر بقضاء ما عليه من رمضان..

ويمضي هذا الشريط ليرى الناس وقوفاً في عرفة يدعون الله ويبتهلون إليه بالمسألة حين كان هو مقبلاً على قنوات الفضاء بكل جوارحه.

في هذه الأثناء توارت الشمس وغابت عن الأنظار، وادلهمَّ الليل، فشعر هذا الشاب بالخوف، وأحس أن الحياة تمضي وهو في إعراضه غارق.. وفجأة سمع صوت الأذان وكأنه يسمعه لأول مرة.

وقال في نفسه: كم ناداني المؤذن في هذا العام وأنا في إعراض عن ندائه؟ وتساءل في نفسه: هل سيغفر الله هذا الذنب؟ وهل سيمحو هذه الخطيئة؟ وأنا لا أذكر متى دخلت المسجد! فما أشد إعراضي وما أكبر ذنبي!! فأجهش بالبكاء..

وحين أراد القيام سمع صوت الإمام يقرأ بصوت شجي ندي آيات أحيت فيه الأمل وحركت منه الفؤاد: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] .

وكذلك ننجي المؤمنين

عبد الله بن هادي بن ناجي

ظلماتُ الهوى ستُمحى كثلج ... ذوّبتهُ البحار، والحق يُنجي
ويحَ قومي! تقاطروا نحو سُفْنَ ... دَفّةُ السَّفْنِ لا تُدارُ لنَهجِ
هل ستُؤوي مراكب الشرق فوجاً ... واحداً أم مراكب الغرب تُنْجي؟!
خُدِعَ القومُ بالمراكب لمّا ... زيّنوها بغانياتٍ وهَزْجِ
مركب الشرق بالسماجة يهذي ... وكذا الغرب قد تلاقوا بِسُمْجِ
ينسجون المُنى - وهيهات بُعداً - ... مثل أعشى يرى سراباً بَفَجٍ
أو مريضٍ على الفراشِ طريحٍ ... كلما أنْ خدَّرُوه بِبِنْجِ
يُوهمون الورى بأنْ ليس يشكو ... كيف يهنا وقد أُصيب بِشَجٍّ؟
لا يزالون في ثيابِ صديق ... لا يُطيق المسيرَ إلا بِعرْجِ
وإذا ما خلا بعضهم ببعض ... أسرعَ الخطو في ملابس عِلْجِ
وإذا الفلكُ في البحارِ تجارتْ ... كان رُبانهم يُجيز بِخَرْجِ
ركبوا البحرَ والرياحُ عواتٍ ... تطلب القوم في مراكبَ خُدْجِ
تطلب القومَ، والبحارُ تنادي ... يا سماء الدُّنا أهلّي بَثَجٍّ
فالتقى الماء، والمراكب تجري ... فوق موجٍ وتارة تحت موجِ
هلك الجمعُ بالمراكب إلا ... فُلْكُ نُوحٍ؛ دعا الإله فنُجّي

• تنويه: حدث خطأ غير مقصود في العدد ١٥٤ في اسم كاتب مقال: إشكالية التعامل مع مصادر الفرق، حيث كتب: د. أحمد جمال بادي، والصحيح: د. جمال أحمد بادي، وهو أستاذ مساعد بقسم أصول الدين بكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية بماليزيا.

* **الأخ: محمد عبد الله التميمي:** أرسل هذه الرسالة: «يسرني أن أشكر لكم جهودكم الخيرة في هذا المنتدى؛ منتدى الخير والبركة، وجهودكم الجبارة نحو مجلتنا (مجلة البيان) المحبوبة، فكم تغمرني الفرحة ومشاعر الغبطة نحو مجلتنا هذه في إهلال كل شهر؛ حيث أجد فيها روضة غناء فيها من مختلف الثمار، والفواكه الدانية، إبداع في الأسلوب، تجديد في الطرح، تنوع في المواضيع، معالجة لمشاكل الأمة ونوازلها؛ فكم طرح فيها من قضية، وعولجت من مسألة؛ فهذا جزيل شكري، وصادق دعواتي أهديها لكم، وفقكم الله، وسدد على درب الخير خطاكم، وجعل الجنة مثوانا، ومثواكم».

ونحن إذ نشكر الأخ على هذه المشاعر الطيبة نسأل الله - تعالى - أن نكون عند حسن الظن، وأن يوفقنا لخدمة دينه.

* **الأخ: عبد الله بن حذافة السهمي:** وصلتنا رسالتك، ونشكر ونقدر ثقتك بمجلة البيان، وعن الأسئلة التي أرسلتها حول المسألة الشيشانية، فيمكنك مراجعة المقابلة التي أجريت مع الشيخ محمد السيف في المجلة، كما يمكنك التواصل مع الإخوة من خلال موقعهم على الإنترنت، وفقنا الله وإياك لكل خير.

* **الأخ: د. عبد الله بن هادي القحطاني:** وصلتنا مشاركتكم الكريمة، ولكنها كانت ناقصة، نرجو التكرم بإعادة إرسالها وجزاكم الله خيراً.

* **الأخوين: إبراهيم بن صالح الهزاع، فيصل بن حسين الحلواني:** نشكر لكما تواصلكما الكريم مع المجلة، كما نشكر لكما اقتراحاتكما الطيبة التي هي محل اهتمامنا، بارك الله فيكما.

* **الإخوة والأخوات: د. ماهر عباس جلال، أحمد عبد الله السعد، أسعد التهامي، د. زيد الرماني، أحمد عبد الدايم، عبد العزيز عبد الله الصالح، نوري بشير مبارك، خولة درويش:** جزاكم الله خيراً على هذا التواصل الطيب، ونفيدكم بأن مشاركاتكم مجازة للنشر - بإذن الله تعالى - مع تمنياتنا بدوام التواصل.

* **الإخوة: سلمان بن يحيى المالكي، أحمد الخرجي، علي بن سليمان الدبيخي، ممدوح الشيخ، رضا أمين عطية، طارق العمودي، رضا فهمي، سالم فرج سعد، خالد الهديب:** سعدنا بمشاركاتكم، وحرصكم على التواصل، ومشاركاتكم ستعد للنشر في المنتدى إن شاء الله تعالى.

* **الإخوة والأخوات: عطية فتحي الويشي، سمل وهبي فرح أحمد، د. محمد خليل جيجك، عبد الله العنزي، سيد سراج الهدى، عبد العزيز الحيدري، عبد الغني فطاني، عبد اللطيف الوابل، أبو محمد الجزائري، سعود آل عوشن، عبد الملك محمد التويجري، أبو حذيفة الأعظمي، مندوبية الروابي بجدة، أبو صالح الحجيلان، محمد بن حسين عطار، نور الفضلي:** أسعدنا تواصلكم مع مجلتكم، بارك الله فيكم وفي جهودكم، مع تمنياتنا لكم بالتوفيق في مشاركات قادمة.

التدافع بالأكتاف والأكعب.. من المستفيد؟!

د. محمد البشر

الولوغ في الأشخاص والهيئات مسلك ذميم.. ومن ظلم النفس والآخرين أن تكون هذه الصفة دأب لصاحبها إما عن غفلة وإما عن قصد، وكلاهما مر.

وهذا المسلك المشين يلحظ على أخلاقيات بعض المحسوبين من الصالحين.

فإذا اغتنى أحد بمال.. استكثره عليه، وتساءل: من أين له؟ وكأن الغنى حكر على غير الصالحين وغاب عنه أنه: «لا حسد إلا في اثنتين»[(1)]، و «ذهب أهل الدثور بالأجور»[(2)]. وكأنه لا يجتمع داعية وغنى!!

وإذا سبق أحدٌ بالخير تجشأت نفسه بالبَشَم الدنيوي؛ فسخر من قَدْره، أو سفه بعمله، أو هز بفضله، وغاب عنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ [الحديد: ٢١]، وقوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤].

وإذا عمل معه آذاه ووشى به، وتجنى عليه بالثلب والسلب، وزاحمه بالأكتاف والأكعب، وكأن المكان لا يتسع إلا له، وغاب عنه قول ربه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

إن التدافع بالألسنة والأكتاف والأكعب لا يكون إلا في الخير وللخير، أما أن يدور في فلك المنفعة

---

(١) رواه البخاري، ح/ ٧١.

(٢) رواه مسلم، ح/ ١٦٧٤.

ـخصية الذاتية؛ فيقترف صاحبه لأجله خطيئة، أو يكسب إثماً، ويتجاوز ضرره النفس إلى الغير، و أمر يستدعي تهذيب النفس وصَقْلها، وربما عَسْفها وأَطْرها على الحق راغمة وصاغية.

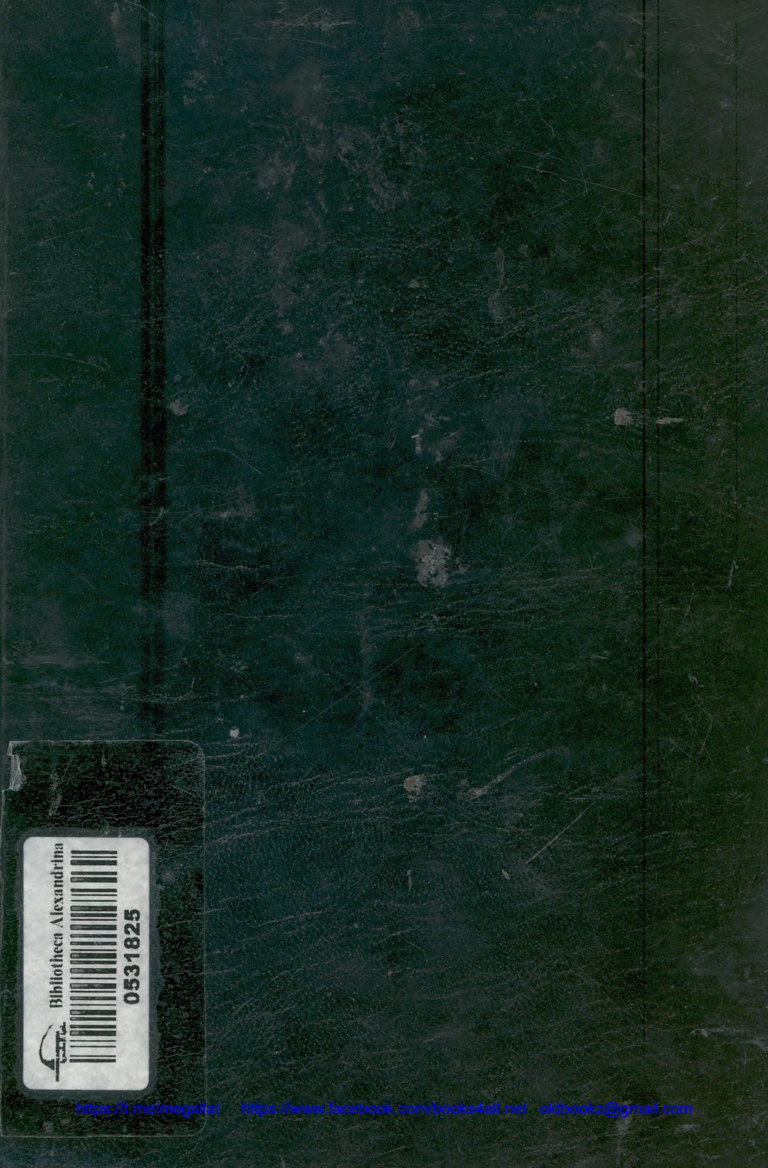
صح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم عمالكم»[1]، وسلامة القلب علامة خير عظيم ونبوءة أجر كبير، وقد أخبر النبي ﷺ عن أحد أصحابه من أهل الجنة، فلما تقصَّى صحابيٌّ دأبه في ليله ونهاره لم يجد كثير عمل غير أنه يمسي ولا يجد ، قلبه على أحد شيئاً.

التُّقى والصلاح لا يُحلان التجني على الآخرين وإيذائهم والنيل منهم، ولن يكونا شفيعين لصاحبهما يَلِغَ بلسانه في سيرهم أو يجد في نفسه شيئاً عليهم، بل حري بمن هو في عداد الصالحين أن يكون نقى والصلاح سياجاً يحميه من الإثم وأسباب الخصومة والبغضاء التي تضر ولا تنفع، وتفرق تجمع، وأكبر الضرر أن يتعدى الأشخاص إلى مؤسسات الخير والدعوة.

ومعنى أن يصدر ذلك كله من الدعاة الصالحين هو تجريح للنماذج، وتهافت للرموز.

(١) رواه مسلم، ح/ ٤٦٥١.





Bibliotheca Alexandrina
0531825